

# التَّسْهِيلُ الْعُلُومِ التَّنْزِيلِيَّ

تأليف العلامة الفسري القاسم  
محمد بن أحمد ابن جزي الكلبلي الأندلسي الغرناطي  
رحمه الله وتقبله في شهر ربيع الأول ٦٩٣ - ٧٤١ هـ

وبهامشه

## التعليقات على التيسار للعقدي

لمصنف الشيخ العلامة  
عبد الرحمن بن ناصر البراك  
حفظه الله تعالى وتفع به

صفحات الفهارس

الجزء ① ..... 770

الجزء ② ..... 1543

الجزء ③ ..... 2270

تجقيق  
د. علي بن حمد الصايحي  
مطبعة الشريعة الإسلامية



الكتاب كامل في ملف واحد (٣ مجلدات)

الكتب المدمجة

دمج وفهرسة الكتب متعددة الأجزاء



# التَّسْهِيلُ الْحُلُومَ التَّنْزِيلُ

تأليف العلامة الفسّار أبي القاسم  
محمد بن أحمد ابن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ الأندَلُسِيِّ الغرناطِيِّ  
رحمه الله وتقبله في الشَّهَادَةِ (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَبِهَامِشِهِ

## التَّعْلِيلَاتُ عَلَى الْمَسَائِلِ الْعُقَدَاتِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَاءِ  
حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ

الجزء الأول  
من المقدمة إلى الأعراف

تجقيق  
د. علي بن محمد الصّايحي  
عضو هيئة التدريس بجامعة أمم القرى

دار الفکر للطباعة والنشر  
المطبعة والنشر



التَّسْمِيَةُ الْعِلْمُ وَالتَّنْزِيلُ

وَبِهَامِشِهِ

التَّعْلِيْقَاتُ عَلَى الْمَسَائِلِ الْعَقَدِيَّةِ



ح) دار طيبة الخضراء ، 1444 هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفرناطي ، محمد أحمد ابن جزي الكلبي  
التسهيل لعلوم التنزيل

وبهامشه التعليقات على المسائل العقدية 1 ♦ 3

محمد أحمد ابن جزي الكلبي الفرناطي ؛ علي بن محمد الصالحي - ط 2 - مكة المكرمة، 1443 هـ

1 مج 771 ص؛ 24×17 سم

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8310-71-7 (ج 1)

1- القرآن - تفسير أ. الصالحي، علي بن محمد (محقق) ب. العنوان

1442/8517

ديوي 3, 227

رقم الإيداع: 1442/8517

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8310-71-7 (ج 1)

يمكنكم طلب الكتب عبر

متجرنا الإلكتروني



حيثما كنت يصلك طلبك

مخفوف الطبع ومحفوظ

والطبعة الخامسة (1444 هـ - 2023 م)



f dar.taibagreen123

dar.taiba

@dar\_tg

dar\_tg

M dartaibagreen@gmail.com

@ yyy.01@hotmail.com

0125562986

0550428992

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه



# التَّسْهِيلُ الْعِلْمُ مِنَ التَّنْزِيلِ

تأليفُ العلامةِ الفسْرابي القاسم  
مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيِّ الْكَلْبِيِّ الْأَنْدَلِسِيِّ الْغُرْنَاطِيِّ  
رحمه الله وتقبله في الشَّهَادَةِ (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وبهامشه

## التَّعْلِيلَاتُ عَلَى الْمَسَائِلِ الْعُقَدِيَّةِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَّاكِ  
حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ

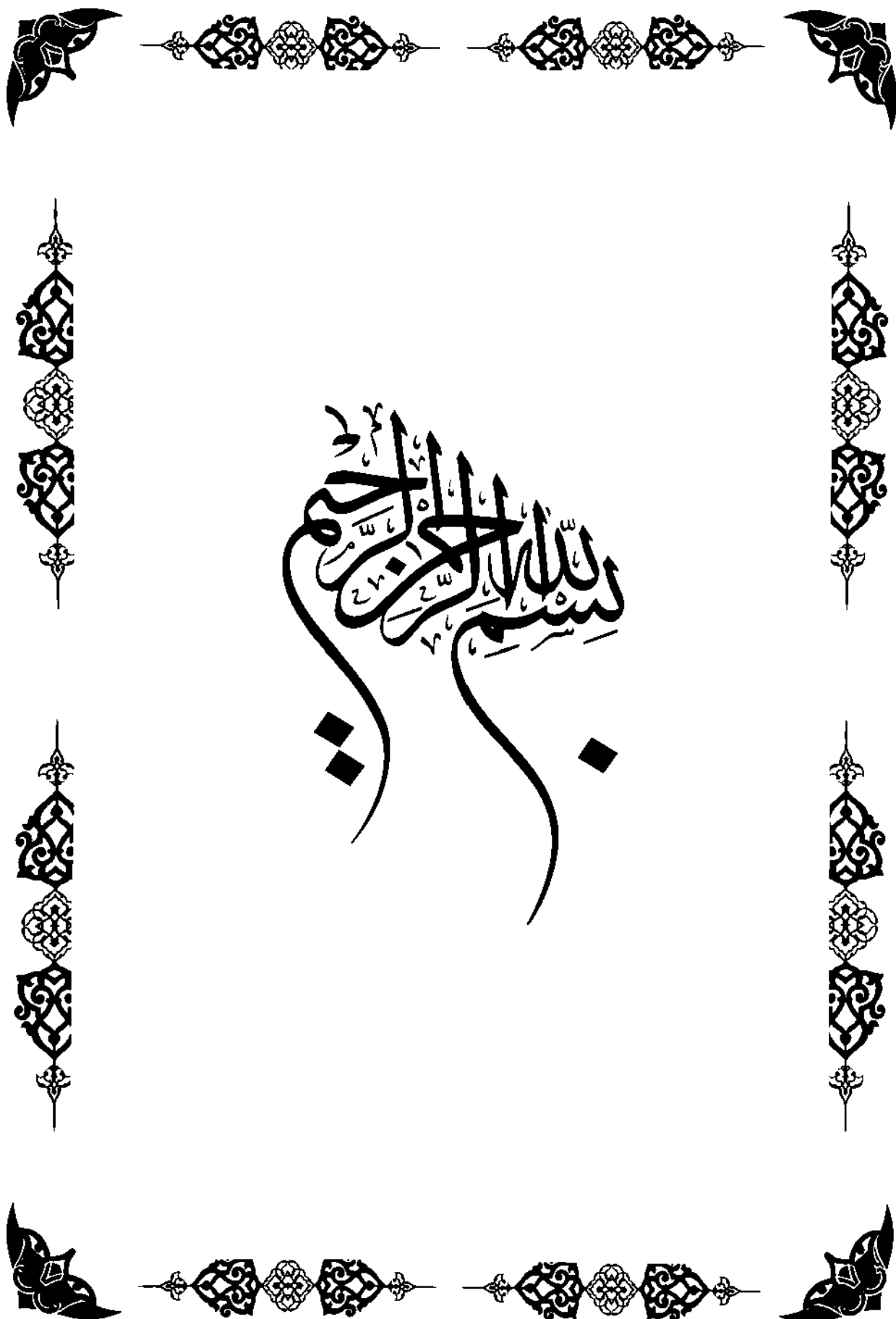
الْجُزْءُ الْأَوَّلُ  
مِنَ الْمَقْدَمَةِ إِلَى الْأَعْرَافِ

تحقيق  
د. علي بن حمد الصايحي  
عضو هيئة التدريس بجامعة أمم القرى





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه الطبعة الثانية من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، للشيخ المفسر ابن جزّي الكلبي رحمه الله، أقدمها للقارئ الكريم، وقد أعدت النظر في التحقيق بعد أن خرجت الطبعة السابقة، وأجمل هنا أهم ما امتازت به هذه الطبعة عن سابقتها:

- (١) أعدت مقابلة النص المحقق على مخطوطاته، وصحّحت ما وُجد في النص من أخطاء طباعية في رسم الكلمات أو في ضبطها، واستدركت ما حصل فيه من سقط.
- (٢) أعدت النظر في تخريج الأحاديث والآثار واستدركت ما فات تخريجه منها، أما الأحاديث فإني خرجتها من مصادرها الأصلية، مع بيان الحكم على الحديث صحةً أو ضعفاً إن لم يكن في الصحيحين أو في أحدهما، وأما الآثار الموقوفة على الصحابة أو التابعين، فقط فات في الطبعة السابقة شيء كثير منها، فاستدركت ذلك جميعه في هذا الطبعة، واكتفيت بتخريجه دون بيان الحكم عليه غالباً.

- (٣) أضفت تعليقات جديدة لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله - على مواضع من المخالفات العقّدية، مستدركة على التعليقات التي في الطبعة السابقة، بلغت أربعين موضعاً<sup>(١)</sup> مما نبّهني عليه أهل العلم والفضل أو انتبهت له أثناء إعادتي

(١) أرقام التعليقات المستدركة في الفهرس هي: (١)، (٢)، (٣)، (٦)، (٧)، (٨)، (١٠)، (١٣)، (١٥)، (١٦)، (٢١)، (٣١)، (٣٤)، (٣٥)، (٣٧)، (٣٨)، (٤٤)، (٤٥)، (٤٧)، (٤٨)، (٤٩)، (٥٥)، (٥٦)، (٥٧)، (٥٩)، (٦١)، (٦٢)، (٦٣)، (٦٦)، (٦٧)، (٦٨)، (٨٧)، (٩٠)، (٩٢)، (٩٤)، (٩٥)، (٩٧)، (٩٨)، (٩٩)، (١١٠).



النظر في الكتاب، فتكون جملة التعليقات العقدية إحدى عشر ومئة، أثبتُّها في الحاشية مرقمة، وصنعت لها فهرساً رتبته بحسب ترتيب موضع التعليق من الكتاب، فإذا وُجد موضع من الكتاب فيه إشكال عقديٍّ مماثل لموضع مضمي التعليق عليه فإني أحيل إليه بالرقم، ويمكن للقارئ أن يصل إليه بالرجوع إلى هذا الفهرس.

(٤) أضفت تعليقات مختصرة على مواضع من الكتاب، رأيت شدة الحاجة إليها؛ لتعين القارئ الكريم في فهم الكتاب، كتوضيح وجه إعرابي أو معنى بلاغي، أو شرح كلمة غريبة أو مصطلح علمي، أو بيان عبارة مشككة، أو إصلاح خلل تيقنته، وأذيل هذا التعليق بذكر المصادر التي أفدت منها فيه.

(٥) خرَّجت القراءات الواردة في الكتاب، وعزوتها إلى من قرأ بها من القراء السبعة واكتفيت بذكر الخلاف الدائر بينهم فقط دون من سواهم من بقية العشرة أو غيرهم، معتمداً في ذلك على شروح الشاطبية، وعلى كتاب تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري، فإن لم تكن القراءة سبعة، بأن كانت من الثلاثة المتممة للعشرة أو من القراءات الشواذ التي وراء ذلك فإني أذكر من قرأ بها، وأذيل بذكر المصدر الذي حكاها من كتب القراءات أو من كتب التفسير.

(٦) في تفسير آيات الأحكام يقتصر ابن جزري رحمه الله في حكاية الخلاف في المسائل الفقهية على مذاهب الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي رحمه الله إضافة إلى أقوال الصحابة والتابعين رحمه الله، ويذكر في مواضع يسيرة مذهب الظاهرية، وأما مذهب الإمام أحمد رحمه الله فلم يذكره المؤلف إلا في أربعة مواضع فقط، وترك ذكره في سائر المواضع مع كونه مذهباً من المذاهب الأربعة المتبوعة، وتتميمًا لإفادة القارئ الكريم فقد أشرت إلى مذهب الإمام أحمد في جميع المواضع التي لم يذكره المؤلف فيها، وأشرت إلى الروايات في المذهب التي وافقت قولاً من الأقوال التي حكاها المؤلف.

(٧) وُضعت الآيات الكريمة الواردة في التفسير بالرسم العثماني وفق رواية ورش عن نافع، فهي الرواية التي اعتمد عليها المؤلف في تفسيره<sup>(١)</sup>.

(٨) صنعت فهرس للكتاب تيسر الإفادة منه، وهي فهرس الأحاديث، وفهرس الأشعار، وفهرس التعليقات العقدية.

هذا؛ وإني أشكر الله ﷻ على ما أنعم به عليّ من الإعانة والتيسير على الجهد المبذول في إخراج هذه الطبعة الثانية، فاللهم لك الحمد ولك الشكر، وأسألك أن توزعني شكر نعمك.

ثم أُرْجى صادق شكري لفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك - أمتع الله به - على ما أفاض به من التعليقات العقدية المستدركة على هذا التفسير، تخللت تضاعيفه، ووُشحت تأليفه، وطرّزت ديباجه، ورصّعت تاجه، ونظمت عقود، ورقمت بروده، وهي تعليقات لا تقتصر فائدتها على هذا التفسير فحسب، بل تتعدى فائدتها إلى كثير من كتب التفسير التي جانب مؤلفوها الصواب في تقريرهم القضايا العقدية، فيجد القارئ في هذه التعليقات ما تقرُّ به عينه، وترجع به نافرةً أنسه وسكونه، فجزى الله فضيلة الشيخ على ما جاد به وأجاد، ونصح وأفاد، وأجزل له المثوبة والأجر، ورفع درجاته وأعلاها، وبلغه من الآمال منتهاها.

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| سألناه الجزيل فما تلَّكَا | وأعطى فوق مُنْتَنَا وزادَا |
| فأحسن ثم أحسن ثم عُدْنَا  | فأحسن ثم عدتْ له فعادَا    |
| مرارًا لا أعود إليه إلَّا | تبسّم ضاحكًا وثنى الوسادَا |

(١) هناك عدد من المواضع في التفسير تدلُّ على أن ابن جزّي اعتمد على رواية ورش لا على رواية قالون، وإن كانت هذه المواضع قليلة لقلّة الخلاف نسبيًّا بين قالون وورش، ومن أظهرها ما جاء في تفسير الآية رقم (١٧) من سورة الصافات: ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ﴾ بفتح الواو، دخلت همزة الإنكار على واو العطف، وقرئ بالإسكان عطفًا بـ (أو). ا.هـ. فالقراءة بفتح الواو هي رواية ورش، وهي التي ابتدأ بها المؤلف مما يدل على أنها هي الرواية التي يعتمد عليها في التفسير، ثم أشار إلى الرواية الأخرى بقوله: «وقرئ»، وهي رواية قالون، مما يعني أنها ليست هي الرواية التي بنى عليها تفسيره، كما يصنع مع القراءات التي تخالف قراءة نافع.



وأردف بشكري لشيخنا الكريم الأستاذ الدكتور: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر - حفظه الله -، على ما أجرى الله على يديه من الخير، فقد كان سبباً في بروز هذه التعليقات النفيسة، إذ هو الذي قيدها من أمالي شيخه، وقد كان - أحسن الله إليه - مهتماً بها وحريصاً على أن تخرج للقراء لينتفعوا بها، وكان يستحثني على أن أرسل له أي موضع فائت من المواضع التي تحتاج إلى تعليق، وأجد منه اهتماماً بالغاً في ذلك، وكم لشيخنا عندي من مبارّ أعجزني شكرها، كما أعوزني حصرها، وقد زحمتني من مكارمه ما يحصر عنه المبين، ويصحبه العي وبئس القرين، جزاه الله خير الجزاء وبارك فيه وفي علمه، ونفع به.

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي أيادي لم تُمنن وإن هي جَلَّت  
ثم أشكر لكل من أكرمني من أهل العلم والفضل بتبنيهي على خلل في الطبعة السابقة أو بإرشادي إلى أمر فيه نصح في إخراج الكتاب، جزاهم الله تعالى خير الجزاء.  
وختاماً أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد، وأن يصلح النية والعمل، وأن يعفو ويتجاوز عما يقع فيه من خلل أو زلل، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

✍️ وكتبه: د. علي بن حمد الصالحي

مكة المكرمة

ali.h.s.32@gmail.com



## مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مَنْ بعثه الله رحمةً للعالمين،  
محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، وعلى آله وأصحابه  
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم قدرًا، وأجلها ذكرًا، وأرفعها شأنًا، وأولاها عرفانًا؛ علمُ تفسير  
كتاب الله تعالى، وتفهُم معانيه، وهو أولى العلوم بالتحصيل، وخير ما صُرفت فيه  
الأعمار، وأنفقت فيه الأوقات، وكُذِّت فيه القرائح والفهوم؛ إذ هو متعلِّق بأشرف كلام،  
وهو كلام رب العالمين، فنال هذا العلمُ قصب السبق بهذه المزية، وأعظم بها من مزية،  
ومن رتبة عليّة، وحرِيٌّ بعلم هذه خلّته وخصلته أن يكون سيّد العلوم وكبيرها، وأن تكون  
سائر العلوم له جنّدًا وتبَعًا، وقَمَنُ به أن يكون في ذروة المعارف والعلوم التي يقصدها  
وَرَادُّها، ويرومها قَصَادُها، ويطلبها شِدَاتُها؛ ليرتعوا في رياضه، ويكرعوا من حياضه،  
ويقتبسوا من أنواره، ويتأرّجوا من نفحاته، وما أجمل ما دبّجته يراعة الإمام المطلبّي،  
محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله إذ يقول مستحثًا طلبة العلم على العناية بكتاب الله،  
ومُذَكِّيًا هِمَمَهُم في الانكباب على تحصيل علمه -: «فكلُّ ما أنزل في كتابه -جل ثناؤه- رحمةٌ  
وحجة، عِلْمُهُ مَنْ علمه، وجهله من جهله، لا يعلم مَنْ جهله، ولا يجهل من علمه،  
والناس في العلم طبقاتٌ، موقعُهُم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به، فحقُّ على طلبة  
العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبرُ على كل عارضٍ دون طلبه،  
وإخلاص النية لله في استدراك علمه: نصًّا واستنباطًا، والرغبة إلى الله في العون عليه؛

فإنه لا يُدرك خيراً إلا بعونه، فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصّاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول والعمل بما علّم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرّيب، ونوّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة، فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المُديمها علينا، مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه، ثم سنة نبیه، وقولاً وعملاً يؤدّي به عنا حقّه، ويوجب لنا نافلةً مزيده»<sup>(١)</sup>.

وإن من أنفع الكتب المؤلفة في علم تفسير كتاب الله تعالى: كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» للشيخ الشهيد أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جُزَيّ الكلبي الغرناطي رحمته الله، فقد امتاز هذا الكتاب بعدة مميزات، تجعله من أولى كتب التفسير التي يجدر بطالب العلم أن يُقبل على تحصيلها، ومن تلك المميزات:

(١) سهولة أسلوب ابن جزيّ ووضوح عبارته وجودتها، وحسن ترتيبه وعرضه للمسائل، وهذه الميزة يجدها الطالب بجلاء عند مطالعته لسائر كتب ابن جزيّ، فعبارته يمكن أن توصف بأنها من السهل الممتنع، إذ يجد القارئ سلاسةً عند قراءتها، لكن يصعب على الشخص أن يحاكيها.

(٢) صغر حجم الكتاب نسبياً؛ مما يسهّل تحصيله، ويُقرّبه إلى الرّاغبين، مع غزارة مادته العلمية، فابن جزيّ اختصر العبارة، مع غاية الدقّة في انتقائها، فالمطالع لتفسيره يجد العبارة المختصرة المركّزة، لكن لو فتّش فيما تحتها لظهرت له معاني غزيرة، وقد نبّه رحمته الله على ذلك فقال: «ثم إني عزمْتُ على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار».

(٣) نقاوة هذا التفسير وخلوصه وصفاءه من الأقوال الباطلة والساقطة، كما نبّه على ذلك في المقدمة فقال: «وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره؛ تنزيهاً للكتاب عنه، وربّما ذكرته تحذيراً منه»، إضافةً إلى تحقيقه لأقوال المفسرين





والفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييزه بين الراجح والمرجوح، فهو بحقّ  
عسل مصفى، ولبن خالص سائغ للشاربين.

(٤) أنه يُعدُّ كتابًا تطبيقيًا لمن درس علوم الآلة - كعلوم اللغة من نحو وتصريف وبلاغة  
وعلم الأصول - ويروم أن ينمي ملكته في تطبيق هذه العلوم على فهم كتاب الله،  
فابن جزّي يبيّن بوضوح الأوجه الإعرابية في الآية والمعنى المبني على كل وجه،  
وما فيها من النكات البلاغية، ويبين تصاريف الكلمات وأبنيتها.

(٥) قدّم له ابن جزّي بمقدّمتين، إحداهما في أبواب من علوم القرآن وأصول التفسير،  
وهي بمثابة كتاب مستقلّ في علم علوم القرآن وأصول التفسير، والأخرى في اللغات  
التي يكثر ورودها في القرآن، وهي بمثابة كتاب مستقلّ في علم غريب القرآن، وهذا  
الصنيع قلّ أن يوجد مثله في كتب التفسير.

(٦) جودة المصادر التي استمدّها منها ابن جزّي تفسيره - وسيأتي الحديث عنها بإذن الله -،  
وأهم تلك المصادر: تفسير ابن عطية، وتفسير الزمخشري، وهذان التفسيران من  
أجلّ كتب التفسير العمّد الكبار، فالدارس لتفسير ابن جزّي كأنه قرأ لباب هذين  
التفسيرين وصفوتهما.

وقد نوه أهل العلم بمزية تفسير ابن جزّي، وأشادوا بمنزلته، وأوصوا به طلاب  
العلم، فهذا الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسيّ (ت ١٠٥٢هـ) من عيون  
علماء المغاربة في القرن الحادي عشر يوصي أولاده حين قدموا فاس لطلب العلم بها،  
ويقول في ضمن وصيّته: «ومن أحسن التفاسير التي أحبّ لكم مطالعتها وتفهمها: تفسير  
ابن جزّي، ولا أقبل قول من يخالف في ذلك»<sup>(١)</sup>.

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور خالد السبت -نفع الله به-: «فهذا كتاب في غاية الأهمية،  
لا يستغني عنه طالب العلم، وهو مع إيجازه، فالمؤلف يحرص فيه على الوفاء بالمعنى،  
يختصر جدًّا مع ذكر الأقوال، وهو كتاب ملخّص، لكنه عميق ودقيق قلّ أن يوجد مثله»،

(١) نقل نصّ هذه الوصية د. محمد عوامة في كتابه: معالم إرشادية لصناعة طالب العلم (ص ٤٣٤).

ويقول أيضًا: «ويصلح أن يكون هذا الكتاب أصلًا يُعتمد عليه، بحيث يكون عند طالب العلم، يضبطه، ويضيف عليه ويُعلّق عليه، ويرجع إليه حينًا بعد حين، ويراجعه ويكرره»<sup>(١)</sup>.

ويقول الشيخ محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمته الله في وصف هذا التفسير: «كنت ملازمًا لمطالعتة في سفري ومقامي، لكثرة فوائده، وسهولة حمله، فهو يغني عن مكتبة، بما اشتمل عليه في التفسير واللغة وعلوم القرآن ومباحث أصول الفقه»<sup>(٢)</sup>.

ومع جلاله هذا الكتاب وقيمته العلمية ومزاياه العَلِيَّة؛ إلا أنه لم تخرج له طبعةٌ صحيحة سليمة من الأخطاء تليق بمكانته، فجميع الطباعات التي خرجت له بخسسته وهضمته حقّه بكثرة ما فيها من الأخطاء الشنيعة والتحريفات والسقط الكثير الذي يصل أحيانًا إلى عدّة أسطر! مما يجعل استفادة الدارس من هذا الكتاب صعبةً ومحدودة، ومعاناته شديدةً في القراءة فيه، فحداني ذلك إلى أن أستعين الله تعالى في تحقيق هذا الكتاب تحقيقًا علميًا يليق بمكانته ويخلصه وينقّيه من التحريفات والأخطاء، ويُعيد إلى حوزته ما نقص منه وما سقط من عباراته، معتمدًا في ذلك على أصول خطيّة لهذا الكتاب انتخبتها مما جمعته جهْدًا استطاعتي.

هذا؛ وقد حلّني جيد هذا الكتاب، ووَشَّي حُلَّله، تعليقاتٌ نفيسة، وتقاريرٌ فريدة، لفضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك - أمتع الله به -، وفيها استدراكاتٌ على مواضع من الكتاب جائب المؤلف فيها الصواب في العقيدة والسلوك وغير ذلك، وقد كنتُ في أثناء عملي في التسهيل تعرّض لي مواضع يقرّر فيها ابن جزّي تقريرًا مشكلاً على منهج أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة، فعرضتُ هذا الأمر على شيخنا الأستاذ الدكتور: عبد المحسن العسكر - نفع الله به -، فاقترح عليّ - جزاه الله خيرًا - أن أرسل له هذه المواضع المشكّلة ويقوم هو بعرضها على شيخه الشيخ عبد الرحمن البراك، وهكذا عهد شيخنا - جزاه الله خيرًا - بأذلاً للخير مبادراً نفاعاً.

(١) راجع: المادة الصوتية رقم (١) من شرح فضيلته لتفسير ابن جزّي، على الموقع الرسمي لفضيلته في الشبكة العنكبوتية، من الدقيقة (٢٥) وما بعدها.

(٢) مقدمة تحقيقه وتعليقه على تقريب الوصول لابن جزّي (ص: ٥).

وكلُّ امرئٍ يُؤلي الجميلَ محبَّبٌ      وكل مكانٍ يُنبِتُ العِزَّ طيِّبٌ

وعَرَضَ شيخنا هذا الأمر على فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك فأجاب إلى ذلك كرمًا منه وتفضُّلاً - جزاه الله خيرًا - على عاداته في الجود بالعلم وبذل الخير والنصح، والشيء من معدنه لا يُستغرب، وكأنَّ زهيرًا عناه حين قال في هَرَمِ بنِ سِنان:

قد جعل المبتغونَ الخيرَ في هَرَمٍ      والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقًا

وأملئ هذه التعليقات على الشيخ عبد المحسن العسكر، وهي بحق - كما يقول شيخنا الشيخ عبد المحسن -: «تعليقاتٌ تشدُّ إليها الرحال، وتضرب بها الأمثال، وترخص في تحصيلها كرائم الأموال؛ فإنها معقد الآمال، ومتنافس كرام الرجال، وإنها لحلية في جيد (التسهيل) تستوجب الثناء الجزيل والذكر الجميل».

فأسأل الله أن يجزي الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك خير ما يجزي به العلماء الناصحين والأئمة الصادقين، وأن يبارك في مسعاه ويبلغه من الخير منتهاه.

وأسأله سبحانه أن يجزي شيخنا المبارك المفضل الذي كثرت لديّ فضائله وفواضله الشيخ الأستاذ الدكتور: عبد المحسن العسكر خير الجزاء على جهده في عرض هذه القضايا المشككة على فضيلة الشيخ: عبد الرحمن البراك وتقبيده لها، ومتابعته للعمل في ذلك، ولا يفوتني أن أشكر لكل من أعان في هذا العمل بمراجعة أو نقد أو إفادة، جزاهم الله تعالى على إحسانهم خير الجزاء.

وبعد؛ فهذا كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» أقدمه للقارئ الكريم وقد بذلتُ الجهد في تحقيقه وتنقيحه واستفرغت الوسع، وحرصت على حسن الإخراج والتنسيق، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده فله الحمد والشكر، وما كان فيه من خطأ وزلل - وقلما ينجو امرؤ من الزلل - فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريثان، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وزلفى لديه في جنات النعيم المقيم،

وأن يبارك فيه وينفع به، وأسأله سبحانه أن يجزي الشيخ ابن جزّي خير الجزاء عليّ  
هذا السّفر العظيم، وأن يتغمده برحمته وأن يتقبّله في الشهداء، إنه سميع مجيب، وأسأله  
سبحانه أن يجزي والديّ ومشايخي وكلّ من له فضلٌ عليّ خير الجزاء، وأن يعلي  
درجاتهم في عليين، إنه خير من سئل وأجود من أعطى والحمد لله رب العالمين.

✍ وكتبه: علي بن حمد الصّالحي

مكتة المكرمة

ali.h.s.32@gmail.com





## الطلب الاول

التعريف بالمفسر ابن جزّي<sup>(١)</sup> رحمه الله<sup>(٢)</sup>

## ❁ اسمه ونسبه:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن الأمير أبي بكر عبد الرحمن بن يوسف، ابن جُزَيّ الكلبيّ الأندلسي الغرناطي، أبو القاسم، ينتسب إلى قبيلة كَلْبِ القُضَاعِيَةِ اليمانية، والكلبيون منهم من دخل الأندلس واليا عليها كعنبسة بن سحيم الكلبي الذي دخلها عام ١٠٣هـ ومنهم من دخلها مجاهداً فاتحاً، ومن هؤلاء سلف ابن جزّي رحمه الله، كما قال ابن الخطيب: «أصل سلفه من ولبة من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي» وكان أبو الخطار قد دخل الأندلس سنة ١٢٥هـ.

(١) يقول الحضرمي -تلميذ المترجم له- في ضبط هذا الاسم في «فهرسته»: «ابن جزّيء بضم الجيم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة بعدها همزة» نقله التنبكتي في نيل الابتهاج (ص: ٣٩٨)، إلا أنه جرى على الألسنة «جزّي» بطرح الهمزة، على مذهب أهل الحجاز من تخفيف الهمزة المتطرفة الساكن ما قبلها، كما ذكر ذلك الحسن بن عبد العزيز القادري التلمساني في تحقيقه لمقدمة الغريب في اللغات لابن جزّي، والتي أخرجها في كتاب مستقل باسم «القاموس الوجيز للقرآن العزيز» وطبع في فاس سنة ١٣٤٨هـ.

(٢) انظر ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (١٠/٣)، والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة، لابن الخطيب أيضاً (٤٦)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (٢/٢٧٤)، وأعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر (ص: ١٦٥)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٢/٨٣)، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (٥/٨٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/٨٥)، ودرة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس المكناسي الشهير بابن القاضي (٢/١١٧)، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ص: ٣٩٨)، ونفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين المقرئ التلمساني (٥/٥١٤)، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للمقرئ أيضاً (٣/١٨٤)، وفهرس الفهارس للكتاني (١/٣٠٦)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلوف (١/٣٦٠).

وكانت لجدّه السلطان الأمير أبي بكر عبد الرحمن ابن جزّي بجيَّان رئاسةً وانفراد بالتدبير، حيث بويع له فيها سنة (٥٣٩هـ).

#### ✽ مولده ونشأته :

ولد ابن جزّي يومَ الخميس تاسع ربيع الثاني عام (٦٩٣هـ).

وقد نشأ في بيت علم وفضل وجلالة وديانة ونباهة، وأسرة ابن جزّي من الأسر الرفيعة في غرناطة ومنها تخرّج أعلام في الفقه والقضاء والخطابة، وكانت نشأة ابن جزّي في طلب العلم منذ وقت مبكر.

#### ✽ مكانته العلمية وأخلاقه :

يقول عند تلميذه ابن الخطيب: «كان ﷺ على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاقتصاد على الاقتيات من حُرِّ النَّسَب، والاشتغال بالنَّظر والتَّقييد والتَّدوين، فقيهاً، حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حافظاً للتفسير، مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب، مُلوَكِّي الخزانة، حَسَن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغُور، صحيح الباطن، تقدّم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حدّاته سنّه، فاتفق على فضله، وجري على سنن أصالته».

ويقول عنه ابن الأحمر: «كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، وكان فقيهاً إماماً عالماً بجميع العلوم، محصّلاً، قارب درجة الاجتهاد، ودوّن وصنف في كل فن، وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة».

ويقول تلميذه الحضرمي: «كان رجلاً ذا مروءة كاملة، حافظاً متفتناً، ذا أخلاق فاضلة، وديانة وعفة وطهارة، وشهرته ديناً وعلماً أغنت عن التعريف به».

#### ✽ شيوخه :

أخذ العلم عن عدد من علماء عصره وفضلاء بلده، من أشهرهم:

- (١) الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن.

(٢) الأستاذ النظّار المتفّن أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن الشّاط الأنصاري السبتي (ت ٧٢٣هـ)، صاحب كتاب «أنوار البروق في تعقّب مسائل القواعد والفروق» للقرافي.

(٣) الأستاذ المقرئ الرّواية المكثّر أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، المعروف بابن الكمّاد (ت ٧١٢هـ).

(٤) الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمرو الفهري السبتي، المعروف بابن رُشيد (ت ٧٢١هـ)، صاحب كتاب «ملء العيّبة».

(٥) عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي الفاسي، قرأ عليه ابن جزّي كثيرًا من كتب القراءات وأبعضًا من الموطأ ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود والشمائل والشفاء، وسراج ابن العربي وتلقين عبد الوهاب وكثيرًا من تأليفه وغيرها.

وأخذ أيضًا عن عدد من علماء عصره وروى عنهم، منهم: الشّيخ الوزير أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن، والراوية المسنّ أبو الوليد الحضرمي، والشّيخ الرّواية أبو زكريا البرشاني، والرّواية الخطيب أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبو المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبو عبد الله بن برطال، والشّيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع، والخطيب الولي أبو عبد الله الطنجالي.

#### ❁ تلاميذه:

من تلاميذه ابناؤه الثلاثة:

- (١) أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزّي، الأديب الحافظ.
- (٢) أبو بكر أحمد بن أبي القاسم ابن جزّي، الفقيه المتفّن، تولى الكتابة السلطانية، والقضاء بغرناطة، والخطابة بجامعها (ت ٧٨٥هـ).
- (٣) أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن جزّي (ت ٧٥٧هـ)، كان بارعًا في النظم والنثر، وهو الذي جمع رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة.

ومن أبرز تلاميذه أيضاً:

- (١) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي، المعروف بابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ).
- (٢) أبو محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمي، صاحب «الفهرسة» (ت ٧٤٩هـ).
- (٣) أبو القاسم محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري، المعروف بابن الخشاب (ت ٧٧٤هـ).
- (٤) أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري، المعروف بالشُدَيْد (٧٧٦هـ).

#### ❖ مصنفاته:

- خلف المفسر ابن جزّي رحمه الله ثروة من الكتب في شتى الفنون، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو في عداد المفقود، ومن أبرز تلك المؤلفات:
- (١) التسهيل لعلوم التنزيل، وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم.
  - (٢) وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، مفقود إلى الآن.
  - (٣) الأنوار السنية في الكلمات السنية، مطبوع بعناية: نزار حمادي، وهو من إصدارات مكتبة الدكتور عبد الله بن علي آل الشيخ مبارك الوقفية.
  - (٤) الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار، مفقود إلى الآن.
  - (٥) القوانين الفقهية، في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، وهو مطبوع عدة طبعات ومتداول.
  - (٦) تقريب الوصول إلى علم الأصول، وهو مطبوع عدة طبعات ومتداول.
  - (٧) النور المبين في قواعد عقائد الدين، مطبوع من إصدارات دار الضياء، بعناية: نزار حمادي.
  - (٨) الضروري في علم الدين، مطبوع بتحقيق الدكتور: حميد بن محمد لحمر العايدي الإدريسي الحسني، من إصدارات دار الكلمة للنشر والتوزيع.
  - (٩) المختصر البارع في قراءة نافع، مطبوع بتحقيق الأستاذ: محمد الطبراني، من إصدارات مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

(١٠) أصول القراء الستة غير نافع، مفقود إلى الآن.

(١١) الفوائد العامة في لحن العامة، مفقود إلى الآن.

(١٢) فهرسة كبيرة اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب، مفقودة إلى الآن.

### ✽ شعره:

لابن جزّي أشعار رائعة مستحسنة، تدلُّ على ذائقة أدبية رائعة، منها قوله:

|                                |                             |
|--------------------------------|-----------------------------|
| لكل بني الدنيا مرادٌ ومقصد     | وإن مرادي صيحةٌ وفراعُ      |
| لأبلغ في علم الشريعة مبلغاً    | يكون به لسي للجنان بلاغ     |
| وفي مثل هذا فلينافس أولو النهي | وحسبي من الدنيا الغرور بلاغ |
| فما الفوز إلا في نعيم مؤبد     | به العيش رغد والشراب يُساغ  |

وقوله في مدح النبي ﷺ:

|                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| أروم امتداح المصطفى ويردني     | قصوري عن إدراك تلك المناقب   |
| ومن لي بحصر البحر والبحر زآخر؟ | ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب |
| ولو أن أعضائي غدت السنأ إذن    | لما بلغت في المدح بعض مآربي  |
| ولو أن كل العالمين تألفوا      | على مدحه لم يبلغوا بعض واجب  |
| فأمسكت عنه هيبة وتأدبوا        | وخوفاً وإعظاماً لأرفع جانب   |
| ورب سكوت كان فيه بلاغة         | ورب كلام فيه عتب لعاتب       |

وقوله -مشفقاً من ذنبه-:

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت | فما أطيق لها حصراً ولا عدداً |
| وليس لي بعذاب النار من قبل   | ولا أطيق لها صبراً ولا جلداً |
| فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكتي   | ولا تذيبنني حرَّ الجحيم غداً |



وقوله:

وكم من صفحة كالشمس تبدو      فيسلي حُسنها قلبَ الحزين  
غضضتُ الطرف عن نظري إليها      محافظةً على عرضي وديني

وقوله:

وقائلةٍ لمْ هجرت التصابي      وسنُّك في عنفوان الشبابِ  
يمر زمان الصبا ضائعاً      ولم تَلْهُ فيه بيض الكعابِ  
ولم تدر لذة طيب الهوى      ولم تَرَوْ من سلسيل الرضابِ  
فقلت: أبى العلمُ إلا التقى      وهجر المعاصي ووصل المتابِ  
ومن لم يفده طلاب العلوم      رجاء الثواب وخوف العقابِ  
فخير له الجهل من علمه      وأنجى له من أليم العذابِ

وقوله:

أيا من كفتُ النفس عنه تعفُّفاً      وفي النفس من شوقي إليه لهيبُ  
ألا إنما صبري كصبرٍ، وإنما      على النفس من تقوى الإله رقيب

❖ وفاته:

توفي رحمه الله في معركة طرّيف، وهي وقعة شهيرة وقعت بين المسلمين والنصارى، استشهد فيها عدد من علماء المسلمين، وكانت هذه الوقعة في يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة (٧٤١هـ)، وفُقد فيها ابن جزّي وهو يشجّد الناس ويحرّضهم، وثبت بصائرهم، وقد نقل صاحب نيل الابتهاج عن الحضرمي في فهرسته نصّاً تاريخياً يتعلّق باللحظات الأخيرة من حياة ابن جزّي فيقول: «قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر ابن ذي الوزارتين ابن الحكيم: أنشدني [ابن جزّي] يوم الواقعة من آخر شعره قوله:

قصدي المؤمل في جهري وإسراري      ومطلبي من إلهي الواحد الباري  
 شهادة في سبيل الله خالصة      تمحو ذنوبي وتنجيني من النار  
 إن المعاصي رجس لا يطهرها      إلا الصوارم من أيمان كفار

ثم قال: في اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات، قال الوزير: فقلت له: وجعلت للكفار يميناً؟! فلو كان غير هذا اللفظ موضعه! فقال لي: والحطمة في الناس من أيدي الكفار، قال: فكان آخر عهدي به ﷺ<sup>(١)</sup>.

فرحم الله ابن جزّي وتقبله في الشهداء، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.



(١) نيل الابتهاج (: ٣٩٨-٣٩٩).

## الطلب الثاني

التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل<sup>(١)</sup>

## ✽ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه :

اسم هذا الكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل»، هكذا صرَّح المؤلف ﷺ باسمه في مقدمته، فقال: «وسمَّيْتُ هذا الكتاب: كتاب التَّسْهِيلِ لعلومِ التَّنْزِيلِ».

وأما نسبته إلى مؤلفه فهي ثابتة لا شك فيها، فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب تلميذ ابن جزري أن شيخه صنَّف في التفسير<sup>(٢)</sup>، ولم يذكر ابن الخطيب اسم كتابه الذي صنّفه في التفسير، لكننا نجد محمد بن عبد الملك القيسي الغرناطي (ت ٨٣٤هـ) تلميذ ابني ابن جزري -أحمد وعبد الله- صرَّح باسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه، ويعتبر هو أول من صرَّح بنسبة الكتاب إلى مؤلفه فيما وقفت عليه، إذ يقول في مقدمة كتابه: «منهاج العلماء الأخيار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار» -وهو شرح لكتاب ابن جزري «الأنوار السنية في الألفاظ السنية»-: «من شيوخنا جماعة منهم الشيخ الإمام العلامة بحر البيان وأوحد الزمان، أبو محمد عبد الله بن الإمام المحدث الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزري الكلبى ﷺ.. وشرعت عليه في قراءة التفسير المسمى بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل، من تأليف السيد والده المذكور»<sup>(٣)</sup>.

ويعتبر هذا النص كافياً في نسبة الكتاب إلى مؤلفه، فهو نص قريب العهد من المؤلف، وإسناده عالٍ؛ إذ هو تلميذ ابني المؤلف.

(١) ينظر في ذلك: كتاب ابن جزري ومنهجه في التفسير، للباحث: علي محمد الزبيري، فهذا الكتاب دراسة مسهبة عن ابن جزري وتفسيره، وهي دراسة عميقة وقوية ورصينة لهذا الكتاب، وتعد من أجود الدراسات التي تكلمت عن ابن جزري ومنهجه -وعن منهج مفسر عموماً-، وهي رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة، عام ١٣٩٨هـ.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، لتلميذه لسان الدين ابن الخطيب (٢٠/٣)

(٣) انظر منهاج العلماء الأخيار (مخطوط) (ل: ٣).

## ✽ منهج ابن جزي في تفسيره:

ذكر ابن جزي رحمه الله في مقدمة تفسيره شيئاً من منهجه وطريقته في كتابه، حيث يقول: «وصنّفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلّق به من العلوم، وسلكتُ به مسلكاً نافعاً، إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدتُ به أربع مقاصد، تتضمّن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلاً على الطّالِبين، وتقريباً على الرّاعِبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمّنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفُصولها، ولقد أودعته من كلّ فنٍّ من فنون علوم القرآن الباب المرغوب فيه، دون القسْرِ المرغوب عنه، من غير إفراطٍ ولا تفريط، ثم إنني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتّكرار.

الفائدة الثانية: ذكرُ نكّاتٍ عجيبة، وفوائد غريبة، قلّما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، ونتائج فكري، أو مما أخذته عن شيوخِي رحمهم الله، أو مما التقطته من مُستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إمّا بحلّ العقْدِ المقفلات، وإمّا بحسن العبارة، ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين، والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييز الرّاجح من المرجوح.

وذلك أنّ أقوال الناس على مراتب؛ فمنها: الصحيح الذي يُعوّل عليه، ومنها: الباطل الذي لا يُلتفت إليه، ومنها: ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إنّ هذا الاحتمال قد يكون: متساوياً، أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون: قليلاً أو كثيراً.

وإنّي جعلتُ لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرَف بها مرتبة كلّ قولٍ، فأدناها: ما أصرّحُ بأنه «خطأ»، أو «باطل»، ثم ما أقول فيه: إنه «ضعيف»، أو «بعيد»، ثم ما أقول: «إن غيره أرجحُ منه»، أو «أقوى»، أو «أظهر»، أو «أشهر»، ثم: ما أقدمُ غيره عليه؛ إشعاراً بترجيح المتقدّم، أو ما أقول فيه: «قليل: كذا»؛ قصداً للخروج عن عُهده.

وأما إذا صرّحتُ باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين: إما للخروج عن عهده، وإما لنصرته، إذا كان قائله ممن يُقتدَى به، على أني لا أنسبُ الأقوال إلى أصحابها إلا قليلاً، وذلك لقلّة صحّة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم.

وأما إذا ذكرتُ شيئاً دون حكاية قوله عن أحد: فذلك إشارة إلى أني أنقلّده وأرتضيه، سواء كان من تلقاء نفسي، أو مما أختاره من كلام غيره.

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره؛ تنزيهاً للكتاب عنه، وربما ذكرته تحذيراً منه.

ومن خلال تأمل هذا النص والاطلاع على تفسيره وطريقته فيها، يمكن ذكر أهم معالم منهج ابن جزّي في النقاط التالية:

(١) ابتدأ ابن جزّي تفسيره بذكر مقدّمين في غاية النفاسة، جعل المقدمة الأولى في ذكر مسائل تتعلق بعلوم القرآن وأصول التفسير والعلوم التي يحتاج إليها المفسر، والكلام عن المفسرين وكتب التفسير، ومواقف القرآن والقراءات وغير ذلك، وجعلها في اثني عشر باباً، وجعل المقدمة الثانية في غريب القرآن، وذكر فيها الكلمات الغريبة التي ترد في موضعين فأكثر من القرآن، فجَمَعها في موضع واحد، ورتبها على حروف المعجم؛ ليسهل على الدارس مراجعتها وحفظها واستذكارها، وهاتان المقدمتان لا بد للدارس لهذا الكتاب أن يدمن النظر فيها وأن يراجعها مرة بعد أخرى؛ فكثيراً ما يحيل إليها ابن جزّي في تفسيره، أو يستغني بما ذكره فيها من المسائل عن تكرار ذكره في ثنايا كتابه.

(٢) سلك ابن جزّي ﷺ في تفسيره مسلك الاختصار والإيجاز مع الشمول والاستيعاب كما قال: «إذ جعلته وجزياً جامعاً»، وهذا المقصد جعل ابن جزّي يأتي بالعبارة المفرطة في الاختصار، ولكنها عميقة في معناها إذا تأملها القارئ كما قال: «ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار».

(٣) طريقته في تفسير الآية: أنه يذكر رأس الآية، أو الجملة التي تحتاج إلى بيان في الآية ثم يذكر سبب نزولها إن كان، ويشرح غريبها، وتصاريف الكلمات التي فيها إن اقتضت الحاجة ذكرها، ويبين إعرابها إن كان إعرابها مشكلاً، أو كان فيها أوجه إعرابية،

ويذكر المعنى على كل وجه إعرابي، ويذكر المعنى الإجمالي للآية، ومقصدها، وهو لا يسير في ذلك على ترتيب واحد في تفسيره للآيات، فأحياناً يبدأ بشرح الغريب، ثم ذكر الإعراب، ثم ذكر المعنى الإجمالي، ثم ذكر المقصد، وأحياناً يذكر المعنى الإجمالي ثم الإعراب، ثم يشرح الغريب، وأحياناً يبدأ بذكر سبب النزول وأحياناً يؤخره، وهكذا.

(٤) عملاً بمنهج الاختصار الذي أخذه ابن جزي على نفسه؛ فإن كانت الكلمة الغريبة الواردة في الآية سبق أن شرحها في المقدمة أو في موضع متقدم من التفسير فإنه يكتفي بذلك عن إعادة بيانها، وربما أحال إلى موضعها، بأن يقول: «قد تقدّم اللغات»، أو «قد ذكر في سورة كذا»، أو «قد ذكر» أو نحو ذلك؛ حرصاً منه على الاختصار وعدم التكرار، وهكذا يصنع إن كان سبق أن بين تفسير الآية ومعناها في موضع متقدم، وأيضاً؛ إذا كان إعراب الآية واضحاً لم يتعرض له؛ طلباً للاختصار، كما قال في المقدمة: «وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك تطويلٌ بغير كبير فائدة»، ومن هنا يلحظ القارئ لتفسيره أنه قد يتجاوز الآية والآيتين دون أن يتكلم عن تفسيرها، إما لأنها واضحة الإعراب والمعنى وليس فيها غريب يحتاج إلى شرح، وإما لأنه سبق أن تكلم عن الغريب الذي فيها في المقدمة، أو في موضع متقدم من التفسير، وهذا يستدعي الدارس لتفسيره إلى أن يعتني بمقدمة ابن جزي في غريب القرآن وأن يعيد مطالعتها وقراءتها مرة بعد أخرى؛ فابن جزي يعتمد عليها ويحيل عليها كثيراً في ثنايا تفسيره، وبناءً على منهج الاختصار أيضاً؛ ففي كثير من الأحيان إذا كان تفسير الآية المعينة له نظائر فيما يأتي من الآيات، فإنه يبين المعنى في أول موضع ويقول: «وهكذا تفسيره حيث وقع» أو نحو هذه العبارة؛ أي: هكذا تفسير هذه الكلمة أو الجملة حيث وقعت في كتاب الله.

(٥) في ذكر أقوال المفسرين والاختلاف في تفسير الآية، يُعدُّ تفسير ابن جزي من أنقى التفاسير وأكثرها خلواً من الأقوال الباطلة والساقطة التي تذكر في كثير من كتب التفسير، وقد ذكر في مقدمة كتابه أن من مقاصده في هذا التفسير: تحقيق أقوال المفسرين والتمييز



بين الصحيح منها والسقيم، وذكر منهجه في ذكر الأقوال في هذا الكتاب، وذكر أن القول إذا كان في غاية السقوط والبطلان؛ فإنه نزه الكتاب عن ذكره فيه، وقد يذكره أحياناً؛ لأن الحاجة تدعو إلى التنبيه على بطلانه، وقد بين طريقته في ذكر مراتب الأقوال، وطرق الترجيح بينها، ومن المهم لدراس الكتاب أن يستحضر منهجيته في ذكر الأقوال؛ حتى يعرف مغزى ابن جزى في سردها وترتيبها، وفي نسبة الأقوال من عدمها، وعبارته في الترجيح بينها، وما القول الذي يختاره ويرفضه.

(٦) آيات الأحكام يقف عندها ابن جزى؛ ليذكر الأحكام الفقهية التي لها تعلق بالآية، ويذكر خلاف المذاهب فيها، وفي الغالب أنه يذكر مذهب المالكية ومذهبي الحنفية والشافعية، ويذكر مذهب الظاهرية في مواضع يسيرة، ولم يذكر مذهب الحنابلة إلا في أربعة مواضع.

(٧) بنى ابن جزى تفسيره للآيات على قراءة نافع، برواية راويه ورش تحديداً؛ وهي الرواية المشتهرة في بلاد المغرب والأندلس، ومع ذلك فإنه لم يقتصر على هذه القراءة، بل إنه يذكر اختلاف القراءات؛ إذا كان في ذكرها فائدة في تفسير الآية، كما قال في المقدمة: «وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدة في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنيا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها، وقد صنفنا فيها كتباً نفع الله بها، وأيضاً؛ فإننا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه ضرورة».

(٨) في جانب قصص القرآن، حرص ابن جزى أن يكون تفسيره نقياً من القصص الباطل وغير الثابت، فاقصر على ذكر ما صحَّ ثبوته واحتيج إليه في تفسير الآية، كما قال في المقدمة: «وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء ﷺ، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه، وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح».

(٩) تعرّض ابن جزري في تفسيره إلى مقامات السلوك والسير إلى الله تعالى والدار الآخرة، وله في ذلك كلام جيد حرص أن يخلّصه من إشكالات المتصوفة كما قال: «وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسن من الإشارات الصوفية، دون ما يُعترض أو يُقدح فيه»، وإن كان قد وقع في إشكالات المتصوفة في بعض المواضع، وعلّق عليها الشيخ عبد الرحمن البراك -أمتع الله به-، وقد تكلم ابن جزري على اثني عشر مقامًا؛ بحسب المناسبة التي تعرض له، فإذا كانت الآية في شأن الذكر تكلم عن مقام الذكر، وإذا كانت في شأن الشكر تكلم عن مقام الشكر وهكذا.

(١٠) يعتني ابن جزري في تفسيره بعلم البلاغة والبيان، وقد أفرد في المقدمة الأولى بابًا مستقلًا في أدوات البيان التي وردت في القرآن وهي اثنان وعشرون نوعًا بحسب تتبعه لها في القرآن، وعرّف بها ابن جزري في المقدمة، وفي ثنايا التفسير يشير لها، فيقول مثلاً: «وفي الآية من أدوات البيان: التجنيس»، أو «المقابلة»، أو «التقسيم»، أو «الترديد» ونحو ذلك، فيحتاج الدارس إلى أن يرجع للمقدمة؛ ليعرف معنى هذه الأداة.

(١١) يلحظ الدارس لهذا التفسير أن مصنفه ﷺ أجاد في توظيف مختلف فنون العلوم في تفسيره، من لغة ونحو وتصريف وبلاغة وأصول فقه وغيرها، فيعدُّ هذا الكتاب بمثابة كتاب تطبيقي يطبّق فيه الدارس هذه العلوم، وهذا يستدعي من الطالب أن يكون ذا إمام جيّد بهذه العلوم؛ حتى يحصل فائدة أكبر من هذا التفسير المبارك.

(١٢) يستعمل ابن جزري في تفسيره طريقة السؤال والجواب، ويعرض الإشكالات المتعلقة بالآية في طريقة سؤال، فيقول: «فإن قيل:» ويذكر الإشكال، ثم يذكر جواب الإشكال، وهذه الطريقة تأثر فيها ابن جزري بالزمخشري في تفسيره، فكثيرًا ما يستعمل الزمخشري هذه الطريقة في عرض الإشكالات، وهي طريقة مفيدة في إيضاح الإشكال في الآية، وفي ترسيخ الجواب في ذهن الدارس، فإن المعلومة إذا عُرِضت بطريقة سؤال تشوّف المرء إلى معرفة جوابها أكثر مما لو ذكرت عرَضًا في ثنايا الكلام.

فهذا أهم ما يمكن أن يقال في معالم منهج ابن جزري في تفسيره.

### ❖ مصادر ابن جزى في تفسيره:

استمدَّ ابن جزى تفسيره من عدد من المصادر من كتب التفسير وغيرها، وأبرز المصادر التي ظهر لي اعتماد ابن جزى عليها في تفسيره ما يلي:

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ).

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ).

ويعدُّ هذان التفسيران أهم مرجعين لابن جزى في تفسيره، فقد استمدَّ منهما جُلَّ مادته في تفسيره، ووضع في كتابه زبدة ما في هذين الكتابين، وتأثر بهما تأثراً كبيراً في ترجيح الأقوال وتوجيه الإعراب ونحو ذلك، فكان هذين التفسيرين كانا ملازمين لابن جزى لا يفارقانه أثناء كتابته لتفسيره، ومن المهم لدارس هذا الكتاب أن يكون هذان التفسيران بجانبه؛ يراجعهما كلما أشكل عليه شيء من عبارات ابن جزى.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٣٧هـ)، نقل عنه ابن جزى في بعض المواضع، ويظهر لي أنه نقل عنه بواسطة المحرر الوجيز، ولم تكن لديه نسخة منه.

(٥) التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ).

(٦) تفسير النكت والعيون، للقاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ).

(٧) عين المعاني في تفسير السبع المثاني، لأبي عبد الله أو أبي الفضل محمد بن أبي يزيد طيفور السجاولندي الغزنوي (ت ٥٦٠هـ).

(٨) أحكام القرآن، لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم الأندلسي الغرناطي، المعروف بابن الفرس (ت ٥٩٧هـ).

وهذا الكتاب يعتبر المصدر الأساسي لابن جزى في كلامه عن آيات الأحكام، ويعتمد عليه كثيرًا في عزو الأقوال إلى أصحابها.

(٩) أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ).

(١٠) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، لشيخ المصنف أبي جعفر ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، ويعتمد عليه ابن جزى كثيرًا في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

(١١) درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، وهو كتاب في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

(١٢) التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لأبي القاسم أو أبي زيد، عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ)، وهذا الكتاب يرجع إليه ابن جزى كثيرًا في تسمية الأعلام الواردة في القرآن.

(١٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الحميري (ت ٦٣٤هـ)، يعتمد عليه ابن جزى في ذكر أخبار مغازي النبي ﷺ.

(١٤) المقدمات الممهديات في الفقه، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ابن رشد الجد (ت ٥٢٠هـ).

(١٥) الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، للسهيلي.

(١٦) شرح تنقيح الفصول في علم الأصول، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ).

(١٧) مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).

(١٨) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب، ويظهر لي أنه كان ينقل من هذين الكتابين بواسطة المحرر الوجيز لابن عطية.

(١٩) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ)، ويظهر لي أنه كان ينقل منه بواسطة المحرر الوجيز.

ومن مصادر ابن جزري في تفسيره: كتاب للقاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥هـ)، فقد أورد ابنُ جزريَّ آراءَ القاضي منذر في غير موضع من تفسيره، وقد ذكر في المقدمة أن منذر بن سعيد صنَّف كتابًا في غريب القرآن وتفسيره، وذكر الحميدي (ت ٤٨٨) في «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» أثناء ترجمته للقاضي منذر بن سعيد أن له كتابًا اسمه «الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله»<sup>(١)</sup>، ولا أدري إن كان هذا هو الكتاب الذي أشار إليه ابن جزري أم غيره؟ وقد بحثت عن هذا الكتاب كثيرًا في فهارس المخطوطات فلم أقف على ذكر له، فيبدو أنه في عداد المفقود من تراث الأمة!

#### ✽ طبعات الكتاب السابقة:

أول طبعة لكتاب التسهيل خرج بها من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات: طُبِعَتْ في مصر عام ١٣٥٥هـ في أربعة مجلدات، وكُتِبَ على غلافها: «عُني بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية وصحَّحها نخبة من العلماء».

وهذه الطبعة مشحونة جدًا بالتحريفات والتصحيفات، وفيها من السقط الشيء الكثير والكثير، ويظهر لي أن السبب في ذلك هو المخطوطات التي اعتمدها، فلديَّ بعض المخطوطات من دار الكتب المصرية ومن المكتبة الأزهرية كُتِبَتْ بالخط المشرقي المعتاد، وقد قارنتُ بين هذه المخطوطات وبين هذه الطبعة فوجدت توافقًا كبيرًا بينهما في السقط والتحريف؛ فلعلَّ هذا هو مبدأ الخلل، فكتاب التسهيل هو من كتب الأندلسيين، ولا ريب أنه كُتِبَ في مخطوطاته العتيقة على وفق قواعد الخط المغربي والأندلسي، وهذا الخط يصعب على المشاركة قراءته، وتلتبس حروفه كثيرًا، فمن طريقة المغاربة مثلًا أنهم يكتبون حرف الفاء بوضع نقطة في أسفل الحرف، وحرف القاف بوضع نقطة في أعلى الحرف، فيحصل من جرّاء ذلك التباس كبير عند المشاركة، وهكذا الالتباس بين حرفي الدال والراء والهاء في آخر الكلمة، وبين السين والشين والشاء.. إلخ، فلعلَّ ناسخ المخطوطة عندما رام كتابتها بقواعد الخط المشرقي اعتمد على مخطوطات الكتاب المغربية فالتبس عليه كثيرٌ من حروفها؛ بسبب اختلاف هذه القواعد، وأيضًا

(١) جذوة المقتبس (ص: ٣٤٨).

حصل له سقط كبير فيها، ثم جاء المعتنون بهذه الطبعة، وعولوا على هذه المخطوطات المشرقية، فحصل فيها هذا السقط والتحريف الكثير.

ثم توالى طبعات التسهيل بعد ذلك، فطُبِعَ عدة طبعات، والحقيقة أن هذه الطبعات في غاية الرداءة، ويظهر أنها إعادة صفٌ لطبعة ١٣٥٥هـ ليس إلا! فتجد فيها عين السقط والتحريف الذي كان في هذه الطبعة، إن لم يكن أكثر، ولا أرى حاجة للوقوف عندها.

ثم طبع التسهيل في السنوات القريبة، ثلاث طبعات أتحدث عنها فيما يلي:

(١) طبعة دار الضياء - عام ١٤٣٠هـ:

هذه الطبعة بتحقيق: أ. د: محمد بن سيدي محمد مولاي، وتقع هذه الطبعة في ثلاثة مجلدات، الأول إلى نهاية الأنفال، والثاني إلى نهاية الصافات، والثالث إلى آخر القرآن، وبالمقارنة بين هذه الطبعة والطبعات السابقة للكتاب؛ فقد تجاوزت هذه الطبعة مواضع من السقط والتحريف التي كانت في الطبعات السابقة، إلا أنه بقي من السقط والتحريف الشيء الكثير والكثير؛ إذ يصعب على الدارس للكتاب اعتماد هذه الطبعة؛ لما يستغلّق عليه بعض مواضعها، وقد قابلت هذه الطبعة على النسخ الخطية التي لديّ كلمة كلمة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاتها من سقط أو تحريف! وقد يصل السقط فيها إلى سطرين وأكثر، فمثلاً: جاء في هذه الطبعة (١/ ٢٠٠): هذا النص:

﴿ذَهَبَ اللَّهُ يُنُورِهِمْ﴾: أي: أذهب هذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يُنُورِهِمْ﴾ جملة مستأنفة.

فهذا النص فيه شيء من الغموض، وهو غير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت النص هكذا:

﴿ذَهَبَ اللَّهُ يُنُورِهِمْ﴾: أي: أذهب هذه الجملة جواب لما، [فالضمير في (ينورهم) عائد على (الذي)، وهو على هذا بمعنى: الذين، وحذفت النون منه لغة. وقيل: جواب لما] محذوف تقديره: طفيت النار، [و] ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يُنُورِهِمْ﴾ جملة مستأنفة. فما بين المعقوفتين ساقط من هذه الطبعة!

وأيضًا عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْصِبَتَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتَيْنِ﴾، جاء في هذه الطبعة هذا النص (١/ ٣٤١): ﴿كَمَثَلِ جَنَّتَيْنِ﴾: تقديره: كمثّل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذي ينفقون!.

فهذا كلام غامض وغير مفهوم، فرجعت إلى المخطوطات فوجدت العبارة هكذا:

﴿كَمَثَلِ جَنَّتَيْنِ﴾: تقديره: كمثّل صاحب جنة، أو يقدر أولًا: مثل نفقة الذين ينفقون».

ومثل هذا كثير في هذه الطبعة.

(٢) طبعة دار الضياء - عام ١٤٣٤هـ:

أُعيد طبع هذا الكتاب في هذه الدار عام ١٤٣٤هـ في أربعة مجلدات، الأول إلى نهاية سورة الأنعام، والثاني إلى نهاية سورة الأنبياء، والثالث إلى نهاية سورة محمد، والرابع إلى آخر القرآن، وقد استعرضت هذه الطبعة وقارنت بينها وبين طبعة الدار عام ١٤٣٠ وبين التصويبات التي صوبتها من المخطوطات، فأما المجلد الأول من هذه الطبعة والذي ينتهي إلى آخر سورة الأنعام، فقد أعادوا مراجعته، وتجاوزوا الكثير من السقط والتحريف الذي كان في الطبعة الأولى، ومع ذلك فقد بقي أيضًا الكثير من السقط والتحريف لم يُصلح، فعلى سبيل المثال: نموذج السقط - وهو النموذج الأول الذي أوردته في الطبعة الأولى - تكرر في هذه الطبعة ولم يُصلح، والنموذج الثاني للتحريف أُصلح إصلاحًا جزئيًا.

وأما المجلدات الثلاثة المتبقية من هذه الطبعة فلم يصلحوا شيئًا مما فيها من الأخطاء والسقط، بل السقط والتحريف الذي كان موجودًا في الطبعة الأولى موجود كما هو في هذه الطبعة!

وأكتفي بهذا في الكلام عن هاتين الطبعتين.

(٣) طبعة المنتدى الإسلامي بالشارقة - ١٤٣٣هـ:

وهذه الطبعة بعناية: أبي بكر بن عبد الله سعداوي، وتقع في مجلد ضخيم يقع في (١٠٢٣) صفحة، وقد اعتمد فيها على خمس نسخ خطية، وبعض هذه النسخ موجود لديّ، وهذه الطبعة يظهر فيها جهد المعني بها وأنه قابل على المخطوطات مقابلة حقيقية، وقد تجاوز الكثير من الأخطاء التي كانت في النسخ قبله، فلا تكاد تجد فيها السقط الذي كان يوجد في الطبعات السابقة، وأما التحريفات والتصحيحات فقد قلّت في هذه الطبعة، وإن كان قد بقي فيها شيء من التصحيف فمن خلال مقارنتي بين هذه الطبعة وبين الطبعات السابقة والمخطوطات وقفت على عدد من التصحيحات لبعض الكلمات، ولكنها قليلة مقارنة بالطبعات السابقة، بل بينها وبين الطبعات السابقة مفاوز، وأيضاً؛ يعيب هذه الطبعة - إضافة إلى وجود التصحيحات - بعض الأمور الفنية والشكلية، مثل عدم الاعتناء بالتعليق على ما يحتاج إلى تعليق، من بيان غريب أو إيضاح مشكل، وعدم شكّل ما يُشكل من الكلمات وضبطه بالحركات، وكذلك أهمل الإحالات، وأيضاً؛ من ناحية الإخراج فإن الكلام فيها مرصوص بطريقة تتعب القارئ؛ إضافة إلى دقة الخط.





## وصف النسخ الخطية المعتمدة

تيسر لي الحصول -بتوفيق الله تعالى- على خمس عشرة نسخة خطية لكتاب التسهيل، تتفاوت في الجودة، وفي النقص والتمام، انتخبت منها خمس نسخ خطية، هي أجود ما وقفت عليه من نسخ هذا الكتاب، وبعضها قريب العهد من زمن المصنف، فاعتمدتها في التحقيق، واستأنست بنسختين أخريين، وجميع هذه النسخ السبع كُتبت بالخط المغربي الأندلسي، وهي أسلم من التحريف وأبعد من السقط؛ مقارنة بالنسخ التي كتبت بالخط المشرقي المعتاد، وفيما يلي وصف هذه النسخ السبع:

## ❖ النسخة الأولى: نسخة مكتبة تشستر بيتي؛

وتوجد مصورتها في قسم المخطوطات في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

رقمها: (٤٠٥٩)، وتقع في (٢٤٧) ورقة، وفي كل صفحة (٣١) سطراً.

وكتبت بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، سوى أنه سقط من المصورة ورقة أو ورقتان، كما سيأتي بيانه في موضعه، وعلى هوامش بعض صفحاتها تصويبات وذكر فروقات نسخ أخرى (رمز لها بالحرف «خ») واستدراك سقط، وتوجد بها تعليقات يسيرة، ولم تخل من سقط كلمات في بعض المواضع، ويندر أنه يوجد فيها تصحيف.

وفُرج من كتابة هذه النسخة في شهر ذي الحجة من عام (٩٥٦هـ) على يد كاتبها سالم بن أحمد بن منصور<sup>(١)</sup>، وهي أقرب النسخ -التي وقفت عليها- إلى عصر المؤلف.

(١) لم يتضح لي اللقب.

وعلى الصفحة الأولى منها قيد تملك باسم عبد ربه محمد في (٢٧) رمضان ١٣٣٩هـ.

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «أ».

#### ✽ النسخة الثانية: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (٧٥١٣)، وتقع في (٢٠٥) ورقة، وفي كل صفحة (٣٥) سطرًا.

وهذه النسخة بالخط المغربي، وهو واضح ومقروء، وهي نسخة تامة، وعليها نقولات وتعليقات وحواشٍ كثيرة، لا تكاد تخلو منها ورقة من أوراقها، وأغلب هذه التعليقات مأخوذ من تفسير «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» لأبي العباس ابن عجيبة المغربي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، ويوجد بها أيضًا مقابلات على أصول خطية أخرى واستدراك سقط في بعض المواطن من النسخة دون بعضها، بيد أنه لم تسلم بعض الكلمات من التصحيف، ولم تخلُ من سقط كلمة أو كلمات أو أسطر في بعض المواضع. وأما تاريخ النسخة: فهو سنة (٩٧٦هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «وكان الفراغ من هذه النسخة في ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر سنة ستّ وسبعين وتسع مئة على يد العبد المذنب الراجي عفوّ ربه ورُحماء أحمد بن عبد الله بن أحمد القبيسي..».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ب».

#### ✽ النسخة الثالثة: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

وهي محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام برقم (١١٤٨٠)، وتقع في (٢٤٣) ورقة، في كل صفحة (٣٤) سطرًا.

وكتبت بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وهي تامة غير أنه سقط منها ورقات يسيرة يأتي التنبيه عليها في مواضعها بإذن الله، ولست أدري هل السقط من التصوير أم من أصل النسخة؟ وهذه النسخة بها مقابلات على أصول خطية أخرى واستدراك سقط في بعض مواطنها، ويوجد بها تصحيف قليل، وسقط يصل إلى عدة أسطر.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (٩٨٠هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «وكان الفراغ منه عند زوال يوم الأحد خامس المحرم الحرام، فاتح ثمانين وتسع مئة، على يد العبد الراجي عفو مولاه أبو محمد عبد الله بن مسعود بن عبد الرحمن بن علي الملقب بـ [...]»<sup>(١)</sup> غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على من لا نبي بعده، وهذه النسخة التاسعة مما نسخنا بأيدينا، والحمد لله على كل حال، آمين آمين آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ج».

#### ❖ النسخة الرابعة: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٠٧٧١)، وتقع في (١٨٢) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطراً.

وهي بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وتمتاز بأنها مشكولة بالكامل، وهي نسخة تامة، ويوجد بها تصويبات كثيرة واستدراك للسقط على حواشيها، ويقلُّ السقط في هذه النسخة مقارنة بالنسخ الأخرى، إلا أنه يوجد بها تصحيف وتحريف لبعض الكلمات.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٢٤١هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «كمل بعون الله وحمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبد، والرضا عن آله وأصحابه، وأنصاره وأحزابه، على يد كاتبه لنفسه، ثم لمن شاء الله من بعده، العبد الراجي عفو مولاه، المستغني به عن كل ما سواه، وهو محمد بن عمر [...]»<sup>(٢)</sup> لطف الله به آمين، بعد صلاة العصر يوم الأربعاء العاشر من شهر الله صفر الخير عام ١٢٤١ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه وأحبابه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، آمين يا رب العالمين».

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «د».

(١) لم أتمكن من قراءته.

(٢) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

### ✽ النسخة الخامسة: نسخة جامعة الملك سعود بالرياض:

وهي محفوظة في قسم المخطوطات برقم (٥٣٤٧)، وتقع في (١٧٩) ورقة، في كل صفحة (٤٠) سطرًا.

كتبت بالخط المغربي، وخطها واضح، وهي نسخة تامة، وبها تصويبات واستدراك للسقط على حواشيها، وخاتمة النسخة بها طمس، ويظهر أنه من آثار الترميم، فلم تبين سوى كلمتي: «كمل كتاب..».

وأما تاريخ النسخة واسم ناسخها، فليس مبيّنًا عليها، ولعله طمس عليه أيضًا في آخر النسخة من آثار الترميم، إلا أن فهرس المكتبة ذكر في بيانات المخطوطة أنها كتبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرًا. وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز «ه».

وأما النسختان اللتان استأنست بهما في المقابلة وترجيح الفروق بين النسخ، فوصفهما فيما يلي:

### ✽ النسخة الأولى: نسخة خزانة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب.

وهي محفوظة في الخزانة برقم (٢٤)، وتقع في (٤٠٦) ورقة في مجلدين، في كل صفحة (٣١) سطرًا.

وهي نسخة مكتوبة بالخط المغربي المقروء الواضح، ويقل فيها التحريف والسقط. وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٩هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وبمنه وكرمه وبفضله وإحسانه على يد العبد الفقير إلى رحمة ربه الضعيف الحقيّر الذليل المنكسر خاطره عبّيد الله تعالى وأصغر عبّيد المحتاج إليه عبد القادر بن عبد المولى بن علي بن سعيد بن إبراهيم المطيري ثم التمجري، غفر الله له ولوالديه ولأجداده ولمن علّمه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والميتين.. وقد كتبه للفقير الأجل العالم الأفضل

المدرس البركة السيد أحمد بن عبد الله [...] <sup>(١)</sup>، أحمد الله رأيه وأدام عزّه عليه ونفعه بهذا الكتاب.. وكان الفراغ منه يوم الأربعاء، وهو يوم عيد الفطر عام تسعة وثمانين وألف، وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين».

#### ✽ النسخة الثانية: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض:

وهي محفوظة في المركز برقم (١٢٨٠٢)، وتقع في (٢٥٣) ورقة، في كل صفحة (٣٧) سطرًا.

وهي مكتوبة بالخط المغربي، وخطها واضح ومقروء، وعلى هامشها تصويبات في بعض الصفحات، وهي قليلة السقط والتحريف، وفي بعض صفحاتها حواشٍ وتعليقات ولكن ليست بالكثيرة.

وأما تاريخ النسخة فهو سنة (١٠٨٤هـ)، وقد جاء في آخرها ما نصّه: «[...] <sup>(٢)</sup> التفسير المبارك المسمى التسهيل لعلوم التنزيل بن جزّي رحمه الله تعالى وحسن عونه وتأيده على يد العبد المذنب الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن أحمد بن سعيد الوسكري غفر الله له ولأسلافه، وكان الفراغ من نسخه [...] <sup>(٣)</sup> في سنة أربع وثمانين ومئة وألف، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا».

#### عملي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل:

(١) قابلت بين النسخ الخطية الخمس التي اعتمدتها كلمة كلمة، ولم أنتخب منها نسخة فأجعلها أصلًا أعتمد عليه، وإنما رجّحت من فروقات النسخ ما رأيتّه أرجح، وأثبت باقي الفروقات في الهامش، وقد استأنست في ترجيح الفروقات بالنسختين الخطيتين الآخرين، إضافة إلى المصادر التي يستمد منها ابن جزّي تفسيره، وبالأخص المحرر الوجيز والكشاف، وكذلك ما يقتضيه السياق وقواعد اللغة، وكان جُلُّ همّي أن أخرج نص التسهيل سليمًا -حسب الاستطاعة- من التصحيف والتحريف،

(١) لم يتضح لي الاسم.

(٢) كلمة لم أتمكن من قراءتها.

(٣) كلمات لم أتمكن من قراءتها؛ بسبب المداد الذي جاء عليها.

فهذا هو غاية التحقيق الحقيقية، كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون: «مع أن العناية بأداء النص أقرب ما يكون إلى السلامة هي المهمة الأولى لمحققي الكتب وناشريها، أما التعليق والتفسير فأمرٌ نافلة زائدٌ على طبيعة التحقيق وأمانة الأداء»<sup>(١)</sup>.

(٢) جعلت رسم الآيات التي يفسرها ابن جزّي وفق رواية ورش عن نافع.

(٣) طريقة ابن جزّي أنه يذكر رأس الآية أو الكلمة التي تحتاج إلى تفسير في الآية ويفسرها، ولا يذكر مقاطع الآيات التي يروم تفسيرها، ولم يكتب جميع آيات القرآن في تفسيره، فأضفت مقاطع الآيات بين معقوفتين هكذا [ ]، وقد اعتمدت في تقسيم مقاطع الآيات -غالبا- على وقوف الركوعات المعلّمة بعلامة (ع) في المصحف الأوردو الذي طبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والمصحف الكويتي، فهذه الركوعات تراعي المعنى في الغالب، وكل موقف منها بمثابة مقطع مناسب للركوع عنده، والغرض من إضافة هذه المقاطع التسهيل على الطالب إذا أراد قراءة الآيات كاملة قبل قراءة تفسيرها، وأيضا؛ فإنها تفيد الدارس للكتاب الذي يريد أن يجعل له وزدا معيّنا من الكتاب ليدرسه؛ فكل مقطع يعتبر بمثابة ورد مستقل للدراسة.

(٤) أدرجت تعليقات فضيلة الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن ناصر البراك -أمتع الله به-، على المواضع المشككة في العقيدة والسلوك، وإذا تكرر الإشكال في الكتاب أحلت إلى الموضوع السابق للتعليق، وصنعت لهذه التعليقات فهرسا في آخر الكتاب؛ ليسهل على مريدها الوصول إليها.

(٥) خرّجت الأحاديث التي أوردها المؤلف في كتابه تخريجا مختصرا.

(٦) أحلت على المصادر التي ينقل منها ابن جزّي؛ فيما أمكن الرجوع إليه.

(٧) علقت على ما أرى أنه يحتاج إلى تعليق، من شرح غريب، أو حلّ مستغلق، أو إيضاح مشكل.

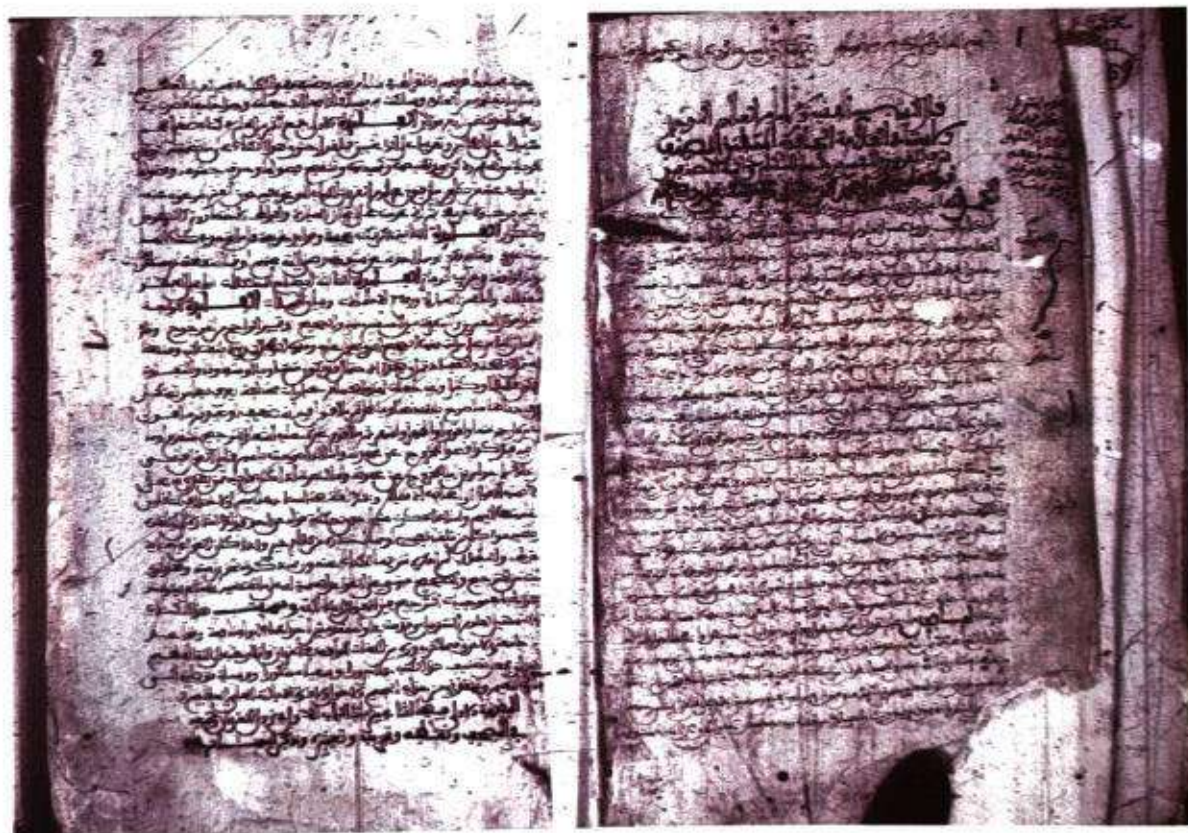
(٨) في المقدمة الثانية التي وضعها ابن جزيّ رحمه الله في غريب القرآن، رَقَّمت مواد الغريب التي شرحها ابن جزيّ ترقيمًا متسلسلاً، وقد بلغت (٦٠٢) مادة، والغرض من ذلك سهولة الإحالة عليها إذا أحال ابن جزيّ في أثناء تفسيره إليها، فقد يذكر ابن جزي الكلمة في أثناء تفسيره ويقول: تقدّم بيانها في اللغات، فأحيل إليها في الحاشية بذكر رقم المادة، وأيضاً؛ ففيها تسهيل للطالب الذي يرغب في حفظ غريب ابن جزيّ بحيث يجعل له وردًا من المواد كل يوم ونحو ذلك.





## صور النسخ الخطية المعتمدة

### صورة اللوحة الأولى من نسخة (أ)





صورة اللوحة الأولى من نسخة (ب)

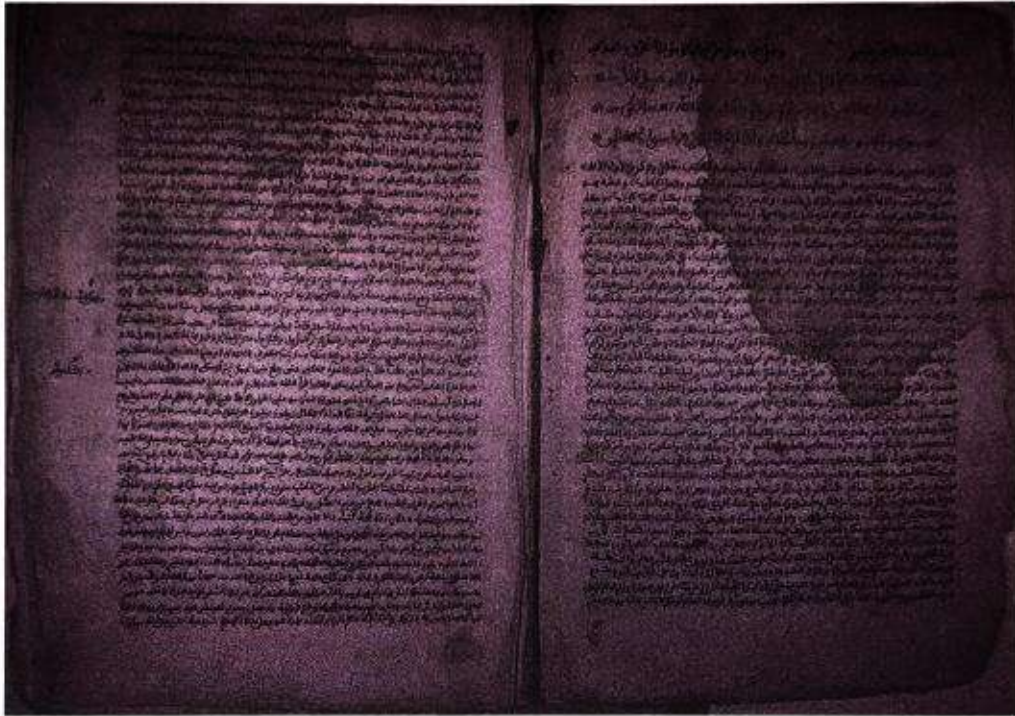


صورة اللوحة الأولى من نسخة (ج)

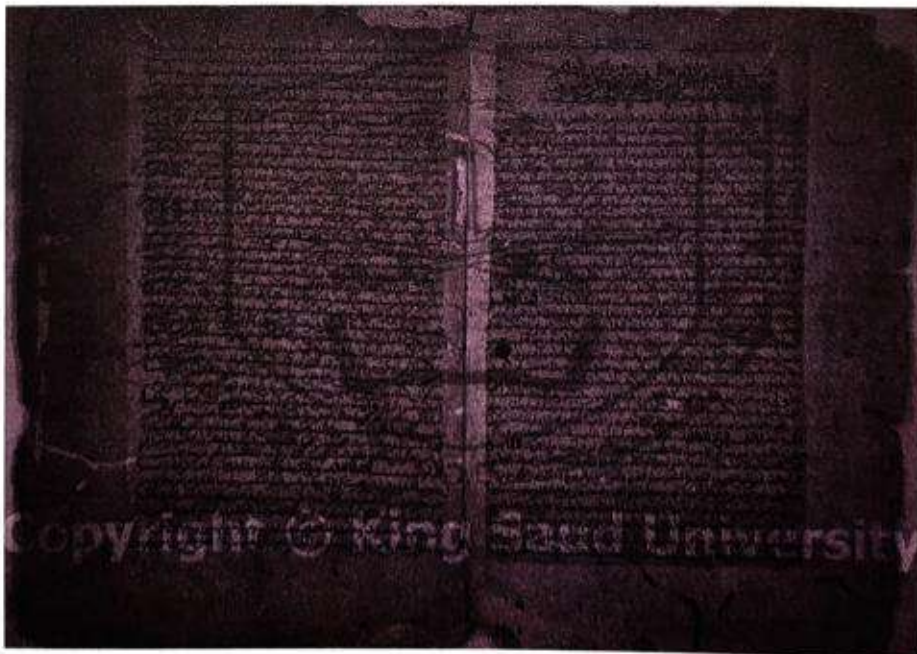




### صورة اللوحة الأولى من نسخة (د)

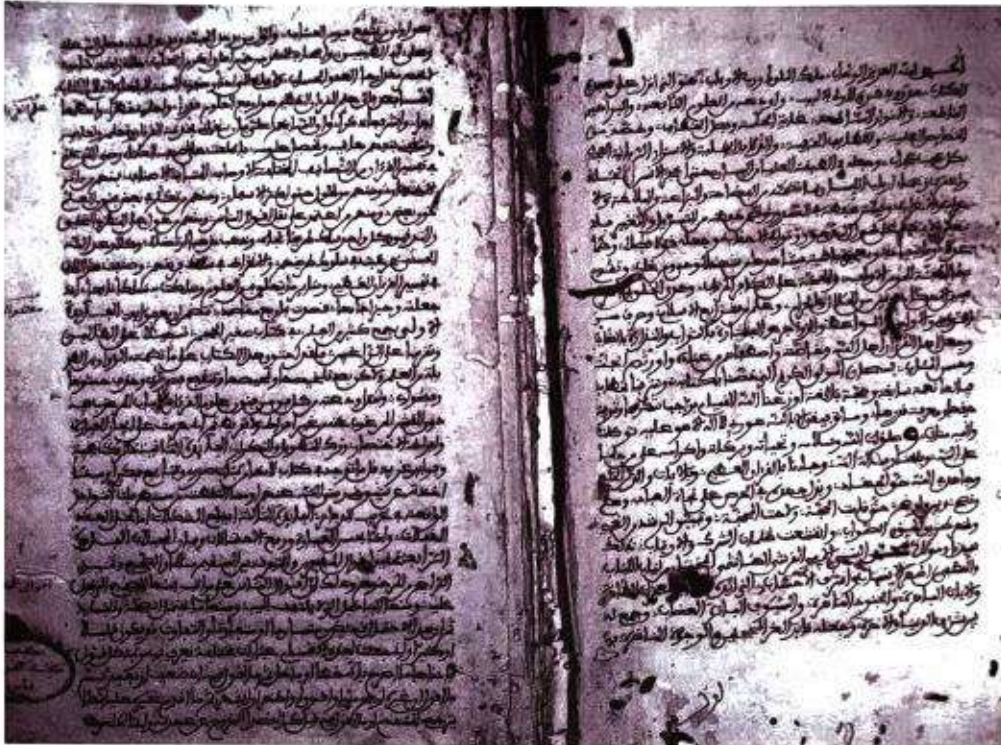


### صورة اللوحة الأولى من نسخة (هـ)

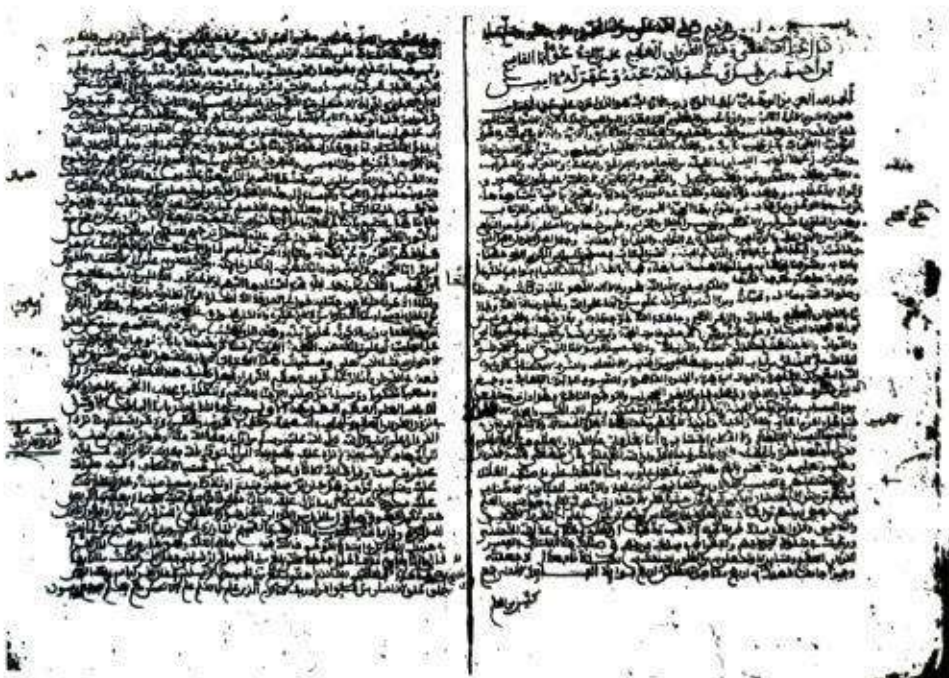




صورة اللوحة الأولى من نسخة خزانة جامع القرويين



صورة اللوحة الأولى من نسخة مركز الملك فيصل





## مُقَدِّمَةٌ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال عبید الله تعالى، وخَدِيمُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، مُحَمَّدٌ الْمَدْعُوُّ أَبَا الْقَاسِمِ - بَنُ أَحْمَدَ بْنِ

مُحَمَّدٍ بْنِ جُزَيْيٍّ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، وَغُفِرَ لَهُ بِمَنْتِهِ وَفَضْلِهِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ، مَالِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْيَابِ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ، هَدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

وَأَوْدَعَهُ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ، وَالْأَنْوَارِ السَّاطِعَةِ: غَايَةَ الْحِكْمَةِ وَفَضْلَ الْخُطَابِ.

وخصَّه <sup>(١)</sup> من الخصائص العلية، واللطائف الخفية، والدلائل الجليلة، والأسرار الربانية العجائب: بكل عَجَبٍ عُجَابٍ.

وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنس <sup>(٢)</sup> والجآن، واعترف زعماء أرباب اللسان بما تضمَّنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب.

ويسَّرَ حفظه في الصدور، وضمَّن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغير، ولا يتغيرُ على طول الدُّهور وتوالي الأحقاب.

وجعله قولاً فصلاً، وحكماً عدلاً، وآيةً باديةً، ومعجزةً باقيةً، يُشاهدها مَنْ شَهِدَ <sup>(٣)</sup> الوحي ومن غاب، وتقوم بها الحجة للمؤمن الأواب، والحجة على الكافر المرتاب.

(١) في ب، هـ: «وخصَّصه».

(٢) في أ: «الإنسان»، وفي الهامش: «خ: الإنس».

(٣) في ب: «يشاهدها من شاهد»، وفي د، هـ: «يشاهدها من شاهد».

وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام، وبيّن من الحلال والحرام، وعلم من شرائع<sup>(١)</sup> الإسلام، وصرف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر والبشارة بالثواب، والنذارة بالعقاب.

وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته، واصطفاهم من عباده، وأورثهم الجنة وحسن المآب. فسبحان المولى الكريم الذي خصنا بكتابه، وشرفنا بخطابه، فيا لها<sup>(٢)</sup> نعمة<sup>(٣)</sup> سابعة، وحجة بالغة، أوزعنا الله القيام بواجب شكرها، وتوفية حقها، ومعرفة قدرها، وما توفيقى إلا بالله، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب.

وصلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته وإكرامه على من دلّنا على الله، وبلغنا رسالة الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم، وجاهد في الله حقّ الجهاد، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد، وعلم ونصح، وبيّن وأوضح، حتى قامت الحجة، ولاحت المحجة، وتبين الرشيد من الغي، وظهر طريق الحق والصواب، وانقضت ظلمات الشك<sup>(٤)</sup> والارتباب، ذلك سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي القرشي الهاشمي المختار من لباب اللباب، والمصطفى من أظهر الأنساب وأشرف الأحساب، الذي أيده الله بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة العصابة، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة، وجعله قائد الغر المحجلين والوجوه الناضرة، فهو أول من يشفع يوم الحساب، وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب.

فصلّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين<sup>(٥)</sup>، خير أهل وأكرم أصحاب، صلاة زاكية نامية<sup>(٦)</sup> لا يحضر مقدارها العد والحساب، ولا يبلغ إلى أدنى وصفها السنة البلغاء، ولا أقلام الكتاب.

(١) في ب، ج، هـ: «شعائره»، وكذا في هامش أورمز له بـ«خ».

(٢) في ب، ج، هـ: «فيا له».

(٣) في أ: «من نعمة».

(٤) في هامش أ: «خ: الشرك».

(٥) في د: «الأكمليين».

(٦) في د: «تامة».

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ عِلْمَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ هُوَ أَرْفَعُ الْعُلُومِ قَدَرًا، وَأَجْلُّهَا خَطَرًا، وَأَعْظَمُهَا أَجْرًا، وَأَشْرَفُهَا ذِكْرًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيَّ بِأَنْ شَغَلَنِي بِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ وَتَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَشَغَفَنِي بِتَفْهَمِ مَعَانِيهِ وَتَحْصِيلِ عُلُومِهِ، فَاطَّلَعْتُ عَلَى مَا صَنَفَهُ الْعُلَمَاءُ رحمهم الله فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مِنَ التَّصَانِيفِ الْمُخْتَلَفَةِ الْأَوْصَافِ، الْمُتَبَايِنَةِ الْأَصْنَافِ:

◀ فَمِنْهُمْ مَنْ آثَرَ الْإِخْتِصَارَ.

◀ وَمِنْهُمْ مَنْ طَوَّلَ حَتَّى كَثُرَ <sup>(١)</sup> الْأَسْفَارُ.

◀ وَمِنْهُمْ مَنْ تَكَلَّمَ فِي بَعْضِ فُنُونِ الْعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ.

◀ وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى نَقْلِ أَقْوَالِ النَّاسِ.

◀ وَمِنْهُمْ مَنْ عَوَّلَ عَلَى النَّظَرِ وَالتَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ.

وَكُلُّ وَاحِدٍ سَلَكَ طَرِيقًا نَحَاهُ، وَذَهَبَ مَذْهَبًا ارْتَضَاهُ، وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى، فَرَغِبْتُ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ، وَالْإِنْخِرَاطِ فِي سَلَكَ فَرِيقِهِمْ، وَصَنَّفْتُ هَذَا الْكِتَابَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَسَائِرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْعُلُومِ، وَسَلَكَتُ بِهِ مَسَلَكًا نَافِعًا، إِذْ جَعَلْتُهُ وَجِيزًا جَامِعًا، قَصَدْتُ بِهِ أَرْبَعَ مَقَاصِدَ، تَتَضَمَّنُ أَرْبَعَ فَوَائِدَ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: جَمْعُ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ فِي كِتَابٍ صَغِيرٍ الْحَجْمِ <sup>(٢)</sup>؛ تَسْهِيلًا عَلَى الطَّالِبِينَ، وَتَقْرِيبًا عَلَى الرَّاعِبِينَ، فَلَقَدْ اِحْتَوَى هَذَا الْكِتَابَ عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّوَابِئُ الطَّوِيلَةُ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَكِنْ بَعْدَ تَلْخِيصِهَا وَتَمْحِيطِهَا، وَتَنْقِيحِ فُضُولِهَا، وَحَذْفِ حَشْوِهَا وَفُضُولِهَا، وَلَقَدْ أَوْدَعْتُهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ عُلُومِ <sup>(٣)</sup> الْقُرْآنِ اللَّبَابِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ، دُونَ الْقَشْرِ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ، مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، ثُمَّ إِنِّي عَزَمْتُ عَلَى إِيْجَازِ الْعِبَارَةِ، وَإِفْرَاطِ الْإِخْتِصَارِ، وَتَرْكِ التَّطْوِيلِ وَالتَّكْرَارِ.

(١) فِي ج، د: «أَكْثَرُ».

(٢) فِي ب، د: «الْحِزْمُ».

(٣) فِي ب، ج، هـ: «عِلْمٌ».

الفائدة الثانية: ذُكِرَ نُكَبَتْ عَجِيْبَةٍ، وفوائد غريبة، قلَّما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، ونتائج فِكْري، أو مما أخذته عن شيوخي عليه السلام، أو مما التقطته من مُستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إمَّا بحلِّ العُقَدِ المقفلات، وإمَّا بحسن العبارة، ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين، والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييز الرّاجح من المرجوح.

وذلك أنّ أقوال الناس على مراتب:

- ◀ فمنها: الصحيح الذي يُعوَّل عليه.
- ◀ ومنها: الباطل الذي لا يُلتفت إليه.
- ◀ ومنها: ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إنَّ هذا الاحتمال قد يكون: متساوياً، أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون: قليلاً أو كثيراً.

واني جعلت لهذه الأقسام عباراتٍ مختلفة، يُعرفُ بها مرتبة كلِّ قول:

- ◀ فأدناها: ما أصرَّحُ بأنه «خطأ»، أو «باطل».
- ◀ ثم: ما أقول فيه: إنه «ضعيف»، أو «بعيد».
- ◀ ثم: ما أقول: «إن غيره أرجح منه»، أو «أقوى»، أو «أظهر»، أو «أشهر».
- ◀ ثم: ما أقدمُ غيره عليه؛ إشعاراً بترجيح المتقدم، أو ما أقول فيه: «قيل: كذا»؛ قصداً للخروج عن عهده.

وأمَّا إذا صرَّحتُ<sup>(١)</sup> باسم قائل القول فإني أفعل ذلك لأحد أمرين:

- ◀ إما للخروج عن عهده.
- ◀ وإما لنصرته، إذا كان قائله ممن يُقتدَى به.

(١) في زيادة: «فيه».

على أني لا أنسب<sup>(١)</sup> الأقوال إلى أصحابها إلا قليلاً، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم.

وأما إذا ذكرت شيئاً دون حكاية قوله عن أحد: فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرتضيه، سواء كان من تلقاء نفسي، أو مما أختاره من كلام غيره.

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره؛ تنزيهاً للكتاب عنه، وربما ذكرته تحذيراً منه.

وهذا الذي ارتكبه<sup>(٢)</sup> من الترجيح والتصحيح مبني على القواعد العلمية، أو على ما تقتضيه اللغة العربية.

وسنذكر بعد هذا باباً في موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله تعالى.

وسميت هذا الكتاب: «كتاب التسهيل لعلوم التنزيل»

وقدّمت في أوله مقدمتين:

◀ إحداهما: في أبواب نافعة، وقواعد كلية جامعة.

◀ والأخرى: فيما كثر دوره من اللغات الواقعة في القرآن.

وأنا أربُّ إلى الله العظيم الكريم أن يجعل تصنيفَ هذا الكتاب عملاً مبروراً، وسعيًا مشكوراً، ووسيلةً توصلني إلى جنات النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



(١) في ب، د: «لست أنسب»، وفي هـ، ج: «أنى نسبت».

(٢) في ب: «ارتكبت»، وفي د: «أرتكبه».



## المقدمة الأولى

فيها اثنا عشر باباً.

### الباب الأول

في نزول القرآن، وجمعه في المصحف، ونقطه، وتحزيبه، وتعشيريه، وذكر أسمائه<sup>(١)</sup>

✽ نزل القرآن على رسول الله ﷺ من أول ما بعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله. فكانت مدة نزوله عليه عشرين سنة، وقيل: كانت ثلاثاً وعشرين سنة، على حسب الاختلاف في سنة ﷺ يوم توفي هل كان ابن ستين سنة؟ أو<sup>(٢)</sup> ثلاث وستين<sup>(٣)</sup>؟ وكان ربما تنزل<sup>(٤)</sup> عليه سورة كاملة، وربما تنزل<sup>(٥)</sup> عليه آيات متفرقات<sup>(٦)</sup>، فيضم بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة. وأول ما نزل من القرآن: صدر سورة العلق، ثم المدثر و<sup>(٧)</sup>المزمل، وقيل: أول ما نزل: المدثر، وقيل: فاتحة الكتاب.

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (١/ ٣٧، ٥١).

(٢) في هـ زيادة: «ابن».

(٣) في أ زيادة: «سنة».

(٤) في د: «نزلت»، وفي هامش أ: «نزل».

(٥) في د و هامش أ: «نزل».

(٦) في أ: «متفرقة».

(٧) في د: «ثم».

والأول هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: «جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ﴿١﴾ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٣﴾ وَالرَّبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٤﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٥﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٦﴾ [العلق: ١ - ٥]. فرجع بها رسول الله ﷺ تَرْجُفُ بِوَادِرِهِ ﴿١﴾، فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع ﴿٢﴾.

وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله: فقال رسول الله ﷺ: «زملوني»، فأنزل الله: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] ﴿٣﴾.

وأما آخر ما نزل من القرآن: فسورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وقيل: آية الربا التي في البقرة، وقيل: الآية التي قبلها ﴿٤﴾.

وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ مفترقا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته فجمعه على ترتيب نزوله،

(١) كذا في أ، ب وهي الموافقة لما في رواية مسلم، وفي ج، هـ: «ترجف بها بوادره»، والبوادر جمع بادرة، وهي لحمة بين المنكب والعنق، أي: ترعد وتضطرب. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٥٥).

وفي د: «يرجف بها فواده» وهي موافقة لرواية البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٤) المراد بآية الربا قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨] كما قال السيوطي في الإتيان (١/ ١٧٦)، وقول ابن جزي: «وقيل: الآية التي قبلها» كذا ورد في النسخ الخطية «قبلها»! ومراد ابن جزي جزءا آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فهي التي وقع فيها الخلاف في كونها آخر ما نزل، وقد صرح هو بذكر الآية عند تفسيرها في موضعها، وهي بعد آية الربا لا قبلها، فلعل هذا سبق قلم منه ﷺ، ومراده: «الآية التي بعدها». وانظر: الإتيان للسيوطي.

ولو وجد مصحفه لكان فيه علمٌ كبير، ولكنه لم يوجد<sup>(١)</sup>.

فلما قُتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة في قتال مُسيلمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق ﷺ بجمع القرآن؛ مخافة أن يذهب بموت القراء، فجمعه في صحف غير مرتب السور، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر الصديق، ثم عند عمر بعده، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

وانتشرت في خلال ذلك صحفٌ كُتبت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلافٌ، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان ﷺ بجمع الناس على مصحف واحد؛ خيفة من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمان، وأمر زيد بن ثابت بجمعه وجعل معه ثلاثة من قريش؛ عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص بن أمية، وقال لهم: إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إمامًا في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان ﷺ يتعهدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان ﷺ منه نسخًا، ووجهها إلى الأمصار، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق، أو تحرق - يروى بالحاء المهملة، والخاء المنقوطة -<sup>(٣)</sup>.

فترتيب السور على ما هو الآن عليه: هو من فعل عثمان وزيد بن ثابت ﷺ والذين كتبوا معه المصحف.

وقد قيل: إنه من فعل رسول الله ﷺ، وذلك ضعيفٌ، تردُّه الآثار الواردة في ذلك.

(١) أخرج أبو بكر ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» (ص: ٥٩): «عن أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلا أني أقسمت أن لا ارتدي برداء إلا لجمعة، فبأيته ثم رجع»، ثم قال ابن أبي داود معلقًا على هذا الأثر: «لم يذكر المصحف أحدًا إلا أشعث، وهو لين الحديث، وإنما رواه: «حتى أجمع القرآن» يعني: أتم حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن»، وأعل هذا الأثر أيضًا ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» (ص: ٨٨) بأنه: «فيه انقطاع»، وقال تعليقًا على قول ابن أبي داود: «وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر - والله أعلم -، فإن عليًا لم ينقل عنه مصحف - على ما قيل - ولا غير ذلك». وانظر: الإتيان للسيوطي (٢/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٩) عن زيد بن ثابت ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٨٧) عن أنس ﷺ، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٠).

✽ وأما نقطُ القرآن وشكُّه: فأول من فعل ذلك: الحجاج بن يوسف، بأمر عبد الملك بن مروان، وزاد الحجاج تحزيبه، وقيل: أول من نقطه يحيى بن يغمَرَ، وقيل: أبو الأسود الدؤلي.

✽ وأما وضعُ الأعشار فيه: فقيل: إن الحجاج فعل ذلك، وقيل: بل أمر به المأمون العباسي.

✽ وأما أسماؤه: فهي أربعة: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر. وسائر ما يُسمَّى به صفاتٌ لا أسماء، كوصفه بالعظيم، والكريم، والمبين، والعزيز، والمجيد، وغير ذلك.

- ◀ فأما القرآن: فأصله مصدر: قرأ، ثم أُطلق على المقروء.
- ◀ وأما الفرقان: فمصدرٌ -أيضاً-، معناه: التفرقة بين الحق والباطل.
- ◀ وأما الكتاب: فمصدرٌ، ثم أُطلق على المكتوب.
- ◀ وأما الذكر: فسمي القرآن به؛ لما فيه من ذكر الله، أو <sup>(١)</sup> من التذكير والمواعظ.
- ويجوز في «السورة» من القرآن: الهمز، وترك الهمز لغة قريش.
- ◀ وأما الآية: فأصلها: العلامة، ثم سُميت الجملة من القرآن آية <sup>(٢)</sup>؛ لأنها علامة على صدق النبي ﷺ.



(١) في هـ: «أو».

(٢) في ب، هـ: «به».

## الباب الثاني

### في السور المكية والمدنية

✽ اعلم أن السور المكية: هي التي نزلت بمكة، ويُعدُّ منها: كلُّ ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة.

كما أن المدنية: هي السور التي نزلت بالمدينة، ويُعدُّ منها: كلُّ ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

وتنقسم السور ثلاثة أقسام:

(١) قسمٌ مدنية باتفاق، وهي اثنتان وعشرون سورة.

وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾.

(٢) وقسم فيها خلاف؛ هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاث عشرة سورة.

أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففين<sup>(١)</sup>، والقدر، و﴿لَمْ يَكُنِ﴾، و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، و﴿أَرَأَيْتَ﴾، والإخلاص، والمعوذتان.

(٣) وقسمٌ مكية باتفاق، وهي سائر السور.

وقد وقعت آياتٌ مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليلٌ، مختلفٌ في أكثره.

✽ واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في: إثبات العقائد، والردّ على المشركين، وفي قصص الأنبياء.

(١) في ب، ج، هـ: «والمطففون».

وأن السور المدنية نزل أكثرها في: الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي ﷺ. وحيثما ورد: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو مدني، وأما ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فقد وقع في المكي والمدني<sup>(١)</sup>.



(١) أخرج البزار في مسنده (٣٣٦/٤)، والحاكم (٤٢٩٥) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كل شيء نزل ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فهو بمكة، وكل شيء نزل ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو بالمدينة»، وأعله البزار بالإرسال، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن علقمة قوله (٣٠٧٦٨)، قال الدارقطني في الملل (١٦٨/٥): «وهو الصحيح»، وأخرجه ابن أبي شيبة -أيضاً- عن عروة بن الزبير (٣٠٧٧٣).

## الباب الثالث

### في المعاني والعلوم التي تضمَّنها القرآن

ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل.

✽ **أما على الجملة:** فاعلم أن المقصود بالقرآن: دعوة الخلق إلى عبادة الله، وإلى الدخول في دين الله، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله:

أحدهما: بيان العبادة التي دُعي الخلق إليها.

والآخر: ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها، وتقودهم إليها.

فأما العبادة: فتتقسم إلى نوعين وهما: أصول العقائد، وأحكام الأعمال.

وأما البواعث عليها فأمران؛ وهما: الترغيب، والترهيب.

✽ **وأما على التفصيل:** فاعلم أن معاني القرآن سبعة؛ وهي: علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص.

#### (١) فأما علم الربوبية:

فمنه: إثبات وجود الباري جل جلاله، والاستدلال عليه بمخلوقاته، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، والاعتبار في خلقه الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك من الموجودات؛ فهو دليل على خالقه.

ومنه: إثبات الوحدانية، والردُّ على المشركين، والتعريفُ بصفات الله من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك من أسمائه وصفاته، وتنزيهه عما لا يليق به<sup>(١)</sup>.

(١) [التعليق] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: لا يظهر لنا في هذا الكلام شيء؛ فإن المخلوقات دليل على ربوبيته تعالى وإلهيته وتوحيده.



(٢) **وأما النبوة:** فإثبات نبوة الأنبياء ﷺ على العموم، ونبوة محمد ﷺ على الخصوص، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وبينهم، والردُّ على من كفر بشيء من ذلك.

وينخرط في سلك هذا: ما ورد في القرآن من تأييس النبي ﷺ وكرامته<sup>(١)</sup>، والثناء عليه وعلى سائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

(٣) **وأما المعاد:** فإثبات الحشر، وإقامة البراهين عليه، والردُّ على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة من الجنة والنار والحساب والميزان وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال وغير ذلك.

(٤) **وأما الأحكام:** فهي الأوامر والنواهي، وتنقسم خمسة أنواع: واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح.

ومنها:

ما يتعلق بالأبدان، كالصلاة والصيام.

وما يتعلق بالأموال كالزكاة.

وما يتعلق بالقلوب، كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.

(٥) **وأما الوعد:**

فمنه وعدٌ بخير الدنيا، من النصر والظهور وغير ذلك.

ومنه بخير الآخرة، وهو الأكثر، كأوصاف الجنة ونعيمها.

(٦) **وأما الوعيد:**

فمنه تخويفٌ بالعقاب في الدنيا.

ومنه تخويفٌ بالعقاب في الآخرة، وهو الأكثر، كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف

القيامة وأهوالها.

(١) في د: «وكذا أمته» ولعله تصحيف.

وتأمل القرآن؛ تجد الوعد مقروناً بالوعيد، قد<sup>(١)</sup> ذُكر أحدهما على إثر ذكر الآخر؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب، وليتبين أحدهما بالآخر، كما قيل:

فبضدّها تبين الأشياء<sup>(٢)</sup>

(٧) وأما القصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم؛ كقصة أصحاب الكهف، وذوي القرنين.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن ؟

فالجواب: من ثلاثة أوجه:

◀ الأول: أنه ربما ذُكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يُذكر في سورة أخرى، ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى.

◀ الوجه الثاني: أنه ذُكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب، وفي مواضع على طريقة الإيجاز؛ لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

◀ الوجه الثالث: أن أخبار الأنبياء قُصد بذكرها مقاصد كثيرة<sup>(٣)</sup> فتعدّد ذكرها بتعدد تلك المقاصد.

فمن المقاصد بها: إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين؛ بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من الهلاك<sup>(٤)</sup>.

◀ ومنها: إثبات نبوة محمد ﷺ؛ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلّم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾

[هود: ٤٩].

(١) في أ، ب: «وقد».

(٢) هذا عجز بيت للمتنبي، وصدره: «ونذيمهم وبها عرفنا فضلُهُ»، انظر: شرح أبي البقاء العكبري على ديوان المتنبي (٢٢/١).

(٣) سقطت هذه الكلمة من ج، هـ.

(٤) في د: «المهلك».

- ◀ ومنها: إثبات الوحداية، ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿بِمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١].
- ◀ ومنها: الاعتبار في قدرة الله تعالى، وشدة عقابه لمن كفر به.
- ◀ ومنها: تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له؛ بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣٥].
- ◀ ومنها: تأنيسه<sup>(١)</sup> ﷺ، ووعده بالنصر كما نُصِرَ الأنبياء الذين من قبله.
- ◀ ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم.
- إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء وردّهم على الكفار، وغير ذلك، فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة ذُكرت في مواضع كثيرة، ولكلِّ مقام مقال.



(١) في ج، هـ: «تسلية».

## الباب الرابع

## في فنون العلوم التي تتعلق بالقرآن

**اعلم:** أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنًا من العلوم، وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصاص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

(١) **فأما التفسير:** فهو المقصود لنفسه، وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه، أو تتعلق به، أو تتفرع منه.

ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه.

واعلم: أن التفسير منه متفق عليه، ومختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع: أحدها: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، فهذا عدّه كثير من المؤلفين في التفسير خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه.

وجعلناه نحن قولاً واحداً، وعبرنا عنه بأحد<sup>(١)</sup> عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

النوع الثاني: اختلاف في التمثيل؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام الذي<sup>(٢)</sup> تندرج تلك الأمثلة تحت عمومها، فهذا عدّه أيضاً كثير من المؤلفين خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كلّ قول<sup>(٣)</sup> منها مثال للمراد، وليس بكل المراد.

(١) في د: «بإحدى».

(٢) في ب، ج، هـ: «التي».

(٣) في ب، ج، هـ: «لأن كلّ».

ولم نَعُدْه نحن خلافاً، بل عبّرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

النوع الثالث: اختلاف في المعنى، فهذا هو الذي عدّناه خلافاً، ورجّحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب.

فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟

فالجواب: أن في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنهما بمعنى واحد.

الثاني: أن التفسير: للفظ، والتأويل: للمعنى.

الثالث - وهو الصواب -: أن التفسير هو الشرح، وأن التأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ؛ لموجب اقتضى أن يُحمَل على ذلك ويخرج عن ظاهره.

(٢) وأما القراءات: فإنها في القرآن بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته.

ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة، وشاذة.

فالمشهورة: هي القراءات السبع وما جرى مجراها؛ كقراءة يعقوب<sup>(١)</sup>، وابن محيصن<sup>(٢)</sup>.

والشاذة: ماسوى ذلك.

(١) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي، قارئ أهل البصرة في عصره، توفي سنة (٢٠٥هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٩٤).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولا هم المكي، قارئ أهل مكة، توفي سنة (١٢٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٥٦).

وإنما<sup>(١)</sup> بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع المدني<sup>(٢)</sup>؛ لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب.

والآخر: الاقتداء بالمدينة شرفها الله تعالى؛ لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنة.

وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدة في المعنى والإعراب أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنيا عن استيفاء القراءات؛ لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها، وقد صنفنا فيها كتباً نفع الله بها، وأيضاً؛ فإننا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه ضرورة، وقد ذكرنا في هذه المقدمات باباً في قواعد أصول القراءات.

(٣) وأما أحكام القرآن: فهي تفسير ما ورد فيه من الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية.

وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمس مئة آية، وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها.

وقد صنف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة.

ومن أحسن تصانيف المشاركة فيها: تأليف إسماعيل القاضي<sup>(٣)</sup>، وأبي الحسن كياة<sup>(٤)</sup>.

(١) في ب، ج، هـ: «وإننا».

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي، مولا هم، أبو رويم المقرئ المدني، توفي سنة (١٦٩هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٦٤).

(٣) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن بابك الجهمي الأزدي المالكي، وبه تفقه أهل العراق من المالكية، توفي سنة (٢٨٢هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (١/٢٨٢).

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الكيا الهراشي الشافعي، والكيا: لفظة أعجمية معناها: الكبير القدر المقدم بين الناس، توفي سنة (٥٠٤هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/٢٨٦)، و«كيا» و«كياة» بمعنى واحد، و«أل» فيها للتعريف، قال العطار في حاشيته على شرح المحلى على «جمع الجوامع» في ضبطه (١/٣٣٩): «ضبطه الكوراني بفتحها؛ لأن «كيا» معناه: العظيم، وأل حرف تعريف وهمزتها بالفتح؛ لأنها همزة وصل».

ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس<sup>(١)</sup>: تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي<sup>(٢)</sup>، والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس<sup>(٣)</sup>.  
(٤) وأما النسخ: فهو يتعلق<sup>(٤)</sup> بالأحكام؛ لأنها محلُّ النسخ؛ إذ لا تُنسخ الأخبار. ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم؛ وهو ما لم يُنسخ. وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة، أحسنها: تأليف القاضي أبي بكر ابن العربي.

وقد ذكرنا في هذه المقدمات باباً في قواعد النسخ، وذكر ما تكرر<sup>(٥)</sup> في القرآن من المنسوخ، وذكرنا سائرته في مواضعه.

(٥) وأما الحديث: فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه؛ لوجهين:

الأول: أن كثيراً من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسبابٍ قضايا وقعت في زمان النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك؛ ليُعلم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت؛ فإن النسخ مبنيٌّ على معرفة تاريخ النزول؛ لأن المتأخر ناسخٌ للمتقدم.

والوجه الآخر: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله ﷺ مقدم على أقوال الناس.

(٦) وأما القصص: فهو من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلا أن الضروري منه: ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زيادةٌ مستغنى عنها.

(١) في ب، د زيادة: «فيها».

(٢) الإمام المالكي المعروف، توفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/٢٥٢).

(٣) الخزرجي المالكي، توفي سنة (٥٩٩هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/١٣٣).

(٤) في ب، ج، هـ: «ما يتعلق».

(٥) في ج، هـ: «ما تقرر».

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء ﷺ، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح.

(٧) **وأما المتصوفة:** فله تعلق بالقرآن؛ لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق الذميمة<sup>(١)</sup>.

وقد تكلمت المتصوفة<sup>(٢)</sup> في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية، وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية.

وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي<sup>(٣)</sup> كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق»،

(١) [التعليق ٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراء: التصوف البريء من البدع القولية والفعلية، والمقصود على العناية بالأخلاق وأعمال القلوب يشهد له آيات من القرآن، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾، وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنقُصْ مَرَضَاتِ اللَّهِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

فأما التصوف البدعي المشتمل على بدع قولية أو فعلية، أو الدعاوى التي لا دليل عليها من كتاب ولا سنة، فلا تجوز إضافته إلى القرآن؛ فالقرآن لا يدل إلا على الحق من الاعتقادات والعبادات الظاهرة والباطنة، وشيوخ الصوفية المتقدمون يتقيدون في تصوفهم وسلوكهم بالكتاب والسنة كالجنيد وأبي سليمان الداراني، وسهل بن عبد الله التستري، والفضيل بن عياض، قال أحدهم، وهو أبو سليمان الداراني: إنه ليقع بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين اثنين من الكتاب والسنة. ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/٦٩٤) ودرء التعارض (٥/٣٩٤) والصفدية (١/٢٥٣).

(٢) في د: «الصوفية».

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي، السلمي الأم، النيسابوري، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، له كتاب «حقائق التفسير»، و«طبقات الصوفية» وغيرهما، توفي سنة (٤١٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/٢٤٧).



وقال بعض العلماء: بل هو <sup>(١)</sup> البواطل، وإذا أنصفنا قلنا: فيه حقائق وبواطل.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يُستحسن من الإشارات الصوفية، دون ما يُعترض أو يُقدح فيه، وتكلمنا أيضاً على اثني عشر مقاماً من مقامات التصوف في مواضعها من القرآن.

[١] فتكلمنا على الشكر في «أم القرآن»؛ لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى.

[٢] وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في «البقرة»: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٣] وعلى الذكر في قوله فيها: ﴿بِاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

[٤] وعلى الصبر في قوله تعالى فيها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

[٥] وعلى التوحيد في قوله فيها: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

[٦] وعلى محبة الله <sup>(٢)</sup> في قوله فيها: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

[٧] وعلى التوكل في قوله في «آل عمران»: ﴿وَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

[٨] وعلى المراقبة في قوله في «النساء»: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

[٩، ١٠] وعلى الخوف والرجاء في قوله في «الأعراف»: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

[١١] وعلى التوبة في قوله في «النور»: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾.

[١٢] وعلى الإخلاص في قوله في «لم يكن»: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

(٩) وأما أصول الدين: فتتعلق بالقرآن من طريقين:

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد، وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار.

(١) في ب، ج، هـ: «هي».

(٢) في أ: «المحبة».

والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها، وتزعم أنه خالف القرآن، ولا شك أن منهم المحق والمبطل.

فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق، مع التسديد والتأييد من الله والتوفيق.

(١٠) **وأما أصول الفقه:** فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أن كثيراً من المفسرين لم يشتغلوا بها.

وإنها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أخرج المفسر إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبين، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.

(١١) **وأما اللغة:** فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي غريب القرآن، وهي فن من فنون التفسير.

وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة، وقد ذكرنا -بعد هذه المقدمة- مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن؛ لئلا نحتاج أن نذكرها حيثما وقعت، فيطول الكتاب بكثرة تكرارها.

(١٢) **وأما النحو:** فلا بد للمفسر من معرفته؛ فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى علم اللسان<sup>(١)</sup>.

والنحو ينقسم قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي أحكام الكلام المركب.

والآخر: التصريف، وهو أحكام الكلمات قبل تركيبها.

(١) في ب، ج، هـ: «إلى معرفة اللسان»، وفي د: «إلى معرفة علم اللسان».

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك تطويلٌ<sup>(١)</sup> بغير كبير فائدة.

(١٣) وأما علم البيان؛ فهو علم شريف، تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة، وكتبت مستحسنة راقية، وجعلنا في المقدمات باباً في أدوات البيان؛ ليفهم به ما يرد منها مفرقاً في مواضع<sup>(٢)</sup> من القرآن.



(١) في ب، ج، د، هـ: «يطول».

(٢) في د: «مواضعه».

## الباب الخامس

في أسباب الخلاف بين المفسرين  
والوجوه التي تُرجَّح<sup>(١)</sup> بها بين أقوالهم.

فأما أسباب الخلاف فهي اثنا عشر:

- ♦ الأول: اختلاف القراءات.
- ♦ الثاني: اختلاف وجوه الإعراب؛ وإن اتفقت القراءة.
- ♦ الثالث: اختلاف اللُّغويين في معنى الكلمة.
- ♦ الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.
- ♦ الخامس: احتمال العموم أو الخصوص.
- ♦ السادس: احتمال الإطلاق أو التقييد.
- ♦ السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز.
- ♦ الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال.
- ♦ التاسع: احتمال كون الكلمة زائدة أو غير زائدة.
- ♦ العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب، أو على التقديم والتأخير.
- ♦ الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً.
- ♦ الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ، وعن السلف رضي الله عنهم.

(١) في ج، هـ: «يترجح».

وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر:

- ♦ الأول: تفسير بعض القرآن ببعض؛ فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر<sup>(١)</sup> حملناه عليه، ورجّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.
- ♦ الثاني: حديث النبي ﷺ؛ فإذا ورد عنه ﷺ تفسير شيء من القرآن عوّلنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح.
- ♦ الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول تقتضي ترجيحَه.
- ♦ الرابع: أن يكون القول قول من يُقتدَى به من الصحابة، كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ لقول رسول الله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»<sup>(٢)</sup>.
- ♦ الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب؛ من اللغة، أو الإعراب، أو التصريف، أو الاشتقاق.
- ♦ السادس: أن يشهد لصحة القول سياق<sup>(٣)</sup> الكلام، ويدلّ عليه ما قبله أو ما بعده.
- ♦ السابع: أن يكون ذلك المعنى هو المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه.
- ♦ الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يُحمَل عليها اللفظ عند الأصوليين.

(١) في ب، ج، هـ: «على أن المراد بعض آخر»!

(٢) أصل الحديث في البخاري (١٤٣) بلفظ: «اللهم فقهه في الدين» فقط، وفي مسلم (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فقهه» فقط، وأما زيادة: «وعلمه التأويل» فقد أخرجها أحمد في مسنده (٢٣٩٧)، (٢٨٧٩)، (٣٠٣٢)، (٣١٠٢)، وابن حبان (٧٠٥٥)، والحاكم (٦٣٣٦) وصححها ووافقه الذهبي، والضياء في المختارة (١٠/٢٢٢) وقال: «وهذه زيادة حسنة»، وصححها ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/٩٣٥).

(٣) في أ: «مساق»، وفي الهامش: «خ: سياق».

وقد يترجّح المجاز إذا كثر استعماله حتى يصير أغلب استعمالاً من الحقيقة، ويسمى مجازاً راجحاً، والحقيقة مرجوحة، وقد اختلف العلماء أيهما يقدّم؟

فمذهب أبي حنيفة: تقديم الحقيقة؛ لأنها الأصل.

ومذهب أبي يوسف: تقديم المجاز الراجح؛ لرجحانه.

وقد يكون المجاز أفصح وأبرع، فيكون أرجح.

♦ التاسع: تقديم العموم على الخصوص، فإن العموم أولى؛ لأنه الأصل، إلا أن يدلّ دليل على التخصيص.

♦ العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدلّ دليل على التقييد.

♦ الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار، إلا أن يدلّ دليل على الإضمار.

♦ الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه، إلا أن يدلّ دليل على التقديم والتأخير.



## الباب السادس

في ذكر المفسرين<sup>(١)</sup>

اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين:

- ◀ فمنهم من فسر القرآن، وتكلم في معانيه، وهم الأكثرون.
  - ◀ ومنهم من توقف عن الكلام فيه؛ احتياطاً؛ لما ورد من التشديد في ذلك؛ فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسول الله ﷺ يفسر من القرآن إلا آياتٍ بَعْدَ، علمه إياهنَّ جبريل»<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ»<sup>(٣)</sup>.
- وتأول المفسرون حديث عائشة رضي الله عنها بأنه في مُغَيَّبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى.

وتأولوا الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم بما<sup>(٤)</sup> تقتضيه أدوات العلوم، ونظر في أقوال العلماء المتقدمين، فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٢).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٨/ ١٢٣)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٢٣)، والطبري (١/ ٧٨، ٨٣) من حديث جعفر بن محمد الزبير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، وأعله الطبري بجعفر، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤): «حديث منكر غريب» وضعفه بجعفر، وقال الدارقطني في العلل (١٤/ ٦٢): «وخالفه [يعني: جعفر] ابن أبي الزناد، ورواه عن هشام عن أبيه قال: لم تكن عائشة تفسر شيئاً إلا ما سمعته من رسول الله ﷺ. وهو الصحيح».

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٣٢)، وأبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث غريب»، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٨٩٠٠).

(٤) في ب: «فيما».

واعلم أن المفسرين على طبقات:

### ✽ فالطبقة الأولى: الصحابة ✽:

وأكثرهم كلاماً في التفسير: ابن عباس رضي الله عنه، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس رضي الله عنه ويقول: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»<sup>(١)</sup>، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه»<sup>(٢)</sup>.

ويتلوهما: عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت رضي الله عنه.

ثم: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وكل ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم من التفسير فهو حسن مقبول.

### ✽ والطبقة الثانية: التابعون ✽:

وأحسنهم كلاماً في التفسير: الحسن بن أبي الحسن البصري، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد مولى ابن عباس رضي الله عنه، وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ويتلوهم: عكرمة، وقتادة، والسدي، والضحاك بن مزاحم، وأبو صالح، وأبو العالية.

ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف، وألف الناس فيه، كالمفضل<sup>(٣)</sup>، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والبخاري، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم.

ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع أقوال المفسرين<sup>(٤)</sup>، وأحسن النظر فيها.

(١) أخرجه الدينوري المالكي بإسناده في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/٤١٥).

(٢) لم أقف على إسناده، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (١/٢٣) بغير إسناده.

(٣) هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب النحوي اللغوي الكوفي، له كتاب «ضيء القلوب» في معاني القرآن، نيف وعشرون جزءاً، توفي بعد سنة (٢٩٠هـ). انظر: السير، للذهبي (١٤/٣٦٢)، وطبقات المفسرين، للداودي (٢/٣٢٨).

(٤) في د: «المتقدمين».



وممن صنف في التفسير أيضًا: أبو بكر النقاش<sup>(١)</sup>، والثعلبي<sup>(٢)</sup>، والماوردي<sup>(٣)</sup>، إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم.

وصنف أبو محمد ابن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه.

وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين؛ كأبي إسحاق الزجاج<sup>(٤)</sup>، وأبي علي الفارسي<sup>(٥)</sup>، وأبي جعفر النحاس<sup>(٦)</sup>.

### ❁ وأما أهل المغرب والأندلس:

فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطي<sup>(٧)</sup> كتابًا في غريب القرآن وتفسيره.

ثم صنف المقرئ أبو محمد مكِّي بن أبي طالب<sup>(٨)</sup> كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابًا في غريب القرآن، وكتابًا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابًا في إعراب القرآن، إلى غير ذلك من تواليه؛ فإنها نحو ثمانين تأليفًا، أكثرها في علوم القرآن؛ من القراءات، والتفسير، وغير ذلك.

(١) هو محمد بن الحسن محمد بن زياد بن هارون، إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، صاحب تفسير «شفاء الصدور»، توفي سنة (٣٥١هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١٣٥/٢).

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، ويقال له: الثعالبي، وهو لقب لا نسب، صاحب تفسير «الكشف والبيان»، توفي سنة (٤٢٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/٦٦).

(٣) هو علي بن محمد بن حبيب القاضي، أبو الحسن الماوردي البصري، صاحب تفسير «النكت والعيون»، توفي سنة (٤٥٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/٤٢٧).

(٤) هو إبراهيم بن السري بن سهل، توفي سنة (٣١١هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/٤١١).

(٥) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان، اتهم بالاعتزال، توفي سنة (٣٧٧هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/٤٩٦).

(٦) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري، توفي سنة (٣٣٨هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/٣٦٢).

(٧) هو منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي الأندلسي، أبو الحكم القاضي، توفي سنة (٣٥٥هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/٣٣٦).

(٨) هو مكِّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي، النحوي المقرئ، توفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/٣٣٧).

وأما أبو عمرو الداني<sup>(١)</sup> فتوليفه تنيف على مئة وعشرين، إلا أن أكثرها في القراءات، ولم يؤلف في التفسير إلا قليلاً.

وأما أبو العباس المهدوي<sup>(٢)</sup> فمُتَقِنُ التأليف، حَسَنُ الترتيب، جامعٌ لفنون علوم القرآن. ثم جاء القاضيان: أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية، فأبدع كل واحدٍ منهما وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف كتاب: «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تَلَفَ تلافاه بكتاب: «قانون التأويل»<sup>(٣)</sup> إلا أنه اخترمته المنية قبل تَخْلِيصِهِ وتلخيصه، وألَّفَ في سائر علوم القرآن توأليفَ مفيدة.

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسنُ التوأليف وأعدلُها، فإنه اطلَّع على توأليف مَنْ كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد النظر، محافظٌ على السنة.

ثم خُتِمَ علماء القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير<sup>(٤)</sup>، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطةً في علمه، وقوةً في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق.

(١) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، أبو عمرو الداني، توفي سنة (٤٤٤هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٣٧٩).

(٢) هو أحمد بن عمار، أبو العباس المهدوي، نسبة إلى المهدي بالمغرب، ألفه التفسير الكبير «التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، ثم اختصره في «التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، توفي بعد سنة (٤٣٠هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٥٦).

(٣) لابن العربي كتابان بهذا العنوان: أحدهما: قانون التأويل في التفسير، وقد اختلف الباحثون في تسميته، واستظهر بعضهم أن اسمه: «واضح السبيل إلى معرفة قانون التأويل بفوائد التنزيل»، وهذا هو الكتاب الذي عناه ابن جزي، والآخر: قانون التأويل، وهو جامع لفوائد شتى من عدة علوم، ولا يختص بالتفسير وعلوم القرآن، وهو مطبوع في مجلد بتحقيق د. محمد السليمان. انظر: قسم الدراسة الذي قدمه د. السليمان لهذا الكتاب ص ١٢٤، ٣٩١.

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي، الجبّاني المولد، الغرناطي المنشأ، الأستاذ أبو جعفر، صاحب «ملاك التأويل» في المتشابه في القرآن وغيره من المصنفات، توفي سنة (٧٠٨هـ). انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٢٧).

❖ ومما بأيدينا من توالييف أهل المشرق: تفسيرُ أبي القاسم الزمخشري، وأبي الفضل الغزنوي<sup>(١)</sup>، وأبي الفضل ابن الخطيب<sup>(٢)</sup>.

فأما الزمخشري: فمُسَدِّدُ النظر، بارِعٌ في الإعراب، متقنٌ في علم البيان؛ إلا أنه ملأ كتابه من مذاهب المعتزلة ونَصَرَهُم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه، فخذ منه ما صفا، ودع ما كدر.

وأما الغزنوي: فكتابُه مختصرٌ جامع، وفيه من التصوف نكتٌ بديعة.

وأما ابن الخطيب: فتضمَّن كتابُه ما في كتاب الزمخشري، وزاد عليه إشباع الكلام في قواعد علم الكلام، ونمَّقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم، وربما يحتاج إلى تنخيل وتلخيص. والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويَجْزِيهِم أَفْضَلَ ثَوَابِهِ.



(١) في أ، ب: «الغزنوي»، وفي ج، هـ: «الغزويني» وهو تصحيف.

وهو محمد بن أبي يزيد طيفور السَّجَاوَنْدِي الغزنوي، أبو عبد الله أو أبو الفضل، اختلفت المصادر في كنيته، المقرئ المفسر النحوي، له تفسير «عين المعاني في تفسير السبع المثاني»، و«الوقف والابتداء» وغيرهما، توفي سنة (٥٦٠هـ) على ما قاله الصفدي، وقد نقل عنه ابن جزي -مع التصريح به- من تفسيره «عين المعاني» في أربعة مواطن: في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿فَانبَجَسَتْ﴾، وفي الأنبياء عند قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وفي المؤمنون عند قوله: ﴿هِيَآت...﴾، وفي العلق عند قوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾، وهو أحد المصادر التي استمدَّ منها ابن جزي مادة تفسيره، وتفسيره هذا حُقِّق في عدة رسائل علمية في جامعة الإمام. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢٠٦/١٢)، والوافي بالوفيات، للصفدي (١٤٧/٣)، وإنباء الرواة، للقفطي (١٥٣/٣)، والروض المعطار، للحميري (٤٢٨).

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين، الرازي، فخر الدين، صاحب تفسير «مفاتيح الغيب»، وكنيته أبو الفضل أو أبو عبد الله على اختلاف بين المصادر. توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٣٧/١٣)، وفيات الأعيان، لابن خلكان (٢٤٨/٤)، وأخبار العلماء، للقفطي (٢١٩).

## الباب السابع

### في النسخ والمنسوخ

النسخ في اللغة: هو الإزالة، أو النقل.

ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد تقرُّره.

ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

- ◀ الأول: نسخ اللفظ والمعنى، كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم»<sup>(١)</sup>.
- ◀ الثاني: نسخ اللفظ دون المعنى، كقوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألَبَتَةَ نِكَالًا من الله والله عزيز حكيم»<sup>(٢)</sup>.
- ◀ الثالث: نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير، وقع منه في القرآن على ما عدّه بعض العلماء<sup>(٣)</sup> مئتا موضع، وثلثان وعشرة<sup>(٤)</sup> مواضع منسوخة؛ إلّا أنهم عدّوا التخصيص

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٣٠) في ضمن حديث طويل من خطبة عمر رضي الله عنه وفيه: «ثم إنّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم...».

وقد عدّ هذا المثال من نوع نسخ اللفظ والمعنى - أي: الحكم - معاً، وعدّه كذلك - أيضاً - ابن عبد البر في التمهيد (٢٧٣/٤) والاستذكار (٤١٨/٥)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣١٠/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٠٧/٢)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٦٦٣/١) وغيرهم. والأصوليون يجعلون هذا المثال من نوع نسخ التلاوة دون الحكم، كما في شرح تنقيح الفصول للقرافي، ط. الفكر (٢٤٢)، والواضح لابن عقيل (٢٢٠/٤) وغيرهما، ويُمثّلون لنوع نسخ التلاوة والحكم معاً بما أخرجه مسلم (١٤٥٢) عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات...».

(٢) أخرجه أحمد (٢١٢٠٧)، والنسائي في الكبرى (٧١١٢)، وابن حبان (٤٤٢٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٩٩٠)، والحاكم (٨٠٦٨) وصححه، عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) في ب، د: «بعضهم».

(٤) في د: «واثنان وعشرة»، وفي أ، ج، هـ: «ثنتان وعشرة» بدون واو.

وقوله: «ثنتان وعشرة» كذا بالعطف، وهذا هو أصل العدد في العشرة مع النيف، إلّا أن العرب حذف حرف العطف اختصاراً، ورُكِّبت الاسمين وبنتهما على الفتح، وجعلت تمييزه مفرداً منصوباً، فصار: «اثنا عشر موضعاً»، وأجاز ابن مالك أن يُعطف هذا العدد عوداً إلى الأصل، فيُمنع إذ ذاك من البناء والتركيب، =



والتقييد والاستثناء نسخاً! وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروقٌ معروفة، وستكلم على ذلك في موضعه.

✽ ونقدّم هنا ما جاء من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم؛ بالأمر بقتالهم؛ ليُغني ذلك عن تكراره في مواضعه، فإنه وقع منه في القرآن مئة آية وأربع عشرة آية، من أربع وخمسين سورة<sup>(١)</sup>:

#### ١. ففي البقرة:

- [١] ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [الآية: ٨٢].
- [٢] ﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا﴾ [الآية: ١٣٨].
- [٣] ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [الآية: ١٨٩]؛ أي: لا تبدؤوا بالقتال.
- [٤] ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: ١٩٠].
- [٥] ﴿قُلْ فِتَالٍ بِهِ كَيْبَرٌ﴾ [الآية: ٢١٥].
- [٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾ [الآية: ٢٥٥].

#### ٢. وفي آل عمران:

- [٧] ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ [الآية: ٢٠].
- [٨] ﴿وَمِنْهُمْ تَفِيَّةٌ﴾ [الآية: ٢٨].

#### ٣. وفي النساء:

- [٩، ١٠] ﴿بِأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ٦٢ و٨١].

= وعلى هذا الوجه قال ابن جزّي هنا: «ثنتان وعشرة» بالعطف والإعراب، ثم قال: «مواضع» بجمعه وإضافة العدد إليه؛ إذ هكذا يكون تمييز العشرة. انظر: شرح التسهيل، لابن مالك (٤/٤٠١)، والتذيل والتكميل شرح التسهيل، لأبي حيان (٩/٣١٣-٣١٥)، والنحو الوافي، لعباس حسن (٤/٥٦٧).

(١) هذه المسألة استمدها ابن جزّي رحمه الله من «عين المعاني» للغزنوي، بل هناك تطابق شبه تام بين النصين، غير أن ابن جزّي ذكر مئة وثلاث عشرة آية من ثلاث وخمسين سورة، حيث فات ابن جزّي ذكر الآية المئة والرابعة عشرة من السورة الرابعة والخمسين التي ذكرها الغزنوي، وهي سورة التين، آية: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾. انظر: «عين المعاني».

[١١] ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَمِيْظًا﴾ [الآية: ٧٩].

[١٢] ﴿لَا تُكَلِّفْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [الآية: ٨٣].

[١٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [الآية: ٨٩].

#### ٤. وفي المائدة:

[١٤] ﴿وَلَا ءَامِيْنَ﴾ [الآية: ٣].

[١٥] ﴿عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾<sup>(١)</sup>.

[١٦] ﴿عَلَيْكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: ١٠٧].

#### ٥. وفي الأنعام:

[١٧] ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيْلٍ﴾ [الآية: ٦٧].

[١٨] ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الآية: ٩٢].

[١٩] ﴿عَلَيْكُمْ بِحَمِيْظٍ﴾ [الآية: ١٠٥].

[٢٠] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٠٧].

[٢١] ﴿عَلَيْهِمْ حَمِيْظًا﴾ [الآية: ١٠٨].

[٢٢] ﴿وَلَا تَسْبُوا﴾ [الآية: ١٠٩].

[٢٣، ٢٤] ﴿بَذَرْهُمْ﴾ في موضعين [الآية: ١١٣، ١٣٨].

[٢٥] ﴿يَتَقَوَّمُوا﴾ [الآية: ١٣٦].

[٢٦] ﴿فَلْيَنْتَظِرُوا﴾ [الآية: ١٥٩].

[٢٧] ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الآية: ١٦٠].

(١) كذا ورد في الأصول الخطية! والواقع أنه لا توجد في سورة المائدة آية بهذا اللفظ، وإنما الذي في المائدة:

﴿بَاغِلْمُوا أُنْمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [آية: ٩٤]، و﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ [آية: ١٠١].

## ٦. وفي الأعراف:

[٢٨] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ١٩٩].

[٢٩] ﴿وَأْمُلْ لَّهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية: ١٨٣].

## ٧. وفي الأنفال:

[٣٠] ﴿وَإِنْ إِسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ [الآية: ٧٣]؛ يعني: المعاهددين.

## ٨. وفي التوبة:

[٣١] ﴿بِاسْتِغْفَارٍ لَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية: ٧] <sup>(١)</sup>.

## ٩. وفي يونس:

[٣٢] ﴿بِانتِظَارٍ﴾ [الآية: ٢٠].

[٣٣] ﴿فَقُلْ لِي عَمَلٍ﴾ [الآية: ٤١].

[٣٤] ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الآية: ٤٦].

[٣٥] ﴿وَلَا يُخْرِجَنَّكَ قَوْلُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية: ٦٥]؛ لما يقتضي من الإمهال.

[٣٦] ﴿أَبَانتُ ثُكْرَهُ﴾ [الآية: ٩٩].

[٣٧] ﴿بِمَنْ إِهْتَدَى﴾ [الآية: ١٠٨]؛ لأن معناه الإمهال.

[٣٨] ﴿وَاضْبُرْ﴾ [الآية: ١٠٩].

(١) قوله: «وفي الأنفال: ﴿وَإِنْ إِسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ [الآية: ٧٣]؛ يعني: المعاهددين. وفي التوبة: ﴿بِاسْتِغْفَارٍ لَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية: ٧]» هكذا نص العبارة في «عين المعاني» للغزنوي، ولم يتبين لي وجه قوله: «يعني: المعاهددين» بعد آية الأنفال! ولعل الأليق بها أن تكون بعد آية التوبة، فهي التي معناها في المعاهددين ظاهرٌ بين ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِمَّا اسْتَغْفَرُوا لَكُمْ﴾ [الآية: ٢٤]، وأما آية الأنفال، فالضمير في ﴿إِسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ للمؤمنين الذين لم يهاجروا، إلا إن قصد بالمعاهددين هنا ما جاء في تَمَّةِ الآية ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾، أي: إذا استنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق -يعني: معاهددين- فلا تنصروهم. فيحتمل ذلك، والله أعلم. قال هبة الله ابن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٠): «قوله تعالى: ﴿وَإِنْ إِسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ بَعْثَيْنَاكَ إِلَيْهِمْ﴾.. فكان بين النبي ﷺ وبين أحياء من العرب موادة، لا يقاتلهم ولا يقاتلون، وإن احتاج إليهم عاونوه، وإن احتاجوا إليه عاونهم، فصار ذلك منسوخاً بآية السيف». وانظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي (٤٥٩، ٤٦٦).

## ١٠. وفي هود:

[٣٩] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [الآية: ١٢]؛ أي: تُنذِرُ ولا تُجبرُ.

[٤٠] ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية: ١٢٠].

[٤١] ﴿وَانْتَظِرُوا﴾ [الآية: ١٢٠].

## ١١. وفي الرعد:

[٤٢] ﴿عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ [الآية: ٤١].

## ١٢. وفي الحجر:

[٤٣] ﴿ذَرُهُمْ﴾ [الآية: ٣].

[٤٤] ﴿بِاضْبَاحٍ﴾ [الآية: ٨٥].

[٤٥] ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ [الآية: ٨٨].

[٤٦] ﴿أَنَا الْنَذِيرُ﴾ [الآية: ٨٩].

[٤٧] ﴿وَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٩٤].

## ١٣. وفي النحل:

[٤٨] ﴿إِلَّا الْبَلْغُ﴾ [الآية: ٣٥].

[٤٩] ﴿عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ [الآية: ٨٢].

[٥٠] ﴿وَجَلِّدْلَهُمْ﴾ [الآية: ١٢٥].

[٥١] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ [الآية: ١٢٧].

## ١٤. وفي الإسراء:

[٥٢] ﴿رَبُّكُمْ ذَا أَعْلَمَ بِكُمْ﴾ [الآية: ٥٤].

## ١٥. وفي مريم:

[٥٣] ﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ [الآية: ٣٨].



[٥٤] ﴿بَلِّغْهُمْ﴾ [الآية: ٧٥].

[٥٥] ﴿بَلَّا تَعْجَلْ﴾ [الآية: ٨٥].

١٦. وفي طه:

[٥٦] ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ﴾ [الآية: ١٣٤].

١٧. وفي الحج:

[٥٧] ﴿وَإِنْ جَدَلُواكَ﴾ [الآية: ٦٦].

١٨. وفي المؤمنين:

[٥٨] ﴿بَذَرُهُمْ﴾ [الآية: ٥٥].

[٥٩] ﴿إِذْقِعْ﴾ [الآية: ٩٧].

١٩. وفي النور:

[٦٠] ﴿بَلَّانَ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: ٥٢].

[٦١] ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلْغُ﴾ [الآية: ٥٢].

٢٠. وفي النمل:

[٦٢] ﴿بِمَسِّ إِهْتَبَدَى﴾ [الآية: ٩٤].

٢١. وفي القصص:

[٦٣] ﴿لَنَّا أَغْمَلْنَا﴾ [الآية: ٥٥].

٢٢. وفي العنكبوت:

[٦٤] ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٥٠]؛ لما يقتضي من عدم الإجبار.

٢٣. وفي الروم:

[٦٥] ﴿بَاضِرٍ﴾ [الآية: ٥٩].

٢٤. وفي لقمان:

[٦٦] ﴿وَمَسَّ كَبَّرَ﴾ [الآية: ١١].

٢٥. وفي السجدة:

[٦٧] ﴿وَانْتَظِرْ﴾ [الآية: ٣٠].

٢٦. وفي الأحزاب:

[٦٨] ﴿وَدَعِ أَذْيَهُمْ﴾ [الآية: ٤٨].

٢٧. وفي سبأ:

[٦٩] ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ﴾ [الآية: ٢٥].

٢٨. وفي فاطر:

[٧٠] ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [الآية: ٢٣].

٢٩. وفي يس:

[٧١] ﴿بَلَا يُخْزِنُكَ﴾ [الآية: ٧٥].

٣٠. وفي الصافات:

[٧٢] ﴿بَقَوْلٍ﴾ [الآية: ١٧٤].

[٧٣] ﴿وَقَوْلٍ﴾ [الآية: ١٧٨].

[٧٤، ٧٥] وما يليهما [الآيتان: ١٧٥، ١٧٩].

٣١. وفي ص:

[٧٦] ﴿إِضْبِرْ﴾ [الآية: ١٧].

[٧٧] ﴿أَنَا مُنذِرٌ﴾ [الآية: ٦٤].

٣٢. وفي الزمر:

[٧٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: ٣]؛ لما فيه من الإمهال.

[٧٩] ﴿بَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [الآية: ١٦].

[٨٠] ﴿يَقُومُوا لِغَمَلُوا﴾ [الآية: ٣٧].

[٨١] ﴿بَسَّ إِهْتَبَدَى﴾ [الآية: ٣٨].

[٨٢] ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ﴾ [الآية: ٤٣]؛ لَأَن فِيهِ تَفْوِيضًا.

٣٣. وفي المؤمن:

[٨٣، ٨٤] ﴿بَاصِرٍ﴾ في موضعين [الآية: ٥٤ و ٧٦].

٣٤. وفي السجدة:

[٨٥] ﴿إِذْبَغ﴾ [فصلت، الآية: ٣٣].

٣٥. وفي الشورى:

[٨٦] ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: ٤].

[٨٧] ﴿لَنَّا أَعْمَلْنَا﴾ [الآية: ١٣].

[٨٨] ﴿بَرَانَ أَعْرَضُوا﴾ [الآية: ١٥].

٣٦. وفي الزخرف:

[٨٩] ﴿بَذَرَهُمْ﴾ [الآية: ٨٣].

[٩٠] ﴿بَاصْبَحَ﴾ [الآية: ٨٩].

٣٧. وفي الدخان:

[٩١] ﴿بَارْتَفِبَّ﴾ [الآية: ٥٦].

٣٨. وفي الجاثية:

[٩٢] ﴿يَغْمِرُوا﴾ [الآية: ١٣].

٣٩. وفي الأحقاف:

[٩٣] ﴿بَاصِرٍ﴾ [الآية: ٣٤].

٤٠. وفي القتال:

[٩٤] ﴿وَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ﴾ [الآية: ٤].

## ٤١. وفي ق:

[٩٥] ﴿بَاضِرٌ﴾ [الآية: ٣٩].

[٩٦] ﴿وَمَا أَنْتَ .﴾ [الآية: ٤٥].

## ٤٢. وفي الذاريات:

[٩٧] ﴿بَتَوَلَّ﴾ [الآية: ٥٤].

## ٤٣. وفي الطور:

[٩٨] ﴿فَلْ تَرَبَّصُوا﴾ [الآية: ٢٩].

[٩٩] ﴿وَاضِرٌ﴾ [الآية: ٤٦].

[١٠٠] ﴿بَذَرَهُمْ﴾ [الآية: ٤٣].

## ٤٤. وفي النجم:

[١٠١] ﴿بَأَعْرِضْ﴾ [الآية: ٢٨].

## ٤٥. وفي القمر:

[١٠٢] ﴿بَتَوَلَّ﴾ [الآية: ٦].

## ٤٦. وفي ن:

[١٠٣] ﴿\*بَاضِرٌ﴾ [الآية: ٤٨].

[١٠٤] ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ [الآية: ٤٤].

## ٤٧. وفي المعارج:

[١٠٥] ﴿بَاضِرٌ﴾ [الآية: ٥].

[١٠٦] ﴿بَذَرَهُمْ﴾ [الآية: ٤٤].

## ٤٨. وفي المزمل:

[١٠٧] ﴿وَاهْجُرْهُمْ﴾ [الآية: ٩].

[١٠٨] ﴿وَذَرْنِي﴾ [الآية: ١٠].

٤٩. وفي المدثر:

[١٠٩] ﴿ذُرْنِي﴾ [الآية: ١١].

٥٠. وفي الإنسان:

[١١٠] ﴿بَاصِرٌ﴾ [الآية: ٢٤].

٥١. وفي الطارق:

[١١١] ﴿بَمَهْلٍ الْجَهْرِيْنَ﴾ [الآية: ١٧].

٥٢. وفي الفاشية:

[١١٢] ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصْطِرٍّ﴾ [الآية: ٢٢]<sup>(١)</sup>.

٥٣. وفي الكافرين:

[١١٣] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الآية: ٦].

✽ نسخ ذلك كله: ﴿وَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٤].



(١) في «عين المعاني» بعد هذه الآية: «(٥٤-) التين: [١١٤] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ معنى».

## الباب الثامن

## في جوامع القراءات

وهي على نوعين: مشهورة، وشاذة.

♦ **فالمشهورة:** القراءات السبع؛ وهي: حرف<sup>(١)</sup> نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبي عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم وحمة والكسائي الكوفيّين. ويجري مجراهم في الصحة والشُّهرة: يعقوب الحضرمي، وابن محيصن<sup>(٢)</sup>، ويزيد بن القعقاع<sup>(٣)</sup>.

♦ **والشاذة:** ماسوى ذلك، وإنما سميت شاذة؛ لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحة اللفظ و<sup>(٤)</sup>قوية المعنى.

ولا يجوز أن يُقرأ بحرفٍ إلا بثلاثة شروط:

١. موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٢. وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه، أو في بعض اللغات.

٣. ونقله نقلاً متواتراً، أو مستفيضاً.

واعلم أن اختلاف القُرَّاء على نوعين: أصول، وفَرَش الحروف.

(١) في د: «حروف».

(٢) تقدمت الترجمة بهما في الباب الرابع.

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، اختلف في وفاته قيل: سنة (١٢٧هـ)، وقيل: (١٢٨هـ)، وقيل: (١٣١هـ)،

وقيل: (١٣٢هـ)، وقيل: (١٣٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٤٠).

(٤) في ب، ج، هـ: «أول».

♦ فاما الغرثُ: فهو ما لا يرجع إلى أصل مطرد، ولا قانون كلي.

وهو على وجهين: اختلاف في القراءة:

◀ باختلاف المعنى.

◀ وباتفاق المعنى.

♦ وأما الأصول: فالاختلاف فيها لا يغيّر المعنى.

وهي ترجع إلى ثمان قواعد:

◀ الأولى: المدُّ، وهو في حروف المد الثلاثة، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمز، و<sup>(١)</sup>التقاء الساكنين.

◀ الثانية: الهمزُ، وأصله التَّحْقِيقُ، ثم قد يخفَّفُ على سبعة أوجه:  
إبدالاً: واوٌ، وياءٌ، وألفٌ.

وتسهيلٌ: بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف.  
واسقاطٌ.

◀ الثالثة: الإدغام والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثليين، أو في المتقاربين، وفي كلمة، وفي كلمتين.

وهو نوعان:

إدغامٌ كبير، انفرد به أبو عمرو؛ وهو إدغام المتحرّك.

وإدغامٌ صغير، لجميع القراء، وهو إدغام الساكن.

◀ الرابعة: الإمالة، وهي: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، والأصل الفتح.

ويُوجِبُ الإمالة: الكسر، أو الياء.

(١) في أ: دار.

◀ **الخامسة: الترقيق والتفخيم.**

والحروف على ثلاثة أقسام:

- [١] مفخَّم في كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة.
- [٢] ومفخم تارةً ومرقَّق أخرى، وهي: الراء، واللام، والألف.
- فأما الراء: فأصلها التفخيم، وترقق للكسر والياء.
- وأما اللام: فأصلها الترقيق، وتفخم لحروف الإطباق.
- وأما الألف: فهي تابعة في التفخيم والترقيق لما قبلها.
- [٣] والمرقق على كل حال: سائر الحروف.

◀ **السادسة: الوقف، وهو على ثلاثة أنواع:**

- [١] سكونٌ، جائز في الحركات الثلاث.
- [٢] ورومٌ في المضموم والمكسور.
- [٣] وإشمامٌ في المضموم خاصةً.

◀ **السابعة: مراعاة الخط في الوقف.**◀ **الثامنة: إثبات الياءات وحذفها، وتسكينها، وفتحها.**



## الباب التاسع

## في المواقف

وهي أربعة أنواع: موقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح، وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى.

♦ فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقر<sup>(١)</sup> إليه كذلك = لم يجز الفصل بينهما، والوقف على الكلام الأول قبيح. وذلك الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه، وبين كل ذي موصول وصلته.

♦ وإن كان الكلام الأول مستقلاً يفهم دون الثاني، إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله = فالوقف على الأول كاف.

وذلك في التوابع والفضلات؛ كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك. إلا أن وصل الاستثناء المتصل أكد من المنقطع. ووصل التوابع والحال إذا كانت اسماً مفرداً<sup>(٢)</sup> أكد من وصلها إذا كانت جملة.

♦ وإن كان الكلام الأول مستقلاً والثاني كذلك: فإن كانا في قصة واحدة: فالوقف على الأول حسن. وإن كانا في قصتين مختلفتين: فالوقف تام.

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب، أو المعنى، ولذلك اختلف الناس في كثير من المواقف، ومن أقوالهم فيها راجح ومرجوح وباطل.

وقد يؤقف لبيان المراد، وإن لم يتم الكلام.

(١) في ب، ج، هـ: «مفتقراً».

(٢) في أ: «اسماً مفردة»، وفي ب، د: «أسماء مفردات».

﴿ تنبيه: هذا الذي ذكرنا من رَغِي الإعراب والمعنى في المواقف استقرَّ عليه العمل، وأخذ به شيوخُ المقرئين.﴾

وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات، فيقفون عندها؛ لأنها في القرآن كالْفَقْر في النشر، والقوافي في الشعر، ويؤيد<sup>(١)</sup> ذلك: ما خرَّجه الترمذي عن أم سلمة ؓ: «أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته، يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم يقف، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، ثم يقف»<sup>(٢)</sup>.



(١) في ج، د: «ويؤكد».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧) وقال: «حديث غريب»، وأخرجه كذلك أحمد (٢٦٥٨٣)، وأبو داود (٤٠٠١) وزادوا في أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم»، وصححه ابن خزيمة (٤٩٣)، والدارقطني (١١٩١)، والحاكم (٢٩١٠) ووافقه الذهبي، وأعله الترمذي بالانقطاع.

## الباب العاشر

## في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

أما الفصاحة: فلها خمسة شروط:

- ◀ الأول: أن تكون الألفاظ عربية، لا مما أحدثه المولّدون، ولا مما غلّطت فيه العامة.
- ◀ الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشية المستثناة.
- ◀ الثالث: أن تكون العبارة واقعة على المعنى، موفّية له، لا قاصرة عنه.
- ◀ الرابع: أن تكون العبارة سهلة، سالمة من التعقير<sup>(١)</sup>.
- ◀ الخامس: أن يكون الكلام سالمًا من الحشو الذي لا يحتاج إليه.

❖ وأما البلاغة: فهي سياق الكلام على حسب ما يقتضيه الحال والمقام؛ من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقيق، ومن التصريح والكناية، والإشارة، وشبه ذلك، بحيث يهزّ النفوس، ويؤثّر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد، أو يكاد.

❖ وأما أدوات البيان: فهي صناعة البديع، وهي: تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب. وقد وجدنا في القرآن منها: اثنين وعشرين نوعًا، ونبّهنا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن، ونذكر هنا أسماءها، ونبين معانيها.

❖ النوع الأول: المجاز، وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة بينهما.

وهو اثنا عشر نوعًا:

[١] التشبيه.

[٢] والاستعارة.

[٣] والزيادة.

[٤] والنقصان.

(١) في هامش ب: «التعقيد».

[٥] وتسمية المجاور باسم مجاوره.

[٦] والمُلبس باسم مُلبسه.

[٧] وإطلاق اسم الكل على البعض.

[٨] وعكسه.

[٩] وتسمية السبب باسم المسبب.

[١٠] وعكسه.

[١١] والتسمية باعتبار ما يستقبل.

[١٢] والتسمية باعتبار ما مضى؛ وفي هذا خلافٌ، هل هو حقيقة أو مجاز؟

وأتفق أكثر<sup>(١)</sup> أهل علوم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب، وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منعه؛ لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى.

♦ النوع الثاني: الكناية، وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه، من غير تصريح.

♦ الثالث: الالتفات، وهو على ستة أنواع:

[١، ٢] خروج من التكلم إلى الخطاب، أو الغيبة.

[٣، ٤] وخروج من الخطاب إلى التكلم، أو الغيبة.

[٥، ٦] وخروج من الغيبة إلى التكلم، أو الخطاب.

♦ الرابع: التجريد، وهو: ذكر شيء بعد اندراجِه في لفظ عام متقدم.

والقصد بالتجريد: تعظيم المجرد ذكره، أو تحقيره، أو رفع الاحتمال.

♦ الخامس: الاعتراض، وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين، كالخبر والمخبر عنه،

والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، أو إدخاله في أثناء كلام متصل.

والقصد به: تأكيد الكلام الذي أُدرج فيه.

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ.

- ♦ **السادس:** التجنيس، وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى، ثم إن الاتفاق قد يكون:
- في الحروف والصيغة.
- أو في الحروف خاصة.
- أو في أكثر الحروف لا في جميعها.
- أو في الخط لا في اللفظ، وهو تجنيس التصحيف.
- ♦ **السابع:** المطابقة<sup>(١)</sup>، وهي ذكر الأشياء المتضادة؛ كالسواد والبياض، والحياة والموت، والليل والنهار، وشبه ذلك.
- ♦ **الثامن:** المقابلة، وهي أن تجمع بين شيئين فصاعداً، ثم تقابلها بأشياء أخرى.
- ♦ **التاسع:** المشاكلة، وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته.
- ♦ **العاشر:** التردد، وهو رد أول الكلام على آخره، ويسمى في الشعر: رد العجز على الصدر.
- ♦ **الحادي عشر:** لزوم ما لا يلزم، وهو أن تلزم قبل حرف الروي حرفاً آخر، وكذلك<sup>(٢)</sup> عند رؤوس الآيات.
- ♦ **الثاني عشر:** القلب، وهو أن يكون الكلام يصح<sup>(٣)</sup> ابتداءً قراءته من أوله وآخره، نحو: دعد، أو تعكس كلماته فيقدم المؤخر منها ويؤخر المقدم.
- ♦ **الثالث عشر:** التقسيم، وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه، أو<sup>(٤)</sup> أجزائه.
- ♦ **الرابع عشر:** التثمين، وهو أن تزيد في الكلام ما يوضحه أو يؤكد، وإن كان مستقلاً دون هذه الزيادة.
- ♦ **الخامس عشر:** التكرار، وهو أن تضع الظاهر موضع المضمّر، فتكرّر الكلمة على وجه: التعظيم، أو التهويل، أو لمذح المذكور، أو ذمّه، أو للبيان.

(١) في ب: «الطابق».

(٢) في ب، د: «وذلك».

(٣) في أ: «تصح»، وفي ب: «يصلح».

(٤) في أ، د: «أو».

♦ **السادس عشر:** التهكُّم، وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب، أو بالمخبر عنه، كذكر البشارة في موضع النذارة.

♦ **السابع عشر:** اللفُّ والنشر، وهو أن تُلَفَّ في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلقات بها<sup>(١)</sup>. وفيه طريقتان:

[١] أن تبدأ في ذكر المتعلقات بالأول.

[٢] وأن تبدأ بالآخر.

♦ **الثامن عشر:** الجمع، وهو: أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبرٍ واحد، وفي وصفٍ واحد، وشبه ذلك.

♦ **التاسع عشر:** التَّرصيع، وهو أن تكون الألفاظ في آخر الكلام مستوية الوزن، أو متقاربة مع الألفاظ التي في أوله.

♦ **الموفي عشرون:** التَّسجييع، وهو أن تكون كلمات الآية على رويٍّ حرفٍ واحد.

♦ **الحادي والعشرون:** الاستطراد، وهو أن تتطَرَّق من كلامٍ إلى كلامٍ آخر بوجهٍ يصلُّ ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود، كخروج الشاعر من النسيب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه إنما قصد المدح.

♦ **الثاني والعشرون:** المبالغة.

وقد تكون بصيغة الكلمة، نحو: صيغة فَعَّالٍ ومِفعَالٍ.

وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف.

فإن اشتدَّت المبالغة فهي غلوٌّ وإغراق، وذلك مستكرةٌ عند أهل هذا الشأن.



(١) في أ: «متعلقاتها»، وفي الهامش: «خ: متعلقات بها».

## الباب الحادي عشر

## في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل

ويدلُّ على ذلك عشرة وجوه:

- ♦ الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام<sup>(١)</sup> المخلوقين.
- ♦ الثاني: نظمُه العجيب، وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.
- ♦ الثالث: عجزُ الخلق في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.
- ♦ الرابع: ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ تعلم ذلك ولا قرأه في كتاب.
- ♦ الخامس: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة؛ فوَقَّعت على حسب ما قال.
- ♦ السادس: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله، وذكر صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه وما يستحيل عليه<sup>(٢)</sup>، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والرد على أصناف الكفار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحى من العليم الخبير، ولا يشكُّ عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.
- ♦ السابع: ما شرع فيه من الأحكام، وبين<sup>(٣)</sup> من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم.

(١) في د: «عن غيره من كلام...».

(٢) [التعليق ٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ليس في ذلك شيء؛ فإن هذه المعاني قد دلَّ عليها القرآن، وما يستحيل على الله هي العيوب والآفات، وقد نفاها القرآن؛ كالموت والسنة والنوم واللُّغوب والمعجز والغفلة. تعالى الله عن ذلك.

(٣) في أ زيادة: «فيه».

- ♦ الثامن: كونه محفوظًا عن الزيادة والنقصان، محروسًا عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.
- ♦ التاسع: تيسيره للحفظ؛ وذلك معلومٌ بالمعاينة.
- ♦ العاشر: كونه لا يملّه قارئه ولا سامعه على كثرة الترداد، بخلاف سائر الكلام.





## الباب الثاني عشر

## في فضائل القرآن

وانما نذكر منها: ما ورد في الحديث الصحيح.

- ♦ فمن ذلك: <sup>(١)</sup> عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» <sup>(٢)</sup>.
- ♦ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتتبع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران» <sup>(٣)</sup>.
- ♦ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأثرجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مرٌّ» <sup>(٤)</sup>.
- ♦ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن فلهو أشدُّ تفصيًّا من صدور الرجال من النعم بعقلها» <sup>(٥)</sup>.
- ♦ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه» <sup>(٦)</sup>.

(١) في زيادة: «ما ورد».

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠) واللفظ له.

(٦) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

♦ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين»<sup>(١)</sup>.

♦ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، قال: «هذا بابٌ من السماء فتح اليوم ولم يفتح قطُّ إلا اليوم»، فنزل منه ملكٌ فقال: «هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيُّ قبلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطيته»<sup>(٢)</sup>.

♦ وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»<sup>(٣)</sup>.

♦ وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»<sup>(٤)</sup>.

♦ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفرُّ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»<sup>(٥)</sup>.

♦ وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر! أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر! أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلت: «أَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ»، قال: فضرب في صدري وقال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يا أبا المنذر»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧).

(٤) سبق تخريجه، وهو جزء من حديث أبي أمامة أول حديث أورده المؤلف في هذا الباب.

(٥) أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٦) أخرجه مسلم (٨١٠).

♦ وعن النّوّاس بن سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضُرِبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةُ أَمْثَالٍ مَا نَسِيَتْهَا <sup>(١)</sup> بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا عِمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ <sup>(٢)</sup>، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا» <sup>(٣)</sup>.

♦ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» <sup>(٤)</sup>.

♦ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سُورَةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ» <sup>(٥)</sup>.

♦ وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ لَمْ يَرْ مَثَلُهُنَّ قَطُّ؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلْبِ﴾ ، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْثَّالِثِ﴾» <sup>(٦)</sup>.



(١) في ب، ج، د، هـ: «ما نسيتهما»، وفي الرواية في مسلم: «ما نسيتهن».

(٢) أي: ضوء، وهو الشمس. انظر: النهاية لابن الأثير (٥/٢١٣٨).

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٥).

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٩).

(٥) أخرجه مسلم (٨١١).

(٦) أخرجه مسلم (٨١٤).

## المقدمة الثانية

### في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدمة الكلمات التي يكثر دَوْرُها في القرآن، أو تقع فيه في موضعين فأكثر، من الأسماء والأفعال والحروف.

وَأَمَّا جَمْعُهَا<sup>(١)</sup> في هذا الباب لثلاثِ فوائد:

- ◀ **إحداها:** تيسيرها للحفظ؛ فإنها وقعت في القرآن متفرقة، فجمعُها أسهل لحفظها.
  - ◀ **والثانية:** ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، كما أن تواليف القراءات جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدَّور.
  - ◀ **والثالثة:** الاختصار، فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن؛ خوفَ التطويل بتكرارها.
- وربما نبهنا على بعضها؛ للحاجة إلى ذلك.
- ورتبناها في هذا الباب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسيرَ كلمة في موضعها من القرآن فليَنظُرْها في هذا الباب.
- واعتبرنا في هذه الحروف الحرفَ الذي يكون فاءَ الكلمة وهو الأصلي، دون الحروف الزوائد في أول الكلمات.



(١) في ب، ج، د: «جعلناها».

حرف الهمزة<sup>(١)</sup>

١. آية: لها معنيان:  
أحدهما: عبرة وبرهان.
- والثاني: آية من القرآن، وهي كلام متصل إلى الفاصلة، والفواصل: هي رؤوس الآيات.
٢. أتى بقصر الهمزة: معناه: جاء، ومضارعه: يأتي، ومصدره: إتيان، واسم الفاعل منه: آتٍ، واسم المفعول منه: مأتي؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَدُّهُ مَا تِيًّا﴾ [مريم: ٦١].
٣. وآتى بمد الهمزة: معناه: أعطى، ومضارعه: يؤتي، ومصدره: إيتاء، واسم الفاعل: مؤتٍ؛ ومنه: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦١].
٤. أبى يأبى: أي: امتنع.
٥. أثار الشيء: بقيته وأمارته، وجمعه: آثار.
- والأثر -أيضا-: الحديث.
- و﴿أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٣]: بقية.
- ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ [الروم: ٨]: حرثوها.
- وآثر الرجل الشيء يؤثره: أي: فضله.

(١) يلحظ المطالع لهذه المقدمة في اللغات أن ترتيب حروف الهجاء فيها يختلف عما هو سائد ومألوف عند المشاركة، وذلك لأن المؤلف ﷺ اتبع طريقة أهل جهته المغاربة في ترتيب حروف الهجاء، فالمغاربة والمشاركة يتحدون في ترتيب الحروف الهجائية المفردة إلى حرف الزاي ثم بعد ذلك يحصل خلاف بينهم في ترتيب بقية الحروف، يقول القلقشندي في «صبح الأعشى» (٣/ ٢٢): «واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين: مفرد ومزدوج، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب، أما المفرد: فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب:

أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، لا، ي.

وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب:

أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، لا، ي.

٦. إثم: ذنب؛ ومنه: ﴿ءَاثِمٌ﴾ و﴿أَثِيمٌ﴾ أي: مذنب.

٧. أجر: ثواب.

وبمعنى: الأجرة؛ ومنه: ﴿إِسْتَجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦]، و﴿عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ [القصص: ٢٧].

وأما: ﴿إِسْتَجَارَكَ بِأَجْرِهِ﴾ [التوبة: ٦] ﴿وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ [الاحقاف: ٣٠]

و﴿لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ٢٢] ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٩] =

فذلك كله من الجوار؛ بمعنى: التأمين.

٨. آمن إيماناً أي: صدق.

والإيمان في اللغة: التصديق مطلقاً.

وفي الشرع: التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والمؤمن في الشرع: المصدق بهذه الأمور.

والمؤمن اسم الله تعالى، أي: المصدق لنفسه، وقيل: إنه من الأمن، أي: يؤمن

أولياءه من عذابه<sup>(١)</sup>.

(١) [التعليق]: قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله ﷺ: «الإيمان في اللغة: التصديق مطلقاً»: أقول: هذا هو

المشهور عند اللغويين وجمهور المفسرين، وهذا التفسير للإيمان أشهر ما احتج به المرجئة القائلون بأن الإيمان هو التصديق؛ يعنون به تصديق القلب. والقول بأن الإيمان هو التصديق مطلقاً، يقتضي أن كل تصديق إيمان. وخالف في ذلك الإمام ابن تيمية ﷺ؛ فذكر أن الإيمان في اللغة تصديق خاص، وهو التصديق فيما يؤتمن عليه المخبر؛ كالإخبار عن الأمور الغائبة؛ فلا يقال لمن صدق مخبراً عن طلوع الشمس: «آمن له»، بل صدقه؛ لأن طلوع الشمس من الأمور الحسنية الظاهرة.

وقوله: «والإيمان في الشرع: هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»: أقول: نعم؛ هذا هو الإيمان في الشرع بمعنى الخاص المتعلق بالاعتقاد، ويطلق الإيمان في الشرع إطلاقاً عاماً يشمل جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة؛ يدل لذلك قوله ﷺ: «الإيمان يضع وسبعون شعبة، أغلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» [أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة ر.ه.]. وفي الحديث رد على المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن معنى الإيمان. وعلى ذلك: فيكون الإيمان بمعنى العام اسماً لكل ما شرعه الله من الاعتقادات والأقوال والأعمال؛ ولذا قال أهل السنة: «الإيمان: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالركان».

٩. وأَمِنْ - بقصر الهمزة وكسر الميم - أَمْنًا وَأَمَنَةً: ضدُّ الخوف.

وأَمِنْ - أيضًا -: من الأمانة.

وأَمَّنْ غَيْرَهُ: من التأمين .

١٠. أَلِيمٌ: مؤلِّمٌ أي: موجعٌ؛ ومنه: ﴿تَالْمُؤْنِ﴾ [النساء: ١٠٣].

١١. إِمَامٌ: له أربعة معانٍ:

[١] القدوة.

[٢] والكتاب.

[٣] والطريق.

[٤] وجمع «أَمٍّ» أي: تابعٌ؛ وهو: ﴿لِلْمُتَّفِقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

١٢. أُمَّةٌ: لها أربعة معانٍ:

[١] الجماعة من الناس.

[٢] والذِّين.

[٣] والحين.

[٤] والإمام؛ أي: القدوة.

١٣. أُمِّيٌّ: لا يقرأ ولا يكتب؛ ولذلك وصف العرب بالأُمِّيِّين.

١٤. أُمٌّ: لها معنيان:

[١] الوالدة.

[٢] والأصل.

وأم القرى: مكة .

١٥. أُخْرَى: مؤنثة: آخر، وآخر.

١٦. آلٌ: له معنيان:

[١] الأهل؛ ومنه: ﴿آلُ لُوطٍ﴾ [الحجر: ٦١].

[٢] والأتباع والجنود؛ ومنه: ﴿عَالُ بَرْعُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

١٧. أمس: اليوم الذي قبل يومك.  
والزمان الماضي.
١٨. إناء: وقته، وجمعه: آناء؛ ومنه: ﴿إِنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ١٠].
١٩. أمر: له معنيان:  
أحدهما: طلب الفعل على الوجوب، أو الندب، أو الإباحة.  
وقد تأتي صيغة الأمر لغير الطلب، كالتهديد، والتعجيز، والتعجب، والخبر.  
والثاني: بمعنى الشأن والصفة.  
وقد يراد به العذاب؛ ومنه: ﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: ٥٧].
٢٠. إسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وهو والد الأسباط، واليهود من ذريتهم.
٢١. إياب: رجوع؛ ومنه: ﴿مَائِبٌ﴾ أي: مرجع.  
و«رجل أواب»: كثير الرجوع إلى الله.
- والتأويب: التسبيح؛ ومنه: ﴿يَتَجَبَّلُ أَوْبِي﴾ [سبا: ١٠].
٢٢. إفك: أشد الكذب، والأفاك: الكذاب.  
وأفك الرجل عن الشيء: أي: صرف عنه؛ ومنه: ﴿ثَوَقَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٦].
٢٣. أوى الرجل إلى الموضع - بالقصر -  
وآواه غيره - بالمد -؛ ومنه: ﴿أَلْمَأُؤِي﴾ [النازعات: ٤٠].
٢٤. أف: كلمة شر.
٢٥. آلاء الله: نعمته؛ ومنه: ﴿ءَالَاءِ رَبِّكُمَا﴾ [الرحمن: ١١].
٢٦. أسف: له معنيان:  
[١] الحزن.  
[٢] والغضب؛ ومنه: ﴿بَلَمَّآءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥].
٢٧. إسوة - بكسر الهمزة وضمها -: قدوة.



٢٨. أَسَى الرجلُ يَأْسَى أَسَى أَي: حَزِنَ؛ ومنه: ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ [المائدة: ٢٨] و﴿بَكَتِفَ أَسَى﴾ [الأعراف: ٩٢].

٢٩. أَذَانٌ - بالقصر -: إعلَامٌ بالشيء؛ ومنه الأذان بالصلاة. والأذان - بالمد -: جمع أذن.

٣٠. أَذِنَ اللهُ: يَأْتِي بمعنى: العلم، والأمر، والإرادة، والإباحة. وأَذِنْتُ بالشيء: عَلِمْتُ<sup>(١)</sup> به - بكسر الذال -، وأَذِنْتُ به غيري - بالمد -. ٣١. إِصْرٌ: له معنيان:

[١] الثَّقْلُ.

[٢] والعَهْدُ.

٣٢. أَيْدٌ: قُوَّةٌ؛ ومنه: ﴿وَأَيَّدْتُهُ﴾ [البقرة: ٨٦]، و﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]. والأيدي: جمع يَدٍ، فهمزتها زائدة.

٣٣. أَكَلٌ - بضم الهمزة -: اسم المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها. والأَكْلُ - بفتح الهمزة -: المصدر.

٣٤. أَيْكَةٌ: غَيْصَةٌ.

٣٥. أَثَاثٌ: متاع البيت.

٣٦. أَجَاجٌ: مُرٌّ.

٣٧. أَرَاثُكَ: أَسِرَّةٌ، واحدها: أَرِيكة.

٣٨. آتِيَةٌ: له معنيان:

[١] جمعُ إِنْاءٍ؛ ومنه: ﴿يَتَانِيَتُهُ مِمَّنْ بَضَّةٌ﴾ [الإنسان: ١٥].

[٢] وشديدة الحرِّ؛ ومنه: ﴿عَيْنٍ آتِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥].

(١) في ب، د: «اعلمت».

ووزن الأول: أفعلَةٌ،

والثاني: فاعلةٌ، ومذكَّرها: آني؛ ومنه: ﴿حَيِّمِ الْيَتَامَى﴾ [الرحمن: ٤٣].

٣٩. أَحَدٌ: له معنيان:

[١] واحدٌ؛ ومنه: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

[٢] واسمٌ نفِيٍّ، بمعنى: إنسان.

٤٠. أَيَّانَ: معناه: متى.

٤١. أَنَّى: بمعنى: كيف، ومتى، وأين.

٤٢. إِنَّ المكسورة المشدَّدة: للتأكيد.

والمفتوحة المشدَّدة: مصدرية.

٤٣. إِنَّمَا: للحصر.

٤٤. إِني المكسورة المخففة: أربعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] ونافية.

[٣] وزائدة.

[٤] ومخففة من الثقيلة.

٤٥. أَنُ المفتوحة المخففة: أربعة أنواع:

[١] مصدرية.

[٢] وزائدة.

[٣] ومخففة من الثقيلة.

[٤] وعبارةٌ عن القول.

٤٦. إِذَا: نوعان:

[١] ظرفُ زمانٍ مستقبلٍ، ومعناها الشرط، وقد تخلو عن الشرط.

[٢] وفُجائيةٌ.



٤٧. إذ: لها معنيان:

[١] ظرفُ زمانٍ ماضٍ.

[٢] وسببيةٌ للتعليل.

٤٨. أو:

[أ-] العاطفة: لها خمسة معان:

[١] الشكُّ.

[٢] والإيهام.

[٣] والتخيير.

[٤] والإباحة.

[٥] والتنويع<sup>(١)</sup>.

[ب-] والناصبَةُ للفعل: بمعنى: «إلى أن»، أو: «إلا أن»، أو: «كي».

٤٩. أم: استفهامٌ، وقد يكون فيها معنى<sup>(٢)</sup> الإنكار، أو الإضراب.

وتكون:

متصلة؛ للمعادلة بين ما قبلها وما بعدها.

ومنفصلةٌ مما قبلها.

٥٠. إمَّا المكسورة المشددة: للتنويع، والشك، والتخيير.

وقد تكون مركبةً من «إن» الشرطية و«ما» الزائدة.

٥١. أمَّا المفتوحة المشددة: للتقسيم، والتفصيل.

٥٢. ألا المفتوحة المخففة: للتنبيه، والاستفتاح، والتوبيخ، والعرض، والتمني.

٥٣. إلَّا المكسورة المشددة: استثناءً.

وتكون للإيجاب بعد غير الواجب.

وتكون مركبةً من «إن» الشرطية و«لا» النافية.

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٢) في ب: «وقد يكون بمعنى».

٥٤. أيُّ المشددة: سبعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] واستفهامية.

[٣] وموصولة.

[٤] ومنادى.

[٥] وصفة.

[٦] وظرفية إذا أُضيفت إلى ظرف.

[٧] ومصدرية إذا أُضيفت إلى مصدر.

٥٥. إيُّ المكسورة المخففة: معناها: التَّصديق.

٥٦. إلى: معناها: انتهاء الغاية.

وقد<sup>(١)</sup> تكون بمعنى «مع».

٥٧. الهمزة: للاستفهام، والتقرير، والتوبيخ، والنِّداء، والتسوية، وللمتكلم، وأصلية، وزائدة؛ للبناء.

### حرف الباء

٥٨. باريُّ: خالق، ومنه: ﴿الْبَرِيَّةَ﴾ [البينة: ٦] أي: الخلق.

٥٩. بَعَثَ: له معنيان:

[١] بَعَثَ الرسل.

[٢] وبعث الموتى من القبور.

٦٠. بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ: وسَّعه، وضده: قَبَضَ وقَدَّرَ الرِّزْقَ أي: ضَيَّقَه.

ومن أسماء الله تعالى: القابض والباسط.

و﴿بَسْطَةً﴾: زيادة.

(١) في أ، ب: «وقيل».



٦١. بَشَّرَ: مِنَ الْبَشَارَةِ، وَهِيَ: الْإِعْلَامُ بِالْخَيْرِ قَبْلَ وُرُودِهِ.

وقد تكون للشر إذا ذُكِرَ معها.

ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه: الْمُبَشِّرُ وَالْبَشِيرُ.

وَاسْتَبَشَّرَ بِالشَّيْءِ: فَرَحَ بِهِ.

٦٢. بُعِدَ: لَهُ مَعْنِيَانِ:

[١] ضِدُّ الْقُرْبِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ: بَعُدَ -بِضْمِ الْعَيْنِ-.

[٢] وَالْهَلَاكُ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ: بَكَسَرِهَا، وَمِنْهُ: ﴿كَأَمَّا بَعْدَتْ ثُمُودٌ﴾ [هود: ٩٥].

٦٣. بَلَاءٌ: لَهُ مَعْنِيَانِ:

[١] الْعَذَابُ.

[٢] وَالِاخْتِبَارُ، وَمِنْهُ: ﴿إِنِّيَبَلِّئُ﴾ [البقرة: ١٢٣] و﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٦٤. بَرٌّ: لَهُ مَعْنِيَانِ:

[١] الْكِرَامَةُ، وَمِنْهُ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ، و﴿أَنْ تَبَرَّوهُمْ﴾ [المنحنة: ٨].

[٢] وَالتَّقْوَى وَالْجَمْعُ لَخِصَالِ الْخَيْرِ، وَمِنْهُ: ﴿أَلْبِرُّ مَنِ انْتَفَى﴾ [البقرة: ١٨٨].

وَرَجُلٌ بَارٌّ وَبَرٌّ، وَجَمْعُهُ<sup>(١)</sup>: أَبْرَارٌ.

وَالْبَرُّ: مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

٦٥. بَاتَ: مَعْرُوفٌ، وَمَصْدَرُهُ بَيَاتٌ.

وَبَيَّتَ الْأَمْرَ: دَبَّرَهُ بِاللَّيْلِ.

٦٦. بَغْتَةً: فَجْأَةً.

٦٧. بُرُوجٌ: جَمْعُ بُرْجٍ، وَهُوَ الْحِصْنُ.

وَبُرُوجُ السَّمَاءِ: مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

(١) فِي ب، ج، هـ: «وَالْجَمْعُ».



٦٨. بَيَّنَّ: ظرفٌ.

وبين يدي الشيء: ما تقدم قبله.

والْبَيِّنُ: الفراق والاجتماع؛ لأنه من الأضداد.

٦٩. بَيِّنَاتٌ: براهين من المعجزات وغيرها.

ومبيّنة: من البيان.

٧٠. مُبَيِّنٌ<sup>(١)</sup>: من البيان، وله معنيان:

[١] بَيِّنٌ غير متعدي.

[٢] ومبيِّنٌ لغيره.

٧١. بدا يبدو - بغير همز -: ظَهَرَ، وأبديته: أظهرته.

والبادي - أيضًا -: من البادية، ومنه: ﴿بَادُونَ فِي الْأَغْرَابِ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

٧٢. بدأ - بالهمز -: من الابتداء، ويقال: بدأ الله<sup>(٢)</sup> الخلق، وأبدأه. وقد جاء القرآنُ

بالوجهين .

٧٣. بَغَى: له معنيان:

[١] العدوان على الناس.

[٢] والحسد.

والبِغَاء - بكسر الباء -: الزنا، ومنه: امرأةٌ بَغْيٌ أي: زانية.

وابتغى الشيء وبغاه: أي: طلبه .

٧٤. بَثَّ الحديثَ وغيره: نشره.

و﴿الْمَبْثُوثُ﴾ [القارعة: ٣]: المنتشر.

و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]: متفرقة.

(١) في هـ: «بَيَّنَّ».

(٢) اسم الله لم يرد في ب، ج، د، هـ.



والبثُّ: الحُزْنُ الشديد؛ ومنه: ﴿أَشْكُوا بَيْتِي﴾ [يوسف: ٨٦].

٧٥. بَوًّا: أنزل الرجل منزلاً؛ ومنه: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٣]، و﴿لَتَنبَوِّئَهُمْ﴾ [النحل: ٤١]، و﴿مُبَوًّا﴾ [يونس: ٩٣].

٧٦. بَوَارٌ: هلاكٌ؛ ومنه: ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨] أي: هلكى.

٧٧. باء بالشيء: رجع به.

وقد يقال بمعنى: اعترف.

٧٨. بأساء: الفقر.

والبؤس: الشدة والمحنة.

و﴿الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٦]: مِنَ الْبُؤْسِ.

والبأس: القتال، والشجاعة، والمكروه.

ويأس الله: عذابه.

ويئس: كلمة ذم.

٧٩. برزخ: شيء بين شيئين.

والبرزخ: ما بين الموت والقيامة.

٨٠. بديع: له معنيان:

[١] جميل.

[٢] ومبدع أي: خالق الشيء ابتداءً.

٨١. بَسَر: عبس، ومنه: ﴿بَاسِرَةً﴾ [القيامة: ٢٣].

٨٢. بصير: مِنَ الْبَصَرِ، يقال: أبصرته، وبصرتُ به<sup>(١)</sup>.

والبصائر: البراهين، جمع بصيرة.

(١) في ج، هـ: «بصرته، وأبصرت به».

٨٣. بَرَزَ: ظهر؛ ومنه: ﴿بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٦]، و﴿بَرِزُونَ﴾ [غافر: ١٥].
٨٤. بطش: أخذ بشدة.
٨٥. بخس: نقص.
٨٦. بعّل: له معنيان:
- [١] زوج المرأة، وجمعه: بُعُولَةٌ.
- [٢] والبعل -أيضاً-: الربُّ، وقيل: اسم صنم؛ ومنه: ﴿أَتَذْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥].
٨٧. بهجة: حُسن، وبهيج: حَسَنٌ.
٨٨. مبلسون: جمع مبلِس، وهو اليائس.
- وقيل: الساكت الذي انقطعت حجته.
- وقيل: الحزين النادم؛ ومنه: ﴿يُبْلِسُ﴾ [الروم: ١١].
- ومنه اشتق: إبليس.
٨٩. بُهت: انقطعت حجته.
٩٠. تبارك: مِن البركة، وهي الكثرة والنماء، وقيل: تقدّس.
٩١. بلى: جوابٌ يقتضي إثبات الشيء.
٩٢. بل: معناها: الإضرابُ عمّا قبلها.
٩٣. الباء: للإلصاق، ولنقل الفعل في التعدي، وللقسم، وللتعليل، وللمصاحبة، وللاستعانة، وظرفية، وزائدة.

### حرف التاء

٩٤. تلا يتلو: له معنيان:

[١] قرأ.

[٢] وتبع.



٩٥. تقوى: مصدرٌ مشتقٌ من الوقاية، فالتاء بدل من واو.  
ومعناه: الخوف، والتزام طاعة الله، وترك معاصيه؛ فهو جماع كل خير.
٩٦. تاب يتوب: رجع، توبةً وتوباً؛ فهو تائب.  
وتوَّاب: كثير التوبة.  
وتوَّاب: اسم الله تعالى أي: كثير التوبة على عباده.  
وتاب الله على العبد:  
ألهمه للتوبة<sup>(١)</sup>.  
أو قبل توبته.
٩٧. تباب: خسران، وتبَّ: خسر.
٩٨. تبارَّ: هلاك؛ ومنه: ﴿مُتَّبَرِّ﴾ [الأعراف: ١٣٩].
٩٩. أترفوا: نَعَمُوا، والمترفون: المنعمون<sup>(٢)</sup> في الدنيا.

### حرف الثاء

١٠٠. ثمود: قبيلة من العرب الأقدمين .
١٠١. ثوى في الموضع: أقام فيه، ومنه: ﴿مَثْوًى﴾ .
١٠٢. ثُبُورٌ: هلاك؛ ومنه: ﴿مَثْبُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٢]، و﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ [الفرقان: ١٣] أي صاحوا: واهلاكاه<sup>(٣)</sup>.
١٠٣. ثمر: ما يؤكل مما تُنبت<sup>(٤)</sup> الأرض.  
ويقال بالفتح والضم.

(١) في د: «التوبة».

(٢) في د: «المنعمون».

(٣) في ب، ج، د، هـ: «هلاكا».

(٤) في ب، ج، هـ: «تنبت».

١٠٤. تُقِفُوا: أخذوا، وظُفِرَ بهم؛ ومنه: ﴿بِمَا تَثَفَّفَنَّهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٨].

١٠٥. ثاقب: مضىءٌ.

١٠٦. ثمَّ:

[أ] بالفتح: ظرف.

[ب] وبالضم: حرف عطف يقتضي الترتيب والمهلة.

وقد يرد لغير الترتيب، كالتأكيد، وترتيب الإخبار.

### حرف الجيم

١٠٧. جعل: لها أربعة معانٍ:

[١] صير.

[٢] وألقى.

[٣] وخلق.

[٤] وأنشأ يفعل كذا.

١٠٨. جَنَاحُ الطائر: معروف.

وجَنَاحُ الإنسان: إبطه، ومنه: ﴿وَاضْمِ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢].

و﴿لَا جَنَاحَ﴾ [البقرة: ٢٣٤]: لا إثم؛ فمعناه: إباحةٌ.

وجَنَحَ للشيء: مال إليه .

١٠٩. لا جَرَمَ: لا بُدَّ.

١١٠. اجتنبى: اختار.

١١١. جدال: مخالفة، ومخاصمة، واحتجاج.

١١٢. تجأرون: تصيحون بالدعاء.

١١٣. جَواري: جمع جارية، وهي السفينة.

١١٤. أجرم فهو مُجرّم له معنيان:

[١] الكفر.

[٢] العصيان.

١١٥. جِنَّ: الجنون.

وقد جاء بمعنى الملائكة.

١١٦. جَانٌّ: له معنيان:

[١] الجنون<sup>(١)</sup>.

[٢] والحيّة الصغيرة.

١١٧. جَنَّةٌ: بالفتح: البستان.

وبالكسر: الجنون.

وبالضم: الثرس وما أشبهه مما يُستتر به؛ ومنه استعير: ﴿أَيْمَنَهُمْ جَنَّةٌ﴾ [المجادلة: ١٦].

١١٨. جاثية: أي: على رُكبهم؛ لا يستطيعون القيام؛ مما هم فيه.

وقوله: ﴿جَثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]: جمع جاثٍ.

١١٩. الْجُرُز: الأرض التي لا نبات فيها.

١٢٠. جاثمين: باركين على ركبهم.

١٢١. جَبَّار: اسم الله تعالى له معنيان:

[١] قهار.

[٢] ومتكبر.

(١) تفسير هذه الكلمة والكلمة التي قبلها - وهي «جِنَّ» - بالجنون مشكّل؛ ولم أقف بعد البحث على مَنْ فسرها بذلك، فلعله وهمٌ أو سبق قلم، ولعل صواب تفسير هاتين الكلمتين: أنهم الجنُّ المعروفون المخلوقون من النار، قال المؤلف في تفسير آية «الرحمن»: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ..﴾: «الجانُّ: الجنُّ، يعني: إبليس والد الجن»، وجاء في «تحفة الأريب» لأبي حيان الأندلسي (ص: ٩٠): «جَانٌّ: واحد الجن، وجنسٌ من الحيّات»، وانظر تفسير المؤلف لآية «الكهف»: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ وآية «النمل»: ﴿كَانَتْهَا جَانٌّ﴾.

وقد يكون من الجبر للكَسِير وشبهه.

والجَبَّار -أيضاً-: الظالم.

١٢٢. أجداث: قبور.

١٢٣. جَزَى: له معنيان:

[١] من الجزاء بالخير والشر.

[٢] وبمعنى أغنى؛ ومنه: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ [البقرة: ٤٧].

وأما أجزأ بالهمز فمعناه: كفى.

١٢٤. جَرَح: له معنيان:

[١] من الجُروح.

[٢] وبمعنى: الكسب والعمل؛ ومنه: ﴿جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦١]، و﴿اجْتَرَحُوا

السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢٠].

ولذلك سُميت كلاب الصيد: جوارح؛ لأنها كواسب لأهلها.

١٢٥. جُنِب: له معنيان:

[١] من الجنابة.

[٢] وبمعنى: البُعد؛ ومنه: ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ [القصص: ١٠].

### حرف الحاء

١٢٦. حمدٌ: هو الثناء، سواء كان جزاءً على نعمة، أو ابتداءً، والشُّكر إنما يكون جزاءً؛

فالحمد من هذا الوجه أعمُّ.

والشكر باللسان والقلب والجوارح، ولا يكون الحمد إلا باللسان؛ فالشكر من هذا

الوجه أعمُّ.

وحميدٌ: اسم الله تعالى، أي: محمودٌ.



١٢٧. حكمة: عقل<sup>(١)</sup>، أو علم.

وقيل في: ﴿الْحِكْمَةُ وَالْحِكْمَةُ﴾ [البقرة: ١٢٨]: هي السنة.

١٢٨. حكيم: اسم الله تعالى، من:

الحكمة.

أو من الحكم بين العباد.

أو من إحكام الأمور وإتقانها.

١٢٩. حلیم: الحلم: العقل.

وقد يقال بمعنى: العفو.

والأحلام: العقول.

والحلیم: من أسماء الله تعالى:

قيل: الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

وقيل: معناه العفو عن الذنوب.

وأحلام النوم: ما يُرى في المنام.

١٣٠. حبط: بطل، وأحبطه الله: أبطله.

١٣١. حنيف: مسلم وموحد لله.

وقيل: حاج.

وقيل: مختين.

وجمعه: حنفاء.

١٣٢. محصنين ومحصنات: الإحصان له أربع معان:

[١] الإسلام.

[٢] الحرية.

(١) في د: «كمال».

[٣] والعفاف.

[٤] والتزوّج.

و ﴿لِيُخَصِّنْكُمْ مِّنْ بِأَسِيَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٧٩]: يقيكم.

١٣٣. حُجَّة - بالضم -: دليل وبرهان.

وحاجّ فلان فلاناً: جادله، وحجّة: غلبه بالحجة.

والحجّ - بالفتح والكسر -: القصد؛ ومنه أخذ: ﴿حَجَّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وحجّة - بالكسر -: سنّة، وجمعها: حجج.

١٣٤. حِطَّة: أي: حُطَّ عنا ذنوبنا.

وقيل: هي كلمة بالعبرانية تفسرها: «لا إله إلا الله».

١٣٥. حضر: بالضاد: من الحضور؛ ومنه: ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ [الروم: ١٥]، و﴿شَرِبَ مُخْتَضِرٌ﴾

[القمر: ٢٨].

وبالطاء: من المنع؛ ومنه: ﴿وَمَا كَانَ عِطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، و﴿كَهَشِيمِ

الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١].

وبالذال: من الحذر وهو الخوف؛ ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

١٣٦. حِفْظُ العلم: وَغِيهِ، وحِفْظُ الشيء: حراسته.

والحفيظ: اسم الله تعالى:

قيل: معناه العليم.

وقيل: حافظ الخلق، أي: كالثّهم من المهالك.

١٣٧. حاق بهم: حلّ بهم.

١٣٨. حبل من الله ومن الناس: أي: عهد.

وحبل الله: القرآن.

وأصله: الحبل المعروف.

١٣٩. حَسِبَ - بكسر السين -: ظنَّ، ومضارعه: بالفتح والكسر.

وحَسَبَ - بالفتح -: من العدد، ومضارعه: يحسُب بالضم؛ ومنه: الحساب، والحُسابان.

و﴿حُسْبِنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٣٩] أي: مَرَامٍ، واحدها: حُسبانَةٌ.

١٤٠. حساب: من الظنِّ، ومن العدد.

و﴿يَغْيِرُ حِسَابٍ﴾ يحتمل: الوجهين.

وأن يكون: من المحاسبة، أي: لا يحاسب عليه.

ومن التقدير، أي: بغير تضيق.

و﴿عَظَاءٌ حِسَابًا﴾ [النبا: ٣٦] أي: كافياً.

١٤١. حسيب: اسم الله تعالى، فيه أربعة أقوال:

[١] كافٍ.

[٢] وعالمٌ.

[٣] وقادرٌ.

[٤] ومحاسبٌ.

١٤٢. حَسْبُكَ الله: أي: كافيك.

١٤٣. حُزْنٌ: تَأْسُفٌ على ماضٍ أو حال.

والخوف: تَوْقُعٌ في المستقبل.

ويقال: حَزَنَ بكسر الزاي، وحَزَنَهُ غيرُه بفتحها، وأحزنه -أيضاً-.

١٤٤. حصيرٌ: مُحْبَسٌ؛ من الحضر.

وأحصر عن الشيء: حُبَسَ عنه.

وحسير -بالسين -: كَلِيلٌ.

١٤٥. حصيد: هو ما يحصد من الزرع وغيره.

واستعير منه: ﴿فَأَيِّمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠] أي: باقٍ وذهابٌ.

١٤٦. حميم: له معنيان:

[١] الصديق<sup>(١)</sup>.

[٢] والماء الحار.

١٤٧. محيص: مهرب.

١٤٨. حَجَر: له أربعة معان:

[١] الحرام.

[٢] والعقل.

[٣] ومنازل ثمود.

[٤] وحجر الكعبة.

١٤٩. حَمْلٌ - بكسر الحاء -: ما على ظهر الدابة وغيرها، ويستعار للذنوب.

وبالفتح: ما في بطن المرأة، وجمعه: أحمال.

١٥٠. إحسان: له ثلاثة معان:

[١] فعل الحسنات.

[٢] والإنعام على الناس.

[٣] ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»<sup>(٢)</sup>.

١٥١. حَقٌّ: له أربعة معان:

[١] الصديق.

[٢] والعدل في الحكم.

[٣] والشيء الثابت.

[٤] والأمر الواجب.

(١) في ج، د: «الصديق».

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة ؓ، وأخرجه مسلم - أيضًا - (٨) من

حديث ابن عمر عن أبيه ؓ، وهو ضمن حديث جبريل الطويل.



والحق: اسم الله تعالى، أي: الواجب الوجود<sup>(١)</sup>.

١٥٢. حاصِبٌ: ريح شديدة، سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها ترمي بالحصباء أي: الحصى.

والحاصب -أيضاً-: الحجارة.

١٥٣. حَلِيَّةٌ: حَلِيٌّ.

١٥٤. حَرْجٌ: ضيق، أو مشقة.

١٥٥. حَوْلٌ: له معنيان:

[١] العام.

[٢] والحيلة.

و﴿جَوْلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] -بكسر الحاء-: انتقالاً.

١٥٦. حَرُثُ الأرض: مصدر، ثم استعمل بمعنى: الأرض، والزرع، والجنات.

١٥٧. حَسٌّ -بغير ألف-: قتل؛ ومنه: ﴿إِذْ تَحْسَوْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وأحسٌ: من الحسِّ.

١٥٨. حُرْمٌ -بضمين-: محرمون بالحج.

١٥٩. حُقْبٌ -بضمين- وأحقابٌ: جمع حُقْبٍ؛ وهو مدَّةٌ من الدهر، يقال: إنها ثمانون سنة.

١٦٠. حَفَ الشيءُ بالشيءِ: أطاف<sup>(٢)</sup> به من جوانبه، ومنه: ﴿وَحَقِّقْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف: ٣٢]

و﴿الْمَلَكَةِ حَاقِيَيْنِ﴾ [الزمر: ٧٢].

(١) [التعليق ٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «أي: الواجب الوجود»: أقول: هذا من معنى اسمِ تعالى

الحَقُّ، ويدخُلُ في معنى هذا الاسمِ «الحَقُّ»: أنه الموصوفُ بكلِّ كمال، المنزَّه عن كلِّ نقص، وأنه الإلهُ

الحَقُّ، ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، فيدخُلُ في معنى هذا الاسمِ: جميعُ أسمائه الحسنِ، وصفاته العلا.

س: هل يصحُّ إطلاقُ «واجبِ الوجودِ» على الله تعالى؟

ج: نعم؛ يجوزُ إطلاقُ «واجبِ الوجودِ» على الله تعالى خبراً، لا اسماً؛ فهو تعالى واجبُ الوجودِ؛ أي:

لا يجوزُ عليه الحدوثُ ولا العدمُ، وليس ذلك من الأسماءِ الحسنِ التي يُدعى بها

(٢) في د: «أحاط».

١٦١. حَلَّ بالمكان: يَحِلُّ - بالضم والكسر - .  
 وحَلَّ من إحرامه: يَحِلُّ - بالكسر<sup>(١)</sup> لا غير - .  
 ١٦٢. حطامٌ: فُتَاتٌ .  
 والحطام: ما تحطَّم من عيدان الزرع اليابس .

### حرف الخاء

١٦٣. خَلَقَ: له معنيان:  
 [١] من الخِلْقَة؛ ومنه: الخالق اسم الله، والخلَّاق .  
 [٢] وخلق الرجلُ: كَذَبَ؛ ومنه: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٦] و﴿إِخْتَلَقُوا﴾ [ص: ٦] أي: كَذَبُوا .  
 ١٦٤. خَلَّاقٌ: نصيب .  
 ١٦٥. خيرٌ: ضد الشرِّ، وله أربعة معانٍ:  
 [١] العمل الصالح .  
 [٢] والمال .  
 [٣] والخَيْرَة .  
 [٤] والتفضيل بين شيئين .  
 ١٦٦. خلا: له معنيان:  
 [١] من الخَلْوَة .  
 [٢] وبمعنى: ذَهَبَ وتقدَّم؛ ومنه: ﴿أُمَّةٌ فَذْ خَلَّتْ﴾ [البقرة: ١٣٣] .  
 ١٦٧. خطيئة: ذَنْبٌ، وجمعه: خطايا وخطيئات، والفعل منه: خَطِئَ، فهو خاطئٌ .  
 وأما الخطأ بغير عمد؛ فالفعل منه: أخطأ .  
 ١٦٨. خاسئين: مطرودين؛ من قولك: خَسَّاتُ الكلبِ، ومنه: ﴿إِخْسَؤْا فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٩] .

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، د، هـ .

١٦٩. خَلَفٌ - بفتح الخاء وإسكان اللام - له معنيان:

[١] وراء.

[٢] وَمَنْ خَلَفَ سَلْفَهُ بَشَرٌ.

فإذا خَلَفَهُ بخير قيل بفتح اللام.

١٧٠. خِلَافٌ: له معنيان:

[١] من المخالفة.

[٢] وبمعنى: بَعْدَ أو دُونُ؛ ومنه: ﴿يَتَفَعَّدُهُمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨٢].

١٧١. حَوَّلَ: أعطى.

١٧٢. خُلَّةٌ - بضم الخاء -؛ مودَّةٌ؛ ومنه: الخليل، وجمعه: أَخِلَاءٌ.

١٧٣. خِلَالٌ: له معنيان:

[١] وِدَادٌ؛ ومنه: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

[٢] وبمعنى: بَيْنَ؛ ومنه: ﴿خِلَالِ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥] و﴿خِلَالَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

١٧٤. خَرَّ يَخِرُّ: سقط على وجهه.

١٧٥. خَامِدِينَ: مَيِّتِينَ<sup>(١)</sup> هالكين، وأصله: من خمود النار.

١٧٦. خَطْبٌ: خبرٌ.

والخطب - أيضًا -: الأمر العظيم.

وخطبة النساء: بالكسر.

وخطبة الخطيب: بالضم.

١٧٧. خَرَّاصُونَ: كَذَّابُونَ؛ ومنه: ﴿يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٧].

والخَرْص - أيضًا -: التقدير؛ وقيل: إِنَّ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ منه؛ أي: يقولون بالظن من

غير تحقيق.

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

١٧٨. حَبَالٌ: شُرٌّ.  
 ١٧٩. خَوَانٌ: كثير الخيانة.  
 ١٨٠. مختال: من الخيلاء.  
 ١٨١. خَتَّارٌ: غَدَّارٌ؛ مِنْ: خَتَرَ العهدِ.  
 ١٨٢. مخمصةٌ: مِنْ الخَمَصِ؛ وهو الجوع.  
 ١٨٣. أخذان: جمع خِذْنٍ؛ وهو الخليل.  
 ١٨٤. خَرَجٌ وَخَرْجٌ: أي: أجرة، أو عطيةٌ.

### حرف الدال

١٨٥. دين: له خمسة معان:  
 [١] المَلَّةُ.  
 [٢] والعادة.  
 [٣] والجزاء.  
 [٤] والحساب.  
 [٥] والقهر.  
 ١٨٦. أدنى: له معنيان:  
 [١] أقرب؛ فهو من الدنوِّ.  
 [٢] وأقلُّ؛ فهو من الدنيءِ الحقيرِ.  
 ١٨٧. دَابٌّ: له معنيان:  
 [١] عادةً.  
 [٢] وجدٌّ وملازمة؛ ومنه: ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ [يوسف: ٤٧] أي: متتابعةً للزراعة؛ من قولك: دَابْتُ عَلَى الشَّيْءِ: دمت عليه.

١٨٨. دار السلام: الجنة.

١٨٩. دوائر: صروف الدهر، واحدها: دائرة؛ ومنه: ﴿ذَآيِرَةُ السَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٩].

١٩٠. دعاء: له خمسة معان:

[١] الطلب من الله.

[٢] والعبادة؛ ومنه: ﴿تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

[٣] والتمني: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ [يس: ٥٦].

[٤] والنداء؛ ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢].

[٥] والدعوة إلى الشيء؛ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

١٩١. دابة: كل ما يدب، فتعم<sup>(١)</sup> جميع الحيوان.

١٩٢. دحور: إبعاد؛ ومنه: المدحور: المطرود.

١٩٣. دغ - بتشديد العين - يدغ أي: دفع بعنف؛ ومنه: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، و﴿

يَدْعُونَ إِلَى بَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: ١٢].

١٩٤. درأ: دفع؛ ومنه: ﴿وَيَذْرَءُونَ﴾ [الرعد: ٢٤].

١٩٥. مدراراً: من: درأ المطر: إذا صب.

١٩٦. داخرين: صاغرین.

١٩٧. دكَّت الأرض: أي<sup>(٢)</sup>: دُكَّت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض؛ ومنه: ﴿جَعَلَهُ

دَكَاً﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: مستوياً مع الأرض.

(١) في ب، ج، هـ: «تجمع».

(٢) في أ: «إذا».

## حرف الذال

١٩٨. ذَكَرٌ: له أربعة معان:

[١] ضد النسيان.

[٢] والذكر باللسان.

[٣] والقرآن؛ ومنه: ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩].

[٤] والشرف.

و﴿مَذْكِرٌ﴾ [القمر: ١٥]: مفتعل من الذكر.

١٩٩. ذنوب: بضم الذال: جمع ذَنْب.

وبالفتح: النَّصِيب؛ ومنه: ﴿ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩] أي: نصيباً من العذاب.

والذنوب -أيضاً-: الدَّلُو.

٢٠٠. ذَبَحٌ: بكسر الذال: المذبوح، وبالفتح: المصدر.

٢٠١. ذرأ: خلق ونشر.

٢٠٢. ذَلُولٌ: مُذَلَّلَةٌ للعمل؛ من الذَّل -بكسر الذال-؛ ومنه: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ [يس: ٧١].

ورجل ذليلٌ: من الذَّل -بالضم-.

و﴿وَذَلَّلْتُ فَطَوَفَهَا﴾ [الإنسان: ١٤]: أدنيت<sup>(١)</sup>.

٢٠٣. أَذْقَان: جمع ذَقْنٍ.

## حرف الراء

٢٠٤. رَبٌّ: له أربعة معان:

[١] الإله.

[٢] والسيد.

(١) في ج، هـ: «أي: دنيت».

[٣] والمالك للشيء.

[٤] والمصلح للأمر.

٢٠٥. رَبِّ: شك؛ ومنه: ﴿إِزْثَابُوا﴾ [النور: ٤٨]، و﴿مُرِيبٌ﴾ [هود: ٦٢].

و﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٢٨]: حوادث الدهر.

٢٠٦. رَجَعَ: يستعمل متعديًا بمعنى: ردّ، وغير متعدّ.

والمرجع: اسم مصدر، أو زمان، أو مكان؛ من الرجوع.

٢٠٧. رَعَى: له معنيان:

[١] من النظر.

[٢] ومن رعى الغنم.

٢٠٨. رُوحٌ: له أربعة معان:

[١] النفس التي بها الحياة؛ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

[٢] والوحي؛ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [النحل: ٢].

[٣] وجبريل؛ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

[٤] وملكٌ عظيم؛ ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ [القدر: ٤].

ورُوحٌ - بفتح الراء -: رائحة طيبة.

والرَّيحان: الرزق، وقيل: الشجر المعروف.

٢٠٩. رُكَّامٌ: بعضه فوق بعض؛ ومنه: ﴿مَزْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٢]، و﴿فَيَرْكُمَهُ﴾ [الأنفال: ٣٧].

٢١٠. رجا: طمع.

وقد يستعمل في الخوف؛ ﴿يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ٧].

٢١١. رجالٌ: جمع رجل.

وجمع راجلٍ أي: غير راكب؛ ومنه: ﴿يَأْتُونَكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٥]، ومثله: ﴿يَخِيلُكَ

وَرَجُلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

٢١٢. رَفْتُ: له معنيان:

[١] الجماع.

[٢] والكلام بهذا المعنى.

٢١٣. رَجَزٌ: عذابٌ، إِلَّا<sup>(١)</sup>: ﴿وَالرَّجْزَ بَأْهَجَرُ﴾ [المدثر: ٥]؛ فهي الأوثان.

والرَّجَس - بالسين - : النجس؛ حقيقةً، أو مجازًا.

وقد يستعمل بمعنى العذاب.

٢١٤. رَهَبٌ: خوفٌ؛ ومنه: ﴿يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

٢١٥. رَوْوفٌ: من الرَّأْفَةِ، وهي الرحمة.

إِلَّا أن الرَّأْفَةَ في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل؛ فهي أعمُّ من الرَّأْفَةِ.

٢١٦. مرضاةٌ: مَفْعَلَةٌ من الرُّضَا.

٢١٧. راسياتٌ: ثابتات؛ ومنه قيل للجبال: رواسي، ومنه: ﴿مُرْسِيَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ثبوتها.

٢١٨. رَغْدًا: كثيرًا.

٢١٩. ربوةٌ: مكان مرتفع.

٢٢٠. ربا: هو في اللغة: الزيادة؛ ومنه: ﴿وَيَزِيهِ الصَّدَقَتِ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وربت الأرض: انتفخت.

٢٢١. أرحام: جمع رَحِمٍ؛ وهو فرج المرأة.

ويستعمل - أيضًا - في القرابة.

٢٢٢. أَرْجِه: أَخْزِه؛ ومنه: ﴿تَرْجِي﴾ [الأحزاب: ٥١]، و﴿مَرْجُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

ويجوز فيه: الهمز، وتركه.

(١) في د: «رجز: له معنيان: عذاب، والرجز...».



٢٢٣. رأى<sup>(١)</sup>: من رؤية العين<sup>(٢)</sup>: يتعدى إلى واحد.

ومن رؤية القلب -بمعنى العلم-: يتعدى إلى مفعولين.

٢٢٤. تربَّصَ: انتظر.

٢٢٥. رفاتٌ: فُتات.

٢٢٦. أرذل العمر: الهرم.

و﴿الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]: من الرُّذالة.

٢٢٧. رَقِيَ: من الرُّقية بفتح القاف؛ ومنه: ﴿وَفِيلٌ مِّن رَّائِي﴾ [القيامة: ٢٦].

ورَقِيَ في السُّلَم: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٢٨. أَرْدَاكُمْ: أهلككم، والرَدَى: الهلاك؛ ومنه: ﴿لَتَرْدِيَنَّ﴾ [الصفات: ٥٦]، و﴿تَرْدِيَّ﴾

[الليل: ١١].

٢٢٩. رجفةٌ: زلزلةٌ وشدة<sup>(٣)</sup>.

### حرف الزاي

٢٣٠. زُبُرٌ -بضمتين-: كُتُبٌ.

والزُّبُور: كتاب داود ﷺ.

٢٣١. زُخْرَفٌ: زينةٌ.

والزَّخْرَف -أيضاً-: الذهب.

٢٣٢. زكاة: له في اللغة معنيان: الزيادة، والطهارة.

ثم استعمله الشرع في إعطاء المال؛ وهو من:

الزيادة؛ لأنه يبارك له فيه فيزيد.

(١) في هـ: «أراني».

(٢) في د: «البصر».

(٣) في ب: «شديدة».

أو من الطهارة؛ لأنه يطهره من الذنوب.

وزكَّيت الرجل: أثَّنت عليه.

وزكا هو -مخففة-: أي صار زاكياً<sup>(١)</sup>.

٢٣٣. زوج: له ثلاثة معان:

[١] الرجل.

[٢] والمرأة؛ وقد يقال فيها: زوجة.

[٣] وبمعنى: الصنف والنوع؛ ومنه: ﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٢]، و﴿مِّن

كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٦].

٢٣٤. زَلَّ: له معنيان:

[١] زلَّ القدم عن الموضع.

[٢] وفعل الزَّلَل.

٢٣٥. زَاغَ عن الشيء زَيْغًا: مال عنه، وأزاغه غيره: أَماله.

٢٣٦. زُلْفَى: قربي، و﴿زُلَيْفَتُ﴾: قُرْبَت.

﴿وَزُلْفَاءَ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]: ساعات.

٢٣٧. زَعَمَ: أي: ادَّعى ولم يوافق غيره.

قال ابن عباس ؓ: زَعَمَ: كناية عن كذب<sup>(٢)</sup>.

٢٣٨. زَعِيمٌ: ضامن.

٢٣٩. يُزَجِّي: يسوق.

(١) في د: «زكَّيا».

(٢) لم أقف عليه من قول ابن عباس ؓ، وإنما وقفت عليه من قول من ابن عمر ؓ، أخرجه الطبري (٩/٢٣) عن ابن عمر ؓ أنه قال: «زَعَمَ: كُتِبَ الكذب»، وروي عن شريح أيضًا، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٣١٣) أنه قال: «زَعَمُوا: كُتِبَ الكذب».

٢٤٠. زَلْزَلَةُ الْأَرْضِ: اهتزازها.

وتستعمل بمعنى: الشدة والخوف؛ ومنه: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٢].

٢٤١. زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ: صيحةٌ، يعني: نفخة الصور.

والزجرة: الصيحة بشدةٍ وانتهاز.

و﴿وَأُذْجِرَ﴾ [القمر: ٩]: من الزَّجْرِ.

### حرف الطاء

٢٤٢. طَبَعَ: خَتَمَ، والخاتم: الطابع.

٢٤٣. طَوَّلَ -بفتح الطاء-: فَضَّلَ، أَوْ غَنَى.

٢٤٤. طَائِرٌ: له معنيان:

[١] من الطَّيْرَانِ.

[٢] ومن الطَّيْرَةِ.

٢٤٥. طُوًى: قيل: اسم للوادي.

وقيل: معناه: مرتين، أي: قُدِّسَ الوادي مرتين.

٢٤٦. طَهَارَةٌ: له معنيان:

[١] الطهارة بالماء؛ ومنه: ﴿جُنُبًا فَاطَّهَرُوا﴾ [المائدة: ٧]، والماء الطهور؛ وهو المطهَّر.

[٢] والطهارة من القبائح والردائل؛ ومنه: ﴿نَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

٢٤٧. طَيِّبٌ: له معنيان:

[١] اللذيذ<sup>(١)</sup>.

[٢] والحلال.

(١) في ج، د: «الدين».

٢٤٨. طُوفان: سيل عظيم.

٢٤٩. طاغوت: أصنام وشياطين، ويكون مفردًا وجمعًا.  
والطاغوت -أيضًا-: رئيس النصاري -على قول-.

٢٥٠. طَباق: بعضها على بعض.

و﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]: حالًا بعد حال.

٢٥١. طُورٌ -بالضم-<sup>(١)</sup>: الجبل، وهو الطُود.

٢٥٢. طَفِقَ يفعلُ كذا: أي: جعل يفعله.

٢٥٣. طائفتين: من الطواف<sup>(٢)</sup>.

و﴿طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: لَمَمٌ، و﴿طَيْفٌ﴾: فاعل منه.

### حرف الظاء

٢٥٤. ظَهَرَ الأمرُ: بدا، وأظهره غيره: أبداه.

٢٥٥. ظهيرٌ: معين.

٢٥٦. ظاهر الرجل من امرأته، وتظاهر وتظَهَّرَ أي: قال لها: «أنتِ عليّ كظهر أمي»، وهو الظَّهار.

٢٥٧. ظَهَرُ البيتِ: أعلاه.

وظَهَرَتْهُ أي: ارتفعت عليه؛ ومنه: ﴿بِمَا إِسْطَغَوْا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٣].

٢٥٨. ظَلَمٌ: يقع في القرآن على ثلاثة معان:

[١] الكفر.

[٢] والمعاصي.

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

(٢) في ج، د: «طائفتين: من الطوائف».

[٣] وظلم الناس أي: التعدي عليهم.

٢٥٩. ظنَّ: له ثلاثة معان:

[١] التَّحْقِيقُ.

[٢] وَغَلَبَةُ أَحَدِ الْإِعْتِقَادِينَ.

[٣] وَالتُّهْمَةُ.

٢٦٠. ظَمًا: عطشٌ.

٢٦١. ظِلَال: جمع ظِلٍّ.

وظَلَّل - بالضم -: جمع ظِلَّة؛ وهي ما كان من فوق.

٢٦٢. ظَلَّ بالنهار: بمنزلة بات بالليل.

### حرف الكاف

٢٦٣. كافر: له معنيان:

[١] من الكفر؛ وهو الجحود.

[٢] وبمعنى: الزرع<sup>(١)</sup>؛ ومنه: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد: ١٩] أي: الزَّرَاعُ.

وتكفير الذنوب: غفرانها.

٢٦٤. كَافَّةً: جميعًا.

٢٦٥. كَرَّةً: رجعة.

٢٦٦. كَبَّرَ - بكسر الباء -: من السنُّ، يَكْبُرُ - بالفتح - في المضارع.

وَكَبَّرَ الأمرُ - بالضم - في الماضي والمضارع.

وَكُبِّرَ - بضم الكاف وفتح الباء -: جمع كَبُرَ.

وَكُبَّار - بالضم والتشديد -: كبيرٌ، مبالغَةٌ.

(١) في د: «الزارع».

والكِبَرُ: التكبرُ.

وكَبُرَ الشيءُ - بكسر الكاف وضمها -: معظَّمُه.

والكبرياء: المُلْك والعظمة.

والمتكبرُ: اسم الله تعالى، من الكبرياء بمعنى<sup>(١)</sup>: العظمة.

٢٦٧. كَفَلَ: يَكْفُلُ أي: ضمَّ الصبي وحضنه.

و﴿أَكْمَلْنِيهَا﴾ [ص: ٢٢]: اجعلني كافِلَها.

٢٦٨. كِفْلٌ: نصيبٌ.

٢٦٩. كِلَالَةٌ: هي أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد.

٢٧٠. كَادَ: قارب الأمر ولم يفعله.

فإذا نُفِيَ اقتضى الإثبات.

٢٧١. كَرِيمٌ: من الكرم، وهو الحسب والجلالة والفضل.

وكريم: اسم الله تعالى؛ أي: محسن<sup>(٢)</sup>.

٢٧٢. أَكَنَّةٌ: أَعْطِيَةٌ.

وأكنان: جمع كِنٍّ وهو ما وقى من الحر والبرد.

٢٧٣. كَهْلٌ: هو الذي انتهى شبابه.

٢٧٤. أَكْمَامٌ: جمع كِمٍّ؛ وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها.

٢٧٥. أَكَبَّ الرجلُ على وجهه؛ فهو مُكَبٌّ، وكَبَّه غيره: بغير ألف.

٢٧٦. كهف: غار.

(١) في ب، ج، هـ: «وبمعنى».

(٢) [التعليق ٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: هذا تفسير للاسم ببعض معناه؛ فإن الكرم يتضمن الجود والإحسان، ويتضمن الحُسن والجمال، وما ذكره المفسر هو المناسب للسياق.

٢٧٧. كَيْدٌ: هو من المخلوق: احتيالٌ.

وهو من <sup>(١)</sup> الله: مشيئةُ أمرٍ ينزل <sup>(٢)</sup> بالعبد من حيث لا يشعر <sup>(٣)</sup>.

٢٧٨. كِسْفًا بفتح السين: جمع كِسْفَةٍ؛ وهي القطعة من الشيء.

وبالسكون: كذلك، أو مفرد.

٢٧٩. كُتِبُوا: أي: أهلكوا، و﴿يَكُتِبُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٧]: يُهلكهم، أو يخزيهم <sup>(٤)</sup>.

٢٨٠. أَكْمَةً: هو الذي وُلد أعمى.

٢٨١. كان: على نوعين:

[١] تامة؛ بمعنى حضر، أو حدث، أو وقع، وهي ترفع الفاعل.

[٢] وناقصة؛ وهي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضي ثبوت الخبر للمخبر عنه في زمانها.

وقد تأتي بمعنى الدوام في مثل قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]،

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] وشبه ذلك، وهو كثير في القرآن، ومعناه: لم يزل

ولا يزال موصوفًا بذلك الوصف.

٢٨٢. كَأَنَّ: معناها التشبيه.

٢٨٣. كي: معناها التعليل.

٢٨٤. كم: معناها التكثير، وهي خبرية، واستفهامية.

٢٨٥. كَأَيِّن: بمعنى: كم.

وهي عند سيبويه: كافُ التشبيه دخلت على أي.

(١) في ب، ج، د، هـ: «ومن».

(٢) في د: «يقع».

(٣) [التعليق ٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراءك: فسر ابن جزري الكيد من الله بالمشيئة، والكيد فعل من أفعال

الرب يفعل به بالكفار عقوبة ومجازاة بمثل فعلهم، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥]، ويكون الكيد من الله للعبد

المؤمن من نبي أو صالح نصرًا وتأيدًا، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ إِيُوسُفُ﴾ [يوسف: ٧٦]، فابن جزري فسر به بسبب من جهة الله، وهو المشيئة.

(٤) في د: «يخرجهم».

٢٨٦. كَلَّا: حرف ردع وزجر.

وقيل: إنها تكون للنفي، أي: ليس الأمر كما ظننت.

وقيل: إنها استفتاح كلام بمعنى ألا .

٢٨٧. الكاف: بمعنى التشبيه، وبمعنى التعليل.

وقيل: إنها تكون زائدة.

### حرف اللام

٢٨٨. لَبَسَ الأمر: أي: خلطه، بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل.

ولَبَسَ الثوب: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

٢٨٩. أَلْبَابٌ: عقول؛ وهو جمع لُبٍّ.

٢٩٠. لَبِثَ في المكان: أقام فيه.

٢٩١. لَمَزَ يلمز: أي: عاب الشيء.

٢٩٢. لَوْلَوْ: جوهري.

٢٩٣. لَغَوُ الكلام: الباطل منه، والفحش<sup>(١)</sup>.

ولغو اليمين: ما لا يلزم.

٢٩٤. لَهَا - بفتح الهاء -: من اللّهُو، ومضارعه: يَلْهُو.

ولَهِيَ عن الشيء - بالكسر والياء - يَلْهَى - بالفتح -: إذا أعرض عنه.

وَأَلْهَاهُ الشَّيْءُ: إذا أشغله؛ ومنه: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩].

٢٩٥. لَطِيفٌ: اسم الله تعالى؛ قيل: معناه رفيق.

وقيل: خبير بخفيات الأمور.

(١) في د: «ومنه الفحش».



٢٩٦. لدئى ولدن: معناهما عند.

٢٩٧. ليت: معناها التمني.

٢٩٨. لعل: معناها الترجي في المحبوبات، والتوقع للمكروهات.

وأشكل ذلك في حق الله تعالى؛ فقليل: جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب،

وبالنظر إلى المخاطب، أي: ذلك مما يُرتجى عندكم، أو <sup>(١)</sup> يُتوقع.

وقد يكون معناها: التعليل <sup>(٢)</sup>، أو مقارنة الأمر؛ فلا إشكال.

٢٩٩. لو: لها معنيان:

[١] التمني.

[٢] وامتناع شيء لا امتناع غيره.

٣٠٠. لولا: لها معنيان:

[١] العرض، مثل: لَوْ مَا.

[٢] وامتناع شيء لوجود غيره.

٣٠١. لَمَّا: لها معنيان:

[١] النفي، وهي الجازمة.

[٢] ووجود شيء لوجود غيره.

وأما لَمَّا - بالتخفيف -: فهي لام التأكيد دخلت على «ما».

وقال الكوفيون: هي بمعنى «إلا» الموجبة بعد النفي.

٣٠٢. لا: ثلاثة أنواع:

[١] نافية.

[٢] وناهية.

[٣] وزائدة.

(١) في ب، ج، هـ: «أي».

(٢) في د: «التقليل».

٣٠٣. اللام: خمسة أنواع:

[١] لام الجرّ.

[٢] ولام كي.

[٣] ولام الجحود.

[٤] ولام الأمر.

[٥] ولام التأكيد في القسم وغيره؛ وهي المفتوحة.

ثم إن لام الجرّ لها ثلاثة معان: الملك، والاستحقاق، والتعليل.

وقد تأتي للتعدي إذا ضعف العامل.

وقد تأتي بمعنى «عند»؛ نحو: ﴿وَأَفِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٣]، و﴿لِذَلِكَ الشَّمْسُ﴾ [الإسراء: ٧٨].

ولام كي معناها: السببية، والتعليل.

وقد تأتي بمعنى الصيرورة في العاقبة؛ نحو: ﴿بِالتَّقْطَعِ آءَالٍ يُرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصاص: ٧].

وقد تأتي بمعنى «أن» المصدرية؛ ومنه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

## حرف الميم

٣٠٤. مرضُ الجسد: معروف.

ومرض القلب: الشكُّ في الإيمان، والبُغْضَةُ في الدين.

٣٠٥. المَنُّ: شبه العسل.

وقيل: خبزٌ<sup>(١)</sup> النقيّ.

والسلوى: طائر.

والمَنُّ -أيضاً-: الإنعام.

(١) في د: «الخبز».

والمنُّ -أيضاً-: ذِكْرُ العطية.

والمنُّ -أيضاً-: القطع؛ ومنه: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَنُوءٍ﴾ [فصلت: ٧].

٣٠٦. أمانِيٌّ: جمع أمنيَّة، ولها ثلاثة معان:

[١] ما تتمناه النفس.

[٢] والتلاوة.

[٣] والكذب.

وكذلك تمنِّي؛ له هذه المعاني الثلاثة.

٣٠٧. ملأ القوم: أشرافهم، وذوو الرأي منهم.

٣٠٨. مَثَلٌ -بفتح الميم والثاء- له أربعة معان:

[١] الشبيه والنظير.

[٢] ومن المثل المضروب؛ وأصله من التشبيه.

[٣] ومثل الشيء: حاله وصفته.

[٤] والمثل: الكلام الذي يُتمثل به.

ومثل الشيء -بكسر الميم-: شِبْهه.

٣٠٩. مِرْيَةٌ: شك؛ ومنه: ﴿الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦] أي: الشاكِّين.

و﴿بَلَا تَمَارٍ﴾ [الكهف: ٢٣] من المراء؛ وهو الجدال.

٣١٠. أَمَلَى لَهُم: أمهلهم وزادهم.

٣١١. مهاد: فراش.

٣١٢. مَدَّ يَمُدُّ: أي: أَمَلَى.

وقد تكون بمعنى: زاد؛ مثل: أَمَدَّ بالآلف من المَدَد<sup>(١)</sup>.

٣١٣. مُضْغَةٌ: قطعة لحم.

(١) في ب، د: «المداد».

٣١٤. إملاق: فقر.

٣١٥. مريد ومارد: من العتو والضلال.

٣١٦. مكانة: بمعنى: مكان.

أو: من التمكين<sup>(١)</sup> والعز؛ ومنه: ﴿مَكِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

٣١٧. مواخر: فواعل من المخر؛ يقال: مخرت السفينة: إذا جرت تشق الماء.

٣١٨. مَجِيدٌ: من المجد؛ وهو الكرم والشرف.

٣١٩. مَقْتُ: هو الذم، أو البغض على فعل القبيح.

٣٢٠. مَعِينٌ: ماء جارٍ كثير؛ وهو من قولك: معن الماء أي: كثر.

وقيل: هو مشتق من العين، ووزنه: مفعول؛ فالميم زائدة.

٣٢١. مَرِيج: مختلط.

والمارج: لهب النار؛ من قولك: مرج الشيء: إذا اضطرب.

وقيل: من الاختلاط؛ أي: خلط نوعان من النار.

٣٢٢. مرج البحرين: أي: خلئ بينهما.

وقيل: خلطهما.

وقيل: أفاض أحدهما في الآخر.

٣٢٣. مُهْلٌ: فيه قولان:

دُرْدِيُّ الزيت<sup>(٢)</sup>.

وما أذيب من النحاس.

٣٢٤. مَنُون: له معنيان:

[١] الموت.

[٢] الدهر.

(١) في د: «التمكن».

(٢) هو ما يبقى في أسفله. «لسان العرب» مادة (درد).

٣٢٥. مس: له معنيان:

[١] اللمس باليد وغيره.

[٢] والجنون.

٣٢٦. مَن: أربعة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] وموصولة.

[٣] واستفهامية.

[٤] ونكرة موصوفة.

٣٢٧. ما:

[أ] إذا كانت اسمًا فلها ستة أنواع:

[١] شرطية.

[٢] وموصولة.

[٣] واستفهامية.

[٤] وموصوفة.

[٥] وصفة.

[٦] وتعجبية.

[ب] وإذا كانت حرفًا فلها خمسة أنواع:

[١] نافية.

[٢] ومصدرية.

[٣] وزائدة.

[٤] وكافّة.

[٥] ومهيّئة<sup>(١)</sup>.

(١) أي: تهيم «إن» وأخواتها للدخول على الجمل. انظر: «أوضح المسالك» لابن هشام (١/٣١٠).

٣٢٨. من: لها ستة أنواع:

- [١] لابتداء الغاية.
- [٢] ولجمله الغاية.
- [٣] وللتبويض.
- [٤] وليبيان الجنس.
- [٥] وللتعليل.
- [٦] وزائدة.

٣٢٩. مهما: اسم شرط.

### حرف النون

٣٣٠. نظر: له معنيان:

- [١] من النظر.
- [٢] ومن الانتظار.

فإذا كان من الانتظار: تعدى بغير حرف.

ومن نظر العين: يتعدى بـ«إلى».

ومن نظر القلب: يتعدى بـ«في».

٣٣١. أنظر - بالالف -: آخر؛ ومنه: ﴿أَنْظُرْنِي﴾ [الأعراف: ١٣]، و﴿مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾

[الأعراف: ١٤]، و﴿بَنْظَرَةٍ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

٣٣٢. نَصْرَةٌ - بالضاد -: من التَّعْم؛ ومنه: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢١] أي: ناعمة.

وأما: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]: فهو من <sup>(١)</sup> النظر.

٣٣٣. نعمة: بفتح النون: من النِّعَم.

وبكسرهما: من الإِنْعَام.

(١) في ب، ج، هـ: «فمن».

٢٢٤. أُنْعَام: هي الإبل والبقر والغنم، دون سائر البهائم. ويجوز تذكرها وتأنيسها.  
ويقال لها -أيضا-: نَعَمٌ.

٢٢٥. نِعَمٌ: كلمة مدح، ويجوز فيها: كسر النون وفتحها، وإسكان العين وكسرها.  
٢٢٦. نَعَمٌ -بفتح النون والعين-: كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها من نفي أو إثبات.  
بخلاف «بلى»؛ فإنها للإثبات خاصة.

ويجوز في «نعم»: فتح العين وكسرها.

٢٢٧. نِذٌّ: هو المضاهي والمماثل والمعاند، وجمعه: أُنْدَادٌ.

٢٢٨. أَنْذَرَ: أَعْلَمَ بالمكروه قبل وقوعه؛ ومنه: ﴿نَذِيرٌ﴾ [المائدة: ٢١]، و﴿مُنْذِرٌ﴾ [الرعد: ٨]،  
و﴿الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٤]، و﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملك: ١٨] أي: إنذاري؛ فهو  
مصدر؛ ومنه: ﴿عَذَابٍ وَنُذْرٍ﴾ [القمر: ١٦].

وَنَذَرَ النَّذْرَ: بغير ألف؛ ومنه: ﴿نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، و﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾  
[الحج: ٢٧].

٢٢٩. نَكَالٌ: له معنيان:

[١] العقوبة.

[٢] والعبرة.

٢٤٠. نَجَّى -بتشديد الجيم-: له معنيان:

[١] من النجاة.

[٢] ومن النجوة؛ وهو الموضع المرتفع؛ ومنه: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَيْدِكَ﴾ [يونس: ٩٢]  
على قول.

٢٤١. نَجْوَى: معناه: كلام خفي؛ ومنه: ناجى، و﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

وقيل: إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ [الإسراء: ٤٧].  
وقد يحمل ذلك على حذف مضاف تقديره: وإذ هم أصحاب نجوى.

٣٤٢. نسيان: له معنيان:

[١] الذَّهول؛ ومنه: ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].

[٢] والترك؛ ومنه: ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

٣٤٣. نسخ: له معنيان:

[١] الكتابة؛ ومنه: ﴿تَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

[٢] والإزالة؛ ومنه: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٥].

٣٤٤. نصر - بالصاد المهملة - : معروف.

وبالسين: اسم صنم؛ <sup>(١)</sup> ﴿وَيَعْبُقُونَ نُصْرًا﴾ [نوح: ٢٤].

واسم طائر - أيضًا - .

٣٤٥. نشور: خروج الناس من القبور، يقال: أنشروهم الله فنشروا.

﴿الزَّيْبُ نُشْرًا﴾ [الأعراف: ٥٦]؛ لأنها تنشر السحاب.

٣٤٦. نشوز - بالزاي - : له معنيان:

[١] شر بين الرجل والمرأة.

[٢] وارتفاع؛ ومنه: ﴿أَنْشُرُوا﴾ [المجادلة: ١١] أي: قوموا من المكان.

٣٤٧. نُزِّل - بضمين - : رزق؛ وهو ما يطعم الضيف..

٣٤٨. نَأَى: أي: بعد؛ ومنه: ﴿وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٧].

٣٤٩. نكص: رجع إلى وراء.

٣٥٠. نفَرُ نَفَورًا عن الشيء: ينفر - بضم المضارع -؛ ومنه: نفرت الدابة.

ونفَر ينفر - بكسر المضارع - نفيرًا: أي: أسرع وجدًّا؛ ومنه: ﴿إِنْهَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[التوبة: ٣٨].

(١) في دزيادة: «ومنه».



٣٥١. نبأ: خبر؛ ومنه اشتق النبيء بالهمز، وترك الهمز تخفيفاً.
- وقيل: إنه - عند من ترك الهمز - مشتق من النبوة؛ وهي الارتفاع.
٣٥٢. نطفة: أي نقطة من ماء؛ ومنه: ﴿خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ﴾ [فاطر: ١١] يعني: من المنى.
٣٥٣. أناب إلى الشيء: رجع ومال إليه؛ ومنه: ﴿مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٤].
٣٥٤. نفد ينفد: أي: تم وانقطع.
٣٥٥. نهر - بفتح الهاء -: الوادي، ويجوز الإسكان.
- وأما ﴿السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]: فهو من الانتهاز؛ وهو الزجر.
٣٥٦. منير: من النور؛ وهو الضوء حساً أو معنى.
٣٥٧. نصب: بضم النون وإسكان الصاد، وفتح النون وإسكان الصاد: بمعنى واحد؛ وهو حجر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده، وجمعه: أنصاب.
٣٥٨. نصب - بفتحيتين -: تعب، و﴿مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ﴾ [ص: ٤٠] أي: بلاء وشر.
٣٥٩. نقم الشيء ينقمه: أي: كرهه وعابه.
٣٦٠. نضيد: منضود بعضه إلى بعض.
٣٦١. نكيري: إنكاري<sup>(١)</sup>، ويقال: نكر الشيء وأنكره: بمعنى<sup>(٢)</sup>.
٣٦٢. ينسلون: من النسلان؛ وهو الإسراع في المشي مع قرب الخطأ.

(١) في أ، د: «نكير: إنكار».

(٢) في د زيادة: «واحد».

## حرف الصاد

٣٦٣. صراطٌ: هو في اللغة: الطريق، ثم استعمل في القرآن بمعنى: الطريقة الدينية.

وأصله السين، ثم قلبت صادًا؛ لحرف الإطباق بعدها.

وفيه ثلاث لغات: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

٣٦٤. صلاة: إذا كانت من الله: فمعناها رحمة.

وإذا كانت من المخلوق: فلها معنيان:

[١] الدعاء.

[٢] والأفعال المعلومة.

٣٦٥. صومٌ: أصله في اللغة: الإمساك مطلقًا.

ثم استعمل شرعًا في: الإمساك عن الطعام والشراب<sup>(١)</sup>.

وقد جاء بمعنى الصمت في قوله: ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٥]؛ لأنه إمساكٌ عن الكلام.

٣٦٦. صدقة: ينطلق<sup>(٢)</sup> على: الزكاة الواجبة، وعلى التطوع؛ ومنه: ﴿إِنَّ الْمَصَدِّقِينَ

وَالْمَصَدِّقَاتِ﴾ بالتشديد؛ أي: المتصدقين [الحديد: ١٧].

وأما: ﴿أَنْتَ لِمَنِ الْمَصَدِّقِينَ﴾ [الصفات: ٥٢] بالتخفيف: فهو من التصديق.

٣٦٧. صدقة - بضم الدال -: صداق المرأة؛ ومنه: ﴿وَعَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤].

٣٦٨. الصدق: في القول: ضد الكذب.

والصدق في الفعل: حُسن النية فيه.

والصدق في القصد: العزم الصادق.

(١) في هامش ب: «والجماع».

(٢) في د: «تطلق».

٣٦٩. صَعِدَ يَصْعَدُ أَي: ارتفع.

وَأَصْعَدَ - بِالْأَلْفِ - يُصْعِدُ - بِالضَّمِّ - أَي: أبعَدَ في الهروب؛ ومنه: ﴿إِذْ تُضْعِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

٣٧٠. صَعِيدًا طَيِّبًا: أَي: ترابًا.

والصعيد: وجه الأرض.

٣٧١. صَدَّ: له معنيان:

[١] فالمتعدي: بمعنى: منع غيره من شيء، ومصدره: صَدَّ، ومضارعه بالضم.

[١] وغيره: بمعنى: أَعْرَضَ، ومصدره: صدودٌ.

٣٧٢. صار: له معنيان:

[١] من الانتقال؛ ومنه: ﴿تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٠]، و﴿الْمَصِيرُ﴾.

[٢] وبمعنى: ضَمَّ، ومضارعه: يَصُورُ؛ ومنه: ﴿بَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٣٧٣. صَاعِقَةٌ: لها ثلاثة معان:

[١] الموت.

[٢] وَكُلُّ بَلَاءٍ يَصِيبُ.

[٣] وقطعة نارٍ تنزل مع شدة الرعد والمطر.

وجمعها: صواعق.

٣٧٤. أَصْرَّ عَلَى الذَّنْبِ يُصِرُّ إِصْرَارًا: دام عليه، ولم يتب منه.

٣٧٥. صُوعًا: مِكْيَالٌ؛ وهو السقاية والصاع.

وصواع - بالسين - : اسم صنم.

٣٧٦. صَابِينَ<sup>(١)</sup>: قوم يعبدون الملائكة ويقولون: إنها بنات الله.

وقيل: إنهم يرون بتأثير الكواكب.

(١) كذا رسمت كلمة «صابين» في النسخ الخطية بغير همزة اتباعًا لقراءة نافع.

وفيه لغتان: الهمز، وتركه؛ مِنْ: صَبَا إِلَى الشَّيْءِ: إِذَا مَالَ إِلَيْهِ.

٣٧٧. تَصْطَلُونَ: تَفْتَعِلُونَ؛ مِنْ: صَلَّى بِالنَّارِ<sup>(١)</sup>: إِذَا تَسَخَّنَ بِهَا، وَالطَّاءُ بَدَلَ مِنَ التَّاءِ.

٣٧٨. اصْطَفَى: أَي: اخْتَارَ، وَأَصْلُهُ: مِنَ الصَّفَا؛ أَي: اتَّخَذَهُ صَفِيًّا.

٣٧٩. صَغَارٌ -بَفَتْحِ الصَّادِ-: ذِلَّةٌ؛ وَمِنْهُ: ﴿صَغُرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

والصغير: ضد الكبير.

٣٨٠. صَدَفَ عَنِ الشَّيْءِ يَصْدِفُ: أَعْرَضَ عَنْهُ.

٣٨١. صَرِيحٌ: مُغِيثٌ؛ وَمِنْهُ: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

٣٨٢. صَلْصَالٌ: طِينٌ يَابَسٌ.

فَإِذَا مَسَّتْهُ النَّارُ: فَهُوَ فَخَّارٌ.

٣٨٣. صَرُوحٌ: قَصْرٌ.

وَهُوَ -أَيْضًا-: الْبِنَاءُ الْعَالِي.

### حرف الضاد

٣٨٤. ضَرَبَ: لَهُ أَرْبَعَةُ مَعَانٍ:

[١] مِنَ الضَّرْبِ بِالْيَدِ وَشَبَّهَهُ.

[٢] وَمِنْ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ.

[٣] وَمِنْ السَّفَرِ؛ وَمِنْهُ: ﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٠٠].

[٤] وَمِنْ الْإِلْتِمَازِ؛ وَمِنْهُ: ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ﴾ [آل عمران: ١١٢] أَي: أُلْزِمُوها.

و﴿بَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١] أَي: أَلْقَيْنَا عَلَيْهِمُ النَّوْمَ.

و﴿أَبْنَضْرِبْ عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ [الزخرف: ٤] أَي: نُمْسِكْ عَنْكُمُ التَّذْكِيرَ.

(١) فِي د: «النَّارُ».

٣٨٥. ضاعف الشيء: كثره، ويجوز فيه التشديد.

وضِعِف الشيء - بكسر الضاد - مثلاً، وقيل: مثله.

والضَّعْف - أيضاً - العذاب.

والضُّعْف بالضم: يجوز<sup>(١)</sup> فيه الفتح.

٣٨٦. ضُرَّ - بفتح الضاد وضمها - بمعنى.

وكذلك الضير - بالياء -؛ ومنه: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

والضَّرَاء: ما يصيب من المرض وشبهه.

٣٨٧. ضَحَّى: أول النهار، والفعل منه: أَضْحَى.

وأما ضَحِيَّ - بكسر الحاء - يَضْحَى في المضارع فمعناه: برز للشمس، وأصابه

حرُّها؛ ومنه: ﴿لَا تَنْظُمُوا فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه: ١١٦].

٣٨٨. ضَيْفٌ: يقال للواحد، والاثنين، والجماعة.

٣٨٩. ضَيْقٌ - بكسر الضاد -: مصدر.

وبفتحها مع إسكان الياء: تخفيفٌ من ضَيْقٍ المشدد؛ كَمَيْتٌ ومَيْتٌ.

### حرف العين

٣٩٠. عَاذَ بالله يعوذ: أي: استجار به، ولجأ إليه؛ ليدفع عنه ما يخاف.

ويقال - أيضاً - استعاذ يستعيز.

ومنه: ﴿عَذْتُ بِرَبِّي﴾ [غافر: ٢٧]، و﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣].

٣٩١. العالمين: جمع عالم؛ وهو عند المتكلمين: كلُّ موجود سوى الله تعالى.

وقيل: العالمين: الإنس والجن والملائكة؛ لجمعه جمع العقلاء.

وقيل: الإنس خاصة؛ لقوله: ﴿الَّذِينَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

(١) في ب، د: «يجوز».

٣٩٢. يعمهون: يتحيرون في ضلالهم، والعمّة: الحيرة .

٣٩٣. عدل يعدل عدلاً: ضد جَارَ.

وعدل عن الحق عدولاً.

وعدلت فلاناً بفلان: سويت بينهما؛ ومنه: ﴿يَرْبِّهُمْ يَغْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

والعدل له ثلاثة معان:

[١] ضد الجور.

[٢] والفدية؛ ومنها: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٢]، و﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾

[الأنعام: ٧٠].

[٣] ومثل الشيء؛ ومنه: ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَاماً﴾ [المائدة: ٩٧].

٣٩٤. عزيز: اسم الله تعالى، معناه: الغالب<sup>(١)</sup>.

وعزّ: غلب؛ ومنه: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٢] أي: غلبني.

والغلبة ترجع إلى: القوة، والقدرة؛ ومنه: ﴿بَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٣] أي: قوينا.

وقيل: العزيز: العديم المثل.

٣٩٥. عفا: له أربعة معان:

[١] عفا عن الذنب؛ أي: صفح عنه.

[٢] وعفا: أسقط حقه؛ ومنه: ﴿إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ أَوْ يَغْفُوا﴾ [البقرة: ٢٣٥].

[٣] وعفا القوم: كثروا؛ ومنه: ﴿حَتَّىٰ عَفُوا﴾ [الأعراف: ٩٤].

[٤] وعفا المنزل: درس.

٣٩٦. عفو: له ثلاثة معان:

[١] الصفح عن الذنب.

[٢] والإسقاط.

(١) [التعليق ٨] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: هذا تفسير للاسم ببعض معناه؛ فإن العزة تتضمن القهر والغلبة

والقوة وعدم النظر، وهو تعالى عزيز بكل معاني العزة.

[٣] والسهل من غير كلفة؛ ومنه: ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْبَقْرَةُ: [٢١٧].

٢٩٧. عَيْنٌ: له في القرآن معنيان:

[١] العين المبصرة.

[٢] وعين الماء.

وله في غير القرآن معانٍ كثيرة.

٢٩٨. عَيْنٌ - بكسر العين -: واسعاتُ العيون؛ وهو جمع عَيْنَاء.

٢٩٩. عَنَتٌ: معناه الهلاك، أو المشقة؛ ومنه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٨] أي: لأهلككم، أو ضيق عليكم.

والعَنَت - أيضًا -: الزنا؛ ومنه: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٥].

وأما: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ [طه: ١٠٨] فليس من هذا؛ لأن لأمه واوٌ، فهو من: عنا يعنوا: إذا خضع.

٤٠٠. عاقب: له معنيان:

[١] من العقوبة على الذنب.

[٢] ومن العقبي؛ ومنه: ﴿وَإِنْ بَأْتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ بَعَّاقِبَتُمْ﴾ [المنتحنة: ١١] أي: أصبتم عقبي.

٤٠١. أعجاز نخل: أصولها.

٤٠٢. أعجز<sup>(١)</sup> الشيء: إذا فات ولم يُقدَّر عليه؛ ومنه: ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٤٨]، و ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

وأما ﴿مُعْجِزِينَ﴾ [الحج: ٤٩] - بالالف - فمعناه: مسابقين.

٤٠٣. عال يعيل عيلةً: أي: افتقر؛ ومنه: ﴿وَوَجَدَكَ عَالِيًا﴾ [الضحى: ٨].

وعال يعول: عدل عن الحق.

وعال يعول - أيضًا -: كثر عياله؛ والأشهر أن يقال في هذا المعنى: أعال<sup>(٢)</sup> بالالف.

(١) في د: «أعجزه».

(٢) لم ترد في ب، ج، هـ.

٤٠٤. عَرَجَ يَعْرِجُ - بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع - : صَعِدَ وارتقى؛ ومنه: ﴿الْمَعَارِجُ﴾ [المعارج: ٣].

وعرج - بالكسر في الماضي والفتح في المضارع - : صار أعرج.

٤٠٥. عُتِبَيَّ: معناه: الرِّضَا؛ ومنه: ﴿بِمَا هُمْ مِنَ الْمُغْتَيْبِ﴾ [فصلت: ٢٣]، و﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤].

والعتاب: العذل.

٤٠٦. أَعَدَّ - بالالف - : يَسَّرَ الشيءَ وهَيَّأَهُ.

وعدَّ - بغير ألف - : من العدد.

٤٠٧. عَرْشٌ: سرير المَلِكِ؛ ومنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، و﴿أَهْلَكَذَا عَرْشِي﴾ [النمل: ٤٣].

وعرش الله: فوق السماوات.

و﴿يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧، النحل: ٦٨]: يبنون<sup>(١)</sup>.

و﴿عَلَى عَرْوِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٨]: سقوفها.

٤٠٨. عورةٌ: أصلٌ معناه: الانكشاف فيما يكره كشفه؛ ولذلك قيل: عورة الإنسان.

و﴿تِلْكَ عَوْرَتِ﴾ [النور: ٥٦] أي: أوقات انكشاف.

و﴿يَبْهَتُونَ عَوْرَةً﴾ [الأحزاب: ١٣] أي: خاليةٌ معرضةٌ للسُّراق.

٤٠٩. عاقر: له معنيان:

[١] المرأة العقيم.

[٢] واسم فاعل من: عقر الحيوان.

(١) في النسخ المعتمدة: «ويعرشون»: تبنون، وليس كذلك لفظ الآية، إنما هو بالياء كما أثبتته، وهو موافق لإحدى النسخ الخطية التي لم تعتمد أصالة في المقابلة، وإنما أرجع إليها للاستئناس.



٤١٠. عَبَّرَ يَعْبُرُ: له معنيان:

[١] من عبارة الرؤيا؛ ومنه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

[٢] ومن الجواز على الموضع؛ ومنه: ﴿عَابِرِي سَبِيلِ﴾ [النساء: ٤٣].

٤١١. عَمُونَ وَعَمِينَ<sup>(١)</sup>: جمع عَمٍ؛ وهو صفة على وزن فَعِلَ - بكسر العين -؛ من العمى في البصر، أو في البصيرة.

٤١٢. علا يعلو: تكبر؛ ومنه: ﴿قَوْمًا عَلَاءِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] و﴿عَلَاءٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٣].

والعلي: اسم الله، والمتعالي، والأعلى؛ من العلو؛ بمعنى: الجلال والعظمة.

وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به<sup>(٢)</sup>.

٤١٣. عَزَبَ الشَّيْءُ: غاب؛ ومنه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٦١] أي: لا يخفى عنه<sup>(٣)</sup>.

٤١٤. عُصْبَةٌ: جماعة من العشرة إلى الأربعين.

٤١٥. عَلَقَةٌ: واحدة العَلَقِ؛ وهو الدَّم.

٤١٦. عاصِفٌ: ريح شديدة.

٤١٧. عَصْفٌ: ورق الزرع.

(١) هذه الكلمة لم ترد في ب، د.

(٢) [التعليق ٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿مِنَ الْعُلُوِّ﴾ بمعنى: الجلال والعظمة...، إلخ: أقول:

يلاحظ أنه اقتصر على معنيين من معاني العُلُوِّ:

الأول: الجلال والعظمة؛ المتضمن لعلو القهر.

والثاني: التنزيه لله عما لا يليق به؛ وهذا يتضمن علو القدر.

ولم يذكر ﷻ علو الذات، وهو ارتفاعه تعالى فوق جميع المخلوقات، مستويًا على عرشه. وهذا هو الذي

اختلف فيه أهل السنة والمبتدعة؛ كالجهميّة ومن وافقهم؛ فاسمُهُ: «الْعَلِيُّ» سبحانه، يتضمن معاني العلوِّ

الثلاثة، والله أعلم.

(٣) في د: «لا يغيب ولا يخفى عنه».

## حرف الغين

٤١٨. غِشَاوَةٌ: غطاء؛ إما حقيقة، أو مجازاً.

٤١٩. غمام: هو السحاب.

٤٢٠. غُلْفٌ: جمع أغلف؛ وهو كلُّ شيء جعلته في غلاف؛ أي: قلوبنا محجوبة.

٤٢١. غُرْفَةٌ - بضم الغين - لها معنيان:

[١] المسكن المرتفع.

[٢] والغرفة من الماء بالضم، وبالفتح: المرة الواحدة.

٤٢٢. غادر: ترك؛ ومنه: ﴿لَا يُعَادِرُ﴾ [الكهف: ٤٨]<sup>(١)</sup>.

٤٢٣. غَلَّ يَغْلُ: من الغلول؛ وهو الخيانة، والأخذ من المغنم بغير حق.

والغُلُّ: الحقد.

٤٢٤. أغلال: جمع غُلٍّ - بالضم -؛ وهو ما يجعل في العنق، ومنه: ﴿مَغْلُولَةٌ﴾ [الإسراء: ٢٩].

٤٢٥. غلا يغلو: من الغلو؛ وهو مجاوزة الحد والإفراط؛ ومنه: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠] أي: لا تجاوزوا الحق.

٤٢٦. غائط: المكان المنخفض؛ ثم استعمل في حاجة الإنسان.

٤٢٧. غَشِيَ الأمر يَغْشَى - بالكسر في الماضي والفتح في المضارع - معناه: غطى حساً أو

معنى؛ ومنه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]؛ لأنه يغطي بظلامه.

ويُنْقَلُ<sup>(٢)</sup> بالهمزة، والتشديد؛ فيقال: غَشَى وأغشى.

(١) في ب، ج، هـ: ﴿بَلَمْ نَعَادِرْ﴾ [الكهف: ٤٧].

(٢) في د: «ويستعمل»، وفي نسخة خزائن القرويين: «ويقال»، والمثبت هو الصواب، ومعنى «يُنْقَلُ» أي: يتعدى، فيتعدى الفعل «غشي» بالهمزة والتشديد إلى مفعولين بعد أن كان يتعدى إلى مفعول واحد. انظر: التذييل والتكميل شرح التسهيل، لأبي حيان (٥٧/٧).

و ﴿وَمِنْ بَوَافِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤٠] يعني: ما يغشاهم<sup>(١)</sup> من العذاب أي: يصيبهم؛  
ومنه: ﴿غَلِيظَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧].  
والغاشية -أيضاً-: القيامة، لأنها تغشى الخلق.

٤٢٨. غَبَر: له معنيان:

[١] ذهب.

[٢] وبقي.

ومنه: ﴿عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١] أي: في الهالكين الذاهبين، أو في الباقين في العذاب.

٤٢٩. غرور -بضم الغين-: مصدر.

وبفتحها: اسم فاعل مبالغة؛ ويراد به: إبليس.

٤٣٠. غاض الشيء: نقص؛ ومنه: ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٤]، و﴿تَغِيضُ الْأَرْحَامِ﴾ [الرعد: ٩].  
وغاظ يغيط -بالطاء المشالة-: من الغيظ.

٤٣١. غَوْرٌ: أي: غائر؛ من غار الماء: إذا ذهب.

٤٣٢. غرام: عذاب؛ ومنه: ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩].

والمغرم: غُرم المال؛ ومنه: ﴿مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٦].

### حرف الفاء

٤٣٣. فُرْقَان: أي: مفرق بين الحق والباطل؛ ومنه: ﴿يَجْعَل لَّكُم بُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي: تفرقة.  
ولذلك سمي القرآن: بالفرقان.

٤٣٤. فئة: جماعة من الناس.

(١) في ج، د: 'يغشاهم'.

٤٣٥. فِصَالٌ: فطام من الرِّضَاع.

٤٣٦. فَضْلٌ: له معنيان:

[١] الإحسان.

[٢] والربح في التجارة وغيرها؛ ومنه: ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ١٨].

٤٣٧. فسق: أصله الخروج، وتارة يرد بمعنى الكفر، وتارة بمعنى العصيان.

٤٣٨. فتنة: لها ثلاثة معان:

[١] الكفر.

[٢] والاختبار.

[٣] والتعذيب.

٤٣٩. فَاءَ يَفِيءُ: أي: رجع.

٤٤٠. فُلُكٌ - بضم الفاء - أي: سفينة؛ ويستوي فيه المفرد والجمع.

٤٤١. فَلَكَ - بفتح الحاء - القطب الذي تدور به الكواكب.

٤٤٢. فزع: له معنيان:

[١] الخوف.

[٢] والإسراع؛ ومنه: ﴿إِذْ يَرْغَوْنَ بَلَاءَ قَوْمٍ﴾ [سبا: ٥١].

٤٤٣. فرح: له معنيان:

[١] السرور.

[٢] والبطر.

٤٤٤. فاحشة وفحشاء: هي كل ما يقبح ذكره من المعاصي.

٤٤٥. فرضٌ: له معنيان:

[١] الوجوب.

[٢] والتقدير.

٤٤٦. فتح: له معنيان:

[١] فتح الأبواب؛ ومنه: فتح البلاد وشبهها.

[٢] والحكم؛ ومنه: ﴿إِفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، ويقال للقاضي: فتّاح.

واسم الله تعالى الفتاح: قيل: الحاكم، وقيل: خالق النصر والفتح<sup>(١)</sup>.

٤٤٧. انفضّوا: أي: تفرّقوا.

٤٤٨. فطر: خلقه ابتداءً؛ ومنه: ﴿بَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٥].

و﴿يُفْطِرُ اللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩]: الخَلْقَةُ التي خلَقَ الخلقَ عليها.

وأفطر - بالالف -: من الطعام.

٤٤٩. فُطُورٌ: شقوق؛ ومنه: ﴿إِنْفِطَرْتُ﴾ [الانفطار: ١]، أي: انشَقَّتْ، و﴿يَتَفَطَّرُونَ﴾ [مريم: ٩١].

٤٥٠. فُجٌّ: طريق واسع، وجمعه: فِجَاجٌ.

٤٥١. فار التنور: يقال لكل شيء هاج وغلا حتى فاض؛ ومنه: ﴿وَهِيَ تَقُورُ﴾ [الملك: ٧]، وقولهم: فارت القدر.

٤٥٢. فُوجٌ: جماعة من الناس، وجمعه: أفواج.

٤٥٣. فاكهين: من التلذذ بالفاكهة.

أو من الفكاهة؛ وهي السُرور واللّهو.

٤٥٤. فؤاد: هو القلب، وجمعه: أفئدة.

٤٥٥. استَفَرَّ يَسْتَفِرُّ: أي: استخفّ.

٤٥٦. فقه: فهم؛ ومنه: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ ، و﴿مَا تَفْقَهُ كَثِيرًا﴾ [هود: ٩١].

(١) [التعليق ١٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: كل من المعنيين صحيح: الحاكم وخالق النصر، ويشهد للأول

قوله تعالى من شعيب: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، ونصره تعالى لأوليائه على أعدائه نوع من الحكم الكوني، وصيغة الفتح تدل على كثرة الفتح، كالغفار والخلاق والرزاق، وفي الجملة ما قاله المفسر مستقيم.

٤٥٧. في: حرف جر بمعنى الظرفية.

وقد تكون للتعليل، وقد تكون بمعنى «مع».

وقيل: بمعنى «على».

٤٥٨. الفاء: ثلاثة أنواع:

[١] عاطفة.

[٢] ورابطة.

[٣] وناصبة للفعل بإضمار «أن».

ومعناها: الترتيب، والتعقيب، والتسبيب<sup>(١)</sup>.

### حرف القاف

٤٥٩. قرآن: له معنيان:

[١] الكتاب العزيز.

[٢] ومصدر: قرأ؛ أي: تلا، ومنه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦].

٤٦٠. قنوت: له خمسة معان:

[١] العبادة.

[٢] والطاعة.

[٣] والقيام في الصلاة.

[٤] والدعاء.

[٥] والسكوت.

٤٦١. قضاء: له سبعة معان:

[١] الحُكْم.

[٢] والأمر.

(١) في د: «والتسبب».

[٣] والقَدَرُ السابق.

[٤] وفعل الشيء.

[٥] والفراغ منه.

[٦] والموت.

[٧] والإعلام بالشيء؛ ومنه: ﴿وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦].

٤٦٢. قَدَرٌ: له خمسة معان:

[١] من القُدرة.

[٢] ومن التَّقدير.

[٣] ومن المِقْدَار.

[٤] ومن القدر والقضاء.

[٥] وبمعنى التضييق؛ نحو: ﴿بِقَدَرٍ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الفجر: ١٧].

وقد يشدّد الفعل ويخفف.

والقدرُ -بفتح الدال وإسكانها-: القضاء، والمقدار.

وبالفتح لا غير: من القضاء.

٤٦٣. قام: له ثلاثة معان:

[١] من القيام على الرّجلين.

[٢] ومن القيام بالأمر بتدبيره وإصلاحه؛ ومنه: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

[النساء: ٣٤].

[٣] وقام الأمر: ظهر واستقام؛ ومنه: ﴿الَّذِينَ أَلْقَمُوا﴾ [التوبة: ٣٦]، و﴿دِينُ الْفَيْمَةِ﴾

[البينة: ٥].

٤٦٤. أقام: له ثلاثة معان:

[١] أقام الرجل غيره؛ من القيام.

[٢] ومن التقويم؛ ومنه: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ بِأَقَامَتِهِ﴾ [الكهف: ٧٦].

[٣] وأقام في الموضع: سكن؛ ومنه: ﴿مُفِيمٌ﴾ أي: دائم.

٤٦٥. قِيَوْم: اسم الله تعالى؛ وزنه فَيُعُول؛ وهو بناءٌ مبالغيةٌ؛ من القيام على الأمور، معناه: مدبرُ الخلائق في الدنيا والآخرة؛ ومنه: ﴿فَأَيُّمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٤].

٤٦٦. قِيَام: له معنيان:

[١] مصدر قام على اختلاف معانيه.

[٢] وبمعنى: قِيَام الأمر ومِلاكه.

وَقِيم - بغير ألف -: جمع قِيمَةٍ.

٤٦٧. قَرْض: سلف؛ والفعل منه: أَقْرَضَ يُقْرِض.

٤٦٨. أَقْسَطَ - بالألف - قِسْطًا<sup>(١)</sup>: عدل في الحكم؛ ومنه: ﴿يَجِبُ الْمُفْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَسَطَ - بغير ألف -: جار؛ ومنه: ﴿وَأَمَّا الْفُلَسْطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

٤٦٩. مقاليد: فيه قولان: خزائن، ومفاتيح<sup>(٢)</sup>.

٤٧٠. قُدْس يُقَدِّس: من التنزيه والطهارة.

وقيل: من التعظيم.

وَالْقُدُّوس: اسم الله تعالى، فُعُول؛ من النزاهة عما لا يليق به.

٤٧١. قال يقول: من القول.

وقد يكون بمعنى الظن.

ومصدره: قَوْلٌ، وقِيلَ.

وقال يَقِيل: من القائلة؛ ومنه: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، و﴿وَأَخْسَنَ مَفِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

٤٧٢. قَفَى: أتبع؛ وأصله: من القفا؛ يقال: قَفَوته: إذا جئت في أثره.

وقَفَّيت - بالتشديد -: إذا سقت شيئًا في أثره؛ ومنه: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٦]

(١) في د: «يُفْسِط».

(٢) في ج، هـ: «ومفاتيح».



٤٧٣. قَرُنٌ: جماعة من الناس، وجمعه: قرون.

٤٧٤. قواعد البيت: أساسه، واحدة: قاعدة.

و﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٥٨]: واحدة: قاعدة؛ وهي المعجوز.

٤٧٥. قُرْبَانٌ: ما يتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها.

وقربان -أيضاً-: من القرابة.

٤٧٦. قَلَى يَقْلِي: أبغض؛ ومنه: ﴿وَمَا قَلِيَ﴾ [الضحى: ٣]، و﴿لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾

[الشعراء: ١٦٨].

٤٧٧. اقترف: اكتسب حسنة، أو سيئة.

٤٧٨. قَصَصٌ: له معنيان:

[١] من الحديث.

[٢] ومن قصص الأثر؛ ومنه: ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٣]، و﴿فَصَّيِّهْ﴾

[الفصص: ١٠].

٤٧٩. قَرَرْتُ به عيناً أقرُّ: بالكسر في الماضي والفتح في المضارع.

وَقَرَرْتُ في المكان: بالفتح في الماضي والكسر في المضارع.

٤٨٠. قسطاسٌ: ميزان.

٤٨١. قَتَرٌ وقَتْرَةٌ: غبار.

وهو عبارة عن تغير الوجه.

٤٨٢. قُتُورٌ: من التقدير.

٤٨٣. قارعة: داهية وأمر عظيم.

٤٨٤. قَبَسٌ: شعلة نارٍ.

٤٨٥. قَطِطٌ: ينس من الخير.

٤٨٦. قرطاس: صحيفة، وجمعها: قراطيس.

## حرف السين

٤٨٧. أسباطٌ: جمع سبطٍ؛ وهم ذرية يعقوب ﷺ، كان له اثنا عشر ولدًا ذكرًا، فأعقب كل واحد منهم عقبًا.

والأسباط في بني إسرائيل: كالقبائل في العرب.

٤٨٨. سبيل: هو الطريق، وجمعه: سُبُل.

ثم استعمل في طريق الخير والشر.

وسبيل الله: الجهاد.

وابن السبيل: الضيف، وقيل: الغريب.

٤٨٩. سَوَّى - بالتشديد -: له معنيان:

[١] من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء.

[٢] وبمعنى: أتقن وأحسن؛ ومنه: ﴿بَسَوَيْكَ فَعَدَّلَكَ﴾ [الأنفطار: ٧].

٤٩٠. سَوَاءٌ - بالفتح والهمز -: من التسوية بين الأشياء.

و﴿سَوَاءٌ الْجَحِيمُ﴾ [الصفات: ٥٥]: وسطها.

و﴿سَوَاءٌ الصِّرَاطُ﴾ [ص: ٢١]: قَصْدُ الطريق.

٤٩١. سَوَّى - بالكسر أو الضم مع ترك الهمز -: استثناءً.

وقد يكون من التسوية.

٤٩٢. سفهاء: جمع سفيه؛ وهو الناقص العقل.

وأصل السَّفَه: الخفة؛ ولذلك قيل لمبذر المال: سفيه، وللكفار والمنافقين: سفهاء.

٤٩٣. سلوى: طائر يشبه السَّمَانِيَّ، وكان ينزل على بني إسرائيل مع المنّ.

٤٩٤. سأل: له معنيان:

[١] طلب الشيء.

[٢] والاستفهام عنه.

وسال - بغير همز -: من المعنيين المذكورين، ومن السَّيل.

٤٩٥. سبحانه: تنزيهه، وسَبَّحْتُ الله أي: نَزَّهْتُهُ عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفاتِ الحدوث<sup>(١)</sup> وجميع العيوب والنقائص.

٤٩٦. سار يسير: مشى ليلاً أو نهاراً.

٤٩٧. سَرَى يَسْرِي: مشى ليلاً، ويقال -أيضاً-: أَسْرَى -بالألف-.

٤٩٨. سَخِرَ يَسْخَرُ -بالكسر في الماضي والفتح في المضارع- أي: استهزأ.

٤٩٩. سَخَّرَ -بالتشديد-: من التسخير.

٥٠٠. سَخَرِيًّا بضم السين: من السُّخْرَةِ؛ وهو تكليف الأعمال.

وبالكسر: من الاستهزاء.

٥٠١. سلطان: له معنيان:

[١] البرهان.

[٢] والقوة؛ ومنه: ﴿لَا تَنْفَذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣١].

٥٠٢. سام يسوم: أي: كُفِّلَ الأمرَ وَالزِمَهُ؛ ومنه: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٨].

وأصله: من سوم السلعة في البيع.

٥٠٣. سِئَمٌ يَسَامُ: أي: مَلٌّ؛ ومنه: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

٥٠٤. سُنَّةٌ: أي: عادة.

٥٠٥. سَلَفُ الأمر: أي: تقدّم.

وَأَسْلَفَهُ الرجل: أي: قدّمه؛ ومنه: ﴿هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ [الحاقة: ٢٣].

(١) [التعليق ١١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وصفاتِ الحدوث»: أقول: هذا لفظ مجملٌ يَحْتَمِلُ حقاً وباطلاً؛ فإن أُريدَ به: تنزيهه تعالى عن وصفه بشيءٍ من خصائص المخلوق مما يستلزم تمثيله سبحانه بخلقه -: فهو حقٌّ. وإن أُريدَ به: تنزيهه عما يكونُ بمشيئته تعالى من أفعاله (وهو ما يعبرون عنه بحلولِ الحوادث، ويقصدون نفي قيام الأفعال الاختيارية به) -: فإن ذلك باطلٌ. وهذا أصلٌ عند أكثر المتكلمين؛ فإنهم يقولون: إنه تعالى منزّه عن حلولِ الحوادث، يريدون: نفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه؛ كالمجيء، والنزول، والاستواء على العرش، والله أعلم.

٥٠٦. سَرَّاء: فَعْلَاء؛ من السرور.
٥٠٧. سارع إلى الشيء: بادر إليه.
٥٠٨. إسراف: إفراط.
- والمسرفون: أي: المبذرون، أو المفرطون في الكفر والمعاصي.
٥٠٩. سَوَاقٍ: عورة.
- والسوء: ما يسوء - بالفتح والضم -.
- و﴿السَّوْآتَى﴾ [الروم: ٩]: فُعْلَى؛ من السوء.
- و﴿سَتَّاءٌ بِهِمْ﴾ [هود: ٧٦]: فُعِلَ بِهِم السوء.
٥١٠. سَنَّةٌ - بفتح السين -: عامٌ، ولامها محذوفة، وجمعها: سنين.
- وقد تقال بمعنى: القحط والجذب.
٥١١. سِنَّةٌ - بكسر السين -: ابتداء النوم، وفاؤها واو محذوفة؛ لأنها من الوسن .
٥١٢. سَلَكَ يَسْلُكُ: له معنيان:
- [١] أدخل؛ ومنه: ﴿أَسْلُكُ يَدَكَ﴾ [الفصص: ٣٢]، و﴿بَسَلَكُهُ يَتَّبِعُ﴾ [الزمر: ٢٠] .
- [٢] ومن: سلوك الطريق.
٥١٣. أسفارٌ: جمع: سَفَرٍ - بفتح السين -:
- وجمع: سَفَرٍ؛ وهو الكتاب.
٥١٤. ساح يسبح: أي: سار؛ ومنه: ﴿بَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢].
- و﴿السَّيِّحُونَ﴾ [التوبة: ١١٣]: الصائمون.
٥١٥. سَوَّلَ - بتشديد الواو -: زَيَّنَ؛ ومنه: ﴿سَوَّلْتُ لَكُمْ أَنْ يُسَكِّمَ﴾ [يوسف: ١٨].
٥١٦. سراييل: جمع سربال؛ وهو القميص.
٥١٧. سبأ: قبيلة من العرب.

٥١٨. سَمُوم: شِدَّةُ الْحَرِّ.

٥١٩. سَلام: له ثلاثة معان:

[١] التَّحِيَّة.

[٢] وَالسَّلَامَةُ.

[٣] وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ؛ وَمِنْهُ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٥٢٠. سَلام: اسم الله تعالى؛ معناه: ذو السلامة من كل نقص؛ فهو من أسماء التنزيه.

وقيل: مُسَلِّمُ الْعِبَادِ مِنَ الْمَهَالِكِ.

وقيل: ذو السلام على المؤمنين في الجنة.

٥٢١. سَلَّمَ -بِفَتْحَتَيْنِ-: انْقِيَادًا، وَإِلْقَاءً بِالْيَدِ.

وهو -أَيْضًا- بَيْعٌ.

٥٢٢. سَلَّمَ -بِفَتْحِ السَّيْنِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ-: صُلْحٌ وَمَهَادَنَةٌ.

٥٢٣. سَلَّمَ -بِكَسْرِ السَّيْنِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ-: معناه: الإسلام.

٥٢٤. سَلَّمَ -بِضَمِّ السَّيْنِ وَفَتْحِ اللَّامِ مُشَدَّدَةً-: هو الذي يُصْعَدُ فِيهِ.

٥٢٥. أَسْلَمَ يُسَلِّمُ: له ثلاثة معان:

[١] الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ.

[٢] وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ.

[٣] وَالْانْقِيَادُ؛ وَمِنْهُ: ﴿قَلَمًا أَسْلَمًا﴾ [الصافات: ١٠٣].

٥٢٦. سَعَى يَسْعَى: له ثلاثة معان:

[١] عَمِلَ عَمَلًا؛ وَمِنْهُ: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٨].

[٢] وَمَشَى؛ وَمِنْهُ: ﴿بِاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

[٣] وَأَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ؛ وَمِنْهُ: ﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس: ٢٠].

٥٢٧. سكن يسكن: له معنيان:

[١] من السكون ضد الحركة.

[٢] ومن السُّكنى في الموضع.

٥٢٨. سَكِينَة: وقار وطُمَأْنِينَة .

٥٢٩. سَائِغ: سهل للشَّرَاب<sup>(١)</sup>، لَا يَغْصُ بِهِ مِنْ شَرْبِهِ .

٥٣٠. سابغات: دروع واسعات طوال.

٥٣١. أساطير الأولين: ما كتبه المتقدمون.

٥٣٢. مَسِيطَر: أَي مُسَلِّط.

و﴿أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥] أَي: الأرباب.

٥٣٣. سندس وإستبرق: ثياب حرير.

وقيل: السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: صفيقه.

٥٣٤. سَحَقًا: بُعْدًا؛ ومنه: ﴿مَكَانٍ سَحِيٍّ﴾ [الحج: ٣١] أَي: بعيد.

٥٣٥. سَعِير: جهنم.

و﴿سُعْرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]: أوقدت.

٥٣٦. سبب - وجمعه: أسباب - : له خمسة معان:

[١] الحبل؛ ومنه: ﴿فَلْيُمْدِدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥].

[٢] والاستعارة من الحبل في المودَّة والقراية؛ ومنه: ﴿وَتَقَطَّعْتَ يَهِيمُ الْأَسْبَبَ﴾

[البقرة: ١٦٥].

[٣] والطريق؛ ومنه: ﴿بَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤].

[٤] والباب؛ ومنه: ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾ [غافر: ٣٧].

[٥] وسبب الأمر: مُوجِبُهُ .

(١) في ب: «للشرب».

## حرف الشين

٥٣٧. شَعَرَ: بالأمر يشْعُرُ: أي: عَلِمَهُ.

والشعور: العلم من طريق الحسِّ؛ ومنه: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١].

٥٣٨. شَهِدَ يَشْهَدُ: له معنيان:

[١] من الشهادة على الشيء.

[٢] ومن الحضور.

٥٣٩. شهداء: جمع شهيد؛ وله ثلاثة معان:

[١] من الشهادة على الشيء.

[٢] ومن الحضور.

[٣] ومن الشهادة في سبيل الله.

٥٤٠. شكر: قد تقدم في الحمد<sup>(١)</sup>.

والشَّاكر والشَّكور: اسم الله المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب.

وقيل: المثنى على العباد.

٥٤١. شَرَى: أي: باع.

وقد يكون بمعنى: اشترى.

٥٤٢. شِقَاقٌ: عداوة ومعاندة؛ ومنه: ﴿وَمَنْ يُّشَاقِبِ اللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣].

٥٤٣. شهاب: كوكب.

وقد يطلق على شعلة النار.

٥٤٤. شجر: هو كل ما ينبت في الأرض.

﴿شَجَرٍ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤] أي: اختلفوا فيه.

(١) انظر المادة (١٢٦).

٥٤٥. شَنَانٌ: عداوة وشرٌّ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها.

٥٤٦. شَرَعَ اللهُ الأَمْرَ: أي: أمر به.

والشريعة والشرعة: الملة.

وَشَرَعَتِ الدَّوَابُّ فِي المَاءِ.

٥٤٧. شَعَائِرُ اللهِ: معالم دينه، واحدها: شَعِيرَةٌ أو شِعَارَةٌ.

٥٤٨. شِرْكٌ: له معنيان:

[١] من الإِشْرَاقِ.

[٢] وهو -أيضاً- النصيب؛ ومنه: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠].

٥٤٩. شركاء: جمع شريك.

٥٥٠. مشحون: أي: مملوء.

## حرف الهاء

٥٥١. الهُدَى: له معنيان:

[١] الإرشاد.

[٢] والبيان.

وَمِنَ البَيَانِ: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٦].

والإرشاد قد يكون إلى الطريق، وإلى الدين، وبمعنى التوفيق والإلهام.

٥٥٢. الهُدَى -بفتح الهاء وإسكان الدال-: ما يُهْدَى إلى الكعبة من البهائم.

٥٥٣. هاد يهود: أي: تاب؛ ومنه: ﴿هَذَا إِلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وَالَّذِينَ هَادُوا ﴿البقرة: ٦١﴾ أي: تهودوا؛ أي: صاروا يهوداً، وأصله من قولهم: ﴿

هَذَا إِلَيْكُمْ﴾.



٥٥٤. هود: له معنيان:

[١] اسم نبي عاد عليه السلام.

[٢] وبمعنى اليهود؛ ومنه: ﴿كُونُوا هُودًا﴾ [البقرة: ١٣٤].

٥٥٥. هوى النفس - مقصور -؛ وهو ما تحبُّ وتميل إليه.

والفعل منه: بكسر الواو في الماضي، وفتحها في المضارع.

والهواء - بالمد والهمز -؛ ما بين السماء والأرض.

﴿وَأَفِيدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٥] أي: مُنْخَرِقَةٌ لَا تَعِي<sup>(١)</sup> شيئا.

وهوى يهوي - بالفتح في الماضي والكسر في المضارع -؛ وقع من علو.

ويقال - أيضًا - بمعنى الميل؛ ومنه: ﴿أَفِيدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

٥٥٦. هاجر: خرج من بلاده؛ ومنه سمي: المهاجرون.

٥٥٧. هجر: من الهجران.

ومن الهُجر - أيضًا -؛ وهو: فحش الكلام.

وقد يقال في هذا: أهجر - بالألف -.

٥٥٨. أَهْلٌ لغير الله به: أي: صبيح، والإهلال: الصياح.

ثم استعمل في:

الكلام بغير صياح.

وفي النية؛ أي: أريد به غير الله.

٥٥٩. مهيمن عليه: أي شاهد. وقيل: مؤتمن.

والمهيمن: اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم.

وقيل: الشاهد.

وقيل: الرقيب.

(١) في ب، د: «لا تغني».

٥٦٠. هَوَانٌ وَهُونٌ: أي: ذُلٌّ.

٥٦١. مُهِين - بضم الميم -: مُفْعِلٌ مشتق من الهوان؛ أي: مُذِلٌّ.  
وأما مُهِين - بفتح الميم -: فمعناه: ضعيف، أو ذليل.

### حرف الواو

٥٦٢. وَقُودُ النَّارِ - بفتح الواو -: ما توقد به من الحطب وشبهه.  
وَالْوُقُود - بالضم -: المصدر.

٥٦٣. وَجْهٌ: له معنيان:

[١] الجارحة.

[٢] والجهة؛ ومنه: ﴿وَجْهَةٌ﴾ [البقرة: ١٤٧].

وأما وجه الله:

ففي قوله: ﴿إِنِّي نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [البقرة: ٢٧١]، أي: طلب رضاه.

وفي قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٥]:

قيل: الوجه: الذات.

وقيل: صفة كاليدين؛ وهو من المتشابه<sup>(١)</sup>.

٥٦٤. وَعَدَ يَعِدُ وَعْدًا: بالخير.

وقد يقال في الشرِّ إِذَا قُيِّدَ.

وأوعد - بالالف - يُوعِدُ وَعِيدًا: بالشرِّ لا غير.

٥٦٥. وَدَّ يُوَدُّ: له معنيان:

[١] من المودة والمحبة.

[٢] وبمعنى: تمنى، نحو: ﴿وَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [النساء: ٨٨].

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٢٢).

والوُدُّ بالضم: المحبة.

و﴿وَدَّآ﴾ [نوح: ٢٣]: اسم صنم، بضم الواو وفتحها.

٥٦٦. ودود: اسم الله تعالى؛ أي: محبٌ لأوليائه.

وقيل: محبوب.

٥٦٧. ويلٌ: كلمة شر.

وقيل: إن الويل وادٍ في جهنم.

٥٦٨. وجب: له معنيان:

[١] من وجوب الحق.

[٢] وبمعنى: سقط، كقولهم: وجب الحائط: إذا سقط؛ ومنه: ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾

[الحج: ٣٤].

٥٦٩. وَسَطٌ وَأَوْسَطٌ: له معنيان:

[١] من التوسط بين الشيئين.

[٢] وبمعنى: الخيار والأحسن<sup>(١)</sup>.

٥٧٠. وَسِعَ يَسَعُ سَعَةً: من الاتساع ضد الضيق.

والسعة: الغنى.

والواسع: اسم الله تعالى؛ أي: واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة، وقيل:

واسعٌ: جواد.

٥٧١. مُوسِعٌ: غنيٌّ؛ أي: واسع الحال، وهو ضد المُقْتِر.

و﴿وَأَنَّا لَمَوْسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]: قيل: أغنياء، وقيل: قادرون.

و﴿الْأَوْسَعَهَا﴾: طاقتها.

(١) في ج، د: «والإحسان».

٥٧٢. وَلَّى: له معنيان:

[١] أدبر.

[٢] وجعل واليًا.

٥٧٣. تَوَلَّى: له ثلاثة معان:

[١] أدبر وأعرض بالبدن، أو بالقلب.

[٢] وصار واليًا.

[٣] واتخذ وليًا؛ ومنه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٥٨].

٥٧٤. وَلِيٌّ: ناصر.

والولي: اسم الله؛ قيل: ناصر، وقيل: متولي أمر الخلائق.

٥٧٥. مَوْلَى: له سبعة معان:

[١] السيد الأعظم.

[٢] والناصر.

[٣] والولي - أي القريب -.

[٤] والمالك.

[٥] والمعتق.

[٦] والمعتق.

[٧] وبمعنى: أولى؛ ومنه: ﴿مَا وَبَّيْكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلِيكُمْ﴾ [الحديد: ١٤].

٥٧٦. وَلَجَ يَلِج: أي: دخل؛ ومنه: ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾.

وأولج يُولِج: أدخل؛ ومنه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ﴾.

٥٧٧. وَهَنَ يَهِن: ضعف؛ ومنه: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ [مريم: ٣]، والوهن: الضعف.

٥٧٨. وَرَدَ الْمَاءَ يَرُدُّه: إذا جاء إليه.

وأورده غيره.

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩]: الذي يتقدمهم إلى الماء فيستقي لهم.

٥٧٩. أوزعني: أي: ألهمني ووفقني.

٥٨٠. يوزعون: يدفعون.

٥٨١. وليد: صبي، وجمعه: ولدان.

٥٨٢. وجِل: يُوَجَلُ وجَلًا: خاف، ومنه: ﴿لَا تُوجَلِ﴾ [الحجر: ٥٣]، و﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ و﴿وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٤].

٥٨٣. أوجس: وجد في نفسه وأضم.

٥٨٤. وارى يُواري: أي: ستر؛ ومنه: ﴿يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣٣]، و﴿مَا يُدْرِى عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩].

وتواري: أي: استتر واستخفى.

٥٨٥. وطى يطأ: له ثلاثة معان:

[١] جماع المرأة.

[٢] ومن الوطء بالأقدام؛ ومنه: ﴿وَأَرْضاً لَّمْ تَطْثُوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

[٣] والإهلاك؛ ومنه: ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ دَأً أَنْ تَطْثُوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥].

٥٨٦. وُقِرَّ - بفتح الواو - : هو الصمم والثقل في الأذن.

والوُقِرَّ - بكسر الواو - : الحِمْل؛ ومنه: ﴿بِالْحَمْلِ وَفِرّاً﴾ [الذاريات: ٢].

٥٨٧. وذُق: هو المطر.

٥٨٨. واصب: أي: دائم.

٥٨٩. وكيل: كفيل بالامر.

وقيل: كاف.

٥٩٠. وُرِّرَ - بكسر الواو وإسكان الزاي - : له معنيان:

[١] الذنب؛ ومنه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

[٢] والحمل الثقيل، وهو الأصل؛ ومنه: ﴿أَوْزَاراً مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٦]؛ أي: أحمالاً.

٥٩١. وَزَرَّ - بفتحيتين - : أي: ملجأً.

٥٩٢. وزير: أي: مُعين، وأصله: من الوزر بمعنى: الثقل؛ لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله.

٥٩٣. وسوس الشيطان إلى الإنسان: ألقى في نفسه.

والوسواس: الشيطان.

٥٩٤. أَوْحَى يُوحِي وحيًا: له ثلاثة معان:

[١] كلام الملك عن الله للأنبياء؛ ومنه قيل للقرآن: وحي.

[٢] وبمعنى الإلهام؛ ومنه: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

[٣] وبمعنى الإشارة؛ ومنه: ﴿بَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١٠]؛ أي: أشار.

٥٩٥. وَعَى العلمَ يعِي<sup>(١)</sup>: حفظه؛ ومنه: ﴿أُذِّنْ وَاعِظُ﴾ [الحاقة: ١١].

وأوعى - بالالف - يُوعِي: جمع المال في وعاء؛ ومنه: ﴿وَجَمَعَ بَأُوعَى﴾ [المعارج: ١٨].

### حرف الياء

٥٩٦. يمين: له أربعة معان:

[١] اليد اليمنى.

[٢] والجهة اليمنى.

[٣] وبمعنى القوة.

[٤] وبمعنى الحلف.

٥٩٧. أيمن: أي: إلى الجهة اليمنى.

(١) في أ، ب: «يعني».

٥٩٨. يسيرٌ: له معنيان:

[١] قليل؛ ومنه: ﴿كَئِيلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥].

[٢] وهينٌ؛ ومنه: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

واليسر: ضد العسر.

٥٩٩. يئس من الأمر يئأس: أي: انقطع رجاءه؛ ومنه: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾

[يوسف: ٨٧]، و﴿إِنَّهُ لَيُؤَسُّ﴾ [هود: ٩].

وأما ﴿أَقْلَمُ يَأْيِسُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الرعد: ٣٢]: فمعناه: ألم يعلم.

٦٠٠. يَمُّ: هو البحر.

٦٠١. ميسرٌ: هو القمار في النرد والشطرنج وغير ذلك.

وهو مأخوذ من: يَسُرُّ لي كذا: إذا وجب.

واليسر - بفتح الياء والسين -: الرجل الذي يشتغل بالميسر، وجمعه: أيسار.

وميسر العرب: أنهم كان لهم عشرة قِداح - وهي الأزلام - لكل واحد منها<sup>(١)</sup> نصيب

معلوم من ناقة ينحرونها، وبعضها<sup>(٢)</sup> لا نصيب له، ويجزؤونها عشرة أجزاء، ثم

يُدخلون الأزلام في خريطة ويضعونها على يدي عدلٍ، ثم يُدخل يده فيها فيُخرج

باسم رجل قِدْحًا، فمن خرج له قِدْحٌ له نصيب: أخذ ذلك النصيب، ومن خرج له

قِدْح لا نصيب له: غَرِمَ ثمن الناقة كلها.

٦٠٢. يَنْبِغُ: أي: عينٌ من ماء، والجمع ينابيع.



(١) في د: «منهم».

(٢) في د: «وبعضهم».

## الكلام على الاستعاذة

فيه عشر فوائد من فنون مختلفة:

❖ الأولى: لفظ التعوذ على خمسة أوجه:

[١] «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وهو المروي عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، والمختار عند القراء.

[٢] و«أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، وهو مروي عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

[٣] و«أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم».

[٤] و«أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي».

[٥] و«أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد» =

وهي محدثة.

❖ الثانية: يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة؛ سواء ابتداء أول سورة، أو جزء سورة.

والأمر بذلك على الندب.

❖ الثالثة: يُجهر بالاستعاذة عند الجمهور، وهو المختار.

وروي الإخفاء عن حمزة ونافع.

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٧٩) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ لم يسم، انظر: نتائج الأفكار (٤١٦/١). وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٧٨٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٥٦٨)، والحاكم (٨٥٨) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٤١٢/١).

(٢) أخرجه أحمد (١١٤٧٣)، والترمذي (٢٤٤٢)، وأبو داود (٧٧٥)، وابن خزيمة (٤٦٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال الترمذي: «وحدثني أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب»، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: «لا يصح هذا الحديث»، وضعفه -أيضاً- ابن خزيمة، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٤١٧/١).



❖ **الرابعة:** لا يتعوذ في الصلاة عند مالك.

ويتعوذ في أول ركعة عند الشافعي وأبي حنيفة<sup>(١)</sup>.

وفي كل ركعة عند قوم.

فحجة مالك: عمل أهل المدينة.

وحجة غيره: قول الله تعالى: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

[النحل: ٩٨]؛ وذلك يعم الصلاة وغيرها<sup>(٢)</sup>.

❖ **الخامسة:** إنما جاء «أعوذ» بالمضارع دون الماضي؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق

إلا بالمستقبل؛ لأنها كالدعاء.

وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده؛ مشاكلةً للأمر به في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ﴾.

❖ **السادسة:** «الشَّيْطَانِ» يحتمل أن يراد به:

الجنس؛ فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين.

أو العهد؛ فالاستعاذة من إبليس.

وهو مشتق من:

شَطَنَ: إذا بَعُدَ<sup>(٣)</sup>؛ فالنون أصلية، والياء زائدة، ووزنه: «فِعَال».

وقيل: من شاط: إذا هاج<sup>(٤)</sup>؛ فالنون زائدة، والياء أصلية، ووزنه: «فَعْلَان».

وإن سَمَّيْتَه به: لم ينصرف على الثاني؛ لزيادة الألف والنون، وانصرف على الأول.

❖ **السابعة:** «الرَّجِيمِ»: فَعِيل بمعنى مفعول، ويحتمل معنيين:

أن يكون بمعنى: لعين وطريد<sup>(٥)</sup>؛ وهذا يناسب إبليس؛ لقوله: ﴿إِنَّكَ رَجِيمٌ﴾

[الحجر: ٣٤].

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ٤٢٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٥٥).

(٣) لأنه بعد عن الخير ورحمة الله. المحرر الوجيز (١/ ٥٧).

(٤) إذا هاج وأحرق ونحوه؛ إذ هذه أفعاله. المحرر الوجيز (١/ ٥٧).

(٥) أي: هو مرجوم باللعة والمقت وعدم الرحمة. المحرر الوجيز (١/ ٥٧).

وأن يكون من: الرَّجْم بالنجوم؛ وهذا يناسب الجنس؛ لقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رَجُومًا لِّلشَّيْطَانِ﴾ [الملك: ٥].

والأَوَّل أظهر.

❖ **الثامنة:** من استعاذ بالله صادقاً أعاده، فعليك بالصدق، ألا ترى امرأة عمران لما أعادت مريم وذريتها عصمها الله!؛ ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود<sup>(١)</sup> إلا نَحَسه الشيطان فيستهلُّ صارخاً<sup>(٢)</sup>، إلا ابنَ مريم وأُمّه»<sup>(٣)</sup>.

❖ **التاسعة:** الشيطان عدوٌّ حَذَّر الله منه؛ إذ لا مطمع في زوال عَادِيَّتِهِ<sup>(٤)</sup>، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، فيأمره -أولاً- بالكفر ويشكِّكه في الإيمان، فإن قَدَرَ عليه وإلَّا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلَّا ثَبَّطه عن الطاعة، فإن سلِم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب.

❖ **العاشرة:** القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلق.

فعلاجُ الشيطان: بالاستعاذة منه، والمخالفة له.

وعلاج النفس: بالقهر.

وعلاج الدنيا: بالزهد.

وعلاج الخلق: بالانقباض والعزلة.

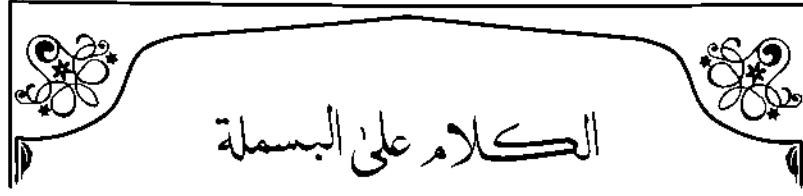


(١) في الرواية زيادة: «يولد».

(٢) في الرواية زيادة: «من نخسه الشيطان».

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦) واللفظ له، من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) قال في «لسان العرب» (١٩/٢٦٤): «ويقال: كَفَّ عَنَّا عَادِيَّتَكَ: أي: ظلمك وشرك».



فيه عشر فوائد<sup>(١)</sup> :

❖ **الأولى** : ليست البسملة عند مالك بآية من الفاتحة ولا من غيرها، إلا من النمل خاصة<sup>(٢)</sup>. وهي عند الشافعي: آية من الفاتحة<sup>(٣)</sup>. وعند ابن عباس ؓ: آية من كل سورة<sup>(٤)</sup>.

**فحجة مالك** : ما ورد في الحديث الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : «أنزلت عليّ سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، ثم قال : الحمد لله رب العالمين»<sup>(٥)</sup>؛

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٥٨).

(٢) مذهب مالك أن البسملة ليست آية من القرآن، إلا في النمل (حاشية الدسوقي ١/ ٢٥١)، ومذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدئ الروايتين - وهي المذهب عند الأصحاب - أن البسملة آية من القرآن، ولكنها ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها، وإنما هي آية مستقلة فاصلة بين كل سورتين سوى براءة (البنابة شرح الهداية ١٩٦/٢، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف ٣/ ٤٣٠-٤٣٨).

(٣) وهي الرواية الثانية في مذهب أحمد، اختارها أبو عبد الله ابن بطّة، وأبو حفص العكبري.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٦٠٩) وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢١٨، ٢٢٢) من طريق ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؓ، وأخرجه من هذا الطريق البيهقي في السنن (٢٣٩٩) والحاكم في المستدرک (٢٠٢٠) وقال : «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه»، وأخرجه الفراء في معاني القرآن (٩١/٢) من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن من طريق مجاهد عن ابن عباس، وحسنه السيوطي في الإتقان (١/ ٢٦٨)، وقال ابن كثير في تحفة الطالب (٩٣) : «إسناده جيد».

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢٢٤) عن سعيد مولى عامر بن كريز، أن رسول الله ﷺ قال لأبي بن كعب : «إني لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تغلّم سورة ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الفرقان مثلها.. وفيه قال ﷺ : «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟» فقال : فقرأت عليه : «الحمد لله رب العالمين».

حتى أتيت على آخرها، فقال رسول الله ﷺ : «هي هذه السورة، وهي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيت»، قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٠/ ٢١٧) : «حديثه هذا مرسل»، وقال ابن حجر في المطالب العالية (١٤/ ٤٣٣) : «هذا مرسل صحيح الإسناد»، وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٠٤) : «ظاهره أنه منقطع، إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب، فإن كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم».

ولم يذكر البسملة، وكذلك ما ورد في الحديث الصحيح: «إن الله يقول: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وبين عبدي نصفين: يقول العبد: الحمد لله رب العالمين..»<sup>(١)</sup> فبدأ بهذا دون البسملة. وحجة الشافعي: ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين»<sup>(٢)</sup>.

وحجة ابن عباس ؓ: ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف.

❁ **الثانية:** إذا ابتدأت أول سورة بسملة، إلا «براءة»، وسنذكر علّة سقوطها من «براءة» في موضعه. وإذا ابتدأت جزء سورة: فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو الداني<sup>(٣)</sup>. وتترك البسملة عند غيره. وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى: فاختلف القراء في البسملة وتركها.

❁ **الثالثة:** لا يبسمل في الصلاة عند مالك. ويبسمل عند الشافعي جهراً في الجهر، وسراً في السرّ. وعند أبي حنيفة: سراً في الجهر والسرّ<sup>(٤)</sup>.

فحجة مالك من وجهين:

أحدهما: أنها ليست عنده آية من الفاتحة حسبما ذكرنا.

والآخر: الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: «صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَكَانُوا يَفْتَتِحُونَ بِ«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، لَا يَذْكُرُونَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

= روى قصة أبي أحمد (٩٣٤٥)، والترمذي وصححه (٢٨٧٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٤١)، وابن خزيمة

(٥٠٠)، والحاكم وصححه (٢٠٤٨) من حديث أبي هريرة ؓ، وليس فيه موضع الشاهد.

وأخرج البخاري (٤٤٧٤) عن أبي سعيد بن المعلن أن النبي ﷺ قال له: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد» الحديث.. وفيه: قال: «الحمد لله رب العالمين» هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته..

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٥٨٣)، وأبو داود (٤٠٠١) من حديث أم سلمة ؓ، وصححه ابن خزيمة (٤٩٣)، والدارقطني (١١٩١)، والحاكم (٢٩١٠) ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: التيسير في القراءات السبع، للداني (١٨).

(٤) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/٤٣٠-٤٣٨).

الرَّحِيمِ ﴿ في أوّل الفاتحة ولا في آخرها ﴾<sup>(١)</sup>.

وحجة الشافعي من وجهين:

أحدهما: أن البسمة عنده آية من الفاتحة.

والآخر: ما ورد في الحديث من قراءتها حسبما ذكرناه.

❖ **الرابعة:** كانوا يكتبون: «باسمك اللهم»، حتى نزل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِبُهَا﴾ [هود: ٤١] فكتبوا: «بسم الله»، حتى نزل: ﴿أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١٠٩] فكتبوا: «بسم الله الرحمن»، حتى نزل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكتبوها<sup>(٢)</sup>. وحذفت الألف من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>؛ لكثرة الاستعمال.

❖ **الخامسة:** الباء من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: متعلقة باسم محذوف عند البصريين، والتقدير: ابتدائي كائنٌ بسم الله؛ فموضعها: رفعٌ. وعند الكوفيين: تتعلق بفعل، تقديره: أبدأ أو أتلو؛ فموضعها: نصب. وينبغي أن يقدر متأخراً<sup>(٤)</sup>؛ لوجهين: أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص.

والآخر: تقديم اسم الله اعتناءً؛ كما قدم في ﴿بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِبُهَا﴾ [هود: ٤١].

❖ **السادسة:** الاسم مشتق من السمو عند البصريين؛ فلامه واوٌ محذوفة<sup>(٥)</sup>. وعند الكوفيين: مشتقٌ من السمة - وهي العلامة -؛ ففاؤه واوٌ محذوفة<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣) ومسلم (٣٩٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٧٣/٩)، وعبد الرزاق في تفسيره (٤٧٦/٢)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٠٤٠)، وابن سعد في الطبقات (٢٦٣/١) عن الشعبي مرسلًا، قال العجلي في الثقات (١٢/٢): «مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يُرسل إلا صحيحًا».

(٣) اختصارًا وتخفيفًا. المحرر الوجيز (٦٢/١).

(٤) أي: ينبغي تقدير المحذوف اسمًا كان أو فعلًا متأخرًا عن اسم الله، فيكون التقدير: «باسم الله ابتدائي»، أو «أبدأ»، فيقدم اسم الله. الكشاف (٦٨٦/١).

(٥) فهو من سما يسمو سماء؛ لأن التسمية تنويع بالسمي، وإشادة بذكره. المحرر الوجيز (٦٢/١)، والكشاف (٦٩٧/١).

(٦) فهو من وسَم يسم سماء. المحرر الوجيز (٦٢/١).

ودليل البصريين: التصغير والتكسير؛ لأنهما يردّان الكلمات إلى أصولها، فقول العرب: أسماءٌ وسُمِّيَ دليلٌ على أن الفاء هي السين، وأن اللام حرف علة. وقول الكوفيين أظهر في المعنى؛ لأنّ الاسم علامةٌ على المسمى.

❖ **السابعة:** قولك «الله» اسم مرتجل جامد<sup>(١)</sup>، والألف واللام فيه لازمة، لا للتعريف. وقيل: إنه مشتق من التألّه، وهو التعبد.

وقيل: من الولّهان، وهي الحيرة؛ لتحير العقول في شأنه.

وقيل<sup>(٢)</sup>: أصله «إله» من غير ألف ولام، ثم حذفت الهمزة من أوله على غير قياس، ثم أدخلت عليه الألف واللام<sup>(٣)</sup>.

وقيل: أصله «الإله» بالألف واللام، ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام؛ كما تنقل في «الأرض» وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرى<sup>(٤)</sup>. وفُحِّمَ<sup>(٥)</sup>؛ للتعظيم، إلّا إذا كان قبله كسرة.

❖ **الثامنة:** «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» صفتان، من الرحمة، ومعناها<sup>(٦)</sup>:

الإحسان؛ فهي صفة فعل.

وقيل: إرادة الإحسان؛ فهي صفة ذات<sup>(٧)</sup>.

(١) أي: لا اشتقاق له من فعل، وإنما هو موضوع له تبارك وتعالى. المحرر الوجيز (١/ ٦٦).

(٢) انتقل إلى مسألة أخرى، وهي أنه بناء على القول باشتقاق «الله» من «إله»؛ اختلف كيف تعلّل «إله» حتى جاء «الله». المحرر الوجيز (١/ ٦٦).

(٣) حذفت الهمزة من أوله فصار «لاه»، ثم أدخلت عليه الألف واللام للتعظيم فصار «الله»، وقوى هذا الوجه ابن عطية، وهو الذي عوّل عليه الزمخشري في الكشاف (١/ ٧٠٠).

(٤) أي: أدخلت الألف واللام على «إله» قبل حذف الهمزة، ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام، فصار «الإلاه»، فأدغمت إحدى اللامين في الأخرى، فصار «الله». المحرر الوجيز (١/ ٦٦).

(٥) أي: فُحِّمَتِ اللام.

(٦) في ب، د: «ومعناها».

(٧) [التعليق ١٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراء: قوله: «ومعناها: الإحسان...»، إلخ: أقول: هذا يتضمن تفسير الرحمة: إمّا بالإحسان، أو بإرادة الإحسان. قال: «والإحسان صفة فعل»، والذين يقولون هذا يريدون: =

❖ **التاسعة:** الفرق بين الرحمن والرحيم على ما روي عن رسول الله ﷺ: أَنَّ الرحمن في الدنيا والآخرة، والرحيم في الآخرة<sup>(١)</sup>.

وقيل: الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين، والرحيم خاص بالمؤمنين؛ لقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الاحزاب: ٤٣]؛ فالرحمن أعمُّ وأبلغ.

وقيل: الرحيم أبلغ؛ لوقوعه بعده على طريقة الارتقاء إلى الأعلى.

ما يخلقه الله من النعم؛ فالرحمة - إِذَنْ - عبارة عن مخلوقاته سبحانه، وإن سمّوها: «صفة فعل»، فهو غلط في العقل؛ فإنَّ المفعول لا يكون صفة للفاعل، بل أثر فعله، وهم لا يُثْبِتُونَ فعلاً يقوم بالفاعل بمشيئته؛ فليس عندهم إلا فاعل ومفعول.

وقد يفسرون «الرحمة»: بإرادة الإحسان؛ وعليه فهي صفة ذاتية؛ كما قال المؤلف؛ أي: أنها قائمة بذاته تعالى. وكل من التفسيرين فيه صرف لللفظ عن ظاهره؛ فإنَّ الرحمة لها معنى يقابل الغضب؛ كما جاء في الحديث القدسي: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» [أخرجه البخاري (٧٤٤٢)، ومسلم (٢٧٥١)] من حديث أبي هريرة ؓ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة التدمرية»، في الذين ينشؤون صفة الرحمة والمحبة، والغضب والرضا: «إنَّهم يفسرون ذلك: إمَّا بالإرادة، وإمَّا ببعض المفعولات من النعم والعقوبات». اهـ وعليه: فالواجب إثبات الرحمة صفة لله حقيقة، وتفسيرها بالإحسان تفسير لها بأثرها، والرحمة في صفات الله نوعان: صفة ذاتية، - وصفة فعلية، وذهب ابن القيم: إلى أنَّ الصفة الذاتية مدلول اسم الرحمة، والفعلية مدلول اسمه الرحيم. وينبغي أن يُعلم أنَّ الرحمة المضافة إلى الله نوعان:

- نوع هو صفة له سبحانه، ذاتية أو فعلية، كما تقدّم، وإضافتها إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهي مدلول الاسمين الشريفين الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ ومن هذا النوع: قول سليمان ؑ متوسلاً: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْكَافِرِينَ﴾ [النمل: ١٩].

- والنوع الثاني: رحمة مخلوقة، وإضافتها إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، فالرحمة هنا المَطَرُ، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْغَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، والرحمة هنا الجنة، وفي الحديث القدسي: أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِلْجَنَّةِ: «أَنْتِ رَحْمَتِي؛ أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ» [أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦)] من حديث أبي هريرة ؓ، والله أعلم.

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١/ ١٢٧) من طريق أبي سعيد ومن طريق ابن مسعود ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن عيسى ابن مريم قال: الرحمن: رحمة الآخرة والدنيا، والرحيم: رحمة الآخرة»، وأخرجهما كذلك ابن عدي في الكامل (١/ ٤٩٣)، وابن مردويه، كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (١/ ١١٩) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٨)، وقال ابن عدي: «وهذا الحديث باطل»، وقال ابن كثير: «وهذا غريب جداً، وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله ﷺ، ويكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات»، وقال السيوطي: «بسنده ضعيف جداً».

❁ العاشرة: إنما قَدَّمَ الرحمن لوجهين:

اختصاصه بالله.

وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات<sup>(١)</sup>.



(١) [التعليق ١٣] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: تقديم اسم الرحمن على الرحيم في الآيات يرجع إلى الفرق بين الاسمين، وكلُّ ما قيل في الفرق بينهما يقتضي تقديم الرحمن، وقول المفسّر: «وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات» معناه: أن من أسماء الله ما هو علم محض، لا يدل على صفة، والصواب أن كل اسم من أسماء الله يدل على صفة، فهو علم وصفة؛ علم يدل على ذات الرب وصفة من صفاته، فهو علم وصفة، وليس من أسماء الله ما هو علم محض، فتدبر.



## سورة أم القرآن

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

وتسمى: سورة الحمد، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع المثاني.

وفيها عشرون فائدة، سوى ما تقدّم في «اللغات» من تفسير ألفاظها.

واختلف: هل هي مكية أو مدنية؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبعُ آيات. إلا أن الشافعي يعدّ البسملة آيةً منها. والمالكي يُسقطها، ويعدّ «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» آيةً<sup>(١)</sup>.

❖ **الفائدة الأولى:** قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند مالك والشافعي<sup>(٢)</sup>، خلافاً لأبي حنيفة<sup>(٣)</sup>. وحجتهم: قوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»<sup>(٤)</sup>.

وحجة أبي حنيفة: قوله ﷺ: «أقرأ ما تيسر من القرآن»<sup>(٥)</sup>.

❖ **الثانية:** اختلف هل أوّل الفاتحة على إضمار قول: تعليمًا للعباد، أي: قولوا: الحمد لله؟ أو هو ابتداء كلام الله؟

ولا بدّ من إضمار القول في: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» وما بعده.

(١) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في أشهر الروايتين عنه، كما تقدّم.

(٢) وعند أحمد في أشهر الروايتين عنه، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/٤٣٩).

(٣) تحرير مذهبه: أن الفرض قراءة آية من القرآن، فتبطل الصلاة بترك ذلك، والواجب قراءة الفاتحة، فإذا ترك قراءتها، أثم، ولم تبطل صلاته. البناية شرح الهداية (٢/٢٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت ؓ.

(٥) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة ؓ.

❖ **الثالثة:** الحمد أعم من الشكر؛ لأن الشكر لا يكون إلا جزاءً على نعمة، والحمد يكون جزاءً كالشكر، ويكون ثناءً ابتداءً. كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد؛ لأن الحمد باللسان، والشكر باللسان والقلب والجوارح.

فإذا فهمت عموم الحمد: علمت أن قولك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقتضي: الثناء عليه بما هو أهله من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات، ويتضمن معاني أسمائه الحسنی التسعة والتسعين.

ويقتضي شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى، ورحمة أولى جميع خلقه في الآخرة والأولى. فبها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات، وتقف دون مداه عقول الخلائق! وكيفيك أن الله جعلها أول كتابه، وآخر دعوى أهل الجنة.

❖ **الرابعة:** الشكر باللسان: هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعمة، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعمة شكر»<sup>(١)</sup>.

والشكر بالجوارح: هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه.

والشكر بالقلب: هو معرفة مقدار النعمة، والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضل، لا باستحقاق العبد.

❖ واعلم أن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام:

[١] نعم دنيوية<sup>(٢)</sup>، كالعافية والمال.

[٢] ونعم دينية، كالعلم، والتقوى.

[٣] ونعم أخراوية<sup>(٣)</sup>، وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير.

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على مسند أحمد (١٨٧٤٠)، والبزار في مسنده (٣٢٨٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٢/٦)، من حديث النعمان بن بشير ؓ في ضمن حديث، وفيه: «والتحدث بنعمة الله شكر»، وضعف إسناده ابن كثير في تفسيره (٤٢٧/٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤٩١/١٥).

(٢) في أ: «دنيوية».

(٣) في أ: «أخروية».

❖ والناس في الشكر على مقامين:

منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة.

ومنهم من يشكر الله - عن جميع خلقه - على النعم الواصلة إلى جميعهم.

❖ والشكر على ثلاث درجات:

فدرجة العوام: الشكر على النعم.

ودرجة الخواص: الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال.

ودرجة خواص الخواص: أن يغيب عن رؤية النعمة بمشاهدة المنعم.

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: إن الفقراء إذا أعطوا شكروا، وإذا مُنعوا صبروا، فقال إبراهيم: هذه أخلاق الكلاب؛ ولكن الفقراء<sup>(١)</sup> إذا مُنعوا شكروا، وإذا أعطوا آثروا<sup>(٢)</sup> (٣).

(١) في أ، ب، ج، هـ: «القوم»، وفي هامش أ: «خ: الفقراء».

(٢) رواه بإسناده الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٤٥٦) قال: «حدثنا محمد بن عبد العزيز؛ قال: قال حذيفة المرعشي: قدم شقيق البلخي مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة، فاجتمع الناس، فقالوا: نجتمع بينهما. فجمعوا بينهما في المسجد الحرام، فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق: يا شقيق! على ماذا أصلتهم أصولكم؟ فقال شقيق: أصلنا أصولنا على أننا إذا رزقنا أكلنا، وإذا منعنا صبرنا. فقال إبراهيم بن أدهم: هكذا كلاب بلخ، إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت. فقال شقيق: فعلى ماذا أصلتهم أصولكم يا أبا إسحاق؟ فقال: أصلنا أصولنا على أننا إذا رزقنا آثروا، وإذا مُنعنا حمدنا وشكرنا. قال: فقام شقيق وجلس بين يديه، وقال: يا أبا إسحاق! أنت أستاذنا، ورواه أيضًا أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧).

(٣) [التعليق ١٤] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «الشُّكْرُ على ثلاثِ دَرَجَاتٍ...»، إلخ: أقول: سلكَ المؤلفُ ﷺ في تقسيم مراتبِ الشُّكْرِ والتعبير عنها طريقَ الصُّوفِيَّةِ، وفي كلامِهِ هذا عِدَّةُ مَا خُذَ: الأول: قوله: «إِنَّ الشُّكْرَ على النِّعَمِ درجةُ العوامِ»: أقول: بل الشُّكْرُ على النِّعَمِ من شأنِ العوامِ والخواصِّ من المؤمنين، وقد أثنى الله على إبراهيم ﷺ؛ فقال: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَامِهِ﴾ [النحل: ١٢١]، ولما ذكر الله ما أعطى سليمانَ ﷺ من تسخير الجنِّ والريح، قال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبا: ١٣].

الثاني: زعمُهُ أَنَّ درجةَ الخواصِّ الشُّكْرُ على النِّقَمِ: أقول: هذا لا يصحُّ؛ فإنه لم يأتِ في الكتابِ ولا في السُّنَّةِ تعلقُ الشُّكْرِ بالنِّقَمِ، وإنما الذي وردَ الحمدُ؛ فيقال: له الحمدُ على كلِّ حال، وأما الشُّكْرُ، فمتعلقُهُ النِّعَمُ، وشواهدُ هذا في القرآنِ كثيرة.

الثالث: قوله في الدرجة الثالثة: «لأنَّها درجةُ خواصِّ الخواصِّ»، وفَسَّرَها بأنْ يَغِيبَ عن النِّعْمَةِ بمشاهدةِ المنعمِ: أقول: هذا من جنسِ ما تقدَّم في درجاتِ الذِّكْرِ عند المؤلف؛ حيثُ جعلَ أعلى درجاتِ الذِّكْرِ الفناء، وهي أنْ يَغِيبَ بالله عن كلِّ ما سوى الله؛ حتى عن نفسه. وتقدَّم أنَّ مقامَ الفناء ليس بكمال، بل هو نقص. =

ومن فضيلة الشكر: أنه من صفات الحق، ومن صفات الخلق؛ فإن من أسماء الله: الشاكر والشكور، وقد فسرتُهما في «اللغات»<sup>(١)</sup>.

✽ الخامسة: قولنا: «الحمد لله رب العالمين» أفضل عند المحققين من: «لا إله إلا الله»؛ لوجهين:

أحدهما: ما خرّجه النسائي عن رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أن التوحيد الذي تقتضيه «لا إله إلا الله» حاصل في قولك: «رب العالمين»، وزادت بقولك: «الحمد لله»، وفيه من المعاني ما قدّمنا.

وأما قوله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»<sup>(٣)</sup>؛ فإنما ذلك للتوحيد الذي تقتضيه، وقد شاركتها «الحمد لله رب العالمين» في ذلك، وزادت عليها.

وهذا المؤمن<sup>(٤)</sup> يقولها لطلب الثواب، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعين عليه

= ولم يأت في الكتاب ولا في السنة مدحه، بل الرسول ﷺ - وهو أكمل الخلق ذكراً وعبودية - لا يغيب وهو يصلي، بل يسمع بكاء الصبي فيتجوّز في صلاته، وخير الهدي هدي محمد ﷺ. الرابع: ذكره الحكاية عن إبراهيم بن أدهم، وفيها التحقير للشكر على النعم، وأنه أخلاق الكلاب؛ فهذا - على فرض ثبوته - قبيح.

(١) انظر: المادة (٥٤٠) في اللغات.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٨٠١٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٠٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٤٤٦)، والحاكم في مستدركه (١٨٨٦) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد ؓ، عن النبي ﷺ قال: «إن الله اصطفى من الكلام أربعاً، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فمن قال سبحان الله كتب له عشرون حسنة، وحُطت عنه عشرون سيئة، ومن قال الله أكبر فمثل ذلك، ومن قال لا إله إلا الله فمثل ذلك، ومن قال الحمد لله رب العالمين من قَبْلِ نفسه كتب له ثلاثون حسنة وحُطت عنه ثلاثون سيئة»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٩/١٠): «ورجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٥٧٤) عن طلحة بن عبيد الله بن كُرَيْز عن النبي ﷺ، وعنه أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨١٢٥)، والبيهقي في السنن (٩٥٦٨)، وقال: «هذا مرسل»، وقد روي عن مالك بإسناد آخر موصولاً ووصله ضعيف، وكذا قال ابن عبد البر في التمهيد (٣٩/٦)، وأخرجه الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقال: «حديث غريب»، وضعفه.

(٤) في د: «المؤمن»، وفي هـ: «المؤمن».

«لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

(١) [التعليق ١٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك، قوله: «قولنا: الحمد لله رب العالمين» أفضل عند المحققين من: «لا إله إلا الله»، صريح في تفضيل «الحمد لله رب العالمين» على «لا إله إلا الله»، وعزا ابن جزري هذا التفضيل إلى المحققين، ولم يذكر بعض أعيانهم، ومن أي طائفة هم، فمجرد قوله: «عند المحققين» لا تكفي، وفي دعوى هذا التفضيل نظر، وأما الاستدلال عليها بالحديث الذي رواه النسائي: «ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»، فهو معارض بالحديث الذي ذكره، وهو قوله ﷺ: «خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، فلا إله إلا الله كلمة التقوى، وهي كلمة التوحيد التي هي أصل دين الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وهي مفتاح دعوتهم، ونبينا ﷺ منذ بعثه الله مكث عشر سنين بمكة لا يقول للناس إلا قولوا: لا إله إلا الله، لم يأمرهم بشيء من الكلام غيرها، وهي الكلمة التي شهد الله بها لنفسه، وشهدت بها ملائكته وأولو العلم.

وأما جواب المؤلف عن الحديث الذي ذكره بأن «الحمد لله رب العالمين» تدل على التوحيد وزيادة، فلا يسلم له؛ فإن غاية ما تدل عليه توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، لا على توحيد الإلهية الذي دعت إليه الرسل وأنكره المشركون، ولقد فرق الله بين الرب والإله بقوله: ﴿يَرْبُّ الْكَاسِ ۝ مَلِكِ الْكَاسِ ۝ إِلَهُ الْكَاسِ﴾، والرب هو الخالق المالك المدبر، والإله هو المعبود.

وكلمة توحيد الإلهية لا يحصى ذكرها في القرآن؛ تارة بالاسم الظاهر: «لا إله إلا الله»، وتارة بضمير الغائب: «لا إله إلا هو»، وتارة بضمير المتكلم: «لا إله إلا أنا»، وتارة بضمير الخطاب كما في دعاء يونس ﷺ: «لا إله إلا أنت»، وبكلمة التوحيد لا إله إلا الله كان النبي ﷺ يدعو في الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض، ورب العرش العظيم» [أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠) عن ابن عباس ؓ]، وجاء في فضل كلمة التوحيد أحاديث كثيرة، كقوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. في يوم مئة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له جرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه» [أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة ؓ].

فهذه الفضائل لا يقاومها حديث: «من قال: الحمد لله رب العالمين كتبت له ثلاثون حسنة»؛ فلا بد من تأويله، ولعل هذا التفضيل لأمر قام بقلب الذاكر لقوله: «من قبل نفسه».

ويقال أيضا: إن هذا الحديث قد روي عن كعب من قوله، ونقل ابن رجب في شرح الأربعين (٢/٢١) عن بعض أهل العلم أن الموقوف أصح من المرفوع. ثم وقفت - أخيرا - على كلام للمحافظ أبي بكر ابن العربي في كتابه المسالك في شرح موطأ مالك (٣/٤٧١)، أفاض فيه في الكلام على المسألة، وذكر أن أكثر العلماء على أن كلمة التوحيد أفضل من الحمد لله، فيحسن مراجعة كلامه.

وبعد: فالذي ظهر لي أن الصحيح ما دلت عليه الأحاديث المستفيضة في فضل لا إله إلا الله، مع ما تقدم من الوجوه، فكلمة التوحيد هي أول الأمر وآخره، وعليها مدار الخلق والأمر، فلا يعدلها شيء من كلمات الذكر، فضلا عن أن يكون أفضل منها. والله أعلم.

❖ السادسة: «الرَّبُّ» وزنه: فَعِلٌ - بكسر العين - ثم أدغم. ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح؛ وكلها تصلح<sup>(١)</sup> في «رَبِّ الْعَالَمِينَ»، إلا أن الأرجح: معنى الإله؛ لاختصاصه بالله تعالى. كما أن الأرجح في «الْعَالَمِينَ» أن يراد به: كل موجود سوى الله تعالى، فيعم جميع المخلوقات.

❖ السابعة: «مَلِكٍ» قرأه<sup>(٢)</sup> الجماعة: بغير ألف؛ من المُلْك. وقرأ<sup>(٣)</sup> عاصم والكسائي: بالألف؛ والتقدير على هذا: مالك مجيء يوم الدين. أو: مالك الأمر يوم الدين. وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه:

◀ الأول: أن المَلِكَ أعظم من المالك؛ إذ قد يوصف كلُّ أحد بالمالك لماله، وأما المَلِكُ فهو سيّد الناس.

◀ الثاني: قوله: «وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» [الأنعام: ٧٤].

◀ الثالث: أنها لا تقتضي حذفاً، والأخرى تقتضيه؛ لأنَّ تقديرها: مالك الأمر، أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل.

وأما قراءة الجماعة بإضافة «مَلِكٍ» إلى «يَوْمَ الدِّينِ» فهي على طريقة الاتساع، وإجراء<sup>(٤)</sup> الظرف مجرى المفعول به<sup>(٥)</sup>، والمعنى على الظرفية؛ أي: المَلِكُ في يوم الدين. ويجوز أن يكون المعنى: ملك الأمور يوم الدين؛ فيكون فيه حذف. وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>. وقد قرئ «مَلِكٍ» بوجه كثيرة تركناها لأنها شاذة.

(١) في أ، د: «تصح» وفي هامش أ: «خ: تصلح».

(٢) في ب، د: «قراءة».

(٣) في ج: «وقراه»، وفي د: «وقراءة».

(٤) في أ، ج، هـ: «وأجرى»، وفي هامش أ: «خ: وإجراء».

(٥) أجري الظرف مجرى المفعول به في إضافة اسم الفاعل إليه، فإن متعلق «مَلِكٍ» ليس «يَوْمَ»، وإنما هو محذوف، ومن هذا الباب قولهم: «يا سارق الليلة أهل الدار». المحرر الوجيز (٧٩/١)، والكشاف (٧٣٦/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٥/١).

(٦) تقدم تخريجها، راجع: المقدمة الأولى، الباب التاسع في المواقف، حديث أم سلمة ؓ.

﴿الثامنة:﴾ «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»، و ﴿مَلِكٍ﴾: صفات. فإن قيل: كيف جرى ﴿مَلِكٍ﴾ و ﴿تَلِكٍ﴾ صفة للمعرفة، وإضافة اسم الفاعل غير محضة؟<sup>(١)</sup>

فالجواب: أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وأما هذا فهو مستمر دائم؛ فإضافته محضة<sup>(٢)</sup>.

﴿التاسعة:﴾ «يَوْمَ الدِّينِ»: هو يوم القيامة. ويصلح هنا من معاني الدين: الحساب، والجزاء، والقهر؛ ومنه: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصفات: ٥٣].

﴿العاشر:﴾ «إِيَّاكَ» في الموضعين: مفعول بالفعل الذي بعده.

وإنما قُدِّم ليفيد الحصر؛ فإنَّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر، فاقتضى قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: أنه يعبد الله وحده، واقتضى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اعترافاً بالعجز والفقر، وأنه لا يستعين إلا بالله<sup>(٣)</sup> وحده.

﴿الحادية عشرة:﴾ «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»: أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا. وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية، وأن الحق بين ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) أي: إن اسم الفاعل ﴿مَلِكٍ﴾ و ﴿تَلِكٍ﴾ إضافته غير محضة - أي: غير حقيقية -، فلا يتعرَّف بالإضافة، ويبقى نكرة، فلا يكون إذ ذاك صفة لمعرفة، وهم اسم الله؛ لأن المعرفة لا توصف بالنكرة، فكيف ساغ وقوع اسم الفاعل هنا صفة للمعرفة؟ الكشف (٧٣٧/١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦٤/١).

(٢) أي: إنما تكون غير حقيقية إذا أُريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال، فيكون حينئذٍ في تقدير الانفصال، كقولك: «مالك الساعة أو غدا»، فأما إذا قصد معنى الماضي كقولك: «هو مالك عبده أمس»، أو قصد زمان مستمر كقولك: «زيد مالك العبيد» كانت الإضافة حقيقية معطية معنى التعريف لاسم الفاعل، كقولك: «مولي العبيد»، وهذا هو المعنى في: «مالك يوم الدين». الكشف (٧٣٧/١).

(٣) في د: «الله»

(٤) [التعليق ١٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المفسر صحيح؛ فإن قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فيه الردُّ على القدرية؛ لأنهم ينفون قدرة الله على فعل العبد ومشيئته له، وعلى قولهم فلا معنى للاستعانة به؛ لأن الاستعانة إنما تكون بالقادر، لا بالعاجز، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ردُّ على الجبرية الذين ينفون فعل العبد، بل ينفون قدرته على أفعاله، وفي الآية إسناد فعل العبادة إلى العبد، وهي أجل ما يفعله، فدلَّت الجملتان في الآية على توحيد الربوبية والإلهية، فتوحيد الربوبية يقتضي التوحيد في الاستعانة، وتوحيد الإلهية يقتضي توحيد العبادة، فهو سبحانه المعبود، وهو المستعان، وبهذا جمعت هذه الآية حظَّ العبد وحقَّ الرب. والله أعلم.

✽ **الثانية عشرة:** ﴿إِهْدِنَا﴾: دعاء بالهدى. فإن قيل: كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟

فالجواب: أن ذلك طلبٌ للثبات عليه إلى الموت، أو<sup>(١)</sup> الزيادة منه؛ فإن الارتقاء في المقامات لا نهاية له.

✽ **الثالثة عشرة:** قدم الحمد والثناء على الدعاء؛ لأن تلك هي السنة في الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة.

وكذلك قدم ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ على ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ لأن رحمة الله سبقت غضبه. وكذلك قدم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة<sup>(٢)</sup>.

✽ **الرابعة عشرة:** ذكر الله تعالى في أول هذه السورة على طريق الغيبة، ثم على الخطاب في ﴿إِيَّاكَ﴾ وما بعده، وذلك يسمى: الالتفات. وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه فصار من أهل الحضور فناجاه.

✽ **الخامسة عشرة:** الصراط في اللغة: الطريق المحسوس الذي يمشى عليه. ثم استعير للطريقة التي يكون الإنسان عليها من الخير أو الشر.

ومعنى ﴿الْمُسْتَفِيمَ﴾: القويم الذي لا عوج فيه. ف﴿الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: الإسلام، وقيل: القرآن. والمعنيان متقاربان؛ لأن القرآن تضمن شرائع الإسلام، وكلاهما مروي

(١) في ج، د: «أو».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: هذا وهم من المؤلف رحمه الله؛ فإن العبادة هي الغاية المطلوبة من العبد، التي يجب على العبد القصْدُ إليها، والاستعانة وسيلة للتحقق بالعبادة، وتقديم العبادة - وهي غاية - على الوسيلة لأنها المقصود من العبد وللعبد، وابن جزري في عبارته هذه مقلد للزمخشري ومن تبعه، وهو خلاف ما عليه المحققون من أهل التفسير، وقد أورد ابن عرفة عبارة الزمخشري ثم تعقبه، فقال: "أجاب الزمخشري: بأن العبادة وسيلة والاستعانة مقصد، فقدمت الوسيلة قبل الحاجة، والصواب العكس؛ فالعبادة هي المقصد". [تفسير ابن عرفة (٩٥/١) ط. دار ابن حزم]، والذي نراه في سبب التقديم أنه من باب تقديم الأهم، والله أعلم.



عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقرئ ﴿الصَّرَظَ﴾: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي<sup>(٢)</sup>. وقد قيل: إنه قرئ بزاي خالصة<sup>(٣)</sup>. والأصل فيه: السين، وإنما أبدل منها صادٌ؛ لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي؛ فلموافقة الطاء في الجهر.

❖ السادسة عشرة: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: قال ابن عباس ؓ: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون<sup>(٤)</sup>. وقيل: المؤمنون. وقيل: الصحابة. وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا. والأول أرجح؛ لعمومه، ولقوله: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

❖ السابعة عشرة: إعراب ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾: بدلٌ. ويبعد النعت؛ لأنَّ إضافته غير محضبة<sup>(٥)</sup>، وهو قد جرى على معرفة. وقرئ بالنصب: على الاستثناء، أو الحال<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير الصراط بالإسلام: أخرجه أحمد (١٧٩٠٩)، والنسائي في الكبرى (١١١٦٩)، والترمذي (٢٨٥٩)، والحاكم (٢٤٥) من حديث النواس بن سميان ؓ في ضمن حديث طويل طرفه: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً...»، وقال الترمذي: «حسن غريب»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وتفسير الصراط بالقرآن: أخرجه الترمذي (٢٩٠٦) والدارمي في مسنده (٣٣٧٤) والبزار في مسنده (٨٣٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٦٢٩)، من حديث الحارث الأعور عن علي ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتن»، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله... وهو الصراط المستقيم...»، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال».

(٢) روى قبيل عن ابن كثير بالسين، وروى خلف عن حمزة بإشمام الصاد صوت الزاي، وقرأ الباقر بالصاد الخالصة. (٣) قال في المحرر الوجيز (٨٦/١): «وروى الأصمعي عن أبي عمرو أنه قرأها بزاي خالصة، قال بعض اللغويين: «ما حكاه الأصمعي من هذه القراءة خطأ منه، إنما سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة [بالإشمام] فتوهمها زايًا، ولم يكن الأصمعي نحويًا فيؤمن على هذا»، وحكى هذا الكلام أبو علي عن أبي بكر ابن مجاهد».

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٧/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣١/١) عن الضحاك عن ابن عباس، وفي أوله زيادة: «الملائكة».

(٥) أي: إضافة ﴿غَيْرِ﴾ إلى ﴿الْمَغْضُوبِ﴾ غير حقيقية، فلا تعطي معنى التعريف، بل تبقى ﴿غَيْرِ﴾ نكرة، وإنما بقيت نكرة مع إضافتها إلى معرفة من أجل معناها؛ فإنها تدلُّ على عدد غير محصور. المحرر الوجيز (٩١/١).

(٦) على الاستثناء تقديره: «إلا المغضوب عليهم»، وعلى الحال تقديره: «أنعمت عليهم لا مغضوبًا عليهم». المحرر الوجيز (٩١/١).

﴿الثامنة عشرة: أسند ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى الله، والغضب إلى ما لم<sup>(١)</sup> يُسَمَّ فاعله على وجه التأدب؛ كقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

و﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأول: في موضع نصب، والثاني: في موضع رفع<sup>(٢)</sup>.

﴿التاسعة عشرة: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود، و﴿الضَّالِّينَ﴾: النصارى، قاله ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> وابن مسعود رضي الله عنه<sup>(٤)</sup> وغيرهما<sup>(٥)</sup>، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ<sup>(٦)</sup>. وقيل: ذلك عامٌّ في كل مغضوب عليه، وكل ضالٌّ.

والأول أرجح؛ لأربعة أوجه:

[١] روايته عن النبي ﷺ.

[٢] وجماله قائله<sup>(٧)</sup>.

[٣] وتكرار «لا» في قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ دليل على تباين الطائفتين.

[٤] وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن؛ كقوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلال صفة النصارى؛ لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى بن مريم ﷺ، ولقول الله فيهم: ﴿فَدَضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٩].

(١) في أ: «لما لم».

(٢) الأول في موضع نصب على المفعولية، والثاني في موضع رفع على الفاعلية. الكشف (١/ ٧٦٥).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٨٨، ١٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٨٨، ١٩٦).

(٥) قال ابن أبي حاتم (١/ ٣١): «ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين».

(٦) أخرجه أحمد (١٩٦٩١)، والترمذي (٢٩٥٣)، وابن حبان (٦٢٤٦)، والطبري (١/ ١٨٦، ١٩٤)، وابن أبي حاتم (١/ ٣١)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وأخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (١/ ١٤٢) من حديث عبد الله بن شقيق عن أبي ذر رضي الله عنه، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٥٦)، وأحمد من طريقه (٢٠٦٧٧)، وابن جرير (١/ ١٨٧، ١٩٥) من حديث عبد الله بن شقيق عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩): «ورجال الجميع رجال الصحيح»، وحسنه ابن حجر في الفتح (٨/ ١٥٩).

(٧) في أ، ب، د: «قائله».

❖ الموقفية عشرين: هذه السورة جمعت معاني القرآن كله، فكانها نسخة مختصرة منه، فتأملها بعد تحصيل «الباب الثالث» من «المقدمة الأولى» تعلم ذلك.

❖ فالإلهيات حاصلة في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

❖ والدار الآخرة في قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ .

❖ والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ .

❖ والشرعة كلها في قوله: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .

❖ والأنبياء وغيرهم في قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ .

❖ وذكر طوائف الكفار في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ .

❖ خاتمة: أمر بالتأمين عند ختم الفاتحة؛ للدعاء الذي فيها.

وقولك: «آمين»: اسم فعلٍ معناه: اللهم استجب.

وقيل: هو من أسماء الله.

ويجوز فيه مدُّ الهمزة وقصرها، ولا يجوز تشديد الميم.

ويؤمَّن في الصلاة: المأموم، والفد، والإمام إذا أسرَّ، واختلف إذا جهر<sup>(١)</sup>.



(١) أي: يستحبُّ التأمين للمأموم والفدَّ مطلقاً سواء أسرَّ الإمام بالقراءة أو جهر، وكذلك للإمام إذا أسرَّ، وهذا باتفاق الأئمة الأربعة، واختلف في استحباب التأمين للإمام إذا جهر، فروي عن مالك: أنه يؤمَّن، وفاقاً للشافعي وأحمد، والمشهور من مذهبه: أنه لا يؤمَّن في الجهر، وفاقاً لأبي حنيفة. القوانين الفقهية (ص: ١١٤).

## سُورَةُ الْبَقَرَةِ

أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

﴿أَلَمْ﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل السور، وهي: ﴿الْيَصَّ﴾، و﴿الْبَرَّ﴾، و﴿الْمَبَرَّ﴾، و﴿كَيْبَعَصَّ﴾، و﴿طَبَّ﴾، و﴿طَسِمَ﴾، و﴿طَسَّ﴾، و﴿يَسَّ﴾، و﴿صَّ﴾، و﴿قَّ﴾، و﴿جَمَّ﴾، و﴿عَسَوَ﴾، و﴿نَّ﴾ =

فقال قوم: لا تفسر؛ لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): «الله في كل كتاب سرٌّ، وسرُّه في القرآن فواتح السور»<sup>(١)</sup>.

وقال قوم: تفسر؛ ثم اختلفوا فيها، ف قيل: هي أسماء للسور، وقيل: أسماء لله، وقيل: أشياء<sup>(٢)</sup> أقسم الله بها، وقيل: هي حروف مقطعة من كلمات؛ فالألف من: «الله»، واللام من: «جبريل»، والميم من: «محمد» ﷺ، ومثل ذلك في سائرها.

(١) لم أقف عليه مسنداً إلى أبي بكر (رضي الله عنه)، ونسبه الثعلبي في تفسير «الكشف والبيان» (١٩/٣) إلى أبي بكر أيضاً، وفي «الدر المنثور» (١/١٢٧): «وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ بن حيان في التفسير عن داود بن أبي هند قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور، فقال: يا داود إن لكل كتاب سرّاً، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعها وسل عما بدا لك».

(٢) في ب، ج، هـ: «أسماء».

وورد في الحديث: أن بني إسرائيل فهموا أنها تدلُّ بعدد حروف «أبي جاد» على السنين التي تبقى هذه الأمة، وسمع النبي ﷺ منهم ذلك فلم ينكره<sup>(١)</sup>.  
وقد جمع أبو القاسم السهيلي<sup>(٢)</sup> عددها على ذلك، بعد أن أسقط المتكرّر، فبلغت تسع مئة وثلاثة<sup>(٣)</sup>.

وإعراب هذه الحروف: يختلف باختلاف في معناها<sup>(٤)</sup>: فيُتصوّر أن تكون في موضع رفع، أو نصب، أو خفض.

◀ فالرفع: على أنها مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمّر.

◀ والنصب: على أنها مفعولة بفعل مضمّر.

◀ والخفض: على قول من جعلها مُقسّماً بها؛ كقولك: «الله لأفعلن».

وإنما سُكّنت لأنها لم يدخل عليها عاملٌ يقتضي حركة؛ فسكوئها للوقف، لا للبناء، كقولك في العدد: «واحد، اثنان».

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٠/١)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/٢٠٨) من حديث محمد بن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رثاب، في حديث طويل، وفيه أن أبا ياسر بن أخطب سمع النبي ﷺ يقرأ «الم» و«المص» و«الر» و«المر»، فذكر أبو ياسر لأخيه حبي بن أخطب ولمن معه من الأخبار أن مدة بقاء ملكه سبع مئة سنة وأربع وثلاثون.  
وضعف هذا الخبر الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/١٦١)، وقال: «وأما من زعم أنها دالة على معرفة المُدَد، وأنه يُستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم، فقد ادعى ما ليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف، وهو مع ذلك أدلُّ على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته، وهو ما رواه محمد بن إسحاق بن يسار..» فذكر الخبر، ثم قال: «فهذا مداره على محمد بن السائب الكلبي، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به، ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحاً أن يُحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها، وذلك يبلغ منه جملة كثيرة، وإن حسبت مع التكرّر فأظم وأعظم»، وضعف إسناده -أيضاً- السيوطي في الدر المنثور (١/١٢٤).

(٢) هو أبو القاسم وأبو زيد، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي الأندلسي المالقي السهيلي المالكي، صاحب كتاب «الروض الأنف» في شرح سيرة ابن هشام وغيره من التصانيف، توفي سنة (٥٨١هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/١٤٣)، والديباج المذهب، لابن فرحون (١/٤٨٠).

(٣) انظر: الروض الأنف (٤/٤٢٠).

(٤) في د: «معانيها».

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ هو هنا: القرآن، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: اللوح المحفوظ، والأول هو الصحيح الذي يدلُّ عليه سياق الكلام، ويشهد<sup>(١)</sup> له مواضع من القرآن المقصودُ فيها إثبات أن القرآن من عند الله؛ كقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ١] يعني: القرآن باتفاق.

وخبر ﴿ذَلِكَ﴾: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وقيل: خبره ﴿الْكِتَابُ﴾؛ فعلى هذا: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ جملة مستقلة؛ فيوقف عليها.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك أنه من عند الله؛ في نفس الأمر، وفي اعتقاد أهل الحق. ولم يعتبر اعتقاد أهل الباطل. ﴿فِيهِ﴾ خبر ﴿لَا﴾<sup>(٢)</sup>؛ فيوقف عليه. وقيل: خبرها محذوف<sup>(٣)</sup>؛ فيوقف: ﴿لَا رَيْبَ﴾. والأول أرجح؛ لتعنيته في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في مواضع أخر. فإن قيل: فهلاً قدّم قوله: ﴿فِيهِ﴾ على الريب كقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصفات: ٤٧]؟

فالجواب: أنه إنما قصد نفي الريب عنه، ولو قدّم ﴿فِيهِ﴾ لكان إشارة إلى أن ثم كتاباً آخر فيه ريبٌ، كما أن ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول، وهذا المعنى يبعد قصده؛ فلم يقدّم الخبر<sup>(٤)</sup>.

﴿هُدًى﴾ هنا بمعنى: الإرشاد؛ لتخصيصه بالمتقين، ولو كان بمعنى البيان لعمّ؛ كقوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وإعرابه: خبر ابتداء، أو مبتدأ، وخبره: ﴿فِيهِ﴾ عند من يقف<sup>(٥)</sup>: ﴿لَا رَيْبَ﴾، أو منصوب على الحال، والعامل فيه الإشارة<sup>(٦)</sup>. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مُفْتَعِلِينَ؛ من التقوى، وقد تقدّم معناه في «اللغات»<sup>(٧)</sup>.

(١) في ج، د: «وتشهد».

(٢) في ب، د: «وخبر ﴿لَا﴾: ﴿فِيهِ﴾».

(٣) تقديره: «فيه». الكشاف (٥٧/٢).

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (٥٥/٢).

(٥) في هامش هـ زيادة: «على».

(٦) أي: العامل في الحال معنى الإشارة، والتقدير: ذلك الكتاب أشير إليه أو أنبه عليه حال كونه هدىً. انظر:

حاشية الطيبي على الكشاف (٧٠/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (١١٢/١).

(٧) انظر المادة (٩٥) في اللغات.

## تتكلم في (١) التقوى في ثلاثة فصول:

الأول: في فضائله المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة:

- [١] الهدى؛ لقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١].
- [٢] والنصرة؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨].
- [٣] والولاية؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨].
- [٤] والمحبة؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٥].
- [٥] والمعرفة؛ لقوله: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].
- [٦] والمخرج من الغم.
- [٧] والرزق من حيث لا يحتسب؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ الآية [الطلاق: ٢].
- [٨] وتيسير الأمور؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].
- [٩] وغفران الذنوب.
- [١٠] وإعظام الأجور؛ لقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِزْهُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].
- [١١] وتقبل الأعمال؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٩].
- [١٢] والفلاح؛ لقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].
- [١٣] والبشرى؛ لقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤].
- [١٤] ودخول الجنة؛ لقوله: ﴿إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].
- [١٥] والنجاة من النار؛ لقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢].

## الفصل الثاني: البواعث على التقوى (٢) عشرة:

- [١] خوف العقاب الدنيوي.
- [٢] وخوف العقاب الآخروي.

(١) في د، وهامش أ: «على».

(٢) في ب، دزيادة: «وهي».

[٣] ورجاء الثواب الدنياوي.

[٤] ورجاء الثواب الآخر اوي.

[٥] وخوف الحساب.

[٦] والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة.

[٧] والشكر على نعمه بطاعته.

[٨] والعلم؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

[٩] وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة.

[١٠] وصدق المحبة فيه؛ لقول القائل:

نعصي الإله وأنت تُظهرُ حبه!

هذا محالٌ في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته

إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مُطيعٌ<sup>(١)</sup>

ولله درُّ القائل:

قالت -وقد سألتُ عن حال عاشقها-:

بِالله صَفُهُ وَلَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِدُ

فقلتُ: لو كان رهنَ الموت من ظمإٍ

وقلتِ: قَفْ عَنْ وُرُودِ الْمَاءِ: لَمْ يَرِدْ<sup>(٢)</sup>

(١) البيتان لعبد الله بن المبارك، أوردهما ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٤٦٩ / ٣٢)، وانظر: ديوان ابن المبارك، جمع وتحقيق ودراسة: د. مجاهد مصطفى بهجت.

(٢) البيتان لأبي القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا الحسيني الرسي المصري، كما في يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي (٤٩٨ / ١)، ووفيات الأعيان (١٢٩ / ١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٨١٧ / ٧)، ولفظ البيتين هكذا في المصادر:

قالتُ لطيفِ خيالٍ زارني ومضى: بِالله صَفُهُ وَلَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِدُ  
فقال: أبصرته لومَات من ظمإٍ وقلتِ: قَفْ عَنْ وُرُودِ الْمَاءِ: لَمْ يَرِدْ  
وُسب أيضًا إلى أبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة كما في يتيمة الدهر (١١٨ / ١)، قال الذهبي: «ولم يصح».



## الفصل الثالث: درجات التقوى خمس:

[١] أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.

[٢] وأن يتقي المعاصي والمحرمات، وهو مقام التوبة.

[٣] وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع.

[٤] وأن يتقي المباحات، وهو مقام الزهد.

[٥] وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان: يؤمنون بالأمور المغيبات، كالأخرة وغيرها؛ فالغيب -على هذا-: بمعنى الغائب؛ إمّا تسمية بالمصدر، كعدل<sup>(١)</sup>، وإما تخفيفاً من فَعَلَ؛ كَمِيت<sup>(٢)</sup>. والآخر: يؤمنون في حال غيبتهم، أي: باطنا وظاهراً. و﴿الْغَيْبِ﴾: على القول الأول: يتعلق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وعلى الثاني: في موضع الحال. ويجوز في ﴿الَّذِينَ﴾ أن يكون خفصاً على النعت، أو نصباً على إضمار فعل، أو رفعاً على أنه خبر ابتداء.

﴿وَيُفِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ إقامتها: عملها؛ من قولك: «قامت السوق»، وشبه ذلك. والكمال: المحافظة عليها في أوقاتها، بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية شروطها، وأركانها، وسننها، وفضائلها، وحضور القلب، والخشوع فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض، والإكثار من النوافل.

﴿يُنْفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الزكاة؛ لاقتранها مع الصلاة. والثاني: أنه التطوع. والثالث: العموم، وهو أرجح؛ لأنه لا دليل على التخصيص.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ اختلف هل هم المذكورون قبل؛ فيكون<sup>(٣)</sup> من عطف الصفات؟ أو هم غيرهم -وهم من أسلم من أهل الكتاب-؛ فيكون عطفًا للمغايرة؟ أو مبتدأ، وخبره: الجملة بعده؟

(١) أي: تسمية لاسم الفاعل -وهو الغائب- بالمصدر -وهو الغيب-، كسمية العادل بالعدل. الكشاف (٨٧/٢).

(٢) فاصله: غَيْبٌ، ثم خُفِّفَ، كَمِيتٌ في مِيت. البحر المحيط (١١٣/١).

(٣) في أزيادة: «قوله: ﴿والذين يؤمنون﴾» ورمز لها أعلى السطر: «خ».

﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾: القرآن. ﴿وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: التوراة، والإنجيل، وغيرهما من كتب الله ﷻ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن، كأبي جهل. فإن كان ﴿الَّذِينَ﴾ للجنس: فلفظها عام يراد به الخصوص. وإن كان للعهد: فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم، وقد اختلف فيهم، فقليل: المراد من قُتل ببدر من كفار قريش، وقيل: المراد حُيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديان.

﴿سَوَاءٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ فاعل به؛ لأنه في تقدير المصدر<sup>(١)</sup>. أو ﴿سَوَاءٌ﴾ مبتدأ، و﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ خبره. أو العكس؛ وهو أحسن. و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على هذه الوجوه: استئناف للبيان، أو للتأكيد، أو خبرٌ بعد خبر، أو تكون الجملة اعتراضاً، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الخبر. والهمزة في ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ لمعنى التسوية، قد انسلخت من معنى الاستفهام.

﴿وَحَتَمَ﴾ الآية؛ تعليل لعدم إيمانهم، وهو عبارة عن إضلالهم؛ فهو مجاز. وقيل: حقيقة، وأن القلب كالقف، يُقبَض مع زيادة الضلال إصبَعًا إصبَعًا حتى يختم عليه، والأول أبرع.

﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ معطوف على ﴿فَلْيُؤْمِنُوا﴾؛ فيوقف عليه. وقيل: الوقف على ﴿فَلْيُؤْمِنُوا﴾، والسمع راجع إلى ما بعده، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِ﴾ [الجاثية: ٢٢].

﴿غِشْوَةً﴾ مجازٌ باتفاق. وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن، خلافاً لمن منعه. ووَحَد السمع؛ لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع<sup>(٢)</sup>.



(١) أي: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ فاعل به ﴿سَوَاءٌ﴾، فيكون تقديره: إن الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه. الكشاف (٢/ ١٢٣).

(٢) فُلِحَ الأصل - وهو معنى المصدرية - في اسم العضو، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَجِيءُ أَذَانَنَا وَفَرْ﴾، فجمع الأذن؛ لأنها ليست في الأصل مصدرًا. الكشاف (٢/ ١٤٥).

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا  
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣﴾ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا  
نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا  
كَمَا تَعَالَى النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السَّبْقَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّبْقَاءُ وَلَكِن  
لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَإِذَا لَفَظُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ  
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ  
اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ بِمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٠﴾ \* مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي  
إِسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١١﴾  
صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ بِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٢﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ  
يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيهِ عَادَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾ يَكَادُ  
الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ  
لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ لَٰنَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أصل الناس: أناسٌ؛ لأنه مشتقٌ من الأنس، وهو اسم جمع، وحذفت  
الهمزة مع لام التعريف تخفيفاً.

﴿مَن يَقُولُ﴾ إن كانت اللام في ﴿النَّاسِ﴾ للجنس: فـ﴿مَن﴾ موصوفة<sup>(١)</sup>. وإن جعلتها للعهد:  
فـ﴿مَن﴾ موصولة. وأفرد الضمير في ﴿يَقُولُ﴾ رَعِيًّا للفظ: ﴿مَن﴾.

﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم المنافقون، وكانوا جماعة من الأوس والخزرج، رأسهم: عبد الله بن  
أبي ابن سلول، يظهرون الإسلام ويسرون الكفر. ويسمى الآن من كان كذلك: زنديقاً.  
وهم في الآخرة: مخلدون في النار. وأما في الدنيا: فإن لم تقم عليهم بيعة:  
فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم، وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان:

(١) كأنه قيل: ومن الناس ناسٌ يقولون كذا. الكشاف (٢/١٥١).

فمذهب مالك: القتل، دون الاستتابة<sup>(١)</sup>، ومذهب الشافعي: الاستتابة وترك القتل<sup>(٢)</sup>.  
فإن قيل: كيف جاء قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ جملة فعلية، و﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ جملة اسمية؛  
فهلّا طابقتها؟ فالجواب: أن قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أبلغ وأؤكد في نفي الإيمان عنهم  
من أن لو قال: «وما آمنوا»<sup>(٣)</sup>.

فإن قيل: لم جاء قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ مقيداً بالله واليوم الآخر، و﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مطلقاً؟  
فالجواب: أنه يحتمل وجهين: التقييد؛ وتركه<sup>(٤)</sup> لدلالة الأول عليه. والإطلاق، وهو أعمُّ  
في سلبهم عن الإيمان<sup>(٥)</sup>.

﴿يَخْدِعُونَ﴾ أي: يفعلون فعل المخادع، ويرومون الخدع بإظهار خلاف ما يسرون.  
وقيل: معناه يخادعون رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>. والأول أظهر.

﴿وَمَا يَخْدِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: وبأل فعلهم راجعٌ عليهم. وقرئ: ﴿وَمَا يَخْدِعُونَ﴾ - بفتح  
الياء من غير ألف - من خدع<sup>(٧)</sup>، وهو أبلغ في المعنى؛ لأنه يقال: خادع: إذا رام الخداع،  
وخدع: إذا تم له. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ حذف معموله<sup>(٨)</sup>، أي: لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم.  
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ يحتمل أن يكون حقيقة؛ وهو الألم الذي يجدونه من الخوف  
وغيره، وأن يكون مجازاً؛ بمعنى الشك، أو الحسد. ﴿فَزَادَهُمْ﴾ يحتمل: الدعاء والخبر.  
﴿يَكْذِبُونَ﴾ - بالتشديد - أي: يكذبون الرسول ﷺ. وقرئ بالتخفيف؛ أي: يكذبون  
في قولهم: آمنا<sup>(٩)</sup>.

(١) وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وهي المذهب عند متأخري الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير  
والإنصاف (١٣٣/٢٧-١٣٦).

(٢) وهو الرواية الأخرى في مذهب أحمد، وهي ظاهر كلام الخرقى، واختيار الخلال، وآخر قول الإمام أحمد.

(٣) انظر: الكشف (١٥٧/٢).

(٤) في ج، هـ: «وترك».

(٥) انظر: الكشف (١٥٩/٢).

(٦) فاضاف الأمر إلى الله تجوزاً؛ لتعلق رسوله به. المحرر الوجيز (١١٦/١).

(٧) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾، وقرأ الباقون ﴿وَمَا يَخْدِعُونَ﴾ بفتح الياء من غير ألف.

(٨) في ب، د: «مفعوله».

(٩) قرأ الكوفيون عاصم وحزمة والكسائي ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بفتح الياء والتخفيف، وقرأ الباقون بالضم والتشديد.

﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ أي: بالكفر والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يحتمل أن يكون جحوداً للكفر؛ لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾، أو اعتقاداً أنهم على إصلاح.

﴿كَمَآ ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ. والكاف يحتمل: أن تكون للتشبيه، أو التعليل. و﴿مَآ﴾ يحتمل أن تكون كَافَةً مُهَيَّئَةً<sup>(١)</sup>؛ كما هي في «ربما»، وأن تكون مصدرية.

﴿أَنُؤْمِنُ﴾ إنكارٌ منهم وتقييحٌ.

﴿هُمُ السَّعْيَاءُ﴾ ردٌّ عليهم، وإناطةٌ للسَّفه بهم. وكذلك: ﴿هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾. وجاء بالالف واللام؛ ليفيد حضر السفه والفساد فيهم، وأكدته بـ«إِنَّ» وبـ«أَلَا» التي تقتضي الاستئناف وتنبية المخاطب.

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ كذبوا؛ خوفاً من المؤمنين.

﴿خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾ هم: رؤساء الكفار<sup>(٢)</sup>، وقيل: شياطين الجن، وهو بعيد. وتعديّ «خلا» بـ«إلى»؛ لأنه ضَمَّنَ معنى: مشوا، أو ذهبوا، أو ركنوا. وقيل: «إلى» بمعنى «مع»، أو بمعنى الباء. وجاء قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ ذَرِّئًا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بجمله اسمية؛ مبالغةً وتأكيذاً، بخلاف قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾؛ فإنه جاء بالفعل؛ لضعف إيمانهم.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: تسمية العقوبة باسم الذنب؛ كقوله: ﴿وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٣]. وقيل: يُملي لهم؛ بدليل قوله: ﴿وَيَمْدُهُمْ﴾. وقيل: يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزاءٌ بهم؛ كما جاء في سورة «الحديد»: ﴿إِزْجِعُوا وَرَاءَكُمْ بِالْعِمْسِ نُورًا﴾ الآية [الحديد: ١٣]<sup>(٣)</sup>.

(١) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٢) في ب، ج، هـ: «الكفر»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».

(٣) [التعليق ١٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: لا إشكال فيما ذكر المؤلف من الوجوه؛ فكلٌّ منها وجهٌ، وأقربها الثاني والثالث؛ فإن في كلٍّ منهما استهزاءً بالفعل.

﴿وَيَمْدُهُمْ﴾: يزيدهم، وقيل: يُملِي لهم. وقد ذُكر ﴿يَغْمَهُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿إِشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ﴾ عبارة عن تركهم الهدى مع تمكنهم منه، ووقوعهم في الضلالة؛ فهو مجاز بديع<sup>(٢)</sup>.

﴿بِمَا رِبِحَتْ تَجَرَّتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز<sup>(٣)</sup>؛ لما ذكر الشراء ذكر ما يتبعه من الربح والخسران. وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز -أيضاً-؛ لأن الربح أو الخاسر هو التاجر.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء، أو على الإطلاق. قال الزمخشري: نفى الربح في قوله: ﴿بِمَا رِبِحَتْ﴾، ونفى سلامة رأس المال في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثل -هنا- بمعنى: حالهم وصفتهم: فالكاف للتشبيه. وإن كان المثل بمعنى: الشبه: فالكاف زائدة.

﴿إِسْتَوْفَدَ﴾ أي: أوقد. وقيل: طلب الوقود؛ على الأصل في «استفعل».

﴿بَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ إن تعدى: ف ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ مفعول به. وإن لم يتعد: ف ﴿مَا﴾ زائدة، أو ظرفية<sup>(٥)</sup>.

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: أذهب، وهذه الجملة جواب ﴿لَمَّا﴾؛ فالضمير في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ عائد على ﴿الَّذِينَ﴾؛ وهو على هذا بمعنى: «الذين»، وحذف النون منه لغة. وقيل: جواب ﴿لَمَّا﴾ محذوف تقديره: طَفِئَتِ النَّارُ؛ و ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: جملة مستأنفة، والضمير عائد على المنافقين؛ فعلى هذا يكون ﴿الَّذِينَ﴾ على بابه من الأفراد.

(١) انظر المادة (٣٩٢) في اللغات.

(٢) فليس المراد أنهم كانوا على هدى، فانتقلوا منه إلى الضلالة. الكشف (٢/ ٢١٤).

(٣) هذا مصطلح بلاغي، وذلك أن المجاز الذي علاقته المشابهة -ويسمى الاستعارة- ينقسم -من وجوه- إلى ثلاثة أقسام: مجاز مطلق، لم يذكر فيه ملائم، ومجاز مجرد، يُذكر فيه ملائم المشبه، ومجاز مرشح، يُذكر فيه ملائم المشبه به. انظر: عروس الأفراح، للبهاء السبكي (٢/ ١٧٥-١٧٧)، والكشاف (٢/ ٢١٧-٢٢٠).

(٤) انظر: الكشف (٢/ ٢٢٠).

(٥) ظرفية: أي موصولة في معنى الأمكنة. الكشف (٢/ ٢٣٢).

(والأول أرجح)<sup>(١)</sup>، والأرجح: أنه إنما أعيد عليه ضمير الجماعة؛ لأنه لم يُقصد بالذي: واحدٌ بعينه، إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارًا، سواء كان واحدًا أو جماعة، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبّه؛ لأنهم جماعة.

فإن قيل: ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت؟

فالجواب: من ثلاثة أوجه<sup>(٢)</sup>:

أحدها: أن منفعتهم في الدنيا - بدعوى الإيمان - شبيهة بالنور، وعذابهم في الآخرة شبيهة بالظلمة بعده.

والثاني: أن اختفاء كفرهم كالنور، وفضيحتهم بعده كالظلمة.

والثالث: أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر، فأيمانه نورٌ، وكفره بعده ظلمة.

ويرجع هذا قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [المنافقون: ٣].

فإن قيل: لم قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: «ذهب الله بضوئهم»؛ مشاكلةً لقوله: ﴿بَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾؟

فالجواب: أن ذهب<sup>(٣)</sup> النور أبلغ؛ لأنه إذهابٌ للقليل والكثير، بخلاف الضوء؛ فإنما<sup>(٤)</sup> ينطلق<sup>(٥)</sup> على الكثير.

﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى﴾ يحتمل أن يراد به: المنافقون، أو المستوقدون المشبه بهم. وهذه الأوصاف مجاز، عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقد الحواس.

(١) زيادة من ب، د.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ١٣٤)؛ والكشاف (٢/ ٢٤٢).

(٣) في هامش أ: «خ: إذهب».

(٤) في ج، د، هـ: «فلانه».

(٥) في ب: «يطلق».

﴿بَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إن أريد به المنافقون فمعناه: لا يرجعون إلى الهدى. وإن أريد به أصحاب النار فمعناه: أنهم متحيرون في الظلمة، لا يبرحون<sup>(١)</sup>، ولا يهتدون إلى الطريق.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ عطف على: ﴿الَّذِي اسْتَوْفَدَ﴾، والتقدير: أو كصاحب صيب. و﴿أَوْ﴾ للتنويع؛ لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين. والصيب: المطر، وأصله: صَيُوب، ووزنه فَعِيل، وهو مشتق من قولك: صاب يصوب. وفي قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ إشارة إلى قوته وشدة انصبابه.

قال ابن مسعود: إنَّ رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك، فعزما على الإيمان، ورجعا إلى النبي ﷺ وحسن إسلامهما، فضرب الله ما نزل بهما مثلاً للمنافقين<sup>(٢)</sup>. وقيل: المعنى: تشبيه المنافقين في خيبتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم: بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فضلَّ عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه؛ وهذا التشبيه على الجملة.

وقيل: إنَّ التشبيه على التفصيل؛ فالمطر: مثَّل للقرآن أو الإسلام، والظلمات: مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين، والرعد: مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم، والبرق: مثل لما فيه من البراهين الواضحة.

فإن قيل: لم قال: ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ بالإفراد، ولم يجمعه كما جمع ﴿ظَلَمْتَ﴾؟ فالجواب: أن الرعد والبرق مصدران، والمصدر لا يجمع. ويحتمل أن يكونا اسمين، وترك جمعهما لأنهما في الأصل مصدران<sup>(٣)</sup>.

﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ أي: من أجل الصواعق. قال ابن مسعود ؓ: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم؛ لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

(١) في ج، د: «لا يرجعون».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٨/١) عن ابن مسعود وابن عباس وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم، وقال عن إسناد هذا الأثر (٣٧٥/١): «ولست أعلمه صحيحاً؛ إذ كنت بإسناده مرتاباً».

(٣) انظر: الكشاف (٢/٢٦٩).

(٤) تقدّم تخريجه في الأثر الذي سبقه قريباً.



فهو -على هذا- حقيقة في المنافقين.

والصواعق على هذا: ما يكرهون من القرآن، والموت: هو ما يتخوفونه؛ فهما مجازان. وقيل: إنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم، فهو حقيقة فيهم.

والصواعق على هذا حقيقة، وهي التي تكون مع المطر من شدة الرعد، ونزول قطعة نار، والموت -أيضا- حقيقة. وقيل: إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في أذنه<sup>(١)</sup> من شدة الخوف من المطر والرعد.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَصْبَغَهُمْ﴾ ولم يقل: «أناملهم»؛ والأنامل هي التي تجعل في الأذان؟ فالجواب: أن ذكر الأصابع أبلغ؛ لأنها أعظم من الأنامل؛ ولذلك جمعتها، مع أن الذي يجعل في الأذان السبابة خاصة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي لا يفوتونه، بل هم تحت قهره، وهو قادر على عقابهم. ﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ إن رجع الضمير إلى أصحاب المطر -وهم الذين شبه بهم المنافقين-: فهو بين المعنى. وإن رجع إلى المنافقين: فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين: أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق؛ وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبا تقدّم.

والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم.

﴿كُلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ مَسْئُوا فِيهِ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم. وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: أنه<sup>(٣)</sup> يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان.

(١) في أ: «أذانه».

(٢) انظر: الكشف (٢/٢٧١).

(٣) في أ: «أنهم» وفي الهامش: «نخ: أنه».

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق. وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان: ثبتوا على كفرهم. وقيل: إنَّ المعنى: كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا: هذا دين مبارك؛ فهذا مثل الضوء، وإذا أصابتهم شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوه؛ فهذا مثل الظلمة.

فإن قيل: لم قال مع الإضاءة: ﴿كَلَّمَآ﴾، ومع الإظلام: ﴿إِذَا﴾؟  
فالجواب: أنهم لما كانوا حراساً على المشي: ذكر معه ﴿كَلَّمَآ﴾؛ لأنها تقتضي التكرار والكثرة<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الآية: إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد، وأبصارهم بالبرق. وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: لو شاء الله لأوقع بهم العذاب و<sup>(٢)</sup>الفضيحة؛ وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم. والباء للتعدي؛ كما هي في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.



(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٧٨).

(٢) في أ، ب: «أو».

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ۖ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَمْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ وَتَنْقِرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَأَتُوا بِهِ ۖ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ \* إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا بَوَاقُهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ بِهَذَا الْبَاقِ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۖ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ۖ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۖ أَنْ يُوَصَّلَ وَيُفْسَدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الآية: لما قَدَّم اختلاف الناس في الدين، وذكر ثلاث طوائف: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين = أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله. وجاءت الدعوة عامة لجميع الناس؛ لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع الناس.

﴿اعْبُدُوا رَبَّكُم﴾ يدخل فيه: الإيمان به سبحانه، وتوحيده، وطاعته. فالأمر بالإيمان به: لمن كان جاحداً، والأمر بالتوحيد: لمن كان مشركاً، والأمر بالطاعة: لمن كان مؤمناً.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلق: بـ ﴿خَلَقَكُمْ﴾؛ أي خلقكم لتتقوه؛ كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. أو بفعل مقدَّر من معنى الكلام أي: دعوتكم إلى عبادة الله؛ لعلكم تتقون؛ وهذا أحسن. وقيل: يتعلق بقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾؛ وهذا ضعيف.

وإن كانت «لعل» للترجي فتأويله: أنه في حق المخلوقين؛ جزئياً على عادة كلام العرب.

وإن كانت للمقاربة أو التعليل: فلا إشكال. والأظهر فيها: أنها لمقاربة الأمر؛ نحو: «عسى»؛ فإذا قالها الله فمعناها: إطماع العباد، وهكذا القول فيها حيثما وردت في كلام الله تعالى.

﴿الْأَرْضُ بِرَاشٍ﴾ تمثيل؛ لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفراش؛ فهو مجاز.

وكذلك ﴿وَالسَّمَاءُ بِنَاءٍ﴾. ﴿مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾: «من»: للتبويض، أو لبيان الجنس؛ لأن الثمر هو المأكول من الفواكه وغيرها. والباء في «بِهَاءٍ»: سببية، أو كقولك: «كتبت بالقلم»؛ لأنَّ الماء سبب في خروج الثمرات بقدره الله تعالى.

﴿بَلَا تَجْعَلُوا﴾: «لا»: ناهية، أو نافية؛ وانتصب الفعل بإضمار «أن» بعد الفاء في جواب «عَبُدُوا». والأول أظهر.

﴿أَنذَادًا﴾ يراد به هنا: الشركاء المعبودون مع الله ﷻ.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حُذِفَ مفعوله مبالغةً وبلاغةً<sup>(١)</sup>؛ أي: وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين. وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق.

ويتعلّق قوله: ﴿بَلَا تَجْعَلُوا﴾ بما تقدّم من البراهين<sup>(٢)</sup>. ويحتمل أن يتعلّق بقوله: «عَبُدُوا»، والأول أظهر.

### فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية تضمّنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقتين:

أحدهما: إقامة البرهان بخيلتهم وخلقة السماء والأرض والمطر والثمرات.

والآخر: ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام، فذكر أولاً ربوبيته لهم، ثم ذكر خلخته لهم ولآبائهم؛ لأن الخالق يستحق أن يعبد، ثم ذكر ما أنعم به عليهم من جعل الأرض فراشاً والسماء بناءً، ومن إنزال المطر، وإخراج الثمرات؛ لأنَّ المنعم

(١) مبالغة: كأنه قيل: وأنتم من أهل العلم والمعرفة، وبلاغة: لقصد التعميم، أي: وأنتم تعلمون أنه لا مثل له، وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت، وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله، فحذف المفعول؛ لقصد تعميمها. الكشاف (٢/٣١٢).

(٢) أي: هو الذي حقكم بهذه الآيات العظيمة، والدلائل النيّرة الشاهدة بالوحدانية، فلا تنخدلوا له شركاء. الكشاف (٢/٣٠٨).

يستحق أن يعبد ويشكر، وانظر قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾، و﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يدلُّك على ذلك؛ لتخصيصه ذلك بهم؛ فما أجملها من ملاطفة وخطاب بديع!

**الثانية:** المقصود الأعظم من هذه الآية: الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه؛ لقوله في آخرها: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، وذلك هو الذي يُترجم عنه بقولنا: «لا إله إلا الله»؛ فيقتضي ذلك: الأمر بالدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد، وقول «لا إله إلا الله».

**الثالثة:** تكرر في القرآن ذكر المخلوقات، والتنبيه على الاعتبار في الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار؛ وذلك أنها تدلُّ بالعقل على عشرة أمور؛ وهي:

- [١] أن الله موجود؛ لأن الصنعة دليل على الصانع لا محالة.
- [٢] وأنه واحد لا شريك له؛ لأنه لا خالق إلا هو، ﴿أَبَسَ يَخْلُقُ كَسَ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].
- [٣-٦] وأنه حي، قدير، عالم<sup>(١)</sup>، مُريد؛ لأن هذه الصفات الأربع من شروط الصانع؛ إذ لا تصدر صنعة عن عَدَم صفة منها.
- [٧] وأنه قديم؛ لأنه صانع للمحدثات، فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث.
- [٨] وأنه باق؛ لأن ما<sup>(٢)</sup> ثبت قِدَمُه استحال عَدَمه.
- [٩] وأنه حكيم؛ لأن آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات، وتديره للملكوت.
- [١٠] وأنه رحيم؛ لأن في كل ما خلق منافع لبني آدم، سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض. وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على: وجوده تعالى، أو على وحدانيته<sup>(٣)</sup>.

(١) في أ: «عليم».

(٢) في ب، د: «من».

(٣) [التعليق ١٨] قال الشيخ عبد الرحمن البراك، قوله: «لأنه لا خالق إلا هو»: أقول: هذا توجية لدلالة المخلوقات على أنه واحد؛ وهذا ليس بجيد في صياغة الاستدلال؛ لأنه تعليل للشيء بنفسه؛ فكانه قال: «دلَّت على أنه واحد؛ لأنه واحد»؛ ولا يخفى ما فيه.

فإن قيل: لم قصر الخطاب بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على المخاطبين دون الذين من قبلهم، مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟ فالجواب: أنه لم يقصره عليهم في المعنى، ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ، والمراد الجميع<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: هلاً قال: «لعلكم تعبدون»؛ مناسبة لقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾؟ فالجواب: أن التقوى غاية العبادة وكمالها؛ فكان قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾ أبلغ وأوقع في النفوس<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْآيَةِ إِنْ بَأَثَ لِنُبُوءَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ﴾ بإقامة الدليل على أن القرآن الذي جاء به من عند الله. فلما قدم إثبات الإلهية: أعقبها بإثبات النبوة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟ فالجواب: أنه ذكر حرف «إِنْ» إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء في مثل هذا الأمر الساطع البرهان؛ فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال في الأمر<sup>(٣)</sup> الواقع؛ لبعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء، كما قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

= وقوله: «وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن: في معرض الاستدلال على وجوده تعالى، أو على وحدانيته» أقول: في هذا نظر؛ فإن المخاطبين ليسوا جاحدين لوجود الله؛ بل مشركين في العبادة؛ فالمقصود الأول من ذكر المخلوقات: الاستدلال بها على توحيد الإلهية، وهم يقرّون بأنه الخالق لهذه المخلوقات؛ فاحتج عليهم بما أقرّوا به على ما أنكروه من توحيد الإلهية؛ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، ﴿أَجْمَلُ الْآلِهَةِ إِلَهَاهَا دَجْدًا﴾ [ص: ٥]، ولما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ كُفْرُ الْإِلَهِ وَجِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ السَّمَكَاتِ الْبَاقِيَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَنَى فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، إلى قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. فتضمنت الآيتان الأمر بعبادته تعالى، والنهي عن الشرك به، وذكر مقتضي لذلك؛ وهو خلق الأولين والآخرين، وخلق السماوات والأرض وما بينهما، ونظائر ذلك كثيرة.

(١) انظر: الكشف (٢/ ٢٩٧).

(٢) انظر: الكشف (٢/ ٢٩٩).

(٣) في ج، هـ زيادة: «الماضي».

(٤) انظر: الكشف (٢/ ٥٤).

﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ هو النبي ﷺ. والعبودية على وجهين: عامة، وهي التي بمعنى الملك. وخاصة، وهي التي يراد بها التّشريف والتّخصيص، وهي من أشرف أوصاف العباد، والله درّ القائل:

لَا نَدْعُنِي إِلَّا بِأَعْبَادِهِ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي<sup>(١)</sup>  
﴿قَاتُوا بِسُورَةٍ﴾ أمرٌ يراد به التعجيز. ﴿مِنْ مِّثْلِهِ﴾ الضمير عائد على: ﴿مَا نَزَّلْنَا﴾، وهو القرآن، و«مِنْ»: لبيان الجنس. وقيل: يعود على النبي ﷺ؛ ف«مِنْ» - على هذا - لا ابتداء الغاية، ومعناه: مِنْ بَشَرٍ مِثْلِهِ، والأول أرجح؛ لتعنيته<sup>(٢)</sup> في «يونس» و«هود». ومعنى: ﴿مِثْلِهِ﴾: في فصاحته، وفيما تضمن من العلوم، والحكم العجيبة، والبراهين الواضحة. ﴿شَهِدَاءَكُمْ﴾: آلهتكم، أو أعوانكم، أو مَنْ يشهد لكم. ﴿مَنْ ذُوِ اللَّهِ﴾ أي: غير الله. وقيل: هو مِنَ الدنيء الحقيق؛ فهو مقلوب اللفظ.

﴿وَلَسْ تَفْعَلُوا﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه، فيه مبالغة وبلاغة، وهو إخبارٌ بغيبٍ ظهر مصداقه في الوجود؛ إذ لم يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن، مع فصاحة العرب في زمان نزوله، وتصرفهم في الكلام، وحرصهم على التكذيب. وفي الإخبار بذلك معجزة أخرى. وقد اختلف في عجز الخلق عنه على قولين: أحدهما: أنه ليس في قدرتهم الإتيان بمثله، وهو الصحيح. والثاني: أنه كان في قدرتهم وصرفوا عنه. والإعجاز حاصل على الوجهين. وقد بيّنا سائر وجوه إعجازه في المقدمات<sup>(٣)</sup>.

﴿بِاتَّقُوا النَّارَ﴾ أي: فآمنوا؛ لتنجوا من النار، وعبر بالملازم عن ملازمه<sup>(٤)</sup>؛ لأن ذكر النار أبلغ في التّفخيم والتهويل والتخويف. ﴿وَفُودَهَا﴾ حطبها.

(١) هذا البيت ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٤٥) بإسناده إلى أبي عبد الله المغربي (ت ٥٢٩٩هـ).

(٢) في ب، ج، د: «لتعنيته».

(٣) انظر الباب الحادي عشر من المقدمة الأولى.

(٤) عبر بالملازم وهو اتقاء النار عن ملازمه وهو الإيمان وترك العناد؛ إذ اتقاء النار من نتائج الإيمان ومن لوازمه، فكُنِيَ به عنه. المحرر الوجيز (١/ ١٤٨)، والبحر المحيط (١/ ٢٩٧).

﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي حجارة الكبريت<sup>(١)</sup>؛ لسرعة اتقادها، وشدة حرها، وقبح رائحتها. وقيل: الحجارة المعبودة، وقيل: الحجارة على الإطلاق.

﴿أَعِدَّتْ﴾ دليل على أنها قد خلقت، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة، خلافاً لمن قال: إنها تخلق يوم القيامة. وكذلك الجنة.

﴿وَبَشِّرِ﴾ يحتمل أن يكون خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم، أو خطاباً لكل أحد، ورجح الزمخشري هذا<sup>(٢)</sup>؛ لأنه أفخم. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ دليل على أن الإيمان خلاف العمل؛ لعطفه عليه، خلافاً لمن قال: الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل. وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال، خلافاً للمرجئة<sup>(٣)</sup>.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: تحت أشجارها وتحت مبانيها. وهي: أنهار الماء، واللبن، والخمر، والعسل. وهكذا<sup>(٤)</sup> تفسيره حيث وقع. وروي أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٠٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٤)، والحاكم في مستدركه (٣٠٣٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: الكشف (٢/ ٣٤٣).

(٣) [التعليق ١٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: في كلام المؤلف مسألتان:

المسألة الأولى: قوله: «دليل على أن الإيمان خلاف العمل؛ لعطفه عليه»:

أقول: ظاهرة: أنه يقرّر هذا الاستدلال؛ وهو - بهذا - يوافق جميع طوائف المرجئة في الاستدلال بهذه الآية على إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، وأهل السنة يخالفونهم في أصل المسألة، وفي الاستدلال بالآية؛ فيقولون: العمل من الإيمان؛ لدلائل كثيرة من الكتاب والسنة؛ كحديث وفد عبد القيس، وحديث شعب الإيمان، ويقولون: العطف لا يقتضي المغايرة دائماً، بل منه عطف الخاص على العام، ومن ذلك: عطف الأعمال على الإيمان.

المسألة الثانية: قوله: «وفيه: دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال؛ خلافاً للمرجئة»:

أقول: هذا الاستدلال صحيح، ولكن قوله: «خلافاً للمرجئة»، لا يصح على الإطلاق؛ لأن مرجئة الفقهاء لا ينازعون في هذا، وإنما ينازع في هذا المرجئة الجهمية، القائلون: «لا يضر مع الإيمان ذنب».

(٤) في ج، د: «وهذا».

(٥) روي من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠٥)، وابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١/ ٢٠٥)، كلاهما أخرجه مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٩٠) عن أنس موقوفاً، =



﴿مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ «مِنْ» الأولى : للغاية، أو للتبويض، أو لبيان الجنس.

و«مِنْ» الثانية: لبيان الجنس.

﴿رَزَقْنَاهَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا؛ بدليل قولهم: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٤] أي: في الدنيا، فإن في الجنة أجناس ثمر الدنيا، وإن كانت خيراً منها في المطعم والمنظر.

﴿وَأَتَوْنَاهُ بِهَمْ مُتَشَبِهًا﴾ أي: يشبه ثمر الدنيا في جنسه.

وقيل: يشبه بعضه بعضاً في المنظر، ويختلف في المطعم.

والضمير المجرور يعود على: المرزوق الذي يدلُّ عليه المعنى.

﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي: من الحيض وأقذار النساء ومن سائر الأقذار التي لا تختصُّ بالنساء، كالبول وغيره. ويحتمل أن يريد: طهارة الطباع، وطيب الأخلاق.

﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾ تأوّل قوم أن معناه: لا يترك؛ لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله؛ لأنه -عندهم-: انكسار يمنع من الوقوع في أمرٍ. وليس كذلك؛ وإنما هو: كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب، ويردُّ عليهم: قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنَ الْعَبْدِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»<sup>(١)(٢)</sup>.

= قال المنذري في الترهيب والترهيب (٥١٨/٤): «والموقوف أشبه بالصواب». وروي -أيضاً- من حديث ابن عباس موقوفاً، أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٢٩)، وأبو نعيم في صفة الجنة (١٦٣/٣)، وحسن إسناده المنذري في الترهيب والترهيب (٥١٨/٤). وروي -أيضاً- عن مسروق من قوله، أخرجه ابن المبارك في الزهد والرفائق (١٤٩٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٠٩١)، والطبري في تفسيره (٤٠٦/١)، وأبو نعيم في صفة الجنة (١٦١/٣).

(١) أخرجه أحمد (٢٤٤١١)، أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦) وابن ماجه (٣٨٦٥) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن غريب»، وصحّحه ابن حبان (٨٧٦)، والحاكم (١٨٣٦)، وقال: «وله شاهد بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك».

(٢) [التعليق ٢٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: كلام المؤلف مستقيم، على مذهب أهل السنة؛ لأنه تضمن إثبات الحياء لله على ما يليق به، وأنكر على من زعم أنه ممتنع على الله، مما أوجب لهم تحريف الآية بتأويل الحياء بالترك، واستدل المؤلف لما ذهب إليه بالحديث، وهو استدلال صحيح.

﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾ سبب الآية: أَنَّهُ لَمَّا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ الذَّبَابُ وَالنَّمْلُ وَالْعَنْكَبُوتُ عَابَ الْكَفَّارَ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>. وَقِيلَ: لَمَّا ضَرَبَ الْمُثَلِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْمُنَافِقِينَ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ؛ فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ رَدًّا عَلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup>.

﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إعراب ﴿بَعُوضَةً﴾: مفعولٌ بـ ﴿يَضْرِبَ﴾، و ﴿مَثَلًا﴾ حال. أو ﴿مَثَلًا﴾ مفعول، و ﴿بَعُوضَةً﴾ بدل منه، أو عطف بيان. أو هما مفعولان بـ ﴿يَضْرِبَ﴾؛ لأنها -على هذا المعنى- تتعدى إلى مفعولين، كجعل. و ﴿مَّا﴾: صفة للنكرة<sup>(٣)</sup>، أو زائدة<sup>(٤)</sup>.  
﴿بِمَا بَوَّهَتْ﴾ فِي الْكِبَرِ، وَقِيلَ: فِي الصَّغَرِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ.

﴿بَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ لَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَذْكُرَ مَا شَاءَ، وَلَأَن ذِكْرَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ فِيهِ حِكْمَةٌ، وَضَرْبُ أَمْثَالٍ، وَبَيَانٌ لِلنَّاسِ، وَلَأَن الصَّادِقَ جَاءَ بِهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

﴿مَاذَا أَرَادَ﴾ لَفْظُهُ: الْاسْتِفْهَامُ، وَمَعْنَاهُ: الْاسْتِبْعَادُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَالتَّكْذِيبُ. وَفِي إِعْرَابِ ﴿مَاذَا﴾ وَجْهَانِ: أَنْ تَكُونَ «مَا» مُبْتَدَأً، وَ«ذَا» خَبَرُهُ، وَهِيَ مُوصُولَةٌ. وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةً مُرَكَّبَةً فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْمَفْعُولِ بِـ ﴿أَرَادَ﴾. و ﴿مَثَلًا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى: الْحَالِ، أَوِ التَّمْيِيزِ.  
﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ؛ جَوَابًا لِلَّذِينَ قَالُوا: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾. وَهُوَ -أَيْضًا- تَفْسِيرٌ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِضَرْبِ الْمَثَلِ مِنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ.

﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ مُطْلَقٌ فِي الْعُهُودِ، وَكَذَلِكَ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْقَطْعِ وَالْفَسَادِ. وَيَحْتَمِلُ: أَنْ يَشَارَ بِنَقْضِ عَهْدِ اللَّهِ إِلَى الْيَهُودِ؛ لِأَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. وَيَشَارُ بِقَطْعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَوْصَلَ إِلَى قَرِيشٍ؛ لِأَنَّهُمْ قَطَعُوا الْأَرْحَامَ الَّتِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

(١) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٦٢/١) عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ، وَعَنْهُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٤٩٤/١)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٦٩/١)، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْ قَتَادَةَ أَيْضًا.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٤٩٣/١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ، وَإِسْنَادُ هَذَا الْأَثَرِ سَبَقَ أَنْ قَالَ فِيهِ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٧٥/١): «وَلَسْتُ أَعْلَمُهُ صَحِيحًا؛ إِذْ كُنْتُ بِإِسْنَادِهِ مُرْتَابًا».

(٣) صِفَةٌ مُخَصَّصَةٌ، أَي: تُفِيدُ النِّكَرَةَ تَخْصِصًا وَتَقْرِيبًا، كَمَا تَقُولُ: جِئْتُكَ فِي أَمْرِ مَا. الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ (١٥٥/١).

(٤) صِلَةٌ زَائِدَةٌ، لَا تُفِيدُ إِلَّا شَيْئًا مِنْ تَأْكِيدِ الْمَحْرَرِ الْوَجِيزِ (١٥٥/١).

ويشار بالفساد في الأرض إلى المنافقين؛ لأن الإفساد<sup>(١)</sup> من أفعالهم، حسبما تقدّم في وصفهم<sup>(٢)</sup>.

﴿مِيثَاقِهِ﴾ الضمير: للعهد، أو لله تعالى.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ موضعها<sup>(٣)</sup>: الاستفهام، ومعناها هنا: الإنكار والتوبيخ.

﴿وَكُنْتُمْ دَآمُوتًا﴾ أي: معدومين، أو في أصلاب الآباء، أو نُطْفًا في الأرحام.

﴿بِأَخْيَاكُمْ﴾ أي: أخرجكم إلى الدنيا.

﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء.

وقيل: الحياة الأولى: حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد. وقيل: في الحياة الثانية: إنها في القبور. والراجع القول الأول؛ لتعينه في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الحج: ٦٤].

### فوائد ثلاث:

الأولى: هذه الآية في معرض الردّ على الكفار، وإقامة البرهان على بطلان قولهم.

فإن قيل: إنما يصحّ الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتجّ عليهم بالبعث وهم منكرون له؟

فالجواب: أنهم ألزموا، من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت، ثبوت البعث؛ لأن القدرة صالحة لذلك كلّها.

(١) في ب، د: «الفساد».

(٢) في ب، ج، هـ: «صفته».

(٣) في ب، ج، هـ: «موضوعها».

الثانية: قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾ في موضع الحال.

فإن قيل: كيف جاء دون «قد» وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال؟

فالجواب: أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل، والمراد: مجموع الكلام؛ كأنه يقول: وحالكم هذه؛ فلذلك لم تلزم «قد»<sup>(١)</sup>.

الثالثة: عطف ﴿وَأَخْيَاكُمْ﴾ بالفاء؛ لأن الحياة إثرُ العدم، لا تراخي بينهما، وعطف ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ و﴿ثُمَّ يُخْيِيكُمُ﴾ بـ«ثم»؛ للتراخي الذي بينهما.

﴿٢٨﴾ ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ دليلٌ على إباحة الانتفاع بما في الأرض. ﴿إِسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد لها. والسما - ههنا - : جنس؛ ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة<sup>(٢)</sup>. ﴿بَسَوِيَّهِنَّ﴾ أي: أتقن خلقتهن؛ كقوله: ﴿فَسَوَّيْكَ بَعْدَ لَكَ﴾ [الانفطار: ٧]. وقيل: جعلهن سواء.

فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض، وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحِيهَا﴾ [النازعات: ٣٠] ظاهرةٌ خلاف ذلك؛ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الأرض خلقت قبل السماء، ودُحيت بعد ذلك، فلا تعارض.

والآخر: أن تكون «ثُمَّ» لترتيب الإخبار<sup>(٣)</sup>.



(١) انظر: الكشف (٢/٤١٣).

(٢) لأن اسم الجنس دالٌّ على الجمع. المحرر الوجيز (١/١٦٣).

(٣) لا لترتيب الأمر في نفسه. المحرر الوجيز (١/١٦٢).

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِئَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا  
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَ  
آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكِئَةِ فَقَالَ أَشْبِهُونِي بِأَسْمَاءِ هَذِهِ هَلْ تَلَاؤْنَ أَمْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ  
يَتَّكِدُمْ أَشْيُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَشْبَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٨﴾ \*وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا  
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ  
أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ  
الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ  
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢١﴾ فَتَلَفَيْنَا آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ  
فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى  
فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٤﴾

﴿لِلْمَلَكِئَةِ﴾ جمع ملك، واختلف في وزنه: فقليل: فَعَلٌ؛ فالميم أصلية، ووزن ملائكة على هذا: فعائلة. وقيل: هو من الألوكه، وهي الرسالة، فوزنه مَفْعَلٌ وأصله: مَأْلُكٌ، ثم حذفت الهمزة، ووزن ملائكة على هذا: مَفَاعِلَةٌ، ثم قلب وأخرت الهمزة؛ فصار: مَعَاْفِلَةٌ؛ وذلك بعيد.

﴿خَلِيفَةً﴾ هو آدم ﷺ؛ لأن الله استخلفه في الأرض. وقيل: ذرئته؛ لأن بعضهم يخلف بعضاً، والأول أرجح، ولو أراد الثاني لقال: خلفاء.

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية؛ سؤال محض؛ لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه. وليس فيه اعتراض؛ لأن الملائكة منزّهون عنه. وإنما علموا أن بني آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك. وقيل: كان في الأرض جنٌ فأفسدوا، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم، فقامت الملائكة بني آدم عليهم.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ اعتراف، والتزام للتسبيح، لا افتخار ولا منة.

﴿يَحْمَدُكَ﴾ أي: حامدين لك، والتقدير: نُسَبِّحُ مُلتَبِّسين<sup>(١)</sup> بحمدك؛ فهو في موضع الحال. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل: أن تكون الكاف مفعولاً، ودخلت عليها اللام؛ كقولك: ضربت لزيد. أو أن يكون المفعول محذوفاً، أي: نقُدِّسُك، على معنى: ننزِّهك أو نعظِّمُك، وتكون اللام في ﴿لَكَ﴾ للتعليل؛ أي: لأجلك. أو يكون التقدير: نقُدِّسُ أنفسنا - أي نطهرها - لك.

﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: ما يكون في بني آدم من الأنبياء والأولياء، وغير ذلك من المصالح والحكمة.

﴿الْأَسْمَاءُ كُلَّهَا﴾ أي: أسماء بني آدم، أو<sup>(٢)</sup> أسماء أجناس الأشياء، كتسمية الفرس والشجرة وغير ذلك.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: عرض المسميات، وهي أشخاص بني آدم، أو<sup>(٣)</sup> أجناس الأشياء. ﴿أَتَيْتُونِي﴾ أمرٌ على وجه التعجيز. ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في قولكم: إِنَّ الخليفة يُفسد في الأرض ويسفك الدماء. وقيل: إن كنتم صادقين في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء. ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ اعتراف.

﴿أَتَيْتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك، أو بأسماء أجناس الأشياء. ﴿لَسْجُدُوا لِلْإِدَمِ﴾ السجود له على وجه التحية، وقيل: عبادة الله، وآدم كالقابلة. ﴿بَسَجَدُوا﴾ روي أن أول من سجد إسرافيل؛ ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ<sup>(٤)</sup>.

(١) في ب، د، هامش أورمز له بـ «خ»: «ملتبسين».

(٢) في ج، هـ: «و».

(٣) في ج، هـ: «و».

(٤) أخرجه ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٣٩٨/٧) عن ضمرة بن ربيعة عن قادم بن مستورد قال قال عمر بن عبد العزيز: «لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ﷺ أول من سجد له إسرافيل فأنابه الله ﷻ أن كتب القرآن في جبهته»، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٥٦٢/٥) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في الدر المنثور (٢٦٩/١) عن ضمرة بن ربيعة قال: «بلغني أن أول...»، ولم أقف عليه في تفسير ابن أبي حاتم.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ استثناء متصل عند من قال: إنه كان ملكًا، ومنقطع عند من قال: إنه كان من الجن.

﴿وَأَسْتَكْبِرَ﴾ لقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١١].

﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ قيل: كفر بإيابه من السجود؛ وذلك بناء على أن المعصية كفر. والأظهر: أنه كفر باعتراضه على الله، وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم، وليس كفره كفر جحود؛ لاعترافه بالربوبية<sup>(١)</sup>.

﴿وَزَوْجَكَ﴾ هي حواء، خلقها الله من ضلع آدم. ويقال: زوجة، وزوج؛ وهذا أفصح.

﴿الْجَنَّةِ﴾ هي جنة الخلد عند الجماعة وأهل السنة، خلافًا لمن قال: هي غيرها.

(١) [التعليق ٢١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «قيل: كفر بإيابه من السجود» إلخ، أقول: تضمن كلام المؤلف سببين في كفر إبليس:

الأول: أنه إياؤه السجود الذي أمره الله به، وهو حقيقة المعصية، وهذا يناسب مذهب الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، ولعل هذا من حججهم.

الثاني: وهو اختيار المؤلف - أن سبب كفر إبليس الاعتراض على الله بأمره بالسجود لآدم، وهذا يتضمن الطعن في حكمته تعالى، وتسفيهه، تعالى الله، كما قاله المؤلف، فحصر سبب الكفر في هذين الأمرين؛ إذ اقتصر عليهما، فضعف الأول واستظهر الثاني، ونفى المؤلف أن يكون كفر إبليس جحودًا، وهو صحيح؛ فلم يجحد إبليس ربوبيته تعالى إذ قال: رب أنظرنى، وما جحد الأمر؛ لأن الله واجهه بالأمر بالسجود مع الملائكة، وصرح بأنه أمره عينا؛ فقال سبحانه: ﴿مَا تَعْلَمُ إِلَّا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، وسبب كفر إبليس الذي دللت عليه الآيات هو إباء السجود الناشئ عن الاستكبار، ولهذا قال تعالى: ﴿أَنَّى وَاسْتَكْبَرَ﴾، وقال لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾، كما يدل لذلك شبهة إبليس التي اعتذر بها عن امتناعه من السجود، وهو أن الله خلقه من نار، وخلق آدم من طين، وهذه الشبهة تتضمن دعاوى باطلة وأقيسة فاسدة ذكرها العلماء، وبينوا بطلانها وفسادها، وفخر إبليس فيها بنفسه واحتقاره لآدم ظاهر، فتضمن اعتذاره حقيقة الكبر الذي هو رد الحق واحتقار الغير، وذلك برد أمر الله واحتقار آدم، وبهذا يعلم أن ما ذكره المؤلف من سببي كفر إبليس ناشئان عن الاستكبار.

فالكبر إذن هو سبب كفر إبليس وأكثر الكافرين من بعده، وشواهد ذلك في القرآن كثيرة، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنزلُ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ﴾. وسمى الله جهنم مثنوى المتكبرين، ومثنوى الكافرين؛ فالكافرون هم المتكبرون في الآيتين.

تنبيه: اشتهر عند كثير من المفسرين وغيرهم أن الحامل لإبليس على ترك السجود هو الحسد، ولا دليل عليه من آية أو حديث فيما أعلم.

﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة؛ فهذا أصل في سد الذرائع.

﴿الشَّجَرَةَ﴾ قيل: هي شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، وقيل: الحنطة. وذلك مفتقر إلى نقل صحيح، واللفظ مبهم.

﴿وَتَكُونَا﴾ عطف على ﴿تَقْرَبَا﴾، أو: نصب بإضمار «أن» بعد الفاء في جواب النهي.

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ متعد: من زل القدم. و﴿أَزَّاهُمَا﴾ بالألف: من الزوال<sup>(١)</sup>.

﴿عَنْهَا﴾ الضمير عائد على الجنة، أو على الشجرة؛ فتكون «عن» - على هذا - سببية.

**فائدة:** اختلفوا في أكل آدم من الشجرة:

فالأظهر: أنه كان على وجه النسيان؛ لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٢]. وقيل: سكر من خمر الجنة، وحيث أكل منها؛ وهذا باطل؛ لأن خمر الجنة لا تسكر. وقيل: أكلها عمداً، وهي معصية صغرى؛ وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر. وقيل: تأول آدم أن النهي عن شجرة معينة، فأكل من غيرها من جنسها. وقيل: لما حلف له إبليس صدقه؛ لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كاذباً.

﴿أَهْبِطُوا﴾ خطاب لآدم وزوجه وإبليس؛ بدليل: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

﴿مُسْتَقَرًّا﴾ موضع استقرار؛ وهو في مدة الحياة، وقيل: في بطن الأرض بعد الموت. ﴿وَمَتَّعْ﴾ ما يتمتع به.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى الموت.

﴿تَتَلَقَّيْنِ﴾ أي: أخذ وقيل على قراءة الجماعة. وقرأ ابن كثير بنصب «آدم» ورفع الكلمات؛ فـ ﴿تَتَلَقَّيْنِ﴾ - على هذا - من اللقاء.

﴿كَلِمَتٍ﴾ هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٢]؛ بدليل ورودها في «الأعراف». وقيل غير ذلك.

(١) قرا حمزة ﴿فَأَزَّاهُمَا﴾ بالفتح وتخفيف اللام، وقرأ الباقون بتشديد هاء من غير ألف.



﴿أَهْبِطُوا﴾ كُرِّرَ؛ لِيُنَاطَ بِهِ مَا بَعْدَهُ. وَيَحْتَمَلُ: أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْهَبُوطِينَ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْآخَرُ مِنَ الْجَنَّةِ. وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الثَّانِي: لَذَرِيَّةِ آدَمَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾، وَالْأَوَّلُ: لَأَدَمَ وَزَوْجِهِ وَابْلِيسَ. وَرَوَى <sup>(١)</sup> أَنَّ آدَمَ نَزَلَ بِسَرْنَدِيبٍ مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ، وَنَزَلَتْ حَوَاءُ بِجَدَّةَ، وَابْلِيسَ بِالْأُبْلَةِ <sup>(٢)</sup>.

﴿فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ «إِنْ»: شَرْطِيَّةٌ، وَ«مَا» زَائِدَةٌ؛ لِلتَّأَكِيدِ. وَالْهَدْيُ هُنَا يَرَادُ بِهِ: كِتَابُ <sup>(٣)</sup> اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ.

﴿فَمَنْ تَبِعَ﴾ شَرْطٌ، وَهُوَ جَوَابُ الشَّرْطِ الْأَوَّلِ. وَقِيلَ: ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ جَوَابُ الشَّرْطَيْنِ.



(١) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٢٢) عن بعض السلف، ثم تعقبه بقوله: «وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجيء مجيء الحجة، ولا يُعلم خبرٌ في ذلك وَرَدَ كذلك، غيرَ ما وَرَدَ من خبر هبوط آدم بأرض الهند فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء»، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٨٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٤/ ٧٦) عن الحسن قال: «أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بدست ميسان من البصرة على أميال، وأهبطت الحية بأصبهان»، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن علي مرفوعاً، قال في الدر المنثور (١/ ٣٢٢): «بمسند وإه».

(٢) الأبلّة: بلدة قريبة من البصرة في العراق. انظر: معجم البلدان (١/ ٧٦).

(٣) في ب: «كتب».

يَبْنِيهِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَلَا يَأْتِ  
بَارِهِيُونَ ﴿٢٩﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَاذِبِينَ وَلَا تَشْتَرُوا  
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيتِي بَاتَّقُونَ ﴿٣٠﴾ \* وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٣٢﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ  
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا  
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَىٰ إِلَهِهِ رَاجِعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿يَبْنِيهِ إِسْرَءِيلَ﴾ لَمَّا قَدَّمَ دعوة الناس عموماً، وذكر مبدأهم: دعا بني إسرائيل خصوصاً، وهم اليهود. وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب: ﴿سَيَقُولُ السُّبُهَاءُ﴾ . فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم. وتارة بالتخويف. وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم، وذكر العقوبات التي عاقبهم.

فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء، وهي:

- [١] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْيَمِّ﴾ [البقرة: ٤٨] .
- [٢] و﴿وَإِذْ بَرَّفْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٤٩] .
- [٣] و﴿وَبَعَثْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ [البقرة: ٥٥] .
- [٤] و﴿وَوَضَّلْنَاكَ عَلَى الْغَمِّ﴾ [البقرة: ٥٦] .
- [٥] و﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلْوَ﴾ [البقرة: ٥٦] .
- [٦] و﴿وَعَفَوْنَا عَنْكَ﴾ [البقرة: ٥١] .
- [٧] و﴿فَتَابَ عَلَيْكَ﴾ [البقرة: ٥٣] .
- [٨] و﴿يَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] .
- [٩] و﴿وَإِذْ نَادَىٰ مُوسَىٰ الْكَلْبَ وَالْقُرْآنَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٢] .
- [١٠] و﴿وَإِنْ هَجَرْنَا مِنْهُ إِثْمَنَا عَنَّا﴾ [البقرة: ٥٩] .

وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء :

- [١] قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٢].
- [٢] و﴿إِنَّا خَدَّيْنَاهُ﴾ [البقرة: ٩١].
- [٣] وقولهم: ﴿أَرَأَيْتُمُ اللَّهَ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ١٥٢].
- [٤] و﴿بَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ٥٨].
- [٥] و﴿لَسْ تَضِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦٠].
- [٦] و﴿يُحَرِّقُونَهُ﴾ [البقرة: ٧٤].
- [٧] و﴿تَوَلَّيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٣].
- [٨] و﴿فَسَتْ فُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٧٣].
- [٩] و﴿وَكُفِّرِهِمْ بِتَائِيَةِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٤].
- [١٠] و﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٤].

وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء :

- [١-٢-٣] ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٠].
- [٤] و﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].
- [٥] و﴿بِأَفْثَلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٣].
- [٦] و﴿كُونُوا فِرْدَةً﴾ [البقرة: ٦٤].
- [٧] و﴿بِأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٥٨].
- [٨] و﴿بِأَخَذْنَاكُمْ الصَّعِقَةَ﴾ [البقرة: ٥٤].
- [٩] و﴿وَجَعَلْنَا فُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً﴾ [المائدة: ١٤].
- [١٠] و﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٩].

وهذا كله جرى لأبائهم المتقدمين، وخوطب به المعاصرون لمحمد ﷺ؛ لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم.

وقد وُيِّغَ المعاصرين<sup>(١)</sup> لمحمد ﷺ بتوبيخات آخر، وهي عشرة:

- [١] كتمانهم أمر محمد ﷺ مع<sup>(٢)</sup> معرفتهم به.
- [٢] و﴿يَحَرِّبُونَ الْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٥].
- [٣] و﴿يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٨].
- [٤-٥] و﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ بَرِيئاً مِنْكُمْ مِمَّ دِيَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٤].
- [٦] وحرصهم على الحياة.
- [٧] وعداوتهم لجبريل.
- [٨] واتباعهم للسحر.
- [٩] وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٢٠].
- [١٠] وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٦].

﴿نِعْمَتِي﴾ اسم جنس؛ فهي مفردة بمعنى الجمع، ومعناها عام في جميع النعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم، أو اختصوا هم به، كالمن والسلوى. وللمفسرين فيه أقوال؛ تحمل على أنها أمثلة، واللفظ يعم جميعها.

﴿بِعَهْدِي﴾ مطلق في كل ما أخذ عليهم من العهود. وقيل: الإيمان بمحمد ﷺ، وذلك قوي؛ لأنه مقصود الكلام. ﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ دخول الجنة.

﴿وَأَيَّتِي﴾ مفعولٌ بفعل مضمر مؤخر<sup>(٣)</sup>؛ لانفصال الضمير، وليفيد الحصر، يفسره: ﴿بَارَهْبُونٍ﴾، ولا يصح أن يعمل فيه ﴿بَارَهْبُونٍ﴾؛ لأنه قد أخذ معموله<sup>(٤)</sup>. وكذلك: ﴿وَأَيَّتِي بَاتَّفَوْا﴾.

﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ يعني: القرآن. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ أي: مصدقاً للتوراة.

(١) في ب، د، هـ: «وُيِّغَ المعاصرون».

(٢) في د: «بعد».

(٣) تقديره: «وأي أي أربوا فارهبون»، وامتنع أن يُقدَّر مقدماً؛ لأن الفعل إذا تقدَّم لم يحسن أن يتصل به إلا ضمير

خفيف، فكان يجيء: «وارهبون». المحرر الوجيز (١/١٩٥).

(٤) في د: «مفعوله».

وتصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد ﷺ للأنبياء المتقدمين له ثلاثة معانٍ:

أحدها: أنهم أخبروا به، ثم ظهر كما قالوا؛ فتبين صدقهم في الإخبار به.

والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء، وأن الله أنزل عليهم الكتب؛ فهو مصدق لهم؛ أي: شاهد بصدقهم.

والثالث: أنه ﷺ وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع؛ فهو مصدق لهم؛ لاتفاقه معهم في الإيمان بذلك.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ الضمير عائد على القرآن. وهذا نهى عن المسابقة إلى الكفر به، ولا يقتضي إباحة الكفر به في ثاني حال؛ لأن هذا مفهوم معطل، بل يقتضي الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به؛ لما يجدون في كتبهم من ذكره، ولما يعرفون من علاماته.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الاشتراء هنا: استعارة في الاستبدال؛ كقوله: ﴿إِشْتَرَوْا الصَّلَاةَ بِالْهَدْيِ﴾. والآيات هنا: هي الإيمان بمحمد ﷺ. والتمن القليل: ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم، وأخذهم الرُّشَا على تغيير أمر محمد ﷺ، وغير ذلك.

وقيل: كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك. واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الأجرة<sup>(١)</sup> على تعليم القرآن.

﴿الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ﴾ الحق هنا يراد به: نبوة محمد ﷺ، والباطل: الكفر به. وقيل: الحق: التوراة، والباطل: ما زادوا فيها.

﴿وَتَكْتُمُوا﴾ معطوف على النهي. أو منصوب بإضمار «أن» في جواب النهي، والواو بمعنى الجمع. والأول أرجح؛ لأنَّ العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين، بخلاف النصب بالواو؛ فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين، لا النهي عن كل واحد على انفراده. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنه حق.

(١) في ج، هـ: «الإجارة».

﴿الْصَّلَاةُ﴾ و ﴿الزَّكَاةُ﴾ يراد بهما: صلاة المسلمين وزكاتهم؛ فهو يقتضي الأمر بالدخول في الإسلام. ﴿وَأَزْكَوْا﴾ خصَّص الركوع بعد ذكر الصلاة؛ لأنَّ صلاة اليهود بلا ركوع، فكانه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع. وقيل: الركوع: الخضوع والانقياد. ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ هم المسلمون؛ فيقتضي ذلك: الأمر بالدخول في دينهم. وقيل: الأمر بالصلاة مع الجماعة.

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ تقرير وتوبيخ لليهود. ﴿بِالْبِرِّ﴾ عامٌّ في أنواعه؛ فوبَّخهم على أمر الناس به وتركهم له. وقيل: كان الأخبار يأمرهم بأن نصحوه في السرِّ باتباع محمد ﷺ، ولا يتبعونه. وقال ابن عباس ؓ: كانوا يأمرهم باتباع التوراة، ويخالفونها في جحدهم منها صفة محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

﴿وَتَنْسَوْنَ﴾ أي: تتركون، وهذا تقرير. ﴿تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ حجة عليهم. ﴿أَبَلَا تَعْلَمُونَ﴾ توبيخ.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قيل: معناه: استعينوا بهما على مصائب الدنيا، وقد روي أنَّ رسول الله ﷺ: كان إذا حزبه<sup>(٢)</sup> أمر فزع إلى الصلاة<sup>(٣)</sup>، ونُعي إلى ابن عباس أخوه قُثم ؓ فصلَّى ركعتين وقرأ الآية<sup>(٤)</sup>. وقيل: استعينوا بهما على طلب الآخرة. وقيل: الصبر هنا الصوم. وقيل: الصلاة هنا الدعاء.

﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير عائد على العبادة التي تضمَّنها الصبر والصلاة، أو على الاستعانة، أو على الصلاة. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقةٌ صعبة. ﴿يَظُنُّونَ﴾ هنا: يتيقنون.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٦١٣-٦١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٠١).

(٢) في ج، هـ: «حزنه»، وفي ب، د: «أحزنه»، والمثبت هو الموافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩) عن حذيفة ؓ، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٣/١٧٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٦٢٠)، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٣/١٧٢).

يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ بَرَفْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ ثُمَّ عَقَبْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْمُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦١﴾ \* وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَّقُوا اللَّهَ يَتَّقُوا لَكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ بِمَا فَعَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَسْ نُوْمِنُ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِّن بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٤﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ بَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٦٧﴾

﴿٥٥﴾ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي أهل زمانهم. وقيل: تفضيل من وجه ما، وهو كثرة الأنبياء و<sup>(١)</sup> غير ذلك.  
 ﴿٥٦﴾ لَا تَجْزِيهِ﴾ لا تغني، و﴿شَيْئًا﴾: مفعول به، أو صفة لمصدر محذوف<sup>(٢)</sup>. والجملة في موضع الصفة، وحذف الضمير؛ أي: فيه<sup>(٣)</sup>.

(١) في ب، ج، هـ: «أو».

(٢) أي: جزاء شيئاً، وعبرة الزمخشري في الكشاف (٤/٤٧٢): «ويجوز أن يكون في موضع المصدر، أي: قليلاً من الجزاء» وعبرة أبي حيان في البحر المحيط (٢/١٥): «ويجوز أن يكون انتصابه على المصدر، أي: ولا تجزي شيئاً من الجزاء، قاله الأخفش، وفيه إشارة إلى القلة».

(٣) الجملة في موضع الصفة لـ﴿يَوْمًا﴾، وحذف منها الضمير الرابط العائد إلى الموصوف، وتقديره: لا تجزي فيه. الكشاف (٢/٤٧٢).

﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةً﴾ ليس نفى الشفاعة مطلقاً؛ فإنَّ مذهب أهل الحق ثبوتُ شفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد: أنه لا يشفع أحدٌ إلا بعد أن يأذن الله له؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ولقوله: ﴿مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣]، ولقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣]، وانظر ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ يسجد يوم القيامة يستأذن في الشفاعة، فيقال له: «اشفع تشفع»<sup>(١)</sup>.

فكلُّ ما ورد في القرآن من نفى الشفاعة مطلقاً يحمل على هذا؛ لأنَّ المطلق يحمل على المقيد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفى الشفاعة. عَدْلٌ هنا: فدية.

﴿وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ﴾ جمع؛ لأنَّ النفس المذكورة يراد بها نفوس.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ تقديره: اذكروا إذ نجيناكم، أي: نجينا آباءكم. وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي ﷺ منهم؛ لأنهم ذرِّيَّتُهُم وعلى دينهم ومتَّبِعُونَ لهم، فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا: مِنْ تَعْدَادِ النِّعَمِ؛ لأنَّ الإِنْعَامَ على الآباء إِنْْعَامٌ على الأبناء. وَمِنْ ذِكْرِ مَسَاوِيهِمْ؛ لأنَّ ذرِّيَّتَهُم راضون بها.

﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: من فرعون وآله؛ وحذف لدلالة المعنى. وآل فرعون: هم جنوده وأشياعه وأهل دينه، لا قرابته خاصة. ويقال: إنَّ اسمه: الوليد بن مصعب، وهو من ذرِّيَّةِ عَمَلِيق. ويقال: «فرعون»: لكلِّ مَنْ ولي مصر. وأصل «آل»: أهل، ثم أُبدل من الهاء همزة، وأبدل من الهمزة ألف.

**فائدة:** كلُّ ما ذكر في هذه السورة من الأخبار معجزاتٌ للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلُّم.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة ؓ، وأخرجاه أيضاً - البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) - من حديث أنس ؓ.



﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: يلزمونه لكم، وهو استعارة من السؤم في البيع<sup>(١)</sup>. وفسر سوء العذاب بقوله: ﴿يَذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفه هنا. وأما حيث عطفه في سورة «إبراهيم» فيحتمل: أن يراد بـ«سوء العذاب» غير ذلك؛ فيكون عطف مغايرة. أو أراد به ذلك؛ وعطفه لاختلاف اللفظ.

وكان سبب قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل: أنه أخبره الكهان والمنجمون أن هلاكه على يدي مولود ذكر من بني إسرائيل. وقيل: إن آل فرعون تذكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذريته ملوكًا وأنبياء فحسدوهم<sup>(٢)</sup> على ذلك. وروي: أنه وكل بالنساء رجالًا يحفظون من يحمل منهن<sup>(٣)</sup>.

وقيل: بل وكل على ذلك القوابل<sup>(٤)</sup>؛ ولأجل هذا قيل: معنى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: يفتشون الحيا من كل امرأة، وهو فرجها، وهذا بعيد. والأظهر: أنه من الحياة ضد الموت.

﴿وَفَرَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ﴾ أي: فصلناه، وجعلناه فرقًا، اثني عشر طريقًا، على عدد الأسباط. والباء: سببية، أو للمصاحبة<sup>(٥)</sup>. والبحر المذكور هنا: هو بحر القلزم.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي: شهر ذي قعدة وعشر ذي الحجة. وإنما خص الليالي بالذكر لأن التاريخ بها، والأيام تابعة لها، والمراد: أربعين ليلة بأيامها.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي: اتخذتموه إلهًا؛ فحذف للدلالة المعنى<sup>(٦)</sup>.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد غيبته في الطور<sup>(٧)</sup>.

(١) في الكشف (٢/٤٨٠): «وأصله من سام السلعة: إذا طلبها، كأنه بمعنى: يغيثونكم سوء العذاب، ويريدونكم عليه».

(٢) في ب، د: «فحسدوهم».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٦٤٦-٦٤٧) عن ابن عباس ؓ.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٦٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٠٥) عن أبي العالية.

(٥) فتكون في موضع الحال، بمعنى: فرقناه ملتبسًا بكم. الكشف (٢/٤٨٢).

(٦) أي: حذف المفعول الثاني، وهو «إلهًا»؛ للدلالة المعنى عليه.

(٧) في ب، ج، د زيادة: «من».

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: التوراة.

﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ أي: المفرق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة؛ عطف عليها لاختلاف اللفظ. وقيل: الفرقان هنا: فرق البحر. وقيل: المعنى: آتينا موسى الكتاب، وآتينا محمداً الفرقان؛ وهذا بعيد؛ لما فيه من الحذف من غير دليل عليه.

﴿وَقَاتِلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضاً؛ كقوله: ﴿بَسَلِمُوا عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [النور: ٥٩]. وروي: أن من لم يعبد العجل قتل من عبده<sup>(١)</sup>. وروي: أن الظلام ألقي عليهم فقتل بعضهم بعضاً، حتى بلغ القتلى سبعين ألفاً، فعفا الله عنهم<sup>(٢)</sup>.

وإنما خصّ هنا اسم الباري؛ لأن فيه توبيخاً للذين عبدوا العجل؛ كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذي برأكم. ومعنى الباري: الخالق.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، وهو فحوى الخطاب<sup>(٣)</sup>، أي: ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم.

﴿لَنْ تُوَمِّنَ لَكُمْ﴾ تعذّي باللام؛ لأنه تضمن معنى الانقياد. ﴿جَهْرَةً﴾ عياناً. ﴿الصَّعِيفَةَ﴾ الموت. وكانوا سبعين، وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور، فسمعوا كلام الله، ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا؛ لسوء أدبهم، وجُرأتهم على الله.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٠) عن ابن عباس ؓ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٨٠) عن ابن عباس ؓ، وعن سعيد بن جبيرة ومجاهد (١/ ٦٧٩، ٦٨٢)، وأخرجه عنهما -أيضاً- ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١٠)، وأخرجه كذلك عن قتادة والحسن.

(٣) كذا ورد، وصواب العبارة: «وهو لحن الخطاب»، وابن جزّي ؓ يقصد دلالة الاقتضاء، وهي دلالة اللفظ المنطوق به على مضمير هو من ضرورة اللفظ؛ لتوقف صدق الكلام أو صحته عقلاً أو شرعاً عليه. (انظر: المستصفى ٢/ ٨٢٤، وشرح المحلى على جمع الجوامع ١/ ١٨٥)، فدلالة الاقتضاء هذه يسميها ابن جزّي لحن الخطاب، قال في تقريب الوصول (ص: ٦٤-٦٥): «الباب السابع: في لحن الخطاب وفحواه ودليله، أما لحن الخطاب: فهو ما حذف من الكلام، ولا يستقل المعنى إلا به.. وأما فحوى الخطاب: فيسمى تنبيه الخطاب ومفهوم الموافقة.. أما دليل الخطاب: فهو مفهوم المخالفة..» وقد تبع في هذا الاصطلاح القرافي في شرح تنقيح الفصول (ص: ٤٩)، ومن الأصوليين من يطلق فحوى الخطاب على مفهوم الموافقة الأولوي، ولحن الخطاب على مفهوم الموافقة المساوي -وليس على دلالة الاقتضاء-، كما هو صنيع صاحب «جمع الجوامع».

﴿وَوَلَّلْنَا﴾ أي: جعلنا الغمام فوقهم كالظلة يقيكم حرَّ الشمس، وكان ذلك في النَّبِيِّ. وكذلك أنزل عليهم فيه المنَّ والسلوى لما عَدِمُوا الطعام. وقد فسرنا ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ في «اللغات»<sup>(١)</sup>. ﴿كُلُوا﴾ معمولٌ لقول محذوف.

﴿هَذِهِ الْقَرْيَةُ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحاء، وهي قريبٌ من بيت المقدس. ﴿بَكُلُوا﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب؛ لأن الأكل بعد الدخول. وجاء في «الأعراف» بالواو بعد قوله: ﴿سَكُنُوا﴾؛ لأن الأكل مقارن للسكنى. ﴿سُجِدَّا﴾ قيل: معناه رُكْعًا؛ لأنَّ الدخول لا يتأتَّى معه السجود، وقيل: متواضعين. ﴿حِطَّةٌ﴾ تقدَّم في «اللغات»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نزيدهم أجرًا إلى المغفرة. ﴿قَبِيلٌ﴾ روي أنه قالوا: حنطة<sup>(٣)</sup>، وروي: حبة في شعرة<sup>(٤)</sup>. ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمرة؛ لقصد ذمهم بالظلم. وكرره زيادة في تقبيح أمرهم. ﴿رِجْزًا﴾ روي أنهم أصابهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفًا<sup>(٥)</sup>.



(١) انظر المادتين: (٣٠٥)، (٤٩٣) في اللغات.

(٢) انظر المادة (١٣٤) في اللغات.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/٧٢٥-٧٢٦)، والحاكم في المستدرک (٣٠٥٨)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، وروي أنهم قالوا: «حنطة في شعيرة»، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/٧٢٤-٧٢٥) عن أبي هريرة وابن عباس، وأخرجه أحمد في المسند (٨١١٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) «حبة في شعرة» أخرجه البخاري (٣٤٠٣)، (٤٤٧٩)، (٤٦٤١)، ومسلم (٣٠١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) تفسير الرجز بأنه الطاعون روي عن عبد الرحمن بن زيد، كما أخرجه الطبري (١/٧٣٠)، وتحديد عدد من مات منهم سبعون ألفًا ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/١١٠)، وقال الطبري (١/٧٣١): «وقد أخبر الله جل ثناؤه أنه أنزل على الذين وصفنا أمرهم الرجز من السماء، وجائز أن يكون ذلك طاعونًا، وجائز أن يكون غيره، ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن الرسول ثابت أي أصناف كان ذلك».

\* وَإِذْ اسْتَسْفَىٰ مَوْسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ قُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۚ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ۚ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٥٨﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لِمَ تَضْرِبُ عَلَيَّ طَعَامًا وَاحِدًا قَدْ لَنَا رَبُّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَفَيْقَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصْلِيهَا قَالِ اسْتَغْبِذُونَ إِلَٰهَ هُوَ أَذْنَىٰ بِإِلَٰهِ هُوَ خَيْرٌ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيُّطٌ مُضْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۖ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ ۖ وَالْمَسْكَنَةُ ۖ وَبَاءَ وَبَعْضٌ مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٥٩﴾

﴿إِسْتَسْفَى﴾ طلب السُّقيا لَمَّا عطشوا في التيه. ﴿الْحَجَرَ﴾ كان مرتعاً؛ ذراعاً في ذراع، تنفجر من كل جهة ثلاث عيون، وروي: أن آدم كان أهبطه من الجنة<sup>(١)</sup>. وقيل: هو جنس غير معين؛ وذلك أبلغ في الإعجاز. ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ قبله محذوف تقديره: فضربه فانفجرت.

﴿مَّشْرِبَهُمْ﴾ أي: موضع شربهم، وكانوا اثني عشر سبطاً؛ لكل سبط عين.

﴿كَلُوا﴾ أي: من المن والسلوى. ﴿وَاشْرَبُوا﴾ من الماء المذكور.

﴿وَفُومِهَا﴾ يعني: الثوم. وقيل: الحنطة. ﴿أَذْنَىٰ﴾ من الدنيء الحقير. وقيل: أصله «أدون»، ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه. ﴿مُضْرًا﴾ قيل: البلد المعروف؛ وضُرِف لسكون وسطه. وقيل: هو غير معين فهو نكرة؛ لَمَّا روي أنهم نزلوا الشام<sup>(٢)</sup>، والأول أرجح؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩] يعني: مصر. ﴿وَضُرِبَتْ﴾ أي قُضِيَ عليهم بها، وألزموها. وجعله الزمخشري استعارة؛ من ضرب القبة؛ لأنها تعلو الإنسان وتحيط به<sup>(٣)</sup>. ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفاقة، وقيل: الجزية.

(١) ذكر هذا الزمخشري في الكشاف (٥٠١/٢)، قال: «وقيل: أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا، ولم أقف على إسناد له».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٨٨/٢)، وابن جرير في تفسيره (٤٠٤-٤٠٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٥١/٥) عن الحسن وقتادة.

(٣) انظر: الكشاف (٥٠٧/٢).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى: ضرب الذلة، والمسكنة، والغضب، والباء للتعليل.  
 ﴿يَنَازِلَتْ إِلَهُهُ﴾ الآيات المتلوة، أو العلامات. ﴿يَغْيِرُ الْحَقَّ﴾ معلوم أنه لا يقتل نبي إلا بغير حق، وإنما نصّ عليه تشييعاً لقبح فعلهم، ولأنهم اجتروا على قتلهم مع معرفتهم بأنه بغير حق؛ وذلك أقبح.

**فائدة:** قال هنا: ﴿يَغْيِرُ الْحَقَّ﴾ بالتعريف، فاللام للعهد؛ لأنه قد تقرّرت الموجبات لقتل النفس<sup>(١)</sup>. وقال في الموضع الأخير من «آل عمران»: ﴿يَغْيِرُ حَقَّ﴾ [آل عمران: ١١٢] بالتنكير؛ لاستغراق النفي؛ لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ يحتمل أن يكون تأكيداً للأول. أو تكون الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى الكفر والقتل، والباء لتعليل ﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: اجتروا على الكفر وقتل الأنبياء لما اهتمكوا في العصيان والعدوان.



(١) أي: أنه قد تقرّر في شريعتهم مُسَوِّغات قتل النفس، ومنها قتل نفس بغير حق كما قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴿المائدة: ٤٥﴾، وقد علموا أن الأنبياء مبرؤون من ذلك، فقوله: ﴿يَغْيِرُ الْحَقَّ﴾ أي: بغير وجه الحق المبيح للقتل، فالألف واللام للعهد في المسوّغ المتقرّر في شريعتهم. انظر: ملاك التأويل، لأبي جعفر ابن الزبير (٢١٥-٢١٧).

(٢) وقال في الموضع الأخير من «آل عمران» أي: الموضع الثاني منها، في آية رقم (١١٢)، وأما الموضع الأول منها فهو آية رقم (٢١)، فجاء ﴿يَغْيِرُ حَقَّ﴾ في هذا الموضع الثاني بالتنكير؛ لاستغراق النفي أي: لتأكيد العموم، كأنه قيل: بغير سبب ولا شبهة، وهي نزلت فيمن عاصر منهم محمداً ﷺ، فذلك التنكير أوغل في ذمهم وسوء حالهم؛ لأنهم لا يمكنهم فيما ارتكبوه تعلّق بشيء البتة ولا أدنى شبهة. انظر: ملاك التأويل، لأبي جعفر ابن الزبير (٢١٥-٢١٧)، والبحر المحيط (١٣٩/٢).

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا  
 فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا  
 بَوَاقَكُمْ الظُّرُورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّنْ  
 بَعْدَ ذَلِكَ قَلِيلًا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَىٰكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ  
 اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٤﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا  
 وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٥﴾ \* وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً  
 قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَن أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا ۖ اذْغُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا  
 مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿١٧﴾  
 قَالُوا ۖ اذْغُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَبْرَاءُ بِاقِعٌ لَّوْثُهَا تَسُرُّ  
 النَّظِيرِينَ ﴿١٨﴾ قَالُوا ۖ اذْغُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ  
 لَمُهْتَدُونَ ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْفِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ  
 فِيهَا قَالُوا آلَن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا  
 وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢١﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْتَوْبَى  
 وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ فَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ  
 أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَجَجَّرُ مِنْهُ إِلَّا نَهْرٌ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ  
 وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية: قال ابن عباس ؓ: نسخها: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ  
 الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٤] (١). وقيل: معناها: إن هؤلاء الطوائف من آمن  
 منهم إيمانًا صحيحًا فله أجره؛ فيكون في حق المؤمنين: الثبات إلى الموت، وفي حق  
 غيرهم: الدخول في الإسلام؛ فلا نسخ.

وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ؛ فلا نسخ.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٤٥-٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٢٦).

﴿مَنْ آمَنَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿بَلَّغَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾. أو: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بدل، و﴿بَلَّغَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها؛ فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن لم تأخذوها وقع عليكم. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ جد في تعلم التوراة، أو العمل بها.

﴿إِغْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اصطادوا فيه الحوت، وكان محرماً عليهم. ﴿كُونُوا فِرْدَةً﴾ عبارة عن مسخهم<sup>(١)</sup>. و﴿خَلْسِينَ﴾: صفة، أو خبر ثان؛ ومعناه: مُبْعِدِينَ كما يُخْسَأ الكلب.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ الضمير لليلة؛ وهي المسخ. ﴿تَكَلًّا﴾ أي: عقوبة لما تقدّم من ذنوبهم وما تأخر. وقيل: عبرة لمن تقدّم ومن تأخر.

﴿أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ قصتها: أن رجلاً من بني إسرائيل قتل قريبه ليرثه، وادّعى على قوم أنهم قتلوه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، ويضربوا القتل ببعضها، ففعلوا، فقام وأخبر بمن قتله، ثم عاد ميتاً<sup>(٢)</sup>. ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ جفاء وقلة أدب، أو تكذيب.

﴿بَارِضٌ﴾ مسنة. ﴿بِكُرٍّ﴾ صغيرة. ﴿عَوَانٌ﴾ متوسطة.

﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين ما ذكر؛ ولذلك قال: ﴿ذَلِكَ﴾ مع أن الإشارة إلى شيئين<sup>(٣)</sup>.

﴿صَفْرَاءُ﴾ من الصفرة المعروفة. وقيل: سوداء؛ وهو بعيد. والظاهر: صفراء كلها، وقيل: القرن والظلف فقط؛ وهو بعيد.

﴿بَافِعٌ﴾ شديد الصفرة. ﴿تَسْرُّ النَّظِيرِينَ﴾ لحسن لونها، وقيل: لسمّنها ومنظرها كلّها.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٤).

(٢) أخرجه الطبري (٧٦/٢)، وابن أبي حاتم (١٣٦/١)، والبيهقي في السنن (١٢٢٤٨) عن عبيدة السلماني، وهو من الإسرائيليات، وأخرجه الطبري أيضاً (٧٧/٢) عن أبي العالية.

(٣) أي: أن «بين» في الأصل لا تدخل إلا على اثنين، وقد دخلت هنا على اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ وهو مفرد! وجوابه: أن اسم الإشارة مفرد في اللفظ والصورة، وهو في المعنى مُثْنِيٌّ؛ لأنه إشارة إلى ما ذكر، والمذكور اثنان. المحرر الوجيز (١/٢٤٧-٢٤٨)، والكشاف (٢/٥٢٠)، والبحر المحيط (١/٢٩٧).

﴿لَا ذُلُّ﴾ أي: غير مذللٍّ للعمل.

﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي: تحرثها، وهو داخل تحت النفي على الأصح.

﴿وَلَا تَسْفِي﴾ لا يسقى عليها. ﴿مُسَلَّمَةً﴾ من العمل، أو من العيوب.

﴿لَا شِيَةَ﴾ لا لَمْعَة غير الصفرة؛ وهو من «وشى»؛ ففاؤه واو محذوفة، كَعِدَّة.

﴿أَلَنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ العامل في الظرف: ﴿جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾. وقيل: العامل فيه مضمَر تقديره: الآن نذبحها، والأول أظهر. فإن كان قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾ تكذيبًا: فهذا تصديق. وإن كان غير ذلك فالمعنى: بالحق البين.

﴿وَمَا كَادُوا﴾ لعصيانهم وكثرة سؤالهم عن شأنها، أو لغلاء البقرة؛ فقد جاء أنها كانت ليتيم<sup>(١)</sup>، وأنهم اشتروها بوزنها ذهبًا<sup>(٢)</sup>، أو لقلّة وجود تلك الصفات؛ فقد روي أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد عليهم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هو أول قصة البقرة؛ فرتبته التقديم قبل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾! قال الزمخشري: إنما أُخِّرَ لتعدّد توبيخهم بقصتين؛ وهما: ترك المسارعة إلى الأمر، وقتل النفس؛ ولو قدّم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد<sup>(٤)</sup>.

﴿بَادَرْتُمْ﴾ أي اختلفتم؛ وهو من المداراة؛ أي: المدافعة.

﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أمر القتل، ومن قتله.

(١) كونها ليتيم ذكره ابن جرير في تفسير (٧٨/٢)، قال: «فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعتت لهم إلا عند عجوز عندها يتامى»، ولم يورد سنده.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧٦/١)، وابن جرير في تفسيره (١١٦/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦/١) عن عبيدة السلماني، وهو من نقل بني إسرائيل، كما قال ابن كثير في تفسيره (٣٠١/١).

(٣) أخرجه البزار في مسنده عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «إن بني إسرائيل لو أخذوا أدنى بقرة لأجزأتهم، أو لأجزأت عنهم»، وإسناده ضعيف كما في مجمع الزوائد للهيتمي (٣٤٢/٦).

وروي عن ابن عباس ؓ موقوفًا، أخرجه ابن جرير (٩٨/٢)، وابن أبي حاتم (١٣٧/١)، قال ابن كثير (٢٩٨/١): «إسناده صحيح، وقد رواه غير واحد عن ابن عباس ؓ، وكذا قال عبيدة، والسدي، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية وغير واحد».

(٤) انظر: الكشف (٥٣٨/٢).



﴿إِضْرِبُوهُ﴾ القَتِيلَ، أو قَبْرَهُ. ﴿يَبْغِضُهَا﴾ مطلق. وقيل: الفَخْدُ. وقيل: اللسان. وقيل: الذنب.

﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى حياة القَتِيلِ، واستدلالٌ بها على الإحياء للبعث. وقبله محذوف لا بد منه؛ وهو: ففعلوا ذلك فقام القَتِيلُ.

فائدة: استدلَّ المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول: «فلان قتلني»؛ وهو ضعيف؛ لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعابنة الآخرة، وقصته معجزة لنبي، فلا يتأتى أن يكذب المقتول، بخلاف غيره. واستدلوا -أيضاً- بها على أن القاتل لا يرث؛ ولا دليل فيها على ذلك.

﴿فَسَتْ فَلَوْبُكُمْ﴾ خطاب لبني إسرائيل. ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعد إحياء القَتِيلِ، وما جرى في القصة من العجائب. وذلك بيانٌ لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات. ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ عطف على موضع الكاف، أو: خبر ابتداء؛ أي: هي أشدُّ.

﴿أَوْ﴾ هنا إمَّا للإبهام، أو للتخيير؛ كأن من علم حالها مخيراً بين أن يشبَّهها بالحجارة، أو بما هو أشد قسوة، كالحديد، أو للتفصيل؛ أي: فيهم كالْحِجَارَةِ، وفيهم أشدُّ.

وإنما قال: ﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ولم يقل «أقسى» مع أن فعل القسوة يبنى منه «أفعل»: لكون ﴿أَشَدُّ﴾ أدلَّ على فرط القسوة.

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ الآية: تفضيلٌ للحجارة على قلوبهم. ﴿يَهْبِطُ﴾ أي: يتردَّى من علو إلى سفلى<sup>(١)</sup>. والخشية: عبارة عن انقيادها، وقيل: حقيقة؛ وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله.



(١) في: «اسفل».

أَبْتَظَمْعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَفَدَّ كَانَ بَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّقُونَهُ مِنْ  
بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ \* وَإِذَا قَالُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضَمِهِمْ إِلَى  
بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ  
﴿٦٧﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٨﴾ وَمِنْهُمْ ءَامِيُونَ لَا يَعْلَمُونَ  
أَلْكَتَبَ إِلَّا ءَامَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٦٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ  
يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ  
مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٠﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا أَلْبَارِئُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ  
يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ  
بِهِ خَطِيئَتُهُ فَإِنَّهُ زَالِكٌ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٣﴾

﴿أَبْتَظَمْعُونَ﴾ خطاب للمؤمنين. و﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ يعني: اليهود، وتعدّ باللام؛ لما تضمن معنى الانقياد. ﴿بَرِيْقٌ مِّنْهُمْ﴾ السبعون الذي سمعوا كلام الله على الطور، ثم حرفوه. وقيل: بنو إسرائيل، حرفوا التوراة. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بيان لقبح فعلهم<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ قالها من ادّعى الإسلام من اليهود. وقيل: قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا أخبارهم. ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ توبيخ. ﴿بِمَا فَتَحَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

- ◀ بما حكم عليهم من العقوبات.
- ◀ وبما في كتبهم من ذكر محمد ﷺ.
- ◀ وبما فتح الله عليهم من الخير والإنعام.
- وكل وجه حجة عليهم؛ ولذلك قالوا: ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾.

(١) في هامش أ: «خ: حالهم».

﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ قيل: في الآخرة. وقيل: أي: في حكم ربكم وما أنزل في كتابه؛ فعنده بمعنى: حكمه. ﴿أَفَلَا تَعْلَمُونَ﴾ من بقية كلامهم؛ توبيخاً لقومهم.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية: من كلام الله؛ ردّاً عليهم، وفضيحة لهم.

﴿وَمِنْهُمْ أَتَمِّيُونَ﴾ أي: لا يقرءون ولا يكتبون؛ فهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾.

والمراد: قوم من اليهود. وقيل: من المجوس؛ وهذا غير صحيح؛ لأن الكلام كله مع اليهود. ﴿إِلَّا أَمَانِيٌّ﴾ تلاوة بغير فهم، أو أكاذيب، أو ما تتمناه النفس.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق لافتراءهم. ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عَرْض الدنيا؛ من الرئاسة، أو<sup>(١)</sup> الرشوة، وشبه ذلك. ﴿يَكْسِبُونَ﴾ من الدنيا، أو من الذنوب.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أربعين يوماً عدد عبادتهم العجل. وقيل: سبعة أيام. ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾ الآية: تقرير يقتضي إبطال قولهم.

﴿بَلَى﴾ تحقيق لطول مكثهم في النار، أو لقولهم ما لا يعلمون. ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الآية في الكفار؛ لأنها ردٌ على اليهود، ولقوله بعدها:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار.



(١) في ب، ج، د: «و».

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِمَّن دَبَّرْتُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٢﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دَبْرِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ \* وَإِنْ يَأْتِوكُمُ اسْتِزَارٌ فَقَبُولُهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ ﴿٨٤﴾

﴿٨١﴾ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴿١﴾ جوابٌ لقسم ﴿١﴾ يدلُّ عليه: الميثاق ﴿٢﴾. وقيل: خبر بمعنى النهي؛ ويرجح قراءه: «لا تعبدوا» ﴿٣﴾. وقيل: الأصل: «بأن لا تعبدوا»، ثم حذفت الباء، و«أن» ﴿٤﴾. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ يتعلق بـ ﴿إِحْسَانًا﴾. أو: بمحذوف، تقديره: أحسنوا، ووُكِّد بـ ﴿إِحْسَانًا﴾. ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ القرابة. ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ جمع يتيم؛ وهو من فقد والده قبل البلوغ. واليتيم من سائر الحيوان: من فقد أمه.

وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهم: فقدَّم الوالدين؛ لحقُّهما الأعظم، ثم القرابة؛ لأنَّ فيهم أجرة الإحسان وصلة الرحم، ثم اليتامى؛ لقلَّة حيلتهم، ثم المساكين. ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض. وإعرابه: مثل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾. ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضًا. ﴿أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق، واعترفتم بلزومه. ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأخذ الميثاق عليكم.

(١) في ب، هـ: «القسم».

(٢) والمعنى: وإذا استحلقتكم والله لا تعبدون. المحرر الوجيز (١/٢٦٨).

(٣) قرأ أبي بن كعب وابن مسعود: ﴿لا تعبدوا﴾ على النهي. المحرر الوجيز (١/٢٦٨).

(٤) فارتفع الفعل لزوالها. المحرر الوجيز (١/٢٦٨).

﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوب - على التخصيص - بفعل مضمر. وقال ابن الباذش<sup>(١)</sup>: مبتدأ، وخبره ﴿أَنْتُمْ﴾، و﴿تَقْتُلُونَ﴾ حال لازمة تم بها المعنى<sup>(٢)</sup>.

﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه، وينفيه من موضعه إذا ظفر به. ﴿تَقْلَهُوْنَ﴾ أي: تتعاونون. ﴿تَقْدُوهُمْ﴾ قرئ: بالالف ويحذفها<sup>(٣)</sup>؛ والمعنى واحد. وكذلك ﴿أَسْرَى﴾ بالالف وحذفها<sup>(٤)</sup>؛ جمع أسير.

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الضمير: للإخراج من ديارهم، و﴿هُوَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿مُحَرَّمٌ﴾، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ بدل. أو: الضمير للأمر والشأن، و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾: مبتدأ، و﴿مُحَرَّمٌ﴾ خبره، والجملة خبر الضمير.

﴿أَقْتُمُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ﴾ فداؤهم الأسارى؛ موافقة لما في كتابهم<sup>(٥)</sup>. ﴿وَتَكْفُرُونَ بَعْضُ الْقَتْلِ وَالْإِخْرَاجِ مِنَ الدِّيارِ؛ مخالفة لما في كتابهم. ﴿خِزْيٌ﴾ الجزية، أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم، أو مطلق.



(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري الغرناطي، نحوي عالم بعلوم العربية، من شيوخ ابن عطية، ووالد أبي جعفر أحمد، صاحب «الإقناع» في القراءات، توفي سنة (٥٢٨هـ). انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب (٧٨/٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢٧٣/١)، وتمة النقل: «وهي كانت المقصود، فهي غير مستغنى عنها، وإنما جاءت بعد أن تم الكلام في المسند والمسد إليه، كما تقول: هذا زيد منطلقاً، وأنت قد قصدت الإخبار بانطلاقه، لا الإخبار بأن هذا هو زيد».

(٣) قرأ نافع وعاصم والكسائي ﴿تَقْدُوهُمْ﴾ بضم التاء والالف بعد الفاء، وقرأ الباقون بفتح التاء وإسكان الفاء من غير ألف.

(٤) قرأ حمزة ﴿أَسْرَى﴾ بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف، وقرأ الباقون ﴿أَسَارَى﴾ بضم الهمزة وألف بعد السين.

(٥) في أ، ج، هـ: «كتبهم».

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيفًا كَذَبْتُمْ وَقَرِيفًا تَقْتُلُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا فُلُوبَنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٦١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا فَالُوا سَاجِدِينَ وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ فَلْ يُسَمَّا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٣﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنْ الَّذِينَ أُشْرِكُوا بِوُدِّ أَحَدِهِمْ لَوْ يَعْمُرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضَاهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾

﴿٥٧﴾ «وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ» أي: جئنا من بعده بالرسول؛ وهو مأخوذ من القفا؛ أي: جاء بالثاني في قفا الأول. «الْبَيِّنَاتِ» المعجزات؛ من إحياء الموتى وغير ذلك.

«بِرُوحِ الْقُدُسِ» جبريل. وقيل: الإنجيل. وقيل: الاسم الذي كان يُحيي به الموتى. والأول أرجح؛ لقوله: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ» [النحل: ١٠٢]، ولقوله ﷺ لحسان: «اللهم آتِده بروح القدس»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣)، ومسلم (٢٤٨٥) من حديث أبي هريرة ؓ.

﴿تَقْتُلُونَ﴾ جاء مضارعاً مبالغَةً؛ لأنه أريد استحضاره في النفوس، أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ لولا أن الله عصمه.

﴿غُلْفٌ﴾ جمع أغلف؛ أي: عليها غلاف - وهو الغشاء - فلا تَفَقَّهُ.

﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ردٌ عليهم، وبيان أن عدم فهمهم بسبب كفرهم.

﴿بَقِيلًا﴾ أي: إيمانًا قليلًا يؤمنون، و﴿مَّا﴾ زائدة. ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم، أو على أصلها؛ لأن من دخل منهم في الإسلام قليل، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض.

﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ هو القرآن. ﴿مُصَدِّقٌ﴾ تقدّم أن له ثلاثة معانٍ<sup>(١)</sup>.

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي يستنصرون<sup>(٢)</sup> على المشركين؛ إذا قاتلوهم قالوا: «اللهم انصرنا بالنبى المبعوث في آخر الزمان». ويقولون لأعدائهم من المشركين: «قد أظّل زمان نبى يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وإرم». وقيل: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي: يعرفون الناس بالنبى ﷺ؛ فالسين - على هذا - للمبالغة؛ كالسين في: استعجب واستسخر<sup>(٣)</sup>، وعلى الأول للطلب.

﴿بَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا﴾ القرآن، والإسلام، ومحمد ﷺ. قال المبرّد: ﴿كَبَرُوا﴾ جواب «لَمَّا» الأولى والثانية، وأعيدت الثانية لطول الكلام، ولقصد التأكيد. وقال الزّجاج: ﴿كَبَرُوا﴾ جواب «لَمَّا» الثانية، وحذف جواب الأولى؛ للاستغناء عنه بذلك. وقال الفراء: جواب «لَمَّا» الأولى: ﴿بَلَمَّا﴾، وجواب الثانية: ﴿كَبَرُوا﴾.

﴿عَلَى الْكُفَرِينَ﴾ أي: عليهم؛ يعني: اليهود، ووضع الظاهر موضع المضمرة؛ ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم. واللام للعهد، أو للجنس؛ فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار.

﴿بَيْسَمًا﴾ فاعل «بئس» مضمرة، و«ما» مفسّرة له، و﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ هو المذموم. وقال الفراء: ﴿بَيْسَمًا﴾ مركب؛ كحَبَّذَا. وقال الكسائي: «ما» مصدرية؛ أي: اشتراؤهم؛ فهي فاعلة.

(١) انظر تفسير الآية (٤٠).

(٢) في ب، د: «يتنصرون».

(٣) في د: «واستخرج».

﴿إِشْتَرَوْا﴾ هنا بمعنى: باعوا.

﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ في موضع خبر ابتداء. أو: مبتدأ؛ كاسم المذموم في «بئس»<sup>(١)</sup>. أو: مفعول من أجله. أو: بدل من الضمير في «بئس».

﴿يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن، أو التوراة؛ لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد ﷺ.

﴿أَنْ يُنْزَلَ﴾ في موضع مفعول من أجله.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ القرآن، والرسالة.

﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: محمداً ﷺ. والمعنى: أنهم إنما كفروا حسداً لمحمد ﷺ لما تفضل الله عليه بالرسالة.

﴿يَغْضِبُ عَلَى غَضَبٍ﴾ أي: بغضب؛ لكفرهم بمحمد ﷺ على غضب لكفرهم بعبسى ﷺ، أو لعبادتهم العجل، أو لقولهم: عزيز ابن الله، ولغير ذلك من قبائحهم.

﴿يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن.

﴿يَمَّا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ التوراة.

﴿يَمَّا وَرَاءَهُ﴾ أي: بما بعده؛ وهو القرآن.

﴿بَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ رد عليهم فيما ادَّعوا من الإيمان بالتوراة، وتكذيب لهم. وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته، فكأنه دائم؛ لما رضي هؤلاء به.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرطية؛ بمعنى القدح في إيمانهم، وجوابها يدل عليه ما قبل. أو نافية؛ فيوقف قبلها، والأول أظهر.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: المعجزات؛ كالعصا، وفلق البحر، وغير ذلك.

﴿إِنَّا خَذْنُمُ الْعِجْلَ﴾ ذكر هنا على وجه الذم لهم، والإبطال لقولهم: ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾. وكذلك رفع الطور. وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم؛ لقوله: ﴿ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ﴾

(١) أي: إعرابه كاسم المذموم في «بئس»، فهو إما خبر ابتداء محذوف، تقديره: المذموم كفرهم، أو مبتدأ، والجملة قبله خبره. انظر: أوضح المسالك، لابن هشام (٣/٢٥١).



[البقرة : ٥١]، و﴿قَلُولًا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [البقرة : ٦٣]. وعطفه بـ«ثُمَّ» في الموضوعين؛ إشارة إلى قبح ما فعلوه من ذلك.

﴿مِنْ بَغْيِهِ﴾ الضمير لموسى عليه السلام؛ أي: من بعد غيبته في مناجاة الله على جبل الطور.  
﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك. ويحتمل أن<sup>(١)</sup> قالوه: بلسان المقال، أو بلسان الحال.

﴿وَأَشْرَبُوا﴾ عبارة عن تمكُّن حُب العجل من قلوبهم؛ فهو مجاز، تشبيهاً بشرب الماء، أو شرب الصَّبغ في الثوب، وفي الكلام محذوف؛ أي: أَشْرَبُوا حُبَّ العجل. وقيل: إن موسى برد العجل بالمبرد، ورمى بُرَّادته في الماء فشربوه؛ فالشُّرب على هذا حقيقة. ويردُّ هذا قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

﴿يَكْفُرِهِمْ﴾ الباء: سببية للتعليل، أو بمعنى المصاحبة.  
﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ إسناد الأمر إلى إيمانهم مجازاً؛ على وجه التهكم؛ كقوله: ﴿أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [مرد: ٨٧]. وكذلك إضافة الإيمان إليهم. و﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: شرط، أو نفى.

﴿فَتَمَتَّوْا الْمَوْتَ﴾ بالقلب واللسان، أو باللسان خاصة. وذلك أمرٌ على وجه التعجيز والتبكي؛ لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها. وورد: أنهم لو تمنوا الموت لماتوا في الحين<sup>(٢)</sup>. وقيل: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ دامت طول حياته.

﴿وَلَنْ يَتَمَتَّوْا﴾ إن قيل: لم قال في هذه السورة: ﴿وَلَنْ يَتَمَتَّوْا﴾، وفي سورة «الجمعة»: ﴿وَلَا يَتَمَتَّوْنَ؟﴾ فنفي هنا بـ«لن» وفي «الجمعة» بـ«لا»؟

فقال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: الجواب: أنه لما كان الشرط في «البقرة» مستقبلاً وهو قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ = جاء جوابه بـ«لن» التي

(١) في ب، د زيادة: «يكون».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٢٥)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٩٥)، والبزار في مسنده (٤٨١٤)، وابن جرير (٢٦٨/٢) عن ابن عباس عليه السلام في ضمن حديث، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦/٧): «ورجاله رجال الصحيح»، وصححه -أيضاً- ابن كثير في تفسيره (٣٣١/١)، وأصله في البخاري (٤٩٥٨) من غير ذكر موضع الشاهد.

تخلّص الفعل للاستقبال، ولما كان الشرط في «الجمعة» حالاً وهو قوله: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ = جاء جوابه بـ«لا» التي تدخل على الحال، وقد تدخل على المستقبل<sup>(١)</sup>.

﴿يَمَّا قَدَّمْتُ﴾ أي: بسبب ذنوبهم وكفرهم.

﴿عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديد لهم.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يكون عطفاً على ما قبله؛ فيوصل به. والمعنى: أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فحُمل على المعنى<sup>(٢)</sup>؛ كأنه قال: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا. وخصّ الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، فأفرط حبهم للحياة الدنيا.

والآخر: أن يكون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ابتداءً كلام؛ فيوقف على ما قبله. والمعنى: من الذين أشركوا قومٌ ﴿يَوَدُّ أَحَدَهُمْ لَوْ يَعْتَرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فحذف الموصوف. وقيل: أراد به المجوس؛ لأنهم يقولون لملوكهم: «عش ألف سنة».

والأول أظهر؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود، وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم.

﴿وَمَا هُوَ بِمَرْخِجِهِ﴾ الآية؛ فيها وجهان: أحدهما: أن يكون ﴿هُوَ﴾ عائداً على ﴿أَحَدَهُمْ﴾، و﴿أَنْ يُعْتَرَّ﴾ فاعل بـ﴿مَرْخِجِهِ﴾. والآخر: أن يكون ﴿هُوَ﴾ للتعمير، و﴿أَنْ يُعْتَرَّ﴾ بدل.



(١) انظر: ملاك التأويل، لأبي جعفر ابن الزبير (١/ ٢٢٧).

(٢) أي: حُمل ﴿أَحْرَصُ النَّاسِ﴾ على المعنى، فمعناه: «أحرص من الناس» كما تقول: زيدٌ أفضل من القوم، ثم تحذف «من» وتضيفه، والمعنى على إثبات «من».

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ تَبَيَّنَتْ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٥٣﴾ أَوْكَلَّمَا عَلَيْهِمْ عَهْدًا تَبَدُّهُ قَرِيبٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ \* وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ تَبَدَّ قَرِيبٌ مِمَّنْ الَّذِينَ أَثَرُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سَلِيمٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّخْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآية سببها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: جبريل عدونا؛ لأنه ملك الشدائد والعذاب؛ فلذلك لا نؤمن بك، ولو جاءك ميكائيل لآمنّا بك؛ لأنه ملك الأمطار والرحمة<sup>(١)</sup>.

﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ فيه وجهان: الأول: فإن الله نزل جبريل. والآخر: فإن جبريل نزل القرآن، وهذا أظهر؛ لأن قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من أوصاف القرآن. والمعنى: الرد على اليهود بأحد وجهين:

أحدهما: من كان عدوا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه؛ لأنه نزل على قلبك؛ فهو مستحق للمحبة، ويؤكد هذا قوله: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾.

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨٣)، (٢٥١٤)، والنسائي في الكبرى (٩٠٢٤)، وابن جرير (٢٨٣/٢-٢٨٤)، وابن أبي حاتم (١٧٩-١٨٠) عن ابن عباس ؓ في ضمن حديث طويل، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣٨/٨): «ورجاله ثقات».

والثاني: من كان عدوًّا لجبريل فإنما عاداه لأنه نَزَّله على قلبك، فكانَ هذا تعليلٌ لعداوتهم لجبريل.

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ ذكرًا بعد الملائكة تجريدًا؛ للتشريف والتعظيم.

﴿أَوْكَلَّمَا﴾ الواو: للعطف<sup>(١)</sup>، وقال الأخفش: زائدة.

﴿تَبَدَّهٗ قَرِيبٌ مِّنْهُمْ﴾ نزلت في مالك بن الصَّيْف اليهودي، وكان قد قال: والله ما أخذ علينا عهدٌ أن نؤمن بمحمد<sup>(٢)</sup>.

﴿رَسُولٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن، أو التوراة؛ لما فيها من ذكر محمد ﷺ.

﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: اليهود الذين في زمان محمد ﷺ، أو المتقدمون.

﴿مَا تَتْلُوا﴾ هو من: القراءة، أو الاتِّباع.

﴿عَلَىٰ مُلْكٍ﴾ أي: في ملك، أو على عهد ملك سليمان.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ تبرئة له مما نسبوه إليه؛ وذلك أن سليمان ؑ دفن السحر ليُذهبه، فأخرجوه بعد موته، ونسبوه إليه، وقالت اليهود: إنما كان سليمان ساحرًا. وقيل: إنَّ الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه، فلما مات قالوا: ذلك علم سليمان.

﴿الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا﴾ بتعليم<sup>(٣)</sup> السحر، أو بالعمل به، أو بنسبته إلى سليمان ؑ.

﴿وَمَا أَنزَلَ﴾ نفى، أو عطف على: ﴿السِّحْرِ﴾، أو: على: ﴿مَا تَتْلُوا﴾.

﴿أَلَمَلَكَيْنِ﴾ إن كانت «ما» نافية: فذلك تبرئة لهما من إنزال السحر عليهما. إلا أن ذلك يردُّه آخر الآية. وإن كانت معطوفة بمعنى «الذي» فالمعنى: أنهما أنزل عليهما ضربٌ من

(١) الواو للعطف على محذوف، تقديره: أكفروا بالآيات البينات وكلُّما عاهدوا... الكشف (١١/٣).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠٨/٢)، وابن أبي حاتم (١٨٣/١) عن ابن عباس ؓ.

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «بتعلُّم»، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (١/٢٩٩).

السحر؛ ابتلاءً من الله لعباده، أو ليُعرف فيُحذر منه. وقرئ: «الْمَلِكَيْنِ» بكسر اللام<sup>(١)</sup>؛ وقال الحسن: هما عِلْجان<sup>(٢)</sup>، فعلى هذا: يتعين أن تكون «ما» غير نافية.

﴿يَبَايِلْ﴾ موضعٌ معروف.

﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ اسمان علّمان، وهما بدل من ﴿الْمَلَكَيْنِ﴾، أو عطف بيان.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ بِتْنَةٍ﴾ أي محنة؛ وذلك تحذيرٌ من السحر. ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي بتعلم السحر. ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل كفراً.

﴿يَقْرِفُونَ﴾ زوال العصمة، أو المنع من الوطء.

﴿يَضُرُّهُمْ﴾ أي: في الآخرة.

﴿عَلِمُوا﴾ أي: اليهود، أو الشياطين.

﴿إِشْتَرِيهِ﴾ أي: اشتغل به، وذكر الشراء؛ لأنهم كانوا يُعْطَوْنَ الأجرةَ عليه. ﴿شَرَوْا﴾ هنا بمعنى: باعوا.

﴿لَمْ تُؤَبِّهْ﴾ من الثواب؛ وهو جواب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾. وإنما جاء جوابها بجملة اسمية، وعدل عن الفعلية؛ لما في ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره. وقيل: الجواب محذوف؛ أي: لأثبيوا.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ في الموضعين: نفى لعلمهم. فإن قيل: كيف نفاه وقد أثبتته في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾؟ فالجواب: أنهم لم ينفعهم علمهم؛ فكأنهم لم يعلموا<sup>(٣)</sup>.



(١) هذه القراءة خارجة عن القراءات العشر، قرأ بها الضحاك بن مزاحم، فيما أخرجه ابن أبي حاتم (١/١٨٩)، وذكر ابن عطية في تفسيره (١/٣٠٠) أنه قرأ بها -أيضاً- ابن عباس والحسن وابن أبي زئ.

(٢) عزاه إليه -أيضاً- الثعلبي في تفسيره (٣/٤٨١)، ولم أقف عليه من قول الحسن مستنداً، ووقفت عليه من قول الضحاك بن مزاحم، أخرجه ابن أبي حاتم (١/١٨٩).

(٣) انظر: الكشاف (٣/٢٤).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا ۖ نَنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥٧﴾ \* مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٨﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٥٩﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفَرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَكَثِيرٌ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْبُوا وَاصْبِرُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٢﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٣﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٤﴾

﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: يا رسول الله راعنا؛ وذلك من المراعاة، أي: راقبنا وانظرنا، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها: معنى الرُّعونة على وجه الإذابة للنبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وربما كانوا ينوِّنونها على معنى النداء، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة؛ لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون وما قصده اليهود، فالنهي سداً<sup>(٢)</sup> للذريعة. وأمرُوا أن يقولوا: «انظرنا»؛ لخلوّه عن ذلك الاحتمال المذموم؛ وهو من النظر، أو الانتظار.

وقيل: إنما نهى المسلمون عنها؛ لما فيها من الجفاء وقلة التوقير.

﴿وَاسْمَعُوا﴾ عطف على ﴿وَقُولُوا﴾، لا على معمولها، والمعنى: الأمر بالطاعة والانقياد.

(١) أخرجه الطبري (٣٧٥-٣٧٦) عن قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) في ب، ج، هـ: «سداً».

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جنس يعمُّ نوعين: أهل الكتاب، والمشركين من العرب؛ ولذلك فسره بهما. ومعنى الآية: أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيرًا على المسلمين.

﴿مَنْ خَيْرٌ﴾ «من»: للتبعض. وقيل: زائدة؛ لتقدم النفي في قوله: ﴿مَا يَوَدُّ﴾.

﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ قيل: القرآن. وقيل: النبوة. والعموم أولى. ومعنى الآية: الردُّ على من كره الخير للمسلمين.

﴿مَا نَنْسَخْ﴾ أي: نُزيل حكمه ولفظه، أو أحدهما. وقرئ: بضم النون<sup>(١)</sup>؛ أي: نأمر بنسخه.

﴿أَوْ نَنْسِهَا﴾ من النسيان؛ وهو ضدُّ الذكر، أي: ينساها النبي ﷺ بإذن الله؛ كقوله: ﴿سَنُفَرِّقُكَ فَلَا تَنْبِسَى﴾ (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) [الأعلى: ٦ - ٧]. أو بمعنى الترك؛ أي: نتركها غير مُنزلة، أو غير منسوخة. وقرئ بالهمز<sup>(٢)</sup>: بمعنى التأخير؛ أي: نؤخر إنزالها، أو نسخها. ﴿بِخَيْرٍ﴾ في خفة العمل، أو في الثواب، أو أعم.

﴿فَدِيرٌ﴾ استدلالٌ على جواز النسخ؛ لأنه من المقدورات، خلافًا لليهود -لعنهم الله-؛ فإنهم أحالوه على الله. وهو جائز عقلاً، وواقع شرعاً؛ فكما نسخت شريعتهم ما قبلها، نسختها ما بعدها.

﴿تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ أي: تطلبوا منه الآيات. ويحتمل السؤال عن العلم، والأول أرجح؛ لما بعده، فإنه شبهه بسؤالهم لموسى عليه السلام، وهو قولهم له: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٢].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: تمنوا. ونزلت الآية في حُيي بن أخطب، وأخيه أبي ياسر، وأشباههما من اليهود، الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين، ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام<sup>(٣)</sup>.

(١) قرأ ابن عامر «تُنسخ» بضم النون الأولى وكسر السين، وقرأ الباقر بفتحهما.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو «تُنسأها» بالهمز، وقرأ الباقر «تُنسِها».

(٣) أخرجه الطبري (٤/ ٤١٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٠٤) عن ابن عباس ؓ.

﴿حَسَدًا﴾ مفعولٌ من أجله، أو مصدرٌ في موضع الحال، والعامل فيه ما قبله؛ فيجب وصله معه. وقيل: هو مصدر، والعامل فيه محذوف تقديره: يحسدونكم حسدًا؛ فعلى هذا يوقف على ما قبله، والأول أظهر وأرجح.

﴿مِنْ عِنْدِ أَنْبِيَائِهِمْ﴾ يتعلق به ﴿حَسَدًا﴾. وقيل: به ﴿وَدَّ﴾.

﴿بِأَمْرِهِ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿بِأَمْرِهِ﴾ يعني: بإباحة قتالهم، أو وصول آجالهم.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ الآية: أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا، وقالت النصارى: لن يدخلها إلا من كان نصرانيًا.

﴿هُودًا﴾ يعني: اليهود، وهذه الكلمة: جمع هائد، أو مصدر وصف به. وقال الفراء: حذفت منه ياء «يهود» على غير قياس.

﴿أَمَانِيَّتِهِمْ﴾ أكاذيبهم، أو ما يتمنونه.

﴿هَاتُوا﴾ أمرٌ على وجه التعجيز، والرد عليهم؛ وهو من: هاتى يهاتى، ولم يُنطق به. وقيل: أصله: أتوا، وأبدل من الهمزة هاء.

﴿بَلَى﴾ إيجاب لما نفوا؛ أي: يدخلها من ليس يهوديًا، ولا نصرانيًا.

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: دخل في الإسلام، أو أخلص. وذكر الوجه لشرفه، والمراد: جملة الإنسان.





وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ بِاللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٥٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِبِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥١﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجَّهَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمُهُ ﴿١٥٢﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴿١٥٣﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٥٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوفُونَ ﴿١٥٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١٥٦﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلْكَوتِهِ ءُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ءَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ءُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٥٨﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية: سببها: اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة؛ فذمت كل طائفة الأخرى<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب.

﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب؛ لأنهم لا كتاب لهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه: الاستفهام، ومعناه<sup>(٢)</sup>: لا أحد أظلم منه - حيث وقع -.

﴿مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ قريش منعت الكعبة، أو النصارى منعوا بيت المقدس، أو على العموم.

(١) أخرجه الطبري (٤٣٤-٤٣٥)، وابن أبي حاتم (٢٠٨/١) عن ابن عباس ؓ.

(٢) في ب، ج، هـ: «لفظها.. ومعناها».

﴿حَآبِمْ﴾ في حق قريش: قوله ﷺ: «لا يحج بعد هذا العام مشرك»<sup>(١)</sup>. وفي حق النصارى: ضَرْبُهُمْ عند بيت المقدس، أو الجزية.

﴿خِزْيٌ﴾ في حق قريش: غلبتْهم وفتح مكة. وفي حق النصارى: فتح بيت المقدس، أو الجزية<sup>(٢)</sup>.

﴿بَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ في الحديث الصحيح: أنهم صلُّوا ليلة في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة؛ فنزلت<sup>(٣)</sup>. وقيل: هي في تنفُّل المسافر حيثما توجَّهت به دابته<sup>(٤)</sup>. وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها؛ أي: إن مُنعت من مساجد الله فصلوا حيث كنتم. وقيل: إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة؛ فهي كقوله بعد هذا: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤١] الآية. والقول الأول هو الصحيح؛ ويؤخذ منه: أن من أخطأ القبلة فلا تجب الإعادة عليه، وهو مذهب مالك<sup>(٥)</sup>.

﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ المراد به هنا: كقوله: ﴿ابْتَغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧١] أي: رضاه. وقيل: معناه الجهة التي وجَّهنا إليها. وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] و﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٥]: فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويُردُّ علمه إلى الله. وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات، أو عن الوجود. وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في مواضع منها (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) قوله: «أو الجزية» سقط من ب، ج، هـ، د.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠) من حديث عامر بن ربيعة ؓ، وضعفه الترمذي وغيره، قال ابن كثير في تفسيره (٣٩٣/١): «وقد روي من طرق أخرى... فأوردها، ثم قال: «وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله يشدُّ بعضها بعضاً».

(٤) أخرجه مسلم (٧٠٠) من حديث ابن عمر ؓ.

(٥) وهو مذهب أحمد أيضًا أن من اجتهد في السفر - لا في الحضر - فصلّى، ثم علم أنه أخطأ القبلة فلا إعادة عليه. انظر: المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ٣٥٤-٣٥٥)، وقال المؤلف في القوانين الفقهية (ص: ١٠٨): «من صلّى ثم تبين له الخطأ في القبلة أعاد في الوقت على المشهور، وقال سحنون: في الوقت وبعده، وفاقاً لهما [أي: لأبي حنيفة والشافعي]».

(٦) [التعليق ٢٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾، المراد به هنا: كقوله: ﴿ابْتَغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]؛ أي: رضاه... إلخ: أقول: ذكر في هذا السياق ثلاث آيات وردَّ فيها ذكر الوجه؛ =

﴿وَقَالُوا إِنَّا تَخَذَ﴾ قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب: الملائكة بنات الله.

﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له عن قولهم.

﴿بَلْ لَهُ﴾ الآية: ردُّ عليهم؛ لأنَّ الكلَّ مُلكه، والعبودية تنافي النبوة.

﴿قَنِينُونَ﴾ أي: طائعون منقادون.

﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ﴾ أي: مخترعها وخالقها ابتداءً.

﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾ أي: قَدَّرَه، أو أمضاه. قال ابن عطية: «يَتَجَهَّ في الآية المعنيان؛ فعلى مذهب أهل السنة: قَدَّرَ في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة: أمضى عند الخلق

= فذكر في الآية الأولى: ﴿فَأَيُّنَا تُولُوا فَمَنْ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، قولين:

الأول: أنَّ المراد بالوجه في الآية كقولهِ تعالى: ﴿أَتَتَفَكَّهُ وَجْهَ اللَّهِ﴾، وفَسَّرَه بالرضا.

الثاني: أنَّ المراد: الجهة التي وَجَّهَنَا اللهُ إليها؛ يريد: القبلة.

وذكر في الآية الثانية والثالثة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨]، و﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ثلاثة

أقوال في تفسير الوجه:

أحدها: قول أهل التأويل؛ وهو أنَّ المراد بالوجه: الذات، أو الوجود.

الثاني: قول أهل التفويض؛ وهو أنَّ ذكرَ الوجه من المتشابه الذي يجب التسليم له، ورَدُّ علمه إلى الله.

الثالث: قول بعضهم؛ وهو أنَّ الوجه صفة ثابتة بالسمع.

أقول: وفيما ذكره حق وباطل:

- فتفسيرُ الوجه في الآية الأولى: بالجهة، حق؛ وبه قال كثير من السلف.

- وتفسيرُ الوجه في الآية الأولى: بالرضا، وجعلهُ المراد به كالمراد في قوله: ﴿أَتَتَفَكَّهُ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]

-: خطأ؛ فالوجه لا يُعرَفُ في اللغة بمعنى الرضا؛ لكنَّ سياق الآية يتضمَّنُ هذا المعنى، والممنوعُ أن يكونَ

المراد بالوجه الرضا.

- وتفسيرُ الوجه في الآية الثانية والثالثة: بالذات والوجود، خطأ؛ وهو تفسيرُ أهل التأويل من نفاة الصفات.

وأما تفسيرُ الوجه في الآية الثانية والثالثة: بأنَّه من المتشابه، والمتشابهُ فالمتشابهُ عندهم: ما لا يَعْلَمُ معناه

إلا الله؛ وهذا مذهبُ أهل التفويض، وهم من النفاة، ويقابلون أهل التأويل.

وما ذكره عن بعضهم: أنَّ الوجه صفة ثابتة بالسمع، فهو حقٌّ، لا يجوزُ نفيه ولا تأويله، بل يجبُ إثباته على

ما يليقُ به سبحانه، وأنه لا يماثلُ وجوه العباد، وليس هو من المتشابه؛ لأنَّ معناه معقول، والكيف مجهول،

والله أعلم.

والإيجاد»<sup>(١)</sup>. قلت: لا يكون «قَضَى» هنا بمعنى قَدَر؛ لأن القَدَر قديم، و«إذا» تقتضي الحدوث والاستقبال؛ وذلك يناقض القَدَم. وإنما «قَضَى» هنا بمعنى: أمضى أو فعل أو أوجد؛ كقوله: «فَقَضَيْهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ» [فصلت: ١١]<sup>(٢)</sup>.

وقد قيل: إنه بمعنى حَتَم الأمر، أو بمعنى حكم. والأمر هنا: بمعنى الشيء<sup>(٣)</sup>، وهو واحد الأمور، وليس بمصدر: أمر يأمر.

«فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» قال الأصوليون: إن هذا عبارة عن نفوذ قدرة الله تعالى، وليس بقول حقيقي؛ لأنه إن كان قول: «كُنْ» خطاباً للشيء في حال عدمه لم يصح؛ لأن المعدوم لا يخاطب، وإن كان خطاباً للشيء في حال وجوده لم يصح؛ لأنه قد كان، وتحصيل الحاصل غير مطلوب.

(١) المحرر الوجيز (١/٣٣١).

(٢) [التعليق ٢٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: أقول: القضاء من الله في القرآن يأتي لمعان:

١- «قَضَى الْخَلْقُ»؛ بمعنى: فرغ من خلقه؛ كقوله تعالى: «فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ» [فصلت: ١٢].

٢- «قَضَى»؛ بمعنى: حكم؛ وهو نوعان:

الأول: شرعي؛ كقوله تعالى: «وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَاهًا» [الإسراء: ٢٣]، ومعناه: أمر ووصى.

والثاني: كوني؛ ومنه قوله تعالى: «وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [البقرة: ١١٧]، ومعناه: أراد كونه؛ كما

قال تعالى: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [النحل: ٤٠]، وقال سبحانه: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [يس: ٨٢].

وعلى هذا: فتفسير «قَضَى»: بـ «أَمَضَى»، في قوله تعالى: «وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا» [البقرة: ١١٧] - أظهر؛ لأن المعنى:

إذا أراد الله كونه ما سبق في علمه وإرادته وكتابه، قال له: «كُنْ»، فيكون؛ وهذا هو معنى الإمضاء؛ أي: إتمام

الأمر الذي قدره الله في علمه وإرادته وكتابه.

ولهذا أقول: ما وجه به المؤلف ابن جزي اختياره، وهو أن معنى «قَضَى»: «أَمَضَى» - وجبة.

ويأتي «قَضَى» في القرآن مضمناً معنى «أَوْحَى» أو «أَوْصَلَ»؛ كما قال تعالى: «وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ

مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ» [الحجر: ٦٦]، وقال سبحانه: «وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ» [الإسراء: ٤].

كما يأتي «القضاء» بمعنى: الحكم، شاملاً للمعنيين: الكوني، والشرعي؛ كقوله تعالى: «وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ» [غافر: ٢٠].

كما يأتي «القضاء» بمعنى: الفصل بين المختلفين؛ كقوله تعالى: «وَإِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ» [يونس: ٩٣].

(٣) في أ: «الشان»، وفي الهامش: «خ: الشيء».

وحمله المفسرون على حقيقته، وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه:

أحدها: أن الشيء الذي يقول الله له: ﴿كُنْ﴾ هو موجود في علم الله؛ وإنما يقول له: ﴿كُنْ﴾ ليخرجه إلى العيان لنا.

والثاني: أن قول: ﴿كُنْ﴾ لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه. قاله الطبري<sup>(١)</sup>.

والثالث: أن ذلك خطاب لمن كان موجوداً على حالة، فيؤمر بأن يكون على حالة أخرى، كإحياء الموتى، ومسح الكفار. وهذا ضعيف؛ لأنه تخصيص من غير مخصص.

والرابع: أن معنى: ﴿يَقُولُ لَهُ﴾: يقول من أجله؛ فلا يلزم خطابه. والأول أحسن هذه الأجوبة. وقال ابن عطية: «تلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله ﷻ لم يزل أمراً للمعدومات بشرط وجودها، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال: فهو بحسب المأمورات؛ إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن»<sup>(٢)(٣)</sup>.

(١) تفسير الطبري (٢/٤٧٠).

(٢) المحرر الوجيز (١/٣٣٢).

(٣) [التعليق ٢٤] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه...»، إلخ: أقول: كل هذه الأقوال الأربعة ليس فيها انفصال عن الإشكال الذي ذكره.

والراجع منها: القول الأول؛ كما اختاره المؤلف.

وأرجح منه: القول الثالث؛ ويشهد له قوله تعالى في خلق آدم وعيسى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا إِشْرَءٌ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وحدوث المحدثات بإرادته وكلامه سبحانه يستلزم قدرته على كل شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

ولعل الجواب الذي يرفع الإشكال الذي ذكره: أن الأمر الوارد في الآيات ليس أمر تكليف للمخاطب بفعل شيء في نفسه أو في غيره، بل هو أمر تكويني يوجب كون الشيء الذي أراده الله كما أراد؛ فيكون الموجب لكونه - أي: وجوده - إرادته تعالى وقوله؛ كما جمع الله بينهما في الآيات: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا إِشْرَءٌ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وحدوث المحدثات بإرادته وكلامه سبحانه يستلزم قدرته على كل شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

وأما قول ابن عطية ﷻ، فليس فيه جواب، بل يزيد الإشكال؛ لقوله: «لم يزل أمراً للمعدومات، بشرط وجودها»؛ فمضمون قوله: أنه تعالى لم يزل أمراً للمعدومات الموجودات؛ وهذا ممتنع.

وسبب الإشكال عندهم: اعتقاد أن الأمر أمر تكليف؛ الذي يطلب به من المأمور فعل يفعل بعلم وإرادة، والصواب: أن الأمر أمر تكويني؛ كما تقدم. وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (١٨٦-١٨١/٨)، وانظر كذلك: تعليقنا على الموضوع السابق.

﴿بَيِّكُونَ﴾ رَفَعَ عَلَى الاستئناف. قال سيبويه: معناه: فهو يكونُ. وقال غيره: ﴿بَيِّكُونَ﴾ عطفٌ عَلَى ﴿يَقُولُ﴾، واختاره الطبري<sup>(١)</sup>. قال ابن عطية: «وهو فاسدٌ من جهة المعنى؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود»<sup>(٢)</sup>، وفي هذا نظر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم هنا وفي الموضع الأول: كفارُ العرب عَلَى الأصح. وقيل: هنا هم اليهود والنصارى.

﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى عَلَى القول بأن ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كفارُ العرب. وأما عَلَى القول بأن ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ اليهود والنصارى: فالذين مِنْ قَبْلِهِمْ هم أمم الأنبياء المتقدمين.

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ لولا هنا: عَرَضٌ، والمعنى: أنهم قالوا: لن نُؤْمِنَ حَتَّى يَكَلِّمَنَا اللَّهُ، أو تَأْتِينَا آيَةٌ؛ أي: دلالةٌ من المعجزات؛ كقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] وما بعده.

﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الضمير لـ ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ولـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وتشابه قلوبهم: هو في الكفر، أو في طلب ما لا يصحُّ أن يُطْلَبَ؛ وهو قولهم<sup>(٣)</sup>: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾.

﴿فَدَيِّنَّا الْآيَاتِ﴾ أخبر تعالى أَنَّهُ قد بَيَّنَّ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى صدق رسوله ﷺ، فكيف تُطْلَبُ الْآيَاتُ بعد بيانها؟ ولكن إنما فهمها الذين يوقنون؛ فلذلك خَصَّهم بالذكر، بخلاف الكفار المعاندين؛ فإنهم لا تنفعهم الْآيَاتُ؛ لعنادهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ. والمراد بالحق: التوحيد، وكل ما جاء به الشريعة.

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٢).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٣١).

(٣) في ج، هـ: «كقولهم».

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: تبشّر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكفار بالنار، وهذا معناه حيث وقع.  
﴿وَلَا تَسْأَلْ﴾ بالجزم: نهى.

وسببها: أن النبي ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت<sup>(١)</sup>.

وقيل: إن ذلك على معنى التهويل؛ كقولك: «لا تسأل عن<sup>(٢)</sup> فلان»؛ لشدة حاله.

وقرأ غير نافع: بضم التاء واللام؛ أي: ﴿لَا تُسْأَلْ﴾ في القيامة عن ذنوبهم.

﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ذكرت مفردة وإن كانت ملتين؛ لأنها متفتقتان في الكفر، فكأنهما ملة واحدة.

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى﴾ ردّ على اليهود والنصارى، والمعنى: أن الذي أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقي؛ لأنه هدى من عند الله، بخلاف ما يدّعيه اليهود والنصارى.

﴿وَلَيْسَ بِتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ جمع هوئى، ويعني به: ما هم عليه من الأديان الفاسدة، والأقوال المضلّة؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة، بل بهوى النفوس.

والضمير: لليهود والنصارى.

والخطاب: لمحمد ﷺ، وقد علم الله أنه لا يتبع أهواءهم، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك؛ فهو على معنى الفرض والتقدير.

ويحتمل أن يكون خطاباً له ﷺ، والمراد غيره.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: المسلمين؛ و﴿الْكِتَابَ﴾ - على هذا - القرآن. وقيل: هم من أسلم من بني إسرائيل؛ و﴿الْكِتَابَ﴾ - على هذا - التوراة.

ويحتمل العموم؛ ويكون ﴿الْكِتَابَ﴾: اسم جنس.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٢/١)، وابن جرير الطبري (٤٨١/٢) عن محمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ، قال السيوطي في الدر المنثور (٥٧٤/١): «هذا مرسل ضعيف الإسناد»، وأخرجه ابن جرير أيضاً عن داود بن أبي عاصم، عن النبي ﷺ، قال السيوطي: «معضل الإسناد ضعيف».

(٢) في دزيادة: «حال».

﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلْوَيتِهِ﴾ أي: يقرؤونه كما يجب من التدبر له، والعمل به. وقيل: معناه يتبعونه حق اتباعه، بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

والأول أظهر؛ فإن التلاوة، وإن كانت تقال بمعنى القراءة، وبمعنى الاتباع؛ فإنها أظهر في معنى القراءة<sup>(١)</sup>، لا سيما إذا كانت تلاوة للكتاب.

ويحتمل أن تكون هذه الجملة: في موضع خبر ﴿الَّذِينَ﴾؛ فيتم الكلام، ويوقف عليها.

ويحتمل أن تكون هذه الجملة: في موضع الحال، ويكون الخبر ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، وهذا أرجح؛ لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان، أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن.



(١) في ب، ج، هـ: «التلاوة».



يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي بَصَلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَتَقُوا  
يَوْمًا لَا تَجْزِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَبْلَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ  
﴿١٣٧﴾ \* وَإِذْ يُنَادِي ابْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُمْ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ  
ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخَذُوا مِنْ  
مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِعِينَ وَالْعَاكِفِينَ  
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٣٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ  
آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ  
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤١﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا  
وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٢﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ  
آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤٣﴾

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الآية: تقدّم الكلام على نظيرتها<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذْ يُنَادِي﴾ أي: اختبر، والعامل في «إذ»: فعلٌ مضمّر تقديره: اذكر، أو قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾.

﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ قيل: هي مناسك الحج. وقيل: خصال الفطرة؛ وهي: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقصّ الشارب، وإعفاء اللحية، وقص الأظفار، ونتف الإبطين، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء. وقيل: هي ثلاثون خصلة؛ عشرٌ ذُكرت في «براءة» من قوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَبَدُونَ﴾، وعشرٌ في «الأحزاب» من قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، وعشرٌ في «المعارج» من قوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾.

﴿فَأَتَمَّهُمْ﴾ أي: عمّل بهم.

(١) انظر تفسير الآية (٣٩).

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ استفهام، أو رغبة.

﴿عَهْدِي﴾ الإمامة<sup>(١)</sup>.

﴿الْبَيْتِ﴾ الكعبة.

﴿مَثَابَةً﴾ اسم مكان؛ من قولك: ثاب: إذا رجع؛ لأنَّ الناس يرجعون إليه عامًّا بعد عام.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بالفتح<sup>(٢)</sup>: إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام. وبالكسر: أمر لهذه الأمة، وافق

قول عمر رضي الله عنه: «لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى»<sup>(٣)</sup>. وقيل: أمر لإبراهيم وشيعته.

وقيل: لبني إسرائيل؛ فهو - على هذا - عطف على قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي﴾؛ وهذا بعيد.

﴿مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجر الذي صعد به<sup>(٤)</sup> حين بنى الكعبة. وقيل: المسجد الحرام.

﴿وَعَهْدَنَا﴾ عبارة عن الأمر والوصية.

﴿ظَهَرًا بَيِّنَتِي﴾ عبارة عن بُيَانِهِ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ؛ كقوله: ﴿اسْتَسْ عَلَى الْقَفْوَى﴾ [التوبة: ١٠٩].

وقيل: المعنى طهّراه من عبادة الأصنام.

﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ هم الذين يطوفون بالكعبة. وقيل: الغرباء القادمون على مكة. والأول أظهر.

﴿وَالْعَاصِينَ﴾ هم المعتكفون<sup>(٥)</sup>. وقيل: المصلّون. وقيل: المجاورون بمكة من الغرباء.

وقيل: أهل مكة. والعكوف في اللغة: اللزوم.

﴿بَلَدًا﴾ يعني: مكة.

﴿إِمْنًا﴾ أي: مما يصيب غيره من الخسف والعذاب. وقيل: أمناً من إغارة الناس على

أهله؛ لأنَّ العرب كان يُغير بعضهم على بعض، وكانوا لا يتعرّضون لأهل مكة، وهذا

أرجح؛ لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا إِمْنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

(١) في ب، د: «الأمانة».

(٢) قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء، وقرأ الباقون بكسرها.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٢).

(٤) في د: «عليه».

(٥) في د زيادة: «في المسجد».

فإن قيل: لم قال في «البقرة»: ﴿هَذَا بَلَدٌ آمِنٌ﴾ وفي «إبراهيم»: ﴿هَذَا أَلْبَلَدٌ آمِنٌ﴾، فعرف البلد في «إبراهيم» ونكره في «البقرة»؟  
فمن ذلك ثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر ابن الزبير، وهو أنه تقدّم في «البقرة» ذكر البيت في قوله: ﴿الْفَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾<sup>(١)</sup>، وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه، فلم يحتج إلى تعريفه، بخلاف آية «إبراهيم»؛ فإنه لم يتقدّم قبلها ما يقتضي ذكر البلد، ولا المعرفة به، فذكره بلام التعريف.

الجواب الثاني: قاله السهيلي، وهو أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزلت آية «إبراهيم»؛ لأنها مكية، فلذلك قال فيه: ﴿أَلْبَلَدٌ﴾ بلام التعريف التي للحضور؛ كقولك: «هذا الرجل» وهو حاضر، بخلاف آية «البقرة»؛ فإنها مدنية، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها، فلم يعرفها بلام الحضور.

وفي هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة.

الجواب الثالث: قاله بعض المشاركة<sup>(٢)</sup>، أنه قال: ﴿هَذَا بَلَدٌ آمِنٌ﴾ قبل أن يكون بلداً، فكانه قال: اجعل هذا الموضع بلداً آمناً، وقال: ﴿هَذَا أَلْبَلَدٌ﴾ بعد ما صار بلداً.  
وهذا يقتضي أن إبراهيم عليه السلام دعا بهذا الدعاء مرتين؛ والظاهر أنه مرة واحدة، حكي لفظه فيها على وجهين.

﴿مَنْ آمَنَ﴾ بدل بعض من كل.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي: قال الله: وأرزق من كفر؛ لأن الله يرزق في الدنيا المؤمن والكافر.

(١) هذه الآية متأخرة عن الآية التي يتكلم عنها، فكانه سبق قلم من ابن جزّي رحمه الله، والمراد آية: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً...﴾؛ فهي المتقدمة عليها، وهي التي ذكرها ابن الزبير في «ملاك التأويل» (١/٢٣٤) الذي نقل منه ابن جزّي هذا الجواب.

(٢) يعني به: أبا عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي، قال ذلك في كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/٢٨٢).

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ﴾ على حذف القول؛ أي: يقولان ذلك.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: علّمنا مواضع الحج. وقيل: العبادات.

﴿بِهِمْ﴾ أي: في ذريتنا.

﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ؛ ولذلك قال ﷺ: «أنا دعوة إبراهيم»<sup>(١)</sup>. والضمير المجرور:

لذرية إبراهيم وإسماعيل، وهم العرب الذين من نسل عدنان. وأما الذين من نسل قحطان  
فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا؟

﴿الْكِتَابَ﴾ هنا: القرآن.

﴿وَالْحِجْمَةَ﴾ هنا: السنة.

﴿وَيَزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهّرهم من الكفر والذنوب.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٦١٣)، وأحمد في مسنده (١٧١٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٠٤)، والحاكم (٣٥٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وأخرجه الطبري -أيضاً- (٢/٥٧٢)، والحاكم (٤١٧٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن خالد بن معدان، عن نفر أصحاب رسول الله ﷺ، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٢٦١) عن أبي أمامة الباهلي ﷺ.

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ ابْصَلْتُمُ النَّارَ فِي الدُّنْيَا وَآثَرَهُ فِي الْآخِرَةِ  
لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ وَأَوْصَى بِهَا إِبْرَاهِيمَ  
بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ ابْصَلْتُمُ النَّارَ ابْصَلْتُمُ النَّارَ ابْصَلْتُمُ النَّارَ ابْصَلْتُمُ النَّارَ ابْصَلْتُمُ النَّارَ ابْصَلْتُمُ النَّارَ  
كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ  
وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُا وَحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ  
خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَقَالُوا  
كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾  
قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ  
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ ابْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي  
شِقَاقٍ بِسَيِّئِمْكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٢﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً  
وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٣﴾ قُلْ اتَّحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ  
أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً  
عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٥﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ  
مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾

﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول به<sup>(١)</sup>، وقيل: الأصل: «في نفسه»؛ ثم

حذف الجار فانتصب، وقيل: تمييز.

﴿وَأَوْصَى بِهَا﴾ أي: بالكلمة والملة<sup>(٢)</sup>.

(١) أي: أنه ضَمَّنَ معنى «جهل» أو «أهلك» وعُدِّي بتعديته. المحرر الوجيز (١/٣٥٣).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية «والملة» بالواو، وفي المحرر الوجيز (١/٣٥٥): «والضمير في «بها» عائد على

كلمته التي هي «أسلمت لرب العالمين»، وقيل: على الملة المتقدمة، والأول أصوب؛ لأنه أقرب مذكور،

فلعلَّ الأصوب في عبارة ابن جزي أن تكون: «أو الملة»؛ ليفيد حكاية القولين، والله أعلم..

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بالرفع: عطف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾؛ فهو موصٍ. وقرئ بالنصب<sup>(١)</sup>: عطفًا على ﴿بَنِيهِ﴾؛ فهو موصى.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ «أم» هنا منقطعة، معناها الاستفهام والإنكار.

﴿وَاسْتَعِيلَ﴾ كان عمه؛ والعَمُّ يسمى أبا.

﴿وَقَالُوا كُونُوا يَهُودَ﴾ أي: قالت اليهود: كونوا يهودًا، وقالت النصارى: كونوا نصارى.

﴿بَلْ مِلَّةٌ﴾ منصوب بإضمار فعل<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا تَفَرِّقُ﴾ أي: لا تؤمن ببعض دون البعض، وهذا برهان؛ لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبي، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمْ﴾ وعدُّ ظهر مصداقه بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، وغير ذلك.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي دينه، وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره. ونصبه على الإغراء، أو على المصدر من المعاني المتقدمة، أو بدل من: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿كُتِمَ شَهَادَةٌ﴾ هي الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بـ ﴿كُتِمَ﴾، أو بـ ﴿عِنْدَهُ﴾؛ كأن المعنى: شهادة تخلصت<sup>(٣)</sup> له من الله.



(١) القراءة بالنصب خارجة عن القراءات العشر، قرأ بها عمرو بن فائد الأسواري. المحرر الوجيز (١/٣٥٥).

(٢) أي: بل تتبع ملة. المحرر الوجيز (١/٣٥٩).

(٣) في أ: «تحصلت».

\*سَيَقُولُ السُّبُهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢١﴾ فَذَرْنِي فَنَقَ وَجْهِيَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢٢﴾ وَلَيَنْ أَتَيْتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ جُمِعْتُ لَهُمْ أَهْوَاءُهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢٣﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٢٤﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٢٢٥﴾

﴿سَيَقُولُ﴾ ظاهره: الإعلام بقولهم قبل وقوعه، إلا أن ابن عباس ؓ قال: نزلت بعد قولهم <sup>(١)</sup>.

﴿السُّبُهَاءُ﴾ هنا: اليهود، أو المشركون، أو المنافقون.

﴿مَا وَلَّيْتُمْ﴾ أي: ما ولَّى المسلمين عن قبلتهم الأولى - وهي بيت المقدس - إلى الكعبة؟  
﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ﴾ الآية: ردُّ عليهم بأن الله يحكم ما يريد، ويولِّي عباده حيث شاء؛ لأن الجهات كلها له.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: كما هديناكم جعلناكم وسطاً؛ أي: خياراً <sup>(٢)</sup>.

﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرُّسل إلى قومهم.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٦١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٤٧).

(٢) في أ، ج، هـ: «أخياراً».

﴿عَلَيْكُمْ شَهِدًا﴾ أي: بأعمالكم، قال ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾» [المائدة: ١١٧] الآية<sup>(١)</sup>. فإن قيل: لم قدم المجرور في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وأخره في قوله: ﴿شَهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؟

فالجواب: أن تقديم المعمولات يفيد الحصر، فقدم المجرور في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾؛ لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأمته، ولم يقدمه في قوله: ﴿شَهِدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؛ لأنه لم يقصد الحصر<sup>(٢)</sup>.

﴿أَلْفَبَلَّةَ أَلَيْهِ كُنْتُ عَلَيْهَا﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الكعبة، وهو قول ابن عباس ﷺ<sup>(٣)</sup>. والآخر: أنها بيت المقدس، وهو قول قتادة<sup>(٤)</sup> وعطاء والسدي<sup>(٥)</sup>. وهذا مع ظاهر قوله: ﴿كُنْتُ عَلَيْهَا﴾؛ لأن النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس، ثم انصرف عنه إلى الكعبة. وأما قول ابن عباس ﷺ: فتأويله بوجهين: الأول: أن «كنت» بمعنى «أنت». والثاني: قيل: إن النبي ﷺ صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس<sup>(٦)</sup>. وإعراب ﴿أَلَيْهِ كُنْتُ عَلَيْهَا﴾: مفعولٌ بـ ﴿جَعَلْنَا﴾، أو صفة لـ ﴿أَلْفَبَلَّةَ﴾.

ومعنى الآية على القولين: اختبارٌ وفتنة للناس بأمر القبلة. فأما على قول قتادة: فإن الصلاة إلى بيت المقدس: فتنة للعرب؛ لأنهم كانوا يعظمون الكعبة. أو فتنة لمن أنكر تحويلها؛ وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها؛ وهذا أظهر؛ لأن الفتنة إنما وقعت عند صرف القبلة.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) انظر: الكشف (١٣٤/٣).

(٣) عزاه إليه -أيضا- ابن عطية في المحرر الوجيز (١/٣٦٩)، ولم أقف عليه مستندًا، بل أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٤٧): عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ «يعنون: بيت المقدس».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٤٨).

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢/٦٣٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٥٠).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٦٢٣-٦٢٤) والحاكم في المستدرک (٣٠٦٠) والبيهقي في سننه (٢٢٤٥)، (٢٢٤٦) عن ابن عباس ﷺ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبري أيضًا عن ابن جريج.



وأما على قول ابن عباس رضي الله عنه: فإن الصلاة إلى الكعبة: فتنة لليهود؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ، فأنكروا صرف القبلة. أو فتنة لضعفاء المسلمين، حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صُرفت القبلة.

﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: العلم الذي تقوم به الحجة على العبد، وهو: إذا ظهر في الوجود ما علمه الله. ﴿يَنْقَلِبُ عَلَى عَفْيِهِ﴾ عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمن رجع يمشي إلى وراء.

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ «إن» مخففة من الثقيلة. واسم «كان»: ضمير الفعلة؛ وهي التحول عن القبلة. ﴿إِيْمَانَكُمْ﴾ هنا: قيل: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ واستدل به من قال: إن الأعمال من الإيمان. وقيل: معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة.

﴿تَقَلَّبَ وَجْهَكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء؛ رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة <sup>(١)</sup>. ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ جهته.

﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فَبَلَّغْهُمْ﴾ خبر يتضمن النهي. ووَحَّدْتَ ﴿فَبَلَّغْهُمْ﴾ وإن كانت جهتين؛ لاستوائيهما في البطلان.

﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ فَبَلَّغْ بَعْضُ﴾ لأن اليهود يستقبلون المغرب، والنصارى المشرق.

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: يعرفون القرآن، أو النبي ﷺ، أو أمر القبلة.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ مبالغة في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلام: «معرفتي بالنبي ﷺ أشد من معرفتي بابني؛ لأن ابني قد يمكن فيه الشك» <sup>(٢)</sup>.



(١) تقدم تخريجه في الأثر قبله.

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسير الكشف والبيان (٤/١٩٣)، بإسناده من طريق السدي الصغير - محمد بن مروان صاحب الكلبي - عن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه، وإسناده واه، السدي الصغير والكلبي متروكان.

\* وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا بِاسْتَبْقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَاتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُدَ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُدَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعِيْكُمْ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٩﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ فَادْكُرُونِيْ أَدْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِيْ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿٢١﴾

﴿وَلِكُلِّ﴾ أي: لكل واحد، أو لكل طائفة.

﴿وَجْهَةٌ﴾ أي: جهة، ولم تحذف الواو؛ لأنه ظرف مكان<sup>(١)</sup>. وقيل: إنه مصدر ثبتت فيه الواو على غير قياس.

﴿هُوَ مُوَلِّيُّهَا﴾ أي: مولئها وجهه. وقرئ: ﴿مُوَلَّاهَا﴾<sup>(٢)</sup> أي: ولَّاه الله إليها<sup>(٣)</sup>. والمعنى: أن الله تعالى جعل لكل أمة قبله.

﴿بِاسْتَبْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا إلى الأعمال الصالحة.

﴿يَاتِ بِكُمْ اللَّهُ﴾ أي: يبعثكم من قبوركم.

﴿قَوْلَ وَجْهَكَ﴾ كُرِّر تأكيداً، أو ليناط به ما بعده.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ الآية؛ معناها: أن الصلاة إلى الكعبة ترفع حجة المعارضين من الناس.

(١) أي: سلمت الواو في «وَجْهَةٌ» من الحذف، ولم تحذف كما حُذفت في «عِدَّةٌ» و«زَنِيَّةٌ»؛ لأنه «وجهة» ظرف، وتلك مصادر، فسلمت للفرق بينهما. المحرر الوجيز (١/٣٨٠).

(٢) قرأ ابن عامر: ﴿مُوَلَّاهَا﴾ بفتح اللام وألف بعدها، وقرأ الباقر بكسر اللام وياء بعدها.

(٣) في د: «إياها».

فإن أريد بالناس اليهود: فحجَّتْهم أنهم يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ يصلي إلى الكعبة، فلما صُلِّي إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين. وإن أريد<sup>(١)</sup> قریش: فحجَّتْهم أنهم قالوا: قبله آبائهم أولى به.

﴿لَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة. والاستثناء متصل؛ لأنه استثناء من عموم الناس. ويحتمل الانقطاع؛ على أن يكون استثناء ممن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة.

﴿وَلَا يَمُوتُ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: فعلت ذلك لأتم، أو: معطوف على: ﴿لَيْلًا يَكُونُ﴾.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَا يَمُوتُ﴾<sup>(٢)</sup>، أو بقوله: ﴿بِأَذْكُرُونِي﴾<sup>(٣)</sup>، والأول أظهر.

﴿بِأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال سعيد بن المسيب: معناه: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب<sup>(٤)</sup>. وقيل: اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك. وقد أكثر المفسرون - لا سيما المتصوفة - في تفسير هذا الموضع ألفاظ لها معانٍ مخصوصة؛ ولا دليل على التخصيص.

**وبالجملة:** هذه الآية بيان لشرف الذكر، وبينها قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم»<sup>(٥)</sup>. والذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب، وباللسان، وبهما معاً.

واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها؛ فإنَّ ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى.

(١) في زيادة: «هم».

(٢) فيتعلق بما قبله، ويكون التقدير: ولأنَّ نعمتي عليكم إتماماً كما أتممتها عليكم بإرسال الرسول.

(٣) فيتعلق بما بعده، ويكون التقدير: كما ذكرتمكم بإرسال الرسول فاذكروني.. المحرر الوجيز (١/٣٨٣)، والكشاف (٣/١٦٢).

(٤) الصواب: عن سعيد بن جبیر، كما في المحرر الوجيز (١/٣٨٤)، أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٦٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٦٠).

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ؓ.

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله»<sup>(١)</sup>.

وسئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «ذكر الله»، قيل: الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: «لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دماً: لكان الذاكر لله أفضل منه»<sup>(٢)</sup>.

الوجه الثاني: أن الله تعالى حيثما أمر بالذكر أو أثنى على الذاكرين: اشترط فيه الكثرة؛ فقال: ﴿ذُكِّرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الوجه الثالث: أن في الذكر مزية هي له خاصة ليست لغيره؛ وهي الحضور في الحضرة العلية، والوصول إلى القرب الذي عبّر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية؛ فإن الله تعالى يقول: «أنا جليس من ذكرني»<sup>(٣)</sup>، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني»<sup>(٤)</sup>.

وللناس في المقصد بالذكر مقامان: فمقصد<sup>(٥)</sup> العامة: اكتساب الأجور. ومقصد<sup>(٦)</sup> الخاصة: القرب والحضور.

(١) أخرجه أحمد (٢١٧٠٢)، (٢٢٠٧٩)، (٢٧٥٢٥)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، والحاكم (١٨٢٥) وصححه، من حديث أبي الدرداء ؓ، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (١١٧٢٠)، والترمذي (٣٣٧٦)، وقال: «حديث غريب»، من حديث أبي سعيد الخدري ؓ، وإسناده ضعيف، «نتائج الأفكار» لابن حجر (١ / ٩٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٣١)، والبيهقي في الشعب (١٧١ / ٢) عن كعب الأحبار، وهو من الإسرائيليات.

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة ؓ.

(٥) في د: «مقام».

(٦) في د: «ومقام».

وما بين المقامين بؤن بعيد، فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يُقَرَّب حتى يكون من خواص الأحاب! <sup>(١)</sup>

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح، والتكبير، والتحميد، والحوقلة، والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار، وغير ذلك.

ولكل ذكر خاصية وثمرة:

فأما التهليل: فثمرته التوحيد، أعني: التوحيد الخاص؛ فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن.

وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة، كالرحمن والرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاثة مقامات؛ وهي: الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة؛ فإن المحسن محبوب لا محالة.

وأما الحوقلة والحسبلة: فثمرتها التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والثقة بالله.

(١) [التعليق ٢٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وللناس في المقصود بالذكر مقامان...»، إلخ: أقول: تضمن كلامه هذا ﷺ: أن الذاكرين نوعان؛ عامة وخاصة، وأن مقصود العامة بالذكر: اكتساب الأجر، وأن مقصود الخاصة القرب من الله، ويدخل في الخاصة الأنبياء والصديقون. وهذا التقسيم والتفاضل بين الذاكرين صحيح، وهو يجري في كل الطاعات؛ فالمؤمنون، منهم: الأبرار أصحاب اليمين، ومنهم: المقربون السابقون، كما جاء هذا التقسيم في سورة الواقعة والإنسان والمطففين، ومنه ما ذكر في سورة فاطر.

ولكن يستدرك على الشيخ ابن جزي ﷺ: ما يؤهمه كلامه من أن الخاصة لا طمع لهم في الأجور، وهذا يخالف ما وصف الله به أنبياءه وأوليائه؛ من رجاء رحمته وخوف عذابه، مع طلب القرب لديه في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]؛ فهم يعبُدون الله في ثلاثة مقامات: مقام الحب، ومقام الخوف، ومقام الرجاء.

وكلامه ﷺ يؤهم ما نقوله جهلة الصوفية من أن العارف لا يعبد الله طمعا في جنته، ولا خوفا من ناره؛ ويرد هذا الزعم آيات كثيرة من كتاب الله ﷻ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِالْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَهَا رُغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خُنُوعًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وأما الأسماء التي معانيها الاطلاع والإدراك، كالعليم والسميع والبصير والرقيب وشبه ذلك: فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي ﷺ: فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته.  
وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة، مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إن ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد<sup>(١)</sup>؛ وهو قولنا: «الله، الله»؛ فذلك هو الغاية وإليه المنتهى<sup>(٢)</sup>.



(١) في ج، د: «المفرد».

(٢) [التعليق ٢٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «ثُمَّ إِنَّ ثَمَرَاتِ الذِّكْرِ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ...»، إلخ: أقول: يتضمن هذا أمرين؛ حقاً وباطلاً:

الأول: أن جميع معاني أسماء الله الحسنى يتضمنها الاسم الشريف: «الله»؛ وهذا حق.  
الثاني: أن أفضل الذكر هو ذكر الله بالاسم المفرد: «الله، الله»؛ وهذا باطل؛ وذلك لأمور:  
١. أن الذكر بالاسم المفرد من بدع الصوفية، ولا أصل له في كتاب ولا سنة؛ فاختيار المؤلف لذلك زلة منه؛ عفا الله عنه.

٢. أن كل ما ورد من الفاظ الذكر في الكتاب والسنة هو من الكلام المركب؛ كـ «سُبْحَانَ اللَّهِ»، و«الْحَمْدُ لِلَّهِ»، و«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، و«اللَّهُ أَكْبَرُ».

٣. أن الاسم المفرد لا يفيد فائدة تامة؛ كما هو مقرر في علم النحو.  
٤. لذلك لا يحصل بالاسم المفرد إيمان ولا كفر؛ فلا يدخل الكافر في الإسلام بذكره الاسم المفرد: «الله»، ولا يكفر من قال: «لا إله إلا الله»، وامتنع عن ذكر الاسم المفرد؛ لذلك: لا يُجزئ الإتيان بالاسم المفرد في المواضع التي يستحب أو يجب فيها نوع من الأذكار الشرعية.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَفْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٨﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٩﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٦٠﴾ \* إِنَّ الْأَصْبَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ لَهُمْ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٦٥﴾ وَاللَّهُمَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٦﴾

﴿١٥٦﴾ ﴿إِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قد ذكر<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بمعونته.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ قيل: إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر، وكانوا أربعة عشر رجلاً، لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم، فنزلت الآية مبينة لمنزلة الشهداء عند الله، ومسئلة لأقاربهم<sup>(٢)</sup>. ولا يخصصها نزولها فيهم؛ بل حكمها على العموم في الشهداء.

﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: نختبركم. وحاشما جاء الاختبار في حق الله فمعناه: أن يظهر في الوجود ما علمه؛ لتقوم الحجة على العبد، وليس كاختبار الناس بعضهم بعضاً؛ لأن الله

(١) انظر تفسير الآية (٤٤).

(٢) ذكره مقاتل ابن سليمان في تفسيره (١/١٥٠)، وأخرجه ابن منده في المعرفة - كما في الدر المنثور (٢/٦٩) - من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قتل تميم بن الحمام ببدر وفيه وفي غيره نزلت ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ الآية، وإسناده وإياه كما تقدم.

يعلم ما كان وما يكون. والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين، وقيل: لكفار قريش، والأول أظهر؛ لقوله بعدها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿يَشْنُءُ مِنَ الْخَوْفِ﴾ يعني: من الأعداء.

﴿وَالْجُوعِ﴾ بالجذب.

﴿وَتَقْصِصَ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالخسارة.

﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالقتل.

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح. وقيل: ذلك كله بسبب الجهاد.

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اللام للملك؛ والمالك يفعل في ملكه ما يشاء.

﴿رَاجِعُونَ﴾ تذكروا الآخرة؛ لتهون عليهم مصائب الدنيا، وفي الحديث الصحيح: أن

رسول الله ﷺ قال: «من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في<sup>(١)</sup>

مصيبتي<sup>(٢)</sup> واخلف لي خيراً منها: أخلف الله له خيراً مما أصابه». قالت أم سلمة: «فلما

مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك؛ فأبدلني الله به رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

❖ **فائدة:** ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعاً، وذلك لعظمة موقعه

في الدين.

قال بعض العلماء: كلُّ الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبع مئة، إلا الصبر؛

فإنه لا يحصر أجره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١١].

وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة:

❖ أولها: المحبة، قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

❖ والثاني: النصر، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٢].

(١) في ب، د: «على».

(٢) في أ، د: «هذه».

(٣) أخرجه مسلم (٩١٨).



- ◀ والثالث: عُرفات الجنة، قال: ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥].
- ◀ والرابع: الأجر الجزيل، قال: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّيْرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١١].
- والأربعة الأخر: المذكورة في هذه الآية:
- ◀ فمنها البشارة، قال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.
- ◀ والصلاة والرحمة والهداية، قال: ﴿وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. والصبر على أربعة أوجه:

- [١] صبرٌ على البلاء؛ وهو منع النفس من التسخط والهلع والجزع.
- [٢] وصبر على النعم؛ وهو تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبر بها.
- [٣] وصبر على الطاعات؛ بالمحافظة والدوام عليها.
- [٤] وصبر عن المعاصي؛ بكف النفس عنها.
- وفوق الصبر: التسليم؛ وهو ترك الاعتراض والتسخط ظاهراً، وترك الكراهة باطناً.
- وفوق التسليم: الرضا بالقضاء؛ وهو سرور النفس بفعل الله، وهو صادر عن المحبة، وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

﴿إِنَّ الْأَصْبَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة.

﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي: معالم دينه، واحدها: شعيرة، أو شعارة.

﴿بَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إباحة للسعي بين الصفا والمروة. والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي<sup>(١)</sup>. وإنما جاء بلفظ يقتضي الإباحة؛ لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما؛ لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنمٌ يقال له: إِسَافٌ، وعلى المروة صنمٌ يقال

(١) يعني: أنه من الوجبات التي هي ركن في الحج لا يجبرها الدم، كما بين ذلك في القوانين الفقهية (ص: ٢٣٤)، وهو رواية عن أحمد، هي المذهب عند الأصحاب، وعن أحمد رواية أخرى: أنه واجب ليس بركن، فيجبر بدم، اختارها القاضي أبو يعلى وابن قدامة، وعنه رواية ثالثة: أنه سنة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/٢٩٠-٢٩٢).

له: نائلة، فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيماً للصَّنعين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك<sup>(١)</sup>.

ثم إنَّ السعي بينهما واجب<sup>(٢)</sup> بالسنة؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «سَنَّ رسول الله ﷺ السعي بين الصفا والمروة، وليس لأحد تركه»<sup>(٣)</sup>. وقيل: إنَّ الوجوب يؤخذ من قوله: ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ وهذا ضعيف؛ لأنَّ شعائر الله منها واجبة، ومنها مندوبة. وقد قيل: إنَّ السعي مندوبٌ.

﴿يَطَّوَّفُ﴾ أصله: يَطَّوَّفُ؛ ثم أدغمت التاء في الطاء. وهذا الطواف يراد به: السعي سبعة أشواط.

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ عامٌّ في أفعال البر. أو خاصٌّ في السعي بين الصفا والمروة؛ فيقتضي أن السعي بينهما تطوُّعٌ، ويؤخذ الوجوب من السنة. أو معنى ﴿تَطَوَّعَ﴾: التطوُّع بحجٍّ بعد حجِّ الفريضة.

﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود؛ كتموا أمر محمد ﷺ.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة هنا.

﴿الْعَيْنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون. وقيل: المخلوقات إلَّا الثقلين. وقيل: البهائم؛ لما يصيبهم من الجذب بذنوب الكاتمين للحق.

﴿وَبَيَّنَّا﴾ إنما شرط في توبتهم أن يبينوا؛ لأنهم كتموا.

﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هم المؤمنون؛ فهو عامٌّ يراد به الخصوص؛ لأنَّ المؤمنين هم الذين يُعتدُّ بلعنهم للكفار. وقيل: يلعنهم جميع الناس في الآخرة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة. وقيل: في النار.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ من أنظر: إذا أخر؛ أي: لا يؤخرون عن العذاب ولا يُمهلون. أو من نظر؛ لقوله: ﴿وَلَا يَنْظَرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٦]؛ إلَّا أن هذا يتعدَّى بـ«إلى».

(١) أخرجه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) في ج، هـ: «وجب».

(٣) أخرجه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

﴿وَالْهَكْمَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الواحد له ثلاثة معان، كلها صحيحة في حق الله تعالى: أحدها: أنه لا ثاني له؛ فهو نفى للعدد. والآخر: أنه لا شريك له ولا نظير. والثالث: أنه واحد لا يتبعض ولا ينقسم<sup>(١)</sup>.

وقد فُسر المراد به هنا بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات:

الأولى: توحيد عامة المسلمين؛ وهو الذي يعصم النفس والمال في الدنيا، ويُنجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفى الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد.

الدرجة الثانية: توحيد الخاصة؛ وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده، ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة، لا بطريق الاستدلال، فإن معرفة ذلك بطريق الاستدلال حاصلة لكل مؤمن، وإنما مقام الخاصة في التوحيد: يقين في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم: الانقطاع إلى الله، والتوكل عليه وحده، وإطراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحدا سواه؛ إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه، ويرى جميع الخلق في قبضة القهر، ليس بيدهم شيء من الأمر، فيطرح الأسباب، ويتبذ الأرباب.

والدرجة الثالثة: أن لا يرى في الوجود إلا الله وحده، فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومة.

- (١) [التعليق ٢٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «الواحد له ثلاثة معانٍ...»، إلخ: أقول: ما ذكره في معنى الواحد، وقوله: إن المعاني الثلاثة المذكورة صحيحة في حق الله - سقيم في الجملة، وقد جرى في ذلك على طريقة المتكلمين في تقسيم التوحيد؛ ويؤخذ عليه وعليهم أمور:
١. أنهم لم يذكروا توحيد الإلهية المتضمن توحيد العبادة، الذي هو معنى: «لا إله إلا الله».
  ٢. أن ما ذكروه غاية أن يتضمن توحيد الربوبية، الذي أقر به المشركون.
  ٣. أن بعض عباراتهم في هذا التقسيم فيها إجمال؛ كنفى النظر والشبه؛ فإن المعطلة - كالمعتزلة - ومن وافقهم - يدخلون في ذلك نفى الصفات.
  ٤. قولهم: «إنه واحد لا يتبعض، ولا ينقسم»، هو حق في ظاهره، لكنهم يدخلون فيه أيضا: نفى علوه تعالى على خلقه.

وهذا هو الذي تسمّيه الصوفية: مقام الفناء؛ بمعنى الغيبة عن الخلق؛ حتى إنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيده، أي: يغيبُ عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله<sup>(١)</sup>.

(١) [التعليق ٢٨] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: وقول ابن جزي: «واعلم: أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات...»، إلخ:

أقول: هذا التقسيم للناس في التوحيد يُشبه ما ذكره من تقسيمه للناس في مقصودهم من الذكر، وقد تقدّم التنبيه إلى ما فيه، وكذلك نقول هنا: إن ما ذكره من تفاضل الناس في التوحيد صحيح، ولكنه سلك في التعبير عن ذلك طريق الصوفية؛ إذ جعله ثلاث درجات: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة. وفُسر كل درجة من هذه الدرجات؛ كما هي عند الصوفية، ولا إشكال فيما فُسر به توحيد العامة، إلا من حيث تخصيصه بالعامة.

ولكن يُؤخذ على المؤلف ما فُسر به الدرجة الثانية والثالثة مُقراً لهما، وقد تضمن كلامه إشكالين:

١- قوله: «فيطرح الأسباب»:

أقول: هذا قول مجمل يحتمل أموراً؛ فإن أطراح الأسباب:

أ - إن كان لا اعتقاد عدم تأثيرها، فهذا جحد لما تضافرت الأدلة العقلية والشرعية على إثباته؛ وهو تأثير الأسباب في مسبباتها؛ وهذا مذهب الجهمية ومن وافقهم؛ كالاشاعرة.

ب - وإن كان لا اعتقاد عدم شرعية العمل بها، فهذا مخالف لموجب الشرع؛ كقوله ﷺ: «أخْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ» [أخرجه مسلم (٢٦٦٤)؛ من حديث أبي هريرة ؓ]، وقوله للرجل: «اغْلُظْهَا وَتَوَكَّلْ» [أخرجه الترمذي (٢٥١٧)؛ من حديث أنس ؓ، وابن حبان (٧٣١)؛ من حديث عمرو بن أمية ؓ]، وقوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» [الأنفال: ٦٠]، وشواهد ذلك كثيرة.

ج - وإن كان أطراح الأسباب بترك الاعتماد عليها، فهذا حق؛ وهو من تحقيق التوكل على الله.

٢- قوله في الدرجة الثالثة: «ألا يرى في الوجود إلا الله وحده...»، إلخ:

أقول: لفظه هذا يحتمل أن يعتقد أن لا موجود إلا الله؛ وهذا هو القول بوحدة الوجود؛ وهو قول ملاحة الصوفية الاتحادية، والمؤلف لا يريد هذا المعنى قطعاً؛ لأنه فُسر بقوله: «حتى كأنها عنده معدومة»؛ وهذا هو الفناء عند الصوفية، وهو الغيبة عن الخلق؛ حتى إنه يفنى عن نفسه، وعن توحيده.

وقد جعل المؤلف هذه الدرجة بهذا التفسير أعلى درجات التوحيد، وهي الفناء عن شهود ما سوى الله؛ أي: عدم الشعور بما سوى الله من المخلوقات، وقد غلِظ في هذا - عفا الله عنه - فإن الفناء والغيبة نقص، ليس بكمال، فضلاً عن أن يكون من الدين، فضلاً عن أن يكون أعلى مقامات الدين.

قال شيخ الإسلام في «المقيدة التدمرية»: «الفناء الثاني: وهو الذي يذكره بعض الصوفية، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى... بحيث قد يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوى الله تعالى؛ فهذا حال ناقص... ومن جعل هذا نهاية السالكين، فهو ضالّ ضلالاً مبيناً، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله، فهو مُخطئ، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرّض لبعض الناس دون بعض».

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمُلُوكِ الَّتِي تُجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْضَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيبِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٢٢٦﴾ \* إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿٢٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٢٢٨﴾

﴿٢٢٥﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الآية؛ ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات؛ تنبيهاً على ما فيها من العبر، واستدلالاً على التوحيد المذكور قبلها في قوله: ﴿وَاللَّهُ كَمَ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾.

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: اختلاف وصفيهما من الضياء والظلام، والطول والقصر. وقيل: المعنى: أن أحدهما يخلف<sup>(١)</sup> الآخر.

﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارة وغيرها.

﴿وَتَضْرِيبِ الرِّيحِ﴾ إرسالها من جهات مختلفة؛ وهي الجهات الأربع وما بينها، وبصفات مختلفة؛ فمنها مُلْقِحَةٌ للشجر، وعَقِيمٌ، وصِرٌّ، وللنصر، وللهلاك.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين: أحدهما: المحبة العامة التي لا يخلو عنها كل مؤمن؛ وهي واجبة. والأخرى: المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربانيون، والأولياء، والأصفياء. وهي أعلى المقامات، وغاية المطلوبات؛ فإن سائر مقامات الصالحين، كالخوف، والرجاء، والتوكل، وغير ذلك؛ هي مبنية على حظوظ النفوس، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجي إنما يرجو منفعة

(١) في أ، ب، د: «يخلفه».

نفسه؟ بخلاف المحبة؛ فإنها من أجل المحبوب؛ فليست من المعاوضات<sup>(١)</sup>.

واعلم أن سبب محبة الله: معرفته؛ فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة؛ فإن الموجب للمحبة أحد أمرين، أو كلاهما إذا اجتماعاً، ولا شك أنهما اجتماعاً في حق الله تعالى على غاية الكمال: فالموجب الأول: الحسن والجمال. والآخر: الإحسان والإجمال.

فأما الجمال: فهو محبوب بالطبع؛ فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن. والإجمال مثل: جمال الله في حكمته البالغة، وصنائه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تروق العقول وتبهج القلوب. وإنما يدرك جماله تعالى بالبصائر، لا بالأبصار.

وأما الإحسان؛ فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها. وإحسان الله إلى عباده متواتر، وإنعامه عليهم باطن وظاهر، ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي، وإلى المؤمن والكافر، وكل إحسان يُنسب إلى غيره فهو - في الحقيقة - منه وحده، فهو المستحق للمحبة وحده.

(١) [التعليق ٢٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «اعلم: أن محبة العبد لربه على درجتين...»، إلخ: أقول: تضمن كلامه تعظيم مقام المحبة، وأن العباد فيها متفاضلون، وهذا صحيح، ولكنه - عفا الله عنه - هوّن من مقامات الخوف والرجاء والتوكل، وقال: إن غايتها حظ النفس، بينما غاية المحبة المحبوب. وهذا لا يسلم له في الجانبين؛ فمقامات الخوف والرجاء والتوكل غايتها إجلال الله وتعظيمه، والخضوع له والإقرار بربوبيته وكمال غناه؛ كيف وقد أثنى الله على ملائكته بمقام الخوف؛ فقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأثنى الله على أنبيائه وأوليائه بمقام الخوف والرجاء والتوكل؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عن رسوله عليهم السلام: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلًا وَلَقَدْ جَاءَنَا مِنْ مَاءٍ أَدْبَحْنَاهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وأما مقام المحبة - مع علو قدره - فلا يستغنى به عن مقام الخوف والرجاء، كما تزعم الصوفيّة، ومع ذلك: فللنفس حظ في مقام الحب، وهو ما تجده من اللذة في مشاهدة جمال المحبوب وكماله؛ فلا بُد من التعبد لله بكل هذه المقامات؛ حباً ورجاءً وخوفاً وتوكلًا.

قال بعض السلف: «من عبد الله تعالى بالحب وحده، فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده، فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده، فهو مرجئي، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء، فهو مؤمن موحد».

واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح؛ من الجد في طاعته، والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كل ما يحبه الله، (وكل من يحب الله) <sup>(١)</sup>، وإيثار الله على كل من سواه.

قال الحارث المحاسبي: المحبة مِيلُكَ إلى المحبوب بكلِّيتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك، ثم موافقته سرًّا وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه <sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ من رؤية العين، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مفعول، وجواب «لو» محذوف؛ وهو العامل في «أَنَّ». والتقدير: لو ترى الذين ظلموا لعلمت أن القوة لله، أو لعلموا أن القوة لله. وقرئ «يَرَى» بالياء <sup>(٣)</sup>: وهو -على هذه القراءة- من رؤية القلب، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فاعل، و﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ مفعول «يَرَى»، وجواب «لو» محذوف. والتقدير: لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله لندموا، أو لاستعظموها ما حلَّ بهم.

﴿إِذْ تَبَرَّأ﴾ بدل من: «إِذْ يَرُونَ». أو استئناف؛ والعامل فيه محذوف تقديره: اذكر.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ هم: الآلهة، أو الشياطين، أو الرؤساء من الكفار. والعموم أولى.

﴿الْأَسْبَبُ﴾ هنا: الوصلات من الأرحام والمودات.

﴿أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ﴾ أي: سيئاتهم. وقيل: حسنتهم إذ لم تقبل منهم. أو: ما عملوه لألهتهم.



(١) سقط من ج، د، هـ.

(٢) أورده القشيري بإسناده إلى الحارث في الرسالة القشيرية (٤/٤٩٠).

(٣) قرأ نافع وابن عامر: «وَلَوْ تَرَى» بالمخاطب، وقرأ الباقون «يَرَى» بالغيب.

يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوْءِ وَالْبَخْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٨﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِّئْبِ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَنْنِي بِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٨٠﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا اهْلٍ بِهِ لَعْنِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابُ بِالْمَعْمَرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٨٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَهُمْ شِقَاقٌ بَعِيدٌ ﴿١٨٤﴾

﴿١٧٦﴾ ﴿كُلُوا﴾ أمرٌ محمول على الإباحة.

﴿حَلَالًا﴾ حالٌ من: ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾، أو مفعولٌ بـ ﴿كُلُوا﴾، أو صفة لمفعول محذوف؛ أي: شيئًا حلالًا.

﴿طَيِّبًا﴾ يحتمل أن يريد: الحلال، أو اللذيذ.

﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ما يأمر به؛ وأصله من: خطوة المشي. وقال المنذر بن سعيد: يحتمل أن يكون من الخطيئة، ثم سهّلت همزته. وقرئ: بضم الطاء وإسكانها<sup>(١)</sup>؛ وهما لغتان.

﴿١٧٧﴾ ﴿بِالسُّوْءِ وَالْبَخْشَاءِ﴾ المعاصي.

﴿وَأَنْ تَقُولُوا﴾ الإشراك، وتحريم الحلال؛ كالبهيرة وغير ذلك.

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وحزمة وشعبة عن عاصم والبرقي عن ابن كثير بإسكان الطاء، وقرأ الباقون بضمها.



﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ ردُّ على قولهم: ﴿بَلْ نُنَبِّئُ﴾. والآية في كفَّار العرب. وقيل: في اليهود. والمعنى: أتتبعونهم<sup>(١)</sup> ولو كانوا لا يعقلون؟ فدخلت همزة الإنكار على واو الحال.

﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية؛ في معناها قولان: الأول: تشبيه الذين كفروا بالبهائم في قلَّة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم.

ولا بد في هذا من محذوف؛ وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المحذوف أوَّل الآية، والتقدير: مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ أي: يصيح ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ ولا تعقل معناه.

والآخر: أن يكون المحذوف بعد ذلك، والتقدير: مثل الذين كفروا كمثل مدَّعوِّ الذي ينعق. ويكون ﴿دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ على الوجهين: مفعولاً بـ ﴿يَسْمَعُ﴾. والنعيق: هو زجر الغنم، والصياح عليها.

فعلى هذا القول: شبه الكفار: بالغنم، وشبه داعيهم: بالذي يزجرها ويصيح عليها. والقول الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينعق بما لا يسمع؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئاً. ويكون ﴿دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ على هذا منقطعاً؛ أي: أن الداعي يتعب نفسه بالدعاء والنداء لمن لا يسمعه من غير فائدة. فعلى هذا: شبه الكفار: بالناعق.

﴿صُمْ﴾ وما بعده: راجع إلى الكفار؛ وذلك يقوِّي التأويل الأول. ورفع: على إضمار مبتدأ.

﴿وَاشْكُرُوا﴾ الآية؛ دليل على وجوب الشكر؛ لقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِتَاءَ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿الْمَيْتَةَ﴾ ما مات حتف أنفه، وهو عمومٌ خُصَّ منه: الحوت والجراد. وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت<sup>(٢)</sup>، ومنعه أبو حنيفة. ومنع مالك أكل<sup>(٣)</sup> الجراد حتى يُسبَّب

(١) في ج، هـ: «أيتبعونهم».

(٢) وبه قال الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/٢٧٩-٢٨١).

(٣) هذه الكلمة سقطت من ج، هـ.

موتها<sup>(١)</sup> بقطع عضو منها، أو وضعها في الماء، أو غير ذلك<sup>(٢)</sup>، وأجازه ابن عبد الحكم دون ذلك<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالْدَّمُ﴾ يريد: المسفوح؛ لتقييده بذلك في سورة «الأنعام». ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم.

﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ هو حرام؛ سواء ذُكِّي أو لم يذك. وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خص اللحم بالذكر؛ لأنه الغالب في الأكل، ولأن الشحم تابع له؛ ولذلك من حلف أن لا يأكل لحماً فأكل شحمًا حنث، بخلاف العكس.

﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ﴾ أي: صبيح؛ لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له، ثم استعمل في النية في الذبيحة.

﴿لِيُغَيِّرَ اللَّهُ﴾ الأصنام وشبهها.

﴿اضْطَرَّ﴾ بالجوع، أو بالإكراه. وهو مشتق من الضرورة، ووزنه: افتعل، وأبدل من التاء طاءً.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قيل: باغ على المسلمين، وعاد عليهم؛ ولذلك لم يرخص مالك - في رواية عنه - للعاصي بسفره أن يأكل الميتة<sup>(٤)</sup>، والمشهور عنه: الترخيص له<sup>(٥)</sup>. وقيل: باغ باستعمالها من غير اضطرار. وقيل: باغ أي: متزيد على إمساك رمقه؛ ولهذا لم يُجزر الشافعي للمضطر أن يشبع من الميتة<sup>(٦)</sup>، وقال مالك: بل يشبع ويتزود<sup>(٧)</sup>.

(١) في ب: «في موتها».

(٢) وهو رواية عن أحمد.

(٣) وهو الرواية الأخرى عن أحمد، وهي المذهب، وهو قول جماهير أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/٢٨٤-٢٨٥).

(٤) وهو مذهب الشافعية (المجموع للنووي ١/٤٨٥) والحنابلة (المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف ٢٧/٢٤١-٢٤٢).

(٥) وهو مذهب الحنفية. الاختيار لتعليل المختار، للموصلي (١/٢٧٠).

(٦) وبه قال أبو حنيفة، وهو رواية عن أحمد، وظاهر كلام الخرقى، وهي المذهب عند الأصحاب.

(٧) وهو رواية أخرى عن أحمد، اختارها أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/٢٣٧-٢٤٠).

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع للحرج. ويجب على المضطرّ أكل الميتة؛ لئلا يقتل نفسه بالجوع، وإنما تدل الآية على الإباحة، ويؤخذ الوجوب من غيرها. وقد اختلف: هل يباح له أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو أكل ما عدا الخنزير؟ واختلف: هل يباح له أكل ميتة ابن آدم أم لا؟ فمنعه مالك<sup>(١)</sup>، وأجازه الشافعي<sup>(٢)</sup>؛ لعموم الآية.

﴿لِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود.

﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ أي: أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار؛ فوضع السبب موضع المسبب<sup>(٣)</sup>. وقيل: يأكلون النار حقيقة في جهنم.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن غضبه عليهم وقيل: لا يكلمهم بما يحبونه<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَا يَزَكِّيهِمْ﴾ لا يثني عليهم.

﴿بِمَا أَصْبَرْتُمْ﴾ تعجّب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار، أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة. وقيل: إنه استفهام؛ و﴿أَصْبَرْتُمْ﴾ بمعنى: صبرهم، وهذا بعيد؛ وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجّب مستحيل على الله؛ لأنه استعظامٌ خفي سببه. وذلك لا يلزم؛ فإنه في حق الله غير خفي السبب.

(١) وهو أحد الوجهين في مذهب أحمد، اختاره أكثر الأصحاب.

(٢) وهو الوجه الثاني في مذهب أحمد، قال المرداوي: «وهو المذهب على ما اصطلاحناه». المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/٢٥٢).

(٣) كذا وردت العبارة في النسخ الخطية؛ وهو سبق قلم، والصواب: «فوضع المسبب موضع السبب»، فالمأكل هو الرشا والأموال التي تكون عقوبتها النار، فهو السبب في دخولهم النار، فكان أصل الكلام: «ما يأكلون في بطونهم إلا ما يكون سبباً في دخولهم النار»، فوضع المسبب - وهو النار - موضع هذا السبب، فصار: «ما يأكلون في بطونهم إلا النار»، فجعل ما هو سبب للنار نارا، وهو مجاز. انظر: الكشف (٣/٢٠٠)، والبحر المحيط (٣/٢٣٩)، والدر المصون (٢/٢٤٢).

(٤) [التعليق ٢٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ»: «عبارة عن غضبه عليهم...»، إلخ: أقول: فسر نفي الكلام بأحد وجهين:

- بالغضب اللازم من ترك الكلام؛ وهو من التفسير باللازم.  
- أو بترك كلام مخصوص، وهو ما يُجبونه ويسرّهم.  
والثاني هو المناسب؛ لظاهر اللفظ، والله أعلم.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب، ورفعُه: بالابتداء<sup>(١)</sup>، أو بفعل مضمر<sup>(٢)</sup>.

﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ الباء سببية.

﴿نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن هنا.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، أو بالإخبار الحق<sup>(٣)</sup>؛ أي: الصادق. والباء فيه: سببية، أو للمصاحبة.

﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى؛ و﴿الْكِتَابِ﴾ على هذا: التوراة والإنجيل.

وقيل: ﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾: العرب؛ و﴿الْكِتَابِ﴾ على هذا: القرآن. ويحتمل جنس الكتاب<sup>(٤)</sup> في الموضعين.

﴿لَهُمْ شِقَاقٌ بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد من الحق والاستقامة.



(١) وخبره: ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ...﴾، أي: ذلك الأمر - أي: العذاب - بأن الله...

(٢) تقديره: وجب ذلك لهم. المحرر الوجيز (١/ ٤١٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٤٦).

(٣) في د: «بالحق».

(٤) في ج، د: «الكتب».

\*لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ فِىلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَئِىَ الْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ  
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٩٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْفِصَاحُ فِي الْقَتْلِ الْحَرِّ  
بِالْحَرِّ وَالْعَبْدَ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُيِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاءُ  
إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ إِعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩١﴾  
وَلَكُمْ فِي الْفِصَاحِ حَيَوةٌ يَّتَذَلَّلُ بِهَا لَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٩٢﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ  
أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٣﴾  
فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩٤﴾ فَمَنْ  
خَافَ مِنْ مُّوَسَّ جَنَاحًا أَوْ إِمًا فَأُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩٥﴾

﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية؛ خطابٌ لأهل الكتاب؛ لأن المغرب قبله اليهود، والمشرق قبله  
النصارى، أي: إنما البرُّ التوجُّه إلى الكعبة. وقيل: خطابٌ للمؤمنين؛ أي: ليس البرُّ الصلاة  
خاصة، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا.

﴿وَلَئِىَ الْبِرُّ مَنْ ءَامَنَ﴾ لا يصحُّ أن يكون ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ خبراً عن ﴿الْبِرِّ﴾؛ فتأويله: لكنَّ  
صاحب البرِّ مَنْ آمَنَ، أو لكن البرُّ مَنْ آمَنَ، أو يكون البرُّ مصدرًا وُصِفَ به.

﴿وَأَتَى الْمَالَ﴾ صدقة التطوع، وليست بالزكاة؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾.

﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ الضمير عائد على ﴿الْمَالَ﴾؛ كقوله: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]  
الآية؛ وهو الراجح من طريق المعنى، وعود الضمير على الأقرب. وهو على هذا تميم؛  
وهو من أدوات البيان. وقيل: يعود على مصدر ﴿وَأَتَى﴾، وقيل: على الله.

﴿ذَوِى الْقُرْبَىٰ﴾ وما بعده: مرتَّبٌ بتقديم الأهم والأفضل؛ لأن الصدقة على القرابة صدقة  
وصيلة، بخلاف مَنْ بعدهم، ثم اليتامى؛ لصغرهم وحاجتهم، ثم المساكين؛ للحاجة خاصة.

﴿وَأَبْنِ السَّيْلَ﴾ الغريب، وقيل: الضيف<sup>(١)</sup>.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ وإن كانوا غير محتاجين.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ عتقها.

﴿وَالْمُؤَفَّرُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي: العهد مع الله، ومع الناس.

﴿وَالصَّيْرِينَ﴾ نَصَبٌ بِإِضْمَارِ فَعْلٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿فِي النَّبَاسِ﴾ الفقر.

﴿وَالضَّرَّاءَ﴾ المرض.

﴿وَجِئَ النَّبَاسُ﴾ القتال.

﴿صَدَقُوا﴾ في القول، والفعل، والعزيمة.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي: شرع لكم. وليس بمعنى: فُرض؛ لأن وليَّ المقتول مخيرٌ بين القصاص والدية والعفو. وقيل: بمعنى فرض؛ أي: فُرض على القاتل: الانقيادُ للقصاص، وعلى وليَّ المقتول: أن لا يتعداه إلى قتل غيره؛ كفعل الجاهلية، وعلى الحكام: التمكينُ من القصاص.

﴿الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى﴾ ظاهره: اعتبار التساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية، وأن لا يقتل حرٌّ بعد، ولا ذكر بأنثى. إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى. ورأى قوم: أن يُعطي أولياؤها حينئذٍ نصفَ الدية لأولياء الرجل المقتص منه<sup>(٣)</sup>؛ خلافاً لمالك والشافعي وأبي حنيفة<sup>(٤)</sup>.

(١) في ج، د، هـ: «الضعيف»، والمثبت موافق لما فسر به في «اللغات» مادة (٤٨٨).

(٢) على المدح والاختصاص. المحرر الوجيز (١/٤٢١)، والكشاف (٣/٢٠٩).

(٣) روي ذلك عن علي عليه السلام، وحكي عن الحسن وعطاء، وروي عنهما -أيضاً- القول الآخر، وهو رواية عن أحمد.

(٤) وأحمد في الصحيح عنه، وهو المذهب عن الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٥/٩٦-٩٧).

وأما قتل الحرِّ بالعبد: فهو مذهب أبي حنيفة، خلافاً لمالك والشافعي<sup>(١)</sup>.

فعلى هذا: لم يأخذ أبو حنيفة بشيء من ظاهر الآية؛ لا في الذكورية ولا في الحرية؛ لأنها عنده منسوخة. وأخذ مالك بظاهرها في الحرية لا في الذكورية، وتأويلها عنده:

أن قوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ عمومٌ يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر قوله: ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ تجريداً؛ للتأكيد؛ لأن بعض العرب كانوا إذا قُتلت منهم أنثى قتلوا بها ذكراً؛ تكبراً وعدواناً.

وقد يتجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحرِّ بالعبد من السنة، وهو قوله ﷺ: «لا يقتل حرٌّ بعبد»<sup>(٢)</sup>.

والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله: ﴿الْأَنْفُسُ بِالْأَنْفُسِ﴾ [المائدة: ٤٧]، على أن هذا ضعيف؛ لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل.

﴿مَنْ غَمِيَ لَهُ﴾ الآية؛ فيها تأويلان: أحدهما: أن المعنى: من قُتل فعُفي عنه فعليه أداء الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول أتباعه بها بمعروف. فعلى هذا: «مَنْ»: كناية عن القاتل، وأخوه: هو المقتول، أو وليه، و﴿غَمِيَ﴾ من العفو عن القصاص؛ وأصله أن يتعدى بـ«عن»، وإنما تعدى هنا باللام؛ لأنه كقولك: «تجاوزت لفلان عن ذنبه».

والثاني: أن المعنى: مَنْ أعطيتَه الدية فعليه أتباع بمعروف، وعلى القاتل أداء بإحسان. فعلى هذا: «مَنْ»: كناية عن أولياء المقتول، وأخوه: هو القاتل أو عاقلته<sup>(٣)</sup>، و﴿غَمِيَ﴾ بمعنى: يُسرّ؛ كقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: ما تيسّر، ولا إشكال في تعدّي ﴿غَمِيَ﴾ باللام على هذا المعنى.

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠٣/٢٥).

(٢) أخرجه البيهقي (١٥٩٣٩)، والدارقطني (٣٢٥٢) عن ابن عباس ؓ، وضعّف إسناده البيهقي وابن الملقّن وابن حجر.

(٣) في أ، د: «أو على عاقلته».

﴿ذَلِكَ تَخْصِيفٌ﴾ إشارة إلى جواز أخذ الدية؛ لأن بني إسرائيل لم تكن عندهم دية، وإنما هو القصاص.

﴿بِمَنْ إِغْتَبَى﴾ أي: قتل قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ القصاص منه. وقيل: عذاب الآخرة.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ بمعنى قولهم: «القتل أنفى للقتل»<sup>(١)</sup>؛ أي: أن القصاص يردع الناس عن القتل. وقيل: المعنى: أن القصاص أقل قتلاً؛ لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتي القاتل والمقتول، حتى يُقتل بسبب ذلك جماعة.

﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ كانت فرضاً قبل الميراث، ثم نسخها آية الموارث، مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث»<sup>(٢)</sup>، وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين. وقيل: معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض؛ فلا تعارض بينها وبين الموارث، ولا نسخ، والأول أشهر.



(١) بل بين العبارتين تفاوت في البلاغة، يبعد معه تقاربهما في المعنى فضلاً عن تماثلهما، وقد تكلم البلاغيون عن أوجه التفاوت بينهما، انظرها في: البحر المحيط (٣/ ٢٨٨-٢٨٩).

(٢) روي من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٢١٢٠)، وأبو داود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأحمد (٢٢٢٩٤)، وحسنه الترمذي، وروي من حديث عمرو بن خارجة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٢١٢١)، والنسائي (٣٦٤٣)، وابن ماجه (٢٧١٢)، وأحمد (١٧٦٦٣)، وقال الترمذي: «حسن صحيح».



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٥﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَلَئِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٦﴾ \* شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٧﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٨﴾ أَفَجَلَّ لَكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ وَالرَّفَثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هَٰ أَلَيْسَ لَكُم لَيْسٌ لَّهُنَّ عِلْمٌ أَنَّهُ لَئِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُم وَعَقَبَا عَنْكُم بِأَلَنٍ تَبَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَٰلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٩﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتَذُلُوا بِهَا إِلَىٰ الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيفًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٩٠﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي: فُرِضَ.

﴿كَمَا كُتِبَ﴾ القصد بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وبقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: تسهيل الصيام على المسلمين، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم، وملاطفة جميلة<sup>(١)</sup>.

(١) [التعليق ٢١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن جزئي: «وكانه اعتذار عن كتبه عليهم»، أقول: فيه نسبة الاعتذار إلى الله، ومعنى كلامه: أن الله أخبر المؤمنين أنه كتب الصيام على من قبلهم اعتذاراً منه إلى المؤمنين عن كتب الصيام عليهم، وفي نسبة الاعتذار إلى الله نظراً؛ فإنه لم يرد نسبة الاعتذار إلى الله في شيء من نصوص الكتاب والسنة، وإنما الذي ورد الإعتذار، أي: إزالة العذر، وذلك بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين، كما قال ﷺ: «لا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين» [أخرجه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) عن المغيرة ﷺ] وبإمهال العبد في عمره إلى أمد يمكنه فيه التدارك، =

والذي كُتِبَ على الذين من قبلنا الصيام مطلقاً، وقيل: كتب على الذين من قبلنا رمضان، فبدّلوه.

﴿أَيَّامًا﴾ منصوبٌ: بـ ﴿الصِّيَامِ﴾<sup>(١)</sup>، أو بمحذوف<sup>(٢)</sup>، ويبعد انتصابه بـ ﴿تَتَّقُونَ﴾.

﴿بِمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ الآية؛ إباحة للفطر مع المرض والسفر، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك. وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى: فحوى الخطاب<sup>(٣)</sup>؛ وتقديره: فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فأفطر: فعليه عدّة من أيام آخر.

ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف؛ فرأوا أن صيام المريض والمسافر لا يصح، وأوجبوا عليه عدّة من أيام آخر، وإن صام في رمضان. وهذا منهم جهلٌ بكلام العرب. وليس في الآية ما يقتضي تحديد السفر، وبذلك قال الظاهرية. وحده في مشهور مذهب مالك: أربعة بُرْدٍ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيفُونَهِ إِذِيَّةٌ﴾ قيل: يطيقونه من غير مشقة؛ فيفطرون ويكفرون، ثم نسخ جواز الإفطار بقوله: ﴿بِمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. وقيل: يطيقونه بمشقة؛ كالشيخ الهرم، فيجوز له الفطر، ويكفر بالإطعام، فلا نسخ على هذا.

= كما في الحديث: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله، حتى بلغه ستين سنة» [أخرجه البخاري (٦٤١٩) عن أبي هريرة ؓ]، فلا حجة للعباد على الله، وقد أقام الحجة عليهم بإرسال الرسل وبالإمهال، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا تَدَّكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ أَنذَارٌ﴾، فلا عذر لمن كفر بالله وعصى رسله بعد إعدار الله إليهم. والاعتذار إنما يكون من الأدنى إلى الأعلى، فالواجب على العباد أن يعتذروا إلى ربهم بالاعتراف والتوبة من ذنوبهم، لا أن يعتذر الله إليهم بما فعله بهم؛ إذ لم يفعل بهم إلا ما له فعله؛ لأنهم عبيده، كما قال عيسى ؑ: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَاتُّمَّ عِبَادَتُكَ﴾، وهو سبحانه بصير بهم، كما قال: ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، وليس لأحد أن يقول: لم فعلت كذا يا ربنا، ولم شرعت كذا، على وجه الاعتراض، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَلْ عَنَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾.

(١) نحو قولك: نويت الخروج يوم الجمعة. الكشاف (٣/ ٢٢٩).

(٢) أي: بإضمار فعل يدلُّ عليه ما قبله، تقديره: صوموا. البحر المحيط (٣/ ٣٣٠).

(٣) سبق التعليق عليه عند تفسير الآية رقم (٥٤) من هذه السورة، وأن الصواب: «الحن الخطاب». والله أعلم.

(٤) وهو مذهب الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ٣٦-٣٧).

﴿بِمَسِّ تَطَوُّعٍ﴾ أي: صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة؛ وذلك على القول بالنسخ. وقيل: تطوُّع بالزيادة في مقدار الإطعام، وذلك على القول بعدم النسخ.

﴿شَهْرَ رَمَضَانَ﴾: مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمرة<sup>(١)</sup>، أو بدلٌ من ﴿الصِّيَامِ﴾.

﴿أَنْزَلَ فِيهِ الْفُرْقَانَ﴾ ابن عباس رضي الله عنه: أنزل القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ بطول عشرين سنة<sup>(٢)</sup>. وقيل: المعنى: أنزل في شأنه القرآن؛ كقولك: «أنزل القرآن في فلان». وقيل: المعنى: ابتدئ فيه إنزال القرآن.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾ أي: أن القرآن هدى، ثم هو -مع ذلك- من مبيِّنات<sup>(٣)</sup> الهدى؛ وذلك أن الهدى على نوعين: مطلق، وموصوف بالبيان. فالهدى الأول -هنا-: على الإطلاق. وقوله: ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾ أي: وهو من الهدى المبيِّن؛ فهو من عطف الصفات؛ كقولك: «فلان عالمٌ وجليلٌ من العلماء».

﴿بِمَسِّ شَهِدٍ﴾ أي: كان حاضرًا غير مسافر، و﴿الشَّهْرِ﴾: منصوبٌ على الظرفية.

﴿الْيُسْرِ﴾ و﴿الْعُسْرِ﴾: على الإطلاق، وقيل: اليسرُ: الفطرُ في السفر، والعسر: الصوم فيه.

﴿وَلْيُكْمِلُوا﴾ متعلّقٌ بمحذوف تقديره: شرع، أو عطفٌ على: ﴿الْيُسْرِ﴾.

﴿الْعِدَّةِ﴾ الأيام التي أفطر فيها.

﴿وَلْيُكَبِّرُوا﴾ التكبير يوم العيد، أو مطلق.

﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ مقيد بمشيئة الله، وموافقة القدر. وهذا جواب من قال: كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة؟<sup>(٤)</sup>

(١) أي: ذلكم شهر رمضان. المحرر الوجيز (١/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١١٥)، والنسائي في الكبرى (٨/ ١١٣٠)، والحاكم في المستدرک (٢٨٧٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه -أيضاً- ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص: ٣٦).

(٣) في د: «بينات».

(٤) [التعليق ٢٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك، قوله: «مقيّد بمشيئة الله...»، إلخ: أقول: تضمّن كلامه هذا: أن وعد الله باستجابة دعاء الداعي: مشروطٌ بأمرين:

﴿بَلَيْسَتْجِيبُوا إِلَيَّ﴾ أي: في امتثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة.

﴿١٨﴾ ﴿حَلَّ لَكُمْ﴾ الآية؛ كان الأكل والجماع محرماً بعد النوم في ليل رمضان، فجرت في ذلك قصة لعمر بن الخطاب<sup>(١)</sup> ولصُرمة بن مالك<sup>(٢)</sup>؛ فأحلَّهما الله؛ تخفيفاً على عباده.

﴿الزَّيْفُ﴾ هنا: الجماع، وإنما تعدَّى بـ﴿إِلَى﴾؛ لأنه في معنى الإفشاء.

﴿هَسَّ لِيَأْسَ لَكُمْ﴾ تشبیه بالثياب؛ لاشتغال كل واحد من الزوجين على الآخر، وهذا تعليل للإباحة.

﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان.

﴿فَتَابَ﴾ ﴿وَعَقَا﴾ أي: غفر ما وقعتم فيه من ذلك. وقيل: رفع عنكم ذلك الحكم. ﴿بَنَشِرُوهُمْ﴾ إباحة.

= أولاً: بمشيئة الله؛ وهذا حق؛ فإنَّ فعله تعالى إنما يكون بمشيئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُنَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، وأدلة ذلك كثيرة في القرآن.

ثانياً: بموافقة القدر؛ أي: أن يكون المطلوب قد سبق القدر بكونه، وفي هذا إجمال:

فإنَّ أراد: أنه مقدَّر بدون هذا الدعاء، فهذا يؤوَّل إلى أن يكون الدعاء لا أثر له في حصول المطلوب؛ وهذا هو الظاهر من مراده؛ فإنَّ هذا يجري على مذهب نفاة تأثير الأسباب، والدعاء من الأسباب، وهو مذهب الأشاعرة، والظاهر: أن المؤلف مذهب هذا المذهب.

وإنَّ أراد: أنه مقدَّر الحصول بذلك الدعاء، فهو حق؛ لكن يصير التقييد بذلك كالتقييد بالمشيئة؛ فإنه لا يكون إلا ما سبق به القدر، كما لا يكون إلا ما شاءه الله تعالى؛ فتخلَّف المطلوب يرجع إلى أن الله لم يقدِّر حصوله في سابق علمه وكتابه، وما كان كذلك، فإنه لا يشاؤه سبحانه.

فالمشيئة والقدر متلازمان؛ فما شاءه سبحانه، فقد سبق به علمه وكتابه، وما علمه وكتبه فإنه تعالى يشاؤه؛ فلا يكون إلا ما يشاء، ولا يكون إلا ما سبق به علمه وكتابه، والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٥٧٩٥)، والطبري في تفسيره (٢٣٦/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٦/١)، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١/٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢٧٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٩١٥) من حديث البراء<sup>(٣)</sup>، ووقع في اسمه اختلاف كثير، ذكره ابن حجر في الإصابة (٢٤٨/٥)، فقل: صرمة بن مالك كما أورده المؤلف، وقيل: قيس بن صرمة كما في رواية البخاري، وقيل غير ذلك.

﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل: الولد يتغنى بالجماع. وقيل: الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه.

﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض، لا للأسود؛ لأنَّ الفجر ليس له سواد. والخيط -هنا- استعارة؛ يراد بالخيط الأبيض: بياض الفجر، وبالخيط الأسود: سواد الليل.

وروي أن قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ نزل بعد ذلك<sup>(١)</sup>؛ بياناً لهذا المعنى؛ لأنَّ بعضهم جعل خيطاً أبيض وخيطاً أسود عند وساده، وأكل حتى تبين له، فقال له النبي ﷺ: «إنما هو بياض النهار وسواد الليل»<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي: إلى أول الليل، وهو غروب الشمس؛ فمن أفطر قبل ذلك: فعليه القضاء والكفارة<sup>(٣)</sup>. ومن شك هل غربت أم لا فأفطر: فعليه -أيضاً- القضاء والكفارة. وقيل: القضاء فقط. وقالت عائشة رضي الله عنها: ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾: يقتضي المنع من الوصال<sup>(٤)</sup>، وقد جاء ذلك في الحديث<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ﴾ تحريمٌ للمباشرة حين الاعتكاف. قال الجمهور: المباشرة -هنا-: الجماع وما دونه، وقيل: الجماع فقط.

﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ دليلٌ على جواز الاعتكاف في كلِّ مسجد؛ خلافاً لمن قال: لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، وبيت المقدس. وفيه -أيضاً- دليلٌ على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، لا في غيرها، خلافاً لمن أجازها في غيرها من مفهوم الآية.

(١) أخرجه البخاري (١٩١٧)، ومسلم (١٠٩١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) إيجاب الكفارة بإفساد الصوم بغير الجماع هو مذهب مالك وأبي حنيفة، خلافاً للشافعي وأحمد في أنه الكفارة لا تجب إلا بإفساد الصوم بالجماع فقط. القوانين الفقهية (ص: ٢٢٤)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٦٦/٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٦٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩٦٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣).

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: أحكامه التي أمر بالوقوف عندها.

﴿وَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي لا تُقاربوا<sup>(١)</sup> مخالفتها. واستدل بعضهم به على سدِّ الذرائع؛ لأنَّ المقصود النهي عن المخالفة للحدود؛ لقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٧]، ثم نهى - هنا - عن مقاربة المخالفة؛ سدا للذريعة.

﴿وَلَا تَاْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، كالقمار، والغصب، وجحد الحقوق، وغير ذلك.

﴿وَتَذْلُوا﴾ عطف على: ﴿وَلَا تَاْكُلُوا﴾، أو: نصب بإضمار «أن». وهو من أدلى الرجل بحجته: إذا قام بها.

والمعنى: نهى عن أن يحتج بحجة باطلة؛ ليصل بها إلى أكل مال الناس. وقيل: نهى عن رشوة الحكام بالأموال للوصول إلى أكل أموال الناس. فالباء على الأول: سببية، وعلى الثاني: للإلصاق.

﴿بِالْإِثْمِ﴾ الباء: سببية، أو للمصاحبة. والإثم على القول الأول في ﴿وَتَذْلُوا﴾: إقامة الحججة الباطلة؛ كشهادة الزور، والأيمان الكاذبة، وعلى القول الثاني: الرشوة.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنكم على الباطل؛ وذلك مبالغة في المعصية والجُرأة.



(١) في أ، ب: «لا تقربوا».

\*يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَافِقُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٥٨﴾ وَفَتَلَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٥٩﴾ وَافْتَلَوْهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْعِثَّةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَفْتِلَوْكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ بَاقِلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦١﴾ وَفَتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٦٢﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتِ فَصَاصٌ فَمَنْ إِبْتَغَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا إِبْتَغَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٦٣﴾ وَأَنْهَفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْكُفْرَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٤﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَهَدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ \* فَمَنْ لَمْ يَجِدْ صِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عُمُرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرًا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦٥﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ سببها: أنهم سألوا عن الهلال، وما فائدة محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس<sup>(١)</sup>. والهلال: ليلتان من أول الشهر، وقيل: ثلاث، ثم يقال له: قمر.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/١) من حديث السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس ؓ، قال: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة وهما رجلان من الأنصار، قالوا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد؟ فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَافِقُ لِلنَّاسِ﴾، وإسناده ضعيف وإيه كما في الدر المنثور (٣٠٥/٢)، وأخرجه الطبري (٢٨٢/٣) وابن أبي حاتم (٣٢٢/١) من حديث العوفي عن ابن عباس ؓ، قال: سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة، فنزلت هذه الآية.

﴿مَوَفِيَتْ﴾ جمع ميفات؛ لمحَلّ الديون، والأُكْرِية، وانقضاء العِدَد، وغير ذلك. ثم ذَكَرَ الحَجَّ؛ اهتمامًا بذكره، وإن كان قد دخل في المواقيت للناس.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية؛ كان قومٌ إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنما يدخلون من ظهورها، ويقولون: لا يحولُ بيننا وبين السماء شيءٌ؛ فنزلت الآية إعلَامًا أَنَّ ذلك ليس من البرِّ<sup>(١)</sup>. وإنما ذَكَرَ ذلك بعد ذِكر الحج؛ لأنه كان عندهم من تمام الحج.

وقيل: إن المعنى: ليس البر أن تسألوا عن الأهلة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه؛ فتأتون الأمور على غير ما يجب.

فعلى هذا: ﴿الْبَيُوتُ﴾ و﴿أَبْوَابُهَا﴾ و﴿ظُهُورُهَا﴾ استعاراتٌ؛ يراد بالبيوت: المسائل، وظهورها<sup>(٢)</sup>: السؤال عما لا يفيد، وأبوابها: السؤال عما يحتاج إليه.

﴿الْبِرُّ مِمَّنْ إِنْتَفَى﴾ تأويله مثل: ﴿الْبِرُّ مِمَّنْ أَمَسَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ كان القتال غير مباح في أوّل الإسلام، ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل؛ وذلك مقتضى هذه الآية، ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة ٣٦] و﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٨]؛ فهذه الآية منسوخة.

وقيل: إنها مُحْكَمَةٌ؛ وإنَّ المعنى: قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلكم<sup>(٤)</sup>، دون النساء والصبيان الذي لا يقاتلونكم، والأوّل أرجح وأشهر.

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: بقتال من لم يقاتلكم؛ على القول الأول، وبقتال النساء والصبيان؛ على القول الثاني.

﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُ﴾ أي: من مكة؛ لأنَّ قريشًا أخرجوا منها المسلمين.

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٣) ومسلم (٣٠٢٦) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٢) في ب، ج، هـ: «ظهورها».

(٣) انظر تفسير الآية (١٧٦).

(٤) في ب، ج، هـ: «يقاتلونكم».



﴿وَالْمِثْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي: فتنة المؤمن عن دينه أشدُّ عليه من قتله. وقيل: كفر الكفار أشدُّ من قتل المؤمنين<sup>(١)</sup> لهم في الجهاد.

﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ منسوخٌ بقوله: ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٨]، وذلك يقوي نسخ: ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾.

﴿وَإِنْ أَنْتَهُنَّ﴾ أي: عن الكفر فأسلموا؛ بدليل قوله: ﴿عَبُورَ رَجِيمٍ﴾؛ وإنما يغفر للكافر إذا أسلم.

﴿لَا تَكُونُ بِنْتًا﴾ أي: لا يبقى دينٌ كفر.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الآية؛ نزلت لما صدَّ الكفارُ النبي ﷺ والمسلمين<sup>(٢)</sup> عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية في شهر ذي قعدة، فدخلها في العام الذي بعده في شهر ذي قعدة<sup>(٣)</sup>. أي: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الذي دخلتم فيه مكة ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الذي صُدِدتُم فيه عن دخولها.

﴿وَالْحُرْمَتُ فِصَاصٌ﴾ أي: حرمة الشهر والبلد حين دخلتموها: فِصَاصٌ بحرمة الشهر والبلد حين صُدِدتُم عنها.

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ تسميةٌ للعقوبة باسم الذنب؛ أي: قاتلوا مَنْ قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة من صدَّكم عن مكة.

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أبو أيوب الأنصاري: المعنى: لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد<sup>(٤)</sup>. وقيل: لا تركوا النفقة في الجهاد؛ خوف العيلة. وقيل: لا تقنطوا من التوبة. وقيل: لا تقتحموا المهالك. والباء في ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: زائدة، وقيل: التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم.

(١) في ج، هـ: «المؤمن».

(٢) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/٣٠٥) عن ابن عباس ؓ.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥١٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٦٢)، والترمذي (٢٩٧٢) وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، وابن حبان (٤٧١١)، والحاكم (٢٤٣٤) وصححه ووافقه الذهبي.

﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أكملوها إذا ابتدأتم عملهما<sup>(١)</sup>. ابن عباس ؓ: إتمامهما<sup>(٢)</sup>: إكمال المناسك<sup>(٣)</sup>. علي ؓ: إتمامهما<sup>(٤)</sup>: أن تحرّم بهما من دارك<sup>(٥)</sup>.

ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام، لا بالابتداء.

﴿بِإِنْ أَخَصِرْتُمْ﴾ المشهور في اللغة: أحصره المرض - بالألف -، وحصره العدو.

وقيل: بالعكس. وقيل: هما بمعنى واحد. فقال مالك: ﴿أَخَصِرْتُمْ﴾ هنا: بالمرض على مشهور اللغة؛ فأوجب عليه الهدي، ولم يوجب عليه من حصره العدو.

وقال الشافعي وأشهب<sup>(٦)</sup>: يجب الهدي على من حصره العدو، وحملاً الآية على ذلك، واستدلاً بنحر النبي ﷺ الهدي بالحديبية<sup>(٧)</sup>.

وقال أبو حنيفة: يجب الهدي على المحصر بعدو وبمرض.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليكم ما استيسر من الهدي؛ وذلك شاة.

﴿وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ خطاب للمحصر بمرض عند مالك؛ لأنه لا يتحلل بالحلل حتى يبلغ الهدي محله أي: موضع نحره؛ وهو: مكة أو منى عند مالك<sup>(٨)</sup>. وقال الشافعي<sup>(٩)</sup>: محله: حيث أحصر. وقيل: هو<sup>(١٠)</sup> خطاب للمحصر وغيره.

(١) في ج، هـ: «أكملوها إذا ابتدأتم عملها».

(٢) في ب، ج، هـ: «إتمامها».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/٣٢٨).

(٤) في ب، ج، هـ: «إتمامها».

(٥) أخرجه الطبري (٣/٣٣٠)، وابن أبي حاتم (١/٣٣٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٨٣٤)، والحاكم (٣٠٩٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٦) وأحمد، وهو قول الجمهور. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/٣١٢).

(٧) أخرجه البخاري عن ابن عباس (١٨٠٩) وابن عمر (٢٧٠١) ؓ.

(٨) وهو رواية عن أحمد في المحصر بعدو.

(٩) وأحمد في الرواية المشهورة، نص عليه، وهو المذهب عند الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/٤٤٣).

(١٠) في ب، ج، هـ: «هي».

﴿بَسَّ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ الآية؛ نزلت في كعب بن عُجرة حين رآه النبي ﷺ فقال له: «لعلك تؤذيك هوائُ رأسك؟» فقال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك بشاة»<sup>(١)</sup>.

(فمعنى الآية: أن من كان في الحج واضطرَّ مريضاً<sup>(٢)</sup> أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه؛ وعليه صيام، أو صدقة، أو نسك)<sup>(٣)</sup> حسبما تفسر في الحديث. وقاس الفقهاء على حلق الرأس: سائر الأشياء التي يُمنع الحاج منها، إلا الصيد، ووطء النساء.

وقصر الظاهرية ذلك الحكم على حلق الرأس.

ولا بدَّ في الآية من مضمَر لا يستقلُّ الكلام دونه، وهو المسمى: فحوى الخطاب<sup>(٤)</sup>؛ وتقديرها: فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية.

﴿بِإِذَا آمَنْتُمْ﴾ أي: من المرض؛ على قول مالك. ومن العدو؛ على قول غيره. والمعنى: إذا كنتم بحال أمن؛ سواء تقدّم مرض أو خوف عدو، أو لم يتقدّم.

﴿بَسَّ تَمَتَّ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ التمتع عند مالك وغيره<sup>(٥)</sup>: هو أن يعتمر الإنسان في أشهر الحج، ثم يحج من عامه؛ فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة. وقال عبد الله بن الزبير: التمتع: هو أن يُحصَر عن الحج بعدو حتى يفوته الحج، فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاء لحجته؛ فهو قد تمتع بفعل الممنوعات في الحج من وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل<sup>(٦)</sup>. وقيل: التمتع: هو قرآن الحج والعمرة.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ شاة.

(١) أخرجه البخاري (١٨١٤)، ومسلم (١٢٠١).

(٢) في د: «واضطّر لمرض».

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

(٤) سبق التعليق عليه عند تفسير الآية رقم (٥٤) من هذه السورة، وأن الصواب: «لحن الخطاب». والله أعلم.

(٥) هذا معنى التمتع عند عامة أهل العلم. الاستذكار، لابن عبد البر (٢٠٨/١١).

(٦) أخرجه الطبري (٤١٢/٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣٧٣٩)، وابن عبد البر في الاستذكار (٢١١/١١).

﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ وقتها: من إحرامه إلى يوم عرفة، فإن فاتته: صام أيام التشريق.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي: إلى بلادكم، أو في الطريق.

﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾ فائدته: بيان أن السبعة تصام بعد الثلاثة؛ فتكون عشرة، ورفع لتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة. وقيل: هو مثل الفذلكة؛ وهو قول الناس بعد الأعداد: «فذلك كذا». وقيل: كاملة في الثواب.

﴿لَيْسَ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرٌ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: غير أهل مكة وذوي طوئ بإجماع. وقيل: أهل الحرم كله. وقيل: من كان دون المواقيت. وقوله: ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى الهدى أو الصيام؛ أي: إنما يجب الهدى - أو الصيام بدلاً منه - على الغرباء، لا على أهل مكة. وقيل: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى التمتع.



الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ بَرَّضَ بِهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَتَّوَلِيهِ الْاَلْتَّبَابُ ﴿٣٦﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا بِضَلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقْبَضْتُمْ مِنْ عَزَبَتٍ بِأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ أَيْبُضُوا مِنْ حَيْثُ أَبَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَإِذَا فَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ بِأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٩﴾ تَوَلَّيْكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٠﴾ \* وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ الْإِثْمُ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٤٣﴾ وَإِذَا فِيلٌ لَهُ إِنِّي اللَّهُ أَخَذْتُهُ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْهَادِ ﴿٤٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٤٦﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ التَّيِّنَاتُ بِاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمِّ وَالْمَكِيدَةِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٨﴾

﴿الْحَجَّ أَشْهُرٌ﴾ التقدير: أشهر الحج أشهر<sup>(١)</sup>، أو الحج في أشهر<sup>(٢)</sup>. وهي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وقيل: العشر الأول منه. وينبغي على ذلك: من آخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي حجة: فعليه دم على القول بالعشر الأول. ولا دم عليه على القول بجميع الشهر.

(١) إنما احتج إلى التقدير هنا؛ لأن الحج ليس هو الأشهر. المحرر الوجيز (١/٤٨١).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (١/٤٨١): «ومن قدر الكلام: (الحج في أشهر)، فيلزمه مع سقوط حرف الجر نصب الأشهر، ولم يقرأ بنصبها أحده».

واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر: فأجازه مالك على كراهة<sup>(١)</sup>. ولم يُجزه الشافعي وداود؛ لتعيين هذا الأشهر لذلك؛ فكأنها كوقت الصلاة<sup>(٢)</sup>.

﴿بِمَسْ بَرَضٍ﴾ أي: ألزم الحج نفسه.

﴿بَلَا رَقَتْ وَلَا بَسُوقٍ﴾ الرفث: الجماع. وقيل: الفحش من الكلام. والفسوق: المعاصي. والجدال: المراءى مطلقاً. وقيل: المجادلة في مواقف الحج. وقيل: النسيء الذي كانت العرب تفعله.

﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ قيل: احملوا زاداً في السفر. وقيل: تزودوا للآخرة بالتقوى، وهو الأرجح؛ لما بعده.

﴿بِضَلَا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ التجارة في أيام الحج، أباحها الله تعالى. وقرأ ابن عباس ؑ: «فضلاً من ربكم في مواسم الحج»<sup>(٣)</sup>.

﴿أَبْضُثُمْ﴾ اندفعتم جملة واحدة.

﴿مِّن عَرَفَاتٍ﴾ اسم علم للموقف. والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر، لا تنوين صرف؛ فإن فيه التعريف والتأنيث.

﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ المزدلفة. والوقوف بها سنة.

﴿كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ الكاف للتعليل.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾ «إن» مخففة من الثقيلة؛ ولذلك جاءت اللام في خبرها.

﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل الهدى.

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (١/٤٨١): «ومن قدر الكلام: (الحج في أشهر)، فيلزمه مع سقوط حرف الجر نصب الأشهر، ولم يقرأ بنصبها أحد».

(٢) وهي رواية عن أحمد، اختارها ابن حامد وغيره، فعليه: يجعل إحرامه عمرة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/١٣١).

(٣) أخرجه البخاري في مواضع منها (١٧٧٠).

﴿ثُمَّ أَيْبُضُوا مِنْ حَيْثُ أَبَاضَ النَّاسُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه أمر للحُمْس<sup>(١)</sup>؛ وهم قريشٌ ومن تبعهم، كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرمٌ، ولا يقفون بعرفة مع سائر الناس؛ لأنها حِلٌّ، ويقولون: نحن أهل الحرم؛ فلا نقف إلا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويُفيضوا منها.

وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة؛ توفيقاً من الله تعالى له<sup>(٢)</sup>.

والقول الثاني: أنها خطابٌ لجميع الناس؛ ومعناها: أفيضوا من المزدلفة إلى منى.

﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول: على بابها من الترتيب. وأما على القول الأول: فليست للترتيب، بل للعطف خاصة. قال الزمخشري: هي كقولك: «أحسن إلى الناس، ثم لا تحسن إلا إلى كريم»؛ فإنَّ معناها: التفاوت بين ما قبلها وما بعدها، وأن ما بعدها أكد<sup>(٣)</sup>.

﴿فَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ فرغتم من أعمال الحج.

﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ﴾ لأن الإنسان كثيراً ما يذكر آباءه<sup>(٤)</sup>. وقيل: كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرةً عند الجمرة، فأمرُوا بذكر الله عوضاً من ذلك.

﴿ءَاتَيْنَا فِي الدُّنْيَا﴾ كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة.

﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قيل: العمل الصالح. وقيل: المال. وقيل: المرأة الصالحة.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ الجنة.

﴿نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ يحتمل أن تكون «من»: سببية؛ أي: لهم نصيب عند الله؛ من أجل ما كسبوا من الحسنات. وأن تكون لبيان الجنس؛ أي: لهم نصيب من الحسنات التي

(١) الحُمْس: لقب قريش، ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس، وهم: فَهْمٌ وَعَدَوَانُ ابنا عمرو بن قيس عِيلان، وبنو عامر بن صعصعة، سُحُو حُمْسًا؛ لتحسُّهم في دينهم، أي: تشدُّدهم فيه، وكذا في الشجاعة فلا يطاقون، أو لالتجانهم بالحُمْسَاء، وهي الكعبة؛ لأن حَجَرَهَا أبيضٌ إلى السَّوَاد. انظر: تاج العروس (٥٥٥/١٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٧٥٧) وابن خزيمة (٣٠٥٧) والحاكم (١٧٧٢) - وقال: «صحيح على شرط مسلم» - عن

جبير بن مطعم ؓ.

(٣) الكشف (٣/٣٠٣).

(٤) في ب، ج، هـ: «آباء».

اكتسبوها، والنصيب - على هذا - : الثواب<sup>(١)</sup>.

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يراد به: سرعة مجيء يوم القيامة. والآخر: أن يراد به: سرعة وقوع الحساب يوم القيامة؛ لأن الله لا يحتاج إلى عِدَّةٍ<sup>(٢)</sup> ولا فكرة.

وقيل لعليّ عليه السلام: كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال: «كما يرزقهم على كثرتهم»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَفِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ ثلاثة بعد يوم النحر؛ وهي أيام التشريق. والذكر فيها: التكبير في أدبار الصلوات، وعند رمي الجمار، وغير ذلك.

﴿بِمَسِّ تَعَجَّلَ﴾ أي: انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق.

﴿وَمَسَّ تَأَخَّرَ﴾ أي: إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار. وأما المتعجل: فقليل: يترك رمي جمار اليوم الثالث. وقيل: يقدمها في اليوم الثاني.

﴿وَلَا إِنَّمْ عَلَيْهِ﴾ في الموضعين: قيل: إنه إباحةٌ للتعجل والتأخر. وقيل: إنه إخبارٌ عن غفران الإثم - وهو الذنب - للحاج؛ سواءً تعجل أو تأخر.

﴿لِمَسِّ إِبْتِغَى﴾ أمّا على القول بأن معنى: ﴿وَلَا إِنَّمْ عَلَيْهِ﴾ إباحة؛ فالمعنى: أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما؛ فقد أبيح له ذلك من غير إثم.

وأمّا على القول: بأن معنى: ﴿وَلَا إِنَّمْ عَلَيْهِ﴾ إخبار بغفران الذنوب؛ فالمعنى: أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه؛ كقوله ﷺ: «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق: خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»<sup>(٤)</sup>.

فاللام متعلّقة: إمّا بالغفران، أو بالإباحة<sup>(٥)</sup> المفهومين من الآية.

(١) عبارة الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣١٠): «أي: نصيبٌ من جنس ما كَسَبُوا من الأعمال الحسنة، وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة».

(٢) العِدَّة: العدّ والإحصاء. تاج العروس (٨/ ٣٥٣).

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في د: «بالإباحة».



﴿مَنْ يُعْجِبْكَ قَوْلُهُ﴾ الآية؛ قيل: نزلت في الأخنس بن شريق؛ فإنه أظهر الإسلام، ثم خرج فقتل دوابَّ المسلمين وأحرق لهم زرعاً<sup>(١)</sup>. وقيل: في المنافقين<sup>(٢)</sup>. وقيل: عامة في كل من كان على هذه الصفة.

﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ متعلق بـ ﴿قَوْلُهُ﴾؛ أي: يعجبك ما يقول في أمر الدنيا. ويحتمل أن يتعلق بـ ﴿يُعْجِبْكَ﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ﴾ أي: يقول: الله يعلم إنني لصادق.

﴿أَلَدَّ الْخِصَامَ﴾ شديد الخصومة.

﴿تَوَلَّى﴾ أدبر بجسده، أو أعرض بقلبه. وقيل: صار والياً.

﴿وَيَهْلِكُ الْحَرْتَ وَالنَّسْلَ﴾ على القول بأنها في الأخنس: فإهلاك الحرث: حرقه للزرع، وإهلاك النسل: قتله للدواب. وعلى القول بالعموم: فالمعنى: مبالغة في الفساد، وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل؛ لأنهما قوامُ معيشة بني آدم، فإن الحرث: هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، والنسل: هو الإبل والبقر والغنم، وغير ذلك مما يتناسل.

﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ المعنى: أنه لا يطيع من أمره بالتقوى؛ تكبراً وطغياناً. والباء يحتمل أن تكون: سببية، أو بمعنى «مع». وقال الزمخشري: هي كقولك: أخذ الأمير الناس بكذا أي: ألزمهم إيَّاه؛ فالمعنى: حملته العزة على الإثم<sup>(٤)</sup>.

﴿مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ أي: يبيعها. قيل: نزلت في صهيب رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>. وقيل: على العموم. وبيع النفس: في الهجرة، أو الجهاد. وقيل: في تغيير المنكر، وأنَّ الذي قبلها: فيمن غُيِّرَ عليه فلم ينزجر.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٧٢/٣)، وابن أبي حاتم (٣٦٤/٢) عن الشدي.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٧٣/٣)، وابن أبي حاتم (٣٦٢/٢) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) أي: قوله حلَّوْ فصيح في الدنيا، فهو يعجبك حينئذ، ولا يعجبك في الآخرة. الكشاف (٣١٦/٣).

(٤) الكشاف (٣١٨/٣).

(٥) أخرجه الحاكم (٥٧٠٠) عن أنس رضي الله عنه، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٦٨/٢).

عن سعيد بن المسيب.

﴿السَّلَامُ﴾ بفتح السين<sup>(١)</sup>: المسالمة، والمراد بها هنا: عقد الذمة بالجزية، فالأمر على هذا: لأهل الكتاب، وخطبوا بـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة.

وقيل: هو الإسلام، وكذلك هو بكسر السين، فيكون الخطاب لأهل الكتاب؛ على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام.

وقيل: إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا السبب كما كانوا<sup>(٢)</sup>؛ فالمعنى على هذا: ادخلوا في الإسلام، واتركوا سواه<sup>(٣)</sup>.

ويحتمل: أن يكون الخطاب للمسلمين؛ على معنى: الأمر بالثبوت عليه، أو<sup>(٤)</sup> الدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي.

﴿كَآفَّةً﴾ عموم في: المخاطبين، أو في شرائع الإسلام.

﴿بَاغِلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديد لمن زلَّ بعد البيان.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.

﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ تأويله عند المتأولين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا. وهي عند السلف الصالح ومن تبعهم: من المتشابه؛ فيجب الإيمان بها من غير تكييف. ويحتمل أن لا تكون من المتشابه؛ لأنَّ قوله: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بمعنى: يطلبون ذلك بجهلهم؛ كقولهم: ﴿لَوْلَا يَكْلِمُنَا اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿يَوْمِ ظَلَلِ﴾ جمع ظُلَّة؛ وهو: ما علاك من فوق. فإن كان ذلك لأمر الله: فلا إشكال. وإن كان لله: فهو من المتشابه<sup>(٥)</sup>.

(١) قرأ نافع وابن كثير والكسائي بفتح السين، وقرأ الباقر بكسرها.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٩/٣) عن عكرمة، وانظر تفسير ابن كثير (٥٦٦/١).

(٣) في د: «ما سواه».

(٤) في أ، ب: «أو».

(٥) [التعليق ٣٣] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾، تأويله عند المتأولين: يَأْتِيَهُمُ عَذَابُ اللَّهِ فِي

الآخرة، أو أمره في الدنيا... إلخ: أقول: ذكر في معنى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ قولين:

الأول: تفسير أهل التأويل؛ بما ذكره من عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا؛ وهذه طريقة أهل التأويل من نفاة الصفات.

﴿الْعَمِّ﴾ السحاب.

﴿وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فُرج منه؛ وذلك كناية عن وقوع العذاب.



الثاني: تفسير أهل التفويض: أَنَّ الآية مِنَ المتشابه، والمتشابه عند المؤلفِ وأمثالِهِ: ما لا يَعْلَمُ معناه إلا الله، ورَعه ابنُ جُزَيٍّ: أَنَّ هذا هو مذهبُ السلفِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ، ونسبةُ هذا إلى السلفِ باطلة؛ فهذه الآيةُ وأمثالُها من نصوصِ الصفاتِ عند السلفِ مفهومَةٌ المعنى، وهم يُثبتون ما دلَّت عليه من الصفاتِ والأفعال.

ولكن قولَ المؤلفِ: «يجبُ الإيمانُ بها من غيرِ تكييفٍ»، كلامٌ حقٌّ يُشبه ما جاء عن السلفِ في نصوصِ الصفاتِ: «أمرُوها كما جاءتْ من غيرِ كيفٍ»، لكن يكون في كلامِ المؤلفِ نوعٌ تناقض: فجعلها مِنَ المتشابهِ يقتضي عَدَمَ الفهمِ لمعناها، وقوله: «يجبُ الإيمانُ بها من غيرِ تكييفٍ» يقتضي فهمها وإثباتَ معناها، ففي تقريره لما زعمَ أنه مذهبُ السلفِ اضطرابٌ.

وفي كلامِهِ ﷺ عن الآيةِ اضطرابٌ آخر؛ فبينما يتعلَّقُ الكلامُ في: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾، يتنقَّلُ إلى أن يكونَ متعلِّقًا بقوله: ﴿يَنْظُرُونَ﴾؛ وذلك في قوله: «ويَحْتَمِلُ ألا تكونَ مِنَ المتشابهِ»، ثم يفسِّر: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بـ: «يَطْلُبُونَ».

والمعروفُ في اللغةِ والتفسيرِ: أَنَّ «يَنْظُرُونَ» المتعدِّي، معناه: يَنْتَظِرُونَ؛ كقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وفي هذا تهديدٌ للمكذِّبين.

والصوابُ: أَنَّ الآيةَ تدلُّ على أَنَّ اللهَ يأتي يومَ القيامةِ كيف شاء؛ كما قال: ﴿وَمَا رَأَيْتُكَ﴾ [الفجر: ٢٢].

وقولُ المؤلفِ: «فإن كان ذلك لأمرِ الله، فلا إشكال، وإن كان لله، فهو مِنَ المتشابهِ»؛ يريدُ به:

- إن كان معنى ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾: يَأْتِيَهُمْ أمرُ الله، فلا إشكالَ في إثباتِ أمرِ الله في الظَّلَلِ.

- وإن كان معنى ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾: يَأْتِيَهُمْ اللهُ نفسه، فهو مِنَ المتشابهِ؛ لأنَّ اللهَ نفسه لا يأتي في الظَّلَلِ مِنَ الغمامِ؛ لأنَّ الظَّلَلِ مخلوقَةٌ؛ واللهُ سبحانه لا يحيطُ به المخلوق.

لعل هذا مرادُهُ ﷺ؛ والصوابُ: أَنَّ الآيةَ تدلُّ على أَنَّ اللهَ يأتي يومَ القيامةِ كيف شاء؛ كما قال: ﴿وَمَا رَأَيْتُكَ﴾ [الفجر: ٢٢].

[الفجر: ٢٢]، ويكونُ معنى قوله: ﴿فِي ظُلُلٍ﴾؛ أي: مع ظُلَلٍ، فـ «في» - على هذا - بمعنى: «مَعَ»، لا بمعنى «في»

التي للظرفية؛ كما يقتضيه كلامُ المؤلفِ؛ وهذا من أحسنِ ما عبَّرَ به عن معنى «في» في قوله: ﴿فِي ظُلُلٍ﴾؛ وبذلك يَنجُ معنى الآية، ويزول ما يُتوهمُ فيها من إشكالٍ أو تشابه.

سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠٠﴾ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا يَوْفُّهُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ وَاللَّهُ يَزُودُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠١﴾ \* كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَيِّنِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٢﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١٠٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَالْآفْرِيقِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ على وجه التوبيخ لهم، وإقامة الحجة عليهم.

﴿مِّنْ آيَةٍ﴾ معجزات موسى عليه السلام، أو الدلالات <sup>(١)</sup> على نبوة محمد ﷺ.

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ﴾ وعيد.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين، كبلال وصهيب.

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم.

﴿يَوْفُّهُمْ﴾ أي: أحسن حالاً منهم. ويحتمل فوقيّة المكان؛ لأنّ الجنة في السماء.

﴿يَزُودُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إن أراد في الآخرة: فـ ﴿مَنْ﴾ كناية عن المؤمنين. والمعنى: ردّ على

الكفار؛ أي: إن رزق الله الكفار في الدنيا؛ فإن المؤمنين يُرزقون في الآخرة. وإن أراد في

الدنيا: فيحتمل: أن تكون ﴿مَنْ﴾ كناية عن المؤمنين؛ أي: سيرزقهم، ففيه وعد لهم. وأن

(١) في ب، د: «الدلالة».

تكون كناية عن الكافرين؛ أي: أن رزقهم في الدنيا بمشيئة الله، لا على وجه الكرامة لهم.  
﴿بَغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إن كان للمؤمنين: فيحتمل أن يريد: بغير تضيق، أو من حيث لا يحتسبون، أو لا يحاسبون عليه. وإن كان للكفار: فمن غير تضيق.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: متفقين في الدين: قيل: كفاراً؛ في زمان نوح عليه السلام. وقيل: مؤمنون؛ ما بين آدم ونوح، أو من كان مع نوح في السفينة. وعلى ذلك يقدر: فاختلّفوا بعد اتفاقهم؛ ويدل عليه: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩].

﴿الْكِتَابِ﴾ هنا: جنس، أو مع كل نبي كتابه<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الضمير المجرور يعود على ﴿الْكِتَابِ﴾، أو على الضمير المجرور المتقدم<sup>(٢)</sup>، وقال الزمخشري: يعود على «الحق»<sup>(٣)</sup>. وأما الضمير في ﴿أُوتُوهُ﴾: فيعود على ﴿الْكِتَابِ﴾. والمعنى: تقيح الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات.

﴿بَغْيًا﴾ أي: حسداً، أو عدواناً. وهو: مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: أمة محمد ﷺ.

﴿لَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: للحق فيما اختلفوا فيه. ف«ما» بمعنى: الذي، وقبلها مضاف محذوف. والضمير في ﴿اِخْتَلَفُوا﴾: لجميع الناس. يريد: اختلافهم في الأديان، فهدى الله المؤمنين لدين الحق. وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق. و«من» في قوله: ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ لبيان الجنس؛ أي<sup>(٤)</sup>: جنس ما وقع فيه الخلاف<sup>(٥)</sup>.

﴿يَاذِيئَةٍ﴾ قيل: بعلمه. وقيل: بأمره.

(١) في ج، هـ: «كتاب».

(٢) الضمير المجرور المتقدم هو الهاء في قوله ﴿فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ وهي عائدة على «ما» الموصولة، والمراد بها: الدين أو الإسلام، أي: ليحكم بين الناس في الدين الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق. البحر المحيط (٨١/٤).

(٣) الكشف (٣/٣٣٩).

(٤) في ب، ج، هـ: «أعني».

(٥) كذا في د، وهامش أورمزه بـ«خ»، وفي أ، ب، ج، هـ: «جنس المختلف فيه».

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، والأمر بالصبر على الشدائد. ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ أي: لا تدخلون الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ﴾ أي: حالهم، وعبر عنه بالمثل؛ لأنه في شدته يضرب به المثل. ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ بالتخويف والشدائد.

﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ يحتمل أن يكون جواباً للذين قالوا: متى نصر الله؟ أو أن يكون إخباراً مستأنفاً. وقيل: إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه: متى نصر الله؟ ﴿وَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إن أُريد بالنفقة الزكاة: فذلك منسوخ. والصواب: أن المراد التطوع؛ فلا نسخ. وقدّم في الترتيب الأهم فالأهم. وورد السؤال عن المنفق، والجواب عن مصرفه؛ لأنه كان المقصود بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفق في قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ إن كان على الأعيان: فنسخه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٣]، فصار القتال فرض كفاية. وإن كان على الكفاية: فلا نسخ. ﴿كَرِهَ﴾ مصدر: كره<sup>(١)</sup>؛ للمبالغة، أو اسمٌ مفعول<sup>(٢)</sup>؛ كالخبز بمعنى: المخبوز. ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا﴾ حضٌ على القتال.



(١) كذا في أ، ب، د، وفي هامش أ: «خ: ذكر»، وفي ج، هـ: «مصدر ذكره».

(٢) أي: «فعل» بمعنى «مفعول». الكشاف (٣/ ٣٤٦).

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فِتَالٍ فِيهِ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ  
وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَآخِرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْمِثْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ  
يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَزْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ إِسْتَظَعُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قَبِضَتْ  
وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿١٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ  
اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩١﴾ \*يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ  
لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ  
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩٢﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي بُعِثَ فِيهَا  
لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ  
لَأَعْتَنَّكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٩٣﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ  
خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ  
مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ  
بِآذِينِهِ وَيَبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٩٤﴾

﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ جنس، وهي أربعة أشهر: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل من ﴿الشَّهْرِ﴾؛ وهو مقصود السؤال.

﴿قُلْ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: ممنوع؛ ثم نسخته: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾  
[التوبة: ٥]. وذلك بعيد؛ فإن ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ عموم في الأمكنة، لا في الأزمنة. ويظهر أنَّ  
ناسخه: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] بعد ذكر الأشهر الحرم؛ فإن<sup>(١)</sup> التقدير:  
قاتلوا فيها؛ ويدل عليه: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

ويحتمل أن يكون المراد: وقوع القتال في الشهر الحرام؛ أي: إباحته حسبما استقرَّ في  
الشرع؛ فلا تكون الآية منسوخة، بل ناسخة لما كان في أول الإسلام من تحريم القتال في  
الأشهر الحرم.

(١) في د: «فكان».

﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ابتداءً، وما بعده معطوف عليه، و﴿أَكْبَرَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ خبرُ الجميع. أي: أن هذه الأفعال القبيحة التي فعلها الكفار أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عيّر به الكفار المسلمين في سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه حين قاتل في أول يوم من رجب، وقد قيل: إنه ظنّه آخر يوم من جمادى<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْمَسْجِدِ﴾ عطفٌ على: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾ قال الزمخشري: «حتى» هنا: للتعليل<sup>(٢)</sup>.

﴿بِقَوْلِكَ﴾ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ ﴿ذهب مالك<sup>(٣)</sup> إلى أن المرتدَّ يحبط عمله بنفس الارتداد؛ سواءً رجع إلى الإسلام، أو مات على الارتداد، ومن ذلك: انتقاض وضوئه، وبطلان صومه. وذهب الشافعيُّ إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافراً؛ لقوله: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾. وأجاب المالكية: بأنَّ قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾: جزاءٌ على الردة، وقوله: ﴿أَصْحَبُ النَّارِ﴾ هم فيها خالِدُونَ ﴿: جزاءٌ على الموت على الكفر. وفي ذلك نظر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه<sup>(٤)</sup>.

﴿الْخَمْرِ﴾ كلُّ مسكر؛ من العنب وغيره.

﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار. وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجوزور<sup>(٥)</sup>. ثم يدخل في ذلك: النَّزْدُ وَالشَّطْرَنْج وغيرهما. وروي: أَنَّ السَّائِلَ عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٦٥٥-٦٥٦، ٦٦٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٨٤، ٣٨٨) والبيهقي في السنن (١٧٧٤٥) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٣٥).

(٢) الكشف (٣/ ٣٥٠).

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ٦٢-٦٣).

(٤) تقدم تخريجه في الأثر السابق.

(٥) انظر المقدمة الثانية في اللغات، مادة (٦٠١).

(٦) لم أقف عليه، وعلى القول بأن الخمر حُرِّمت بهذه الآية ففيه نظر، فإن حمزة رضي الله عنه استشهد في غزوة أحد، وأما تحريم الخمر فقد كان بعد غزوة أحد، في السنة الثالثة كما قال القرطبي في تفسيره (٨/ ١٥٦)، والذي وقفت عليه أن أول من سأل عن الخمر عمر رضي الله عنه، أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٦٥٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٨٨)، وأحمد (٣٧٨)، أبو داود (٣٦٧٠)، والنسائي (٥٥٥٥)، والترمذي (٣٠٤٩) وصححه، والحاكم (٣١٠١) وصححه ووافقه الذهبي.



﴿إِنَّمَا كَبِيرٌ﴾ نص في التحريم وأنها من الكبائر؛ لأن الإثم حرام؛ لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمُ﴾ [الأعراف: ٣١]. خلافاً لمن قال: إنما حرّمها آية «المائدة»، لا هذه الآية.

﴿وَمَنْعٌ﴾ في الخمر: التلذذ والطرب. وفي القمار: الاكتساب به. ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة؛ قال ابن عباس رضي الله عنه: المنافع قبل التحريم، والإثم بعده <sup>(١)</sup>.

﴿وَأِثْمُهَا أَكْبَرُ﴾ تغليب <sup>(٢)</sup> للإثم على المنفعة، وذلك - أيضاً - بيان للتحريم.

﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ أي: السهل من غير مشقة. وقراءة الجماعة: بالنصب، بإضمار فعل؛ مشاكلة للسؤال؛ (على أن يكون ﴿مَاذَا﴾ مركباً مفعولاً بـ ﴿يَنْهَيُونَ﴾. وقرأ أبو عمرو: بالرفع بالابتداء؛ مشاكلة للسؤال؛) <sup>(٣)</sup> على أن يكون «ما» مبتدأ، و«ذا» خبره.

﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في الدنيا والآخرة أي: في أمرهما.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ كانوا قد تجنّبوا اليتامى تورّعاً؛ فنزلت إباحة <sup>(٤)</sup> مخالطتهم بالإصلاح لهم <sup>(٥)</sup>. فإن قيل: لم جاء ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ بالواو ثلاث مرات، وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟

فالجواب: أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأول وقع في أوقات متفرقة؛ فلم تأت <sup>(٦)</sup> بحرف عطف، وجاءت الثلاث الأخيرة بالواو؛ لأنها كانت متناسقة <sup>(٧)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ تحذير من الفساد، وهو أكل أموال اليتامى.

﴿لَا غُنَّةَ لَكُمْ﴾ لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم. ابن عباس رضي الله عنه <sup>(٨)</sup>: لأهلككم بما سبق

(١) أخرجه الطبري (٦٧٩/٣)، وابن أبي حاتم (٣٩٢/٢).

(٢) في ج، هـ: «تغليبا».

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

(٤) في د: «فنزلت الآية بإباحة».

(٥) أخرجه الطبري (٦٩٩/٣)، وأحمد (٣٠٠٠)، وأبو داود (٢٨٧١) والنسائي (٣٦٧١)، والحاكم (٢٤٩٩)

وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٢٦٧١)، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٦) في ب، ج، هـ: «يات».

(٧) انظر: الكشف (٣٧٤/٣).

(٨) أخرجه الطبري (٧١٠/٣)، وابن أبي حاتم (٣٩٦/٢).

من أكلكم لأموال اليتامى<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ أي: لا تتزوجوا. والنكاح: مشترك بين الوطاء والعقد.

﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ عبّاد الأوثان من العرب، فلا تتناول اليهود ولا النصراني المباح نكاحهن في «المائدة»، فلا تعارض بين الموضعين، ولا نسخ. خلافاً لمن قال: آية «المائدة» نسخت هذه. ولمن قال: هذه نسخت آية «المائدة»؛ فمَنع نكاح الكتابيات. ونزلت الآية بسبب مرثد الغنوي، أراد أن يتزوج امرأة مشركة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤَمِّنَةٌ﴾ أي: أمة لله؛ حرة كانت أو مملوكة. وقيل: أمة مملوكة مؤمنة خير من حرة مشركة.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في الجمال، والمال، وغير ذلك.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تزوجوهم نساءكم. وانعقد الإجماع أن الكافر لا يتزوج مسلمة؛ سواء كان كتابياً أو غيره. واستدل المالكية على وجوب الولاية في النكاح بقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾؛ لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال.

﴿وَلَعَبْدٌ﴾ أي: عبد لله. وقيل: مملوك.

﴿وَأَوْلِيَّكَ﴾ المشركات والمشركون.

﴿يَدْعُونَ إِلَى الْبَارِ﴾ إلى الكفر الموجب للنار.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بإرادته، أو علمه.



(١) من قوله: ﴿لَأَعْتَبُكُمْ﴾ إلى هذا الموضع سقط من ب، ج، هـ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٩٨/٢) عن مقاتل بن حيان أنها نزلت في أبي مرثد [كذا].

وروى الطبري (١٧/١٥١)، وابن أبي حاتم (٨/٢٥٢٦)، وأبو داود (٢٠٥١)، والنسائي (٣٢٢٨)، والترمذي (٣١٧٧) وقال: «حسن غريب»، والحاكم (٢٧٠١) وصححه ووافقه الذهبي: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة بغية يقال لها عناق، وكانت صديقتها، قال: جئت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله أنكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ فدعاني فقرأها علي وقال: «لا تنكحها». وعليه؛ فالآية التي نزلت في مرثد هي آية النور، وليست آية البقرة، والله أعلم.

وَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ بَاغْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَظْهَرْنَ بَاثُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٠﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ بَاثُوا حَرَثَكُمْ أَنْبَى شَيْئَكُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْفُونَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُضِلُّوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ لَا يُوَاقِدُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ بَاءَوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ \*وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾

﴿٣٠﴾ وَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْمَحِيضِ ﴿٣٠﴾ سأل عن ذلك عبّاد بن بشر وأسيد بن الحضير؛ قالوا لرسول الله ﷺ: ألا نجامع النساء في المحيض، خلافاً لليهود؟<sup>(١)</sup> ﴿هُوَ أَذَىٌّ﴾ مستقذر، وهذا تعليلٌ لتحريم الجماع في المحيض.

﴿بَاغْتَرَلُوا النِّسَاءَ﴾ أي: اجتنبوا جماعهنَّ. وقد فسر ذلك الحديث بقوله: «لتشدّ عليها إزارها، وشأنك بأعلاها»<sup>(٢)</sup>.

﴿حَتَّى يَظْهَرْنَ﴾ أي: ينقطع عنهنَّ الدم.

﴿إِذَا تَظْهَرْنَ﴾ أي: اغتسلن بالماء. وتعلّق الحكم: بالغاية الأخيرة عند مالك والشافعي<sup>(٣)</sup>؛ فلا يجوز عندهما وطء الحائض حتى تغتسل. وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة؛ فأجاز الوطء عند انقطاع الدم، وقبل الغسل. وقرئ: ﴿حَتَّى يَظْهَرْنَ﴾:

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢) من حديث أنس ؓ.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٤٨) عن زيد بن أسلم مرسلًا.

(٣) وأحمد، وأكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٧٢/٢)، وقال ابن المنذر في الأوسط (٢/٢١٤): إنه «كالإجماع».

(٤) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: ﴿يَظْهَرْنَ﴾: بالتشديد، وقرأ الباقون ﴿يَظْهَرْنَ﴾ بالتخفيف.

ومعنى هذه القراءة: بالماء؛ فتكون الغائتان<sup>(١)</sup> بمعنى واحد، وذلك حجة لمالك.

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ﴾ قُبُلُ الْمَرْأَةِ.

﴿التَّوْبِينَ﴾ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بِالْمَاءِ، أَوْ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿حَزَتْ لَكُمْ﴾ أَي: مَوْضِعُ حَرْثٍ؛ وَذَلِكَ تَشْبِيهُ لِلْجَمَاعِ فِي إِقَاءِ النُّظْفَةِ وَانْتِظَارِ الْوَلَدِ: بِالْحَرْثِ فِي إِقَاءِ الْبَذْرِ وَانْتِظَارِ الزَّرْعِ.

﴿أَبْنَى شَيْئَكُمْ﴾ أَي: كَيْفَ شَتَمَ مِنَ الْهَيْئَاتِ، أَوْ مَتَى شَتَمَ. لَا: أَيْنَ شَتَمَ؛ لِأَنَّهُ يُوْهِمُ الْإِتْيَانَ فِي الدَّبْرِ، وَقَدْ افْتَرَى مَنْ نَسَبَ جَوَازَهُ إِلَى مَالِكٍ، وَقَدْ تَبَرَّأَ هُوَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ: إِنَّمَا الْحَرْثُ فِي مَوْضِعِ الزَّرْعِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أَي: الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ<sup>(٣)</sup>.

﴿عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أَي: لَا تَكْثُرُوا الْحَلْفَ بِاللَّهِ فَتَبْذُلُوا اسْمَهُ. وَ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ عَلَى هَذَا: عِلَّةٌ لِلنَّهْيِ؛ فَهُوَ مَفْعُولٌ مِنْ أَجَلِهِ، أَي: نَهَيْتُمْ<sup>(٤)</sup> عَنْ كَثْرَةِ الْحَلْفِ كَيْ تَبَرُّوا. وَقِيلَ: الْمَعْنَى: لَا تَحْلِفُوا عَلَى أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا، وَافْعَلُوا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى دُونَ يَمِينٍ. فَ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ عَلَى هَذَا: هُوَ الْمَحْلُوفُ عَلَيْهِ.

وَالْعُرْضَةُ عَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ كَقَوْلِكَ: «فُلَانٌ عُرْضَةٌ لِفُلَانٍ»: إِذَا أَكْثَرَ التَّعَرُّضَ لَهُ. وَقِيلَ: «عُرْضَةٌ» مَانِعٌ؛ مِنْ قَوْلِكَ: «عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ»: حَالٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَذَا. أَي: لَا تَمْتَنِعُوا بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ مِنْ فِعْلِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَمِنْ ذَلِكَ يَمِينُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أَنْ لَا يَنْفَقَ عَلَى مِسْطَحٍ<sup>(٥)</sup>. فَ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ عَلَى هَذَا: عِلَّةٌ لِمَتَنَاعِهِمْ؛ فَهُوَ مَفْعُولٌ مِنْ أَجَلِهِ، أَوْ مَفْعُولٌ بِـ «عُرْضَةٍ»؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى مَانِعٍ.

(١) فِي ج، هـ: «الغاية».

(٢) انظر: عقد الجواهر الثمينة، لابن شأس (٢/٤٦٢).

(٣) فِي ب، د: «الصالحات».

(٤) فِي د: «نهيتكم».

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠) فِي ضَمْنِ حَدِيثِ الْإِفْكَ الطَّوِيلِ الَّذِي رَوَاهُ عَائِشَةُ رضي الله عنها.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ الساقط. وهو عند مالك: قولك<sup>(١)</sup>: «نعم والله»، و«لا والله»، الجاري على اللسان من غير قصد، وفاقًا للشافعي<sup>(٢)</sup>. وقيل: أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه، ثم يظهر خلافه، وفاقًا لأبي حنيفة<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: اللغو: الحلف حين الغضب<sup>(٤)</sup>. وقيل: اللغو: اليمين على المعصية. والمواخذة: العقاب، أو وجوب الكفارة. ﴿يَمَّا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصدت؛ فهو خلاف اللغو. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو اليمين الغموس؛ وذلك أن يحلف على الكذب متعمدًا<sup>(٥)</sup>. وهو حرام إجماعًا. وليس فيه كفارة عند مالك<sup>(٦)</sup>، خلافًا للشافعي<sup>(٧)</sup>.

﴿يُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ يحلفون على ترك وطئهن. وإنما تعدى بـ ﴿مِنْ﴾؛ لأنه تضمن معنى البعد منهن. ويدخل في عموم قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾: كل حالف؛ حرًا كان أو عبدًا. إلا أن مالكا جعل مدة إيلاء العبد شهرين<sup>(٨)</sup>، خلافًا للشافعي<sup>(٩)</sup>.

ويدخل في إطلاق الإيلاء: اليمين بكل ما يلزم عنه حكم<sup>(١٠)</sup>، خلافًا للشافعي<sup>(١١)</sup> في قصره الإيلاء على الحلف بالله؛ ووجهه: أنها اليمين الشرعية. ولا يكون مؤلًا - عند

(١) في ب، د: «كقولك».

(٢) وأحمد، وهو قول أكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/٤٨٠).

(٣) هذا القول الآخر لمالك في معنى لغو اليمين، وافقه عليه أبو حنيفة، وأحمد - أيضًا -، فأحمد يرى الوجهين جميعًا من لغو اليمين. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/٤٧٥-٤٧٦).

(٤) أخرجه الطبري (٤/٢٦)، وابن أبي حاتم (٢/٤١٠).

(٥) أخرجه الطبري (٤/٣٧)، وابن أبي حاتم (٢/٤١٠).

(٦) وأبي حنيفة وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهي المذهب، وهو قول أكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/٤٧٠).

(٧) وهي الرواية الأخرى عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/٤٧٠).

(٨) وهو رواية عن أحمد، اختارها أبو بكر عبد العزيز. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/١٨٨).

(٩) وهي الرواية الأخرى المشهورة عن أحمد، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/١٨٨).

(١٠) فدخل فيه الحلف بالنذر والعنت والطلاق، وهو قول أبي حنيفة ومالك والشافعي في الجديد وأحمد في إحدى الروايتين. مغني المحتاج (٣/٣٤٤)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/١٤٨).

(١١) في القديم، وأحمد في الرواية المشهورة عنه، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/١٤٨).

مالك والشافعي<sup>(١)</sup> - إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر. وعند أبي حنيفة: أربعة أشهر فصاعداً.

فإذا انقضت الأربعة الأشهر: وقف المؤلّي<sup>(٢)</sup> عند مالك والشافعي<sup>(٣)</sup>، فإمّا فاء، وإلا طلق. فإن أبى: طلق عليه الحاكم. وقال أبو حنيفة: إذا انقضت الأربعة الأشهر: وقع الطلاق دون توقيف. ولفظ الآية يحتمل القولين.

﴿وَإِنْ بَاءَوْا رَجِعُوا إِلَى الْوُطءِ، وَكَفَرُوا عَنِ الْيَمِينِ.

﴿عَفْوَرٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر ما في الإيلاء من الإضرار بالمرأة.

﴿عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ العزيمة: على قول مالك<sup>(٤)</sup>: التطلق، أو الإبابة؛ فيطلق عليه الحاكم. وعند أبي حنيفة: ترك الفيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر. والطلاق في الإيلاء رجعي عند مالك<sup>(٥)</sup>، بائن عند الشافعي<sup>(٦)</sup> وأبي حنيفة.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ بيان للعدة، وهو عمومٌ مخصوص؛ خرجت منه: الحامل بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]. واليايسة والصغيرة بقوله: ﴿وَالِئِنْ يَبْسُ مِنْ الْمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤] الآية. والتي لم يدخل بها بقوله: ﴿بِمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩]. فيبقى حكمها: في المدخول بها، وهي في سنٍّ من تحيض. وقد خصّ مالك منها: الأمة؛ فجعل عدتها قرأين<sup>(٧)</sup>. و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ خبرٌ بمعنى الأمر.

﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ انتصب ﴿ثَلَاثَةَ﴾ على أنه مفعولٌ به؛ هكذا قال الزمخشري<sup>(٨)</sup>.

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٥٣/٢٣).

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب، ج، هـ.

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩٠/٢٣).

(٤) والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩٠/٢٣).

(٥) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١٦/٢٣).

(٦) مذهب الشافعي أن هذا الطلاق رجعي، وليس بائناً. الحاوي الكبير للماوردي (٣٥٧/١٠).

(٧) وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم، خلافاً لداود الظاهري. المقنع مع الشرح الكبير

والإنصاف (٤١/٢٤).

(٨) الكشف (٣٩٤/٣).

﴿فَرَوَّءٌ﴾: جمع قُرءٍ؛ وهو مشترك - في اللغة - بين الطُّهر والحِض. فحمله مالك والشافعي<sup>(١)</sup> على الطُّهر؛ لإثبات التاء في ﴿ثَلَاثَةٌ﴾، فإن الطُّهر مذكَّرٌ، والحِض مؤنثٌ، ولقول عائشة رضي الله عنها: الأقراء هي الأطهار<sup>(٢)</sup>. وحمله أبو حنيفة على الحِض<sup>(٣)</sup>؛ لأنه الدليل على براءة الرحم، وذلك مقصود العدة. فعلى قول مالك: تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة، إذا طَلَّقَهَا في طهر لم يمسَّها فيه. وعند أبي حنيفة: بالطهر منها.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ أَرْحَامِيَهِنَّ﴾ يعني: الحمل والحِض.

﴿وَيَعُولَتُهُنَّ﴾ جمع بعلٍ؛ وهو هنا الزوج.

﴿فِيهِ ذَالِكُ﴾ أي: في زمان العدة.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ من الاستمتاع، وحسن المعاشرة.

﴿دَرَجَةً﴾ في الكرامة. وقيل: الإنفاق. وقيل: كونُ الطلاق بيده.



(١) وأحمد في إحدئ الروايتين، وصرَّح برجوعه عنها. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٣/٢٤).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٨٢٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٠٦٥).

(٣) وهي الرواية الأخرى عن أحمد، وهي أصح الروايتين عنه، وهي المذهب عند الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٣/٢٤).

الطَّلُقَ مَرَّتَيْنِ بِإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا  
ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ  
عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الظَّالِمُونَ ﴿٥٥﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ  
يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ قَبْلَ أَنْ أَجْلَهُنَّ بِإِمْسَاكِهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِمَعْرُوفٍ  
وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِيَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ  
هُزُوءًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعْظِمُ بِهِ،  
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ قَبْلَ أَنْ أَجْلَهُنَّ فَلَا  
تَعْضِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ، مَنْ كَانَ  
مِنْكُمْ يَوْمٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمَ زَكَاةٌ لَكُمْ وَأَظْهَرَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾

﴿الطَّلُقَ مَرَّتَيْنِ﴾ بيان لعدد الطلاق الذي يُرتجع منه دون زوج آخر. وقيل: بيان لعدد  
الطلاق الذي يجوز إيقاعه، وهو طلاق السنة.

﴿بِإِمْسَاكِ﴾ ارتجاع. وهو مرفوع: بالابتداء، أو بالخبر<sup>(١)</sup>. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حُسن المعاشرة،  
وتوفية الحقوق. ﴿أَوْ تَسْرِيحٍ﴾ هو تركها حتى تنقضي العدة، فتبين منه. ﴿بِإِحْسَنِ﴾ المتعة.

وقيل: التسريح هنا: الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث ضعيف<sup>(٢)</sup>.  
وهو بعيد؛ لأن قوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون

(١) على الرفع بالابتداء يكون الخبر: أمثل أو أحسن، وعلى الرفع بالخبر يكون تقدير المبتدأ: فالواجب إمساك.  
المحرر الوجيز (٢/٥٦٢).

(٢) أخرج الطبري (٤/١٣٠-١٣١)، وابن أبي حاتم (٢/٤١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٥٦١)، وعبد الرزاق في  
مصنفه (١١٠٩١) عن أبي رزين الأسدي، قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله أرأيت قوله: ﴿الطَّلُقُ  
مَرَّتَيْنِ فَإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ﴾ فأين الثالثة؟ قال رسول الله ﷺ: ﴿إِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحٍ  
بِإِحْسَانٍ﴾ هي الثالثة، وهذا الحديث مرسل، وروي موصولاً عن أنس رضي الله عنه، رواه الدارقطني (٣٨٨٩)  
والبيهقي (١٤٩٩١)، وصوباً إرساله.



تكراراً، أو طلاقةً رابعة لا معنى لها.

﴿وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا﴾ الآية؛ نزلت بسبب ثابت بن قيس، اشتكت به امرأته إلى رسول الله ﷺ فقال لها: «أتردّين عليه حديثه؟» قالت: نعم، فدعاه فطلقها على ذلك<sup>(١)</sup>.

وحكمها على العموم. وهي خطاب للأزواج في حكم الفدية؛ وهي الخلع. وظاهرها أنه: لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان ألا يقيما حدود الله، وذلك إذا ساء ما بينهما وقُبِحت معاشرتهم. ثم إن المخالعة على أربعة أحوال:

الأول: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة: فأجازها مالك وغيره<sup>(٢)</sup>؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ الآية [النساء: ٤].

ومنعها قوم<sup>(٣)</sup>؛ لقوله في هذه الآية: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون الضرر منهما جميعاً: فمنعه مالك في المشهور<sup>(٤)</sup>؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا عَاقَبْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩]. وأجازه الشافعي<sup>(٥)</sup>؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

الثالث: أن يكون الضرر من الزوجة خاصة: فأجازها الجمهور؛ لظاهر هذه الآية. والرابع: أن يكون الضرر من الزوج خاصة: فمنعه الجمهور؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ

إِسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ الآية [النساء: ٢٠].

(١) أخرجه الطبري (١٣٩/٤) عن ابن جريج، وقصة ثابت من دون ذكر سبب النزول أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٧٣) عن ابن عباس ؓ.

(٢) وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهي المذهب، وهو قول أكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/٢٢).

(٣) وهو قول داود الظاهري، ورواية عن أحمد، اختارها ابن بطة وابن قدامة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/٢٢-١١).

(٤) وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهي المذهب، وهو قول أكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/٢٢).

(٥) وهو قول داود الظاهري، وهو رواية عن أحمد، اختارها ابن بطة وابن قدامة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/٢٢-١١).

وقد منع بعضهم الخلع مطلقاً<sup>(١)</sup>؛ لقوله: ﴿وَأَنْ أَرَدْتُمْ إِسْتِئْذَالَ زَوْجٍ﴾ الآية. وأجازه أبو حنيفة مطلقاً، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة.

﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكام والمتوسطين في هذا الأمر.

﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾ هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ﴾.

﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ أجمعت الأمة على أن النكاح هنا هو العقد، مع الدخول والوطء؛ لقوله ﷺ للمطلقة ثلاثاً حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسه الزوج الآخر: «لا؛ حتى تذوقي عُسَيْلَتَهُ ويذوق عُسَيْلَتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن سعيد بن المسيب أن العقد يُحلُّها دون وطء<sup>(٣)</sup>، وهو قول مرفوض؛ لمخالفته للحديث، وخرقه للإجماع. وإنما يُحلُّ<sup>(٤)</sup> عند مالك إذا كان النكاح صحيحاً لا شبهة فيه<sup>(٥)</sup>، والوطء مباحاً في غير حيض، ولا إحرام، ولا اعتكاف، ولا صيام<sup>(٦)</sup>، خلافاً لابن الماجشون في الوطء غير المباح<sup>(٧)</sup>.

(١) شدَّ بهذا القول بكر بن عبد الله المزني، وأدعى كون الآية منسوخة. الاستذكار، لابن عبد البر (١٧/١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣) عن عائشة ؓ.

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار (١٦/١٥٦)، قال ابن كثير (١/٦٢٢): «واشتهر بين كثير من الفقهاء عن سعيد بن المسيب ؓ أنه يقول: يحصل المقصود من تحليلها للأول بمجرد العقد على الثاني، وفي صحته عنه نظر، على أن الشيخ أبا عمر بن عبد البر قد حكاه عنه في الاستذكار، فالحق أعلم»، وقال ابن حجر في الفتح (٩/٤٦٧): «قال ابن المنذر: أجمع العلماء على اشتراط الجماع لتحل للأول إلا سعيد بن المسيب، ثم ساق بسنده الصحيح عنه قال: يقول الناس: لا تحل للأول حتى يجامعها الثاني وأنا أقول: إذا تزوجها تزويجاً صحيحاً لا يريد بذلك إحلالها للأول فلا بأس أن يتزوجها الأول، وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور، وفيه تعقب على من استبعد صحته عن سعيد...» وانظر تمة كلامه.

(٤) في د: «تحل».

(٥) وهو قول أبي حنيفة وأحمد والشافعي في الجديد، خلافاً لقوله في القديم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/١٢٢).

(٦) وهو مذهب الحنابلة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/١٢٨).

(٧) وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي، واختاره ابن قدامة من الحنابلة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/١٢٨).

وأما نكاح المحلل: فحرام، ولا يُحلُّ الزوجة لزوجها عند مالك<sup>(١)</sup>، خلافاً لأبي حنيفة. والمعتبر في ذلك: نية المحلل، لا نية المرأة، ولا المحلل له. وقال قوم: من نوى التحليل منهم أفسد.

﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾ يعني: هذا الزوج الثاني.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوجة والزوج الأول.

﴿أَنْ يُفِيصَا حَدَّ اللَّهِ﴾ أي: أوامره فيما يجب من حقوق الزوجية.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية؛ خطابٌ للأزواج. وهو نهي عن أن يطول الرجل العدة على المرأة؛ مضارةً منه لها، بأن يرتجع قرب انقضاء العدة، ثم يطلق بعد ذلك. ومعنى: ﴿قَبْلَ أَنْ أَجْلَهُنَّ﴾ في هذا الموضع: قارب انقضاء العدة، وليس المراد: انقضاؤها؛ لأنه ليس بيده إمساك حينئذ. ومعنى ﴿بِأَمْسِكُوهُنَّ﴾: راجعوهن. و﴿بِمَغْرُوبٍ﴾ هنا: قيل: هو الإشهاد. وقيل: النفقة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية؛ هذه الأخرى خطابٌ للأولياء. وبلوغ الأجل هنا: انقضاء العدة. و﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي: لا تمنعهن.

﴿أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي: يراجعن الأزواج الذين طلقوهن. قال السهيلي: نزلت في معقل بن يسار<sup>(٢)</sup>، كان له أخت، فطلقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته، فمنعها أخوها<sup>(٣)</sup>. وقيل: نزلت في جابر بن عبد الله؛ وذلك أن رجلاً طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها، ثم أراد ارتجاعها، فمنعها جابر وقال: تركتها وأنت أملك بها، لا زواجكها أبداً، فنزلت الآية<sup>(٤)</sup>.

و﴿بِالْمَغْرُوبِ﴾ هنا: الصداق. وقيل: الإشهاد. وهذه الآية تقتضي ثبوت حق الولي في إنكاح وليته، خلافاً لأبي حنيفة.

(١) وهو قول عامة أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٠٥/٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٢٩) عنه ﷺ.

(٣) انظر: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، للسهيلي، تحقيق: النقراط، ص: ٦٩.

(٤) أخرجه الطبري (١٩١/٤) عن السدي، قال ابن كثير (٦٣٢/١): «والصحيح الأول» أي: نزولها في معقل.

﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، أو لكلِّ أحدٍ على حَدِّته؛ ولذلك وُحِّدَ ضمير الخطاب.

﴿ذَلِكَمَ أَزْكِي﴾ خطابٌ للمؤمنين، والإشارة إلى ترك العَصَل. ومعنى ﴿أَزْكِي﴾: أطيبُ للنفس. ومعنى ﴿وَأَظْهَرُ﴾: للدين والعِرض.



\*وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيمَ الرِّضْعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا بَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٦٨﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوبًا ﴿٦٩﴾ وَلَا تَغْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٧٠﴾

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ خبر بمعنى الأمر. وتقتضي الآية حكمين:

الأول: مَنْ يُرْضِعُ الْوَلَدَ: مذهب<sup>(١)</sup> مالك: أن المرأة يجب عليها رضاع ولدها ما دامت في عصمة والده، إلا أن تكون شريفة لا يُرضع مثلها، فلا يلزمها ذلك. وإن كان والده قد مات وليس للولد<sup>(٢)</sup> مال لزمها إرضاعه في المشهور، وقيل: أجرة رضاعه على بيت المال. وإن كانت مطلقة بائناً<sup>(٣)</sup>: لم يلزمها إرضاعه؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَبَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، إلا أن تشاء هي؛ فهي أحقُّ به بأجرة المثل. وإن<sup>(٤)</sup> لم يقبل غيرها: وجب<sup>(٥)</sup> عليها إرضاعه.

ومذهب الشافعي وأبي حنيفة<sup>(٦)</sup>: أنها لا يلزمها إرضاعه أصلاً، والأمر في هذه الآية

(١) في د: «مذهب».

(٢) في د: «اللابن» وكذا في هامش أورمز لها بـ«خ».

(٣) في د: «طلقت بائناً».

(٤) في ب، ج، هـ: «فإن».

(٥) في ب، ج، هـ: «فيجب».

(٦) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٤٢٩).

عندهما على الندب. وقال أبو ثور: يلزمها على الإطلاق؛ لظاهر الآية، فحملها على الوجوب. وأما مالك: فحملها في موضع على الوجوب، وفي موضع على الندب، وفي موضع على التخيير، حسبما ذكرنا<sup>(١)</sup> من التقسيم في المذهب.

الحكم الثاني: مدة الرضاع: وقد ذكرها في قوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وإنما وصفهما بكاملين؛ لأنه يجوز أن يقال في حولٍ وبعضٍ آخر: حولان، فرفع ذلك الاحتمال. وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرَّضْعَةَ﴾. واشترط أن يكون الفطام عن تراضي الأبوين بقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا بِصَالٍ﴾ الآية.

فإن لم يكن على الولد ضررٌ في الفطام فلا جناح عليهما. ومن دعا منهما إلى تمام الحولين: فذلك له. وأما بعد الحولين: فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يرضعُ حولين من مكث في البطن ستة أشهر، فإن مكث سبعة فرضاعه: ثلاثة وعشرون شهرًا، وإن مكث تسعة فرضاعه: أحدٌ وعشرون؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحاف: ١٤]<sup>(٢)</sup>.

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ في هذه النفقة والكسوة قولان: أحدهما: أنها أجرة رضاع الولد، أوجبها الله للأم على الوالد، وهو قول الزمخشري<sup>(٣)</sup> وابن العربي<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، قال منذر بن سعيد البلوطي: هذه الآية نصٌ في وجوب نفقة الرجل على زوجته، وعلى ذلك حملها ابن القرس<sup>(٥)</sup>.

﴿بِالْمَغْرُوبِ﴾ هنا: أي: على قدر حال الزوج في ماله، والزوجة في منصبها، وقد بين ذلك بقوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

(١) في ب، ج، هـ: «ذكروا».

(٢) أخرجه الطبري (٢٠١/٤-٢٠٢)، وابن أبي حاتم (٣٢٩٤/١٠)، والبيهقي في السنن (١٥٥٤٨)، والحاكم (٣١٠٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: الكشف (٤١٦/٣).

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٢٠٣/١).

(٥) انظر: أحكام القرآن، لابن القرس (٣٤٠/١).

﴿لَا تَصَارَ وَلِدَةً يُولَدُهَا﴾ قرئ<sup>(١)</sup>: بفتح الراء - لالتقاء الساكنين -؛ على النهي، وبرفعها؛ على الخبر، ومعناه النهي.

ويحتمل على كل واحد من الوجهين: أن يكون الفعل مسندًا إلى الفاعل؛ فيكون ما قبل الآخر مكسورًا قبل الإدغام. أو يكون مسندًا إلى المفعول، فيكون مفتوحًا.

والمعنى على الوجهين: النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد. ويدخل في عموم النهي: وجوه الضرر كلها. والباء في قوله ﴿يُولَدُهَا﴾ و﴿يُولَدُهَا﴾: سببية. والمراد بقوله: ﴿مَوْلُودٌ لَهُ﴾: الوالد، وإنما ذكره بهذا اللفظ؛ إعلًا بأن الولد يُنسب له، لا للأم.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ اختلف في الوارث: فقيل: وارث المولود له. وقيل: وارث الصبي لو مات. وقيل: هو الصبي نفسه. وقيل: من بقي من أبويه. واختلف في المراد بقوله: ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: فقال مالك وأصحابه: عدم المضاربة، وذلك يجري مع كل قول في الوارث؛ لأن ترك الضرر واجب على كل أحد.

وقيل: المراد: أجره الرضاع في النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث: فأما على القول بأن الوارث هو الصبي: فلا إشكال؛ لأن أجره رضاعه في ماله. وأما على سائر الأقوال: فقيل: إن الآية منسوخة؛ فلا تجب أجره الرضاع على أحد غير الوالد<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنها مُحْكَمَةٌ؛ فتجب أجره الرضاع على وارث الصبي لو مات، أو على وارث الوالد<sup>(٣)</sup>، وهو قول قتادة<sup>(٤)</sup> والحسن البصري<sup>(٥)</sup>.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾ إياحة لاتخاذ الظئر.

﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ﴾ أي: دفعتم أجره الرضاع.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع الراء، وقرأ الباقون بنصبها.

(٢) وهو قول مالك والشافعي. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٩٥/٢٤).

(٣) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٩٣/٢٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٣٥٠/١)، والطبري (٢٢١/٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢٢-٢٢٣)، وابن أبي حاتم (٤٣٣/٢).

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية؛ عموم في كل متوفى عنها؛ سواء توفي زوجها قبل الدخول أو بعده. إلا الحامل؛ فعِدَّتُها وضع حملها؛ سواء وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء<sup>(١)</sup>. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: عِدَّتُها أبعْدُ الأجلين<sup>(٢)</sup>. وخصَّ مالك من ذلك: الأمة؛ فعِدَّتُها في الوفاة: شهران وخمسة ليالٍ<sup>(٣)</sup>.

و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ معناه: عن التزوج. وقيل: وعن<sup>(٤)</sup> الزينة؛ فيكون أمراً بالإحداد. وإعراب ﴿وَالَّذِينَ﴾: مبتدأ، وخبره: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ على تقدير: أزواجهم يتربصن. وقيل: التقدير: وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن. وقال الكوفيون: الخبر عن ﴿وَالَّذِينَ﴾ متروك، والقصد: الإخبار عن أزواجهم.

﴿فِيمَا بَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من الزوج والزينة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٥)</sup> هنا: إذا كان غير منكر. وقيل: معناه الإشهاد.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ الآية؛ إباحة للتعريض بخطبة المرأة المعتدة. ويقتضي ذلك: النهي عن التصريح. ثم أباح ما يضمن في النفس بقوله: ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾.

﴿سَتَذْكُرُوهُنَّ﴾ أي: تذكروهن<sup>(٦)</sup> في نفوسكم، وبألسنتكم لمن يخف عليكم. وقيل: أي ستخطبونهن إن لم تنهوا<sup>(٧)</sup> عن ذلك.

(١) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١١/٢٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٣٨١)، (١٧٣٨٥)، (١٧٣٨٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٧١٤)، والبيهقي في السنن (١٥٤٧٤).

(٣) وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وعليه عامة أهل العلم إلا ابن سيرين. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٩/٢٤).

(٤) في د: «عن» بلا واو.

(٥) في ب، د، هـ: «فالمعروف».

(٦) في ب، ج، هـ: «تذكروهن».

(٧) في ج، د: «تنهوا».



﴿لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: لا تواعدوهن في العدة خفية بأن تتزوجوهن بعد العدة. وقال مالك فيمن يعد<sup>(١)</sup> في العدة ثم يتزوج بعدها: فراقها أحب إليّ، ثم يكون خاطبًا من الخطّاب. وقال ابن القاسم: يجب فراقها.

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ استثناء منقطع. والقول المعروف: هو ما أبيع من التعريض؛ كقوله: «إنكم لأكفء كرام»، وقوله: «إن الله سيفعل معك خيرًا»، وشبه ذلك.

﴿وَلَا تَغْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ الآية؛ نهى عن عقد النكاح قبل تمام العدة. و﴿الْكِتَابِ﴾ هنا: القدر الذي شرع من المدة. ومن تزوّج امرأة في عدتها فرّق بينهما اتفاقًا. فإن دخل بها حرّمت عليه على التأييد عند مالك<sup>(٢)</sup>، خلافًا للشافعي وأبي حنيفة<sup>(٣)</sup>.

واختلف عن مالك في تأييد التحريم إذا لم يدخل بها، أو إذا دخل بها ولم يطأها.



(١) في د: «يواعد».

(٢) وأحمد في إحدى الروايتين. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١١٩ / ٢٤).

(٣) وأحمد في الرواية الأخرى، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١١٩ / ٢٤).

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُفْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا أَلَدَى يَدَيْهِ عِفْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ خَلِّطُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٤٠﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا إِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا بَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٤٣﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٨﴾ «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ» الآية؛ قيل: إنها إباحة للطلاق قبل دخول. لما نهي عن التزوج بمعنى الدوق، وأمر بالتزوج طلب العصمة ودوام الصحبة: ظن قوم أن من طلق قبل البناء وقع في المنهي عنه، فنزلت الآية رافعة للجناح في ذلك<sup>(١)</sup>. وقيل: إنها في بيان ما يلزم من الصداق والمُتعة في الطلاق قبل الدخول.

وذلك أن مَنْ طلق قبل الدخول: فإن كان لم يفرض لها صداقاً - وذلك في نكاح التفويض -: فلا شيء عليه من الصداق؛ لقوله: «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ» الآية، فالمعنى: لا طلب عليكم بشيء من الصداق. ويؤمر بالمتعة؛ لقوله تعالى: «وَمَتَّعُوهُنَّ». وإن كان قد فرض لها: فعليه نصف الصداق؛ لقوله تعالى: «فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ». ولا مُتعة عليه؛ لأن المتعة إنما ذُكرت لمن لم يفرض لها؛ فقوله: «أَوْ تَفْرِضُوا» «أو» فيه بمعنى الواو.

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي: أحسنوا إليهن، وأعطوهن شيئاً عند الطلاق. والأمر بالمتعة مندوب عند

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٥٨٩) ولم أقف على إسناد له.

مالك، واجبٌ عند الشافعي<sup>(١)</sup>.

﴿عَلَى الْمُسِيحِ قَذَرَةٌ﴾ أي: يُمْتَعُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى قَدَرٍ مَا يَجِدُ. و ﴿الْمُسِيحِ﴾: الغني، و ﴿الْمُفْتِرِ﴾: الضَّيِّقُ الحال. و قرئ بإسكان دال ﴿قَذَرَةٌ﴾ وفتحها<sup>(٢)</sup>؛ وهما بمعنى. و ﴿بِالْمَغْرُوفِ﴾ هنا: أي: لا حَمْلَ فيه، ولا تَكْلُفَ على أحد الجانبين.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ تعلق الشافعي في وجوب المتعة بقوله: ﴿حَقًّا﴾. وتعلق مالك في الندب بقوله: ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾؛ لأنَّ الإحسان تطَوُّعٌ بما لا يلزم.

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ الآية؛ بيان أن المطلقة قبل الدخول لها نصف الصداق إذا كان قد فُرض لها صداقٌ مسمًى، بخلاف نكاح التفويض.

﴿إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ﴾ النون فيه: نون جماعة النسوة؛ يريد: المطلقات. والعفو هنا: بمعنى الإسقاط. أي: للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق، إلا أن يُسْقِطَنَّهُ، وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها.

﴿أَوْ يَغْفُوا أَلَدَّ بِيَدِهِ عَفْدَةُ الْتِكَاحِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> ومالك وغيرهما<sup>(٤)</sup>: هو الولي الذي تكون المرأة في حجره، كالأب في ابنته المحجورة، والسيد في أُمته، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب له بالطلاق قبل الدخول.

وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء<sup>(٥)</sup>. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(٦)</sup> والشافعي<sup>(٧)</sup>: ﴿أَلَدَّ بِيَدِهِ عَفْدَةُ الْتِكَاحِ﴾ هو الزوج.

(١) وأبي حنيفة وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/٢٦٩).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر وحفص عن عاصم بفتح الدال، وقرأ الباقر بإسكانها.

(٣) أخرجه الطبري (٤/٣١٧، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٤)، وابن أبي حاتم (٢/٤٤٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٢٨٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠٨٥٢)، والبيهقي في السنن (١٤٤٥٦).

(٤) وهو رواية عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/٢٠٢).

(٥) أخرجه الطبري (٤/٣١٩)، والبيهقي في السنن (١٤٤٥١)، ثم رجع شريح بعد عن قوله هذا، وقال إنه الزوج.

(٦) أخرجه الطبري (٤/٣٢٤)، وابن أبي حاتم (٢/٤٤٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٧٢٦٦)، والدارقطني (٣٧١٣)، (٣٧١٧)، والبيهقي في السنن (١٤٤٤٥).

(٧) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في المشهور عنه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/٢٠١).

وعفوه: أن يعطي النصف الذي سقط عنه من الصداق. ولا يجوز عندهم أن يسقط الأب النصف الواجب لبنته. وحجة مالك: أن قوله: «الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ» في الحال؛ والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقد نكاح.

وحجة الشافعي: قوله تعالى: «وَأَنْ تَغْفِرُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى» فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضل، وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى؛ لأنه إسقاط<sup>(١)</sup> حق الغير.

«وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» قيل: إنه يعني إسقاط المرأة نصف صداقها، أو دفع الرجل النصف الساقط عنه. واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى﴾ جرد ذكرها بعد دخولها في «الصَّلَاةِ»؛ اعتناء بها. وهي الصبح عند مالك وأهل المدينة<sup>(٢)</sup>، والعصر<sup>(٣)</sup> عند علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٤)</sup>؛ لقوله عليه السلام: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»<sup>(٥)</sup>. وقيل: هي الظهر، وقيل: المغرب، وقيل: العشاء الآخرة، وقيل: الجمعة.

وسُميت وسطى: لتوسطها في عدد الركعات، على القول بأنها المغرب؛ لأنها بين الركعتين والأربع. أو لتوسط وقتها على القول بأنها الصبح؛ لأنها متوسطة بين الليل والنهار، وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة؛ لأنها في وسط النهار. أو لفضلها؛ من الوسط؛ وهو الخيار، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها.

﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ﴾ معناه: في صلاتكم.

(١) في ج، د: «أسقط».

(٢) والشافعي. مغني المحتاج للشريني (١/١٢٤).

(٣) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد، وهو قول أكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/١٤١).

(٤) أخرجه الطبري (٤/٣٤٢)، وابن أبي حاتم (٢/٤٤٨)، وابن أبي شيبة (٨٦٩٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢١٩٥).

(٥) أخرجه مسلم (٦٢٨).

﴿فَتَيْنِ﴾ هنا: ساكتين؛ وكانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت. قاله ابن مسعود<sup>(١)</sup>، وزيد بن أرقم<sup>(٢)</sup> . وقيل: خاشعين. وقيل هنا: طول القيام.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: من عدو، أو سبع، أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس. ﴿فَرَجَالًا﴾ جمع راجل؛ أي: على رجله.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب. أي: صلوا كيفما كنتم من ركوب أو غيره، وذلك في صلاة المسابقة. ولا يُنقص فيها من ركعتين في السفر، وأربع في الحضر عند مالك<sup>(٣)</sup>.

﴿بِإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ الآية؛ قيل: المعنى: إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي علمتموها؛ وهي التامة. وقيل: إذا أمنتهم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التي تُجزئكم في حال الخوف. فالذكر على القول الأول: بمعنى الصلاة، وعلى الثاني: بمعنى الشكر.

﴿وَالَّذِينَ يَتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ هذه الآية منسوخة. ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنة، ويُنفق عليها من ماله، وذلك وصية لها. ثم تُسَخَّرُ إقامتها سنة: بالأربعة الأشهر والعشر. وتُسَخَّرُ النفقة: بالربع أو الثمن الذي لها في الميراث؛ حسبما ذكر في سورة «النساء».

وإعراب ﴿وَصِيَّةً﴾: مبتدأ، وخبره: ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾، أو مضمرة تقديره: فعليهم وصية. وقرئت بالنصب<sup>(٤)</sup>: على المصدر؛ تقديره: ليوصوا وصية. و﴿مَتْلَعًا﴾: نصب على المصدر. ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: ليس لأولياء الميت إخراج المرأة.

﴿وَإِنْ خَرَجَ﴾ معناه: إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت في نفسها من تزوج وزينة.

(١) أخرجه الطبري (٤/٣٧٩، ٣٨٠)، والنسائي (١٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩).

(٣) وهو قول أكثر أهل العلم، منهم الأئمة الأربعة، خلافاً لمن أجاز قصرها ركعة في شدة الخوف. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/١٤٠-١٤١).

(٤) قرأ أبو عمرو وابن عامر وحزمة وحفص عن عاصم ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ عامٌ في إمتاع كلِّ مطلَّقة؛ وبعمومه أخذ أبو ثور. واستثنى الجمهور: المطلقة قبل الدخول، وقد فُرض لها؛ بالآية المتقدمة. واستثنى مالك: المختلعة والملاينة.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَفَيِّنِ﴾ يدلُّ على وجوب المتعة؛ وهي الإحسان للمطلقات؛ لأن التقوى واجبة؛ ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكدة للمتعة؛ لأنه نزل قبلها: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، فقال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع، فنزلت: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَفَيِّنِ﴾<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه الطبري (٤/ ٤١١-٤١٢) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

\* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ مَن ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْضِي وَبِئْضَاطٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِ لَهُمْ إِنْبِئْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنْبِئْهُمْ لَهَ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُشَاءْ وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمَهُ ﴿١٩﴾ \* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية قلب.

﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وهم قومٌ من بني إسرائيل، أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال، فخرجوا من ديارهم فرارًا من ذلك، فأماهم الله؛ ليعرفهم أنهم لا ينجيهم من الموت شيءٌ. وقيل: بل فرُّوا من الطاعون.

﴿وَهَمْزُ الْاُتُوْفِ﴾ جمع الف؛ قيل: ثمانون ألفًا. وقيل: ثلاثون ألفًا. وقيل: ثمانية آلاف. وقيل: هو من الألفه؛ وهذا ضعيف.

﴿بَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾. عبارة عن إمامتهم، وقيل: إن ملكين صاحبا بهم: «موتوا»، فماتوا<sup>(١)</sup>. ﴿ثُمَّ أَخْيَاهُمُ﴾ ليستوفوا آجالهم.

(١١) (التعليق ٣٤) قال الشيخ عبد الرحمن البراك، قوله: «عبارة عن إمامتهم» يريد أن القول عبارة عن إمامتهم أو صيحة الملكين، وظاهره نفي حقيقة القول من الله، وتأويله بأحد الأمرين، فجعل القول المضاف إلى الله مجازاً، عبّر به عن فعل الإمامة، أو عن قول الملكين، وكلّ من التأويلين لا دليل عليه، =

﴿وَقَتِلُوا﴾ خطاب لهذه الأمة. وقيل: للذين أماتهم الله ثم أحياهم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ استفهام يراد به: الطلب، والحض على الإنفاق. وذكر لفظ القرض؛ تقريباً للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب، كما ينتظر المسلف ردَّ ما أسلف. وروي: أن الآية نزلت في أبي الدحداح حين تصدَّق بحائطٍ لم يكن له غيره<sup>(١)</sup>.

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: خالصاً طيباً من حلال، من غير مَنْ ولا أذى.

﴿فَيَضَعُهَا رَدًّا﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف<sup>(٢)</sup>، وبالرفع<sup>(٣)</sup>: على الاستئناف، أو عطفاً على ﴿يُقْرِضُ﴾، وبالنصب: في جواب الاستفهام.

﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ عشرة فما فوقها إلى سبع مئة.

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ إخبار يراد به: الترغيب في الإنفاق<sup>(٤)</sup>.

= وهما صرف للكلام عن ظاهره بغير حجة، فتكون حقيقتهما تحريفاً للكلم عن مواضعه، والحق أن القول من الله حقيقة، وأنه تعالى تكلم بهذا الأمر الكوني: «موتوا»، ثم أحياهم، ولا أدري ما الذي ألجأ المؤلف إلى هذا التأويل؟ ولعله المذهب المشهور عند الأشاعرة في كلام الله أنه معنى نفسي، وما كان كذلك لا يكون قولاً، وإن كان الأمر كذلك لزم أن يتأول كل قول جاء في القرآن، ولا يخفى أنه لا يحصى، فكم في القرآن من إضافة القول إلى الله، ماضياً ومضارعاً وأمرًا وخبراً، وهذا أمر عظيم، أعني نفى حقيقة القول عن الله، وصرف هذه الآيات عن ظاهرها، وقد تبين أن هذا منهج ابن جزري - عفا الله عنه - في كل قول من الله تضمن أمراً كونياً، فانظر كلامه على قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ في سورة البقرة، وعلى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ أَفَعَسَاؤُكُمْ أَلْفَعْدُ﴾ في سورة براءة، فقد جعل القول في سورة البقرة عبارة عن المسخ، وفي سورة براءة جعله عبارة عن القضاء عليهم بالقعود. فسبحان الله العظيم عما يقول الجاهلون والغالطون علواً كبيراً.

(١) لم تنزل الآية بسبب تصدَّق أبي الدحداح ﷺ، وإنما لما نزلت تصدَّق أبو الدحداح، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو الدحداح: يا رسول الله، أو إن الله يريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح»، قال: يذك، قال: فناوله يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي؛ حائطاً فيه ست مئة نخلة.. الحديث. أخرجه الطبري (٤/٤٣٠) وابن أبي حاتم (٣٣٣٨/١٠)، والبيهقي في مسنده (٢٠٣٣)، وأبو يعلى في مسنده (٤٩٨٦)، وضعفه ابن حجر في المطالب العلية (١٦/٤٢١)، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٧/١١٢).

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين مع حذف الألف، وقرأ الباقر بالتخفيف والألف.

(٣) قرأ ابن عامر وعاصم بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع.

(٤) [التعليق ٢٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ليس في العبارة إشكال، ووجه ما ذكره المؤلف: أن الإنفاق سبب لبسط الرزق، والإقتار سبب لتضييقه.



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِرُؤُوسِهِمْ فَنُحِلُّهُمْ أَفْئِدَةً مِنَ الدُّنْيَا لِيُكَفِّرُوا عَنْهُمْ أَسَفَهُمْ﴾ وكانوا قومًا نالتهم الذلة من أعدائهم، فطلبوا الإذن في القتال، فلما أمروا به كرهوه.

﴿لَتَنِيَّ لَهُمْ﴾ قيل: اسمه شَمُوِيل<sup>(١)</sup>. وقيل: شَمْعُون.

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي: قاربتم، وأراد النبي المذكور أن يتوَقَّع منهم. ويجوز في السين من ﴿عَسَيْتُمْ﴾: الكسر، والفتح؛ وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر. وأمَّا إذا لم يتصل بـ«عسى» ضمير: فلا يجوز فيها إلا الفتح.

﴿ظَالُوتَ مَلِكًا﴾ قال وهب بن منبّه: أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنشّ الدهن<sup>(٢)</sup> الذي في القرن<sup>(٣)</sup>: فهو مَلِكُهُمْ<sup>(٤)</sup>. وقال السُّدِّيُّ: أرسل الله إلى نبيهم عصًا، وقال له: إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم؛ فكان ذلك ظالوت<sup>(٥)</sup>.

﴿وَتَخُنَ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ روي أنه كان دَبَّاعًا، ولم يكن من بيت المُلْك<sup>(٦)</sup>. والواو في قوله: ﴿وَتَخُنَ﴾ واو الحال. والواو في قوله: ﴿وَلَمْ يُوْتِ﴾: لعطف الجملة على الأخرى.

﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ كان عالمًا بالعلوم، وقيل: بالحروب. وكان أطول رجل<sup>(٧)</sup> يصل إلى منكبيه.

﴿وَاللَّهُ يُوْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ردُّ عليهم في اعتقادهم أن الملك يُسْتَحَقُّ بالبيت أو المال.

(١) في أ، ب، د: «سمويل».

(٢) نشّ الماء والدهن وغيرهما يَنْشُ نَشًّا وَنَشِيشًا: صَوَّتَ عند الغليان. انظر: لسان العرب (٨/ ٢٤٤).

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على تفسير الطبري (٥/ ٣٠٧): «القرن: قرن الثور وغيره، وكأنه أراد هنا: القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها، وقد سموا المحجمة التي يحتجم بها «قرنا» ولم أجد هذا الحرف بهذا المعنى في كتب اللغة، ولكنه صحيح كما رأيت».

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٤٤٨) عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني بعض أهل العلم عن وهب بن منبه.

(٥) أخرجه الطبري (٤/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٦٦).

(٦) أخرجه الطبري في ضمن أثر وهب بن منبه المتقدم قريبًا.

(٧) في د: «الناس».

﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ الثَّابُوتُ﴾ كان هذا الثابوت قد تركه موسى ﷺ عند يوشع، فجعله يوشع في البرية، فبعث الله ملائكة حملته حتى جعلته<sup>(١)</sup> في دار طالوت. وفيه قصص كثير غير ثابت. ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ قيل: ريح لها رأس ووجه كوجه الإنسان. وقيل: طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء. وقيل: رحمة، وقيل: وقار.

﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ ابن عباس ﷺ: هي عصا موسى ورُضاض<sup>(٢)</sup> الألواح<sup>(٣)</sup>. وقيل: العصا والنعلان، وقيل: ألواح من التوراة.

﴿عَالٌ مُوسَى وَعَالٌ هَارُونَ﴾ يعني: أقاربهما. وقال الزمخشري: يعني الأنبياء من بني إسرائيل<sup>(٤)</sup>. ويحتمل أن يريد موسى وهارون ﷺ، وأقحم الآل.



(١) في ج، د، هـ: «جعلوه».

(٢) رُضاض الشيء: كُسارُه أي: ما تكسر منه، وقطعه، وفُتاتُه، ورُض الشيء رَضًا: كسره فصار قطعًا. انظر: لسان العرب (١٤/٩).

(٣) أخرجه الطبري (٤٧٣/٤)، وابن أبي حاتم (٤٧٠/٢).

(٤) الكشف (٤٦٤/٣).

بَلَمَّا بَصَلْ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ بَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ بَيَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ بَيَّةً كَبِيرَةً إِذْ قَالَ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ فَهَزَمُوهُمْ إِذْ قَالَ اللَّهُ وَقَتْلْ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دِفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ \* تِلْكَ الرُّسُلُ بَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ﴿٢١﴾

﴿بَصَلْ طَالُوتُ﴾ أي: خرج من موضعه إلى الجهاد.

﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل: هو نهر فلسطين.

﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآية؛ اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب.

﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ رخص لهم في الغُرْفَة باليد. وقرئ: بفتح الغين<sup>(١)</sup>؛ وهو المصدر، وبضمها؛ وهو الاسم.

﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل: كانوا ثمانين ألفاً، فشربوا منه كلهم إلا ثلاث مئة وبضعة عشر، عدد أصحاب بدر، فأما من شرب فاشتد عليه العطش، وأما من لم يشرب فلم يعطش.

﴿بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ كان كافراً عدواً لهم، وهو ملك العمالة. ويقال: إن البربر من ذريته.

﴿يَظُنُّونَ﴾ أي: يوقنون؛ وهم أهل البصائر من أصحابه.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الغين، والباقون بضمها.

﴿وَفَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت، فقتل جالوت، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل. وفي ذلك قصص كثير غير صحيح.

﴿وَالْحِكْمَةُ﴾ هنا: النبوة، أو الزبور.

﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ صنعة الدروع، ومنطق الطير، وغير ذلك.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ﴾ الآية؛ مَنَّةٌ على العباد بدفع بعضهم ببعض. وقرئ: ﴿دَفْعٌ﴾ بالالف، و﴿دَفْعٌ﴾ بغير ألف<sup>(١)</sup>؛ والمعنى متفق.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الإشارة إلى جماعتهم.

﴿فَضَّلْنَا﴾ نص في التفضيل في الجملة، من غير تعيين مفضل؛ كقوله ﷺ: «لا تُخَيَّرُوا بين الأنبياء»<sup>(٢)</sup>، و«لا تفضلوني على يونس بن متى»<sup>(٣)</sup>، فإن معناه: النهي عن تعيين المفضل؛ لأنه تنقيص له، وذلك غيبة ممنوعة. وقد صرح ﷺ بفضله على جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيد ولد آدم»<sup>(٤)</sup> لا بفضله على واحد بعينه؛ فلا تعارض بين الحديثين.

﴿مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ﴾ هو موسى ﷺ.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ قيل: هو محمد ﷺ؛ لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة. وقيل: هو إدريس؛ لقوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]؛ فالرفعة على هذا: في المسافة. وقيل: هو مطلق في كل من فضله الله منهم.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الأنبياء، والمعنى: بعد كل نبي، لا بعد الجميع.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا إِفْتْتَلَوْا﴾ كرّره تأكيداً، و<sup>(٥)</sup> ليبيني عليه ما بعده.

(١) قرأ نافع ﴿دَفْعٌ﴾ بالالف، وقرأ الباقون ﴿دَفْعُ﴾ بغير ألف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤) عن أبي سعيد.

(٣) هذا اللفظ حكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه «نقل باطل»، انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٤). والثابت

قوله ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» أخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٦)

عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٢٢٧٨) واللفظ له عن أبي هريرة.

(٥) في ب، د: «أو».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنهَفُوا مِنَّا رَزَقْنَكُمْ مِمَّا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفْعَةً  
وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٥٦﴾ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا  
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا  
خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا  
يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ  
يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ  
الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٥٥﴾ «أَنهَفُوا» يعمُّ الزكاة والتطوع.

﴿لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ أي: لا يتصرَّف أحدٌ في ماله، والمراد<sup>(١)</sup>: لا تقدرُونَ فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا. ويدخل فيه: نفي الفدية؛ لأنها شراء الإنسان نفسه.

﴿وَلَا خُلَّةَ﴾ أي: مودةٌ نافعة؛ لأن كل أحد يومئذٍ مشغولٌ بنفسه.

﴿وَلَا شَفْعَةً﴾ أي: ليس في يوم القيامة شفاعَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ؛ فهي في الحقيقة رحمةٌ من الله للمشفوع فيه، وكرامةٌ للشافع، ليس فيها تحكُّمٌ على الله.

وعلى هذا يُحمَل ما ورد من نفي الشفاعَةِ في القرآن؛ أعني: أنها لا تقع إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ؛ فلا تعارض بينه وبين إثباتها. وحيثما كان سياقُ الكلام في أهوال يوم القيامة، والتخويف بها: نُفِيت الشفاعَةُ على الإطلاق؛ مبالغةً في التهويل. وحيثما كان سياقُ الكلام تعظيمَ الله: نُفِيت الشفاعَةُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال هكذا، ولم يقل: «الظالمون هم الكافرون»<sup>(٢)</sup>.

(١) في ب، د: «والمعنى».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/٥٢٦).

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هذه آية الكرسي، وهي أعظم آية في القرآن حسبما ورد في الحديث<sup>(١)</sup>، وجاء فيها فضل كبير في الحديث الصحيح وفي غيره.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تنزيه الله تعالى عن الآفات البشرية. والفرق بين السَّنة والنوم: أن السنة هي ابتداء النوم، لا نفسه؛ كقول القائل:

في عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ<sup>(٢)</sup>

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ استفهام يراد به نفى الشفاعة إلا بإذن الله، فهي في الحقيقة راجعة إليه.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الضميران عائدان على مَنْ يعقل؛ مَن تَضَمَّنَهُ قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. والمعنى: يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم. وقال مجاهد: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الآخرة<sup>(٣)</sup>.

﴿مَنْ عَلَيْهِ﴾ من معلوماته؛ أي: لا يعلم عبادُه من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه<sup>(٤)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هذا عجز بيت لعدي بن الرِّقاع العاملي، في ديوانه (ص: ١٢٢)، وصدره: «وَسَنَانُ أَفْصَدُهُ النَّعَاسُ فَرَنْقَتُ»، وهو ضمن قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك.

(٣) أخرجه الطبري (٥٣٦/٤)، وابن أبي حاتم (٤٨٩/٢).

(٤) [التعليق ٢٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿مَنْ عَلَيْهِ﴾ من معلوماته إلخ؛ أقول: اقتصر المؤلف ﷺ على أحد القولين، وهو أن المراد بـ (عليه): معلوماته سبحانه، وجعل المنفي عن العباد هو علمهم بمعلومات الرب، والمنفي في الآية هو الإحاطة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، والإحاطة أخص من مطلق العلم، ولكن كل منهما منتف عن العباد، فلا يعلم العباد إلا ما علمهم الله، ولا يحيطون بشيء علماً إلا بما شاء سبحانه.

وفي الآية قول آخر: وهو أن المراد بـ (العلم) هو المتعلق بذاته - سبحانه - وأسمائه وصفاته، فعلى هذا يكون المراد من العلم: العلم الإلهي، وهذا القول هو الراجح، وذلك لأمرين:

١. لأن قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، ورد في أثناء آية الكرسي، التي هي أعظم آية في كتاب الله؛ لأنها اشتملت على جماع أسماء الله وصفاته.

٢. أن لهذا القول شاهداً من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: ١١٠].

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكرسي: مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السماوات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء. وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمه. وقيل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: ملكه.

﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ أي: لا يُثْقَلُهُ، ولا يَشْقُ عَلَيْهِ.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ المعنى: أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته، بحيث لا يحتاج أن يُكرَه أحدٌ على الدخول فيه، بل يدخل فيه كلُّ ذي عقل سليم من تلقاء نفسه، دون إكراه؛ ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: قد تبين أن الإسلام رشدٌ، وأن الكفر غيٌّ؛ فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه. وقيل: معناها المواءمة، وأن لا يُكرَه أحدٌ بقتالٍ على الدخول في الإسلام؛ ثم تُسخت بالقتال، وهذا ضعيف؛ لأنها مدنية، وإنما آيات المسالمة وترك القتال بمكة.

﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ العروة في الأجرام هي: موضع الإمساك وشدُّ الأيدي. وهي هنا تشبيه واستعارة في الإيمان.

﴿لَا انْقِسَامَ لَهَا﴾ لا انكسار لها، ولا انفصال.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ جُمع الطاغوت هنا، وأُفِرِد في غير هذا الموضع؛ فكأنه اسم جنس لما عُبد من دون الله، ولمن يُضِلُّ الناس من الشياطين وبني آدم<sup>(١)</sup>.



(١) المقصود: أنه جمع الفعل المسند إلى ﴿الظَّالِمُونَ﴾ وهو ﴿أُولَئِكَ هُمُ﴾ مع أن لفظ ﴿الظَّالِمُونَ﴾ مفرد؛ فكان مقتضى ذلك أن يقول: «ولِيَّهِمْ»، وأجاب عن هذا بأن المراد به الجنس، فُرُوْعِي فيه معنى الجمع، وقوله: «وأفِرِد في غير هذا الموضع» كما في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَّكَمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُسِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] فأعاد عليه ضمير المفرد ﴿بِهِ﴾ ولم يقل: «بها»؛ لأنه روعي فيه لفظ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ وهو مفرد. انظر: الكشاف (٤٥/٥)، (٧٢٥/٩).





﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ تقديره: «أو رأيت مثل الذي»، فحذف؛ لدلالة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه؛ لأنّ كليهما كلمة تعجيب. ويجوز أن يُحمل على المعنى؛ كأنه قيل: رأيت كالذي حاج إبراهيم، أو كالذي مرّ على قرية.

وهذا المارّ: قيل: إنه عزيز. وقيل: الخضر<sup>(١)</sup>؛ فقله: ﴿أَبْنَى يُخِيءَ هَذِهِ أَلَلَهُ﴾ ليس إنكاراً للبعث، ولا استبعاداً، ولكنه استعظاماً لقدرة الذي يحيي الموتى، أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته، لا شك في وقوعه؛ وذلك مقتضى كلمة ﴿أَبْنَى﴾، فأراه الله ذلك عياناً؛ ليزداد بصيرة. وقيل: بل كان كافراً، وقالها إنكاراً للبعث، واستبعاداً، فأراه الله الحياة بعد الموت في نفسه، وذلك أعظم برهان.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: خالية من الناس. وقال السّدي: سقطت سُقُفُهَا - وهي العروش -، ثم سقطت الشيطان على السّقف<sup>(٢)</sup>.

﴿أَبْنَى يُخِيءَ هَذِهِ أَلَلَهُ﴾ ظاهر هذا اللفظ: إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب.

ولكن المعنى: إحياء أهلها بعد موتهم؛ لأنّ ذلك هو الذي يمكن فيه الشك أو الإنكار؛ ولذلك أراه الله الحياة بعد موته. والقرية كانت بيت المقدس، لما خرّبه بُخْتُ نَصْر<sup>(٣)</sup>. وقيل: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف.

﴿كَمْ لَبِثْتُ﴾ سؤال على جهة التقرير.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقلّ مدّة موته، قيل: أماته الله غُدْوَةً يَوْمٍ، ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مئة عام، فظنّ أنه يومٌ واحد، ثم رأى بقيّة من الشمس فخاف أن يكذب في قوله: ﴿يَوْمًا﴾ فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

(١) نقل ابن جرير في تفسيره (٥٨٠/٤) عن بعض المفسّرين أن اسم المارّ هو إرميا بن حلقيا، ثم قال: «وزعم محمد بن إسحاق أن إرميا هو الخضر»، قال ابن كثير في تاريخه (٣٦٠/٢): «وهو غريب، وليس بصحيح»، وقال ابن عطية (٣٩/٢): «وهذا كما تراه، إلا أن يكون اسماً وافق اسماً؛ لأن الخضر معاصر لموسى، وهذا الذي مر على القرية هو بعده بزمان، من سبط هارون فيما روى وهب بن منبه».

(٢) أخرجه الطبري (٥٨٦/٤).

(٣) في لسان العرب (٦٨/٧): «قال الأصمعي: إنما هو يُؤَخِّتُصَّرُ، فأعرب، ويؤَخِّتُ: ابنٌ، ونَصْرٌ: صنمٌ، وكان وُجد عند الصنم ولم يعرف له أبٌ، فقليل هو ابن الصنم».

﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ قيل: إِنَّ طَعَامَهُ كَانَ تِينًا وَعَنْبًا، وَإِنَّ شَرَابَهُ كَانَ عَصِيرًا، أَوْ<sup>(١)</sup> لبنًا.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ معناه: لم يتغير، بل بقي على حاله طول مئة عام، وذلك أعجوبة إلهية. واللفظ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُشْتَقًّا مِنَ السَّنَةِ؛ لِأَنَّ لَامَهَا هَاءٌ. فَتَكُونُ الْهَاءُ فِي ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ أَصْلِيَّةً؛ أَيْ: لَمْ تَغْيِرْهُ السَّنُونَ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُشْتَقًّا مِنْ قَوْلِكَ: تَسَنَّ الشَّيْءُ: إِذَا فَسَدَ؛ وَمِنْهُ: «الْحَمَأُ الْمَسْنُونُ»، ثُمَّ قَلَبْتَ النُّونَ حَرْفَ عِلَّةٍ؛ كَقَوْلِهِمْ: «قَصَّيْتُ أَظْفَارِي»، ثُمَّ حَذَفَ حَرْفَ الْعِلَّةِ؛ لِلجَزْمِ. وَالْهَاءُ عَلَى هَذَا: هَاءُ السَّكْتِ.

﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ حَبَارِكَ﴾ قيل: بقي حماره حيًّا طول المئة عام، دون علفٍ ولا ماء. وقيل: مات، ثُمَّ أَحْيَاهُ اللَّهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.

﴿وَلِتَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ التقدير: فَعَلْنَا بِكَ هَذَا؛ لِتَكُونَ آيَةً لِلنَّاسِ. وَرَوَى: أَنَّهُ قَامَ شَابًّا عَلَى حَالِهِ يَوْمَ مَاتَ، فَوَجَدَ أَوْلَادَهُ وَأَوْلَادَهُمْ شَبَابًا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَمِ﴾ هِيَ عِظَامُ نَفْسِهِ. وَقِيلَ: عِظَامُ الْحِمَارِ؛ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ مَاتَ.

﴿نُنشِرُهَا﴾ - بِالرَّاءِ -؛ نُحْيِيهَا. وَقُرِئَ بِالزَّيِّ<sup>(٣)</sup>؛ وَمَعْنَاهُ: نَرْفَعُهَا لِلْإِحْيَاءِ.

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ بِهَمْزَةٍ قَطْعٍ وَضَمِّ الْمِيمِ<sup>(٤)</sup>؛ أَيْ: قَالَ الرَّجُلُ ذَلِكَ اعْتِرَافًا. وَقُرِئَ: بِأَلْفٍ وَصَلٍ، وَالْجَزْمِ؛ عَلَى الْأَمْرِ؛ أَيْ: قَالَ لَهُ الْمَلِكُ ذَلِكَ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ الْآيَةُ؛ قَالَ الْجُمْهُورُ: لَمْ يَشْكُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ فِي إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِنَّمَا طَلَبَ الْمَعَايِنَةَ؛ لِأَنَّهُ رَأَى دَابَّةً قَدْ أَكَلَتْهَا السَّبَاعُ وَالْحَيَّاتَانِ، فَسَأَلَ ذَلِكَ السُّؤَالَ؛ وَبَدَّلَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿كَتَيْفُ﴾؛ فَإِنَّهَا سُؤَالٌ عَنْ حَالِ الْإِحْيَاءِ وَصُورَتِهِ، لَا عَنْ وَقْعِهِ.

(١) فِي أ، ب، ج، هـ: «و»، وَالْمَثْبُوتُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْكَشَافِ (٣/ ٥٠٧).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٤/ ٦١٤)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٢/ ٥٠٥) عَنِ الْأَعْمَشِ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ - أَيْضًا - عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ عِكْرَمَةَ.

(٣) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ بِالزَّيِّ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّاءِ.

(٤) قَرَأَ حُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ بِوَصْلِ الْهَمْزَةِ وَجَزْمِ الْمِيمِ، وَالْأَبْتَدَاءُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْقَطْعِ وَالرَّفْعِ.

﴿وَلَكِنَّ لِيُظْهِرَ فَلْيَ﴾ أي: بالمعينة.

﴿أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قيل: هي الديك والطاوس والحمام والغراب، فقطعها، وخلط أجزائها، ثم جعل من المجموع جزءاً على كل جبل، وأمسك رؤوسها بيده، ثم قال: تعالين ياذن الله، فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمّت، وبقيت بلا رؤوس، ثم كرّر النداء، فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها، وطارت ياذن الله.

﴿بَصُرَهُنَّ﴾ أي: ضُمَّهُنَّ. وقيل: قطعهن.

﴿عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ قيل: أربعة جبال. وقيل: سبعة. وقيل: الجبال التي وصل إليها حيثئذٍ من غير حصرٍ بعددٍ.



مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْكَ سَنَابِلٌ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ  
مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ دَأْبُ اللَّهِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ ﴿١٥٧﴾ \* قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْعِقُ مَالَهُ رِيقَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا  
يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٩﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ  
أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيثًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَاءَتْ  
أَكْلَهَا ضُغْبَيْنِ فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَظُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٠﴾ أَيْوَدُ أَحَدَكُمْ دَرَّ أَنْ  
تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ  
وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ  
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾

﴿١٥٦﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ظَاهِرُهُ: الجهاد، وقد يُحْمَلُ عَلَى جَمِيعِ وَجُوهِ الْبَرِّ.﴾  
﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ كُلُّ مَا يُزْدَرَعُ<sup>(١)</sup> وَيُقْتَات، وَأَشْهُرُهُ: القمح. وفي الكلام حذف؛ تقديره: مثل  
نفقة الذين ينفقون كمثل حبة، أو يقدر في آخر<sup>(٢)</sup> الكلام: كمثل صاحب حبة.  
﴿أَتَتْكَ سَنَابِلٌ﴾ بَيَانُ أَنَّ الْحَسَنَةَ بِسَبْعِ مِئَةٍ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ  
بِنَاقَةٍ فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِئَةِ نَاقَةٍ»<sup>(٣)</sup>.  
﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أَي: يَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِ مِئَةٍ. وَقِيلَ: هُوَ تَأْكِيدٌ وَبَيَانٌ لِلْسَبْعِ مِئَةٍ.  
وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) في ب: «يزرع» وهما بمعنى واحد. انظر: القاموس المحيط مادة (زرع).

(٢) في ب، ج: «أجزاء».

(٣) أخرجه مسلم (١٨٩٢) عن أبي مسعود الأنصاري ؓ.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٩١) ومسلم (١٣١) عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ قال: =

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ﴾ الآية؛ قيل: نزلت في عثمان رضي الله عنه. وقيل: في علي رضي الله عنه. وقيل: في عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه <sup>(١)</sup>.

﴿مَتَىٰ وَلَا أَذَىٰ﴾ العن: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتفريع بها. والأذى: السبُّ.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ هو ردُّ السائل بجميل من القول؛ كالدعاء له، والتَّائِيسُ.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: عفو عن السائل إذا وُجدَ منه جفاءٌ. وقيل: مغفرة من الله بسبب الردِّ الجميل. والمعنى: تفضيلُ عدمِ العطاء إذا كان بقولٍ معروف ومغفرة: على العطاء الذي يتبعه أذى.

﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ﴾ عقيدة أهل السنة: أن السيئات لا تُبطل الحسنات؛ فقالوا في هذه الآية: إِنَّ الصَّدَقَةَ الَّتِي يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ صَاحِبِهَا أَنَّهُ يَمُنُّ أَوْ يُؤْذِي لَا تَقْبَلُ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

.. فمن هم بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها، كتبها الله ﷻ عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة..».

(١) نقل الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (٧/ ٢٢٥-٢٢٦) عن الكلبي أن الآية نزلت في عثمان وعبد الرحمن بن عوف جميعًا ﷺ، ولم أفد على إسناده له، وأخرج ابن المنذر في تفسيره (١/ ٤٩) بإسناده إلى ابن المسيب أن الآية التي نزلت فيهما هي: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً..﴾.

وأما نزولها في علي عليه السلام فقد نقله ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٥٩) عن النقاش، ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) [التعليق ٢٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «السيئات لا تبطل الحسنات» فيه نظر؛ فنقول: دل القرآن على أن من السيئات ما يحبط الحسنات، أي: يبطلها، فلا تقبل ولا يشاب عليها، وأعظم ذلك الردة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ ذِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَمِتَتْ وَهُوَ كَأَنْفَالِكُمْ حَوِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، وقال عليه السلام في مخاطبة المؤمنين للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لِلَّهِ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وتاويل المؤلف قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْغُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ بأن من علم الله أنه يمتن بصدقة أو يؤذي فإنه لا يقبل صدقته من أول الأمر = لا يخلص مما قر منه، بل يتضمن معاني فاسدة؛ منها: تقدم الأثر على المؤثر، والمسبب على السبب، ومنها: أن الله لا يقبل عمل العبد قبل أن يكون منه السبب المانع من قبول عمله.

وعليه: فمن علم الله أنه يرتدُّ فإن الله لا يقبل عمله قبل أن تقع منه الردة. ومن علم الله أنه يُمُنْ أو يؤذي في صدقته فإن الله لا يقبل صدقته من أول الأمر قبل أن يُمُنْ أو يؤذي، وهذا خلاف ما فهمه السلف، وهو أن الله يقبل صدقة العبد المتصدق، فيستحق عليها الثواب، فإذا منَّ وأذى بطل عمله، وفات ثوابه،

وقد ضرب لذلك المثل الثالث في الآيات في قوله تعالى: ﴿يُودُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَابٍ تُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، وبهذا يتبين خطأ المؤلف في تأويله.

وقيل: إنَّ المَنَّ والأذى دليلٌ على أن نيَّته لم تكن خالصة؛ فلذلك بطلت صدقته.  
﴿كَالَّذِي يَنْهَى﴾ تمثيلٌ لمن يُمْنُ ويؤذي بالذي ينفق رياءً وهو غير مؤمن.  
﴿بَمَثَلِهِ﴾ أي: مثل المرائي في نفقته: كحجرٍ عليه تراب، فيظنه من يراه أرضاً مُنبِةً طيبةً،  
فإذا نزل عليه المطرُ انكشف التراب، فبقي الحجر لا منفعة فيه. فكذلك المرائي؛ يظنُّ أن  
له أجراً، فإذا كان يومُ القيامة انكشف سرُّه ولم تنفعه نفقته.  
﴿صَفْوَانٍ﴾ حجرٌ كبير.

﴿وَأَيْلٍ﴾ مطرٌ كثير.

﴿صَلْدَأً﴾ أملس.

﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ أي: لا يقدرُونَ على الانتفاع بثواب شيءٍ من إنفاقهم؛ وهو كسبهم.  
﴿وَتَثْبِيْتًا﴾ أي: تيقُّناً وتحقيقاً للثواب؛ لأن أنفسهم لها بصائرٌ تحملهم على الإنفاق.  
ويَحْتَمِلُ أن يكون معنى التثبیت: أنهم يَثْبِتُونَ أنفسهم على الإيمان؛ باحتمال المشقة في  
بذل المال. وانتصابُ ﴿إِنْتِغَاءً﴾: على المصدر في موضع الحال، وعطف عليه ﴿وَتَثْبِيْتًا﴾.  
ولا يصحُّ في ﴿وَتَثْبِيْتًا﴾ أن يكون مفعولاً من أجله؛ لأن الإنفاق ليس من أجل التثبیت؛  
فامتنع ذلك في المعطوف عليه وهو ﴿إِنْتِغَاءً﴾.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ تقديره: كمثال صاحب جنةٍ. أو يقدر أَوَّلًا: مثل نفقة الذين ينفقون.

﴿بِرَبْوَةٍ﴾ لأنَّ ارتفاع موضع الجنة أطيَّب؛ لثربتها وهوائها.

﴿بَقَطْلٍ﴾ المطرُ الرقيق الخفيف؛ والمعنى: أنه يكفي هذه الجنة؛ لكرم أرضها.

= ويظهر لي أن ما ذكره من التأويل مبنيٌّ على القول بأن أفعاله تعالى قديمة، فمن علم الله أنه يؤمن ويموت  
على الإيمان لم يزل الله راضياً عنه حتى في حال كفره، ومن علم أنه يكفر ويموت على الكفر لم يزل الله  
ساخطاً عليه حتى في حال إيمانه، كما هو مذهب الكلَّابية والأشاعرة، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة  
والجماعة، وهو أن أفعاله تعالى تابعة لمشيئته، والرضا والغضب من أفعاله، فيرضى إذا شاء، ويغضب إذا  
شاء، ولرضاه وغضبه أسباب، هي بمشيئته تعالى، فمن قام به سبب الرضا رضي الله عنه، ومن قام به سبب  
الغضب غضب الله عليه، ومعنى هذا أنه تعالى قد يرضى عن العبد ثم يسخط، وقد يسخط عن العبد ثم  
يرضى، بحسب ما يقوم به من أسباب ذلك، وأدلة هذا الأصل مبينة في كتب العقائد.

﴿أَيُّدٌ أَحَدَكُمْ﴾ الآية؛ مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً، حتى إذا كان عند آخر عمره خُتِمَ له بعمل السوء.

أو مثل للكافر، أو المنافق، أو المرابي المتقدم ذكره آنفاً، أو ذي المن والأذى؛ فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله، فإذا كان وقت حاجته إليه لم يجد شيئاً.

فشبههم الله بمن كانت له جنة، ثم أصابتها الجائحة المهلكة أحوج ما كان إليها؛ لشيخوخته، وضعف ذريته.

فالواو في قوله: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: للحال.

﴿إِغْصَارٌ﴾ أي: ريح فيها سمومٌ محرقة.



\*يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنِفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغِيضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٣٦﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ يُوْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن نَّبَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ ﴿٣٩﴾ إِنْ تَبَدُّوا لَاصِدَقَاتٍ فَبِعَمَّ هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَنَكِهْرِ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٤٠﴾ \*لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدْيُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُفْسِدْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَخْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسَبِيلِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

﴿٣٦﴾ ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الطيبات هنا عند الجمهور: الجيد غير الرديء. فقيل: إِنَّ ذلك في الزكاة؛ فيكون واجباً. وقيل: في التطوع؛ فيكون مندوباً، لا واجباً؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا﴾ النبات، والمعادن، وغير ذلك.

﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ أي: لا تقصِدوا الرديء.

﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ في موضع الحال.

﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ الواو للحال. والمعنى: أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم، إِلَّا بَأَن تتسامحوا في أخذه<sup>(١)</sup>. و﴿تُغِيضُوا﴾ من قولك: أغمض فلان عن بعض حقّه: إذا لم يستوفيه، أو إذا غَضَّ بصره.

(١) في ب، ج، هـ: لا تتسامحوا فيه.



﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْبَقْرَ﴾ الآية؛ دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر، ففي ضمن ذلك حُصُّ على الإنفاق. ثم بيّن عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء؛ وهي: المعاصي. وقيل: الفحشاء: البخل؛ والفاحش عند العرب: البخيل. قال ابن عباس رضي الله عنه: في الآية اثنتان من الشيطان، واثنتان من الله <sup>(١)</sup>. والفضل: هو الرزق والتوسعة.

﴿يُوتِيهِ الْحِكْمَةَ﴾ قيل: هي المعرفة بالقرآن. وقيل: النبوة. وقيل: الإصابة في القول والعمل.

﴿وَمَا أَنْبَقْتُمْ مِنْ نَبَقَةٍ﴾ الآية؛ ذكر نوعين وهما: ما يفعله الإنسان تبرعاً. وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر. وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ رُءُوسَ النَّاسِ﴾ وعدٌ بالثواب. وفي قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ وعيدٌ لمن يمنع الزكاة، أو ينفق <sup>(٢)</sup> لغير الله.

﴿إِنْ تَبَدُّوا الْأَصْدَاقَ﴾ هي التطوع عند الجمهور؛ لأنها يحسن إخفاؤها، وإبداء الواجبة؛ كالصلوات.

﴿بَعِيثًا هَيَّ﴾ ثناء على الإظهار، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء. و«ما» من «نعمًا»: في موضع نصب، تفسير للمضمّر؛ والتقدير: فنعم شيئاً إبداءها.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدْيُهُمْ﴾ قيل: إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة؛ فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام <sup>(٣)</sup>، وذلك في التطوع، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلاً. فالضمير في «هُدْيُهُمْ» على هذا القول: للكافر. وقيل: ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الإنفاق، وترك المن والأذى والرياء والإنفاق من الخبيث، إنما عليك أن تبلّغهم، والهدى بيد الله. فالضمير على هذا: للمسلمين.

(١) أخرجه الطبري (٥/٥)، وابن أبي حاتم (٥٣٠/٢).

(٢) في زيادة: «ماله».

(٣) لم أقف عليه هذا، وإنما الذي وقفت عليه هذا اللفظ: عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كانوا يكرهون أن يرصخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا، فرضخ لهم، فنزلت هذه الآية: «ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء». أخرجه الطبري (١٩/٥)، وابن أبي حاتم (٥٣٧/٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٨٦)، والبيهقي (٧٨٤٢)، والحاكم (٣١٢٨) وصححه. والرّضخ: العطية القليلة.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ﴾ أي: إنَّ منفعتكم لكم كقوله<sup>(١)</sup>: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت: ٤٥].

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ قيل: إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله؛ ففيه تزكية لهم، وشهادة بفضلهم. وقيل: ما تنفقون نفقةً تُقبل منكم، إلا ابتغاء وجه الله؛ ففي ذلك حصٌّ على الإخلاص<sup>(٢)</sup>.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ تقديره: الإنفاق للفقراء؛ وهم هنا: المهاجرون.

﴿أُخْصِرُوا﴾ حُيسوا بالعدو، أو بالمرض.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل: الجهاد، أو الدخول في الإسلام.

﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ هو التصرف في التجارة وغيرها.

﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾ أي: يظنُّ الجاهل بحالهم أنهم أغنياء؛ لقلّة سؤالهم. و﴿التَّعَفُّفُ﴾ هنا: هو عن الطلب. و﴿مِنْ﴾: سببية. وقال ابن عطية: لبيان الجنس<sup>(٣)</sup>.

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسَبَبِهِمْ﴾ علامة وجوههم؛ وهي ظهور الجهد والفاقة، وقلّة النعمة. وقيل: الخشوع، وقيل: السجود.

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ الإلحاف: هو الإلحاح في السؤال. والمعنى: أنهم إذا سألوا يتلطّفون ولا يُلْحُون، وقيل: هو نفق لل سؤال والإلحاف معاً. وباقي الآية وعدّ.



(١) في د: «لقوله».

(٢) فهذا خبرٌ شرطٌ فيه قيدٌ محذوف، وهو «تقبل منكم»، فإذا عريت عن قصد الإخلاص لم تقبل. البحر المحيط (٣٩/٥).

(٣) ذكر ابن عطية أولاً أنها لا ابتداء الغاية، ونسبها إلى جمهور المفسرين، فيكون المعنى: أن محسبته -أي: الجاهل- أغنياء ابتدأت من تعفّفهم؛ لأن الجاهل بهم لا يحسبهم أغنياء غنى تعفّف، وإنما يحسبهم أغنياء غنى مال، فحسبته من التعفّف ناشئة؛ لتعفّفهم عفة تامة عن المسألة، ثم ذكر احتمالاً أن تكون لبيان الجنس، أي: جنس الغنى، أهو غنى عفة أم غنى مال، فالجاهل بهم مع علمه بفقرهم يحسبهم أغنياء عفة. وأما معنى السببية الذي ذكره ابن جزي أولاً؛ فمعناه: سبب حسابهم أغنياء تعفّفهم، فهو مفعول من أجله. المحرر الوجيز (٨٩/٢-٩١)، البحر المحيط (٤٣/٥)، الدر المنصور (٦١٩/٢).

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ  
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا  
فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٨﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ  
كَافِرٍ آثِمٍ ﴿٣٩﴾ لَنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ  
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ \*وَإِنْ كَانَ ذُو  
عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا  
تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٤﴾

﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ تعميمٌ لوجوه الإنفاق، وأوقاته. ابن عباس ؓ: نزلت في علي ؓ؛ فإنه تصدَّق بدرهم بالليل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم سرًّا، وبدرهم علانية<sup>(١)</sup>. أبو هريرة ؓ: نزلت في علف الخيل<sup>(٢)</sup>.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي: ينتفعون به، وعبر عن ذلك بالأكل؛ لأنه أغلب المنافع. وسواءً من أعطاه أو من أخذه. والرِّبَا في اللغة: الزيادة، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٧١/١)، عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه ابن عباس ؓ، ومن طريقه ابن المنذر في تفسيره (٤٨/١)، والطبراني في المعجم الكبير (٩٧/١١)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٣/٢) عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه من قوله، وإسناده ضعيف؛ لضعف عبد الوهاب بن مجاهد، قاله ابن كثير (٧٠٨/١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤٤/٧).

ورواه الثعلبي في تفسيره (٣٧٢-٣٧٣/٧) بإسناده من طريق أيوب السخيتاني عن مجاهد عن ابن عباس. (٢) كذا نسبه إلى أبي هريرة، ولم أقف عليه، والصواب: «عن ابن عباس»، أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٥٤٣/٢)، وابن المنذر في تفسيره (٤٨/١)، والثعلبي في تفسيره (٣٨٥-٣٨٦/٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٧٠٨). وقال الثعلبي في تفسيره (٣٨٧/٧): «وكان أبو هريرة إذا مرَّ بفرس سمين تلا هذه الآية، وإذا مرَّ بفرس أعجمي سكت»، ولم يسنده، ولم أقف على إسناده له.

ممنوعة، أكثرها راجع إلى الزيادة؛ فإن غالب الربا في الجاهلية قولهم للغريم: أتقضي أم تُزبي؟ فكان الغريم يزيد في عدد المال، ويصبر الطالب عليه. ثم إن الربا على نوعين: ربا النسئة، وربا التفاضل. وكلاهما يكون في: الذهب والفضة، وفي الطعام.

فأما النسئة؛ فتحرم في بيع الذهب بالذهب، وفي بيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة، وهو الصّرف، وفي بيع الطعام بالطعام مطلقاً.

وأما التفاضل؛ فإنما يحرم في بيع الجنس الواحد بجنسه؛ من النّقدين، ومن الطعام. ومذهب مالك: أنه إنما يحرم التفاضل في المقتات المدّخر من الطعام. ومذهب الشافعي: أنه يحرم في كل طعام<sup>(١)</sup>. ومذهب أبي حنيفة: أنه يحرم في المكيل والموزون؛ من الطعام وغيره<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ أجمع المفسرون أن المعنى: لا يقومون من قبورهم في البعث إلا كالمجنون. و﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾: يتفعله؛ من قولك: خبط يخط. و﴿الْمَسِّ﴾: الجنون. و﴿مِنَ﴾: تتعلق بـ﴿يَقُومُ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ تعليل للعقاب الذي يصيبهم، وإنما هذا للكفار؛ لأن قولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: ردّ على الشريعة وتكذيب لها، ثم قد يأخذ العصاة بحطّ من هذا الوعيد. فإن قيل: فهلاً قيل: «إنما الربا مثل البيع»؛ لأنهم قاسوا الربا على البيع في الجواز؟ فالجواب: أن هذا مبالغه؛ فإنهم جعلوا الربا أصلاً حتى شبهوا به البيع<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ عمومٌ يخرج منه: البيوع الممنوعة شرعاً، وقد عدّناها في الفقه ثمانين نوعاً<sup>(٤)</sup>.

(١) سواء كان الطعام يكال ويوزن أو لا، وهو إحدى الروايات الثلاث في مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٢/١٢).

(٢) وهذه أشهر الروايات عن أحمد، وهي المذهب. والرواية الثالثة: أن العلة فيما عدا الذهب والفضة كونه طعاماً يكال ويوزن، فلا يجري الربا في مطعوم لا يكال ولا يوزن، اختارها ابن قدامة وابن تيمية. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٢/١٠-١٦).

(٣) انظر: الكشف (٥٤٤/٣).

(٤) انظر: القوانين الفقهية، لابن جزي، ط. دار ابن حزم (ص: ٤٣٢) وما بعدها.

﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ردُّ على الكفار، وإنكارٌ للتسوية بين البيع والربا. وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص؛ لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم: تحليل الله وتحريمه.

﴿قُلْهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: له ما أخذ من الربا؛ (أي: لا يؤخذ بما فعل منه)<sup>(١)</sup> قبل نزول التحريم.

﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الضمير عائد على صاحب الربا. والمعنى: أن الله يحكم فيه يوم القيامة، فلا تؤاخذوه في الدنيا. وقيل: الضمير عائد على الربا. والمعنى: أمر الربا إلى الله في تحريمه أو غير ذلك.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الآية؛ يعني: مَنْ عاد إلى فعل الربا، وإلى القول: «إنما البيع مثل الربا». ولذلك حَكَمَ عليه بالخلود في النار؛ لأنَّ ذلك القول لا يصدر إلَّا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة؛ لكونها في الكفار.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ يَنْقُصُهُ وَيُذْهِبُهُ.

﴿وَيُزَيِّدُ الصَّدَقَاتِ﴾ يُنْمِيهَا؛ في الدنيا: بالبركة، وفي الآخرة: بمضاعفة الثواب.

﴿كَقَبَارِ آثِمِينَ﴾ أي: مَنْ يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا؛ وهذا يدل على أن الآية في الكفار.

﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته: «كل ربا كان في الجاهلية موضوع»، ثم إنَّ ثقيفا أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش، فأبوا من دفعه وقالوا: قد وُضِعَ الربا، فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد أمير مكة، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط لمن خوطب به؛ من ثقيف وغيرهم.

(١) سقط من ب، ج، هـ.

(٢) أخرجه الطبري (٥٠/٥) عن ابن جريج، وأخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٨/٢) عن السدي ومقاتل بن حيان.

﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا بَادِنُوا بِحَرْبٍ﴾ أي: إن لم تنتهوا عن الربا حُوربتم. ومعنى ﴿بَادِنُوا﴾: اعلموا. وقرئ بالمد<sup>(١)</sup>؛ أي: أعلموا غيركم. ولما نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: لا تظلمون بأخذ زيادة على رؤوس أموالكم، ولا تُظلمون بالنقص منها.

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ «كان» تامة؛ بمعنى: حضر، أو وقع. وقرئ ﴿ذَا عُسْرَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: إن كان الغريم ذا عسرة.

﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ حَكَمَ اللهُ لِلْمُعْسِرِ بِالْإِنْظَارِ إِلَى أَنْ يُوسِرَ، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه. و ﴿نَظِرَةٌ﴾: مصدر؛ معناه: التأخير. وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء؛ تقديره: فالواجب نظرة، أو مبتدأ. و ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ أيضًا مصدر. وقرئ بضم السين، وفتحها<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ نَدَبَ اللهُ إِلَى الصَّدَقَةِ عَلَى الْمُعْسِرِ بِإِسْقَاطِ الدَّيْنِ عَنْهُ، فذلك أفضل من إنظاره. وباقي الآية وعظ. وقيل: إِنَّ آخِرَ آيَةٍ نَزَلَتْ آيَةُ الرِّبَا. وقيل: بل قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية. وقيل: آية الدين المذكورة بعد.



(١) قرأ حمزة وشعبة عن عاصم بالمد وكسر الدال، وقرأ الباقون بإسكان الهمزة وفتح الدال.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٤٣٢ / ٧)، والزمخشري في الكشاف (٥٤٨ / ٣)، ولم أقف عليه مسندًا.

(٣) هذه قراءة خارجة عن القراءات العشر، ذكر الطبري (٥٦ / ٥) أنها قراءة أبي بن كعب ؓ.

(٤) قرأ نافع بضم السين، وقرأ الباقون بفتحها.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِينَ عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِينَ عَلَيْهِ الْحَقُّ سَمِيحاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ بَرَجُلٌ وَامْرَأَتِي مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّاهِدَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّاهِدَةِ وَأَذْنَىٰ آلَا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَبَعَلُّوا فَإِنَّهُ فَسَوْفَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ أَلَّهُ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَلٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَغْضاً فليُؤَدِّ الَّذِينَ لِأَوْثَمِ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّاهِدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ رِءَاثٌ فَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

﴿٢٨﴾ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ أَي: إِذَا عَامَلَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِدِينٍ. وَإِنَّمَا ذَكَرَ الدِّينَ وَإِنْ كَانَ مَذْكُوراً فِي «تَدَايَنْتُمْ»؛ لِيَعُودَ عَلَيْهِ الضَّمِيرُ فِي «فَاكْتُبُوهُ»، وَلِيُزُولَ الْإِشْرَاطُ الَّذِي فِي «تَدَايَنْتُمْ»؛ إِذْ قَدْ يُقَالُ بِمَعْنَى: الْجَزَاءِ.

﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِلَى أَجَلٍ مُّجْهُولٍ. وَأَجَازَ مَالِكُ الْبَيْعِ إِلَى الْجَدَادِ وَالْحَصَادِ؛ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ عِنْدَ النَّاسِ <sup>(١)</sup>. وَمَنْعَهُ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ <sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ؓ: نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي السَّلَامِ خَاصَّةً <sup>(٣)</sup>؛ يَعْنِي: أَنَّ سَلَامَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كَانَ سَبَبَ نَزُولِهَا.

(١) وَهُوَ إِحْدَى الرَّوَابِيتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ.

(٢) وَهُوَ الرَّوَايَةُ الْآخَرَى فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ، وَهِيَ الْمَذْهَبُ عِنْدَ الْأَصْحَابِ. الْمَقْنَعُ مَعَ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ وَالْإِنْصَافِ (١٢/٢٦٤-٢٦٧).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٧٠/٧١)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٢/٥٥٤)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٢٢٧٥٨)، وَعَبْدُ الرَّزَاقِ فِي مُصَنَّفِهِ (١٤٠٦٤)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (١١٠٨١)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٣١٣٠) وَصَحَّحَهُ.

قال مالك: وهذا يجمع الدين كله؛ يعني: أنه يجوز التأخير في السلم والسلف<sup>(١)</sup> وغيرهما.

﴿بَاكَتُبُوهُ﴾ ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية.

وقال قوم: إنها منسوخة بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾. وقال قوم: إنها على الندب.

﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ قال قوم: يجب على الكاتب أن يكتب.

وقال قوم: نسخ ذلك بقوله: ﴿وَلَا يَضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

وقال آخرون: يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه.

وقال قوم: إن الأمر بذلك على الندب؛ ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق.

﴿بِالْعَدْلِ﴾ يتعلق عند ابن عطية بقوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعند الزمخشري بقوله: ﴿كَاتِبٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

فعلى الأول: تكون الكتابة بالعدل؛ وإن كان الكاتب غير مرضي.

وعلى الثاني: يجب أن يكون الكاتب مرضياً في نفسه.

قال مالك: لا يكتب الوثائق إلا عارف بها، عدل في نفسه، مأمون.

﴿وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ نهي عن الإبابة، وهو يقوي الوجوب.

﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ يتعلق بقوله: ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾، والكاف: للتشبيه؛ أي: يكتب مثل ما علمه

الله. أو للتعليل؛ أي: ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله؛ كقوله: ﴿وَأَخْسِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ

إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

وقيل: يتعلق بقوله بعدها: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾.

(١) السلف بمعنى القرض، وليس بمعنى السلم حسب ما هو مشهور في إطلاق الفقهاء. انظر: القوانين

الفقهية (ص: ٤٨١).

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ١١٢).

(٣) الكشف (٣/ ٥٥٤).



﴿وَلِيُثَبِّلَ﴾ يقال: أَمَلْتُ الكتاب، وَأَمَلَيْتُهُ؛ فورد هنا على اللغة الواحدة، وفي قوله: ﴿ثُمَّ لِيُثَبِّلَ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: ٥] على الأخرى.

﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾؛ لَأَنَّ الشهادة إنما هي باعترافه.

فَإِنْ كُتِبَتْ الوثيقة دون إملائه، ثُمَّ أَقْرَبَهَا جاز.

﴿وَلَا يَبْخُسُ﴾ أمره الله بالتقوى فيما يُمِلُّ، ونهاه عن البَخْس؛ وهو نقص الحق.

﴿سَمِيحاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ السَّفِيه: الذي لَا يُحَسِّنُ النظرَ في ماله.

والضعيف: الصغير وشبهه. والذي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ: الآخرس وشبهه.

﴿وَلِيِّهِ﴾ أبوه، أو وصيه.

والضمير عائد على: ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾.

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ شهادة الرجلين جائزة في كل شيء، إِلَّا في الزنا؛ فلا بد من أربعة.

﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ نَصٌّ في رفض شهادة الكفار، والصَّيَّان، والنساء.

وأما العبيد: فاللفظ يتناولهم؛ ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم<sup>(١)</sup>.

ومنعها مالك والشافعي؛ لنقص الرُّقِّ.

﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ قال قومٌ: لَا تجوز شهادة المرأتين إِلَّا مع عدم الرجال؛ وقالوا: معنى

الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾: إن لم يوجدَا.

وأجازه الجمهور؛ لأن المعنى: إن لم يشهد<sup>(٢)</sup> رجلان فرجلاً وامرأتان.

وإنما يجوز - عند مالك - شهادة الرجل والمرأتين في الأموال، لَا في غيرها.

وتجوز عنده شهادة المرأتين دون رجلٍ فيما لَا يَطَّلَعُ عليه الرجال، كالولادة،

والاستهلال، وعيوب النساء.

(١) مذهب الإمام أحمد أن شهادتهم مقبولة فيما عدا الحدود والقصاص. المقنع مع الشرح الكبير

والإنصاف (٢٩/٣٩٧).

(٢) في ب، ج، هـ: «يستشهد».

وارتفع<sup>(١)</sup> ﴿بَرَجَلٌ﴾: بفعل مضمر؛ تقديره: فليكن رجلٌ؛ فهو فاعل، أو تقديره: فليُستشهد رجلٌ؛ فهو مفعول لم يُسمَّ فاعله. أو بالابتداء؛ تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون.

﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ﴾ صفة للرجل والمرأتين.

وهو مشترك -أيضاً- في الرجلين الشاهدين؛ لأنَّ الرضا مشترك في الجميع.  
وهو العدالة؛ ومعناها: اجتناب الذنوب الكبائر، وتوقي الصغائر، مع المحافظة على المروءة.

﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ مفعولٌ من أجله، والعامل فيه: هو المقدَّر العامل في ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾.

والضلال في الشهادة: هو نسيانها، أو نسيان بعضها.

وإنما جُعِلَ ضلالٌ إحدئ المرأتين مفعولاً من أجله، وليس هو المراد؛ لأنه سببٌ لتذكير الأخرى لها، وهو المراد؛ فأقيم السببُ مقام المسبب.

وقرئ: ﴿إِنْ تَضِلَّ﴾ بكسر الهمزة: على الشرط، وجوابه: الفاء في ﴿فَتَذَكَّرَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولذلك رفعه مَنْ كسر الهمزة، ونصبه من فتحها على العطف.

وقرئ ﴿فَتَذَكَّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup>؛ والمعنى واحد.

﴿وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ أي: لا يمتنعوا إذا دعوا إلى أداء الشهادة، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجبٌ إذا دعي إليها.

وقيل: إذا دُعوا<sup>(٥)</sup> إلى تحصيل الشهادة وكتبها.

وقيل: إلى الأمرين.

(١) في ج، هـ: «وارتفاع».

(٢) قرأ حمزة بكسر الهمزة، وضم الراء في ﴿فَتَذَكَّرَ﴾، وقرأ الباقون بفتح الهمزة ونصب الراء.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿فَتَذَكَّرَ﴾ بتخفيف الكاف، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٤) لم أقف على تخريجه، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/١٢٠): «وأسند النقاش إلى النبي ﷺ أنه فسر الآية بهذا».

(٥) في ب، ج، د، هـ: «دعي».

﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوا﴾ أي: لا تملأوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت؛ سواء كان الحق صغيراً أو كبيراً. ونَصَبُ «صَغِيرًا» على الحال.

﴿ذَلِكَكُمْ﴾ إشارة إلى الكتابة.

﴿أَفْسَظْ﴾ من القسط؛ وهو العدل.

﴿وَأَفْوَمْ﴾ بمعنى: وأشدُّ إقامةً. ويُنْبِي أفعل فيهما من الرباعي؛ وهو قليل.

﴿وَأَذْنِبِي أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي: أقرب إلى عدم الشك في الشهادة.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَجَرَّةً حَاضِرَةً﴾ «أن» في موضع نصب على الاستثناء المنقطع؛ لأن الكلام المتقدم في الدين المؤجل. والمعنى: إباحة ترك الكتابة في التجارة الحاضرة؛ وهي ما يباع بالنقد. وقوله: ﴿تَذِيرُونَهَا يَنْتَكُمُ﴾ يقتضي: القبض، والبيونة<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كلِّ بيع، صغير أو كبير، وهم الظاهرية، خلافاً للجمهور. وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله: ﴿وَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِغُضَاءٍ﴾. وذهب قوم إلى أنه على النذب.

﴿وَلَا يَضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يحتمل أن يكون «كَاتِبٌ» فاعلاً؛ على تقدير كسر الراء المدغمة من «يُضَارَّ».

والمعنى على هذا: نهى للكاتب والشهيد<sup>(٢)</sup> أن يضراً صاحب الحق أو الذي عليه الحق بالزيادة فيه، أو النقصان منه، أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة.

ويحتمل أن يكون «كَاتِبٌ» مفعولاً لم يسم فاعله؛ على تقدير فتح الراء المدغمة، ويقوي ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لَا يُضَارُّ» بالتفكيك وفتح الراء<sup>(٣)</sup>.

والمعنى: النهي عن الإضرار بالكاتب والشهيد؛ بإذائتهما بالقول أو بالفعل.

(١) أي: البيونة بالمقبوض والذهاب به. البحر المحيط (٥/١١٠).

(٢) في د: «والشاهد».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/٣٧٦)، ومن طريقه الطبري (٥/١١٤).

﴿وَإِنْ تَبَعَلُوا﴾ أي: إن وقعتم في الإضرار فإنه فسوقٌ حالٌ بكم.

﴿وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ﴾ إخبارٌ على وجه الامتنان. وقيل: معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه.

وهذا المعنى صحيح، ولكن لفظ الآية لا يُعطيه؛ لأنه لو كان كذلك لجزم ﴿وَيَعْلَمُكُمُ﴾ في جواب ﴿وَاتَّقُوا﴾.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ الآية؛ لما أمر الله تعالى بكتابة الديون: جعل الرهن توثيقاً للحق، عوضاً من الكتابة حيث تتعذر الكتابة في السفر.

وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلا في السفر؛ لظاهر الآية. وأجازه مالك وغيره في الحضر؛ لأن النبي ﷺ رهن درعه بالمدينة<sup>(١)</sup>.

﴿بِرَهْنٍ مَّقْبُوضَةٍ﴾ يقتضي بينونة المرتين بالرهن. وأجمع العلماء على صحة قبض المرتين، وقبض وكيله. وأجاز مالك والجمهور وضعه على يدي عدل.

والقبض للرهن شرط في الصحة عند الشافعي وغيره<sup>(٢)</sup>؛ لقوله تعالى: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾. وهو عند مالك شرط كمال.

﴿إِنْ آمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ الآية؛ أي: إن أمن صاحب الحق المديان<sup>(٣)</sup> لحسن ظنه به؛ فليستغن عن الكتابة وعن الرهن. فأمر أولاً بالكتابة، ثم بالرهن، ثم بالائتمان؛ فللدين ثلاثة أحوال. ثم أمر المديان بأداء الأمانة؛ ليكون عند ظن صاحبه به.

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ محمولٌ على الوجوب.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٩) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٩١/١٢).

(٣) المديان: مفعولٌ من الدين للمبالغة، وهو الذي عليه الديون. تاج العروس (دي ن).

﴿بِإِنَّهٗ رَءَايِمٌ قَلْبُهُ﴾ معناه: قد تعلّق به الإثمُ اللاحقُ عن المعصية في كتمان الشهادة. وارتفع ﴿ءَايِمٌ﴾ بأنه خبر «إنَّ»، و ﴿قَلْبُهُ﴾ فاعلٌ به. ويجوز أن يكون ﴿قَلْبُهُ﴾ مبتدأ، و ﴿ءَايِمٌ﴾ خبره.

وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كانت جملةُ الكاتم هي الآئمة: لأنَّ الكتمان من فعل القلب؛ إذ هو يُضمِرُها، ولثلاثاً يُظنُّ أنَّ كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان.



لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٧﴾ أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ أَمَنْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَعْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٨﴾ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٩﴾

﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية؛ مقتضاها: المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب؛ سواءً أبدؤهُ أو أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمن شاء الله أو الغفران لمن شاء الله.

وفي ذلك إشكال؛ لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لَأُمِّي مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا»<sup>(١)</sup>. ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا: هلكنّا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا»، فقالوها، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فكشف عنهم الكربة<sup>(٢)</sup>، ونسخ بذلك هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

وقيل: هي في معنى كتم الشهادة وإبدائها؛ وذلك محاسبٌ به. وقيل: يحاسب الله خلقه على ما في نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين. والصحيح: التأويل الأول؛ لوروده في الصحيح، وقد ورد -أيضاً- عن ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٤)</sup> وغيره.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

(٢) في ج، هـ: «الكرب».

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٣٢/٥-١٣٢)، وأحمد في مسنده (٣٠٧٠)، وابن أبي شيبة (٣٦٦٧٧)، والحاكم (٣١٣٣) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه -أيضاً- ابن كثير في تفسيره (٧٣٠/١).

فإن قيل: إن الآية خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ؟ فالجواب: أن النسخ إنما وقع في المؤاخذه والمحاسبة؛ وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه. فلفظ الآية: خبر، ومعناها: حكم<sup>(١)</sup>.

﴿بَيِّعْهُمْ﴾ و﴿يَعْدِبْ﴾ قرئ<sup>(٢)</sup> بجزمهما: عطفًا على ﴿يُحَاسِبُكُمْ﴾، ويرفعهما: على تقدير: فهو يغفر.

﴿وَأَمَّا الرُّسُلُ﴾ الآية؛ سببها: ما تقدّم في حديث أبي هريرة؛ لما قالوا: سمعنا وأطعنا: مدحهم الله بهذه الآية، وقدّم ذلك قبل كشف ما شقّ عليهم.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطفٌ على ﴿الرُّسُلُ﴾، أو مبتدأ: فعلى الأول: يُوقَفُ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. وعلى الثاني: يوقف ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾، والأول أحسن.

﴿كُلُّ أَمَةٍ﴾ إن كان ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوفًا: ف﴿كُلُّ﴾ عمومٌ في الرسول والمؤمنين. وإن كان مبتدأ: ف﴿كُلُّ﴾ عموم في المؤمنين. ووحد الضمير في ﴿وَأَمَةٍ﴾ على معنى: كل واحد منهم آمن.

﴿وَكُتِبَ﴾ قرئ بالجمع؛ أي كل كتاب أنزله الله، وقرئ بالتوحيد<sup>(٣)</sup>؛ يريد: القرآن، أو الجنس.

﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ التقدير: يقولون: لا نفرّق. والمعنى: لا نفرّق بين أحد من الرسل وبين غيره في الإيمان، بل نؤمن بجميعهم، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حكاية قول المؤمنين؛ على وجه المدح لهم.

﴿غُفِّرَانَكَ﴾ مصدر، والعامل فيه مضمّر. ونصبه على المصدرية؛ تقديره: اغفر غفرانك، وقيل: على المفعولية؛ تقديره: نطلب غفرانك.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/١٣٣).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم برفعهما، وقرأ الباقر بجزمهما.

(٣) قرأ حمزة والكسائي بالتوحيد، وقرأ الباقر بالجمع.

﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ إقرار بالبعث، مع تذلل وانقياد. وهنا تمت حكاية كلام المؤمنين.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إخبار من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق. وهو جائز عقلاً عند الأشعرية، ومحال عقلاً عند المعتزلة. واتفقوا على أنه لم يقع في الشريعة.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من الحسنات.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: من السيئات. وجاءت العبارة بـ﴿لَهَا﴾ في الحسنات؛ لأنها مما ينفع العبد به، وجاءت في السيئات بـ﴿عَلَيْهَا﴾؛ لأنها مما يضرُّ بالعبد. وإنما قال في الحسنات ﴿كَسَبَتْ﴾ وفي الشرِّ <sup>(١)</sup> ﴿اِكْتَسَبَتْ﴾:

لأنَّ في الاكتساب ضرباً من الاعتماد والمعالجة، حسبما تقتضيه صيغة: «افتعل»؛ فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله، ويتعداه، بخلاف الحسنات؛ فإنه فيها على الجادة من غير تكلف. أو لأنَّ السيئات يجدُّ في فعلها؛ لميل النفس إليها، فجعلت لذلك مكتسبة، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك؛ وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتماد.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: قولوا ذلك في دعائكم <sup>(٢)</sup>.

ويحتمل أن يكون من بقية حكاية قولهم؛ كما حكى عنهم قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾. والنسيان هنا: هو الذهول الغالب على الإنسان.

والخطأ: غير العمد؛ فذلك معنى قوله ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخطأ والنسيان» <sup>(٣)</sup>. وقد كان يجوز أن يؤاخذ به لولا أن الله رفعه.

(١) في ب: «السيئات».

(٢) في د: «أي: قالوا ذلك في دعائهم».

(٣) هذا الحديث لا يوجد بهذا اللفظ - كما قال الزيلعي في نصب الراية (٣/ ٦٤) - وإن كان مشتهراً بهذا اللفظ في كتب الفقهاء والأصوليين، واللفظ الوارد هو: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥) وابن حبان في صحيحه (٧٢١٩)، والحاكم (٢٨٠١)، والدارقطني (٤٣٥١)، والبيهقي (١٥٩٤) عن ابن عباس ؓ، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه البيهقي، وأعله أحمد وأبو حاتم. انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٦١) وما بعدها، وتلخيص الحبير (١/ ٥٠٩) وما بعدها.



﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِ إِصْرَ﴾ التكاليف الصعبة؛ كانت قد كُلفت لمن تقدّم من الأمم؛ كقتل أنفسهم، وقرض أبدانهم، ورُفعت عن هذه الأمة؛ قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وقيل: الإصر: المسخُ قردة وخنازير.

﴿وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق؛ لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع، ثم إن الشرع دفع وقوعه.

وتحقيق ذلك: أن ما لا يطاق أربعة أنواع: الأول: عقلي محض؛ كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن: فهذا جائز، وواقع باتفاق. والثاني: عادي؛ كالطيران في الهواء.

والثالث: عقلي وعادي؛ كالجمع بين الضدين. فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق على عدم وقوعه. والرابع: تكليف ما يشق ويصعب: فهذا جائز اتفاقاً، وقد كلفه الله من تقدّم من الأمم (ورفعه عن هذه الأمة)<sup>(١)</sup>.

﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْمِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ ألفاظٌ متقاربة المعنى، وبينها من الفرق: أن العفو ترك المؤاخذه بالذنب. والمغفرة: تقتضي - مع ذلك - السّر. والرحمة: تجمع ذلك، مع التفضل بالإنعام.

﴿مَوْلَانَا﴾ ولينا وسيدنا.



(١) سقط من ب، ج، هـ.

## سُورَةُ الْعَمْرِ

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة يناظرون رسول الله ﷺ في عيسى بن مريم (١).

أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ \*إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلَةٍ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

﴿أَلَمْ﴾ تقدم الكلام على حروف الهجاء (٢). وقرأ الجمهور: بفتح الميم هنا في الوصل؛ لالتقاء الساكنين؛ نحو: «مِنَ النَّاسِ». وقال الزمخشري: هي حركة الهمزة نُقِلَتْ إِلَى الميم (٣). وهذا ضعيف؛ لأنها أَلْفٌ وَضَلَّ تَسْقُطُ فِي الدَّرَجِ.

(١) أخرجه الطبري (١٧٢-١٧٣)، وابن المنذر في تفسيره (١/١٠٩) عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن

جعفر بن الزبير.

(٢) في أول سورة البقرة.

(٣) الكشف (٥/٤).

﴿الْحَتَّى الْقِيُومِ﴾ ردُّ على النصارى في قولهم: إِنَّ عيسى هو الله؛ لأنهم زعموا أنه صُلب؛  
فليس بحيٍّ، وليس بقيُّومٍ.

﴿أَلِكْتَبَ﴾ هنا: القرآن.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: تَضَمَّنَ الْحَقُّ؛ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا، أَوْ بِالِاسْتِحْقَاقِ<sup>(١)</sup>.

﴿مُصَدِّفًا﴾ قد تقدَّم في: ﴿مُصَدِّفًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]<sup>(٢)</sup>.

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدمة.

﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أعجميان؛ فلا يصحُّ ما ذكره النُّحَاة من اشتقاقهما ووزنهما.

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ هو القرآن؛ وَإِنَّمَا كَرَّرَ ذِكْرَهُ؛ لِيَصِفَهُ بِأَنَّهُ الْمَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.  
وَيَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُونَ ذِكْرُهُ أَوَّلًا عَلَى وَجْهِ الْإِثْبَاتِ لِإِنْزَالِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿مُصَدِّفًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، ثُمَّ  
ذَكَرَهُ ثَانِيًا عَلَى وَجْهِ الْإِمْتِنَانِ بِالْهَدْيِ بِهِ؛ كَمَا قَالَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾؛  
فَكَانَهُ قَالَ: «وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ هَدًى لِلنَّاسِ»، ثُمَّ حَذَفَ ذَلِكَ؛ لِدَلَالَةِ الْهَدْيِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ.

فلما اختلف قصْدُ الْكَلَامِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ تَكَرُّرًا. وَقِيلَ: الْفُرْقَانُ هُنَا:  
كُلُّ مَا فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ مِنْ كِتَابٍ وَغَيْرِهِ. وَقِيلَ: هُوَ الزَّبُورُ؛ وَهَذَا بَعِيدٌ.

﴿لَا يَخْهَبِي عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ خَبَرٌ عَنْ إِحَاطَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ عَلَى التَّفْصِيلِ.

وهذه صفةٌ لَمْ تَكُنْ لِعِيسَى، وَلَا لِغَيْرِهِ؛ فَفِي ذَلِكَ رَدُّ عَلَى النَّصَارَى.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ بَرَهَانٌ عَلَى إِثْبَاتِ عِلْمِ اللَّهِ الْمَذْكُورِ قَبْلُ. وَفِيهِ رَدُّ عَلَى النَّصَارَى؛  
لَأَنَّ عِيسَى لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّصْوِيرِ، بَلْ كَانَ مَصُورًا؛ كَسَائِرِ بَنِي آدَمَ.

﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ مِنْ طَوْلٍ، وَقِصَرٍ، وَحُسْنٍ، وَقَبِيحٍ، وَلَوْنٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ الْمُحْكَمُ مِنَ الْقُرْآنِ: هُوَ الْبَيِّنُ الْمَعْنَى، الثَّابِتُ الْحُكْمُ.  
وَالْمُتَشَابِهُ: هُوَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ، أَوْ يَكُونُ مُسْتَغْلِقَ الْمَعْنَى؛ كَحُرُوفِ الْهَجَاءِ.

(١) أي: باستحقاق أن ينزل؛ لما فيه من المصلحة الشاملة. المحرر الوجيز (١٥٠/٢).

(٢) انظر تفسير الآية (٣٩) من سورة البقرة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: المحكمات: النسخات والحلال والحرام، والمتشابهات: المنسوخات، والمقدم، والمؤخر<sup>(١)</sup>. وهذا تمثيل لما قلنا.

﴿هَٰؤُلَاءِ الْكِتَابُ﴾ أي: عمدة ما فيه، ومُعظمه.

﴿بِأَمْرِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ نزلت في نصارى نجران؛ فإنهم قالوا للنبي ﷺ: أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه؟ قال: «نعم»، قالوا: فحسبنا إذن<sup>(٢)</sup>.

فهذا من المتشابه الذي أتبعوه. وقيل: نزلت في أبي ياسر ابن أخطب اليهودي وأخيه حبيي<sup>(٣)</sup>. ثم يدخل في ذلك: كل كافر، أو مبتدع، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن.

﴿إِنِّيغَاءَ الْيَتْنَةِ﴾ أي: ليفتنوا به الناس.

﴿وَأَيْنَغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضي مذاهبتهم. أو: يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل إليه مخلوق.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ إخبار عن انفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن، وذم لمن طلب علم ذلك من الناس.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ مقطوع مما قبله، والمعنى: أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون: «آمنا به»؛ على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته. وقيل: إنه معطوف على ما قبله، وإن المعنى: أنهم يعلمون تأويله. وكلا القولين مروى عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>. والأول قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>، وعائشة رضي الله عنها.

(١) أخرجه الطبري (١٩٣/٥)، وابن أبي حاتم (٥٩٢/٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠٥-٢٠٦)، وابن أبي حاتم (٥٩٦/٢) عن الربيع بن أنس.

(٣) تقدم تخريجه والكلام عليه في أول سورة البقرة، في الكلام عن الحروف المقطعة.

(٤) القول بالوقف على اسم الله رواه عنه طائوس، أخرجه عبد الرزاق (٣٨٤/١)، والطبري (٢١٨/٥)، والحاكم (٣١٤٣) وصححه ووافقه الذهبي.

والقول بأن «الراسخين» معطوف على ما قبله رواه عنه مجاهد، أخرجه الطبري (٢٢٠/٥).

(٥) لم أقف على كلام له في هذه الآية، ولعله يعني الأثر الذي أورده في كلامه عن الحروف المقطعة أول سورة البقرة.

وعروة بن الزبير<sup>(١)</sup>؛ وهو أرجح.

وقال ابن عطية : المتشابه نوعان : نوعٌ انفرد الله بعلمه. ونوعٌ يمكن وصول الخلق إليه. فيكون ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ ابتداءً بالنظر إلى الأول، وعطفًا بالنظر إلى الثاني<sup>(٢)</sup>.

﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي: المحكم والمتشابه من عند الله.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ حكاية عن الراسخين. ويحتمل أن يكون منقطعًا؛ على وجه التعليم. والأول أرجح؛ لاتصال الكلام. وأما قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: فهو من كلام الله تعالى، لا حكاية قول الراسخين.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ استدلالٌ على البعث، ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين، أو منقطعًا؛ فهو من كلام الله تعالى.



(١) أثر عائشة ؓ وعروة أخرجهما الطبري (٢١٨ / ٥)، وابن أبي حاتم (٥٩٩ / ٢).

(٢) المحرر الوجيز (١٦١ / ٢).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٥﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٧﴾ لَكُمْ آيَةٌ فِي يَتَنَيْهِمُ إِلْتِفَاتُ بَيْتَةٍ ثَقِيلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوا كَافِرَةٌ تَرَوْنَهُمْ مِثْلَنِيهِمْ رَأَى الْغَيْبِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٨﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٩﴾ \* قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَيْثُ مِنَ ذَلِكَ لَكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْفَالِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَشْجَارِ ﴿٢٢﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَثَرُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَقُلْ لِلَّذِينَ أَثَرُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ ابْتَدَأُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٥﴾

﴿كَذَابِ﴾ في موضع رفع<sup>(١)</sup>؛ أي: دأب هؤلاء ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾؛ وفي ذلك تهديد.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف على ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾، ويعني بهم: قوم نوح وعبادًا وشمود وغيرهم. والضمير عائد على ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾.

﴿بِآيَاتِنَا﴾ البراهين، أو الكتب.

﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ﴾ قرئ ببناء الخطاب<sup>(٢)</sup> ليهود المدينة، وقيل: لكفار قريش. وقرئ بالياء: إخباراً عن يهود المدينة، وقيل: عن قريش. وهو صادق على كل قول، أما اليهود

(١) على أنه خبر مبتدأ محذوف. البحر المحيط (٢٠١/٥).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالياء، وقرأ الباقون ببناء الخطاب.

فَغَلَبُوا يَوْمَ قَرْيَظَةَ وَالنَّضِيرَ وَقَيْنُقَاعَ، وَأَمَّا قَرِيشٌ فَفِي بَدْرِ وَغَيْرِهَا.  
وَالْأَشْهُرُ أَنَّهَا فِي بَنِي قَيْنُقَاعَ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرِ،  
فَقَالُوا لَهُ: لَا يَغْرُنَّكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قَرِيشٍ لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، فَلَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّ  
نَحْنُ النَّاسَ، فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ<sup>(١)</sup>.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ قِيلَ: خُطَابُ الْمُؤْمِنِينَ. وَقِيلَ: لِلْيَهُودِ. وَقِيلَ: لِقَرِيشٍ.  
وَالْأَرْجَحُ<sup>(٢)</sup> أَنَّهُ لِبَنِي قَيْنُقَاعَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾؛ فَفِيهِ تَهْدِيدٌ لَهُمْ وَعِبْرَةٌ بِمَا<sup>(٣)</sup>  
جَرَى لغيرهم.

﴿يَوْمَ يَنْتَقِيبُ الْمُتَّقَاتُ﴾ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرِ.

﴿تَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ قُرِئَ: ﴿تَرَوْنَهُمْ﴾ بِالتَّاءِ<sup>(٤)</sup>: خُطَابًا لِمَنْ خُوِطِبَ بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ  
آيَةٌ﴾. وَالْمَعْنَى: تَرَوْنَ الْكَفَارَ مِثْلِي الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَيْدَ الْمُسْلِمِينَ بِنَصْرِهِ عَلَى قَلَّةٍ  
عَدَدِهِمْ.

وَقُرِئَ: بِالْيَاءِ؛ وَالْفَاعِلُ فِي ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَالْمَفْعُولُ بِهِ: هُمُ الْمُشْرِكُونَ،  
وَالضَّمِيرُ فِي ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾: لِلْمُؤْمِنِينَ. وَالْمَعْنَى: عَلَى حَسَبِ مَا تَقَدَّمَ. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الْكَفَارَ  
كَانُوا يَوْمَ بَدْرِ أَكْثَرَ مِنْ مِثْلِي الْمُسْلِمِينَ؟ فَالْجَوَابُ: مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْكَفَارَ كَانُوا ثَلَاثَةَ أَمْثَالِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ الْكَفَارَ كَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفٍ، وَالْمُؤْمِنِينَ  
ثَلَاثَ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَلَّلَ عِدَدَ الْكَافِرِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ؛ حَتَّى حَسِبُوا  
أَنَّهُمْ مِثْلَهُمْ مَرَّتَيْنِ؛ لِيَتَجَاسَرُوا عَلَى قِتَالِهِمْ، إِذْ ظَهَرَ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ قِتَالِ الْوَاحِدِ  
لِلثَّانِي فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تَكُ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٧]. وَهَذَا الْمَعْنَى

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٢٣٩/٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٠٠١)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٨٦٢٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ  
الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ (٣٣٢/٧)، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ أَيْضًا - (٢٣٩/٥)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٦٠٤/٢) عَنْ  
قَتَادَةَ مِنْ قَوْلِهِ.

(٢) فِي د: «وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ».

(٣) فِي د: «لَمَّا».

(٤) قَرَأَ نَافِعُ بِالتَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ.

موافق لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْفَتْحِمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٥].

والآخر: أنه رجع قوم من الكفار حتى بقي منهم ست مئة وستة وعشرون رجلاً؛ وذلك قَدْرُ عدد المسلمين مرتين. وقيل: إنَّ الفاعل في ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾: ضمير المشركين، والمفعول: ضمير المؤمنين، وإن الضمير في ﴿مِثْلَيْنِهِمْ﴾ يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للمشركين.

والمعنى على هذا: أنَّ الله كثر عدد المسلمين في أعين المشركين؛ حتى حسب الكفار المؤمنين مثلي الكافرين، أو مثلي المؤمنين، وهم أقل من ذلك، وإنما كثرهم الله في أعينهم ليرهبوهم. ويردُّ هذا قوله تعالى: ﴿وَيَقْلِلْكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٥].  
﴿رَأَى الْغَيْبَ﴾ نَصَبٌ على المصدرية. ومعناه: معاينة ظاهرة لا شك فيها.

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ﴾ أي: أنَّ النصر بمشيئة الله، لا بالقلة، ولا بالكثرة؛ فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين؛ مع أنهم كانوا أكثر منهم.

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ﴾ قيل: المزيّن هو الله، وقيل: الشيطان. ولا تعارض بينهما؛ فتزيّن الله: بالإيجاد والتهيئة للانتفاع، وإنشاء الجبلّة على الميل إلى الدنيا. وتزيّن الشيطان: بالوسوسة والخديعة.

﴿وَالْفَنْطِيرِ﴾ جمع قنطار؛ وهو ألف ومثتا أوقية. وقيل: ألف ومثتا مثقال، وكلاهما مروى عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

﴿الْمَقَنْطَرَةِ﴾ مبنية من لفظ القنطار؛ للتأكيد؛ كقولهم: ألف مؤلفة. وقيل: المضروبة دنانير أو دراهم.

(١) تقديره بأنه ألف ومثتا أوقية أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٥/٥) عن أبي بن كعب ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «القنطار ألف أوقية ومثتا أوقية»، قال ابن كثير في تفسيره (٢٠/٢): «وهذا حديث منكر، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب»، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٧٥٨) وابن ماجه (٣٦٦٠) عن أبي هريرة مرفوعاً، وروي موقوفاً، قال ابن كثير (٢٠/٢): «وهذا أصح». وتقديره بأنه ألف ومثتا مثقال أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٥/٥) عن الحسن مرسلًا، ورواه -أيضًا- موقوفاً عليه.



﴿الْمُسَوِّمَةِ﴾ الراعية؛ من قولهم: سام الفرس وغيره: إذا جال في المسارح. وقيل: المُعَلِّمة في وجوها شيات<sup>(١)</sup>؛ فهي من السِّمَا بمعنى العلامة. وقيل: المعدَّة للجهاد.

﴿ذَلِكَ مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تحقير لها؛ ليزهد فيها الناس.

﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَيْثُ مِّنْ ذَلِكُمْ﴾ تفضيل للآخرة على الدنيا؛ ليرغب فيها. وتمَّ الكلام في قوله: ﴿مِّنْ ذَلِكُمْ﴾، ثم ابتداءً قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾؛ تفسيرًا لذلك. فـ ﴿جَنَّتٌ﴾ على هذا: مبتدأ، وخبره: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾. وقيل: إنَّ قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ متعلِّق بما قبله، ويتمُّ الكلام في قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. فـ ﴿جَنَّتٌ﴾ على هذا: خبرٌ ابتداءً مضمير.

﴿وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ زيادةٌ إلى نعيم الجنة، وهو أعظم من النعيم حسبما ورد في الحديث<sup>(٢)</sup>.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نعتٌ ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أو رَفَعُ بالابتداء<sup>(٣)</sup>، أو نَصْبٌ بإضمار فعل.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال.

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ العابدين، أو المطيعين.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الاستغفار: هو طلب المغفرة. قيل لرسول الله ﷺ: كيف نستغفر؟ فقال: «قولوا: اللهم اغفر لنا وارحمنا وتُب علينا إنك أنت التَّوَّابُ الرحيم»<sup>(٤)</sup>.

(١) الشَّيَاتُ: جمع شَيْءٍ، وهي كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره، وهي من: وَشَى، فشاؤه واو محذوفة، والهاء في آخره عوضٌ منها. انظر: لسان العرب (٢٠/٢٧١).

(٢) عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً» أخرجه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٣) أي: رفعٌ على إضمار الابتداء، فيكون خبر مبتدأ محذوف. المحرر الوجيز (٢/١٧٧).

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٢٢٢) من حديث مسلم بن السائب، عن خباب بن الارت ؓ، قال ابن حجر في المطالب العالية (١٣/٨٥٠): «وسنده ضعيف»، ورواه النسائي أيضاً عن مسلم بن السائب بن خباب مرسلًا (١٠٢٢٣) (١٠٢٢٤)، قال المزي في تحفة الأشراف (٣/١١٨): «وهذا هو الصواب».

﴿بِالْأَشْجَارِ﴾ جمع سَحَرٍ؛ وهو آخر الليل؛ يقال: إنه الثلث الآخر؛ وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذ: «من يستغفرني فأغفر له»<sup>(١)</sup>.

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآية؛ شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية. وقيل: معناها: إعلامه لعباده بذلك.

﴿وَالْمَلَكِ﴾ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ عطف على اسم «اللَّهُ»؛ أي: هم شهداء بالوحدانية. ويعني بأولي العلم: العارفين بالله، الذين يقيمون البراهين على وحدانيته<sup>(٢)</sup>.

﴿فَإِيْمًا﴾ منصوب على الحال من: اسم «اللَّهُ»، أو من: «هُوَ». أو منصوب على المدح. ﴿بِالْفِئْطِ﴾ بالعدل.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما كرر التهليل لوجهين: أحدهما: أنه ذكر أولاً الشهادة بالوحدانية، ثم ذكرها ثانياً بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة<sup>(٣)</sup>. والآخر: أن ذلك تعليم لعباده؛ ليكثرُوا من قولها.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) [التعليق ٢٨] قال الشيخ عبد الرحمن البراءك: قوله: «العارفين بالله» فسر «أَوَّلُوا الْعِلْمَ» بالعارفين، ومعلوم أن أول من يدخل في أولي العلم الأنبياء والرسل، ولم يذكرهم الله باسم العارفين، وإنما يوصفون بصفة النبوة والرسالة، ولم يأت ذكر المعرفة في القرآن إلا في معرفة الأعيان بعد طول العهد، كقوله تعالى في يوسف: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾، وفي الإقرار في مقابل الجحد والإنكار، كما في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ وَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، وما أثنى الله على أحد بإتياء المعرفة، بل بإتياء العلم، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أَرَادَ أَنْ يُرَفِّعَهُمْ وَيُنْزِلُ الَّذِينَ أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَهُمْ﴾، وأثنى تعالى على المتفكرين في الآيات بالعلم دون المعرفة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعَالِمِينَ﴾، وأثنى الله على نفسه بالعلم دون المعرفة، وهو العليم، وعالم الغيب، ويعلم ما في السماوات والأرض، فمن أسمائه العليم، دون العارف. قيل من الفرق بين العلم والمعرفة: إن المعرفة لا تكون إلا بعد جهل. هذا، والعارف مصطلح صوفي لا يعرف في كلام السلف في الثناء به على الراسخين في العلم، ومعناه عند أرباب التصوف من بلغ الغاية في معرفة الله حتى شهد الله في كل شيء، وهذه حقيقة وحدة الوجود، ولا ريب أن ابن جزي ؓ لا يريد بالعارف هذا المعنى، بل قد فسره، وأبان مراده بقوله: «القادر على إقامة البراهين على وحدانية الله»، وهذا معنى حسن، وهو يؤول إلى التمكن في العلم بالحجج الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته، وصار المأخذ على المفسر هو العدول عن المعنى الواضح إلى لفظ مشتبه، لا أثر له في تفسير الآية، فكان الأولى أن يقول: أولو العلم هم العلماء بما بعث الله به رسله الذين يخشونه ولا يخشون أحداً إلى الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلْكُوتُ﴾.

(٣) في د: «ثم ذكر ثانياً ثبوتها بالشهادة المتقدمة».

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ بكسر الهمزة<sup>(١)</sup>: ابتداءً. وفتحها: بدلٌ من ﴿أَنَّهُ﴾، وهو بدل شيء من شيء؛ لأن التوحيد هو الإسلام.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ﴾ الآية؛ إخبارٌ أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق؛ من أجل البغي، وهو الحسد. والآية في اليهود، وقيل: في النصارى، وقيل: فيهما.

﴿سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾ قد تقدّم معناه في «البقرة»<sup>(٢)</sup>. وهو هنا تهديدٌ؛ ولذلك وقع في جواب: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ﴾.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: جادلوك في الدين. والضمير: لليهود، ونصارى نجران.

﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: أخلصت نفسي وجُمَلتي لله؛ وعبر بالوجه عن الجملة. ومعنى الآية: إقامة الحجة عليهم؛ لأنَّ مَنْ أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك، فسقطت حجة مَنْ خالفه.

﴿وَمَنْ إِتَّبَعَنِي﴾ عطفٌ على التاء في ﴿أَسْلَمْتُ﴾، ويجوز أن يكون مفعولاً معه.

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ تقريرٌ بعد إقامة الحجة؛ أي: قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تُسلموا.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك، فإذا بلغتْها فقد فعلت ما عليك. وقيل: إن فيها مَوادعةً نسختها آية السيف.



(١) قرأ الكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) انظر تفسير الآية (٢٠٠).

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ  
 بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
 وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٦﴾ \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى  
 كِتَابِ اللَّهِ لِيُخْصِمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ  
 نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٨﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعَتْ لَهُمْ  
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ قُلِ اللَّهُ مَالِكُ  
 الْمُلْكِ تُوتَى الْمُلْكُ مَن تَشَاءُ وَتُنَزَّلُ الْمُلْكُ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ  
 بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ  
 وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١﴾ لَا  
 يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي  
 شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْبَلُ وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٢﴾ قُلِ إِن تَخْشَوْا مَا  
 فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ  
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ  
 أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٤﴾ قُلِ إِن كُنْتُمْ  
 تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ قُلِ أَطِيعُوا  
 اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية؛ نزلت في اليهود والنصارى؛ توبيخاً لهم، ووعيداً على  
 قبيح<sup>(١)</sup> أفعالهم، وأفعال أسلافهم<sup>(٢)</sup>.

(١) في ب، د: «قبح».

(٢) أخرجه الطبري (٢٩١/٥) وابن أبي حاتم (٦٢٠/٢-٦٢١) والبخاري في مسنده (١٢٨٥) عن أبي عبيدة بن الجراح،  
 قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجل قُتل نبياً، أو رجلٌ أمر بالمنكر ونهى  
 عن المعروف»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ  
 يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ إلى أن انتهى إلى: ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عبيدة  
 قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مئة رجل واثنا عشر رجلاً من عباد بني  
 إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم، =

﴿الَّذِينَ آوَوْا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود. والكتاب هنا: التوراة، أو جنس.

﴿يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ ابنُ عباس رضي الله عنه: دخل رسول الله ﷺ على جماعة من اليهود، فيهم النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد، فقالوا له: على أي دين أنت؟ فقال: «على دين إبراهيم»، فقالوا: فإن إبراهيم كان يهوديًا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «فهلّموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم»، فأبوا عليه فتزلت الآية <sup>(١)</sup>. ف﴿كِتَابِ اللَّهِ﴾ على هذا: التوراة. وقيل: هو القرآن؛ كان النبي ﷺ يدعوهم إليه فيعرضون عنه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله. والباء سببية، والمعنى: أن كفرهم بسبب اغترارهم وأكاذيبهم. والأيام المعدودات قد ذكرت <sup>(٢)</sup> في «البقرة» <sup>(٣)</sup>.

﴿بَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ﴾ أي: كيف يكون حالهم يوم القيامة؟ والمعنى: تهويل واستعظام لما أُعِدَّ لهم.

﴿اللَّهُمَّ﴾ منادئ، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين؛ ولذلك لا يجتمعان. وقال الكوفيون: أصله: «يا الله أُمَّنًا بخير» فالميم عندهم من: «أُمَّنًا» <sup>(٤)</sup>.

﴿مَلِكِ الْمُلْكِ﴾ منادئ عند سيويه. وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله. وقيل: إن الآية نزلت ردًا على النصارى في قولهم: إن عيسى هو الله؛ لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى <sup>(٥)</sup>. وقيل: لما أخبر النبي ﷺ أن أمته يفتحون مُلْك كسرى وقيصر: استبعد ذلك

= وهم الذين ذكر الله ﷻ، وإسناده ضعيف؛ لجهالة بعض رواة إسناده، قال الهيثمي في المجمع (٢٧٢/٧): «وفيه ممن لم أعرفه اثنان».

(١) أخرجه الطبري (٢٩٣/٥) وابن أبي حاتم (٦٢٢/٢).

(٢) في ب، ج، هـ: «ذكر».

(٣) انظر تفسير الآية (٧٩).

(٤) قال ابن عطية (١٨٧/٢): «ومذهب الفراء والكوفيين: أن أصل «اللَّهُمَّ»: «يا لله أُمَّ»: أي: أُمَّ بخير [أي: اقصدنا بخير]، وأن ضمة الهاء هي ضمة الهمزة التي كانت في «أُمَّ» نُقِلَتْ».

(٥) لم أقف على أثر يدل على أنه هذا هو سبب نزول الآية، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (١٨٧/٢): «قال بعض العلماء: إن هذه الآية دافعة لباطل نصارى نجران في قولهم: إن عيسى هو الله، وذلك أن هذه الأوصاف تبين لكل صحيح الفطرة أن عيسى ﷺ ليس في شيء منها»، فلعل ابن جزري أراد هذا المعنى الذي نقله ابن عطية، لا أن هذا هو سبب نزول الآية.

المنافقون، فنزلت الآية<sup>(١)</sup>.

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ قيل: المراد: «بيدك الخير والشر»، فحذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه. وقيل: إنما خصّ الخير بالذكر؛ لأنّ الآية في معنى دعاء ورغبة؛ فكأنه يقول: بيدك الخير فأجزل حظّي منه.

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هي النطفة؛ تخرج من الرجل ميتة وهو حي، ويخرج الرجل منها حياً وهي ميتة<sup>(٢)</sup>. وقال عكرمة: هو إخراج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة<sup>(٣)</sup>. وقيل: تُخرج<sup>(٤)</sup> المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فالحياة والموت على هذا: استعارة. وفي ذكر الحي مع الميت: المطابقة؛ وهي من أدوات البيان. وفيه -أيضاً- القلب؛ لأنه قدّم الحي على الميت، ثم عكس.

﴿يَغَيِّرُ حِسَابَ﴾ بغير تضيق. وقيل: بغير محاسبة.

﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية؛ عامة في جميع الأعصار. وسببها: مِثْلُ بعض الأنصار إلى بعض اليهود<sup>(٥)</sup>. وقيل: كتاب حاطب إلى مشركي قريش<sup>(٦)</sup>.

﴿بَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ تبرؤ ممن فعل ذلك، ووعدّ على موالاة الكفار. وفي الكلام حذف؛ تقديره: ليس من التقرب إلى الله في شيء. وموضع ﴿فِي شَيْءٍ﴾: نصبٌ على الحال من الضمير في ﴿بَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾. قاله ابن عطية<sup>(٧)</sup>.

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٨/ ١٩١) عن ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنه دون إسناد، قال ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٢٥): «ولم أجده إسناداً»، وأخرجه الثعلبي -أيضاً- بإسناده عن

كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، وكثير هذا ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٦).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٧).

(٤) في ب، د: «يخرج».

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٣١٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٨/ ٢٢١) عن مقاتل بن سليمان، ولم يُسنده، وانظره في تفسيره مقاتل بن سليمان (١/ ٢٧٠).

(٧) المحرر الوجيز (٢/ ١٩٢)، ونقل أبو حيان كلام ابن عطية هذا، وعلّق عليه بقوله: «وهو كلام مضطرب؛ لأن تقديره: «فليس من التقرب إلى الله» يقتضي أن لا يكون «من الله» خبراً له «ليس»؛ إذ لا يستقل، =

﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ﴾ إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم. والمراد: موالاته بالظاهر، مع البغضاء في الباطن.

﴿تُفِيَةٌ﴾ وزنه: فُعْلَةٌ - بضم الفاء وفتح العين -، وفاؤه واو، أُبْدِلَ منها تاء، ولامه ياء أُبْدِلَ منها ألف. وهو منصوب على المصدرية، ويجوز أن ينتصب على الحال من الضمير في ﴿تَتَّقُوا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَيَحْذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ تخويفٌ.

﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ منصوبٌ على الظرفية، والعامل فيه فعل مضمر؛ تقديره: اذكروا، أو خافوا، وقيل: العامل فيه: ﴿قَدِيرٌ﴾، وقيل: ﴿الْمَصِيرُ﴾، وقيل: ﴿وَيَحْذِرُكُمْ﴾. ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿تَوَدُّ﴾، أو معطوف. ﴿أَمَدًا﴾ أي: مسافة.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ﴾ ذكر بعد التحذير تأنيساً؛ لئلا يفرط الخوف، أو لأن التحذير والتنبيه رَأْفَةٌ. ﴿بِأَتَّبِعُونِي﴾ جعل أتباع النبي ﷺ علامةً على محبة العبد لله تعالى، وشرطاً في محبة الله للعبد ومغفرته له. وقيل: إِنَّ الآية خطابٌ لنصارى نجران. ومعناها على العموم في جميع الناس.



= وقوله: «(في شيء)» هو في موضع نصب على الحال يقتضي أن لا يكون خبراً؛ فيبقى «ليس» - على قوله - لا يكون لها خبر، وذلك لا يجوز، وأعربها أبو حيان بقوله: «وخبر ليس هو ما استقلَّت به الفائدة، وهي (في شيء)، و(من الله) في موضع نصب على الحال؛ لأنه لو تأخر لكان صفةً لشيء، والتقدير: فليس في شيء من ولاية الله». البحر المحيط (٥/٢٨٦).

(١) فيكون ﴿تَقْنَةً﴾ جمع فاعل - كرماء - وإن كان لم يستعمل منه فاعل. المحرر الوجيز (٢/١٩٢).

\* إِنَّ اللَّهَ إِصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٣﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٥٤﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَثَبْتُهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاَ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاَ الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمَرْيَمُ أَبْنَىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٥﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّاَ رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٥٦﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٥٨﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٩﴾

﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ إِصْطَفَىٰ ﴿٥٢﴾ الآية؛ لما مضى صدرٌ من حاجة نصارى نجران: أخذ يبين لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى ﷺ، وكيفية ولادته. وبدأ بذكر آدم ونوح ﷺ؛ تكميلاً للأمر؛ لأنهما أبوان لجميع الأنبياء. ثم ذكر إبراهيم؛ تدریجاً إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى ﷺ.

وقيل: إن عمران هنا هو والد موسى، وبينهما ألف وثمان مئة سنة.

والأظهر أن المراد هنا: هو والد مريم؛ لذكر قصتها بعد ذلك.

﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ يحتمل أن يريد بالآل: القرابة، أو الأتباع. وعلى الوجهين يدخل نبينا محمد ﷺ في آل إبراهيم.

﴿٥١﴾ ذُرِّيَّةً ﴿٥٢﴾ بدل مما تقدّم، أو حال. ووزنه فُعْلِيَّةٌ؛ منسوب إلى الذر؛ لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وغير أوله في النسب. وقيل: أصل ذُرِّيَّةٌ: ذُرُورَةٌ؛ وزنها: فُعُولَةٌ، ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء، فصار: ذُرُويَّةٌ، ثم ادغمت الواو في الياء وكسرت



الراء فصار: ذُرِّيَّة.

﴿٣٥﴾ اِذْ قَالَتْ الْعَامِلُ فِيهِ مَحْذُوفٌ؛ تَقْدِيرُهُ: اذْكَر. وَقِيلَ: ﴿عَلِيمٌ﴾. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْعَامِلُ فِيهِ: مَعْنَى الْاِصْطِفَاءِ<sup>(١)</sup>.

﴿اِمْرَاَتُ عِمْرَانَ﴾ اسْمُهَا: حَنَّةُ -بِالنُّونِ-، وَهِيَ اُمُّ مَرْيَمَ، وَعِمْرَانُ هُنَا: هُوَ وَالِدُ مَرْيَمَ.  
﴿نَذَرْتُ﴾ أَيُّ: جَعَلْتُ نَذْرًا عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْوَلَدُ الَّذِي فِي بَطْنِي حَبِيسًا عَلَى خِدْمَةِ بَيْتِكَ؛ وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدَسِ.

﴿مُحَرَّرًا﴾ أَيُّ: عَتِيقًا مِنْ كُلِّ شُغْلٍ إِلَّا خِدْمَةَ الْمَسْجِدِ.

﴿٣٦﴾ ﴿بَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الْآيَةُ؛ كَانُوا لَا يُحَرِّرُونَ الْإِنَاثَ لَخِدْمَةِ الْمَسَاجِدِ، فَقَالَتْ: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْثَى﴾؛ تَحَشَّرَا وَتَلَهَّفَا عَلَى مَا فَاتَهَا مِنَ النَّذْرِ الَّذِي نَذَرْتُ.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قُرِئَ ﴿وَضَعَتْ﴾<sup>(٢)</sup>: بِإِسْكَانِ التَّاءِ، وَهُوَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ؛ تَعْظِيمًا لِمَوْضُوعِهَا. وَقُرِئَ: بِضَمِّ التَّاءِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ؛ وَهُوَ -عَلَى هَذَا- مِنْ كَلَامِهَا.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، فَالْمَعْنَى: لَيْسَ الذَّكَرُ الَّذِي طَلَبَتْ كَالْأُنْثَى الَّتِي وَهَبَتْ لَكَ. وَأَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِهَا، فَالْمَعْنَى: لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى فِي خِدْمَةِ الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّ الذَّكَورَ كَانُوا يَخْدُمُونَهَا دُونَ الْإِنَاثِ.

﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إِنَّمَا قَالَتْ لِرَبِّهَا: ﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾؛ لِأَنَّ مَرْيَمَ فِي لُغَتِهِمْ بِمَعْنَى: الْعَابِدَةُ، فَأَرَادَتْ بِذَلِكَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ. وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا: تَسْمِيَةُ الْمَوْلُودِ يَوْمَ وَلادَتْهُ. وَامْتَنَعَ ﴿مَرْيَمَ﴾ مِنَ الصَّرْفِ؛ لِلتَّعْرِيفِ وَالتَّأْنِيثِ، وَفِيهِ -أَيْضًا- الْعُجْمَةُ.

﴿وَإِنِّي أَعِيزُهَا﴾ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا؛ لِقَوْلِهَا: ﴿وَإِنِّي أَعِيزُهَا بِكَ﴾..» الْآيَةُ<sup>(٣)</sup>.

(١) وَالتَّقْدِيرُ: وَاصْطَفَى آلَ عِمْرَانَ إِذْ. الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ (٢/٢٠٠).

(٢) قَرَأَ ابْنُ عَامَرَ وَشُعْبَةُ عَنْ عَاصِمٍ: ﴿وَضَعْتُ﴾ بِإِسْكَانِ الْعَيْنِ وَضَمِّ التَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَإِسْكَانِ التَّاءِ.

(٣) تَقْدِيمُ تَخْرِيجِهِ.

﴿وَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: رَضِيَهَا للمسجد مكان الذَّكَر.

﴿يَقْبُولُ حَسِي﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يكون مصدرًا على غير الصُّدْر<sup>(١)</sup>. والآخر: أن يكون اسمًا لما يُقْبَل به، كالسَّعوط: اسم<sup>(٢)</sup> لما يُسَعَط به.

﴿وَأَثَبَتْهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عبارة عن حسن النشأة.

﴿وَكَبَّلَهَا زَكْرِيَاءُ﴾ أي: ضَمَّهَا إلى إنفاقه وحَضَانَتِهِ، والكافل: هو الحاضن. وكان زكرياء زوج خالتها، وقيل: زوج أختها. وقرئ: ﴿وَكَبَّلَهَا﴾ بتشديد الفاء، ونصب ﴿زَكْرِيَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: جعله الله كافلها.

﴿الْمِحْرَابُ﴾ في اللغة: أشرف المجالس، وبذلك سُمِّي موضع الإمام. ويقال: إن زكرياء بنى لها غرفة في المسجد؛ وهي المحراب هنا. وقيل: المحراب: موضع العبادة.

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. ويقال: إنها لم تَرْضَعْ ثديًا قط، وكان الله يرزقها.

﴿أَبْنَى لَكَ هَذَا﴾ أي: كيف؟ ومن أين؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾ من كلام مريم، أو من كلام الله تعالى.

﴿هَئِذَاكَ﴾ إشارة إلى مكان. وقد يستعمل في الزمان؛ وهو الأظهر هنا، أي: لما رأى زكرياء كرامة الله تعالى لمريم: سأل من الله الولد.

(١) في أ، د: «المصدر»، والمثبت هو الصواب، والصُّدْر: هو الفعل في اصطلاح الكوفيين، وهذا التعبير «مصدر على غير الصُّدْر» مألوف الاستعمال عند العلماء، كما في أدب الكاتب لابن قتيبة، والمحرر الوجيز، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان، وغيرها، ومعناه: أن يكون المصدر على غير بناء الفعل، بأن يكون مصدرًا لفعل آخر، فالفعل في هذه الآية: «تَقَبَّلَ»، ومصدرُ هذا الفعل: «تَقَبَّلًا»، ولكنه جاء هنا «قبولًا» مصدرًا للفعل «قَبِلَ». وانظر: أدب الكاتب، لابن قتيبة (تحقيق: الدالي): (ص: ٣٣٣).

(٢) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿وَكَبَّلَهَا زَكْرِيَاءُ﴾ بالتخفيف والرفع، وقرأ شعبة عن عاصم: ﴿وَكَبَّلَهَا زَكْرِيَاءُ﴾ بالتشديد والنصب، وقرأ الباقر: ﴿وَكَبَّلَهَا زَكْرِيَاءُ﴾ بالتشديد وبالقصر من غير همز.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أَنْتَ رَعِيَا لِلْجَمَاعَةِ، وقرئ بالالف على التذكير<sup>(١)</sup>. وقيل: إن الذي ناداه جبريل وحده، وإنما قيل: ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ كقولهم: فلان يركب الخيل؛ أي: جنس الخيل، وإن كان فرسًا واحدًا.

﴿بِيَحْيَى﴾ اسم سَمَّاهُ الله تعالى به قبل أن يولد، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقًا وبناءً في العربية. وهو لا ينصرف، فإن كان أعجميًا: ففيه التعريف والعُجْمَة، وإن كان عربيًا: فالتعريف ووزن الفعل.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: مصدقًا بعيسى عليه السلام، مؤمنًا به. وسُمِّيَ عيسى كلمة الله؛ لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها؛ وهي قوله: ﴿كُنْ﴾، لا بسبب آخر؛ وهو الوالد كسائر بني آدم.

﴿وَسَيِّدًا﴾ السَّيِّدُ: هو الذي يسود قومه؛ أي: يفوقهم في الشرف والفضل.

﴿وَحَصُورًا﴾ أي: لا يأتي النساء؛ فقيل: خلقه الله كذلك، وقيل: كان يُمِسِّكُ نفسه. وقيل: الحصور: الذي لا يأتي الذنوب.

﴿أَبْنَى يَكُونُ لِي غَلَمٌ﴾ تعجَّب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته، وعُقْمُ امرأته، ويقال: إنه كان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون؛ فاستبعد ذلك في العادة، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك. فسأله؛ لعلمه بقدرة الله، واستبعده؛ لأنه نادر في العادة. وقيل: سأله وهو شاب، وأجيب وهو شيخ؛ ولذلك استبعده.

﴿كَذَلِكَ اللَّهُ﴾ أي: مثل هذه الفعلة العجيبة: يفعل الله ما يشاء؛ فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة. والإشارة بـ«ذلك»: إلى هبة الولد لزكرياء.

واسم ﴿اللَّهُ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، و﴿كَذَلِكَ﴾ خبره؛ فيجب وصله معه<sup>(٢)</sup>.

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿فناداه﴾ بالالف، وقرأ الباقون: ﴿فنادته﴾.

(٢) ويكون في الكلام حذف مضاف، أي: كهذه القدرة المستغربة هي قدرة الله، و﴿يَقَعْلُ مَا يَشَاءُ﴾ بيان وشرح للإبهام الذي في اسم الإشارة «ذلك». المحرر الوجيز (٢/ ٢١٣)، والبحر المحيط (٥/ ٣٥٤).

وقيل: إن الخبر: ﴿يَقْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، ويَحْتَمِلُ ﴿كَذَلِكَ﴾ - على هذا - وجهين: أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل ﴿يَقْعَلُ﴾<sup>(١)</sup>. والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدئ محذوف؛ تقديره: «الأمر كذلك»، أو «أنتما كذلك».

وعلى هذا يوقف على ﴿كَذَلِكَ﴾. والأول أرجح؛ لاتصال الكلام، وارتباط قوله: ﴿يَقْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ مع ما قبله، ولأن له نظائر كثيرة في القرآن؛ منها قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿إِجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل المرأة.

﴿آيَتِكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس ثلاثة أيام، يُمنع لسانه<sup>(٢)</sup> عن ذلك، مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله؛ ولذلك قال: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾. وإنما حُيس لسانه عن الكلام تلك المدة؛ لِيُخْلَصَ فيها لذكر الله؛ شكرًا على استجابة دعائه، ولا يُشغِلَ لسانه بغير الشكر والذكر.

﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ إشارة باليد، أو بالرأس، أو غيرهما؛ فهو استثناء منقطع.

﴿بِالْعِشِيِّ﴾: من زوال الشمس إلى غروبها، ﴿وَالْإِبْجَرِ﴾: من طلوع الفجر إلى وقت الضحى.



(١) لم يتبين لي المعنى على هذا الوجه! والإعراب الذي ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٣٥٤/٥) على هذا الوجه: أن يكون في موضع الحال من ضمير المصدر المحذوف من «يفعل»، أي: يفعل الله فعلاً مُستغرباً حال كونه مثل ذلك الفعل، وهو تكون الولد بين الفاني والعافر. فيظهر أن إعراب ابن جزي تجاوز واختصار لإعراب أبي حيان.

(٢) في ج: «لسانك».

\* وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَيْكِ وَظَهَرَ كِ وَظَهَرَ كِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ يَمْرُؤُا أَفَنَتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْهُمْ آيَاتُ أَنْهُمْ يَكْفُرُ مَرَّةً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤﴾ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنْبَى يُكُونُ لِي وَلَهُ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ إِنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَآثَرُهُ الْأَكْثَرُ وَالْأَبْرَصَ وَالْخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَآتِيْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلْ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٨﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٩﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١﴾ وَمَكْرُؤًا لِمَكَرِ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿١٢﴾

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة؟ والعامل في ﴿إِذْ﴾ مضمرة.

﴿إِصْطَفَيْكِ﴾ أَوَّلًا حين تقبلتك من أمك. ﴿وَوَهَبَ لَكِ﴾ من كل عيب في خلق أو خلق أو دين. ﴿وَاصْطَفَيْكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يحتمل: أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصًا بأن وهب لها عيسى من غير أب، فيكون ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ عامًا. وأن يكون الاصطفاء عامًا، فيُخَصَّصُ<sup>(١)</sup> من ﴿نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾: خديجة وفاطمة عليهما السلام، أو يكون المعنى: على نساء زمانها. وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق، وقيل: إنها كانت نبيّة؛ لتكليم الملائكة لها.

(١) في ج، د، هـ: «فيخص».

﴿أَفَنُتِ﴾ القنوت هنا: بمعنى الطاعة والعبادة. وقيل: طول القيام في الصلاة؛ وهو قول الأكثرين.

﴿وَأَسْجُدْ وَارْكَعْ﴾ أمرت بالصلاة؛ فذكر القنوت والسجود؛ لكونهما<sup>(١)</sup> من هيئات الصلاة وأركانها، ثم قيل لها: ﴿وَارْكَعْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلين؛ أي: في الجماعة. فلا يقتضي الكلام -على هذا- تقديم السجود على الركوع؛ لأنه لم يرد الركوع والسجود المنتظمين في ركعة واحدة. وقيل: أراد ذلك، وقدم السجود؛ لأن الواو لا ترتب. ويحتمل أن تكون الصلاة في ملتئمتهم بتقديم السجود على الركوع.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من القصص، وهو خطاب للنبي ﷺ.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ احتجاج على نبوته ﷺ؛ لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم. ﴿يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ أزلامهم<sup>(٢)</sup>؛ وهي قداحهم. وقيل: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اقرعوا بها على كفالة مريم؛ حرصاً عليها وتنافساً في كفالتها. وتدلل الآية على جواز القرعة، وقد ثبتت -أيضاً- من السنة.

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأ وخبر، في موضع نصب بفعل تقديره: ينظرون أيهم.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يختلفون فيمن يكفلها منهم.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ «إذ» بدل من «وَإِذْ قَالَتِ»، أو من «إِذْ يَخْتَصِمُونَ»، أو العامل فيه مضمرة<sup>(٣)</sup>.

﴿إِسْمُهُ﴾ أعاد الضمير المذكر على «الكلمة»؛ لأن المسمى بها ذكر.

﴿الْمَسِيحُ﴾ قيل: هو مشتق من: ساح في الأرض؛ فوزنه: مَفْعِل. وقال الآخرون: من مَسَح؛ لأنه مَسَح بالبركة؛ فوزنه: فَعِيل. وإنما قيل<sup>(٤)</sup>: «عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» والخطاب لمريم؛ لينسبها إليها؛ إعلماً بأنه يولد من غير والد.

(١) ب: «لأنهما».

(٢) هذه الكلمة سقطت من ب، ج، هـ.

(٣) تقديره: اذكر. المحرر الوجيز (٢/٢٢٠).

(٤) في د: «قال».

﴿وَجِيهًا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ. وَوَجَاهُهُ فِي الدُّنْيَا: النُّبُوَّةُ، وَالتَّقَدُّمُ عَلَى النَّاسِ، وَفِي الْآخِرَةِ: الشَّفَاعَةُ، وَعُلُوُّ الدَّرَجَةِ فِي الْجَنَّةِ.

﴿فِي الْمَهْدِ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، ﴿وَكَهْلًا﴾ عَطْفٌ عَلَيْهِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَكَلِّمُ النَّاسَ صَغِيرًا؛ آيَةً تَدُلُّ عَلَى بَرَاءَةِ أُمِّهِ مِمَّا قَذَفَهَا بِهِ الْيَهُودُ، وَتَدُلُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ. وَيَكَلِّمُهُمْ -أَيْضًا- كَبِيرًا؛ فِيهِ إِعْلَامٌ بِعَيْشِهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ سِنَّ الْكَهُولَةِ؛ وَأَوَّلُهُ: ثَلَاثٌ <sup>(١)</sup> وَثَلَاثُونَ سَنَةً. وَقِيلَ: أَرْبَعُونَ.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿يَبْتَرِكُ﴾، أَوْ عَلَى ﴿وَيَكَلِّمُ﴾.

﴿الْكِتَابِ﴾ هُنَا: جَنْسٌ. وَقِيلَ: الْخَطُّ بِالْيَدِ.

﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ هُنَا: الْعُلُومُ الدِّينِيَّةُ، أَوْ الْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

﴿وَرَسُولًا﴾ حَالٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾؛ إِذِ التَّقْدِيرُ: وَمُعَلِّمًا الْكِتَابَ. أَوْ يُضَمَّرُ لَهُ فِعْلُ تَقْدِيرِهِ: أُرْسِلَ رَسُولًا، أَوْ جَاءَ رَسُولًا.

﴿إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ عِيسَى عليه السلام مَبِينًا لِحُكْمِ التَّوْرَةِ.

﴿أَنِّي﴾ تَقْدِيرُهُ: بَأَنِّي.

﴿إِنِّي أَخْلُقُ﴾ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ <sup>(٢)</sup>: بَدَلٌ مِنْ ﴿أَنِّي﴾ الْأَوَّلِ، أَوْ مِنْ ﴿بِأَنِّي﴾. وَبَكْسَرِهَا: ابْتِدَاءُ كَلَامٍ.

﴿فَأَنْفِخُ فِيهِ﴾ ذَكَرَ هُنَا الضَّمِيرَ؛ لِأَنَّهُ يَعُودُ عَلَى الطِّينِ <sup>(٣)</sup>، أَوْ عَلَى الْكَافِ مِنْ ﴿كَهَيْئَةٍ﴾. وَأَنْتَ فِي «الْمَائِدَةِ»؛ لِأَنَّهُ يَعُودُ عَلَى الْهَيْئَةِ.

﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ غَيْرَ الْخُقَافِشِ. وَقُرِئَ ﴿طَيْرًا﴾ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ: عَلَى الْجَمْعِ، وَبِأَلْفٍ وَهَمْزَةٍ: عَلَى الْإِفْرَادِ <sup>(٤)</sup>. وَكَرَّرَ ﴿يَاذِ اللَّهِ﴾ رَفْعًا لَوْهَمٍ مِنْ تَوْهَمٍ فِي عِيسَى الرَّبُّوبِيَّةِ.

﴿وَأَنْبِئْ﴾ رَوَى أَنَّهُ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُمَيَّانِ وَالْبُرَصِ <sup>(٥)</sup> فَيَدْعُو لَهُمْ فَيَبْرؤُونُ <sup>(٦)</sup>.

(١) فِي أ، ب، د، هـ: «ثَلَاثَةٌ».

(٢) قَرَأَ نَافِعٌ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا.

(٣) فِي ب، د: «الطِّير»، وَمَا أَثْبَتَهُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْمَحْرُورِ الْوَجِيزِ (٢/٢٢٨).

(٤) قَرَأَ نَافِعٌ ﴿طَائِرًا﴾ بِأَلْفٍ وَهَمْزَةٍ عَلَى الْإِفْرَادِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿طَيْرًا﴾ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ عَلَى الْجَمْعِ.

(٥) فِي أ، ب، د، هـ: «وَالْبُرَصَى»، وَالَّذِي فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (٨/٢٧٠): «وَجَمْعُ الْأَبْرَصِ بُرَصٌ».

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٥/٤٢٤)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (٤٧/٣٩٠-٣٩١) عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ.

﴿وَإِخِي الْمَوْتَى﴾ روي أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر، فيقوم الميت ويكلمه<sup>(١)</sup>. وروي أنه أحيا سام بن نوح<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَنبِئُكُمْ﴾ كان يقول: يا فلان أكلت كذا، وأدّخرت في بيتك كذا.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف على ﴿وَرَسُولًا﴾، أو على موضع: ﴿بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ لأنه في موضع الحال، وهو أحسن؛ لأنه من جملة كلام عيسى، فالتقدير: جئتكم<sup>(٣)</sup> بآية، وجئتكم مصدقًا.

﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ﴾ عطف على ﴿بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. وكانوا قد حُرِّم عليهم الشحم، ولحم الإبل، وأشياء من الحيتان والطيور، فأحلَّ لهم عيسى بعض ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ ردُّ على مَنْ نسب الربوبية لعيسى. وانتهى كلام عيسى ﷺ إلى قوله: ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، وابتدأه من قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ﴾.

وكلُّ ذلك يحتمل: أن يكون مما ذكّرت الملائكة لمريم حكاية عن عيسى ﷺ أنه سيقوله. ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع، ثم استأنف الكلام من قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾؛ على تقدير: جاء عيسى رسولاً بأني قد جئتكم بآية<sup>(٤)</sup>، ثم استمرَّ كلامه إلى آخره.

﴿بَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى﴾ أي: علِمَ علماً ظاهراً، كعلم ما يُدرَك بالحواس.

﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾ طلبُ النصرة<sup>(٥)</sup>. والأنصار: جمع ناصر.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تقديره: مَنْ يضيف أنفسهم - في نصرتي - إلى الله؛ فلذلك قيل: «إلى» هنا بمعنى: «مع». أو: يتعلّق بمحذوف<sup>(٦)</sup> تقديره: ذاهباً إلى الله، أو ملتجئاً إلى الله.

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٢٢٩) ولم أقف على إسناد له.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناده عن معاوية بن قرة، في كتاب «من عاش بعد الموت». (موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٣٩).

(٣) في زيادة: «من ربكم».

(٤) في زيادة: «من ربكم».

(٥) في ب، ج: «طلبُ النصرة».

(٦) يكون حالاً من الياء في «أنصاري». الكشاف (٤/ ١١٧).



﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ حوارِيُّ الرَّجُلِ: صِفَتُهُ وَخَالِصَتُهُ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيِّ حَوَارِيٍّ، وَإِنْ حَوَارِيٍّ الزَّبِيرِ»<sup>(١)</sup>. وَقِيلَ: إِنَّ الْحَوَارِيَّينَ كَانُوا قَصَّارِينَ<sup>(٢)</sup> يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ - أَي: يَبْيِضُونَهَا<sup>(٣)</sup> -؛ وَبِذَلِكَ سَمَّاهُمُ الْحَوَارِيَّينَ.

﴿بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ يَرِيدُونَ: الْإِنْجِيلَ، وَ﴿الرَّسُولَ﴾ هُنَا: عِيسَى ﷺ.

﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أَي: مَعَ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ مِنَ الْأُمَّمِ. وَقِيلَ: مَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ عَلَى النَّاسِ.

﴿وَمَكَّرُوا﴾ الضَّمِيرُ لِكُفَّارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَكَّرَهُمْ: أَنَّهُمْ وَكَّلُوا بِعِيسَى مَن يَقْتُلُهُ غِيلَةً.

﴿وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ أَي: رَفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ، وَأَلْقَى شَبَّهُهُ عَلَى مَنْ أَرَادَ اغْتِيَالَهُ حَتَّى قُتِلَ عَوَضًا مِنْهُ. وَعَبَّرَ عَنْ فِعْلِ اللَّهِ بِالمَكْرِ مُشَاكِلَةً لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَكَّرُوا﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِبِينَ﴾ أَي: أَقْوَاهُمْ، وَهُوَ فَاعِلٌ ذَلِكَ بِحَقٍّ، وَالْمَاكِرُ مِنَ الْبَشَرِ فَاعِلٌ بِيَاطِلٍ.



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٨٤٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٤١٥) عَنْ جَابِرٍ ؓ.

(٢) قَصَّرَ الثَّوبَ قِصَارَةً وَقَصَّرَهُ: حَوَّرَهُ وَدَقَّهُ، وَالْقَصَّارُ وَالْمُقَصِّرُ: الْمُحَوِّرُ لِلثِّيَابِ؛ لِأَنَّهُ يَدَقُّهَا بِالْقَصْرِ الَّتِي هِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْخَشَبِ، وَتُسَمَّى أَيْضًا الْمِقْصَرَةَ، وَحَرْفَتُهُ: الْقِصَارَةُ. انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ (٦/٤١٥).

(٣) فِي هَامِشٍ أ: «يُقَصِّرُونَهَا».

(٤) [التعليق ٣٩] قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبِرَّاكُ: قَوْلُهُ: «عَبَّرَ عَنْ فِعْلِ اللَّهِ بِالمَكْرِ...»، [السخ]:

أَقُولُ: مَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ سَمَّى مَا يَفْعَلُهُ بِالْكَافِرِينَ مِنَ الْعُقُوبَةِ: مَكَّرًا؛ مُشَاكِلَةً لَفِظِيَّةً؛ لِيُؤَافِقَ مَكْرَ الْكَافِرِينَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَسْمِ؛ فَيَكُونُ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ لَفْظًا.

وَهَذَا خَطَأٌ، وَالْحَامِلُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُؤَلِّفِ وَغَيْرِهِ: اسْتِقْبَاحُ إِضَافَةِ الْمَكْرِ إِلَى اللَّهِ حَقِيقَةً؛ بِنَاءً عَلَى اعْتِقَادِ أَنَّ الْمَكْرَ كُلَّهُ مَذْمُومٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ بَلْ مِنْ الْمَكْرِ مَا هُوَ مَحْمُودٌ، وَهُوَ مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْمَجَازَةِ عَدْلًا، وَمِنْ هَذَا مَكْرُ اللَّهِ بِأَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ رِسَالِهِ، جَزَاءً وَفَاقًا، وَشُنَّةً اللَّهُ أَنْ يَكُونَ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

وَمِنْ مَكْرِ اللَّهِ بِالْكَافِرِينَ: الْإِمْلَاءُ لَهُمْ وَاسْتِدْرَاجُهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) وَأَمْلَى لَهُمْ إِنْ كَيَّدُوا مَتَيْنٌ ﴿[الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣].

إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ بَقَرًا أَلْبَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٠﴾ بَأْمَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥١﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَتُوفِّيهِمْ أَجْرُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٤﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٥﴾ بَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاتَنَا وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصْلُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٥٨﴾

﴿٥٨﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ ﴿العامل فيه: فعلٌ مضمر، أو ﴿وَمَكَرَ﴾﴾<sup>(١)</sup>.

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قبل: وفاة موت، ثم أحياء الله في السماء. وقيل: رُفِعَ حَيًّا، ووفاء الموت: بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدَّجَالَ. وقيل: يعني: وفاة نوم. وقيل: المعنى: قابضك من الأرض إلى السماء. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: إلى سمائي<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ أي: من سوءِ جوارهم.

(١) في جميع النسخ الخطية كذا: «أو يمكر»! والمثبت هو لفظ الآية، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٢/٢٣٧)، والكشاف (٤/١١٩).

(٢) [التعليق ٤٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن جزري في قوله تعالى في شأن عيسى ﷺ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قال: أي: «إلى سمائي»، أقول: هذا عدولٌ باللفظ عن ظاهره، بتفسيره بلازمه؛ فإنَّ رُفِعَ عيسى ﷺ إلى الله - الذي هو مدلولُ اللفظ - يستلزم رفعه إلى السماء، والذي حمل ابنُ جزري وأمثاله على هذا التأويل مذهبهم في علوِّ الله، وهو أنه ليس سبحانه بذاته فوق سمواته، بل هو في كُلِّ مكان، كما تقدم في عددٍ من المواضع التي جرى التعليقُ عليها، وهذا خلافُ ما دلَّت عليه النصوصُ، وأجمع عليه أهلُ السنة. ورفعُ عيسى ﷺ إلى السماء التي وجدَّه النَّبِيُّ ﷺ فيها ليلةَ الإسراء = يتضمَّن تكريماً وتقريباً، فمن كان من العباد أعلى مكاناً كان أقرب إلى الله تعالى، فإبراهيم وموسى ﷺ أقرب إلى الله من المسيح، فإنَّ إبراهيم في السماء السابعة، وموسى في السادسة، وعيسى في الثانية، كما في حديث أنس عند مسلم (رقم ١٦٢). والله أعلم.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ هم المسلمون، وعلوهم على الكفار: بالحجة، وبالسيف في غالب الأمر. وقيل: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾<sup>(١)</sup>: النصارى، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اليهود؛ فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود، وإذلالهم لهم.

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأخبار. ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ المتلوّة، أو المعجزات. ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ القرآن. ﴿الْحَكِيمِ﴾ الناطق بالحكمة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ الآية؛ حجة على النصارى في قولهم: كيف يكون ابنٌ دون أب؟ فمثله الله بآدم الذي خلقه دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعدوه؛ فهو أقطع لقولهم. ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ تفسير لحال آدم. ﴿بَيِّنُونَ﴾ حكاية حال ماضية، والأصل لو قال: «خلقته من تراب ثم قال له كن فكان»، لكنه وضع المضارع موضع الماضي؛ ليصور في نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم.

﴿الْحَقِّ﴾ خبر ابتداء مضمرة.

﴿بِمَنْ حَاجَّكَ بِهِ﴾ أي: في عيسى، وكان الذي حاجّه فيه وفدٌ نجران من النصارى، وكان لهم سيّدان يقال لأحدهما: السيد، وللآخر: العاقب.

﴿تَبْتَهِلُ﴾ نلتعن، والبهلة: اللّعة؛ أي: نقول: «لعنة الله على الكاذب منّا ومنكم»، هذا أصل الابتهاال. ثم استعمل في كل دعاء يُجْتَهَدُ فيه، وإن لم يكن لعنة. ولما نزلت الآية أرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعة فخافوا أن يهلكهم الله أو يمسّخهم الله قرده وخنازير، فأبوا من الملاعة، وأعطوا الجزية<sup>(٢)</sup>.



(١) في ب، ج، هـ: «الذين اتبعوه».

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٤٧٣) عن علباء بن أحمر البشكري، وأخرجه ابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٥٤-٥٥) - والحاكم في المستدرک (١٥٧) كلاهما عن الشعبي عن جابر ؓ، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، قال ابن كثير: «وقد رواه أبو داود الطيالسي.. الشعبي مرسلًا، وهذا أصح»، وأصل قصة المباهرة في البخاري (٤٣٨٠) من حديث حذيفة ؓ.

\* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٥﴾  
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِيهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجِّجْتُمْ بِهِمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ قُلِمَ تُحَاجُّونَ بِهِمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَذَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ ﴿٢١﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

﴿١٥﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴿١﴾ خطابٌ لنصارى نجران، وقيل: لليهود.

﴿سَوَاءٍ﴾ أي عدلٍ ونصفٍ.

﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ بدلٌ من ﴿كَلِمَةٍ﴾، أو رَفْعٌ على تقدير: هي. ودعاهم ﷺ إلى توحيد الله، وترك ما عبدوا من دونه، كالْمسيح والأخبار والرهبان.

﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ قالت اليهود: كان إبراهيم يهودياً، وقال النصارى: كان نصرانياً، فنزلت الآية ردّاً عليهم؛ لأن ملّة اليهود والنصارى إنما وُجدت بعد موت إبراهيم بمدةٍ طويلة (١).

﴿هَآأَنْتُمْ﴾ «ها» تنبيه، وقيل: بدلٌ من همزة الاستفهام، و«أَنْتُمْ» مبتدأ و﴿هَؤُلَاءِ﴾ خبره، و﴿حُجِّجْتُمْ﴾ استئناف. أو: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوب على التخصيص، و﴿حُجِّجْتُمْ﴾ الخبر.

﴿بِهِمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ فيما نطقت به التوراة والإنجيل.

﴿بِهِمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ما تقدّم على ذلك من حال إبراهيم.

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٤٨١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٤) عن ابن عباس ؓ.

- ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ رد على اليهود والنصارى.
- ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفى للإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراك الذي يتضمنه دين اليهود والنصارى.
- ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ عطف على ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾، أي: محمد ﷺ أولى الناس بإبراهيم؛ لأنه على دينه.
- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: أمة محمد ﷺ.
- ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ﴾ هم اليهود؛ دعوا حذيفة وعمارًا ومعاذًا إلى اليهودية<sup>(١)</sup>.
- ﴿وَمَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم.
- ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: تعلمون أن محمدًا ﷺ نبي.
- ﴿لَمْ تَلَيْسُوا﴾ أي: تخلصون. والحق: نبوة محمد ﷺ، والباطل: الكفر به.



(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٧/٤) (٤٠٨/٨)، والزمخشري في الكشاف (١٣٩/٤)، قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٧٩/١): «غريب، وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند ولا راو».

وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَا تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ أَن يُؤْتِي أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْبَظْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْبَظْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٨﴾ \* وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِذَا تَامَنَهُ فِيْغْطَارِ يُؤَدِّمُهُ إِلَىكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِذَا تَامَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّمُهُ إِلَىكَ إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ فَاقِيماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّاتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ بَلَى مَن أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨١﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيفًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّيْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٨٣﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾

﴿٧٦﴾ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ﴾ كان قومٌ من اليهود أظهروا الإيمان أول النهار، ثم كفروا آخره؛ ليخدعوا المسلمين فيقولوا: ما رجع هؤلاء إلا عن علم. وقال السهيلي: إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصَّيف، وعدِي بن زيد، والحارث بن عوف<sup>(١)</sup>.

﴿٧٧﴾ أَن يُؤْتِي أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يحتمل: أن يكون من تمام الكلام الذي أمر النبي ﷺ أن يقوله؛ فيكون متصلاً بقوله: ﴿إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ﴾. وأن يكون من كلام أهل الكتاب؛ فيكون متصلاً بقولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَا تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، ويكون ﴿إِنَّ الْهُدَى﴾ اعتراضاً بين الكلامين.

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٧٥-٧٦.

فعلى الأول: يكون المعنى: كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم: قُلْتُمْ ما قُلْتُمْ، ودَبَّرْتُمْ ما دَبَّرْتُمْ من الخداع. فموضع ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾: مفعول من أجله. أو منصوبٌ بفعل مضمر تقديره: فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة.

وعلى الثاني: يكون المعنى: لا تؤمنوا أي: لا تُقَرُّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾، واكتموا ذلك عمَّن لم يتبع دينكم؛ لئلا يدعَوْهم إلى الإسلام. فموضع ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾: مفعول بـ ﴿تُؤْمِنُوا﴾ المضمر معنى: تُقَرُّوا. ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله؛ أي: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم؛ كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. ﴿أَوْ يَحَاجُّوكُمْ﴾ عطفٌ على ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾، وضمير الفاعل: للمسلمين، وضمير المفعول: لليهود.

﴿إِنَّ الْبُغْضَ بَيْنَ اللَّهِ﴾ ردٌّ على اليهود في قولهم: لم يؤت الله أحداً مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة والشرف.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية؛ إخبار أن أهل الكتاب على قسمين: أمين، وخائن. وذكر القنطار مثلاً<sup>(١)</sup> للكثير؛ فمن أداه أدَّى ما دونه، وذكر الدينار مثلاً للقليل؛ فمن منعه منع ما فوقه بطريق الأولى.

﴿فَإِمَّا﴾ يحتمل أن يكون من القيام الحقيقي بالجسد، أو من القيام بالأمر؛ وهو العزيمة عليه. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى خيانتهم، والباء: للتعليل.

﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ زعموا أن أموال المؤمنين - وهم العرب - حلالٌ لهم.

﴿الْكَذِبِ﴾ هنا: قولهم: إن الله أحلها لهم في التوراة، أو كذبهم على الإطلاق.

﴿يَلِي﴾ أي: عليهم سبيلٌ وتباعةٌ في أموال المؤمنين.

﴿يَعْتَدِيهِ﴾ الضمير يعود على: ﴿مَنْ﴾، أو على ﴿اللَّهِ﴾.

(١) في ب، ج، هـ: «وذكر القنطار مثلاً».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية؛ قيل: نزلت في اليهود؛ لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا<sup>(١)</sup>.

وقيل: نزلت بسبب خصومة بين الأشعث بن قيس وآخر، فأراد خصمه أن يحلف كاذباً<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ الضمير عائد على أهل الكتاب.  
﴿يَلُونِ السِّنْتَهُمْ﴾ أي: يحرفون اللفظ، أو المعنى.

﴿لِتَحْسِبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دل عليه قوله: ﴿يَلُونِ السِّنْتَهُمْ﴾، وهو الكلام المحرف.  
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآية؛ هذا النفي يتسلط<sup>(٣)</sup> على ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ﴾، والمعنى: لا يدعي الربوبية من آتاه الله النبوة.

والإشارة: إلى عيسى عليه السلام، رد على النصارى الذي قالوا: إنه إله.

وقيل: إلى محمد ﷺ؛ لأن اليهود قالوا له: يا محمد أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى؟ فقال: «معاذ الله! ما بذلك أمرت، ولا إليه دعوت»<sup>(٤)</sup>.

﴿رَبَّنَّائِينَ﴾ جمع ربّاني؛ وهو العالم. وقيل: الرباني: الذي يرّبي الناس بصغار العلم قبل كباره. ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ الباء: سببية، و«ما»: مصدرية.

﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف<sup>(٥)</sup>: تعرفون، وقرئ بالتشديد: من التعليم.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع<sup>(٦)</sup>: استئناف، والفاعل: الله، أو البشر المذكور. وقرئ بالنصب: عطفاً على ﴿أَنْ يُوتِيَهُ﴾، أو على ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾، والفاعل على هذا: البشر.



(١) أخرجه الطبري (٥١٦/٥) عن عكرمة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٦) ومسلم (١٣٨) عن ابن مسعود عليه السلام.

(٣) في ب، ج، هـ: «تسلط».

(٤) أخرجه الطبري (٥٢٤/٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٨٤/٥) عن ابن عباس عليه السلام.

(٥) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة، وقرأ الباقون بفتح التاء واللام وإسكان العين مخففاً.

(٦) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بنصب الراء، وقرأ الباقون بالرفع.



وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ \* قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ بَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢﴾ أَبَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ تَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ إِزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءَ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ بِفَتْدَىٰ بِهِءَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَلْصِيقٍ ﴿١١﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ معنى الآية: أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أن يؤمنَ بمحمد ﷺ وينصره إن أدركه، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء. واللام في قوله: ﴿لَمَا آتَيْنَاكُمْ﴾ لام التوطئة؛ لأنَّ أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف. واللام في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ جواب القسم.

و«ما» يحتمل: أن تكون شرطية، و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ سدَّ مسدَّ جواب القسم والشرط<sup>(١)</sup>. وأن تكون موصولة<sup>(٢)</sup>؛ بمعنى: الذي آتيناكموه لتؤمننَّ به. والضمير في: ﴿بِهِءَ﴾ و﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾: عائذ على الرسول.

(١) فتكون «ما» في موضع نصبٍ على المفعول بالفعل بعدها، وجواب الشرط محذوف؛ لدلالة جواب القسم عليه.

المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٢)، والبحر المحيط (٥/ ٥٠٣-٥٠٤). وقول ابن جزي: «و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ سدَّ مسدَّ جواب القسم والشرط» هي عبارة الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٦٣)، وناقشه فيها أبو حيان في البحر (٥/ ٥٠٥).

(٢) فتكون في موضع رفع بالابتداء. المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٢).

﴿ءَأَفْرَزْتُمْ﴾ اعترفتم. ﴿إِضْرَيْ﴾ عهدي.

﴿فَاشْهَدُوا﴾ أي: على أنفسكم، وعلى أئممكم بالتزام هذا العهد.

﴿وَأَنَا مَعَكُمْ﴾ تأكيد للعهد بشهادة رب العزة جل جلاله.

﴿٨١﴾ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: من تولى عن الإيمان بهذا النبي ﷺ بعد هذا الميثاق فهو فاسق مُتَمَرِّدٌ<sup>(١)</sup> في كفره.

﴿٨٢﴾ ﴿أَبَغَيْزٍ﴾ الهمزة: للإنكار، والفاء: عطفت جملة على جملة<sup>(٢)</sup>، و«غير»: مفعول؛ قُدم: للاهتمام به، أو للحصر. ﴿وَلَهُ أَسْلَمٌ﴾ أي: انقاد واستسلم.

﴿ظَوْعًا وَكَرْهًا﴾ مصدر في موضع الحال. والظَّوع: للمؤمنين. والكَرْه: للكافر إذا عاين الموت، وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدم، وقيل: إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كَرَهًا. ﴿فَلْ-أَمَنَّا﴾ أمر النبي ﷺ أن يُخبر عن نفسه وعن أمته بالإيمان.

﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ تعدى هنا بـ«على»؛ مناسبة لقوله: ﴿فَلْ﴾. وفي «البقرة» بـ«إلى»؛ لقوله: ﴿فُولُوا﴾؛ لأنَّ «على» حرف استعلاء يقتضي النزول من علو، ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبي ﷺ، و«إلى» حرف غاية؛ وهو مُوصَلٌ<sup>(٣)</sup> إلى جميع الأمة.

﴿٨٤﴾ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾ الآية؛ إبطال لجميع الأديان غير الإسلام. وقيل: نسخت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى﴾ [البقرة: ٦١] الآية.

﴿٨٥﴾ ﴿كَيْفَ﴾ سؤال، والمراد به هنا: استبعاد الهدى.

﴿فَوَمَا كَفَرُوا﴾ نزلت في الحارث بن سُويِّد وغيره؛ أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار، ثم كتبوا إلى أهلهم: هل لنا من توبة؟ فنزلت الآية إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾، فرجعوا إلى الإسلام<sup>(٤)</sup>.

(١) في ج: «مرتد»، وفي د: «مرتد»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (٤/ ١٦٧).

(٢) والمعنى: فأولئك هم الفاسقون، فغير دين الله يبغون؟ الكشاف (٤/ ١٦٧)، والبحر المحيط (٥/ ٥١٥).

(٣) في ب: «موصول».

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ٥٥٧) وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٩) والنسائي (٤٠٧٩) وابن حبان (٤٤٧٧) والحاكم (٢٦٢٨) - وصححه ووافقه الذهبي - والبيهقي (١٦٨٣٠) عن ابن عباس ؓ قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد... ولم يسمه، ووردت تسميته بالحارث عند الطبري (٥/ ٥٥٨) عن مجاهد.

وقيل: نزلت في اليهود والنصارى، شهدوا بصفة النبي ﷺ، وآمنوا به، ثم كفروا به لما بُعث<sup>(١)</sup>.

﴿وَشَهِدُوا﴾ عطف على ﴿إِيْمَانِهِمْ﴾؛ لأنَّ معناه: بعد أن آمنوا. وقيل: الواو للحال. وقال ابن عطية: عطف على ﴿كَفَرُوا﴾، والواو لا ترتب<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ عمومٌ بمعنى الخصوص في المؤمنين. أو على عمومته؛ وتكون اللعنة في الآخرة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الضمير عائد: على اللعنة. وقيل: على النار وإن لم تُذكر؛ لأنَّ المعنى يقتضيها.

﴿ثُمَّ إِزْدَادُوا كُفْرًا﴾ قيل: هم اليهود؛ كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ. وقيل: كفروا بمحمد ﷺ بعدما كانوا مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفراً بعد ادواتهم له وطعنهم عليه. وقيل: هم الذين ارتدوا.

﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قيل: ذلك عبارة عن موتهم على الكفر؛ أي: ليس لهم توبة فتقبل، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر. وقيل: لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر؛ فذلك عام.

﴿وَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ﴾ جزمٌ بالعذاب لكلِّ مَنْ مات على الكفر. والواو في قوله: ﴿وَلَوْ إِبْتَدِئَ بِهِ﴾: قيل: زائدة، وقيل: للعطف على محذوف؛ كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو صدق به، ﴿وَلَوْ إِبْتَدِئَ بِهِ﴾. وقيل: نفى أو لا القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خصَّ الفدية بالنفي؛ كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلاً ولو رغبت إليَّ.



(١) أخرجه الطبري (٥/٥٦٠) وابن أبي حاتم (٢/٦٩٩) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

(٢) المحرر الوجيز (٢/٢٧٨).



وفيها ردٌ عليهم في قولهم: إنهم على ملّة إبراهيم عليه السلام، وإنّ الأشياء التي هي محرّمة عليهم كانت محرّمة على إبراهيم. وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه؛ لأنّ الله حرّم عليهم تلك الأشياء بعد حلّها، خلافاً لليهود في قولهم: إنّ النسخ محالٌ على الله. وفيها معجزة للنبي ﷺ؛ لإخباره بذلك من غير تعلّم من أحد.

وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه: أنه مرض، فنذر إن شفاه الله أن يُحرّم أحبّ الطعام إليه؛ شكراً لله وتقرباً إليه. ويؤخذ من ذلك: أنه يجوز للأنبياء أن يحرّموا على أنفسهم باجتهادهم.

﴿بِاتُوا بِالتَّوْرَةِ﴾ تعجيز لليهود، وإقامة حجة عليهم. وروي: أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة.

﴿بِمَنْ إِفْتَرَى﴾ أي: من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرّماً على بني إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل.

﴿صَدَقَ اللَّهُ﴾ أي: الأمر كما وصف، لا كما تكذبون أنتم؛ ففيه تعريض بكذبهم.

﴿بِاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلزام لهم أن يُسلموا؛ لما ثبت أن ملّة الإسلام هي ملّة إبراهيم التي لم يحرّم فيها شيء مما هو محرّم عليهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ أي: أول مسجد بُني في الأرض. وقد سأل أبو ذرٍّ رضي الله عنه النبي ﷺ: أيُّ مسجد بني أول؟ قال: «المسجد الحرام، ثم بيت المقدس»<sup>(١)</sup>. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المعنى: أنه أول بيت وُضع مباركاً وهدى، وقد كانت قبله بيوت<sup>(٢)</sup>.

﴿بِبَكَّةَ﴾ قيل: هي مكة؛ والباء بدل من الميم. وقيل: مكة: الحرم كلّهُ، وبكّة: المسجد وما حوله.

(١) في د: «أولاً»، ووردت بالوجهين في صحيح مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٣) أخرجه الطبري (٥٩٠/٥)، وابن أبي حاتم (٧٠٧/٣ - ٧٠٨)، والحاكم (٣١٥٤) وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.

﴿مُبَرَّكًا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ:

عَلَى قَوْلِ عَلِيٍّ: ﴿وَضَعُ﴾؛ لِأَنَّهُ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الَّذِي فِيهِ. وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ: هُوَ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الَّذِي فِي الْمَجْرُورِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ: الْعَامِلُ فِي الْمَجْرُورِ مِنْ مَعْنَى الْإِسْتِقْرَارِ<sup>(١)</sup>.

﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ آيَاتُ الْبَيْتِ<sup>(٢)</sup> كَثِيرَةٌ:

مِنْهَا: الْحَجَرُ الَّذِي هُوَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ حِينَ رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ كُلَّمَا طَالَ الْبِنَاءُ ارْتَفَعَ بِهِ الْحَجَرُ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى أَكْمَلَ الْبِنَاءَ، وَغَرِقَتْ قَدَمُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْحَجَرِ كَأَنهَا فِي طِينٍ، وَذَلِكَ الْأَثَرُ بَاقٍ إِلَى الْيَوْمِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الطَّيْرَ لَا تَعْلُوهُ.

وَمِنْهَا: إِهْلَاكُ أَصْحَابِ الْفِيلِ، وَرَدُّ الْجَبَابِرَةِ عَنْهُ. وَتَبَعُ زَمْزَمَ لَهَا جَرَأَمُ إِسْمَاعِيلَ بِهِمْزُ جَبْرِيلَ بَعْقِهِ، وَحَفَرُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لَهَا بَعْدَ دُثُورِهَا، وَأَنَّ مَاءَهَا يَنْفَعُ لِمَا شُرِبَ لَهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قِيلَ: إِنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الْآيَاتِ، أَوْ عَطْفٌ بَيَانٌ؛ وَإِنَّمَا جَازَ بَدَلَ الْوَاحِدِ مِنَ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ يَحْتَوِي عَلَى آيَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ لِدَلَالَتِهِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى نُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقِيلَ: الْآيَاتُ: مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَمْنٌ مَن دَخَلَهُ؛ فَعَلَى هَذَا: يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ عَطْفًا. وَعَلَى الْأَوَّلِ: اسْتِثْنَاءًا. وَقِيلَ: التَّقْدِيرُ: مِنْهُنَّ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ؛ فَهُوَ عَلَى هَذَا: مُبْتَدَأٌ. وَالْمَقَامُ: هُوَ الْحَجَرُ الْمَذْكُورُ. وَقِيلَ: الْبَيْتُ كُلُّهُ. وَقِيلَ: مَكَّةُ كُلُّهَا.

﴿كَانَ ءَامِنًا﴾ أَيُّ: آمِنًا مِنَ الْعِقَابِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا فَعَلَ أَحَدٌ جَرِيرَةً<sup>(٣)</sup> ثُمَّ لَجَأَ إِلَى الْبَيْتِ لَا يُطْلَبُ، وَلَا يُعَاقَبُ. فَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ: فَإِنَّ الْحَرَمَ لَا يَمْنَعُ مِنَ الْحُدُودِ، وَلَا مِنَ الْقِصَاصِ.

(١) وَالتَّقْدِيرُ: اسْتَقَرَّ بِيكَةً مُبَارَكًا. الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ (٢/ ٢٨٩).

(٢) فِي ب، ج، هـ د: «البيئات».

(٣) فِي د: «جريمة».

وقال ابن عباس رضي الله عنه <sup>(١)</sup> وأبو حنيفة: ذلك الحكم باقٍ في الإسلام؛ إلا أن من وجب عليه حدٌّ أو قصاصٌ فدخل الحرم لا يُطعم ولا يُباع منه حتى يخرج <sup>(٢)</sup>. وقيل: آمنًا من النار.

﴿حَجَّ النَّبِيِّ﴾ بيانٌ لوجوب الحج، واختلف هل هو على الفور أو على التراخي؟ وفي الآية ردٌّ على اليهود؛ لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم: إن كنتم صادقين فحجُّوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه.

﴿مَنْ إِسْتَطَاعَ﴾ «مَنْ»: بدلٌ من «النَّاسِ». وقيل: فاعلٌ بالمصدر؛ وهو «حَجَّ». وقيل: شرطٌ مبتدأ؛ أي: من استطاع فعله الحجُّ.

والاستطاعة: عند مالك: هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن، إمَّا راجلاً وإمَّا راكباً، مع الزاد المبلَّغ والطريق الآمن. وقيل: الاستطاعة: الزاد والراحلة؛ وهو مذهب الشافعي وعبد الملك بن حبيب <sup>(٣)</sup>، وروي في ذلك حديث ضعيف <sup>(٤)</sup>.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قيل: المعنى: من لم يحجَّ؛ وعبرَ عنه بالكفر تغليظاً؛ كقوله ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر» <sup>(٥)</sup>. وقيل: أراد اليهود؛ لأنهم لا يحجُّون. وقيل: مَنْ زعم أن الحج ليس بواجب.

﴿لَمْ تَكْفُرُوا﴾ توبيخٌ لليهود.

(١) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٦٠٣-٦٠٤)، وابن أبي حاتم (٧١١/٣) من طريق عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢٢/٢٦).

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤١/٨).

(٤) وهو حديث: قيل: يا رسول ما السبيل -وفي رواية: ما يوجب الحج-؟ قال: «الزاد والراحلة»، أخرجه الترمذي -وحسنه- (٨١٣)، وابن ماجه (٢٨٩٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وأخرجه ابن ماجه (٢٨٩٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وللحديث طرق أخرى كثيرة أخرجهما الدارقطني وغيره، قال ابن حجر في تلخيص الحبير (٤٢٣/٢): «وطرقها كلها ضعيفة، وقد قال عبد الحق: إن طرقها كلها ضعيفة، وقال أبو بكر ابن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مسنداً، والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة».

(٥) لفظ الحديث: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١) وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، والنسائي (٤٦٢)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وابن حبان (١٤٥٤)، والحاكم (١١) وصححه، ووافقه الذهبي، من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي.

﴿لَمْ تَصُدُّوهُمْ﴾ توبخ أيضاً، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام، ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم. و﴿سَبِيلَ اللَّهِ﴾ هنا: الإسلام.

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الضمير يعود على السبيل؛ أي: تطلبون لها الاعوجاج.

﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أي: تشهدون أن الإسلام حق.

﴿إِنْ تُطِيعُوا بَرِيفًا﴾ الآية؛ لفظها عام، والخطاب للأوس والخزرج؛ إذ كان اليهود يريدون فتنهم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إنكار واستبعاد.





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥﴾ \*وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢٢﴾

﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قيل: نسخها: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وقيل: لا نسخ؛ إذ لا تعارض، فإنَّ العباد أُمرُوا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا؛ تحرُّراً من الإكراه وشبهه. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: تمسكوا، والحبل هنا: مستعارٌ من الحبل الذي يُشدُّ عليه اليدُ. والمراد به هنا: القرآن، وقيل: الجماعة.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ نهيٌ عن التدابر والتقاطع؛ إذ كان الأوس قد همُّوا بالقتال مع الخزرج، لما رام اليهود إيقاع الشرِّ بينهم. ويَحتمل أن يكون نهيًا عن التفرُّق في أصول الدين، ولا يدخل في النهي: الاختلافُ في الفروع<sup>(١)</sup>.

(١) يقصد ابن جزى ﷺ أن النهي عن الاختلاف والتفرُّق مقتصر على مسائل أصول الدين، أي: مسائل الاعتقاد التي يُطلب فيها العلم والاعتقاد فقط - كما صرح به تفسير الآية (٣٢) من سورة يونس -، ولا يدخل في النهي الاختلاف في مسائل فروع الدين، أي: مسائل الفقه التي يُطلب فيها العمل، وهذا التفريق بين أصول الدين وفروعه مُحدثٌ في الإسلام لم يدل عليه كتاب ولا سنة ولا إجماع، ولا قال به أحد من السلف والأئمة كما حَقَّق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ، فإن في مسائل الفروع - بهذا الإطلاق - ما يحرم الاختلاف فيه ويُكفِّر جاحده، مثل وجوب الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان، وتحريم الزنا والربا والظلم والفواحش، وفي مسائل أصول الدين - بهذا الإطلاق - ما لا يَأثم المتنازعون فيه، كمسألة رؤية النبي ﷺ لربه التي =

﴿إِذْ كُنْتُمْ أَغْدَاءَ﴾ كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله على الإسلام.

﴿شَقَا حُفْرَةَ﴾ أي: حَرَفِ حَفْرَةٍ، وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار.

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ الآية؛ دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب. وقوله: ﴿وَمِنْكُمْ﴾ دليل على أنه فرض كفاية؛ لأن «مِنْ» للتبعض. وقيل: إنها لبيان الجنس، وأن المعنى: كونوا أمة. وتغيير المنكر يكون: باليد وباللسان وبالقلب، على حسب الأحوال.

﴿كَالَّذِينَ تَبَرَّأُوا﴾ هم اليهود والنصارى، نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم. ورد في الحديث أنه ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين<sup>(١)</sup> وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قيل: ومن تلك الواحدة؟ قال: «مَنْ كان على ما أنا وأصحابي عليه»<sup>(٢)</sup>.

= تنازع فيها الصحابة رضي الله عنهم، وعليه؛ فإن الاختلاف المذموم المنهي عنه قد يكون في مسائل الاعتقادات وقد يكون في مسائل العمليّات، وضابط المسائل التي يحرم الاختلاف فيها هو ما حَقَّقَهُ الشافعي في الرسالة (٥٦٠) إذ يقول: «قال: فما الاختلاف المحرم؟ قلت: كُلُّ ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوباً بيناً: لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه، وما كان من ذلك يحتمل التأويل، ويُدرَك قياساً، فذهب المتأول أو القايِسُ إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس، وإن خالفه فيه غيره: لم أقل إنه يُضَيَّقُ عليه ضيقُ الخلاف في المنصوص». انظر: قواطع الأدلة للسمعاني (٥/٦١-٦٢)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥/٨٧) وما بعدها، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٥٦، ١٣/١٢٥، ١٩/٢٠٧-٢٠٨)، وأعلام الموقعين لابن القيم (٤/٢٣٢)، والاعتصام للشاطبي (٣/٨٧) وما بعدها، وراجع: الأصول والفروع حقيقتهما والفرق بينهما والأحكام المتعلقة بهما، د. سعد الشثري.

(١) في أ، ب، هـ: «اثنتين».

(٢) هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٦٤١) والحاكم (٤٤٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «لبائتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حلوا النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي مَنْ يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»، قال الترمذي: «هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه»، وروي هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: =

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ الْعَامِل فِيهِ: مَحْذُوفٌ. وَقِيلَ: «عَذَابٌ عَظِيمٌ».﴾  
 ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أَي: يُقَالُ لَهُمْ: «أَكْفَرْتُمْ». وَالْخَطَابُ: لِمَنْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ.  
 وَقِيلَ: لِلْخَوَارِجِ. وَقِيلَ: لِلْيَهُودِ؛ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِصِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَذْكُورَةِ فِي التَّوْرَةِ، ثُمَّ كَفَرُوا  
 بِهِ لَمَّا بَعَثَ.



= «تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثِ  
 وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٣٩٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦٤٠) - وَقَالَ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ» -، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٥٩٦)،  
 وَابْنُ مَاجَةَ (٣٩٩١)، وَابْنُ حِبَّانَ (٦٢٤٧)، وَالحَاكِمُ (٤٤١) وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ» وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ،  
 وَقَدْ رَوَى الْحَدِيثَ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ، وَصَحَّحَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ حَدِيثَ الْإِفْتِرَاقِ هَذَا. انْظُرْ: مَجْمُوعُ  
 الْفَتَاوَى (٣/ ٣٤٥) وَمَا بَعْدَهَا، وَاقْتِضَاءُ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ (١/ ١٣٣) وَمَا بَعْدَهَا.



الأدبارَ مقيّدةً بوقت القتال، وعدم النصر على الإطلاق. وعُطِفَت الجملة على جملة الشرط والجزاء. و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأحوال؛ لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشدُّ من توليتهم الأدبارَ حين القتال.

﴿١١٢﴾ إِلَّا يَحْبِلَ مِنَ اللَّهِ﴾ هو هنا: العهد والذمة.

﴿١١٣﴾ لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: ليس أهل الكتاب مستويين<sup>(١)</sup> في دينهم.

﴿١١٤﴾ فَأَيَّةَ﴾ أي: قائمةً بالحق، وذلك فيمن أسلم من اليهود، كعبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية وأخيه أسد<sup>(٢)</sup> وغيرهم.

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يدلُّ أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة.

﴿١١٥﴾ بَلَّ تَكْفُرُوهُ﴾ أي: لا تُحَرِّمُونَ ثوابه.

﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يَنْفِقُونَ﴾ الآية؛ تشبيه لنفقة الكفار بزرع أهلكتهم ريحٌ باردة، فلم ينتفع به أصحابه، فكذلك لا ينتفع الكفار بما ينفقون. وفي الكلام حذف تقديره: مثل ما ينفقون كمثل مُهلك ريح، أو: مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح. وإنما احتجج لهذا؛ لأنَّ ما ينفقون ليس شبيهاً بالريح، إنما هو شبيه بالزراع الذي أهلكتهم الريح.

﴿صِرَ﴾ أي: برّد.

﴿حَرَّتْ قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ الضمير: للكفار والمنفقين<sup>(٣)</sup>، أو لأصحاب الحرث، والأوّل أرجح؛ لأن قوله: ﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعلٌ حال، فدلَّ<sup>(٤)</sup> على أنه للحاضرين.

﴿١١٨﴾ بَطَانَةٌ مِّنْ دُونِكُمْ﴾ أي: أولياء من غيركم؛ فالمعنى: نهى عن استخلاص الكفار وموالياتهم. وقيل لعمر عليه السلام: إن هنا رجلاً من النصاري لا أحدٌ أحسنُ خطاً منه، أفلا يكتب عنك؟ فقال: إِذْنٌ أَتَّخِذُ بَطَانَةً مِّنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٥)</sup>.

(١) في أ: «مستويين».

(٢) وقيل في اسمه: أسيد - بالفتح - . انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ط. دار الجيل (١/ ٩٦)؛ والإصابة لابن حجر، ط. دار هجر (١/ ١٠٨).

(٣) كذا في د، وفي بقية النسخ: «والمنافقين»، والمثبت موافق لما في الكشاف (٤/ ٢٣١)، وهو الالقي بالسياق.

(٤) في ب: «يدل».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٣)، وابن أبي شيبه في مصنفه (١٤/ ٢٨٩).

- ﴿لَا يَأْلُوَنكُمْ حَبَالًا﴾ أي: لا يُقَصِّرون في فسادكم، والخبال: الفساد.
- ﴿وَدَّوْا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: تمنَّوْا مضرَّتكم، و«ما» مصدرية. وهذه الجملة والتي قبلها: صفة للبطانة، أو استئناف.
- ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بكلِّ كتاب أنزله الله، واليهود لا يؤمنون بقرآنكم.
- ﴿عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ﴾ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه. و«الأنامل»: جمع أنملة بضم الميم وفتحها.
- ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ تفریع وإغاطة، وقيل: دعاء.
- ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ الحسنة هنا: الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة: ضدها.
- ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ من الضَّير؛ بمعنى الضَّرِّ.



\*وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّغُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْفِتَالِ وَاللَّهُ سَبِغَ عَلَيْهِ ﴿٣١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتٌ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّفِقُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿٣٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٣٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٣٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٣٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ نزلت في غزوة أحد<sup>(١)</sup>، وكان غدو رسول الله ﷺ للقتال صبيحة يوم السبت، وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة، وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة.

﴿تُبَوِّغُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزلههم، وذلك يوم السبت حين حضر القتال. وقيل: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، وذلك ضعيف؛ لأنه لا يقال: «غدوت» فيما بعد الزوال إلا على المجاز. وقيل: ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس، وذلك ضعيف؛ لأنه لم يبيؤ حينئذ مقاعد للقتال؛ إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة.

﴿مَقْعِدَ﴾ مواضع، وهو جمع مقعد.

﴿طَّائِفَتٌ مِنْكُمْ﴾ هما: بنو حارثة من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج، لما رأوا كثرة المشركين وقلة المسلمين هموا بالانصراف؛ فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله ﷺ.

﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ الفشل في البدن: هو الإعياء، والفشل في الرأي: هو العجز والحيرة وفساد العزم.

﴿وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ أي: ثبتهما.

(١) أخرجه الطبري (٦/٦)، وابن أبي حاتم (٧٤٨/٣) عن ابن عباس ؓ.

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: ما وددنا أنها لم تنزل؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ تذكير بنصر الله لهم يوم بدر؛ لتقوى قلوبهم.

﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ هذه الدلة: هي قلة عددهم وضعف عددهم؛ كانوا يوم بدر ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، ولم يكن لهم إلا فرس واحد، وكان المشركون ما بين التسع مئة والألف، وكان معهم مئة فرس، فقتل من المشركين سبعون، وأسر منهم سبعون، وانهزم سائرهم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ متعلق: بـ ﴿نَصَرَكُمُ﴾، أو بـ ﴿بَاتَّقُوا﴾، والأول أظهر.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان هذا القول: يوم بدر. وقيل: يوم أحد. فالعامل في «إذ» على الأول: محذوف، وعلى الثاني: هي بدل من: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾.

﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ تقرير، جوابه: ﴿بَلَى﴾. وإنما جواب المتكلم؛ لصحة الأمر وبيانه؛ كقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الرعد: ١٧].

﴿وَيَاثُوكُمْ مِّنْ قُوَرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والقور: الشريعة<sup>(٢)</sup>. أي: من ساعتهم، وقيل: المعنى: من سفرهم هذا.

﴿بِخَمْسَةِ آلْفٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم<sup>(٣)</sup>؛ ليزيد ذلك في قوتكم<sup>(٤)</sup>. فإن كان هذا يوم بدر: فقد قاتلت فيه الملائكة. وإن كان يوم أحد: فقد شرط قوله: ﴿إِنْ تَضَيَّرُوا وَتَتَّقُوا﴾، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة.

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ - بفتح الواو وكسرها<sup>(٥)</sup> - أي: مُعَلِّمِينَ، أو مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ أو خيلهم. وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء. وقيل: كانوا بعمائم صفراء، وكانت خيلهم مجزوزة الأذنان. وقيل: كانوا على خيل بلقي.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).

(٢) في هـ ج: «الساعة»، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٢٥٢/٤).

(٣) في ج، د: «يكفيهم».

(٤) في هـ د: «قوتهم».

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتحها.



﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على: الإنزال و<sup>(١)</sup>الإمداد.

﴿وَلِتَظْمِنَ﴾ معطوف على ﴿بَشْرِي﴾؛ لأنه هذا الفعل بتأويل المصدر. وقيل: يتعلّق بفعل مضمر يدلُّ عليه ﴿جَعَلَهُ﴾.

﴿لِيَقْطَعَ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾، أو بقوله: ﴿وَمَا أَلْتَضِرُّ﴾.

﴿لَيْسَ لَكَ﴾ جملة اعتراض بين المعطوفين. ونزلت لما دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياء من العرب، فترك الدعاء عليهم<sup>(٢)</sup>.  
﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ معناه: يُسَلِّمُونَ.



(١) في أ: «أو».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩) عن ابن عمر ؓ.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٦﴾ وَاتَّقُوا  
النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٧﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٨﴾ \* سَارِعُوا إِلَى  
مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٩﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي  
السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينِ الْغَيْظِ وَالْعَاقِبِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا  
فَعَلُوا بَجْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ  
وَلَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَآبِعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤١﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٤٢﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤٣﴾ هَٰذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ  
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٤﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤٥﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ  
بَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ  
مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٦﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾  
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَقَدْ  
كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تُلَاقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٩﴾

﴿١٣٦﴾ «أَضْعَافًا مُّضَاعَةً» كانوا يزيّدون فيه كلما حلّ، عامًّا بعد عام.

﴿١٣٧﴾ «سَارِعُوا» بغير واو: استئناف، وبالواو: عطف على ما تقدّم<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ أي: إلى الأعمال التي تستحقّون بها المغفرة.

﴿عَرْضُهَا﴾ ابن عباس رضي الله عنه: تُقَرَّنُ السماوات والأرض بعضها إلى بعض كما تُبَسِّطُ الشيا،  
فذلك عَرْضُ الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله<sup>(٢)</sup>. وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول،  
وإنما المعنى: سعتها كسعة السماوات والأرض.

(١) قرأ نافع وابن عامر بغير واو، وقرأ الباقون بالواو.

(٢) أخرجه الطبري (٥٣/٦) عن السدي عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرج ابن أبي حاتم (٧٦١/٣)، وسعيد ابن منصور  
في سننه (٦١/٥) عن كريب قال: أرسلني ابن عباس إلى رجل من أهل الكتاب أسأله عن هذه الآية: «جنة  
عرضها السماوات والأرض» قال: فأخرج أسفار موسى، فجعل ينظر قال: تُلَفَّقُ كما يلفق الثوب، وأما  
طولها فلا يقدّر قدره إلا الله.

﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في العسر واليسر.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حُذِفَ مفعولُه، وتقديره: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا.

﴿فَدَخَلْتُ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين؛ تأنيساً لهم، وقيل: للكفار؛ تخويفاً لهم.

﴿بَانظُرُوا﴾ من نظر العين عند الجمهور، وقيل: هو بالفكر.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تقوية لقلوب المؤمنين.

﴿وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ﴾ إخبارٌ بعلو كلمة الإسلام.

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآية؛ معناها: إن مسَّكم قتلٌ أو جراح في أحد فقد مسَّ الكفار مثله في بدر. وقيل: قد مسَّ الكفار يوم أحد مثل ما مسَّكم فيه؛ فإنهم نالوا منكم ونلتهم منهم. وذلك تسليّة<sup>(١)</sup> للمؤمنين بالتأسي. ﴿نُذَاوِلَهَا﴾ تسليّة أيضاً عما جرى يوم أحد.

﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متعلقٌ بمحذوف؛ تقديره: أصابكم ما أصاب يوم أحد؛ ليعلم. والمعنى: ليعلم ذلك علماً ظاهراً لكم تقوم به الحجة. ﴿شَهَدَاءَ﴾ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يوم أحد.

﴿وَلِيُنْجِصَ﴾ أي: يُطَهَّرَ، وقيل: يُمَيِّزَ. وهو معطوف على ما تقدّم من التعليقات لقصة أحد. والمعنى: أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين، وأن نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين؛ أي: يهلكهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ «أم» هنا منقطعة، مقدّرة بـ«بل» والهمزة عند سيبويه. وهذه الآية وما بعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أحد.

﴿تَمَنُّونَ الْمَوْتَ﴾ خوطب به قومٌ فاتتهم غزوة بدر، فتمنّوا حضور قتال الكفار مع النبي ﷺ؛ ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد، فعلى هذا: إنما تمنّوا الجهاد، وهو سبب الموت. وقيل: تمنّوا الشهادة في سبيل الله.



(١) في د: «تأنيس».

\* وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَفْئِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ لِيَتَفَيَسَّ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِذْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِذْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١١٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٩﴾ فَكَاتِبُهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ المعنى: أن محمداً ﷺ رسولٌ كسائر الرسل؛ قد بلغ الرسالة كما بلغوا، فيجب عليكم التمسك بدينه في حياته وبعد موته. وسببها: أنه صرخ صارخ يوم أحد: إن محمداً قد مات، فتزلزل بعض الناس<sup>(١)</sup>.

﴿أَفَإِنْ مَاتَ﴾ دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء؛ لترابط الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها. والمعنى: أن موت رسول الله ﷺ أو قتله لا يقتضي انقلاب أصحابه على أعقابهم؛ لأن شريعته قد تقررت، وبراهينه قد صحت، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات ﷺ، أو قُتِلَ، وقد علم أنه لا يُقتل؛ ولكنه<sup>(٢)</sup> ذكر ذلك لما كان قد صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم.

﴿الشَّاكِرِينَ﴾ قال علي بن أبي طالب ؓ: الثابتون على دينهم<sup>(٣)</sup>.

﴿كَتَبْنَا مُوَجَّلًا﴾ نصب على المصدر؛ لأن المعنى: كُتِبَ الموت كتاباً. وقال ابن عطية: نصب على التمييز<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤١٥) عن كعب بن مالك ؓ، والطبري (٦/ ١٠٣) عن مجاهد والضحاك.

(٢) في ب، ج، هـ: «ولكن»

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٩٧-٩٨).

(٤) المحرر الوجيز (٢/ ٣٧٤).

﴿ثَوْبِهِ مِنْهَا﴾ في ثواب الدنيا مقيّد بالمشيئة؛ بدليل قوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿وَكَايَ مَنِ نَجَّى قَتْلَ﴾ الفعل مسندٌ إلى ضمير النبي، و﴿مَعَهُ رِيثُونَ﴾ على هذا في موضع الحال. وقيل: إنه مسندٌ إلى الرّبيّن، فيكون <sup>(١)</sup> ﴿رِيثُونَ﴾ على هذا مفعولاً لما لم يُسمَّ فاعله. فعلى الأوّل: يوقف على قوله: ﴿قَتْلَ﴾. وبترجيح الأوّل: بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمداً قد قُتل، فضرب لهم المثل بنبي قُتل. وبترجيح الثاني: بأنه لم يُقتل قطُّ نبي في محاربة. ﴿رِيثُونَ﴾ علماء؛ مثل ﴿رَبَّنِيَّيْنِ﴾. وقيل: جموعٌ كثيرة.

﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ الضمير لـ ﴿رِيثُونَ﴾؛ على إسناد القتل للنبي، وهو لمن بقي منهم؛ على إسناد القتل إليهم.

﴿وَمَا اسْتَكْأَنُوا﴾ أي: لم يذلّوا للكفار. قال بعض النحاة: استكانَ مشتقٌّ من الشكون، ووزنه افتعلوا؛ مُطِلْتُ <sup>(٢)</sup> فتحة الكاف فحدث عن مَطْلِهَا أَلْفٌ، وذلك كالإشباع. وقيل: أنه من: كان يكون، فوزنه استفعلوا <sup>(٣)</sup>. وقوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ وما بعده: تعريضٌ بما صدر من بعض الناس يوم أحد.

﴿وَتَبَّتْ أَفْءَامَنَا﴾ أي: في الحرب.

﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر.

﴿ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ الجنة.



(١) في أ، د: «ويكون».

(٢) المَطل: المدّ. كما في القاموس المحيط، مادة (م ط ل).

(٣) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٨١/٢): «أصله: استكُونُوا، نُقلت حركة الواو إلى الكاف، وقُلِبَتِ الْفَاءُ.. والمعنى: إنهم لم يضعفوا ولا كانوا قريباً من ذلك».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٨﴾  
 بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٩﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا  
 أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٦٠﴾ وَلَقَدْ  
 صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ  
 بَعْدَ مَا أَرْبَحْتُمْ مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ  
 عَنْهُمْ لِيَنْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦١﴾ \* إِذْ تَضَعُونَ وَلَا  
 تَلُودُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْبَارِكُمْ فَأَتَيْتُكُم عَمَّا بَعَثَ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ  
 مَا بَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٢﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً  
 نُّعَاسًا يَغُشِّي طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ  
 الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ لَّيَّا الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا  
 لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ  
 لَبَرَزَ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ  
 مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ  
 إِنَّمَا إِسْتَرْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٦٤﴾

﴿١٥٨﴾ إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١﴾ هم المنافقون الذين قالوا في قضية <sup>(١)</sup> أحد ما قالوا. وقيل: مشركو قريش، وقيل: اليهود.

﴿١٥٩﴾ ﴿الرُّعْبَ﴾ قيل: ألقى الله الرعب في قلوب المشركين بأحد، فرجعوا إلى مكة من غير سبب. وقيل: لما كانوا ببعض الطريق هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا. والآية بعد تناول جميع الكفار؛ لقوله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ» <sup>(٢)</sup>.

(١) في د: «قصة».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر ﷺ، وأخرجاه أيضا - البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣) - من حديث أبي هريرة ﷺ.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ كان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين عن الله بالنصر، فنصرهم الله أولاً، وانهزم المشركون وقُتل منهم اثنان وعشرون رجلاً، وكان رسول الله ﷺ قد أمر الرماة أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا، فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمِعوا في الغنيمة وأتبعوهم، وخالفوا ما أمروا به من الثبوت في مكانهم، فانقلبت الهزيمة على المسلمين.

﴿إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ﴾ أي: تقتلونهم قتلاً ذريعاً؛ يعني: في أول الأمر.

﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ وقع التنازع بين الرماة، فثبت بعضهم كما أمروا، ولم يثبت بعضهم.

﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أي: خالفتم ما أمرتم به من الثبوت. وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين، وإن كان المخالف بعضهم؛ وغطاً للجميع، وسترأ على من فعل ذلك. وجواب ﴿إِذَا﴾: محذوف؛ تقديره: انهزمت.

﴿مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ الذين حرصوا على الغنيمة.

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ معناه: لينزل بكم ما نزل من القتل والتمحيص.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم؛ لولا عفو الله عنهم، فمعناه: لقد أبقى عليكم. وقيل: هو عفو عن الذنب.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ العامل في «إِذَا»: ﴿عَبَا﴾؛ فيُوصَل ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ مع ما قبله. ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمراً.

﴿وَلَا تُلَوِّدْنَ﴾ مبالغة في صفة الانهزام.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول<sup>(١)</sup>: «إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ»، وهم يفرون<sup>(٢)</sup>.

﴿فِي خَرْبِكُمْ﴾ في ساقيتكم. وفيه مدح للنبي ﷺ؛ فإن الآخر هو موقف الأبطال<sup>(٣)</sup>.

(١) في د: «ينادي».

(٢) أخرجه الطبري (١٤٨/٦) عن ابن عباس ؓ.

(٣) في هـ ج: «فإن الآخر موقف الأبطال».

﴿فَأْتَبَكُمْ﴾ أي: جازاكم.

﴿غَمًّا يَغَمُّ﴾ قيل: أثابكم غمًّا بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين إذ عصيتم وتنازعتهم. وقيل: أثابكم غمًّا متصلاً بغم؛ وأحد الغممين: ما أصابهم من القتل والجراح، والآخر: ما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ.

﴿وَعَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النصر والغنيمة.

﴿مَا أَصَبَكُمْ﴾ من القتل والجراح والانهزام.

﴿وَأَمَنَّا نَعَسًا﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: نعسنا يوم أحد، والنعاس في الحرب أمن من الله <sup>(١)</sup>.

﴿يَغْشَىٰ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾ هم المؤمنون المخلصون، غشيهم النعاس؛ تأمينا لهم.

﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون، كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان والمشركون.

﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ معناه: يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لا ينصره.

﴿وَضَلَّ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ بدل؛ وهو على حذف موصوف، تقديره: ظنَّ المدة الجاهلية، أو الفِرقة الجاهلية.

﴿هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ قالها عبد الله بن أبيّ ابن سلول، والمعنى: ليس لنا رأي، ولا يُسمع قولنا، أو: لسا على شيء من الأمر الحق؛ فيكون قولهم هذا كفراً.

﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يحتمل أن يريد الأقوال التي قالوها، أو الكفر.

﴿لَوْ كَان لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قاله مُعْتَبُ بْنُ قُسَيْرٍ، ويحتمل من المعنى ما احتمل قول عبد الله بن أبيّ.

(١) أخرجه الطبري (١٦٣/٦)، وابن أبي حاتم (٧٩٣/٣)، وابن المنذر في تفسيره (٤٥٤/٢) بلفظ: «النعاس في القتال أمنة، والنعاس في الصلاة من الشيطان».



﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ الآية؛ ردٌ عليهم، وإعلامٌ بأنَّ أَجَلَ كُلِّ إنسانٍ إنما هو واحد، وأن من لم يُقتل يموتُ لأجله، ولا يؤخَّر، وأنَّ مَنْ كُتِبَ عليه القتل لا ينجيه منه شيءٌ.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ يتعلَّق بفعل، تقديره: لِيَبْتَلِيَ فَعَلَ بكم ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ الآية؛ نزلت فيمن فرَّ يومَ أحد<sup>(١)</sup>.

﴿اسْتَزَلَّهُمْ﴾ أي: طلب منهم أن يَزِلُّوا. ويَحْتَمِلُ أن يكون معناه: أزلَّهُم؛ أي: أوقعهم في الزَّلَل.

﴿يَبْغِضُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: كانت لهم ذنوبٌ عاقبهم الله عليها؛ بأن مكَّن الشيطان<sup>(٢)</sup> من استزلالهم.

﴿عَبَا اللَّهَ عَنْهُمْ﴾ أي: غفر لهم ما وقعوا فيه من الفِراق.



(١) أخرجه الطبري (١٧٢/٦) عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٩٠) عن شقيق بن سلمة عن

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦٠/٧).

(٢) في ج: «مكنهم الشيطان».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ  
كَانُوا غَزَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ  
يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥٦﴾ وَلَيْسَ فِتْنَتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِثْمَ لَمَغِيرَةٍ مِّنَ اللَّهِ  
وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا تَجْتَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَيْسَ مِثْمُكُمْ أَوْ فِتْنَتُمْ لِأَلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿٥٨﴾ بِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ  
لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ قَوْمًا عَالِمِينَ أَلْقِظَ الْقَلْبَ لَا نَبْضُوهَا مِنْ حَوْلِكَ بَاغَفَ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ  
وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٥٩﴾ \* إِنْ  
يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى  
كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَجْمَسَ إِتْبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ  
وَمَا وَبِهِ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرَ ﴿٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ  
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَبَزَّجَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِ يَكُونُوا مِّنْ قَبْلِ لَيْسَ صَلَّى مُبِينٍ ﴿٦٤﴾ أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ  
أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا فَلْتُمْ ءَاتُوا هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٥﴾ وَمَا  
أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ  
تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ إِذْبَعُوا قَالُوا لَوْ تَعْلَم فِتْنَالَا لَا تَبْعَثْكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ  
مِنْهُمْ لَا يَمَسُّ يَافُوهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا  
لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٨﴾

﴿٥٦﴾ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ هُمُ <sup>(١)</sup> إِخْوَةُ الْقَرَابَةِ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ، وَكَانَ أَكْثَرُ  
الْمُقْتُولِينَ يَوْمَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَرْبَعَةٌ.

﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: سَافَرُوا. وَإِنَّمَا قَالَ: «إِذَا» الَّتِي لِلْإِسْتِقْبَالِ مَعَ «قَالُوا»؛ لِأَنَّهُ

(١) فِي هـ ج: «هِيَ».

على حكاية الحال الماضية<sup>(١)</sup>.

﴿أَوْ كَانُوا عَزَىٰ﴾ جمع غَارٍ، ووزنه فُعْل - بضم الفاء وتشديد العين -.

﴿لَوْ كَانُوا عِندَنَا﴾ اعتقادٌ منهم فاسد؛ لأنَّهم ظنُّوا أنَّ إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يُقتلوا، وهذا قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم. ويَقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين<sup>(٢)</sup>.

﴿لِيَجْعَلَ﴾ يتعلَّق بـ ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قالوا ذلك فكان حسرةٌ في قلوبهم، فاللام الصيرورة لبيان العاقبة.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرة؛ لأن الذي يتيقَّن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة.

﴿وَاللَّهُ يَخِيءُ وَيَمِيتُ﴾ ردٌّ على قولهم واعتقادهم.

﴿وَلَيْسَ فُتِلْتُمْ﴾ الآية؛ إخبارٌ أنَّ مغفرة الله ورحمته لهم إذا قُتلوا أو ماتوا في سبيل الله خيرٌ لهم مما يجمعون من الدنيا.

﴿وَلَيْسَ مِتُّمْ﴾ الآية؛ إخبارٌ أنَّ من مات أو قتل فإنه يُحشَر إلى الله.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ «ما» زائدةٌ للتأكيد.

﴿لَا نَهَضُّوا﴾ أي: تفرَّقوا.

﴿بَاعَفَ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصُّ بك.

﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ فيما يختصُّ بحق الله.

﴿وَشَاوَرَهُمُ﴾ المشاورة مأمورٌ بها شرعاً، وإنما يشاور النبي ﷺ الناس في الرأي؛ في الحروب

(١) فيجَرَّد عن معنى الاستقبال، ويكون لمطلق الوقت بمعنى «حين»، كأنه قال: حين يضربون في الأرض. الكشاف (٣١٦/٤)، والبحر المحيط (٢٣٤/٦).

(٢) [التعليق ٤١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ذكروا أنَّ المعتزلة يقولون: المقتول مقطوعٌ عليه أجله الذي قُدِّر له، أو إنَّ له أجلين:

أحدهما: ما حصل بسبب القتل.

والآخر: هو الذي لو عاش لَبَلَّغَهُ، وسيأتي لهذا مزيدٌ تفصيل عند التعليلين (٦٤)، و(٩١).

وغيرها، لا في أحكام الشريعة<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: «وشاورهم في بعض الأمر»<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿وَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ التوكل: هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع، أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات، أو رفعها بعد وقوعها.

وهو من أعلى المقامات؛ لوجهين: أحدهما: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. والآخر: الضمان الذي في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. وقد يكون واجبا؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]، فجعله شرطا في الإيمان، ولظاهر قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ فإن الأمر محمول على الوجوب.

واعلم أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب: الأولى: أن يعتمد العبد على ربه، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له، وقيامه بمصالحه. والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه؛ فإنه لا يعرف سواها، ولا يلجأ إلا إليها. والثالثة: أن يكون العبد مع ربه: كالميت بين يدي الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية.

(فصاحب الدرجة الأولى: عنده حظ من النظر لنفسه، بخلاف صاحب الثانية. وصاحب الثانية: له حظ من المراد والاختيار، بخلاف صاحب الثالثة)<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>. وهذه

(١) في هـ ج: «الأحكام الشرعية».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٢/٣)، وسعيد بن منصور في سننه (١١٠٠/٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٧)، وحسن إسناده السيوطي في الدر المنثور (٩٠/٤).

(٣) ما بين القوسين سقط في هـ ج.

(٤) [التعليق ٤٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «واعلم: أن الناس في التوكل على ثلاث مراتب...»، إلخ: أقول: التوكل من أعمال القلوب، وهو من تحقيق توحيد الربوبية، ومن مقامات العبودية القلبية، وجعله ثلاث درجات طريقة الصوفية، والحق: أنه درجتان:

الأولى: توكل المقتصدين.

والثانية: توكل المقرّبين.

وهذا يوافق معنى ما ذكره المؤلف في الدرجة الأولى والثانية؛ فإنه لا إشكال فيهما.

وأما الدرجة الثالثة، فهي من يدع الصوفية التي خالفوا فيها الحس والعقل والشرع؛ فكون الإنسان يصل إلى حالة يكون فيها كالميت بين يدي الغاسل، بحيث لا تكون له إرادة في جلب ولا دفع - حالة متمتعة حسا وعقلا، وغير مطلوبة شرعا.

الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذي تكلمنا عليه في قوله: ﴿وَالْهَكَمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٢]، فهي تقوى بقوته، وتضعف بضعفه. فإن قيل: هل يُشترط في التوكل ترك الأسباب أم لا؟

فالجواب: أن الأسباب على ثلاثة أقسام: أحدها: سبب معلوم قطعاً، قد أجراه الله تعالى، فهذا لا يجوز تركه، كالأكل لدفع الجوع، واللباس لدفع البرد. والثاني: سبب مظنون، كالتجارة وطلب المعاش، وشبه ذلك، فهذا لا يقدح فعله في التوكل؛ فإن التوكل من أعمال القلب، لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوي على ذلك. والثالث: سبب موهوم بعيد، فهذا يقدح فعله في التوكل.

ثم إن فوق التوكل التفويض؛ وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فإن المتوكل له مراد واختيار، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار، بل أسند الاختيار إلى الله تعالى، فهو أكمل أدباً مع الله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ هو من الغلول، وهو أخذ الشيء في خفية من المغنم وغيرها. وقرئ بفتح الياء وضم الغين، ومعناه: تبرئة للنبي ﷺ من الغلول. وسببها: أنه فقدت من المغنم قطيفة حمراء، فقال بعض المنافقين: لعن رسول الله ﷺ أخذها<sup>(١)</sup>.

وقرئ بضم الياء وفتح الغين<sup>(٢)</sup>، أي: ليس لأحد أن يغل نبياً؛ أي: يخونه في المغنم، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظوراً مع الأمراء؛ لشئعة الحال مع النبي؛ لأن المعاصي تعظم بحضرته. وقيل: معنى هذه القراءة: أن يوجد غالباً، كما تقول: أحمدت

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية؛ تعليقاً على هذا القول المنسوب لبعض الصوفية: «إن العارف بصير كالميت بين يدي الغاسل»؛ أي: في استسلامه للقدر، قال الشيخ: «فهذا إنما يمدح منه سقوط إرادته التي لم يؤمر بها، وعدم حفظه الذي لم يؤمر بطلبه، وأنه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه، وترك دفع ما لم يؤمر بدفعه. ومن أراد بذلك: أنه تبطل إرادته بالكلية، وأنه لا يحس باللذة والألم، والنافع والضار -: فهذا مخالف لضرورة الحس والعقل، ومن مدح هذا، فهو مخالف لضرورة الدين والعقل». اهـ. من «العقيدة التدمرية».

(١) أخرجه الطبري (١٩٤/٦)، وأبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩) عن مقسم عن ابن عباس ؓ، وحسنه الترمذي.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقر بضم الياء وفتح الغين.

الرجل؛ إذا أصبته محمودًا، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة إلى معنى فتح الياء.

﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ وعيدٌ لمن غلَّ بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذي غلَّ. وقد جاء ذلك مفسرًا في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير، لا ألفين أحدكم على رقبته فرس، لا ألفين أحدكم على رقبته رِقَاع، لا ألفين أحدكم على رقبته صامت»<sup>(١)</sup>، لا ألفين أحدكم على رقبته إنسان، فيقول: يا رسول الله أغثنى! فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا، قد بلغتك»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَقِمِ الزَّكَاةَ﴾ الآية؛ قيل: إن الذي أتبع رضوان الله: من لم يغلَّ، والذي باء بالسُّخْط: من غلَّ. وقيل: الذي اتبع الرضوان: من استشهد بأحد، والذي باء بالسُّخْط: المنافقون الذين رجعوا عن الغزو.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ أي: ذوو درجات، والمعنى: تفاوت ما بين منازل أهل الرضوان وأهل السُّخْط. أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان، فإن بعضهم فوق بعض، وكذلك<sup>(٣)</sup> درجات أهل السُّخْط.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ الآية؛ إخبارًا بفضل الله على المؤمنين ببعث رسوله محمد ﷺ.

﴿مَنْ أَنْفَسِهِمْ﴾ معناه: في الجنس واللسان، فكونه من جنسهم: يوجب الأنس به، وقلة الاستيحاش منه، وكونه بلسانهم: يُوجب حسنَ الفهم عنه، وكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته ﷺ، ويكون هو ﷺ أشفقَ عليهم وأرحمَ بهم من الأجنيبين.

﴿أَوَّلَمَّا أَصَبْتُمْ مَصِيبَةً﴾ الآية؛ عتابٌ للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد. ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف. والجملة معطوفة على ما تقدّم من قصة أحد، أو على محذوف<sup>(٤)</sup>.

(١) يعني: الذهب والفضة، خلاف الناطق وهو الحيوان. انظر: النهاية (٦/٢٣٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) في ب، ج، هـ: «فكذلك».

(٤) كأنه قال: أفعلتم كذا، وقتلتم حيثئذ كذا؟ الكشف (٤/٣٣٣).

﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعُونَ، وَأُسِرَ سَبْعُونَ.

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ عَوَّقُوا بِالْهَزِيمَةِ؛ لِمُخَالَفَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَقِيمَ بِالْمَدِينَةِ وَلَا يَخْرُجَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَأَبَوْا إِلَّا الْخُرُوجَ. وَقِيلَ: بَلْ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى عَصْيَانِ الرَّمَاةِ حَسَبَمَا تَقَدَّمُ.

﴿يَوْمَ لَتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أَي: جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ.

﴿وَفِيلٌ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ الْآيَةُ؛ كَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنْ لَا يَخْرُجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا طَلَبَ الْخُرُوجَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَضَبَ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالَ: أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي! فَرَجَعَ وَرَجَعَ مَعَهُ نَحْوُ ثَلَاثِ مِائَةِ رَجُلٍ، فَمَشَى فِي أَثَرِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُمْ: ارْجِعُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: مَا أَرَى أَنْ يَكُونَ قِتَالٌ، وَلَوْ عَلِمْنَا أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ لَكُنَّا مَعَكُمْ <sup>(١)</sup>.

﴿أَوْ إِذْ بَعَّوْا﴾ أَي: كَثُرُوا السَّوَادُ وَإِنْ لَمْ تَقَاتِلُوا.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الَّذِينَ نَاقَبُوا﴾. وَ﴿لَاخَوْنَهُمْ﴾: فِي النَّسَبِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ.

﴿قُلْ بَادِرْهُمْ أَوْ لَا﴾ أَي: ادْفَعُوا، وَالْمَعْنَى: رَدُّ عَلَيْهِمْ.



(١) أخرجه الطبري (٢٢٢/٦) عن ابن إسحاق عن ابن شهاب وغيره من أهل العلم.

وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٦﴾ بَرِحِينَ بِمَا  
 ءَاتَيْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٧﴾ \*يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَقَضَىٰ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 ﴿١١٨﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ  
 عَظِيمٌ ﴿١١٩﴾ الَّذِينَ قَالُ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا  
 حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٢٠﴾ فَاَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَقَضَىٰ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا  
 رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٢١﴾ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَائِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ  
 وَخَافُوا إِيَّائِي أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَلَا يَحْزِنَكَ الَّذِينَ يَسْعَوْْنَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ  
 شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا  
 الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا  
 نُضِلُّهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُنْزِلُ لَهُمُ الْبُيُوتَاتِ وَأَنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٢٥﴾ مَا كَانَ اللَّهُ  
 لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ  
 لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ بِتَأْمِينٍ مِنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ  
 تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٢٦﴾ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَيْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ  
 فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْفِئَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢٧﴾

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء؛ من التمتع بأرزاق الجنة، بخلاف  
 سائر الأموات من المؤمنين؛ فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة.  
 ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ المعنى: أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا  
 من بعدهم؛ لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم، فينالوا مثل ما نالوا من السعادة.  
 ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ في موضع المفعول من أجله، أو بدل من ﴿الَّذِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) فيكون بدل اشتمال، والمعنى: ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين، وهو أنهم  
 يُبعثون آمنين يوم القيامة. المحرر الوجيز (٢/٤٢١)، والكشاف (٤/٣٤٤-٣٤٥).



﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كُرِّرَ لِيُذَكَّرَ مَا تَعَلَّقَ بِهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ صِفَةٌ لـ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، أو مبتدأ وخبره: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ الآية. ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في أتباع المشركين بعد غزوة أحد، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحاتٌ وشدائدٌ، فتجلَّدوا وخرجوا، فمدحهم الله بذلك<sup>(١)</sup>.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ الآية؛ لما خرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد بعد أحد، بلغ ذلك أبا سفيان، فمرَّ عليه ركبٌ من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة، فجعل لهم حِمْلَ بعيرٍ من زبيب على أن يثبُطوا المسلمين عن أتباع المشركين، فخوَّفوهم بهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرجوا<sup>(٢)</sup>.

﴿النَّاسُ﴾ الأول: ركب عبد القيس، و﴿النَّاسُ﴾ الثاني: مشركو قريش. وقيل: نادى أبو سفيان يوم أحد: موعدنا بدرٌ في العام القابل، فقال رسول الله ﷺ: «إن شاء الله»، فلما كان العام القابل خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد، فأرسل أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعي ليثبُط المسلمين<sup>(٣)</sup>.

فعلى هذا: ﴿النَّاسُ﴾ الأول: نعيم، وإنما قيل له: «الناس» وهو واحد؛ لأنه من جنس الناس، كقولك: ركبت الخيل؛ إذا ركبت فرساً.

﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاعل ضمير المَقُول، وهو: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾. والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص، فمعناه هنا: قَوَّى يَقِينَهُمْ وثَقَّتَهُم بالله.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨١٦/٣)، والنسائي في الكبرى (١١٠١٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١١٦٣٢)، وصحح إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦/٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١٣٩/٤).

(٢) أخرجه الطبري (٤٤٦-٤٤٨)، وابن أبي حاتم (٨١٨/٣)، وابن المنذر في تفسيره (٤٩٧-٥٠٠) عن ابن إسحاق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٥٠/٦)، وابن المنذر (٥٠٢/٢) عن مجاهد، ولم يذكر فيه إرسال نعيم بن مسعود ليثبُط المسلمين، لكن قال الطبري (٥٣٢/٣): «وهو [أي: الناس المذكور في الآية] فيما تظاهرت به الرواية من أهل السَّيَرِ نعيم بن مسعود الأشجعي».

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ كلمة يُدْفَعُ بها ما يخاف ويكره، وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلْقِيَ في النار<sup>(١)</sup>. ومعنى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافينا الله وحده؛ فلا نخاف غيره. ومعنى: ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ثناءً على الله، وأنه خير مَنْ يَتَوَكَّلُ العبدُ عليه ويلجأ إليه.

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ أي: رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر.

﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ لخروجهم مع رسول الله ﷺ.

﴿ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ المراد به هنا: أبو سفيان، أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان، أو إبليس. و﴿ذَلِكُمُ﴾ مبتدأ، و﴿الشَّيْطَانُ﴾ خبره، وما بعده استئناف. أو: ﴿الشَّيْطَانُ﴾ نعت، وما بعده خبر.

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوفكم أيها المؤمنون أوليائه؛ وهم الكفار، فالمفعول الأول محذوف، ويدل عليه: قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، وقراءة ابن عباس وابن مسعود عليه السلام: «يخوفكم أوليائه»<sup>(٢)</sup>. وقيل: المعنى: يخوف المنافقين - وهم أوليائه - من كفار قريش، فالمفعول الثاني على هذا محذوف.

﴿وَلَا يُخْزِنُكَ﴾ تسليّة للنبي ﷺ. وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع مضارعاً<sup>(٣)</sup>، من: «حَزَن» الثلاثي، وهو أشهر في اللغة من «أحزن».

﴿الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي: يبادرون إلى أقواله وأفعاله، وهم: المنافقون، أو الكفار.

﴿لَإِنَّ الَّذِينَ إِشْتَرَوْا﴾ الآية؛ هم: المذكورون قبل، أو على العموم في جميع الكفار.

﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: نُمهِلُهُمْ. و«أَنَّ» مفعول بـ﴿يُخْسِبِينَ﴾، و«ما» اسم «أَنَّ»؛ فحقها أن تكتب منفصلة، و﴿خَيْرٌ﴾ الخبر.

﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ «ما» هنا كافة، والمعنى: ردُّ عليهم؛ أي: أن الإملاء لهم ليس خيراً لهم، إنما هو استدراج؛ ليكتسبوا الآثام.

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣) عن ابن عباس عليه السلام.

(٢) قراءة ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم (٨٢٠/٣)، وابن أبي داود في المصاحف (١٩١)، وقراءة ابن مسعود هذه ذكرها الثعلبي في تفسيره (٤٧١/٩-٤٧٢)، ولم أقف على إسناد لها.

(٣) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية؛ خطاب للمؤمنين، والمعنى: ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين، ولكنه مَيَّزَ هؤلاء من هؤلاء؛ بما ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال، التي تدلُّ على الإيمان أو على النفاق.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: ما كان الله ليُظْلِعَكُمْ على ما في القلوب من الإيمان والنفاق، أو ما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أو تُغلبون.

﴿يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ﴾ أي: يختار مَنْ شاء مِنْ رسله، فيطلعه على ما شاء من غيبه.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ يمنعون الزكاة وغيرها.

﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: ﴿هُوَ﴾ فُضِّلَ، و﴿خَيْرٌ﴾ مفعول ثان، والأول محذوف؛ تقديره: لا يَحْسَبَنَّ<sup>(١)</sup> البخل خيراً لهم.

﴿سَيُظَوَّفُونَ﴾ أي: يُلْزَمُونَ إثم ما بخلوا به. وقيل: يُجْعَلُ ما بخل به حِيَةً يُطَوَّقُهَا في عنقه يوم القيامة.



(١) في أ، د: «تَحْسَبَنَّ».

\* لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ بَغِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُفُوا عَذَابَ الْحَرِيِّ ﴿١٨٨﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٩﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْبَيِّنَاتِ فَلْتُمْ فَلَئِمْتُمْهُمْ دَإِ إِلَىٰ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٠﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٩١﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ الْجُؤَرَ كَيْفَ يَوْمَ الْفِتْنَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ بَارَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٩٢﴾ \* لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ مِّن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَضَرَّعُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ لَتَتَّبِعُنَّه لِّلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٩٤﴾ لَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَبَازَرَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩٥﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩٦﴾

﴿١٨٨﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ الآية؛ لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٣٤٢] قال بعض اليهود -وهو فنحاص، أو حبي بن أخطب، أو غيرهما-: إنما يستقرض الفقير من الغني، فالله فقير ونحن أغنياء، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، وكان ذلك القول منهم اعتراضاً على القرآن، أوجبه قلة فهمهم، أو تحريفهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد: فهو استخفاف، وعناد.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي: تكتبه الملائكة في الصحف.

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ أي: قتل آبائهم للأنبياء، وأسند إليهم؛ لأنهم راضون به، ومتبعون لمن فعله من آبائهم.

(١) أخرجه الطبري (٢٧٨/٦)، وابن أبي حاتم (٨٢٨/٣) عن عكرمة عن ابن عباس ؓ.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ﴾ ، وليس صفة ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ .

﴿حَتَّى يَأْتِيَنا بِفُرْبانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أو غيرها جعلوه في مكان، فتزل نار من السماء فتحرقه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل.

﴿قُلْ فَذِجَاءَكُمْ رُسُلٌ﴾ الآية؛ رد عليهم بأن الرسل قد جاؤوهم بمعجزات توجب الإيمان بهم، وجاؤوهم أيضًا بالفربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم، فذلك يدل على أن كفرهم عناد، وأنهم كذبوا في قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ .

﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ﴾ الآية؛ تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره.

﴿بِمَسْ زُخْرَحٍ﴾ أي: نُحْي (١) وأبعد.

﴿لَتَبْلُؤَنَّ﴾ الآية؛ خطاب للمسلمين، والبلاء في الأنفس: بالموت والأمراض، وفي الأموال: بالمصائب والإنفاق.

﴿وَلَتَسْمَعَنَّ﴾ الآية؛ سببها: قول اليهود: «إن الله فقير»، وسبهم للنبي ﷺ وللمسلمين (٢).

﴿لَتَبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ ابن عباس ؓ: هي في اليهود؛ أخذ عليهم العهد في أمر محمد ﷺ فكتموه (٣). وقيل: هي عامة في كل من علمه الله علمًا.

﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ الآية؛ ابن عباس ؓ: نزلت في أهل الكتاب؛ سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا إليه بذلك، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه (٤).

(١) في ج، د: «نجا».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٠٠) عن كعب بن مالك ؓ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٤/٣) عن عكرمة عن ابن عباس ؓ.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩٤/٦) عن عكرمة عن ابن عباس ؓ، وأخرجه أيضا هو وابن أبي حاتم (٨٣٥/٣) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٦٨) ومسلم (٢٧٧٨).

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: نزلت في المنافقين؛ كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذا قدّم النبي ﷺ اعتذروا إليه، وأحبّوا أن يحمّدوا بما لم يفعلوا<sup>(١)</sup>.

﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ بالتاء وفتح الباء<sup>(٢)</sup>: خطاب للنبي ﷺ. وبالياء وضم الباء: أسند الفعل لـ ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾؛ أي: لا يحسبون أنفسهم<sup>(٣)</sup> بمفازة من العذاب.

ومن قرأ: ﴿لَا تَحْسِبَنَّ﴾ بالتاء: فهو أيضًا خطاب للنبي ﷺ و﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ مفعول به، و﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المفعول الثاني، وكرّر ﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ للتأكيد.

ومن قرأ: ﴿لَا يَحْسِبَنَّ﴾ بالياء من أسفل: فإنه حذف المفعولين<sup>(٤)</sup>؛ لدلالة مفعولي ﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ عليهما.



(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٧) ومسلم (٢٧٧٧).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: ﴿لَا يَحْسِبَنَّ﴾ بياء الغيب ﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ بتاء الخطاب وفتح الباء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لَا يَحْسِبَنَّ﴾ بياء الغيب ﴿فَلَا يَحْسِبْنَهُمْ﴾ بياء الغيب وضم الباء. وقرأ عاصم وحزمة والكسائي: ﴿لَا تَحْسِبَنَّ﴾ بتاء الخطاب ﴿فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ﴾ بتاء الخطاب وفتح الباء. وأما قراءة السين من يحسب المضارع، فقرأ ابن عامر وعاصم وحزمة بفتح السين، والباقون بكسرها.

(٣) في د: «أنهم».

(٤) تقديرهما: لا يحسبن الذين يفرحون أنفسهم فائزين من العذاب. المحرر الوجيز (٢/٤٤٣)، والبحر المحيط (٦/٣٤٤-٣٤٥).

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيْمَا وَفَعَدُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَّبِعُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ بَيْنَا عَذَابَ الْبَارِ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا بَاغِزْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبِرَارِ ﴿١٨﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩﴾ بَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَمِلَ مِنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ نَسِيتُ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ بِالَّذِينَ هَاجَرُوا وَآخَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَآوَدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٢٠﴾ \* لَا يَغْرَنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿٢١﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادَ ﴿٢٢﴾ لَكِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَّلًا مِّن عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآبِرَارِ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْقُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ كَلِمَةٍ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾

﴿١٥﴾ ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذكر في «البقرة» (١).

﴿١٦﴾ ﴿فِيْمَا وَفَعَدُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: يذكرون الله على كل حال؛ فكأن هذه الهيئات حصرٌ لحال ابن آدم. وقيل: إن ذلك في الصلاة؛ يصلُّون قيامًا، فإن لم يستطيعوا صلُّوا قعودًا، فإن لم يستطيعوا صلُّوا على جنوبهم.

﴿١٧﴾ ﴿رَبَّنَا﴾ أي: يقولون: ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة، بل خلقت البشر؛ لينظروا فيه فيعرفوك فيعبدوك.

﴿١٨﴾ ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو النبي ﷺ.

﴿مَا وَعَدْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على السنة رسلك.

﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ انْتَبَىٰ﴾ «من»: لبيان الجنس، وقيل: زائدة؛ لتقدم النفي.

﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: الرجال والنساء سواء في الأجور والخيرات.

﴿وَأُخْرِجُوا مِّنْ دِيَارِهِمْ﴾ هم المهاجرون؛ آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها.

﴿ثَوَابًا﴾ منصوب على المصدرية.

﴿لَا يَغُرَّتْكَ﴾ الآية؛ تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا تظن أن حال الكفار في الدنيا دائمة فتهتم لذلك، وأنزل ﴿لَا يَغُرَّتْكَ﴾ منزلة: «لا يحزنك».

﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ أي: تقلبهم في الدنيا قليل؛ بالنظر إلى ما فاتهم في الآخرة.

﴿نُزُلًا﴾ منصوب على الحال من «جئت»، أو على المصدرية<sup>(١)</sup>.

﴿لِلْأَبْرَارِ﴾ جمع بارٍّ أو برٍّ، ومعناه: العاملون بالبرِّ؛ وهو غاية التقوى والعمل الصالح. قال بعضهم: الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذر<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية؛ قيل: نزلت في النجاشي ملك الحبشة، فإنه كان نصرانياً فأسلم<sup>(٣)</sup>. وقيل: في عبد الله بن سلام ؑ وغيره ممن أسلم من اليهود<sup>(٤)</sup>.

﴿لَا يَشْتَرُونَ﴾ مدح لهم، وفيه تعريض بدم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً.

﴿وَصَابِرُوا﴾ أي: صابروا أعداءكم<sup>(٥)</sup> في القتال.

(١) على المصدر المؤكد، قدّره ابن عطية (١/٤٥٤): «تكرمة»، وقدّره الزمخشري (٤/٣٩٦): «رزقاً أو عطاء».

(٢) قال ذلك الحسن البصري، أورده بإسناده الإمام أحمد في الزهد (٦٣٢)، والطبري في تفسيره (٢٤/٢٠٦).

(٣) أخرجه ابن المنذر (٢/٥٤١-٥٤٢)، وابن أبي حاتم (٣/٨٤٦)، والنسائي في الكبرى (١١٠٢٢)، والبيهقي في سننه (١٣/١٤٩) عن أنس ؓ، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣١٧٥) عن عبد الله بن الزبير ؓ، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الطبري (٦٣٢٩) وابن المنذر (٢/٥٤٢) عن ابن جريج.

(٥) في ب: «عدوكم».



﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا في الثغور رابطين خيلكم، مستعدّين للجهاد. وقيل: هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله؛ أي: معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية. والأول أظهر وأشهر؛ قال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»<sup>(١)</sup>.  
 وأما قوله -في انتظار الصلاة-: «فذلكم الرباط»<sup>(٢)</sup> فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله؛ لعظم أجره. والمرابط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور؛ ليرابط فيها، وهي غير موطنه. فأما سكّانها دائماً بأهلهم لمعايشهم فليسوا بمرابطين، ولكنهم حُمّة. حكاه ابن عطية<sup>(٣)</sup>.



(١) أخرجه مسلم (١٩١٣) عن سلمان ؓ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥١) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) المحرر الوجيز (٤٥٨/٢).

## سُورَةُ النِّسَاءِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾  
وَعَاثُوا أَلْيَتَ بَنِي أَمْوَالِهِمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَاكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ دَ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي أَلْيَتَ بَنِي أَمْوَالِكُمْ مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ أَلْيَتَ بَنِي أَمْوَالِكُمْ فَإِنْ خِفْتُمْ دَ أَلَّا تُفْسِدُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَعَاثُوا أَلْيَتَ بَنِي أَمْوَالِهِمْ صَدَقَاتِهِمْ نَحْلَةً فَإِنْ طَابَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تَوَثُّوا أَلْيَتَ بَنِي أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ \* وَابْتَلُوا أَلْيَتَ بَنِي أَمْوَالِكُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ اسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْبَعُوا إِلَيْهِمْ دَ أَمْوَالِهِمْ وَلَا تَاكُلُوها إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَبَعْتُمْ إِلَيْهِمْ دَ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ أَلْيَتَ بَنِي أَمْوَالِكُمْ أَلْيَتَ بَنِي أَمْوَالِكُمْ وَالْمَسْكِينِ وَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ أَلْيَتَ بَنِي أَمْوَالِكُمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ خطابٌ على العموم، وقد تكلمنا على التقوى في أول «البقرة».

﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو آدم عليه السلام. ﴿زَوْجَهَا﴾ هي حواء؛ خلقت من ضلع آدم.

﴿وَبَثَّ﴾ نشر. ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي: يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله أن تفعل كذا.

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنصب<sup>(١)</sup> عطفٌ على اسم الله؛ أي: اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور - وهو ﴿بِهِ﴾ -؛ لأنَّ موضعه نصب<sup>(٢)</sup>. وقرئ بالخفض: عطفًا على الضمير في ﴿بِهِ﴾، وهو ضعيف عند البصريين؛ لأن الضمير المخفوض لا يُعطف عليه إلا بإعادة الخافض.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَفِيبًا﴾ إذا تحقَّق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف، أصله: علم، وحال، ثم يُثَمِّر حَالَيْن. أما العلم: فهو معرفة العبد بأن الله مطلعٌ عليه، ناظرٌ إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كلَّ ما يخطر على باله. وأما الحال: فهو ملازمة هذا العلم للقلب، بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال.

فإذا حصل العلم والحال: كانت ثمرتهما عند أصحاب اليمين: الحياة من الله، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي، والجِدَّ في الطاعات. وكانت ثمرتهما عند المقرَّبين: المشاهدة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال. وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله ﷺ بقوله: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(٣)</sup>.

فقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه» إشارة إلى الثمرة الثانية، وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم؛ كمن يشاهد ملكًا عظيمًا، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة. وقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» إشارة إلى الثمرة الأولى، ومعناه: إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقرَّبين، فاعلم أنه يراك؛ فكن من أهل الحياة الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسَّر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى؛ رأى أن كثيرًا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر.

واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى يتقدَّم<sup>(٤)</sup> قبلها: المشارطة، والمرابطة، ويتأخَّر عنها: المحاسبة، والمعاقبة.

(١) قرأ حمزة بالخفض، والباقون بالنصب.

(٢) كما تقول: مررت بزيد وعمراً، أي: تساءلون به وبالأرحام. الكشاف (٤/٤٠٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «تتقدم».

فأما المشاركة: فهي اشتراطُ العبد على نفسه التزام الطاعة وترك المعاصي.

وأما المراقبة: فهي معاهدة العبد لربه على ذلك. ثم بعد المشاركة والمراقبة في أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره. وبعد ذلك <sup>(١)</sup> يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عاهد عليه الله: حمد الله. وإن وجد نفسه قد حلَّ عُقْدَةً <sup>(٢)</sup> المشاركة، ونقض عهد المراقبة: عاقب النفس عقاباً يزجرها <sup>(٣)</sup> عن العودة إلى مثل ذلك. ثم عاد إلى المشاركة، والمراقبة، وحافظ على المراقبة، ثم اختبر بالمحاسبة، فهكذا يكون إلى أن يلقي الله تعالى.

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ خطابٌ للأوصياء. وقيل: للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير؛ فأمرُوا أن يورثوهم. وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء: فالمراد: أن يؤتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم؛ فيكون اليتيم على هذا حقيقة. وقيل: المراد: دفع أموالهم إذا بلغوا؛ فيكون اليتيم على هذا مجازاً؛ لأن اليتيم قد كبر.

﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف؛ فنُهيوا عن ذلك. وقيل: المعنى: لا تأكلوا مالهم <sup>(٤)</sup> - وهو الخبيث -، وتدعوا مالكم <sup>(٥)</sup> - وهو الطيب -.

﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ المعنى: نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم. وقيل: نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أبيح ذلك بقوله: ﴿وَأَن تَخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٨]. وإنما تعدى الفعل «إلى»؛ لأنه تضمن معنى الجمع والضم. وقيل: «إلى» بمعنى «مع».

﴿حُبَابًا﴾ أي: ذنبًا.

(١) في زيادة: «تكون المحاسبة».

(٢) في ب، ج، هـ: «عقد».

(٣) في ب: «بأن يزجرها».

(٤) في ب، ج، هـ، د: «أموالهم».

(٥) في د: «أموالكم».

﴿وَأَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ بَانَكِحُوا﴾ الآية؛ قالت عائشة رضي الله عنها: نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال ولياتهم، فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن في الصداق؛ لمكان ولايتهم عليهن، فقل لهم: أقسطوا في مهورهن، فمن خاف أن لا يُقسط فليتزوّج ما طاب له من الأجنبية اللاتي يوفيهن حقوقهن<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن العرب كانت تتحرّج في أموال اليتامى، ولا تتحرّج في العدل بين النساء، فنزلت الآية في ذلك؛ أي: كما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء<sup>(٢)</sup>. وقيل: إن الرجل منهم كان يتزوج العشر وأكثر، فإذا ضاق ماله أخذ من مال يتيمة، فقل لهم: إن خفتُم أن لا تقسطوا في اليتامى فاقصروا في النساء.

﴿مَا طَابَ﴾ أي: ما حلّ. وإنما قال «ما» ولم يقل «مَنْ» لأنه أراد الجنس<sup>(٣)</sup>.

وقال الزمخشري: لأن الإناث من العقلاء يُجرى مجرى غير العقلاء؛ ومنه قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَّةَ وَرَبْعَ﴾ لا تنصرف؛ للعدل والوصف. وهي: حالٌ من ﴿مَا طَابَ﴾.

وقال ابن عطية: بدل<sup>(٥)</sup>. وهي معدولة عن أعدادٍ مكرّرة، ومعنى التكرار فيها: أن الخطاب لجماعة؛ فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد، فتكرّرت الأعداد بتكرار<sup>(٦)</sup> الناس.

والمعنى: انكحوا اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، وفي ذلك منعٌ لما كان في الجاهلية من تزوّج ما زاد على الأربع.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٤)، ومسلم (٣٠١٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٧/٣).

(٣) أي: لم يُرد تعيين مَنْ يعقل، وإنما أراد الجنس - أو النوع بحسب تعبير ابن عطية - الذي هو الطيب، كأنه قال: فانكحوا النوع الذي طاب لكم من النساء. المحرر الوجيز (٤٦٦/٢)، والبحر المحيط (٤١٢/٦).

(٤) الكشاف (٤٢٣/٤).

(٥) المحرر الوجيز (٤٦٦/٢).

(٦) في ج، هـ: «بتعدد».

وقال قوم لا يُعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثني وثلاث ورباع يجتمع منه تسعة، وهذا خطأ؛ لأن المراد التَّخْيِيرُ بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال: «تسع»، ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقلُّ بيانًا، وأيضًا قد انعقد الإجماع على تحريم ما زاد على الرابعة.

﴿وَوَاحِدَةً﴾ أي: إن خفتُم أن لا تعدلوا بين الاثنين<sup>(١)</sup> أو الثلاث أو الأربع فاقصروا على واحدة، أو على ما ملكت أيمانكم من قليل أو كثير؛ رغبة في العدل. وانتصاب<sup>(٢)</sup> ﴿وَوَاحِدَةً﴾ بفعل مضمر؛ تقديره: فانكحوا واحدة.

﴿ذَلِكَ أَذْنَبَىٰ آلًا تَعُولُوا﴾ الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى: أن ذلك أقرب إلى أن لا تعولوا. ومعنى ﴿تَعُولُوا﴾: تميلوا، وقيل: يكثر عيالكم.

﴿وَوَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ﴾ خطابٌ للأزواج. وقيل: للأولياء؛ لأن بعضهم كان يأكل صدق وليته. وقيل: هي<sup>(٣)</sup> نهي عن الشغار.

﴿نِحْلَةً﴾ أي: عطية منكم لهن، أو عطية من الله. وقيل: معنى ﴿نِحْلَةً﴾ أي: شرعة وديانة<sup>(٤)</sup>. وانتصابه على المصدر من معنى: آتوهن، أو على الحال من ضمير المخاطبين<sup>(٥)</sup>.

﴿فَإِنْ طَبِئَ لَكُمُ الْآيَةُ﴾ الآية؛ إباحة للأزواج أو الأولياء -على ما تقدّم من الخلاف- أن يأخذوا ما دفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن. والضمير في ﴿مِنَهُ﴾ يعود على الصّدق، أو على الإيتاء.

﴿هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ عبارة عن التحليل، ومبالغة في الإباحة. وهما صفتان؛ من قولك: «هَنُوُ الطعام ومَرُوُ»: إذا كان سائغًا لا تنغيص فيه. وهما: وصفٌ للمصدر؛ أي: أكلًا هنيئًا. أو حال من

(١) في أ، ب، هـ: «الاثنين».

(٢) في ب: «وانتصب».

(٣) في ب، د، هـ: «هو».

(٤) في ب: «ودينًا».

(٥) أي: آتوهن صدقاتهن نأجلين طيبين النفوس بالإعطاء. الكشف (٤/٤٣١).

ضمير الفاعل<sup>(١)</sup>. وقيل: يوقف على ﴿بَكْلُوهُ﴾، ويبدأ: ﴿هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ على الدعاء.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ قيل: هم أولاد الرجل وامراته؛ أي: لا تؤتوهم أموالكم للتبذير. وقيل: السفهاء: المحجورون، و﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: أموال المحجورين، وأضافها إلى المخاطبين؛ لأنهم ناظرون عليها وهي تحت ولايتهم.

﴿فِيمَا﴾ جمع قِيَمَة. وقيل: بمعنى «قيام» بالالف؛ أي: تقوم بها معاشكم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ قيل: إنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده. وقيل: في المحجورين؛ يُرزقون ويكسّون من أموالهم.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: ادعوا لهم بخير، أو عدّوهم وعدًا جميلًا؛ أي: إن رُشدتم دفعنا لكم أموالكم.

﴿وَابْتَغُوا الْيَتِيمَ﴾ أي: اختبروا رُشدهم.

﴿بَلِّغُوا إِلَيْكَ﴾ بلغوا مبلّغ الرجال.

﴿إِنِ انْتَهَمَ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ الرُشد: هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله، وإن لم يكن من أهل الدين. واشترط قوم الدين. واعتبر مالك: البلوغ والرُشد<sup>(٣)</sup>؛ وحينئذ يدفع المال<sup>(٤)</sup>. واعتبر أبو حنيفة: البلوغ وحده؛ ما لم يظهر سفة، وقوله مخالف للقرآن.

﴿وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ معناه: مبادرة لكبرهم؛ أي: إن الوصي يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر.

(١) أي: كلوه هائنين، وأعربه الزمخشري حالًا من ضمير المفعول، أي: حال كون المأكول هنيئًا مريئًا، قال في الكشف (٤/٤٣٥): «وهما وصفٌ للمصدر، أي: أكلاً هنيئًا مريئًا، أو حالًا من الضمير؛ أي: كلوه وهو (أي: المأكول) هنيئٌ مريءٌ»، وقال أبو حيان في البحر المحيط (٦/٤٢٧) «وانتصاب (هنيئًا) .. على أنه حال من ضمير المفعول، هكذا أعربه الزمخشري وغيره» والله أعلم.

(٢) في أ، ب: «معاشكم»، وفي هـ: «على معاشهم»، وفي ج: «على معاشكم».

(٣) وبه قال الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٣/٣٥٢).

(٤) في هامش ب زيادة: «إليه».

وموضع ﴿أَنْ يَّكْبُرُوا﴾ نصبٌ على المفعولية بـ ﴿يَذَارَ﴾، أو على المفعول من أجله؛ تقديره: مخافة أن يكبروا.

﴿فَلْيَسْتَغْفِرْ﴾ أمر الوصي<sup>(١)</sup> الغني أن يستغفر عن مال اليتيم<sup>(٢)</sup>، ولا يأكل منه شيئاً. ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المعنى: أن يستسلف الوصي الفقير من مال المحجور<sup>(٣)</sup>، فإذا أيسر رده<sup>(٤)</sup>. وقيل: المراد: أن يكون له أجره بقدر عمله وخدمته. ومعنى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير إسراف. وقيل: نسخها: ﴿لأن الذين يأكلون أموال اليتيم﴾.

﴿بِأَشْهَادٍ عَلَيْهِمْ﴾ أمر بالتحرز والحزم؛ فهو ندب، وقيل: فرض. ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآية؛ سببها: أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء، فنزلت الآية<sup>(٥)</sup>؛ ليرث الرجال والنساء<sup>(٦)</sup>.

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ منصوب انتصاب المصدر المؤكّد؛ كقوله: ﴿بَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾.

وقال الزمخشري: منصوب على التخصيص؛ بمعنى: أعني نصيباً<sup>(٧)</sup>.

﴿وَإِذَا حَضَرَ أَفْسَئَةٌ﴾ الآية؛ خطابٌ للوارثين؛ أمروا أن يتصدّقوا من الميراث على قرابتهم، وعلى اليتامى والمساكين، فقيل: إن ذلك على الوجوب، وقيل: على الندب؛ وهو الصحيح، وقيل: نُسخ بآية الموارث.

(١) في ب: «أمر للوصي».

(٢) في د: «المحجور».

(٣) في د: «اليتيم».

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما هو بلفظ: «إني أنزلت مال الله تعالى مني بمنزلة مال اليتيم، إن استغفيت استغففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت»، أخرجه الطبري (٦/٤١٢)، وابن المنذر (٢/٥٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/٣٢٤)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/١٥٣٨)، والبيهقي في سننه من طريقه (١١٠٠١)، وصححه ابن كثير في تفسيره (٢/٢١٨).

(٥) أخرجه الطبري (٦/٦٦٧) عن قتادة، وابن أبي حاتم (٣/٨٧٢) عن سعيد بن جبير.

(٦) في د: «بميراث الرجال والنساء».

(٧) الكشف (٤/٤٤٦).



﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ الآية؛ معناها: الأمرُ لأولياء اليتامى أن يُحسِنوا إليهم في نظر أموالهم، فيخافوا الله على أيتامهم كخوفهم على ذُرِّيَّتِهِمْ لو تركوهم ضعافاً، ويُقدِّروا ذلك في أنفسهم؛ حتى لا يفعلوا خلاف الشَّفَقَةِ والرَّحْمَةِ. وقيل: هم الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه<sup>(١)</sup> أن يتصدَّقَ بماله حتى يُجَحِّفَ بورثته، فأَمِروا أن يخشوا على الورثة كما يخشون على أولادهم. وحُذِفَ مفعولُ ﴿وَلْيَخْشَ﴾<sup>(٢)</sup>.

و﴿خَافُوا﴾ جواب ﴿لَوْ﴾.

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ على القول الأول: ملاطفةُ الوصيِّ لليتيم بالكلام الحسن. وعلى القول الثاني: أن يقول للموروث: «لا تُسْرِفْ في وصيتك وارفُق بورثتك».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ قيل: نزلت في الذين لا يُورَثون الإناث. وقيل: في الأوصياء. ولفظها<sup>(٣)</sup> عامٌّ في كل من أكل مال يتيم بغير حق.

﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي: إِنَّ أَكْلَهُمْ لِمَالِ الْيَتَامَى يُوَوِّلُ إِلَى دُخُولِهِمُ النَّارَ. وقيل: بل يأكلون النار في جهنم.



(١) كذا في النسخ الخطية بحذف النون، وهو معطوف على فعل مرفوع بثبات النون «يجلسون»، فكان الأصل أن يقول: «فيأمرونه»، ولكن يمكن حمل سقوط النون هنا على مجرد التخفيف، وهي لغة صحيحة، ومنه حديث: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا». انظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك (٢٣٩).

(٢) قال في البحر المحيط (٤٥٧/٦): «يحتمل أن يكون اسم الجلالة، أي: وليخش الله»، وقال ابن عطية (٤٧٦/٢): «وحسن حذفه من حيث يتقدَّر فيه التخويفُ بالله تعالى، والتخويف بالعاقبة في الدنيا، فينظر كل متأوِّل بحسب الأهم في نفسه»، فيحتمل تقديره -على هذا-: وليخش الله، أو وليخش العاقبة في الدنيا.

(٣) في ج، هـ: «وقولها».

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً بَاقٍ إِنْتَبَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا يُوْرِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتُهُ أَبَوَاهُ فَلِلْمِثْلِ ثُلُثٌ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْمِثْلِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ. أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ دَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ دَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ \*تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ نُذِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ أَجْرُ الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُذِلْهُ تَارًا خَلِيدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ هذه الآية نزلت بسبب بنات<sup>(١)</sup> سعد بن الربيع<sup>(٢)</sup>. وقيل: بسبب جابر بن عبد الله<sup>(٣)</sup>؛ إذ عاده<sup>(٤)</sup> رسول الله ﷺ في مرضه<sup>(٥)</sup>. ورفعت ما كان في الجاهلية من ترك توريث النساء والأطفال. وقيل: نسخت: ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْأُولَادَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٧٩]. وإنما قال: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ بلفظ الفعل الدائم، ولم يقل: «أوصاكم»؛ تنبيهًا على نسخ ما مضى والشروع في حكم آخر. وإنما قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ بالاسم الظاهر،

(١) في ب: «بنات»، ولم ترد في ج، هـ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨١/٣)، وأحمد في المسند (١٤٧٩٧)، وأبو داود (٢٨٩١)، والترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، والحاكم (٧٩٥٤) من حديث جابر<sup>(٦)</sup>، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) في ب: «دعاه».

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٧٧)، ومسلم (١٦١٦).

ولم يقل: «نوصيكم»؛ لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء. وإنما قال: ﴿وَيْتِ أَوْلَادَكُمْ﴾ ولم يقل: «في أبنائكم»؛ لأن الابن يقع على الابن من الرضاة، وعلى ابن البنت، وعلى الابن المتبنى<sup>(١)</sup>، وليسوا من الورثة.

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ هذا بيان للوصية المذكورة. فإن قيل: هلا قال: «للأنثيين مثل حظ الذكر»، أو «للأنثى نصف حظ الذكر»؟ فالجواب: أنه بدأ بالذكر لفضله، ولأن القصد ذكر حظه، ولو قال: «للأنثيين مثل حظ الذكر» لكان فيه تفضيل للإناث<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ إنما أتت ضمير الجماعة في ﴿كُنَّ﴾؛ لأنه قصد الإناث، وأصله أن يعود على الأولاد؛ لأنه يشمل الذكور والإناث. وقيل: يعود على المتروكات. وأجاز الزمخشري أن تكون «كان» تامة، والضمير مبهم، و﴿نِسَاءً﴾ تفسير<sup>(٣)</sup>.

﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ ظاهره: أكثر من اثنتين، ولذلك أجمع على أن للثلاث فما فوقهن الثلثين<sup>(٤)</sup>. وأما البتان: فاختلف فيهما: فقال ابن عباس رضي الله عنه: لهما النصف، كالبنت الواحدة<sup>(٥)</sup>. وقال الجمهور: لهما الثلثان، وتأولوا ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾: أن المراد: اثنتان فما فوقهما. وقال قوم: إن ﴿فَوْقَ﴾ زائدة؛ كقوله: ﴿بَاضِرُوا فَوْقَ الْأَعْنَانِ﴾ [الأنفال: ١٢]، وهذا ضعيف. وقال قوم: إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن. وقيل: بالقياس على الأختين.

﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ بالرفع<sup>(٦)</sup>: فاعل، و«كان» تامة، وبالنصب: خبر «كان». وقوله تعالى: ﴿بَلَّهَا الْيَظْفُ﴾ نص على أن للبنت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد؛ لأن للذكر مثل حظ الأنثيين.

(١) في د: «وعلى ابن التبي».

(٢) انظر: الكشف (٤/٤٥٥).

(٣) الكشف (٤/٤٥٧).

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «الثلثان».

(٥) لم أقف على إسناد له، إلا أن نسبته إلى ابن عباس مشتهرة في كتب الفقه، وذكر ابن عبد البر في الاستذكار

(٣٨٩/١٥) بأنه: «رواية شاذة لم تصح عن ابن عباس».

(٦) قرأ نافع بالرفع، والباقون بالنصب.

﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الولد: يقع على الذكر والأنثى، والواحد والاثنين والجماعة، سواء كان للصلب، أو ولد ابن، وكلُّهم يُرَدُّ الأبوين إلى السدس.

﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأَمِّهِ الثُّلُثُ﴾ لم يجعل الله للأم الثلث إلا بشرطين: أحدهما: عدم الولد. والآخر: إحاطة الأبوين بالميراث؛ ولذلك دخلت الواو؛ لتعطف أحد الشرطين على الآخر. وسكت عن حظ الأب؛ استغناءً بفهمه؛ لأنه لا يبقى بعد الثلث إلا الثلثان، ولا وارث إلا الأبوان، فاقضى ذلك أن الأب<sup>(١)</sup> يأخذ بقية المال؛ وهو الثلثان.

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَمِّهِ السُّدُسُ﴾ أجمع العلماء على أن ثلاثة من الإخوة يُرَدُّون الأم إلى السدس. واختلفوا في الاثنين: فمذهب الجمهور: أنهما يُرَدَّانها إلى السدس. ومذهب ابن عباس<sup>(٢)</sup>: أنهما لا يرَدَّانها إليه، بل هما كالأخ الواحد<sup>(٣)</sup>.

وحجته: أن لفظ الإخوة لا يقع على الاثنين؛ لأنه جمع لا تشية، وأقل الجمع ثلاثة. وقال غيره: إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين؛ كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٧]، و﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢٠]، و﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ [طه: ١٢٨]، واحتجوا بقوله ﷺ: «الاثنان فما فوقهما جماعة»<sup>(٣)</sup>، وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنان فصاعداً، ومذهبه: أن أقل الجمع اثنان.

فعلى هذا: يحجب الأخوان فصاعداً الأم عن الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين أو لأب أو لأم، أو مختلفين، وسواء كانا ذكراً أو أنثى. فإن كان معهما أب: ورث بقية المال، ولم يكن للإخوة شيء عند الجمهور، فهم يحجبون الأم، ولا يرثون.

(١) في د: «الوالد».

(٢) أخرجه الطبري (٤٦٥/٦)، والحاكم في المستدرک (٧٩٦٠)، والبيهقي في السنن (١٢٢٩٧) عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/٢٢٨): «وفي صحة هذا الأثر نظر، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس، ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الأخصاء به، والمنقول عنهم خلافه».

(٣) روي من عدة طرق، فروي من حديث أبي موسى الأشعري<sup>(٢)</sup>، أخرجه ابن ماجه (٩٧٢)، وابن أبي شيبة (٨٩٠٣)، والحاكم (٧٩٥٧)، والدارقطني (١٠٨٧)، والبيهقي (٥٠٠٨)، وضعفه، وضعفه أيضاً النووي وابن كثير وغيرهما. وروي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أخرجه الدارقطني (١٠٨٨)، وضعفه ابن كثير، وروي من طرق أخرى كلها ضعيفة، انظر: البدر المنير لابن الملقن (٧/٢٠٤).

وقال قوم: يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم. وإن لم يكن أب ورثوا.  
 ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ يتعلّق بالاستقرار المضمر في قوله:  
 ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ﴾ أي: استقرّ لهنّ الثلثان من بعد وصية. ويمتنع أن يتعلّق بـ  
 ﴿تَرَكَ﴾<sup>(١)</sup>. وفاعل ﴿يُوصِي﴾: الميت.

وإنما قدّمت الوصية على الدّين، والدّين مقدّم عليها في الشريعة؛ اهتماماً بها، وتأكيّداً  
 للأمر بها<sup>(٢)</sup>، ولثلاثيهاون بها. وأخر الدّين؛ لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد في  
 الأمر بإخراجه. وتُخرج الوصية من الثلث، والدّين من رأس المال بعد الكفن. وإنما ذكّر  
 الوصية والدّين نكرتين؛ ليدلّ على أنهما قد يكونان، وقد لا يكونان؛ فدلّ ذلك على  
 سقوط وجوب الوصية.

﴿أَقْرَبَ لَكُمْ نَفَعًا﴾ قيل: بالإِنفاق إذا احتيج إليه. وقيل: بالشّفاة في الآخرة. ويحتمل أن  
 يريد: نفعاً بالميراث من ماله، وهو أليقُ بسياق الكلام.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ الآية؛ خطابٌ للرجال، وأجمع العلماء على ما  
 تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت  
 واحدة، ويُقسّم بينهما إن كنّ أكثر من واحدة، ولا يُنقص من ميراث الزوج والزوجة وسائر  
 أهل السهام إلّا ما نقصه العوّل على مذهب جمهور العلماء، خلافاً لابن عباس رضي الله عنهما؛ فإنه

(١) قال السهيلي رحمه الله في كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية (٤٥): «لا يجوز أن يتعلّق حرف الجر من قوله في آخر  
 الآية ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ بـ ﴿تَرَكَ﴾، وإن كان يليه في اللفظ ظاهراً، وإنما تعلّقه بالاستقرار المضمر في قوله:  
 ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثًا﴾ أي: استقرّ لهنّ الثلثان من بعد وصية، أي: من بعد إخراج وصية.. فإن قيل: فما فائدة هذا النحو في  
 هذا الموضع؟ وما فقّهه تعلّق بالترك أو لم يتعلّق به؟ قلنا: فقّه ذلك أن الكفن وجهاز الميت ليس للورثة فيه حق؛  
 لأن حقّهم لم يجب لهم إلا بعد موته وبعد إخراج الوصية والدّين، ولو جعلنا حرف الجر متعلّقاً بـ ﴿تَرَكَ﴾ لصار  
 المعنى مجعلاً غير مبين، ولكان ما ترك بعدما أوصى يدخل فيه الكفن وغيره؛ لأن وصيته إنما هي قبل الموت،  
 ولو وجب لهم ذلك بآثر الوصية ومن بعد تركه لما ترك أن يوصي فيه؛ كان الكفن لهم، ولو كان لهم لم يُجبّروا  
 على تكفينه، ولكانوا إذا كفنوه مأجورين على إحسانهم إليه، وليس الأمر على ذلك بإجماع، أو بما يقرب من  
 الإجماع». اهـ. وهذا الإعراب والتوجيه لم أقف عليه عند غير السهيلي في كتابه هذا.

(٢) في د: «الأمرها».

لا يقول بالعول<sup>(١)</sup>. فإن قيل: لم كرّر قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ مع ميراث الزوج وميراث الزوجة، ولم يذكره قبل ذلك إلا مرة واحدة في ميراث الأولاد والأبوين؟ فالجواب: أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة، والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج، فكل واحدة قضية على أفرادها؛ فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة، بخلاف الأولى؛ فإن الموروث فيها واحد، ذكر حكم ما يرث منه أولاده وأبواه؛ وهي قضية واحدة؛ فلذلك قال فيها: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ مرة واحدة.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ الكلالة: هي انقطاع عمودي النسب؛ وهي خلو الميت عن ولد<sup>(٢)</sup> والدة. ويحتمل أن تطلق هنا على: الميت الموروث، أو على الورثة، أو على الورثة، أو على القرابة، أو على المال.

[١] فإن كانت للميت فإعرابها:

١. خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة<sup>(٣)</sup>.

٢. (أو ﴿يُورَثُ﴾ خبر كان، و﴿كَالَةً﴾ حال من الضمير في ﴿يُورَثُ﴾.

٣. أو تكون ﴿كَانَ﴾ تامة، و﴿يُورَثُ﴾ في موضع الصفة،<sup>(٤)</sup> و﴿كَالَةً﴾ حال من الضمير.

[٢] وإن كانت للورثة فهي:

١. خبر ﴿كَانَ﴾؛ على حذف مضافٍ تقديره: «ذا كلالته».

٢. أو حال؛ على حذف مضاف أيضًا.

[٣] وإن كانت للورثة فهي: مصدر في موضع الحال.

(١) أخرجه الحاكم (٧٩٨٥) وصححه، والبيهقي (١٢٤٥٧).

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «أو».

(٣) في ب زيادة: «و(كلالة) حال من الضمير».

(٤) ما بين القوسين سقط من ج، هـ.

[٤] وإن كانت للقرابة فهي: مفعولٌ من أجله، (تقديره: «يُورث»<sup>(١)</sup> من أجل القربى)<sup>(٢)</sup>.

[٥] وإن كانت للمال فهي: مفعولٌ ثانٍ لـ «يُورث».

وكل وجه من هذه الوجوه<sup>(٣)</sup> على أن تكون:

١. «كَانَ» تامةً، و«يُورث» في موضع الصفة.

٢. وأن<sup>(٤)</sup> تكون ناقصةً، و«يُورث» خبرها.

«وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ» المراد هنا: الأخ للأُم والأخت للأُم بإجماع. وقرأ سعد بن أبي وقاص: «وله أخ أو أخت لأُمِّه»<sup>(٥)</sup>؛ وذلك تفسير للمعنى.

«بَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ» إذا كان الأخ للأُم واحدًا فله السدس، وكذلك إن كانت الأخت للأُم واحدةً.

«بِهِمْ شُرَكَاءٌ فِي الثَّلَاثِ» إذا كان الإخوة للأُم اثنين فأكثر فلهم الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى؛ لأن قوله: «شُرَكَاءٌ» يقتضي التسوية بينهم، ولا خلاف في ذلك.

«غَيْرَ مُضَارٍّ» منصوبٌ على الحال، والعامل فيه: «يُوصِي»، و«مُضَارٍّ» اسم فاعل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الضَّرار في الوصية من الكبائر<sup>(٦)</sup>.

ووجوه المضاربة كثيرة؛ منها: الوصية لوارث، والوصية بأكثر من الثلث، أو بالثلث؛ فإِذَا عن<sup>(٧)</sup> وارثٍ محتاج. فإن عُلِمَ أنه قصد بوصيته الإضرارَ رُدَّ ما زاد على الثلث اتفاقاً. واختلف: هل يُرَدُّ الثلث؟ على قولين في المذهب، والمشهور: أنه يَنْفَذُ.

(١) هذه الكلمة سقطت من د.

(٢) سقط من ج، هـ.

(٣) في ب: «الأوجه».

(٤) في د: «أو».

(٥) أخرجه الطبري (٤٨٣/٦)، وابن أبي حاتم (٨٨٧-٨٨٨/٣)، وابن أبي شيبة (٣٢٢٥٩)، والبيهقي (١٢٣٢٢).

(٦) أخرجه الطبري (٤٨٦/٦)، وابن المنذر في تفسيره (٥٩٦/٢)، وابن أبي حاتم (٨٨٨/٣)، والنسائي في

الكبرى (١١٠٢٦)، وابن أبي شيبة (٣١٥٧٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٦٤٥٦).

(٧) في أ، ب: «من».

﴿وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكَّدٌ لقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ . ويجوز أن ينتصب بـ ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من الموارِيث وغيرها.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية؛ تعلق بها المعتزلة في قولهم: إن العصاة من المؤمنين يُخلَّدون في النار. وتأولها الأشعرية: على أنها في الكفار<sup>(٢)</sup>.



(١) أي: لا يُضارَّ وصية من الله، وهم الورثة، سماهم الله وصية تجوزاً؛ لأنه - تعالى - قد وصَّى بهم. المحرر الوجيز (٤٨٨/٢)، والكشاف (٤٧٣/٤)، والبحر المحيط (٤٩٦/٦).

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٤٣).



وَالَّذِي يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا بِأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿٥٥﴾ وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَهَا مِنْكُمْ بِغَيْرِهَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِسْلَامَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَفْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ \* وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ إِسْتِئْذَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَيْهِنَّ فَنظَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٦٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٦١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٦٢﴾

﴿يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةَ﴾ هي هنا: الزَّنا.

﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ أي: من المسلمات؛ لأن المسلمة تُحَدُّ حَدَّ الزَّنا. وأما الكافر والكافرة: فاختلَف هل يُحَدُّ أو يعاقب؟ ﴿فَاَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ قيل: إنما جعل شهداء الزنا أربعة؛ تغليظًا على المدَّعي، وسترًا على العباد. وقيل: ليكون شاهدان على كل واحد من الزَّانين.

﴿بِأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ كانت عقوبة الزنا الإمساك في البيوت، ثم نُسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا؛ وهو السَّبُّ والتَّوبيخ. وقيل: إن الإمساك في البيوت للنساء، والأذى للرجال، فلا نسخ بينهما. ورجَّحه ابن عطية<sup>(١)</sup> وابن الفرس<sup>(٢)</sup> بقوله - في الإمساك -: ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾، وفي الأذى: ﴿مِنْكُمْ﴾. ثم نُسخ الإمساك والأذى بالرَّجم

(١) المحرر الوجيز (٢/٤٩٠).

(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٢/١٠٣).

للمُحَصَّن، وبالجلد لغير المحصن، واستقرَّ الأمر على ذلك. فأما الجلد: فمذكور في سورة «النور». وأما الرجم: فقد كان في القرآن، ثم نُسخ لفظه وبقي حكمه، وقد رجم رسول الله ﷺ ماعزًا الأسلمي<sup>(١)</sup> وغيره.

﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ لما أمر بالأذى للزاني؛ أمر بالإعراض عنه إذا تاب، وهو ترك الأذى.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إنما يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة. وإذا تاب العبد توبةً صحيحة بشروطها: فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء. وقال أبو المعالي: يغلب ذلك على الظن، ولا يُقطع به<sup>(٢)</sup>.

﴿يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ بَجهْلَةٍ﴾ أي: بسفاهة وقلة تحصيل أدت إلى المعصية. وليس المعنى: أنه يجهل أن يكون ذلك الفعل معصية؛ قال أبو العالية: أجمع الصحابة على أن كل معصية فهي بجهالة، سواء كانت عمدًا أو جهلاً<sup>(٣)</sup>.

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قيل: قبل المرض والموت. وقيل: قبل السياق، ومعينة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل توبة عبده ما لم يُغرغر<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> في الذين يُصِرُّون على الذنوب إلى حين لا تقبل التوبة؛ وهو معينة الموت. فإن كانوا كفارًا فهم مخلَّدون في النار بإجماع. وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم. فقلوه: «أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» ثابت في حق الكفار، ومنسوخ في حق العصاة من المسلمين بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [النساء: ٤٧]؛ فعذابهم مقيَّد بالمشيئة.

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٥) عن بريدة بن الحصيب.

(٢) انظر: الإرشاد لأبي المعالي الجويني (ص: ٤٠٤).

(٣) أخرجه الطبري (٥٠٧/٦)، وابن المنذر (٦٠٥/٢).

(٤) أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه، فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض. النهاية لابن الأثير (٣٠١١).

(٥) أخرجه أحمد (٦١٦٠)، (٦٤٠٨)، والترمذي (٣٥٣٧) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وابن حبان

في صحيحه (٦٢٨)، والحاكم (٧٦٥٩) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث ابن عمر.

(٦) في زيادة: «نزلت».

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ ابن عباس رضي الله عنه: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته؛ إن شاؤوا تزوجها أحدهم، وإن شاؤوا زوجوها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها التزوج<sup>(١)</sup>، فنزلت الآية في ذلك<sup>(٢)</sup>.

فمعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يورثن عن الرجال كما يورث المال. وقيل: الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة؛ ليرثوا مالها من غير غبطة بها. وقيل: الخطاب للأولياء الذين يمنعون وليّاتهم<sup>(٣)</sup> من التزوج؛ ليرثوهن دون الزوج.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوف على: ﴿أَنْ تَرِثُوا﴾، أو نهى. والعضل: المنع. فقال ابن عباس رضي الله عنه: هي -أيضا- في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج بعد موته<sup>(٤)</sup>. إلا أن قوله: ﴿مَا أَتَيْنَهُنَّ﴾ على هذا معناه: ما آتاها الرجل الذي مات. وقال ابن عباس رضي الله عنه: أيضا: هي في الأزواج الذي يمسكون المرأة ويُسَيِّئون عَشْرَتَهَا؛ حتى تفتدي بصدّاقها<sup>(٥)</sup>. وهو ظاهر اللفظ في قوله: ﴿مَا أَتَيْنَهُنَّ﴾، ويقوّيه قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ فإن الأظهر فيه أن يكون في الأزواج، وقد يكون في غيرهم. وقيل: هي للأولياء.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ قيل: الفاحشة هنا: الزنا. وقيل: نشوز المرأة وبغضها في زوجها، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صدّاق وغير ذلك من مالها. وهذا جار على مذهب مالك في جواز الخلع إذا كان الضرر من المرأة، والزنا أصعب على الزوج من النشوز؛ فيجوز له أخذ الفدية معه.

﴿بِإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الآية؛ معناها: إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه؛ فعسى أن يجعل الله الخير في وجه آخر. وقيل: الخير الكثير: الولد. والأحسن العموم؛ وهذا معنى

(١) في د: «التزويج».

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٧٩).

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «وليّاتهن».

(٤) تقدم تخريجه في الأثر الذي قبله.

(٥) أخرجه الطبري (٥٢٨/٦)، وابن أبي حاتم (٩٠٣/٣).

قوله ﷺ: «لا يفرق مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن سخط منها خلقاً رضي منها»<sup>(١)</sup> آخر»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآية؛ معناها: المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فديةً على الطلاق إذا أراد أن يُبدلها بأخرى، وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره في المنع من (أن يأخذ الرجل)<sup>(٣)</sup> الفدية إذا كان الضرر وإرادة الفراق من الزوج. وقال قوم: إن هذه الآية منسوخة بقوله في «البقرة»: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْنِهَا فِيمَا إِفْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٧]. وقال قوم: هي ناسخة. والصحيح: أنها غير ناسخة ولا منسوخة؛ فإن جواز الفدية على وجه، ومنعها على وجه؛ فلا تعارض ولا نسخ.

﴿فِنْظَارًا﴾ مثال على جهة<sup>(٤)</sup> المبالغة في الكثرة. وقد استدلت به المرأة على جواز المغالاة في المهور حين نهى عمر بن الخطاب ؓ عن ذلك؛ فقال عمر ؓ: «امرأة أصابت، ورجل أخطأ، كل الناس أفقه منك يا عمر»<sup>(٥)</sup>.

﴿أَبْضِي بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ كناية عن الجماع.

﴿مَيْتَنًا غَلِيظًا﴾ قيل: هو عُقْدَةُ<sup>(٦)</sup> النكاح. وقيل: قوله: ﴿فِيمَا سَاكٍ بِمَغْرُوبٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ﴾ [البقرة: ٢٢٧]. وقيل: الأمر بحسن العشرة.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده؛ فنزلت الآية تحريمًا لذلك<sup>(٧)</sup>. فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ما سفلوا،

(١) لفظة: «منها» زيادة من د، وهي موافقة لما في الصحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٩) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) زيادة من هامش أ، ورمز لها بـ «خ».

(٤) في ج، د: «وجه».

(٥) أخرجه أبو يعلى الموصلي كما في المقصد العلي للهيثمي (٣٣٤/٢) وسعيد بن منصور (٥٩٨)، ومن

طريقه البيهقي (١٤٣٣٦) عن الشعبي عن عمر ؓ، قال ابن كثير في تفسيره (٢/٢٤٣): «إسناده جيد قوي».

وجود إسناده أيضًا السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٩٤). وأخرجه ابن المنذر في تفسيره (٢/٦١٥) عن

أبي عبد الرحمن السلمي عن عمر ؓ.

(٦) في ج: «عقد».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/٩٠٩)، والبيهقي (١٣٩١٧) عن عدي بن ثابت الأنصاري ؓ، وقال

البيهقي: «مرسل».

سواء دخل بها أو لم يدخل؛ فالنكاح في الآية بمعنى العقد.

و ﴿مَا نَكَحَ﴾ يعني: النساء، وإنما أطلق عليهن «ما» وإن كانت <sup>(١)</sup> ممن يعقل؛ لأنَّ المراد الجنس <sup>(٢)</sup>. فإن زنى رجلٌ بامرأة فاختُلِف هل يحرم تزويجها على أولاده أم لا؟ فحرَّمه أبو حنيفة <sup>(٣)</sup>، وأجازه الشافعي، وفي المذهب قولان. واحتج من حرَّمه: بهذه الآية، وحمل النكاح فيها على الوطء. وقال من أجازه: إنَّ الآية لم تتناول؛ إذ النكاح فيها بمعنى العقد.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: إلَّا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك، وانقطع بالإسلام؛ فقد عُفي عنه فلا تَوَاحِدُونَ به، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ بعد قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في المرأة الأخرى في الجمع بين الأختين. قال ابن عباس رضي الله عنه: كانت العرب تحرِّم كل ما حرَّمت الشريعة، إلَّا امرأة الأب، والجمع بين الأختين <sup>(٤)</sup>. وقيل: المعنى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فدعوه. وقال الزمخشري: المعنى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فانكحوه إن أمكنكم، وذلك غير ممكن؛ فالمعنى: المبالغة في التحريم <sup>(٥)</sup>.

﴿إِنَّهُ كَانَ بَلِشَّةً وَمَفْتًا﴾ «كان» في هذه الآية تقتضي الدوام؛ كقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، وشبه ذلك. وقال المبرِّد: هي زائدة. وذلك خطأ؛ لوجود خبرها منصوبًا. وزاد هنا المقت على ما وصف به الزنا في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ بَلِشَّةً وَمَفْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ دلالة على أن هذا أقبح من الزنا.



(١) في د: «كن».

(٢) هي مثل «ما» في قوله تعالى: ﴿مَا طَابَ﴾، وتقدم التعليق عليها.

(٣) وأحمد، وهو قول عامة أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/٢٩٩).

(٤) أخرجه الطبري (٦/٥٤٩).

(٥) الكشف (٤/٤٨٩).

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٥﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مَا أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِحِينَ بِمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بَرِئَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْبَرِئَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴿٦﴾ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن بَنَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ بَانَكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْلِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِيَ فَإِنَّ آتَيْنَ بِفَحِشَةٍ بَعْلَاهُنَّ يَنْصُفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية؛ معناها: تحريم ما ذُكِرَ من النساء. والنساء المحرّمات على التأييد ثلاثة أصناف: بالنسب، وبالرضاع، وبالمصاهرة. فأما النسب فيحرّم به سبعة أصناف؛ وهي المذكورة في هذه الآية. وضابطها: أنه يحرم على الرجل فصوله ما سفلت، وأصوله ما علت، وفصول أبيه ما سفلت، وأول فصل من كل أصل متقدّم على أبيه.

﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه: الوالدات، والجَدَّات من الأم ومن الأب ما علون.

﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه: البنت، وبنت الابن، وبنت البنت ما سفلن.

﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه: الأخت الشقيقة، والأخت للأب، والأخت للأم.

﴿وَعُمَّاتُكُمْ﴾ يدخل فيه: أخت الوالد، وأخت الجد ما علا؛ سواء كانت شقيقة أو لأب أو لام.

﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه: أخت الأم، وأخت الجدّة ما علت؛ سواء كانت شقيقة أو لأب أو لام.

﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ﴾ يدخل فيه: كل من تناسل من الأخ الشقيق، وللأب، وللأم.

﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ يدخل فيه: كل من تناسل من الأخت الشقيقة، وللأب، وللأم.

﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ﴾ ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهما: الأم والأخت، وقال رسول الله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»<sup>(١)</sup>. فاقترض ذلك: تحريم الأصناف السبعة التي تحرم من النسب، وهي: الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت. وتفصيل ذلك يطول. وفي الرضاع مسائل لم نذكرها؛ لأنها ليس لها تعلق بالفاظ الآية.

﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ المحرمات بالمصاهرة أربع؛ وهن: زوجة الأب، وزوجة الابن، وأم الزوجة، وبنت الزوجة. فأما الثلاث الأول: فتحرم بالعقد؛ دخل بها أو لم يدخل. وأما بنت الزوجة: فلا تحرم إلا بعد الدخول بأمرها. فإن وطئها حرمت عليه بنتها بإجماع. وإن تلذذ بها بما دون الوطء: فحرّمها مالك والجمهور<sup>(٢)</sup>. وإن عقد عليها ولم يدخل بها: لم تحرم بنتها إجماعاً. وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب.

﴿وَرَبِّبَتُكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ الربّية: هي بنت امرأة الرجل من غيره، سُميت بذلك؛ لأنه يُربّيها، فلفظها: فعيلة بمعنى مفعولة. وقوله: ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ على غالب الأمر؛ إذ الأكثر أن تكون الربّية في حجر زوج أمّها، وهي محرّمة؛ سواء كانت في حجره أم لا، هذا عند الجمهور من العلماء، إلا ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره<sup>(٣)</sup>.

﴿مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ اشترط الدخول في تحريم بنت الزوجة خاصة، ولم يشترطه في تحريم غيرها، وعلى ذلك جمهور العلماء، إلا ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) خلافاً للشافعي في أظهر قوليه، وأحمد في إحدى الروايتين، وهي المذهب عند المتأخرين. مغني المحتاج (٣/ ١٧٨)، والمبدع لابن مفلح (٧/ ٥٤-٥٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٨٣٤)، وابن أبي حاتم (٩١٢/ ٣)، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٥٢): «هذا إسناد قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب، على شرط مسلم»، وصححه -أيضاً- السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠٩).

اشترط الدخول في تحريم الجميع<sup>(١)</sup>، وقد انعقد الإجماع بعده على خلاف ذلك.

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ الحلائل: جمع حليلة؛ وهي الزوجة.

﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ تخصيص؛ ليخرج عنه زوجة الابن الذي يتبناه الرجل وهو أجنبي عنه؛ كتزويج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، امرأة زيد بن حارثة الكلبي الذي كان يقال له: زيد بن محمد.

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ يقتضي تحريم الجمع بين الأختين؛ سواءً كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم؛ وذلك في الزوجتين. وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء: فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة<sup>(٢)</sup> وغيرهم، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ: ﴿الْأُخْتَيْنِ﴾. وأجازه الظاهرية؛ لأنهم قصرُوا الآية على الجمع بالنكاح. وأما الجمع بين الأختين في الملك دون وطء فجائز باتفاق.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ المعنى: إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالإسلام؛ فقد عُفي عنكم فلا تؤاخذون به، هذا أرجح الأقوال حسبما تقدّم في الموضع الأول.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المراد هنا: ذوات الأزواج، وهو معطوف على المحرمات المذكورات قبله. والمعنى: أنه لا يحل<sup>(٣)</sup> نكاح المرأة إذا كانت في عصمة رجل.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يريد: السبايا في أشهر الأقوال، والاستثناء متصل. والمعنى: أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج، ثم سُبِيَتْ جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها. وسبب ذلك: أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً إلى أوطاس، فأصابوا سبايا من العدو لهن<sup>(٤)</sup> أزواج من المشركين، فتأنم المسلمون من غشيانهن، فنزلت الآية مبيحة لذلك<sup>(٥)</sup>. ومذهب مالك: أن السبي يهدم النكاح؛ سواءً سُبِي الزوجان الكافران معاً أو سُبِي أحدهما قبل

(١) أخرجه الطبري (٥٥٦/٦)، وابن أبي حاتم (٩١١/٣)، وابن المنذر (٦٢٧/٢)، وابن أبي شيبة (١٦٥٢٢).

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣١٢/٢٠).

(٣) في د: «لا يجوز».

(٤) في ج، د: «ولهن».

(٥) أخرجه مسلم (١٤٥٦) من حديث أبي سعيد الخدري ؓ.



الآخر<sup>(١)</sup>. وقال ابن المَوَّاز: لا يهدم السبي النكاح<sup>(٢)</sup>.

﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ منصوبٌ على المصدرية؛ أي: كَتَبَ اللَّهُ ذلك عليكم كتابًا، وهو تحريم ما حَرَّمَ. وهو عند الكوفيين: منصوب على الإغراء.

﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ معناه: أَحَلَّ لَكُمْ تَزْوُجَ مَنْ سِوَى مَا حَرَّمَ مِنَ النِّسَاءِ. وعطف ﴿أَحَلَّ﴾ على الفعل المضمر الذي نصب ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾، والفاعل هو الله؛ أي: كَتَبَ اللَّهُ عليكم تحريمَ مَنْ ذَكَرَ، وَأَحَلَّ لَكُمْ ما وراء ذلكم.

﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ مفعولٌ من أجله، أو بدلٌ من: ﴿مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾. وحُذِفَ مفعوله؛ وهو النساء.

﴿مُحْصِنِينَ﴾ هنا: أَعَفَّةٌ. ونصبه على الحال من الفاعل في ﴿تَبْتَغُوا﴾.

﴿غَيْرَ مُسْلِحِينَ﴾ أي: غير زناةٍ. والسَّفَاح: هو الزنا.

﴿بِمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ بَنَاتُهُنَّ أَجُورَهُنَّ بَرِيضَةً﴾ ابنُ عباس رضي الله عنه وغيره: معناها: إذا استمتعتم بالزوجة، ووقع الوطء، فقد وجب إعطاء الأجر؛ وهو الصَّدَاق كاملاً<sup>(٣)</sup>. وقيل: إنها في نكاح المتعة؛ وهو النكاح إلى أجلٍ من غير ميراث، وكان جائزاً في أول الإسلام، فنزلت هذه الآية في وجوب الصَّدَاق فيه، ثم حُرِّمَ عند جمهور العلماء؛ فالآية على هذا منسوخة: بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة<sup>(٤)</sup>. وقيل: نسخها آية الفرائض؛ لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه. وقيل: نسخها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه جواز نكاح المتعة<sup>(٥)</sup>، وروي أنه رجع عنه<sup>(٦)</sup>.

(١) وبه قال الشافعي، وهو رواية عن أحمد.

(٢) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد، فأما إن سُبَّبت المرأة وحدها فيفسخ النكاح بغير خلاف. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩٥/١٠-٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (٥٨٥/٦)، وابن أبي حاتم (٩١٩/٣)، وابن المنذر (٦٤٢/٢)، وابن عبد البر في التمهيد (١٢٠/١٠).

(٤) الأخبار في تحريم نكاح المتعة: منها حديث علي رضي الله عنه أخرجه البخاري (٤٢١٦)، ومسلم (١٤٠٧). وحديث سبرة بن معبد الجهني أخرجه مسلم (١٤٠٦). وحديث سلمة بن الأكوع أخرجه مسلم (١٤٠٥).

(٥) أخرجه البخاري (٦٩٦١)، ومسلم (١٤٠٧).

(٦) أخرجه الترمذي (١١٢٢)، وقال ابن حجر في الفتح (١٧٢/٩): «إسناده ضعيف». وقال الترمذي: «وإنما روي عن ابن عباس شيء من الرخصة في المتعة، ثم رجع عن قوله حيث أخبر عن النبي ﷺ».

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ﴾ مَن قَالَ: إن الآية المتقدمة في مهور النساء؛ فمعنى هذه: جواز ما يتراضون به من حطٍّ من <sup>(١)</sup> الصداق، أو تأخيرها بعد استقرار الفريضة.

ومن قال: إن الآية في نكاح المتعة؛ فمعنى هذه: جواز ما يتراضون به من زيادة في مدة المتعة وزيادة في الأجر.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ بَيْنَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ بَنَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ معناها: إباحة تزوج الفتيات -وهنّ الإماء- للرجل إذا لم يجد طَوْلًا للمحصنات. والطَّوْلُ: هو السعة في المال.

والمحصنات هنا: يراد به <sup>(٢)</sup> الحرائر غير المملوكات. ومذهب مالك وأكثر أصحابه: أنه لا يجوز للحرِّ نكاح أمةٍ إلا بشرطين <sup>(٣)</sup>: أحدهما: عدم الطَّوْل؛ وهو أن لا يجد ما يتزوج به حرةً <sup>(٤)</sup>.

والآخر: خوف العنت؛ وهو الزَّنا؛ لقوله بعد هذا: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾. وأجاز ابن القاسم نكاحهن دون الشرطين؛ على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر. واتفقوا على اشتراط الإسلام في الأمة التي تُتَزَوَّج <sup>(٥)</sup>؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، إلا أهل العراق فلم يشترطوه.

وإعراب ﴿طَوْلًا﴾:

[١] مفعول بالاستطاعة، و﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾: بدلٌ منه، فهو في موضع نصب، (أو في موضع نصب) <sup>(٦)</sup> بتقدير: «لأن يَنْكِحَ» <sup>(٧)</sup>.

(١) لم يرد هذا الحرف في ج، هـ د.

(٢) في د: «هن».

(٣) وهو مذهب الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٥٧/٢٠).

(٤) في ب، ج، هـ: «بما يتزوج حرة».

(٥) في ج، هـ: «لا تتزوج».

(٦) ما بين القوسين لم يرد في أ، ب، ج، د، ومثبت من هـ، وهو موافق لما في المحرر الوجيز (٥٢٠/٢).

(٧) ثم حُذِفَ حرف الجرِّ، فانتصب الموضع، ويكون في موضع الصفة، تقديره: طَوْلًا -أي: مهرًا- كائنًا لنكاح المحصنات. البحر المحيط (٥٧٢/٦).

[٢] وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ﴿طَوَّلًا﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ؛ وَالْعَامِلُ فِيهِ الْإِسْتِطَاعَةُ؛ لِأَنَّهُمَا بِمَعْنَى يَتَقَارَبُ، وَ﴿أَنْ يَنْكِحَ﴾ عَلَى هَذَا مَفْعُولٌ: بِالْإِسْتِطَاعَةِ. أَوْ بِالْمَصْدَرِ.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَعْلَمُ بِوَاطِنِ الْأُمُورِ وَلَكُمْ ظَوَاهِرُهَا، فَإِذَا كَانَتِ الْأَمَةُ ظَاهِرَةً الْإِيمَانِ، فَنِكَاحُهَا صَحِيحٌ، وَعِلْمُ بَاطِنِهَا إِلَى اللَّهِ.

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أَيُ: إِمَاؤُكُمْ مِنْكُمْ؛ وَهَذَا تَأْنِيْسٌ بِنِكَاحِ الْإِمَاءِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ كَانَ يَأْنِفُ مِنْ ذَلِكَ.

﴿بِأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أَيُ: بِإِذْنِ سَادَتِهِنَّ الْمَالِكِينَ لَهُنَّ.

﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أَيُ: صَدُقَاتِهِنَّ. وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُنَّ أَحَقُّ بِصَدُقَاتِهِنَّ مِنْ سَادَتِهِنَّ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ <sup>(١)</sup>.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أَيُ: بِالشَّرْعِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ السُّنَّةُ.

﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْلِمَاتٍ﴾ أَيُ: عَفِيفَاتٍ غَيْرَ زَانِيَّاتٍ. وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ؛ وَالْعَامِلُ فِيهِ: ﴿بِأَنْكِحُوهُنَّ﴾.

﴿وَلَا تَتَّخِذْنَ أَخْدَانٍ﴾ جَمْعُ خِدْنٍ؛ وَهُوَ الْخَلِيلُ، وَكَانَ مِنْ نِسَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ مَنْ تَتَّخِذُ خِدْنًا تَزْنِي مَعَهُ خَاصَّةً، وَمِنْهُنَّ مَنْ كَانَتْ لَا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ.

﴿وَإِذَا أُحْصِيَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ الْأَمَةَ إِذَا زَنَتْ بَعْدَ أَنْ أُحْصِنَتْ فَعَلَيْهَا نِصْفُ حَدِّ الْحُرَّةِ، فَإِنَّ الْحُرَّةَ تُجْلَدُ فِي الزَّانَا مِئَةً جُلْدَةً، وَالْأَمَةُ تُجْلَدُ خَمْسِينَ. فَ﴿إِذَا أُحْصِيَ﴾ يَرِيدُ بِهِ هُنَا: تَزَوُّجًا، وَالْفَاحِشَةُ هُنَا: الزَّانَا، وَ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ هُنَا: الْحَرَائِرُ، وَ﴿الْعَذَابِ﴾ هُنَا: الْحَدُّ <sup>(٢)</sup>.

فَاقْتَضَتْ الْآيَةُ: حَدَّ الْأَمَةِ إِذَا زَنَتْ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَتْ، وَيُؤْخَذُ حَدُّ غَيْرِ الْمُتَزَوِّجَةِ مِنَ السُّنَّةِ؛ وَهُوَ مِثْلُ حَدِّ الْمُتَزَوِّجَةِ <sup>(٣)</sup>.

(١) خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ. الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، لِلْقُرْطُبِيِّ (٢٣٦/٦).

(٢) فِي د: «الْجُلْد».

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٠٥) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا على<sup>(١)</sup> قراءة «أُخْصِنَ» بضم الهمزة وكسر الصاد<sup>(٢)</sup>. وقرئ بفتحهما، ومعناه: أسلمن، وقيل: تزوجن.

«ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ» الإشارة إلى تزوج الأمة؛ أي: إنما يجوز لمن خشي على نفسه الزنا، لا لمن يملك نفسه.

«وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ» المراد: الصبر عن نكاح الإماء، وهذا نذْبٌ إلى تركه، وعِلَّتُهُ: ما يؤدي إليه من استرقاق الولد.



(١) في ب، ج، هـ: «وعلى هذا».

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بفتح الهمزة والصاد، وقرأ الباقون بضم الهمزة وكسر الصاد.

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
 حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا  
 عَظِيمًا ﴿١٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿١٨﴾ \*يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا  
 تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا  
 أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُضْلِيهِ  
 نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ  
 سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ  
 لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ  
 اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ  
 عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ بِمَا تَوْفَعْتُمْ نَصِيبٌ مِمَّا نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٢٣﴾

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ﴾ قال الزمخشري: «أصله: أن يبين؛ فزيدت اللام مؤكدة، كما  
 زيدت في: لا أباك»<sup>(١)</sup>. وقال الكوفيون: اللام مصدرية؛ مثل: «أن».

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء  
 والصالحين؛ لتقتدوا بهم.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرر توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات، وهم  
 هنا: الزناة عند مجاهد<sup>(٢)</sup>. وقيل: المجوس؛ لنكاحهم ذوات المحارم. وقيل: عام في كل  
 متبع شهوة. وهو أرجح.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ يقتضي سياق الكلام التخفيف الذي وقع في إباحة نكاح  
 الإماء، وهو مع ذلك عام في كل ما خفف الله عن عباده، وجعل دينهم يسرا.  
 ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ قيل: معناه لا يصبر عن النساء؛ وذلك مقتضى سياق الكلام.  
 واللفظ أعم من ذلك.

(١) الكشف (٤/٥١٣)، أي: أن اللام مؤكدة لإرادة التبيين، وتكون «أن» مضمرة بعد هذه اللام، وهي الناصبة  
 للفعل. البحر المحيط (٦/٥٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٦/٦٢٢).

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ يدخل فيه: القمار، والغصب، والسرقة، وغير ذلك.  
 ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ استثناء منقطع، والمعنى: لكن إن كانت تجارة فكلوها. وفي إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعة تساوي مئة، والمشهور إمضاء البيع<sup>(١)</sup>. وحكي عن ابن وهب: أنه يُردُّ إذا كان الغبن أكثر من الثلث<sup>(٢)</sup>. وموضع «أن» نصب، و «تِجَارَةً» بالرفع: فاعل «تَكُونُ»؛ وهي تامة. وقرئ بالنصب: خبر «تَكُونُ»؛ وهي ناقصة<sup>(٣)</sup>.

﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ أي: اتفاق. وبهذا استدلل المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفريق. وقال الشافعي: إنما يتم بالتفريق بالأبدان<sup>(٤)</sup>؛ لقوله ﷺ: «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا»<sup>(٥)</sup>.  
 ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسرون أن المعنى: لا يقتل بعضكم بعضاً<sup>(٦)</sup>. قلت: ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه<sup>(٧)</sup>، وقد حملها عمرو بن العاص ﷺ على ذلك، ولم ينكره رسول الله ﷺ إذ سمعه<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) يعني المشهور في مذهب مالك، فليس له الخيار في الفسخ، بل يلزمه البيع، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي.  
 (٢) فيثبت خيار الغبن إذا زاد على قيمة السلعة بالثلث فأكثر، وهو قول في مذهب أحمد، قال به أبو بكر عبد العزيز وابن أبي موسى.  
 والمعمد في مذهب أحمد ثبوت خيار الغبن، إذا غبن غبنًا يخرج عن العادة، والمرجع في تحديده إلى العرف. القوانين الفقهية (٤٤٩)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١١/٣٤٤-٣٤٤).  
 (٣) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع.  
 (٤) وهو مذهب أحمد وأكثر أهل العلم، خلافاً للحنفية والمالكية. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١١/٢٦٣).  
 (٥) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣١) عن ابن عمر ﷺ.  
 (٦) المحرر الوجيز (٢/٥٣٠).  
 (٧) في ب، د: «نفسه».

(٨) عن عمرو بن العاص ﷺ، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت أن اغتسل فأهلك، فتيّمت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً. أخرجه أبو داود (٣٣٤)، وأحمد في مسنده (١٧٨١٢)، والحاكم (٦٢٩)، والدارقطني (٦٨١)، والبيهقي (١٠٧٠) وذكره البخاري تعليقاً (١/٧٧)، وإسناده قوي كما قال ابن حجر في الفتح (١/٤٥٤) ولكن قال ابن الملقن: «رواية التيمم منقطعة»، وروي بسند متصل، =

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى: القتل؛ لأنه أقرب مذكور. وقيل: إليه، وإلى أكل المال بالباطل. وقيل: إلى كل ما تقدم من المنهيات من أول السورة.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ اختلف الناس في الكبائر ما هي؟

فقال ابن عباس رضي الله عنه: الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنارٍ أو لعنة أو غضب <sup>(١)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الكبائر هي الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى هذه الآية <sup>(٢)</sup>. وقال بعض العلماء: كل ما عصى الله به فهو كبيرة <sup>(٣)</sup>. وعدّها بعضهم سبع عشرة. وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اتقوا السبع الموبقات: الإشراف بالله، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات» <sup>(٤)</sup> فلا شك أن هذه من الكبائر؛ للنص عليها في الحديث.

وزاد بعضهم عليها أشياء ورد في الأحاديث <sup>(٥)</sup> النص على أنها كبائر، أو ورد في القرآن أو في الحديث وعيدٌ عليها؛ فمنها: عقوق الوالدين، وشهادة الزور <sup>(٦)</sup>، واليمين الغموس <sup>(٧)</sup>، والزنا، والسرقه، وشرب الخمر، والنهبة <sup>(٨)</sup>، والقنوط من رحمة الله، والأمن من

= أخرجه أبو داود (٣٣٥)، وابن حبان (١٣١٥)، والحاكم (٦٢٨)، والبيهقي من طريقه (١٠٧١) وصححه ووافقه الذهبي، وليس فيه اليتيم، وإنما فيه: «فغسل مغابنه وتوضأ وضوء للصلاة». قال البيهقي: «يحتمل أن يكون فعل ما في الروایتين جميعاً، فيكون قد غسل ما أمكن وتيمم للباقي». وانظر: البدر المنير (٦٣٠/٢).

(١) أخرجه الطبري (٦٥٢/٦)، والبيهقي في الشعب (٢٧٠/١) وزاد: «أو عذاب».

(٢) أخرجه الطبري (٦٤١/٦)، وابن أبي حاتم (٩٣٣/٣)، وابن المنذر (٦٧٠/٢)، والحاكم (١٩٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الطبري (٦٥٢/٦)، والبيهقي في الشعب (٢٧٣/١).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في ب، د: «الحديث».

(٦) أخرج البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧) عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ -ثلاثاً- الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور -أو قول الزور».

(٧) أخرج البخاري (٢٣٥٦) ومسلم (١٣٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف على يمين صبر، يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان».

(٨) أخرج البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن».

مكر الله<sup>(١)</sup>، ومنع ابن السبيل الماء<sup>(٢)</sup>، والإلحاد في البيت الحرام<sup>(٣)</sup>، والنميمة، وترك التحرّز من البول<sup>(٤)</sup>، والغلول<sup>(٥)</sup>، واستطالة المرء في عرض أخيه<sup>(٦)</sup>، والجور في الحكم<sup>(٧)</sup>.

﴿نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وعدّ بغفران الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر.

﴿مَذْخَلًا كَرِيمًا﴾ اسم مكان؛ وهو هنا: الجنة.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ الآية؛ سببها: أن النساء قلن: ليتنا استويننا مع الرجال في الميراث، وشاركناهم في الغزو! فنزلت نهيًا عن ذلك<sup>(٨)</sup>؛ لأن في تمنّيهم ردًّا<sup>(٩)</sup> على حكم الشريعة. فدخل في النهي: تمنّي مخالفة الأحكام الشرعية كلّها.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ الآية؛ أي: من الأجر والحسنات. وقيل: من الميراث؛ ويردّه لفظ الاكتساب.

(١) أخرج عبد الرزاق في مصنفه (٤٥٩/١٠)، والطبري (٤٤٨/١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله». وصححه ابن كثير في تفسيره (٢/٢٧٩).

(٢) أخرج البخاري (٢٣٥٨) ومسلم (١٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنع من ابن السبيل...». (٣) أخرج البخاري (٦٨٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم...».

(٤) أخرج البخاري (٢١٦) ومسلم (٢٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله».

(٥) أخرج البخاري (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك...».

(٦) أخرج أبو داود (٤٨٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق...».

(٧) أخرج النسائي (٢٥٧٥)، وابن حبان (٥٥٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أربعة يُغضّبهم الله: البياع الحلاف، والفقيّر المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر».

(٨) أخرجه أحمد (٢٦٧٣٦) والترمذي (٣٠٢٢) والحاكم (٣١٩٥)، عن مجاهد عن أم سلمة رضي الله عنها، وقال الترمذي: «حديث مرسل»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد من أم سلمة، ووافقه الذهبي».

(٩) في ب: «لأن تمنّيهم ردًّا».



﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا﴾ الآية؛ في معناها وجهان: أحدهما: لكل شيء من الأموال جعلنا موالي يرثونه؛ فـ ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ -على هذا-: بيان لـ «كُلِّ». والآخر: لكل أحد جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والأقربون؛ فـ ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ -على هذا-: يتعلّق بفعل مضمر. والموالي هنا: الورثة<sup>(١)</sup> والعصبة.

﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ بِتَوَاتُؤِهِمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ اختلف هل هي منسوخة أو محكمة؟ فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا: معناها الميراث بالحلف الذي كان في الجاهلية، وقيل: بالمؤاخاة التي آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، ثم نسخها: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٦]؛ فصار الميراث للأقارب.

والذين قالوا إنها محكمة اختلفوا: فقال ابن عباس ؓ: هي في المؤازرة والنصرة بالحلف، لا في الميراث به<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو حنيفة: هي في الميراث؛ وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر على أن يتوارثا صحّ ذلك، وإن لم تكن بينهما قرابة<sup>(٣)</sup>.



(١) في ج، هـ: «الذرية»، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٢).

(٣) وهو رواية عن أحمد، اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية، وأنهم يرثون عند عدم الرحم والنكاح والولاء، والرواية المشهورة عن أحمد عدم التوارث بذلك، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/ ١٨).

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ  
 بِالصَّالِحَاتِ فَيَنْتُكَ حَظُّكَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَبِطَ اللَّهُ وَالنَّيِّمُ تَحَابُّونَ نُسُوزَهُنَّ يَعْظَوْهُنَّ  
 وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ إِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
 عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿١٥﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِيهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ  
 يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿١٦﴾ \*وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا  
 بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى  
 وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ  
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا  
 يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ فَرِينًا فِسَاءً فَرِينًا ﴿١٩﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ  
 لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا  
 يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعِفْهَا وَبُوتَ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ بَكَيْفَ إِذَا  
 جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٢٢﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٢٣﴾

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ قوام: بناءً مبالغة؛ من القيام على الشيء والاستبداد  
 بالنظر فيه. قال ابن عباس رضي الله عنه: الرجال أمراء على النساء <sup>(١)</sup>.

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ الباء: للتعليل، و«ما» مصدرية. والتفضيل: بالجهد، والإمامة، وملك  
 الطلاق، وكمال العقل، وغير ذلك.

﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ هو: الصَّدَاقُ، والنفقة المستمرة على الزوجات.

﴿بِالصَّالِحَاتِ فَيَنْتُكَ﴾ أي: النساء الصالحات في دينهن مطيعات لأزواجهن. أو: مطيعات  
 لله في حق أزواجهن.

(١) أخرجه الطبري (٦/٦٨٧)، وابن أبي حاتم (٣/٩٣٩).

﴿حَافِظَتٌ لِلْغَيْبِ﴾ أي: تحفظ كل ما غاب عن علم زوجها، فيدخل في ذلك: صيانة نفسها، وحفظ ماله وبيته، وحفظ أسراره.

﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي: بحفظ الله ورعايته. أو: بأمره للنساء أن يُطعن الزوج ويحفظنه. ف«ما»: مصدرية، أو بمعنى «الذي».

﴿وَالْيَةِ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ قيل: الخوف هنا بمعنى اليقين. وقيل: هو على أصله.

﴿وَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها؛ وهي على مراتب: فالوعظ في النشوز الخفيف. والهجران فيما هو أشد منه. والضرب فيما هو أشد منه<sup>(١)</sup>. ومهما انتهت عن النشوز بوجه من التأديب لم يُتعدَّ إلى ما بعده. والهجران هنا: هو ترك مضاجعتها، وقيل: ترك الجماع إذا ضاجعها. والضرب: غير مُبرَّح.

﴿وَإِنْ أَطَعْتَكُمْ بَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ أي: إذا أطاعت المرأة زوجها فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ الشقاق: الشر والعداوة. وكان الأصل: «إن خفتُم شِقَاقًا بَيْنَهُمَا»، ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريق الاتساع؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالتَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]؛ وأصله: «مكرٌ بالليل والنهار».

﴿بَاتَّبَعُوا حَكَمًا﴾ الآية؛ ذكر تعالى الحكم في نشوز المرأة، والحكم في طاعتها، ثم ذكر هنا حالة أخرى؛ وهي: إذا ساء<sup>(٢)</sup> ما بين الزوجين ولم يُقدَّر على الإصلاح بينهما، ولا علم من الظالم منهما، فيُبْعَثُ حَكَمَانِ مُسْلِمَانِ؛ لِيَنْظُرَا فِي أَمْرِهِمَا، وَيُنْفِذَا<sup>(٣)</sup> ما ظهر لهما من تطليق وخلع من غير إذن الزوج.

وقال أبو حنيفة: ليس لهما الفراق إلا إن جُعِلَ<sup>(٤)</sup> لهما، وإن اختلفا لم يلزم شيء

(١) لم ترد هذه الكلمة في ب، هـ.

(٢) في ب: «وهي إساءة».

(٣) في ب، ج، هـ: «وَيُنْفِذُ».

(٤) في ب: «أن يجعل».

إِلَّا بِاتِّفَاقِهِمَا<sup>(١)</sup>. ومشهور مذهب مالك: أن الحاكم هو الذي يبعث الحكمين. وقيل: يبعثهما الزوجان. وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأة أمينة، ولا يبعثوا حكمين؛ قال بعض العلماء: هذا تغييرٌ لحكم القرآن والسنة الجارية<sup>(٢)</sup>.

﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾ يجوز في المذهب<sup>(٣)</sup> أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين، والأكمل أن يكونا من أهلهما؛ كما ذكر الله.

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ الضمير في ﴿يُرِيدَا﴾: للحكمين، وفي ﴿بَيْنَهُمَا﴾: للزوجين على الأظهر. وقيل: الضميران للزوجين. وقيل: للحكمين.

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ﴾ ابن عباس رضي الله عنه: الجار ذو القربى: هو القريب النسب، والجار الجنب: هو الأجنبي<sup>(٤)</sup>. وقيل: ذو القربى: القريب المسكن منك، والجنب: البعيد المسكن عنك. وحد الجوار<sup>(٥)</sup> عند بعضهم: أربعون دارًا من كل ناحية.

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ ابن عباس رضي الله عنه: الرفيق في السفر<sup>(٦)</sup>. علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الزوجة<sup>(٧)</sup>.

﴿مُخْتَلًا﴾ اسم فاعل؛ وزنه مُفْتَعِل؛ من الخيلاء، وهي<sup>(٨)</sup> الكبر وإعجاب المرء بنفسه. ﴿بَخُورًا﴾ شديد الفخر.

﴿الَّذِينَ يَبْتَلُونَ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿مُخْتَلًا﴾. أو نَصَبٌ على الذم. أو رفعٌ بخبر ابتداء مضمرة. أو مبتدأ وخبره محذوف؛ تقديره: «يُعَذِّبُونَ». والآية في اليهود؛ نزلت في قوم

(١) فيكونان وكيلين عن الزوجين، لا يملكان التفريق إلا بإذنهما، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وهي المذهب عند الأصحاب، والرواية الأخرى كالقول الأول الذي ذكره ابن جزي، وهي ظاهر كلام الخرقى، واختارها ابن تيمية وغيره. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/٤٧٩-٤٨٢).

(٢) نقله ابن الفرس في أحكام القرآن (٩/١٨٥) عن ابن القطان بمعناه.

(٣) وكذا في مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/٤٧٧-٤٧٨).

(٤) أخرجه الطبري (٧/٦، ٩)، وابن أبي حاتم (٣/٩٤٨).

(٥) في د: «الجار».

(٦) أخرجه الطبري (٧/١١)، وابن أبي حاتم (٣/٩٤٩).

(٧) أخرجه الطبري (٧/١١)، وابن أبي حاتم (٣/٩٤٩)، وابن المنذر (٢/٧٠٣).

(٨) في د: «وهو».

منهم: كَرَدَمٌ، وحُيى بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التَّائِبُوت، كانوا يقولون للأنصار: لا تُنْفِقُوا أموالكم في الجهاد والصدقات<sup>(١)</sup>. وهي -مع ذلك- عامةٌ فيمن فعل هذه الأفعال من المسلمين.

﴿وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ﴾ عطفٌ على ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾. وقيل: على: ﴿الكَافِرِينَ﴾. والآية في المنافقين الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد رياءً<sup>(٢)</sup> ومُصانعة. وقيل: في اليهود. وقيل: في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم<sup>(٣)</sup> في حرب المسلمين.

﴿قَرِينًا﴾ أي: مُلازمًا له يُغويه.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا﴾ الآية؛ استدعاءٌ لهم بملاطفة. أو: توبيخٌ على ترك الإيمان والإنفاق؛ كأنه يقول: أيُّ مضرّةٍ عليهم في ذلك.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: وزنها؛ وهي النملة الصغيرة، وذلك تمثيلٌ بالقليل تنبيهًا على الكثير.

﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً﴾ بالرفع<sup>(٤)</sup>: فاعل، و ﴿تَكُ﴾ تامةٌ. وبالنصب: خبرٌ؛ على أنها ناقصة، واسمها مضمَرٌ فيها<sup>(٥)</sup>.

﴿يُضَعِّفُهَا﴾ أي: يكثرها<sup>(٦)</sup>؛ واحدة بعشر<sup>(٧)</sup>، إلى سبع مئة وأكثر.

﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ﴾ أي: من عنده؛ تفضُّلاً وزيادةً على ثواب العمل.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ تقديره: كيف يكون الحال إذا جئنا!

﴿بِشَهِيدٍ﴾ هو نبيُّهم؛ يشهد عليهم بأعمالهم.

(١) أخرجه الطبري (٢٤/٧)، وابن المنذر (٧٠٦/٢) عن ابن عباس ؓ.

(٢) في د: «رياء الناس».

(٣) في أ: «مالهم» وفي الهامش: «خ: أموالهم».

(٤) قرأ نافع وابن كثير بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب.

(٥) تقديره: وإن تك زنة الذرة حسنة. المحرر الوجيز (٥٥٥/٢).

(٦) في أ: «يكررها» وفي الهامش: «خ: يكثرها».

(٧) في د: «بعشر أمثالها».

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ أي: تشهد على قومك. ولما قرأ ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية على رسول الله ﷺ ذرفت عيناه <sup>(١)</sup>.

﴿لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي: يتمنون أن يدفنوا فيها، ثم تَسَوَّى بهم كما تَسَوَّى بالموتى. وقيل: يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض؛ كقوله: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبِثُنِي كُنْتُ تَرَبًّا﴾ [النبا: ٤٠]، وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة.

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ استئناف، إخبار أنهم لا يكتُمون يوم القيامة عن الله شيئًا. فإن قيل: كيف هذا مع قولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٤]؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن الكتم لا ينفعهم؛ لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم، فكأنهم لم يكتُموا. والآخر: أنهم طوائف مختلفة، ولهم أوقات مختلفة. وقيل: إن قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ﴾ عطف على ﴿تَسَوَّى﴾؛ أي: يتمنون أن لا يكتُموا؛ لأنهم إذا كتموا افْتُضِحُوا.



(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٣) ومسلم (٨٠٠).

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَفْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا  
 عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ  
 الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ  
 وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ  
 يُشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَهْنٍ بِاللَّهِ وَلِيًّا  
 وَكَهْنٍ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٦﴾ \* مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا  
 وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّتَةِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا  
 وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا  
 قَلِيلًا ﴿٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
 نَنْطَلِسَ وُجُوهًا فَنَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْيَرَهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ  
 مَفْعُولًا ﴿٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ  
 فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّيهِ مَنْ يَشَاءُ وَلَا  
 يُظْلَمُونَ قَلِيلًا ﴿١٠﴾ نَظَرَ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَهْنٍ بِهِ إِنَّمَا مُبِينًا ﴿١١﴾

﴿١٣﴾ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ ﴿١٤﴾ سببها: أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل  
 تحريمها، ثم قاموا إلى الصلاة، وأمهم أحدُهم فخلط في القراءة<sup>(١)</sup>. فمعناها: النهي عن  
 الصلاة في حال<sup>(٢)</sup> السكر. قال بعض الناس: هي منسوخة بتحريم الخمر، وذلك لا يلزم؛  
 لأنها ليس فيها ما يقتضي إباحة الخمر، إنما هي نهي عن الصلاة في حال السكر، وذلك  
 الحكم ثابت في حين إباحة الخمر وفي حين تحريمها. وقال بعضهم: معناها: لا يكن منكم  
 سكرٌ يمنع قرب الصلاة؛ إذ المرء مأمورٌ بالصلاة، فكأنها تقتضي النهي عن السكر، وعن  
 سببه وهو الشرب، وهذا بعيدٌ من مقتضى اللفظ.

(١) أخرجه الطبري (٤٥/٧)، وابن المنذر (٧١٩/٢)، وابن أبي حاتم (٩٥٨/٣)، وأبو داود (٣٦٧١)،  
 والترمذي (٣٠٢٦)، والنسائي في الكبرى (١١٠٤١)، والحاكم (٣١٩٩) من حديث أبي عبد الرحمن السلمي،  
 عن علي رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) في هامش أ: «حين».

﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ أي: حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون<sup>(١)</sup> ما تقرؤون. ويظهر من هذا: أن السكران (لا يعلم ما يقول؛ فأخذ بعض الناس من ذلك: أن السكران)<sup>(٢)</sup> لا يلزمه طلاقه ولا إقراره.

﴿وَلَا جُنْبَ إِلَّا غَابِرٌ سَبِيلٍ﴾ عطف ﴿وَلَا جُنْبَ﴾ على موضع: ﴿وَأَنْتُمْ سَكْرَى﴾؛ إذ هو في موضع الحال. والجنب هنا: غير الطاهر؛ بإنزال أو إيلاج، وهو واقع على جماعة؛ بدليل استثناء الجمع منه.

واختلف في عابري السبيل: ف قيل: إنه المسافر؛ ومعنى الآية على هذا: نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا في السفر، فيصلي بالتيمم دون اغتسال. فمقتضى الآية: إباحة التيمم للجنب في السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب في الحضر من الحديث. وقيل: عابر السبيل: المار في المسجد، والصلاة هنا يراد بها: المسجد؛ لأنه موضع الصلاة، فمعنى الآية على هذا: النهي أن يقرب الجنب المسجد إلا خاطراً عليه. وعلى هذا أخذ<sup>(٣)</sup> الشافعي<sup>(٤)</sup> الآية؛ لأنه يُجيز للجنب أن يمر في المسجد، ولا يجيز له أن يقعد فيه. ومنع مالك المرور والقيود، وأجازهما داود.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ الآية؛ سببها: عَدَمُ الصحابة للماء في غزوة المُرَيْسِعِ<sup>(٥)</sup>، فأبيح لهم التيمم في عدم الماء.

ثم إنَّ عدم الماء على ثلاثة أوجه: أحدها: عدمه في السفر. والثاني: عدمه في المرض. فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع؛ لأن الآية نص في المرض والسفر إذا عدم الماء

(١) كذا ورد في النسخ الخطية بـ «ثبات النون على الرفع، ويحمل هذا على أنه رفع على الاستئناف.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب، ج، هـ.

(٣) في د: «حمل».

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١١٢/٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧) عن عائشة ؓ، وفيه: «فأنزل الله آية التيمم»، قال أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن (١/٥٦١-٥٦٢): «وهي مُعْضِلَةٌ ما وجدت لدائها من دواء عند أحد، هما آيتان فيهما ذكر التيمم؛ إحداهما في النساء، والأخرى في المائدة، فلا نعلم آية آية عَنَّتْ عائشة ؓ». هـ وجزم ابن رجب في فتح الباري (٩/٢) أنها آية المائدة، ورجَّح هذا ابن حجر في الفتح (١/٤٣٢).



فيهما؛ لقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ثم قال: ﴿بَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾. الوجه الثالث: عدم الماء في الحضر دون مرض؛ فاختلف الفقهاء فيه:

فمذهب أبي حنيفة: أنه لا يجوز فيه التيمم<sup>(١)</sup>؛ لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر. ومذهب مالك والشافعي<sup>(٢)</sup>: أنه يجوز فيه التيمم.

فإن قلنا: إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة. وإن قلنا: إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها<sup>(٣)</sup>. وهذا هو الأرجح إن شاء الله؛ وذلك أنه ذكر في أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الأحداث دون مرض ولا سفر، ثم قال بعد ذلك كله: ﴿بَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾، فيرجع قوله: ﴿بَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث في غير مرض ولا سفر؛ فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء في غير مرض ولا سفر، فيكون في الآية حجة لمالك والشافعي.

ويجوز التيمم أيضًا في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء، ولم يقدر على استعماله؛ لضرر بدنه<sup>(٤)</sup>. فإن قلنا: إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة. وإن قلنا: إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها<sup>(٥)</sup>؛ على أن يتأول قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾ أن معناه: مرضى لا تقدر على مس الماء.

وحد المرض الذي يجوز فيه التيمم: عند مالك: هو أن يخاف الموت، أو زيادة المرض، أو تأخر البرء<sup>(٦)</sup>. وعند الشافعي: خوف الموت لا غير<sup>(٧)</sup>.  
وحد السفر: الغيبة عن الحضر، كان مما تقصر فيه الصلاة أم لا.

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ﴾ في «أو» هنا تأويلان: أحدهما: أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها.

(١) وهو رواية عن أحمد، اختارها الخلال. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/١٦٨-١٦٩).

(٢) وأحمد في الصحيح من مذهبه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/١٦٨-١٦٩).

(٣) في د: «منهما».

(٤) وهو مذهب أحمد وأكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/١٧٤).

(٥) في د: «منهما».

(٦) وهو مذهب أحمد في المشهور عنه.

(٧) وهو رواية عن أحمد، والصحيح عنه ما سبق. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/١٧٥).

والآخر: أنها بمعنى الواو.

فعلى القول بأنها على بابها: يكون قوله: ﴿قَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ راجعاً إلى المريض والمسافر، وإلى من جاء من الغائط، وإلى من لامس، سواءً كانا مريضين أو مسافرين أم لا؛ حسبما ذكرنا قبل هذا. فيقتضي ذلك: جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عَدِمَ الماء، وهو مذهب مالك والشافعي<sup>(١)</sup> فيكون في الآية حجةٌ لهما.

وعلى القول بأنها بمعنى الواو: يكون قوله: ﴿قَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ راجعاً إلى المريض والمسافر. فيقتضي ذلك: أنه لا يجوز التيمم إلا في المرض والسفر مع عَدَمِ الماء، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عَدِمَ الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر.

والراجع: أن تكون «أو» على بابها؛ لوجهين: أحدهما: أن جعلها بمعنى الواو إخراجاً لها عن أصلها، وذلك ضعيف. والآخر: أنه<sup>(٢)</sup> إذا كانت على بابها: كان فيها إفادة<sup>(٣)</sup> إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عَدِمَ الماء على ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو لم تُعْطِ<sup>(٤)</sup> هذه الفائدة.

وحجةٌ من جعلها بمعنى الواو: أنه لو جعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المريض والسفر حدثٌ يوجب الوضوء كالغائط؛ لعطفه عليهما. وهذا لا يلزم؛ لأن العطف بـ«أو» هنا للتنويع والتفصيل، ومعنى الآية كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماءً إن كنتم مرضى أو على سفر، أو أحدثتم في غير مرض ولا سفر.

﴿الْغَائِطُ﴾ أصله: المكان المنخفض، وهو هنا: كنايةٌ عن الحدث الخارج من المخرجين، وهو العذرة، والريح، والبول؛ لأن من ذهب إلى الغائط تكون منه هذه الأحداث الثلاثة. وقيل: إنما هو كناية عن العذرة، وأما البول والريح، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة، وكذلك الودّي والمذي.

(١) وأحمد، وتقدم قريباً.

(٢) في د: «أنها».

(٣) في ج، د: «فائدة».

(٤) في هامش أ: «خ: تُعْطَى».

﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ اختلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجماع وما دونه؛ من التقبيل واللمس باليد وغيرها. وهو قول مالك<sup>(١)</sup>. فعلى هذا: ينتقض الوضوء باللمس الذي هو دون الجماع على تفصيل في المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم.

والقول الثاني: أنها ما دون الجماع. فعلى هذا: ينتقض الوضوء باللمس، ولا يجوز التيمم للجنب، وقد قال بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>، ويؤخذ جوازه عند من أجازوه من الحديث. والثالث: أنها الجماع لا غير. فعلى هذا: يجوز التيمم للجنب، ولا يكون ما دون الجماع ناقضاً للوضوء. وهو مذهب أبي حنيفة.

﴿وَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ هذا يفيد وجوب طلب الماء<sup>(٣)</sup>، وهو مذهب مالك<sup>(٤)</sup>، خلافاً لأبي حنيفة<sup>(٥)</sup>. فإن وجده بضمن فاختلف: هل يجوز له التيمم أم لا؟ وإن وُهب له فاختلف: هل يلزمه قبوله أم لا؟

﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ التيمم في اللغة: القصد. وفي الفقه: الطَّهارة بالتراب، وهو منقول من المعنى اللغوي.

﴿صَعِيداً طَيِّباً﴾ الصَّعيد عند مالك: هو وجه الأرض، كان تراباً أو رملاً أو حجارة، فأجاز التيمم بذلك كله. وهو عند الشافعي: التراب لا غير<sup>(٦)</sup>.

والطَّيب هنا: الطاهر. واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب، وبالملاح، وبالتراب المنقول كالمجعول في طبق، وبالأجر، وبالحصّ المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذي

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٥/٢).

(٢) ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه أنكر التيمم للجنب، أخرجه البخاري (٣٣٨)، ومسلم (٣٦٨) من حديث عبد الرحمن بن أبيزئ، قال ابن عبد البر في الاستذكار (٤٥/٣): «فدل على أنه كان يرى الملامسة ما دون الجماع»، وبنحوه قال الخطابي في معالم السنن (١٠٢/١).

(٣) في ب، ج، هـ: «الطلب».

(٤) والشافعي وأحمد في المشهور عنه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩٧/٢).

(٥) وأحمد في رواية، اختارها أبو بكر وأبو الحسن التميمي. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩٧/٢).

(٦) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١٥/٢).

على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد.

﴿بِمَسْخُوهُنَّ يَوْمَئِذٍ وَأَيْدِيكُمْ﴾ لا يكون التيمم إلا في هذين العضوين، ويُقدّم الوجه على اليدين؛ لظاهر الآية، وذلك على الندب عند مالك<sup>(١)</sup>، ويستوعب الوجه بالمسح.

وأما اليدين فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين، أو إلى المرفقين؟ ولفظ الآية مُحتمِلٌ؛ لأنه لم يُحدّد. وقد احتجّ من قال: إلى المرفقين بأن هذا مطلق، فيُحمل على المقيّد، وهو تحديدهما في الوضوء بالمرفقين.

﴿الَّذِينَ آوَوْا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود هنا، وفي الموضع الثاني. قال السهيلي في الموضع الأول: نزل في رفاعَةَ بن زيد بن الثَّابُوت، وفي الثاني: نزل في كعب بن الأشرف<sup>(٢)</sup>.

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَلَةَ﴾ عبارة عن إثارة الكفر على الإيمان، فالشراء مجاز؛ كقوله: ﴿اشْتَرَوْا الضَّلَلَةَ بِالْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٥]. وفي تكرار قوله: ﴿وَكَيْفَى بِاللَّهِ﴾ مبالغة.

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ «من»: راجعة إلى: ﴿الَّذِينَ آوَوْا نَصِيحًا﴾، أو إلى: ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾؛ فهي بيان. وقال الفارسي<sup>(٣)</sup>: هي ابتداء كلام؛ تقديره: «من الذين هادوا قوم». وقيل: هي متعلقة بـ ﴿نَصِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>؛ وهو ضعيف. ويوقف على ﴿نَصِيرًا﴾ على قول الفارسي.

﴿يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يحتمل: تحريف اللفظ، أو المعنى. و﴿الْكَلِمَ﴾ هنا: التوراة، وقيل: كلام النبي ﷺ.

﴿غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ معناه: لا سمعت.

﴿وَرَاعِنَا﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٥)</sup>.

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ عوض من قولهم: «سمعنا وعصينا».

(١) وعند أبي حنيفة وأحمد في إحدئ الروايتين، والرواية الأخرى: وجوب الترتيب بينهما، وهي المذهب عند الأصحاب، وهي مذهب الشافعي، وهذه المسألة مبنية على مسألة حكم الترتيب في الوضوء. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢/ ٢٢٤).

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨١.

(٣) هو أبو علي الفارسي النحوي، تقدمت ترجمته في صفحة..

(٤) أي: ينصركم من الذين هادوا. المحرر الوجيز (٢/ ٥٧١).

(٥) انظر تفسير الآية (١٠٣).

﴿وَاسْمَعْ﴾ عوض من قولهم: «اسمع غير مسمع».

﴿وَانْظُرْنَا﴾ عوض من قولهم: «راعنا»؛ وهو من النظر أو الانتظار. فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم على قولها؛ لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضاً من تلك لكان خيراً لهم؛ فإن هذه ليس فيها سوء أدب.

﴿١٦﴾ مُصَدِّفًا ذَكَرَ فِي «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿أَنْ نَّظْمِسَ وَجُوهًا﴾ ابنُ عباس رضي الله عنه: طَمَسُهَا: أَنْ تُزَالَ الْعَيْنَانِ مِنْهَا، وَتُرَدَّ فِي الْقَفَا؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ رَدًّا عَلَى الدُّبْرِ<sup>(٢)</sup>. وَقِيلَ: طَمَسُهَا: مَحُو تَخْطِيطَ صُورِهَا؛ مِنْ أَنْفٍ وَعَيْنٍ وَحَاجِبٍ، حَتَّى تَصِيرَ كَالْأَدْبَارِ فِي خُلُوقِهَا عَنِ الْحَوَاسِّ.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أَي: نَمَسَخَهُمْ كَمَا مُسِخَ<sup>(٣)</sup> أَصْحَابُ السَّبْتِ، وَقَدْ ذُكِرُوا<sup>(٤)</sup> فِي «البقرة»<sup>(٥)</sup>. أَوْ يَكُونُ مِنَ اللَّعْنِ الْمَعْرُوفِ. وَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْوُجُوهِ؛ وَالْمُرَادُ أَصْحَابُهَا، أَوْ يَعُودُ عَلَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ؛ عَلَى الْإِلْتِفَاتِ.

﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الْحَاكِمَةُ فِي مَسْأَلَةِ الْوَعِيدِ، وَهِيَ الْمَبِينَةُ لِمَا تَعَارَضَ فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ، وَهِيَ الْحُجَّةُ لِأَهْلِ السَّنَةِ، وَالْقَاطِعَةُ بِالْخَوَارِجِ وَالْمَعْتَزِلَةِ وَالْمَرْجُئَةِ.

وَذَلِكَ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السَّنَةِ: أَنَّ الْعَصَاةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذِّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَحُجَّتُهُمْ: هَذِهِ الْآيَةُ؛ فَإِنَّهَا نَصٌّ فِي هَذَا الْمَعْنَى.

وَمَذْهَبُ الْخَوَارِجِ: أَنَّ الْعَصَاةَ يُعَذَّبُونَ وَلَا بَدَّ؛ سِوَاءً كَانَتْ ذُنُوبُهُمْ صَغَائِرَ أَوْ كِبَائِرَ. وَمَذْهَبُ الْمَعْتَزِلَةِ: أَنَّهُمْ يَعَذَّبُونَ عَلَى الْكِبَائِرِ وَلَا بَدَّ. وَيَرُدُّ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ قَوْلُهُ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾.

(١) انظر تفسير الآية (٤٠).

(٢) أخرجه الطبري (١١٢/٧)، وابن أبي حاتم (٩٦٨/٣) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) في د: «مسخنا».

(٤) في ج، هـ: «ذكر».

(٥) تفسير الآية (٦٥).

ومذهب المرجئة: أن العصاة كلهم يُغفر لهم ولا بدّ، وأنه لا يضر<sup>(١)</sup> ذنب مع الإيمان. ويردّ عليهم قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ فإنه تخصيص لبعض العصاة.

وقد تأوّلت المعتزلة الآية على مذهبهم، فقالوا: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾: هو التائب، فإن التائب لا خلاف أنه لا يعذب. وهذا التأويل بعيد؛ لأن قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ في غير التائب من الشرك، وكذلك قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ في غير التائب من العصيان؛ ليكون أوّل الآية وآخرها على نسق واحد. وتأوّلتها المرجئة على مذهبهم، فقالوا: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ معناه: لمن يشاء أن يؤمن. وهذا أيضًا بعيد، لا يقتضيه اللفظ.

وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد: فحملها المعتزلة على العصاة. وحملها المرجئة على الكفار. وحملها أهل السنة على الكفار، وعلى من لا يغفر الله له من العصاة. كما حملوا آيات الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا، وعلى المذنبين التائبين، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين. فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آيات الوعد وآيات الوعيد، بل يُجمَع بين معانيها، بخلاف قول غيرهم؛ فإن الآيات فيه تتعارض<sup>(٢)</sup>.

وتلخيص المذاهب: أن الكافر إذا تاب من كفره غُفر له بإجماع، وإن مات على كفره لم يُغفر له، وخُلد في النار بإجماع. وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له، وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه.

﴿الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ هم اليهود، وتزكيتهم: قولهم: «نحن أبناء الله وأحباؤه». وقيل: مدحهم لأنفسهم.

﴿بَقِيلًا﴾ القتيل: هو الخيط الذي في شقّ نواة التمرة. وقيل: ما يخرج بين إصبعيك وكفّيك إذا فلتتهما. وهو تمثيل وعبرة عن أقلّ الأشياء؛ فيدلّ على الأكثر بطريق الأولى.

﴿يَفْتَرُونَ﴾ دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل.



(١) في هامش أ: «خ: لا يضرهم».

(٢) في أ: «فيها تعارض» وفي الهامش: «خ: فيه تعارض».

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ  
كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ  
فَلَسْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُوَثِّقُونَ النَّاسَ نَفِيرًا ﴿٣﴾ أَمْ يَخْشَدُونَ  
النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم  
مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٤﴾ بَيْنَهُمْ مِّنْ ءَٰمَنٍ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُفِيَ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥﴾ إِنَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُضَلِّيهِمْ تَارًا كَلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا  
لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ  
وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٧﴾ \* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُوَدُّوا الْإِثْمَانِيَّاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ  
النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى  
اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٩﴾

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ قال ابن عباس ؓ: الجبب هنا: حيي بن أخطب،  
والطاغوت: كعب بن الأشرف<sup>(١)</sup>.

وقال عمر بن الخطاب ؓ: الجبب: السحر، والطاغوت: الشيطان<sup>(٢)</sup>. وقيل: الجبب:  
الكاهن، والطاغوت: الساحر. وبالجملة هما: كل ما عُبد و<sup>(٣)</sup>أُطيع من دون الله.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية؛ سببها: أن حيي بن أخطب أو كعب بن الأشرف أو غيرهما  
من اليهود قالوا لكفار قريش: أنتم أهدى سبيلاً من محمد وأصحابه<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (١٣٩/٧)، وابن أبي حاتم (٩٧٥/٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣٥/٧)، وابن أبي حاتم (٩٧٤/٣)، وابن المنذر (٧٤٥/٢)، وسعيد بن منصور  
في سننه (١٢٨٣/٤)، وقال ابن حجر في الفتح (٢٥٢/٨): «وإسناده قوي».

(٣) في أ، د، هـ: «أو».

(٤) أخرجه الطبري (١٤٦/٧)، وابن أبي حاتم (٩٧٤/٣) عن ابن عباس ؓ.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ الهمة للاستفهام مع الإنكار.

﴿تَفِيرًا﴾ التغير: هو النقرة في ظهر النواة، وهو تمثيلٌ وعبرة عن أقل الأشياء. والمراد: وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك، وأنهم حينئذٍ يبخلون بالتغير الذي هو أقل الأشياء، ويبخلون بما هو أكثر منه من باب أولى.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ وصفهم بالحسد مع البخل. والناس هنا يراد به: النبي ﷺ وأُمَّته، والفضل: النبوة، وقيل: النصر والعزة. وقيل: الناس: العرب، والفضل: كون النبي ﷺ منهم.

﴿بَقَدَّ اثْنَتَا عَالِ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ المراد بآل إبراهيم: ذريته من بني إسرائيل وغيرهم؛ ممن آتاه الله الكتب التي أنزلها والحكمة التي علّمها. والقصد بالآية: الرد على اليهود في حسدهم لمحمد ﷺ. ومعناها: إلزام لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم، فلا شيء يخصّون محمداً ﷺ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليه.

﴿مُلْكًا عَظِيمًا﴾ الملك في آل إبراهيم: هو ملك يوسف، وداود، وسليمان ﷺ.

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ الآية؛ قيل: المراد: من اليهود من آمن بالنبي ﷺ، أو بالقرآن المذكور في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾، أو بما ذكر من حديث إبراهيم<sup>(١)</sup>. فهذه ثلاثة أوجه في ضمير ﴿به﴾. وقيل: ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم، ومنهم من كفر؛ كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٥].

﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ الآية؛ قيل: تُبدل لهم جلودٌ بعدَ جلودٍ آخر؛ إذ نفوسهم هي المعدّبة<sup>(٢)</sup>. وقيل: تبديل الجلود: تغيير صفاتها بالنار<sup>(٣)</sup>. وقيل: الجلود السراويل؛ وهو بعيد.

(١) عبارة الزمخشري في الكشاف (٣٣/٥): «أي: بما ذكر من حديث آل إبراهيم»، فلعل لفظة: «آل» سقطت من كلام ابن جزري.

(٢) والجلود لا تألم في ذاتها، فإنها تبدل ليدوقوا تجديد العذاب. المحرر الوجيز (٥٨٤/٢).

(٣) أي: إعادة ذلك الجلد بعينه، تأكله النار ويعيده الله دأباً؛ لتجدد العذاب، ولا يُبدل بجلد آخر، وإنما سماه تبديلاً؛ لأن أوصافه تتغير ثم يعاد، فالبدل إنما وقع في تغيير الصفات. المحرر الوجيز (٥٨٤/٢).



﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ذِكْرٌ فِي «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿ظِلًّا ظِلِيلًا﴾ صِفَةٌ مِنْ لَفْظِ «الظِّلِّ» لِلتَّأْكِيدِ؛ أَي: دَائِمًا لَا تَنْسَخُهُ الشَّمْسُ. وَقِيلَ: يَبْقَى الْحَرُّ وَالْبَرْدُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الْآيَةُ؛ قِيلَ: هِيَ خُطَابٌ لِلْوَلَاةِ. وَقِيلَ: لِلنَّبِيِّ ﷺ حِينَ أَخَذَ مِفْتَاحَ الْكِعْبَةِ مِنْ عِثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ<sup>(٢)</sup>. وَلَفْظُهَا عَامٌّ، وَكَذَلِكَ حُكْمُهَا.

﴿وَأُزْلِيَ الْأَمْرُ﴾ هُمْ: الْوَلَاةُ، وَقِيلَ: الْعُلَمَاءُ. وَنَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حِذَافَةَ؛ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سِرِّيَّةٍ<sup>(٣)</sup>.

﴿بَرَدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الرَّدُّ إِلَى اللَّهِ: هُوَ النَّظَرُ فِي كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ: هُوَ سُؤَالُهُ فِي حَيَاتِهِ، وَالنَّظَرُ فِي سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّرْطُ رَاجِعًا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بَرَدُوهُ﴾، أَوْ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَطِيعُوا﴾، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أَي: مَالًا وَعَاقِبَةً، وَقِيلَ: أَحْسَنُ نَظَرًا مِنْكُمْ.



(١) تفسير الآية (٢٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٧٠/٧) وابن المنذر (٧٦٢/٢) عن ابن جريج.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤) عن ابن عباس ؓ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن  
يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا  
﴿١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ  
صُدُودًا ﴿٢﴾ بَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلَعُونَ بِاللَّهِ إِنَّ  
آرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٣﴾ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ  
وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ  
ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾  
\* فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا  
مِّمَّا فَضَلْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اقْرَبُوا مِنْ  
دِينِكُمْ مَا بَعَلُّوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ  
ثَبَاتًا ﴿٧﴾ وَإِذَا عَلَّمْنَاهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٨﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٩﴾ وَمَن يُطِيعِ  
اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّكَ مَعَ الَّذِينَ أُعْتِمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ  
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿١١﴾

﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية؛ نزلت في المنافقين. وقيل: في منافق يهودي؛ كان بينهما  
خصومة، فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل: إلى كاهن<sup>(١)</sup>.

﴿رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمرة؛ ليذمهم بالنفاق. ودل ذلك على أن  
الآية المتقدمة نزلت في المنافقين.

﴿بَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية؛ أي: كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم!  
﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ يحتمل أن يكون هذا: معطوفاً على ما قبله. أو يكون معطوفاً على قوله:  
﴿يَصُدُّونَ﴾، ويكون قوله: ﴿بَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُم﴾ اعتراضاً.

(١) نزولها في التحاكم إلى كعب بن الأشرف أخرجه الطبري (١٩٣/٧) وابن أبي حاتم (٩٩١/٣) وابن المنذر  
(٧٧٠/٢) عن مجاهد، وأخرجه الثعلبي (٤٥٣/١٠) من طريق الكلبي عن ابن عباس ؓ وإسناده واه. وقصة  
نزولها في التحاكم إلى كاهن أخرجه ابن أبي حاتم (٩٩١/٣) عن ابن عباس وصححه إسناده السيوطي في  
الدر المنثور (٥١٤/٤)، وأخرجها الطبري (١٨٩/٧) وابن المنذر (٧٦٩/٢) عن الشعبي.

﴿بَاغِرُضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن معاقبتهم. وليس المراد بالإعراض القطيعة؛ لقوله: ﴿وَعَظَّمَهُمْ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية؛ وعدٌ بالمغفرة لمن استغفر، وفيه استدعاءٌ للاستغفار والتوبة. ومعنى ﴿جَاءَوْكَ﴾: أتوك تائبين معتردين من ذنوبهم، يطلبون أن تستغفر لهم الله.

﴿فَلَا وَرَيْكَ﴾ «لا» هنا: مؤكدة للنفي الذي بعدها.

﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلطوا واختلفوا فيه. ومعنى الآية: أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي ﷺ. ونزلت بسبب: المنافقين الذين تخاصموا. وقيل: بسبب خصام الزبير مع رجل من الأنصار في الماء<sup>(١)</sup>. وحكمها عامٌ.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية؛ معناها: لو فرض عليهم ما فرض على مَنْ كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها؛ لقلّة انقيادهم، إلّا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقًا، وقد روي أن من هؤلاء القليل: أبا بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس رضي الله عنهم.

﴿إِلَّا فِيلٌ﴾ بالرفع: بدلٌ من الضمير. وقرأ ابن عامر وحده بالنصب على أصل الاستثناء، أو على: إِلَّا فِعْلًا قَلِيلًا.

﴿مَا يُوعِظُونَ بِهِ﴾ من أتباع النبي ﷺ وطاعته والانقياد له.

﴿وَأَشَدُّ ثَنِينًا﴾ أي: تحقيقًا لإيمانهم.

﴿وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ﴾ جوابٌ لسؤال مقدّر عن حالهم لو فعلوا ذلك.

﴿فَبِأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ثوابٌ على الطاعة؛ أي: هم معهم في الجنة. وهذه الآية مفسّرة لقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦]. والصدّيق: فِعْلٌ؛ من الصدق، أو من التصديق، والمراد به المبالغة، والصدّيقون أرفع الناس درجةً بعد الأنبياء.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

والشهداء: المقتولون في سبيل الله، ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء، كالغريق وصاحب الهدم؛ حسبما ورد في الحديث أنهم سبعة<sup>(١)</sup>.

﴿وَحَسَنَ أَتْوَلِيكَ رَفِيفًا﴾ الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة. والرفيق: يقع على الواحد والجماعة؛ كالخليط، أو هو مفردٌ بين به الجنس. ومعنى الكلام: إخبارٌ، واستدعاءٌ للطاعة التي يُنال بها مرافقةٌ هؤلاء.

﴿ذَلِكَ أَلْفُضْلُ﴾ الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر في الجنة. و﴿أَلْفُضْلُ﴾: صفة، أو خبرٌ.



(١) أخرج مالك في الموطأ (٩٣٥)، (٩٩٦)، وأحمد (٢٣٧٥٣)، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٥)، وابن حبان (٣١٩٠)، والحاكم (١٣٠٠) وصححه في حديث طويل عن جابر بن عتيك أن رسول الله ﷺ قال: «الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعمون شهيد، والفريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة» قال أبو داود: الجمع: أن يكون ولدها معها.

دَائِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ بَانِهَرُوا ثَبَاتٍ أَوْ بَانِهَرُوا جَمِيعاً ﴿٧﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالْ فَدَّ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ قَضَلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِثْنِي كُنْتُ مَعَهُمْ بَأَقْبَرُ قَبْراً عَظِيماً ﴿٩﴾ \* فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴿١١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ يَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴿١٢﴾

﴿٧﴾ خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: تحرّزوا من عدوكم واستعدّوا له.

﴿بَانِهَرُوا ثَبَاتٍ﴾ أي: اخرجوا للجهاد جماعات متفرّقين؛ وذلك كناية عن السرايا. وقيل: إن الثبة: ما فوق العشرة. ووزنها فعلة - بفتح العين -، ولما محذوفة.

﴿أَوْ بَانِهَرُوا جَمِيعاً﴾ أي: مجتمعين في الجيش<sup>(١)</sup> الكثيف. فخيرهم بين<sup>(٢)</sup> الخروج إلى الغزو في قلة أو في كثرة.

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيَبْطِئَنَّ﴾ الخطاب للمؤمنين، والمراد بـ«مَن»: المنافقون، وعبر عنهم بـ«مِنْكُمْ»؛ إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين، ويقولون: آمنا. واللام في «لَمَن» للتأكيد، وفي «لَّيَبْطِئَنَّ» جواب قسم محذوف<sup>(٣)</sup>. ومعناه: يُبْطِئُ غَيْرَهُ - أي: يثبطه - عن الجهاد، ويَحْمِلُهُ عَلَى التَّخَلُّفِ عَنِ الْغَزْوِ. وقيل: يَبْطِئُ: يتخلف هو عن الغزو ويتشاقل.

﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ﴾ أي: قتل وهزيمة. والمعنى: أن المنافق تسرّه غيبته عن المؤمنين إذا هُزِمُوا. و«شَهِيداً» معناه: حاضراً معهم.

(١) كذا في دوفي هامش أو رمز له بـ«خ»، وفي بقية النسخ: «الجمع».

(٢) في ج، هـ د: «في».

(٣) تقديره: للذي والله لَيَبْطِئَنَّ. المحرر الوجيز (٢/٦٠٠)، البحر المحيط (٧/١٨٣).

﴿وَلَيْسَ أَصْبَحَكُمْ بِضَلٍّ﴾ أي: نصرٌ وغنيمة. والمعنى: أن المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا؛ فيتمنى أن يكون معهم.

﴿كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ جملة اعتراض بين القول ومعموله؛ فلا يجوز الوقف عليها. وهذه المودة في ظاهر المنافق، لا في اعتقاده.

﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي: يبيعون.

﴿بِقَتْلٍ أَوْ يَغْلِبُ﴾ ذكر الحالتين للمقاتل، ووعد بالأجر على كل واحدة<sup>(١)</sup> منهما.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ تحريض على القتال. و«ما» مبتدأ والمجرور خبره، و«لَا تُقَاتِلُونَ» في موضع الحال.

﴿وَالْمُسْتَضْعِمِينَ﴾ هم: الذين حبسهم مشركو قريش بمكة؛ ليفتنوهم عن الإسلام. وهو عطف على اسم «الله»، أو مفعول معه.

﴿الْفَرِيزَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هي مكة حين كانت للمشركين.

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وما بعده: إخبار، قصد به: تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال.



(١) في ب، ج، هـ: «واحدة».

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ  
الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَتْ  
عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ ابْتِغَىٰ وَلَا  
تُظْلَمُونَ قَبِيلًا ﴿٥٦﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصْنَبْهُمْ  
حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصْنَبْهُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ  
عِنْدِ اللَّهِ بَلَّالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٥٧﴾ \* مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ  
اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَهْنِي بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٥٨﴾  
مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ بَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَمِيظًا ﴿٥٩﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ  
فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ  
عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَهْنِي بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٦٠﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ  
غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا بِهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْرِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ  
وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَشِيرُونَ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ بَقِيلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ  
وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا  
﴿٦٣﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ  
مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُفِيئًا ﴿٦٤﴾ وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِحَيَّةٍ بَحِيحًا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٦٥﴾ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِيلَةِ  
لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٦٦﴾

﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية؛ قيل: هي في قوم من الصحابة؛ كانوا قد أمروا  
بالكف عن القتال قبل أن يُفرض الجهاد، فتمنوا أن يؤمروا به، فلما أمروا به كرهوه، لا شكاً في  
دينهم، ولكن خوفاً من الموت. وقيل: هي في المنافقين؛ وهو أليقُ بسياق الكلام.

﴿مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا﴾ وما بعده: تحقيرٌ للدنيا؛ يتضمَّن <sup>(١)</sup> ردًّا عليهم في كراحتهم للموت.

﴿وَفِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ أي: في حصون منيعة. وقيل: المشيدة: المطوّلة. وقيل: المبنية بالشيد؛ وهو الحصُّ.

﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ الآية؛ الحسنة هنا: النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات، والسيئة: الهزيمة والجوع وشبه ذلك. والضمير في «تُصِيبْهُمْ» وفي «يَقُولُوا» لـ «الَّذِينَ فِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»، وهذا يدلُّ على أنها في المنافقين؛ لأن المؤمنين لا يقولون للنبي ﷺ: إن السيئات من عنده.

﴿فَلْ كُلِّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ردٌّ على من نسب السيئة إلى رسول الله ﷺ، وإعلامٌ أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله؛ أي: بقضائه وقدره.

﴿بِمَالٍ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ توبيخٌ لهم على قلة فهمهم.

﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، والمراد به: كل مخاطب على الإطلاق؛ فدخل فيه غيره من الناس. وفيه تأويلان:

أحدهما: نسبة الحسنة إلى الله، والسيئة إلى العبد؛ تأدُّبًا مع الله في الكلام، وإن كان كلُّ شيء منه في الحقيقة؛ وذلك كقوله ﷺ: «والخير كله بيدك» <sup>(٢)</sup>، والشر ليس إليك» <sup>(٣)</sup>، وأيضًا فنسبة <sup>(٤)</sup> السيئة إلى العبد؛ لأنها بسبب ذنوبه؛ لقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٢٨]، فهي من العبد بتسببه <sup>(٥)</sup> فيها، ومن الله بالخلق <sup>(٦)</sup> والاختراع. والثاني: أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل؛ والتقدير: يقولون كذا؛ فمعناها كمعنى التي قبلها.

(١) في ب، ج، هـ: «تتضمن».

(٢) في ب، ج، د: «بيدك» والمثبت موافق لما في الصحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) عن علي ؓ.

(٤) في أ: «فُنُسِبَتْ».

(٥) في هـ: «بتسببه».

(٦) في هامش أ: «خ: بالخلق».



﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ هذه الآية من فضائل رسول الله ﷺ، وإنما كانت طاعته طاعة الله؛ لأنه يأمر وينهى عن الله.

﴿وَمَنْ تَوَلَّى بِمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَبِيطًا﴾ أي: مَنْ أَعْرَضَ عَنْ طَاعَتِكَ فَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِحَفِيزٍ تحفظ أعماله، بل حسابه وجزاؤه على الله. وفي هذا مُتَارَكَةٌ ومُؤَادَعَةٌ منسوخة بالقتال.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي: أَمَرْنَا وشَأْنُنَا طَاعَةٌ لك. وهي في المنافقين بإجماع.

﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ بَيَّتَ: أي: دَبَّرَ الأمرَ بالليل. والضمير في «تَقُولُ» للمخاطب؛ وهو النبي ﷺ، أو للطائفة. «بِأَعْرَضَ عَنْهُمْ» أي: لا تعاقبهم.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ﴾ حُضَّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي معانيه؛ لَتَظْهَرَ أدلته وبراهينه.

﴿إِخْتِلَفًا كَثِيرًا﴾ أي: تناقض؛ كما في كلام البشر، أو تفاوتٌ في الفصاحة، لكن القرآن منزَّلٌ عن ذلك؛ فدلَّ على أنه كلام الله. وإن عَرَضَتْ لأحد شبهةٌ وظنَّ اختلافًا في شيء من القرآن فالواجب: أن يتَّهَمَ نظره، ويسأل أهل العلم، ويطلب تواليهم؛ حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْرِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ﴾ قيل: هم المنافقون. وقيل: قومٌ من ضعفاء المسلمين؛ كانوا إذا بلغهم خبرٌ عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أَدَّعَوْا به، أي تكلَّمُوا به وشهَرُوا به قبل أن يعلموا صحته، وكان في إذاعتهم له مفسدةٌ على المسلمين، مع ما في ذلك من العجلة وقلة الثبوت، فأنكر الله عليهم ذلك.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم، وردُّوه إلى رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر<sup>(١)</sup>، وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم = لعلمه القوم الذين يستنبطونه - أي: يستخرجونه - من الرسول وأولي الأمر.

(١) في دزيادة: «منهم».

﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ على هذا: طائفة من المسلمين؛ يسألون عنه الرسول ﷺ وأولي الأمر. وحرف الجر في قوله: ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ لا ابتداء الغاية؛ وهو <sup>(١)</sup> يتعلق بالفعل. والضمير المجرور يعود على: الرسول وأولي الأمر.

وقيل: إن ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ هم أولوا الأمر؛ كما جاء في الحديث عن عمر رضي الله عنه: أنه سمع أن رسول الله ﷺ طلق نساءه، فدخل عليه، فقال: أطلقت نساءك؟ فقال: «لا»، فقام على باب المسجد، فقال: إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه <sup>(٢)</sup>. فأنزل الله هذه القصة، قال: وأنا الذي استنبطته.

فعلى هذا: ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ هم أولوا الأمر. والضمير المجرور يعود عليهم، و﴿مِنْهُمْ﴾ لبيان الجنس. واستنباطه على هذا: هو بسؤالهم عنه النبي ﷺ، أو بالنظر والبحث. واستنباطه على التأويل الأول: هو بسؤال الذين أذاعوه للرسول ﷺ ولأولي الأمر.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: هداه وتوفيقه، أو بعثه للرسول <sup>(٣)</sup>، وإنزاله للكتاب <sup>(٤)</sup>. والخطاب في هذه الآية للمؤمنين.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا اتباعًا قليلًا؛ فالاستثناء من المصدر، والمعنى: لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا في أمور قليلة كنتم لا تتبعونه فيها.

وقيل: إنه استثناء من الفاعل في ﴿اتَّبَعْتُمْ﴾؛ أي: إلا قليلًا منكم، وهم الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان؛ كورقة بن نوفل. والفضل والرحمة على هذا: بعث الرسول <sup>(٥)</sup> وإنزال الكتاب <sup>(٦)</sup>. وقيل: إن الاستثناء من قوله: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾.

(١) سقط من ب، ج، هـ.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٣) في أ، ج، هـ: «للسل».

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «للكتب».

(٥) في ج: «الرسول».

(٦) في أ، ب، ج، هـ: «الكتب».

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ لما تناقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبي ﷺ؛ أي: إن أفردوك فقاتل وحدك؛ فإنما عليك ذلك.

﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليس عليك في شأن المؤمنين إلا التحريض.  
 ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: «عسى» من الله واجبة. و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا: قريش، وقد كفهم الله بهزيمتهم في بدر وغيرها، وبفتح مكة.  
 ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: عقابًا وعذابًا.

﴿شَفِيعَةً حَسَنَةً﴾ هي الشفاعة في مسلم؛ لتُفَرِّجَ عنه كربةً، أو تُدْفَعَ<sup>(١)</sup> مظلمةً، أو يُجَلَبَ إليه خير<sup>(٢)</sup>، والشفاعة السيئة بخلاف ذلك. وقيل: الشفاعة الحسنة: هي الطاعة، والشفاعة السيئة: هي المعصية، والأول أظهر. والكِفْل: هو النصيب.

﴿مُفِيَّتًا﴾ قيل: قديرًا. وقيل: حفيظًا. وقيل: الذي يُقَيِّت الحيوان؛ أي: يرزقهم القوت.  
 ﴿وَبَحِيرًا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رَدُّوَهَا﴾ معنى ذلك: الأمر بردّ السلام، والتخير بين أن يردّ بمثل ما سلّم عليه أو بأحسن منه، والأحسن أفضل؛ مثل أن يقال له: «سلام عليك»، فيردّ السلام ويزيد الرحمة، أو يزيد الرحمة والبركة. وردّ السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي<sup>(٣)</sup>. وقال بعض الناس: هو فرض عين.

واختلف في الردّ على الكفار: فقيل: يردّ عليهم؛ لعموم الآية. وقيل: لا يردّ عليهم. وقيل: يقال لهم: «عليكم»؛ حسبما جاء في الحديث<sup>(٤)</sup>، وهو مذهب مالك<sup>(٥)</sup>. ولا يُتَدَوَّن بالسلام.

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ جواب قسم محذوف، وتضمن معنى الحشر؛ ولذلك تعدّى بـ«إلى». و﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ لفظه استفهام؛ ومعناه: لا أحد أصدق من الله.

(١) في د: «أو ترفع عنه».

(٢) في ب: «لُفَرِّجَ عنه كربةً، أو يُدْفَعَ مظلمةً، أو يُجَلَبَ إليه خيرًا».

(٣) وأحمد. الآداب الشرعية، لابن مفلح (١٤٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣) عن أنس ؓ.

(٥) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٥٢/١٠).

بَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَنَفِّينَ يَتَّبِعِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ  
وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٧﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا  
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ  
وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ  
مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ  
لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ إغْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ بَمَا جَعَلَ  
اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ سَتَجِدُونَ عَآخِرِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا  
رَدُّوا إِلَى الْمُتَنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ  
فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبِضْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩٠﴾

﴿بَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَنَفِّينَ يَتَّبِعِينَ﴾ «ما» استفهامية بمعنى التوبيخ، والخطاب للمسلمين.  
ومعنى ﴿يَتَّبِعِينَ﴾ أي: طائفتين مختلفتين، وهو منصوب على الحال. والمراد بالمنافقين  
هنا: ما قال ابن عباس رضي الله عنه: إنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين؛ فزعموا أنهم آمنوا  
ولم يهاجروا، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم  
ليغنموا تجارتهم؛ لأنهم لم يهاجروا؟ أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنون؟<sup>(١)</sup> وقال زيد بن  
ثابت رضي الله عنه: نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أحد، فاختلف الصحابة في  
أمرهم<sup>(٢)</sup>. ويرد هذا قوله: ﴿حَتَّى يَهَاجِرُوا﴾. ﴿أَرْكَسَهُمْ﴾ أي: أضلهم أو أهلكهم.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ الضمير للمنافقين؛ أي: تمنوا أن تكفروا.

﴿فَخُذُوهُمْ﴾ يريد به: الأسر.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ الآية؛ استثناء من قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾. ومعناها: أن من  
وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفار المعاهدين - وهم الذين بينهم وبين

(١) أخرجه الطبري (٢٨٣/٧) وابن أبي حاتم (١٠٢٣/٣) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨٤)، ومسلم (٢٧٧٦).

المسلمين عهداً ومهادنة - فحكمه<sup>(١)</sup> كحكمهم في المسالمة وترك قتاله<sup>(٢)</sup>، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخ بالقتال في سورة «براءة».

قال السهيلي وغيره: «الَّذِينَ يَصِلُونَ»: هم بنو مُدَلِّج بن كِنانة «إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ»: بنو خزاعة، فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>، فمعنى: «يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ»: يتتهون إليهم، ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة.

وقيل: معنى «يَصِلُونَ»: يتسبون؛ وهذا ضعيف جداً؛ بدليل قتال رسول الله ﷺ لقريش، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين؛ فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين!

«أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» عطف: على «يَصِلُونَ». أو على صفة «قَوْمٍ»؛ وهي: «بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ». والمعنى يختلف على ذلك، والأول أظهر. و «حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» في موضع الحال؛ بدليل قراءة يعقوب: «حَصِرَةٌ»، ومعناه: ضاقت عن القتال وكرهته. ونزلت الآية في قوم جاؤوا إلى المسلمين، وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين، وكرهوا أيضاً أن يقاتلوا قومهم - وهم أقاربهم الكفار -، فأمر الله بالكف عنهم<sup>(٤)</sup>، ثم نُسِخ<sup>(٥)</sup> أيضاً ذلك بالقتال.

«فَإِنْ إِغْتَرَزَ لَوْكُمْ» أي: سالموكم فلا تقاتلوهم، و«أَلْسَلَمَ» هنا: الانقياد.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ﴾ الآية؛ نزلت في قوم مخادعين، وهم من أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا؛ ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا؛ ليأمنوا قومهم<sup>(٦)</sup>. و«أَلْمِثْنَةَ» هنا: الكفر على الأظهر. وقيل: الاختبار.

(١) في د: «فحكمهم».

(٢) في ج: «قتله»، وفي د: «القتال».

(٣) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٦/٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٧٦٧) عن الحسن البصري عن سراقه بن مالك ؓ.

(٥) في ج: «أبىح».

(٦) أخرجه بنحوه الطبري (٣٠١/٧) وابن أبي حاتم (١٠٢٩/٣) وابن المنذر (٨٢٧/٢) عن مجاهد.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ  
وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِيهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ  
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِيهِ وَتَحْرِيرُ  
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ \* بَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا  
حَكِيمًا ﴿٥١﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَدًّا فَجَزَاؤُهُ دَجَنَّتُمْ خَلِيدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ  
وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٥٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا  
لِمَنْ أَلْفَيْتُمْ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تُبْتَغُونَ غَرْصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ  
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٥٣﴾ لَا  
يَسْتَوِ الْفَاعِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْفَاعِلِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ  
الْخُسْبَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْفَاعِلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً  
وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٥﴾

﴿٥١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ نزلت بسبب قتل عيَّاش بن ربيعة  
للحارث بن زيد، وكان الحارث يُعَذِّبُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، ثم أسلم وهاجر، ولم يعلم عيَّاش  
بإسلامه فقتله<sup>(١)</sup>. وقيل: إِنَّ الاستثناء هنا منقطع؛ والمعنى: لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا  
بوجه، لكن الخطأ قد يقع.

والصحيح: أنه متصل؛ والمعنى: لَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ وَلَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا عَلَى  
وجه الخطأ، من غير قصدٍ وَلَا تَعَمُّدٍ؛ إذ هو مغلوبٌ فيه.  
وانتصاب ﴿خَطَاً﴾ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، أَوْ حَالٌ، أَوْ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحذُوفٍ.

﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ﴾ هذا بيانٌ مَا يَجِبُ عَلَى الْقَاتِلِ خَطَاً،  
فَأَوْجِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ التَّحْرِيرَ وَالْدِيَّةَ، فَأَمَّا التَّحْرِيرُ ففِي مَالِ الْقَاتِلِ، وَأَمَّا الدِّيَّةُ ففِي مَالِ عَاقِلَتِهِ،

(١) أخرجه البيهقي (١٦٤٧٣) عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأخرجه الطبري (٣٠٦/٧)، وابن أبي حاتم  
(١٠٣١/٣) عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣١/٣) عن سعيد بن جبير.

وجاء ذلك عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وهو بيان للآية؛ إذ لفظها يحتمل ذلك وغيره، وأجمع الفقهاء عليه. واشترط مالك في الرقبة التي تُعتق: أن تكون مؤمنة، ليس فيها عقدٌ من عقود الحرية، سالمة من العيوب.

فأما إيمانها: فنص هنا؛ ولذلك أجمع العلماء عليه هنا، واختلفوا في رقبة الظهار وكفارة اليمين. وأما سلامتها من عقود الحرية: فيظهر من قوله تعالى: ﴿بِتَّحْرِيرِ رَقَبَةٍ﴾؛ لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير بها. وأما سلامتها من العيوب: فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه؛ وفي ذلك نظر.

ولم يبين في الآية مقدار الدية، وهي عند مالك: مئة من الإبل على أهل الإبل، وألف دينار شرعية على أهل الذهب، واثنان عشر ألف درهم شرعية على أهل الورق، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

﴿مُسْلَمَةً إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ أي: مدفوعة إليهم، والأهل هنا: الورثة. واختلف في مدة تسليمها، ف قيل: هي حالة عليهم، وقيل: يؤدونها في ثلاث سنين، وقيل: في أربع. ولفظ التسليم مطلق؛ وهو أظهر في الحلول لولا ما جاء من السنة في ذلك<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ الضمير يعود على أولياء المقتول؛ أي: إذا أسقطوا الدية سقطت. وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضًا عند مالك<sup>(٤)</sup> والجمهور، خلافاً لأهل الظاهر؛ وحجتهم: عود الضمير على الأولياء. وقال الجمهور: إنما هذا إذا لم يسقطها المقتول.

﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مَوَدٌّ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ معنى الآية: أن المقتول خطأ إن كان مؤمناً وقومه كفاراً<sup>(٥)</sup> أعداء - وهم المحاربون -، فإنما في قتله التحرير خاصة دون

(١) أخرجه البخاري (٦٩١٠) ومسلم (١٦٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي (١٦٤٧٣) عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأخرجه الطبري (٣٠٦/٧)، وابن أبي حاتم (١٠٣١/٣) عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣١/٣) عن سعيد بن جبيرة.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٠٠٨)، وعبد الرزاق (١٧٨٥٨)، والبيهقي (١٦٣٩٠) عن الشعبي عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٠٠٨) عن إبراهيم النخعي عن عمر رضي الله عنه.

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢٢/٢٥).

(٥) في ج، هـ: «كفاراً».

الدية، فلا تدفع لهم؛ لئلا يتقوا بها على المسلمين. ورأى ابن عباس رضي الله عنه أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقي في دار الحرب لم يهاجر<sup>(١)</sup>، وخالفه غيره. ورأى مالك أن الدية في هذا لبيت المال؛ فالآية عنده منسوخة.

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ الآية؛ معناها: أن المقتول خطأ إن كان قومه كفارًا معاهدين ففي قتله تحرير رقة والدية إلى أهله؛ لأجل معاهدتهم. والمقتول على هذا مؤمن؛ ولذلك قال مالك: لا كفارة في قتل الذمي. وقيل: إن المقتول في هذه الآية كافر؛ فعلى هذا: تجب الكفارة في قتل الذمي. وقيل: هي عامة في المؤمن والكافر. ولفظ الآية مطلق؛ إلا إن قيده قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في الآية التي قبلها، وقرأ الحسن هنا: «وهو مؤمن»<sup>(٢)</sup>.

﴿بِمَنْ لَمْ يَجِدْ بِصِيَامَ شَهْرَيْنِ﴾ أي: من لم يجد العتق ولم يقدر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عوض منه.

﴿تُؤْتَى مِنَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدر؛ ومعناه: رحمة منه وتخفيفًا.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ الآية؛ نزلت بسبب مقيس بن صبابه؛ كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطأ، ثم قتل رجلاً من القوم الذين قتلوا أخاه وارتد مشركًا، فأمر رسول الله ﷺ بقتله<sup>(٣)</sup>. والمتعمد عند الجمهور: هو الذي يقصد القتل بحديد أو حجر أو عصا أو غير ذلك.

وهذه الآية مفضلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول: لا يُخلد عصاة المؤمنين في النار. واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار؛ لقوله: ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾.

وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه: أحدها: أن قالوا: إنها في الكافر إذا قتل مؤمنًا.

(١) أخرجه الطبري (٣١٥/٧).

(٢) لم أقف على من ذكر هذه القراءة عن الحسن، وفي تفسير الطبري (٣٢١/٧) عن الحسن في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ قال [كذا، وليس قرأ]: «هو كافر»، وأخرج عن جابر بن زيد في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ قال: «وهو مؤمن»، ففي جعل هذا قراءة ونسبتها إلى الحسن نظر.

(٣) أخرجه الطبري (٣٤١/٧) عن عكرمة، وابن أبي حاتم (١٠٣٧/٣) عن سعيد بن جبيرة بنحوه.



والثاني: قالوا: معنى المتعمد هنا: المستحل للقتل؛ وذلك يؤول إلى الكفر.  
والثالث: قالوا: الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدي، وإنما هو عبارة عن طول المدة.  
والرابع: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٧].

وأما المعتزلة: فحملوها على ظاهرها، ورأوا أنها ناسخة لقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، واحتجوا على ذلك: بقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: «نزلت الشديدة بعد الهيئة»<sup>(١)</sup>،  
وبقول ابن عباس رضي الله عنه: «الشرك والقتل من مات عليهما خُلِدَ»<sup>(٢)</sup>، ويقول رسول الله ﷺ:  
«كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا الرَّجُلَ يَمُوتُ كَافِرًا، أَوْ الرَّجُلَ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنَ مُتَعَمِّدًا»<sup>(٣)</sup>،  
وتقتضي الآية وهذه الآثار: أن للقتل حكمًا يخصه من بين سائر المعاصي<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٣٤٩/٧)، ابن أبي حاتم (١٠٣٧/٣).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وكذلك أورده ابن عطية في تفسيره (٦٣٤/٣) بغير إسناد، فقال: «وكان ابن عباس يقول: الشرك والقتل مبهمان، من مات عليهما خُلِدَ»، وعند الطبري (٣٤٧/٧) والخلال في السنة (٩٣/٤)، وابن أبي شيبة (٤٣٣/٥) بلفظ: «هما المبهمان: الشرك والقتل»، قال الشيخ أحمد شاكر رحمته الله في تعليقه على تفسير الطبري (٦٧/٩): «يعني بقوله: «المبهمان»، يعني: الآيتان اللتان لا مخرج منهما، كأنها باب مبهم مصمت، أي: مستغلق لا يفتح، ولا مأتى له. وذلك أن الشرك والقتل، جزاؤه التخليد في نار جهنم، أعادنا الله منها.»

(٣) أخرجه أحمد (١٦٩٠٧)، والنسائي (٣٩٥٥)، والحاكم (٨٠٣١) وصححه ووافقه الذهبي، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وأخرجه أبو داود (٤٢٧٠)، وابن حبان (٥٩٨٠)، والحاكم (٨٠٣٢) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٥٨٦١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) [التطبيق ٤٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وهذه الآية مُعْضِلَةٌ على مذهب الأشعرية وغيرهم...»، إلخ: أقول: ما ذكره من أن هذه الآية مُعْضِلَةٌ (أي: مُشْكِلَةٌ إشكالاً قوياً) على مذهب الأشعرية وغيرهم من القائلين بأن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار، وأجاب من جهة الأشعرية وغيرهم من القائلين بعدم خلود أهل الكبائر في النار بأربعة أجوبة:

أقول: أجودها: تفسير الخلود بالمُكثِّ الطويل، وأجود منه: تقييد الآية بما تواترت به السنة من خروج عصاة الموحدين من النار بشفاعَةِ الشافعين، ورحمةِ أرحم الراحمين.

وكذلك: ما ذكره من احتجاج المعتزلة بهذه الآية على قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار:

أقول: ما ذكره من المذهبين في تخليد العصاة صحيح، ولكنه ﷺ ذكر احتجاج المعتزلة على مذهبهم بأثر ابن عباس، وزيد، وبالحدِيث، ولم يُجِبْ عن ذلك، بل أيده بقوله: «وتقتضي الآية وهذه الآثار: أن للقتل حكمًا يخصه من بين سائر المعاصي»؛ وهذا يجعل في كلامه نوع تناقض؛ لأنه قد أجاب عن الآية =

واختلف الناس في القاتل عمداً إذا تاب؛ هل تقبل توبته أم لا؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف في القاتل إذا اقتصر منه؛ هل يسقط عنه العقاب<sup>(١)</sup> في الآخرة أم لا؟<sup>(٢)</sup>.

والصحيح: أنه يسقط عنه؛ لقول رسول الله ﷺ: «من أصاب ذنباً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة»<sup>(٣)</sup>، وبذلك قال جمهور العلماء.

﴿صَرَيْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: سافرتم في الجهاد.

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من البيان. وقرئ: بالثاء المثلثة<sup>(٤)</sup>؛ من الثبات. والتَّفَعَّلَ فيها بمعنى الاستفعال؛ أي: اطلبوا<sup>(٥)</sup> بيان الأمر أو<sup>(٦)</sup> ثبوته.

﴿الْفَبَىٰ إِلَيْكُمْ أَلَسَلَمْ﴾ بغير ألف<sup>(٧)</sup>؛ أي: انقَادَ وألقى بيده. وقرئ: ﴿الَسَلَمْ﴾؛ بمعنى التحية. ونزلت في سرية لقيت رجلاً فسلم عليهم، وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فحمل عليه أحدهم فقتله، فشق ذلك على رسول الله ﷺ. وكان القاتل: مُحَلَّمٌ بن جَثَامَة، والمقتول: عامر بن الأَضْبَط<sup>(٨)</sup>. وقيل: القاتل أسامة بن زيد، والمقتول: مِرْدَاس بن نَهَيْك<sup>(٩)</sup>.

﴿تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: الغنيمة، وكان للرجل المقتول غَنَمٌ.

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ وعدٌ، وتزهيذٌ في غنيمة من أظهر الإسلام.

= وأما أثر ابن عباس وزيد، والحديث، فلا تقاوم دلائلها دلالة قوله تعالى: ﴿وَنَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ في موضعين من سورة النساء، وهي التي ذكر فيها وعيد القاتل بالخلود في النار، ولا تقاوم دلالة السنة على خروج عصاة الموحدين من النار.

وقد أجمع أهل السنة على ما دلّت عليه آيتا النساء، وما دلّ عليه حديث الشفاعة، والله أعلم.

(١) في أ: «العذاب»، وفي الهامش: «خ: العقاب».

(٢) انظر: المقدمات الممهدة، لأبي الوليد ابن رشد الجذّ (ت ٥٢٠هـ) (٣/ ٢٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٩٢)، ومسلم (١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت ؓ.

(٤) قرأ حمزة والكسائي من التثنية، وقرأ الباقون من التبيين.

(٥) في أ: «يطلب».

(٦) في ب، د: «و».

(٧) قرأ نافع وابن عامر وحمزة بغير ألف بعد اللام، وقرأ الباقون بالألف.

(٨) أخرجه الطبري (٣٥٤/ ٧) وابن أبي حاتم (١٠٤٠/ ٣)، وأحمد في مسنده (٢٣٨٨١) من حديث عبد الله بن أبي حدرد ؓ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥/ ٧): «ورجاله ثقات».

(٩) قصة أسامة بن زيد ؓ أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)، وليس فيها كونها سبب نزول هذه الآية.

﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ قيل: معناه: كنتم كفارًا، فهداكم الله للإسلام. وقيل: كنتم تخفون إيمانكم من قومكم، فمن الله عليكم بالعزة والنصر حتى أظهرتموه.

﴿لَا يَسْتَوِ الْقَاعِدُونَ﴾ الآية؛ معناها: تفضيل المجاهدين على من لم يجاهد؛ وهم القاعدون.

﴿غَيْرِ أَوَّلِي الضَّرَرِ﴾ لما نزلت الآية قام ابن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله هل من رخصة؛ فإني ضير البصر؟ فنزل: ﴿غَيْرِ أَوَّلِي الضَّرَرِ﴾<sup>(١)</sup>. وقرئ ﴿غَيْرِ﴾ بالحركات الثلاث<sup>(٢)</sup>: فالرفعُ صفةٌ للقاعدين، والنصب على الاستثناء، أو الحال، والخفض صفةٌ للمؤمنين.

﴿دَرَجَةً﴾ قيل: هي تفضيلٌ على القاعدين من أهل العذر، والدرجات: على القاعدين بغير عذر. وقيل: إن الدرجات مبالغةٌ وتأكيذٌ للدرجة. ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة.

﴿أَجْرًا﴾ منصوبٌ على الحال من ﴿دَرَجَتٍ﴾<sup>(٣)</sup>، أو على المصدرية من معنى ﴿بَضَلْ﴾. وانتصب ﴿دَرَجَتٍ﴾: على البدل من الأجر، أو بفعل مضمر. وانتصب ﴿مَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ بإضمار فعليهما؛ أي: غفر لهم ورحمهم مغفرةً ورحمةً.



(١) أخرجه البخاري (٤٥٩٤)، ومسلم (١٨٩٨) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وأخرجه البخاري -أيضًا- من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه (٢٨٣٢).

(٢) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب الراء، وقرأ الباقر من السبعة بالرفع. وأما قراءة الخفض فهي في الشاذ، قرأ بها الأعمش وأبو حيوة كما في المحرر الوجيز (٦٣٧/٢).

(٣) قال في الكشف (١٢٩/٥): «ونصب ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على أنه حالٌ عن النكرة التي هي ﴿دَرَجَتٍ﴾ مقدّمةٌ عليها».

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيْمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٥٦﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٨﴾ \* وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية: نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقتلوا<sup>(١)</sup>؛ منهم: قيس بن الفاكه، والحارث بن زَمْعَة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أمية بن خلف. ويحتمل ﴿تَوَفَّيَهُمْ﴾ أن يكون: ماضيًا، أو مضارعًا<sup>(٢)</sup>. وانتصب ﴿ظَالِمِي﴾ على الحال.

﴿قَالُوا فِيْمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر دينكم.

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ اعتذار عن التوبيخ الذي وبَّخهم الملائكة؛ أي: لم نقدر<sup>(٣)</sup> على الهجرة، وكان اعتذارًا بالباطل.

﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ ردُّ عليهم، وتكذيبٌ لهم في اعتذارهم.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: الذين كان استضعافهم حقًا، قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت أنا وأبي وأمي ممن عفى الله بهذه الآية<sup>(٤)</sup>.

﴿مُرَاعًا﴾ أي: متحوَّلًا وموضعًا يُرغم عدوُّه بالذهاب إليه.

﴿وَسَعَةً﴾ أي: اتساع في الأرض. وقيل: في الرزق.

(١) أخرجه البخاري (٤٥٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) على احتمال كونه ماضيًا يكون خاليًا من علامة التأنيث؛ إذ تأنيث لفظ الملائكة غير حقيقي، وعلى احتمال كونه مضارعًا يكون الأصل: «تتوفاهم»، فحذفت إحدى التاءين. المحرر الوجيز (٢/٦٤٢).

(٣) في أ: «تقدروا».

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٨٨) وليس فيه: «وأبي»!

﴿بَقْدَ وَقَعِ أَجْرُهُ﴾ أي: ثبت وصح<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾ الآية؛ حكمها على العموم. ونزلت في ضَمْرَةَ بن العيس<sup>(٢)</sup> وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضًا فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة قال: أخرجوني<sup>(٣)</sup>، فهَيَّئْ له فراش فوضع عليه وخرج، فمات في الطريق<sup>(٤)</sup>. وقيل: نزلت في خالد بن حزام؛ فإنه هاجر إلى أرض الحبشة، فنهشته حية في الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة<sup>(٥)</sup>.



(١) هكذا جاء موضع تفسير هذه الجملة من الآية، متقدمًا على تفسير جملة ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾ في جميع النسخ الخطية! وحقه أن يكون متأخرًا عن تفسير جملة ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾؛ جزئًا على ترتيب الآية.

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية «العيس» بالسين، والذي في تفسير الطبري (٣٩٣/٧)، والإصابة لابن حجر (٢/٢٥٩): «العيس» بالصاد.

(٣) في هامش أ: «خ: أخرجوا بي».

(٤) أخرجه الطبري (٣٩٣-٣٩٤) عن سعيد بن جبير وقتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٠/٣) عن عكرمة عن ابن عباس ؓ.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٠/٣) عن الزبير بن العوام ؓ. قال ابن كثير (٣/٣٩٢): «وهذا الأثر غريب جدًا؛ فإن هذه القصة مكية، ونزول هذه الآية مدنية، فلعله أراد أنها أنزلت تعم حكمه مع غيره، وإن لم يكن ذلك سبب النزول، والله أعلم».

وَإِذَا صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ بِأَقْنَتٍ لَهُمُ الصَّلَاةُ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكُمْ وَلْيَاخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكُمْ وَلْيَاخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٦﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيْمَا وَقَعْتُمْ وَفَعَلْتُمْ وَاعْبُدُوا وَاعْبُدُوا جُنُوبَكُمْ فَإِذَا إِظْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ﴿١٧﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٨﴾

﴿١٥﴾ وَإِذَا صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اختلف العلماء في تأويلها على خمسة أقوال: الأول: أنها في قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين في السفر، وأن ذلك لا يجوز إلا في حال الخوف على ظاهر الآية، وهو قول عائشة<sup>(١)</sup> وعثمان بن عفان<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أن الآية تقتضي ذلك، ولكن يؤخذ القصر في السفر دون الخوف من السنة، ويؤيد هذا: حديث يعلى بن أمية<sup>(٣)</sup> قال: قلت لعمر بن الخطاب<sup>(٤)</sup>: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ وقد آمن الناس؟ فقال: عجبْتُ مما عجبْت منه، فسألتُ رسول الله<sup>(ﷺ)</sup> عن ذلك فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»<sup>(٥)</sup>، وقد ثبت أن النبي<sup>(ﷺ)</sup> قصر في السفر وهو آمن<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٧/٤٠٩).

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٤٢٦)، ومن طريقه ابن حزم في المحلى (٣/١٩٢) وصححه، والبيهقي (٥٤٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (٦٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٨٣)، ومسلم (٦٩٦) عن حارثة بن وهب<sup>(٥)</sup>.

الثالث: أن قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ راجع إلى قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ﴾ الآية التي بعد ذلك، والواو زائدة، وهذا بعيد.

الرابع: أنها في صلاة الخوف؛ على قول من يرى أن تُصَلَّى كُلُّ طَائِفَةٍ رَكْعَةً خَاصَةً، قال ابن عباس رضي الله عنه: فرضت الصلاة في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة<sup>(١)</sup>.  
الخامس: أنها في صلاة المسابقة؛ فالقصر على هذا هو من هيئات الصلاة؛ كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وإذا قلنا: إنها في القصر في السفر؛ فظاهرها: أن القصر رخصة، والإتمام أفضل. وهو مذهب الشافعي. وقال مالك: القصر أفضل<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنها سواء. وأوجب أبو حنيفة القصر.

وليس في لفظ الآية ما يدل على مقدار المسافة التي يقصر فيها؛ لأن قوله: ﴿وَإِذَا صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معناه: السفر مطلقاً؛ ولذلك أجاز الظاهرية القصر في كل سفر؛ طويل أو قصير. ومذهب مالك والشافعي<sup>(٣)</sup>: أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلاً؛ واحتجوا بآثار عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنه. وكذلك ليس في الآية ما يدل على تخصيص القصر بسفر القربة، أو السفر المباح دون سفر المعصية؛ فإن لفظها مطلق في السفر، ولذلك أجاز أبو حنيفة: القصر في سفر القربة، وفي المباح، وفي سفر المعصية.  
ومنع مالك: في سفر المعصية.

(١) أخرجه مسلم (٦٨٧).

(٢) وهو مذهب أحمد، وقول جمهور العلماء. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٨/٥).

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٦/٥).

(٤) أثر ابن عمر: عن سالم: أن ابن عمر خرج إلى أرض له بذات النضب فقصر، وهي ستة عشر فرسخاً، أخرجه مالك في الموطأ (٢٨٠)، والبيهقي من طريقه (٥٣٩٢)، وأخرجه ابن أبي شيبة واللفظ له (٨٢٢٠). وأثر ابن عباس: عن عطاء بن أبي رباح، قال: قلت لابن عباس: .. أقصر إلى الطائف وإلى عسفان؟ قال: نعم، وذلك ثمانية وأربعون ميلاً، وعقد بيده، أخرجه مالك في الموطأ (٢٨٠)، وابن أبي شيبة واللفظ له (٨٢٢٢). وعلق البخاري الأثرين (٤٣/٢)، ووصلهما ابن حجر في تغليق التعليق (٤١٥/٢).

ومنع ابن حنبل: في المعصية، وفي المباح<sup>(١)</sup>. وللقصر أحكام لا تتعلق بالآية؛ فأضربنا عن ذكرها. والمراد بالفتنة في هذه الآية: القتال والتعرض بما يُكره.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية؛ في صلاة الخوف، وظاهرها يقتضي: أنها لا تُصلّى بعد رسول الله ﷺ؛ لأنه شرط كونه فيهم، وبذلك قال أبو يوسف. وأجازها الجمهور بعده ﷺ؛ لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته، وقد فعلها الصحابة بعده ﷺ.

واختلف الناس في صفة صلاة الخوف على عشرة أقوال؛ لاختلاف الأحاديث فيها، ولسنا نضطر إلى ذكرها؛ فإن تفسيرها لا يتوقف على ذلك. وكانت صلاة رسول الله ﷺ لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع.

﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ يقسم الإمام المسلمين على طائفتين؛ فيصلّي بالأولى نصف الصلاة، وتقف الأخرى تحرس، ثم يصلي بالثانية بقية الصلاة، وتقف الأولى تحرس. واختلف هل تُتم كل طائفة صلاتها - وهو مذهب الجمهور -، أم لا؟ وعلى القول بالإتمام اختلف؛ هل يُتمونها في إثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك؟

﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ اختلف من المأمور بأخذ الأسلحة؟ فقيل: الطائفة المصلية، وقيل: الحارسة، والأول أرجح؛ لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾. ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم؛ وإلا لم يكن معنى لأخذ الأسلحة إذا لم يدفعوا بها من قاتلهم.

﴿وَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ الضمير في قوله: ﴿سَجَدُوا﴾ للمصلين، والمعنى: إذا سجدوا معك في الركعة الأولى. وقيل: إذا سجدوا في ركعة القضاء. والضمير في قوله: ﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾:

(١) معتمد المذهب عند الحنابلة: جواز القصر في السفر المباح كسفر التنزه والتفرج، وهذه الرواية عن الإمام اختارها جماهير الأصحاب، وعن أحمد رواية أخرى: لا يقصر إلا في سفر الطاعة، وهو ظاهر كلام ابن حامد. انظر: المسائل الفقهية من الروايتين والوجهين، لأبي يعلى (١/١٧٦)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٨/٥).



[أ] يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِلَّذِينَ سَجَدُوا؛ أَيْ: إِذَا سَجَدُوا فَلْيَقُومُوا وَلْيَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ. وَعَلَى هَذَا: إِنْ كَانَ السُّجُودُ هُنَا فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى: فَيَقْتَضِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ لِلْحِرَاسَةِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الرُّكْعَةِ الْأُولَى، ثُمَّ يَحْتَمَلُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقْضُوا بَقِيَّةَ صَلَاتِهِمْ<sup>(١)</sup> أَوْ لَا يَقْضُونَهَا<sup>(٢)</sup>. وَإِنْ كَانَ السُّجُودُ رُكْعَةً الْقَضَاءِ: فَيَقْتَضِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَقُومُونَ لِلْحِرَاسَةِ إِلَّا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ<sup>(٣)</sup>.

[ب] وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلَّيْكُمْ نَوَافِلًا لِلطَّائِفَةِ الْآخَرَى؛ أَيْ: يَقِفُونَ وَرَاءَ الْمُصَلِّينَ يَحْرُسُونَهُمْ فِي حَالِ سُجُودِهِمْ. وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى﴾ يَعْنِي: الطَّائِفَةُ الْحَارِسَةُ.

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الْآيَةُ؛ إِخْبَارٌ عَمَّا جَرَى فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ عَزْمِ الْكُفَّارِ عَلَى الْإِيقَاعِ بِالْمُسْلِمِينَ إِذَا اشْتَغَلُوا بِصَلَاتِهِمْ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، وَشَرَّعَتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ؛ حَذَرًا مِنَ الْكُفَّارِ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَيْلَةً وَاجِدَةً﴾ مِبَالِغَةٌ؛ أَيْ: مُسْتَأْصِلَةٌ لَا يُحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى ثَانِيَةٍ. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾ الْآيَةُ؛ نَزَلَتْ بِسَبَبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ<sup>(٤)</sup>، كَانَ مَرِيضًا فَوَضَعَ سِلَاحَهُ فَعَنَّفَهُ<sup>(٥)</sup> بَعْضُ النَّاسِ، فَرَخَّصَ اللَّهُ فِي وَضْعِ السِّلَاحِ فِي حَالِ الْمَرَضِ وَالْمَطَرِ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِمَا: كُلُّ عَذْرٍ يَحْدُثُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ إِنْ قِيلَ: كَيْفَ طَابَقَ الْأَمْرُ بِالْحَذَرِ لِلْعَذَابِ الْمُهِينِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْأَمْرَ بِالْحَذَرِ مِنَ الْعَدُوِّ يَقْتَضِي تَوْهْمَ قُوَّتِهِمْ وَعَزَّتِهِمْ، فَنفَى ذَلِكَ الْوَهْمَ

(١) أجاز هذا الوجه أحمد، واختاره أبو حنيفة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ١٢٥).

(٢) روي جواز هذا الوجه عن أحمد، وأكثر الأصحاب - وهو قول الجمهور من أهل العلم - يمنعون صحة هذه الصفة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ١٣٩-١٤١).

وقوله: «أو لا يقضونها» كذا ورد في النسخ الخطية بثبات النون على الرفع، ويحمل هذا على أنه رفع على الاستئناف.

(٣) وهذا الوجه هو الأولي والمختار عند أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ١٢٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٩٩) عن ابن عباس ؓ.

(٥) في أ: «عنه» وفي الهامش: «خ: فعنه».

بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم؛ لتقوى قلوب المؤمنين. قال ذلك الزمخشري<sup>(١)</sup>. وإنما يصح ذلك إذا كان العذاب المهين في الدنيا، والأظهر: أنه في الآخرة.

﴿وَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ الآية؛ أي: إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بالاستتكم. وذكر القيام والقعود وعلى الجُنوب؛ ليُعَمَّ جميع أحوال الإنسان. وقيل: المعنى: إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قيامًا، فإن لم تقدرُوا فقعودًا، فإن لم تقدرُوا فعلى جنوبكم.

﴿وَإِذَا إِطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة. كِتَابًا مَوْفُوتًا أي: محدودًا بالأوقات. وقال ابن عباس ؓ: فرضًا مفروضًا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أي: لا تضعفوا في طلب الكفار.

﴿إِنْ تَكُونُوا تَالِمُونَ﴾ الآية؛ معناها: إن أصابكم ألمٌ من القتال فكذاك يصيب الكفار ألمٌ مثله، ومع ذلك فإنكم ترجون - إذا قاتلتموهم - النصر في الدنيا، والأجر في الآخرة، وذلك تشجيع للمسلمين.



(١) الكشف (٥/١٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (٧/٤٤٩)، وابن أبي حاتم (١٠٥٧/٤) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؓ.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ ﴿١٤١﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤٢﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٤٣﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٤٤﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٤٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤٦﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤٧﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ إِخْتَلَّ بِهِتْنَانِ وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١٤٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١٤٩﴾

﴿١٤١﴾ ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يريد: بالوحي، أو بالاجتهاد، أو بهما. وإذا تَضَمَّنْتَ الاجتهاد؛ ففيها دليل على إثبات النظر والقياس، خلافاً لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم.

﴿وَلَا تَكُ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في قصة طُعْمَةَ بن الأُبَيْرِق؛ إذ سرق طعاماً وسلاحاً لبعض الأنصار، وجاء قومه إلى النبي ﷺ وقالوا: إنه بريء، ونسبوا السرقة إلى غيره، وظنَّ رسول الله ﷺ أنهم صادقون، فجادل عنهم؛ ليدفع ما تُسبب إليهم، حتى نزل القرآن فافتضحوا<sup>(١)</sup>. فالخائنون في الآية: هم السُّرَّاق بنو الأُبَيْرِق، وقال السهيلي: هم بشرٌ وبُشَيْرٌ ومُبَشَّرٌ وأُسِيرٌ<sup>(٢)</sup>.

ومعناها: لا تكن لأجل الخائنين مخاصماً لغيرهم.

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٣٦) وقال: «حديث غريب»، والحاكم (٨١٦٤) وقال: «صحيح على شرط مسلم»، قتادة بن النعمان رضي الله عنه، وسَمَّى السُّرَّاق فيه: بشر وبشير ومبشر. وأما تسمية السارق بطُعْمَةَ؛ فأخرجها الطبري (٤٦٣/٧) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٨٧.

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي: مِنْ خِصَامِكَ عَنْ الْخَائِنِينَ؛ عَلَى أَنَّهُ ﷺ إِنَّمَا تَكَلَّمَ عَلَى الظَّاهِرِ وَهُوَ يَعْتَقِدُ بَرَاءَتَهُمْ.

﴿إِذْ يَبْتَئُونَ﴾ أي: يُدَبِّرُونَ لَيْلًا، وَإِنَّمَا سُمِّيَ التَّدْبِيرُ قَوْلًا؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ النَّفْسِ، وَرَبَّمَا كَانَ مَعَهُ كَلَامٌ بِاللِّسَانِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ قِيلَ: إِنْ الْخَطِيئَةُ تَكُونُ عَنْ عَمْدٍ وَعَنْ غَيْرِ عَمْدٍ، وَالْإِثْمُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ عَمْدٍ. وَقِيلَ: هُمَا بِمَعْنَى<sup>(٢)</sup>؛ وَكُرِّرَ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظِ.

﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا﴾ كَانَ الْقَوْمُ قَدْ نَسَبُوا السَّرْقَةَ إِلَى لَبِيدِ بْنِ سَهْلٍ.

﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ﴾ هُمُ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَبْرَأُوا ابْنَ الْأُبَيْرِقِ مِنَ السَّرْقَةِ. وَهَذِهِ الْآيَاتُ<sup>(٣)</sup>، وَإِنْ كَانَتْ إِنَّمَا نَزَلَتْ بِسَبَبِ هَذِهِ الْقِصَّةِ؛ فَهِيَ أَيْضًا تَتَضَمَّنُ أَحْكَامَ غَيْرِهَا. وَبَقِيَّةُ الْآيَةِ تَشْرِيفٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَتَقْرِيرٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ.



(١) [التعليق ٤٤] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: لا يوجد عليها ملاحظة.

(٢) في دزيادة: «واحد».

(٣) في ب: «الآية».

\* لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِضْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُضْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٥٨﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿٥٩﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا اتَّخَذَنَّ مِنَ عِبَادِكِ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٦٠﴾ وَلَا ضَلَالَتُهُمْ وَلَا مَنِيَّتُهُمْ وَلَا مَرْتَبَتُهُمْ فَلْيَتَّبِعْكُمُ أَأَنتُمُ الْغَاثُ وَالْغَابِقُ ﴿٦١﴾ فَلْيَعْبُدُوا اللَّهَ حَقَّ عِبَادِهِ حَقَّ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلْيَمْنُوا بِاللَّهِ حَقَّ إِيمَانِهِمْ وَمَا يَخْدَعُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَن أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ فِيلًا ﴿٦٤﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوًّا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ ائْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَفِيرًا ﴿٦٦﴾ وَمَن أَحْسَنَ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿٦٧﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿٦٨﴾

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ إن كانت النجوى هنا بمعنى: الكلام الخفي؛ فالاستثناء الذي بعد هذا منقطع. وقد يكون متصلًا؛ على حذف مضاف تقديره: إلا نجوى من أمر. وإن كانت النجوى بمعنى: الجماعة؛ فالاستثناء متصل.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ أي: يُعَادِيهِ؛ والشقاق: هو العداوة. ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق<sup>(١)</sup>؛ لأنه ارتدَّ وسار إلى المشركين ومات على الكفر، وهي عامة فيه وفي غيره.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استدلل الأصوليون بهذا<sup>(٢)</sup> على صحة إجماع المسلمين، وأنه

(١) تقدم تخريجه في الحديث الذي قبله.

(٢) في ب، د: «بها».

لا تجوز مخالفته؛ لأن من خالفه أتبع غير سبيل المؤمنين. وفي ذلك نظر.

﴿تَوَلَّاهُ مَا تَوَلَّيْ﴾ أي: نتركه مع اختياره الفاسد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ قد تقدّم الكلام على نظيرتها<sup>(١)</sup>.

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا﴾ الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار. ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون. واختلف في الإناث هنا: ف قيل: هي الأصنام؛ لأن العرب كانت تسمي الأصنام بأسماء مؤنثة، كالألات والعزى. وقيل: المراد: الملائكة؛ لقول الكفار: إنهم إناث، وكانوا يعبدونهم؛ فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد. وقيل: المراد: الأصنام؛ لأنها لا تعقل، فيُخبر عنها كما يُخبر عن المؤنث.

﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ يعني: إبليس، وإنما قال: إنهم يعبدونه؛ لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال. والمريد: هو الشديد العتو والاضلال.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ صفة للشيطان.

﴿وَقَالَ لَا تَتَّخِذْ مِنْ عِبَادِي نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾: للشيطان. و﴿مَفْرُوضًا﴾ أي: فرضته لنفسه؛ من قولك: فرض للجند وغيرهم، والمراد بهم: أهل الضلال.

﴿وَلَا مَنِيَّةَ لَهُمْ﴾ أي: أعدهم الأمان الكاذبة.

﴿بَلَيَّتِكُمْ عَادَانِ الْأَنْعَامِ﴾ أي: يقطعونها، والإشارة بذلك إلى البحيرة وشبهها.

﴿بَلَيَّعِزَّرَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ التغير: هو الخِصاء وشبهه؛ وقد رخص جماعة من العلماء في خِصاء البهائم إذا كان فيه منفعة، ومنعه بعضهم؛ لظاهر الآية. وقيل: التغير: هو الوشم وشبهه؛ ويدل على هذا الحديث الذي لعن فيه الواشحات، والمستوشحات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله<sup>(٢)</sup>.

﴿مَجِيصًا﴾ أي: معدلاً ومهرباً.

(١) انظر تفسير الآية (٤٧) من هذه السورة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران: الأول: مؤكَّد للوعد الذي يقتضيه قوله: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾. والثاني: مؤكَّد لـ ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ الآية؛ اسم «ليس» مضمَر؛ تقديره: «الأمر» وشبهه.

والخطاب للمسلمين، وقيل: للمشركين. أي: لا يكون ما تتمنون<sup>(١)</sup>، ولا ما يتمنى أهل الكتاب، بل يحكم الله بين عبادِهِ، ويجازيهم بأعمالهم.

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وعيدٌ حتمٌ في الكفار، ومقيَّدٌ بمشيئة الله في المسلمين.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ دخلت «مِنْ» للتبعض؛ رفقا بالعباد؛ لأن الصالحات على الكمال لا يُطيقها البشر.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تقييدٌ باشتراط الإيمان؛ فإنه لا يقبل عملٌ إلَّا به.

﴿تَفِيرًا﴾ هو النُقْرة التي في ظهر نواة التمرة، والمعنى: تمثيلٌ بأقلِّ الأشياء.

﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: دينَ الإسلام.

﴿حَنِيبًا﴾ حالٌ: مِنَ الْمُتَّبِعِ، أو من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ أي: صَفِيًّا؛ وهو مشتقٌّ مِنَ الْخُلَّةِ بمعنى المودَّة، وفي ذلك تشريفٌ لإبراهيم، وترغيبٌ في أتباعه.



(١) في ب، ج، هـ د: «تتمنون».

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَنَصَّى  
النِّسَاءِ إِلَيْهِ لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَمِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ  
وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٧﴾ وَإِنْ إِمْرَأَةٌ  
خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ  
وَأَخْضِرْتَ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٨﴾ وَلَنْ  
تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا مَا كَالْمُعْلَفَةِ وَإِنْ  
تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٩﴾ \* وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعْيِهِ  
وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ إِتَّقُوا اللَّهَ فَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿٢١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا  
﴿٢٢﴾ إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَأَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿٢٣﴾ مَنْ كَانَ  
يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

﴿١٧﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴿١٧﴾ أي: يسألونك عما يجب عليهم في أمر النساء.

﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ عطف على اسم ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: يُفْتِيكُمْ اللَّهُ والملتو<sup>(١)</sup> في الكتاب؛  
يعني: القرآن.

﴿فِي يَتَنَصَّى النِّسَاءِ إِلَيْهِ لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من  
أقاربه بدون ما تستحقه من الصداق. فقوله: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ يعني: ما تستحقه المرأة من  
الصداق.

وقوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني: لجمالهن ومالهن من غير توفية حقوقهن،  
فنهاهم الله ﷻ عن ذلك في قوله أول السورة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ الآية،  
وهذه هي التي تليت عليهم في يتامى النساء.

(١) في ب، زيادة: «عليكم».



﴿وَالْمُسْتَضْعَيْنِ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ عطفٌ على: ﴿يَتَلَمَّى النِّسَاءُ﴾؛ أي: والذي يُتلى في المستضعفين من الولدان؛ وهو قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾؛ لأن العرب كانت لا تُورثُ البنتَ ولا الابنَ الصغير، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث.

﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ عطفٌ على: ﴿وَالْمُسْتَضْعَيْنِ﴾؛ أي: والذي يُتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط. ويجوز أن يكون منصوباً<sup>(١)</sup>؛ تقديره: ويأمركم أن تقوموا. والخطاب في ذلك: للأولياء والأوصياء، أو للقضاة وشبههم. والذي تلي<sup>(٢)</sup> عليهم في ذلك هو قوله: ﴿لِأُولَئِكَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَا تَاْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]<sup>(٣)</sup> إلى غير ذلك.

﴿وَإِنْ إِمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ معنى الآية: إباحة الصلح بين الزوجين إذا خافت النُّشُوزَ أو الإِعْرَاضَ، وكما يجوز الصلح مع الخوف؛ كذلك يجوز بعد وقوع النُّشُوزِ أو<sup>(٤)</sup> الإِعْرَاضِ. وقد تقدّم معنى النُّشُوزِ<sup>(٥)</sup>، وأما الإِعْرَاضُ فهو أخفُّ منه.

ووجوه الصلح كثيرة؛ منها: أن يعطيها الزوج شيئاً، أو تعطيه هي، أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك. وسبب الآية: أن سودة بنت زمعة لما كبرت خافت أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت له: أمسكني في نسائك ولا تقسم لي، وقد وهبتُ يومي لعائشة<sup>(٦)</sup>.

(١) في زيادة: «بفعل محذوف».

(٢) في د: «يتلى».

(٣) كذا وردت آية البقرة في النسخ الخطية، وليس موضوع هذه الآية النهي عن أكل أموال اليتامى خصوصاً، بل هي أعم من ذلك، فلعلّ مراد ابن جزي رحمه الله آية النساء: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي أَمْوَالُكُمْ﴾ [النساء: ٢]، وهي التي ذكرها ابن عطية في هذا الموضع (٣/ ٣٤).

(٤) في ج، هـ، د: «أو».

(٥) في اللغات (٣٤٦)، وانظر تفسير الآية (٣٤) من هذه السورة.

(٦) أخرجه أبو داود (٢١٣٥)، والحاكم (٢٣٥٣) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٣٤٣٤)، عن عائشة رضي الله عنها. وأخرجه الترمذي (٣٠٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: «حسن صحيح غريب».

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لفظٌ عامٌّ؛ يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما. وقيل: معناه: صلح الزوجين خيرٌ من فراقهما؛ فـ﴿خَيْرٌ﴾ على هذا للتفضيل، واللام في ﴿الصُّلْحِ﴾ للعهد. و﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ معناه: أن الشحَّ يجعل حاضراً مع النفوس لا يغيب عنها؛ لأنها جُبِلت عليه. والشحُّ: هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه. وشحُّ المرأة من (١) هذا: هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع. وشحُّ الزوج: هو منع الصَّدَاق، أو التضييق في النفقة، وزهده في المرأة؛ لكِبَر سنِّها أو قُبْح صورتها.

﴿وَلَسْتَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُعْدِلُوا بَيْنَ الْنِسَاءِ﴾ معناه: العدلُ التامُّ الكامل في الأقوال والأفعال والمحبة وغير ذلك، فرفع الله ذلك عن عباده؛ فإنهم لا يستطيعونه، وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ثم يقول: «اللهم هذا فعلي فيما أملك؛ فلا تؤاخذني فيما» (٢) لا أملك» (٣) يعني: مِثْلُه بقلبه.

وقيل: إن الآية نزلت في مِثْلِه بقلبه ﷺ إلى عائشة (٤).

ومعناها: اعتذارٌ من الله تعالى عن عباده.

﴿بَتَدَرَوْهَا كَالْمُعَلَّفَةِ﴾ أي: لا ذات زوج ولا مطلقة.

﴿وَأَنْ يَتَبَرَّقا﴾ الآية؛ معناها: إن تفرَّق الزوجان بطلاقٍ أغنى الله كلَّ واحد منهما من فضله عن صاحبه، وهذا وعدٌ بخيرٍ وتأنيسٌ.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ الآية؛ إخبارٌ أن الله وصَّى الأولين والآخرين بأن يتقوه.

﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: بقومٍ غيركم، وروي أن النبي ﷺ لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسي، وقال: «هم قوم هذا» (٥).

(١) في د: «على».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «بما»، والمثبت موافق لما في السنن والمسند.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥١١)، وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٣٩٥٣)، وابن ماجه (١٩٧١)، وابن

حبان (٤٢٠٥)، والحاكم (٢٧٦١) وصححه ووافقه الذهبي، عن عائشة ؓ، ورجَّح الترمذي إرساله.

(٤) أخرجه الطبري (٥٧٠/٧)، وابن أبي حاتم (١٠٨٣/٤) عن أبي مليكة.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٨٢/٧).

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ الآية؛ تقتضي الترغيب في طلب ثواب الآخرة؛ لأنه خيرٌ من ثواب الدنيا. وتقتضي -أيضاً- أن يُطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده؛ فإن ذلك بيده لا بيد غيره.

وعلى أحد هذين الوجهين يرتبط الشرطُ بجوابه: فالتقدير على الأول: من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة؛ فعند الله ثواب الدنيا والآخرة. وعلى الثاني: من كان يريد ثواب الدنيا فليطلبه من الله؛ فعنده ثواب الدنيا والآخرة.



يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْفِئْطِ شَهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ  
وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ  
تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ  
كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا  
﴿١٣٨﴾ بَيِّنَ الْمُنَافِقِينَ يَأَنَّ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ  
الْمُؤْمِنِينَ آيْتَتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ \* وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ  
أَيُّ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي  
حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤١﴾  
الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنَ اللَّهِ فَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ  
لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ فَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ يَخْكُمْ بَيْنَكُمْ  
يَوْمَ الْفِتْنَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٢﴾

﴿١٣٦﴾ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْفِئْطِ ﴿١﴾ أي: مجتهدين في إقامة العدل.

﴿شَهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ معناه: لوجه الله ولمرضاته.

﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ يتعلق بـ ﴿شَهَدَاءَ﴾. وشهادة الإنسان على نفسه: هي إقراره بالحق.

ثم ذكر الوالدَيْن والأقربين؛ إذ هم مَظَنَّةٌ للتعصب والميل؛ فإقامة الشهادة على الأجنيين  
من باب أخرى وأولى.

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ جواب «إِنْ» محذوف على الأظهر؛ أي: إن يكن المشهود عليه

غنيًّا فلا يمتنع<sup>(١)</sup> من الشهادة عليه تعظيمًا له، وإن كان فقيرًا فلا يمتنع<sup>(٢)</sup> من الشهادة عليه

إشفاقًا عليه؛ فإن الله أولى بالغني والفقير؛ أي: بالنظر لهما.

(١) في د: «يُمتنع».

(٢) في د: «يُمتنع».

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ «أَنْ» مفعولٌ من أجله، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: مِنَ الْعَدْلِ؛ فالتقدير: إرادة أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النَّاسِ. أَوْ مِنَ الْعُدُولِ؛ فالتقدير: كراهة أَنْ تَعْدِلُوا عَنِ الْحَقِّ.

﴿وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ تَعْرِضُوا﴾ قِيلَ: إِنَّ الْخَطَابَ لِلْحُكَّامِ. وَقِيلَ: لِلشُّهُودِ. وَاللَّفْظُ عَامٌّ فِي الْوَجْهَيْنِ. وَاللَّيْ: هُوَ تَحْرِيفُ الْكَلَامِ. أَيْ: إِنْ تَلَوْتُمْ عَنِ الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ أَوْ عَنِ الشَّهَادَةِ بِالْحَقِّ، أَوْ تُعْرِضُوا عَنْ صَاحِبِ الْحَقِّ، أَوْ عَنِ الْمَشْهُودِ<sup>(١)</sup> لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يُجَازِيكُمْ؛ فَإِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. وَقَرَأَ: ﴿وَإِنْ تَلَوْتُمْ﴾ بضم اللام<sup>(٢)</sup>؛ مِنَ الْوِلَايَةِ؛ أَيْ: إِنْ وَلَّيْتُمْ إِقَامَةَ الشَّهَادَةِ، أَوْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهَا.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ الْآيَةُ؛ خُطَابٌ لِلْمُسْلِمِينَ، مَعْنَاهُ: الْأَمْرُ بِأَنْ يَكُونَ إِيمَانُهُمْ عَلَى الْكَمَالِ بِكُلِّ مَا ذُكِرَ، أَوْ يَكُونَ أَمْرًا بِالذَّوَامِ عَلَى الْإِيمَانِ. وَقِيلَ: خُطَابٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، مَعْنَاهُ: الْأَمْرُ بِأَنْ يُؤْمِنُوا مَعَ ذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. وَقِيلَ: خُطَابٌ لِلْمُنَافِقِينَ، مَعْنَاهُ: الْأَمْرُ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِالسُّتْهِمْ وَقُلُوبِهِمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الْآيَةُ؛ قِيلَ: هِيَ فِي الْمُنَافِقِينَ؛ لِتَرَدُّدِهِمْ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ. وَقِيلَ: فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَنْبِيَائِهِمْ ثُمَّ<sup>(٣)</sup> كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ مِنْ هُنَا فِيهِمْ. وَالْأَظْهَرُ: أَنَّهَا فِيمَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ ارْتَدَّ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْإِيمَانِ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَزَادَ كُفْرًا.

﴿لَمْ يَكُنِ لِلَّهِ لِيَغْيِرَ لَهُمْ﴾ ذَلِكَ فِيمَنْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ يَمُوتُ عَلَى كُفْرِهِ، وَقَدْ يَكُونُ إِضْلَالُهُمْ عِقَابًا لَهُمْ بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الْآيَةُ؛ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا بِأَعْرُضٍ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨] وَغَيْرِهَا. وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى وَجوبِ تَجَنُّبِ أَهْلِ الْمَعَاصِي. وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَعَهُمْ﴾ يَعُودُ عَلَى: مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ.

(١) فِي د: «الشَّهَادَةُ».

(٢) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ بِضَمِّ اللَّامِ وَوَاوُ سَاكِنَةً بَعْدَهَا، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِاسْكَانِ اللَّامِ بَعْدَهَا وَوَاوُ، الْأَوَّلَى مَضْمُومَةٌ وَالثَّانِيَةُ سَاكِنَةٌ.

(٣) فِي د: «و».

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ﴾ صفة للمنافقين؛ أي: ينتظرون بكم دوائر الزمان.  
 ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحمية.  
 ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ قال علي بن أبي طالب عليه السلام وغيره: ذلك في الآخرة<sup>(١)</sup>. وقيل: السبيل هنا: الحجة الغالبة<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه الطبري (٦١٠/٧) والحاكم (٣٢٠٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) كذا في ب، وهامش أ ورمز له بـ«خ» وهو موافق لما في المحرر الوجيز (٤٩/٣)، وفي بقية النسخ: «البالغة».

إِنَّ الْمُتَنَفِّعِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ  
النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١٥﴾ مَذْبَذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ  
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَسَ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١١٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ  
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١١٧﴾ إِنَّ الْمُتَنَفِّعِينَ فِي الدَّرَكِ  
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَسَ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١١٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا  
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٩﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ  
بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٢٠﴾ \* لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ  
مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٢١﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُغَبُّوهُ عَنْ  
سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ  
اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٢٣﴾  
أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٢٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ  
وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٥﴾

﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ ذُكِرَ فِي «البقرة»<sup>(١)</sup>. ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب؛  
لأنَّ وبال خداعهم راجع عليهم<sup>(٢)</sup>.

﴿مَذْبَذِبِينَ﴾ أي: مضطربين مترددين، لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار.

﴿سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أي: حجة ظاهرة.

﴿إِنَّ الْمُتَنَفِّعِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ أي: في الطبقة السفلى من جهنم، وهي سبع طبقات.  
وفي ذلك دليل على أنهم شرُّ من الكفار.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ استثناء من المنافقين، والتوبة هنا: الإيمان الصادق في الظاهر والباطن.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ المعنى: أي حاجة أو منفعة لله بعذابكم وهو الغني عنكم!  
وقدَّم الشكر على الإيمان؛ لأنَّ العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها ثم يؤمن بالمنعم، فكان

(١) انظر تفسير الآية (٨).

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (١٧) و(٣٩) و(٥٨) و(٦٠).

الشكر سبب للإيمان متقدّم عليه<sup>(١)</sup>. ويحتمل أن يكون الشكر يتضمّن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده تأكيداً واهتماماً به. والشاكر اسم الله، ذُكر في «اللغات»<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: إِلَّا جَهَرَ المظلوم، فيجوز له من الجهر: أن يدعو على من ظلمه. وقيل: أن يذكر ما فعل به من الظلم. وقيل: أن يردّ عليه بمثل مظلّمته إن كان شتمه.

﴿لَا تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ الآية؛ ترغيب في فعل الخير سرّاً وعلانية، وفي العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار؛ لأن العفو أحبّ إلى الله من الانتصار، وأكّد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة.

﴿لَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية؛<sup>(٣)</sup> في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم، وكفروا بمحمد ﷺ وغيره.

ومعنى التفريق بين الله ورسوله: الإيمان به والكفر برسوله.

وكذلك التفريق بين الرّسل: هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم، فحكم الله على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيقي الكامل.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ في أمة محمد ﷺ؛ لأنهم آمنوا بالله وجميع رسوله.

(١) [التعليق ٥٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «أي حاجة أو منفعة لله» إلخ ما قاله ﷺ في تفسير هذه الجملة الإنشائية «مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ» = قول صحيح، وهو معنى ما ذكره ابن جرير، ولكن هذا التفسير يحتاج إلى إيضاح؛ ويحصل ذلك بمعرفة أن الخطاب للمنافقين كما يقتضيه السياق، وقد توعدهم الله في أول الآية بالدرك الأسفل من النار، ثم استثنى الذين تابوا واعتصموا بالله، وأخلصوا دينهم لله، فهؤلاء ناجون مع المؤمنين، ومأجورون أجراً عظيماً، ثم أكد نفي العذاب عن التائبين، لأنه تعالى لا يعذب من يعذبه إلا جزاء على السيئات، فمن شكر وآمن فلا يعذبه؛ لعدم قيام سبب العذاب به، فلا يعذب أحداً بغير ذنب، ومعنى ذلك أنه لا يعذب أحداً لحاجته إلى التعذيب، أو لمنفعة تعود إليه تعالى، كلاً؛ فذلك ممتنع؛ لكمال عدله وكمال غناه.

وأما ما علل به تقديم الشكر على الإيمان من أن الشكر وسيلة إلى الإيمان، فالظاهر العكس؛ فإن الإيمان بالله ورسوله أعظم باعث على الشكر، وحيث يمكن أن يقال في تقديم الشكر على الإيمان وإن كان ثمرة للإيمان؛ فإنه يتضمن درجة الكمال من الإيمان، وكمال الإيمان أعلى من مطلق الإيمان، ويؤيد هذا التوجيه قوله تعالى في نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، وقوله ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً» [أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) عن المغيرة ﷺ]، فجعل ﷺ الشكر غاية مطلوبه.

(٢) انظر المادة (٥٤٠) في اللغات.

(٣) في دزيادة: «نزلت».



يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَبَّوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَوَّيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٦﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٧﴾ فَبِمَا تَفَضَّلْتُمْ عَلَيْهِمْ وَكُفِّرْتُمْ بَنَاتِ اللَّهُ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْثِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ فُلُونَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٨﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٩﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ \* وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَهِيَ شَكٌّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٦٠﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦١﴾ وَإِنَّ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٦٢﴾ فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٣﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٤﴾ لَّكِيَ الرَّاكِبُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٥﴾

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية؛ روي أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة<sup>(١)</sup>. وقيل: كتاب إلى فلان، وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله. وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت، فذكر الله سؤالهم من موسى، وسوء أدبهم معه؛ تسلياً للنبي ﷺ بالتأسي بغيره. ثم ذكر أفعالهم القبيحة؛ ليبين أن كفرهم إنما هو عناد، وقد تقدم في «البقرة» ذكر طلبهم للرؤية، واتخاذهم العجل، ورفع الطور فوقهم، واعتدائهم في السبت وغير ذلك مما أشير إليه هنا.

(١) أخرجه الطبري (٦٣٩/٧) عن محمد بن كعب القرظي.

﴿فَبِمَا نَفْسِهِمْ مَيِّتَتْهُمْ﴾ «ما» زائدة؛ للتأكيد، والباء تتعلق بمحذوف؛ تقديره: بسبب نفصهم فَعَلْنَا بهم ما فعلنا. أو تتعلق بقوله: ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ﴾، ويكون ﴿يَبْظُلُّمُ﴾ - على هذا - بدلًا من قوله: ﴿فَبِمَا نَفْسِهِمْ﴾.

﴿بِهَتْنًا عَظِيمًا﴾ هو أن رموا مريم بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد. ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عدّد الله في جملة قبائحهم قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾؛ لأنهم قالوها افتخارًا وجُرأةً مع أنهم كذبوا في ذلك، ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوه؛ لأنهم صلبوا الشخص الذي أُلقيَ شبهه عليه، وهم يعتقدون أنه عيسى.

وروي أن عيسى قال للحواريين: أيكم يُلقَى عليه شَبْهِي فيقتل ويكون رفيقي في الجنة؟ فقال أحدهم: أنا، فألقي عليه شَبْهُ عِيسَى فقتل على أنه عيسى. وقيل: بل دلّ على عيسى يهودي، فألقى الله شَبْهَ عِيسَى على اليهودي، فقتل اليهودي، وُرفِعَ عِيسَى إلى السماء حيًّا، حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجّال.

﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ إن قيل: كيف قالوا فيه ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ وهم يكفرون به ويسبونه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء. والثاني: أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه؛ كأنهم قالوا: رسول الله عندكم أو بزعمكم. والثالث: أنه من قول الله لا من قولهم؛ فيوقف قبله، وفائدته: تعظيم ذنبهم، وتقبيح قولهم: إنا قتلناه.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ردّ عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضًا في قولهم: إنه صلب؛ حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك، والعجب كل العجب من تناقضهم في قولهم: إنه إله أو ابن إله، ثم يقولون: إنه صلب!

﴿وَلَكِنْ شَبَّ لَهُمْ﴾ فيه تأويلان: أحدهما: ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحواري، أو على اليهودي. والآخر: أن معناه: شَبَّ لهم الأمر؛ أي: خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله؛ فإنهم قتلوا رجلًا آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يقربوا منه، حتى تغير بحيث لا يُعرف، وقالوا للناس: هذا عيسى، ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمدين للكذب.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَمَيَّ شَكٌّ مِّنْهُ﴾ روي أنه لما رُفِعَ عِيسَى وألقي شبهه على غيره فقتلوه قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟

فاختلفوا، فقال بعضهم: هو هو، وقال بعضهم: ليس هو، فأجمعوا أن شخصاً قُتل، واختلفوا مَنْ كان.

﴿لَا إِبْتِغَاءَ لِلظَّنِّ﴾ استثناء منقطع؛ لأن العلم بتحقيق الظن تردّد. وقال ابن عطية: هو متصل؛ إذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات<sup>(١)</sup>. فإن قيل: كيف وصفهم بالشك وهو تردّد بين احتمالين على السواء، ثم وصفهم بالظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟

فالجواب: أنهم كانوا على الشك، ثم لاحَ لهم أمارَةٌ فظنّوا. قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup>. وقد يقال الظن بمعنى الشك، وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: ما قتلوه قتلاً يقيناً؛ فأعراب ﴿يَقِينًا﴾ على هذا: صفة لمصدر محذوف. وقيل: هو مصدر في موضع الحال؛ أي: ما قتلوه متيقنين. وقيل: هو تأكيد للنفي الذي في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾؛ أي: تيقن نفي قتله، وهو على هذا منصوبٌ على المصدرية<sup>(٣)</sup>.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى سمائه<sup>(٤)</sup>، وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية<sup>(٥)</sup>.

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾ قبل موته. ﴿فِيهَا تَأْوِيلَانِ﴾ أحدهما: أن الضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ لعيسى، والمعنى: أن كل أحدٍ من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض، قبل أن يموت عيسى، وتصير الأديان كلها حيثنذ ديناً واحداً، وهو دين الإسلام. والثاني: أن الضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ للكتابي الذي تضمّنه قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، التقدير: وإن من أهل الكتاب أحدٌ إلا ليؤمننَّ بعيسى ويعلم أنه نبيٌ قبل أن يموت هذا الإنسان؛ وذلك حين معاينة الموت، وهو إيمانٌ لا ينفعه، وقد روي هذا المعنى

(١) المحرر الوجيز (٣/٦٢)، وعبارته: «إذ الظن والعلم يضمّهما جنسُ أنهما من معتقدات النفس، وقد يقول لظان على طريق التجوز: علمي في الأمر أنه كذا، وهو يعني ظنه».

(٢) الكشاف (٥/٢٢١).

(٣) والمعنى: يخبركم يقيناً، أو يقص عليكم يقيناً. المحرر الوجيز (٣/٦٣).

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٤٠).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) عن أنس رضي الله عنه.

عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره <sup>(١)</sup>.

وفي مصحف أبي بن كعب: «قبل موتهم» <sup>(٢)</sup>، وفي هذه القراءة تقوية للقول الثاني.

والضمير في «به»: لعيسى على الوجهين. وقيل: هو لمحمد ﷺ.

﴿وَبَصَّيْهِمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: بِمَعْنَى الْإِعْرَاضِ؛ فَيَكُونُ «كَثِيرًا» صِفَةً لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ؛ تَقْدِيرُهُ: صَدًّا كَثِيرًا. أَوْ بِمَعْنَى صَدُّهُمْ لغيرهم؛ فَيَكُونُ «كَثِيرًا» مَفْعُولًا بِالصَّدِّ؛ أَي: صَدُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ هُم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَمُخَيَّرِيقٌ، وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُم.

﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَدْحِ بِإِضْمَارِ فَعْلٍ، وَهُوَ جَائِزٌ كَثِيرٌ فِي الْكَلَامِ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: هُوَ مِنْ لَحْنِ كِتَابِ الْمَصْحَفِ <sup>(٣)</sup>.

وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: «والمقيمون» على الأصل.

(١) أخرجه الطبري (٦٦٨/٧)، وابن أبي حاتم (١١١٣/٤)، وسعيد بن منصور في سننه (١٤٢٧/٤).

(٢) تخريجها في الأثر السابق.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٠/٧)، والفراء في معاني القرآن (١٠٦/١) بإسنادهما عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله: «وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ»، وعن قوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ» وعن قوله: «إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ» فقالت: «يا ابن أخي، هذا عمل الكتاب أخطؤوا في الكتاب»، وقال السيوطي في الإتيان (٢٦٩/٢): «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين»، وقال الطبري تعليقاً على هذا الأثر (٦٨٤/٧): «فلو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه = بخلاف ما هو في مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ، مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بالسنتهم، ولقنوه للأمة تعليماً على وجه الصواب، وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوماً أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنّع في ذلك للكاتب»، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤٨/١٥) وما بعدها.

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٣٠﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٣١﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٣٢﴾ \* لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكِ الْكَافِرِ ﴿١٣٣﴾ يَشْهَدُونَ وَكَهَنُ بِاللَّهِ شُهَدَاءُ ﴿١٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ لِلَّهِ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٣٦﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٣٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٣٨﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تُغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفِيهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ إِنَّهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَهَنُ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٩﴾

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية؛ ردُّ على اليهود الذين سألوا من النبي <sup>(١)</sup> أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ، واحتجاج عليهم بأن الذي أتى به وحى، كما أتى مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالوَحْيِ مِنْ غَيْرِ أَنْزَالِ كِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ، ولذلك أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ كَانَ شَأْنُهُمْ هَذَا؛ لِتَقْوَمَ بِهِمُ الْحُجَّةُ.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مضمَر؛ أي: أَرْسَلْنَا رُسُلًا. وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ تصریحٌ بالكلام، مُؤَكَّدٌ بِالمصدر، وذلك دَلِيلٌ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلِ الْمُعْتَزَلَةِ: إِنَّ الشَّجَرَةَ هِيَ الَّتِي كَلَّمَتْ مُوسَى.

(١) فِي أ: «سَالُوا النَّبِيَّ».

﴿رُسُلًا مُبَيِّنِينَ﴾ منصوبٌ: بفعل مضمر<sup>(١)</sup>. أو على البدل.

﴿لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي: بعثهم الله ليقطع حجة من يقول: لو أرسل إليّ رسول لآمنت.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ الآية؛ معناها: أن الله يشهد بأن القرآن من عنده، وكذلك تشهد الملائكة بذلك. وسبب الآية: إنكار اليهود للوحي<sup>(٢)</sup>، فجاء الاستدراك؛ على تقدير أنهم قالوا: لن نشهد بما أنزل إليك، فقيل: لكن الله يشهد بذلك.

وفي الآية من أدوات البيان: الترديد، وهو ذكر الشهادة أولاً، ثم ذكرها في آخر الآية.

﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ في هذا دليل لأهل السنة على إثبات علم الله، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إنه عالم بلا علم، وقد تأولوا الآية بتأويل بعيد.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ خطاب عام؛ لأن النبي ﷺ بُعث إلى جميع الناس.

﴿فَأَمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ انتصب ﴿خَيْرًا﴾ هنا، وفي قوله: ﴿إِنَّتَهُوَ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: بفعل مضمر لا يظهر؛ تقديره: اتوا خيراً لكم. هذا مذهب سيويه. وقال الخليل: انتصب بقوله: ﴿ءَامِنُوا﴾ و﴿إِنَّتَهُوَ﴾ على المعنى. وقال الفراء: فأمنوا إيماناً خيراً لكم؛ فنصبه على النعت لمصدر محذوف. وقال بعض الكوفيين: هو خبر «كان» المحذوفة؛ تقديره: يكن الإيمان خيراً لكم<sup>(٣)</sup>.

(١) فيكون منصوباً على المدح. الكشاف (٥/٢٣٢).

(٢) أخرج الطبري (٧/٦٩٤) والبيهقي في الدلائل (٢/٥٣٥) عن ابن عباس ؓ قال: دخل على رسول الله ﷺ جماعة من يهود فقال لهم: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أي رسول الله فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ الآية.

(٣) ذكر في إعراب هذه الآية أربعة مذاهب، والذي يذكره المفسرون والنحاة هنا ثلاثة مذاهب، ويجعلون مذهب الخليل وسيويه واحداً، وليس متغايرين كما صنع المؤلف ؓ قال ابن يعيش في شرح المفصل للزمخشري (١/٣٩٥): «فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّتَهُوَ خَيْرًا لَّكُمْ﴾، وما كان مثله، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾، فإنه يجوز فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون.. التقدير - والله أعلم - : انتهوا، واتوا خيراً لكم، وآمنوا واتوا خيراً لكم، هذا مذهب سيويه، والخليل..

الثاني: وهو مذهب الكسائي، أنه منصوب لأنه خبر (كان) محذوفة، والتقدير: انتهوا يكن الانتهاء خيراً لكم. =

﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ إِلَهَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو غني عنكم، لا يضره كفركم.  
 ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ هذا خطاب للنصارى؛ لأنهم غلّوا في عيسى حتى كفّروا، فلفظ «أهل الكتاب» عمومٌ يراد به الخصوص في النصارى؛ بدليل ما بعد ذلك. والغلو: هو الإفراط وتجاوز الحد.

﴿وَكَلِمَتُهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: مكوّن عن كلمته التي هي «كن»، من غير واسطة أب ولا نطفة.  
 ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: ذو روح من الله، ف«من» هنا: لابتداء الغاية، والمعنى: من عند الله. وجعله من عند الله؛ لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم.  
 ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ نهي عن التثليث الخبيث، وهو مذهب النصارى. وإعراب ﴿ثَلَاثَةٌ﴾: خبر ابتداءٍ مضمرة<sup>(١)</sup>.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ برهان على تزيهه تعالى عن الولد؛ لأنه مالك كل شيء.



= الثالث: وهو مذهب الفراء، أن يكون «خيّر» متصلاً بالأول ومن جعلته، ويكون صفةً لمصدر محذوف، كأنه قال: انتهوا انتهاء خيراً لكم، وآمنوا إيماناً خيراً لكم. وانظر شرح كتاب سيويه للسيرافي (١٨٠/٢)، والبحر المحيط (٤٨٩/٧).

(١) تقديره: المعبود ثلاثة، أو الإله ثلاثة. المحرر الوجيز (٧٣/٣).

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿٧٧﴾ بَأْمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بَيَّوْقِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٧٨﴾ \*يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿٧٩﴾ بَأْمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٠﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ إِمْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ إِخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا إِثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشَّقَاقُ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٨١﴾

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ لن يأنف. وكذلك <sup>(١)</sup> حيث وقع.

﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فيه دليل لمن قال: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: لَنْ يَسْتَنْكِفَ عَيْسَى وَلَا مَنْ فَوْقَهُ.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾ هو القرآن، وهو أيضًا النور المبين. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْبُرْهَانِ: الدَّلَائِلَ وَالْحُجُجَ، وَبِالنُّورِ: النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ سَمَّاهُ سَرَاجًا.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يَطْلُبُونَ مِنْكَ الْفُتْيَا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْفِعْلُ: طَالِبًا لِلْكَالَةِ، وَ﴿يُفْتِيكُمْ﴾ أيضًا طَالِبًا لَهَا؛ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ الْإِعْمَالِ، وَأَعْمِلُ الْعَامِلُ الثَّانِي عَلَى اخْتِيَارِ الْبَصْرَيْنِ. أَوْ يَكُونُ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ مَقْطُوعًا عَنْ ذَلِكَ؛ فَيُوقَفُ عَلَيْهِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الْكَالَةِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ <sup>(٢)</sup>. وَالْمَرَادُ بِالْأَخْتِ وَالْأَخِ هُنَا: الشَّقَاقُ، وَالَّذِينَ لِلْأَبِ إِذَا عَدِمَ الشَّقَاقُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ حُكْمُ الْإِخْوَةِ لِلْأُمِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ الْآيَةُ.

(١) في دزيادة: «معناه».

(٢) انظر تفسير الآية (١٢).



﴿إِنْ أَمَرُوا هَلَكًا﴾ ارتفع بفعل مضمر عند البصريين<sup>(١)</sup>. ولا إشكال فيما ذُكر هنا من أحكام المواريث.

﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ مفعولٌ من أجله؛ تقديره: كراهة أن تَضِلُّوا.



(١) فلأعراب ﴿أَمَرُوا﴾ فاعل بفعل محذوف، يفسره ما بعده، ولم يُعرب مبتدأ؛ لأن أداة الشرط «إِنْ» مختصة بالجملة الفعلية. أوضح المسالك (٢/ ٧٧).

## سُورَةُ الْمَائِدَةِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۖ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيذَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَفِعُونَ بِضَلَا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضُونًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ \* حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِفَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ يَسُوءُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ بَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا بِاسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَلِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ

﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قيل: إن العقود هنا: ما عقده الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعق وشبه ذلك. وقيل: ما عقده مع ربه من الطاعات، كالحج والصيام وشبه ذلك. وقيل: ما عقده الله عليهم من التحليل والتحريم في دينه؛ ذكر مجملًا ثم فصل بعد ذلك في قوله:

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ﴾ وما بعده.

﴿بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ هي: الإبل والبقر والغنم. وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها.

قال الزمخشري: هي الإضافة التي بمعنى «من»، كخاتم من حديد؛ أي: البهيمة من الأنعام<sup>(١)</sup>. وقيل: هي الوحش؛ كالظباء، وبقر الوحش. والمعروف من كلام العرب: أن الأنعام لا يقع إلا على الإبل والبقر والغنم، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ما عدا الإنسان.

﴿إِلَّا مَا يَنْتَلِي عَلَيْكُمْ﴾ يريد: الميتة وأخواتها.

﴿غَيْرَ مَجْلِيَ الصَّيْدِ﴾ نصب على الحال من الضمير في ﴿لَكُمْ﴾.

﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ حال من ﴿مَجْلِيَ الصَّيْدِ﴾. و﴿حُرْمٌ﴾ جمع حرام؛ وهو المَحْرَم بالحج. فالاستثناء بـ«إلا» من البهائم المحللة، والاستثناء بـ«غير» من القوم المخاطبين.

﴿لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ قيل: هي مناسك الحج؛ كان المشركون يحجّون ويعتَمرون، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم، فقبل لهم: ﴿لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾؛ أي: لا تُغيروا عليهم ولا تصدّوهم. وقيل: هي الحَرَم، وإحلاله: الصيد فيه. وقيل: هي ما يحرم على الحاج من النساء والصَّيد<sup>(٢)</sup> وغير ذلك، وإحلاله: فعله.

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ قيل: هو جنس الأشهر الحُرْم الأربعة؛ وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحِجَّة، والمحرَّم. وقيل: أشهر الحج؛ وهي: شوال، وذو قعدة، وذو الحجة. وإحلالها: هو القتال فيها، وتغيير حالها.

﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ هو ما يُهدى إلى البيت الحرام من الأنعام، ويذبح تقرباً إلى الله، فنهى الله أن يُستحلَّ؛ بأن يُغار عليه، أو يُصدَّ عن البيت.

(١) الكشاف (٥/٢٥٥).

(٢) في ب، د: «والطيب» بدل «والصيد»، وكذا في هامش أ ورمز له بـ«خ».

﴿وَلَا أَفْلَحِيدَ﴾ قيل: هي التي تُعَلَّقُ في أعناق الهدى؛ فنهي عن التعرض لها. وقيل: أراد: ذوات القلائد من الهدى؛ وهي البُدن، وجردَها بالذكر بعد دخولها في الهدى؛ اهتماماً بها وتأكيذاً لأمرها.

﴿وَلَا أَمِينٍ أَلْتَيْتَ الْحَرَامَ﴾ أي: القاصدين إلى البيت لحج أو عمرة، نهى الله عن الإغارة عليهم أو صدّهم عن البيت. ونزلت الآية -على ما قال السهيلي- بسبب الحطيم البكري -واسمه: شريح بن ضبيعة-<sup>(١)</sup>، أخذته خيل رسول الله ﷺ وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر<sup>(٢)</sup>. وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء عام في المسلمين والمشركين، ثم تُسخّ النهي عن قتال المشركين بقوله: ﴿بِأَفْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وبقوله: ﴿فَلَا يَفْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨]، وبقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧].

﴿يَبْتَغُونَ بَقْلاً مِّن رَّيْهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ الفضل: الربح في التجارة، والرضوان: الرحمة<sup>(٣)</sup> في الدنيا أو<sup>(٤)</sup> في الآخرة.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي: إذا حللتكم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم؛ فالأمر هنا بإباحة بإجماع.

(١) الحطيم لقب له، ومعناه: الراعي الذي يسوق ماشيته سوقاً عتيقاً، لقب بذلك لأنه غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة، ثم رجع وأخذ في طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم، فهلك أناسٌ كثير بالعطش، فجعل شريح يسوق بأصحابه سوقاً حثيثاً حتى نجوا ووردوا الماء، فقال فيه رشيد بن رميض العنزي:

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّى زَيْمٌ      قَدْ لَقَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمٌ  
إلى آخر الأبيات. انظر: فوات الوفيات، للصفدي (٨٤/١٦).

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٩١، وأخرج الخبر الطبري (٨/٣١-٣٤) عن السدي وعكرمة، وفيه: أنه أقبل حاجاً قد قلّد وأهدى فأراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه فنزلت هذه الآية.. قال له ناس من أصحابه: يا رسول الله خل بيننا وبينه فإنه صاحبنا، قال: «إنه قد قلّد» قالوا: إنما هو شيء كنا نصنعه في الجاهلية، فأبى عليهم فنزلت هذه الآية.

(٣) في ب، د: «الريح».

(٤) في ب، د: «و».

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ معنى  
 ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لَا يُكْسِبَنَّكُمْ؛ يقال: جَرَّمَ فلَانٌ فلَانًا هذا الأمر: إِذَا أَكْسَبَهُ إِتْيَاهُ وَحَمَلَهُ  
 عليه. والشَنَاٰن: هو البغض والحقد؛ ويقال بفتح النون وإسكانها. و﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ مفعولٌ  
 من أَجَلِه. و﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾. ومعنى الآية: لَا تَحْمِلَنَّكُمْ <sup>(١)</sup> عداوةُ  
 قومٍ على أَن تعتدوا عليهم مِن أَجْلِ أَن صَدُّوكُم عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. ونزلت عام الفتح؛  
 حين ظفِر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أَن يستأصلوهم بالقتل؛ لأنهم كانوا قد صدُّوهم  
 عن المسجد الحرام عامَ الحديبية <sup>(٢)</sup>، فنهاهم الله عن قتلهم؛ لأن الله عَلِمَ أَنهم يؤمنون.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وصيةٌ عامة. والفرق بين البرِّ والتقوى: أَن البرَّ: عامٌّ في فعل  
 الواجبات والمندوبات، وترك المحرمات، وفي كل ما يُقَرَّبُ إِلَى الله، والتقوى: في  
 الواجبات، وترك المحرمات، دونَ فعل المندوبات، فالبرُّ أعم من التقوى.

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الفرق بينهما: أَن الإِثْم: كُلُّ ذَنْبٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ (أو  
 بينه وبين الناس) <sup>(٣)</sup>، والعدوان: على الناس.

﴿حَرِّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ﴾ تقدَّم الكلام عليها في «البقرة» <sup>(٤)</sup>.

﴿وَالْمُنْخِفَّةُ﴾ هي التي تُخَنَّقُ بِحَبْلِ وَشِبْهه.

﴿وَالْمَوْفُوذَةُ﴾ هي المضروبة بعضًا أو حجرٍ وَشِبْهه.

﴿وَالْمَرْدِيَّةُ﴾ هي التي تَسْقُطُ مِنْ جَبَلٍ وَشِبْهه <sup>(٥)</sup>.

(١) في أ، ب، د: «لا تحملكم».

(٢) هكذا أورده ابن عطية في تفسيره (٩٣/٣) بغير إسناد، أنها نزلت عام الفتح، ولم أقف عليه مسندًا بهذا المعنى،  
 وإنما الذي وقفت عليه أنها نزلت بالحديبية، أخرج ابن أبي حاتم - كما عزاه إليه ابن كثير (١٢/٢)، والسيوطي في  
 الدر المنثور (١٦٧/٥)، وهو من القسم المفقود من تفسيره - عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ  
 بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من  
 أهل المشرق، يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم، فأنزل الله هذه الآية.

(٣) سقط من ب، ج، هـ.

(٤) انظر تفسير الآية (١٧٢).

(٥) في ب، د: «وشبه ذلك».

﴿وَالنَّطِيطَةَ﴾ هي التي نطحتها بهيمة أخرى.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ أي: أكل بعضه، والسَّبْعُ: كل حيوان مفترس؛ كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قيل: إنه استثناء منقطع؛ وذلك إذا أريد بالمنخقة وأخواتها: ما مات من الاختناق والوقذ والتردي والنطح وأكل السَّبْع، والمعنى: حُرِّمَتْ عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذكَّيْتُمْ من غيرها فهو حلال.

وهذا القول ضعيف؛ لأنها إذا ماتت بهذه الأسباب فهي ميتة؛ فقد دخلت في عموم الميتة، فلا فائدة لذكرها بعدها. وقيل: إنه استثناء متصل؛ وذلك إن أُريد بالمنخقة وأخواتها: ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته، والمعنى على هذا: إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال.

ثم اختلف أهل هذا القول: هل يشترط أن تكون لم تُنفذ مقاتلها أم لا؟

وأما إذا لم تُشرف على الموت من هذه الأسباب فذكاتها جائزة باتفاق.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ عطف على المحرمات المذكورة. و﴿النُّصُبِ﴾ حجارة كان أهل الجاهلية يُعظمونها ويذبحون عليها، وليست بالأصنام؛ لأن الأصنام مصورة والنُّصُب غير مصورة، وهي الأنصاب، والمفرد: نِصَابٌ. وقد قيل: إن النُّصُب بضمين: مفرد، وجمعه: أنصاب.

﴿وَأَنْ تَسْتَفْسِحُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ عطف على المحرمات أيضاً. والاستقسام: هو طلب ما قُسم له. والأزلام: هي السهام؛ واحدها: زَلَمٌ - بضم الزاي وفتحها -، وكانت ثلاثة قد كُتِبَ على أحدها: «افعل»، وعلى الآخر: «لا تفعل»، والثالث مهمل، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمراً جعلها في خريطة، وأدخل يده وأخرج أحدها، فإن خرج له الذي فيه «افعل» فعل ما أراد، وإن خرج له الذي فيه «لا تفعل» تركه، وإن خرج <sup>(١)</sup> المهمل أعاد الضرب.

(١) في ج، د زيادة: «له».

﴿ذَلِكُمْ يَسْئَلُ﴾ الإشارة إلى تناول المحرمات المذكورة كلها، أو إلى الاستقسام بالأزلام، وإنما حرّمه الله وجعله فسقاً؛ لأنه دخول في علم الغيب الذي انفرد الله به، فهو كالكهانة وغيرها مما يرام به الاطلاع على الغيوب.

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أي: يتسوا أن يغلبوه أو يُطْلوه. ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع<sup>(١)</sup>؛ فذلك هو اليوم المذكور؛ لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين. ويحتمل أن يكون المراد باليوم: الزمان الحاضر، لا اليوم بعينه.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور، أو بتعليم الشرائع، وبيان الحلال والحرام.

﴿بِمَنْ أَضْطَرُّ﴾ راجع إلى المحرمات المذكورة قبل هذا، أباحها الله عند الاضطرار.  
﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعة.

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ هو بمعنى: «غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ» وقد تقدّم في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قام مقام: «فلا جناح عليه»، وتضمن زيادة الوعد.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ سببها: أن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عما يحلّ لهم من المأكّل<sup>(٣)</sup>. وقيل: لما أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب سألوه: ماذا يحلّ لنا من الكلاب؟ فنزلت مبينة للصيد بالكلاب<sup>(٤)</sup>.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ هي عند مالك: الحلال؛ وذلك ما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة. وعند الشافعي: الحلال المستلذ؛ فحرّم كل مستقذر<sup>(٥)</sup> كالخنافس وشبهها؛

(١) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) انظر تفسير الآية (١٧٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، كما عزاه إليه ابن كثير (٣/ ٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٩٢).

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ١٠٠)، والحاكم (٣٢١٢) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٨٨٦٦) عن أبي رافع رضي الله عنه.

(٥) وهذا الذي قال به طائفة من أصحاب أحمد، وهو المذهب عند المتأخرين، أن ما استخبثه العرب فهو

محرم، وما استطابته فهو حلال. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٢٠٦-٢٠٧). وقال شيخ الإسلام

ابن تيمية رحمته الله (الفتاوى ١٩/ ٢٤): «من قال من العلماء: إنه حرم على جميع المسلمين ما تستخبثه العرب

وأحلّ لهم ما تستطيبه، فجمهور العلماء على خلاف هذا القول كمالك وأبي حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه، =

لأنها من الخبائث.

﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ عطفٌ على ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾؛ على حذف مضاف تقديره: وصيدٌ ما عَلَّمْتُمْ. أو: مبتدأ وخبره: ﴿بِكُلِّ مَا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا أحسن؛ لأنه لا حذف فيه. والجوارح: هي الكلاب ونحوها مما يُصَاد به، وسُمِّيَتْ جوارح؛ لأنها كواسِبُ لأهلها، فهو من الجَرَح بمعنى الكسب.

ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب. واختلف فيما سواها: ومذهب الجمهور: الجواز؛ للأحاديث الواردة في البُرَاة وغيرها<sup>(١)</sup>. ومنع بعضهم ذلك؛ لقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾؛ فإنه مشتقٌ من الكلب. ونزلت الآية بسبب عدي بن حاتم رضي الله عنه؛ فإنه كان له كلاب يصطاد بها، فسأل رسول الله ﷺ عما يحل من الصيد<sup>(٢)</sup>.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي: معلِّمين للكلاب<sup>(٣)</sup> الاصطياد. وقيل: معناه: أصحاب كلاب. وهو منصوبٌ على الحال من ضمير الفاعل في ﴿عَلَّمْتُمْ﴾. ويقتضي قوله: ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ و﴿مُكَلِّبِينَ﴾: أنه لا يجوز الصيد إلا بجراح معلِّم؛ لقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ ولقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ على القول الأول، ولتأكيد ذلك بقوله: ﴿تَعَلَّمُونَهُنَّ﴾.

= ولكن الخرقى وطائفة منهم وافقوا الشافعي على هذا القول، وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحرير لا يتعلق باستطابة العرب ولا باستخبائهم؛ بل كانوا يستطيعون أشياء حرمها الله؛ كالدم والميتة؛ والمنخقة والموقودة؛ والمتردية والنطيحة؛ وأكلة السبع؛ وما أهل به لغير الله وكانوا - بل خيارهم - يكرهون أشياء لم يحرمها الله حتى لحم الضب كان النبي ﷺ وقال: «لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه» وقال مع هذا: «إنه ليس بمحرم» وأكل على مائدته وهو ينظر وقال فيه: «لا آكله ولا أحرمه»، وقال جمهور العلماء: الطيبات التي أحلها الله ما كان نافعا لآكله في دينه والخبيث ما كان ضارا له في دينه، وقال - أيضا - (الفتاوى ١٧/ ١٨٠): «الطيبات التي أباحها هي المطاعم النافعة للعقول والأخلاق، والخبائث هي الضارة للعقول والأخلاق».

(١) عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي، فقال: «ما أمسك عليك فكل». أخرجه الترمذي (١٤٦٧) واللفظ له، وأبو داود (٢٨٥١)، وأحمد (١٨٢٥٨)، والبيهقي (١٨٨٨٥)، وقال: «ذكر البازي في هذه الرواية لم يأت به الحفاظ الذين قدمنا ذكرهم عن الشعبي وإنما أتى به مجالده».

(٢) أخرج الطبري (١٠٨/ ٨) عن عدي بن حاتم الطائي قال: أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له، حتى نزلت هذه الآية: ﴿تَعَلَّمُونَهُنَّ﴾ مما علمكم الله.

(٣) في ج، د: «معلمين للكلاب».



وَحَدُّ التَّعْلِيمِ: عِنْدَ ابْنِ الْقَاسِمِ: أَنْ يَفْهَمَ الْجَارِحُ الْإِسَادَ<sup>(١)</sup> وَالزَّجَرَ. وَقِيلَ: الْإِسَادُ خَاصَّةٌ. وَقِيلَ: الزَّجَرُ خَاصَّةٌ. وَقِيلَ: أَنْ يُجِيبَ إِذَا دُعِيَ.

﴿تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ أَي: تَعْلَمُونَهُنَّ مِنَ الْحِيلَةِ فِي الْإِصْطِيَادِ وَتَأْتِي تَحْصِيلَ الصَّيْدِ، وَهَذَا جُزْءٌ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ الْإِنْسَانَ؛ فَ«مِنْ» لِلتَّبْعِيضِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لابتداء الغاية. وَالْجُمْلَةُ: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَوْ اسْتِثْنَاءٍ.

﴿بَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الْأَمْرُ هُنَا إِبَاحَةٌ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ: مِمَّا أَمْسَكَ سِوَاءَ أَكَلِ الْجَوَارِحِ مِنْهُ أَوْ لَمْ تَأْكُلْ، وَهُوَ ظَاهِرٌ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ، وَبِذَلِكَ أَخَذَ مَالِكٌ<sup>(٢)</sup>. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ: مِمَّا أَمْسَكَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ؛ وَبِذَلِكَ فَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «إِنْ أَكَلَ مِنْهُ فَلَا تَأْكُلْ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ»<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ أَخَذَ بِهَذَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ<sup>(٤)</sup>. وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِذَا أَكَلَ فَكُلْ»<sup>(٥)</sup>، وَهُوَ حُجَّةٌ لِمَالِكٍ.

﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هَذَا أَمْرٌ بِالتَّسْمِيَةِ عَلَى الصَّيْدِ، وَيَجْرِي الذَّبْحُ مَجْرَاهُ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حُكْمِ التَّسْمِيَةِ: فَقَالَ الظَّاهِرِيُّ<sup>(٦)</sup>: إِنَّهَا وَاجِبَةٌ؛ حَمَلًا لِلأَمْرِ عَلَى الْوُجُوبِ، فَإِنْ تَرَكْتَ التَّسْمِيَةَ عَمْدًا أَوْ نِسْيَانًا، لَمْ تَوْكُلْ عِنْدَهُمْ.

(١) فِي هَذَا فِي الْمَوْضِعِ التَّالِي: «الْإِشْلَاءُ». قَالَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (٣٨/٤): «وَأَسَدَ الْكَلْبَ بِالصَّيْدِ إِسَادًا: هَيَّجَهُ وَأَغْرَاهُ، وَأَشْلَاهُ: دَعَاهُ»، وَقَالَ الْإِمَامُ ثَعْلَبٌ فِي كِتَابِ الْفَصِيحِ (ص ١٥٥): «وَتَقُولُ: أَشْلَيْتُ الْكَلْبَ وَغَيْرَهُ: إِذَا دَعَوْتَهُ إِلَيْكَ. وَقَوْلُ النَّاسِ: أَشْلَيْتُهُ عَلَى الصَّيْدِ خَطَأٌ. فَإِنْ أَرَدْتَ ذَلِكَ قُلْتَ: أَسَدْتُهُ عَلَى الصَّيْدِ، وَأَوَسَدْتُهُ». انْظُرْ: التَّلْوِيحُ فِي شَرْحِ الْفَصِيحِ، لِلْهَرَوِيِّ (ص: ٩٨).

(٢) وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَإِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ. الْمَقْنَعُ مَعَ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ وَالْإِنْصَافِ (٣٩٤-٣٩٢/٢٧).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٧٥)، وَمُسْلِمٌ (١٩٢٩).

(٤) فَيَحْرُمُ الْأَكْلَ مِمَّا أَكَلَ مِنْهُ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالْقَوْلُ الْآخَرُ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَأَصَحُّ الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ، وَهِيَ الْمَذْهَبُ، وَهَذَا فِيمَا يَصِيدُ بَنَابَهُ، كَالْكَلْبِ. وَأَمَّا مَا يَصِيدُ بِمَخْلَبٍ، كَالصَّقْرِ، فَمَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ إِبَاحَةَ صَيْدِهِ وَإِنْ أَكَلَ مِنْهُ، خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ. الْمَقْنَعُ مَعَ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ وَالْإِنْصَافِ (٣٩٨-٣٩٢/٢٧).

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦٧٢٥) وَأَبُو دَاوُدَ (٢٨٥٧)، وَالدَّارِقُطْنِيُّ (٤٧٩٧)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١٨٨٨٤) مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ ابْنُ عَبْدِ الْهَادِي فِي التَّنْقِيحِ (٦٢٧/٤)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٢١/٣)، وَابْنُ الْمَلْقَنِ فِي الْبَدْرِ الْمُنِيرِ (٢٤١/٩)، وَأَعْلَى الْبَيْهَقِيِّ.

(٦) وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ أَحْمَدَ. الْمَقْنَعُ مَعَ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ وَالْإِنْصَافِ (٤١٦/٢٧).

وقال الشافعي: إنها مستحبة؛ حملاً للأمر على الندب، وتوكل عنده؛ سواءً تركت التسمية عمداً أو نسياناً. وجعل بعضهم الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائداً على الأكل؛ فليس فيها -على هذا- أمرٌ بالتسمية على الصيد.

ومذهب مالك<sup>(١)</sup> أنه: إن تركت التسمية عمداً لم تؤكل، وإن تركت نسياناً أكلت؛ فهي عنده واجبةٌ مع الذكر، ساقطةٌ مع النسيان.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ معنى ﴿حِلٌّ﴾: حلالٌ، و﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هم اليهود والنصارى. واختلف في نصارى بني تغلب من العرب، وفيمن كان مسلماً ثم ارتدَّ إلى اليهودية أو النصرانية هل يحلُّ لنا طعامهم أم لا؟ ولفظ الآية يقتضي الجواز؛ لأنهم من أهل الكتاب. واختلف في المجوس والصابئين هل هم أهل كتاب أم لا؟

وأما الطعام؛ فهو على ثلاثة أقسام: أحدها: الذبائح؛ وقد اتفق العلماء على أنها مُراد في الآية، فأجازوا أكل ذبائح اليهود والنصارى. واختلفوا فيما هو محرَّم عليهم في دينهم، هل يحلُّ لنا أم لا؟ على ثلاثة أقوال: الجواز، والمنع، والكراهة. وهذا الاختلاف مبنيٌّ على: هل هو من طعامهم أم لا؟ فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه: جاز. وإن أريد به ما يحلُّ لهم: مُنِع. والكراهة توسُّطٌ بين القولين.

القسم الثاني: ما لا محاولة لهم فيه؛ كالقمح والفاكهة، فهو جائز لنا باتفاقٍ.

والثالث: ما فيه محاولة؛ كالخبز، وتَعَصِيرُ الزَّيْتِ، وَعَقْدُ الْجُبْنِ، وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه: فمنعه ابن عباس؛ لأنه رأى أن طعامهم هو الذبائح خاصة<sup>(٢)</sup>، ولأنه يمكن أن يكون نجساً. وأجازه الجمهور؛ لأنهم رأوه داخلاً في طعامهم.

(١) وهو مذهب أبي حنيفة، ورواية عن أحمد نقلها حنبل، وقال الخلال: سها حنبل في نقله. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٧/٤١٦).

(٢) أخرجه الطبري (٨/١٣٦).

وهذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملاً، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة فلا يجوز أصلاً، وقد صنف الطرطوشي<sup>(١)</sup> في تحريم جبن النصارى، وقال: إنه يُنَجَّس البائع والمشتري والآلة؛ لأنهم يُعَقِّدُونَهُ بِإِنْفَحَةٍ<sup>(٢)</sup> الميتة<sup>(٣)</sup>. ويجري مجرى ذلك الزيت إذا عَلِمْنَا أنهم يجعلونه في ظروف الميتة.

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ هذه إباحة للمسلمين أن يُطْعِمُوا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ طَعَامِهِمْ.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ عطف على الطعام المحلل. وقد تقدّم أن الإحصان له أربعة معان: الإسلام، والتزوّج، والعِفَّة، والحرية. فأما الإسلام فلا يصحُّ هنا؛ لقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أَتَوْا الْكِتَابَ﴾. وأما التزوّج فلا يصحُّ أيضاً؛ لأن ذات الزوج لا تحلُّ لغيره. ويَحْتَمِلُ هنا: العِفَّة والحرية. فَمَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْعِفَّة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو أمة. ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة، وهو مذهب مالك<sup>(٤)</sup>. ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ٢١٩]؛ لأن هذه في الكتابيات، والأخرى في المشركين من العرب. وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك. وقيل بالعكس. وقد تقدّم معنى: ﴿بَنَاتُهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤]، ومعنى الأخدان<sup>(٥)</sup>.



(١) هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي نسبة إلى بلدة طرطوشة بالأندلس، الفقيه المالكي، توفي بالاسكندرية سنة (٥٢٠هـ). انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ٢٤٤).

(٢) قال في «القاموس»: «الْإِنْفَحَةُ بكسر الهمزة، وقد تشدد الحاء، وقد تكسر الفاء: شيءٌ يُسْتَخْرَجُ مِنْ بطن الجذّي الرضيع، أصفر، فيُعَصَّرُ في صوفة، فيغلظ كالجبين».

(٣) انظر: رسالة في تحريم الجبن الرومي، تحقيق: عبد المجيد التركي، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة (١٤١٧هـ)، صفحة (١٣١).

(٤) والشافعي وأحمد، خلافاً لأبي حنيفة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ٣٥٥-٣٥٦).

(٥) انظر تفسير الآية (٢٥) من سورة النساء.

\*يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا فُتِنْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ  
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ  
مَرْضًى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً  
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَاَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ  
حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾ وَادْكُرُوا  
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الِّذِي وَاتَّقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا  
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا إْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ  
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا  
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا فُتِنْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ نزلت في غزوة المريسيع، حين انقطع<sup>(١)</sup>  
عقد عائشة ؓ، فأقام الناس على التماسه وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فنزلت  
الرخصة في التيمم، فقال أسيد بن حضير: ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر<sup>(٢)</sup>، ولذلك  
سُميت الآية آية التيمم، وقد كان الوضوء مشروعاً قبلها، ثابتاً بالسنة.

وقوله: ﴿إِذَا فُتِنْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ معناه: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا. ويقتضي  
ظاهرها: وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة<sup>(٣)</sup>.  
ومذهب الجمهور: أنه لا يجب، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال:

(١) في د: «تلف».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٢)، ومسلم (٣٦٧).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٣١٦).

الأول: أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله ﷺ؛ إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد<sup>(١)</sup>.

والثاني: أن ما تقتضيه الآية من التجديد يُحمّل على الندب.

والثالث: أن تقديرها: إذا قمتم مُحدثين؛ فإنما يجب على من أحدث.

والرابع: أن تقديرها: إذا قمتم من النوم.

﴿بَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ذكر في هذه الآية أربعة أعضاء: اثنين محدودين؛ وهما اليدين والرجلان. واثنين غير محدودين؛ وهما الوجه والرأس. فأما المحدودان: فتُغسل اليدين إلى المرفقين، والرجلان إلى الكعبين وجوباً بإجماع؛ فإن ذلك هو الحد الذي جعل الله لهما.

واختلف: هل يجب غسل المرفقين مع اليدين، وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا؟ وذلك مبني على معنى «إلى»: فمن جعل «إلى» بمعنى «مع» في قوله: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ و﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أوجب غسلهما. ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما.

واختلف في الكعبين؛ هل هما اللذان عند معقد الشراك؟ أو العظمان النائتان في طرف الساق؟ وهو أظهر؛ لأنه ذكرهما بلفظ الثنية، ولو كانا اللذان<sup>(٢)</sup> عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق؛ لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد.

وأما غير المحدودين: فاتفق على وجوب إيعاب الوجه.

وحده طويلاً: من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية، وحده عرضاً: من الأذن إلى الأذن، وقيل: من العذار إلى العذار<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٧) عن بريدة بن الحصيب.

(٢) كذا في النسخ الخطية: «اللذان» على الرفع، مع أن الأصل أن تكون منصوبة «اللذين» لكونها خبر كان، ولكن يمكن حمل ذلك على أن «كان» ملغاة لا عمل لها، وهو مذهب الكسائي وابن الطراوة. انظر: شرح التسهيل لأبي حيان (٤/٢٥٠).

(٣) العذار: هو الشعر النابت على العظم الناتئ المحاذي لصماخ الأذن. تاج العروس (١٢/٥٤٧).

وأما الرأس: فمذهب مالك<sup>(١)</sup>: وجوب إيعابه؛ كالوجه.

ومذهب كثير من العلماء<sup>(٢)</sup>: جواز الاختصار على بعضه؛ لما ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ مسح على ناصيته<sup>(٣)</sup>. ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يُجزئ على أقوال كثيرة.

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ اختلف في هذه الباء: فقال قوم: إنها للتبعية؛ وبنوا على ذلك: جواز مسح بعض الرأس.

وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية. وقال القرافي: إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات، وإن المعنى: امسحوا أيديكم برؤوسكم<sup>(٤)</sup>. وهذا ضعيف؛ لأن الرأس على هذا ماسح لا ممسوح، وذلك خلاف المقصود.

وقيل: إنها زائدة. وهو ضعيف؛ لأن هذا ليس موضع زيادتها.

والصحيح عندي: أنها باء الإلصاق التي تُوصل الفعل إلى مفعوله؛ لأن المسح يتعدى تارة بنفسه، وتارة بحرف الجر؛ كقوله: ﴿بِأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾، وكقوله: ﴿بَطَهَقَ مَسْحًا بِالسُّوِي وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٢].

﴿وَأَرْجَلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قرئ: ﴿وَأَرْجَلَكُمْ﴾ بالنصب<sup>(٥)</sup>؛ عطفاً على الوجوه<sup>(٦)</sup> والأيدي، فيقتضي ذلك: وجوب غسل الرجلين.

وقرئ بالخفض: فحمله بعضهم على أنه عطف على قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، فأجاز مسح الرجلين، روي ذلك عن ابن عباس<sup>(٧)</sup>.

(١) وأحمد.

(٢) وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي. المنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١/ ٣٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٤) انظر: شرح تنقيح الفصول، للقرافي (ص: ١٠٤).

(٥) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والكسائي بالنصب، وقرأ الباقر بالخفض.

(٦) في ب، ج، هـ: «الوجه».

(٧) أخرجه الطبري (٨/ ١٩٥) عنه رضي الله عنه قال: «الوضوء غسلتان ومسحتان»، وانظر كلام ابن كثير في تفسيره عنه (٣/ ٥٢).

وقال الجمهور: لا يجوز مسحهما، بل يجب غسلهما، وتأولوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه خفض على الجوار، لا على العطف.

والآخر: أنه يراد به المسح على الخفين. والثالث: أن ذلك منسوخ بالسنة.

والفرق بين الغسل والمسح:

أن المسح: إمرار اليدين بالبلل الذي يبقى من الماء.

والغسل: عند مالك: إمرار اليد بالماء، وعند الشافعي<sup>(١)</sup>: إمرار الماء، وإن لم يذلك باليد.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في «النساء»<sup>(٢)</sup>.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: من ضيق ولا مشقة؛ كقول رسول الله ﷺ: «دين الله يسر»<sup>(٣)</sup>. وبقية الآية تفضل من الله على عباده ورحمة، وفي ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها.

﴿وَمِثْلَهُ لَذَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ هو ما وقع في بيعة العقبة، وبيعة الرضوان، وكل موطن قال المسلمون فيه: سمعنا وأطعنا.

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في «النساء»<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم.

﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ في سببها أربعة أقوال: الأول: أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير من اليهود، فهموا أن يصبوا عليه صخرة يقتلونه بها، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان<sup>(٥)</sup>، ويقوي هذا القول: ما ورد من الآيات بعد هذا في غدر اليهود.

(١) وأبي حنيفة وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٣١/٢).

(٢) انظر تفسير الآية (٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩) عن أبي هريرة ؓ، ولفظه: «إن الدين يسر».

(٤) انظر تفسير الآية (١٣٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢٨-٢٣١) عن مجاهد وعكرمة وغير واحد، وأخرجه أبو نعيم في دلائل

النبوة (٤٨٩/١) عن ابن عباس ؓ.

- الثاني: أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سَلَّ السيف على رسول الله ﷺ حين وجده في سفر وهو وحده، وقال له: من يمنعك مني؟ قال: «الله»، فأغمد السيف وجلس<sup>(١)</sup>. واسمه: غُورثُ بن الحارث الغطفاني.
- الثالث: أنها فيما همَّ به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف<sup>(٢)</sup>.
- الرابع: أنها على الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين.



(١) أخرجه الطبري (٢٣٢/٨) عن قتادة، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٤٨٩/١) عن الحسن عن جابر رضي الله عنه، وأصل القصة في الصحيحين - البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣) - بدون ذكر سبب النزول.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣٢/٨) عن قتادة.



\* وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٣﴾ فَبِمَا نَفْسُهِمْ مِيْلَتَهُمْ لَعْنَهُمُ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآيِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ بَاغُوا عَنْهُمْ وَأَصْبَحَ لَكَ اللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْبَهُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿١٦﴾ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٨﴾ \* وَلَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَآمَنَةٌ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾

﴿١٣﴾ «إِثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا» النقيب: هو كبير القوم القائم بأمورهم.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بنصري. والخطاب: لبني إسرائيل، وقيل: للنقباء.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ اختلف: هل أريد تحريف الألفاظ أو المعاني؟

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآيِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ أي: على خيانه؛ فهو مصدر كالعاقبة. وقيل: على طائفة خائنة. وهو إخبار بامرٍ مستقبل.

﴿بَاعَفْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف والجزية.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ أي: ادَّعوا أنهم أنصار الله، وسَمَّوا أنفسهم بذلك، ثم كفروا بالله، ووصفوه بما لا يليق به. ويتعلق<sup>(١)</sup> ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بـ﴿أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾، والضمير عائد على النصاري.

﴿وَبَاغَرَيْنَا﴾ أي: أثبتنا وألصقنا؛ وهو مأخوذ من الغراء.

﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ في الموضعين: يعمُّ اليهود والنصارى. وقيل: إنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة؛ فإنهم كانوا يذكرون رسول الله ﷺ ويصفونه بصفته، فلما حلَّ بالمدينة كفروا به<sup>(٢)</sup>.

﴿فَدَجَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني: محمداً ﷺ، وفي الآية دلالة على صحة نبوته؛ لأنه بين لهم ما أخفوه مما في كتبهم، وهو أمِّي لم يقرأ كتبهم.

﴿وَيَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي: يتركه ولا يفضحهم فيه.

﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ محمد ﷺ، والقرآن.

﴿قُلْ مَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ الآية؛ ردُّ على الذين قالوا: إن الله هو عيسى، وهم فرقة من النصاري.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ إشارة إلى خَلْقِهِ<sup>(٣)</sup> عيسى من غير والد.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ﴾ أي: قالت كل فرقة عن نفسها: إنهم أبناء الله وأحبَّاءه. والبُتَّةُ هنا: بُنوة الحنان والرأفة. وقال الزمخشري: المعنى: نحن أشياع أبناء الله -عندهم-، وهما المسيح وعُزير، كما يقول حشم الملوك: نحن الملوك<sup>(٤)</sup>.

(١) في أ، ب، د: «وتتعلق».

(٢) أخرجه الطبري (٢٧٣/٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٣٥/٢) عن ابن عباس ؓ.

(٣) في ب: «خَلْقِهِ».

(٤) الكشاف (٣١٧/٥).

﴿قَلِمَ يَعَذِّبُكُمْ﴾ رَدُّ عَلَيْهِمْ؛ لَأَنَّهُمْ قَدْ اعْتَرَفُوا أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ النَّارَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ. وَقَدْ أَخَذَ الصُّوفِيَةُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الْمُحِبَّ لَا يَعَذِّبُ حَبِيبَهُ<sup>(١)</sup>، فَفِي ذَلِكَ بَشَارَةٌ لِمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ.



(١) قَالَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الشُّبْلِيُّ الصُّوفِيُّ لِابْنِ مُجَاهِدٍ الْمَقْرئِ فِي مُحَادَثَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُمَا فِي مَجْلِسٍ، أَوْرَدَهَا الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ بِإِسْنَادِهِ فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ (١٦/ ٥٦٧)، وَابْنُ الصَّلَاحِ فِي طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ (١/ ٤٨٩)، وَفِيهَا -كَمَا عِنْدَ الْخَطِيبِ-: «ثُمَّ قَالَ [الشُّبْلِيُّ] لَهُ [أَيُّ: لِابْنِ مُجَاهِدٍ]: قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ أَنَّكَ مَقْرئُ الْوَقْتِ، أَيْنَ فِي الْقُرْآنِ الْحَبِيبُ لَا يَعَذِّبُ حَبِيبَهُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ ابْنُ مُجَاهِدٍ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: قُلْ يَا أَبَا بَكْرٍ، قَالَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، فَقَالَ ابْنُ مُجَاهِدٍ: كَأَنِّي مَا سَمِعْتُهَا قَطُّ!».

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ لِذِكْرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُم مَّلُوكًا وَءَاتَايَكُم مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ يَتَقَوْمِ لِادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَذْبُرِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٢﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ رَجُلِي مَنِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ دَرْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾

﴿وَجَعَلَ لَكُم مَّلُوكًا﴾ قيل: جعل منكم ملوكًا؛ أي: أمراء. وقيل: الملك: من له مسكنٌ وامرأة وخادم.

﴿مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ قيل: يعني: المن والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات، وعلى هذا: يكون ﴿الْعَالَمِينَ﴾ خاصًا بأهل زمانهم؛ لأن أمة محمد ﷺ قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم.

وقيل: المراد: كثرة الأنبياء، فعلى هذا: يكون عامًا؛ لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم.

﴿الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ﴾ أرض بيت المقدس، وقيل: الطور، وقيل: دمشق.

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: قضى أن تكون لكم.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَذْبُرِكُمْ﴾ يحتمل أن يريد: الارتداد عن الدين والطاعة. أو الرجوع إلى الطريق الذي جاؤوا منه؛ فإنه رُوي أنه لما أمرهم موسى ﷺ بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها، وهموا أن يُقدِّموا على أنفسهم رئيسًا ويرجعوا إلى مصر.

﴿فَوَمَّا جَبَّارِينَ﴾ هم العمالقة.

﴿قَالَ رَجُلٌ﴾ هما: يوشع وكالب.

﴿يَخَافُونَ﴾ أي: يخافون الله. وقيل: يخافون الجبارين، ولكن الله أنعم عليهم بالصبر والثبوت؛ لصدق إيمانهما.

﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ أي: باب المدينة.

﴿فَإِذْ هَبَّ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ إفراطٌ في العصيانِ وسوءِ الأدبِ بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله ﷺ: لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون! (١).

﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ قاله موسى ﷺ؛ ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل، ويبدل جهده في طاعة الله، ويعتذر إلى الله. وإعراب ﴿أَخِي﴾: عطفٌ على ﴿نَفْسِي﴾؛ لأن أخاه هارون كان يُطيعه. وقيل: عطفٌ على الضمير في ﴿أَمْلِكُ﴾؛ أي: لا أملك أنا إلا نفسي، ولا يملك أخي إلا نفسه. وقيل: مبتدأ، وخبره محذوف؛ أي: أخي لا يملك إلا نفسه.

﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا﴾ أي: فارق بيننا وبينهم؛ فهو من الفرقة، وقيل: افصل بيننا وبينهم بحكم.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لله تعالى. وحرّم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة، وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض؛ أي: في أرض التّيه -وهو ما بين مصر والشام-، حتى مات كلُّ من قال: «إنّا لن ندخلها»، ولم يدخلها أحدٌ من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب، ومات هارون في التّيه، ومات موسى بعده في التّيه أيضًا.

وقيل: إن موسى وهارون لم يكونا في التّيه؛ لقوله: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة، وقاتل الجبارين، وفتح المدينة. والعامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾: ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ على الأصح؛ فيجب وصله معه. وقيل: العامل فيه: ﴿يَتِيهُونَ﴾،

(١) قاله المقداد بن الأسود ؓ يوم بدر. أخرجه البخاري (٣٩٥٢)، (٤٦٠٩).

فعلى هذا يجوز الوقف على قوله: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾، وهذا ضعيف؛ لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا، مع أن القول الأول أكمل معنى؛ لأنه بيان لمدة التحريم والتية.

﴿يَتِيَهُونَ﴾ أي: يتحيرون، وروي أنهم كانوا يسرون الليل كله، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه.

﴿فَلَا تَأْسَ﴾ أي: لا تحزن، والخطاب: لموسى عليه السلام، وقيل: لمحمد ﷺ، ويراد به ﴿الْبَلْسَفِينَ﴾: من كان في عصره من اليهود.



وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٦﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِكَ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ بَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٩﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوزِنُ بَيْنِي وَأَعَجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٦٠﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا \* وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٣﴾

﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ هما قابيل وهابيل.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ روي أن قابيل كان صاحب زرع فقرب أرذل زرعه، وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلي، فإذا نزلت نارٌ من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول وإلا فلا قبول، فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعت، وتركت زرع قابيل، فحسده قابيل فقتله<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ استدلل بها المعتزلة وغيرهم على أن العاصي لا يتقبل عمله. وتأولها الأشعرية: بأن التقوى هنا يراد بها: تقوى الشرك<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣١٩) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

(٢) [التعليق ٤٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك، قوله: «استدلل بها المعتزلة...»، إلخ: أقول: ذكر المؤلف قول المعتزلة وقول الأشاعرة، وظاهر كلامه: أنه يرد قول المعتزلة، ويرضى قول الأشاعرة. وقول المعتزلة ظاهر الفساد؛ لأنه مبني على أن العاصي عندهم ليس بمؤمن، وشرط قبول العمل: الإيمان. وأما قول الأشاعرة: فصحيح من جهة أن الشرك يحبط العمل.

﴿لَيْسَ بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ الآية؛ قيل: معناها: لئن بدأتني بالقتل لم أبدأك به.

وقيل: لئن بدأتني بالقتل لم أداغك، ثم اختلف على هذا القول: هل تركه لدفاعه عن نفسه تورع<sup>(١)</sup> وفضيلة؟ وهو الأظهر والأشهر. أو كان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه؟ وهو قول مجاهد<sup>(٢)</sup>. وأما في شرعنا: فيجوز دفع الإنسان عن نفسه؛ بل يجب.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة، وإنما هو تخيير في أهون الشرين؛ كأنه قال: إن قتلتنني فذلك أحب إلي من أن أقتلك، كما ورد في الأثر: «كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل»<sup>(٣)</sup>.

وأما قوله: ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ فمعناه: بإثم قتلي لك لو قتلتك، وبإثم قتلك لي، وإنما تحمّل القاتل الإثمين؛ لأنه ظالم، فذلك مثل قوله ﷺ: «المستبأن ما قالاهو على البادئ»<sup>(٤)</sup>.

وقيل: ﴿بِإِثْمِي﴾ أي: تحمّل عني سائر ذنوبي؛ لأن الظالم تجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم، ﴿وَإِثْمِكَ﴾ أي: في قتلك لي، وفي غير ذلك من ذنوبك.

﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من كلام هابيل، أو استئنافا من كلام الله تعالى.

= لكن هذا القول يقتضي أن من لم يكن مشركا، فالله يقبل عمله مطلقا.

وليس هذا بمستقيم؛ فإن المؤمن الموحد قد يعرض له في العمل ما يبطئه؛ كالرياء، والمن والأذى في الصدقة، ومخالفة السنة.

ومن الخطأ في فهم الآية: ظن بعض الناس أن المراد أن الله لا يقبل إلا من تقى فاعل للمأمورات، تارك للمعاصي؛ وهذا يؤول إلى قول المعتزلة.

والصواب في الآية: أن الله لا يقبل إلا ممن اتقى الله في عمله ذلك؛ بأن أتى به على الوجه المشروع؛ خالصا صوابا، ولم يأت بما يبطئه، والله أعلم.

(١) في دزيادة: «منه».

(٢) أخرجه الطبري (٣٢٩/٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٤٩٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٣٥٢)، والحاكم (٥٢٢٣) عن خالد بن عرفطة رضي الله عنه، وإسناد الحديث ضعيف، لكنه يعتضد بالأحاديث الواردة في هذا الباب التي تشهد له، كما قال الحافظ ابن

حجر في تلخيص الحبير (١٥٨/٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ الآية؛ روي أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويواري الميت. وقيل: بل كان غرابًا واحدًا يبحث ويلقي التراب على هايل.

﴿سَوْءَةٌ أَخِيهِ﴾ أي: عورته، وخُصَّت بالذكر؛ لأنها أحقُّ بالسَّتر من سائر الجسد. والضمير في ﴿أَخِيهِ﴾ عائذ على ابن آدم، ويظهر من هذه القصة أن هايل كان أول مَنْ دُفِنَ من بني آدم.

﴿قَالَ يَوَيْلَيتِي﴾ أصله: «يا ويلتي»، ثم أبدل من الياء ألف، وفتحت التاء. وكذلك: ﴿يَاسَهي﴾، و﴿يَحْسرَتِي﴾.

﴿فَأُصْبِحَ مِنَ النَّذِيمِينَ﴾ أي: على ما وقع فيه من قتل أخيه. واختلف في قابيل؛ هل كان كافرًا أو عاصيًا؟ والصحيح: أنه لم يكن كافرًا؛ لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان، ولأنه لم يكن في تلك المدة كافرًا. و﴿أُصْبِحَ﴾ هنا وفي الموضع الأول: عبارة عن جميع الأوقات، لا مختصة بالصباح.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ يتعلق بـ﴿كَتَبْنَا﴾. وقيل: بـ﴿النَّذِيمِينَ﴾؛ وهو ضعيف.

﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: فرضنا عليهم، أو كتبناه في كتبهم.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ معناه: من غير أن يقتل نفسًا يجب عليه به القصاص.

﴿أَوْ بَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: الفساد الذي يجب به القتل؛ كالحراة.

﴿بَكَائًا مَا قَتَلَ النَّاسُ جَبِيحًا﴾ تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يُتصوَّر من ثلاث جهات: إحداها: القصاص؛ فإن القصاص في قتل الواحد والجميع سواء. والثاني: انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان<sup>(١)</sup>. والثالث: الإثم والعذاب الأخرائي، قال مجاهد: أوعد<sup>(٢)</sup> الله قاتل النفس بجهنم، والخلود فيها، والغضب، واللعنة، والعذاب العظيم، فلو قتل جميع

(١) فإن نفسًا واحدة في ذلك وجميع الأنفس سواء، والمنتَهك في واحدة ملحوظ بعين منتَهك الجميع. المحرر الوجيز (٣/١٥٢).

(٢) في ج، د: «وعد».

الناس لم يزد على ذلك<sup>(١)</sup>. وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصد بالآية تعظيم قتل النفس والتشديد فيه؛ ليزدجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع؛ لتعظيم الأمر والترغيب فيه.

وإحيائها: هو بإنقاذها من الموت؛ كإنقاذ الغريق والحريق وشبه ذلك.

وقيل: بترك قتلها، وقيل: بالعفو إذا وجب القصاص.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل، والمعنى: تقبيح أفعالهم، وفي ذلك إشارة إلى ما هموا به من قتل رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية؛ سببها عند ابن عباس: قوم من اليهود كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فنقضوا العهد وقطعوا السبيل<sup>(٢)</sup>. وقال جماعة: نزلت في نفر من عكْلٍ وعُربنة، أسلموا، ثم إنهم قتلوا راعي النبي ﷺ وأخذوا إبله<sup>(٣)</sup>. ثم حكمها بعد ذلك في كل مُحاربٍ. والحاربة عند مالك<sup>(٤)</sup>: هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد. وقال أبو حنيفة: لا يكون المحارب إلا خارج البلدان.

وقوله: ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ تغليظ ومبالغة. قال بعضهم: تقديره: يحاربون رسول الله ﷺ. وذلك ضعيف؛ لأن الرسول ﷺ قد ذكر بعد ذلك.

وقيل: يحاربون عباد الله<sup>(٥)</sup>. وهو أحسن.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بيان للحاربة، وهي على درجات؛ فأدناها: إخافة الطريق، ثم أخذ الأموال، ثم قتل النفس.

(١) أخرجه الطبري (٨/٣٥١).

(٢) أخرجه الطبري (٨/٣٦٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٤٦٦٨)، والنسائي (٤٠٣٧)، وأبو داود (٤٣٦٦) عن أنس رضي الله عنه، وأصل الحديث في الصحيحين - البخاري (٦٨٠٥)، ومسلم (١٦٧١) - من دون ذكر سبب النزول.

(٤) وعند الشافعي، وتوقف أحمد في المسألة، وأكثر أصحابه على هذا القول، وقال الخرقى بقول أبي حنيفة. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨/٢٧).

(٥) في ب: «يحاربون الناس».

﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَصَلَّبُوا﴾ الصَّلْب مضاف إلى القتل: ف قيل: يقتل ثم يصلب؛ ليراه أهل الفساد فيزدجروا. وهو قول أشهب<sup>(١)</sup>.

وقيل: يصلب حيًا، ويقتل في الخشبة. وهو قول ابن القاسم.

﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ معناه: أن تُقَطَّعَ يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد قُطِعَت يده اليسرى ورجله اليمنى. وقُطِعَ اليَدُ<sup>(٢)</sup> عند مالك والجمهور: من الرُّسْغ، وقطع الرجل: من المَفْصِل، وذلك في الحراية وفي السرقة.

﴿أَوْ يُنْبَؤُا مِنَ الْأَرْضِ﴾ مشهور مذهب مالك: أن يُنْفَى من بلد إلى بلد آخر، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته.

وروى عنه مطرف<sup>(٣)</sup>: أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك قال أبو حنيفة. وقيل: ينفى إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه<sup>(٤)</sup>. ومذهب مالك: أن الإمام مخير في المحارب بين أن يقتله ويصلبه، أو يقتله ولا يصلبه، أو يَقَطَّعَ يده ورجله، أو يَنْفِيَه، إلا أنه قال: إن كان قَتَلَ فلا بدَّ من قتله، وإن لم يقتل فالأحسن أن يُؤَخَذَ فيه بأيسر العقاب.

وقال الشافعي وغيره<sup>(٥)</sup>: هذه العقوبات مرتبة؛ فمن قَتَلَ وأخذ المال قَتَلَ وصُلِبَ، ومن قَتَلَ ولم يأخذ مالًا<sup>(٦)</sup> قُتِلَ ولم يُصَلَّبَ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالًا نُفِيَ. وحجة مالك: عطف هذه العقوبات بـ «أو» التي تقتضي التخيير.

(١) والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٥/٢٧).

(٢) في د: «وتقطع اليد».

(٣) هو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار الهلالي أبو مصعب، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، وهو ابن أخت الإمام مالك، ومن كبار أصحابه، توفي سنة (٢٢٠). انظر: الديباج المذهب (٣٤٠/٢).

(٤) ومذهب أحمد: أن النفي هو تشريدهم عن الأمصار والبلدان، فلا يتركون يأوون بلدًا. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/٢٧).

(٥) وهو مذهب أحمد، على اختلاف في مذهبه في بعض التفاصيل. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/٢٧) وما بعدها.

(٦) في ج: «المال».

﴿خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ هو العقوبة، وعذاب الآخرة: النار. وظاهر هذا: أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفارة للمحارب، بخلاف سائر الحدود. ويحتمل أن يكون الخزي في الدنيا لمن عوقب (في الدنيا)<sup>(١)</sup>، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب.

﴿الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ قيل: هي في المشركين. وهو ضعيف؛ لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها. وقيل: هي في المحاربين من المسلمين. وهو الصحيح، وهم الذين جاءت فيهم العقوبات المذكورة، فمن تاب منهم قبل أن يُقَدَّرَ عليه فقد سقط عنه حكم الحِرابَة؛ لقوله: ﴿بَاغِلَمَوْا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

واختلف هل يطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أم لا؟ فوجه المطالبة بها: أنها زائدة على حدِّ الحِرابَة الذي سقط<sup>(٢)</sup> عنه بالتوبة. ووجه سقوطها: إطلاق<sup>(٣)</sup> قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.



(١) لم ترد في ج، د، هـ.

(٢) في د: «التي سقطت».

(٣) لم ترد في ج، هـ.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اِثْقُوا اِلَيْهِ اَلْوَسِيْلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيْلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ﴿٥٧﴾  
 اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْ اَنْ لَهُمْ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيْعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوْا بِهٖ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ  
 اَلْفِيْئَةِ مَا تُفْعَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿٥٨﴾ يُرِيْدُوْنَ اَنْ يُخْرِجُوْا مِنَ الْبَارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِيْنَ  
 مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّفِيْمٌ ﴿٥٩﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْا اَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ  
 اَللّٰهِ وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ﴿٦٠﴾ بَمَسْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَاَصْلَحَ فَاِنَّ اَللّٰهَ يَتُوْبُ عَلَيْهِ اِنَّ اَللّٰهَ  
 غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿٦١﴾ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اَللّٰهَ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ  
 يَّشَاءُ وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿٦٢﴾ \* يَأْتِيهَا الرُّسُوْلُ لَا يُخْرِجُكَ الَّذِيْنَ يَسْتَرْغُوْنَ فِي  
 الْكُفْرِ مِنَ الَّذِيْنَ قَالُوْا ءَامَنَّا بِاُفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِسْ قُلُوْبُهُمْ وَمِنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا سَمَّعُوْنَ  
 لِلْكَذِبِ سَمَّعُوْنَ لِقَوْمٍ اٰخَرِيْنَ لَمْ يَأْتُوْكَ يُحَرِّفُوْنَ اَلْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُوْلُوْنَ اِنْ  
 اَوْتَيْنٰمْ هٰذَا بَخْدُوْهُ وَاِنْ لَمْ تُؤْتُوْهُ بَاَحَدُرُوْا وَمَنْ يُّرِدِ اَللّٰهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اَللّٰهِ  
 شَيْئًا اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ لَمْ يُرِدِ اَللّٰهُ اَنْ يُطَهِّرْ قُلُوْبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ  
 عَظِيْمٌ ﴿٦٣﴾ سَمَّعُوْنَ لِلْكَذِبِ اَكْثَلُوْنَ لِلْحَقِّ فَاِنْ جَاءُوْكَ بِاَحْكَمَ بَيْنَهُمْ اَوْ اَعْرَضْ  
 عَنْهُمْ وَاِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يُّضُرُّوْكَ شَيْئًا وَاِنْ حَكَمْتَ بِاَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِالْفُسْطِ اِنَّ اَللّٰهَ  
 يُحِبُّ اَلْمُفْسِيْطِيْنَ ﴿٦٤﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوْنَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْبَةُ بِهَا حُكْمُ اَللّٰهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ  
 مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَمَا اُولٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٦٥﴾

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: ما يتوسل به ويقترب به إليه؛ من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك.

﴿لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ إن قيل: لم وحد الضمير وقد ذكر شيئين وهما: ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ و﴿مِثْلَهُ﴾؟ فالجواب: أنه وضع المفرد موضع الاثنين. أو أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة؛ كأنه قال: ليفتدوا بذلك. أو تكون<sup>(١)</sup> الواو بمعنى «مع»<sup>(٢)</sup>.

﴿عَذَابٌ مُّفِيْمٌ﴾ أي: دائم، وكذلك: ﴿نَعِيْمٌ مُّفِيْمٌ﴾ [التوبة: ٢١].

(١) في أ، ب، د: «يكون».

(٢) انظر: الكشاف (٥/٣٤٩).

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ عموم الآية يقتضي قطع كل سارق؛ إلا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطاً خصّصوا بها العموم، فمن ذلك: أن من اضطره الجوع إلى السرقة لم يُقطع عند مالك<sup>(١)</sup>؛ لتحليل الميتة له.

وكذلك من سرق مال ولده أو سيده. أو سرق من غير حرز. أو سرق أقل من النصاب؛ وهو عند مالك: ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الفضة، أو ما يساوي أحدهما<sup>(٢)</sup>. وأدلة التخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية. وقد قيل: إن الحرز مأخوذ من الآية؛ لأن ما أهمل بغير حرز أو أؤتمن عليه فليس أخذه سرقة، وإنما هو اختلاس أو خيانة.

وإعراب ﴿وَالسَّارِقُ﴾: عند سيبويه: مبتدأ، وخبره محذوف؛ كأنه قال: فيما يتلى عليكم السارق والسارقة. والخبر عند المبرّد وغيره: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، ودخلت الفاء؛ لتضمن معنى الشرط.

﴿بِمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ الآية؛ توبة السارق: هي أن يندم على ما مضى، ويُقلع فيما يستقبل، ويردّ ما سرق إلى من يستحقّه. واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم: هل يسقط عنه القطع؟ وهو مذهب الشافعي<sup>(٣)</sup>؛ لظاهر الآية. أو لا يسقط عنه؟ وهو مذهب مالك<sup>(٤)</sup>؛ لأن الحدود عنده لا تسقط بالتوبة، إلا المحارب؛ للنص عليه.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ قدّم العذاب على المغفرة؛ لأنه قبل ذلك تقدّم<sup>(٥)</sup> السرقة على التوبة.

(١) وكذا قال أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٥٥٤).

(٢) وهو إحدى الروايات في مذهب أحمد، أن كلّاً من الذهب والفضة أصل بنفسه، وهذه الرواية هي المذهب عند المتأخرين، وعنه رواية أخرى: أن الأصل الفضة، ويقوم بها الذهب والعروض، فإن نقص ربع دينار عن ثلاثة دراهم لم يقطع سارقه، ومذهب الشافعي والفقهاء السبعة: الأصل الذهب، ويقوم به ما سواه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٤٨٨-٤٩١).

(٣) وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وهي المذهب عند المتأخرين. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ١٠) وما بعدها.

(٤) وأبي حنيفة، والرواية الأخرى عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/ ٣٢).

(٥) في د: «تقديم».

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ الآية؛ خطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له.

﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِقَوْلِهِمْ﴾ هم المنافقون.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ يحتمل أن يكون: عطفًا على ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾، ثم يكون ﴿سَمَّعُونَ﴾ استئناف إخبار عن الصنفين المنافقين واليهود. ويحتمل أن يكون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ استئنافًا منقطعًا مما قبله، و﴿سَمَّعُونَ﴾ راجع إليهم خاصة.

﴿سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي: يسمعون<sup>(١)</sup> كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي ﷺ؛ لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة؛ فقلوه: ﴿لَمْ يَأْتَوْكَ﴾ صفة لـ ﴿قَوْمٍ آخَرِينَ﴾. والمراد بالقوم الآخرين: يهود خيبر، والسَّمَّاعُونَ للكذب: بنو قريظة.

﴿يُخَرِّبُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: يبدّلونه من بعد أن وُضِعَ في مواضعه، وقصّدت به وجوهه القويمة، وذلك من صفة اليهود.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ نزلت بسبب أن يهوديًا زنى بيهودية؛ فسأل رسول الله ﷺ اليهود عن حدّ الزاني عندهم فقالوا: نجلدهما ونُحَمِّمَ وجوههما، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن في التوراة الرجم»، فأنكروا ذلك، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرأوها، وجعل أحدهم يده على آية الرجم، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك! فرفع، فإذا آية الرجم، فأمر رسول الله ﷺ باليهودي واليهودية فرجما<sup>(٢)</sup>.

فمعنى قولهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾: إن أُوتِيتُم هذا الذي ذكرتم من الجلد والتّحميم فخذوه واعملوا به، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وأفتاكم محمد ﷺ بغيره ﴿فَاخْذَرُوا﴾.

﴿يَتَنَبَّهْ﴾ أي: ضلّالته<sup>(٣)</sup> في الدنيا، أو عذابه في الآخرة.

﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: الذّلة، والمسكنة، والجزية<sup>(٤)</sup>.

(١) في د: «سماعون».

(٢) أخرجه مسلم (١٧٠٠) مع ذكر سبب النزول عن البراء بن عازب ؓ.

(٣) في ب، ج، هـ: «ضلّاله».

(٤) هذه الكلمة لم ترد في ج، هـ.

﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ إن كان الأول في اليهود: فكُرِّر هنا تأكيداً. وإن كان الأول في المنافقين واليهود: فهذا في اليهود خاصة.

﴿أَكَلُوا لِلْسُّخْتِ﴾ أي: للحرام؛ من الرشوة والربا وشبه ذلك.

﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في أن يحكم بين اليهود أو يتركهم، وهو أيضاً يتناول الحكام. وقيل: إنه منسوخ بقوله: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ﴾ الآية؛ استبعاداً لتحكيمهم النبي ﷺ وهم لا يؤمنون به، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يدعون الإيمان بها. فمعنى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: يتولَّون عن اتباع حكم الله في التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجوداً عندهم، ومعلومًا في قضية<sup>(١)</sup> الرجم وغيرها.

﴿وَمَا أَؤْتِيكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى ﷺ، وهذا إلزامٌ لهم؛ لأن من خالف كتاب الله وبدَّله فدعواه الإيمان به باطلٌ.



(١) في ب، د: «قصة».



إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا  
وَالرَّبَّانِيُونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْضِرُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ  
وَاحْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْكَاذِبُونَ ﴿٥٦﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ  
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ وَالْجُرُوحَ فِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كِبَارَةٌ لَكَ وَمَنْ لَمْ  
يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى عِبَادِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ  
مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥٨﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ  
يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْبَاسِفُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا  
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا  
جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً  
وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَايَكُمْ فَاسْتَجِبُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ  
بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٠﴾ \* وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ  
وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا بَاغِلْمْ أَنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ  
يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٦١﴾ أَبَحْكَمْ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ  
أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ ﴿٦٢﴾

﴿الَّذِينَ اسْلَمُوا﴾ هم الأنبياء الذين بين موسى ومحمد ﷺ. ومعنى ﴿اسْلَمُوا﴾ هنا: أخلصوا لله، وهي صفة مدح أريد بها التعريض باليهود؛ لأنهم بخلاف هذه الصفة. وليس المراد هنا: الإسلام الذي هو ضد الكفر؛ لأن الأنبياء لا يقال فيهم: أسلموا على هذا المعنى؛ لأنهم لم يكفروا قط، وإنما هو كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ اسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠] <sup>(١)</sup>.

(١) [التعليق ٤٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: لا يوجد فيه شيء، فالكلام لا إشكال فيه.

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق بـ ﴿يَحْكُمُ﴾؛ أي: يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا، ويحملونهم عليها. وقيل: يتعلق بقوله: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

﴿بِمَا أَسْتَخِطُّوهُ﴾ أي: كُلُّفُوا حفظه، والباء هنا: سببية. قاله الزمخشري<sup>(١)</sup>. ويحتمل أن تكون بدلاً من المجرور في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾.

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ وما بعده: خطابٌ لليهود. ويحتمل أن تكون<sup>(٢)</sup> وصيةٌ للمسلمين يراد بها التعريض باليهود؛ لأن ذلك من أفعالهم.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس: نزلت الثلاثة في اليهود؛ ﴿الْكَافِرُونَ﴾، و﴿الظَّالِمُونَ﴾، و﴿الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد روي في هذا أحاديثٌ عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وقال جماعة: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم، إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان<sup>(٥)</sup>.

وقال الشعبي: ﴿الْكَافِرُونَ﴾: في المسلمين، و﴿الظَّالِمُونَ﴾: في اليهود، و﴿الْفَاسِقُونَ﴾

(١) الكشاف (٥/ ٣٦٧).

(٢) في ب، ج، هـ د: «يكون».

(٣) أخرجه أحمد (٢٤١٢)، وأبو داود (٣٥٧٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٧٨): «وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف، وقد وثق، وبقي رجال أحمد ثقات».

(٤) أخرجه مسلم (١٧٠٠).

(٥) [التعليق ٤٨] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان» أقول: في هذا الإطلاق نظر؛ فإن حكم المسلم بغير شرع الله له أحوال: منها ما هو كفر أكبر، أي: ردة عن الإسلام، وذلك إذا اتخذ قانوناً بدلاً عن الشريعة، يحكم بهذا القانون، ويفرض الحكم به والتحاكم إليه، ولو خالف حكم الشريعة. وتارة يحكم القاضي المسلم في قضية جزئية بخلاف ما يعلمه من حكم الشريعة لهوى من محاباة صديق أو قريب، أو لرشوة تبذل له، فهذا معصية، ويمكن أن يقال: كفر دون كفر، وعليه ينزل قول ابن عباس في الآية: «كفر دون كفر»، وقد فات المفسر ﷺ مراعاة هذا التفصيل الذي نبه عليه بعض أهل العلم في هذا العصر؛ لما ابتليت به الأمة في كثير من البلاد الإسلامية من تحكيم القوانين المخالفة لشريعة الإسلام، وإعطاء هذه القوانين كل ما يجب بشريعة الله من وجوب الحكم بها، والتحاكم إليها، والرضا، وعقوبة من خالفها، وفي حكم من وضع القانون وفرضه من رضي به وحكم به. نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يمن علينا بالعفو والعافية في ديننا ودنيانا.

في النصاري<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ «كَتَبْنَا» بمعنى: الكتابة في الألواح، أو بمعنى الفرض والإلزام. والضمير في «عَلَيْهِمْ» لبني إسرائيل، وفي قوله: «فِيهَا» للتوراة.

﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي: تُقْتَلُ النفس إذا قُتِلَتْ نفسًا، وهذا إخبارٌ عما في التوراة، وهو حكمٌ في شريعتنا بإجماع، إلا أن هذا اللفظ عام، وقد خَصَّصَ العلماء منه أشياء، فقال مالك: لا يقتل مؤمن بكافر؛ للحديث الوارد في ذلك<sup>(٢)</sup>، ولا يقتل حرٌ بعبد؛ لقوله: «الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ» [البقرة: ١٧٧]، وقد تقدَّم الكلام على ذلك في «البقرة».

﴿وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ﴾ وما بعده: حُكْمُ الْقِصَاصِ فِي الْأَعْضَاءِ.

والقراءة بنصب «الْعَيْنِ» وما بعده: عَطْفٌ عَلَى «النَّفْسِ».

وقرئ بالرفع<sup>(٣)</sup>، ولها ثلاثة أوجه: أحدها: العطف على موضع «النَّفْسِ»؛ لأن المعنى: قلنا لهم: النفسُ بالنفس. والثاني: العطف على الضمير الذي في الخبر؛ وهو «بِالنَّفْسِ»<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن يكون مستأنفًا مرفوعًا بالابتداء.

﴿وَالْجُرُوحُ فِصَاصٌ﴾ بالنصب<sup>(٥)</sup>: عطفٌ على المنصوبات قبله، وبالرفع: على الأوجه الثلاثة التي في رفع «الْعَيْنِ». وهذا اللفظ عامٌّ، يراد به الخصوص في الجراح التي لا يُخَافُ على النفس منها.

﴿بِمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ فَهُوَ كَقَارَةِ لَهْدٍ فيه تأويلان: أحدهما: مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَقِّ بِالْقِصَاصِ وَعَفَا عَنْهُ فَذَلِكَ كَفَّارَةٌ لَهُ؛ يَكْفُرُ اللَّهُ ذَنْبَهُ؛ لِعَفْوِهِ وَإِسْقَاطِهِ حَقَّهُ.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٤٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١١) من حديث أبي جحيفة عن علي ؓ.

(٣) قرأ الكسائي «والعين» «والأنف» «والأذن» «والسن» بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب.

(٤) أي: الضمير المستكن في الجار والمجرور، فيكون التقدير: أن النفسَ بالنفس هي والعين... ويكون المجرور «بالعين» على هذا حالًا مبينة للمعنى؛ لأن المرفوع على هذا فاعل؛ إذ عطف على فاعل. البحر المحيط (٨/ ٢٢٨).

(٥) قرأ نافع وعاصم وحزمة بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع.

والثاني: مَنْ تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل أو الجارح؛ يعفو الله عنه في ذلك؛ لأن صاحب الحق قد عفا عنه.

فالضمير في ﴿لَهُ﴾: على التأويل الأول: يعود على «مَنْ» التي هي كناية عن المقتول أو المجروح، أو الولي. وعلى الثاني: يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يَجْر له ذكر؛ ولكن سياق الكلام يقتضيه.

والأول أرجح؛ لعود الضمير على مذكور؛ وهو «مَنْ»، ومعناها واحد على التأويلين. والصدقة بمعنى العفو على التأويلين: إلا أن التأويل الأول: بيان لأجر من عفا، وترغيب في العفو. والتأويل الثاني: بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عُفي عنه.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قد تقدّم معنى «مُصَدِّقًا» في «البقرة»<sup>(١)</sup>. و﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: التوراة؛ لأنها قبله، والقرآن مُصَدِّقٌ للتوراة والإنجيل، لأنهما قبله.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطفٌ على موضع قوله: ﴿بِهِ هَدَىٰ وَتَوَرَّ﴾؛ لأنه في موضع الحال.

﴿وَمُهَيِّمًا﴾ ابن عباس: شاهدًا<sup>(٢)</sup>، وقيل: مؤتمناً.

﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ تضمّن الكلام معنى: «لا تنصرف» أو «لا تنحرف»؛ ولذلك تعدى بـ«عن».

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ابن عباس: سبيلاً وسنة<sup>(٣)</sup>.

والخطاب: للأنبياء، أو للأمم.

والمعنى: أن الله جعل لكل أمة شريعة يتبعونها. وقد استدلل بها من قال: إن شريعة مَنْ قبلنا ليس بشرع لنا؛ وذلك في الأحكام والفروع. وأما الاعتقادات<sup>(٤)</sup>؛ فالدين فيها واحدٌ لجميع العالم؛ وهو الإيمان بالله، وتوحيده، وتصديق رسله، والإيمان بالدار الآخرة.

(١) انظر تفسير الآية (٤٠).

(٢) أخرجه الطبري (٨/٤٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (٨/٤٩٦).

(٤) في أ، ب، د: «في الاعتقادات».

﴿بَاسْتَيْفُوا الْخَيْرَاتِ﴾ استدلل بها<sup>(١)</sup> قومٌ على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها، وهذا متفق عليه في العبادات كلها، إلا الصلاة؛ ففيها خلاف؛ فمذهب الشافعي: أن تقديمها في أول وقتها أفضل، وعكس أبو حنيفة، وفي مذهب مالك خلافٌ وتفصيل<sup>(٢)</sup>. واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل.

﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ عطفٌ على «الكتاب» في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، أو على «الحق» في قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾.

وقال قوم: إن هذا وقوله قبله: ﴿بِأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ ناسخٌ لقوله: ﴿بِأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: ناسخٌ للتخيير الذي في الآية. وقيل: إنه ناسخٌ للحكم بالتوراة. ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود؛ طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم فأبى من ذلك، ونزلت الآية تقتضي أن يحكم بينهم<sup>(٣)</sup>.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَنْعُونَ﴾ توبيخٌ لليهود. وقرئ بالياء<sup>(٤)</sup>: إخبارًا عنهم، وبالتاء: خطابًا لهم.

﴿لَقَوْمٌ يُوفُونَ﴾ قال الزمخشري: اللام للبيان<sup>(٥)</sup>؛ أي: هذا الخطاب لقوم يوفون؛ فإنهم الذين يتبين لهم أنه لا أحسن من الله حكمًا<sup>(٦)</sup>.



(١) في ج، هـ: «به».

(٢) انظر: القوانين الفقهية (٨٨)، وفي مذهب أحمد تفصيل، وخلاصته: أن صلاة الظهر تعجيلها أفضل إلا في شدة الحر، والعصر والمغرب تعجيلها أفضل على كل حال، والعشاء تأخيرها أفضل إذا لم يشق، والفجر تعجيلها أفضل. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ١٣٣-١٦٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥١/٤)، والنسائي في الكبرى (٦٣٣٦)، والحاكم (٣٢١٧) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٧١٢٥) عن ابن عباس ؓ.

(٤) قرأ ابن عامر بالتاء، وقرأ الباقر بالياء.

(٥) فتتعلق بمحذوف. البحر المحيط (٨/ ٢٥٦).

(٦) انظر: الكشاف (٥/ ٣٨٥).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْقُتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيمِينَ ﴿٥٨﴾ يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْوَآءَ الَّذِينَ أَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأُصْبِحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدِدُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ بَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٦١﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٦٢﴾

﴿٥٧﴾ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴿٥٨﴾ سببها: موالاة عبد الله بن أبي بن سلول ليهود بني قينقاع، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذي كان بينه وبينهم <sup>(١)</sup>. ولفظها عام، وحكمها باق. ولا يدخل فيه معاملتهم في البيع وشبهه.

﴿٥٩﴾ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴿٦٠﴾ تغليظ في الوعيد، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبهم فهو منهم في المقت عند الله، واستحقاق العقوبة <sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٥٠٥/٨) وابن أبي حاتم (١١٥٥/٤) عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، وأخرجه الطبري (٥٠٤/٨) أيضاً عن عطية بن سعد العوفي وعن الزهري.

(٢) [التعليق ٤٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله ﷺ: «تغليظ في الوعيد» إلخ، وجهه: أن ظاهر الآية كفر كل من يتولاهم، والتولي درجات، فلا بد من التفصيل في حكم المتولي، ولهذا فصل ﷺ، وفرق بين من تولاهم بموافقتهم على اعتقادهم، فقال: إنه منهم من كل وجه، فيكون كافراً ككفر اليهود والنصارى، أمّا من لم يوافقهم لكن أحبهم، فلا يكون كذلك، أي: كافراً، لكن يشرّكهم في الوعيد، فيكون ممقوتاً عند الله؛ لمحبتة أعداءه، وهذا تفصيل حسن، لكنه غير كاف ولا شاف؛ لأنه جعل التولي على درجتين، والتولي أكثر من ذلك؛ فإنه يكون بالدخول في دينهم، وحينئذ يكون منهم حقيقة، ويكون بإظهار الرضا عن دينهم مصانعة لهم، وبهذا يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، وتارة يكون بنصرهم في حربهم للمسلمين، وهذا كالذي قبله، وتولي المنافقين من هذا القبيل. وتارة يكون بمحبتهم المحبة الطبيعية لقراءة أو منفعة دنيوية، =

﴿بَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هم المنافقون؛ والمراد هنا: عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان معه.

﴿يَقُولُونَ نَحْبِسُكَ أَنْ تُصِيبَنَا دَآيِرَةٌ﴾ كان عبد الله بن أبي يوالي اليهود ويستكثر بهم، ويقول: إني رجل أخشى الدوائر.

﴿بَعَثَنِي اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْقَتْلِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ الفتح: هو ظهور النبي ﷺ والمسلمين. والأمر من عند الله: هو هلاك الأعداء بأمر من عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق. أو أمر من الله لرسوله ﷺ بقتل اليهود.

﴿بَيِّضُحُوا عَلَيَّ مَا أَسْرَوْا بِهِنَّ أَنْفُسَهُنَّ تَدْمِيْنَ﴾ الضمير في ﴿بَيِّضُحُوا﴾ للمنافقين، والذي أسروه: هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين، وإضمارُ العداوة للمسلمين.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرئ: ﴿يَقُولُ﴾ بغير واو<sup>(١)</sup>؛ استئناف إخبار. وقرئ بالواو والرفع؛ وهو عطف جملة على جملة. وبالواو والنصب؛ عطفاً على ﴿أَنْ يَأْتِيَ﴾، أو على ﴿بَيِّضُحُوا﴾.

﴿أَهْلُآلَ الَّذِينَ أَفْسَمُوا﴾ الإشارة إلى المنافقين؛ لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين. وانتصب ﴿جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ على المصدر المؤكد.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين، أو من كلام الله. ويحتمل أن يكون دعاء، أو خبراً.

﴿مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ خطابٌ على وجه التحذير والوعيد، وفيه إعلامٌ بارتداد بعض المسلمين، فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع؛ فارتدَّ في حياة رسول الله ﷺ

= وهذه المحبة تكون معصية إذا اقترنت بترك واجب كالجهاد في سبيل الله، أو فعل محرم؛ كطاعتهم فيما لا يصل إلى نوع من الكفر؛ فإن طاعتهم في الكفر كفر، وطاعتهم فيما دونه معصية، وهذا مقام عظيم، أعني حكم تولي الكفار؛ فإنه يتفاوت تفاوتاً عظيماً بحسب ما يقوم بالقلوب، وبحسب ما يظهر من الأقوال والأعمال، فأمر تولي الكافرين مقام عظيم يجب التفقه فيه، والحذر من الوقوع فيه.

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿يَقُولُ﴾ بغير واو، وقرأ أبو عمرو ﴿وَيَقُولُ﴾ بالواو والنصب، وقرأ الباقون ﴿وَيَقُولُ﴾ بالواو والرفع.

بنو حنيفة قومٌ مُسليمة الكذاب، وبنو مُذليج قوم الأسود العنسي الذي ادعى النبوة، وقُتل في حياة رسول الله ﷺ، وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد، ثم كثر المرتدون، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله ﷺ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكانت القبائل التي ارتدت بعد وفاة رسول الله ﷺ سبع قبائل: بنو فزارة، وغطفان، وبنو سُليم، وبنو يربوع، وكندة، وبنو بكر بن وائل، وبعض بني تميم، ثم ارتدت غسان في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهم قوم جبلة بن الأيهم الذي تنصر من أجل اللطمة<sup>(١)</sup>.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها، وقال: «هم قوم هذا»<sup>(٢)</sup>، يعني: أبا موسى الأشعري، والإشارة بذلك -والله أعلم- إلى أهل اليمن؛ لأن الأشعريين من أهل اليمن.

وقيل: المراد أبو بكر الصديق وأصحابه رضي الله عنهم الذين قاتلوا أهل الردة، ويقوي ذلك: ما ظهر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الجِدِّ في قتالهم، والعزم عليه حين<sup>(٣)</sup> خالفه في ذلك بعض الناس، فاشتدَّ عزمه حتى وافقوه وأجمعوا معه، فنصرهم الله على أهل الردة، ويقوي ذلك أيضًا: أنَّ الصفات التي وُصف بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر، ألا ترى قوله: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وكان أبو بكر ضعيفًا في نفسه، قويًا في الله، وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ إشارة إلى مَنْ خالف أبا بكر ولامه في قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه.

﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ كقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وإنما تعدَّى ﴿أَذِلَّةٌ﴾ بـ«على»؛ لأنه تضمَّن معنى العطف والحنو.

(١) انظر قصته في فتح الشام، للواقدي (١/ ١٠٠).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٥٢١) وابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٩٢٧)، والحاكم (٣٢٢٢٠) وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.

(٣) في ب، ج، هـ: «حتى».



فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلى الشرط؟

فالجواب: أنه محذوف؛ تقديره: من يرتدذ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم، أو بقوم يقاتلونهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَمَّا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ ذكر الولي بلفظ المفرد؛ إفراداً لله تعالى بها، ثم عطف على اسمه تعالى الرسول ﷺ والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قال: «إنما أولياؤكم» لم يكن في الكلام أصل وتبع.

﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ قيل: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنه سأل سائل وهو راع في الصلاة، فأعطاه خاتمه<sup>(٢)</sup>. وقيل: هي عامة، وذكر الركوع بعد الصلاة؛ لأنه من أشرف أعمالها. فالواو على القول الأول: واو الحال، وعلى الثاني: للعطف<sup>(٣)</sup>.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر؛ معناه: فإنهم هم الغالبون.



(١) انظر: الكشاف (٣٩٥/٥).

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٥٣١٥٣٠-) عن السدي ومجاهد وغيرهما، وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٢/٤) عن سلمة بن كهيل، وله طرق أخرى ذكرها ابن كثير في تفسيره، وقال (١٣٩/٣): «وليس يصح شيء منها بالكلية، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مقدمة في أصول التفسير» ضمن مجموع الفتاوى (٣٤٥/١٣): «والموضوعات في كتب التفسير كثيرة مثل.. حديث علي الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم».

(٣) في د: «عطف على (الذين)».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّوْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنفَعُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا جَاءَوكُم قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ، وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٥٥﴾ وَتَبَرَّى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدُهُ مَبْسُوطَةٌ يَنْهَى كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ظُفًى وَكَفَرًا وَأَلْفَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ كُلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْخَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَبَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدَخَلْنَاهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن بَرِّهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وَالْكُفَّارَ﴾ بالنصب<sup>(١)</sup>: عطفٌ على «الَّذِينَ اتَّخَذُوا». وقرئ بالخفض: عطفٌ على «الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ»، ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: «ومن الكفار»<sup>(٢)</sup>. ويراد بهم: المشركون من العرب.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية؛ روي أن رجلاً من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمداً رسول الله» قال: حرق الله الكاذب، ف وقعت النار في بيته

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بالخفض، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) هذه قراءة أبي بن كعب، كما في تفسير الطبري (٨/ ٥٣٥)، والمحرم الوجيز (٣/ ٢٠٠)، قال الطبري: «في قراءة أبي بن كعب فيما بلغنا: (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار أولياء)».

واحترق هو وأهله<sup>(١)</sup>. واستدل بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين.

﴿هَلْ تَنْصِفُونَ مِثَّا﴾ أي: هل تعيرون علينا وتُكِّرون منّا إلّا إيماننا بالله، وبجميع كتبه ورسله! وذلك أمرٌ لا ينكر ولا يعاب، ونظيرُ هذا في الاستثناء العجيب قول النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفهم بهنَّ فُلُولٌ من قِراعِ الكنايبِ<sup>(٢)</sup>

ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وجماعة من اليهود؛ سألوا رسول الله ﷺ عن الرسل الذين يؤمن بهم، فتلا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٥] إلى آخر الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ قيل: إنه معطوف على ﴿أَنَّا آمَنَّا﴾<sup>(٤)</sup>. وقيل: على ﴿مَا أُنْزِلَ﴾<sup>(٥)</sup>. وقيل: هو تعليل معطوف على تعليل محذوف؛ تقديره: هل تنقمون منّا إلّا لِقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون! ويحتمل أن يكون ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: فسقكم معلوم، أو ثابت.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّ ذَٰلِكَ﴾ لما ذكر أن أهل الكتاب يعيرون المسلمين بالإيمان بالله، ورسله؛ ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك؛ ردّاً عليهم. فالخطاب في ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ لليهود، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من حال المؤمنين.

﴿مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هي من الثواب، ووضع الثواب موضع العقاب؛ تهكُّماً بهم؛ نحو قوله: ﴿بَيَّضَرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿مِمَّ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ يعني: اليهود، و﴿مَنْ﴾ في موضع رفعٍ بخبر ابتداءٍ مضمرة؛ تقديره: هو مَنْ لعنه الله، أو في موضع خفضٍ على البدل من ﴿شَرِّ﴾.

(١) أخرجه الطبري (٥٣٦/٨)، وابن أبي حاتم (١١٦٤/٤) عن السدي.

(٢) انظر: ديوان النابغة، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (٥٣٧/٨)، وابن أبي حاتم (١١٦٤/٤) عن ابن عباس ؓ.

(٤) فدخل كونهم فاسقين فيما نفموا. المحرر الوجيز (٣/٢٠٢).

(٥) كأنه قال: إلّا أن آمنّا بالله وبكتبه وبأن أكثركم فاسقون. المحرر الوجيز (٣/٢٠٢).

ولا بدَّ في الكلام من حذفٍ مضافٍ؛ تقديره: «بِشَرٍّ من أهل ذلك»، أو تقديره: «دين من لعنه الله».

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ مُسِيخٌ قَوْمٌ من اليهود قروداً<sup>(١)</sup> حين اعتدوا في السبت، ومُسِيخٌ قَوْمٌ منهم خنازير حين كذبوا عيسى بن مريم.

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ القراءة بفتح الباء<sup>(٢)</sup>: فعلٌ معطوف على ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾. وقرئ بضم الباء وخفض ﴿الطَّاغُوتَ﴾؛ على أن يكون «عَبَدَ» اسماً على وجه المبالغة كـ «يَقْظُ»، أُضيف إلى «الطاغوت». وقرئ: «وعابدُ» «وعبادُ»<sup>(٣)</sup>، وهي في هذه الوجوه عطفٌ على ﴿الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾.

﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾ أي: منزلة، ونسب الشر للمكان وهو في الحقيقة لأهله؛ وذلك مبالغة في الذم.

﴿وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ﴾ نزلت في منافقين من اليهود<sup>(٤)</sup>.

﴿دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ تقديره: مُلْتَبِسِينَ<sup>(٥)</sup> بالكفر، والمعنى: دخلوا كفارًا وخرجوا كفارًا. ودخلت «قد» على ﴿دَخَلُوا﴾ و﴿خَرَجُوا﴾؛ تقريباً للماضي من الحال؛ أي: ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام.

﴿فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب، وسائر المعاصي.

﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم. ﴿السُّخْتِ﴾ الحرام.

﴿لَوْلَا يَنْهَيْهِمْ﴾ عرضٌ وتحضيضٌ وتقريرٌ.

﴿لَيْسَ﴾ اللام في الموضعين للقسم.

(١) في د: «قردة».

(٢) قرأ حمزة ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ بضم الباء والخفض، وقرأ الباقون بالفتح والنصب.

(٣) قرئ بها في الشاذ، قرأ عون العقيلي «وعابدُ» بدال مرفوعة، تقديره: وهم عابدُ الطَّاغُوتِ، وقرأ أبو واقد الأعرابي «وعبادُ». المحرر الوجيز (٣/٢٠٦).

(٤) أخرجه الطبري (٨/٥٤٧) وابن أبي حاتم (٤/١١٦٥) عن قتادة وأخرجه الطبري أيضاً (٨/٥٤٧) عن السدي.

(٥) في ب، د: «متلبسين».

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ غُلَّ اليد: كناية عن البخل، وبَسْطُهَا: كناية عن الجود؛ ومنه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ أي: لا تَبْخُلْ كُلَّ البخل، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] أي: لا تَجُذَّ كُلَّ الجود.

وروي أن اليهود أصابتهُم سنةٌ جَهِدَ فقالوا هذه المقالة الشنيعة<sup>(١)</sup>، وكان الذي قالها فنحاص<sup>(٢)</sup>، ونُسبت إلى جملة اليهود؛ لأنهم رضوا بقوله.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يحتمل أن يكون: دعاء أو خبراً. ويحتمل أن يكون: في الدنيا أو في الآخرة. فإن كان في الدنيا: فيحتمل أن يراد به: البخل، أو غُلَّ أيديهم في الأسر. وإن كان في الآخرة: فهو جعل الأغلال في جهنم.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارة عن إنعامه وجوده. وإنما تُثبت اليدان هنا وأفردت في قول اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؛ ليكون ردّاً عليهم، ومبالغة في وصفه تعالى بالجود؛ كقول العرب: «فلان يعطي بكلتا يديه»؛ إذا كان عظيم السخاء<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٥٥٤) عن مجاهد.

(٢) قال ابن عطية في تفسيره (٣/ ٢١٠): «وذكر الطبري والنقاش أن هذه الآية نزلت في فنحاص اليهودي وأنه قالها»، ولم أقف على ذلك في تفسير الطبري، وإنما ذكر أثر مجاهد وفيه نسبة هذه المقولة لليهود عموماً، وإنما الذي قاله فنحاص: «إن الله فقير...» - تعالى الله عن قوله - وإليه نسب الطبري هذه المقولة كما سبق تخريج ذلك في آية آل عمران.

(٣) [التعليق ٥٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراءة: قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: «عبارة عن إنعامه وجوده...»، إلخ: أقول: إن أراد بذلك تفسير اليدَيْن، فهذا تأويل يجري على طريقة أهل التأويل من نفاة الصفات؛ فإنهم يجمعون بين التعطيل والتحريف.

وإن أراد ما يدل عليه بسط اليدَيْن من الجود كثرة الإنفاق، فهو معنى صحيح؛ يؤيده قوله تعالى: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ولا يقتضي ذلك نفي حقيقة اليدَيْن؛ وسباق كلام المؤلف يُشعرُ بالنفي، ويُرجع في معرفة حقيقة مذهبه إلى كلامه عند قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]:

فإنه قال هناك: «قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليم علم حقيقته إلى الله. وقال المتأولون: هو عبارة عن القدرة». اهـ.

وقال نظير ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١].

ويظهر من ذلك: أن ابن جزي يذهب إلى التفويض، وحقيقته: إجراء النصوص الفاظاً من غير فهم لمعناها. والتفويض والتأويل مذهبان لنفاة الصفات؛ كلها أو بعضها.

﴿كَلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْبَقَهَا اللَّهُ﴾ إيقاد النار: عبارة عن محاولة الحرب، وإطفائها: عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم. ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم، أو يراد من كان معاصراً للنبي ﷺ منهم، ومن يأتي بعدهم، (فيكون على هذا إخباراً بغيب، وبشارة للمسلمين<sup>(١)</sup>).

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ يحتمل أن يريد أسلافهم، أو المعاصرين للنبي ﷺ،<sup>(٢)</sup> فيكون على هذا ترغيباً لهم في الإيمان والتقوى.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ إقامتها: بالعلم والعمل. وذكر الإنجيل دليل على دخول النصارى في لفظ أهل الكتاب.

﴿لَا كَلُوا مِنْ بَرِّهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ قيل: ﴿مِنْ بَرِّهِمْ﴾ عبارة عن المطر، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ عبارة عن النبات والزرع. وقيل: ذلك استعارة في توسعة الرزق من كل وجه.

﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي: معتدلة، ويراد به من أسلم منهم؛ كعبد الله بن سلام ؓ، وقيل: من لم يُعاد الأنبياء المتقدمين.



(١) في ب: «فهو على هذا إخبار بغيب وبشارة للمسلمين».

(٢) ما بين القوسين سقط من ج، هـ.

\*يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ بَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِيَّ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ فَلَ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيفًا كَذَّبُوا وَقَرِيفًا يَفْتُلُونَ ﴿٦٢﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَاقِبَةٌ فَخَسِبُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦٣﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِيَّ إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٦٤﴾ \*لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٥﴾ أَقْبَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٦﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلِي الطَّعَامَ أَنْظَرُ كَيْفَ نُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرُ أَنْبَى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٧﴾ فَلِ اعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٨﴾ فَلَ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٩﴾

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أمرٌ بتبليغ جميع ما أوحى إليه على الاستيفاء والكمال؛ لأنه كان قد بلغ، وإنما أمر هنا أن لا يتوقف عن شيء مخافة أحد.

﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ بَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِيَّ﴾ هذا وعيدٌ على تقدير عدم التبليغ. وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان: أحدهما: أن المعنى: إن تركت منه شيئاً فكأنك لم تبلغ شيئاً، وصار ما بلغ لا يُعتدُّ به، فمعنى ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾: إن لم تستوفِ التبليغ على الكمال. والآخر: أن المعنى: إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقابٌ من كتمها، ووضع السبب موضع المسبب.

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وعدٌ وضمانٌ للعصمة، وكان رسول الله ﷺ يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها، فلما نزلت هذه الآية قال: «يا أيها الناس! انصرفوا فإن الله قد عصمني»<sup>(١)</sup> وترك الاحتراس.

﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآية؛ أي: لستم على دين يُعتدُّ به يسمى شيئاً حتى تقيموا التوراة والإنجيل، ومن إقامتها: الإيمان بمحمد ﷺ. وقوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم﴾ قال ابن عباس ؓ: يعني: القرآن<sup>(٢)</sup>. ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ورافع بن حريملة<sup>(٣)</sup> وغيرهم من اليهود؛ جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها، ولا نؤمن بك ولا نتبعك<sup>(٤)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ تقدّم الكلام على نظيرتها في «البقرة»<sup>(٥)</sup>.

﴿وَالصَّابُونَ﴾ قراءة السبعة بالواو؛ وهي مشكلة، حتى قالت عائشة ؓ: «هي من لحن كتاب المصحف»<sup>(٦)</sup>. وإعرابها عند أهل البصرة: مبتدأ وخبره محذوف؛ تقديره: والصابون كذلك، وهو مقدّم في نية التأخير. وأجاز بعض الكوفيين فيه: أن يكون معطوفاً على موضع اسم «إن». وقيل: «إن» هنا بمعنى «نعم»، وما بعدها مرفوع بالابتداء. وهو ضعيف.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً﴾ أي: بلاء واختبار. وقرئ «تَكُون»<sup>(٧)</sup>: بالرفع؛ على أن تكون «أن» مخففة من الثقيلة، وبالنصب؛ على أنها مصدرية.

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦) وقال: «حديث غريب»، والحاكم (٣٢٢١)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٧٧٣٠)، عن عائشة ؓ، وحسنه ابن حجر في الفتح (٨٢/٦).

(٢) كذا عزاه في المحرر الوجيز (٢١٨/٣)، ولم أقف عليه من قول ابن عباس ؓ، وإنما وقفت عليه من قول مجاهد وابن زيد، أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٥/٤).

(٣) في أ، د كذا: «خرعة»! وهو تصحيف، والمثبت هو الصواب كما في سيرة ابن هشام (٥٦٨/١).

(٤) أخرجه الطبري (٥٧٣/٨) عن ابن عباس ؓ.

(٥) انظر تفسير الآية (٦١).

(٦) انظر تخريجه والتعليق عند تفسير الآية (١٦٢) من سورة النساء.

(٧) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب.



﴿بَعَثُوا وَصَّوْا﴾ عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان.

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: إن هذه التوبة ردُّ مُلكهم ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه، ثم أُخرجوا المرة الثانية فلم ينجبر حالهم أبدًا. وقيل: التوبة: بعث عيسى، وقيل: بعث محمد ﷺ.

﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بدلٌ من الضمير، أو فاعلٌ؛ على لغة: «أكلوني البراغيث»، والبدل أرجح وأفصح.

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ الآية؛ ردُّ على النصارى، وتكذيبٌ لهم.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْبَارٍ﴾ يحتمل أن يكون: من كلام المسيح، أو من كلام الله.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية؛ ردُّ على من جعله إلهًا.

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ بناءٌ مبالغٍ؛ من الصِّدْق، أو من التَّصْدِيق. ووصفها بهذه الصفة دون النبوة يدفع قول من قال: إنها نبيَّة.

﴿كَانَا يَأْكُلِي الطَّعَامَ﴾ استدلالٌ على أنهما ليسا بالهين؛ لاحتياجهما إلى الغذاء الذي لا يحتاج إليه إلا مُحدثٌ مُفْتَقِرٌ، ومن كان كذلك فليس بإله؛ لأن الإله منزَّهٌ عن صفات الحدوث<sup>(١)</sup>، وعن كلِّ ما يلحق بالبشر. وقيل: إن قوله: ﴿يَأْكُلِي الطَّعَامَ﴾ عبارة عن الاحتياج إلى الغائط. ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره؛ لأن الحجة قائمة بالوجهين.

﴿ثُمَّ أَنْظَرُ﴾ دخلت «ثم»؛ لتفاوت الأمرين، ولقصد التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات.

﴿فَلْ اتَّعْبُدُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية؛ إقامة حجة على من عبد عيسى وأمّه وهما لا يملكان ضرًا ولا نفعًا.

﴿فَلْ يَأْهَلِ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ خطابٌ للنصارى، والغلو: الإفراط، وبسبب ذلك كفر النصارى.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (١١).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾ قيل: هم أئمتهم في دين النصرانية؛ كانوا على ضلالٍ في عيسى، وأضلُّوا كثيرًا من الناس، ثم ضلُّوا بكفرهم بمحمد ﷺ. وقيل: هم اليهود.

والأول أرجح؛ لوجهين:

أحدهما: أنَّ الضلال وصفٌ لازم للنصارى، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾!

والآخر: أنه يبعد نهي النصارى عن اتباع اليهود، مع ما بينهم من الخلاف والشقاق.



لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا  
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٨٥﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ بَعَلُوهُ لَبِيسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٦﴾ تَرَى  
كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِيسَ مَا فَدَمْتُ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ دَآءَ أَسْحَبٍ عَلَيْنِهِمْ  
وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْهِ مَا إِنَّا لَتَأْخُذُوهُمْ  
أُولِيَاءَهُمْ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسَقُونَ ﴿٨٨﴾ \*لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ  
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ  
فَيْسِييْنَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٩﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ  
تُمِيطُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِأَكْثَبِنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا لَنَا  
لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٩١﴾ فَأَقْبَحَ اللَّهُ  
إِلَهُهُمْ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٢﴾  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٩٣﴾

﴿٨٥﴾ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿٨٥﴾ أي: في الزبور والإنجيل.

﴿٨٦﴾ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ ﴿٨٦﴾ أي: لا ينهي بعضهم بعضًا عن منكر. فإن قيل: لم وصف المنكر بقوله: ﴿بَعَلُوهُ﴾ والنهي لا يكون بعد الفعل؟ فالجواب: أن المعنى: لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر <sup>(١)</sup> أرادوا فعله <sup>(٢)</sup>.

﴿٨٧﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٨٧﴾ إن أراد أسلافهم: فالرؤية بالقلب. وإن أراد المعاصرين للنبي ﷺ وهو الأظهر: فهي رؤية عين.

﴿٨٨﴾ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ ﴿٨٨﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿٨٩﴾ إِنَّا لَنَأْخُذُهُمْ أُولِيَاءَهُمْ ﴿٨٩﴾ أي: ما اتخذوا الكفار أولياء.

﴿٩٠﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً ﴿٩٠﴾ الآية؛ إخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة الأوثان للمسلمين.

(١) في هامش أزيادة: فخ: إن: أي: إن أرادوا فعله، والمثبت موافق لما في الكشف.

(٢) انظر: الكشف (٥/٤٥٤).

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ﴾ الآية؛ إخبار أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين. وهذا الأمر باقٍ إلى آخر الدهر، فكل يهودي شديد العداوة للإسلام والكيد لأهله.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ فِسِّيَّيْنَ وَرُهْبَانًا﴾ تعليل لقرب مودتهم، والقسيس: العالم، والراهب: العابد.

﴿٨٥﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الآية؛ هي في النجاشي، وفي الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله ﷺ، وهم سبعون رجلاً، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، فبكوا كما بكى النجاشي حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب ؑ سورة «مريم»<sup>(١)</sup>. وقال السهيلي: نزلت في وفد نجران، وكانوا نصارى عشرين رجلاً، فلما سمعوا القرآن بكوا<sup>(٢)</sup>.

﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ «من» الأولى: سببية، والثانية: لبيان الجنس.

﴿عَامَّةً﴾ أي: بأن القرآن<sup>(٣)</sup> من عند الله.

﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع المسلمين، وكذلك: ﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿٨٦﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ توقيف لأنفسهم، أو محاجة لغيرهم.

﴿وَنَنْظَعُ﴾ قال الزمخشري: الواو للحال<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عطية: لعطف جملة على جملة، لا لعطف فعل على فعل<sup>(٥)</sup>.



(١) أما نزولها في النجاشي وقصته حين قرأ عليه جعفر ؑ سورة مريم: فأخرجه الطبري (٨/ ٥٩٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٤) عن ابن عباس ؓ، وأخرجه ابن أبي حاتم أيضاً (٤/ ١١٨٥) عن سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعروة بن الزبير. وأما نزولها في الوفد الذي بعثهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ: فأخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٥) عن سعيد بن المسيب.

(٢) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي، ص: ٩٩، وذكره ابن إسحاق في سيرته (٢١٨).

(٣) في ب: «بالقرآن».

(٤) انظر: الكشف (٥/ ٤٦٠).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٦).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٩﴾ وَكُلُوا مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ لَا  
 يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُوهَ  
 إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ  
 فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرتُ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ  
 كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ \*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ  
 وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٢﴾ إِنَّمَا  
 يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوفِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ  
 اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ بِهِلَ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ ﴿٦٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ  
 فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٦٤﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا  
 وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٥﴾

﴿٥٩﴾ لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ سببها: أن قوماً من الصحابة غلب عليهم خوف  
 الله إلى أن حرّم بعضهم النساء، وبعضهم النوم بالليل، وبعضهم أكل اللحم، وهم بعضهم  
 أن يَخْتَصُّوا وَيَسِيحُوا في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر،  
 وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تُفَرِّطُوا في التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم.

﴿٦٠﴾ وَكُلُوا﴾ أي: تمتّعوا بالماكل الحلال، وبالنساء وغير ذلك. وإنما خصّ الأكل  
 بالذكر؛ لأنه أعظم حاجات الإنسان.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٨٧/٤) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؓ، وأخرجه الطبري (٦٠٩/٨) عن قتادة والسدي. وأصل القصة في الصحيحين - البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) - عن أنس ؓ دون ذكر  
 سبب النزول.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ تقدم في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ أي: بما قصدتم عقده بالنية.

وقرئ ﴿عَقَّدْتُمُ﴾ بالتخفيف، و﴿عَاقَدْتُمُ﴾ بالألف<sup>(٢)</sup>.

﴿إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يُجزئ في الكفارة إطعام غني، فإن أطعمه جهلاً لم يُجزئه على المشهور من المذهب. واشترط مالك أيضاً: أن يكونوا أحراراً مسلمين<sup>(٣)</sup>، وليس في الآية ما يدل على ذلك.

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ اختلف في هذا التوسط؛ هل هو في القدر أو في الصنف؟ واللفظ يحتمل الوجهين.

فأما القدر: فقال مالك: يُطعم بالمدينة: مد بمذ النبي ﷺ، وبغيرها: وسط من الشبّع. وقال الشافعي وابن القاسم: يُجزئ المد في كل مكان<sup>(٤)</sup>. وقال أبو حنيفة: إن غداهم وعشاهاهم أجزأه<sup>(٥)</sup>.

وأما الصنف: فاختلف هل يُطعم من عيش نفسه، أو من عيش أهل بلده؟ فمعنى الآية على التأويل الثاني: من أوسط ما تطعمون - أيها الناس - أهليكم على الجملة. وعلى الأول: يختص الخطاب بالمكفر.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال كثير من العلماء: يُجزئ ثوب واحد لمسكين؛ لأنه يقال فيه: كِسوة.

(١) انظر تفسير الآية (٢٢٣).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: ﴿عَقَّدْتُمُ﴾ بالقصر والتخفيف، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿عَاقَدْتُمُ﴾ بالمد والتخفيف، وقرأ الباقر ﴿عَقَّدْتُمُ﴾ بالتشديد من غير مد.

(٣) وبه قال الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/٣٤٣).

(٤) ومذهب أحمد: لا يجزئ أقل من المد من البر، أو نصف صاع من غيره من التمر والشعير ونحوهما. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/٣٥٣).

(٥) وهو إحدى الروايتين عن أحمد، أنه يجزئه إذا أطعمهم القدر الواجب لهم، اختارها ابن تيمية، والرواية الأخرى: عدم الإجزاء، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/٣٥٩).

وقال مالك: إنما يُجزئ<sup>(١)</sup> ما تصحُّ به الصلاة، فالرجل<sup>(٢)</sup> ثوبٌ واحد، والمرأة<sup>(٣)</sup> قميصٌ وخمار<sup>(٤)</sup>.

﴿أَوْ تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ اشترط مالك فيها: أن تكون مؤمنة<sup>(٥)</sup>؛ لتقيدها بذلك في كفارة القتل، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيّد. وأجاز أبو حنيفة هنا: عتق الكافر؛ لإطلاق اللفظ هنا. واشترط مالك أيضًا: أن تكون سليمة من العيوب<sup>(٦)</sup>. وليس في اللفظ ما يدلُّ على ذلك.

﴿بِمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أي: مَنْ لم يملك ما يُعتق ولا ما يُطعم ولا ما يكسو؛ فعليه صيام ثلاثة أيام، فالخصال الثلاثة<sup>(٧)</sup> على التخيير، والصيام مرتبٌ بعدها لمن عَدِمها. وهو عند مالك: مَنْ لم يُفْضَلْ عن قوته وقوت عياله في يومه زيادةً.

﴿ذَلِكَ كَفَّرةٌ أَيْمَنِيكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ معناه: إذ حلّفتُم وحَنِثْتُم، أو أردتم الحنث. واختلف: هل يجوز تقديم الكفارة على الحنث أم لا؟ ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ أي: احفظوها فَبَرُّوا فيها، ولا تَحْشَوْا. وقيل: احفظوها بأن تكفروها إن<sup>(٨)</sup> حَنِثْتُم. وقيل: احفظوها؛ أي: لا تنسوها تهاونًا بها.

﴿الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ مذكوران في «البقرة»<sup>(٩)</sup>.

﴿وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْزَامُ﴾ مذكوران في أول هذه السورة<sup>(١٠)</sup>.

(١) في د: «يجزئه».

(٢) في ج، د: «فللرجل».

(٣) في ج، د: «وللمرأة».

(٤) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥٢٣/٢٧).

(٥) وهو مذهب الشافعي، وإحدى الروايتين عن أحمد، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٩٨/٢٣).

(٦) وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٠٠/٢٣).

(٧) في أ: «الثلاث».

(٨) في د: «إذا»، وكذا في هامش أ ورمز لها بـ«خ».

(٩) انظر تفسير الآية (٢١٧).

(١٠) انظر تفسير الآية (٤).

﴿رَجَسَ﴾ هو في اللغة: كلُّ مكرهٍ مذموم، وقد يطلق بمعنى النجس، وبمعنى الحرام. وقال ابن عباس رضي الله عنه هنا<sup>(١)</sup>: «رَجَسَ»: سُخِطَ<sup>(٢)</sup>.

﴿بَاجَتْنِيوَه﴾ نصٌّ في التحريم، والضمير يعود على الرَّجَس؛ الذي هو خبرٌ عن جميع الأشياء المذكورة.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوفَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَوَّةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ تقييحٌ للخمر والميسر، وذكرٌ لبعض عيوبها، وتعليلٌ لتحريمها. وقد وقعت في زمان الصحابة عداوةٌ بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال: إن ذلك كان سببَ نزول الآية<sup>(٣)</sup>.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ توقيفٌ يتضمَّن الزجر والوعيد؛ ولذلك قال عمر لما نزلت: «انتبهينا انتبهينا»<sup>(٤)</sup>.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ فيها تأويلان: أحدهما: أنه لما نزل تحريم الخمر قال قومٌ من الصحابة: كيف بمن مات منّا وهو يشربها؟ فنزلت الآية<sup>(٥)</sup> معلِّمةً أنه لا جُنَاحَ على من شربها قبل التَّحريم؛ لأنه لم يعص الله بشربها حينئذٍ.

والآخر: أن المعنى: رفعُ الجُنَاحِ عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرامَ منها، وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه حين قال لقدامة: «إنك إذا اتَّقَيْتَ الله اجتنبْتَ ما حرمَ عليك»، وكان قدامةٌ قد شربها واحتجَّ بهذه الآية على رفع الجُنَاحِ عنه، فقال له عمر: «أخطأتَ التأويل»<sup>(٦)</sup>.

(١) في د: «معنى» بدل «هنا».

(٢) أخرجه الطبري (٦٥٦/٨) وابن أبي حاتم (١١٩٨/٤) من طريق علي بن أبي طلحة.

(٣) أخرجه الطبري (٦٦١/٨)، والنسائي في الكبرى (١١٠٨٦)، والحاكم (٧٢١٩) وسكت عنه وقال الذهبي: «على شرط مسلم»، والبيهقي (١٧٣٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٣٧٨)، والنسائي (٥٥٥٥)، والترمذي (٣٠٤٩)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والحاكم (٣١٠١) وصححه ووافقه الذهبي، عن عمر رضي الله عنه، وقال ابن حجر في الفتح (٢٧٩/٨): «وصححه علي بن المديني والترمذي».

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٦٤)، ومسلم (١٩٨٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٢/٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٧٢/٧)، والبيهقي من طريقه (١٧٥١٦).



﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ الآية؛ قيل: كَرَّرَ التقوى مبالغةً. وقيل: الرتبة الأولى: اتقاء الشرك، والثانية: اتقاء المعاصي، والثالثة: اتقاء ما لا بأس به؛ حذرًا مما به البأس. وقيل: الأولى: للزمان الماضي، والثانية: للحال، والثالثة: للمستقبل.

﴿وَأَحْسَنُوا﴾ يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس، أو الإحسان في طاعة الله؛ وهو<sup>(١)</sup> المراقبة، وهذا أرجح؛ لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام، ثم مقام الإيمان، ثم مقام الإحسان.



(١) في أ، ب، هـ: «وهي».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ إِعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ قَلْعَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَدًّا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُم هَدِيًّا بَلِغِ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفِّرْهُ طَعَامَ مَسْكِينٍ أَوْ عَذْلٌ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَقَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٧﴾ أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُم صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٨﴾ \* جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فَيَسَاءَ لِلنَّاسِ وَالشَّهَرِ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْفَلَاحِيذَ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ إِبْلُغُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢١﴾ فَلَا يَسْتَوِ الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْخُذَ بِالْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٢٢﴾

﴿لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ أي: يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام، أو في الحرم. وكان الصيد من معاش العرب ومستعملاً عندهم، فاخترتوا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوث في السبت. وإنما قلله في قوله: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ إشعاراً بأنه ليس من الفتن العظام، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها.

﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال مجاهد: الذي تناله الأيدي: الفراخ، والبيض، وما لا يستطيع أن يفر، والذي تناله الرماح: كبار الصيد<sup>(١)</sup>. والظاهر عدم هذا التخصيص.

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي: يعلمه علماً تقوم به الحجة؛ وذلك إذا ظهر في الوجود.

﴿فَمَنِ إِعْتَدَىٰ﴾ أي: بقتل الصيد وهو مُحَرَّمٌ. والعذاب الأليم هنا: في الآخرة.

﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرْمٌ﴾ معنى «حُرْمٌ»: داخلين في الإحرام، أو في الحرم.

(١) أخرجه الطبري (٨/٦٧١)، وابن أبي حاتم (٤/١٢٠٣).

و ﴿الصَّيْدَ﴾ هنا: عامٌ، خَصَّصَ منه الحديثُ: الغرابَ، والحِدَاةَ، والفأرةَ، والعقربَ، والكلبَ العقور<sup>(١)</sup>. وأدخل مالك في الكلب العقور: كلَّ ما يؤذي الناس من السباع وغيرها<sup>(٢)</sup>. وقاس الشافعي على هذه الخمسة: كلَّ ما لا يؤكل لحْمُه<sup>(٣)</sup>.

ولفظ الصيد يدخل فيه: ما صيد، وما لم يُصَدَّ مما شأنه أن يصاد. وورد النهي هنا عن القتل؛ قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعِدًّا﴾ مفهوم الآية يقتضي: أن جزاء الصيد على المتعمد لا على الناسي، وبذلك قال أهل الظاهر<sup>(٤)</sup>. وقال جمهور الفقهاء: إن المتعمد والناسي سواء في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في تأويل قوله: ﴿مُتَعِدًّا﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المتعمد إنما ذُكر ليُناط به الوعيد الذي في قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾؛ إذ لا وعيد على الناسي. والثاني: أن الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد. والثالث: أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن، وأن الجزاء على الناسي ثبت بالسنة<sup>(٥)</sup>.

﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ المعنى: فعليه جزاء. وقرئ بإضافة ﴿جَزَاءٌ﴾ إلى ﴿مِثْلٍ﴾<sup>(٦)</sup>؛ وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به. وقيل: ﴿مِثْلٍ﴾ زائدة؛ كقولك: «أنا أكرمُ مثلك» أي: أكرمك. وقرئ ﴿فَجَزَاءٌ﴾ - بالتنوين - ﴿مِثْلٍ﴾ بالرفع؛ على البدل، أو الصفة. و﴿النَّعَمِ﴾: الإبل والبقر والغنم خاصة.

(١) أخرجه البخاري (١٨٤٩)، ومسلم (١١٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) وهو مذهب الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٠٧/٨).

(٣) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٠٧/٨).

(٤) وهو رواية عن أحمد، والمذهب كقول الجمهور. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٢٧/٨).

(٥) هذا من قول الزهري، كما في مصنف عبد الرزاق (١٧٠/٤): «عن الزهري قال: يُحَكَّمُ عليه في العمد، وهو في الخطأ سنة»، وليس المراد بالسنة هنا حديثٌ معيَّن واردٌ فيه، وإنما المراد: أنه عليه عمل أهل العلم وطريقتهم، ولذا قال عبد الرزاق معلقًا: «وهو قول الناس، وبه نأخذ».

(٦) قرأ عاصم وحزمة والكسائي ﴿فَجَزَاءٌ﴾ - بالتنوين - ﴿مِثْلٍ﴾ برفع اللام، وقرأ الباقون ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلٍ﴾ بغير تنوين وبالحذف.

ومعنى الآية: عند مالك والشافعي<sup>(١)</sup>: أن من قتل صيداً وهو مُحَرَّمٌ أن عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر، ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الغزالة شاة، فالمثلية -على هذا-: هي في الصورة والمقدار، فإن لم يكن له مثل: أطمع أو صام. ومذهب أبي حنيفة: أن المثل القيمة؛ يقوم الصيد المقتول، ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة، أو يشتري بالقيمة من النعم ما يهديه.

﴿يُخَكِّمُ بِهِ ذَوْا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذه الآية تقتضي: أن التحكيم شرط في إخراج الجزاء، ولا خلاف في ذلك، فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه فعليه إعادته بالحكم، إلا حمام مكة؛ فإنه لا يحتاج إلى حكمين، قاله مالك.

ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه<sup>(٢)</sup> الصحابة، وفيما لم يحكموا به؛ لعموم لفظ الآية. وقال الشافعي: يُكْتَفَى في ذلك بما حكمت به الصحابة<sup>(٣)</sup>.

﴿هَذَا﴾ يقتضي ظاهره: أن ما يُخْرَج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يُهدى؛ وهو الجذع من الضأن والشبي مما سواه.

وقال الشافعي: يُخْرَج المثل في اللحم، ولا يُشترط السن<sup>(٤)</sup>.

﴿بَلِّغْ أَلْكَعْبَةَ﴾ لم يُرد الكعبة بعينها، وإنما أراد الحرم. ويقتضي: أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدي؛ من سوقه من الحل إلى الحرم<sup>(٥)</sup>. وقال الشافعي وأبو حنيفة<sup>(٦)</sup>: إن اشتراه في الحرم أجزأه.

﴿أَوْ كَقَرَّةٍ طَعَامٍ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً﴾ عدّد تعالى ما يجب في قتل المحرم للصيد، فذكر أولاً الجزاء من النعم، ثم الطعام، ثم الصيام. ومذهب مالك والجمهور: أنها على

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/٩).

(٢) في د: «به».

(٣) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٦/٩).

(٤) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٨/٩).

(٥) في أ، ب، هـ: «الحرام».

(٦) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/٩).

التَّخْيِير، وهو الذي يقتضيه العطف بـ «أو». ومذهب ابن عباس رضي الله عنه: أنها على الترتيب <sup>(١)</sup>. ولم يبين الله هنا مقدار الطعام، فرأى العلماء أن يُقدَّر بالجزاء من النعم، إلا أنهم اختلفوا في كيفية التقدير: فقال مالك: يُقدَّر الصيد المقتول نفسه بالطعام، أو بالدرهم ثم تقوم الدراهم بالطعام، فيُنظر كم يساوي من طعام أو من درهم وهو حي.

وقال بعض أصحاب مالك: تقدير الصيد بالطعام أن يقال: كم كان يُشبع الصيد من نفس، ثم يُخرج قدر شبعهم طعامًا. وقال الشافعي: لا يُقدَّر الصيد نفسه، وإنما يُقدَّر مثله، وهو الجزاء الواجب على القاتل له <sup>(٢)</sup>.

﴿أَوْ عَذْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ تحتمل الإشارة بذلك أن تكون إلى الطعام، وهو أحسن؛ لأنه أقرب، أو إلى الصيد.

واختلف في صفة تعديل الصيام بالطعام: فقال مالك: يصوم مكان كل مدٍّ يومًا <sup>(٣)</sup>. وقال أبو حنيفة: مكان كل مدٍّ يومًا. وقيل: مكان كل صاع يومًا. ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام إلا بقتل الصيد، لا بأخذه دون قتل؛ لقوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ﴾. وفي كل وجه يشترط حكم الحكمين، وإنما لم يذكره الله في الصيام والطعام؛ استغناء بذكره في الجزاء.

﴿لَيَذُوقُ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ الذوق هنا: مستعار؛ لأن حقيقته بحاسة اللسان. والوبال: سوء العاقبة، وهو هنا: ما لزمه من التكفير.

﴿عَبَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي: عمّا فعلتم في الجاهلية من قتل الصيد في الحرم.

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: من عاد إلى قتل الصيد وهو مُحَرَّمٌ بعد النهي عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه، أو بعذابه في الآخرة.

﴿إِجْلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أحل الله هذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم. والصيد هنا: المصيد، والبحر: هو الماء الكثير؛ سواء كان ملحًا أو عذبًا، كالبرك ونحوها.

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٣٢)، والطبري (٦٨٢/٨)، وابن أبي حاتم (١٢٠٨/٤).

(٢) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٨٤/٨).

(٣) وهو مذهب الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٨٥/٨).

﴿وَطَعَامُهُ﴾ هو ما يطفو على الماء، وما قَذَف به البحر؛ لأن ذلك طعامٌ وليس بصيد. قاله أبو بكر الصديق<sup>(١)</sup> وعمر بن الخطاب<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس<sup>(٣)</sup>: طعامه: ما مُلِّح منه وبقي<sup>(٤)</sup>.

﴿مَتْنَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ الخطاب بـ ﴿لَكُمْ﴾ للحاضرين في البحر، والسيارة: المسافرون. أي: هو متاع<sup>(٥)</sup> تأتدّمون به.

﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ الصَّيْد هنا يَحْتَمِلُ أن يراد به: المصدّر، أو الشيء المصيد، أو كلاهما. فنشأ من هذا: أن ما صاده المحرم فلا يحلُّ له أكله بوجه.

ونشأ الاختلاف فيما صاد<sup>(٦)</sup> غيره: فإذا اصطاد حلالاً: فقليل: يجوز للمُحَرِّم أكله. وقيل: لا يجوز. وقيل: لا يجوز إن اصطاده لمحرم<sup>(٧)</sup>. والأقوال الثلاثة مروية عن مالك. وإن اصطاد حراماً: لم يَجُزْ لغيره أكله عند مالك<sup>(٨)</sup>، خلافاً للشافعي.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتِيَّ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ﴾ أي: أمراً يقوم للناس بالأمن والمنافع. وقيل: موضع قيام بالمناسك. ولفظ «الناس» هنا: عامٌ. وقيل: أراد العرب خاصة؛ لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة.

﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ يريد: جنس الأشهر الحرم الأربعة؛ لأنهم كانوا يكفون فيها عن القتال. ﴿وَالْهَدْيَ﴾ يريد: أنه أمان لمن يسوقه؛ لأنه يُعْلَمُ أنه في عبادةٍ لم يأت لحرب.

(١) أخرجه الطبري (٧٢٦/٨).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (٨٣٦)، والطبري (٧٢٦/٨).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور (٨٣٤)، والطبري (٧٢٦/٨) وابن أبي حاتم (١٢١١/٤).

(٤) في زيادة: «لكم».

(٥) في ب، د: «صاده».

(٦) وهو مذهب الشافعي وأحمد، أنه لا يجوز أكله إن صيد لأجله، وإلا جاز. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٨٥/٨).

(٧) فيكون ميتة، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد والشافعي في الجديد، خلافاً لقوله في القديم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٩٠/٨)، وروضة الطالبين (١٥٥/٣).

﴿وَالْفَلَيْدَ﴾ كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئاً من السَّمَر، وإذا رجع تقلد شيئاً من شجر الحرم؛ ليُعلم أنه كان في عبادة، فلا يتعرّض له أحدٌ بِشَرٍّ<sup>(١)</sup>؛ فالقلائد هنا: هو<sup>(٢)</sup> ما يُقلدُه<sup>(٣)</sup> المحرم من الشجر. وقيل: أراد قلائد الهدى. قال سعيد بن جبير: جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية، وشدّدها في الإسلام<sup>(٤)</sup>.

﴿ذَٰلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا﴾ الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياماً للناس. والمعنى: فعل<sup>(٥)</sup> الله ذلك لتعلموا أنه يعلم تفاصيل الأمور.

﴿لَا يَسْتَوِ الْأَخْيَبُ وَالطَّيِّبُ﴾ لفظٌ عام في جميع الأمور؛ من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك.



(١) في ب، هـ: «بشيء» ولم ترد في ج.

(٢) في ج، هـ: «هي».

(٣) في د: «ما تقلده».

(٤) هكذا عزاه إلى ابن جبير ابن عطية في تفسيره (٢/٢٦٨)، وليس هو من قول سعيد بن جبير، وإنما هو من قول مجاهد، أخرجه الطبري (٨/٩) عنه قال: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس»: حين لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً، فشدد الله ذلك بالإسلام.

(٥) في د: «جعل».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْفَرْءُ أَنْ تُبْدَ لَكُمْ عَنِ اللَّهِ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍّ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٥٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٠﴾ \* يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ إِنَّكُم مِّنكُمْ أَوْ أُخْرَىٰ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ بِأَصْبَتِكُمْ مُّصِيبَةً الْمَوْتُ تَخْبِسُوهَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنْ إِرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ ﴿١٦١﴾ فَإِنْ غَيْرَ عَلَىٰ أَثْمَا إِنْ شَاحَقَّا إِنَّمَا بَاقَرَيْنِ يَفُومَنِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَىٰ فَيُقْسِمُ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا يَعْتَدِيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٢﴾ ذَلِكَ أَذْنَبِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنٌ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦٣﴾

﴿١٦٣﴾ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ قيل: سببها: سؤال عبد الله بن حذافة: مَنْ أَبِي؟ فقال له النبي ﷺ: «أبوك حذافة»، وقال آخر: أين أنا؟ قال: «في النار»<sup>(١)</sup>. وقيل: سببها: أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب عليكم الحجَّ فحجوا» فقالوا: يا رسول الله أفي كلِّ عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: «لا، ولو قلت: نعم لوجبت»<sup>(٢)</sup>. فعلى الأول: «تَسْأَلُكُمْ» بالإخبار

(١) في هامش ب: «أين أبي»، وهذا الاختلاف بين النسخ موجود -أيضاً- في تفسير الطبري وتفسير ابن كثير!

(٢) أخرجه الطبري (١٧/٩) من حديث أبي هريرة ؓ، وقال ابن كثير (٣/٢٠٤): «إسناده جيد». وأخرجه البخاري (٦٣٦٢) ومسلم (٢٣٥٩) من حديث أنس ؓ، وفيه: فقام ذاك الرجل فقال: من أبي؟ قال: «أبوك فلان»، وفي رواية: «حذافة»، وزاد البخاري في بعض طرقه (٧٢٩٤): فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟ قال: «النار».

(٣) أخرجه أحمد (٩٠٥)، والترمذي (٨١٤)، (٣٠٥٥)، وابن ماجه (٢٨٨٤)، والحاكم (٣١٥٧) عن أبي البخري =



بما لا يُعجبكم. وعلى الثاني: ﴿تَسْؤُكُمْ﴾ بتكليف ما يشق عليكم، ويقوي هذا قوله: ﴿عَبَا أَلَّهَ عَنْهَا﴾ أي: سكت عن ذكرها ولم يطالبكم بها؛ كقوله ﷺ: «عفا الله عن الزكاة في الخيل»<sup>(١)</sup>. وقيل: إن معنى ﴿عَبَا أَلَّهَ عَنْهَا﴾: عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم؛ فلا تعودوا إليه.

﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ فيه معنى الوعيد على السؤال؛ كأنه قال: لا تسألوا، وإن سألتكم أبدي لكم ما يسوؤكم. والمراد بـ ﴿حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾: زمان الوحي.

﴿فَذَسَّالَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ الضمير في ﴿سَآلَهَا﴾ راجع إلى المسألة التي دل عليها ﴿لَا تَسْأَلُوا﴾، وهي مصدر؛ ولذلك لم يتعدَّ بـ «عن» كما تعدَّى قوله: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾<sup>(٢)</sup>. وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا، فالكفر هنا: عبارة عن ترك ما أمروا به.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ لما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية هل تعظم كتعظيم الكعبة والهدي؟ أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئاً من ذلك لعباده؛ أي: لم يشرعه لهم، وإنما الكفار جعلوا ذلك.

فأما البَحِيرَةُ: فهي فَعِيلَةٌ بمعنى مفعولة؛ مِنْ بَحَرَ إِذَا شَقَّ؛ وذلك أن الناقة إِذَا نَتَجَتْ<sup>(٣)</sup> عشرة أبطن شقوا أذنَّها، وتركوها ترعى ولا يُتَنَفَّع بها.

= عن علي رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن غريب»، وقال: «سمعت محمداً يقول: أبو البخري لم يدرك علياً»، وضعفه ابن الملقن في البدر المنير (١٣/٦). وأخرجه ابن خزيمة (٢٥٠٨)، وابن حبان (٣٧٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأصل حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مسلم (١٣٣٧) بدون ذكر سبب النزول.

(١) أخرجه أحمد (٩٨٤)، والنسائي (٢٤٧٦)، والترمذي (٦٢٠)، وأبو داود (١٥٧٤)، وابن ماجه (١٧٩٠)، عن علي رضي الله عنه، بلفظ: «قد عفوت عن صدقة الخيل...»، ونقل الترمذي عن البخاري تصحيحه.

(٢) يعني: أن الضمير هنا راجع إلى المصدر - وهو المسألة -، وليس إلى المفعول، فلذا لم يُحتَجَّ إلى تعديته بـ «عن»، كما احتج إلى تعدية الأول بـ «عن»؛ لأنه راجع إلى المفعول، وهو «أشياء». الكشف (٥/٥٠٧).

(٣) في أ، ب، د: «أنتجت» بالالف، والمثبت هو الفصح كما نص عليه الإمام ثعلب في كتابه الفصح، يقال: «نتجت الناقة تُنتج، وتنجها أهلها»، وانظر: شرح الفصح لابن درستويه (ص: ١٠٤).

وأما السَّائِبَةُ: فكان الرجل يقول: «إذا قدمتُ من سفري أو برئت من مرضي فناقني سائبة»، وجعلها كالبحيرة في عدم الانتفاع بها.

وأما الوَصِيلَةُ: فكانوا إذا وَلَدَتِ الناقة ذكراً وأنثى في بطنٍ واحد قالوا: وصلتِ الناقةُ أخاها، فلم يذبحوه<sup>(١)</sup>.

وأما الحامي: فكانوا إذا نُتِجَ من صلب الجمل عشرة بطون قالوا: قد حمى ظَهْرُه، فلا يركب ولا يُحمَل عليه شيء.

﴿وَلَيْكِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: يَكْذِبُونَ عليه بتحريمهم ما لم يحرم. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الذي يفترون: هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء. والذين لا يعقلون: هم أتباعهم المقلدون لهم.

﴿فَالَوْأَ حَسِبْنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ يَدَهُ﴾ أي: يكفينا دينُ آبائنا.

﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ قال الزمخشري: الواو واو الحال، دخلت عليها همزة الإنكار؛ كأنه قيل: أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون! وقال ابن عطية: «الف التوقيف دخلت على واو العطف»<sup>(٢)</sup>. وقول الزمخشري أحسن في المعنى.

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقيل: إنها خطابٌ للمسلمين من ذرية الذين حرّموا البحيرة وأخواتها؛ كأنه يقول: لا يضرُّكم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم.

(١) في أ، د: «يذبحوها»، والمثبت هو الصواب، والضمير يعود على الذَّكَر، قال في الكشف (٥/٥٠٨): «فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذَّكَرَ لآلهتهم»، وانظر أيضًا: المحرر الوجيز (٣/٢٧٧).

(٢) انظر: الكشف (٥/٥٠٩).

(٣) المحرر الوجيز (٣/٢٧٨)، وتمة كلامه ليتضح به مقصوده: «كأنهم عطفوا بهذه الجملة على الأولى والتزموا شنيع القول، فإنما التوقيف توبيخٌ لهم، كأنهم يقولون بعده: نعم ولو كانوا كذلك».

والقول الصحيح فيها: ما ورد عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه قال: سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ <sup>(١)</sup> شُحًّا مَطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ بِخُوصِصَةِ نَفْسِكَ وَذُرِّ عَوَائِمِهِمْ» <sup>(٢)</sup>، ومثل ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ليس هذا بزمان هذه الآية؛ قولوا الحق ما قُبِلَ مِنْكُمْ، فَإِذَا رُدَّ عَلَيْكُمْ <sup>(٣)</sup> فَعَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ» <sup>(٤)</sup>.

﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ إِنَّنِي﴾ قال مكِّي: هذه الآية أشكل آية من القرآن؛ إعرابًا، ومعنى، وحكمًا <sup>(٥)</sup>.

ونحن نبين معناها على الجملة، ثم نبين أحكامها، وإعرابها على التفصيل.

وسببها: أن رجلين خرجا إلى الشام، وخرج معهما رجل آخر لتجارة <sup>(٦)</sup>، فمرض في الطريق، فكتب كتابًا قيّد فيه كل ما معه، وجعله في متاعه، وأوصى الرجلين أن يؤدّيا رَحْلَهُ إلى ورثته، فمات، فَقَدِمَ الرجلان المدينة، ودفعَا رَحْلَهُ إلى ورثته، فوجدوا فيه كتابه، وفقدوا منه أشياء قد كتبها، فسألوهما عنها فقالا: لا ندرى، هذا الذي قبضناه، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فاستحلفهما رسول الله ﷺ، فبقي الأمر مدّة، ثم عُثِرَ على إناءٍ عظيم من فضة، فقيل لمن وُجِدَ عنده: من أين لك هذا؟ فقال: اشتريته من فلان وفلان، يعني الرجلين، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ رجلين من أولياء الميت أن يحلفا، فحلفا واستحَقَّا <sup>(٧)</sup>.

(١) في د: «رأيت».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٥٨) وقال: «حسن غريب»، وأبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن حبان (٣٨٥)، والحاكم (٧٩١٢) وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

(٣) سقطت هذه الكلمة من ب، ج، هـ.

(٤) أخرجه الطبري (٤٣/٩)، وابن أبي حاتم (١٢٢٧/٤)، وسعيد بن منصور (٨٤٩)، والبيهقي (٢٠١٩٤).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (٢٤٣/١).

(٦) في ج، د: «بتجارة».

(٧) أخرجه البخاري (٢٧٨٠).

فمعنى الآية: إذا حضر الموت أحدًا في السفر فليشهد عدلين بما معه، فإن وقعت ريبة في شهادتهما حلفا أنهما ما كذبا ولا بدلا، فإن عُثِرَ بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت، وعَرِمَ الشَّاهدان ما ظهر عليهما.

﴿شَهَادَةُ بَيْنَكُمَا﴾ مرفوعٌ بالابتداء، وخبره: ﴿إِثْنَيْنِ﴾، التقدير: شهادة بينكم شهادة اثنين، أو: مقيم شهادة بينكم اثنان.

﴿إِذَا حَضَرَ﴾ أي: إذا قارب<sup>(١)</sup> الحضور، والعامل في ﴿إِذَا﴾: المصدر؛ الذي هو ﴿شَهَادَةُ﴾ وهذا على أن يكون ﴿إِذَا﴾ بمنزلة «حين»؛ لا تحتاج جوابًا. ويجوز أن تكون شرطية، وجوابها محذوف؛ يدلُّ عليه ما تقدَّم قبلها؛ فإنَّ المعنى: إذا حضر أحدكم الموت فينبغي أن يُشهد.

﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ ظرف؛ العامل فيه: ﴿حَضَرَ﴾، أو يكون بدلًا من ﴿إِذَا﴾.

﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفةٌ للشاهدين.

﴿مِنْكُمْ أَوْ آخَرَيْنِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قيل: معنى ﴿مِنْكُمْ﴾: من عشيرتكم وأقاربكم، و﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من غير العشيرة والقرابة. وقال الجمهور: ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: من المسلمين، و﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: من الكفار إن لم يوجد مسلم.

ثم اختلف على هذا: هل هي منسوخة بقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] فلا تجوز شهادة الكفار أصلاً - وهو قول مالك والشافعي<sup>(٢)</sup> والجمهور -؟ أو هي مُحْكَمَةٌ وأن شهادة الكفار جائزة على الوصية في السفر<sup>(٣)</sup> - وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٤)</sup> -؟

﴿إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم، وجواب ﴿إِنْ﴾ محذوف؛ يدلُّ عليه ما تقدَّم قبلها، والمعنى: إن ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فشهادة بينكم شهادة اثنين.

(١) في ج، د: «قرب».

(٢) وأبي حنيفة.

(٣) وهو مذهب أحمد، أنها تقبل إذا لم يوجد من المسلمين من يشهد بها. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٣١/٢٩).

(٤) أخرجه الطبري (٧٣/٩) وابن أبي حاتم (١٢٢٩/٤).

﴿تَخْبِسُونَهُمَا﴾ قال أبو علي الفارسي: هو صفة لـ ﴿آخَرَيْنِ﴾، واعتراض بين الصفة والموصوف بقوله: ﴿إِن أَنْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْمَوْتِ﴾؛ ليفيد أن العدول إلى آخَرَيْنِ من غير الملة إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض، وحلول الموت في السفر<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري: ﴿تَخْبِسُونَهُمَا﴾ استئناف كلام<sup>(٢)</sup>.

﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ قال الجمهور: هي صلاة العصر؛ فاللام للعهد؛ لأنها وقت اجتماع الناس، وبعدها أمر النبي ﷺ باللَّعَان، وقال: «مَنْ حَلَفَ عَلَى سَلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ..»<sup>(٣)</sup>، وكان التحليف بعدها معروفًا عندهم. وقال ابن عباس ؓ: هي صلاة الكافرين في دينهما؛ لأنهما لا يُعْظَمَانِ صلاة العصر<sup>(٤)</sup>.

﴿يُقْسِمُ بِاللَّهِ﴾ أي: يحلفان، ومذهب الجمهور: أن تحليف الشاهدين منسوخ. وقد أحلفهما علي بن أبي طالب<sup>(٥)</sup> وأبو موسى الأشعري<sup>(٦)</sup>.

﴿إِنْ لِرَبِّتُمْ﴾ أي: إن شككتم في صدقهما، وأمانتهما. وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسم عليه. وجواب ﴿إِنْ﴾ محذوف؛ يدل عليه: ﴿يُقْسِمُ﴾.

﴿لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ هذا هو المقسم عليه، والضمير في ﴿بِهِ﴾ للقسم، وفي ﴿كَانَ﴾ للمقسم له؛ أي: لا تستبدل بصحة القسم بالله عرضًا من الدنيا؛ أي: لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال؛ ولو كان من تقسيم له قريبًا لنا؛ وهذا لأن عادة الناس الميل إلى أقاربهم. ﴿وَلَا تَكُنَّ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وأدائها، وأضافها<sup>(٧)</sup> إلى الله؛ تعظيمًا لها.

(١) نقله في المحرر الوجيز (٢٨٦/٣).

(٢) انظر: الكشاف (٥١٨/٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٦٩)، ومسلم (١٠٨) عن أبي هريرة ؓ.

(٤) أخرجه الطبري (٧٩/٩).

(٥) قال ابن حجر في «الكاف الشاف» (٦٠): «فأما تحليف الشاهد [عن علي] فلم أره».

(٦) أخرجه الطبري (٧٦/٩)، وأبو داود (٣٦٠٥)، والحاكم (٣٢٢٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن الشعبي،

وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره (٢٢٠/٣)، وابن حجر في الفتح (٤١٢/٥).

(٧) في ج: «وأضافتها».

﴿بِإِنْ غَيْرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ أي: إن أُطْلِعَ بعد ذلك على أنهما فعلاً ما أوجب إثمًا. فالإثم: الكذب، أو<sup>(١)</sup> الخيانة. واستحقاقه: الأهلية للوصف به.

﴿بِشَاخَرٍ يَفْقَرُ مَقَامَهُمَا﴾ أي: اثنان من أولياء الميت يقومان مقام الشاهدين في اليمين. ﴿مَنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: من الذين استحقَّ عليهم الإثم، أو المال. ومعناه: من الذين جُني عليهم؛ وهم أولياء الميت.

﴿الْأُولَى﴾ تشية «أولى»؛ بمعنى: أحق؛ أي: الأحقَّان بالشهادة؛ لمعرفتهما، أو الأحقَّان بالمال؛ لقرايتهما. وهو مرفوع؛ على أنه: خيرُ ابتداء؛ تقديره: «هما الأوليان»، أو مبتدأ مؤخر؛ تقديره: «الأوليان آخران يقومان»، أو بدلٌ من الضمير في ﴿يَفْقَرُ﴾. ومنع الفارسي أن يُسند ﴿اسْتَحَقَّ﴾ إلى ﴿الْأُولَى﴾، وأجازه ابن عطية<sup>(٢)</sup>.

وأما على قراءة ﴿اسْتَحَقَّ﴾ - بفتح التاء والحاء - على البناء للفاعل<sup>(٣)</sup>: فـ ﴿الْأُولَى﴾ فاعلٌ بـ ﴿اسْتَحَقَّ﴾. ومعنى ﴿اسْتَحَقَّ﴾ على هذا: أخذ المال وجعل يده عليه. و﴿الْأُولَى﴾ - على هذا - هما: الشاهدان اللذان ظهرت خيانتهم؛ أي: الأوليان بالتَّحْلِفِ والتَّعْنِيفِ والفضيحة.

وقرئ ﴿الْأُولَى﴾ جمع أول<sup>(٤)</sup>، وهو: مخفوض؛ على الصفة لـ ﴿الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ﴾، أو منصوبٌ بإضمار فعلٍ. ووصفهم بالأُولَى؛ لتقدمهم على الأجانب في استحقاق المال، وفي صدق الشهادة.

﴿بِفَيْسَمٍ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا﴾ أي: يحلفُ هذان الآخران أنَّ شهادتهما أحقُّ - أي: أصحُّ - من شهادة الشاهدين اللذين ظهرت خيانتهم.

(١) في د: «أو».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/٢٨٩).

(٣) قرأ حفص عن عاصم ﴿اسْتَحَقَّ﴾ بفتح التاء والحاء، وقرأ الباقر بضم التاء وكسر الحاء.

(٤) قرأ حمزة وشعبة عن عاصم ﴿الْأُولَى﴾ بالجمع، وقرأ الباقر ﴿الْأُولَى﴾ على التشية.

﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن اعتدنا فإننا من الظالمين؛ وذلك على وجه التبرّي، ومثله قول الأولين: ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيِّمِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى الحكم الذي وقع في هذه القضية<sup>(١)</sup>. ومعنى ﴿أَذْنَىٰ﴾: أقرب، و ﴿عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ أي: كما وقعت من غير تبديل ولا تغيير.

﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فيفتضحوا.



(١) في ب: «القصة»، وفي د: «الوصية».

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ يَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَمْرِي فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَمْرِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَمْرِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَمْرِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ \* وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَحْمِلَ ثِقَلَهَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٦﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ مِنْ يَغْفِرُ بَعْدَ ذَنْبِكُمْ فَلَئِنْ أَعَدَّيْنَاهُ عَذَابًا لَّا أَغْدِيْهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة، وانتصاب الظرف بفعل مضمر<sup>(١)</sup>.

﴿يَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ﴾ أي: ماذا أجابكم به الأمم؛ من إيمان وكفر وطاعة ومعصية؟ والمقصود بهذا السؤال: توبيخ من كفر من الأمم، وإقامة الحجة عليهم. وانتصب ﴿مَاذَا﴾ بـ ﴿أَجَبْتُمْ﴾ انتصاب مصدره<sup>(٢)</sup>. ولو أريد الجواب<sup>(٣)</sup> ل قيل: ﴿بماذا أجبتكم؟﴾.

﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إنما قالوا ذلك تأدبًا مع الله، فوكلوا العلم إليه. قال ابن عباس رضي الله عنه: المعنى: لا علم لنا إلا ما علمتنا<sup>(٤)</sup>. وقيل: معناه: علمنا ساقط في جنب علمك، ويقوي

(١) قدره في المحرر الوجيز (٣/٢٩٣): «اذكروا، أو تذكروا، أو اذكروا، ونحو هذا».

(٢) على معنى: أي إجابة أجبتكم؟ إجابة تصديق أم تكذيب؟

(٣) أي: لو أريد السؤال عن مقولهم. الكشف (٥/٥٢٥).

(٤) هذا ليس من قول ابن عباس، وإنما هو من قول مجاهد، أخرجه الطبري (٩/١١١)، وابن أبي حاتم (٤/١٢٣٦).



ذلك قولهم: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾؛ لَأَنَّ مَنْ عَلِمَ الْخَفِيَّاتِ لَمْ تَخَفْ<sup>(١)</sup> عليه الظواهر. وقيل: ذهلوا عن الجواب؛ لهول ذلك اليوم. وهذا بعيد؛ لأن الأنبياء في ذلك اليوم آمنون. وقيل: أرادوا بذلك توبيخ الكفار.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون ﴿إِذْ﴾ بدلاً من ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾، ويكون هذا القول يوم القيامة. أو يكون العامل في ﴿إِذْ﴾ مضمراً، ويحتمل على هذا أن يكون القول في الدنيا، أو يوم القيامة، وإذا جعلناه يوم القيامة؛ فقله: ﴿قَالَ﴾ بمعنى: يقول. وقد تقدّم تفسير ألفاظ هذه الآية في «آل عمران»<sup>(٢)</sup>.

﴿بَتْنَفُخُ بَيْهَا﴾ الضمير المؤنث عائد على الكاف؛ لأنها صفة الهيئة، وكذلك الضمير في ﴿تَكُونُ﴾. وكذلك الضمير المذكّر في قوله في «آل عمران»: ﴿بَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٤٨] عائد على الكاف أيضاً؛ لأنها بمعنى: «مثل».

وإن شئت أن تقول: هو في الموضعين عائد على الموصوف المحذوف الذي وُصف بقوله: ﴿كَهَيْئَةٍ﴾ فتقدّره<sup>(٣)</sup> في التأنيث: «صورة»، وفي التذكير: «شخصاً» أو «خلقاً» وشبه ذلك. وقيل: المؤنث يعود: على الهيئة، والمذكّر: على الطير، أو الطين. وهو بعيد في المعنى<sup>(٤)</sup>.

﴿بِإِذْنِي﴾ كرّره مع كل معجزة؛ ردّاً على من نسب الربوبية لعيسى عليه السلام.

﴿وَإِذْ كَفَبْتُ بَيْنَ إِسْرَآئِيلَ عَنْكَ﴾ يعني: اليهود؛ حين همّوا بقتله فرفعه الله إليه.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ معطوف على ما قبله؛ فهو من جملة نعم الله على عيسى. والوحي هنا يحتمل أن يكون: وحي إلهام، أو وحي كلام.

﴿وَأَشْهَدُ﴾ يحتمل أن يكون خطاباً: لله تعالى، أو لعيسى عليه السلام.

(١) في ب، هـ: «يخف».

(٢) انظر تفسير الآية (٤٨).

(٣) في أ، ب: «فتقدّره».

(٤) في د زيادة: «يعود».

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/٢٩٦).

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ نداؤهم له باسمه دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد ﷺ؛ فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه، وإنما يقولون: يا رسول الله، يا نبي الله.

وقولهم: ﴿إِبْنِ مَرْيَمَ﴾ دليل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أم دون والد، بخلاف ما اعتقده النصارى.

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ظاهر هذا اللفظ: أنهم شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة. وعلى هذا أخذه الزمخشري، وقال: ما وصفهم الله بالإيمان، وإنما حكى دعواهم في قولهم: «آمنّا»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عطية وغيره: ليس لأنهم شكوا في قدرة الله؛ لكنه بمعنى: هل يفعل ربك هذا؟ وهل تقع منه إجابة إليه؟<sup>(٢)</sup>. وهذا أرجح؛ لأن الله أثنى على الحواريين في مواضع من كتابه، مع أن في اللفظ بشاعة تنكر.

وقرئ: ﴿تَسْتَطِيعُ﴾ - بتاء الخطاب - ﴿رَبُّكَ﴾ بالنصب<sup>(٣)</sup>؛ أي: هل تستطيع سؤال ربك. وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكوا، وبها قرأت عائشة ؓ، وقالت: «كان الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾»<sup>(٤)</sup>.

﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ موضع ﴿أَنْ﴾ مفعول بقوله: ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ على القراءة بالياء، ومفعول بالمصدر - وهو السؤال المقدّر - على القراءة بالتاء. والمائدة: التي عليها طعام، فإن لم يكن عليها طعام فهي خوان.

﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قوله لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ يحتمل أن يكون زجراً عن طلب المائدة، واقتراح الآيات. ويحتمل أن يكون زجراً عن الشك الذي يقتضيه قولهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على مذهب الزمخشري، أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شك.

(١) انظر: الكشاف (٥/٥٣٣).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/٢٩٨).

(٣) هذه قراءة الكسائي، وقرأ الباقر بالرفع والغيب.

(٤) أخرجه الطبري (٩/١١٧)، وابن أبي حاتم (٤/١٢٤٣).

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: هو على ظاهره على مذهب الزمخشري. وأما على مذهب ابن عطية وغيره: فهو تقرير لهم؛ كما تقول: «افعل كذا إن كنت رجلاً»، ومعلوم أنه رجل<sup>(١)</sup>. وقيل: إن هذه المقالة صدرت منهم في أول الأمر، قبل أن يروا معجزات عيسى عليه السلام.

﴿فَالَوْأَنْ تُرِيدَ أَنْ تَأْكَلَ مِنْهَا﴾ أي: أكلاً نتشرف به بين الناس، وليس مرادهم شهوة البطن.

﴿وَتَظْهَرُ فُلُوبُنَا﴾ أي: نعاين الآية، فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة، فلا تعرض لنا الشكوك التي تعرض في الاستدلال.

﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ ظاهره يقوي قول من قال: إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن إيمانهم. ويحتمل أن يكون المعنى: نعلم علماً ضرورياً لا يحتمل الشك.

﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: نشهد بها عند من لم يحضرها من الناس.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ أجابهم عيسى عليه السلام إلى سؤال المائدة من الله. وروي أنه لبس جبّة شعر ورداء شعر، وقام يصلي ويدعو ويبكي<sup>(٢)</sup>.

﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ قيل: نتخذ يوم نزولها عيداً يدور كل عام، لأول الأمة، ثم لمن بعدهم.

وقال ابن عباس عليه السلام: المعنى: تكون مجتمعاً لجميعنا أولنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة، لا عيداً<sup>(٣)</sup> يدور<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَيُّ مَنَكُ﴾ أي: علامة على صدقي.

(١) المحرر الوجيز (٣/٣٠٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٤/٤) عن وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي عليه السلام، وهو في ضمن أثر طويل، قال ابن كثير (٢٣٠/٣): «هذا أثر غريب جداً»، وقال القرطبي في تفسيره (٢٩٥/٨): «في هذا الحديث مقال، ولا يصح من قبل إسناده».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: لا عيد.

(٤) أخرجه الطبري (١٢٤/٩)، وابن أبي حاتم (١٢٤٦/٤).

﴿قَالَ اللَّهُ إِنَّهُ مُنْزَلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ أجابهم الله إلى ما طلبوا، ونزلت المائدة عليها خبز وسمك، وقيل: زيتون وتمر ورماني. وقال ابن عباس رضي الله عنه: كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا<sup>(١)</sup>. وفي قصة المائدة قصص كثير غير صحيح.

﴿بِمَنْ يَكْفُرُ بَعْدَ مَنِّكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ﴾ عادة الله ﷻ عقاب من كفر بعد أن اقترح آية فأعطيته، ولما كفر بعض هؤلاء مسحهم الله خنازير. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>: أشد الناس عذاباً يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون، والمنافقون<sup>(٣)</sup>.



(١) أخرجه الطبري (١٤٦/٩).

(٢) كذا في النسخ الخطية، والصواب: «عبد الله بن عمر».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/٩).

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ فُلْتُ لِلنَّاسِ بِإِتِّخَاذِيهِ وَإِنَّمَا إِلَهُمُنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ  
 سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ فُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا  
 فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧٨﴾ مَا فُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي  
 بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ  
 أَنْتَ الْغَفُوبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٩﴾ إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ  
 لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨٠﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ  
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ  
 الْعَظِيمُ ﴿١٨١﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٢﴾

﴿١٧٨﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ فُلْتُ لِلنَّاسِ بِإِتِّخَاذِيهِ وَإِنَّمَا إِلَهُمُنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 قال ابن عباس ؓ والجمهور: هذا القول من الله يكون يوم القيامة على رؤوس الخلائق؛  
 ليرى الكفار تبرئة عيسى ؑ مما نسبوه إليه، ويعلمون<sup>(١)</sup> أنهم كانوا على باطل<sup>(٢)</sup>. وقال  
 السُّدِّيُّ: لما رفع الله عيسى ؑ إليه قالت النصراني ما قالت، وزعموا أن عيسى ؑ أمرهم  
 بذلك، فسأله الله حيثن ذلك، فقال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ الآية<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا: يكون ﴿إِذْ قَالَ﴾  
 ماضياً في معناه؛ كما هو في لفظه. وعلى قول ابن عباس ؓ: يكون بمعنى المستقبل.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ نفى يعضده دليل العقل؛ لأن المحدث  
 لا يكون إلهاً.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ اعتذار وبراءة من ذلك القول، ووكل العلم إلى  
 الله؛ لتظهر براءته؛ لأن الله عليم أنه لم يقل ذلك.

(١) كذا ورد في النسخ الخطية بثبات النون! ويمكن أن يحمل -في وجه ضعيف جداً- على أنه رفع على الاستئناف.

(٢) عزاه إلى ابن عباس ؓ ابن عطية في تفسيره (٣/٣٠٣)، ولم أقف عليه من قوله، وإنما وقفت عليه من قول قتادة، أخرجه الطبري (٩/١٣٤)، وابن أبي حاتم (٤/١٢٥٣).

(٣) أخرجه الطبري (٩/١٣٣)، وابن أبي حاتم (٤/١٢٥٣).

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة؛ فقال: ﴿يَا نَفْسِكَ﴾؛ مقابلة لقوله: ﴿يَا نَفْسِي﴾<sup>(١)</sup>. وبقية كلامه تعظيم لله، وإخبار بما قال للناس في الدنيا.

﴿أَنْ أَعْبُدْهُ﴾ ﴿أَنْ﴾ حرف عبارة وتفسير، أو مصدرية؛ بدل من الضمير في ﴿يَهْءَ﴾.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيها سؤالان: الأول: كيف قال: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وهم كفار؟ والكفار لا يغفر لهم؟

والجواب: أن المعنى: تسليم الأمر لله، وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه؛ لأن الخلق عبادُه، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار، إنما يقتضي جوازها في حكمة الله تعالى وعزته، وفرق بين الجواز والوقوع.

وأما على قول من قال: إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء، فلا إشكال؛ لأن المعنى: إن تغفر لهم بالتوبة، وكانوا حينئذ أحياء، وكل حي معرض للتوبة.

السؤال الثاني: ما مناسبة قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لقوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؟

(١) [التعليق ٥١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في تفسير الآية: «أي: تعلم معلومي، ولا أعلم معلومك...»، الخ:

أقول: هذا تفسير منه للموصول في الموضعين: ﴿مَا فِي نَفْسِي﴾، و﴿مَا فِي نَفْسِكَ﴾؛ فيكون المعنى: تعلم الذي أعلمه، ولا أعلم الذي تعلمه، وهذا يشمل ما بيدي وما يخفي، وهذا أعم مما يدل عليه لفظ الآية.

والله تعالى يعلم ما بيديه العبد وما يخفيه: ﴿قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أُوتِيتُمْ بِعِلْمِهِ أَفَقَدْ﴾ [آل عمران: ٢٩]. والعبد يعلم من معلوم الله ما أعلمه به، ولا يعلم العبد ما يخفيه سبحانه؛ فلا يعلم ما استأثر الله بعلمه، ولا كل ما أعلم به بعض عباده؛ فقوله عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾؛ أي: ما أخفيه، ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾؛ أي: ما تخفيه.

ولم يذكر المؤلف عليه السلام معنى «النفس» في الآية، وألحق معاني «النفس» في مثل هذا السياق: أن يراد بها الذات؛ كما يقال: جاء محمدٌ نفسه، وهذا الشيء نفسٌ ذاك؛ أي: هو هو، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجْنِدًا عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، وما ذكر من تفسير النفس بالذات نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن جمهور العلماء [مجموع الفتاوى (٩/٢٩٢-٢٩٣)]، والله أعلم.

والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: يظهر لي: أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له، كان قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أليق؛ فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له؛ فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد، ولا يغلبه غيره، ولا يمتنع عليه شيء أرادته، فافتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادرٌ على كلا الأمرين؛ لعزته، وأيهما فعل فهو جميل؛ لحكمته.

الجواب الثاني - قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير -: إنما لم يقل «الغفور الرحيم»؛ لئلا يكون في ذلك تعريض بطلب المغفرة لهم، فاقصر على التسليم والتفويض دون الطلب؛ إذ لا تطلب المغفرة لكافر<sup>(١)</sup>. وهذا قريب من قولنا.

الثالث: حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله ابن رُشيد<sup>(٢)</sup> عن شيخه إمام البلغاء في وقته حازم ابن حازم<sup>(٣)</sup> أنه كان يقف على قوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ويجعل ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ استئنافاً، وجواب ﴿إِنْ﴾ في قوله: ﴿إِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾؛ كأنه قال: إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال.

﴿هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ عمومٌ في جميع الصادقين، وخصوصٌ في عيسى بن مريم ﷺ؛ فإن في ذلك إشارة إلى صدقه في الكلام الذي حكاه الله عنه.

وقرأ غير نافع: ﴿هَذَا يَوْمَ﴾ بالرفع؛ على الابتداء والخبر.

(١) انظر: ملاك التأويل (١/٤٠٨).

(٢) هو محمد بن عمر، ابن رُشيد الفهري السبتي، أبو عبد الله محب الدين، ولد سنة (٦٥٧هـ)، وتوفي سنة (٧٢١هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/١٩٩).

(٣) هو حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطبي النحوي، أبو الحسن، شيخ البلاغة والأدب في عصره، له كتاب «سراج البلغاء» في البلاغة، ولد سنة (٦٠٨هـ)، وتوفي سنة (٦٨٤هـ). انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (١/٤٩١).

وقرأ نافع بالنصب؛ وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون ﴿يَوْمٌ﴾ ظرفاً لـ ﴿قَالَ﴾؛ فعلى هذا: لا تكون الجملة معمول القول، وإنما معموله ﴿هَذَا﴾ خاصة، والمعنى: قال الله هذا القصص أو<sup>(١)</sup> الخبر في يوم. وهذا بعيدٌ مُزِيلٌ لِرَوْتِ الكلام.

والآخر: أن يكون ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، و ﴿يَوْمٌ﴾ في موضع خبره، والعامل فيه محذوف<sup>(٢)</sup>؛ تقديره: هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم. ولا يجوز أن يكون ﴿يَوْمٌ﴾ مبنياً<sup>(٣)</sup> على قراءة نافع؛ لأنه أضيف إلى مُعَرَّبٍ. قاله الفارسي والزمخشري<sup>(٤)</sup>.



(١) في ب، د: «و».

(٢) العامل فيه الذي هو الخبر محذوف إيجازاً. المحرر الوجيز (٣/ ٣٠٦).

(٣) أي: لا يجوز أن يعرب مبنياً على الفتح في موضع رفع على الخبر؛ لأنه مضاف إلى معرب «ينفع»، وإنما يجوز إعرابه مبنياً إذا كان المضاف إليه كذلك. المحرر الوجيز (٣/ ٣٠٧).

(٤) انظر: الكشاف (٥/ ٥٤٩).



## سورة الأنعام

قال كعب<sup>(١)</sup>: أول الأنعام هو أول التوراة<sup>(٢)</sup>.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۚ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ۚ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۚ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۚ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ، يَسْتَهْزِءُونَ ۚ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَكُنْ لَكُمْ لُكْمٌ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۚ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي فِرْعَاسٍ فَلْيَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۚ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ۚ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ۚ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ، يَسْتَهْزِءُونَ ۚ

﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ «جعل» هنا بمعنى: خلق، والظلمات: الليل، والنور: النهار والضوء الذي في الشمس والقمر وغيرهما. وإنما أفرد النور؛ لأنه أراد الجنس.

وفي الآية ردٌّ على المجوس في عبادتهم النار وغيرها من الأنوار، وقولهم: إن الخير من النور والشر من الظلمة؛ فإن المخلوق لا يكون إلها ولا فاعلاً لشيء من الحوادث.

(١) في زيادة: «الأخبار».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٤٧).

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يُسَوُّونَ وَيُمَثِّلُونَ؛ من قولك: عدلتُ فلانًا بفلان: إذا جعلته نظيره وقرينه. ودخلت ﴿ثُمَّ﴾ لندل على استبعاد أن يعدلوا برَّبِّهم بعد وضوح آياته في خلق السماوات والأرض، والظلمات والنور.

وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ ثَمَرُونَ﴾؛ استبعاد لأن يمتروا فيه بعدما ثبت أنه أحياءهم وأماتهم. وفي ضمن ذلك تعجيب من فعلهم، وتوبيخ لهم.

و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا: عامٌ في كل مشرك. وقد يختص بالمجوس؛ بدليل ذكر الظلمات والنور، أو عبدة الأصنام؛ لأنهم المجاورون للنبي ﷺ، وعليهم يقع الرد في أكثر القرآن.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ أي: خلق أباكم آدم من طين.

﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ الأجل الأول: الموت، والثاني: يوم القيامة، وجعله عنده؛ لأنه استأثر بعلمه. وقيل: الأول: النوم، والثاني: الموت. ودخلت ﴿ثُمَّ﴾ هنا لترتيب الإخبار، لا لترتيب الوقوع؛ لأن القضاء متقدم على الخلق.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ يتعلق ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ بمعنى اسم الله؛ فالمعنى كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، كما يقال: أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب.

ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر؛ فيتعلق باسم فاعل محذوف، والمعنى على هذا قريب من الأول. وقيل: المعنى أنه في السماوات والأرض بعلمه؛ كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

والأول أرجح وأفصح؛ لأن اسم الله جامعٌ للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك فقصد جمعها مع الإيجاز.

ويرجع الثاني<sup>(١)</sup>: بأن سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه؛ لقوله بعدها: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾.

(١) يعني به: قول من قال: «بعلمه».

وقيل: يتعلّق بمحذوف؛ تقديره: المعبود في السماوات والأرض، وهذا المحذوف صفة لـ ﴿اللَّهُ﴾.

واسم ﴿اللَّهُ﴾ على هذا القول، وعلى الأول: هو خبر المبتدأ. وأما إذا كان المجرور الخبر: فاسم ﴿اللَّهُ﴾ بدل من الضمير.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ «مِن» الأولى: زائدة، والثانية: للتبعية، أو لبيان الجنس.

﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني: ما جاء به محمد ﷺ.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ الآية؛ وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ حصّ للكفار على الاعتبار بغيرهم. والقرن: مئة سنة، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون.

﴿مَكَثَتْهُمْ﴾ الضمير عائد على القرن؛ لأنه في معنى الجماعة.

﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من مؤمن وكافر.

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا﴾ السماء هنا: المطر، أو السحاب، أو السماء حقيقة. و﴿مِذْرَارًا﴾: بناءً مبالغةً وتكثير؛ من قولك: درّ المطر: إذا غزّر.

﴿بِأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ التقدير: فكفروا وعصوا فأهلكناهم، وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي فِرْطَاسٍ﴾ الآية؛ إخبار أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات. والمراد بقوله: ﴿بَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾<sup>(١)</sup> لو بالغوا في مزيه وتقليبه ليرتفع الشك؛ لعاندوا بعد ذلك.

ويُشبه أن يكون سبب هذه الآية قول بعضهم للنبي ﷺ: لا أوْمَنُ لك<sup>(٢)</sup> حتى تأتيني

(١) في د «أي»، وكذا في هامش أورمز له بلخ.

(٢) في د: «بك».

بكتاب من السماء يأمرني بتصديقك، وما أراي مع هذا<sup>(١)</sup> أصدقك<sup>(٢)</sup>.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ حكاية عن طلب بعض العرب، روي أن العاصي بن وائل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، والأسود بن عبد يغوث قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، لو كان معك ملك! (٣)

﴿وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ قال ابن عباس ؓ: المعنى: لو أنزلنا ملكًا فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب<sup>(٤)</sup>، ففي الكلام على هذا حذف، وقضاء الأمر على هذا: تعجيل أخذهم. وقيل: المعنى: لو أنزلنا ملكًا لماتوا من هول رؤيته<sup>(٥)</sup>، فقضاء الأمر على هذا: موتهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ أي: لو جعلنا الرسول ملكًا لكان في صورة رجل؛ لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته.

﴿وَلَلْبَشَرِ عَلَيْهِمْ مَا يَنْبَسُونَ﴾ أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم؛ فإنهم إذا رأوا الملك في صورة إنسان قالوا: هذا إنسان وليس بملك.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُوا بِالْآيَةِ﴾ إخبار قصده به تسلية النبي ﷺ عما كان يلقي من قومه.

﴿وَبَخَّأُوا﴾ أي: أحاط بهم، وفي هذا الإخبار تهديد للكفار.

(١) في د: «بعد ذلك».

(٢) قال ابن عطية في تفسيره (٣/٣١٧): «ويشبه أن سبب هذه الآية اقتراح عبد الله بن أبي أمية وتعتته؛ إذ قال للنبي ﷺ: لا أؤمن لك حتى تصعد إلى السماء ثم تنزل بكتاب فيه من رب العزة إلى عبد الله بن أبي أمية يأمرني بتصديقك، وما أراي مع هذا كنت أصدقك»، وذكره بمعناه الثعلبي في تفسيره (١٢/٣٦) عن مقاتل والكلبي دون إسناد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/١٢٦٥) عن محمد بن إسحاق.

(٤) كذا عزاه إلى ابن عباس ؓ ابن عطية في تفسيره (٣/٣١٧)، ولم أقف عليه من قوله، وإنما هو من قول قتادة، أخرجه الطبري (٩/١٦١) وابن أبي حاتم (٤/١٢٦٦).

(٥) هذا القول هو المروي عن ابن عباس ؓ، أخرجه الطبري (٩/١٦١) وابن أبي حاتم (٤/١٢٦٦).

(٦) في د: «في صفة».

فَلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٦﴾ فَلَيْسَ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ قُلٌّ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ  
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ \* وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٨﴾  
فَلْ أَعِزَّ اللَّهُ أَتَّخِذْ وَلِيًّا قَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَظْعَمُ فَلِإِنِّي أُمِرْتُ أَنْ  
أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٩﴾ فَلِإِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ  
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٠﴾ مَنْ يُضَرْفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢١﴾ وَإِنْ يَمَسِّنْكَ  
اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسِّنْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ  
الْقَاهِرُ بَزُوْعِ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٢٣﴾ فَلِأَيِّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي  
وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ أَيْنُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ  
إِلَهَةً أُخْرَى قُلِ لَا أَشْهَدُ فِإِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ  
الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾

﴿١٦﴾ ﴿فَلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية؛ حصص على الاعتبار بغيرهم، إذا رأوا منازل الكفار الذين  
هلكوا قبلهم.

﴿ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ قال الزمخشري: إن قلت: أي فرق بين قوله: ﴿بَانْظَرُوا﴾ وبين قوله: ﴿ثُمَّ  
أَنْظَرُوا﴾؟ قلت: جعل النظر مسبباً عن السير في قوله: ﴿بَانْظَرُوا﴾؛ فكأنه قال: سيروا لأجل  
النظر، وأما قوله: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ فمعناه: إباحة السير للتجارة وغيرها من  
المنافع، وإيجاب النظر في الهالكين، ونبه على ذلك بـ«ثم»؛ لتباعد ما بين الواجب والمباح<sup>(١)</sup>.

﴿١٧﴾ ﴿فَلَيْسَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلٌّ لِلَّهِ﴾ القصد بالآية: إقامة برهان على  
صححة التوحيد وإبطال الشرك، وجاء ذلك بصيغة الاستفهام؛ لإقامة الحجة على الكفار،  
فسأل أولاً: ﴿لَيْسَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ثم أجاب عن السؤال بقوله: ﴿قُلٌّ لِلَّهِ﴾؛ لأن  
الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة، فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذي له ما في  
السموات والأرض.

(١) انظر: الكشف (٦/٣٠).

وإنما يحسن أن يكون السائل مجيباً عن سؤاله، إذا علم أن خصمه لا يخالفه في الجواب الذي به يقيم الحجة عليه.

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: قضاها؛ وتفسير ذلك: بقول النبي ﷺ: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض، وفيه: إن رحمتي سبقت غضبي»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «تغلب غضبي»<sup>(٢)</sup>.

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مقطوع مما قبله، وهو جواب لقسم محذوف. وقيل: هو تفسير للرحمة المذكورة؛ تقديره: أن يجمعكم. وهذا ضعيف؛ لدخول النون الثقيلة في غير موضعها؛ فإنها لا تدخل إلا في القسم، أو في غير الواجب.

﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ﴾ قيل: «إلى» هنا بمعنى: «في». وهو ضعيف. والصحيح: أنها للغاية على بابها.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ «الذين» مبتدأ، وخبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ودخلت الفاء؛ لما في الكلام من معنى الشرط. قاله الزجاج، وهو حسن.

وقال الزمخشري: «الذين» نصب على الذم، أو رفع بخبر ابتداء مضمّر<sup>(٣)</sup>. وقيل: هو بدل من الضمير في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، وهو ضعيف. وقيل: منادى، وهو باطل.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ عطف على قوله: ﴿تِلْكَ﴾. ومعنى ﴿سَكَنَ﴾: حل؛ فهو من السكنى. وقيل: هو من السكون. وهو ضعيف؛ لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة؛ فلا يعم، والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شيء.

﴿قُلْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ إقامة حجة على الكفار، ورد عليهم بصفات الله الكريمة التي لا يشاركه غيره فيها.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١) عن أبي هريرة ؓ، ولفظه: «لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه،

فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) انظر: الكشف (٣٤/٦).

﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: من هذه الأمة؛ لأن النبي ﷺ سابق أمته إلى الإسلام.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ في الكلام حذف؛ تقديره: وقيل لي: ولا تكونن من المشركين. أو يكون معطوفاً على معنى ﴿أُمِرْتُ﴾ فلا حذف، وتقديره: أُمِرْتُ بالإسلام، ونُهِيتُ عن الإشراك.

﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أي: مَنْ يُصْرِفْ عنه العذاب يوم القيامة فقد رَحِمَهُ. وقرئ: ﴿يُصْرِفُ﴾ بفتح الياء<sup>(١)</sup>، وفاعله: الله.

﴿وَذَلِكَ﴾ إشارة إلى: صَرَفَ العذاب، أو إلى الرحمة.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ معنى ﴿يَمْسَسْكَ﴾: يُصِيبُكَ، والضُّرُّ: المرض وغيره على العموم في جميع المضِرَّات، والخير: العافية وغيرها على العموم أيضاً. والآية برهان على الوحدانية؛ لانفراد الله تعالى بالضر والخير، وكذلك ما بعد هذا من الأوصاف؛ براهين وردت على المشركين.

﴿فَلِأَيِّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ سؤال يقتضي جواباً ينبي عليه المقصود. وفيه دليل على أن الله يقال عليه: شيء؛ ولكن ليس كمثله شيء.

﴿فَلِإِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ مبتدأ، و﴿شَهِيدٌ﴾ خبره. والآخر: أن يكون تمام الجواب عند قوله: ﴿فَلِإِنَّ اللَّهَ﴾؛ بمعنى: الله أكبر شهادة، ثم يتبدى؛ على تقدير: هو شهيد بيني وبينكم.

والأول أرجح؛ لعدم الإضمار. والثاني أرجح؛ لمطابقته للسؤال؛ لأن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس؟ فيقال في الجواب: فلان، وتقديره: فلان أكبر الناس.

والمقصود بالكلام: الاستشهاد بالله -الذي هو أكبر شهادة- على صدق رسوله ﷺ. وشهادة الله بهذا: هي علمه بصحة نبوة محمد ﷺ. أو إظهاره لمعجزاته الدالة على نبوته.

(١) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بفتح الياء وكسر الراء، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الراء.

﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ عطفٌ على ضمير المفعول في ﴿لَا نَذِرْكُمْ﴾، والفاعل بـ ﴿بَلَغَ﴾: ضمير ﴿الْفُرَّاءِ﴾، والمفعول: محذوف يعود على «مَنْ»؛ تقديره: وَمَنْ بلغه.

والمعنى: أوحى إليّ هذا القرآنُ لأُنذِرَ به المخاطبين - وهم أهل مكة -، وأُنذِرَ كُلَّ مَنْ بلغه القرآنُ من العرب والعجم إلى يوم القيامة، قال سعيد بن جبیر: من بلغه القرآنُ فكانما رأى محمداً ﷺ<sup>(١)</sup>. وقيل: المعنى: وَمَنْ بلغَ الحُلُمَ. وهو بعيد.

﴿أَيُنْذِرُ لَتَشْهَدُونَ﴾ الآية؛ تقريرٌ للمشركين على شركهم، ثم تبرأ من ذلك بقوله: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾، ثم شهد الله بالوحدانية.

وروي أنها نزلت بسبب قوم من الكفار؛ أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! أما تعلمُ مع الله إلهاً آخر؟<sup>(٢)</sup>

﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ تقدّم في «البقرة»<sup>(٣)</sup>.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وقيل: ﴿الَّذِينَ﴾ نعتٌ لـ ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، وهو فاسدٌ؛ لأن الذين أوتوا الكتاب استشهد بهم هنا ليقيم الحجة على الكفار.



(١) كذا عزاه الزمخشري في الكشاف (٤٦/٦) إلى سعيد بن جبیر، ولم أقف عليه من قوله، وإنما هو من قول محمد بن كعب القرظي، أخرجه الطبري (١٨٢/٩)، وابن أبي حاتم (١٢٧١/٤)، وابن أبي شيبة (٣٠٥٧٩)، وسعيد بن منصور (٨٧٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٨٥/٩)، وابن أبي حاتم (١٢٧٢/٤).

(٣) انظر تفسير الآية (١٤٥).



وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٣﴾ وَيَوْمَ  
 نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شِرْكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ لَمْ  
 تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٦٥﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى  
 أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْنَا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ  
 أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ  
 يَجْعَلُولُونَ كَقَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٧﴾ \*وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ  
 عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا  
 نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ  
 قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٧٠﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا  
 نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٧١﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَعُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ  
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: لا أحد أظلم ممن افترى على الله، وذلك تنصّل من الكذب على الله، وإظهاراً لبراءة رسول الله ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب. ويحتمل أن يريد بالافتراء على الله: ما نسب إليه الكفار من الشركاء والأولاد.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي: علاماته، وبراهين دينه.

﴿آيِنَ شِرْكَائِكُمْ﴾ يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ.

﴿تَزْعُمُونَ﴾ أي: تزعمون أنهم آلهة؛ فحذفه للدلالة المعنى عليه. والعامل في ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ محذوف<sup>(١)</sup>.

(١) تقديره «واذكر» كما المحرر الوجيز (٣/ ٣٣٣).

وفي هامش أنها زيادة: «تقديره: ويوم نحشرهم كان كَيْتَ وكَيْتَ، فترك ليقى على الإيهام الذي هو أدخل في التخويف»، وكتب بعدها: «صح منه»، وهذه عبارة الزمخشري في الكشاف (٦/ ٥٠)، وليست موجودة في بقية النسخ، فيظهر أنها حاشية، وليست من عبارة التسهيل.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾ الفتنه هنا يحتمل أن تكون بمعنى الكفر؛ أي: لم تكن عاقبة كفرهم إلا جحوده والتبري منه. وقيل: ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾: معذرتهم، وقيل: كلامهم.

وقرئ ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> بالنصب؛ على خبر «كان»، واسمها: ﴿أَنْ قَالُوا﴾، وقرئ بالرفع؛ على اسم «كان»، وخبرها: ﴿أَنْ قَالُوا﴾.

﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ جحودٌ لشركهم. فإن قيل: كيف يجحدونه وقد قال الله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]؟ فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن، فيكتم قومٌ ويُقر آخرون، ويكتمون في موطن ويُقرُّون في موطن آخر؛ لأن يوم القيامة طويل. وقد قال ابن عباس رضي الله عنه -لما سئل عن هذا السؤال-: إنهم جحدوا طمعاً في النجاة، فختم الله على أفواههم، وتكلمت جوارحهم؛ فلا يكتمون الله حديثاً<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الضمير عائدٌ على الكفار، وأفرد ﴿يَسْتَمِعُ﴾ وهو فعل<sup>(٣)</sup> جماعة؛ حملاً على لفظ «مَنْ».

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ «أَكِنَّةٌ» جمع كِنَانٍ؛ وهو الغطاء، و﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ في موضع مفعولٍ من أجله؛ تقديره: كراهة أن يفقهوه. ومعنى الآية: أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه، وعبر بالأكِنَّة والوَقْر؛ مبالغة، وهي استعارة.

﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: قصصهم وأخبارهم، وهو جمع أسطَار أو أسطورة. قال السهيلي: حيثما ورد<sup>(٤)</sup> في القرآن «أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ»؛ فإن قائلها هو النَّضْر بن الحارث، وكان قد دخل بلاد فارس، وتعلم أخبار ملوكهم، فكان يقول: حديثي أحسن من حديث محمد<sup>(٥)</sup>.

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) أخرجه الطبري (١٩٤/٩)، وابن أبي حاتم (١٢٧٤/٤)، وابن المنذر في تفسيره (٧١٤/٢)، والحاكم (٣١٩٨) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البخاري تعليقا (١٢٧/٦).

(٣) في ب: «اللفظ».

(٤) في د: «وقع».

(٥) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٠١).

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ «هُمْ» عائذ على الكفار، والضمير في «عَنْهُ» يعود على القرآن، والمعنى: وهم ينهون الناس عن الإيمان به، ويتأون هم عنه - أي يبعدون -، والنائي: هو البعد<sup>(١)</sup>. وقيل: الضمير في «عَنْهُ» يعود على النبي ﷺ، ومعنى «يَنْهَوْنَ عَنْهُ»: ينهون الناس عن إدايته، وهم مع ذلك يبعدون عنه، والمراد بالآية - على هذا - أبو طالب ومن كان معه يحمي النبي ﷺ ولا يُسلم.

وفي قوله: «يَنْهَوْنَ» و«يَنْتَوُونَ» ضرب من ضروب التجنيس.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَفُيُوا عَلَىٰ الْبَارِ﴾ جواب «لو» محذوف هنا وفي قوله: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَفُيُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ»، وإنما حذف ليكون أبلغ ما يُقدِّره السامع؛ أي: لو ترى لرأيت أمراً شنيعاً هائلاً.

ومعنى «وَفُيُوا»: حُيسوا. قاله ابن عطية<sup>(٢)</sup>. ويحتمل أن يريد بذلك: إذا دخلوا النار، أو إذا عاينوها وأشرفوا عليها. ووضع «إذ» موضع «إذا»؛ لتحقيق وقوع الفعل حتى كأنه ماضٍ.

﴿يَلَيِّنَا نُرْدُّ وَلَا نَكْذِبُ﴾ قرئ برفع «نَكْذِبُ» و«نَكُونُ»<sup>(٣)</sup>؛ على الاستئناف والقطع عن التمني، ومثله سيبويه بقولك: دعني ولا أعود؛ أي: وأنا لا أعود. ويحتمل أن يكون: حالاً؛ تقديره: نُرْدُّ غير مكذِّبين، أو عطفاً على «نُرْدُّ». وقرئ بالنصب؛ بإضمار «أن» بعد الواو في جواب التمني.

﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ المعنى: ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم. وقيل: هي في أهل الكتاب؛ أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد ﷺ. وقيل: هي في المنافقين؛ أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر. وهذان القولان بعيدان؛ فإن الكلام من أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب.

(١) في د، هـ: «والنائي هو البعيد» وكذا في هامش أ، ورمز له بـ«خ».

(٢) انظر المحرر الوجيز (٣/٣٤١).

(٣) قرأ حمزة وحفص عن عاصم بنصب الياء والنون فيهما، وافقهم ابن عامر في النون، وقرأ الباقر برفعهما.

وقيل: إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف؛ لثلا يشعر به<sup>(١)</sup> أتباعهم، فظهر لهم ذلك يوم القيامة.

﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾ إخبارٌ بأمر لا يكون، لو كان كيف كان يكون، وذلك مما انفرد الله بعلمه.

﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني في قولهم: ﴿وَلَا تُكْذِبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ولا يصح أن يرجع إلى قولهم: ﴿تَلَيَّنَّا نَزْدُ﴾؛ لأن التمني لا يحتمل الصدق ولا الكذب.

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ حكاية عن<sup>(٢)</sup> قولهم في إنكار البعث الآخرى.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ تقرير لهم وتوبيخ.



(١) في ب: «بهم».

(٢) سقط الحرف من ب، ج، هـ.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْشُرَتْنَا عَلَى مَا  
 بَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا  
 لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزِنُكَ الَّذِي  
 يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ  
 مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَافُودُوا حَتَّى آتَيْنَهُمْ نَصْرًا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ  
 جَاءَكَ مِنَ نَّبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ بِسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ  
 نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا  
 تَكُونُ مِنَ الْخَالِينَ ﴿٥﴾ \* إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ  
 يُرْجَعُونَ ﴿٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَلِإِنَّ اللَّهَ فَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ  
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا مِنْ دَآئِبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَهِيرٍ يُطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ  
 مَا بَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ  
 فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضِلِّهِ وَمَن يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
 آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تُدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾ بَلِ إِيَّاهُ  
 تُدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿١١﴾

﴿١﴾ «قَالُوا يَحْشُرَتْنَا عَلَى مَا بَرَّطْنَا» الضمير في «فِيهَا» للحياة الدنيا؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يَجْر لها ذكر. وقيل: للساعة؛ أي: فرطنا في شأنها، والاستعداد لها. والأول أظهر.

«وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ» كناية<sup>(١)</sup> عن تحمُّل الذنوب، وقال: «عَلَى ظُهُورِهِمْ»؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهر. وقيل: إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة، وروي في ذلك أن الكافر يركب عمله بعد أن يتمثل له في أقبح صورة، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصور له في أحسن صورة<sup>(٢)</sup>.

(١) في د: «عبارة».

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٦) عن عمرو بن قيس الملائي، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨١) عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي مرزوق، وأخرجاه أيضًا - الطبري (٩/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨١) - عن السدي.

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ إخبار عن سوء ما يفعلون من الأوزار.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ قرأ نافع «يحزن» حيث وقع بضم الياء؛ من «أحزن»، إلا قوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقرأ الباقون بفتح الياء؛ من «حزن» الثلاثي، وهو أشهر في اللغة.

و﴿الَّذِي يَقُولُونَ﴾: قولهم: إنه ساحر، شاعر، كاهن.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ من قرأ بالتشديد<sup>(١)</sup> فالمعنى: لا يكذبونك معتقدين لكذبك، وإنما هم يجحدون الحق مع علمهم به.

ومن قرأه بالتخفيف: فقليل: معناه: لا يجدونك كاذباً؛ يقال: أَكْذَبْتُ فلاناً؛ إذا وجدته كاذباً، كما يقال: أَحْمَدْتُهُ؛ إذا وجدته محموداً. وقيل: هي بمعنى التشديد؛ يقال: كَذَّبَ فلان فلاناً وأكذبه بمعنى واحد، وهو الأظهر؛ لقوله بعد هذا: ﴿يَجْحَدُونَ﴾، ويؤيد هذا: ما روي أنها نزلت في أبي جهل؛ فإنه قال لرسول الله ﷺ: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به<sup>(٢)</sup>، وأنه قال للأخنس بن شريق: والله إن محمداً لصادق، ولكنني أحسده على الشرف<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: ولكنهم، ووضع الظاهر موضع المضمرة؛ للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية؛ تسلياً للنبي ﷺ، وحض له على الصبر، ووعد له بالنصر.

﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ أي: لمواعيده لرسله؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧١ - ١٧٢]، وفي هذا تقوية للوعد.

(١) قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٨٢/٤)، والترمذي (٣٠٦٤)، والحاكم (٣٢٣٠) وصححه، عن ناجية بن كعب عن علي عليه السلام، وأخرجه الطبري (٢٢٢/٩)، وابن أبي حاتم (١٢٨٢/٤)، والترمذي (٣٠٦٤)، عن ناجية، ولم يذكر فيه علي، قال الترمذي: «وهذا أصح».

(٣) أخرجه الطبري (٢٢٢/٩) عن السدي.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: من أخبارهم، ويعني بذلك: صبرهم ثم نصرهم، وهذا أيضاً تقوية للوعد والحض على الصبر. وفاعل ﴿جَاءَكَ﴾ محذوف؛ تقديره: نبأ أو جلاء<sup>(١)</sup>، وقيل: هو المجرور.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الآية؛ مقصودها: حمل النبي ﷺ على الصبر، والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر، فإنه ﷺ كان شديد الحرص على إيمانهم، ف قيل له: إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء لتأتيهم<sup>(٢)</sup> بآية يؤمنوا بسببها فافعل، وأنت لا تقدر على ذلك، فاستسلم لأمر<sup>(٣)</sup> الله.

والنق في الأرض معناه: منفذ تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض. وحذف جواب «إن»؛ لفهم المعنى.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ حجة لأهل السنة على القدريّة.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: من الذين يجهلون أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ المعنى: إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون.

﴿وَالْمُوتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أن الموتى: عبارة عن الكفار؛ (لموت قلوبهم، والبعث يراد به: الحشر يوم القيامة، فالمعنى: أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم)،<sup>(٤)</sup> فيبعثهم الله في الآخرة، وحينئذ يسمعون. والآخر: أن الموتى: عبارة عن الكفار، والبعث: عبارة عن هدايتهم للفهم والسمع. والثالث: أن الموتى على حقيقته، والبعث على حقيقته؛ فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ الضمير في ﴿وَقَالُوا﴾ للكفار، و﴿لَوْلَا﴾ عرض، والمعنى: أنهم طلبوا أن يأتي النبي ﷺ بآية على نبوته.

(١) في هامش ب: «خ: بيان»، وفي د: «خبر».

(٢) في د: «فتأتيهم».

(٣) في ب، هـ: «بأمر».

(٤) سقط من ب.

فإن قيل: فقد أتى بآيات ومعجزات كثيرة فلم طلبوا آية؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنهم لم يعتدوا بما أتى به؛ فكأنه لم يأت بشيء عندهم؛ لعنادهم وجحدهم. والآخر: أنهم إنما طلبوا آية تضطرُّ إلى الإيمان من غير نظر ولا تفكُّر<sup>(١)</sup>.

﴿قُلِ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ جوابٌ على قولهم، وقد حُكي هذا القول عنهم في مواضع من القرآن، وجُوبوا عليه بأجوبة مختلفة:

منها: ما يقتضي الردَّ عليهم في طلبهم للآيات؛ فإنهم<sup>(٢)</sup> قد أتاهم بآيات، وتحصيل الحاصل لا يُبتغى؛ كقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُثْلِي عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]. ومنها: ما يقتضي الإعراض عنهم؛ لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته، ويحتمل أن يكون من هذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾. ويحتمل أيضًا أن يكون معناه: قادرٌ على أن ينزل آية تضطرُّهم إلى الإيمان.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حُذِفَ مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾، وهو يحتمل وجهين: أحدهما: لا يعلمون أن الله قادر. والآخر: لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التي تضطرُّ إلى الإيمان لمصالح العباد؛ فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا العُوجِلوا بالعذاب.

﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ تأكيدٌ، وبيانٌ، وإزالةٌ للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة؛ فقد يقال: طائرٌ للسَّعد والنَّحس.

﴿أَمْ أَمْثَلُكُمْ﴾ أي: في الخلق والرزق والحياة والموت وغير ذلك.

ومناسبة ذكر هذا لما قبله من وجهين: أحدهما: أنه تنبيهٌ على مخلوقات الله تعالى؛ فكأنه يقول: تفكروا في آياته في مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات. والآخر: أنه تنبيهٌ على البعث؛ كأنه يقول: جميع الدوابِّ والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، وهو أظهر؛ لقوله بعده: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

(١) في د: «فكر».

(٢) في ب، هـ: «بأنهم».



﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما أغفلنا، والكتاب هنا: اللوح المحفوظ، والكلام على هذا عام. وقيل: هو القرآن، والكلام على هذا خاص؛ أي: ما فرطنا فيه من شيء فيه هدايتكم والبيان لكم.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: تُبْعَثُ الدوابُّ والطُّيُورُ<sup>(١)</sup> يوم القيامة للجزاء والفصل بينها.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ الآية؛ لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أتبعه بأن وصف من كذب بذلك بالصَّمِّمِ والبَكَمِ. وقوله: ﴿فِي الظَّلَمَتِ﴾ يقوم مقام الوصف بالعمى.

﴿فَلْ أَرِيتَكُمْ﴾ معناه: أخبروني، والضمير الثاني للخطاب، ولا محلَّ له من الإعراب. وجواب الشرط محذوف؛ تقديره: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة مَنْ تَدْعُونَ؟ ثم وفَّهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلا الله، ولا يدعون آلهتهم. والآية احتجاجٌ عليهم، وإثباتٌ للتوحيد، وإبطالٌ للشرك.

﴿إِنْ شَاءَ﴾ استثناء؛ أي: يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد.

﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ يحتمل أن يكون من: النسيان، أو الترك.



(١) في د: «والطير».

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ بِأَخَذْتَنَّهُمْ بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿١٧﴾ بَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَاسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ بَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَنَّهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١٩﴾ فَقَطَّعَ دَايِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ آلِهَةٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ لِنُنْظُرَ كَيْفَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذَبُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ يَكُونُ الْعَذَابُ لِلَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ أَمْسَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ لَا تَتَّبَعُونَ ﴿٢٥﴾

﴿١٧﴾ ﴿بَأَخَذْتَنَّهُمْ بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ كان ذلك على وجه التخويف والتأديب.

﴿١٨﴾ ﴿بَلَوْلَا﴾ هنا: عَرَضٌ وَتَحْضِيضٌ. وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد.

﴿١٩﴾ ﴿بَلَمَّا نَسُوا﴾ الآية؛ أي: لما تركوا الاتعاظ بما ذُكِّروا به من الشدائد فَتَحَ عليهم أبواب الرزق والنعم ليشكروا عليها، فلم يشكروا، فأخذهم الله.

﴿٢٠﴾ ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من الخير.

﴿٢١﴾ ﴿دَايِرَ الْقَوْمِ﴾ أي: آخرهم، وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرٌ على إهلاك الكفار؛ فإنه <sup>(١)</sup> نعمة على المؤمنين. وقيل: إنه <sup>(٢)</sup> على ما تقدَّم من ملاطفته في أخذه لهم بالشر ليزدجروا، أو <sup>(٣)</sup> بالخير ليشكروا، حتى وجب عليهم

(١) في د: «لأنه».

(٢) أي: الحمد. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٦٣).

(٣) في د، هـ: «و».

العذاب<sup>(١)</sup> بعد الإنذار والإعذار.

﴿فَلْ أَرِيتُمْ﴾ الآية؛ احتجاج على الكفار أيضًا.

﴿يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾ الضمير عائد على المأخوذ.

﴿يُضْذِفُونَ﴾ أي: يُعرضون.

﴿فَلْ أَرِيتُمْ﴾ الآية؛ وعيد وتهديد، والبغته: ما لم يتقدم لهم شعور به، والجهره: ما

بدت لهم مخايله. وقيل: ﴿بَغْتَةً﴾ بالليل، و﴿جَهْرَةً﴾ بالنهار.

﴿فَلْ أَقُولَ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ﴾ الآية؛ أي: لا أدعي شيئاً ينكر ولا يستبعد، إنما

أنا نبي رسول كما كان غيري من الرسل.

﴿الْأَعْيُنُ وَالْبَصِيرُ﴾ مثال للضال والمهتدي.



(١) في ب، د، هـ: «العقاب».

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَيْعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ بَتَّظَرَدَهُمْ بَتَّكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ وَكَذَٰلِكَ بَتَّنا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّيْسَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الضمير في ﴿به﴾ يعود على ﴿مَا يُوجَى﴾. والإنذار عامٌ لجميع الناس، وإنما خُصَّص هنا بالذين يخافون؛ لأنه قد تقدَّم في الكلام ما يقتضي اليأس<sup>(١)</sup> من إيمان غيرهم، فكانه يقول: أنذر الخائفين؛ لأنهم ينفعهم الإنذار<sup>(٢)</sup>، وأعرض عمن تقدَّم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون.

﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَيْعٌ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿يُخْشَرُوا﴾، أو استئناف إخبار.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يتعلّق بـ﴿وَأَنْذِرْ﴾.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآية؛ نزلت في ضعفاء المؤمنين، كبلال، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخبّاب، وصُهيب رضي الله عنهم، وأمثالهم، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء؛ لشرفنا، فلو طردتهم لاتبعناك، فنزلت الآية<sup>(٣)</sup>.

﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل: هي الصلاة بمكة قبل فرض الخمس، وكانت غُدوة وعشية. وقيل: هي عبارة عن دوام الفعل. و﴿يَدْعُونَ﴾ هنا: من الدعاء وذكر الله، أو بمعنى العبادة.

(١) في أ: «الإياس» وفي الهامش: «خ: اليأس».

(٢) في أ: «فكانه أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار».

(٣) أخرجه مسلم (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ إخبار عن إخلاصهم لله، وفيه تركية لهم.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية؛ قيل: الضمير في ﴿حِسَابِهِمْ﴾ لـ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾. وقيل: للمشركين؛ والمعنى على هذا: لا تُحاسبُ عنهم، ولا يُحاسبون عنك، فلا تهتمَّ بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [هود: ٢٩]، وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣]، والمعنى على هذا: أن الله هو الذي يحاسبهم؛ فلا شيء تطردهم!

﴿بَتَّظَرُدَّهُمْ﴾ هذا جواب النفي في قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ﴾.

﴿بَتَّكُونَ﴾ هذا جواب النهي في قوله: ﴿وَلَا تَظَرُدْ﴾، أو عطفٌ على ﴿بَتَّظَرُدَّهُمْ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَتَّانَا بَعْضُهُمْ يَبْغِضُ﴾ أي: ابتلينا الكفار بالمؤمنين، وذلك أن الكفار كانوا يقولون: هؤلاء العبيد والفقراء من الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا، ونحن أشراف أغنياء! وكان هذا الكلام منهم على جهة الاستبعاد لذلك.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ردٌ على الكفار في قولهم المتقدم.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ هم الذين نهي النبي ﷺ عن طردهم، أمر بأن يسلم عليهم؛ إكراماً لهم، وأن يؤنسهم بما بعد هذا.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: حتمها، وفي الصحيح: «إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»<sup>(١)</sup>.

﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾ الآية؛ وعدٌ بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح، وهو خطاب للقوم المذكورين قبل، وحكمه عامٌ فيهم وفي غيرهم.

والجهالة قد ذكرت في «النساء»<sup>(٢)</sup>. وقيل: نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب ؓ أشار على

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر تفسير الآية (١٧).

رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء عسى أن يسلم الكفار، فلما نزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ ندم عمر على قوله، وتاب منه؛ فنزلت الآية<sup>(١)</sup>.

وقرئ ﴿أَنَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>: بالفتح؛ على البدل من ﴿الرَّحْمَةِ﴾، وبالكسر؛ على الاستئناف. وكذلك ﴿وَيَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالكسر؛ على الاستئناف. وبالفتح: خبر ابتداء مضمر؛ تقديره: فأمره أنه غفور، وقيل: تكرار للأولى؛ لطول الكلام. ﴿وَكَذَلِكَ نُبَيِّنُ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النهي عن الطرد وغير ذلك. وتفصيل الآيات: شرحها وبيانها.

﴿وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ بناء الخطاب ونصب السبيل<sup>(٣)</sup>: على أنه مفعول به. وقرئ بناء التانيث ورفع السبيل: على أنه فاعل مؤنث. وبالياء والرفع: على تذكير السبيل؛ لأنه يجوز فيه التذكير والتانيث.



(١) أخرجه الطبري (٩/٢٦٢) عن عكرمة.

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ... فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بفتح الهمزة فيهما، وافقهم نافع في الأول، وقرأ الباقون بالكسر فيهما.

(٣) قرأ نافع: ﴿ولستين سبيل﴾ بناء الخطاب والنصب، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: ﴿ولستين سبيل﴾ بالياء والرفع، وقرأ الباقون: ﴿ولستين سبيل﴾ بناء التانيث والرفع.

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِلَّا الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ \* وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾

﴿٥٧﴾ الَّذِينَ تَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ أي: تعبدون.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ أي: إن اتبعت أهواءكم ضللت.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ أي: على أمر بين من معرفة ربي. والهاء في ﴿بَيِّنَةٍ﴾: للمبالغة، أو للتأنيث.

﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ الضمير عائد على: الرب، أو على البينة.

﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: العذاب الذي طلبوه في قولهم: ﴿بِأَمْطَرِ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقيل: الآيات التي اقترحوها، والأول أظهر.

﴿يَقْضُ الْحَقُّ مِنَ الْقَصَصِ﴾. وقرئ ﴿يَقْضِي﴾ بالضاد المعجمة<sup>(١)</sup>؛ من القضاء، وهو أرجح؛ لقوله: ﴿خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ أي: الحاكمين.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرَ﴾ أي: لو كان عندي العذاب -على التأويل الأول-، أو الآيات المقترحة -على التأويل الآخر-؛ لوقع الانفصال وزال النزاع؛ لنزول العذاب، أو لظهور الآيات.

﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ استعارة وعبرة عن التوصل إلى الغيوب كما يتوصل بالمفاتيح إلى ما في الخزائن. وهو جمع مِفْتَاح -بكسر الميم-؛ بمعنى: مفتاح. ويحتمل أن يكون جمع

(١) قرأ نافع وابن كثير وعاصم بالصاد المهملة، وقرأ الباقون ﴿يَقْضِي﴾ بإسكان القاف وكسر الضاد المعجمة.

مَفْتَح - بالفتح -؛ وهو المخزون<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ﴾ تنبيهٌ بها على غيرها؛ لأنها أشدُّ تغيُّبًا من كل شيء.

﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ اللوح المحفوظ، وقيل: علم الله.

﴿يَتَوَقَّعُكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ أي: إذا نمتم، وفي ذلك اعتبارٌ واستدلال على البعث الآخر اوي.

﴿مَا جَرَحْتُمْ﴾ أي: ما كَسَبْتُمْ من الأعمال.

﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يوقظكم من النوم، والضمير عائدٌ على النهار؛ لأن غالبَ اليقظة فيه، وغالب النوم بالليل.

﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت.



(١) في أ: «المخزن».



وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ رَدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْخُصْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً لَّيْسَ أَنْجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ بَوَاقِكُمْ ؕ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ؕ أَوْ يَلْبَسَكُمْ لِيُشِيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۚ نَظُرُ كَيْفَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿١٩﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ بِكَافٍ لَكُمْ بِوَكِيلٍ لِّكُلِّ نَبَلٍ مُّسْتَفَرٍّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي مَآئِينَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَتَّبِعْهُ بَعْدَ الذِّكْرِ ۚ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ \* وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَوْ تُبْسِلْ نَفْسُ بِنَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ۚ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٣﴾

﴿حَفَظَةً﴾ جمع حافظ؛ وهم الملائكة الكاتبون.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة الذين مع ملك الموت.

﴿ثُمَّ رَدُّوْا﴾ خروج من الخطاب إلى الغيبة، والضمير لجميع الخلق.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ الآية؛ إقامة حجة. و﴿ظَلَمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: عبارة عن شدائدهما وأهوالهما؛ كما يقال لليوم الشديد: مُظْلَمٌ.

﴿عَذَابًا مِّنْ بَوَاقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قيل: الذي من فوق؛ إِمطار الحجارة، ومن تحت: الخسف. وقيل: ﴿مِّنْ بَوَاقِكُمْ﴾: تسليط أكابرهم، و﴿مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: تسليط سفلتكم، وهذا بعيد.

﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا﴾ أي: يخلطكم فرقًا مختلفين.

﴿وَيَذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال. واختلف هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو للمؤمنين؟ وروي أنه لما نزلت ﴿أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾، قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، فلما نزلت ﴿مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك»، فلما نزلت ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾، قال النبي ﷺ: «هذه أهون»<sup>(١)</sup>، ففضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال إلى يوم القيامة.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ الضمير عائذ على القرآن، أو على الوعيد المتقدم. و﴿قَوْمُكَ﴾ هم قريش.

﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: بحفيظ ومتسلط، وفي ذلك متاركة نسخها القتال.

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَفَرٍّ﴾ أي: غاية يُعرف عندهما صدقه من كذبه.

﴿يَخْوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ في الاستهزاء بها، والطعن فيها.

﴿وَبَاغِرِضَ عَنْهُمْ﴾ أي: قم ولا تجالسهم.

﴿وَأَمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ «أما» مركبة من «إن» الشرطية و«ما» الزائدة، والمعنى: إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد أن تذكر النهي.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ «الذين يتقون»: هم المؤمنون، والضمير في ﴿حِسَابِهِمْ﴾ للكفار المستهزئين، والمعنى: ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وضلالهم<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن ذلك يقتضي إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين؛ لأنهم شق عليهم النهي عن ذلك؛ إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم في طلب المعاش، وفي الطواف بالبيت وغير ذلك، ثم نسخت الآية «النساء»؛ وهي: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] الآية. وقيل: إنها لا تقتضي إباحة القعود.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) في أ: «واضلالهم».

﴿وَلَيْسَ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن المعنى: ليس على المؤمنين حساب الكفار، ولكن عليهم تذكير لهم، ووعظ<sup>(١)</sup>. وإعراب ﴿ذِكْرِي﴾ على هذا: نَصْبٌ على المصدر؛ وتقديره: يذكرونهم ذكرى، أو رَفْعٌ على المبتدأ؛ تقديره: عليهم ذكرى. والضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ عائدٌ: على الكفار؛ أي: يذكرونهم رجاء أن يتقوا، أو عائدٌ على المؤمنين؛ أي: يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى لله.

والوجه الثاني: أن المعنى: ليس نهى المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أن عليهم من حسابهم شيء، وإنما هو ذكرى للمؤمنين. وإعراب ﴿ذِكْرِي﴾ على هذا: خبرٌ ابتداءً مضمرة؛ تقديره: ولكن نهىهم ذكرى، أو مفعولٌ من أجله؛ تقديره: إنما نهوا ذكرى. والضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ على هذا: للمؤمنين لا غير.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ﴾ قيل: إنها متاركةٌ منسوخة بالسيف. وقيل: بل هي تهديدٌ، فلا<sup>(٢)</sup> متاركة؛ فلا نسخ فيها.

﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ أي: اتَّخَذُوا الدين الذي كان ينبغي لهم لعبًا ولهوًا؛ لأنهم سَخَرُوا منه. أو اتَّخَذُوا الدين الذي يعتقدونه لعبًا ولهوًا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث فهم يلعبون ويلهون.

﴿وَذَكَّرَ بِهِ﴾ الضمير عائد: على الدين، أو على القرآن. ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾ قيل: معناه: تُخْبَسَ، وقيل: تُفْضَحَ، وقيل: تَهْلِكَ. وهو في موضع مفعولٍ من أجله؛ أي: ذكر به؛ كراهة أن تبسل نفس.

﴿وَإِنْ تُعْذِلْ كُلَّ عَذْلٍ﴾ أي: وإن تُعْطِ كُلَّ فدية لا يؤخذ منها.



(١) في د: «تذكيرهم ووعظهم».

(٢) في د: «بلا».

فَلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْبَغُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرُدَّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي  
 إِسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ خَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ إِيْتِنَا فَلِإِنَّ هُدَى  
 اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَآمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ وَأَنْ آمِنُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ  
 تُخْشَرُونَ ﴿٧١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٢﴾ قَوْلُهُ  
 الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ  
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرْ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهًا إِنِّي أَرِيكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ  
 نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى  
 كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْفَجْرَ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي  
 فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَهُ يَهْدِيَنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِعَةً قَالَ  
 هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ  
 لِلدِّينِ بِقَطْرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ \* وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ  
 أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْتُ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي  
 كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ  
 أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

﴿٧٠﴾ ﴿فَلْ أَدْعُوا﴾ الآية؛ إقامة حجة، وتوبيخ للكفار.

﴿وَنُرُدَّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع من الهدى إلى الضلال، وأصل الرجوع على العقب: في المشي، ثم استعير في المعاني. وهذه الجملة معطوفة على ﴿أَدْعُوا﴾، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ.

﴿كَالَّذِي إِسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ الكاف في موضع نصب على الحال من الضمير في ﴿نُرُدَّ﴾؛ أي: كيف نرجع مُشْبِهِينَ مَنِ استهوته الشياطين، أو نعتٌ لمصدر محذوف؛ تقديره: ردًا كرد الذي. ومعنى ﴿إِسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾: ذهبت به في مهامه الأرض، وأخرجته عن الطريق؛ فهو استفعال من هوئى في الأرض: إذا ذهب فيها. وقال الفارسي: استهوئ

بمعنى: أهوى؛ مثل استزل بمعنى أزل<sup>(١)</sup>.

و﴿خَيْرَانَ﴾ أي: ضال<sup>(٢)</sup> عن الطريق، وهو نَصَبٌ على الحال من المفعول في ﴿إِسْتَهْوَتْهُ﴾.   
﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى إِيْتَانًا﴾ أي: لهذا المستهوى أصحابٌ - وهم رُفَقَةٌ - يدعونه إلى الهدى؛ أي: إلى أن يهدوه الطريق، يقولون له: اتنا، وهو قد تاه وبعُدَ عنهم فلا يُجيبهم، وهذا كله تمثيلٌ لمن ضلَّ في الدين عن الهدى، وهو يُدعى إلى الإسلام فلا يجيب.

وقيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام<sup>(٣)</sup>، ويُبطل هذا قول عائشة رضي الله عنها: ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَن أَقِيمُوا﴾ عطفٌ على ﴿لِنُسْلِمَ﴾<sup>(٥)</sup>، أو على مفعول ﴿وَأَمَرْنَا﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ﴾ مرفوعٌ بالابتداء، وخبره: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾، وهو مقدَّم عليه، والعامل فيه: معنى الاستقرار؛ كقولك: يوم الجمعة القتال، واليوم: بمعنى الحين، وفاعل ﴿بَيِّكُونَ﴾ مضمَر، وهو فاعل ﴿كُنْ﴾؛ أي: حين يقول لشيء كن: فيكون ذلك الشيء.

﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾ ظرفٌ لقوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾؛ كقوله: ﴿لَمَسَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٥].  
وقيل في إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيف أو تَخْلِيطٌ.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ خبرٌ ابتداءً مضمَر.

(١) المحرر الوجيز (٣/٣٩٠).

(٢) في د: أي: ضالاً.

(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره (٣/٣٩٢) حكاية عن مكِّي وغيره، وذكر الماوردي في تفسيره النكت والعيون (٢/١٣٢) أنه حكاها أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه. ولم أقف عليه مسنداً.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٢٧).

(٥) وهذا على أن ﴿لِنُسْلِمَ﴾ هو موضع مفعول ﴿وَأَمَرْنَا﴾، فيكون التقدير: أمرنا لأن نسلم وأن أقيموا.

(٦) وهذا على أن مفعول ﴿وَأَمَرْنَا﴾ مقدَّر تقديره: وأمرنا بالإخلاص أو بالإيمان ونحو هذا، فتقدير الجملة كلها: وأمرنا بالإخلاص وبإقامة الصلاة لكي نسلم. المحرر الوجيز (٣/٣٩٣).

﴿لَا يَبِيهٖ ءَازَرُ﴾ هو اسم أبي إبراهيم، فأعراه: عطف بيان، أو بدل، ومُنِع من الصَّرف للْعُجْمَة والعلمية، لا للوزن؛ فإن وزنه: فاعِل؛ نحو: عابَر وشالَخ. وقرئ بالرفع<sup>(١)</sup>؛ على النداء. وقيل: إنه اسم صنم؛ لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تَارَح؛ فعلى هذا يَحْتَمَل: أن يكون لُقَّب به؛ لملازمته له. أو أريد: عابِد آزَرَ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد. ولا يَبْعُدُ أن يكون له اسمان.

﴿ثُرَيَّةٌ إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوَتْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قيل: إنه فَرَج له السماوات والأرض حتى رأى ببصره المُلْك الأعلى والأسفل، وهذا يفتقر إلى صحة نقل. وقيل: رأى ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه. ﴿وَلَيْكُونُ﴾ يتعلّق بمحذوف؛ تقديره: وليكون من الموقنين فَعَلْنَا به ذلك.

﴿٧٧-٧٨﴾ ﴿قَلَمًا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: ستره؛ يقال: جَنَّ عليه الليل وأجَنَّهُ.

﴿بَرَأَ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ يَحْتَمَل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم ﷺ في الكوكب والقمر والشمس: أن يكون قبل البلوغ والتكليف، وقد روي أن أمّه وَلَدَتْه في غار؛ خوفاً من نمرود؛ إذ كان يقتل الأطفال؛ لأن المنجِّمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي.

ويَحْتَمَل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الردِّ عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أرجح؛ لقوله بعد ذلك: ﴿إِنِّي بَرِئٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

ولا يَتَصَوَّر أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار؛ لأن ذلك يقتضي حاجةً ورداً على قومه. وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبين لهم الخطأ في دينهم، وأن يُرشدَهم إلى أن هذه الأشياء لا يصحُّ أن يكون واحدٌ منها إلهاً؛ لقيام الدليل على حدوثها، وأن الذي أحدثها ودبَّر طلوعها وغروبها وأقولها وانتقالها هو الإله الحق وحده، فقوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ قول مَنْ يُنْصِفُ خصمه مع علمه أنه مُبْطَلٌ؛ لأن ذلك أذعن إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم، ثم أقام عليهم الحجة بقوله: ﴿لَا أَجِبُ الْإِلَهِينَ﴾؛ أي: لا أحب عبادة المتغيِّرين؛ لأن التغيُّر دليل على الحدوث، والحدوث ليس من صفات

(١) قرأ يعقوب بالرفع، وقرأ الباقون - ومنهم السبعة - بالنصب.

الإله، ثم استمرَّ على ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس، فلما أوضح البرهان، وأقام عليهم الحجة، جاهرهم بالبراءة من باطلهم، فقال: ﴿إِنِّي بَرِئٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، ثم أعلن بعبادته لله وتوحيده له فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، ووصف الله تعالى بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالملك.

فإن قيل: لم احتجَّ بالأقول دون الطلوع، وكلاهما دليل على الحدوث؛ لأنهما انتقال من حال إلى حال؟ فالجواب: أن الأقول أظهر في الدلالة؛ لأنه انتقال مع اختفاء<sup>(١)</sup> واحتجاب<sup>(٢)</sup>.

﴿أَتَحْجُّونِي فِي اللَّهِ﴾ أي: في الإيمان بالله وفي توحيده، والأصل: أتحاجوني - بنونين - . وقرئ بالتشديد<sup>(٣)</sup>؛ على إدغام أحدهما في الأخرى، وبالتخفيف؛ على حذف أحدهما، واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية؟

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ ﴿مَا﴾ هنا بمعنى: «الذي»، ويريد بها: الأصنام، وكانوا قد خوفوه أن تصيبه أصنامهم بضراً، فقال: لا أخاف منهم؛ لأنهم لا يقدرُونَ على شيء. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾ استثناء منقطع بمعنى: «لكن»؛ أي: إنما أخاف من ربي إن أراد بي شيئاً.

(١) في ب، ج، هـ: «خفاء».

(٢) [التعليق ٥٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «... ثم أقام عليهم الحجة بقوله: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: لا أحب عبادة المتغيِّرين؛ لأن التغيُّر دليل على الحدوث، إلخ، أقول: عليه في هذا الكلام مأخذان: أحدهما: تفسير الأقول بالتغيُّر، وهو من التفسير باللازم؛ فإنَّ أفل في اللغة بمعنى: غاب، والأقول هو: الغياب بعد الظهور، فعليه؛ يكون ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: الغائبين بعد الظهور. الثاني: جزؤه بأنَّ كلَّ متغيِّر محدث؛ فيقتضي ذلك نفي التغيُّر عن الله، وابنُ جزي وأمثاله يطلقون نفي التغيُّر عن الله بهذه الشبهة، والصواب أنَّ التغيُّر من الألفاظ المحدثة المجمَّلة التي لا تجوز إضافتها إلى الله، لا نفيًا ولا إثباتًا، إلا بعد الاستفصال عن مراد المتكلِّم بها؛ فإنَّ أراد حقًّا قبل، وإنَّ أراد باطلاً ردًّا، وإنَّ أرادهما؛ ميِّز الباطل من الحق.

فعلى هذا؛ إنَّ أريد بالتغيُّر: قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه؛ فالنفي باطل، والإثبات حقٌّ، وإنَّ أريد بالتغيُّر: النقص بعد الكمال في ذاته تعالى وصفاته = فالنفي حقٌّ، والإثبات باطل، وابنُ جزي وأمثاله هم من نفاة الصفات الفعلية في الجملة.

(٣) قرأ نافع وابن عامر بخلف عن هشام بتخفيف النون، وقرأ الباقون بتشديدها.

﴿وَكَيْفَ أَخَافَ مَا أَسْرَكْتُمْ﴾ أي: كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرّون على شيء، وأنتم لا تخافون ما فيه كلُّ خوف؛ وهو إشراككم بالله؟ فأنتم تنكرون علىّ الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون علىّ أنفسكم الأمن في موضع الخوف، ثم أوقفهم على ذلك بقوله: ﴿بَأَيِّ الْقَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ يعني: فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، ثم أجاب عن السؤال بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية. وقيل: إن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية استئناف، وليس من كلام إبراهيم.

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.



وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٥﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ وَرَبِّهٖ عِيسَىٰ وَالْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا بَصَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَأَخَوَانِهِمْ وَاجْتَنَبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٩﴾ ذَلِكَ هَدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ أَتُؤَلِّقُ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩١﴾ أَتُؤَلِّقُ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ بِهِدْيُهُمْ افْتِدَاءً قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ إشارة إلى ما تقدّم من استدلاله واحتجاجه.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ الضمير: لنوح، أو إبراهيم ؑ، والأول هو الصحيح؛ لذكر لوط؛ وليس من ذرية إبراهيم.

﴿دَاوُدَ﴾ عطف على ﴿نُوحًا﴾؛ أي: وهدينا داودَ.

﴿وَعِيسَى﴾ فيه دليل على أن أولاد البنات يقال لهم: ذرية؛ لأن عيسى ليس له أب؛ فهو ابن بنت نوح.

﴿وَمِن آبَائِهِمْ﴾ في موضع نصب؛ عطفاً على ﴿كُلًّا﴾؛ أي: وهدينا بعض آبائهم.

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة.

﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم: الأنبياء المذكورون، وقيل: الصحابة، وقيل: كلُّ مؤمن. والأول أرجح؛ لدلالة ما بعده على ذلك. ومعنى توكيلهم بها: توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها.

﴿أَتُؤَلِّقُ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ إشارة إلى الأنبياء المذكورين.

﴿بِهِدْيَهُمْ إِفْتِدَاءً﴾ استدلالاً به من قال: إن شرع من قبلنا شرع لنا. فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ فاتفقت فيه جميع الشرائع. وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع، والخلاف: هل يقتدي النبي ﷺ فيها بمن قبله أم لا؟ والهاء في ﴿إِفْتِدَاءً﴾ للوقف؛ فينبغي أن تسقط في الوصل<sup>(١)</sup>، ولكن من أثبتها فيه راعى ثبوتها في خط المصحف.



(١) أسقطها في الوصل حمزة والكسائي، وأثبتها الباقون.

\* وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَتَذَكَّرُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٠١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادًى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿١٠١﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴿١٠١﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم؛ إذ أنكروا بعثه للرسول وإنزاله للكتاب. والقائلون هم: اليهود؛ بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوة محمد ﷺ، وروي أن الذي قالها منهم مالك بن الصَّيف<sup>(١)</sup>، فردَّ الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بدَّ لهم من الإقرار به؛ وهو إنزال التوراة على موسى ﷺ. وقيل: القائلون قريش، وألزموا ذلك؛ لأنهم كانوا مقرِّين بالتوراة.

﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ الخطاب: لليهود، أو لقريش؛ على وجه إقامة الحجة والردَّ عليهم في قولهم: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾. فإن كان لليهود: فالذي علَّموه: التوراة. وإن كان لقريش: فالذي علَّموه: ما جاء به محمد ﷺ.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب: ﴿مَن أَنزَلَ﴾، واسم ﴿اللَّهُ﴾: مرفوعٌ بفعل مضمر؛ تقديره: أنزله الله، أو مرفوع بالابتداء.

(١) أخرجه الطبري (٣٩٣-٣٩٤)، وابن أبي حاتم (١٣٤٢/٤) عن سعيد بن جبیر. وأخرجه الطبري (٣٩٤/٩) عن عكرمة.

﴿وَلِتُنذِرَ﴾ عطف على صفة الكتاب (١).

﴿أَمَّ الْقُرَى﴾ مكة، وسميت أم القرى: لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنه جاء أن الأرض دحيت منها، ولأنها يحج إليها أهل القرى من كل فج عميق.

﴿أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ﴾ هو مُسْلِمَةٌ وغيره من الكذابين الذين ادَّعوا النبوة.

﴿وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هو النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ؛ لأنه عارض القرآن، واللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزئين.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ جوابه محذوف؛ تقديره: لرأيت أمراً عظيماً. و﴿الظَّالِمُونَ﴾: مَنْ تقدَّم ذكره من اليهود والكذابين والمستهزئين؛ فتكون اللام للعهد، أو أعمُّ من ذلك؛ فتكون للجنس.

﴿بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ أي: تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفار، يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، وهذه عبارة عن التَّعْنِيفِ فِي السِّيَاقِ، وَالشَّدَّةِ فِي قَبْضِ الْأَرْوَاحِ.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ: ذَلِكَ (٢) الْوَقْتُ بَعِينُهُ، أَوِ الْوَقْتُ الْمَمْتَدُّ مِنْ حَيْثُذِلْ إِلَى الْأَبَدِ. ﴿الْهَوَى﴾ الذَّلَّةُ.

﴿فَرَادَى﴾ منفردين: عن أموالكم وأولادكم، أو عن شركائكم.

والأول يترجَّح بقوله (٣): ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ﴾؛ أي: ما أعطيناكم من الأموال والأولاد. ويترجَّح الثاني بقوله: ﴿وَمَا تَرَى مَعَكُمْ شُجْعَاءَكُمْ﴾.

﴿تَفْطَحَ بَيْنَكُمْ﴾ تَفَرَّقَ شَمْلُكُمْ. ومن قرأه بالرفع (٤): أسند الفعل إلى الظرف واستعمله استعمال الأسماء، أو يكون اليِّن بمعنى الفُرْقَةِ، أو بمعنى الوَضَلِ. ومن قرأه بالنصب: فالفاعل: مصدرُ الفعل، أو محذوف؛ تقديره: تقطع الاتصال بينكم.

(١) كأنه قيل: أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدَّمه من الكتب والإنذار. الكشاف (٦/١٦٣).

(٢) في ب، د، هـ: «بذلك».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «لقوله».

(٤) قرأ نافع والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون، وقرأ الباقون بالرفع.

\* إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ بِأَبْصَرِ تَوَفَّكُونَ ﴿٦٦﴾ بَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَٰعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٦٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجْمَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ بَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ بَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِمِّنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا فَنِوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّرَّامَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ دِينًا وَبَنَيْنَ فِيهِ بُيُوتًا بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٧١﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَنِيعَةٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٢﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٧٣﴾ \* لَا تَذَرِكُهُ الْآبْصَرُ وَهُوَ يَذَرِكُ الْآبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٧٤﴾

﴿بَلِّغُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ أي: يَفْلِقُ الحَبَّ تحت الأرض؛ لخروج النبات منها، ويفلق النوى؛ لخروج الشجر منها. وقيل: أراد الشَّقِيقَيْنِ اللذين في النواة والحِنطة، والأول أرجح؛ لعمومه في أصناف الحبوب.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ تقدّم في «آل عمران»<sup>(١)</sup>.

﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾ معطوف على ﴿بَلِّغُ﴾.

﴿بَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي: الصبح؛ فهو مصدر سُمِّي به الصبح، ومعنى فَلَقَهُ: إخراجُه من الظلمة. وقيل: إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح، فالتقدير: فالفق ظلمة الإصباح.

﴿سَكَنًا﴾ أي: يُسَكِّنُ فيه عن الحركات ويُسْتَرَاخُ.

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: يُعَلِّمُ بهما حساب الأزمان والليل والنهار.

(١) انظر تفسير الآية (٢٧).

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ما أحسنَ ذِكْرَ هذينِ الاسمينِ هنا! لأنَّ العزيزَ يغلبُ كلَّ شيءٍ ويقهره، وهو قد قهر الشمسَ والقمرَ وسخرهما كيف شاء، والعليمُ لما في تقديرِ الشمسِ والقمرِ والليلِ والنهارِ من العلومِ والحكمةِ العظيمةِ وإتقانِ الصنعةِ.

﴿فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَابْخَرٍ﴾ أي: في ظلماتِ الليلِ في البرِّ والبحرِ، وأضافَ الظلماتِ إليهما لملاستهما<sup>(١)</sup> لهما، أو شبهَ الطرقِ المشتبهة بالظلماتِ.

﴿بِمُسْتَقَرٍّ وَمُسْتَوْدَعٍ﴾ مَنْ كَسَرَ الْقَافَ مِنْ «مُسْتَقَرٍّ»<sup>(٢)</sup>: فهو اسمُ فاعِلٍ، و«مُسْتَوْدَعٍ» اسمُ مفعولٍ، والتقدير: فمنكم مستقرٌّ ومستودعٌ.

وَمَنْ فَتَحَهَا: فهو اسمُ مكانٍ أو مصدرٍ، و«مُسْتَوْدَعٍ» مثله، والتقديرُ على هذا: لكم مستقرٌّ ومستودعٌ. والاستقرار: في الرَّحِمِ، والاستيداع: في الصُّلبِ. وقيل: الاستقرار: فوق الأرضِ، والاستيداع: تحتها.

﴿بِأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ الضميرُ يعودُ على الماءِ.

﴿بِأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ الضميرُ عائدٌ على النباتِ.

﴿خَضِرًا﴾ أي: أخضرَ غَضًّا، وهو ما يتولَّد من أصلِ النباتِ من الفِراخِ.

﴿تُخْرِجُ مِنْهُ﴾ الضميرُ عائدٌ على الخَضِرِ.

﴿حَبًّا مَّتْرَاجِبًا﴾ يعني: السُّنْبُلُ؛ لأنَّ حَبَّهُ بعضه على بعضٍ، وكذلك الرُّمَانُ وشبهها.

﴿فِنْوَانٍ﴾ جمعُ قِنْوٍ، وهو العنقود من التمرِ. وهو مرفوعٌ بالابتداء، وخبره «وَمِنْ أَلْتَّخَلَّى»، و«مِنْ ظَلْعِهَا» بدل. والظَّلْعُ: أولُ ما يخرج من التمرِ في أكمامه.

﴿ذَانِيَّةٌ﴾ أي: قريبةٌ سهلةٌ للتناول، وقيل: قريبٌ بعضها من بعضٍ.

﴿وَجَعَلَتْ مِنْ أَغْطَبٍ﴾ بالنصب؛ عطفاً على «نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ». وقرئ -في غير السبع- بالرفع<sup>(٣)</sup>؛ عطفاً على «فِنْوَانٍ».

(١) في د: «المناسبتها».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف، وقرأ الباقون بفتحها.

(٣) هي قراءة الأعمش ومحمد بن أبي ليلى. المحرر الوجيز (٣/ ٤٢٩).

﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ ، أَوْ مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ النَّبَاتِ. وَالْمُشْتَبِهَ وَالْمُتَشَابِهَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ أَي: مِنَ النَّبَاتِ مَا يَشْبَهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالصُّورَةِ، وَمِنْهُ مَا لَا يَشْبَهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى الصَّانِعِ الْمُخْتَارِ الْقَدِيرِ <sup>(١)</sup> الْعَلِيمِ الْمُتَرَدِّدِ.

﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ أَي: انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ أَوَّلَ مَا يَخْرُجُ ضَعِيفًا لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ، ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ حَتَّى يَنْبُجَ وَيَطْيَبَ.

﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ نَصَبٌ ﴿الْجِنَّ﴾ عَلَى أَنَّهُ: مَفْعُولٌ أَوَّلٌ لـ ﴿وَجَعَلُوا﴾، وَ ﴿شُرَكَاءَ﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ، وَقَدْ أُلْحِقَ بِالشُّرَكَاءِ الْإِشْرَاقَ. أَوْ ﴿شُرَكَاءَ﴾ مَفْعُولٌ أَوَّلٌ، وَ ﴿لِلَّهِ﴾ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي، وَ ﴿الْجِنَّ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿شُرَكَاءَ﴾. وَالْمُرَادُ بِهِمْ هُنَا: الْمَلَائِكَةُ؛ وَذَلِكَ رَدٌّ عَلَى مَنْ عِبَدَهُمْ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْجِنُّ، وَالْإِشْرَاقُ بِهِمْ: طَاعَتُهُمْ.

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ الْوَاقِعُ لِلْحَالِ، وَالْمَعْنَى الرَّدُّ عَلَيْهِمْ؛ أَي: جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ وَهُوَ خَلَقَهُمْ. وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ: عَلَى الْجِنَّ، أَوْ عَلَى الْجَاعِلِينَ؛ وَالْحُجَّةُ قَائِمَةٌ عَلَى الْوَجْهَيْنِ.

﴿وَحَرَّفُوا لَهُ بَيْنَ بَيْنٍ وَبَيْنَ﴾ أَي: اخْتَلَقُوا وَزَوَّروا، وَالْبَيْنِ قَوْلُ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ، وَقَوْلُ الْيَهُودِ فِي عَزِيرٍ، وَالْبَنَاتِ قَوْلُ الْعَرَبِ فِي الْمَلَائِكَةِ.

﴿يَغْيِرَ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: قَالُوا ذَلِكَ بِغَيْرِ دَلِيلٍ؛ بَلْ مَجْرَدُ افْتِرَاءٍ.

﴿بَدِيعٌ﴾ ذِكْرُ مَعْنَاهُ فِي «الْبَقَرَةِ» <sup>(٢)</sup>، وَرَفَعَهُ عَلَى أَنَّهُ: خَبَرُ ابْتِدَاءٍ مُضْمَرٍ، أَوْ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ: ﴿أَبْنَى يَكُونُ﴾، أَوْ فَاعِلٌ ﴿وَتَعْلَى﴾.

وَالْقَصْدُ بِهِ الرَّدُّ عَلَى مَنْ نَسَبَ لِلَّهِ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ؛ وَذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْوَلَدَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جِنْسٍ وَالدَّهْ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُتَعَالٍ عَنِ الْأَجْنَاسِ؛ لِأَنَّهُ مُبْدِعُهَا، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ. وَالْآخَرُ: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْوَلَدِ وَعَنِ كُلِّ شَيْءٍ.

(١) فِي ب، ج، هـ: «الْعَزِيز».

(٢) انْظُرْ تَفْسِيرَ الْآيَةِ (١١٦).

﴿بَاغِبُدُوهُ﴾ مسبَّبٌ عن مضمون الجملة؛ أي: مَنْ كان هكذا فهو المستحقُّ للعبادة وحده.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني: في الدنيا، وأما في الآخرة؛ فالحقُّ أن المؤمنين يرون ربهم؛ بدليل قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، وقد جاءت في ذلك أحاديثٌ صحيحةٌ صريحةٌ المعنى، لا تحتمل التأويل.

وقالت الأشعرية: إن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزةٌ عقلاً؛ لأن موسى ﷺ سألها من الله، ولا يسأل موسى ما هو محال. وقد اختلف الناس هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء أم لا؟

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ قال بعضهم: الفرق بين الرؤية وبين الإدراك: أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى غايته؛ فلذلك نفى أن تُدْرِكْ أبصارُ الخلق ربهم، ولا يقتضي ذلك نفى الرؤية؛ وحسن على هذا قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؛ لإحاطة علمه تعالى بالخفيات.

﴿اللطيفُ الخبيرُ﴾ أي: لطفٌ عن أن تدركه الأبصار، وهو الخبير بكل شيء؛ فهو يدرك الأبصار.





فَدَجَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ بَمَنْ أَبْصَرَ فَلْيَنْفِسْهُ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَمِيطٍ ﴿١١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ وَلِيُفْقَهُوا دَرْسَاتٍ وَلِيُذَكِّرُوا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾ وَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ رَبِّكَ عَهْدًا بِأَنَّكُمْ لَتَأْتِيَنَّكُمْ أَمْثَلُ الَّذِي أَنزَلْنَا وَإِنِّي أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١١٧﴾ وَكَذَٰلِكَ تُخَفَّىٰ سَائِرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ ﴿١١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١٩﴾ وَإِنِّي أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ تُخَفَّىٰ سَائِرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ ﴿١٢١﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنِّي أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١٢٣﴾ وَكَذَٰلِكَ تُخَفَّىٰ سَائِرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ ﴿١٢٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنِّي أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ تُخَفَّىٰ سَائِرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَإِنِّي أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١٢٩﴾ وَكَذَٰلِكَ تُخَفَّىٰ سَائِرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿١١٥﴾ ﴿فَدَجَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ﴾ جمع بصيرة؛ وهي نور القلب، والبصر نور العين. وهذا الكلام على لسان النبي ﷺ؛ لقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَمِيطٍ﴾.

﴿١١٦﴾ ﴿وَلِيُفْقَهُوا﴾ متعلق بمحذوف؛ تقديره: ليقولوا؛ صرفنا الآيات.

﴿دَرْسَاتٍ﴾<sup>(١)</sup> - بإسكان السين وفتح التاء -؛ أي: درست العلم وقرأته. و ﴿دَارَسْتُ﴾ - بالالف -؛ أي: دارست العلماء وتعلمت منهم. و ﴿دَرْسَتْ﴾ - بفتح السين وإسكان التاء -؛ بمعنى: قدمت هذه الآيات ودكرت.

﴿وَلِيُذَكِّرُوا﴾ الضمير للآيات، وجاء مذكراً؛ لأن المراد بها القرآن.

﴿وَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ رَبِّكَ عَهْدًا بِأَنَّكُمْ لَتَأْتِيَنَّكُمْ أَمْثَلُ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ إن كان معناه: أعرض عما يدعونك إليه، أو عن مجادلتهم فهو مُحْكَمٌ، وإن كان: أعرض عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ. وكذلك: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَمِيطٍ﴾ و ﴿يُوكِيلٍ﴾.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿دَارَسْتُ﴾ وإسكان السين وفتح التاء، وقرأ ابن عامر ﴿دَرْسَتْ﴾ بفتح السين وإسكان التاء، وقرأ الباقون ﴿دَرْسَتْ﴾ بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا تسبوا آلهتهم فيكون ذلك سبباً لأن يسبوا الله. واستدل المالكية بهذا على سد الذرائع.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَلَايْتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هي بيد الله لا بيدي.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: ما يُدريككم؛ وهو من الشعور بالشيء، و«ما»: نافية، أو استفهامية.

﴿أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ من قرأ بفتح «أَنَّهُ»<sup>(١)</sup>: فهو معمول «يُشْعِرُكُمْ»؛ أي: ما يدريككم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها؟! نحن نعلم ذلك وأنتم لا تعلمونه. وقيل: «لَا» زائدة؛ والمعنى: ما يُشْعِرُكم أنهم يؤمنون. وقيل: «أَنَّ» هنا بمعنى «لعل». ومن قرأ بالكسر: فهي استئناف إخبار، وتم الكلام في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾؛ أي: ما يشْعِرُكم ما يكون منهم. فعلى القراءة بالكسر: يوقف على «وَمَا يُشْعِرُكُمْ».

وأما على القراءة بالفتح: فإن كانت «أَنَّ» مصدرية لم يوقف عليه؛ لأنه عاملٌ فيها. وإن كانت بمعنى «لعل»: فأجاز بعض الناس الوقف، ومنعه شيخنا أبو جعفر ابن الزبير؛ لما في «لعل» من معنى التعليل.

﴿وَنَقَلِبْ أَوْدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ أي: نطبع عليها ونصدّها عن الفهم فلا يفقهون.

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ الكاف للتعليل؛ أي: نطبع على أفئدتهم وأبصارهم؛ عقوبة لهم على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة. ويحتمل أن تكون للتشبيه؛ أي: نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثل ما طبّعنا عليها أول مرة.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ﴾ الآية؛ ردّ عليهم في قسمهم أنهم لو جاءتهم آية لآمنوا بها؛ أي: لو أعطيناهم هذه الآيات التي اقترحوها وكلّ آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله.

﴿فَبَلَّا﴾ - بكسر القاف وفتح الباء<sup>(٢)</sup> -؛ أي: معاينة، فنصّبهُ على الحال. وقرئ بضمّتين؛ ومعناه: مواجهة؛ كقوله: ﴿فَدَّ مِنْ قَبْلِ﴾ [يوسف: ٢٦]، وقيل: هو جمع قَبِيلٍ بمعنى كفيل؛ أي: كَفَلَاء بتصديق رسول الله ﷺ.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بخلف عنه بكسر الهمزة، وقرأ الباقر بالفتح.

(٢) قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقر بضمّهما.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا بَعَلُوهُ بَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٧﴾ وَلِتَضَعِيَ إِلَيْهِ أَفِيدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَفْتَرُوا مَا هُمْ مُفْتَرُونَ ﴿١١٨﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٩﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٠﴾ وَإِن تَطَّعَ أَكْثَرُ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٢١﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٢٢﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَمَا لَكُمْ دَلَالًا تَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٢٤﴾ \* وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَثَمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَثَمَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٥﴾ وَلَا تَكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَمِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢٦﴾

﴿١١٧﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴿١﴾ الآية؛ تسليّة للنبي ﷺ بالتأسي بغيره.

﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ أي: المتمردين من الصنفين، ونصب ﴿شَيَاطِينَ﴾: على البدل من ﴿عَدُوًّا﴾؛ إذ هو بمعنى الجمع، أو مفعول أول، و﴿عَدُوًّا﴾ مفعول ثان.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي: يوسوس ويُلقي الشر. ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ ما يزيّنه من القول.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا بَعَلُوهُ﴾ الضمير عائد: على وخيهم، أو على عداوة الكفار.

﴿بَدَرَهُمْ﴾ وعيد. ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ «ما» في موضع نصب؛ على أنها: مفعول معه، أو عطف على الضمير.

﴿وَلِتَضَعِيَ إِلَيْهِ أَفِيدَةُ﴾ أي: تميل، وهو متعلق بمحذوف<sup>(١)</sup>، واللام لام الصيرورة.

(١) تقديره: ليكون ذلك - أي: الصنوع - جعلنا لكل نبي عداوة. الكشاف (٦/ ٢١٨).

﴿إِلَيْهِ﴾ الضمير لوجيهم. ﴿وَلْيَفْتَرُوا﴾ يكتسبوا.

﴿أَبْغَيْزَ اللَّهِ﴾ معمولٌ لقول محذوف؛ أي: قل لهم.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: صحّت، والكلمات: ما نزل على عباده من كتبه.

﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي: صدقًا فيما أخبر، وعدلًا فيما حكم.

﴿بَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ القصد بهذا الأمر: إباحة ما ذُكر اسم الله عليه، والنهي عما ذبح للنصب وغيرها، وعن الميتة، وهذا النهي يقتضيه دليل الخطاب من الأمر، ثم صرح به في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

وقد استدللّ بذلك مَنْ أوجب التسمية على الذبيحة، وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها، فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليلٌ على وجوب التسمية في ذبائح المسلمين، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك. وقال عطاء: هذه الآية أمرٌ بذكر الله على الذبح والأكل والشرب<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ المعنى: أي غرض لكم في ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه وقد بين لكم الحرام من الحلال؟ ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ استثناءٌ مما حرّم.

﴿وَدَرَوْا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ لفظٌ يعمُّ أنواع المعاصي؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر. وقيل: الظاهر: الأعمال، والباطن: الاعتقاد.

﴿وَأَنَّهُ لَبِئْسَ﴾ الضمير لمصدر ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾.

﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُخَوِّنَ إِلَى أُولِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُوكُمْ﴾ سببها: أن قومًا من الكفار قالوا: إننا نأكل ما قتلنا، ولا نأكل ما قتل الله - يعنون الميتة -!<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١١/٩ - ٥١٢).

(٢) أخرجه الطبري (٥٢٢/٩)، وابن أبي حاتم (١٣٨٠/٤)، وأبو داود (٢٨١٨)، وابن ماجه (٣١٧٣) عن عكرمة عن ابن عباس، وصححه إسناداه ابن كثير في تفسيره (٣٢٩/٣). وأخرجه الطبري (٥٢٣/٩)، والنسائي (٤٤٤٩)، والحاكم (٧٥٧٣) وصححه ووافقه الذهبي، عن هارون بن عثرة، عن أبيه، عن ابن عباس.

أَوْسَ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زَيَّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْنَكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْنَكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْنَكُرُونَ ﴿١٣٩﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤٠﴾ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٤١﴾ \* لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٢﴾ وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا يَلْمِغْشَرُ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوِيكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٤٣﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّهِ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤٤﴾

﴿١٣٧﴾ ﴿أَوْسَ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ﴾ الموت هنا: عبارة عن الكفر، والإحياء: عبارة عن الإيمان، والنور: نور الإيمان، والظلمات: الكفر؛ فهي استعارات. وفي قوله: ﴿مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ﴾ مطابقة؛ وهي من أدوات البيان.

ونزلت الآية في عمار بن ياسر رضي الله عنه <sup>(١)</sup>، وقيل: في عمر بن الخطاب رضي الله عنه <sup>(٢)</sup>. والذي في الظلمات: أبو جهل. ولفظها أعم من ذلك.

﴿كَمَثَلُهُ﴾ مثل هنا: بمعنى صفة، وقيل: هو زائد؛ والمعنى: كمن هو.

﴿١٣٨﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا﴾ أي: كما جعلنا في مكة أكابرها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية، وإنما ذكر الأكابر؛ لأن غيرهم تبع لهم، والمقصود: تسلية النبي ﷺ.

(١) أخرجه الطبري (٥٣٤/٩) وابن أبي حاتم (١٣٨١/٤) عن عكرمة.

(٢) أخرجه الطبري (٥٣٣/٩) وابن أبي حاتم (١٣٨١/٤) عن الضحاك، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٣٨١/٤) عن زيد بن أسلم.

﴿مُجْرِمِيهَا﴾ إعرابه: مضافٌ إليه عند الفارسي وغيره. وقال ابن عطية وغيره: إنه مفعولٌ أولٌ لـ ﴿جَعَلْنَا﴾، و﴿أَكْبَرُ﴾ مفعولٌ ثانٍ مقدَّم<sup>(١)</sup>، وهذا جيدٌ في المعنى ضعيفٌ في العربية؛ لأن ﴿أَكْبَرُ﴾ جمع أكبر وهو مِن أفعَلَ؛ فلا يستعمل إلا بـ «مِن» أو بالإضافة.

﴿قَالُوا لَسْ تُوْمِنَ﴾ الآية؛ قال<sup>(٢)</sup> هذه المقالة أبو جهل، وقيل: الوليد بن المغيرة؛ لأنه قال: أنا أولى بالنبوة من محمد.

﴿إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ردُّ عليهم فيما طلبوه، والمعنى: أن الله عليمٌ أن محمداً ﷺ أهلٌ للرسالة، فخصَّه بها، وعلم أنهم ليسوا بأهلٍ لها فحرمهم إيَّاهَا. وفي الآية من أدوات البيان: التريديد؛ لكونه ختم كلامهم باسم الله، ثم ردَّه في أول كلامه.

﴿صَغَارٌ﴾ أي: ذلَّةٌ.

﴿يَنْشُرُ صَدْرَهُ﴾ شَرَحَ الصدر، وضيَّقَه، وخرَّجَه: أَلْفَاظٌ مستعارة. ومن قرأ ﴿خَرَجًا﴾ -بفتح الراء-<sup>(٣)</sup>: فهو مصدرٌ وُصِفَ به.

﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: كأنما يحاول الصعود في السماء، وذلك غير ممكن؛ فكذلك يصعب عليه الإيمان. وأصل ﴿يَصْعَدُ﴾ المشدد: يتصعد، وقرئ بالتخفيف<sup>(٤)</sup>.

﴿ذَارَ السَّلَامِ﴾ الجنة، والسلام هنا يحتمل أن يكون: اسمُ الله، فأضافها إليه؛ لأنها مُلْكُهُ وخلقُه، أو بمعنى السلامة، أو التحية.

﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمُ﴾ العامل في ﴿وَيَوْمَ﴾ محذوفٌ؛ تقديره: اذكر. أو تقديره: قلنا، ويكون -على هذا- عاملاً في ﴿وَيَوْمَ﴾ وفي ﴿يَتَمَغَشَّرُ الْجَنِّ﴾.

﴿إِسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: أضللتهم منهم كثيراً، وجعلتموهم أتباعكم؛ كما تقول: استكثر الأمير من الجيش.

(١) المحرر الوجيز (٤٥٣/٣).

(٢) في د: «قائل».

(٣) قرأ نافع وشعبة عن عاصم بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتحها.

(٤) قرأ ابن كثير ﴿يَصْعَدُ﴾ بالتخفيف، وقرأ شعبة عن عاصم: ﴿يَصَاعَدُ﴾، وقرأ الباقون ﴿يَصْعَدُ﴾.

﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ استمتع الجنُّ بالإنس: طاعتهم لهم، واستمتع الإنس بالجن: كقوله: ﴿وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]؛ فإن الرجل كان إذا نزل وادياً قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي - يعني: كبير الجن -.

﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا﴾ هو الموت، وقيل: الحشر.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: الاستثناء من الكاف والميم في ﴿مَثُوبِئَكُمْ﴾؛ فـ«ما» بمعنى «مَنْ»؛ لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس، والمستثنى على هذا: مَنْ آمَنَ منهم. وقيل: الاستثناء من مدّة الخلود، وهو الزمان الذي بين حشرهم إلى دخول النار. وقيل: الاستثناء من النار، وهو دخولهم الزمهرير. وقيل: ليس المراد بالاستثناء هنا الإخراج، وإنما هو على وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه.

﴿نُؤَلِّهِ بِغَضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: نجعل بعضهم ولياً لبعض. وقيل: نُتَّبِعُ بعضهم بعضاً في دخولهم النار. وقيل: نسلطُ بعضهم على بعض.



يَمْعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٦﴾ ذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكًا الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣٧﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخِرِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٤٠﴾ \* قُلْ يَلْقَوْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ مَكَاتِحِكُمْ ءِتِيهِ عَامِلٌ بَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤١﴾

﴿١٣٦﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ: تقرير للجن والإنس؛ فقيل: إن الجن بُعث فيهم رسلٌ منهم؛ لظاهر الآية. وقيل: إنما الرسل من الإنس خاصة؛ وإنما قال: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾؛ لأنه جمع الثقلين في الخطاب. ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: لا تنافي بينه وبين قولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٤]؛ لما تقدّم هناك. فإن قيل: لم كرّر شهادتهم على أنفسهم؟ فالجواب: أن قولهم: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ قولٌ قالوه هم، وقوله: ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ ذمٌ لهم، وتقبيحٌ لحالهم. ﴿ذَلِكَ﴾: خبر ابتداء مضمرة؛ تقديره: الأمر ذلك، أو مفعولٌ بفعل مضمرة؛ تقديره: فعلنا ذلك. والإشارة إلى بعث الرسل.

﴿أَن لَّمْ يَكُنْ﴾: تعليلٌ لبعث الرسل. وهو في موضع مفعول من أجله، أو بدلٌ من ﴿ذَلِكَ﴾. ﴿بِظُلْمٍ﴾: فيه وجهان: أحدهما: أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث رسل إليهم، فيكون إهلاكهم ظلماً؛ إذ لم يُنذَرهم، فهو كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. والآخر: أن الله لا يهلك القرى بظلم إذا ظلموا دون أن يُنذَرهم؛ ففاعل الظلم - على هذا - أهل القرى. وغفلتهم: عدم إنذارهم. حكى الوجهين ابن عطية والزمخشري<sup>(١)</sup>، والوجه الأول صحيح<sup>(٢)</sup> على مذهب المعتزلة، ولا يصحُّ على مذهب أهل السنة؛ لأن الله لو أهلك عباده

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٦٣)، والكشاف (٦/ ٢٥٠).

(٢) هذه الكلمة لم ترد في أ، ب، ج، هـ.



بغير ذنب لم يكن ظالماً عندهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ﴾ أي: منازل في الجزاء على أعمالهم؛ من الثواب والعقاب.

﴿مِّن ذُرِّيَّةٍ﴾ أي: من ذرية أهل سفينة نوح ﷺ، أو من كان قبلهم إلى آدم ﷺ.

﴿إِغْمَلُوا عَلَى مَكَائِكُمْ﴾ الأمر هنا للتهديد، والمكانة: التمكن.

﴿بَسُوفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد.

﴿مَنْ تَكُون لَّهُ﴾ يحتمل أن تكون «مَنْ» موصولة في موضع نصبٍ على المفعولية، أو استفهامية في موضع رفعٍ بالابتداء.

﴿عُقُوبَةُ الْبَارِ﴾ أي: الآخرة، أو الدنيا، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿عُقُوبَةُ الْبَارِ﴾ جَنَّتْ عَذِيبُ

[الرعد: ٢٤ - ٢٥].



(١) [التعليق ٥٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «ولا يصحُّ على مذهب أهل السنة»، يريد: الأشاعرة؛ فمن مذهبهم: أن كلَّ ممكنٍ جازٍ على الربِّ فعلُهُ؛ فعندهم: يجوز أن يعذب أولياءه، وأن ينعم أعداءه؛ فعليه: يجوز أن يعذب من شاء بغير ذنب، أو يعذِّبه بذنب غيره.

ومنشأ هذا المذهب: هو أن مرَّة أفعال الله تعالى وشرِّعه عندهم محضُ المشيئة؛ فلا حكمة ولا غاية في مفعولاته ومأموراته، والظلم عندهم هو المستحيل لذاته؛ كالجمع بين النقيضين؛ قال ابن القيم:

وَالظُّلْمُ عَنْهُمْ الْمُحَالُ لِذَاتِهِ أَنَّى يُنَزَّهُ عَنْهُ ذُو السُّلْطَانِ؟

وأما الظلم عند أهل السنة والجماعة، فهو أن يعذب أحداً بغير ذنب، أو أن يعذِّبه بذنب غيره، وقد حرَّم الله تعالى ذلك على نفسه؛ قال في الحديث القدسي: «بِأَيِّ عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا» [أخرجه مسلم (٢٥٧٧)؛ من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ]، وقد نزه الله نفسه عن الظلم في آيات كثيرة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

والظلم عند أهل السنة: مقدورٌ لله، لكنَّه لا يفعله؛ لكمال عدليه وحكمته. وأما الظلم عند الأشاعرة: فهو غير مقدورٍ له؛ لأنه عندهم من الممتنع لذاته. والمدح والكمال إنما يكون في ترك الظلم مع القدرة عليه.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لِسُرْكَائِنَا  
بِمَا كَانُوا لِسُرْكَائِيهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ بِهِمْ يَصِلُ إِلَى سُرْكَائِيهِمْ سَاءَ مَا  
يَحْكُمُونَ ﴿١٥٠﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ سُرْكَائُوهُمْ لِيَرْزُقُوهُمْ  
وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٥١﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ  
وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرْغِمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حَرَمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ  
إِسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِبْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ  
إِلَّا أَنْعَمٌ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ شَرِكًا سَيَجْزِيهِمْ  
وَضَعْفَهُمْ إِنَّهُ وَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٣﴾ \* قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَبْهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا  
رَزَقَهُمُ اللَّهُ إِبْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٥٤﴾

﴿١٥٠﴾ «وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا» الضمير في «وَجَعَلُوا» لكفار العرب.  
قال السهيلي: هم حيي من خولان، يقال لهم: الأديم، كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم  
ومن أنعامهم نصيباً لله ونصيباً لأصنامهم<sup>(١)</sup>.

ومعنى «ذَرَأَ»: خلق وأنشأ؛ ففي ذلك ردٌ عليهم؛ لأن الله الذي خلقها وذراها هو مالكاها  
لا ربَّ غيره.

﴿بِرْغِمِهِمْ﴾ أي: بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع، وأكثر ما يقال الزعم: في  
الكذب. وقرئ بفتح الزاي وضمها<sup>(٢)</sup>، وهما لغتان.

﴿بِمَا كَانُوا لِسُرْكَائِيهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية؛ كانوا إذا هبت الرياح فحملت شيئاً من  
الذي لله إلى الذي للأصنام أقرؤه، وإذا حملت شيئاً من الذي للأصنام إلى الذي لله ردَّوه،  
وإذا أصابتهم سنةٌ أكلوا نصيب الله، وتحاموا نصيب شركائهم.

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٠٥).

(٢) قرأ الكسائي بضم الزاي، وقرأ الباقر بفتحها.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ﴾ كانوا يقتلون أولادهم بالوَادِ، ويذبحونهم تقرباً إلى الأصنام.

و﴿شُرَكَائُهُمْ﴾ هنا: هم الشياطين، أو القائمون على الأصنام. وقرأ الجمهور بفتح الزاي من ﴿زَيْنَ﴾ على البناء للفاعل، ونَضَب ﴿قَتَلَ﴾ على أنه مفعول، وخَفَض ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بالإضافة، وَرَفَعَ ﴿شُرَكَائُهُمْ﴾ على أنه فاعل بـ ﴿زَيْنَ﴾. والشركاء على هذه القراءة: هم الذين زينوا القتل.

وقرأ ابن عامر<sup>(١)</sup>: بضم الزاي على البناء للمفعول، ورفع ﴿قَتَلَ﴾ على أنه مفعول لم يسم فاعله، ونَضَب ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ على أنه مفعول بـ ﴿قَتَلَ﴾، وخَفَض ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ على الإضافة إلى ﴿قَتَلَ﴾ إضافة المصدر إلى فاعله، وفَصَلَ بين المضاف والمضاف إليه بقوله: ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾، وذلك ضعيف في العربية، وقد سُمِعَ في الشعر. والشركاء على هذه القراءة: هم القاتلون للأولاد.

﴿لِيَرْزُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم، وهو مِنَ الرَّذَى بمعنى الهلاك.

﴿أَنْعَمَ وَحَرَّتْ حِجْرٌ﴾ أي: حرام، وهو فِعْلٌ بمعنى مفعول، نحو ذَبَحَ، فيستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع.

﴿لَا يَطْعَمَهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ﴾ أي: لا يأكلها إلا من شاؤوا؛ وهم: القائمون على الأصنام، أو الرجال دون النساء.

﴿وَأَنْعَمَ حَرِمَتِ ظُهُورُهَا﴾ أي: لا تُرْكَبُ، وهي السائبة وأخواتها.

﴿وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ إِسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل: معناه: لا يُحَجُّ عليها؛ فلا يُذَكَّر اسم الله بالتلبية، وقيل: لا يذكر عليها إذا ذُبِحت.

﴿إِفْتِرَاءَ عَلَيْهِ﴾ كانوا قد قَسَمُوا أنعامهم هذه الأقسام، ونَسَبُوا ذلك إلى الله افتراءً وكذباً. ونَضَبُه: على الحال، أو مفعول من أجله، أو مصدر مؤكَّد.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «ابن عباس» والمثبت هو الصواب. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٤٦٨).

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ الآية؛ كانوا يقولون في أجنَّة البحيرة والسائبة: ما وُلِدَ منها حيًّا فهو للرجال خاصة ولا يأكل منها النساء، وما وُلِدَ منها ميتًا اشترك فيه الرجال والنساء.

وَأَنْتَ ﴿خَالِصَةٌ﴾ للحمل على المعنى؛ وهي الأجنَّة، وذكر ﴿مُحَرَّمٌ﴾ حملًا على لفظ «ما». ويجوز أن تكون التاء للمبالغة.

﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: البحيرة والسائبة وشبههما.



وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالْثَّخُلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ  
وَالزَّمَانُ مَتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا  
تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِن مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا  
تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٧﴾ فَمَنْ أَضْيَا ابْنَيْنِ وَمِنَ الْغَنَى  
ابْنَيْنِ فَلِالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْإُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِيُّهُ يَعْلَمُ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ ابْنَتَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ ابْنَتَيْنِ فَلِالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْإُنثَيَيْنِ أَمَّا  
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمَ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى  
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات على دعائم وشبهها، ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ متروكات على  
وجه الأرض. وقيل: المعروشات: ما غرسه الناس في العمران، وغير معروشات: ما أنبت  
الله في الجبال والبراري.

﴿مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾ في اللون والطعم والرائحة والحجم، وذلك دليل على أن الخالق مختارٌ مُريد.  
﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قيل: ﴿حَقُّهُ﴾ هنا: الزكاة، وهو ضعيف؛ لوجهين: أحدهما: أن  
الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة. والآخر: أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد، وإنما  
تعطى يوم<sup>(١)</sup> ضم الحبوب والثمار.

وقيل: ﴿حَقُّهُ﴾ ما يتصدق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجباً ثم نُسخ  
بالعشر. وقيل: هو ما يسقط من السنبُل، والأمر على هذا للندب.

﴿حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ﴾ عطف على ﴿جَنَّاتٍ﴾. والحمولة: الكبار، والفَرَس: الصغار؛  
كالعجايل والفضلان. وقيل: الحمولة: الإبل؛ لأنها يُحْمَل عليها، والفَرَس: الغنم؛ لأنها  
تُفَرَس للذبح، ويُفَرَس ما ينسج من صوفها.

(١) في د: «بعد».

﴿ثُمَّ نَبَيُّهُ أَزْوَاجٌ﴾ بدلٌ من ﴿حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ﴾، وسَمَّاها أزواجاً؛ لأن الذكر زوج للأنثى، والأنثى زوج للذكر.

﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ يريد: الذكر والأنثى، وكذلك فيما بعده.

﴿فَلِالدَّكَّانِ﴾ يعني: الذكر من الضأن والذكر من المعز، ويعني بالأنثيين: الأنثى من الضأن، والأنثى من المعز، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر. والهمزة للإنكار.

﴿تَبَيَّنَ يَعْلَمُ﴾ تعجيزٌ وتوبيخ.

﴿إِفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: في تحريم<sup>(١)</sup> ما لم يحرم الله، وذلك إشارة إلى العرب في تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها.



(١) في د: «تحريمهم».

\* قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا  
مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْفًا أُهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا  
عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥١﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظَهْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ  
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ  
جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٥٢﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ  
بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥٣﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا  
وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَاءِ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ  
مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٥٤﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ  
الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٥﴾ قُلْ هَلَمْ شَهِدْكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ  
هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ ﴿١٥٦﴾

﴿قُلْ لَا أَجِدُ﴾ الآية تقتضي حصر المحرمات فيما ذكر، وقد جاء في السنة تحريم أشياء  
لم تذكر هنا كالحوم الحُمْر؛ فذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر. وذهب آخرون  
إلى أن الآية وردت على سبب؛ فلا تقتضي الحصر. وذهب آخرون إلى أن ما عدا ما ذكر  
إنما نُهي عنه على وجه الكراهة، لا على وجه التحريم.

﴿أَوْ فِسْفًا﴾ معطوف على المنصوبات قبله، وهو ما أُهْلَ به لغير الله، سماه فسقًا؛ لتوغُّله  
في الفسق، وقد تقدَّم الكلام على هذه المحرمات في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿كُلَّ ذِي ظَهْرٍ﴾ هو ما له إصبع من دابة أو طائر. قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عطية:  
يراد به: الإبل والإوز والنعام ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع، و<sup>(٣)</sup> له

(١) انظر تفسير الآية (١٧٢).

(٢) انظر: الكشاف (٦/٢٧٨).

(٣) في أ، ب: «أو».

ظفر<sup>(١)</sup>. وقال الماوردي مثله<sup>(٢)</sup>.

وحكى النقاش عن ثعلب: أن كل ما لا يصيد فهو ذو ظفر، وما يصيد فهو ذو مخلب، وهذا غير مطرد؛ لأن الأسد ذو ظفر<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ يعني: ما في الظهر والجنوب من شحم.

﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ هي المباعر<sup>(٤)</sup>. وقيل: المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوَّى في البطن. وواحد حوايا حويّة؛ على وزن فعيلة؛ فوزن حوايا على هذا فعائل؛ كصحيفة وصحائف.

وقيل: واحدها حاوية؛ على وزن فاعلة؛ فحوايا - على هذا - فواعل؛ كضاربة وضوارب. وهو معطوف على ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾، فهو من المستثنى من التحريم.

وقيل: عطف على الظهر؛ فالمعنى: إلا ما حملت الظهر، أو حملت الحوايا. وقيل: عطف على الشحوم؛ فهو من المحرم.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ يريد: في جميع الجسد.

﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ أي: فيما أخبرنا به من التحريم، وفي ذلك تعريض بكذب من حرم ما لم يحرم الله.

﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي: إن كذبوك فيما أخبرت به من التحريم فقل لهم: ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾؛ إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصية: ما أحلم الله! تريد: لإمهاله عن مثل ذلك.

ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تغتروا بسعة رحمته؛ فإنه لا يُرَدُّ بَأْسُهُ عن مثلكم إما في الدنيا أو في الآخرة.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤٨٣/٣).

(٢) انظر: تفسير الماوردي «النكت والعيون» (١٨٣/٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤٨٣/٣).

(٤) المباعر: جمع مبعر، وهو مكان اجتماع البعر في البطن من كل ذي أربع. لسان العرب (١٣٨/٥).



﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ الآية؛ معناها: أنهم يقولون: إِنَّ شِرْكَهُمْ وتحريمهم لما حَرَّمُوا كان بمشيئة الله، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، فاحتجُّوا على صحة ذلك بإرادة الله له، وتلك نزغة<sup>(١)</sup> جبرية، ولا حجة لهم في ذلك؛ لأنهم مكلَّفون مأمورون ألا يشركوا بالله، ولا يحرموا ما حلل الله، والإرادة خلاف التكليف.

ويَحْتَمِلُ عندي أن يكون قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قولاً يقولونه في الآخرة على وجه التمني أن ذلك لم يكن؛ كقولك إذا ندمت على شيء: لو شاء الله ما كان هذا؛ أي: تتمنى أن ذلك لم يكن، ويؤيد هذا: أنه حكى قولهم بأداة الاستقبال، وهي السين؛ فذلك دليل على أنهم يقولونه في المستقبل، وهي الآخرة.

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ تَوْفِيقُ لَهُمْ وَتَعْجِيزُ.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ لما أبطل حجَّتَهُم أثبت حجة الله؛ لِيُظْهَرَ الْحَقُّ وَيَبْطُلَ الْبَاطِلُ.

﴿هَلُمَّ﴾ قيل: هي بمعنى «هاتِ»؛ فهي متعدية، وقيل: بمعنى «أقبل»؛ فهي غير متعدية. وهي عند بعض العرب: فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث. وعند بعضهم: اسم فعل؛ فيخاطب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حدٍّ سواءٍ. ومقصود الآية: تعجيزهم عن إقامة الشُّهداء.

﴿إِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: إن كَذَبُوا في شهادتهم وزَوَرُوا فلا تشهد بمثل شهادتهم.



(١) كذا بالغين في جميع النسخ، من قولهم: تَزَعُّ الشَّيْطَانُ، أي: وسوسته وإلقاؤه في القلب ما يُفسده على صاحبه. تاج العروس (٢٢/٥٨٠).

\* قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِ تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمْلَأَ نَحْسَ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ بِاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٨﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِ تَشْرِكُوا بِهِ﴾ أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله عليهم.

وذكر في هذه الآيات المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تُنسخ قط في ملة. وقال ابن عباس ؓ: هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى <sup>(١)</sup>.

﴿أَلَّا تَشْرِكُوا بِهِ﴾ قيل: «أن» هنا: حرف عبارة وتفسير؛ فلا موضع لها من الإعراب، و«لا» ناهية جَزَمَت الفعل. وقيل: «أن» مصدرية في موضع رفع؛ تقديره: الأمر أن لا تشركوا؛ ف«لا» على هذا نافية. وقيل: «أن» في موضع نصب بدلاً من قوله: «مَا حَرَّمَ»، ولا يصح ذلك إلا إن كانت «لا» زائدة، وإن لم تكن زائدة فسد المعنى؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك.

والأحسن عندي: أن تكون «أن» مصدرية في موضع نصب على البدل و«لا» نافية، ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى؛ لأن قوله: «مَا حَرَّمَ رَبِّيَ» معناه: ما وصاكم به ربكم؛

(١) لم أقف على إسناده إلى ابن عباس، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٤٩٠) بقوله: «وقد قيل: إنها العشر... إلخ، ولم ينسب لأحد.

بدليل قوله في آخر الآية: ﴿ذَلِكُمْ وَصِيَّتُكُمْ بِهِ﴾ فضمّن التحريم معنى الوصية، والوصية في المعنى أعم من التحريم؛ لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل ووجوب وندب، ولا يُنكر أن يريد بالتحريم الوصية؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص.

فإذ تقرر هذا؛ فتقدير الكلام: قل تعالوا أتل ما وصّاكم به ربكم، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان؛ فقال: ﴿أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾؛ أي: وصّاكم أن لا تشركوا به شيئاً، ووصّاكم بالإحسان بالوالدين، ووصّاكم أن لا تقتلوا أولادكم، فجَمعت الوصية ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك.

ويؤيد هذا التأويل الذي تأولنا: أن الآيات اشتملت على أوامر؛ كالإحسان بالوالدين، وقول العدل، والوفاء في الوزن، وعلى نواهي؛ كالإشراك، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، فلا بد أن يكون اللفظ المقدّم في أولها لفظاً يجمع الأوامر والنواهي؛ لأنها أُجِملت فيه، ثم فسّرت بعد ذلك، ويصلح لذلك لفظ الوصية؛ لأنه جامع للأمر والنهي، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية، ويدل على ذلك: ذكر لفظ الوصية بعد ذلك.

وإن لم يتأول على ما ذكرناه: لزم في الآية إشكال؛ وهو عطف الأوامر على النواهي، وعطف النواهي على الأوامر، فإن الأوامر طُلِبَ فعلُها، والنواهي طُلِبَ تركُها، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يصحّ ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك.

وتَحتمل الآية<sup>(١)</sup> عندي تأويلاً آخر؛ وهو: أن يكون لفظ التحريم على ظاهره، ويعمّ فعل المحرمات، وترك الواجبات؛ لأن ترك الواجب حرام.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّا لَمْ يَلِدُوا﴾ الإملاق: الفاقة، و﴿مِمَّا﴾ هنا للتعليل؛ تقديرها: من أجل إملاق. وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك، فخرج مخرج الغالب، فلا يُفهم منه إباحة قتلهم لغير ذلك الوجه.

(١) في د: «أيضاً».

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قيل: ﴿مَا ظَهَرَ﴾: الزنا، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: اتخاذ الأخدان. والصحيح: أن ذلك عموم في جميع الفواحش.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فسرّه قولُ رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ دمُ امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زناً بعد إحصان، أو كفرٍ بعد إيمان، أو قتلِ نفس بغير نفس»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النهي عن القرب يعمُّ وجوه التصرف، وفيه سدُّ الذريعة؛ لأنه إذا نهى عن أن يقرب<sup>(٢)</sup> المال فالنهي عن أكله أولى وأحرى. والتي هي أحسن: منفعة اليتيم وتشمير ماله.

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ هو البلوغ مع الرشد، وليس المقصود هنا السنَّ وحده، وإنما المقصود: معرفته بمصالحه.

﴿لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا لَّا وُسْعَهَا﴾ لما أمر بالقسط في الكيل والوزن، وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه؛ أمر بما في الوُسْع من ذلك، وعفا عما سواه.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أي: ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القاتل؛ فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص، بل يعدل.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ الإشارة بـ ﴿هَذَا﴾: إلى ما تقدّم من الوصايا، أو إلى جميع الشريعة. و﴿أَنَّ﴾ بفتح الهمزة والتشديد<sup>(٣)</sup>: عطفٌ على ما تقدّم، أو مفعول من أجله؛ أي: فاتبعوه؛ لأن هذا صراطي مستقيماً. وقرئ بالكسر؛ على الاستئناف. وبالفتح والتخفيف؛ على العطف، وهي على هذا مخففة من الثقيلة.

(١) أخرجه أحمد (٤٣٧)، والنسائي (٤٠٣١)، والترمذي (٢١٥٨) وحسنه، وأبو داود (٤٥٠٢)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، والحاكم (٨٠٢٨) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث عثمان ؓ. وهو في الصحيحين -البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)- من حديث ابن مسعود ؓ بلفظ: «الطيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

(٢) في د: «عن قرب».

(٣) قرأ حمزة والكسائي ﴿وإنَّ هذا﴾ بكسر الهمزة، وقرأ الباقر بفتحها، وخفف ابن عامر النون ﴿وَأَنَّ هذا﴾، والباقر بتشديدها.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ﴾ الطرق المختلفة في الدين؛ من اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة، ويدخل فيه أيضاً البدع والأهواء المضلّة. وفي الحديث: أن النبي ﷺ خطّ خطاً، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه كلّها سبيل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»<sup>(١)</sup>.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي: تفرّقكم عن سبيل الله، والفعل مستقبل؛ حذف منه تاء المضارعة، ولذلك شدّده البزّي<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾ معطوفٌ على ﴿وَصَيِّبْنَا بِهِ﴾. فإن قيل: فإن إيتاء موسى الكتاب متقدّم على هذه الوصية، فكيف عطّفه عليها بـ«ثم»؟ فالجواب: أن هذه الوصية قديمة لكل أمة على لسان نبيها، فصحّ الترتيب. وقيل: إنها هنا لترتيب الإخبار والقول، لا لترتيب الزمان. ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: أن المعنى: تماماً للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى، ففاعل ﴿أَحْسَنَ﴾ ضمير يعود على ﴿الَّذِي﴾، و﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ يراد به: جنس المحسنين. والآخر: أن المعنى: تماماً؛ أي: تفضّلاً، أو جزاءً على ما أحسن موسى ﷺ من طاعة ربه وتبليغ رسالته، فالفاعل على هذا ضمير موسى ﷺ، و﴿الَّذِي﴾ صفة لعمل موسى. والثالث: تماماً؛ أي: إكمالاً على ما أحسن الله به إلى عباده، فالفاعل<sup>(٣)</sup> على هذا ضمير الله تعالى.



(١) أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في الكبرى (١١١٠٩)، وابن حبان (٦)، والحاكم (٣٢٤١) وصححه.

(٢) قرأ البزّي عن ابن كثير: ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ بتشديد التاء، أصله: «فَتَفَرَّقَ»، وقرأ الباقون بالتخفيف.

(٣) في أ، ب، هـ: «فالعامل».

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا فَاتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٥٦﴾ أَمْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٧﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْنا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِيهِ الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٨﴾ \* هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ إِنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ بَرَّرُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦٠﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ قُلِ إِنِّي هَدَيْتُهُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦٢﴾ دِينًا قَبِيماً مِثْلَهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلِ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٥﴾ قُلِ أَغْنَى اللَّهُ أَنْعِيَ رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَبَعَ بَعْضَكُمْ بَقْوَى بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْتُكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

﴿١٥٧﴾ «أَمْ تَقُولُوا» في موضع مفعول من أجله؛ تقديره: كراهة أن تقولوا.

﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ أهل التوراة والإنجيل.

﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ أي: لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف ما درسوا من الكتب فلا حجة علينا، ﴿وَإِنْ﴾ هنا مخففة من الثقيلة.

﴿١٥٨﴾ «فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ» إقامة حجة عليهم.

﴿وَصَدَفَ﴾ أعرض.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ الآية؛ تقدّمت نظيرتها في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أشرأط الساعة؛ كطلوع الشمس من مغربها، فحينئذ لا يقبل إيمان كافر، ولا توبة عاصٍ. فقوله: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ يعني: أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ. وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ يعني: أن من كان مؤمناً ولم يكسب حسنات قبل ظهور تلك الآيات، ثم تاب إذا ظهرت لم ينفعه؛ لأن باب التوبة يغلق حينئذ. ﴿قُلْ إِنْتَظِرُوا﴾ وعيدٌ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ بَرَأُوا دِينَهُمْ﴾ هم اليهود والنصارى، وقيل: أهل الأهواء والبدع. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتрقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قيل: يا رسول الله ومن تلك الواحدة؟ قال: «من كان على ما أنا وأصحابي عليه»<sup>(٢)</sup>. وقرئ ﴿فَارْقُوا﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: تركوا.

﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ جمع شِيعَةٍ؛ أي: متفرقين، كل فرقة تتشيع لمذهبها.

﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت بريء منهم.

﴿عَشْرَ أَمْثَالِهَا﴾ فضلٌ عظيم، على العموم في الحسنات، وفي العاملين، وهو أقلّ التضعيف للحسنات؛ فقد ينتهي إلى سبع مئة وأزيد.

﴿دِينًا قِيَمًا﴾ بدلٌ من موضع: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ لأن أصله: هداني صراطاً؛ بدليل: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾، والقِيَمُ: فِعْلٌ؛ مِنَ الْقِيَامِ، وهو أبلغ من قائم. وقرئ ﴿فِيَمًا﴾ بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها<sup>(٤)</sup>، وهو على هذا: مصدر وُصِفَ به.

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدلٌ من ﴿دِينًا﴾، أو عطف بيان.

(١) انظر تفسير الآية (٢٠٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) قرأ حمزة والكسائي ﴿فَارْقُوا﴾ بالالف وتخفيف الراء، وقرأ الباقون ﴿فَرَّقُوا﴾ بغير ألف مع التشديد.

(٤) هذه قراءة ابن عامر والكوفيين، وقرأ الباقون بفتح القاف وكسر الياء مشددة.

- ﴿وَتُسَكِّي﴾ أي: عبادتي، وقيل: ذبحي للبهائم، وقيل: حَجِّي. والاول أعم وأرجح.
- ﴿وَمَخِيَانِ وَمَمَاتِي﴾ أي: أعمالي في حين حياتي وعند موتي.
- ﴿لِلَّهِ﴾ أي: خالصاً<sup>(١)</sup> لوجهه وطلب رضاه، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾؛ أي: لا أريد بأعمالي غير الله؛ فيكون نفياً للشرك الأصغر وهو الرياء. ويحتمل أن يريد: لا أعبد غير الله؛ فيكون نفياً للشرك الأكبر.
- ﴿وَبِذَلِكَ آمُرْتُ﴾ الإشارة إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك.
- ﴿أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لأنه ﷺ سابق أمته.
- ﴿فَلْ أَعِزَّ اللَّهُ أَبْعَى رَبًّا﴾ تقرير وتوبيخ للكفار. وسببها: أنهم دَعَوْهُ إلى عبادة آلهتهم.
- ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ برهان على التوحيد، ونفي الربوبية عن غير الله.
- ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ ردُّ على الكفار؛ لأنهم قالوا له: اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وأخراك<sup>(٢)</sup>، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>؛ أي: ليس كما قلتم، وإنما كَسَبُ كُلِّ نَفْسٍ عليها خاصة.
- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا يحمل أحدٌ ذنوبَ أحد، وأصل الوزر: الثقل، ثم استعمل في الذنوب.
- ﴿خَلِّيفَ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضاً في السكني في الأرض. أو خلائف عن الله في أرضه، والخطاب على هذا: لجميع الناس، وقيل: لأمة محمد ﷺ؛ لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة.
- ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾ عموم في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد.

(١) في د: «خالصة».

(٢) في د: «وأخرك».

(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره (٥٠٧/٣) عن النقاش، ولم أقف على إسناده.



﴿لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتِيكُمْ رَبُّ﴾ لِيخْتَبِرَ شُكْرَكُمْ عَلَىٰ مَا أُعْطَاكُمْ، وأعمالكم فيما مكّنكم فيه.  
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جمع بين التّخويف والتّرجية. وسُرعة عقابه  
 تعالى: إما في الدنيا لمن عَجَّلَ أَخْذَهُ، أو في الآخرة؛ لأن كل آية قريبٌ. ونسأل الله أن يغفر  
 لنا ويرحمنا بفضلِهِ ورحمته<sup>(١)</sup>.



(١) في زيادة: «تمت سورة الأنعام بعون الله وفضله، فله الحمد، وبتمامها كمل الكلام على الربع الأول من القرآن العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين المبلّغ الهادي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا».

## سُورَةُ الْأَعْرَافِ

الَّذِي كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ وَكَمْ مِّن فَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٣﴾ \*بِمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٦﴾ وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ بِمَنْ نَقُلْتُ مَوْزِنُهُ فَتَوَلَّيْكَ هُم الْمُقْلِحُونَ ﴿٧﴾ وَمَنْ حَقَّتْ مَوْزِنُهُ فَتَوَلَّيْكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٨﴾

﴿الَّذِي﴾ تكلّمنا على حروف الهجاء في «البقرة». ﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي: ضيقٌ من تبليغه مع تكذيب قومك. وقيل: الحرج هنا: الشك؛ فتأويله كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْلَصِينَ﴾ [يونس: ٩٤] <sup>(١)</sup>. ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلّق بـ﴿أَنْزَلَ﴾.

﴿وَذِكْرَى﴾ منصوبٌ على المصدرية بفعل مقدّر <sup>(٢)</sup>؛ تقديره: لتنذر وتذكّر ذكرى؛ لأن الذكرى بمعنى التذكير، أو مرفوعٌ؛ على أنه خبر ابتداءٍ مضمر، أو مخفوضٌ؛ عطفاً على موضع ﴿لِتُنذِرَ﴾؛ أي: للإندار والذكرى.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ انتصب ﴿قَلِيلًا﴾ بـ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكرون تذكراً قليلاً، و﴿مَّا﴾ زائدة؛ للتأكيد.

(١) وذكر في تفسير آية يونس تأويله، وهو أنه خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره. قال أبو حيان في البحر المحيط (١٠/١٠) في آية الأعراف: «وفُسر الحرج هنا بالشك.. فيكون مما توجّه فيه الخطاب إليه لفظاً، وهو لأمته معنًى، أي: فلا تشكروا أنه من عند الله».

(٢) في أ: «مضمر».

﴿أَهْلَكْنَاهَا فَبَجَاءَهَا بِأُسْنَاهَا﴾ قيل: إنه من المقلوب؛ تقديره: جاءها بأسنا فأهلكناها. وقيل: معناه: أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا؛ لأن مجيء البأس قبل الإهلاك، فلا يصح عطفه عليه بالفاء. ويحتمل أن يكون ﴿فَبَجَاءَهَا بِأُسْنَاهَا﴾ استثناءً؛ على وجه التفسير للإهلاك، فلا يحتاج إلى تكلف. والمراد: أهلكنا أهلها فجاءهم، ثم حذف المضاف؛ بدليل: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

﴿بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ مصدرٌ في موضع الحال؛ بمعنى: باتين؛ أي: بالليل، و﴿قَائِلُونَ﴾: من القائلة؛ أي: بالنهار. وقد أصاب العذابُ بعض الكفار المتقدمين بالليل، وبعضهم بالنهار. و﴿أَوْ﴾ هنا: للتنويع.

﴿دَعَوَيْهِمْ﴾ أي: ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون. وقيل: المعنى: أن دعواهم هنا: ما كانوا يدعونه من دينهم، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك.

﴿أَرْسِلْ إِلَيْهِمْ﴾ أسند الفعل إلى الجار والمجرور. ومعنى الآية: أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم، ويسأل الرسل عما أجيبوا به.

﴿وَلَنَنْقُصَنَّ عَلَيْهِمُ﴾ على الرسل والأمم.

﴿وَالْوِزْنَ﴾ يعني: وزن الأعمال. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يُسأل الرسل وأممهم؛ وهو يوم القيامة.

﴿بِأَيِّتِنَا يُظْلِمُونَ﴾ أي: يكذبون بها ظلمًا.



وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا فَلْيَلَا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٢﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٣﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٤﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٥﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٦﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَا يَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٨﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مَذْخُورًا لَسَ تَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ وَيَتَّادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ يَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَائِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١١﴾ \* وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِيسٌ النَّاصِحِينَ ﴿١٢﴾ فَدَلِيَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِعَا بِخِصْبَيْهِمَا مِنْ وَرَى الْجَنَّةِ وَنَادَيْهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ فَلَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١٦﴾

﴿١﴾ «خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ» قيل: المعنى: أردنا خلقكم وتصويركم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، وقيل: خلقنا أباكم<sup>(١)</sup>، ثم صورناه، وإنما احتجج إلى التأويل؛ ليصح العطف.

﴿٢﴾ «أَلَّا تَسْجُدَ» «لا» زائدة؛ للتأكيد. «إِذْ أَمَرْتُكَ» استدلال به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضي الوجوب والفور؛ ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة للسجود.

(١) في د، وهامش أ زيادة: «آدم».

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ تعليلٌ علَّلَ به إبليسُ امتناعه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه، وبهذا الاعتراض كفر إبليس؛ إذ ليس كفره كفر جحود.

﴿بَاهِظَ مِنْهَا﴾ أي: من السماء.

﴿قَالَ قَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للتعليل؛ وهي تتعلق<sup>(١)</sup> بفعل قسم محذوف تقديره: أقسم بالله - بسبب إغوائك لي - لأغوين بني آدم. و«ما»: مصدرية، وقيل: استفهامية؛ ويُبطله ثبوت الألف في «ما» مع حرف الجر.

﴿صِرَاطَكَ﴾ يريد: طريق الهدى والخير، وهو منصوبٌ على الظرفية.

﴿ثُمَّ لَا يَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية؛ أي: من الجهات الأربع، وذلك عبارة عن تسليطه على بني آدم كيفما أمكنه. وقال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: الآخرة، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾: الحسنات، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: السيئات<sup>(٢)</sup>.

﴿مَذْمُومًا﴾ من ذأمه - بالهمز - : إذا ذمّه. ﴿مَذْخُورًا﴾ أي: مطرودًا حيث وقع.

﴿فَوَسْوَسَ﴾ إذا تكلم كلامًا خفيًا يكرّره؛ فمعنى ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾: ألقى لهما هذا الكلام. ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾ أي: ليظهر ما ستر من عوراتهما. واللام في قوله: ﴿لِيُبْدِيَ﴾: للتعليل؛ إن كان في انكشافهما غرض لإبليس، أو للصيرورة؛ إن وقع ذلك بغير قصدٍ منه إليه.

﴿الشَّجَرَةَ﴾ ذكرت في «البقرة»<sup>(٣)</sup>. ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ﴾ أي: كراهة أن تكونا ملكين. واستدلَّ به من قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء. وقرئ: «مَلِكَيْنِ» بكسر اللام<sup>(٤)</sup>؛ ويقوي هذه القراءة قوله: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلُغُ﴾ [طه: ١١٧].

(١) في أ، ب، هـ: «وهو متعلق».

(٢) أخرجه الطبري (٩٧/١٠)، وابن أبي حاتم (١٤٤٤/٥).

(٣) انظر تفسير الآية (٣٤).

(٤) هي قراءة ابن عباس رضي الله عنه ويحيى بن كثير والضحاك. المحرر الوجيز (٥٣٣/٣).

﴿وَقَاسَتَهُمَا﴾ أي: حلف لهما إنه لمن الناصحين. وذكر قَسَمَ إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين اثنين: لأنه اجتهد فيه، أو لأنه أقسم لهما، وأقسما له أن يقبلا نصيحته.

﴿بَدَّلِيَهُمَا﴾ أي: أنزلهما إلى الأكل من الشجرة.

﴿بِغُرُورٍ﴾ أي: غرهما بحلفه لهما؛ لأنهما ظنَّا أنه لا يحلف كاذبًا.

﴿بَدَثَ لَهُمَا سَوْءَ آثُهُمَا﴾ أي: زال عنهما اللباس، وظهرت عوراتهما، وكانا لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما<sup>(١)</sup> من الآخر، وقيل: كان لباسهما نورًا يحول بينهما وبين النظر.

﴿يَخْصِبِي عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَى الْجَنَّةِ﴾ أي: يصلان بعضه ببعض ليستترا بها.

﴿وَنَادِيَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء: بواسطة ملك، أو بغير واسطة<sup>(٢)</sup>.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ اعتراف، وطلبٌ للمغفرة والرحمة، وتلك<sup>(٣)</sup> الكلمات التي تاب الله عليه بها.

﴿أَهْطَوْا﴾ وما بعده: مذكور في «البقرة»<sup>(٤)</sup>.

﴿فِيهَا تَخْيُونَ﴾ أي: في الأرض.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «لأحدهما».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٨٤).

(٣) في د زيادة: «هي».

(٤) انظر تفسير الآية (٣٥).

يَبْنِيهِ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْوِيهِ سَوْءَ تَكُنْمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ  
 مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥﴾ يَبْنِيهِ عَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم  
 مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهْمًا إِنَّهُ يَبْرِيكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا  
 تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا بَعُلُوا بِحِشَّةٍ قَالُوا وَجَدْنَا  
 عَلَيْهَا عَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا فُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ  
 ﴿٧﴾ فُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ  
 كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ قَرِيفًا هَدًى وَقَرِيفًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ  
 أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُّهْتَدُونَ ﴿٨﴾ يَبْنِيهِ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ  
 مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

﴿لِبَاسًا﴾ أي: الثياب التي تَسْتُرُ؛ ومعنى ﴿أَنْزَلْنَا﴾: خلقنا. وقيل: المراد: أنزلنا ما يكون  
 عنه اللباس؛ وهو <sup>(١)</sup> المطر. واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة.  
 ﴿وَرِيشًا﴾ أي: لباس الزينة؛ وهو مستعار من ريش الطائر.

﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ﴾ استعار للتقوى لباسًا؛ كقولهم: ألبسك الله قميص تقواه. وقيل: لباس  
 التقوى: ما يُتَّقَى به في الحرب من الدروع وشبهها. وقرئ: بالرفع <sup>(٢)</sup> على الابتداء، وخبره:  
 الجملة، وهي: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى ما أنزل من اللباس. وهذه الآية واردة على وجه  
 الاستطراد عَقِيب <sup>(٣)</sup> ما ذكر من ظهور السَّوَاتِ وَخَصَفَ الورق عليهما؛ لِيُبَيِّنَ إِنْعَامَهُ بِمَا <sup>(٤)</sup>  
 خَلَقَ من اللباس.

﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي: كان سببًا في نزاع لباسهما عنهما. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾  
 يعني: في غالب الأمر، وقد استدلل به من قال: إن الجن لا يُرَوْنَ. وقد جاءت في رؤيتهم

(١) في أ، ب، هـ: «أي».

(٢) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب السين، وقرأ الباقر بالرفع.

(٣) في د: «عقب».

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «على ما».

أحاديث صحيحة، فتَحَمَّل الآية على الأكثر؛ جمعًا بينها وبين الأحاديث.

﴿وَإِذَا بَعُلُوا بُحَيْشَةً﴾ قيل: هي ما كانت العرب تفعله من الطَّواف بالبيت عراة؛ الرجال والنساء، وَيَحْتَمِل العموم في الفواحش.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتذروا بعذرين باطلين: أحدهما: تقليد آبائهم، والآخر: افتراؤهم على الله.

﴿وَأَفِيسُوا وَجُوهُكُمْ﴾ قيل: المراد إحضار النية، والإخلاص لله. وقيل: فعل الصلاة والتوجه فيها.

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: في كل مكان سجود، أو: كل وقت سجود، والأول أظهر.

والمعنى: إباحة الصلاة في كل موضع؛ كقوله <sup>(١)</sup> ﷺ: «جُعِلَت لي الأرض مسجدًا» <sup>(٢)</sup>.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ احتجاج على البعث الأخر اوي بالبداة الأولى.

﴿قَرِيفًا﴾ الأول: منصوبٌ بـ ﴿هَبْئَ﴾، والثاني: منصوبٌ بفعل مضمر؛ يفسره ما بعده <sup>(٣)</sup>.

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ قيل: المراد به: الثياب الساترة، واحتجَّ به من أوجب ستر العورة في الصلاة. وقيل: المراد به: الزينة زيادةً على السَّتر، كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الأمر فيهما للإباحة؛ لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المأكَل. ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي: لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة. وقال الأطباء: إن الطبَّ كلُّه مجموعٌ في هذه الآية <sup>(٤)</sup>. وقيل: لا تسرفوا بأكل الحرام.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «لقوله».

(٢) هو جزء من حديث: «نصرت بالرعب...» وقد تقدم تخريجه.

(٣) تقديره: وعذب فريقًا أو أضل فريقًا حقَّ عليهم. المحرر الوجيز (٣/ ٥٤٧)

(٤) انظر: الكشف (٦/ ٣٧٢).



\* قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣﴾ يَبَيِّنُ عَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِهِ بِمَنْ يُنْفِقِ وَأُضْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ بَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ إِفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَتَالَهَمُ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنْهَبَهُمْ أَتَنْهَوْنَ كُفْرَهُمْ ﴿٦﴾ قَالَ أَذْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأَجْنِ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ آخَتَهَا حَتَّى إِذَا إِذَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِبْنَهُمْ لَا وَلِيَّ لَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا بِآيَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ﴿٧﴾ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَقَالَتْ أُولِيَّهُمْ لَأَخْرِبْنَهُمْ بِمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٩﴾

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ إنكاراً لتحريمها، وهي ما شرعه الله لعباده من الملابس والمأكُل. وكان بعض العرب إذا حجَّوا يُجَرِّدُونَ<sup>(١)</sup> الثياب ويطوفون عراة، ويحرمون الشحم واللبن؛ فنزل ذلك ردًّا عليهم<sup>(٢)</sup>.

﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: الزينة والطيبات في الدنيا: للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة: خالصة لهم دون غيرهم. وقرئ ﴿خَالِصَةً﴾: بالنصب<sup>(٣)</sup>؛ على الحال، والرفع؛ على أنه:

(١) في د: «يُحْرَمُونَ».

(٢) تجريد الثياب والطواف عراة أخرجه الطبري (١١/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٦) عن ابن عباس ؓ. وأما تحريم الشحم واللبن فأخرجه أبو الشيخ عن ابن زيد كما في الدر المنثور (٦/ ٣٧٥)، وأخرجه الطبري (١٠/ ١٥٥) عن السدي، قال: «إن الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك ما أقاموا بالموسم، فقال الله لهم: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين»».

(٣) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

خبر بعد خبر، أو خبر ابتداء مضمير.

﴿وَالْإِثْمَ﴾ عام في كل ذنب. ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: تفتروا عليه في التحريم وغيره.  
 ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة؛ للتأكيد، ولزمتها النون  
 الشديدة المؤكدة، وجواب الشرط: ﴿بِمَنْ يَنْفِي﴾ الآية.

﴿بِمَنْ أَظْلَمَ﴾ ذكر في «الأنعام»<sup>(١)</sup>.

﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: يصل إليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها.  
 ﴿صَلُّوا عَنَّا﴾ أي: غابوا عنا.

﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ أي: ادخلوا النار في جملة أمم؛ أي: مع أمم.  
 ﴿إِذَا رَكُوتًا﴾ أي: تلاحقوا واجتمعوا.

﴿قَالَتْ أَخْرِبُهُمْ لِأُولِيهِمْ﴾ المراد بـ﴿أُولِيهِمْ﴾: الرؤساء والقادة، و﴿أَخْرِبُهُمْ﴾: الاتباع  
 والسفلة. والمعنى: أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم؛ لأنهم  
 أضلوهم. وليس المعنى: أنهم قالوا لهم ذلك خطاباً لهم، إنما هو كقولك: قال فلان لفلان  
 كذا؛ أي: قاله عنه، وإن لم يخاطبه به.

﴿وَقَالَتْ أُولِيَهُمْ لِأَخْرِبُهُمْ بِمَا كَانُوا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي: لم يكن لكم علينا فضل  
 في الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم، بل نحن وأنتم متساوون.  
 ﴿بَدَوْفُوا الْعَذَابَ﴾ من قول أولاهم لأخراهم، أو من قول الله تعالى لجميعهم.



(١) انظر تفسير الآية (٢٢).

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ بَوَافِعِهِمْ عَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٧﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِيهِ مِنْ تَحْتِهِمْ أَنْهَرُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْتَنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِذَنْ مَوَّزَيْنَا بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٦٠﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٦١﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٣﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَفْسَنْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٤﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَمِيسُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَبِيرِينَ ﴿٦٥﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِالْيَوْمِ نَنْسِيَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ يَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٨﴾

﴿٥٥﴾ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴿٥٦﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يصعد عملهم إلى السماء. والثاني: لا يدخلون الجنة؛ فإن الجنة في السماء. والثالث: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم - إذا ماتوا - كما تفتح لأرواح المؤمنين.



﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي: حتى يدخلَ الجملُ في ثقبِ الإبرة. والمعنى: لا يدخلون الجنة حتى يكونَ ما لا يكونُ أبداً، فلا يدخلونها أبداً.

﴿مِهَادٌ فَرَّاشٌ﴾ غَوَاشٍ أَغْطِيَةٌ.

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملةُ اعتراضٍ بين المبتدأ والخبر؛ ليبين أنه إنما طلب من الأعمال الصالحة ما في الوُسْع والطاقَة.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ أي: مَنْ كان في صدره غِلٌّ لأخيه في الدنيا نُزِعَ منه في الجنة، وصاروا إخواناً أحباباً. وإنما قال: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ بلفظ الماضي وهو مستقبل؛ لتحقيق وقوعه في المستقبل، حتى عبّر عنه بما يعبر عن الواقع. وكذلك كلُّ ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ، وهي تقع في الآخرة؛ كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وغير ذلك.

﴿هَدَيْنَا لِهَذَا﴾ إشارة إلى الجنة، أو إلى ما أوجبها من الإيمان والتقوى.

﴿أَنْ تُلْكَمُ الْجَنَّةَ﴾ و﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾، و﴿أَنْ لَعْنَةُ﴾، و﴿أَنْ سَلَّمَ﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَنْ﴾ في كل واحدة منها: مخففة من الثقيلة؛ فيكون فيها ضمير، أو حرف عبارة وتفسير للمعنى القول.

﴿مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ حُذِفَ مفعول ﴿وَعَدَ﴾: استغناء عنه بمفعول ﴿وَعَدْنَا﴾، أو لإطلاق الوعد؛ فيتناول الثواب والعقاب.

﴿بِأَذَنٍ مُؤَدَّنٍ﴾ أي: أعلم مُعَلِّمٌ؛ وهو ملكٌ.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: بين الجنة والنار، أو: بين أصحابهما، وهو الأرجح؛ لقوله: ﴿بَيْنَهُمْ يَسُورٌ﴾ [الحديد: ١٣].

﴿الْأَعْرَافِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: هو تلٌّ <sup>(١)</sup> بين الجنة والنار <sup>(٢)</sup>، ومجاهد: حجابٌ بين الجنة والنار <sup>(٣)</sup>، وقيل: سور الجنة.

(١) في د: «جبل».

(٢) أخرجه الطبري (١٠/٢١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/٢٠٨) وابن أبي حاتم (٥/١٤٨٣).

﴿رِجَالٌ﴾ هم أصحاب الأعراف. وورد في الحديث: «أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم يدخلوا الجنة ولا النار»<sup>(١)</sup>. وقيل: هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم، فاستشهدوا، فمُنِعُوا من الجنة؛ لعصيان آبائهم، ونَجُوا من النار؛ للشهادة. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: يعرفون أهل الجنة بعلامتهم؛ من بياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بعلامتهم؛ من سواد وجوههم، أو غير ذلك من العلامات.

﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ أي: سلم أصحاب الأعراف على أهل الجنة. ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي: أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة، وهم يطمعون في دخولها من بعد.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ الضمير لأصحاب الأعراف؛ أي: إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم منهم.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ يعني: من الكفار الذين في النار، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ.

﴿جَنَعُكُمْ﴾ يحتمل أن يريد: جمعكم للمال، أو كثرتم.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: استكباركم على الناس، أو استكباركم عن الرجوع إلى الحق؛ ف«ما» هنا مصدرية. و«ما» في قوله: ﴿مَا أَغْنَى﴾: استفهامية، أو نافية.

﴿أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَفْسَنْتُمْ﴾ من كلام أصحاب الأعراف خطاباً لأهل النار، والإشارة بـ«هَؤُلَاءِ» إلى أهل الجنة؛ وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يُقْسِمُونَ أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعذبهم؛ فظهر خلاف ما قالوا. وقيل: هي من كلام الملائكة؛ خطاباً لأهل النار، والإشارة بـ«هَؤُلَاءِ» إلى أصحاب الأعراف.

(١) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٤١٨/٣)، وابن عساكر في تاريخه (٣١٣/١٤)، وخيشمة بن سليمان في مسنده كما عزاه إليه ابن عطية (٥٧١/٣) عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً، قال ابن كثير: «وهذا حديث غريب»، وساق عدة أخبار مرفوعة في ذلك وقال: «والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصارها أن تكون موقوفة».

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ خطابٌ لأهل الجنة: إن كان من كلام أصحاب الأعراف؛ تقديره: قد قيل لهم: ادخلوا الجنة. وخطابٌ لأهل الأعراف: إن كان من كلام الملائكة.

﴿أَنْ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ دليلٌ على أن الجنة فوق النار.

﴿مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ من سائر الأشرية أو الأطعمة.

﴿بِالْيَوْمِ نَنْسِيهِمْ﴾ أي: نتركهم. ﴿كَمَا نَسُوا﴾ الكاف للتعليل.

﴿وَمَا كَانُوا﴾ عطفٌ على ﴿كَمَا نَسُوا﴾؛ أي: لسيانهم وجحودهم.

﴿جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾ يعني: القرآن. ﴿بَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: عَلِمْنَا كَيْفَ نُفَصِّلُهُ<sup>(١)</sup>.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي: هل ينتظرون إلا عاقبة أمره، وما يؤول إليه؛ من ظهور ما

نطق به من الوعد والوعيد؟

﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ بِآلْحَقِّ﴾ أي: قد تبين وظهر الآن أن الرسل جاؤوا بالحق.



(١) في أ، ب، د: «تفصيله».

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي  
 اللَّيْلَ الظُّلُمَ يَظْلُمُهَا خَيْثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ  
 تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُغْتَبِينَ ﴿٥٢﴾ وَلَا  
 تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ  
 ﴿٥٣﴾ \* وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ تَنْشِيرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفْلَحَ سَحَابًا نُّفِثَ فِيهِ  
 لَيْلٌ مَّيِّتٌ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ  
 تَذَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾ وَالتَّلَذُّبُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا  
 كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٥﴾

﴿إِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ حيث وقع: حمّله قومٌ على ظاهره؛ منهم ابن أبي زيد<sup>(١)</sup> وغيره. وتأوله قوم بمعنى: قصد؛ كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٨]. ولو كان كذلك لقال: ثم استوى إلى العرش. وتأوله الأشعرية أن معنى استوى: استولى بالملك والقدرة. والحق: الإيمان به من غير تكيف؛ فإن السلامة في التسليم، والله درّ مالك بن أنس الإمام في قوله للذي سأله عن ذلك: «الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عن هذا بدعة»<sup>(٢)</sup>.

وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري<sup>(٣)</sup>. ولم يتكلّم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه؛ ولذلك قال مالك: «السؤال عنه بدعة»<sup>(٤)</sup>.

(١) هو ابن أبي زيد القيرواني، في مقدمة الرسالة في الفقه المالكي (ص: ١٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٤٤١).

(٣) لم أقف عليه مرويًا عنهم.

(٤) [التعليق ٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾؛ حيث وقع...، إلخ: أقول: ذكر فيه مذاهب:

الأول: إجراؤه على ظاهره، ونسبه لابن أبي زيد المالكي.

الثاني: مذهب أهل التأويل، ومنهم الأشاعرة، وبعضهم قال: استوى: قصد، وقالت الأشاعرة: استوى بالملك والقدرة.

الثالث: مذهب الصحابة والأئمة، وهو الإيمان به من غير تكيف، وقرر هذا القول بقوله: «والحق: الإيمان به من غير تكيف؛ فإن السلامة في التسليم».

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: يُلْحَق اللَّيْلُ بالنَّهَارِ، أو يُلْحَق النَّهَارُ بِاللَّيْلِ؛ يَحْتَمِلُ الوجهين، هكذا قال الزمخشري<sup>(١)</sup>. وأصل اللفظة: من الغِشاء؛ أي: يجعل أحدهما غِشاءً للآخر يغطيه، فتغطّي ظلمة الليل نور النهار.

﴿يَظْلِمُهُ حَبِيبَاتُ﴾ أي: سريعاً، والجملة في موضع الحال من ﴿الَّيْلَ﴾؛ أي: يطلب<sup>(٢)</sup> النهار فيُدركه.

﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ قيل: الخلق: المخلوقات، والأمر: مصدر أمر يأمر. وقيل: الخلق: مصدر خلق، والأمر: واحد الأمور؛ كقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٠]. والكلُّ صحيح.

﴿تَبَرَّكَ﴾ من البركة؛ وهو فعل غير متصرف لم تنطق له العرب بمضارع.

﴿تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً﴾ مصدرٌ في موضع الحال، وكذلك: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

﴿وَخُفْيَةً﴾ من الإخفاء. وقرئ: «خِيفَةً» من الخوف<sup>(٣)</sup>.

﴿الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين للحدِّ، وقيل هنا: هو رفع الصوت بالدعاء، والتشطُّط فيه.

= وكلامه هنا متردّد بين الإثبات من غير تكييف، وبين التفويض؛ ولذا استشهد بقول الإمام مالك وغيره: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»، ولكنه قال: «ولم يتكلّم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل أمسكوا عنه»، قال: «ولذا قال مالك: والسؤال عنه بدعة».

ومفهوم كلام المؤلف ﷺ: أن السؤال عن معنى الاستواء بدعة.

وهذا خطأ؛ فالذي سُئِلَ عنه مالك، وقال: «السؤال عنه بدعة» هو الكيفية؛ لأنه قال: «الاستواء معلوم»؛ أي: معناه، «والكيف مجهول»، والسؤال عنه بدعة؛ أي: السؤال عن الكيف.

وقد أخطأ ابن جزيّ ﷺ أيضاً في زعمه: أن الصحابة والتابعين لم يتكلّموا في معنى «استوى».

والصواب: هو إثبات الاستواء لله على العرش بمعناه المعلوم - وهو: علا وارتفع - مع نقى التمثيل، ونفى العلم بالكيفية.

ومن يتدبّر كلام ابن جزيّ، يدرك أنه إلى التفويض أميل؛ أي: تفويض معنى الاستواء، أو هو قوله الذي يقول به، والله أعلم.

(١) انظر: الكشف (٦/ ٤٠٤).

(٢) في دزيادة: «الليل».

(٣) قال في المحرر الوجيز (٣/ ٥٨١): «وقرات فرقة «وخيفة» من الخوف.. ذكرها ابن سيده في المحكم ولم ينسبها، وقال أبو حاتم: قرأها الأعمش فيما زعموا».



﴿وَادْعُوهُ خَوْبًا وَطَمَعًا﴾ جَمَعَ اللهُ الخوفَ والطمع؛ ليكون العبد خائفًا راجيًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]. فإن مُوجِبَ الخوفِ: معرفةُ سَطَوَاتِ<sup>(١)</sup> الله وشِدَّةَ عقابه، ومُوجِبَ الرجاء: معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه؛ قال تعالى: ﴿تَنبِيْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]. ومَنْ عَرَفَ فَضْلَ الله رَجَاهُ، وَمَنْ عَرَفَ عَذَابَهُ خَافَهُ؛ ولذلك جاء في الحديث: «لو وُزِنَ خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»<sup>(٢)</sup>. إلّا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يَغْلِبُ عليه الخوف؛ ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات، وأن يَغْلِبَ عليه الرجاء عند حضور الموت؛ لقوله ﷺ: «لا يموتنَّ أحدكم إلّا وهو يحسن الظن بالله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

#### واعلم أن الخوف على ثلاث درجات:

◀ الأولى: أن يكون ضعيفًا يخطر على القلب، ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر، فوجود هذا كالعدم.

◀ والثانية: أن يكون قويًا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة.

◀ والثالثة: أن يشتدَّ حتى يبلغ إلى القنوط واليأس، وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها.

والناس في الخوف على ثلاث مقامات<sup>(٤)</sup>؛ فخوف العامة: من الذنوب. وخوف الخاصة: من الخاتمة. وخوف خاصة الخاصة: من السَّابِقَةِ؛ فإن الخاتمة مبنية عليها.

#### والرجاء على ثلاث درجات:

◀ الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعته وترك معصيته؛ فهذا هو الرجاء المحمود.

◀ والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان؛ فهذا غرورٌ.

(١) في د: «سطوة».

(٢) لا يصح حديثًا، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٥٥٥): «لا أصل له في المرفوع، وإنما يؤثر عن بعض السلف»، وأخرجه أحمد في الزهد (ص: ٢٣٩) عن مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير من قوله.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) عن جابر رضي الله عنه.

(٤) كذا في النسخ الخطية «ثلاث مقامات» بتذكير لفظ «ثلاث» اعتبارًا لتأنيث الجمع المعدود «مقامات»، وهي لغة، وإن كانت القاعدة المشتبهة أن يعتبر في التذكير والتأنيث المفرد لا الجمع، فيقال: «ثلاثة مقامات». انظر: شرح التسهيل لأبي حيان (٣٠٠/٩).

◀ والثالثة: أن يقوى الرجاء حتى يبلغ إلى الأمن؛ فهذا حرام.

والناس في الرجاء على ثلاث مقامات<sup>(١)</sup>:

فمقام العامة: رجاء ثواب الله.

ومقام الخاصة: رجاء رضوان الله.

ومقام خاصة الخاصة: رجاء لقاء الله حباً فيه وشوقاً إليه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) [التعليق ٥٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراءة: قوله ﷺ: «الخوف على ثلاث درجات» إلخ، نقول: الخوف

من منازل الإيمان، ومن أفضل أعمال القلوب، وأصله خوف الله، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَآخِشُوا﴾، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

وقول المؤلف: إنه على ثلاث درجات صحيح. وقوله: ضعيف لا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر، هو صحيح أيضاً، ولكن قوله: وجوده كعدمه، فيه نظر؛ لأن هذا القدر من الخوف دليل الإيمان، وعدمه دليل على عدم الإيمان.

وقوله: «الثانية: أن يكون قوياً» إلخ، صحيح. وقوله: «الثالثة: أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس» إلخ، صحيح، ولكن قوله: «لا يجوز» فيه قصور، بل القنوط من رحمة الله كبيرة من كبائر الذنوب، وقد يؤول إلى الكفر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقول المؤلف: «خير الأمور أوساطها» حق. وقوله: «والناس في الخوف على ثلاث مقامات». في هذا التصنيف نظر؛ فإن تقسيم المؤمنين إلى عامة وخاصة وخاصة الخاصة من مصطلحات الصوفية؛ فجميع المؤمنين يخافون من الذنوب، ومن سوء الخاتمة، ومما سبق به القدر من السعادة والشقاوة، وأصل الخوف هو خوف الله وخوف عذابه، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ وقال: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، والذنوب لا يعصم منها إلا الله، وما وقع منها فيقدر الله، وأمر الخاتمة إلى الله، فعاد الأمر كله لله، ولا ريب أن المؤمنين متفاضلون في الخوف الواجب، وهو ما تضمنته الدرجة الثانية، لا الخوف الضعيف ولا الشديد؛ فأهل هذه الدرجة منهم الكمل، ومنهم المقصرون، ومنهم المقتصدون، على حد قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

وقوله: «والرجاء على ثلاث درجات» إلخ. أقول: الرجاء منزلة من منازل قلوب السائرين إلى الله، وهو طمع في محبوب، وهو مقابل للخوف؛ لأنه حذر من مرهوب، وكل منهما - أعني الخوف والرجاء - من العبد مطلوب، وقد أثنى الله على الراغبين أعظم من ثنائه على الخائفين؛ لأن مبنى الرجاء حسن الظن بالله، وقد ورد ذكر الرجاء في القرآن في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُتِرِكْ يُعْبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾.

﴿إِنَّ رَحِمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ حذفت تاء التانيث من ﴿قَرِيبٌ﴾ وهو خبر عن الرحمة: على تأويل الرحمة بالرحم، أو الترحم، أو العفو. أو لأن تانيث الرحمة غير حقيقي. أو لأنه صفة موصوف محذوف تقديره: شيء قريب. أو على تقدير النسب؛ أي: ذات قرب. وقيل: ﴿قَرِيبٌ﴾ هنا ليس خبراً عن الرحمة<sup>(١)</sup>، وإنما هو ظرف لها.

﴿الرَّيْحَ نَشْرًا﴾ قرئ ﴿الرَّيْحَ﴾ بالجمع<sup>(٢)</sup>؛ لأنها رياح المطر. وقد اطرَّد في القرآن جمعها إذا كانت للرحمة، وإفرادها إذا كانت للعذاب؛ ومنه ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»<sup>(٣)</sup>. وقرئ بالإفراد؛ والمراد: الجنس.

وقرئ: ﴿نَشْرًا﴾<sup>(٤)</sup> - بفتح النون وإسكان الشين -؛ وهو على هذا مصدر في موضع الحال. وقرئ بضمهما؛ وهو جمع ناشر، وقيل: جمع منشور. وقرئ بضم النون وإسكان

= وقد جعل المفسر الرجاء ثلاث درجات باعتبار ما يُحمد وما يُذم: فالمحمود منها هو الدرجة الأولى، وهو الرجاء مع التصديق بالعمل، والثانية مذمومة؛ لأنه رجاء مع التفريط، فهو رجاء كاذب، وحقيقته التمني، والدرجة الثالثة قال فيها المفسر: حرام؛ لأنه متضمن لعدم الخوف من الله، وحقيقته الأمن من مكر الله، وهو من كبائر الذنوب، واقتصار المؤلف فيه على مطلق التحريم تقصير.

ثم جعل الناس في الرجاء ثلاثة مقامات، وذلك باعتبار متعلّق الرجاء عندهم؛ وهي: مقام العامة، ومقام الخاصة، ومقام خاصة الخاصة، وفي هذا التقسيم جرى المؤلف على طريقة الصوفية بذكر الخاصة وخاصة الخاصة، وهو تعبير لا يعرف في كلام السلف من الصحابة والتابعين، وأيضاً: لم يحرر المؤلف متعلّق الرجاء، ولم يذكر دليلاً؛ فإنّ رضا الله ولقاءه - وهما مطلب أهل المقام الثاني والثالث - داخلان في المعنى العام للثواب الذي جعله المؤلف مطلب أهل المقام الأول، وكأنه خصّ الثواب بما في الجنة من المطاعم والمشارب والأزواج، والحق أن الثواب لا يختص بذلك. نعم: بعض الثواب أعلى من بعض، ولهذا قال بعض المحققين من أهل العلم: إن النظر إلى الله تعالى ورضوانه داخل في معنى الجنة التي وعد الله بها المؤمنين؛ لأن كل من دخل الجنة نال رضوان الله، وفاز ببقائه. وأما الأدلة من القرآن على فضل الرجاء ومتعلّقه فقد تقدمت الإشارة إليها أول التعليق.

(١) قوله: «عن الرحمة» لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٢) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالإفراد، وقرأ الباقون بالجمع.

(٣) من حديث ابن عباس ؓ مرفوعاً، أخرجه الشافعي في مسنده (١٧٥/١) عن لا يتهم، ومن طريقه البيهقي في الدعوات الكبير (٤٨٠/١). وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢١٣/١١) وفي إسناده الطبراني متروك كما في مجمع الزوائد (١٩٥/١٠).

(٤) قرأ عاصم ﴿نَشْرًا﴾ بالباء، وقرأ ابن عامر ﴿نَشْرًا﴾ بالنون وضمها وإسكان الشين، وقرأ حمزة والكسائي ﴿نَشْرًا﴾ بفتح النون، وقرأ الباقون ﴿نَشْرًا﴾ بضم النون وإسكان الشين.

الشين؛ وهو تخفيف من الضم؛ كَرُسُلٍ وَرُسُلٍ. وقرئ بالباء في موضع النون؛ من الإشارة.

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: قَبْلَ المطر.

﴿أَقَلَّتْ﴾ حَمَلَتْ.

﴿سَحَابًا يَفَالَا﴾ لأنها تحمل الماء فتثقل به.

﴿سُقْنَتُهُ﴾ الضمير للسحاب.

﴿لِيَلِدَ مَيِّتٌ﴾ يعني: لا نبات فيه من شدة القحط، وكذلك معناه حيث وقع.

﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ الضمير: للسحاب، أو للبلد؛ على أن تكون الباء ظرفية.

﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ تمثيل لإخراج الموتى من القبور بإخراج الزرع من الأرض.

وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع؛ منها: ﴿كَذَلِكَ أَلْتُشُونَ﴾ [فاطر: ٩] ، ﴿كَذَلِكَ

الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١].

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ هو الكريم من الأرض، الجيد التراب<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِي خَبِثَ﴾ بخلاف ذلك؛ كالسَّبخة ونحوها.

﴿يَأْذُنُ رَبِّهِ﴾ عبارة عن السهولة والطيب، والنَّكِدُ بخلاف ذلك. ويَحْتَمَلُ أن يكون المراد:

ما يقتضيه ظاهر اللفظ؛ فتكون متممة للمعنى الذي قَبَلَهَا في المطر. وأن يكون<sup>(٢)</sup> تمثيلاً

للقلوب: فقيل -على هذا-: الطيب: قلب المؤمن، والخبيث: قلب الكافر، وقيل: هما

الفَهْمُ<sup>(٣)</sup> والبلد.



(١) في ب، ج، هـ: «التراب».

(٢) في ج، د: «تكون».

(٣) في د: «الفهم».

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقُونَ لِغَيْرِهِدَّ إِلَّيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ قَالَ أَلَمَّا مِن قَوْمِهِدَّ إِنَّا لَنُرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ قَالَ يَتَقُونَ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ أَتَبْلُغُكُمْ رِسَالَتِي رَّبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِّنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦﴾

﴿مِّنَ اللَّهِ غَيْرُهُدَّ﴾ قرأ الكسائي: بالخفض - حيث وقع -؛ على اللفظ، وقرأ غيره: بالرفع؛ على الموضع.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: يوم القيامة، أو يوم هلاكهم.

﴿أَلَمَّا﴾ أشراف الناس.

﴿لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ إنما قال ﴿ضَلَالَةٍ﴾ ولم يقل ﴿ضلالٌ﴾ كقولهم؛ لأن الضلالة أخص من الضلال، كما إذا قيل لك: أعندك تمر؟ تقول: ما عندي تمر؛ فتعم بالنفي.

﴿أَتَبْلُغُكُمْ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف<sup>(١)</sup>، والمعنى واحد. وهو في موضع صفة لـ ﴿رَسُولٍ﴾، أو استئناف.

﴿وَأَعْلَمُ مِّنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من صفاته ورحمته وعذابه.

﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف؛ كأنه قال: أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكرٌ.

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ أي: على لسان رجل.

﴿فِي الْفُلْكِ﴾ يتعلق بـ ﴿مَعَهُ﴾؛ والتقدير: استقروا معه في الفلك، ويحتمل أن يتعلق بـ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾.

﴿عَمِينَ﴾ جمع عم؛ وهو من عمى القلب.

(١) قرأ أبو عمرو ﴿أَتَبْلُغُكُمْ﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد.

وَالَّذِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ لَا عَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٨﴾ قَالَ  
 الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَبَاهٍ وَأَنَا لَتَنظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ  
 يَقَوْمِ لَيْسَ فِي سَبَاهٍ وَلَكِنَّهُ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ ابْلُغْكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ  
 نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٧١﴾ \* أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ  
 وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ  
 اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّمَا  
 بِنَايَئُنَا وَإِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ  
 أَتَجِدِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي  
 مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَفَطَعْنَا ذَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا  
 بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾

﴿٦٨﴾ «أَخَاهُمْ» أي: واحداً من قبيلتهم، وهو معطوف على «نوحاً». و«هوداً» بدل منه، أو  
 عطف بيان. وكذلك «أَخَاهُمْ صَالِحاً» وما بعده، وما هو مثله حيث وقع.

﴿٦٩﴾ «الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا» قيد هنا بالكفر؛ لأن في الملا من قوم هود من آمن؛ وهو مرثد بن  
 سعد، بخلاف قوم نوح؛ فإنهم لم يكن فيهم مؤمن، فأطلق لفظ الملا.

﴿٧٠﴾ «أَمِينٌ» يحتمل أن يريد: أمانته على الوحي، أو أنهم كانوا قد عرفوه بالأمانة والصدق.

﴿٧١﴾ «خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» أي: خلفتموهم في الأرض، أو جعلكم ملوكاً.

﴿٧٢﴾ «وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً» كانوا عظام الأجسام؛ كان أقصرهم ستين ذراعاً، وأطولهم  
 مئة ذراع.

﴿٧٣﴾ «غَضَبٌ» نِعْمَةٌ حيث وقع.

﴿٧٤﴾ «فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا» استبعدوا توحيد الله وحده؛ استبعدوا توحيد الله مع اعترافهم بربوبيته؛ ولذلك قال  
 لهم هود: «قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ» أي: حَقَّ عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب.

﴿أَتَجِدِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني: الأصنام؛ أي: تجادلونني في عبادة مسميات أسماء؛ ففي الكلام حذف. وأراد بقوله: ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾: جعلتم لها أسماء؛ فدل ذلك على أنها محدثة، فلا يصح أن تكون آلهة. أو سَمَّيْتُمُوهَا آلهة من غير دليل على أنها آلهة؛ فقولكم باطل. فالجدال على القول الأول: في عبادتها، وعلى القول الثاني: في تسميتها آلهة. والمراد بالأسماء على القول الأول: المسمَّى، وعلى القول الثاني: التسمية. ﴿ذَابِرٌ﴾ ذكر في «الأنعام»<sup>(١)</sup>.



(١) انظر تفسير الآية (٤٦).

وَالَّذِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَفْقَهُمْ لَا تَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ  
 مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ قَدْ زُرُّوهَا تَاكُلُ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ  
 فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧١﴾ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
 تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهْلِهَا قُصُورًا وَتَنْجِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا قَادِكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا فِي  
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعِبُوا لِمَن أَمَرَ  
 مِنْهُمْ أَنْ تَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِء مُّؤْمِنُونَ ﴿٧٣﴾ قَالَ الَّذِينَ  
 اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِء كَاذِبُونَ ﴿٧٤﴾ \* بَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا  
 يَصْلِحُ إِيَّتَنَا إِنَّمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٥﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
 جَمِيعِينَ ﴿٧٦﴾ فَبَقِيَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَفْقَهُمْ لَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا  
 تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٧﴾ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْقَبْحَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ  
 الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٧٩﴾ وَمَا  
 كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٠﴾  
 فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا إِمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا بَاقِنًا كَيْفَ  
 كَانَ عَقِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٢﴾

﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: آية ظاهرة؛ وهي الناقة، وأضيفت إلى الله تشریفاً لها، ولأنه  
 خلقها من غير فخل. وكانوا قد اقترحوا على صالح ﴿ص﴾ أن يخرجها لهم من صخرة،  
 وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون،  
 ثم نجت ولداً فآمن به قوم منهم وكفر آخرون.

﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ أي: معجزة تدلُّ<sup>(١)</sup> على صحة نبوة صالح. والمجور في موضع الحال من  
 ﴿آيَةٌ﴾؛ لأنه لو تأخر لكان صفة.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ أي: لا تضربوها<sup>(٢)</sup>، ولا تطردوها.

(١) لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٢) في ج، د: «لا تضربوها».



﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ كانت أرضهم بين الحجاز والشام، وقد دخلها رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال لهم ﷺ: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم باكون؛ مخافة أن يصيبكم مثل الذي أصابهم»<sup>(١)</sup>.

﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تبنون قصورًا في الأرض البسيطة.

﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ أي: تنجرون<sup>(٢)</sup> بيوتًا في الجبال، (وكانوا يسكنون القصور في الصيف، والجبال في الشتاء. وانتصب «بُيُوتًا» على الحال)<sup>(٣)</sup>؛ وهو كقولك: خِطْتُ هذا الثوب قميصًا.

﴿لِمَنْ أَمْسَ مِنْهُمْ﴾ بدل من «لِلَّذِينَ أَسْتَضْعِفُوا».

﴿إِنَّا بِالذِّمَّةِ أَمَنَّاكُمْ بِهِ﴾ كَلِمَةٌ «إِنَّا» بالذِّمَّةِ «أَمَنَّاكُمْ بِهِ» إنما لم يقولوا: «بِمَا أُنْزِلَ بِهِ» كما قال الآخرون؛ لئلا يكون اعترافًا برسالته.

﴿بَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نَسَب العقر إلى جميعهم؛ لأنهم رضوا به، وإن لم يفعله إلا واحد منهم؛ وهو الْأَخْيَمُرُ.

﴿الرَّجْفَةُ﴾ الصَّيْحَةُ حيث وقعت؛ وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحةً بين السماء والأرض، فماتوا منها.

﴿جَثِيَيْنَ﴾ حيث وقع: أي: قاعدين لا يتحرَّكون.

﴿بَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ الآية؛ يحتمل أن يكون تَوَلَّى عَنْهُمْ وقوله لهم: حين عقروا الناقة، قبل نزول العذاب بهم؛ لأنه روي أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم. أو يكون ذلك بعد أن هلكوا؛ وهو ظاهر الآية، وعلى هذا: خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم.

وقوله: ﴿لَا تُجِبُونَ النَّاصِحِينَ﴾ حكاية حالٍ ماضية.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠) عن ابن عمر ؓ.

(٢) في أ: «تتخذون». وتنجرون أي: تحتون. الصحاح (ن ج ر).

(٣) سقط من أ، ب، هـ.

- ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: «أرسلنا» المضمرة<sup>(١)</sup>، أو يكون بدلاً من ﴿لُوطًا﴾<sup>(٢)</sup>.
- ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم. و﴿مِنْ﴾ الأولى: زائدة، والثانية: للتبعية، أو للجنس.
- ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ الآية؛ أي: أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله.
- ﴿إِنَّا نَسْ يَنْظَهُرُونَ﴾ أي: يتنزهون عن الفاحشة.
- ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي: من الهالكين، وقيل: من الذين غبروا في ديارهم فهلكوا، أو من الباقين من أترابها؛ يقال: غبر: بمعنى مضى، وبمعنى بقي. وإنما قال: ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ بجمع المذكر؛ تغليبا للرجال الغابرين.
- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني: الحجارة؛ أصيب بها من كان منهم خارجا عن بلادهم، وقُلبت البلاد بمن كان فيها.



(١) فتكون «إِذْ» ظرفاً لهذا المضمرة.

(٢) أي: يكون «لُوطًا» - على هذا الوجه - منصوباً بفعل مضمرة تقديره: «أذكر»، و«إِذْ» بدلاً منه، بمعنى: واذكر وقت قال لقومه. الكشاف (٦/ ٤٥٧).

وَالَّذِي مَدَّيْنِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ لِغِبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ  
 مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ  
 بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ  
 وَتُؤْثِرُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَّبَعُوا نَهْجَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا بَكَرْتُمْ  
 وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٢﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ  
 بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِمَا صِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٥٣﴾ \* قَالَ  
 أَلَمَّا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعُوبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ  
 لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ ﴿٥٤﴾ قَدْ إِفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي  
 مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ  
 رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ  
 الْفَاتِحِينَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ أَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَيْسَ لِتَبِعَتُمْ شُعَيْبًا لَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ  
 ﴿٥٦﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجَّةُ فَأَصْبَحُوا بِدَارِهِمْ جاثِمِينَ ﴿٥٧﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا  
 فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ  
 رَسُولِي رَحْمَةً وَنَصَحْتُ لَكُمْ بِكَيْفٍ ءَأْسَى عَلَى قَوْمِ كَاهِنِينَ ﴿٥٩﴾

﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: آية ظاهرة، ولم تُعَيَّن في القرآن آية شعيب.

﴿بَاؤُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ كانوا يَنْقُصُونَ في الكيل والوزن، فَبُعِثَ شعيب لينهاهم عن ذلك. والكيل هنا: بمعنى المكيال الذي يكال به؛ مناسبة للميزان؛ كما جاء في «هود»: ﴿الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٣]، ويجوز أن يكون ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ مصدرين.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ قيل: هو نهْيٌ عن السُّلْبِ وقطع الطريق؛ وكان ذلك من فعلهم. وقيل: كانوا يقعدون على الطريق؛ يردُّون الناس عن أتباع شعيب ويوعدونهم إن اتبعوه.

﴿وَتَصُدُّونَ﴾ أي: تمنعون الناس من<sup>(١)</sup> سبيل الله؛ وهو الإيمان. والضمير في ﴿بِهِ﴾: للصرط، أو لله.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ذُكِرَ في «آل عمران»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوْ لَتَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا﴾ أي: ليكونن أحد الأمرين: إما إخراجكم، أو عودكم إلى ملة الكفر. فإن قيل: إن العود إلى شيء يقتضي أنه قد كان فعل قبل ذلك؛ فيقتضي قولهم: ﴿لَتَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا﴾ أن شعيباً عليه السلام ومن كان معه كانوا أولاً على ملة قومهم، ثم خرجوا منها، فطلب قومهم أن يعودوا إليها، وذلك محال؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها!

فالجواب من وجهين: أحدهما: قاله ابن عطية؛ وهو أن «عاد» قد تكون بمعنى: صار؛ فلا تقتضي تقدّم ذلك الحال الذي صار إليه<sup>(٣)</sup>. والثاني: قاله الزمخشري؛ وهو أن المراد بذلك: الذين آمنوا بشعيب دون شعيب، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك؛ كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ﴾؛ فغلبوا في الخطاب بالعود الجماعة على الواحد<sup>(٤)</sup>. وبمثل ذلك يُجاب عن قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِيْ مِلَّتِكُمْ﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ بِهَا﴾.

﴿قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَرِهِيْنَ﴾ الهمزة: للاستفهام والإنكار، والواو: للحال، تقديره: أنعود في ملتكم<sup>(٥)</sup> ونحن كارهون؟!

﴿قَدْ إِفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِيْ مِلَّتِكُمْ﴾ أي: إن عدنا فيها فقد وقعنا في أمر عظيم من الافتراء على الله، وذلك تبرؤ من العود فيها.

(١) في ج، د: «عن».

(٢) انظر تفسير الآية (٩٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦١٣/٣).

(٤) انظر: الكشاف (٤٧٣/٦).

(٥) في أ، ب، هـ زيادة: «ويكون لنا أن نعود فيها».

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذا استسلامٌ لقضاء الله على وجه التأذّب مع الله وإسنادِ الأمور إليه؛ وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم: أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عودٍ وتركه؛ فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء.

فإن قلت: إن ذلك يصحّ في حق قومه، وأما في حق نفسه فلا؛ فإنه معصوم من الكفر؟  
فالجواب: أنه قال ذلك تواضعًا وتأدّبًا مع الله تعالى، واستسلامًا لأمره؛ كقول نبينا ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»<sup>(١)</sup> مع أنه قد علم أنه يشبّهه.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ أي: احكم.

﴿كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا﴾ أي: كأن لم يقيموا في ديارهم.

﴿بَكَيْفَ ءَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أي: كيف أحزنُ عليهم وقد استحقّوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم.



(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٢١٠٧)، والترمذي (٢١٤٠) وحسنه، والحاكم (١٩٢٧) وصححه، عن أنس رضي الله عنه،  
وروي -أيضًا- عن النّوّاس بن سمعان، وأم سلمة، وعبد الله بن عمرو، وعائشة رضي الله عنهم.

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا  
مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَقِبُوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً  
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٨﴾ أَتَأْمِنُ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ  
بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ أَوَأْمِنُ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٢٠﴾  
أَتَأْمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١﴾ \* أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ  
الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ شَاءَ أَصْبَنَاهُمْ بِدُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾  
يَلِكُ الْقُرَىٰ نَفْصٌ عَلَيْكَ مِنْ اثْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا  
كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ  
وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ  
بَطَلَمُوا بِهَا فَنَنْظُرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَهْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن  
رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ حَفِيقٌ عَلَيَّ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ  
فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٧﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَإِن يَافُوكَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٨﴾  
فَإَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٠﴾

﴿١٦﴾ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴿١﴾ قد تقدم.

﴿١٧﴾ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴿١﴾ أي: أبدلنا البأساء والضراء بالنعيم؛ اختباراً لهم في  
الحالين.

﴿حَتَّى عَقِبُوا﴾ أي: كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ﴾ أي: قد جرى ذلك لأبائنا ولم يضّرهم؛ فهو  
بالاتفاق لا بقصد الاختبار.

﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بالمطر، والزرع.

(١) انظر تفسير الآية (٤٣) من سورة الأنعام.

﴿أَوَامِينَ﴾ مَنْ قَرَأَ بِإِسْكَانِ الْوَاوِ<sup>(١)</sup>: فهي «أو» العاطفة. ومن قرأ بفتحها: فهي واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ؛ كما دخلت على الفاء في قوله: ﴿أَفَأَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿مَكَرَ اللَّهُ﴾ أي: استدراجَه وأخذَه للعبد من حيث لا يشعر.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أو لم يتبين.

﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ أي: يسكنونها.

﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ﴾ هو فاعلُ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، ومقصود الآية الوعيد.

﴿وَنُطْبِغُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿أَصْبَتْنَاهُمْ﴾؛ لأنه في معنى المستقبل. أو منقطع؛ على معنى الوعيد<sup>(٣)</sup>. وأجاز الزمخشري أن يكون عطفًا على ﴿يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾، أو على ما دلَّ عليه معنى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾؛ كأنه قال: يَغْفُلُونَ عن الهداية ونطبعُ على قلوبهم<sup>(٤)</sup>.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ الضمير لـ ﴿أَهْلَ الْفُرَيْ﴾، والمعنى: وجدناهم ناقضين للعهود.

﴿حَفِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ من قرأ ﴿عَلَى﴾ بالتشديد<sup>(٥)</sup> على أنها ياء المتكلم: فالمعنى ظاهر؛ وهو أن موسى قال: حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق. وموضع ﴿أَنْ لَا أَقُولَ﴾ - على هذا - رفع؛ على أنه: خبر ﴿حَفِيقٌ﴾، و﴿حَفِيقٌ﴾ مبتدأ، أو بالعكس.

ومن قرأ ﴿عَلَى﴾ بالتخفيف: فموضع ﴿أَنْ لَا أَقُولَ﴾ خفضٌ بحرف الجر، و﴿حَفِيقٌ﴾ صفةٌ لـ ﴿رَسُولٌ﴾.

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بإسكان الواو، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) انظر: الكشاف (٤٨٧/٦).

(٣) كذلك عبارة المحرر الوجيز (٩/٤): «ويحتمل أن يكون ﴿ونطبع﴾ منقطعًا، إخبارًا عن وقوع الطبع، لا أنه متوعد به».

(٤) انظر: الكشاف (٤٩١/٦).

(٥) قرأ نافع ﴿عَلَى﴾ بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، حرف جر.

وفي المعنى -على هذا- وجهان: أحدهما: أن «على» بمعنى الباء؛ فمعنى الكلام: رسولٌ حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق. والثاني: أن معنى حقيق: حريص؛ ولذلك تعدى به «على».

﴿فَذِجِّتْكُمْ بَيْنَهُ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بمعجزة تدلُّ على صدقي؛ وهي العصا، أو جنس المعجزات.

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: خلِّهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم. وذلك أنه لما تُوفِّي يوسف ﷺ غلب فرعون على بني إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يدي موسى ﷺ، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف ﷺ مصرَ واليوم الذي دخله موسى ﷺ: أربع مئة عام.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ كان موسى ﷺ شديد الأدمة، فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها في جيبه، ثم أخرجها وهي بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشدُّ بياضًا، وقيل: إنها كانت مُنيرة شفافة كالشمس، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه.

﴿لِّلنَّظِيرِ﴾ مبالغة في وصف يده بالبياض؛ كأنَّ الناس يجتمعون للنظر إليها، والتعجب منها.





قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٧٢١﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٧٢٢﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ خَاشِعِينَ ﴿٧٢٣﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٢٤﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٧٢٥﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٧٢٦﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْفِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلَفِينَ ﴿٧٢٧﴾ قَالَ أَلْقُوا بَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿٧٢٨﴾ \* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلِي عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٧٢٩﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٣٠﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿٧٣١﴾ وَأَلْفَيْ السَّحَرَةِ سَجِدِينَ ﴿٧٣٢﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٣٣﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٧٣٤﴾ قَالَ فِرْعَوْنَ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا بِسُوءِ تَعْلَمُونَ ﴿٧٣٥﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّيَنَّكُمْ أَصْحَابَ ﴿٧٣٦﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٧٣٧﴾ وَمَا نَنفَعُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿٧٣٨﴾

﴿٧٢٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ حكى هذا الكلام هنا عن الملأ، وفي «الشعراء» عن فرعون، فكأنه قد قاله هو وهُم، أو قاله هو، ووافقوه عليه؛ كعادة جلساء الملوك في اتباعهم لما يقول الملك.

﴿٧٢١﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ أي: يخرجكم منها بالقتال<sup>(١)</sup> أو بالحيل. وقيل: المراد إخراج بني إسرائيل، وكانوا خُدَّامًا لهم؛ فتخرب الأرض بخروج الخُدَّام والعُمَّار منها.

﴿بِمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من قول الملأ، أو من قول فرعون. وهو من معنى: المؤامرة، أي<sup>(٢)</sup>: المشاورة، أو من الأمر وهو ضد النهي.

﴿أَرْجِهْ﴾ من قرأه بالهمز<sup>(٣)</sup>: فهو من أرجأت الرجل: إذا أخرته؛ فمعناه: أخرهما حتى

(١) في أ، ب، هـ: «بالقتل».

(٢) في أ، ج، هـ: «أو».

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بهمزة ساكنة «أَرْجِهْ»، والباقيون بغير همزة. وضم الهاء أبو عمرو وابن كثير، وأسكنها حمزة وعاصم، وكسر الهاء الباقيون.

ننظر في أمرهما، وقيل: المراد بالإرجاء - هنا - : السَّجن.

ومن قرأ بغير همز: فتحتمل أن تكون بمعنى المهموز؛ وشهلت الهمزة، أو يكون بمعنى الرجاء؛ أي: أطمعه.

وأما ضمُّ الهاء وكسرُها: فلتان، وأما إسكانها: فلعله أجرى فيها الوصل مجرى الوقف.

﴿خَشِيرِينَ﴾ يعني: الشرط؛ أي: جامعين للسحرة.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ بِرُعُودٍ﴾ قبل هذا محذوفٌ يدلُّ عليه سياق الكلام؛ وهو أنه بعث إلى السحرة.

﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ من قرأه بهمزين<sup>(١)</sup> فهو استفهام، ومن قرأه بهمزة واحدة: فيحتمل أن يكون خبراً، أو استفهاماً حذف منه الهمزة.

والأجر هنا: الأجرة؛ طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى، فَأَنعَمَ لهم فرعون بها، وزادهم التقريب منه، والجاه عنده.

﴿وَأَنكُم لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عطفٌ على معنى ﴿نَعَمْ﴾؛ كأنه قال: نعطيكم أجراً ونقربكم. واختلف في عدد السحرة اختلافاً متبايناً من سبعين رجلاً إلى سبعين ألفاً؛ وكلُّ ذلك لا أصل له في صحة النقل.

﴿إِمَّا أَنْ تُلْفِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْفِينَ﴾ خيروا موسى ﷺ بين أن يبدأ بالإلقاء، أو يبدؤوا هم بإلقاء سحرهم، فأمرهم أن يُلقوا. وانظر كيف عبّروا عن إلقاء موسى بالفعل، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية؛ إشارةً إلى أنهم أهلُ الإلقاء المتمكّنون فيه.

﴿وَأَسْتَزْهِبُهُمْ﴾ أي: خوّفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر.

﴿أَلَيْ غَصَاكَ﴾ لما ألقاها صارت ثعباناً عظيماً على قَدَرِ الجبل، وقيل: إنه طال حتى جاوز النيل.

﴿تَلَقَّفْ﴾ أي: تبتلع.

(١) قرأه بهمزة واحدة نافع وابن كثير وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون بهمزين على الاستفهام.

﴿مَا يَأْكُورُونَ﴾ أي: ما صَوَّروا من إفكهم وكذبهم. وروي: أن الثعبان أكل مِلءَ الوادي من جبالهم وعصيتهم، ومدَّ موسى يده إليه فصار عصًا كما كان<sup>(١)</sup>، فعَلِمَ السحرة أن ذلك ليس من السحر، وليس في قدرة البشر، فأمنوا بالله وبموسى ﷺ.

﴿لَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ﴾ الآية؛ وعيدٌ من فرعون للسحرة. وليس في القرآن أنه أنفذ ذلك، ولكنه روي أنه أنفذه عن ابن عباس ؓ وغيره<sup>(٢)</sup>. وقد ذُكر معنى ﴿مَنْ خَلَفَ﴾ في «العقود»<sup>(٣)</sup>.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي: لا نبالي بالموت؛ لانقلابنا إلى ربِّنا.

﴿وَمَا تَنْفَعُ مِنَّا إِلَّا أَلَّا نَمُوتَ﴾ أي: ما تعيب منَّا إلَّا إيماننا.



(١) أخرجه الطبري (٣٥٩ / ١٠) عن ابن إسحاق.

(٢) أخرجه الطبري (٣٦٣ / ١٠)، وابن أبي حاتم (١٥٣٧ / ٥).

(٣) انظر تفسير الآية (٣٣).

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ  
سَنُقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٧٤﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اإِسْتَعِينُوا  
بِاللّٰهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٥﴾ قَالُوا أَؤِثِرُكُمْ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذُوْكُمْ  
وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٧٦﴾

﴿١٧٤﴾ «لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» أي: يُخربوا ملك فرعون وقومه، ويخالفوا دينه.

﴿وَيَذَرَكَ﴾ معطوفٌ على ﴿لِيُفْسِدُوا﴾، أو منصوبٌ بإضمار «أَنْ» بعد الواو.

﴿وَالِهَتَكَ﴾ قيل: إن فرعون كان قد جعل للناس أصنامًا يعبدونها، وجعل نفسه الإله الأكبر؛ فلذلك قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]؛ ف﴿وَالِهَتَكَ﴾ -على هذا- هي تلك الأصنام. وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس ؑ: «وَالِهَتَكَ»؛ أي: عبادتك والتدلل لك<sup>(١)</sup>.

﴿١٧٥﴾ «إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ» تعليلٌ للصبر الذي أمرهم به. يعني: أرض الدنيا هنا وفي قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، وقيل: يعني: أرض فرعون. فأشار لهم موسى ؑ أولاً بالنصر في قوله: ﴿يُورِثُهَا مَنْ يَّشَاءُ﴾، ثم صرح به في قوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ﴾ الآية.

﴿١٧٦﴾ «فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» حضٌ على الاستقامة والطاعة.



(١) قراءة ابن عباس ؑ أخرجها الطبري (٣٦٨ / ١٠) وابن أبي حاتم (١٥٣٨ / ٥)، وأما قراءة علي وابن مسعود ؑ، فعزاها إليهما ابن عطية في تفسيره (٢٤ / ٤)، ولم أقف عليها مسندة.

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصَ مِنَّ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ  
اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ \* وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّنُحْزِنَا بِهَا فَمَا نَخْلُ  
لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّبَّادَ وَالْحَمَّ وَاللَّمَّ ءَايَاتٍ مُّبِصَّاتٍ  
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٩﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ اذْعُ لَنَا رَبِّكَ  
يَمَا عَهْدَ عِنْدِكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠﴾  
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُفُونَ ﴿٢١﴾ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ  
فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَأْتُهُمْ كَذُبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٢٢﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ  
كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَثَّلَ لَكُمُ رَبُّكَ  
الْحُسْبَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ يَمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا  
كَانُوا يَغْرُسُونَ ﴿٢٤﴾ وَجَلَّوْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكَبُونَ عَلَىٰ أَضْنَامٍ لَهُمْ  
قَالُوا يَمْوَسَىٰ اجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا  
مَا هُمْ بِهِ وَيَظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ ءَالِهَةً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى  
الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ  
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

﴿بِالسَّيِّئِينَ﴾ أي: بالجدب والقحوط<sup>(١)</sup>.

﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ الآية؛ أي: إذا جاءهم الخُصْب والرِّخَاء قالوا: هذا لنا وبسْغَدنا، ونحن مستحقُّون له، وإذا جاءهم الجُذْب والشدة ﴿يَظُنُّوْا يَمُوسِي﴾ أي: قالوا: هذا بشؤمه. فإن قيل: لم قال: ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ بـ «إذا» وتعريف الحسنة، وإن نُصِبَتْ سَيِّئَةً بـ «إن» وتنكير السيئة؟

فالجواب: أن الحسنه وقوعها كثير، والسيئه وقوعها نادر؛ فعرف الكثير الوقوع باللام التي للعهد، وذكره بـ«إذا»؛ لأنها تقتضي التحقيق، وذكر السيئه بـ«إن» لأنها تقتضي الشك،

(١) في د: «والقحط».

ونكرها للتقليل.

﴿أَلَا إِنَّمَا طَبَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: إنما حظُّهم ونصيبهم الذي قُدِّرَ لهم من الخير والشر عند الله. وهو مأخوذ من زَجَرَ الطير، ثم سُمِّيَ به ما يصيب الإنسان. ومقصود الآية: الردُّ عليهم فيما نسبوا إلى موسى ﷺ من الشُّوم.

﴿مَهْمَا﴾ هي «ما» الشرطية ضَمَّت إليها «ما» الزائدة؛ نحو: «أينما»، ثم قلبت الألف هاء. وقيل: هي اسمٌ بسيط غير مركَّب. والضمير في ﴿بِهِ﴾ يعود على ﴿مَهْمَا﴾. وإنما قالوا: ﴿مِنْ آيَةٍ﴾: على تسمية موسى ﷺ لها آيةً، أو على وجه التهكُّم.

﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ روي: أنه كان مطرًا شديدًا دائمًا، مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم، وكادوا يهلكون، وامتنعوا من الزراعة، وقيل: هو الطَّاعون.

﴿وَالْجَرَادَ﴾ هو المعروف؛ أكل زرعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم وأبوابهم وسُقُفَ بيوتهم. ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ قيل: هي صغار الجراد. وقيل: البراغيث. وقيل: السُّوس. وقرئ «القُمَّل» -بفتح القاف والتخفيف<sup>(١)</sup>؛ فهي -على هذا-: القمل المعروف، وكانت تتعلق بلحومهم وشعورهم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالضَّبَّادَ﴾ هي المعروفة؛ كثرت عندهم حتى امتلأت بها فُرُشهم وأوانيتهم، وإذا تكلم أحدهم وثب الضفدع إلى فمه<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالدَّمَ﴾ صارت مياههم دمًا؛ فكان يستقي من البئر القبطي والإسرائيلي في إناء واحد، فيخرج ما يلي القبطي دمًا، وما يلي الإسرائيلي ماءً.

﴿وَلَمَّا وَفَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ﴾ أي: العذاب؛ وهي الأشياء المتقدمة، وكانوا مهما نزل بهم أمرٌ منها عاهدوا موسى ﷺ على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم، فإذا<sup>(٤)</sup> كشفه عنهم نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم.

(١) هي قراءة الحسن البصري. المحرر الوجيز (٤/٢٩).

(٢) هذه اللفظة لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٣) في ب: «وقع الضفدع في فمه».

(٤) في أ، ب، ج: «فلما».

﴿يَمَّا عَهْدَ عِنْدَكَ﴾ أي: بِذِمَامِكَ إِلَيْهِ وَوَسَائِلِكَ. وَالْبَاءُ تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلْقَسَمِ، وَجَوَابُهُ  
﴿لَتُؤْمِنَنَّ﴾، أَوْ تَتَعَلَّقُ بِ﴿أَدْعُ لَنَا﴾؛ أَي: تَوْسَّلْ إِلَيْهِ بِمَا عَهْدُ عِنْدَكَ.

﴿فِي أَلِيمٍ﴾ الْبَحْرُ حَيْثُ وَقَعَ.

﴿الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هُم بَنُو إِسْرَائِيلَ.

﴿مَشْرِقِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا﴾ الشَّامُ وَمِصْرَ.

﴿بَرَكْنَا فِيهَا﴾ أَي: بِالْخِصْبِ، وَكَثْرَةِ الْأَرْزَاقِ.

﴿وَوَسَّتُ كَلِمَةً رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أَي نَفَذْتُ لَهُمْ وَاسْتَقَرَّتْ. وَالْكَلِمَةُ هُنَا:  
مَا قُضِيَ لَهُمْ فِي الْأَزْلِ، وَقِيلَ: هِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ﴾  
[القصص: ٤].

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ أَي: يَبْنُونَ. وَقِيلَ: هِيَ الْكُرُومُ وَشَبَّهَهَا. فَهُوَ عَلَى الْأَوَّلِ: مِنْ  
الْعَرِشِ، وَعَلَى الثَّانِي: مِنَ الْعَرِيشِ.

﴿فَالَوْ لَا يَتُوسَّىٰ إِجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا﴾ أَي: اجْعَلْ لَنَا صِنْمًا نَعْبُدُهُ كَمَا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ أَصْنَامَهُمْ.  
وَلَمَّا تَمَّ خَبَرُ مُوسَى ﷺ مَعَ فِرْعَوْنَ: ابْتَدَأَ خَبْرَهُ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ تَتَقَنَّذُ  
الْجَبَلُ﴾.

﴿مُتَبَّرٌ﴾ مِنَ التَّبَارِ؛ وَهُوَ الْهَلَاكُ.

﴿وَهُوَ بِضَلَاكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وَمَا بَعْدَهُ: مَذْكُورٌ فِي «الْبَقَرَةِ»<sup>(١)</sup>.



(١) انظر تفسير الآية (٤٦).

\*وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ رُبُعٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِفًا فَلَمَّا أَبَاق قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي إِضْطَبَقْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَفَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٥٦﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٥٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٨﴾

﴿١٥٣﴾ «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً» روي: أن الثلاثين: هي شهر ذي القعدة، والعشر بعدها: هي العشر الأول من ذي الحجة<sup>(١)</sup>؛ وذلك تفصيل للأربعين المذكورة في «البقرة».

﴿مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ أي: ما وقت له من الوقت لمناجاته في الطُّور.

﴿اخْلُفْنِي﴾ أي: كن خليفتي على بني إسرائيل مدة مغيبتي.

﴿١٥٣﴾ «قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ» لما سمع موسى ﷺ كلام الله طمع في رؤيته، فسألها، كما قال الشاعر:

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٥٦/٥) عن ابن عباس ؓ.

(٢) البيت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، المعروف بإسحاق النديم؛ لمنادته لعدد من الخلفاء العباسيين. انظر: الوافي بالوفيات (٢٥٥/٨).



واستدلَّ الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلاً، وأنها لو كانت محالاً لم يسألها موسى ﷺ؛ فإن الأنبياء ﷺ يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل عليه<sup>(١)</sup>.

وتأول الزمخشري طلب موسى للرؤية بوجهين:

أحدهما: أنه إنما سأل ذلك تَبَكُّيًّا لمن خرج معه من بني إسرائيل، فهم<sup>(٢)</sup> الذين طلبوا الرؤية، فقالوا: أَرِنَا الله جَهْرَةً؛ فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب في المنع فيتأدَّبوا.

والآخر: أن معنى ﴿أَرِنِي أَنْظِرِ إِلَيْكَ﴾: عَرَّفْنِي نَفْسَكَ تعريفاً واضحاً جلياً<sup>(٣)</sup>.

وكلا الوجهين بعيد، والثاني أبعد وأضعف؛ فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له: ﴿أَنْظِرْ إِلَيَّ الْجَبَلِ﴾ الآية.

(١) [التعليق ٥٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «واستدلَّ الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلاً»، الخ، أقول: من المعروف أن الأشاعرة يثبتون رؤية المؤمنين لربهم، مع أنهم - في حقيقة الأمر - لا يثبتون الرؤية التي دلَّت عليها نصوص الكتاب والسنة، بل ولا الرؤية التي يدل عليها العقل؛ إذ يقولون: إنه تعالى يُرى لا في جهة، والحامل لهم على ذلك نفهم العلو، ومعنى هذا أنه يُرى، لكن لا عن الأيمان، ولا عن الشمال، ولا فوق، فضلاً عن التحت، وهذه رؤية لا حقيقة لها في العقل ولا في الشرع، ولهذا ألحقهم بعض أئمة السنة بمن ينفي الرؤية، كالمعتزلة.

وقول المفسر: إن الأشاعرة استدلوا على جواز الرؤية عقلاً بسؤال موسى ﷺ رؤية ربه، فيه تقصير من وجهين:

أحدهما: تخصيص هذا الاستدلال بالأشاعرة؛ فأهل السنة يشاركونهم في ذلك.

الثاني: أن هذه الآية هي الدليل على إثبات الرؤية، ولمعتبي الرؤية من أهل السنة والأشاعرة أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿وَبُحُورُهُمْ بَازِعُهُمْ<sup>(١)</sup>﴾ [إِنْ رَأَوْهَا ظُحِرَ]، وقوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم» [أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) عن جرير ر.ه.].

والحق أن المؤمنين يرون ربهم من فوقهم، كما يقتضيه قوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم، كما ترون القمر، وكما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحب» [أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة ر.ه.]. وهذا من تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي؛ فرؤية المؤمنين لربهم كرؤية الناس للشمس والقمر من وجوه؛ كعدم الإحاطة، والرؤية من فوق، والوضوح؛ لذلك فلا يضامون في رؤيته، ولا يضارون، كما جاء في الحديث. والله أعلم.

(٢) لم ترد في ب، ج.

(٣) انظر: الكشاف (٥٥١/٦).

﴿قَالَ لَسْ تَرْبِي﴾ قال مجاهد وغيره: إن الله قال لموسى ﷺ: ﴿لَسْ تَرْبِي﴾؛ لأنك لا تطيق ذلك، ولكن سأجعل للجبل الذي هو أقوى منك وأشد، فإن استقر وأطاق الصبر لهيتي أمكن أن تراني أنت، وإن لم يطق الجبل فأحرى أن لا تطيق أنت<sup>(١)</sup>، فعلى هذا؛ إنما جعل الله الجبل مثالا لموسى ﷺ.

وقال قوم: المعنى: سأجعل لك على الجبل؛ وهذا ضعيف؛ يبطله قوله: ﴿بَلَّمَا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾.

فإذا تقرّر هذا؛ فقله تعالى: ﴿لَسْ تَرْبِي﴾ نفى للرؤية، وليس فيه دليل على أنها محال؛ فإنه إنما جعل علّة النفي: عدم إطاقه موسى الرؤية لا استحالتها. ولو كانت الرؤية مستحيلة؛ لكان في الجواب زجر وإغلاظ، كما قال الله لنوح: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا؛ لضعف البنية البشرية عن ذلك. وأما في الآخرة: فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا ينكرها إلا مبتدع. وبين المعتزلة وأهل السنة في مسألة الرؤية نزاع طويل. وفي هذه القصة قصص كثير تركته؛ لعدم صحته، ولما فيه من الأقوال الفاسدة.

﴿جَعَلَهُ دَكَاً﴾ أي: مذكوكاً؛ فهو مصدر بمعنى مفعول، كقولك: ضرب الأمير. والدك والدق: أخوان؛ وهو التفتت. وقرئ: ﴿دَكَاءً﴾ - بالمد والهمز -<sup>(٢)</sup>؛ أي: أرضاً دكاء، قيل: ذهب أعلى الجبل وبقي أكثره، وقيل: تفتت حتى صار غباراً، وقيل: ساخ في الأرض، وأفضى إلى البحر.

﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِفاً﴾ أي: مغشياً عليه.

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ معناه: تبّت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا أطيعها.

(١) أخرجه الطبري (١٠/٤٣٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالمد والهمز، وقرأ الباقون بالتثنية من غير مد ولا همز.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أوَّلُ قَوْمِهِ، أو أَهْلٍ <sup>(١)</sup> زمانه، أو على وجه المبالغة في السَّبق إلى الإيمان.

﴿إِضْطَبَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَةٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص؛ فإنَّ جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة. واختلف: هل كلَّم الله غيره من الرسل أم لا؟ والصحيح: أنه كلَّم نبينا محمداً ﷺ ليلة الإسراء.

﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ﴾ تأديبٌ؛ أي: اقنع بما أعطيتك من رسالتي وكلامي، ولا تطلب غير ذلك.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ أي: في ألواح التوراة، وكانت: سبعة، وقيل: عشرة، وقيل: اثنان. وقيل: كانت من زُمُرْد، وقيل: من ياقوت، وقيل: من خشب.

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم. وكذلك: ﴿وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. وموضع ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: نصبٌ؛ على أنه مفعول ﴿وَكَتَبْنَا﴾، و﴿مَوْعِظَةً﴾: بدلٌ منه.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجِدٍّ وحزم <sup>(٢)</sup>. والضمير للتوراة.

﴿يَاخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: فيها ما هو حسنٌ وأحسنٌ منه؛ كالقصاص مع العفو، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات.

﴿سَأُزَيِّعُكُمْ دَارَ الْفُتُورِ﴾ أي: دار فرعون وقومه؛ وهي مصر، والمعنى: أريكُم كيف أفقرت منهم لما هلكوا. وقيل: منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة؛ ليعتبروا بها، وقيل: جهنم.

وقرأ ابن عباس ؓ: «سأورثكم» - بالشاء المثناة -؛ من الوراثة <sup>(٣)</sup>، وهي - على هذا - مصر؛ لقوله ﴿وَأُورِثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

(١) في أ، ب، هـ: «أول».

(٢) في أ: «وعزم».

(٣) نسبها إليه المهدوي في كتابه التحصيل (٣/ ٩٧).

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآياتُ هنا: يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِهَا آيَاتُ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ، أَوْ الْعَلَامَاتِ وَالْبَرَاهِينِ.

وَالصَّرْفُ يَرَادُ بِهِ: صَدُّهُمْ عَنْ فَهْمِهَا وَعَنِ الْإِيمَانِ بِهَا؛ عِقُوبَةً لَهُمْ عَلَى تَكَبُّرِهِمْ، وَقِيلَ: الصَّرْفُ: مَنَعُهُمْ مِنْ إِبْطَالِهَا.

﴿وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ؛ أَي: وَلِقَائِهِمُ الْآخِرَةَ، أَوْ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الظَّرْفِ<sup>(١)</sup>.



(١) بمعنى: ولقاء ما وعد الله في الآخرة. الكشاف (٥٧٩/٦).

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَغْدِيٍّ مِنْ خَلِيلِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ  
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٧٣٣﴾ \* وَلَمَّا سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا  
قَالُوا لَيْسَ لَنَا يَرْحَمُنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٣٤﴾ \* وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ  
قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِيبًا قَالَ يَبَسَ مَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَغْدِيٍّ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ  
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَفْتُلُونَنِي فَلَا  
تُشْمِتْ بَنِيَ الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٣٥﴾ \* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا  
فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٧٣٦﴾

﴿٧٣٨﴾ «وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ» هم بنو إسرائيل.

«مِنْ بَغْدِيٍّ» أي: من بعد غيبته في الطور.

«مِنْ خَلِيلِهِمْ» - بضم الحاء والتشديد-<sup>(١)</sup>: جمع خَلِيٍّ؛ نحو تَذِي وتُذِي. وقرئ بكسر الحاء؛  
للإتباع، وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام. والخلِي: هو ما يُتَزَيَّن به من الذهب والفضة.

«جَسَدًا» أي: جسمًا دون روح. وانتصابه على البدل.

«لَهُ خُورٌ» الخوار: هو صوت البقر. وكان السَّامِرِيُّ قد قبض قبضة من تراب أثر فرس  
جبريل يوم قطع البحر، فقدَّفه في العجل فصار له خوارٌ، وقيل: كان إبليس يدخل في جوف  
العجل فيصيح فيه، فيسمع له خوار.

«أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ» ردُّ عليهم، وإبطالٌ لمذهبهم الفاسد في عبادته.

«اتَّخَذُوهُ» أي: اتخذوه إلهاً؛ فحذف المفعول الثاني للعلم به. وكذلك حذف من قوله:  
«وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ».

﴿٧٣٥﴾ «سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ» أي: ندموا؛ يقال: سَقِطَ في يد فلان: إذا عجز عما يريد، أو وقع فيما يكره.

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء وتشديد الياء، وضمَّ الباقيون الحاء، وأما القراءة بفتح الحاء وإسكان اللام  
وتخفيف الياء «خَلِيٍّ» فهي قراءة يعقوب.

﴿أَسِيبًا﴾ شديد الحزن على ما فعلوا، وقيل: شديد الغضب؛ كقوله: ﴿قَلَمًا عَاسِفُونًا﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي﴾ أي: قُمتُم مقامي. وفاعل «بئس» مضمَر؛ يفسره «ما»، واسم المذموم محذوف. والمخاطب بذلك: إما القوم الذين عبدوا العجل مع السَّامري؛ حيث عبدوا غير الله في غيبة موسى ﷺ عنهم، أو رؤساء بني إسرائيل كهارون ﷺ؛ حيث لم يكفوا الذين عبدوا العجل.

﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ معناه: أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى ﷺ حتى يرجع من الطور؛ فإنهم لما رأوا الأمر قد تمَّ ظنوا أن موسى ﷺ قد مات فعبدوا العجل.

﴿وَأَلْفَىٰ آلَ لُؤَاسَ﴾ طرحها؛ لما لحقه من الدَّهْش والضَّجَر؛ غضبًا لله من عبادة العجل. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعر رأسه يجره؛ لأنه ظنَّ أنه فرط في كفِّ الذين عبدوا العجل. ﴿إِبْنِ آدَمَ﴾ كان هارون شقيق موسى، وإنما دعاه بأُمَّه؛ لأنه أدعى إلى العطف والحنو. وقرئ ﴿إِبْنِ آدَمَ﴾<sup>(١)</sup> بالكسر؛ على الإضافة إلى ياء المتكلم، وحذفت الياء، وبالفتح؛ تشبيهاً بخمسة عشر؛ جعل الاسمان اسمًا واحدًا فبني.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تظنَّ أني منهم، أو: لا تجد عليَّ في نفسك ما تجدُ عليهم؛ يعني: أصحاب العجل.



(١) قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وشعبة عن عاصم بكسر الميم، وقرأ الباقون بفتحها.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٧﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٨﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّيمِيقَتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٩﴾ \*وَاصْنَبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالٌ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاصْنَبْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي آتَىٰهُمُ الْكِتَابَ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ بِالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ وَلَٰكِيكَ هُمُ الْمُهْلِكُونَ ﴿١٦١﴾

﴿١٥٦﴾ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ أَي: غضبٌ في الآخرة، وذِلَّةٌ في الدنيا.

﴿١٥٧﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبَ أَي: سَكَنَ؛ وكذلك قرأ بعضهم<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: قوله: ﴿سَكَتَ﴾ مثل؛ كأنَّ الغضب كان يقول له: أَلْقِ الْأَلْوَابَ وَجَرَّ برأس أخيك، ثم سَكَتَ عن ذلك<sup>(٢)</sup>.

﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أَي: فيما ينسخ منها، والنُّسخة: فُعْلَةٌ بمعنى مفعول.

﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أَي: يخافون. ودخلت اللام؛ لتقدم المفعول؛ كقوله: ﴿لِلرَّءْيَا تَعْبَرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وقال المبرِّد: تتعلق بمصدر تقديره: رهبتهم لربهم.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أَي: من قومه سبعين رجلاً، حملهم معه إلى الطور فسمِعوا<sup>(٣)</sup>

(١) قرأ كذلك معاوية بن قرة. المحرر الوجيز (٥٦/٤).

(٢) انظر: الكشاف (٥٩٥/٦).

(٣) في ب، ج، هـ: «فيسمعوا».

كلام الله لموسى، فقالوا: أرنا الله جهرة، فأخذتهم الرجفة؛ عقاباً لهم على قولهم. وقيل: إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل، أو لسكوتهم عن<sup>(١)</sup> عبادته. والأول أرجح؛ لقوله: ﴿بَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٢]. ويحتمل أن تكون رجفة موت، أو إغماء، والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٥].

﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِثْنَيْ﴾ يحتمل أن تكون ﴿لَوْ﴾ هنا للتمني؛ أي: تمنى أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك؛ لأنه خاف من تشييب بني إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين. ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله؛ كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت؛ فإننا عبيدك وتحت قهرك، وأنت تفعل ما تشاء.

ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة؛ كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، لكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن كما عودتنا<sup>(٢)</sup>، وأخي هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة.

﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ أي: أهلكني وتهلك بني إسرائيل بما فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية، والذين عبدوا العجل. فمعنى هذا: إدلاء بحجته، وتبرؤ من فعل السفهاء، ورغبة إلى الله أن لا يعم الجميع بالعقوبة.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: الأمور كلها بيدك تضل من تشاء وتهدي من تشاء. ومعنى هذا: اعتذار عن فعل السفهاء بأنه<sup>(٣)</sup> كان بقضاء الله ومشيئته.

﴿إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا.

وهذا الكلام الذي قاله موسى ﷺ إنما هو كله استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه، ولا يقتضي شيئاً مما توهم الجهال فيه من الجفاء في قوله: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾؛ لأننا قد بينا أنه إنما قال ذلك استعطافاً لله، وبراءة من فعل السفهاء.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «على».

(٢) في أ، ج، د، هـ: «وعدتنا».

(٣) في د: «فإنه».



﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ قيل: الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة. والصحيح: أنه عمومٌ يندرجون فيه مع غيرهم. وقرئ «من أساء» -بالسين وفتح الهمزة-؛ من الإساءة، وأنكرها بعض المقرئين وقال: إنها تصحيفٌ<sup>(١)</sup>.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ رَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَيَكُونُ خُصُوصًا فِي الرَّحْمَةِ، وَعُمُومًا فِي «كُلِّ شَيْءٍ»؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ وَالْمُطِيعَ وَالْعَاصِيَ تَنَالُهُم رَحْمَةُ اللَّهِ وَنِعْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ رَحْمَةَ الْآخِرَةِ؛ فَيَكُونُ خُصُوصًا فِي «كُلِّ شَيْءٍ»؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ فِي الْآخِرَةِ مُخْتَصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ جِنْسَ الرَّحْمَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَيَكُونُ عُمُومًا فِي الرَّحْمَةِ، وَفِي «كُلِّ شَيْءٍ».

﴿بَسَأَ كُتُبَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إِنْ كَانَتِ الرَّحْمَةُ الْمَذْكُورَةُ رَحْمَةً الْآخِرَةِ: فَهِيَ -بِلا شَكٍّ- مُخْتَصَّةٌ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُمْ، وَهُمْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ. وَإِنْ كَانَتِ رَحْمَةً الدُّنْيَا: فَهِيَ -أَيْضًا- مُخْتَصَّةٌ بِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ نَصَرَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ، وَأَعْلَى دِينَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ، وَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِّنْ لِغَيْرِهِمْ. وَإِنْ كَانَتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ: فَقَوْلُهُ: ﴿بَسَأَ كُتُبَهَا﴾ تَخْصِصٌ لِلْإِطْلَاقِ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يَوْمِنُونَ﴾ أَي: يُؤْمِنُونَ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِغَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ هَذَا الْوَصْفُ خَصَّصَ أُمَّةً مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالَ بَعْضُهُمْ: لَمَّا قَالَ اللَّهُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ طَمِعَ فِيهَا كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى إِبْلِيسَ، فَلَمَّا قَالَ: ﴿بَسَأَ كُتُبَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يَتَّقُونَ إِبْلِيسَ، وَبَقِيَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَلَمَّا قَالَ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾

(١) قَالَ فِي الْمَحْرُورِ الْوَجِيز (٥٩/٤): «وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَطَاوُسٌ وَعَمْرُو بْنُ فَاذٍ: (مَنْ أَسَاءَ) مِنَ الْإِسَاءَةِ، أَي: مَنْ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ، وَلِلْمَعْتَزَةِ بِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ تَعَلُّقٌ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا إِنْفَازُ الْوَعِيدِ، وَالْآخَرُ خَلْقُ الْمَرْءِ أَعْمَالَهُ، وَأَنْ (أَسَاءَ) لَا فَعْلَ فِيهِ لِلَّهِ، وَهَذَا التَّعَلُّقَانِ فِيهِمَا احْتِمَالُ يُفَضَّلُ عَنْهُ كَمَا يُفَضَّلُ عَنْ سَائِرِ الظُّوَاهِرِ، إِلَّا أَنْ الْقِرَاءَةَ أَطْنَبُوا فِي التَّحْقِظِ مِنْ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي: لَا تَصِحُّ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ عَنْ الْحَسَنِ وَطَاوُسَ، وَعَمْرُو بْنُ فَاذٍ رَجُلٌ سَوَاءٌ، وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ أَنَّ سَفْيَانَ بْنَ عَيْنَةَ قَرَأَهَا مَرَّةً وَاسْتَحْسَنَهَا فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُقَرِّي وَصَاحَ بِهِ وَأَسْمَعَهُ، فَقَالَ سَفْيَانُ: لَمْ أَدْرِ وَلَمْ أَفْطِنْ لَمَّا يَقُولُ أَهْلُ الْبِدْعِ [قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ]: وَهَذَا إِفْرَاطٌ مِنَ الْمَقْرئينَ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ شُحُّهُمْ عَلَى الدِّينِ، وَظَنُّهُمْ أَنَّ الْإِنْفِصَالَ عَنْ تَعَلُّقِ الْمَعْتَزَةِ مُنْعَذَرٌ».

الآية: يشس اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>.

﴿الَّتِيءَ الْأَمِيءَ﴾ أي: الذي لا يقرأ ولا يكتب، وذلك من أعظم دلائل نبوة محمد<sup>(٢)</sup> ﷺ؛ لأنه أتى بالعلوم الجمّة من غير قراءة ولا كتابة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ تَتْلُوًا مِن قَبْلِهِ. مِن كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ يَمِينِيْكَ إِذَا لَارْقَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [المنكوت: ٤٨]. قال بعضهم: الأمي منسوب إلى الأم، وقيل: إلى الأمة<sup>(٣)</sup>.

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ ضمير الفاعل في ﴿يَجِدُونَهُ﴾ لبني إسرائيل، وكذلك الضمير في ﴿عِنْدَهُمْ﴾. ومعنى ﴿يَجِدُونَهُ﴾: يجدون نعتة وصفته.

ولنذكر هنا ما ورد في التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا ﷺ:

فمن ذلك: ما ورد في البخاري وغيره أن في التوراة من صفة النبي ﷺ: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للاميين<sup>(٤)</sup>، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب<sup>(٥)</sup> في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح<sup>(٦)</sup>، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء<sup>(٧)</sup>؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به عيوناً عمياً، وأذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً<sup>(٨)</sup>».

ومن ذلك: ما في التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب، وهو باق بأيديهم إلى الآن: «إن الملك نزل على إبراهيم فقال له: في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق، فقال إبراهيم:

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/٤٨٣-٤٨٤).

(٢) في ج، د: «نبوته».

(٣) في أ، ب، هـ: «للأمة».

(٤) أي: يحفظهم ويحفظ دينهم. التوضيح شرح الجامع الصحيح، لابن الملن (١٤/٢٩٤).

(٥) الذي في الرواية: «صخاب» بالسين، وهما بمعنى واحد، قال في النهاية (٥/٢٢٨٩): «الصَّخْبُ والسَّخْبُ: الضجة واضطراب الأصوات للخصام».

(٦) في أ، ب، ج، هـ: «ولا تجزي.. تعفو وتصفح»، والمبشع موافق لما في الرواية.

(٧) أي: المعوجة، والمراد ما كانوا عليه من عبادة الأصنام، وتغيير ملة إبراهيم عن استقامتها، وإمالتها بعد قوامها. التوضيح شرح الجامع الصحيح، لابن الملن (١٤/٢٩٥).

(٨) أخرجه البخاري (٢١٢٥)، (٤٨٣٨) عن عبد الله بن عمرو ؓ.

يَا رَبِّ لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشَ بِخِدْمَتِكَ، فَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: ذَلِكَ لَكَ، قَدْ اسْتَجِيبَ لَكَ فِي إِسْمَاعِيلَ، وَأَنَا أَبَارِكُهُ وَأَنْمِيهِ وَأَكْثِرْهُ وَأَعْظِمْهُ بِمَا ذُكِرَ<sup>(١)</sup>، وتفسير هذه الحروف: محمد.

ومن ذلك: في التوراة: «إِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى جَاءَ فِي طُورِ سَيْنَاءَ، وَطَلَعَ مِنْ سَاعِرٍ، وَظَهَرَ مِنْ جِبَالِ قَارَانَ»<sup>(٢)</sup>.

ويعني بطور سيناء: موضع مناجاة موسى ﷺ، وساعر: موضع عيسى ﷺ، وفاران: هي مكة موضع مولد نبينا محمد ﷺ ومبعثه.

ومعنى ما ذُكِرَ من مجيء الله وطلوعه وظهوره: هو ظهور دينه على يدي الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع.

وتفسير ذلك: ما في كتاب إشعيا خطاباً لمكة: «قُومِي فَأَزْهَرِي مَصْبَاحَكَ، فَقَدْ دَنَا وَقْتُكَ، وَكَرَامَةُ اللَّهِ طَالَعَتْ عَلَيْكَ، فَقَدْ تَجَلَّلَ الْأَرْضَ الظَّلَامُ، وَغَطَّى عَلَى الْأُمَمِ الْمَصَابُ»<sup>(٣)</sup>، وَالرَّبُّ يَشْرِقُ عَلَيْكَ إِشْرَاقًا، وَيُظْهِرُ كِرَامَتَهُ عَلَيْكَ، تَسِيرُ الْأُمَمُ إِلَى نُورِكَ، وَالْمُلُوكُ إِلَى ضَوْءِ طُلُوعِكَ، أَرْفَعِي بَصْرَكَ إِلَى مَا حَوْلَكَ، وَتَأَمَّلِي فَإِنَّهُمْ مُسْتَجْمِعُونَ عِنْدَكَ، وَتَحُجُّ إِلَيْكَ عَسَاكِرُ الْأُمَمِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) هذا النص نقله أبو الحسن علي بن رِبِّن الطبري (كان حيًّا سنة ٢٤٧هـ) في كتابه الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، كان نصرانيًّا فأسلم وألف هذا الكتاب، وضمَّنه نصوصًا من الكتب السابقة في إثبات نبوة نبينا ﷺ، ويعد هذا الكتاب من أقدم وأوثق المصادر في نقل هذه النصوص، وأدقُّها في النقل، فهي نقل عالم خبير عاش في دين النصرانية مدةً من الزمن وخبرها، وهذا النص موجود في (ص ١٣١) وذكر أنه في السفر الأول من التوراة في الفصل العاشر منه، ونقله -أيضًا- ابن القيم في هداية الحيارى (١٢٦)، وفيه عندهما: «وَبَارَكْتُ عَلَيْهِ وَكَثَّرْتُهُ وَعَظَّمْتُهُ جَدًّا جَدًّا»، هكذا «جَدًّا جَدًّا»، وشرح ابن رِبِّن معنى هذا النص، وقال ابن القيم في موضع آخر من هداية الحيارى (١٤٢): «وفي التوراة ما ترجمته بالعربية: (وأما في إسماعيل فقد قبلتُ دعاءك، قد أنا قد باركت فيه وأثمَّره وأكبره بمؤدِّمؤدِّ) هكذا هذه اللفظة (مؤدِّ) على وزن عُمر، وقد اختلفت فيها علماء أهل الكتاب، فطائفة تقول: معناها جدًّا جدًّا، أي: كثيرًا كثيرًا. فإن كان هذا معناها فهو بشارة بمن عظم من بنيه كثيرًا، ومعلوم أنه لم يعظم من بنيه أكثر مما عظم من محمد ﷺ. وقالت طائفة أخرى: بل هي صريح اسم محمد... وانظر تمة كلامه.

(٢) في السفر الخامس من التوراة، في الفصل العشرين. الدين والدولة لابن رِبِّن (١٣٨)، وهداية الحيارى (١٢٢).

(٣) في كتاب الدين والدولة: «الضباب».

(٤) الدين والدولة (١٦١)، وهداية الحيارى (١٦٩).

وفي بعض كتبهم: «لقد تقطعت<sup>(١)</sup> السماء من بهاء محمد المحمود، وامتلات الأرض من حمده، لأنه ظهر بخلاص أمته»<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك: في التوراة: «أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك فقال لها: يا هاجر أين تريدان؟ ومن أين أقبلت؟ فقالت: أهرب من سيدتي سارة، فقال لها: ارجعي إلى سارة، وستحبلين وتلدن ابناً اسمه إسماعيل وهو يكون عين<sup>(٣)</sup> الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع»<sup>(٤)</sup>.

ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد ﷺ: أن هذا الذي وعدّها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع إنما ظهرت بمبعث النبي محمد ﷺ وظهور دينه وعلو كلمته، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا لغيره قبل محمد ﷺ.

ومن ذلك: في التوراة -أيضاً-: «أن الرب يقيم لهم نبياً من إخوتهم، وأي رجل لم يسمع الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم<sup>(٥)</sup> الله منه»<sup>(٦)</sup>.

ودلالة هذا الكلام ظاهرة، فإن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد ﷺ كبنّي قريظة وبنّي قينقاع وغيرهم.

ومن ذلك: في التوراة: «إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: قد أجبت دعائك في إسماعيل، وباركت عليك، وسيلد اثني عشر عظيماً، وأجعله لأمة عظيمة»<sup>(٧)</sup>.

(١) في الدين والدولة: «انكسفت»، وفي هداية الحيارى: «أضاءت».

(٢) في كتاب حَبَقُوق النبي. الدين والدولة (١٦٩)، وهداية الحيارى (١٨٧).

(٣) في هداية الحيارى: «وحشي الناس»، وفي الدين والدولة: «عَيّر الناس»، وشرح معنى العَيّر في ص (١٣٥).

(٤) في السفر الأول من التوراة، في الفصل التاسع منه. الدين والدولة (١٣١)، وهداية الحيارى (١٢٥).

(٥) في أ، ب، هـ: «ينتقم».

(٦) في السفر الخامس من التوراة، الفصل الحادي عشر منه. الدين والدولة (١٣٧)، وهداية الحيارى (١١٩).

(٧) هو في ضمن النص الذي سبق نقله، في السفر الأول من التوراة في الفصل العاشر منه، وهو بعد قوله: «وأنا أباركه وأمنيه وأكثره وأعظمه بماذا ماذا» أو «جداً جداً». الدين والدولة (١٣١)، وقال: «فهذا في ترجمة ماركس الترجمان، فأما في التوراة التي فسرها الاثنان وسبعون حبراً من أحبار اليهود، فإنه يقول: (إنه سيلد اثني عشرة أمة من الأمم)، وكذا في هداية الحيارى (٣٧٢).

ومن ذلك: في الإنجيل: «أن المسيح قال للحواريين: أنا ذاهب عنكم، وسيأتيكم الفارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنما يقول كما يقال له»<sup>(١)</sup>.

وبهذا وصف الله سبحانه نبينا ﷺ في قوله: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» [النجم: ٣ - ٤]. وتفسير الفارقليط: أنه مشتق من الحمد، واسم نبينا ﷺ محمد وأحمد، وقيل: معنى الفارقليط: الشافع المشفع<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك: في التوراة: «أن مولده بمكة، ومسكنه بطيبة، وأمه الحمادون»<sup>(٣)</sup>. وبيان ذلك: أن أمته يقرأون: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» في صلاتهم مرارًا كثيرة في كل يوم وليلة.

وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار، وهو من اليمن من حمير: أن كعبًا أخبره بأمره وكيف كان ذلك، وقال كان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله ﷺ، وكان من عظمائهم وخيارهم، قال كعب: وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة، ويكتب الأنبياء، ولم يكن يدخر عني شيئًا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعاني، فقال: يا بني قد علمت أني لم أكن أدخر عنك شيئًا مما كنت أعلم، إلا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث، وقد أظلل زمانه، فكرهت أن أخبرك بذلك، فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتبعه، وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه الكوة التي ترى وطينت عليهما، فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا، وأقرهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي، فإذا خرج فاتبعه وانظر فيهما؛ فإن الله يزيدك بذلك خيرًا.

فلما مات والدي لم يكن شيء أحب إلي من أن ينفضي المأتم حتى أنظر ما في الورقتين، فلما انفضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما: «محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين، لا نبي بعده، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، ليس بفظ

(١) إنجيل يوحنا، في الفصل الخامس عشر منه. الدين والدولة (١٨٤)، وهداية الحيارى (١٢٨).

(٢) انظر الاختلاف في معنى هذه اللفظة: هداية الحيارى (١٢٩) وما بعدها.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ١٥٦)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٦٣٤)، وابن عساكر في تاريخه (١/ ١٨٥).

قال ابن القيم في هداية الحيارى (١٩٣): «ويريد بها التوراة التي هي أعم من التوراة المعينة».

ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر ويصفح، أمتة الحمّادون الذين يحمّدون الله على كل شرف، وعلى كل حال، وتُذَلَّلُ<sup>(١)</sup> ألسنتهم بالتكبير، وينصر الله نبيّهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء، ويأتزرون على أوساطهم، وأناجيلهم في صدورهم، يأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم والأب، وهم أول من يدخلون الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقربون، والشّافعون المشفع لهم.

فلما قرأتُ هذا قلت في نفسي: والله ما علّمني شيئاً خيراً لي من هذا، فمكثت ما شاء الله حتى بُعث النبي ﷺ وبينني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه، وبلغني أنه خرج في مكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة، فقلت: هو هذا، وتخوّفت ما كان والذي حدّثني وخوفني من ذكر الكذابين، وجعلت أحبُّ أن أتبيّن وأثبت، فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه قد أتى المدينة، فقلت في نفسي: إنّي لأرجو أن يكون إياه، وجعلت ألتمس السبيل إليه، فلم يُقدّر لي حتى بلغني أنه توفي رسول الله ﷺ، فقلت في نفسي: لعلة لم يكن الذي كنت أظن.

ثم بلغني أن خليفة قام مقامه، ثم لم ألبث إلّا قليلاً حتى جاءتنا جنوده فقلت في نفسي: لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أهمّ الدين كنت أرجو وأنتظر، وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم، وإلى ما تكون عاقبتهم.

فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبيّن وأثبت حتى قدّم علينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرّهم ووفاءهم بالعهد، وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذي كنت أنتظر، فحدّثت نفسي بالدخول في الإسلام، فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي إذا رجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكُتُبَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْظِرَ وَجُوهًا فَنَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْبَرِهَا أَوْ نُلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٦]، قال: فلما سمعت هذه الآية خشيت والله ألا أصبح حتى يحول وجهي في قفائي، فما كان شيء أحبّ

(١) في أ: «وتندلل».

إِلَيَّ مِنَ الصَّبَاحِ، فَعَدَوْتُ عَلَى عَمْرٍ فَأَسْلَمْتُ حِينَ أَصْبَحْتُ.

وقال كعبٌ لعمر عند انصرافه إلى الشام: يا أمير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله: إن هذه البلاد، التي كان فيها بنو إسرائيل، وكانوا أهلها؛ مفتوحةً على يد رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سرُّه مثل علانيته، وعلانيته مثل سرِّه، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأتباعه رهبان بالليل أَسَدٌ بالنهار، متراحمون متواصلون متبادلون.

فقال له عمر: ثكلتك أمك، أحقُّ ما تقول؟ قال: إي والذي أنزل التوراة على موسى والذي يسمع ما نقول إنه لحق.

فقال عمر: فالحمد لله الذي أعزَّنَا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد ﷺ، وبرحمته التي وسعت كل شيء<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك: كتاب فروة بن عمرو الجذامي إلى رسول الله ﷺ، وكان من ملوك العرب بالشام، فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد رسول الله من فروة بن عمرو: إني مقرٌّ بالإسلام مصدِّقٌ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم ﷺ»، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجَّنه فقال: والله لا أفارق دين محمد أبدًا فإنك تعرف أنه النبي الذي بشر به عيسى بن مريم، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه، فقال قيصر: صدق والإنجيل<sup>(٢)</sup>.

ويشهد لهذا ما خرَّجه البخاري ومسلم من كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل، وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه ﷺ، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله، وقال: إنه يملك موضع

(١) أخرجه الواقدي في فتوح الشام (ص: ٢٣٣-٢٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦١/٥٠)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني - كما في إمتاع الأسماع للمقرئزي (٣٧٠/٢) والخصائص الكبرى للسيوطي (٢٥/١) - بإسناده من طريق شهر بن حوشب عن كعب. ولم أقف عليه فيما وقفت عليه من كتب أبي نعيم. وانظر: الإكتفاء للكلاعي، ط. دار الكتب العلمية (٣٠٩/٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧٢/٤٨)، وابن الجوزي في المنتظم (٩/٤) بمعناه، وذكره الكلاعي في «الاكتفاء» (٢٦/٢) بلفظه، وعزاه إلى الواقدي وأنه ذكره بإسناده، وقد ذكر الكلاعي في مقدمة كتابه أنه ينقل من كتاب المبعث للواقدي.

قدمي، ولو خلصت إليه لغسلت قدميه<sup>(١)</sup>.

ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه - وهو عندنا بالإسناد<sup>(٢)</sup> - أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش في التجارة إلى الشام، قال: فإني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد قبض على عنقي، فذهبت أنازعه فقبل لي: لا تفعل فإنه لا نصف لك منه، فأدخلني كنيسة فإذا تراب عظيم ملقى، فجاءني بزنبيل ومجرقة فقال: انقل ما هاهنا، فجعلت أنظر كيف أصنع، فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوب أرى سائر جسده منه، فقال: أئنك على ما أرى ما نقلت شيئاً! ثم جمع يديه فضرب بهما دماغي، فقلت: وائكل أمك يا عمر، أبلغت ما أرى؟ ثم وثبت إلى المجرقة فضربت بها هامته فنثرت دماغه ثم واريته في التراب وخرجت على وجهي لا أدري أين أسير، فسرت بقية يومي وليلتي ومن الغد إلى الهاجرة فأنتهيت إلى دير فاستظلمت بفنائها، فخرج إلي رجل منه فقال لي: يا عبد الله ما يقعدك هنا؟ فقلت: أضللت أصحابي، فقال لي: ما أنت على طريق وإنك لتنظر بعيني خائف! فادخل فأصب من الطعام واسترخ، فدخلت فأتاني بطعام وشراب والطفني، ثم صعد في النظر وصوبه، فقال: قد علم - والله - أهل الكتاب - أو الكتب - أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب أو بالكتب مني، وإني لأرى صفتك الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه، فقلت: يا هذا لقد ذهبت بي في غير مذهب! فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: عمر بن الخطاب، فقال: أنت والله صاحبنا، فاكتب لي على ديري هذا وما فيه، فقلت: يا هذا إنك قد صنعت إلي صنعة فلا تكذرها، فقال: إنما هو كتاب في رُق، فإن كنت صاحبنا فذلك، وإلا لم يضرَّك شيئاً، فكتب<sup>(٣)</sup> له على ديره وما فيه، فأتاني بشياب ودراهم فدفعها إلي ثم أوكفَ أتاناً فقال لي: أتراها؟ فقلت: نعم، قال: سر عليها، فإنك لا تمرُّ بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك، فإذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلي، قال: فركبتها فكان كما قال، حتى لحقت بأصحابي وهم متوجهون إلى الحجاز، فضربتُها مدبرةً وانطلقت معهم.

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) هذا من قول الكلاعي، كما في الاكتفاء (٣٠٩/٢).

(٣) في د: «فكتب».



فلما وافى عمرُ الشامَ في زمانِ خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس، فلما رآه عرفه، فقال: قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه، فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال: هل عندكم من نفع للمسلمين؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: إن أضفتم المسلمين ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، فوقى له عمر رضي الله عنه ورحمه<sup>(١)</sup>.

وعن سيف<sup>(٢)</sup> يرفعه إلى سالم بن عبد الله قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال: السلام عليك يا فاروق أنت صاحب إيلياء؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قدم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد أرسله إلى عُمان واليًا عليها، فجاءه يومًا يهودي من يهود عمان فقال له: أنشدك بالله، من أرسلك إلينا؟ فقال له: رسول الله ﷺ، فقال اليهودي: والله إنك لتعلم أنه رسول الله؟ قال عمرو: نعم، فقال اليهودي: لئن كان حقًا ما نقول لقد مات اليوم.

فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي أن النبي ﷺ مات فيه، ثم خرج فأخبر بموت النبي ﷺ وهو في الطريق، ووجده قد مات في ذلك اليوم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم وبارك وشرف وكرم<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك: أن وفد غسان قدموا على رسول الله ﷺ فلقبهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: رهطٌ من غسان قدمنا على محمد لنسمع كلامه، فقال لهم: انزلوا حيث تنزل الوفود، ثم اتوا رسول الله ﷺ، فكلّموه، فقالوا: وهل نقدر على كلامه كما

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/٤٤)، (٢٨٩/٦٤)، والكلاعي في الاكتفاء (٣٠٩/٢).

(٢) هو سيف بن عمر التميمي الضبي، صاحب كتاب «الردة والفتوح» وغيره. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٦٤١/٤).

(٣) لعله ذكر هذا في كتابه الردة والفتوح، والمطبوع منه ناقص، يبدأ من قصة استشهاد عمر رضي الله عنه وحديث الشورى، وقد أورده ابن كثير في البداية والنهاية (١٦١/٧) عن سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم، وأخرجه الطبري في تاريخه عن سالم بن عبد الله (٦٠٨/٣).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥٨/٥).

أردنا؟ فتبسم أبو بكر وقال: إنه ليطوف بالأسواق، ويمشي وحده، ولا شرطة معه، ويرعب<sup>(١)</sup> من يراه منه، فقالوا لأبي بكر: من أنت أيها الرجل؟ فقال: أنا أبو بكر ابن أبي قحافة، فقالوا: أنت تقوم بهذا الأمر بعده، فقال أبو بكر: الأمر إلى الله، فقال لهم: كيف تخذعون عن الإسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء؟ ثم لقوا رسول الله ﷺ فأسلموا<sup>(٢)</sup>.

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ يحتمل أن يكون هذا: من وصف النبي ﷺ في التوراة؛ فتكون الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في ﴿يَجِدُونَهُ﴾. أو تفسير لما كتبت من ذكره. أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل.

﴿وَيَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ﴾ مذهب مالك: أن الطيبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام. ومذهب الشافعي: أن الطيبات هي المستلذات، إلا ما حرمه الشرع منها؛ كالخمر والخنزير، وأن الخبائث هي المستفذرات؛ كالخنافس والعقارب وغيرها<sup>(٣)</sup>.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ هي مثل ما<sup>(٤)</sup> كلّفوا في شرعهم من المشقات؛ كقتل الأنفس في التوبة<sup>(٥)</sup>؛ وقطع موضع النجاسة من الثوب. وكذلك ﴿الْأَغْلَالُ﴾ عبارة عما منعت منه شريعتهم؛ كتحرим الشحوم، وتحریم العمل يوم السبت، وشبه ذلك.

﴿وَعَزَّزُوهُ﴾ أي: منعه بالنصر؛ حتى لا يقوى عليه عدو.

﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ هو القرآن، أو الشرع كله. ومعنى ﴿مَعَهُ﴾: مع بعثه ورسالته.



(١) في أ، د: «ويرغب».

(٢) ذكره الكلاعي في الاكتفاء (١/ ٦١٧) عن الواقدي.

(٣) انظر كلامه والتعليق عليه عند تفسير الآية (٤) من سورة المائدة.

(٤) في ج، د: «هو مثل لما».

(٥) في أ، ب، هـ: «التوراة».

قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَيِّئُ وَيُعِيذُ بِمَا شَاءَ وَأَلْهَمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيَّ الْأَمِّيَّ الَّذِي يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٧٤٧﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿٧٤٨﴾ وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَيْنَهُ قَوْمُهُ آيٍ إِضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٤٩﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٥٠﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿٧٥١﴾

﴿٧٤٧﴾ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً تفسيره: قوله ﷺ: «وكان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة»<sup>(١)</sup>.

فأعراب ﴿جَمِيعاً﴾: حال من الضمير في ﴿إِلَيْكُمْ﴾.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نعتُ الله، أو منصوبٌ على المدح بإضمار فعل، أو مرفوعٌ على أنه خبر ابتداء مضمرة.

﴿يَوْمُنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾ هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم في عصر موسى ﷺ، (أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ في عصره)<sup>(٢)</sup>.

﴿٧٤٨﴾-﴿٧٤٩﴾ وَقَطَّعْنَهُمْ أي: فرّقناهم<sup>(٣)</sup>.

(١) هو جزء من حديث: «نصرت بالعرب...» وقد تقدم تخريجه.

(٢) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٣) في أ، ب: «مَرَّقْنَاهُمْ».

﴿أَسْبَاطًا﴾ السُّبُط في بني إسرائيل: كالقبيلة في العرب. وانتصابه على البدل من ﴿إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾، لا على التمييز؛ فإن تمييز ﴿إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ لا يكون إلا بمفرد، وقال الزمخشري: على التمييز؛ لأن كل قبيلة أسباط لا سبط<sup>(١)</sup>.

﴿بَاقِبَجَسَتْ﴾ أي: انفجرت؛ إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار، وقال الغزنوي: الانبجاس: أول الانفجار<sup>(٢)</sup>.

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ﴾ وما بعده إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: مذكور في «البقرة»<sup>(٣)</sup>.

تنبيه: وقع اختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين<sup>(٤)</sup> سورة «البقرة»؛ كقوله: ﴿بَاقِبَجَرَتْ﴾ و ﴿بَاقِبَجَسَتْ﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾، ﴿وَإِذْ فِيلٌ لَهُمْ نَسْكُتُوا﴾، وقوله: ﴿وَكُلُوا﴾ و ﴿فَكُلُوا﴾ بالفاء:

فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض<sup>(٥)</sup>.

وعلمها شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير في كتاب: «ملاك التأويل»<sup>(٦)</sup> وصاحب الدرة<sup>(٧)</sup> بتعليلات؛ منها قوية وضعيفة فيها طول فتركناها؛ لطولها.



(١) انظر: الكشف (٦/٦٤٠).

(٢) انظر: عين المعاني «مخطوط» (ل: ٢٦٩)، للغزنوي السجاوندي، تقدمت ترجمته في الباب السادس من المقدمة الأولى.

(٣) انظر تفسير الآية (٥٦) وما بعدها.

(٤) في أ، ب، هـ: «وفي».

(٥) انظر: الكشف (٦/٦٢٦).

(٦) انظر: ملك التأويل (١/٢٠٣) وما بعدها.

(٧) يعني به: أبا عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي، انظر كتابه «درة التنزيل وغرة التأويل» (١/٢٣٣) وما بعدها.

\*وَسَأَلْنَهُمْ عَنِ الْفَرِيقَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٧٤﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ لِّلَّهِ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَیِّنٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حَاسِبِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الْمَصْلُوحُونَ وَمِنْهُمْ ذُوْنَ ذِكْرِ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٩﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَغْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّمَّا قَدْ كُتِبَ أَن يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ إِلَّا الْآخِثُ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَجَلًا تَعْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٨١﴾ \*وَإِذْ تَتَّقِنَا الْجَبَلَ قَوْفَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَافِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٨٢﴾

﴿وَسَأَلْنَهُمْ﴾ أي: أسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ.

﴿عَنِ الْفَرِيقَةِ﴾ قيل: هي أئمة، وقيل: هي طبرية، وقيل: مدين.

﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قريبة منه، أو على شاطئه.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ أي: يتجاوزون حدَّ الله فيه؛ وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نُهوا

عنه. وموضع ﴿إِذْ﴾: بدلٌ من ﴿الْفَرِيقَةِ﴾؛ والمراد: أهلها، وهو بدل اشتمال، أو منصوبٌ

بـ ﴿كَانَتْ﴾، أو بـ ﴿حَاضِرَةَ﴾.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا﴾ كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى

بيوتهم؛ ابتلاءً لهم؛ إذ كان صيدها محرماً عليهم في السبت، وتغيَّب عنهم في سائر الأيام.

و﴿سَبْتِهِمْ﴾ مصدرٌ من قولك: سبت اليهودي يسبتُ: إذا عظم يوم السبت.

ومعنى ﴿شُرْعًا﴾: ظاهرة قريبة منهم؛ يقال: شرع منا فلان: إذا دنا.

و﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ : منصوبٌ بـ﴿يَعْذُونَ﴾ ، أو بدلٌ من ﴿إِذْ يَعْذُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ الآية؛ افرقت بنو إسرائيل ثلاث فرق: فرقة عصت بالصيد يوم السبت. وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت. وفرقة سكنت واعتزلت، فلم تنه ولم تغص.

وإن هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية: لم تعظون قوماً يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم؟ فقالت الناهية: ننهاهم معذرةً إلى الله ولعلمهم يتقون. فهلكت الفرقة العاصية، ونجت الناهية، واختلفت في الثالثة: هل هلكت؛ لسكوتها؟ أو نجت؛ لاعتزالها وتركها العصيان؟

﴿يُعَذِّبُ يَبِيسَ﴾ أي: شديد. وقرئ بالهمز، وتركه، وقرئ على وزن «فَعِيل»، وعلى وزن «فَعِيل»<sup>(١)</sup>؛ وكلُّها من معنى البؤس.

﴿بَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: لما تكبروا عن ما نهوا عنه.

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حَّسِينًا﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٢)</sup>. والمعنى: أنهم عذبوا أولاً بعذاب شديد، فعتَوْا بذلك، فمسخوا قردة. وقيل : ﴿بَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكرارٌ لقوله: ﴿بَلَمَّا نَسُوا﴾، والعذاب البِيسُ: هو المسخ.

﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ عَزَمَ؛ وهو من الإيذان بمعنى الإعلام.

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ الآية؛ أي: يسلط عليهم، ومن ذلك: أخذ الجزية، وهوانهم في جميع البلاد.

﴿وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: فرقناهم في البلاد، ففي كل بلدٍ فرقةٌ منهم، فليس لهم إقليم يملكونه.

﴿مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ هم من أسلم؛ كعبد الله بن سلام رضي الله عنه، أو<sup>(٣)</sup> من كان صالحاً من المتقدمين منهم.

(١) قرأ ابن عامر «يَبِيسَ» بكسر الباء وهمزة ساكنة بعدها، وقرأ نافع «يَبِيسَ» بإبدال الهمزة ياءً، وقرأ شعبة بخلاف عنه «يَبِيسَ» على وزن «فَعِيل»، وقرأ الباقون وهو الوجه الثاني لشعبة «يَبِيسَ» على وزن «فَعِيل».

(٢) انظر تفسير الآية (٦٤).

(٣) في أ، ب، هـ: «و».

﴿بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي: بالنعم والنقم.

﴿وَبَخَلْفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: حدث بعدهم قومٌ سوء. والخلف بسكون اللام: ذم، وافتحها: مدح. والمراد: من حدث من اليهود بعد المذكورين، وقيل: المراد: النصاري.

﴿يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى﴾ أي: عرض الدنيا.

﴿وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرَ لَنَا﴾ ذلك اغترارٌ منهم وكذب.

﴿وَأَن يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ﴾ ياخذوه، الواو للحال؛ أي: يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم.

﴿مَيِّقُنُ الْكِتَابِ﴾ أن لا يقولوا على الله إلا الحق، إشارة إلى كذبهم في قولهم: ﴿سَيَغْفِرَ لَنَا﴾. وإعراب ﴿أَن لاَ يَقُولُوا﴾: عطف بيان على ﴿مَيِّقُنُ الْكِتَابِ﴾، أو تفسيراً له، أو تكون «أن» حرف عبارة وتفسير.

﴿وَالَّذِينَ يُنْسِكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف<sup>(١)</sup>؛ وهما بمعنى واحد.

وإعراب ﴿الَّذِينَ﴾: عطف على ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾، أو مبتدأ وخبره: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾؛ وقام ذكر المصلحين مقام الضمير؛ لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بني إسرائيل، وقلنا لهم: خذوا التوراة حين أبوا من أخذها. وقد تقدّم في «البقرة» تفسير الظلة<sup>(٢)</sup>، و﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾<sup>(٣)</sup>.



(١) قرأ شعبة عن عاصم «يُنْسِكُونَ» بالتخفيف، والباقون بالتشديد.

(٢) انظر تفسير الآية (٢٠٨).

(٣) انظر تفسير الآية (٦٤).

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ  
 قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غٰفِلِينَ ﴿٧٥﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ  
 آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَتَيْتُنَا بِمَا بَعَلَ الْمُنْظِلُونَ ﴿٧٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَقُصِّلُ  
 الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَاثُلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذِّكْرِ ۖ إِتَيْنَاهُ عَآئِيَتًا فَنَاسَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ  
 الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٧٨﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ  
 فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثَ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ  
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانْصُصِ الْفَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧٩﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
 وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ ۖ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا تُولِيكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿٨٠﴾  
 \* وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا  
 يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ  
 الْغَافِلُونَ ﴿٨١﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ  
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٥﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾  
 الآية؛ في معناها قولان:

الأول: أن الله لما خلق آدم ﷺ أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر، وأخذ عليهم  
 العهد بأنه ربهم، فافقروا بذلك والتزموه. روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق  
 كثيرة<sup>(١)</sup>، وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم.

والثاني: أن ذلك من باب التمثيل، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا، وأما  
 إشهادهم فمعناه: أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته، وشهدت بها عقولهم، فكانه  
 أشهدهم على أنفسهم، وقال لهم: ألسن بربكم وكانهم قالوا<sup>(٢)</sup> بلسان الحال: بلى أنت ربنا.

(١) أخرجه أحمد (٢٤٥٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٤٧) وضعفه، والحاكم (٧٥) وصححه ووافقه الذهبي، عن

ابن عباس ؓ، وروى موقوفاً عليه، قال ابن كثير في تفسيره (٥٠٢/٣): «هذا أكثر وأثبت».

(٢) في أ، ج، هـ: «وقالوا».



والأول هو الصحيح؛ لتواتر الأخبار به، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر، وإنما تطابقه بتأويل؛ وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم!

والجمع بينهما: أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠] الآية، على تأويل: لقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناه.

وقال الزمخشري: إن المراد ببني آدم: أسلاف اليهود، والمراد بذريتهم: من كان في عصر النبي ﷺ منهم<sup>(١)</sup>.

والصحيح المشهور: أن المراد جميع بني آدم حسبما ذكرنا.

﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ قولهم ﴿بَلَىٰ﴾: إقرار منهم بأن الله ربهم؛ فإن تقديره: أنت ربنا؛ فإن ﴿بلى﴾ بعد التقرير تقتضي الإثبات، بخلاف «نعم»؛ فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضي الإيجاب، وإذا وردت بعد التقرير تقتضي النفي، ولذلك قال ابن عباس ؓ في هذه الآية: لو قالوا: «نعم» لكفروا<sup>(٢)</sup>. وأما قولهم: ﴿شَهِدْنَا﴾ فمعناه: شهدنا ببروبيتك؛ فهو تحقيق لربوبية الله، وأداء لشهادتهم بذلك عند الله. وقيل: إن ﴿شَهِدْنَا﴾ من قول الله والملائكة؛ أي: شهدنا على بني آدم باعترافهم.

﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ في موضع مفعول من أجله؛ أي: فعلنا ذلك كراهة أن تقولوا، فهو من قول الله، لا من قولهم. وقرئ بالتاء<sup>(٣)</sup>؛ على الخطاب لبني آدم، وبالياء؛ على الإخبار عنهم.

﴿وَإِذْ عَلَيْنَا نَبَأُ آلِيزَةَ ءَاتَيْنَاهُ ءَاتَيْنَا بِأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال ابن مسعود ؓ: هو رجل من بني إسرائيل، بعثه موسى ؑ إلى ملك مدين داعيًا إلى الله، فرشاه الملك، وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل، وأضل الناس بذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الكشاف (٦/ ٦٤٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) قرأ أبو عمرو وبالياء، وقرأ الباقون بالتاء.

(٤) كذا عزاه إلى ابن مسعود ابن عطية في تفسيره (٤/ ٨٧)، ولم أقف عليه من قوله، وإنما هو من قول مالك بن دينار، أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٨).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما <sup>(١)</sup>: هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعام، كان عنده اسم الله الأعظم، فلما أراد موسى عليه السلام قتال الكنعانيين - وهم الجبارون - سألوا من بلعام أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى، فالحوا عليه حتى دعا عليه (أن لا يدخل المدينة، ودعا موسى عليه) <sup>(٢)</sup>.

فآيات التي أُعطيها على هذا القول: هي اسم الله الأعظم، وعلى قول ابن مسعود رضي الله عنه: هي ما علمه موسى عليه السلام من الشريعة.

وقيل: كان عنده من صحف إبراهيم عليه السلام.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: هو أمية بن أبي الصلت <sup>(٣)</sup>، وكان قد أوتي علماً وحكمة، وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر، ثم رجع عن ذلك فمات كافراً، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» <sup>(٤)</sup>، فالآيات على هذا: ما كان عنده من العلم.

والانسلاخ: عبارة عن البعد والانفصال منها، كالانسلاخ من الثياب والحلد.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي: لرفعنا منزلته بالآيات التي كانت عنده.

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله.

﴿بِمَثَلٍ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ أي: صفة الكلب؛ وذلك غاية في الخسة والرداءة <sup>(٥)</sup>.

﴿إِنْ تَحِيلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ اللّهث: هو تنفّس بسرعة، وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات <sup>(٦)</sup> مع الحرّ والتعب، وهي حالة دائمة للكلب. ومعنى ﴿إِنْ تَحِيلَ عَلَيْهِ﴾: إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره، ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ دون أن تحمل عليه: فهو يلهث على كل حال.

(١) أخرجه الطبري (٥٧٥/١٠)، وابن أبي حاتم (١٦١٧/٥).

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

(٣) أخرجه الطبري (٥٧٠/١٠)، وابن أبي حاتم (١٦١٦/٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في د: «والردالة».

(٦) في ب: «للحيوانات».

ووجه تشبيه ذلك الرجل به: أنه إن وعظته فهو ضالٌّ، وإن لم تعظه فهو ضالٌّ، فضلالته على كل حال؛ كما أن لهث الكلب على كل حال. وقيل: إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره، فصار مثل الكلب في صورته ولهته حقيقة.

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: صفة المكذبين كصفة الكلب في لهته، أو كصفة الرجل المشبه به؛ لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا، وإن تركوا لم يهتدوا. أو شبههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم، كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات.

﴿سَاءَ مَثَلًا﴾ أي: مثل القوم.

﴿وَأَنْفُسَهُمْ﴾ قدّم هذا المفعول؛ للاختصاص والحصر.

﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم، فأخبر أنه خلقهم لذلك، كما جاء في قوله: «هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي»<sup>(١)</sup>. ﴿لَّا يَبْصُرُونَ بِهَا﴾ ليس المعنى نفى الفهم والبصر والسمع جملة؛ وإنما المعنى: نفىها عما ينفع في الدين.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>. وسبب نزول الآية: أن أبا جهل سمع بعض الصحابة يقرأ، فيذكر الله مرة، والرحمن أخرى، فقال: يزعم محمد أن الإله واحد وها هو يعبد آلهة كثيرة؛ فنزلت الآية مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمى واحد<sup>(٣)</sup>.

و﴿الْحُسْنَى﴾ مصدر وُصِفَ به، أو تأنيث «أحسن». وحُسُنُ أسماء الله: هي أنها صفات مدح وتعظيم وتمجيد<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٦٦٠)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٨)، والحاكم (٨٤) من حديث الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه، وقال الحاكم: «صحيح قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخرهم إلى الصحابة» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) قاله مقاتل بن سليمان كما في تفسيره (٧٦/٢)، والذي أخرجه الطبري (١٢٣/١٥) عن ابن عباس رضي الله عنه أن الآية التي نزلت بهذا السبب هي آية الإسراء ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وليست هذه الآية.

(٤) في ب، هـ: «وتحميد».

﴿قَادَعُوهُ بِهَا﴾ أي: سَمَّوْهُ بِأَسْمَائِهِ، وهذا إباحةٌ لإطلاق الأسماء على الله <sup>(١)</sup> تعالى، فأما ما ورد منها في القرآن أو في الحديث: فيجوز إطلاقه على الله إجماعاً، وأما ما لم يرد، وفيه مدحٌ ولا تتعلق به شبهة فأجاز أبو بكر ابن الطيب إطلاقه على الله، ومنع ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره، ورأوا أن أسماء الله موقوفةٌ على ما ورد في القرآن والحديث <sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في «كتاب الترمذي» عِدَّتُهَا؛ أعني: تعيين التسعة والتسعين <sup>(٣)</sup>، واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبي ﷺ أو موقوفة على أبي هريرة؟ وإنما الذي ورد في الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قيل: معنى «ذروا»: اتركهم لا تُحَاجِّهم ولا تتعرَّض لهم؛ فالآية - على هذا - منسوخةٌ بالقتال. وقيل: معنى «ذروا»: الوعيد والتهديد؛ كقوله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ [المزمل: ١٠]، وهو الأظهر؛ لما بعده.

والحادثهم في أسماء الله: هو ما قال أبو جهل، فنزلت الآية بسببه، وقيل: تسميته بما لا يليق به، وقيل: تسمية الأصنام بأسمائه، كاشتقاقهم اللات من الله، والعزى من العزيز. ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ الآية؛ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «هذه الآية لكم، وقد تقدَّم مثلها لقوم موسى» <sup>(٤)</sup>.



(١) في أ، هـ: «الإله».

(٢) [التعليق ٥٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «أي: سَمَّوْهُ بِأَسْمَائِهِ» إلخ، هذا أحد التفسيرين في معنى ﴿قَادَعُوهُ بِهَا﴾، والباء على هذا للتعدي، وقيل: ادعوه بها، أي: تَوَسَّلُوا بِهَا، كما تقول: يا غفور اغفر لي، يا رحيم ارحمني، والباء على هذا سببية، ثم ما ذكره المؤلف من التفصيل في أسماء الله مستقيم، ومضمونه أن الله لا يسمَّى إلا بما سَمَّى به نفسه أو ما سَمَّاهُ به رسوله ﷺ، وهو معنى قول المؤلف: «موقوفة»، أي: توقيفية، وأما ما لم يرد في كتاب ولا سنة، وهو صفة مدح، فيجوز الإخبار به عن الله، ولا يعدُّ من أسمائه، كالقديم والمنشئ والمُخَكِّم والصانع.

(٣) سنن الترمذي (٣٥٠٧).

(٤) أخرجه الطبري (٦٠٠/١٠) عن قتادة قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ يقول إذا قرأها: «هذه لكم، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾»، وأخرجه - أيضاً - عن ابن جريج عن النبي ﷺ، وهي مرسلة.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٦﴾ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٨﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ افْتَرَبَ أَجْلُهُمْ قَبَآئِي حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٩﴾ مَنْ يَضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَنَذَرْنَاهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٩٠﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفِّيهِآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَافِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩١﴾ \* قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩٢﴾

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ الاستدراج: استفعالٌ من الدَّرَجَة؛ أي: نسوقهم إلى الهلاك شيئاً بعد شيء وهم لا يشعرون. والإملاء: هو الإمهال مع إرادة العقوبة.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سَمَّى فعله بهم كيداً؛ لأنه شبيهٌ بالكيد في أن ظاهره إحسانٌ وباطنه خذلان<sup>(١)</sup>.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ يعني بصاحبهم: النبي ﷺ، فنفي عنه ما نسب له المشركون من الجنون. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ معمولاً لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيوصل به، والمعنى: أو لم يتفكروا فيعلموا أنه ما بصاحبهم من جنة. ويحتمل أن يكون الكلام قد تمَّ في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، ثم ابتدأ إخباراً مستأنفاً بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾. والأول أحسن.

(١) [التعليق ٥٨] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «سَمَّى فَعَلَهُ بِهِمْ كَيْدًا...»، إلخ: أقول: هذا يتضمن أن ما يفعله الربُّ عز وجل بالكافرين من الاستدراج ليس بكيد حقيقة، بل هو مجرد تسلية؛ فهو كيدٌ لفظاً لا معنى. وهذا خطأ؛ لأنه صرفٌ للفظ عن ظاهره بلا موجب؛ كيف وقد أكَّده الله بالمصدر المؤكِّد كما في قوله: «وَأَكِيدُ كَيْدًا» [الطارق: ١٦]؟ فهو تعالى يكيد الكافرين ويمكرهم؛ جزاءً على كَيْدِهِمْ ومكرهم؛ جزاءً وفاً.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ يعني: نظر استدلال.

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ عطف على الملكوت. ويعني بقوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: جميع المخلوقات؛ إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها.

﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ «أن» الأولى: مخففة من الثقيلة، وهي عطف على الملكوت، و«أن» الثانية: مصدرية؛ في موضع رفع بـ ﴿عَسَى﴾. و﴿أَجَلُهُمْ﴾ يعني: موتهم. والمعنى: لعلهم يموتون عن قريب، فينبغي لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل.

﴿بِآيٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ الضمير للقرآن.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ السائلون: اليهود، أو قريش. وسميت القيامة ساعة؛ لسرعة حسابها؛ كقوله: ﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

﴿آيَاتٍ مُزَبَّيْنَةٍ﴾ معنى «آيَاتٍ»: متى، و﴿مُزَبَّيْنَةٍ﴾: وقوعها وحدوثها، وهي من الإرساء؛ بمعنى الثبوت.

﴿فَلِإِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: استأثر الله بعلم وقت وقوعها، ولم يطلع عليه أحد. ﴿لَا يُجَلِّيَهَا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ معنى «يُجَلِّيَهَا»: يُظْهِرُهَا؛ فهو من الجلاء ضد الخفاء. واللام في ﴿لَوْفَتِهَا﴾ ظرفية؛ أي: عند وقتها. والمعنى: لا يُظْهِرُ السَّاعَةَ عند مجيء وقتها إلا الله. ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال:

- ◀ الأول: ثقلت على أهل السماوات والأرض؛ لهيبتها عندهم، وخوفهم منها.
- ◀ الثاني: ثقلت على<sup>(١)</sup> السماوات والأرض أنفسها؛ لتفطر السماء فيها، وتبديل الأرض.
- ◀ الثالث: معنى «ثَقُلَتْ»: ثقل علمها؛ أي: خفي.

(١) في أ، ب، ج، هـ زيادة: «أهل»، والصواب عدم ذكرها كما في المحرر الوجيز (٤/ ١٥٥) وكما يقتضيه السياق.

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَمِيٌّ عَنْهَا﴾ الحفيُّ بالشيء: هو المُهْتَبِلُ به المعتنى به. والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بعلمها، وقيل المعنى: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم؛ لقرابتك منهم، فـ﴿عَنْهَا﴾ -على هذين القولين- يتعلّق بـ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾. وقيل المعنى: يسألونك كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها.

﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ﴾ براءة من علم الغيب، واستدلالٌ على عدم علمه.

﴿وَمَا مَسْنِيَّ السُّوءِ﴾ عطفٌ على: ﴿لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ﴾؛ أي: لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير، واحترست من السوء<sup>(١)</sup>، ولكن لا أعلمه؛ فيصيبني ما قُدِّر لي من الخير والشر. وقيل: إن قوله: ﴿وَمَا مَسْنِيَّ السُّوءِ﴾ استئنافٌ إخباريٌّ؛ والسوء -على هذا-: هو الجنون. واتّصاله بما قبله أحسن.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن يتعلّق بـ ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ معاً؛ أي: أبشر المؤمنين وأنذرهم، وخصّ بهم البشارة والنذارة؛ لأنهم الذين ينتفعون بهما. ويجوز أن يتعلّق بالبشارة وحدها، ويكون المتعلّق بـ ﴿نَذِيرٌ﴾ محذوفاً؛ أي: نذير للكافرين. والأول أحسن.



(١) في د: «الشر».

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيَهَا حَمَلَتْ  
 حَمْلًا خَمِيمًا بَمَرَّتْ بِهِءَ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ  
 الشَّاكِرِينَ ﴿١٣٦﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا  
 يُشْرِكُونَ ﴿١٣٧﴾ أَفَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِفُونَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا  
 أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ  
 أَمْ أَنْتُمْ صَالِتُونَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ بَادِعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا  
 لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرُّجُلَ يَمْشُونَ يَهَاءُ أَمْ لَهُمْ أُنْدٌ يَبِطْشُونَ يَهَاءُ أَمْ لَهُمْ  
 أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ يَهَاءُ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ يَهَاءُ فَلَماذا دَعَا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا  
 تُنْظَرُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٤٣﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ  
 دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٤٤﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا  
 يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٤٥﴾

﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدم. ﴿زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء.

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يميل إليها ويستأنس بها.

﴿تَغَشَّيَهَا﴾ كناية عن الجماع.

﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَمِيمًا﴾ أي: خفَّ عليها، ولم تَلَقَ منه ما يلقي بعض الحُبَالَى مِنْ حَمْلِهِنَّ  
 مِنَ الْأَذَى وَالْكَرْبِ، وَقِيلَ: الْحَمْلُ الْخَفِيفُ: الْمَنِيُّ فِي فَرْجِهَا.

﴿بَمَرَّتْ بِهِءَ﴾ قيل معناه: أنها استمرت به إلى حين ميلاده، وقيل معناه: قامت وقعدت.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ أي: ثَقُلَ حَمْلُهَا وَصَارَتْ بِهِ ثَقِيلَةً.

﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ أي: وَلَدًا صَالِحًا سَالِمًا فِي بَدَنِهِ.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ أي: لما آتاهما وَلَدًا صَالِحًا كَمَا  
 طَلَبَا: جَعَلَ أَوْلَادَهُمَا لَهُ شُرَكَاءَ، فَالْكَلَامُ عَلَى حَذَفِ الْمُضَافِ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ،  
 وَكَذَلِكَ: ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾؛ أي: فِيمَا آتَى أَوْلَادَهُمَا وَذُرِّيَّتَهُمَا.



وقيل: إن حواء لما حملت جاءها إبليس فقال لها: إن أطعني وسميت ما في بطنك عبد الحارث فساخلكه لك - وكان اسم إبليس الحارث-، وإن عصيتني في ذلك قتلته. فأخبرت بذلك آدم، فقال لها: إنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة، فلما ولدت مات الولد، ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك، فعصته فمات الولد، فحملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث؛ طمعاً في حياته<sup>(١)</sup>، فقله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ يَمِئَا أَتَيْنَهُمَا﴾ أي: في التسمية لا غير، لا في عبادة غير الله.

والقول الأول أصح؛ لثلاثة أوجه:

◀ أحدها: أنه يقتضي براءة آدم ﷺ وزوجه من قليل الشرك وكثيره، وذلك هو حال الأنبياء ﷺ.

◀ والثاني: أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته: قوله<sup>(٢)</sup> تعالى: ﴿بَتَّ عَلَيَّ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع.

◀ والثالث: أن ما ذكروا من قصة آدم ﷺ وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة.

وقيل: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: هو قصي بن كلاب وزوجه، و﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ أي: سمياً أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف.

وهذا القول بعيد؛ لوجهين:

أحدهما: أن الخطاب -على هذا- خاصٌّ بذرية قصي من قريش، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم.

والآخر: قوله: ﴿وَجَعَلْ مِنْهَا زُوجَهَا﴾، فإن هذا يصح في حواء؛ لأنها خلقت من ضلعٍ

(١) أخرجه الطبري (١٠/٦٢٤) من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٥/١٦٣٤) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ، وأخرجه أيضاً (٥/١٦٣٣) عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب ﷺ، قال ابن كثير في تفسيره (٣/٥٢٨): «وهذه الآثار يظهر عليها -والله أعلم- أنها من آثار أهل الكتاب»، وانظر كلامه عن الأحاديث والآثار الواردة في تفسير هذه الآية.

(٢) في د: «بدليل قوله».

آدم، ولا يصح في زوجة قصي.

﴿١١٦﴾ «أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ» هذه الآية ردٌ على المشركين من بني آدم. والمراد بقوله: «مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً»: الأصنام وغيرها مما عُبد من دون الله. والمعنى: أنها مخلوقة غير خالقة، والله تعالى خالق غير مخلوق؛ فهو الإله وحده.

﴿١١٧﴾ «وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ» المعنى: أن الأصنام لا ينصرون من عبدتهم، ولا ينصرون أنفسهم؛ فهم في غاية العجز والذلة، فكيف يكونون آلهة؟! ﴿١١٨﴾ «وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ» المعنى: أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدي، أو إلى أن تهدي<sup>(١)</sup>؛ لأنها جمادات.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ تأكيدٌ وبيان لما قبلها. فإن قيل: لم قال: «أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ»؛ فوضع الجملة الاسمية موضع الجملة الفعلية؟ وهلاً قال: أو صمتم؟ فالجواب: أن صمتهم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة، فعبر عنها بجملة اسمية؛ لتقتضي الاستمرار على ذلك.

﴿١١٩﴾ «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ» ردٌ على المشركين؛ فإن آلهتهم عبادة، فكيف يُعبد العبد مع ربه؟! ﴿بَادِعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ أمرٌ على وجه التعجيز.

﴿١٢٠﴾ «أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا» وما بعده؛ معناه: أن الأصنام جماداتٌ عادمة للحس والجوارح والحياة، وما كان كذلك لا يكون إلهاً؛ فإن من وصف الإله: الإدراك والحياة والقدرة.

وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام؛ لأن المشركين مقرّون أن أصنامهم لا تمشي ولا تبطش ولا تبصر ولا تسمع؛ فلزمتهم الحجة. والهمزة في قوله: «أَلَهُمْ» للاستفهام مع التوبيخ. و«أَمْ» في المواضع الثلاثة: تضمّنت معنى الهمزة ومعنى «بل»، وليست عاطفة.

(١) في ب: «إذا دعيت أن تهدي أو إلى أن تهدي».

﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ المعنى: استنجدوا<sup>(١)</sup> أصنامكم لمضرّي والكيد عليّ، ولا تؤخّروني؛ فإنكم وأصنامكم لا تقدرون على مضرّي. ومقصود الآية: الردّ عليهم ببيان عجز أصنامهم، وعدم قدرتها على المضرة. وفيها -أيضاً- إشارة إلى أن التوكل: على الله، والاعتصام به وحده، وأن غيره لا يقدر على شيء، ثم أفصح بذلك في قوله:

﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ﴾ الآية؛ أي: هو ناصرِي وحافظي منكم، فلا تضروني، ولو حرّصتم أنتم وآلهتكم على مضرّي. ثم وصف الله بأنه: ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾، وبأنه: ﴿يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، وفي هذين الوصفين استدلالٌ على صدق النبي ﷺ؛ بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولّى حفظه، ومن تولّى الله حفظه فهو من الصالحين، والصالح لا بد أن يكون صادقاً في قوله؛ لا سيما فيما يقوله على الله.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتِطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ الآية؛ ردّ على المشركين، وقد تقدّم معناه.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ يحتمل أن يريد الأصنام؛ فيكون تحقيقاً لها، وردّاً على من عبدها؛ فإنها جمادٌ مواتٌ لا تسمع شيئاً، فيكون المعنى كالذي تقدّم. أو يريد الكفار، ووصفهم بأنهم لا يسمعون يعني: سمعاً يتفجعون به؛ لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم.

﴿وَتَرَبَّيْهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إن كان هذا من وصف الأصنام: فقوله: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ مجاز، وقوله: ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ حقيقة؛ لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئاً.

وإن كان من وصف الكفار: فـ ﴿يَنْظُرُونَ﴾ حقيقة، وـ ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ مجازٌ على وجه المبالغة؛ كما وصفهم بأنهم لا يسمعون.



(١) في د، هـ: «استجدوا».

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩١﴾ \* وَإِنَّا يَنْزِعُكَ مِنَّا الشَّيْطَانُ نَزْغًا  
بِاسْتِغَاثَةٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا  
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١٩٣﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يَفْصِرُونَ ﴿١٩٤﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا  
لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا فُلٍ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوجِيئُ إِلَىٰ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهَدًى وَرَحْمَةً  
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩٥﴾ وَإِذَا فُرِئَ الْفَرْعَانُ بَاْسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٩٦﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ  
فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَذُوقَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٩٧﴾  
إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿١٩٨﴾

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: خذ من الناس في أخلاقهم وأقوالهم  
ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم؛ لثلاث ينفعوا، فالعفو - على هذا - بمعنى: السهل  
والسمع عنهم<sup>(١)</sup>، وهو ضد الجهد<sup>(٢)</sup> والتكلف<sup>(٣)</sup>، كقول الشاعر:

خذي العفو مني تستديمي مودتي<sup>(٤)</sup>

والآخر: أن المعنى: خذ في الصدقات ما سهل على الناس من أموالهم، أو ما فضل  
لهم، وذلك قبل فرض الزكاة، فالعفو - على هذا - بمعنى: السهل، أو بمعنى الكثرة.  
﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف؛ وهو أفعال الخير. وقيل: العرف: الجاري بين الناس من  
العوائد، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم، واحلّم عنهم.  
ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ عنها جبريل، فقال: لا أدري حتى أسأل، ثم رجع

(١) في أ، ب، هـ: «عندهم».

(٢) في ب، ج، هـ: «الجهل».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «والتكلف».

(٤) هذا صدر بيت لأسماء بن خارجة الفزاري، أحد الأجواد المعدودين، وهو في طبقة التابعين، وعجزه:

«ولا تنطقي في سؤري حين أغضب» انظر: فوات الوفيات (١/ ١٦٩)، ونسبة في المحرر الوجيز (٤/ ١١٦)

لحاتم الطائي.

فقال: «يا محمد إن ربك بأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»<sup>(١)</sup>.

وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق<sup>(٢)</sup>. وهي -على هذا- ثابتة الحكم؛ وهو الصحيح. وقيل: كانت مُداراةً للكفار، ثم نُسخَت بالقتال.

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ نزغ الشيطان: وسوسته بالتشكيك في الحق، والأمر بالمعاصي، أو تحريك الغضب. فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك، كما ورد في الحديث: أن رجلاً اشتد غضبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»<sup>(٣)</sup>.

﴿طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ معناه: لِمَّة منه، كما جاء: «إن للشيطان لِمَّةً، وللملئكة لِمَّة»<sup>(٤)</sup>. ومن قرأ ﴿طَيْفٌ﴾ -بالألف-<sup>(٥)</sup>: فهو اسم فاعل. ومن قرأ ﴿طَيْفٌ﴾ -بياء ساكنة-: فهو مصدر، أو تخفيف من طَيْف المشدّد؛ كَمِيت ومِيت.

﴿تَذَكَّرُوا﴾ حُذِفَ مفعوله ليعمَّ كلَّ ما يُتَذَكَّرُ من خوف عقاب الله، أو رجاء ثوابه، أو مراقبته، أو الحياء منه، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه، أو النظر والاعتبار، أو غير ذلك.

﴿وَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ هو من بصيرة القلب.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ الضمير في ﴿إِخْوَانُهُمْ﴾ لـ ﴿الشَّيْطَانِ﴾، وأريد بقوله: ﴿طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ الجنس؛ فلذلك أعيد عليه ضمير الجماعة، و﴿إِخْوَانُهُمْ﴾ هم

(١) أخرجه الطبري (٦٤٣/١٠)، وابن أبي حاتم (١٦٣٨/٥) عن سفيان بن عيينة عن أميِّ الصيرفي، وأخرجه ابن أبي حاتم -أيضاً- عن سفيان عن أميِّ عن الشعبي. قال ابن كثير في تفسيره (٥٣١/٣): «وهذا -على كل حال- مرسل، وقد روي له شاهد من وجوه آخر، وقد روي مرفوعاً عن جابر وقيس بن سعد بن عباد، عن النبي ﷺ، أسندهما ابن مردويه».

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣١٨/٤) عن جعفر الصادق بدون إسناد.

(٣) أخرجه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠) عن سليمان بن صُرد.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٩٩٧) عن ابن مسعود.

مرفوعاً، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(٥) قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي بياء ساكنة، وقرأ الباقر بالألف.

الكفار. ومعنى ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾: يكونون مدداً لهم؛ أي: يعضدونهم. وضمير المفعول في ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾ للكفار، وضمير الفاعل لـ ﴿الشَّيْطَانِ﴾. ويحتمل أن يريد بالإخوان: الشياطين، ويكون الضمير في ﴿إِخْوَانُهُمْ﴾ للكفار. والمعنى على الوجهين: أن الكفار يُمدُّهم الشيطان. وقرئ ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾: بضم الياء، وفتحها<sup>(١)</sup>؛ والمعنى واحد.

و﴿فِي الْعَنَى﴾: يتعلّق بـ ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾، وقيل: يتعلّق بـ ﴿إِخْوَانُهُمْ﴾؛ كما تقول: إخوة في الله، أو في الشيطان.

﴿ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾ أي: لا يُقْصِر الشياطين عن إمداد إخوانهم من الكفار، أو: لا يُقْصِر الكفار عن غيِّهم. وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يلزم؛ لالتزام الصاد قبل الرأ في ﴿مُبْصِرُونَ﴾ و﴿لَا يُفْصِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ الضمير في ﴿لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ للكفار، و﴿لَوْلَا﴾ هنا عرض، وفي معنى ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ قولان:

أحدهما: اخترعتها من قبيل نفسك، فالآية -على هذا-: من القرآن، وكان النبي ﷺ يتأخّر عنه الوحي أحياناً، فيقول الكفار: هلاً جئت بقرآن من قولك!

والآخر: أن معناها: طلبتها من الله، وتخيرتها عليه، فالآية -على هذا-: معجزة؛ أي: يقولون: اطلب المعجزة من الله.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ معناه: لا اخترع القرآن؛ على القول الأول، ولا أطلب آية من الله؛ على القول الثاني.

﴿هَذَا بَصَائِرُ﴾ أي: علامات هدى، والإشارة إلى القرآن.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الإنصات المأمور به: هو لقراءة الإمام في الصلاة.

والثاني: أنه الإنصات للخطبة.

(١) قرأ نافع بضم الياء وكسر الميم، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الميم.

والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق، وهو الرَّاجح؛ لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ عام، ولا دليل على تخصيصه.

والثاني: أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ قال بعضهم: الرَّحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن؛ لهذه الآية.

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ في نَفْسِكَ ﴿يَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ: الذِّكْرَ بِالْقَلْبِ دُونَ اللِّسَانِ، أَوِ الذِّكْرَ بِاللِّسَانِ سِرًّا. فعلى الأول: يكون قوله: ﴿وَذُورَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ عطفًا مغايرًا؛ أي: حالة أخرى. وعلى الثاني: يكون بيانًا وتفسيرًا للأول.

﴿بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ﴾ أي: في الصباح والعشي، و«الأصال»: جمع أُصْل؛ والأُصْل جمع أصيل. قيل: المراد: صلاة الصبح والعصر. وقيل: صلاة المسلمين قبل فرض الخمس<sup>(١)</sup>. والأظهر الإطلاق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة عليهم السلام، وفي ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض بالكفار.

﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ قَدَّمَ المجرور لمعنى الحصر؛ أي: لا يسجدون إلا له وحده.



(١) في أ، ب، هـ: «وقيل: فرض الخمس»



|    |       |                                                                  |
|----|-------|------------------------------------------------------------------|
| ٥  | ..... | مقدمة الطبعة الثانية.                                            |
| ٩  | ..... | مقدمة الطبعة الأولى                                              |
| ١٥ | ..... | المطلب الأول: التعريف بالمفسر ابن جزى                            |
| ١٥ | ..... | اسمه ونسبه                                                       |
| ١٦ | ..... | مولده ونشأته                                                     |
| ١٦ | ..... | مكانته العلمية وأخلاقه                                           |
| ١٦ | ..... | شيوخه                                                            |
| ١٧ | ..... | تلاميذه                                                          |
| ١٨ | ..... | مصنفاته                                                          |
| ١٩ | ..... | شعره                                                             |
| ٢٠ | ..... | وفاته                                                            |
| ٢٢ | ..... | المطلب الثاني: التعريف بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل               |
| ٢٢ | ..... | اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه                                      |
| ٢٣ | ..... | منهج ابن جزى في تفسيره                                           |
| ٢٨ | ..... | مصادر ابن جزى في تفسيره                                          |
| ٣٠ | ..... | طباعات الكتاب السابقة                                            |
| ٣٤ | ..... | وصف النسخ الغطية المعتمدة.                                       |
| ٣٤ | ..... | النسخة الأولى: نسخة مكتبة تشستر بيتي                             |
| ٣٥ | ..... | النسخة الثانية: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:  |
| ٣٥ | ..... | النسخة الثالثة: نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:  |
| ٣٦ | ..... | النسخة الرابعة: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: |



|     |                                                                            |
|-----|----------------------------------------------------------------------------|
| ٣٧  | • النسخة الخامسة: نسخة جامعة الملك سعود بالرياض:                           |
| ٣٧  | • النسخة الأولى: نسخة خزانة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب.              |
| ٣٨  | • النسخة الثانية: نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض:           |
| ٤١  | نماذج من صور النسخ الخطية المعتمدة                                         |
| ٤٥  | مَقَدِّمَةٌ                                                                |
| ٥٠  | المقدمة الأولى                                                             |
|     | الباب الأول: في نزول القرآن، وجمعه في المصحف، ونقطه، وتحزيه، وتعشيره،      |
| ٥٠  | وذكر أسمائه                                                                |
| ٥٤  | الباب الثاني: في السور المكية والمدنية                                     |
| ٥٦  | الباب الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن                        |
| ٦٠  | الباب الرابع: في فنون العلوم التي تتعلق بالقرآن                            |
|     | الباب الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه التي تُرجَّح بها بين    |
| ٦٨  | أقوالهم                                                                    |
| ٧١  | الباب السادس " في ذكر المفسرين                                             |
| ٧٦  | الباب السابع: في النسخ والمنسوخ                                            |
| ٨٦  | الباب الثامن: في جوامع القراءات                                            |
| ٨٩  | الباب التاسع: في المواقف                                                   |
| ٩١  | الباب العاشر: في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان                            |
| ٩٥  | الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل |
| ٩٧  | الباب الثاني عشر: في فضائل القرآن                                          |
| ١٠٠ | المقدمة الثانية: في تفسير معاني اللغات                                     |
| ١٠١ | حرف الهمزة                                                                 |
| ١٠٨ | حرف الباء                                                                  |
| ١١٢ | حرف التاء                                                                  |
| ١١٣ | حرف الشاء                                                                  |
| ١١٤ | حرف الجيم                                                                  |

|     |                      |
|-----|----------------------|
| ١١٦ | حرف الحاء            |
| ١٢٢ | حرف الخاء            |
| ١٢٤ | حرف الدال            |
| ١٢٦ | حرف الذال            |
| ١٢٦ | حرف الراء            |
| ١٢٩ | حرف الزاي            |
| ١٣١ | حرف الطاء            |
| ١٣٢ | حرف الظاء            |
| ١٣٣ | حرف الكاف            |
| ١٣٦ | حرف اللام            |
| ١٣٨ | حرف الميم            |
| ١٤٢ | حرف النون            |
| ١٤٦ | حرف الصاد            |
| ١٤٨ | حرف الضاد            |
| ١٤٩ | حرف العين            |
| ١٥٤ | حرف الغين            |
| ١٥٥ | حرف الفاء            |
| ١٥٨ | حرف القاف            |
| ١٦٢ | حرف السين            |
| ١٦٧ | حرف الشين            |
| ١٦٨ | حرف الهاء            |
| ١٧٠ | حرف الواو            |
| ١٧٤ | حرف الياء            |
| ١٧٦ | الكلام على الاستعاذة |
| ١٧٩ | الكلام على البسملة   |
| ١٨٥ | سورة أم القرآن       |

|           |                       |
|-----------|-----------------------|
| ١٩٦ ..... | سُورَةُ الْفُرْقَانِ  |
| ٣٧٨ ..... | سُورَةُ الزُّمَرِ     |
| ٤٥٠ ..... | سُورَةُ النَّازِعَاتِ |
| ٥٤٦ ..... | سُورَةُ النَّازِعَاتِ |
| ٦٢٥ ..... | سُورَةُ الْأَنْعَامِ  |
| ٦٩٠ ..... | سُورَةُ الْأَنْعَامِ  |
| ٧٦٨ ..... | الفهرس                |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# التَّهْلِيلُ الْعُلُومُ التَّنْزِيلُ

تأليف العلامة الفسرافي القاسم  
محمد بن أحمد ابن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ الأندلسي الغرناطي  
رحمه الله وتقبله في الشَّهَادَةِ (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وبها مِشْه

## التَّعْلِيلَاتُ عَلَى التَّنْزِيلِ الْعُقَدَاتُ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَاءِ  
حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَفَعَ يَدَهُ

الجزء الثاني

مِنْ الْأَنْفَالِ إِلَى فَاطِرِ

تقيق  
د. علي بن محمد الصايحي  
عضو هيئة التدريس بجامعة أمم القرى

دار الكتب والوثائق  
للطباعة والنشر



التَّسْمِيَةُ بِالْعِلْمِ مِنَ التَّنْزِيلِ

وَبِهَامِشِهِ

التَّعْلِيْقَاتُ عَلَى لِسَانِ الْعَقَدَاتِ

ح دار طيبة الخضراء ، 1444 هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغرناطي ، محمد أحمد ابن جزى الكلبي  
التسهيل لعلوم التنزيل

وبهامشه التعليقات على المسائل العقدية 1 ❖ 3

محمد أحمد ابن جزى الكلبي الغرناطي ؛ علي بن محمد الصالحى - ط 2 - مكة المكرمة ، 1443 هـ

1 مج 770 ص؛ 24×17 سم

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8310-72-4 (ج2)

1- القرآن - تفسير أ. الصالحى، علي بن محمد (محقق) ب. العنوان

1442/8517

ديوي 227,3

رقم الإيداع: 1442/8517

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8310-72-4 (ج2)

يمكنكم طلب الكتب عبر

متجرنا الإلكتروني



حيثما كنت يصلك طلبك

حقوق الطبع محفوظة

(الطبعة الخامسة 1444 هـ - 2023 م)



f dar.taibagreen123

dar.taiba

@dar\_tg

dar\_tg

M dartaibagreen@gmail.com @ yyy.01@hotmail.com

0125562986

0550428992

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

# التَّسْهِيلُ الْعِلْمُ مِنَ التَّنْزِيلِ

تأليف العلامة الفسّر أبي القاسم  
محمد بن أحمد ابن جزيّ الكلبّي الأندلسيّ الغرناطيّ  
رحمه الله وتقبّله في الشّهَاد (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وبها مِشْه

## التَّعْلِيْقَاتُ عَلَى الْمَسَائِلِ الْعُقَدِيَّةِ

لفضيلة الشيخ العلامة  
عبد الرحمن بن ناصر البراك  
حفظه الله تعالى ونفع به

الجزء الثاني  
من الأنفال إلى فاطر

تحقيق  
د. علي بن حمد الصايحي  
عضو هيئة التدريس بجامعة أمم القرى



سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ





## سُورَةُ الْأَنْفَالِ

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا  
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا  
 تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَفِيضُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا  
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ  
 كَرِيمٌ ﴿٤﴾ \* كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٥﴾  
 يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ  
 يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ  
 وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ  
 وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ» الخطاب للنبي ﷺ، والسائلون: هم الصحابة. و«الأنفال»: هي الغنائم. وذلك أن الصحابة ﷺ كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبي ﷺ في العريش تحرسه وتؤنسه. وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم. وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا. فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأيت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية، ومعناها: يسألك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها.

وقيل: الأنفال هنا: ما ينقله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه.

وقد اختلف الفقهاء هل يكون هذا التنفيل<sup>(١)</sup> من الخمس - وهو قول مالك -؟ أو من الأربعة الأخماس<sup>(٢)</sup>؟ أو من رأس الغنيمة قبل إخراج الخمس؟

﴿قُلِ الْأَنْبَاءُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: الحكم فيها لله وللرسول، لا لكم.

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: اتفقوا واتلفوا، ولا تنازعوا. و﴿ذَاتَ﴾ هنا بمعنى: الأحوال؛ قاله الزمخشري<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عطية: يراد بها في هذا الموضع: نفس الشيء وحقيقته<sup>(٤)</sup>. وقال الزبيدي<sup>(٥)</sup>: إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب<sup>(٦)</sup>.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يريد: في الحكم في الغنائم. قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسوله ﷺ فقسمها على السواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين<sup>(٧)</sup>.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية؛ أي: الكاملون بالإيمان، ف﴿إِنَّمَا﴾ هنا للتأكيد والمبالغة، لا للحصر<sup>(٨)</sup>.

﴿وَجِلَّتْ لُؤْلُؤُهُمْ﴾ أي: خافت، وقرأ أبي بن كعب: «فَرَعَتْ»<sup>(٩)</sup>.

(١) في أ، ب، هـ: «المتنفل».

(٢) وهو قول أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/١٤١).

(٣) انظر: الكشاف (١٠/٧).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/١٣٣).

(٥) هو أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي الإشبيلي النحوي، صاحب «مختصر العين» و«طبقات النحويين»، و«لحن العوام» وغيرها من المصنفات، توفي سنة (٣٧٩هـ). انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (١/٢٥١٨)، وبغية الوعاة، للسيوطي (١/٨٤).

(٦) انظر: لحن العوام (ص: ١٢).

(٧) أخرجه الطبري (١١/١٤)، وأحمد (٢٢٧٤٧)، والحاكم (٣٤٥٩)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر في الفتح (٦/١٩٩).

(٨) في أ، ب، هـ: «والحصر»، والمثبت الصواب كما في المحرر الوجيز (٤/١٣٥).

(٩) ذكرها ابن عطية في تفسيره (٤/١٣٦).



﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: قَوِيَ تصديقهم وبقينهم، خلافًا لمن قال: إن الإيمان لا يزيد، وإن زيادته إنما هي بالعمل<sup>(١)</sup>.

﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ يعني: في الجنة.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ فيه ثلاث تأويلات<sup>(٢)</sup>:

أحدها: أن تكون الكاف في موضع رفع؛ على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذه الحال كحال إخراجك؛ يعني: أن حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في كراهة<sup>(٣)</sup> خروجك للحرب.

والثاني: أن يكون موضع الكاف نصبًا؛ على أنه صفة لمصدر الفعل المقدّر في قوله: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: استقرّت الأنفال لله والرسول استقرارًا مثل استقرار خروجك. والثالث: أن تتعلّق الكاف بقوله: ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿مِنْ بَيْتِكَ﴾ يعني: مَسْكَنُهُ بالمدينة إذ أخرجه الله منه لغزوة<sup>(٥)</sup> بدر.

﴿وَإِنَّ بَرِيضًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ أي: كرهوا قتال العدو، وذلك أن عِيرَ قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة، ومعها أربعون راكبًا، فأخبر بذلك جبريلُ النبي ﷺ، فخرج بالمسلمين، فسمع بذلك أهل مكة، فاجتمعوا وخرجوا في عدد كثير؛ ليمنعوا غيرهم،

(١) [التعليق ٥٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «قَوِيَ تصديقهم وبقينهم» إلخ، ما اختار المؤلف من إثبات زيادة الإيمان ومتعلّقها، وهو إيمان القلب وبقينه هو الصواب، وقوله: «خلافًا لمن قال: إن الإيمان لا يزيد، وإن زيادته إنما هي بالعمل»، وهم المرجئة، ومنهم الأشاعرة، ويخصّون زيادته بزيادة العمل، وما اختار المؤلف هو مذهب أهل السنة، فمن أصولهم أن الإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف، ودلائل ذلك من الكتاب والسنة كثيرة معلومة، كقوله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾، وقوله: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾، وقوله سبحانه: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وقوله ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان» [أخرجه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد].

(٢) كذا في أ، ب، هـ وهو لغة، وانظر التعليق على نظيره عند تفسير المؤلف للآية رقم (٥٥) من سورة الأعراف، وفي ج، د: «ثلاثة أوجه».

(٣) في أ، ب، هـ: «حالة».

(٤) والتقدير: يجادلونك في الحق مجادلةً ككراهتهم إخراج ربك إياك من بيتك. المحرر الوجيز (٤/ ١٣٨).

(٥) في أ، ب، هـ: «بغزوة».



فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريشاً، فاستشار النبي صلى الله عليه وآله أصحابه فقالوا: العير أحبُّ إلينا من لقاء العدو، فقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقال له سعد بن عبادَةَ عليه السلام: امض لما شئت فإننا متبعوك، وقال سعد بن معاذ عليه السلام: والذي بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك؛ فسر بنا على بركة الله<sup>(١)</sup>.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ كان جدالهم في لقاء قريش؛ لإيثارهم لقاء العير؛ إذ كانت أكثر أموالاً وأقل رجالاً. وتبين الحق: هو إعلام رسول الله صلى الله عليه وآله بأنهم ينصرون. ﴿كَأَنَّمَا يَسَافُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ تشبيه لحالهم في إفراط جزعهم من لقاء قريش. ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ يعني: قريشاً أو عيرهم. والعامل في «إذ» محذوف تقديره: اذكروا.

﴿أَتَيْهَا لَكُمْ﴾ بدل من «إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ». ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الشُّوْكَة: عبارة عن السلاح، سميت بذلك لحِدَّتِها، والمعنى: تحبون أن تلقوا الطائفة التي لا سلاح لها؛ وهي العير. ﴿أَنْ يُحِقَّ الْحَقُّ﴾ يعني: يُظهر الإسلام؛ بقتل الكفار وهلاكهم يوم بدر.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقُّ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك، وليس تكراراً للاول؛ لأن الاول مفعول «يُرِيدُ»، وهذا تعليل لفعل الله تعالى. ويحتمل أن يريد بـ «الْحَقِّ» الاول: الوعد بالنصرة، وبـ «الْحَقِّ» الثاني: الإسلام؛ فيكون المعنى: أنه نصرهم؛ ليظهر الإسلام، ويؤيد هذا قوله: ﴿وَيَبْطِلُ الْبَاطِلُ﴾ أي: يبطل الكفر.



(١) أخرجه الطبري (١١/٤١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/٣١-٣٥) من حديث ابن إسحاق.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّهُ مُمِידُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿١﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿٣﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَالِفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ بَاضِرُوا بِقُوَّةِ الْأَعْنَانِ وَاضِرُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّوْفُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿٦﴾

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ «إِذْ» بدل من «إِذْ يَعِدُكُمْ»، وقيل: تتعلق بقوله: «لِيُجِزَّ الْحَقَّ»، أو بفعل مضمر. واستغاثتهم: دعاؤهم بالغوث والنصر. «مُمِيدُكُمْ» أي: مُكثِّرُكم.

«مُرْدِفِينَ» من قولك: ردّفه: إذا تبعه، وأردفته إياه: إذا أتبعته إياه، والمعنى: يتبع بعضهم بعضاً. فمن قرأه بفتح الدال<sup>(١)</sup>: فهو اسم مفعول، ومن قرأه بالكسر: فهو اسم فاعل. وصحّ معنى القراءتين؛ لأن الملائكة المنزلين تبع بعضهم بعضاً، فمنهم تابعون ومتبعون. ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ الضمير عائد على الوعد، أو على الإمداد بالملائكة.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسُ﴾ «إِذْ» بدل من «إِذْ يَعِدُكُمْ»، أو منصوب: بـ «النَّصْر»<sup>(٢)</sup>، أو بما بما في «عِنْدَ اللَّهِ» من معنى النصر<sup>(٣)</sup>، أو بإضمار فعل تقديره: اذكر. ومن قرأ «يُغَشِّيكُمُ» - بضم الياء والتخفيف -<sup>(٤)</sup>: فهو من أغشى، ومن قرأ بالضم والتشديد: فهو

(١) قرأ نافع بفتح الدال، وقرأ الباقون بالكسر.

(٢) التقدير: وما النصر إذ يغشيكُم النعاس إلا من عند الله. البحر المحيط (٣١/١١).

(٣) كذا في الكشاف (٣٨/٧): «من معنى الفعل الذي هو: استقرّ، فيكون التقدير: استقرار النصر من عند الله وقت غشي النعاس. البحر المحيط (٣١/١١).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو «يَغْشَاكُمْ» بفتح الياء والشين والفاء بعدها و«النعاس» بالرفع، وقرأ نافع «يُغَشِّيكُمُ» بضم الياء وكسر الشين وياء بعدها ونصب «النعاس»، وقرأ الباقون «يُغَشِّيكُمُ» بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين ونصب «النعاس».

من غشي المشدّد، وكلاهما يتعدّى إلى مفعولين؛ فنصب ﴿النَّعَاسَ﴾ على أنه المفعول الثاني، والمعنى: يغطيكم به؛ فهو استعارة من الغشاء. ومن قرأ بفتح الياء والشين: فهو من غشي المتعدي إلى واحد؛ أي: ينزل عليكم النعاس.

﴿أَمَنَةً مِنْهُ﴾ أي: أماناً، والضمير المجرور يعود على الله تعالى، وانتصاب ﴿أَمَنَةً﴾ على أنه مفعول من أجله. قال ابن مسعود رضي الله عنه: النعاس عند حضور القتال علامة أمان من العدو <sup>(١)</sup>. ﴿وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ تعديداً لنعمة أخرى؛ وذلك أنهم عَدِمُوا الماءَ في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر - وقيل: بعد وصولهم -، فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية. ﴿لَيُظْهِرَكُمْ بِهِ﴾ كان منهم من أصابته جنابة فتطهر بماء المطر، وتوضأ به سائرهم، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهور <sup>(٢)</sup> ولا للوضوء.

﴿وَيَذْهَبَ عَنْكُمُ رَجَزُ الشَّيْطَانِ﴾ كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسةً بسبب عدمهم الماء، فقالوا: نحن أولياء الله وفينا رسوله فكيف نبقي بلا ماء؟ فأنزل الله المطر، وأزال عنهم وسوسة الشيطان.

﴿وَلَيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان، وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ الضمير في ﴿بِهِ﴾ عائذ على الماء؛ وذلك أنهم كانوا في رَمْلَةٍ دُهْسَةٍ <sup>(٣)</sup> لا يثبت بها قدم، فلما نزل المطر تلبّدت وتدمّت الطريق، وسهل للمشي والوقوف. وروي: أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين؛ فتبين أن ذلك من لطف الله. ﴿إِذْ يُوحِي﴾ يحتمل أن يكون بدلاً من «إذ» المتقدمة، كما أنها بدل من التي قبلها، أو يكون العامل فيه ﴿وَيُثَبِّتَ﴾.

(١) أخرجه الطبري (١٦٣/٦)، وابن أبي حاتم (٧٩٣/٣)، وابن المنذر في تفسيره (٤٥٤/٢) بلفظ: «النعاس في القتال أمانة، والنعاس في الصلاة من الشيطان».

(٢) في أ، ب: «للطهر».

(٣) الدّهسة: الأرض السهلة اللينة التي يثقل فيها المشي، وتغيب فيها القوائم. لسان العرب (٣٩٢/٧).

﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا) <sup>(١)</sup> التَّثْبِيتُ: بِقِتَالِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ بِأَقْوَالٍ مُؤَسَّسَةٍ مَقْوِيَةٍ لِلْقَلْبِ قَالُوهَا إِذْ تَصَوَّرُوا فِي صُورِ بَنِي آدَمَ، أَوْ بِالْقَاءِ فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ خُطَابِ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ فِي شَأْنِ غَزْوَةِ بَدْرٍ؛ تَكْمِيلًا لِتَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ اسْتِثْنَاءً إِنْخِبَارٍ عَمَّا يَفْعَلُهُ اللَّهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

﴿بَاضِرْبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ يَحْتَمِلُ -أَيْضًا- أَنْ يَكُونَ: خُطَابًا لِلْمَلَائِكَةِ، أَوْ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَمَعْنَى ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾: أَعَالِي الْأَعْنَاقِ؛ حَيْثُ الْمَفْصَلُ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالْعُنُقِ؛ لِأَنَّهُ مَذْبَحٌ، وَالضَّرْبُ فِيهَا يَطِيرُ الرَّأْسُ. وَقِيلَ: الْمَرَادُ الرُّؤُوسُ؛ لِأَنَّهَا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، وَقِيلَ: الْمَرَادُ الْأَعْنَاقِ، وَ﴿فَوْقَ﴾ زَائِدَةٌ.

﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ قِيلَ: هِيَ الْمَفَاصِلُ، وَقِيلَ: الْأَصَابِعُ؛ وَهُوَ أَشْهَرُ فِي اللُّغَةِ، وَفَائِدَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْمُقَاتِلَ إِذَا ضُرِبَتْ أَصَابِعُهُ تَعَطَّلَ مِنَ الْقِتَالِ فَأَمْكَنَ أُسْرُهُ وَقَتْلُهُ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الْإِشَارَةُ إِلَى مَا أَصَابَ الْكَفَّارَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالْبَاءُ لِلتَّعْلِيلِ، وَ﴿شَاقُّوا﴾: مِنَ الشَّقَاقِ؛ وَهُوَ الْعِدَاوَةُ وَالْمَقَاطَعَةُ.

﴿ذَلِكَ بِذُوقُوهُ﴾ الْخُطَابُ -هَنَا- لِلْكَفَّارِ. وَ﴿ذَلِكَ﴾ مَرْفُوعٌ تَقْدِيرُهُ: ذَلِكَ الْعِقَابُ أَوْ الْعَذَابُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِقَوْلِهِ: ﴿بَذُوقُوهُ﴾، كَقَوْلِكَ: زَيْدًا فَاضْرِبْهُ.

﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿ذَلِكَ﴾ عَلَى تَقْدِيرِ رَفْعِهِ، أَوْ نَصْبِهِ، أَوْ مَفْعُولٍ مَعَهُ، وَالْوَاوُ بِمَعْنَى «مَعَ».



﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَفِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْبًا فَلَا تُولُوهُمْ الْاَدْبَرَ ۝ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ ذُبْرَةً إِلَّا مُتَحَرِّبًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ بَيْتَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَبُّهُمُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَنَدَ الْكُفَّيرِينَ ۝ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الَّتَبَتُحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَبُهِتُمْ فَهَوْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدَ وَلَئِنْ نَّغْنِي عَنْكُمْ وَنُنَظِّمَ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾

﴿رَحْبًا﴾ حال من «الَّذِينَ كَفَرُوا»، أو من الفاعل في «لَفِيتُمْ». ومعناه: متقابلتي الصفوف والأشخاص، وأصل الزحف: الاندفاع.

﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْاَدْبَرَ﴾ نهي عن الفرار، مقيد بأن لا يكون<sup>(١)</sup> الكفار أكثر من مثلي المسلمين حسبما يُذكر في موضعه.

﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ﴾ أي: يوم اللقاء، في أي عصر كان.

﴿إِلَّا مُتَحَرِّبًا لِّقِتَالٍ﴾ هو الكرُّ بعد الفر؛ ليرى عدوه أنه منهزم، ثم يعطف عليه، وذلك من الخِداع في الحرب.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ بَيْتَةٍ﴾ أي: منحازًا إلى جماعة من المسلمين. فإن كانت الجماعة حاضرة في الحرب: فالتحيز إليها جائز باتفاق. واختلف في التحيز إلى المدينة والإمام والجماعة إذا لم يكن شيء من ذلك حاضرًا، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «أنا فتنة لكل مسلم»<sup>(٢)</sup>، وهذا إباحة لذلك. والفرار من الذنوب الكبائر.

وانتصب قوله: «مُتَحَرِّبًا» على الاستثناء من قوله: «وَمَنْ يُولِهِمْ»، وقال الزمخشري:

(١) في أ، ب، د: «بأن يكون».

(٢) أخرجه الطبري (٨٠-٨١)، وابن أبي حاتم (١٦٧١/٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٣٧٦)، وعبد الرزاق (٩٥٢٤)، والبيهقي (١٨٠٨٤) من طريق الشافعي، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (١٤٢/٩).





انتصب على الحال، و«إِلَّا» لغو<sup>(١)</sup>.

ووزن «متحيز»: مُتَفَاعِل، ولو كان على متفعل لقال: «متحوز»، لأنه من حاز يحوز.  
 ﴿وَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي: لم يكن قتلهم في قدرتكم؛ لأنهم أكثر منكم وأقوى، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بتأييدكم عليهم وبالملائكة.  
 ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ كان رسول الله ﷺ قد أخذ يوم بدر قبضةً من تراب أو حصي ورمى بها وجوه الكفار فانهمزوا<sup>(٢)</sup>. فمعنى الآية: أن ذلك من الله في الحقيقة.  
 ﴿بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ يعني: الأجر والنصر والغنيمة.

﴿مُوهِنٌ﴾ من الوهن؛ وهو الضعف، وقرئ بالتشديد والتخفيف<sup>(٣)</sup>؛ والمعنى واحد.  
 ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ الآية؛ خطاب لكفار قريش، وذلك أنهم كانوا قد دعوا إلى الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه - وروي أن الذي دعا بذلك أبو جهل<sup>(٤)</sup> -، فنصر الله المؤمنين، وفتح لهم. ومعنى ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾: تطلبوا الفتح. ويحتمل الفتح الذي طلبوه أن يكون بمعنى النصر، أو بمعنى الحكم. وقيل: إن الخطاب للمؤمنين.  
 ﴿بَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ إن كان الخطاب للكفار: فالفتح هنا بمعنى الحكم؛ أي: قد جاءكم الحكم الذي حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر.

(١) انظر: الكشف (٥١/٧)، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٢٩٣/٥): «ولا يريد الزمخشري بقوله «وإلا» لغو» أنها زائدة، إنما يريد أن العامل الذي هو «يولهم» وصل إلى العمل فيما بعدها، كما قالوا في «لا» من قولهم: «جئت بلا زاد» إنها لغو، وفي الحقيقة هو استثناء من حالة محذوفة والتقدير: ومن يولهم ملتبساً بأية حالة إلا في حال كذا».

(٢) أخرجه الطبري (٨٥/١١)، وابن أبي حاتم (١٦٧٣/٥) عن ابن زيد، وأخرجه الطبري أيضاً عن محمد بن كعب القرظي.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿مُوهِنٌ كِيدٌ﴾ بتشديد الهاء والتنوين ونصب ﴿كِيدٌ﴾، وروى حفص عن عاصم: ﴿مُوهِنٌ كِيدٌ﴾ بالتخفيف من غير تنوين وخفض ﴿كِيدٌ﴾، وقرأ الباقر: ﴿مُوهِنٌ كِيدٌ﴾ بالتخفيف والتنوين والنصب.

(٤) أخرجه الطبري (٩٣/١١)، وابن أبي حاتم (١٦٧٥/٥) والنسائي في الكبرى (١١١٣٧)، وأحمد (٢٣٦٦١)، والحاكم (٣٢٦٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر.

وإن كان الخطاب للمؤمنين: فالفتح هنا يحتمل أن يكون: بمعنى الحكم؛ لأن الله حكم لهم، أو بمعنى النصر.

﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ أي: ترجعوا عن الكفر، وهذا يدل على أن الخطاب للكفار.

﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعَذِّبْ﴾ أي: إن تعودوا للاستفتاح أو للقتال نعد لقتلكم والنصر عليكم.



يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١١﴾ \* إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٣﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَاسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِ تَخْشَوْنَ ﴿١٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّبَكُمُ النَّاسُ فَيَوْبِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُنْزِرُهُ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿١٠﴾ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ الضمير للرسول ﷺ، أو للأمر بالطاعة.

﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: تسمعون القرآن والمواعظ.

﴿١١﴾ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ هم الكفار؛ أي: سمعوا بأذانهم دون قلوبهم، فسماعهم كلا سماع.

﴿١٢﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ أي: كل من يدب، والمقصود: أن الكفار شرُّ الخلق. قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار<sup>(١)</sup>؛ فإنهم جدُّوا في القتال مع المشركين.

﴿١٣﴾ لِمَا يُحْيِيكُمْ أي: للطاعة، وقيل: للجهاد؛ لأنه يُحيي<sup>(٢)</sup> بالنصر.

﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قيل: يُؤمِّتُه، وقيل: يُصَرِّفُ قلبه كيف يشاء؛ فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان، وشبه ذلك.

﴿١٥﴾ فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً أي: لا تصيب الظالمين وحدهم، بل تصيب معهم من لم يغيِّر المنكر ولم ينه عنه عن الظلم؛ وإن كان لم يظلم.

(١) عزاه إلى ابن قتيبة وهو ثابت في البخاري (٤٦٤٦) عن ابن عباس ؓ.

(٢) في د: «يحيي».



وحكى الطبري أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وطلحة والزبير رضي الله عنهم، وأن الفتنة: ما جرى لهم يوم الجمل<sup>(١)</sup>.

ودخلت النون في «تُصَيِّئَ»؛ لأنه بمعنى النهي.

﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ الآية؛ أي: حين كانوا بمكة، و«أَوْيَكُمُ» بالمدينة، و«أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ» في بدر وغيرها.

﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ نزلت في قصة أبي لُبابة رضي الله عنه، حين أشار إلى بني قريظة أن ليس عند رسول الله ﷺ إلا الذَّبْحُ<sup>(٢)</sup>. وقيل: المعنى: لا تخونوا بغُلُولِ الغنائم. ولفظها عامٌ. ﴿وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ﴾ عطفٌ على «لَا تَخُونُوا»<sup>(٣)</sup>، أو منصوب<sup>(٤)</sup>.



(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١١٣).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٤) عن عبد الله بن أبي قتادة، وأخرجه الطبري أيضا عن الزهري.

(٣) فمكانه على هذا جزمٌ. المحرر الوجيز (٤/ ١٧٠).

(٤) بإضمار أن، تقديره: «وأن تخونوا أماناتكم». المحرر الوجيز (٤/ ١٧٠).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾ وَاِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ اَوْ يَقْتُلُوكَ اَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ ﴿١٦﴾ \* وَاِذَا تُثْلِي عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا اِنْ هَذَا اِلَّا اَسْطِيرُ الْاَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ وَاِذْ قَالُوا اَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ اَوْ اِيتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ بِيَهُمْ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٩﴾ وَمَا لَهُمْ اِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا اَوْلِيَاءَهُ اِنْ اَوْلِيَاؤُهُ اِلَّا الْمُتَّفِقُونَ وَلَكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ اِلَّا مُكَاةً وَتَضْيِيقَةً بَدُّوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْهَيُّوْنَ اَمْوَالَهُمْ لِيَصَّدَّقُوا عَنِ سَبِيلِ اللّٰهِ فَسَيَنْهَوْنَهَا ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُوْنَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا اِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿٢٢﴾ لِيَمِيزَ اللّٰهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيْثَ بَعْضُهُ عَلٰى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٢٣﴾

﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي: تفرقة بين الحق والباطل؛ وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة.

﴿وَاِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عطف على ﴿اِذْ اَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾، أو استئناف. وهي إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدى.. الحديث بطوله<sup>(١)</sup>.  
﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي: يسجنوك.

﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث؛ كان قد تعلم من أخبار فارس والروم، فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال: لو شئت لقلت مثل هذا<sup>(٢)</sup>، وقيل: هي في سائر قريش.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣٤) من طريق ابن إسحاق عن ابن عباس ؓ.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٩) عن سعيد بن جبيرة والسدي، وأخرجه الطبري أيضا عن ابن جريج.

﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أخبارهم المسطورة.

﴿وَاذْكُرُوا لِلَّهِ الْآيَةَ﴾ قائلها<sup>(١)</sup>: النضر بن الحارث، أو سائر قريش؛ لما كذبوا النبي ﷺ دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق. والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل. رواه البخاري ومسلم في كتابيهما<sup>(٢)</sup>. وانتصب ﴿الْحَقُّ﴾؛ لأنه خبر كان.

وقال الزمخشري: معنى كلامهم جحود؛ أي: إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقاباً، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم، إنما مرادهم نفي العقوبة عن أنفسهم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ إكرام للنبي ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب. قال بعض السلف: كان لنا أمانان من العذاب؛ وهما: وجود النبي ﷺ، والاستغفار، فلما مات النبي ﷺ ذهب الأمان الواحد، وبقي الآخر<sup>(٤)</sup>. وقيل: الضمير في ﴿يُعَذِّبَهُمْ﴾ للكفار، وفي ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ المعنى: أي شيء يمنع من عذابهم.

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام، والجملة في موضع الحال، وذلك هو<sup>(٥)</sup> الموجب لعذابهم.

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ﴾ الضمير: للمسجد الحرام، أو لله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ المكاء: التصفير بالضم، والتصدية: التصفيق باليد، وكانوا يفعلونها إذا صلى المسلمون؛ ليخلطوا عليهم صلاتهم.

(١) في د: «قائلها».

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٢٧٩٦) عن أنس ؓ.

(٣) انظر: الكشاف (٨٧/٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥١/١-١٥٣) من قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وأبي العلاء ؓ.

(٥) في أ، ب: «من».

﴿يُنْعِقُونَ آمَوَالَهُمْ﴾ الآية؛ نزلت في إنفاق قريش في غزوة أحد<sup>(١)</sup>. وقيل: إنها نزلت في أبي سفيان بن حرب؛ فإنه استأجر ألفين من الأحابيش<sup>(٢)</sup> فقاتل بهم النبي ﷺ يوم أحد<sup>(٣)</sup>.  
﴿تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة، أو يتأسفون في الآخرة.  
﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ إخبار بالغيب.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ معنى «يَمِيزُ»: يفرق بين الخبيث والطيب. والخبيث هنا: الكفار، والطيب: المؤمنون، وقيل: الخبيث: ما أنفق الكفار، والطيب: ما أنفق المؤمنون، واللام في «لِيَمِيزَ» -على هذا- تتعلق بـ«يُغْلَبُونَ»، وعلى الأول: بـ«يُخْشَرُونَ».

﴿فَيَرْكُمَهُ﴾ أي: يضمه ويجعل بعضه فوق بعض.



(١) أخرجه الطبري (١٧٣/١١) وابن أبي حاتم (١٦٩٨/٥) عن ابن إسحاق.

(٢) في أ: «الأحباش»، وفي ب، ج، هـ: «الأحابش»، وفي سيرة ابن هشام (١/٣٧٣): «قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون ابن خزيمة بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة. قال ابن هشام: تحالفوا جميعا، فسموا الأحابيش؛ لأنهم تحالفوا بواد يقال له الأخبش بأسفل مكة».

(٣) أخرجه الطبري (١٧٠/١١) وابن أبي حاتم (١٦٩٧/٥) عن سعيد بن جبيرة وغيره.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ بَرًا أَوْ فَارًّا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا بَاعِلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلِيكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٣٠﴾ \* وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَافِ الْجَنَّةِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدَّةِ الْفُضُوءِ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَدِ وَلَكِنَّ لَيْفُضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴿٣٢﴾ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّىٰ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ فَلْيَلَّاحَ وَلَوْ أَرَيْكُهُمْ كَثِيرًا لَبَشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٥﴾

﴿٢٨﴾ إِنْ يَنْتَهُوا يعني: عن الكفر؛ لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، ولا تصحُّ المغفرة إلَّا به.

﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ يعني: إلى القتال.

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ تهديد بما جرى لهم يوم بدر، أو بما جرى للأمم السالفة.

﴿٣١﴾ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ الفتنة هنا: الكفر؛ فالمعنى: قاتلوهم حتى لا يبقى كفر، فهو كقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

﴿٣٢﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ لفظه عامٌ يراد به الخصوص؛ لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار: منها ما يخمس؛ وهو ما أخذ على وجه الغلبة بعد القتال. ومنها ما لا يخمس، بل يكون جميعه لمن أخذه؛ وهو ما أخذه مَنْ كان ببلاد الحرب من غير إيجاب، وما طرحه العدو خوف الغرق.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠) عن أبي هريرة ؓ.



ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته، ويصرف سائرَه في مصالح المسلمين؛ وهو الفيء الذي لم يُوجَف عليه بخيل ولا ركاب.

﴿بَاقًا لِلَّهِ خُمُسُهُ﴾ الآية؛ اختلف في قَسَمِ الخُمس على هذه الأصناف: فقال قوم: يصرف على ستة أسهم: سهم الله<sup>(١)</sup> في عمارة الكعبة، وسهم النبي<sup>(٢)</sup> ﷺ في مصالح المسلمين - وقيل: للوالي<sup>(٣)</sup> بعده -، وسهم لذوي القربى الذين لا تحلُّ لهم الصدقة، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل.

وقال الشافعي<sup>(٤)</sup>: على خمسة أسهم، ولا يجعل لله سهمًا مختصًا، وإنما بدأ -عنده- بالله؛ لأن الكلَّ مُلكه.

وقال أبو حنيفة: على ثلاثة أسهم: لليتامى، والمساكين، وابن السبيل خاصة.

وقال مالك: الخمس إلى اجتهاد الإمام، يأخذ منه كفايته، ويصرف الباقي في المصالح.

﴿إِنْ كُنْتُمْ دَعَاؤَكُمْ بِاللَّهِ﴾ راجعٌ إلى ما تقدم، والمعنى: إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس، واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ يعني: النبي ﷺ. والذي أنزل عليه: القرآن أو النصر.

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي: التفرقة بين الحق والباطل، وهو يوم بدر.

﴿إِلْتَقَى الْجَمْعَيْنِ﴾ يعني: المسلمين والكفار.

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿إِلْتَقَى﴾. والعدوة: سفير الوادي، وقرئ بالضم والكسر<sup>(٥)</sup>؛ وهما لغتان. و﴿الدُّنْيَا﴾: القريبة من المدينة، و﴿الْفُضُوءِ﴾: البعيدة.

(١) في أ، ب: «الله».

(٢) في أ، ب: «النبي».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «للموالي».

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/٢٢٧).

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر العين، وقرأ الباقون بضمها.

﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ يعني: العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكّب عن الطريق؛ خوفاً من النبي ﷺ، وكان جمعُ قريشِ المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي: لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقتلتم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم، أو: لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي: يموت من مات ببدر عن إظهار وإقامة حجة عليه، ويعيش من عاش بعد البيان له، وقيل: ﴿لِيَهْلِكَ﴾: يكفر، ﴿وَيَحْيَى﴾: يؤمن. وقرئ ﴿مَنْ حَيٍّ﴾ بالإظهار والإدغام<sup>(١)</sup>؛ وهما لغتان.

﴿إِذْ يَرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ الآية؛ كان رسول الله ﷺ قد رأى الكفار في نومه قليلاً، فأخبر بذلك أصحابه فقويت نفوسهم.

﴿لَقَبِشْتُمْ﴾ أي: جبستم عن اللقاء.

﴿وَإِذْ يَرِيكُمُوهُمْ﴾ الآية؛ معناها: أن الله أظهر كل طائفة قليلة في عين الأخرى؛ ليقع التجاسر على القتال.



(١) قرأ نافع والبرقي عن ابن كثير وشعبة عن عاصم: ﴿مَنْ حَيٍّ﴾ بالإظهار، وقرأ الباقون ﴿مَنْ حَيٍّ﴾ بالإدغام.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَفِيتُمْ بِهِ فَائِبَتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٧﴾ وَأَطِيعُوا  
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا بَيْنَهُمْ فَيَذَّهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا  
 تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا  
 يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٥٩﴾ \* وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ  
 وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْمَيْتَتِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى  
 مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦٠﴾

﴿٥٧﴾ «رِيحُكُمْ» أي: قوتكم ونشاطكم؛ وذلك استعارة.

﴿٥٨﴾ «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» يعني: قريشا الكفار حين خرجوا لبدر.

«بَطَرًا» أي: اعتداء<sup>(١)</sup> وتكبرا.

﴿٥٩﴾ «وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ» الآية؛ لما خرجت قريش إلى بدر تصور لهم إبليس في  
 صورة سراقه بن مالك، فقال لهم: إني جارٌّ لكم من قومي - وكانوا قد خافوا من قومه -،  
 ووعدهم النصر<sup>(٢)</sup>.

«نَكَصَ» أي: رجع إلى وراء.

«إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ» رأي<sup>(٣)</sup> الملائكة تقاتل.



(١) في هامش أ: «عتوا».

(٢) في أ، ب: «بالنصر».

(٣) في أ، ب، ج: «أرى».

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَتْرِكُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ وَذُفِرُوا عَذَابَ الْحَرِيبِ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥٢﴾ كَذَّابٍ عَالٍ مُّرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعْتَبِرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ كَذَّابٍ عَالٍ مُّرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ مُرْعُونَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ فِيمَا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْصِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٩﴾

﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الذين كانوا بالمدينة. وقيل: الذين كانوا مع الكفار، وهم نفر من قريش؛ منهم: قيس<sup>(١)</sup> بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زَمْعَة<sup>(٢)</sup> بن الأسود، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن مَنبّه بن الحجاج؛ وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة<sup>(٣)</sup>.

﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ أي: اغترّ المسلمون بدينهم، فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ ذلك فيمن قُتِل يوم بدر.

﴿وَأَذْبَرَهُمْ﴾ أي: أَسْتَاهَهُمْ، وقيل: ظهورهم.

(١) كذا في النسخ الخطية! وفي تفسير الطبري وسيرة ابن هشام (٦٤١/١): «أبو قيس».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «ربيعه»! والمثبت هو الصواب كما في تفسير الطبري، وسيرة ابن هشام (٦٤١/١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢٧/١١) عن مجاهد.



﴿وَذُوقُوا﴾ هذا من قول الملائكة لهم؛ تقديره: ويقولون لهم: ذوقوا. والقول المحذوف ومعموله معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾. ويحتمل أن يكون ما بعده من قول الملائكة، أو يكون مستأنفاً.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ تقديره عند سيئويه: الأمر ذلك، والباء سببية. والمعنى: أن الله لا يغير نعمة على عبده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي.

﴿كَذَّابٌ﴾ ذكر في «آل عمران»<sup>(١)</sup>.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ يريد: بني قريظة.

﴿بَشَرَدَ بِهِمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ﴾ أي: أفل بهم من النعمة ما يزجر غيرهم.

﴿وَأَمَّا تَخَابَسَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي: نقضاً للعهد.

﴿بِائِثٍ إِلَيْهِمْ﴾ أي: ردَّ العهد الذي بينك وبينهم، والمفعول محذوف؛ تقديره: فانبذ إليهم عهدهم.

﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي: على معدلة، وقيل: معناه: أن تستوي معهم في العلم بنقض العهد.



(١) انظر تفسير الآية (١١).

وَلَا تُحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿١٠﴾ \*وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُعِيقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

﴿وَلَا تُحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أي: لا تظنَّ أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: لا يفوتون في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ الضمير للذين يُبَدِّلُ إليهم العهد، أو للذين لا يُعْجِزُونَ. وحكمه عامٌّ في جميع الكفار.

﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي»<sup>(١)</sup>.

﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الزمخشري: الرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله<sup>(٢)</sup>. ابن عطية: رباط الخيل: جمع رِبَط، أو مصدر<sup>(٣)</sup>.

﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعني: الكفار.

﴿وَأَخْرَيْنَ﴾ يعني: المنافقين، وقيل: بني قريظة، وقيل: الجن؛ لأنها تنفر من سهيل الخيل، وقيل: فارس.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿مَرَدُّوا عَلَى النَّبِيِّ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٢].

(١) أخرجه مسلم (١٩١٧) عن عقبه بن عامر ؓ.

(٢) انظر: الكشاف (١٤١/٧).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢٢٧/٤).

قال السهيلي: لا ينبغي أن يقال فيهم شيء؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾، فكيف يعلمهم أحداً<sup>(١)</sup> وهذا لا يلزم؛ لأن معنى قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾: لا تعرفونهم؛ أي: لا تعرفون آحادهم وأعيانهم، وقد يُعرف صنفهم من الناس، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ السَّلْم هنا: المهادنة. والآية منسوخة بآية<sup>(٢)</sup> القتال في «براءة»؛ لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز.

﴿وَأَلْفَ بَيْنٍ فَلُوْبِهِمْ﴾ قيل: المراد: بين قلوب الأوس والخزرج؛ إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام. واللفظ عام.

﴿وَمَنْ إِتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على اسم الله. وقال الزمخشري: مفعول معه، والواو بمعنى «مع»؛ أي: حسبك وحسب من اتبعك الله<sup>(٣)</sup>.



(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٢٠).

(٢) في ب، ج، هـ: «بآيات».

(٣) انظر: الكشاف (٧/ ١٤٦).

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِصُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا  
مِائَتَيْنِ وَإِنْ تَكُ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٦﴾ أَلَمْ  
خَبَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ بَيْنَكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ تَكُ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ  
يَكُ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٧﴾ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ  
يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَفْخِرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ فَكُلُوا  
مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿١٦﴾ إِنْ يَكُ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ ﴿١٦﴾ الآية؛ إخبارٌ يتضمن وعدًا بشرط الصبر، ووجوب  
ثبوت الواحد للعشرة، ثم نسخ بوجوب ثبوت <sup>(١)</sup> الواحد لل اثنين.  
﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: يقاتلون على غير دين ولا بصيرة؛ فلا يشبتون.  
﴿١٧﴾ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴿١٧﴾ لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر رضي الله عنه  
بحياتهم، وأشار عمر رضي الله عنه بقتلهم، فنزلت الآية؛ عتابًا على استبقائهم <sup>(٢)</sup>.  
﴿حَتَّى يَفْخِرَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يبالغ في القتل.  
﴿تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا﴾ عتابٌ لمن رغب في فداء الأسارى.  
﴿١٨﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴿١٨﴾ الكتاب: ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم، وقيل: ما  
قضاه من تحليل الغنائم لهم.  
﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ يراد به: الأسارى، أو فداؤهم. ولما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ: «لو  
نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر» <sup>(٣)</sup>.  
﴿٢٠﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴿٢٠﴾ إباحة للغنائم، وفداء الأسارى.

(١) في أ، ب: «ثبوت».

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣) عن عمر رضي الله عنه.(٣) أخرجه الطبري (٢٨٣ / ١١) وابن أبي حاتم (١٧٣٥ / ٥) عن ابن زيد، وأخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ وابن  
مردويه من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنه كما في الدر المنثور (٢٠٣ / ٧).



يَأْتِيهَا النَّيْءُ فَلَيْسَ بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ لَأَ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾

﴿٦١﴾ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا أَي: إِنْ عَلِمَ فِي قُلُوبِكُمْ إِمَانًا جَبَرَ عَلَيْكُمْ مَا أَخَذَ مِنْكُمْ مِنَ الْقَدِيَةِ. قَالَ الْعَبَّاسُ عليه السلام: فِي نَزَلَتْ؛ وَكَانَ افْتَدَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَالِ مَا لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَحْمِلَهُ، فَقَالَ: قَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنِّي، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَغْفِرَ لِي <sup>(١)</sup>.

﴿٦٢﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ الْآيَةُ: تَهْدِيدٌ لَهُمْ.

﴿٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى آخِرِ السُّورَةِ؛ مَقْصِدُهَا: بَيَانُ مَنَازِلِ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا، وَالَّذِينَ هَاجَرُوا بَعْدَ الْحُدُوبِ. فَبَدَأَ أَوَّلًا بِالْمُهَاجِرِينَ، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَنْصَارَ - وَهُمْ الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا -، وَأَثَبَتِ الْوَلَايَةَ بَيْنَهُمْ، وَهِيَ وِلَايَةُ التَّعَاوُنِ وَالتَّنَاصُرِ. وَقِيلَ: هِيَ وِلَايَةُ الْمِيرَاثِ، ثُمَّ تُسَخِّتُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾.

﴿٦٤﴾ وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ لَمَّا نَفَى الْوَلَايَةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَهَاجِرُوا: أَمْرٌ بِنَصْرِهِمْ إِذَا اسْتَنْصَرُوا بِالْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا إِذَا اسْتَنْصَرُوا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدٌ، فَلَا يَنْصُرُوهُمْ عَلَيْهِمْ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١١/٢٨٥).

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِي الْآرْضِ﴾ ﴿الْأَ﴾ هنا مركبة من «إن» الشرطية و«لا» النافية. والضمير في «تَفْعَلُوهُ»: لولاية المؤمنين ومعاونتهم، أو لحفظ الميثاق الذي في قوله: ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾، أو للنصر الذي في قوله: ﴿بَعَلَّيْكُمْ النَّصْرُ﴾. والمعنى: إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ الآية؛ ثناء على المهاجرين والأنصار، ووعد لهم. والرزق الكريم: في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ يعني: الذين هاجروا من بعد الحديدية وبيعة الرضوان. ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ قيل: هي ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار. وقال مالك<sup>(١)</sup>: ليست في الميراث. وقال أبو حنيفة<sup>(٢)</sup>: هي في الميراث؛ وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوي الأرحام. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في القرآن، وقيل: في اللوح المحفوظ.



(١) والشافعي.

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٨/١٥٩).

## سُورَةُ بَرَاءَةِ

وتسمَّى: سورة التوبة، وتسمى -أيضاً- الفاضحة؛ لأنها كشفت أسرار المنافقين.  
وانفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسملة من أولها.  
واختلف في سبب ذلك:

فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: أشبهت معانيها معاني «الأنفال»، وكانت تدعى <sup>(١)</sup> القريتين في زمان رسول الله ﷺ؛ فلذلك قرئت بينهما ووضعتهما <sup>(٢)</sup> في السبع الطوال <sup>(٣)</sup>.  
وكان الصحابة قد اختلفوا: هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ فتركَّت البسملة بينهما لذلك.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: البسملة أمان، و«براءة» نزلت بالسيف، فلذلك لم تبدأ بالأمان <sup>(٤)</sup>.



(١) في هامش أ: «تدعيان».

(٢) في أ، د: «ووضعتهما» والمثبت موافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٩)، وأبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦) وحسنه، والنسائي في الكبرى (٧٩٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٣)، والحاكم (٢٨٧٥) وصححه، وحسنه ابن حجر في موافقة الخبر (٤٥/١).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٢٧٣).

بَرَاءةً مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ بَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ  
وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى  
النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتِغُوا فَهَوْاْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ  
تَوَلَّيْتُمْ فاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَنَشِرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آيِهِ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ  
مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفَضُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ  
إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ \* فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ  
وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَفْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا  
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ  
حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

﴿١﴾ «بَرَاءةً مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» المراد بالبراءة: التبري من المشركين. وارتفاع «بَرَاءةً» على أنه: خبر ابتداء، أو مبتدأ<sup>(١)</sup>.

«إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ» تقدير الكلام: براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، «ف» و«من» و«إلى» يتعلقان بالمحذوف، لا بـ «بَرَاءةً». وإنما أسند العهد إلى المسلمين في قوله: «عَاهَدْتُمْ»؛ لأن فعل الرسول ﷺ لازم للمسلمين، فكانهم هم الذين عاهدوا المشركين.

وكان النبي ﷺ قد عاهد المشركين إلى آجالٍ محدودة، فمنهم من وفى، فأمر الله أن يُتَمَّ عهده إلى مدته، ومنهم من نقض، أو قارب النقض، فجعل له أجل أربعة أشهر، وبعدها لا يكون له عهد.

﴿١﴾ «بَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ» أي: سيروا آمينين أربعة أشهر، وهي الأجل الذي جعل لهم. واختلف في وقتها: فقيل: هي شوال وذو قعدة وذو حجة والمحرم؛ لأن السورة نزلت حينئذ، وذلك عام تسعة. وقيل: هي من عيد الأضحى إلى تمام العشر الأول من ربيع

(١) والخبر: «إلى الذين». المحرر الوجيز (٤/٢٥٣).

الآخر؛ لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث تلك السنة أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحج بالناس، ثم بعث بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة، وقيل: يوم النحر.

﴿غَيْرُ مُعْجِزٍ لِلَّهِ أَي: لا تفوتونه.

﴿وَأَذِّنْ﴾ أي: إعلام بتبرؤ الله تعالى ورسوله ﷺ من المشركين.

﴿إِلَى النَّاسِ﴾ جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين<sup>(١)</sup>، وجعل الإعلام بالبراءة عامًا لجميع الناس؛ من عاهد، ومن لم يعاهد، وللمشركين وغيرهم.

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ هو يوم عرفة، أو يوم النحر. وقيل: أيام الموسم كلها؛ وعبر عنها بيوم؛ كقولك: يوم صفين والجمل وكانت أيامًا كثيرة.

﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ﴾ تقديره: أذان بأن الله بريء، وحذفت الباء تخفيفًا. وقرئ: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ بالكسر<sup>(٢)</sup>؛ لأن الأذان في معنى القول.

﴿وَرَسُولُهُ﴾ ارتفع بالعطف على الضمير في ﴿بَرِيءٌ﴾، أو بالعطف على موضع اسم ﴿أَنَّ﴾، أو بالابتداء، وخبره محذوف. وقرئ بالنصب<sup>(٣)</sup>؛ عطفًا على اسم ﴿أَنَّ﴾. وأما الخفض<sup>(٤)</sup> فلا يجوز فيه العطف على ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾؛ لأنه معنى فاسد، ويجوز على الجوار، أو على القسم، وهو - مع ذلك - بعيد، والقراءة به شاذة.

﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ﴾ يعني: التوبة من الكفر.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ يريد: الذين لم ينقضوا.

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ يعني: الأشهر الأربعة التي جعلت لهم: فمن قال: إنها شوال وذو قعدة وذو حجة والمحرم: فهي الحُرُم المعروفة، زاد فيها شوال، ونقص

(١) من قوله: ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ إلى هنا سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٢) هي قراءة الحسن البصري والأعرج. المحرر الوجيز (٤/ ٢٥٨).

(٣) هي قراءة ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وهي من القراءات الشاذة. المحرر الوجيز (٤/ ٢٥٩).

(٤) ذكر في الكشف (٧/ ١٧٤) أنه قرئ بالجر، ولم ينسبها لأحد، وفي البحر المحيط (١١/ ١٨٥): «ورويت عن الحسن».

رجب، وسميت حُرماً؛ تغليباً للأكثر. ومن قال: إنها إلى ربيع الثاني: فسميت حرماً؛ لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ.

﴿بِأَفْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ناسخة لكل موادة في القرآن، وقيل: إنها نسخت أيضاً: ﴿وَمَا مَتَّاعٌ بَعْدَ وَءَا فِدَاءٌ﴾ [محمد: ٤].

وقيل: بل نسختها هي؛ فيجوز المن والفداء.

﴿وَحَذُّهُمْ﴾ معناه: الأسر، والأخذ: هو الأسير.

﴿كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ كل طريق، ونصبه على الظرفية.

﴿وَإِنْ تَابُوا﴾ يريد: من الكفر، ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة؛ فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه. والآية في معنى قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ تأمين لهم.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ بِأَجْرَةٍ﴾ هو من الجوار؛ أي: استأمنك فأمنه حتى يسمع القرآن؛ ليرى هل يسلم أم لا.

﴿ثُمَّ أْبْلَغْهُ مَآمَنَةً﴾ أي: إن لم يسلم فردّه إلى موضعه. وهذا الحكم ثابت عند قوم، وقال قوم: نُسِخَ بالقتال، وقيل: بقي مدة الأربعة أشهر.



(١) تقدم تخريجه.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ  
 الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا  
 عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُبُوا بِيْعَكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ يُضْرُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَأَنْتَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَكْثَرُهُمْ  
 فَسِيقُونَ ﴿٨﴾ اِشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَصَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾  
 لَا يَرْفُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
 وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَبَّضِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ \* وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ  
 مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾  
 أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّءُواكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْتُمْ خَشِيتُكُمْ  
 بِاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ فَجَاهِدُوا أَيْمَانَهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ  
 وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ غِيظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى  
 مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ  
 وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

﴿٧﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ ﴿١﴾ لفظه ﴿١﴾ استفهام، ومعناه: إنكار واستبعاد.

﴿٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿٢﴾ قيل: المراد قريش، وقيل: قبائل بني بكر.

﴿٩﴾ فَمَا اسْتَقْتُمُوا ﴿٣﴾ «ما» ظرفية.

﴿١٠﴾ كَيْفَ ﴿٤﴾ تأكيد للأولى، وحذف الفعل بعدها؛ للعلم به، تقديره: كيف يكون لهم عهد؟

﴿١١﴾ لَا يَرْفُبُوا ﴿٥﴾ أي: لا يُراَعُوا.

﴿١٢﴾ وَلَا ذِمَّةٌ ﴿٦﴾ الإل: القرابة، وقيل: الحلف. والذمة: العهد.

﴿١٣﴾ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ ﴿٧﴾ استثنى ﴿٢﴾ من قضى له منهم بالإيمان.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «الفظ».

(٢) في ب، ج، د: «استثناء».

﴿أَيُّهُمُ الْكُفْرُ﴾ أي: رؤساء أهله؛ قيل: إنهم أبو جهل، وأمّية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو. حكى ذلك الطبري<sup>(١)</sup>، وهو ضعيف؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة.

والأحسن أنها على العموم.

﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ أي: لا أيمان لهم يوفون بها. وقرئ: ﴿لَا إِيْمَنَ﴾ بكسر الهمزة<sup>(٢)</sup>.

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ يتعلّق بـ ﴿يَقْتُلُوا﴾.

﴿وَهُمْ يُخْرَجُونَ﴾ قيل: يعني: إخراجهم من المدينة حين قاتلوه بأحد والخندق، وقيل: يعني إخراجهم من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة، ثم خرج هو بنفسه.

﴿وَهُمْ بَدَأُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: إذايتهم للنبي ﷺ والمسلمين بمكة.

﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يريد<sup>(٣)</sup>: بالقتل والأسر، وفي ذلك وعد للمسلمين بالظفر.

﴿قَوْمٌ مُّؤْمِنِينَ﴾ قيل: إنهم خزاعة. والإطلاق أحسن.

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ استئناف إخبار بأن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآية؛ معناها: أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر به الطيب من الخبيث.

و﴿أَمْ﴾ هنا بمعنى: بل والهمزة. و﴿يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ أي: يعلم ذلك موجوداً؛ لتقوم به الحجة.

﴿وَلِيَجْزِيَ﴾ أي: بطانة.



(١) انظر: تفسير الطبري (١١/٣٦٣).

(٢) قرأ ابن عامر بكسر الهمزة، والباقون بفتحها.

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «الله».



مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أَذْ لَيْكَ  
 حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِيهِ الْبَارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٥﴾ إِنَّا يَغْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ  
 الْمُهْتَدِينَ ﴿٦﴾ \* أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ  
 هُمُ الْبَاقِيُونَ ﴿٨﴾ يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّفِيمٌ ﴿٩﴾  
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِبَادَ كُفْرٍ  
 وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
 الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ  
 اكْتَسَبْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
 وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢﴾

﴿٥﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ أي: ليس لهم ذلك بالحق والواجب،  
 وإن كانوا قد عمروها تغلباً<sup>(١)</sup> وظلماً. ومن قرأ ﴿مَسْجِدَ﴾ بالجمع<sup>(٢)</sup>: أراد جميع  
 المساجد، ومن قرأ بالتوحيد: أراد المسجد الحرام.

﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ أي: أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر. وقيل:  
 الإشارة إلى قولهم في التلبية: «لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك».

﴿٦﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية؛ سببها: أن قوماً من قريش افتخروا بسقاية الحاج،  
 وبعمارة المسجد الحرام؛ فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك<sup>(٣)</sup>. ونزلت الآية في علي بن  
 أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن شيبه رضي الله عنه، افتخروا؛ فقال طلحة:

(١) في أ، ب، هـ: «تغليياً».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿مسجد الله﴾ بالتوحيد، وقرأ الباقر بالجمع.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٧٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

أنا صاحب البيت وعندى مفاتيحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية، وقال علي: لقد أسلمت قبل الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ﴾ الآية؛ قيل: نزلت فيمن تشبَّط عن الهجرة<sup>(٢)</sup>. ولفظها عام، وكذلك حكمها.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ وعيد لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد.

﴿بِأَمْرٍ﴾ قيل: يعني: فتح مكة، وقيل: هو إشارة إلى عذاب أو عقوبة.



(١) أخرجه الطبري (٣٨٠/١١) عن القرظي والسدي.

(٢) أخرجه الطبري (٣٨٤/١١) وابن أبي حاتم (١٧٧٠/٥) عن مجاهد.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ ﴿٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَاذِبِينَ ﴿٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ \*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ فَبَلَّوْا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٩﴾

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ عطفٌ على ﴿مَوَاطِنَ﴾. أو منصوبٌ بفعل مضمر، وهذا أحسن؛ لوجهين: أحدهما: أن قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ مختصٌ بحنين، ولا يصح في غيره من المواقين؛ فيضعف عطف (يوم حنين على المواقين؛ للاختلاف الذي بينهما في ذلك. والآخر: أن ﴿مَوَاطِنَ﴾ ظرف مكان، و﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ ظرف زمان؛ فيضعف عطف<sup>(١)</sup> أحدهما على الآخر، إلا أن يريد بالمواقين الأوقات. وحنين: اسم علم لموضع عُرف برجل اسمه حنين، وانصرف لأنه مذكر.

﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كانوا يومئذ اثني عشر ألفاً، فقال بعضهم: لن تُغلب اليوم من قلة، فأراد الله إظهار عجزهم، ففرّ الناس عن رسول الله ﷺ، حتى بقي على بغلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله، وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار وقال: «شاهت الوجوه»<sup>(٢)</sup>، ونادى بأصحابه<sup>(٣)</sup> فرجعوا إليه، وهزم الله الكفار.

وقصة حنين مذكورة في السير.

﴿بِمَا رَحِبَتْ﴾ أي: ضاقت على كثرة اتساعها، و«ما» هنا: مصدرية.

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٧) عن سلمة بن الأكوع.

(٣) في أ، ب، هـ: «أصحابه».

﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قيل: إن نجاستهم بكفرهم، وقيل: بالجنابة.

﴿وَلَا يَفْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نصُّ على منع المشركين - وهم عبدة الأوثان - من المسجد الحرام، فأجمع العلماء على ذلك. وقاس مالك على المشركين: سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وقاس على المسجد الحرام: سائر المساجد، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد.

وجعلها الشافعي<sup>(١)</sup> عامة في الكفار، خاصةً بالمسجد الحرام، (فمنع جميع الكفار من دخول المسجد الحرام خاصة)<sup>(٢)</sup>، وأباح لهم دخول غيره<sup>(٣)</sup>.

وقصرها أبو حنيفة على موضع النص؛ فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة، وأباح لهم دخول سائر المساجد، وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره.

﴿بَعْدَ غَائِمِهِمْ هَذَا﴾ يريد: عام تسعة من الهجرة؛ حين حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس، وقرأ عليهم علي رضي الله عنه سورة «براءة».

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي: فقراً. كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة، فخاف الناس قلة القوات بها إذ مُنِعَ المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها، وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة ثم فتح الله للمسلمين<sup>(٤)</sup> سائر الأمصار.

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/٤٦٦).

(٢) سقط من ب، ج، هـ.

(٣) ومذهب أحمد أنه لا يجوز لهم دخول مساجد الحل بغير إذن المسلمين، فإن أذن لهم مسلم ففي جواز دخولها روايتان، قال ابن قدامة وابن أبي عمر: «جاز في الصحيح من المذهب». المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/٤٧٣).

(٤) في أ، ب، هـ: «ثم فتح المسلمون».

﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أمرٌ بقتال أهل الكتاب. ونفى عنهم الإيمان بالله؛ لقول اليهود: عزيز ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر؛ لأن اعتقادهم فيه فاسد، فإنهم لا يقولون بالمعاد الجسماني<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَلَا يَحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك.  
 ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يدخلون في الإسلام.  
 ﴿مِنَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ﴾ بيان للذين أمر بقتالهم، وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك؛ لقتال النصارى<sup>(٢)</sup>.

﴿حَتَّى يَعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى، ويُلحق<sup>(٣)</sup> بهم المجوس؛ لقوله ﷺ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»<sup>(٤)</sup>. واختلفوا في قبولها من عبدة الأوثان والصابئين. ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين. وقدرها عند مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهماً على أهل الورق، ويؤخذ ذلك من كل رأس.  
 ﴿عَنْ يَدٍ﴾ فيه تأويلان: أحدهما: دفع الذمِّ لها بيده، لا يبعثها مع أحد ولا يَمُطِّلُ بها؛ كقولك: يدا بيد. الثاني: عن استسلام وانقياد؛ كقولك: ألقى فلان بيده.  
 ﴿وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾ أي: أذلاء.



(١) في أ، ج، هـ: «الحسابي».

(٢) أخرجه الطبري (٤٠٧/١١) وابن أبي حاتم (١٧٧٨/٥) عن مجاهد.

(٣) في أ: «ويُلحق».

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٧٥٩)، وابن أبي شيبة (٣٣٣١٩)، وعبد الرزاق (١٠٠٢٥) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وفي إسناده انقطاع. البدر المنير لابن الملقن (٦١٧/٧)، وقال ابن كثير (٤١/٣): «لم يثبت بهذا اللفظ، وإنما الذي في صحيح البخاري (٣١٥٧): عن عبد الرحمن بن عوف، أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر».

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَتَلَّهُمْ اللَّهُ ابْنَى يُوقُونَ ﴿٥١﴾ اِتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهْبَتُهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا امْرُؤًا إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَٰهَا وَاجِدًا إِلَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٢﴾ يَرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٥٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ \*يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْغِزُونَ الذَّهَبَ وَالْعِصَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٥٥﴾ يَوْمَ يُخْبِئُ عَلَيْهَا فِي بَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْبِئُ بِهَا جِبَاهَهُمْ وَجُنُوبَهُمْ وَظُهُورَهُمْ هَٰذَا مَا كُنَزْتُمْ لِنَفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْغِزُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَٰلِكَ الَّذِينَ الْفَيِّمَ فَلَا تَطْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَجْلُوتُهُ عَامًا وَيَحْرِمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَجْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس ؓ: إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود؛ وهم: سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشأس بن قيس، ومالك بن الصيف<sup>(١)</sup>. وقيل: لم يقلها إلا فنحاص، ونسب ذلك إلى جميعهم؛ لأنهم متبعون لمن قالها. والظاهر أن جماعتهم قالوها؛ إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم. وكان سبب قولهم ذلك: أنهم فقدوا التوراة، فحفظها عزيز وحده، فعلمها لهم، فقالوا: ما علم الله عزيز التوراة إلا أنه ابنه<sup>(٢)</sup>. و﴿عَزِيزٌ﴾ مبتدأ، و﴿إِبْنُ اللَّهِ﴾ خبره. ومنع ﴿عَزِيزٌ﴾ التنوين<sup>(٣)</sup>؛ لأنه أعجمي لا ينصرف،

(١) أخرجه الطبري (٤٠٩/١١) وابن أبي حاتم (١٧٨١/٥).

(٢) أخرجه الطبري (٤٠٩/١١)، وابن أبي حاتم (١٧٨١/٥) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

(٣) قرأ عاصم والكسائي بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين.

وقيل: بل هو منصرف، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وهذا ضعيف. وأما من نونه فجعله عربياً.

﴿وَقَالَتِ الْتَصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ قال أبو المعالي: «أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله»<sup>(١)</sup>، وذلك كفر شنيع.

﴿يَأْفُوهِمْ﴾ يتضمن معنيين: أحدهما: إلزامهم هذه المقالة، والتأكيد في ذلك. والثاني: أنهم لا حجة لهم عليه، وإنما هو مجرد<sup>(٢)</sup> دعوى؛ كقولك لمن تكذبه: هذا قولك بلسانك.

﴿يُضْلَهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ معنى «يُضْلَهُونَ»: يشابهون. فإن كان الضمير لليهود والنصارى فالإشارة بقوله: «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ»: للمشركين من العرب؛ إذ قالوا: الملائكة بنات الله، وهم أول كافر، أو للصابئين، أو لأمم متقدمة. وإن كان الضمير للمعاصرين للنبي ﷺ من اليهود والنصارى؛ فـ«الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ»: هم أسلافهم المتقدمون.

﴿فَتَلَّهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم، وقيل: معناه: لعنهم الله.

﴿أَنْبَى يُوقُونَ﴾ تعجب كيف يُصْرَفُونَ عن الحق والصواب!

﴿اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْبَابًا﴾ أي: أطاعوهم كما يطاع الرب، وإن كانوا لم يعبدوهم.

﴿وَالْمَسِيحَ﴾ معطوف على الأخبار والرهبان.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أي: أمرهم بذلك عيسى ﷺ ومحمد ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يطفئوا نبوة محمد ﷺ وما جاء به من عبادة الله وتوحيده.

﴿يَأْفُوهِمْ﴾ إشارة إلى أقوالهم، كقولهم: ساحر وشاعر<sup>(٣)</sup>، وفيه أيضاً إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا.

(١) الإرشاد، لأبي المعالي الجويني (ص: ٥١).

(٢) في ج، د: «عن».

(٣) في ب، هـ: «سحر وشعر».



﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ الضمير: للرسول ﷺ، أو للدين. وإظهاره: جعله أعلى الأديان وأقواها حتى<sup>(١)</sup> عمَّ المشارق والمغارب. وقيل: ذلك عند نزول عيسى بن مريم ﷺ حين<sup>(٢)</sup> لا يبقى دين إلا دين الإسلام.

﴿لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْبَاطِلِ﴾ هي<sup>(٣)</sup>: الرُّشَا على الأحكام وغير ذلك. ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنِّصَّةَ﴾ ورد في الحديث أن: «كل ما أُدْبِثَ زكاته فليس بكنز، وما لم تؤدَّ زكاته فهو كنز»<sup>(٤)</sup>. وقال أبو ذرٍّ وجماعة من الزهاد: كلُّ ما فَضِّلَ عن حاجة الإنسان فهو كنز<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾ الضمير للأموال والكنوز التي يتضمَّنُها المعنى. وقيل: هو للفضة، واكتفى بذلك عن الذهب؛ إذ الحكم فيهما واحد.

﴿يَوْمَ يُخْبِئُ الْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ﴾: «الْيَمْرِ»، أو محذوف.

﴿عَلَيْهَا﴾ الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير «يَنْفِقُونَهَا».

﴿إِنَّا عَشَرَ شَهْرًا﴾ هي الأشهر المعروفة؛ أولها: المحرم، وآخرها: ذو الحجة.

وكان الذي جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(٦)</sup>.

﴿يَوْمَ كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وقيل: في القرآن. والأوَّل أرجح؛ لقوله: ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

(١) في أ، ب، هـ: «حين».

(٢) في ج، د: «حتى».

(٣) في أ، ب: «هنا».

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٢٧٩)، والبيهقي (٧٢٣٣) عن ابن عمر مرفوعاً، وضعفه البيهقي والهيتمي في مجمع الزوائد (٢٠١/٣)، وروي موقوفاً على ابن عمر، أخرجه عبد الرزاق (٧١٤٠)، والبيهقي (٧٢٣٠)، قال البيهقي: «هذا هو الصحيح موقوف».

(٥) قال ابن عبد البر في الاستذكار (١٢٣/٩): «فأما أبو ذر، فروي عنه في ذلك آثار كثيرة في بعضها شدة، كلها تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك»، وانظر: تفسير ابن كثير (١٤٢/٤).

(٦) أخرجه الحاكم (٤٢٨٧) وصححه ووافقه الذهبي.





﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرَّمٌ﴾ هي: رجب وذو قعدة وذو حجة والمحرم.

﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفَيْتُمْ﴾ يعني: أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم، دين إبراهيم وإسماعيل <sup>(١)</sup>، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيره بعضهم.

﴿بَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ للأشهر الحرم؛ تعظيمًا لأمرها، وتغليظًا للذنوب فيها، وإن كان الظلم ممنوعًا في غيرها. وقيل: الضمير للثاني عشر شهرًا، وهي الزمان كله. والأول أظهر.

﴿وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ أي: قاتلوهم في الأشهر الحرم؛ فهذا نسخٌ لتحريم القتال فيها. و﴿كَآفَّةً﴾ حال من الفاعل، أو المفعول.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ هو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات، وكانت محرمة عليهم في الأشهر الحرم، فيشق عليهم تركها، فيجعلونها في شهر حرام ويحرمون شهرًا آخر بدلًا منه، وربما أحلوا المحرم وحرّموا صفرًا حتى يكملوا في العام أربعة أشهر محرمة.

﴿يَجِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ أي: تارة يحلون وتارة يحرمون، ولم يرد العام حقيقة.

﴿لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا عدد الأشهر الحرم؛ وهو أربعة.

﴿فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ يعني: إحلالهم القتال في الأشهر الحرم.



(١) لم يرد «إسماعيل» في أ، ب، هـ.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ائِمُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ  
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿١٥﴾ إِلَّا تَنْمُوتُوا يَعْذِّبُكُمْ  
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ \* إِلَّا  
تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ  
لِصَاحِبِهِ لَا تُخَازِبِنِي إِنَّ اللَّهَ مَعََنَا بِأَنْزَلِ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ  
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ ائِمُّوا خِفَابًا  
وَيَقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
﴿١٨﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّفَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ  
بِاللَّهِ لَوْ إِسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٩﴾

﴿٢٨﴾ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ائِمُّوا ﴿١﴾ عتابٌ (١) لمن تخلف عن غزوة تبوك.

﴿إِذَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ عبارة عن تخلفهم، وأصل ﴿إِذَا قُلْتُمْ﴾: تذاقلم.

﴿٢٩﴾ إِلَّا تَنْمُوتُوا يَعْذِّبُكُمْ ﴿٢﴾ شرط وجزاء، وهذا العذاب: في الدنيا أو في الآخرة.

﴿٣٠﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴿٣﴾ شرط وجواب، والضمير لرسول الله ﷺ. فإن قيل: كيف  
ارتباط هذا الشرط مع جوابه (٢)؟ فالجواب: أن المعنى: إن لم تنصروه أنتم فسينصره الله  
الذي نصره حين كان ثاني اثنين، فدلّ بقوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ على نصره في المستقبل.  
﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: خروجه من مكة مهاجرًا إلى المدينة، وأسند إخراجهم إلى  
الكفار؛ لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه.

﴿ثَانِيًا إِثْنَيْنِ﴾ هو ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ يعني: أبا بكر ﷺ.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعََنَا﴾ يعني: بالنصر واللطف.

(١) في هـ: «خطاب».

(٢) في أ، ب، هـ: «أو».

﴿بِأَنزَلِ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ الضمير: للرسول ﷺ، وقيل: لأبي بكر ؓ؛ لأن النبي ﷺ لم تزل معه السكينة، ويضعف ذلك: بأن الضمائر بعدها للرسول ﷺ.

﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة يوم بدر وغيره.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ يريد: بإذلالها ودخضها.

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ قيل: هي: لا إله إلا الله، وقيل: الدين كله.

﴿إِنهَإِرُوا خِيبَابًا وَثِقَالًا﴾ أمرٌ بالنَّفير إلى الغزو. والخفة: استعارةٌ لمن يمكنه السفر بسهولة، والثقل: مَنْ يمكنه بصعوبة. وقال بعض العلماء: الخفيف: الغني، والثقيل: الفقير. وقيل: الخفيف: الشاب، والثقيل: الشيخ. وقيل: الخفيف: النشيط، والثقيل: الكسلان. وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفة. وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ [التوبة: ٩٢] الآية.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ الآية؛ نزلت هي وكثيرٌ مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك؛ وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة، وكانت في شدة الحر وطيب الثمار والظلال، فثقلت عليهم، فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لعرضٍ من الدنيا، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه.

﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ أي: الطريق والمسافة.

﴿وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إخبارٌ بغيب؛ وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون.

﴿يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: يُوقِعُونَهَا فِي الْهَلَاكِ: بخلفهم الكاذب، أو بتخلفهم عن الغزو.



عَبَا اللَّهِ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَسْتَنْدِيزُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ إِنَّمَا يَسْتَنْدِيزُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ بِهِمْ رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لَشِرْعَائِهِمْ فَيَقْطَعُ عَنْهُمْ إِفْعُهُمْ وَلِقَاءَ الْمُعَصِدِينَ ﴿٥٠﴾ لَوْ خَرَجُوا مِنْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا ذُفْعًا خَلَلَكُمْ يَنْفَعُوكُمْ الْمِثْنَةَ وَمِنْكُمْ سَمِعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ لَقَدْ ابْتِغُوا الْمِثْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِذْ دُنِيَ إِلَيْنَا وَلَا تَفْتِنَنَا إِلَّا فِي الْمِثْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ يَوْرَحُونَ ﴿٥٤﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ قُلْ هَلْ تَرْتَبِصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٦﴾

﴿٤٧﴾ «عَبَا اللَّهِ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ» الآية؛ كان بعض المنافقين قد استأذن النبي ﷺ في التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم، فعاتبه الله تعالى على إذنه لهم. وقدم العفو على العتاب؛ إكراماً له ﷺ. وقيل: إن قوله «عَبَا اللَّهِ عَنْكَ» ليس لذنوب ولا عتاب، ولكنه استفتاح كلام؛ كما تقول: أصلحك الله.

«حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ» كانوا قد قالوا: نستأذنه في القعود، فإن أذن لنا قعدنا، (وإن لم يأذن لنا قعدنا)<sup>(١)</sup>. وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم؛ فحينئذ كان يقعد العاصي والمنافق، ويسافر المطيع.

﴿٤٨﴾ «لَا يَسْتَنْدِيزُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» الآية؛ أي: لا يستأذنك في التخلف عن الغزو لغير عذر من يؤمن بالله واليوم الآخر.

(١) سقط من ب، ج، هـ.

- ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: شكّت. ونزلت الآية في عبد الله بن أبيّ ابن سلول والجدّ بن قيس.
- ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ الآية؛ أي: لو كانت لهم نية في الغزو لاستعدوا له قبل أوانه.
- ﴿إِثْبَعَانَهُمْ﴾ أي: خروجهم.
- ﴿فَبَثَّطَهُمْ﴾ أي: كسر عزيمتهم، وجعل في قلوبهم الكسل.
- ﴿وَفِيلَ أَفْعَدُوا﴾ يحتمل أن يكون القائل لهم ﴿أَفْعَدُوا﴾ هو الله تعالى؛ وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالقعود<sup>(١)</sup>، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض.
- ﴿مَعَ الْفَاعِدِينَ﴾ أي: مع النساء والصبيان وأهل الأعدار، وفي ذلك ذمّ لهم لاختلاطهم في القعود مع هؤلاء.
- ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: شرًا وفسادًا.
- ﴿وَلَا وَضَعُوا﴾ أي: أسرعوا السير، والإيضاع: سرعة السير، والمعنى: أنهم يسرعون بالفساد والنميمة.
- ﴿خَلَلَكُمْ﴾ أي: بينكم.
- ﴿يَبْغُرْكُمْ الْيَهُودُ﴾ أي: يحاولون أن يفتنوكم.
- ﴿سَمَّعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: يسمعون كلامهم، وقيل: يسمعون أخباركم وينقلونها إليهم.
- ﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا الْيَهُودَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: طلبوا الفساد، (وروي أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين<sup>(٢)</sup>)<sup>(٣)</sup>.
- ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي: دبروها من كل وجه، فأبطل الله سعيهم.
- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِذْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾ لما دعا النبي ﷺ إلى غزوة تبوك قال الجدّ بن قيس -وكان من المنافقين-: ائذن لي في القعود ولا تفتني برؤية بنات الأصفر<sup>(٤)</sup>؛ فإني

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٤).

(٢) أخرجه الطبري (١١/٤٨٩) عن الحسن.

(٣) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٤) في أ، ب، هـ: «بنات الأصفر».

لا أصبر عن النساء<sup>(١)</sup>.

﴿أَلَا فِي الْمِثْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: وقعوا في الفتنة التي فرّوا منها.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ الحسنة هنا: النصر والغنيمة وشبه ذلك.

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أي: قد حذرنا وتأهبنا من قبل.

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي: ما قدر وقضى، وهذا رد على المنافقين.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ أي: هل تنتظرون بنا إلا أحد أمرين: إما

الظفر والنصر، وإما الموت في سبيل الله، وكل واحدة من الخصلتين حسنى.

﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ المصائب وما ينزل من السماء، أو عذاب الآخرة.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني: القتل.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد.



(١) أخرجه الطبري (٤٩٢/١١) عن ابن إسحاق، وابن أبي حاتم (١٨٠٩/٦) عن جابر رضي الله عنه.

قُلْ أَنْعِمُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ قَوْمًا بَاسِفِينَ ﴿٥١﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ  
تَقَبَّلَ مِنْهُمْ نَبَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى  
وَلَا يَنْعِمُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٥٢﴾ \* بَلَا تُغْنِيكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ  
لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٣﴾ وَيَخْلِقُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ  
لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٤﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَقَرًّا أَوْ مَدْخَلًا  
لَّوَلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ  
يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَيْنَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ  
سَيُوتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْبُقَرَاءِ  
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ وَابٍ  
السَّبِيلِ بَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

﴿٥١﴾ قُلْ أَنْعِمُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ﴿٥١﴾ تَضَمَّنَ الْأَمْرَ هُنَا مَعْنَى الشَّرْطِ، فَاحْتَاجَ  
إِلَى جَوَابٍ. وَالْمَعْنَى: لَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ سِوَاءَ أَنْفَقْتُمْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً، وَالطَّوْعُ وَالْكَرْهُ عَمُومٌ  
فِي الْإِنْفَاقِ؛ أَي: لَنْ يَتَقَبَّلَ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

﴿٥٢﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تَقَبَّلَ مِنْهُمْ نَبَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا ﴿٥٢﴾ الْآيَةُ؛ تَعْلِيلٌ لِعَدَمِ قَبُولِ نَفَقَاتِهِمْ  
بِكُفْرِهِمْ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ «أَنَّهُمْ كَفَرُوا»: فَاعِلٌ «مَا مَنَعَهُمْ»، أَوْ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ  
مِنْ أَجْلِهِ، وَالْفَاعِلُ اللَّهُ.

﴿٥٣﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴿٥٣﴾ قِيلَ: عَذَابُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالصَّائِبِ، وَقِيلَ: مَا أُلْزِمُوا مِنْ أَدَاءِ  
الزَّكَاةِ.

﴿٥٤﴾ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٤﴾ إِبْخَارٌ بِأَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ.

﴿٥٥﴾ وَيَخْلِقُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ ﴿٥٥﴾ أَي: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿٥٦﴾ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ يَخَافُونَ.

﴿٥٧﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً ﴿٥٧﴾ أَي: مَا يُلْجَأُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَوَاضِعِ.

﴿أَوْ مَعْرَبٍ﴾ هي الغيران في الجبال.

﴿أَوْ مَدْخَلًا﴾ وزنه مُفْتَعَلٌ؛ من الدخول، ومعناه: نفقٌ أو سُرْبٌ في الأرض.

﴿يَجْمَحُونَ﴾ أي: يُسرِعُونَ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: يعيبك على قسمتها. والآية في المنافقين؛ كالتى قبلها وبعدها. وقيل: هي في ذي الخويصرة الذي قال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا﴾ الآية؛ ترغيبٌ لهم فيما هو خير لهم. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف؛ تقديره: لكان ذلك خيرًا لهم.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية؛ ﴿إِنَّمَا﴾ هنا: تقتضي حصر الصدقات - وهي الزكاة<sup>(٢)</sup> - في هذه الأصناف الثمانية، فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم. ومذهب مالك<sup>(٣)</sup>: أن تفريقها في هؤلاء الأصناف إلى اجتهد الإمام؛ فله أن يجعلها في بعضهم دون بعض. ومذهب الشافعي: أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء<sup>(٤)</sup>. واختلف العلماء هل الفقير أشدُّ حاجةً من المسكين أو بالعكس؟

ف قيل: هما سواء.

وقيل: الفقير الذي يسأل ويُعلم حاله، والمسكين ليس كذلك.

﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: الذين يقبضونها ويفرقونها.

﴿وَالْمَوْلَبَةَ فَلَوْبَهُمْ﴾ كفاً يعطون ترغيباً في الإسلام. وقيل: هم مسلمون يعطون ليتمكَّن إيمانهم، واختلف هل بقي حكمهم، أو سقط للاستغناء عنهم؟

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ يعني: العبيد؛ يُشْتَرَوْنَ ويُعْتَقُونَ.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) في ب، هـ: «الزكوات».

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٧/ ٢٧٤).

(٤) وهو رواية عن أحمد، اختارها أبو بكر وأبو الخطاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٧/ ٢٧٥).



﴿وَالْغَرَمِينَ﴾ يعني: مَنْ عليه دين، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد ولا سرف<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: الجهاد، فيعطى منها المجاهدون ويشتري منها آلات الحرب.  
 واختلف هل تصرف في بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل؟  
 ﴿وَأَنِ السَّبِيلِ﴾ هو الغريب المحتاج.  
 ﴿بَرِيضَةً﴾ أي: حقاً محدوداً، ونضبه على المصدر. فإن قيل: لم ذكر مصرف الزكاة في  
 تضاعيف ذكر المنافقين؟ فالجواب: أنه حصر مصرف الزكاة في تلك الأصناف؛ ليقطع  
 طمع المنافقين فيها، فاتصلت هذه الآية في المعنى بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي  
 الصَّدَقَاتِ﴾ الآية.



(١) في أ، ب: «ولا إسراف».

\* وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ إِذْنٌ قُلْ إِذْنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يَوْمَ يَأْتِي اللَّهُ بِالنَّبِيِّينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ يَخْلِقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُخَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَلِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزْءُوا إِنْ أَلَّ اللَّهُ مُخْرِجَ مَا تَحْذَرُونَ ﴿١٨﴾ وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٩﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ يَغْفِرَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبَ طَائِفَةٌ بَأْتَهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ يعني: من المنافقين، وإذايتهم له ﷺ: بالأقوال والأفعال. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ إِذْنٌ﴾ أي: يسمع كل ما يقال له ويصدقّه. وروي: إن قائل هذه المقالة هو تبّتل بن الحارث، وكان من مرّة المنافقين، وقيل: عتاب بن قشير.

﴿قُلْ إِذْنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: هو يسمع الخير والحق.

﴿وَيَوْمَ يَأْتِي اللَّهُ بِالنَّبِيِّينَ﴾ أي: يصدقّهم؛ يقال: آمنت لك؛ إذا صدّقتك؛ ولذلك تعدّى هذا الفعل باللام، وتعدّى ﴿يَوْمَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ بالباء.

﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع<sup>(١)</sup>؛ عطفت على ﴿إِذْنٌ خَيْرٌ﴾، وبالحذف؛ عطفت على ﴿خَيْرٍ﴾.

﴿يَخْلِقُونَ﴾ يعني: المنافقين.

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ تقديره: والله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك؛ فهما جملتان حذفت الضمير من الثانية؛ لدلالة الأولى عليها.

وقيل: إنما وحّد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد.

﴿مَنْ يُخَادِدُ اللَّهَ﴾ من يعادي ويخالف.

(١) قرأ حمزة بالحذف، والباقون بالرفع.

﴿بَارَأَ لَهُ﴾ «أَنْ» هنا مكررة؛ تأكيداً للأولى، وقيل: هي بدل منها. وقيل: التقدير: فواجب أَنْ له؛ فهي في موضع خبر مبتدأ محذوف.

﴿يَخْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: تُنْزَلَ في شأنهم سورة على النبي ﷺ، والضمائر في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾ و﴿فَلَوْبِهِمْ﴾ تعود على المنافقين. وقال الزمخشري: إن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾ للمؤمنين، وفي ﴿فَلَوْبِهِمْ﴾ للمنافقين<sup>(١)</sup>. والأول أظهر. ﴿فَلِإِسْتَهْزَؤٍ﴾ تهديد.

﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَخْذَرُونَ﴾ صنع ذلك بهم في هذه السورة؛ لأنها فضحتهم. ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نزلت في وداعة بن ثابت؛ بلغ النبي ﷺ أنه قال: هذا يريد أن يفتح قصور الشام! هيهات هيهات! فسأله عن ذلك فقال: إنما كنا نخوض ونلعب<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنْ يُعَفِّ عَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾ كان منهم رجل اسمه مُحَشَّن<sup>(٣)</sup>، تاب ومات شهيداً.



(١) انظر: الكشاف (٧/ ٢٩٢).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٤٢) عن ابن إسحاق.

(٣) قال ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٢٤): «يقال له: مُحَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ، ويقال: مخشي».

الْمُنِيفُونَ وَالْمُنِيفَةُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَمْزُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَغْرُوبِ  
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنِيفِينَ هُمُ الْبَاسِفُونَ ﴿١٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنِيفِينَ  
وَالْمُنِيفَةَ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيمٌ  
﴿١٨﴾ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ  
فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا  
أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ \* أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ  
الَّذِينَ مِّن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴿٢٠﴾ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ  
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ  
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَمْزُونَ بِالْمَغْرُوبِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
وَمَسْكَنٍ ظِلِّينَ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٣﴾

﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ نفى لأن يكونوا من المؤمنين.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ كناية عن البخل.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: غفلوا عن ذكره.

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من رحمته وفضله.

﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنِيفِينَ﴾ الأصل في الشر أن يقال: «أُوعِد»، وإنما يقال فيه «وعد» إذا  
صُرِّح بالشر.

﴿وَالْكُفَّارَ﴾ يعني: المجاهرين بالكفر.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطاب للمنافقين، والكاف: في موضع نصب؛ والتقدير: فعلتم  
مثل فعل الذين من قبلكم. أو في موضع خبر مبتدأ؛ تقديره: أنتم كالذين من قبلكم.

﴿وَحُضُّنُمْ﴾ أي: خلطتم، وهو مستعار من الخوض في الماء، ولا يقال إلا في الباطل من الكلام.

﴿كَالَّذِينَ خَاضُوا﴾ تقديره: كالخوض الذي خاضوا. وقيل: كالذين خاضوا؛ فالذي هنا -على هذا- بمعنى الجمع.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمُ﴾ الآية؛ تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدمة.

﴿وَالْمُؤْتَمِكَاتِ﴾ يعني: مدائن قوم لوط.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمعجزات.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في مقابلة قوله -في المنافقين-: ﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾، ولكنه خص المؤمنين بالوصف بالولاية.

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ قيل: عدن: هي مدينة الجنة وأعظمها، وقال الزمخشري: هو اسم علم<sup>(١)</sup>.

﴿وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضوان من الله أكبر من كل ما ذكر. وذلك معنى ما ورد في الحديث: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: أتريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: يا ربنا أي شيء تزيدينا؟ فيقول: رضواني فلا أسخط عليكم أبداً»<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر: الكشاف (٧/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٦﴾  
يَخْلِقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَتُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا  
وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا  
يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٧﴾  
\* وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا يَنْتَهِبُوا مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقُوا وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا  
ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٩﴾ فَأَغْفَبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ ذَإِلَى يَوْمٍ  
يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَبُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٨٠﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ  
وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ  
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٢﴾  
إِسْتَعْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٣﴾

﴿جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين باللسان ما لم يظهر ما يدل على كفرهم، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم حكم الزنديق، وقد اختلف هل يقتل أم لا؟

﴿وَاغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ الغلظة ضد الرحمة والرافة، وقد تكون بالقول والفعل وغير ذلك.

﴿يَخْلِقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ نزلت في الجلاس بن سويد؛ فإنه قال: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحُمُر، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقرر عليه، فحلف أنه ما قاله <sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ يعني: ما تقدم من قول الجلاس؛ لأن ذلك يقتضي التكذيب.

﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ لم يقل: «بعد إيمانهم»؛ لأنهم كانوا يقولون بالسنتهم: آمنا، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم.

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٩) عن عروة بن الزبير، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤٣) عن ابن عباس ؓ.

﴿وَهُمْ أَوْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ هَمَّ الْجُلَاسُ بِقَتْلِ مَنْ بَلَغَ تِلْكَ الْمَقَالَةَ عَنْهُ، وَقِيلَ: هَمَّ بِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ. وَقِيلَ: الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ سَلُولٍ، وَكَلِمَةُ الْكُفْرِ الَّتِي قَالَهَا قَوْلُهُ: سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ، وَهَمُّهُ بِمَا لَمْ يَنْتَلِ: قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ [المنافقون: ٨].<sup>(١)</sup>

﴿وَمَا تَقْصُوا إِلَّا أَنْ أَغْنِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أَي: مَا عَابُوا إِلَّا الْغِنَى الَّذِي كَانَ حَقُّهُ أَنْ يَشْكُرُوا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ فِي الْجُلَاسِ، أَوْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ.

﴿وَإِنْ يَتُوبُوا﴾ فَتَحَ اللَّهُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ، فَتَابَ الْجُلَاسُ وَحَسَنَ حَالَهُ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ﴾ الْآيَةُ؛ نَزَلَتْ فِي ثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَكْثُرَ مَالِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَلِيلٌ تُوْدِي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تَطِيقُهُ»، فَأَعَادَ عَلَيْهِ حَتَّى دَعَا لَهُ، فَكَثُرَ مَالُهُ، فَتَشَاغَلَ بِهِ حَتَّى تَرَكَ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ امْتَنَعَ مِنْ آدَاءِ الزَّكَاةِ، فَنَزَلَتْ فِيهِ الْآيَةُ، فَجَاءَ بِزَكَاتِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يَأْخُذْهَا مِنْهُ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَخْذَ زَكَاتِكَ»، ثُمَّ لَمْ يَأْخُذْهَا مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ وَلَا عُثْمَانُ<sup>(٢)</sup>.

﴿بَخِلُوا بِهِ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَنَعِهِ الزَّكَاةَ.

﴿فَأَغْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ ذَلِكَ عَقُوبَةٌ عَلَى الْعَصِيَانِ بِمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ.

﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ حُكْمُ بُؤْفَاتِهِ عَلَى النِّفَاقِ.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ؛ حِينَ تَصَدَّقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ فَقَالُوا: مَا هَذَا إِلَّا رِيَاءٌ<sup>(٣)</sup>. وَأَصْلُ «الْمُطَّوِّعِينَ» الْمُتَطَوِّعِينَ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: مَنْ تَصَدَّقَ بِكَثِيرٍ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٥٧٢/١١)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٨٤٤/٦) عَنْ قَتَادَةَ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٥٧٨-٥٨٠/١١)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٨٤٧/٦)، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (٧٨٧٣)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٢٨٩/٥) عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ؓ، وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ مَشْهُورٌ فِيمَا بَيْنَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، وَإِنَّمَا يَرُودُ مُوَصُولًا بِأَسَانِيدٍ ضَعِيفَةٍ، وَضَعَفَ إِسْنَادَهُ الْعِرَاقِيُّ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْإِحْيَاءِ (١١٧٩)، وَالهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (١٠٧/٧)، وَابْنُ حَجَرٍ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْكَشَافِ (٧٧)، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْحَفَازِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (٥٩٠/١١)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٨٥٠/٦) عَنْ مُجَاهِدٍ.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ هم الذين لا يقدرُونَ إِلَّا عَلَى القليل فيتصدقون به. نزلت في أبي عقيل؛ تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون: إن الله غني عن صدقة هذا<sup>(١)</sup>.  
﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخفون بهم.

﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب<sup>(٢)</sup>.

﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون لفظ أمر، ومعناه الشرط، بمعنى: إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة «المنافقين».

والآخر: أن يكون تخييراً؛ كأنه قال: إن شئت فاستغفر، وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم، وهذا أرجح؛ لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ فَاخْتَرْتُ»، وذلك حين قال له عمر: أتصلي على عبد الله بن أبي وقد نهاك الله عن الصلاة عليه! <sup>(٣)</sup>  
﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦٨)، ومسلم (١٠١٨) عن أبي مسعود، وفيه: «فتصدق أبو عقيل بنصف صاع».

(٢) [التعليق ٦٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن جزي رحمه الله: «تسمية للعقوبة باسم الذنب»: أقول: معنى كلامه: أن الله لا يسخر حقيقةً بالمنافقين، بل هذا من تسمية العقوبة باسم الذنب الذي ارتكبه، وهو سُخْرِيَهُمُ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُتَصَدِّقِينَ؛ وهذا معنى قول بعضهم: هذا من قبيل المشاكلة؛ يَغْتَوْنُ: المشاكلة اللفظية؛ كما قالوا مثل ذلك في المكر والكيد والاستهزاء والخداع. وليس هذا صواباً، بل الصواب: أن الله يمكر حقيقةً بالماكرين من الكافرين والمنافقين، ويخدع المخادعين، ويستهزئ بالمستهزين، ويسخر بالساخرين. ومن ذلك: إملاؤه تعالى للكافرين واستدراجهم، وإظهاره سبحانه قبول ما أظهره المنافقون من الإيمان، فيحسبون أنهم خدعوا الله بما أظهروه من العمل، وهو تعالى محمود على ذلك؛ لأنه عدل. ومن مكر الله واستهزائه بالمنافقين يوم القيامة: أنهم يكونون مع المؤمنين، فيعطون أنواراً حتى يظنوا أنهم ناجون، وليسوا بناجين؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ فَوْرِكُمْ...﴾ [الآيات الحديد: ١٣-١٥].

ومن مكر الله بالكافرين: ما ذكره في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ، فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون [الأنعام: ٤٤]، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٦) عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (١٢٦٩)، ومسلم (٢٧٧٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.



بَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْهَرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٥٥﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٦﴾ إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنَوْكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُتُوحِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَافْعَدُوا مَعَ الْخُلَائِصِ ﴿٥٧﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآثُورًا وَهُمْ بَاسِفُونَ ﴿٥٨﴾ \* وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ آتِ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أَتُولُوا الطَّوْلَ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْفَاعِلِينَ ﴿٦٠﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦١﴾ لَيْسَ لِلرَّسُولِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٢﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْبُورُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

﴿بَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ أي: الذين خلفهم الله عن الغزو<sup>(١)</sup> وأقعدهم عنه، وفي هذا تحقيقٌ وذمٌ لهم، ولذلك لم يقل: «المتخلفون».

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم.

﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ أي: بعده حين خرج إلى تبوك، فـ﴿خِلَافَ﴾ على هذا ظرف. وقيل: هو مصدر من خَالَفَ؛ فهو على هذا مفعول من أجله.

﴿وَقَالُوا لَا تَنْهَرُوا فِي الْحَرِّ﴾ قال هذه المقالة رجل من بني سَلَمَةَ ممن صعب عليه السفر إلى تبوك في الحرِّ.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ أمرٌ بمعنى الخبر، فَضَحُّهُمْ القليل: في الدنيا مدة بقائهم فيها، وبكاؤهم الكثير: في الآخرة. وقيل: هو بمعنى الأمر؛ أي: يجب أن يكونوا

(١) في أ، ب، هـ: «عن بدر»

يضحكون قليلاً ويكون كثيراً في الدنيا؛ لما وقعوا فيه.

﴿إِلَى ظَايِقَةٍ مِنْهُمْ﴾ إنما لم يقل: «إليهم»؛ لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف.

﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ عقوبة لهم فيها خزي وتوبيخ.

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: في غزوة تبوك.

﴿بِافْعَدُوا مَعَ الْخَلِيمِينَ﴾ أي: مع القاعدين؛ وهم النساء والصبيان.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ نزلت في شأن عبد الله بن أبيّ ابن سلول، وصلاة رسول الله ﷺ عليه حين مات<sup>(١)</sup>. فروي أنه صلى عليه فنزلت الآية بعد ذلك. وروي أن رسول الله ﷺ لما تقدم ليصلي عليه جاءه جبريل فجبذ بثوبه، وتلا عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ الآية، فانصرف ﷺ ولم يصل عليه<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً﴾ قيل: يعني براءة، والأرجح أنه على الإطلاق.

﴿أَنْ-أَمِنُوا﴾ «أَنْ» هنا مفسرة.

﴿إِسْتَدْنَكَ أَزُولُوا الطَّوْلَ مِنْهُمْ﴾ أي: أولو الغنى والمال الكثير.

﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ﴾ الآية؛ أي: إن تخلف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه.

﴿الْخَيْرُ﴾ تعمّ منافع الدارين. وقيل: هي الحور العين؛ لقوله: ﴿خَيْرٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٩].



(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦١٢) عن أنس رضي الله عنه، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٩٥).

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَمْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿١٣﴾ \* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لِي ثُوْمَنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُزَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ سَيَحْلِبُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا بِهِمْ مِنْ جَهَنَّمَ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ يَحْلِبُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْهَى مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَابِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يَنْهَى فُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ هم: المعتذرون؛ ثم أُدغمت التاء في الذال، ونقلت حركتها إلى العين، واختلف هل كانوا في اعتذارهم صادقين أو كاذبين؟ وقيل: هم المقصرون؛ من عذَرَ في الأمر: إذا قصر فيه ولم يجد؛ فوزنه على هذا: المفعّلون.

وروي أنها نزلت في قوم من غفار<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم؛ فكذبوا في دعوهم الإيمان.

(١) أخرجه الطبري (١١/٦٢١) عن مجاهد، وابن أبي حاتم (٦/١٨٦٠) عن أبي إسحاق.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أي: من المعذرين.

﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ هذا رفعٌ للخرج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو. وقيل: إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان، وهذا بعيد.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ قيل: نزلت في بني مُقَرَّن، وهم ستة إخوة صحبوا النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وقيل: في عبد الله بن مغفل المزني<sup>(٢)</sup>.

﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ﴾ يعني: بنياتهم وأقوالهم، وإن لم يخرجوا للغزو.

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ وصفهم بالمحسنين؛ لأنهم<sup>(٣)</sup> نصحوا لله ورسوله، ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قيل: هم بنو مقرن، وقيل: ابن مغفل<sup>(٤)</sup>، وقيل: سبعة نفر من بطون شتى؛ وهم البكاؤون. ومعنى ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾: على الإبل. وجواب ﴿إِذَا﴾: يحتمل أن يكون: ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ﴾ أو ﴿تَوَلَّوْا﴾.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يعني: من غزوة تبوك.

﴿لَنْ تُوْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم.

﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ نعتٌ لمحذوف هو المفعول الثاني؛ تقديره: قد نبأنا الله جملةً من أخباركم.

﴿الْأَعْرَابَ أَشَدَّ كُفْرًا وَبِقَافًا﴾ هم أهل البوادي من العرب.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: أنهم أحقُّ أن لا يعلموا الشرائع؛ لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم.

(١) أخرجه الطبري (١١/٦٢٥)، وابن أبي حاتم (٦/١٨٦٢)، وابن سعد في الطبقات (٦/٢٠) عن مجاهد، وفي

الطبقات أنهم «سبعة».

(٢) أخرجه الطبري (١١/٦٢٣) من طريق العوفي عن ابن عباس<sup>(٥)</sup> وابن أبي حاتم (٦/١٨٦٢) عن أبي العالية.

(٣) في أ، ب، هـ: «أنهم».

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْعِمُ مَغْرَمًا﴾ أي: تثقل عليه الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقلاً المغموم الذي ليس بحق عليه.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بَكُمْ الدَّوَائِرُ﴾ أي: ينتظر بكم مصائب الدنيا.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ خبر، أو دعاء.

﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي: دعواته لهم. وهو عطف على ﴿فَزَيَّلْتَ﴾ ؛ أي: يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله<sup>(١)</sup> واغتنام دعاء الرسول لهم. وقيل: نزلت في بني مكرن.



(١) في أ، ج، هـ: «إليه».

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
 وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٥﴾  
 \* وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْيَقَايَ لَا تَعْلَمُهُمْ  
 نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ وَعَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ  
 خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ خُذْ  
 مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ  
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ  
 هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ وَقُلِ إِعْمَلُوا فَمَا تَسِيرُوا اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ  
 عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَعَاخَرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا  
 يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا  
 وَتَفْرِيفًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيُخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا  
 الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٢﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدُ اسِّسَ عَلَى التَّفْوِيءِ مِنْ  
 أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٢٣﴾ أَقْسَمُ  
 اسِّسَ بُنَيْنَهُ عَلَى تَفْوِيءٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مِّنْ اسِّسَ بُنَيْنَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَارٍ  
 بَانْهَارٍ يَهُ فِي بَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً  
 فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ قيل: هم من صُلِّيَ للقبليتين، وقيل: من شهد بدرًا، وقيل: من  
 حضر بيعة الرضوان.

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ سائر الصحابة عليهم السلام، ويدخل في ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم  
 القيامة؛ بشرط الإحسان.

﴿مَرَدُوا عَلَى الْيَقَايَ﴾ أي: اجترؤوا عليه، وقيل: أقاموا عليه.

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ العذاب العظيم: هو عذاب النار.  
 وأما المرتان قبله: فالثانية منهما: عذاب القبر، والأولى: عذابهم بإقامة الحدود عليهم،

وقيل: فضيحتهم في النفاق.

﴿وَأَخْرَوْا إِغْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية؛ قيل: إنها نزلت في أبي لبابة<sup>(١)</sup>، فعمله الصالح: الجهاد، وعمله السيئ: نصيحته لبني قريظة. وقيل: هي فيمن تخلف عن تبوك من المؤمنين، فعملهم الصالح: ما سبق لهم، وعملهم السيئ: تخلفهم عن تبوك، وروي أنهم ربطوا أنفسهم إلى سواري المسجد، وقالوا: لا نحُلُّ أنفسنا حتى يحلُّنا رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. وقيل: هي عامة في الأمة إلى يوم القيامة. قال بعضهم: ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه<sup>(٣)</sup>.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ قيل: نزلت في المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم؛ لما تاب الله عليهم قالوا: يا رسول الله إنا نريد أن نتصدق بأموالنا، فنزلت هذه الآية، وأخذ ثلث أموالهم<sup>(٤)</sup>. وقيل: هي الزكاة المفروضة؛ فالضمير على العموم لجميع المسلمين. ﴿تُظَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ خطاب للنبي ﷺ، في موضع صفة لـ ﴿صَدَقَةً﴾، أو حال من الضمير في ﴿خُذْ﴾.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادعُ لهم.

﴿سَكَنَ لَهُمْ﴾ أي: تسكن به نفوسهم؛ فهو عبارة عن صحة الاعتقاد، أو عن طمأنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الضمير في ﴿يَعْلَمُوا﴾: للتائبين من التخلف، وقيل: للذين تخلفوا ولم يتوبوا، وقيل: عام. وفائدة الضمير المؤكِّد: تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره.

﴿وَيَاخُذْ الصَّدَقَاتِ﴾ قيل: معناه: يأمر بها، وقيل: يقبلها من عباده<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٦٥٦/١١) وابن أبي حاتم (١٨٧٣/٦) عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٦٥١/١١) وابن أبي حاتم (١٨٧٣/٦) من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس ؓ.

(٣) أخرجه الطبري (٦٥٨/١١) عن أبي عثمان النهدي.

(٤) أخرجه الطبري (٦٥٩/١١) وابن أبي حاتم (١٨٧٤/٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؓ.

(٥) [التعليق ٦١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله ﷺ: «قيل: معناه: يأمر بها، وقيل: يقبلها من عباده» أقول:

ذكر في تفسير أخذ الله الصدقات قولين؛ أحدهما: أن معناه الأمر بها، والثاني: أنه يقبلها، ولم يرجح، =

﴿وَأَخْرَوْا مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ قيل: هم الثلاثة الذين خُلفوا قبل أن يتوب الله عليهم. وقيل: هم الذين بنوا مسجد الضرار. وقرئ ﴿مُرْجُونَ﴾ بالهمز وتركه<sup>(١)</sup>، وهما لغتان، ومعناه: التأخير.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ قرئ ﴿الَّذِينَ﴾ بغير واو<sup>(٢)</sup>؛ صفة لقوله: ﴿وَأَخْرَوْا مُرْجُونَ﴾، أو على تقدير: هم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال في الـ ﴿مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾: هم أهل مسجد الضرار. وقرئ ﴿وَالَّذِينَ﴾ بالواو؛ عطفًا على ﴿وَأَخْرَوْا مُرْجُونَ﴾، وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجئين: إنهم الثلاثة الذين خلفوا.

﴿ضَرَارًا وَكُفْرًا﴾ كان بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء، وكان رسول الله ﷺ يأتيه ويصلي فيه، فحسداهم على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف؛ فبنوا مسجدًا آخر مجاورًا له؛ ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباء، وذلك هو الضرار الذي قصدوا، وسألوا من رسول الله ﷺ أن يأتيه، ويصلي لهم فيه، فنزلت عليه فيه هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

= ولا ريب أن تفسير الأخذ بالأمر صرف للكلام عن ظاهره إلى معنى بعيد عن مدلول اللفظ، وأما تفسيره بالقبول، فهو قريب، فيكون من قبيل التجوز بالأخذ عن القبول؛ لأنه سببه، ومع ذلك فلا موجب لصرف اللفظ عن حقيقته، وهو الأخذ باليد، كيف وقد جاء التصريح بالأخذ باليمين في الحديث المتفق عليه، وهو قوله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه» الحديث [أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)] عن أبي هريرة ؓ، وفي مسلم: «إلا أخذها الرحمن بيمينه» الحديث، فثبت أن الأخذ في الآية على حقيقته، ويؤيده أنه قد جاء التصريح بالأخذ باليد في غير الصدقة، وهو قوله ﷺ: «ياخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه» الحديث [أخرجه مسلم (٢٧٨٨)] عن ابن عمر ؓ، فعلم مما تقدم أن الأخذ فعل من أفعال الرب تعالى التي تكون بمشيئته، وقائمة بذاته، فيجب فيها ما يجب في سائر الصفات، وهو إجراؤها على ظاهرها وإثباتها مع نفي التشبيه، ونفي العلم بالكيفية، والله أعلم.

ومما يؤكد ما سبق أن الله تعالى ذكر الأخذ مضافًا إلى الرسول ﷺ في قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، فدل ذلك أن الأخذ من الأفعال التي تضاف إلى الخالق على ما يليق به، وتضاف إلى المخلوق على ما يليق به، كالحب والرضا والاستواء، وليس الحب كالحب، ولا الرضا كالرضا، ولا الاستواء كالاستواء، وكذلك ليس الأخذ كالأخذ، والله أعلم.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم «مرجؤون» بالهمز، وقرأ الباقر بغير همز.

(٢) قرأ نافع وابن عامر بغير واو، وقرأ الباقر بالواو.

(٣) أخرجه ابن المنذر عن سعيد بن جبير، كما في الدر المنثور (٥٢٤ / ٧)، وأخرجه الطحاوي بإسناده في شرح مشكل الآثار (١٧٣ / ١٢).



﴿وَتَفْرِيفًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أرادوا أن يتفرق المؤمنون عن مسجد قباء.

﴿وَإِصْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: انتظارًا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الراهب الذي سمّاه رسول الله ﷺ: الفاسق، وكان من أهل المدينة، فلما قدمها رسول الله ﷺ جاهر بالكفر والنفاق، ثم خرج إلى مكة فحزب الأحزاب من المشركين، فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام، ليستنصر بقيصر فهلك هناك. وكان أهل مسجد الضرار يقولون: إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد. والإشارة بقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ إلى ما فعل مع الأحزاب.

﴿وَلِيَخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا آلَ الْحُسَيْنِ﴾ أي: الخصلة الحسنی؛ وهي الصلاة وذكر الله، فأكدّهم الله في ذلك.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهي عن إتيانه والصلاة فيه، فكان رسول الله ﷺ لا يمر بطريقه.

﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ قيل: هو مسجد قباء، وقيل: مسجد النبي ﷺ بالمدينة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا﴾ كانوا يستنجون بالماء، ونزلت في الأنصار على قول من قال: إن المسجد الذي أُسِّس على التقوى هو مسجد المدينة، ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصة على قول من قال: إنه مسجد قباء.

﴿أَقِمْنَ أَسْوَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مِّنْ أَسْوَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ الآية؛ استفهام بمعنى التقرير. والذي أُسِّس على التقوى والرضوان: مسجد المدينة أو مسجد قباء، والذي أُسِّس على شفا جرف هار: هو مسجد الضرار. وتأسيس البناء على التقوى والرضوان: هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه. والتأسيس على شفا جرف هار: هو بفساد النية، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين؛ فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البارع.

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٨) عن أبي سعيد الخدري ؓ.



ومعنى «شَبَا جُرْبٍ»: طَرَفِ حفرة. ومعنى «هَارٍ»: ساقط، أو واه؛ بحيث أشفى على السقوط، وأصل «هَارٍ»: هَائِرٌ؛ فهو من المقلوب؛ لأن لأمه جعلت في موضع العين.

«بَانْهَارَ بِهِ» في بَارٍ جَهَنَّمَ أي: طاح في جهنم، وهذا ترشيح للمجاز<sup>(١)</sup>؛ فإنه لما شُبّه بالجرف وُصِفَ بالانهيار؛ الذي هو من شأن الجرف. وقيل: إن ذلك حقيقة، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه. والصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بهدمه فهُدم.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لا يزال في قلوب أهل مسجد الضرار ريبة من بنيانه؛ أي: شك في الإسلام بسبب بنيانه؛ لاعتقادهم صواب فعلهم، أو غيظاً بسبب هدمه.

﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: إلا أن يموتوا.



(١) سبق بيان هذا المصطلح البلاغي عند تفسير الآية رقم (١٥) من سورة البقرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿الْحَمِيدُونَ السَّاجِدُونَ لِلرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَمِيمُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهمَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ إِبْرَاهِيمَ لَأَبِيهِ إِلَّا عَنِ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّمُ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ فُلُوبَ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ قيل: إنها نزلت في بيعة العقبة<sup>(١)</sup>. وحكمها عام في كل مؤمن مجاهد في سبيل الله إلى يوم القيامة. قال بعضهم: ما أكرم الله! فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفقة رابحة!

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جملة في موضع الحال؛ بياناً للشراء.

﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ قال بعضهم: ناهيك من بيع البائع فيه ربُّ العلى، والتمن جنة المأوى، والواسطة محمد المصطفى ﷺ.

(١) أخرجه الطبري (٦/١٢) عن محمد بن كعب القرظي.

﴿التَّائِبُونَ﴾ وما بعده: أوصاف المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم؛ تقديره: هم التائبون.

﴿السَّائِحُونَ﴾ قيل: معناه الصائمون. ويقال: ساح في الأرض: أي: ذهب.

﴿وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ نزلت في شأن أبي طالب؛ فإنه لما امتنع أن يقول: «لا إله إلا الله» عند موته؛ قال له رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنه عنك»، فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقيل: إن النبي ﷺ استأذن ربه في أن يستغفر لأُمِّه؛ فنزلت الآية<sup>(٢)</sup>. وقيل: إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لأبائهم المشركين؛ فنزلت<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَا كَانَ إِسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ الْمَعْنَى: لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم لأبيه؛ فإن ذلك لم يكن إلا لوعده<sup>(٤)</sup> تقدّم، وهو قوله: «سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي» [مريم: ٤٧].

﴿بَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ قيل: تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر. وقيل: بأنه نُهي عن الاستغفار.

﴿لَا وَهْ﴾ قيل: كثير الدعاء، وقيل: مُوقِنٌ، وقيل: فقيه، وقيل: كثير الذكر لله، وقيل: كثير التأوّه من خوف الله.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ الآية؛ نزلت في قوم من المسلمين؛ استغفروا للمشركين من غير إذن، فخافوا على أنفسهم من ذلك، فنزلت الآية؛ تأنيساً لهم<sup>(٥)</sup>؛ أي: ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبيّن لكم المنع من ذلك.

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) عن سعيد بن المسيّب عن أبيه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٣/٦)، وابن حبان (٩٨١)، والحاكم (٣٢٩٢) وصححه، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٧١٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/١٤) وابن أبي حاتم (١٨٩٣/٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؓ.

(٤) في أ، ب، هـ: «وعد».

(٥) ذكره ابن عطية في تفسيره (٤٢٦/٤)، ولم أقف عليه مسنداً.



﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ يعني: حين محاولة غزوة تبوك. والساعة هنا: بمعنى الحين والوقت، وإن كان مدة. و﴿الْعُسْرَةِ﴾: الشدة وضيق الحال.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبَ قَرِيبٍ مِنْهُمْ﴾ يعني: تزيغ عن الثبات على الإيمان، أو عن الخروج في تلك الغزوة؛ لما رأوا من الضيق والمشقة. وفي ﴿كَادَ﴾ ضمير الأمر والشأن<sup>(١)</sup>، أو ترتفع بها القلوب<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على هذا الفريق؛ أي: رجع بهم عما كادوا يقعون فيه.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع رضي الله عنه، تخلّفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولا قصدٍ للمخالفة، فلما رجع رسول الله ﷺ عتب عليهم، وأمر أن لا يكلمهم أحد، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، فبقوا على ذلك مدةً إلى أن أنزل الله توبتهم، وقد وقع حديثهم في البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup> والسّير. ومعنى ﴿خَلَفُوا﴾ هنا: عن الغزوة. وقال كعب بن مالك<sup>(٤)</sup>: معناه: تخلّفوا عن قبول العذر، وليس بالتخلّف عن الغزو، ويقوّي ذلك: كونه جعل ﴿إِذَا ضَافَتْ﴾ غايةً للتخلّف.

﴿ضَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ أي: رجع بهم ليستقيموا على التوبة.



(١) فیرتفع الضمير بها، وترتفع ﴿قُلُوبُ﴾ بـ ﴿تَزِيغُ﴾.

(٢) أي: ترتفع بـ ﴿كَادَ﴾: ﴿قُلُوبُ﴾، و﴿تَزِيغُ﴾ خبر مقدم، ويكون في قوله: ﴿تَزِيغُ﴾ ضمير القلوب. المحرر الوجيز (٤/ ٤٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٤) في الحديث المتقدم تخريجه.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٦﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِئًا يَعْيِظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْهَرُوا كَأَفَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ بَرَّةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿٣٩﴾

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يحتمل أن يريد: صدق اللسان؛ إذ كان هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتدوا بالكذب، فنفعهم الله بذلك. ويحتمل أن يريد: أعم من صدق اللسان، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم. والمراد بـ ﴿الصَّادِقِينَ﴾: المهاجرون؛ لقول الله في «الحشر»: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وقد احتج بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه على الأنصار يوم السقيفة، فقال: نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا؛ أي: تابعين لنا<sup>(١)</sup>.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ الآية؛ عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب.

﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التي تحملها هو ﷺ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ تعليل لما يجب من عدم التخلف.

﴿ظَمَأٌ﴾ أي: عطش.

﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب.

﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي: جوع.

﴿وَلَا يَطْشُونَ﴾ يعني: بأرجلهم أو بدوابهم.

(١) أخرجه الواقدي في كتاب الردة (ص: ٣٦).

﴿وَلَا يَتَالَوْنَ مِنْ عَذَابٍ نِيلًا﴾ عموم في كل ما يصيب الكفار .

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنهَضُوا كَأَقْبَةِ﴾ ابن عباس ؓ: هذه الآية في البعوث إلى الغزو والسرايا<sup>(١)</sup>؛ أي: لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله ﷺ بنفسه، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلف عنه، فالآية الأولى: في الخروج معه ﷺ، وهذه: في السرايا التي كان يبعثها.

وقيل: هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع؛ فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين. وقيل: هي في طلب العلم؛ ومعناها: أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع، بل على البعض؛ لأنه فرض كفاية.

﴿قُلُوبًا نَّفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ تحضيض على نفير بعض المؤمنين للجهاد، أو لطلب العلم.

﴿لِّيَتَّبَعَهُوا فِي الدِّينِ﴾ إن قلنا: إن الآية في الخروج إلى طلب العلم؛ فالضمير في ﴿يَتَّبَعَهُوا﴾ للفرقة التي (تنفر - أي: ترحل -)، وكذلك الضمير في ﴿يُنذِرُوا﴾ وفي ﴿رَجَعُوا﴾؛ أي: يُعلمون قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة. وإن قلنا: إن الآية في السرايا؛ فالضمير في ﴿يَتَّبَعَهُوا﴾ للفرقة التي<sup>(٢)</sup> تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا، وكذلك الضمير في ﴿يُنذِرُوا﴾، وأما الضمير في ﴿رَجَعُوا﴾ فهو للفرقة التي خرجت مع السرايا. وقيل: إن التفقه يكون في حين خروجهم مع السرايا؛ فعلى هذا تكون الضمائر كلها للفرقة التي خرجت مع السرايا.

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الضمير للقوم.



(١) أخرجه الطبري (٧٧/١٢) وابن أبي حاتم (١٩١٠/٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؓ.

(٢) سقط من أ، ب، ج، هـ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلَوْا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ١٥ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مِنْهُمْ مِّنْ يَّقُولُ أُيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا بِأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَبَزَّادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ١٦ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَاظِمُونَ ١٧ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ١٨ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ١٩ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٢٠ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢١

﴿فَتَلَوْا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أمرٌ بقتال الأقرب فالأقرب على تدرّج. وقيل: إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام؛ لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب، وكانت أرض العرب قد عمها الإسلام، وكانت العراق حينئذ بعيدة.

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مِنْهُمْ مِّنْ يَّقُولُ أُيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ أي: من المنافقين من يقول بعضهم لبعض: أيكم زادته هذه إيماناً؟ على وجه الاستخفاف بالقرآن؛ كأنهم يقولون: أي عجب في هذا؟ وأي دليل في هذا؟

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَبَزَّادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ المرض: عبارة عن الشك والنفاق. ومعنى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ زادتهم كفراً ونفاقاً إلى كفرهم ونفاقهم.

﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ قيل: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي: يُخْتَبَرُونَ بالأمراض والجوع، وقيل: بالامر بالجهاد. واختار ابن عطية أن يكون المعنى: يفضحون بما يُكشَف من سرائرهم<sup>(١)</sup>.

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: تغامزوا، وأشار بعضهم إلى بعض؛ على وجه

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٣٩).





الاستخفاف بالقرآن، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ فيُنقل عنكم هذا الاستخفاف؟ فقولهم: ﴿هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ كان بسبب خوفهم أن يُنقل عنهم ذلك.

وقيل: معنى ﴿تَنْظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: على وجه التعجب مما ينزل في القرآن؛ من كشف أسرارهم، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: هل رأى أحد أحوالكم فنقلها عنكم؟ أو علمت من غير نقل؟ فهذا أيضًا على وجه التعجب.

﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ يحتمل أن يريد الانصراف بالأبدان، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى. ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ دعاء، أو خبر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ تعليل لصرف قلوبهم.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني: النبي ﷺ، والخطاب: للعرب، أو لقريش خاصة؛ أي: من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقته وأمانته، أو لبني آدم كلهم؛ أي: من جنسكم. وقرئ: ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ بفتح الفاء<sup>(١)</sup>؛ أي: من أشرفكم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه عنتكم، والعنت: هو ما يضرهم في دينهم أو دنياهم. و﴿عَزِيزٌ﴾ صفة للرسول، و﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ فاعل بـ﴿عَزِيزٌ﴾، و﴿مَا﴾ مصدرية. أو ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ مصدر، و﴿عَزِيزٌ﴾ خبر مقدم، والجملة في موضع الصفة.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: حريص على إيمانكم وسعادتكم.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سماه الله هنا باسمين من أسمائه.

﴿إِن تَوَلَّوْاْ بَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: إن أعرضوا عن الإيمان بك فاستعن بالله وتوكل عليه. وقيل: إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة.



(١) قال في المحرر الوجيز (٤/٤٤٠-٤٤١): «وقرأ عبد الله بن قُسيط المكي: (من أَنفُسِكُمْ) بفتح الفاء من النفاسة، ورويت عن النبي ﷺ، وعن فاطمة ؓ، وذكر أبو عمرو أن ابن عباس ؓ رواها عن النبي ﷺ. وأخرج الحاكم (٢٩٤٥) عن ابن عباس ؓ، يرفعه إلى النبي ﷺ: قرأ: (لقد جاءكم رسولٌ من أَنفُسِكُمْ) يعني: من أعظمكم قدرًا. وسكت عنه الذهبي.

## سُورَةُ يُوسُفَ

أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ \* إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيُعْزِزَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْفُسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ تكلمنا في أول «البقرة» على حروف الهجاء التي في أوائل السور.

﴿يَكُنْ لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، و﴿الْكِتَابِ﴾ هنا: القرآن.

﴿الْحَكِيمِ﴾ من الحكمة، أو من الحكم، أو من الأحكام للأمر؛ أي: أخكمه الله.

﴿أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ الهمزة للإنكار، و﴿عَجَبًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ اسمها، و﴿أَنْ أَنْذِرِ﴾ تفسيرٌ للوحي. والمراد بالناس هنا: كفار قريش وغيرهم، والرجل هنا: رسول الله ﷺ. ومعنى الآية: الردُّ على من استبعد النبوة أو تعجب من أن يبعث الله رجلاً.

﴿قَدَّمَ صِدْقِي﴾ أي: عملٌ صالح قدَّموه. وقال ابن عباس ؓ: السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعنون: ما جاء به من القرآن. وقرئ ﴿لَسِحْرٌ﴾<sup>(٢)</sup>؛ يعنون به: النبي ﷺ. ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسيرًا لما ذُكر قبل من تعجبهم من النبوة، أو يكون خبرًا مستأنفًا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾ تعريفٌ بالله وصفاته؛ ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه ردُّ على من أنكر النبوة؛ كأنه يقول: إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذي خلق السماوات والأرض، فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين؟!

﴿مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أي: لا يشفع إليه أحدٌ إلا بعد أن يأذن له في الشفاعة، وفي هذا ردُّ على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم.

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ نصبٌ ﴿وَعْدًا﴾ على المصدر المؤكَّد للرجوع إلى الله، ونصبٌ ﴿حَقًّا﴾ على المصدر المؤكَّد لوعده الله.

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: يبدؤه في الدنيا ويعيده في الآخرة، والبداة دليلٌ على العودة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليلٌ للعودة؛ وهي البعث<sup>(٣)</sup>.

﴿بِالْفِسْطِ﴾ أي: بعدله في جزائهم، أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة.

(١) أخرجه الطبري (١١٠/١٢) وابن أبي حاتم (١٩٢٢/٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؓ.

(٢) قرأ نافع أبو عمرو وابن عامر ﴿لَسِحْرٌ﴾، وقرأ الباقون ﴿لَسَاحِرٌ﴾.

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «البعث».



﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ وصفُ أفعال الله وقدرته وحكمته. والضياء أعظم من النور.

﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ الضمير للقمر، والمعنى: قدر سيره في منازل.

﴿وَالْحِسَابَ﴾ يعني: حساب الأوقات؛ من الأشهر والأيام والليالي.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: ما خلقه عبثاً، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى ما تقدم من المخلوقات.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ قيل: معنى ﴿يَرْجُونَ﴾ هنا: يخافون. وقيل: لا يرجون حسن لقائنا؛ فالرجاء على أصله. وقيل: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾: لا يتوقعونه أصلاً، ولا يخطر ببالهم.

﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم.

﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ أي: سكنت نفوسهم عن ذكر الانتقال عنها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ يحتمل أن تكون هي الفرقة الأولى؛ فيكون من عطف الصفات، أو تكون غيرها.

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ أي: يسددهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة. أو يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة، وهذا أرجح؛ لما بعده.

﴿دَعَوِيَّتُمْ فِيهَا﴾ أي: دعاؤهم.



\* وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَبَدَّرَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَذْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُثْلِي عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آيَاتُ بَفْءٍ أَوْ بَدَلَةٌ أَوْ بَدَلَةٌ فَلَمَّا يَكُونُ لِيَ أَن أَبَدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِهِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوْجِي إِلَىٰ إِيَّيْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ مَسَّ الظَّلَمَ مِمَّنْ ابْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّي لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ مِّمَّا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ أي: لو عَجَّلَ الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعاً. ونزلت الآية - عند قوم -: في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده<sup>(١)</sup>. وقيل: نزلت في الذين قالوا: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ بِأَمْطَرِ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (١٣١/١٢) وابن أبي حاتم (١٩٣٢/٦) عن مجاهد وقتادة.

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٤/٤٥٧)، ولم أفق عليه مستنداً.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ عتابٌ في ضمنه نهي لمن يدعو الله عند الضر، ويغفل عنه عند العافية.

﴿لِحَبِيبِهِ﴾ أي: مضطجعاً، وروي أنها نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة؛ لمرض كان به<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ إخبارٌ في ضمنه وعيد للكفار.

﴿لِنَنْظُرَ﴾ معناه: ليظهر في الوجود؛ فتقوم عليكم الحجة.

﴿وَإِذَا تُثْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على قریش.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما تلوته إلا بمشيئة الله؛ لأنه من عنده وما هو من عندي.

﴿وَلَا أَدْرِيكُمْ يَوْمَ﴾ أي: ولا أعلمكم به.

﴿بَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جاءني من عند الله.

﴿فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ تنصّل من الافتراء على الله، وبيان لبراءته ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب. أو<sup>(٢)</sup> إشارة إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بيان لظلمهم في تكذيب رسول الله ﷺ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَعْبُدُونَ﴾ لكفار العرب، و﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: هي الأصنام.

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم.

﴿قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ ردٌ عليهم في قولهم بشفاعة الأصنام، والمعنى: أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذي هو عالم بما في السماوات والأرض، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عديم محض، ليس بشيء؛ فقلوه: ﴿أَتَدْعُونَ اللَّهَ﴾ تقريرٌ لهم على وجه التوبيخ والتهكم؛ أي: كيف تعلمون الله بما لا يعلم؟

(١) قاله مقاتل بن سليمان كما في تفسيره (٢/ ٢٣٠).

(٢) في د: أو.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ تقدّم في «البقرة» في قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١١].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القضاء.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ كانوا يطلبون آية من الآيات التي اقترحوا، ولقد نزلت عليه آيات عظام فما اعتدوا بها؛ لعنادهم وشدة ضلالهم.

﴿بَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، لا يطلع على ذلك أحد.

﴿بِأَنْتَظِرُونَ﴾ أي: انتظروا نزول ما اقترحتموه.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي: منتظر لعقابكم على كفركم.



وَإِذَا أَدْفَنَّا الْنَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهْمَةٍ إِذَا لَهُمْ مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا فَلِ اللَّهِ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٥١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ فِيهِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ غَاصِبَةٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا أَنجَيْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَيْنَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ \* لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِرٍ كَأَنَّمَا تُغَشَّيْتُ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا بَنَاتُنَا عَبَدُونَا ﴿٥٨﴾ فَكَيْفِي بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٥٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥١﴾ وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهْمَةٍ ﴿٥١﴾ هذه الآية في الكفار، وتتضمن النهي لمن كان كذلك من غيرهم، والمكر هنا: الطعن في آيات الله وترك شكره، ومكر الله الموصوف بالسرعة: هو عقابه لهم، سماه مكرًا؛ مشاكلةً لفعلهم، وتسميةً للعقوبة باسم الذنب<sup>(١)</sup>.

﴿٥٢﴾ وَجَرَيْنَ فِيهِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ غَاصِبَةٌ ﴿٥٢﴾ الضمير المؤنث في ﴿جَرَيْنَ﴾ للفلك، والضمير في ﴿بِهِمْ﴾ للناس، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (١٧، ٣٩، ٥٨، ٦٠).



وجواب ﴿إِذَا كُنْتُمْ﴾ قوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ . وقوله: ﴿دَعَوْا اللَّهَ﴾: قال الزمخشري: هو بدلٌ من ﴿وَلَطُّوا﴾<sup>(١)</sup>. ومعناه: دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه.

﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ رفع<sup>(٢)</sup> على أنه خبر ابتداء مضمر؛ تقديره: وذلك متاع، أو يكون خبر ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ معنى الآية: تحقيرٌ للعالم وبیان سرعة فنائها؛ فشبَّهها بالمطر الذي يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النبات آفةٌ عند حسنه وكماله.

﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كالزروع والفواكه.

﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ يعني: المرعى الذي<sup>(٤)</sup> ترعاه من العشب وغيرها.

﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ تمثيل بالعروس إذا تزيّنت بالثياب والحلي.

﴿فَقَدَرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: متمكّنون من الانتفاع بها.

﴿أَتَيْنَاهَا أَمْرًا﴾ أي: بعض الجوائح؛ كالريح، والصّرع، وغير ذلك.

﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي: جعلنا زرعها كالذي حُصِدَ وإن كان لم يُحصَد.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَمْ﴾ كأن لم تنعم.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ أي: إلى الجنة، وسمّيت دار السلام؛ أي: دار السلامة من

العناء والتعب. وقيل: السلام هنا: اسم الله؛ أي: يدعو إلى داره.

﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ذكر الدعوة إلى الجنة عامة مطلقة، والهداية خاصة بمن يشاء.

(١) انظر: الكشاف (٧/٤٥٨).

(٢) قرأ حفص عن عاصم ﴿متاع﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) وعلى القراءة بالنصب يكون إعراب ﴿متاع﴾ مصدر في موضع الحال من البغي، أي: ممتعين، وخبر البغي - على هذا - محذوف تقديره: مذموم أو مكروه أو نحو هذا، ويصح أن ينتصب ﴿متاع﴾ بفعل مضمر تقديره: تُمتعون متاع الحياة الدنيا. المحرر الوجيز (٤/٤٦٩)، والبحر المحيط (١٢/٥٦).

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «التي»!

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الحسنَى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله. وقيل: الحسنَى: جزاء الحسنه بعشر أمثالها، والزيادة: التضعيف فوق ذلك إلى سبع مئة. والأول أصح؛ لوروده في الحديث<sup>(١)</sup>، وكثرة القائلين به. ﴿فَتَرَىٰ أَيْ: غبار يغيّر الوجه.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ مبتدأ على حذف مضاف؛ تقديره: جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، أو على تقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها. أو معطوف على ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾؛ ويكون: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿بِمِثْلِهَا﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِرٍ﴾ أي: لا يعصمهم أحد من عذاب الله.

﴿فِظْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ من قرأ بفتح الطاء<sup>(٣)</sup>: فهو جمع قطعة، وإعراب ﴿مُظْلِمًا﴾ على هذه القراءة: حال من ﴿الَّيْلِ﴾. ومن قرأ ﴿فِظْعًا﴾ بإسكان الطاء: فـ ﴿مُظْلِمًا﴾: صفة له، أو حال من ﴿الَّيْلِ﴾.

﴿مَكَانَكُمْ﴾ تقديره: الزموا مكانكم؛ أي: لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم. ﴿فَرَيَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرقنا.

﴿تَبْلُؤًا كُلِّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أي: تختبر ما قدّمت من الأعمال. وقرئ ﴿تَثْلُؤًا﴾ بتاءين<sup>(٤)</sup>؛ بمعنى: تتبّع، أو تقرأه في الصحائف.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/١٦١).

(٢) كذا قال: «وخبره» بمثلها؛ وفي المحرر الوجيز (٤/٤٧٤) والكشاف (٧/٤٧٠): أن خبر «جزاء سيئة» على هذا الوجه: «والذين» المعطوف.

(٣) قرأ ابن كثير والكسائي بإسكان الطاء، وقرأ الباقر بفتحها.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بتاءين، وقرأ الباقر بالتاء والباء.

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١﴾  
 بَدَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ بِمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ  
 كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا  
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَلَإِنَّ اللَّهَ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ  
 شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ فَلِإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي لِمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ  
 يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ بِمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٥﴾ وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا  
 ظَنًّا لَّا يَنْظُرُونَ لَّا يُغْنِيهِ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦﴾ \* وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ  
 أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَاوِيلُهُ كَذَلِكَ  
 كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ  
 وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿١٠﴾

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ الآية؛ احتجاج على الكفار بحُجج كثيرة واضحة، لا محيص لهم عن الإقرار بها.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مذكور في «آل عمران»<sup>(١)</sup>.

﴿رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أي: الثابت الربوبية، بخلاف ما يعبدون من دونه.

﴿بِمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ أي: عبادة غير الله ضلالٌ بعد وضوح الحق. وتدُلُّ الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات؛ إذ الحق فيها في طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (٢٧).

(٢) (التعليق ٦٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك، قوله: «وتدُلُّ الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة» إلخ؛ ما قاله ﷺ من دلالة الآية على أنه لا واسطة بين الحق والباطل صحيح، وهو ظاهر الآية، كما قال، =

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ بَسَفُوا﴾ المعنى: كما حقَّ الحقُّ في الاعتقادات كذلك حقت كلمات ربك على الذين عتوا وتمردوا في كفرهم أنهم لا يؤمنون. والكلمة يراد بها: القدر والقضاء.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الآية؛ احتجاج على الكفار. فإن قيل: كيف يُحتج عليهم بإعادة الخلق، وهم لا يعترفون بها؟

فالجواب: أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرُونَ على الابتداء ولا على الإعادة؛ ففي ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضاً فوضعت الإعادة هنا موضع المتفق عليه؛ لظهور برهانها.

﴿أَمْ لَّا يَهْدِي﴾ بتشديد الدال<sup>(١)</sup>؛ معناه: لا يهتدي في نفسه، فكيف يهدي غيره؟ وقرئ بالتخفيف؛ بمعنى: يهدي غيره. والقراءة الأولى أبلغ في الاحتجاج.

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ «مَا» استفهامية معناها تقرير وتوبيخ، و﴿لَكُمْ﴾ خبرها، ويوقف عليه.

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله.

= فمعنى الآية: فما لم يكن من الحق فهو باطل؛ فالحق والباطل نقيضان، لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فلا يكون الشيء حقاً باطلاً، ولا يكون لا حقاً ولا باطلاً، وهذا معنى قول المؤلف: إنه لا واسطة بين الحق والباطل، لكن المؤلف رحمه الله قصر الآية على مسائل الاعتقاد دون مسائل الفروع، وفي الصواب أن الآية عامة، ولا ريب أن الاختلاف في العقائد اختلاف تضاد، فما خرج عن الحق الذي قام عليه الدليل فهو باطل، وأما الاختلاف في الفروع فهو نوعان: اختلاف تضاد، واختلاف تنوع؛ فما كان من اختلاف التضاد فيدخل في معنى الآية، مثل من يقول في شيء: هذا حلال، ويقول المخالف: بل هو حرام، فما كان منهما هو الحق فالآخر باطل؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾، ومعلوم أنه لا يمتنع أن يكون الشيء حلالاً حراماً من وجه واحد، ولا يكون لا حلالاً ولا حراماً، وعليه فلا يكون المختلفان في اختلاف التضاد مصيبين، ولا يكون كلُّ منهما مخطئاً؛ لأنه في الأول ينتفي النقيضان، وفي الثاني يجتمع النقيضان، وخلاصة القول: أن ما علم أنه الحق بالدليل، فما خالفه فهو باطل ولا بد، وعليه فتبقى الآية على إطلاقها، ﴿فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.

(١) قرأ حمزة والكسائي ﴿يَهْدِي﴾ بتخفيف الدال، مع فتح الباء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بتشديد الدال، ثم اختلفوا في الباء والهاء، فقرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع وأبو عمرو في أحد الوجهين: ﴿يَهْدِي﴾ بفتح الباء والهاء، وقرأ قالون في أحد وجهيه: ﴿يَهْدِي﴾ بفتح الباء وإسكان الهاء، وقرأ حفص عن عاصم ﴿يَهْدِي﴾ بفتح الباء وكسر الهاء، وقرأ شعبة عن عاصم ﴿يَهْدِي﴾ بكسر الباء والهاء، وقرأ أبو عمرو وقالون في وجههم الثاني باختلاس فتحة الهاء.

﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: غير تحقيق؛ لأنه لا يستند إلى برهان.  
 ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ذلك في الاعتقادات؛ إذ المطلوب فيها اليقين، بخلاف  
 الفروع<sup>(١)</sup>.

﴿تَضَيَّقَ أَلْفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مذكور في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ «أم» هنا بمعنى: «بل» والهمزة.

﴿بَاتُوا بِسُورَةٍ﴾ تعجيز لهم، وإقامة حجة عليهم.

﴿مَنِ اسْتَظَعْتُمْ﴾ يعني: شركاءكم وغيرهم من الجن والإنس.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غير الله.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: سارعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم  
 يعلموا تفسيره.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: عِلْمُ تأويله، أو يعني بتأويله: الوعيد الذي فيه لهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ الآية؛ فيها قولان:

أحدهما: أنها إخبار بما يكون منهم في المستقبل، وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى  
 على الكفر.

والآخر: أنها إخبار عن حالهم؛ أن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه، ومنهم من هو  
 مكذب.



(١) انظر التعليق الذي سبق عند تفسير الآية رقم (١٠٣) من سورة آل عمران.

(٢) انظر تفسير الآية (٤٠).

وَأَن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَن تَمَّ بِرِثُونٍ مِّمَّا أَغْلَلْ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْهَمُونَ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ فَذَخِيرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّئُكَ بَالِغِينَ مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ فَضِيَ بَيْنَهُم بِالْفُسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ \* قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن آتَيْكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَغْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٣﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَالًا وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ فِيلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٥﴾ وَتَسْتَأْذِنُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ لِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٦﴾

﴿١٤﴾ ﴿قُلْ لِي عَمَلِي﴾ الآية موادة، منسوخة بالقتال.

﴿١٥﴾ ﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يستمعون القرآن، وجمع الضمير بالحمل على معنى «من».

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ المعنى: أتريد أن تسمع الصم؟ وذلك لا يكون؛ لا سيما إذا انضاف إلى الصم عدم العقل.

﴿١٦﴾ ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ المعنى: أتريد أن تهدي العمي؟ وذلك لا يكون؛ لا سيما إذا انضاف إلى عمى<sup>(١)</sup> البصر عمى البصيرة. والصم والعمى: عبارة عن قلة فهمهم.

﴿١٧﴾ ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ تقليل لمدة بقائهم في الدنيا، أو في القبور.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: يوم الحشر؛ فهو - على هذا - (عامل في «يَوْمَ نَخْشِرُهُمْ»، أو)<sup>(٢)</sup>

(١) في أ: «عدم».

(٢) سقط من أ، ب، ج، هـ.

حال من الضمير في ﴿يَلْبَثُوا﴾.

﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ شرط، جوابه: ﴿بِإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾، والمعنى: إن أريناك بعض عذابهم في الدنيا فذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم.

﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ﴾ ذكرت «ثم» لترتيب الإخبار، لا لترتيب الأمر. قاله ابن عطية<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها؛ وهو العقاب<sup>(٢)</sup>. فالترتيب على هذا صحيح.

﴿إِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ قيل: مجيئه في الآخرة للفضل، وقيل: مجيئه في الدنيا؛ وهو بعثه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ كلام فيه استبعاد واستخفاف.

﴿بَيِّنَاتٍ﴾ أي: بالليل.

﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ المعنى: أي شيء تستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به! وقوله: ﴿مَاذَا﴾ جواب ﴿إِنْ آتِيكُمْ﴾، والجملة متعلقة بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾.

﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ دخلت همزة التقرير على «ثم» العاطفة، والمعنى: إذا وقع العذاب وعايتموه آمتم به الآن؟! وذلك لا ينفعكم؛ لأنكم كنتم تستعجلون به مكذبين به.

﴿وَيَسْتَنْثِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ أَمْ لَكُمْ آيَاتٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: يسألونك هل الوعيد حق؟ أو: هل الشرع والدين حق؟ والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: لا تفوتون من الوعيد.

﴿فَلِإِنَّ﴾ أي: نعم.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٨٨).

(٢) انظر: الكشاف (٧/ ٤٩٨).

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْفَيْسِ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٥١﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ هُوَ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٣﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِقَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْفَيْصَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ظَلَمَتْ﴾ صفة لـ ﴿نَفْسٍ﴾؛ أي: لو ملك الظالم الدنيا لافتدى بها من عذاب الآخرة.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها.

﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَشِقَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: يشفي ما فيها من الجهل والشك.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يتعلّق ﴿بِفَضْلِ﴾ بقوله: ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾،

وكرر الفاء في قوله: ﴿فَبِذَلِكَ﴾ تأكيداً، والمعنى: الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته

لا بغيرهما. والفضل والرحمة: عموم، وقد قيل: الفضل: الإسلام، والرحمة: القرآن.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ الآية؛ مخاطبة لكفار العرب الذين حرّموا

البحيرة والسائبة وغير ذلك.

﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلّق بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾، وكرر ﴿قُلْ﴾ للتأكيد، ولما قسم الأمر إلى إذن الله

لهم وافتراءهم ثبت افتراءهم؛ لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك.

﴿وَمَا ظَنُّ﴾ وعيد للذين يفترون.

﴿يَوْمَ الْفَيْصَةِ﴾ ظرف منصوب بالظن، والمعنى: أي شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم؟!





\* وَمَا تَكُونُ فِي شَأٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَغْرِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ إِلَّا أَنْ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْبَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ وَلَا يُخْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ إِلَّا إِنْ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النِّيلَ لِتَشْكُنُوا فِيهِ وَالتَّهَارَ مُبْصَرًا لَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ اللَّهُ وَلَدَا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ فُلِ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأٍ﴾ الشأن: الأمر، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: هو وجميع الخلق؛ ولذلك قال في آخرها: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ بمخاطبة الجماعة. ومعنى الآية: إحاطة علم الله بكل شيء.

﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره؛ لدلالة ما بعده عليه؛ كأنه قال: ما تتلو شيئاً من القرآن. وقيل: يعود على الشأن. والأول أرجح؛ لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء.

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يقال: أفاض الرجل في الأمر: إذا أخذ فيه بجِدٍّ.

﴿وَمَا يَغْرِبُ﴾ ما يغيب.

﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزنها، والذرة: صغار النمل. قال الزمخشري: إن قلت: لم قدمت الأرض على السماء بخلاف سورة «سبا»؟ فالجواب: أن السماء قدمت في «سبا»؛ لأن حقها

التقديم، وقدمت الأرض هنا؛ لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا أَضْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ من قراهما بالفتح<sup>(٢)</sup>: فهو عطف على لفظ «مَثْقَالٍ». ومن قراهما بالرفع: عطفه على موضعه، أو رفعه بالابتداء.

﴿١٣﴾ - ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ اختلف الناس في معنى الولي اختلافاً كثيراً، والحق فيه ما فسره الله بعد هذا بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي. وإعراب ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: صفة للأولياء، أو منصوب على التخصيص، أو رفع بإضمار: هم الذين. ولا يكون ابتداء مستأنفاً؛ لثلاث ينقطع مما قبله.

﴿١٤﴾ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أما بشرى الآخرة: فهي الجنة اتفاقاً. وأما بشرى الدنيا: فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، روي ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وقيل: محبة الناس للرجل الصالح، وقيل: ما بشر به في القرآن من الثواب.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعده. وقد استدل بها ابن عمر ؓ على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله<sup>(٤)</sup>.

﴿١٥﴾ ﴿وَلَا يَخْرِيكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني: ما يقوله الكفار من التكذيب.

﴿إِنَّ أَلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ إخبار في ضمنه وعد للنبي ﷺ بالنصر، وتسليته له.

﴿١٦﴾ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون «مَا» نافية، وأوجب بقوله: ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾، وكرر ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ توكيداً، والمعنى: ما يتبع الكفار إلا الظن.

(١) انظر: الكشف (٥١٩/٧).

(٢) قرأ حمزة برفع الراء فيهما، وقرأ الباقون بالنصب.

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٩) عن ابن عباس ؓ.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢٦/١٢)، والحاكم (٣٣٠١) وصححه ووافقه الذهبي.

والوجه الثاني: أن تكون ﴿مَا﴾ استفهامية، ويتم الكلام عند قوله: ﴿شَرَكَاءَ﴾، والمعنى: أي شيء يتبعون؟ على وجه التحقير لما يتبعونه، ثم ابتداء الإخبار بقوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّلَّ﴾. والعامل في ﴿شَرَكَاءَ﴾ على الوجهين: ﴿يَدْعُونَ﴾.

﴿لِتَسْكُنُوا بِهِ﴾ من السكون؛ وهو ضد الحركة.

﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مضيئاً تبصرون فيه الأشياء.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الضمير: للنصارى، ولمن قال: إن الملائكة بنات الله.

﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ وصف يقتضي نفى الولد، والرد على من نسب له؛ لأن الغني المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بيان وتأکید للغني، وباقي الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم.

﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا﴾ تقديره: لهم متاع في الدنيا.



\*وَأْتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ إِنْ كَانَ كَبَرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ إِنْ أَفْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُوا ۝ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ مِنْ أَخْبَرٍ إِنْ أَخْبَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَامْرُؤُا أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَتَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ بَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بِمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْلَمَ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي نَحْنُ الْبَاقِيُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْفُونَ ۝ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝

﴿نُوحٍ﴾ روي أن اسمه عبد الغفار<sup>(١)</sup>، وإنما سمي نوحًا؛ لكثرة تَوَحُّجِهِ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ.

﴿كَبَرَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: صعب وشق.

﴿مَقَامِي﴾ أي: قيامي لوعظكم والكلام معكم. وقيل: معناه: مكاني؛ يعني: نفسه، كقولك: فعلت ذلك لمكان فلان.

﴿فَأَجْمِعُوا﴾ بقطع الهمزة<sup>(٢)</sup>؛ مِنْ أَجْمَعَ الْأَمْرَ: إِذَا عَزَمَ عَلَيْهِ. وقرئ بآلف وصل؛ مِنْ الْجَمْعِ.

(١) لم أقف عليه.

(٢) قرأ رويس عن يعقوب ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ بهمزة وصل، وقرأ السبعة وبقية العشرة: ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ بهمزة قطع.

﴿وَشَرَكَاءَكُمْ﴾ أي: ما تعبدون من دون الله. وإعراجه: مفعول معه، أو مفعول بفعل مضمَر تقديره: ادعوا. وهذا على القراءة بقطع الهمزة. وأما على الوصل: فهو معطوف.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: لا يكنْ قُضْدُكُمْ إلى إهلاكِ مستورًا، ولكن مكشوفًا تجاهروني به، وهو من قولك: غَمَّ الهلال: إذا لم يظهر. والمراد بقوله: ﴿أَمْرُكُمْ﴾ في الموضعين: إهلاككم لنوح ﷺ؛ أي: لا تقصروا في إهلاكِ إن قدرتم على ذلك.

﴿ثُمَّ إَفْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: انفذوا فيَّ ما تريدون. ومعنى الآية: أن نوحًا ﷺ قال لقومه: إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما تريدون؛ فإني لا أبالي بكم؛ لتوكلني على الله وثقتني به سبحانه.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَ﴾ أي: يخلقون من هلك بالغرق.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ يعني: هودًا وصالحًا وإبراهيم ﷺ وغيرهم.

﴿أَسِخْرُ هَذَا﴾ قيل: إنه معمول ﴿أَتَقُولُونَ﴾؛ فهو من كلام قوم فرعون، وهذا ضعيف؛ لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر؛ لقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِخْرٌ مَبِينٌ﴾، فكيف يستفهمون عنه؟ وقيل: إنه من كلام موسى تقريرًا وتوبيخًا لهم، فيوقف على قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾، ويكون معمول ﴿أَتَقُولُونَ﴾ محذوفًا؛ تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر، ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِخْرٌ مَبِينٌ﴾، فلما تم الكلام ابتداء موسى يوبخهم<sup>(١)</sup> بقوله: ﴿أَسِخْرُ هَذَا وَلَا يَقْلِحُ السَّحَرُونَ﴾، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير رحمه الله.

﴿لِتَلْمِزَنَا﴾ أي: لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا.

﴿وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي: الملك، والخطاب لموسى وأخيه ﷺ.

﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّخْرُ﴾ ﴿مَا﴾ موصولة مرفوعة بالابتداء، و﴿السِّخْرُ﴾ الخبر.

(١) في ج، د: «توبيخهم».



وقرى ﴿السِّحْرُ﴾ بالاستفهام<sup>(١)</sup>؛ فـ ﴿مَا﴾ على هذا استفهامية<sup>(٢)</sup>، و ﴿السِّحْرُ﴾ خبر ابتداء مضمرة<sup>(٣)</sup>.

﴿وَيَجِئُ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى عليه السلام، أو إخباراً من الله تعالى.



(١) قرأ أبو عمرو بالاستفهام، وقرأ الباقر ﴿السحر﴾ بدون استفهام.

(٢) و ﴿يَشْتَرِيهِ﴾ الخبر.

(٣) تقديره: «أهو السحر»، والاستفهام فيه بدل من الاستفهام الأول. المحرر الوجيز (٤/ ٥١٢).

\*بِمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٥٦﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْغُومِ الْكُبْرَىٰ ﴿٥٨﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَقِّرُوا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَآمُولًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا بِطَمَسِ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٦٠﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا بِاسْتَفِيمًا وَلَا تَتَّبِعَنِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٢﴾ ءَالَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايَتِنَا لَعَالَمُونَ ﴿٦٤﴾

﴿٥٥﴾ ﴿بِمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ﴾ الضمير عائد على موسى ﷺ، ومعنى الذرية: شُبانٌ وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوفهم من فرعون. وقيل: إن الضمير عائد على فرعون، فالذرية على هذا من قوم فرعون، وروي في هذا أنها امرأة فرعون وخازنته<sup>(١)</sup> وامرأة خازنته<sup>(٢)</sup>، وهذا بعيد؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ الضمير يعود على الذرية؛ أي: آمنت الذرية من بني إسرائيل؛ على خوف من فرعون وملا بني إسرائيل؛ لأن الأكابر من بني إسرائيل كانوا يَمنعون أولادهم من الإيمان؛ خوفاً من فرعون.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «وخازنته».

(٢) أخرجه الطبري (٢٤٦/١٢) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

وقيل: يعود على فرعون؛ بمعنى: آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأترون له.

﴿أَنْ يَفْتَنَهُمْ﴾ بدل من ﴿فِرْعَوْنَ﴾.

﴿لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: متكبر قاهر.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تمكّنهم من عذابنا فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما عذبناهم، فيفتنون بذلك.

﴿أَنْ تَبُوءَ﴾ أي: اتّخذاً<sup>(١)</sup> لهم بيوتاً للصلاة والعبادة، وقيل: إنه أراد الإسكندرية.

﴿وَجَعَلُوا بُيُوتَكُمْ مُبَلَّغَةً﴾ أي: مساجد، وقيل: موجهة إلى جهة القبلة. فإن قيل: لم خصّ موسى وهارون بالخطاب في قوله ﴿أَنْ تَبُوءَ﴾، ثم خوطب معهما بنو إسرائيل في قوله: ﴿وَجَعَلُوا﴾؟ فالجواب: أن قوله ﴿تَبُوءَ﴾ من الأمور التي يختص بها الأنبياء وأولو الأمر.

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أمر لموسى، وقيل: لمحمد ﷺ.

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ دعاء بلفظ الأمر. وقيل: اللام لام كي، وتتعلق بقوله: ﴿عَاتَيْنْتَ﴾.

﴿إِظْمِئْسْ عَلَىٰ آمُولِهِمْ﴾ أي: أهلكها.

﴿وَأَشَدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: اجعلها شديدة القسوة.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ جواب للدعاء الذي هو ﴿وَأَشَدُّ﴾. أو دعاء بلفظ النهي<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ فَذُحِّيَّتْ دَعَاكَمُ﴾ الخطاب لموسى وهارون؛ على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده، ولكن كان موسى يدعو، وهارون يؤمن على دعائه.

﴿بِاسْتَفِيمَا﴾ أي: اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «اتخذ».

(٢) في ب، ج، هـ: «النهي».



﴿بَاتَّبَعَهُمْ وَرَعَوْنَ﴾ أي: لحقهم؛ يقال: تبعه حتى أتبعه، هكذا قال الزمخشري<sup>(١)</sup>. وقال ابن عطية: أتبع بمعنى تبع، وأما أتبع - بالتشديد - فهو طلب الأثر، سواء أدرك أو لم يدرك<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ يعني: الله عز وجل، وفي لفظ فرعون مَجْهَلَةٌ وتلعثم؛ لكونه لم يصرح باسم الله.

﴿عَالَيْنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ﴾ أي: قيل له: أتؤمن الساعة في وقت الاضطراب؟ وذلك لا يقبل منك.

﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي: نبعدك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر. وقيل: نلقيك على نجوة من الأرض؛ أي: على موضع مرتفع.

﴿يَبْدِيكَ﴾ أي: بجسدك جسداً دون روح. وقيل: بدرعك، وكانت له درع من ذهب يعرف بها. والمجرور<sup>(٣)</sup> في موضع الحال، والباء للمصاحبة.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ أي: لمن وراءك آية، وهم بنو إسرائيل.



(١) انظر: الكشاف (٥٥٥ / ٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥٢١ / ٤).

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «والمحذوف»، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٥٦٠ / ٧).

\* وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقِي وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يُفْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُفَرِّغُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢١﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ فَرْيَةً أَمَنْتَ فَتَبَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ يَلَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ فَلَا تَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِيهِ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ قَبَلُ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فانتظروا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

﴿١٧﴾ مَبُوءًا صِدْقِي ﴿١٨﴾ منزلًا حسنًا، وهو مصر والشام.

﴿١٩﴾ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴿٢٠﴾ قيل: يريد اختلافهم في دينهم، وقيل: اختلافهم في أمر محمد ﷺ.

﴿٢١﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ ﴿٢٢﴾ قيل: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره. وقيل: ذلك كقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرني، مع أنه لا يشك أنه ابنه، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم، قال ابن عباس ؓ: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: ذلك على وجه الفرض والتقدير؛ أي: إن فرضت أن تقع في شك فاسأل<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٨٦/٦) عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ؓ.

(٢) انظر: الكشاف (٥٦٤/٧).

﴿وَمَا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ﴾ قيل: يعني: القرآن والشرع بجملته، وهذا أظهر. وقيل: يعني ما تقدم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم الحق.

﴿بَسْطِ الَّذِينَ يَفْرَوْنَ أَلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني: الذين يقرؤون التوراة والإنجيل. قال السهيلي: هم عبد الله بن سلام ومُخِيرِيق وَمَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَحْبَارِ<sup>(١)</sup>. وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحملُ الآية على الإطلاق أولى.

﴿بَلَا تَكُونَنَّ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ والمراد غيره.

﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: قضى أنهم لا يؤمنون.

﴿بَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنْتْ﴾ «لولا» هنا للتخصيص؛ بمعنى «هلاً»، وقرئ في الشاذ: «هلاً»<sup>(٢)</sup>. والمعنى: هلاً كانت قريةٌ من القرى المتقدمة أمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها! إذ لا ينفع بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون.

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناءٌ من القرى؛ لأن المراد أهلها، وهو استثناء منقطع، بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب. ويجوز أن يكون متصلاً، والجملة في معنى النفي؛ كأنه قال: ما أمنت قرية إلا قوم يونس. وروي في قصصهم: أن يونس ؑ أنذرهم بالعذاب، فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم، فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى، فدفعه الله عنهم.

﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يريد: إلى آجالهم المكتوبة في الأزل.

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: أتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرمهم إلى ذلك؟ وليس ذلك إليك، إنما هو بيد الله. وقيل: المعنى: أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا؟ وكان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد، ثم نسخت بالسيف.

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٣٤).

(٢) في المحرر الوجيز (٤/ ٥٢٨): «في مصحف أبي وعبد الله بن مسعود ؑ: (فهلاً)».



﴿نَظَرُوا﴾ أمرٌ بالاعتبار والنظر في آيات الله.

﴿وَمَا تُغْنِيهِ الْآيَاتُ وَالذُّرُّ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: من قضى الله عليه أنه لا يؤمن.  
و«ما»: نافية، أو استفهامية يراد بها النفي.

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ﴾ الآية؛ تهديدٌ.

﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراض بين العامل ومعموله، وهما: ﴿كَذَلِكَ﴾ و﴿نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾.



﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾ وَأَنْ أَقِيمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيباً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنِ بَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٥﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿١﴾ وَأَنْ أَقِيمَ وَجْهَكَ ﴿الوجه هنا بمعنى: القصد والدين.﴾

﴿٢﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿منسوخ بالقتال، وكذلك قوله: ﴿وَاصْبِرْ﴾.﴾

﴿٦﴾ حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ ﴿وعد بالنصر والظهور على الكفار.﴾



## سُورَةُ هُودٍ

الرَّ كِتَابٍ أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ الْآ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ إِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَّعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ الْآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُغْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُبْلِغَكُمْ إِلَىٰ أَيَّامٍ أَحْسَنَ عَمَلًا وَلَئِنْ فُلْتُمْ لَأَنكُمْ مُّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولَنَّ مَا يَحْبِسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَفْرُوعًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

﴿كِتَابٍ﴾ يعني: القرآن، وهو خبر ابتداء مضمير.

﴿أَحْكَمْتَ﴾ أي: أتقنت؛ فهو من الإحكام للشيء.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ قيل: معناه: بُيِّنَتْ، وقيل: قُطِّعَتْ سورة سورة. و﴿ثُمَّ﴾ هنا ليست للترتيب في الزمان، وإنما هي لترتيب الأحوال؛ كقولك: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل.

﴿الْآ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ «أن»: مفسرة. وقيل: مصدرية؛ في موضع مفعول من أجله، أو بدل من الآيات. أو يكون كلامًا مستأنفًا، منقطعًا عما قبله، على لسان رسول الله ﷺ، ويدل على ذلك قوله: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: استغفروه مما تقدم من الشرك والمعاصي، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها.

﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ أي: ينفعكم<sup>(١)</sup> في الدنيا بالأرزاق، والنعم، والخيرات. وقيل: هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه؛ لأن الكافر قد يمتع في الدنيا بالأرزاق. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: الموت.

﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي: يعطي في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله. والضمير يحتمل أن يعود على الله تعالى، أو على ﴿ذِي فَضْلٍ﴾.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ خطاب للناس، وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين.

﴿عَذَابٍ يَوْمَ كَبِيرٍ﴾ يعني: يوم القيامة، أو غيره كيوم بدر.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونْ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ قيل: كان الكفار إذا لقيهم رسول الله ﷺ يردُّون إليه ظهورهم؛ لئلا يروه من شدة البُغْضة والعداوة، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ على هذا يعود على رسول الله ﷺ. وقيل: إن ذلك عبارة عما تنطوي عليه صدورهم من البغض والغِل. وقيل: هو عبارة عن إعراضهم؛ لأن من أعرض عن شيء انشأ عنه وانحرف. والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ على هذا يعود على الله تعالى؛ أي: يريدون أن يستخفوا من الله تعالى؛ فلا يُطلع رسوله والمؤمنين<sup>(٢)</sup> على ما في قلوبهم.

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: يجعلونها أغشية وأغطية؛ كراهة لاستماع القرآن، والعامل في ﴿حِينَ﴾: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾. وقيل: المعنى: يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم، فيوقف عليه على هذا، ويكون ﴿يَعْلَمُ﴾ استئنافاً.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وعدٌ وضمنان صادق. فإن قيل: كيف قال: ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضُّل؛ لأن الله لا يجب عليه شيء؟

(١) في هـ: «يمتكم».

(٢) في أ، ب، د، هـ: «فلا يطلع رسوله والمؤمنون».



فالجواب: أنه ذكره كذلك تأكيداً في الضمان؛ ولأنه لما وعد به صار واقعاً لا محالة؛ لأنه لا يخلف الميعاد.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ المستقر: صلب الأب، والمستودع: بطن الأم. وقيل: المستقر: المكان في الدنيا، والمستودع: القبر.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السماوات والأرض.

﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ أي: ليختبركم اختباراً تقوم به الحجة عليكم؛ لأنه كان عالماً بأعمالكم قبل خلقكم، ويتعلق ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ بـ ﴿خَلَقَ﴾.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يحتمل أن يشير إلى القرآن، أو إلى القول بالبعث؛ يعنون أنه باطل كبطلان السحر.

﴿وَلَيْسَ آخِرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ يحتمل أن يريد: عذاب الدنيا، أو الآخرة.

﴿إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى وقت محدود.

﴿لَيَقُولَنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ أي: أي شيء يمنع هذا العذاب الموعود به؟ وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف.





وَلَيْسَ أَذْفَنَّا إِلَّا نَسَنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَفْسُ كُفُورٌ ﴿١﴾ وَلَيْسَ أَذْفَنَّا نَعْمَاءَ  
بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْنَاهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَنَجِيحٌ بِخُورٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَتُؤَلِّيكَ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ  
إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ  
نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِفْتَرِيَهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ  
مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ  
بِأَعْلَمُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٦﴾ \* مَنْ كَانَ يَرْيدُ  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ ﴿٧﴾ أَتُؤَلِّيكَ الَّذِينَ  
لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ «وَلَيْسَ أَذْفَنَّا» الآية؛ ذمٌ لمن يقنط عند الشدائد، ولمن يفخر ويتكبر عند النعم.  
والرحمة هنا والنعماء: يراد بهما الخيرات الدنياوية. والإنسان: عام يراد به الجنس،  
والاستثناء على هذا متصل. وقيل: المراد بالإنسان الكافر، فالاستثناء على هذا منقطع.

﴿٢﴾ «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ» الآية؛ كان الكفار يقترحون على رسول الله ﷺ  
أن يأتي بكثر أو يأتي معه ملك، وكانوا يستهزئون بالقرآن، فقال الله تعالى له: لعلك تترك أن  
تُلْقِي إليهم بعض ما أنزل إليك ويثقل عليك تبليغهم من أجل استهزائهم، أو لعلك يضيق  
صدرك من أجل أن يقولوا: لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك.

والمقصد بالآية: تسليته ﷺ عن قولهم حتى يبلغ الرسالة، ولا يبالي بهم.

وإنما قال «ضَائِقٌ»، ولم يقل «ضَيِّقٌ»؛ ليدل على اتساع صدره ﷺ وقلة ضيقه.

﴿٣﴾ «إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ» أي: ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ، والله هو الوكيل الذي يقضي بما  
شاء من إيمانهم أو كفرهم.

﴿٤﴾ «أَمْ يَقُولُونَ إِفْتَرِيَهُ» «أم» هنا منقطعة بمعنى: «بل» والهمزة، والضمير في «إِفْتَرِيَهُ» لما  
يُوحَى إليه.

﴿قُلْ بَاتُوا بِعَشْرِ سَوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ تحدّاهم أوّلاً بعشر سور، فلما بان عجزهم عنها تحدّاهم بسورة واحدة فقال: ﴿بَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨]، والمماثلة المطلوبة: في فصاحته وعلومه.

﴿مُفْتَرَّتٍ﴾ صفة لـ ﴿عَشْرِ سَوْرٍ﴾، وذلك مقابلة لقولهم ﴿إِفْتَرِيَّةٌ﴾، وليست المماثلة في الافتراء.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: استعينوا بمن شئتم.

﴿قَالُوا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ بِأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ وللمؤمنين؛ أي: إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتهم إليه من معارضة القرآن؛ فاعلموا أنه من عند الله، وهذا على معنى: دوموا على علمكم بذلك، أو زيدوا يقيناً به.

والثاني: أن يكون خطاباً من النبي ﷺ للكفار؛ أي: إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليه؛ فاعلموا أنه من عند الله، وهذا أقوى من الأول؛ لقوله: ﴿بَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. ومعنى ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: بإذنه، أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب. وقوله: ﴿بَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: استدعاء إلى الإسلام، والزام للكفار أن يسلموا، لما قام الدليل على صحة الإسلام؛ لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن.

﴿مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الآية؛ نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا، ولا يريدون الآخرة؛ إذ هم لا يصدّقون بها. وقيل: نزلت في أهل الرياء من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا، حسبما ورد في الحديث - في القارئ، والمنفق، والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك -: «إنهم أول من تسعّر<sup>(١)</sup> بهم النار»<sup>(٢)</sup>.

(١) كذا في هامش أ: «خ: تسعر» وهو الموافق لما في الرواية، وفي بقية النسخ: «تسجّر».

(٢) وهو من حديث أبي هريرة ؓ، أخرجه مسلم (١٩٠٥)، ولفظه: «إن أول الناس يقضن يوم القيامة عليه...»، وزاد في آخره الترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في الكبرى (١١٨٢٤)، وابن خزيمة (٢٤٨٢)، وابن حبان (٤٠٨)، والحاكم (١٥٢٧). ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة».

والأول أرجح<sup>(١)</sup>؛ لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن، وإنما قصد بهذه الآية أولئك.

﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَغْمَلَهُمْ فِيهَا﴾ أي: نوفٌ إليهم أجور أعمالهم بما نعطيههم في الدنيا من الصحة والرزق. والضمير في ﴿فِيهَا﴾ يعود على الدنيا، والمجرور متعلق بقوله: ﴿نُوفٍ﴾، أو بـ ﴿أَغْمَلَهُمْ﴾.

﴿وَحَيْطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ الضمير في ﴿فِيهَا﴾ هنا: يعود على الآخرة: إن تعلق المجرور بـ ﴿حَيْطَ﴾. ويعود على الدنيا: إن تعلق بـ ﴿صَنَعُوا﴾.



(١) في أ، ب: «أوضح».

أَقْسَمَ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً  
 أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ بِالْكَارِ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ  
 الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ  
 كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا  
 لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ  
 كَاذِبُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن  
 أَوْلِيَاءَ يَضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٨﴾ أُولَٰئِكَ  
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٩﴾ لَا جَزَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ  
 الْآخَسَرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
 الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ \* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَغْصَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّيِّعِ هَلْ  
 يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَقْبَلًا تَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾

﴿١٧﴾ ﴿أَقْسَمَ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ الآية؛ معادلة لما تقدّم، والمعنى: أمّن كان يريد الحياة  
 الدنيا كمن كان على بينة من ربه. والمراد بمن كان على بينة من ربه: النبي ﷺ والمؤمنون؛  
 لقوله بعد ذلك: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾. ومعنى البينة: البرهان العقلي والأمر الجلي.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الضمير في ﴿يَتْلُوهُ﴾: للبرهان؛ وهو البينة، أو لمن كان على بينة من  
 ربه. والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾: للرب تعالى. و ﴿يَتْلُوهُ﴾ هنا بمعنى: يتبع. والشاهد يراد به:  
 القرآن؛ فالمعنى: يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن، فيزيد وضوحه وتعظيم  
 دلالاته<sup>(١)</sup>. وقيل: إن الشاهد المذكور هنا: هو علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ أي: ومن قبل ذلك الشاهد كتاب موسى، وهو أيضًا دليل  
 آخر متقدّم.

(١) في ب: «وتعظّم دلالاته».

(٢) أخرجه الطبري (٣٥٦/١٢)، وابن أبي حاتم (٢٠١٤/٦) عن علي عليه السلام أنه قال ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية

(٨٥/١٥): «وهذا كذب على علي قطعاً»، وقال ابن كثير في تفسير (٣١٢/٤): «وهو ضعيف لا يثبت له قائل».

وقد قيل أقوال كثيرة في معنى هذه الآية، وأرجحها ما ذكرنا.

﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي: من أهل مكة.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، كأصحاب، ويحتمل أن يكون من الشهادة؛ فيراد به: الملائكة والأنبياء، أو من الشهود بمعنى الحضور؛ فيراد به: كل من حضر الموقف.

﴿وَيَبْغُوثَهَا عِوَجًا﴾ أي: يطلبون اعوجاجها، أو يصفونها بالاعوجاج.

﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ أي: لا يفلتون.

﴿يُضَعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ إخبار عن تشديد عذابهم، وليس بصفة لـ ﴿أُولِيَاءَ﴾.

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ الآية؛ «ما» نافية، والضمير للكفار، والمعنى: وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون، كقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٦] الآية. وقيل غير ذلك، وهو بعيد.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بد، ولا شك.

﴿وَأَخْبَتُوا﴾ خشعوا، وقيل: أنابوا.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين.

﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ شبه الكافر بالأعمى وبالأصم، وشبه المؤمن بالبصير وبالسميع، فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين، وتمثيل للكافرين بمثالين. وقيل: التقدير: كالأعمى الأصم، والبصير السميع، فالواو لعطف الصفات، فهو على هذا تمثيل للمؤمن بمثال واحد؛ وهو من جمع بين السمع والبصر، وتمثيل للكافر بمثال واحد؛ وهو من جمع بين العمى والصمم.



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٤﴾ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ ﴿١١٥﴾ فَقَالَ الْأَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْيَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرْيَا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا أَرْيَاكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَعَابْتُمُوهُ بِمَعِيَّتِ عَلَيْهِمْ أَنْزَلْنَاهُمْ مَكُومًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ﴿١١٧﴾ وَيَقُولُونَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّكْفَوْنَ رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرْيَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿١١٨﴾ وَيَقُولُونَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١١٩﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٠﴾ \* قَالُوا يَتَّبِعُكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٢١﴾ وَلَا يَنْبَغُكُمْ نَضْحَىٰ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرِيَهُ فَلِإِنْ افْتَرَيْنَاهُ بَعَلَّىٰ إِجْرَامِهِ وَأَنَا نَارِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ﴾ وصف اليوم بالآليم على وجه المجاز؛ لوقوع الألم فيه.

﴿أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ﴾ جمع أَرَادَ، وهم سَفِلَةُ النَّاسِ، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم؛ جهلاً منهم، واعتقاداً أن الشرف هو بالمال والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم في الدنيا. وقيل: إنهم كانوا حاكّةً وحجّامين. واختار ابن عطية أنهم أرادوا: أَرَادُوا فِي أَعْمَالِهِمْ؛ لقول نوح: ﴿وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٤] <sup>(١)</sup>.

﴿بَادِي الرَّأْيِ﴾ أي: أول الرأي، من غير نظر ولا تدبّر. و﴿بَادِي﴾ منصوب على الظرفية، أصله: وقت حدوث أول رأيهم، والعامل فيه: ﴿إِتَّبَعَكَ﴾ على أصح الأقوال، والمعنى:

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/٤٩٥).

اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت.

وقيل: هو صفة لـ ﴿بَشْرًا مِثْلَنَا﴾؛ أي: غير متثبت في الرأي.

﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي: من زيادة وشرف<sup>(١)</sup>، والخطاب لنوح عليه السلام ومن معه.

﴿عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ أي: على برهان وأمر جلّي، وكذلك في قصة صالح وشعيب عليه السلام.

﴿وَأَتَيْنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي﴾ يعني: النبوة.

﴿بَعِثْتُ عَلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ أي: خفيت، والفاعل: البينة، أو الرحمة.

﴿أَنزَلْنَاهُمْ مَكْنُوهًا﴾ أي: أنكرهم على قبولها قهراً؟ وهذا هو جواب ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾.

ومعنى الآية: أن نوحاً عليه السلام قال لقومه: أرايتم إن هداني الله وأضللكم؛ أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون؟

﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على التبليغ.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء.

﴿إِنَّهُمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ المعنى: أنه يجازيهم على إيمانهم.

﴿مَنْ يَنْصُرْنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ﴾ أي: من يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ﴾ الآية؛ أي: لا أدعي ما ليس لي فتكفون قولي.

﴿تَزْدَرِي﴾ أي: تحتقر؛ من قولك: زريت على الرجل: إذا قصرت به. والمراد بالذين

تزدري أعينهم: ضعفاء المؤمنين.

﴿إِنِّي إِذَا لَمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن قلت للمؤمنين: لن يؤتيهم الله خيراً. والخير هنا يحتمل أن

يراد به: خير الدنيا، أو الآخرة.

﴿جَدَلْنَاهُ﴾ الجدال: هو المخاصمة والمراجعة في الحجة.

﴿فَاتَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا﴾ أي: بالعذاب.

(١) في د: «زيادة شرف».



﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ الآية؛ جزاء قوله: ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ هو ما دلّ عليه قوله: ﴿نُصْحِي﴾، وجزاء قوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ هو ما دلّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾، فتقديرها: إن أراد الله أن يغويكم لم ينفعكم نصحي إن نصحت لكم، ثم استأنف قوله: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾. ولا يجوز أن يكون ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ جواب الشرط.

﴿أَمْ يَقُولُونَ إِفْتَرِي﴾ الآية؛ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لكفار قريش، وفي ﴿إِفْتَرِي﴾ لمحمد ﷺ، هذا قول جميع المفسرين. واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح ﷺ، فيكون الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لقوم نوح، وفي ﴿إِفْتَرِي﴾ لنوح؛ لثلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها، وهذا بعيد<sup>(١)</sup>.

﴿إِجْرَامِي﴾ أي: ذنبي.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٥٦٩/٤).



وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٠﴾ وَاصْنَعِ الْفُلَکَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَفُونَ ﴿٥١﴾ وَاصْنَعِ الْفُلَکَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٥٢﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّثِيمٌ ﴿٥٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا إخِيلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِثٍ وَأَهْلَکَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٥٤﴾ \* وَقَالَ إِرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُزْسِفَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ کَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئِي إِرْکَبٌ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ سَتَأْتِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَغْصِمُكَ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَفِينَ ﴿٥٧﴾ وَفِيلٌ يَّأْرُضُ إِبْلِعی مَاءَکَ وَيَسْمَاءُ أَفْلَحُی وَغِیضُ الْمَاءِ وَفُضِی الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِیِّ وَفِيلٌ بَعْدَ اللَّقَوْمِ الْتَالِیِّنَ ﴿٥٨﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وَإِنَّ وَعْدَکَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاکِمِیْنَ ﴿٥٩﴾ قَالَ یَتُوحُ إِنَّهُ لَیْسَ مِنْ أَهْلِکَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَیْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِی مَا لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّیْ أَعْظَمُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجَاهِلِیْنَ ﴿٦٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّیْ أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْأَلَکَ مَا لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِی وَتَرْحَمْنِیْ أَکُن مِّنَ الْخَاسِرِیْنَ ﴿٦١﴾ فِیلٌ یَّتُوحُ إِبْهَیْطُ بِسَلَمٍ مِنَّا وَبَرَکَتٍ عَلَیْکَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَکَ وَأَمَّمْ سَمَتَهُمْ ثُمَّ یَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِیمٌ ﴿٦٢﴾ تِلْکَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَیْبِ نُوْحِیْهَا إِلَیْکَ مَا کُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هَذَاٰ بِأَصْبِرٍ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِیْنَ ﴿٦٣﴾

﴿٥٠﴾ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: فلا تحزن.

﴿٥١﴾ ﴿وَاصْنَعِ الْفُلَکَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: تحت نظرنا وحفظنا<sup>(١)</sup>.

﴿٥٢﴾ ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي: وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك.

﴿٥٣﴾ ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: لا تشفع لي فيهم؛ فإنني قد قضيت عليهم بالغرق.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٧٠).

﴿وَكَلَّمَ﴾ يحتمل أن يكون جوابها: ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾، أو ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا﴾.

﴿بَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد، و﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾ منصوب بـ﴿تَعْلَمُونَ﴾.

﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو الغرق، والعذاب المقيم: عذاب النار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ غاية لقوله: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلَ﴾.

﴿وَقَارَ الثَّنُورَ﴾ أي: فاز بالماء، جعل الله تلك علامة لنوح ﷺ؛ ليركب حينئذ في السفينة. والمراد: الثنور<sup>(١)</sup> الذي يُوقَد فيه عند ابن عباس ؓ وغيره<sup>(٢)</sup>، وروى أنه كان تنور آدم خَلَص إلى نوح<sup>(٣)</sup>. وقيل: الثنور: وجه الأرض.

﴿فُلْنَا إِحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ المراد بالزوجين: الذكر والأنثى من الحيوان. وقرئ ﴿مِنْ كُلِّ﴾ بغير تنوين<sup>(٤)</sup>؛ فَعَمِلَ ﴿إِحْمِلْ﴾ في ﴿إِثْنَيْنِ﴾. وقرئ بالتنوين؛ فَعَمِلَ ﴿إِحْمِلْ﴾ في ﴿زَوْجَيْنِ﴾، وجُعِلَ ﴿إِثْنَيْنِ﴾ توكيداً.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: قرابتك، وهو معطوف على ما عمل فيه ﴿إِحْمِلْ﴾.

﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: من قُضِيَ عليه بالعذاب، فهو مستثنى من أهله، والمراد بذلك: ابنه الكافر وامراته.

﴿وَمَنْ أَمَرَ﴾ معطوف على ﴿أَهْلَكَ﴾؛ أي: احمل أهلك ومن آمن من غيرهم.

﴿وَمَا أَمَرَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ثمانين، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية.

﴿وَقَالَ لِرُكْبَائِهِ﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لنوح، والخطاب لمن كان معه، والضمير في ﴿رُكْبَائِهِ﴾ للسفينة. وروى أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب، واستقرت على الجودي يوم عاشوراء<sup>(٥)</sup>.

(١) في د: «الثنور».

(٢) أخرجه الطبري (٤٠٤/١٢) وابن أبي حاتم (٢٠٢٩/٦) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

(٣) أخرجه الطبري (٤٠٤/١٢) عن الحسن البصري.

(٤) قرأ حفص عن عاصم بالتنوين، وقرأ الباقر بغير تنوين.

(٥) أخرجه الطبري (٤١٩/١٢) عن عبد الغفور بن عبد العزيز، عن أبيه عن النبي ﷺ، قال الشيخ أحمد شاکر في

تعليقه على تفسير الطبري (٣٣٥/١٥): «وهذا خبر هالك من نواحيه جميعاً».

﴿بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِبُهَا وَمُرْسِيَهَا﴾ اشتقاق ﴿مُجْرِبُهَا﴾ من الجري ، واشتقاق ﴿مُرْسِيَهَا﴾ من الإرساء، وهو الثبوت؛ أي<sup>(١)</sup>: وقوف السفينة. ويمكن أن يكونا: ظَرْفَيْن للزمان أو للمكان، أو مصدرين. ويَحْتَمِل الإعراب وجهين:

أحدهما: أن يكون ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿إَرْكَبُوا﴾، والتقدير: اركبوا متبركين باسم الله، أو قائلين بسم الله، فيكون ﴿مُجْرِبُهَا وَمُرْسِيَهَا﴾ على هذا ظرفين للزمان، بمعنى: وقت إجرائها وإرسائها، أو ظرفين للمكان، ويكون العامل فيه<sup>(٢)</sup> ما في قولك: «بسم الله» من معنى الفعل، ويكون قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ متصلاً مع ما قبله، والجملة كلام واحد.

والوجه الثاني: أن يكون كلامين، فيوقف على ﴿إَرْكَبُوا فِيهَا﴾، ويكون ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في موضع خبر، و ﴿مُجْرِبُهَا وَمُرْسِيَهَا﴾ مبتدأ بمعنى المصدر؛ أي: إجراؤها وإرساؤها، ويكون ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ على هذا مستأنفاً، غير متصل بما قبله، ولكنه من كلام نوح ﷺ حسبما روي أن نوحاً كان إذا أراد أن يُجري السفينة قال: «بسم الله» فتجري، وإذا أراد وقوفها قال: «بسم الله» فتقف<sup>(٣)</sup>.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ روي أن الماء طَبَّق ما بين السماء والأرض، فصار الكل كالبحر<sup>(٤)</sup>، قال ابن عطية: وهذا ضعيف، وأين كان الموج كالجبال على هذا؟<sup>(٥)</sup> وصَوِّيه الزمخشري، وقال: كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الماء الجبال<sup>(٦)</sup>.

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كان اسمه: كنعان، وقيل: يام، وكان له ثلاثة بنون<sup>(٧)</sup> سواه؛ وهم: سامٌ

(١) في أ، ب: «أو من».

(٢) في د: «فيهما».

(٣) أخرجه الطبري (١٤/٤١٦) وابن أبي حاتم (٦/٢٠٣٣) عن الضحاك.

(٤) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/٥٣)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٤/٥٨٠).

(٦) انظر: الكشف (٨/٨٠).

(٧) في د: «بنين».

وحامٌ ويافثٌ، ومنهم تناسل الخلق.

﴿مِ مَغْزِلٍ﴾ في ناحية.

﴿لَا عَصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون ﴿عَصِمَ﴾ اسم فاعل، و﴿مَنْ رَجِمَ﴾ كذلك بمعنى الراحم، فالمعنى: لا عاصم إلا الراحم؛ وهو الله تعالى.

والثاني: أن يكون ﴿عَصِمَ﴾ بمعنى: ذي عصمة؛ أي: معصوم، و﴿مَنْ رَجِمَ﴾ بمعنى مفعول؛ أي: من رَحِمه الله، فالمعنى: لا معصوم إلا من رَحِمه الله.

والاستثناء على هذين الوجهين متصل.

والثالث: أن يكون ﴿عَصِمَ﴾ اسم فاعل، و﴿مَنْ رَجِمَ﴾ بمعنى المفعول، والمعنى: لا عاصم من أمر الله، لكن من رحمه الله فهو المعصوم.

والرابع: عكسه.

والاستثناء على هذين منقطع.

﴿إِبْلَغِ مَاءَكُمْ﴾ عبارة عن جفوف الأرض من الماء<sup>(١)</sup>.

﴿أَفْلَحِ﴾ أي: أمسكي عن المطر، ورُوي أنها أمطرت من كل موضع منها.

﴿وَرَغِضَ الْمَاءُ﴾ أي: نقص.

﴿وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: تمَّ وكمل.

﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ أي: استقرت السفينة على الجودي؛ وهو جبل بالموصل.

﴿وَفِيلٌ بَغْدَا﴾ أي: هلاكًا، وانتصابه على المصدر.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الفرق؛ فيكون العطف من غير

ترتيب، أو يكون بعده.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٤).

﴿بَقَالَ رَبِّ إِنِّي مِّنْ أَهْلِهِ﴾ أي: وقد<sup>(١)</sup> وعدتني أن تنجي أهلي.

﴿قَالَ يَتْلُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم؛ لأنه كافر. وقال الحسن: لم يكن ابنه، ولكن خاتنه امرأته، وكان لغير رِشْدَةٍ<sup>(٢)</sup>، وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء ﷺ قد عصمهم الله من أن يزني نساؤهم، ولقوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾.

﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات على قراءة الجمهور:

أحدها: أن يكون الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ لسؤال نوح نجاة ابنه.

والثاني: أن يكون الضمير لابن نوح، وحُذِفَ مضافٌ من الكلام؛ تقديره: إنه ذو عملٍ غير صالح.

والثالث: أن يكون الضمير لابن نوح، و﴿عَمَلٌ﴾ مصدر وصف به مبالغة، كقولك: رجل صومٌ.

وقرأ الكسائي: ﴿عَمِلٌ﴾ بفعل ماضٍ ﴿غَيْرٌ صَالِحٌ﴾ بالنصب، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال.

﴿بَلَا تَسْأَلِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: لا تطلب مني أمراً لا تعلم أصوابٌ هو أم غير صواب حتى تقف على كُنْهِهِ. فإن قيل: لم سَمِّيَ نداؤه سؤالاً، ولا سؤال فيه؟ فالجواب: أنه تضمن السؤال وإن لم يصرِّح به.

﴿إِنِّي أَعْظَمُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ «أن» في موضع مفعول من أجله؛ تقديره: أعظك؛ كراهة أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصف<sup>(٣)</sup> له بالجهل، بل فيه ملاطفة وإكرام.

﴿إِهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ أي: اهبط من السفينة بسلامة.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «قد» بلا واو.

(٢) أخرجه الطبري (٤٢٦/١٢) وابن أبي حاتم (٢٠٣٩/٦).

(٣) أ، ب، ج، هـ: «وصفاً».

﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ أي: ممن معك في السفينة. واختار الزمخشري أن يكون المعنى: من ذرية من معك، ويعني به: المؤمنين إلى يوم القيامة، ف«مِن» على هذا لا ابتداء الغاية، والتقدير: على أمة ناشئة ممن معك<sup>(١)</sup>. وعلى الأول: تكون «مِن» لبيان الجنس.

﴿وَأَمَّمْ سَنَمَتَهُمْ﴾ يعني: نمتهم متاع الدنيا - وهم الكفار - إلى يوم القيامة.

﴿تِلْكَ مِنْ أَثْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ إشارة إلى القصة، وفي الآية دليل على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي.



(١) انظر: الكشاف (٨/ ٩٨).

وَالَّذِينَ عَادُوا آلَهُمْ هُودًا قَالَ يَقْتُمُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥١﴾ يَقْتُمُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ أَلْفِ بَطْرَيْنِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَقْتُمُوا بِسُوءِ مَا تَقُولُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٣﴾ \* قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ بِكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَذُنْبًا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ آلاَ إِنْ عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

﴿٥١﴾ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ يعني: في عبادتهم لغير الله.

﴿٥٢﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ السماء هنا: المطر، و﴿مِدْرَارًا﴾ بناءً تكثير؛ من الدَّر، يقال: دَرَّ المطر واللبن وغيره. وفي الآية دليل على أن التوبة والاستغفار سبب لنزول الأمطار، ورؤي أن عادًا كان المطر قد حُيس عنهم ثلاث سنين، فأمرهم بالتوبة والاستغفار، ووعدهم على ذلك بالمطر. والمراد بالتوبة هنا: الرجوع عن الكفر، ثم عن الذنوب؛ لأن التوبة من الذنوب لا تصحُّ إلا بعد الإيمان.

﴿٥٣﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعجزة، وذلك كذب منهم وجحود. أو يكون معناه: بآية تضطرنا إلى الإيمان بك، وإن كان قد أتاهم بآية نظرية.

﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: بسبب قولك.

﴿٥٤﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ معناه: ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لما سببناها ونهيتنا عن عبادتها.

﴿بِكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ هذا أمرٌ بمعنى التعجيز؛ أي: لا تقدرُونَ أنتم ولا آلهتكم على شيء، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاته بهم، فقال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ الآية.

﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: هي في قبضته وتحت قهره، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله وعدم مبالاته بالخلق.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يريد: أن أفعال الله جميلة، وقوله صدق، ووعدته حق، فالاستقامة تامة.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾ أصل ﴿تَوَلَّوْا﴾ هنا: تتولوا؛ لأنه فعل مستقبل حذف منه تاء المضارعة. فإن قيل: كيف وقع الإبلاغ جوابًا للشرط، وقد كان الإبلاغ قبل التولي؟

فالجواب: أن المعنى إن تتولوا فلا عتبَ عليّ؛ لأنني قد أبلغتكم رسالة ربي.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ أي: لا تنقصونه شيئًا إذا أهلككم واستخلف غيركم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ إن قيل: لم قال هنا وفي قصة شعيب: ﴿وَلَمَّا﴾ بالواو، وقال في قصة صالح ولوط: ﴿فَلَمَّا﴾ بالفاء؟ فالجواب على ما قال الزمخشري: أنه وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد الوعيد؛ فجاء بالفاء التي تقتضي التسيب، كما تقول: وعدته فلما جاء الميعاد... بخلاف قصة هود وشعيب؛ فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو<sup>(١)</sup>.

﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة؛ ولذلك عطفه على النجاة الأولى التي أراد بها النجاة من الريح. ويحتمل أن يريد بالثاني أيضًا الريح، وكرّره؛ إعلامًا بأنه عذاب غليظ، وتعديدًا للنعمة في نجاتهم.

﴿وَعَصَوْا رَسُولَهُ﴾ في جمع الرسل هنا وجهان:

أحدهما: أن من عصى رسولًا واحدًا لزمه عصيان جميعهم؛ فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده.

(١) انظر: الكشاف (٨/ ١٨٤).



والثاني: أن يراد الجنس؛ كقولك: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرساً واحداً.  
﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ هذا تشنيع لكفرهم، وتهويل بحرف التنبيه، وبتكرار اسم عاد.

﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي: هلاكاً، وهذا دعاء عليهم، وانتصابه بفعل مضمر. فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا؟ فالجواب: أن المراد: أنهم أهل لذلك.  
﴿لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ بيان؛ لأن عاداً اثنان؛ أحدهما: قوم هود، والآخر<sup>(١)</sup>: إرم.



(١) في ج، هـ: «والأخرى».

وَالَّذِينَ آمَنُوا صَالِحًا قَالِ يَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ  
الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا بِأَسْتَعْمَرَهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَتَصَلِّحُ  
فَدُ كُنْتَ مِنَّا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهِينَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَهِىَ شَكٍّ مِمَّا  
تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١١﴾ قَالِ يَتَقَرَّبُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَيْنِي مِنْهُ رَحْمَةً  
فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ بِمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿١٢﴾ وَيَتَقَرَّبُوا هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ  
لَكُمْ ءَايَةٌ بَدَرُوهَا تَاكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ بَيَاخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٣﴾  
بَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا  
نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ  
﴿١٥﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿١٦﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ؕ أَلَا إِنَّ  
ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ؕ أَلَا بَعْدَ لَثَمُودٍ ﴿١٧﴾

﴿١٠﴾ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴿١٠﴾ لأن آدم خلق من تراب.

﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: جعلكم تعمرونها؛ فهو من العمران للأرض. وقيل: هو من  
العمر؛ نحو: استبقاكم من البقاء.

﴿فَدُ كُنْتَ مِنَّا مَرْجُوًّا﴾ أي: كنا نرجو أن نتفع بك حتى قلت ما قلت. وقيل: معناه:  
كنا نرجو أن تدخل في ديننا.

﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي: بلدكم.

﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل: إنها الخميس والجمعة والسبت؛ لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء،  
وأخذهم العذاب يوم الأحد.

﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ معطوف على ﴿نَجَّيْنَا﴾ أي: نجيناهم من خزي يومئذ.

﴿جَثِيمِينَ﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(١)</sup>.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كأن لم يقيموا فيها، والضمير للديار، وكذلك في قصة شعيب.

(١) انظر تفسير الآية (٧٧).

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿١٥﴾  
 فَلَمَّا رَآهُ أُيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَبْ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ إِلَى  
 قَوْمٍ لُّوطٍ ﴿١٦﴾ وَأَمْرُهُمْ فَايِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿١٧﴾  
 قَالَتْ يَوُتِلَبْتَنِي الْعَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿١٨﴾ \* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ  
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ  
 عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمٍ لُّوطٍ ﴿٢٠﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٢١﴾  
 يَلْبِسُ إِبْرَاهِيمُ أَغْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرَ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْ أَنْبَاءِ رَبِّكَ لَغَوِيٍّ ﴿٢٢﴾  
 وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِتَّةَ يَوْمٍ ضَاقَ بِهِمْ ضَاقٌ وَلَمَّا دَخَلُوا هَذَا يَوْمَ عَصِيبٍ ﴿٢٣﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ  
 يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ  
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْعِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٢٤﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي  
 بَنَاتِكِ مِنْ حَيٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٢٥﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِيَةٌ إِلَىٰ رُحِي شَدِيدٍ  
 ﴿٢٦﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسِرِ بِأَهْلِكَ بِفِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَمِثْ  
 مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مَصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ  
 بِقَرِيبٍ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٢٨﴾  
 مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٢٩﴾

﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ ﴿١٥﴾ الرسل هنا: الملائكة.

﴿١٦﴾ بِالْبُشْرَى ﴿١٦﴾ بشروه بالولد.

﴿١٧﴾ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٧﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر؛ تقديره: سلمنا عليكم سلامًا.

﴿١٨﴾ قَالَ سَلَّمَ ﴿١٨﴾ تقديره: عليكم سلام، أو سلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية،

وإنما رُفِعَ جوابه؛ ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حيّاهم بأحسن مما حيّوه. ويحتمل

أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونُصِبَ الأول؛ لأنه في معنى الطلب، ورفُع الثاني؛ لأنه في

معنى الخبر.

﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ﴾ أي: ما لبت مجيئه، بل عجل، و«ما» نافية، و﴿أَنْ جَاءَ﴾ فاعل بـ﴿لَيْتَ﴾.

﴿يَعِجِّلُ حَبِيدٌ﴾ أي: مشوي، وفعل هنا بمعنى مفعول.

﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي: أنكرهم ولم يعرفهم؛ يقال: نكر وأنكر بمعنى واحد.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيبَةً﴾ قيل: إنه لم يعرفهم، فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه. وقيل: عرف أنهم ملائكة، ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف، فأمنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ قيل: قائمة خلف ستر، وقيل: قائمة في الصلاة، وقيل: قائمة تخدم القوم، واسمها سارة.

﴿بَضَحِكْتُ﴾ قيل: معناه حاضت، وهو ضعيف. وقال الجمهور: هو الضحك المعروف، واختلفوا من أي شيء ضحكت؟ فقيل: سرورًا بالولد الذي بُشِّرَتْ به؛ ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير، وقيل: سرورًا بالأمن بعد الخوف، وقيل: سرورًا بهلاك قوم لوط.

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى؛ لأنها كانت بأمره.

﴿وَمِنْ وَرَاءِ اسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ أي: من بعده، وهو ولده. وقيل: الوراثة ولد الولد. و﴿يَعْقُوبُ﴾ بالرفع<sup>(١)</sup> مبتدأ، وبالفتح: معطوف على ﴿اسْحَاقَ﴾.

﴿قَالَتْ يَوْنِلَيْتِي﴾ الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم، وكذلك «يا لهفا» و«يا أسفا» و«يا عجبًا»، ومعناه: التعجب من الولادة، وروي أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مئة سنة.

﴿رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل الدعاء والخبر.

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: أهل بيت إبراهيم، وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص، أو منادى.

﴿حَبِيدٌ﴾ أي: محمود. ﴿مَجِيدٌ﴾ من المجد؛ وهو العلو والشرف.

(١) قرأ ابن عامر وحزمة وحفص عن عاصم بنصب الباء، وقرأ الباقون بالرفع.

﴿يَجِدِلُنَا﴾ هذا جواب ﴿لَمَّا﴾، على أن يكون المضارع في موضع الماضي، أو على تقدير: ظلّ أو أخذ يجادلنا. أو يكون ﴿يَجِدِلُنَا﴾ مستأنفاً، والجواب محذوف. ومعنى جداله: كلامه مع الملائكة في رفع العذاب عن قوم لوط. وقد ذُكر في «اللغات» ﴿حَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وفي «براءة» ﴿أَوْهٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: قلنا: يا إبراهيم أعرض عن هذا؛ يعني: عن المجادلة فيهم، فقد نفذ القضاء بعذابهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِتَّةَ يَهْمٍ﴾ الرسل هم الملائكة، ومعنى ﴿سِتَّةَ يَهْمٍ﴾ أصابه سوء وضجر؛ لما ظن أنهم من بني آدم، وخاف عليهم من قومه. ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي: شديد.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: يُسرِعُونَ، وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث.

﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: كانت عاداتهم إتيان الفواحش في الرجال. ﴿قَالَ يَفْقَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ المعنى: فتزوجوهن، وإنما قال ذلك ليقبي أضيافه ببناته. وقيل: إن اسم بنته الواحدة ريثا<sup>(٣)</sup>، والأخرى غوثا<sup>(٤)</sup>، وأن اسم امرأته الهالكة والهة، واسم امرأة نوح والغة.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَيٍّ﴾ أي: ما لنا فيهنَّ أرب. ﴿وَأِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ يعنون: نكاح الذكور.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ جواب «لو» محذوف؛ تقديره: لو كانت لي قدرة على دفعكم لفعلت. ويحتمل أن تكون «لو» للتمني.

(١) انظر المادة (١٢٩) في اللغات.

(٢) انظر تفسير الآية (١١٥).

(٣) في ب، ج، هـ: «زينا».

(٤) في ب، ج، هـ: «رغوثا».

﴿أَوِ اِوَيْتَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ معنى ﴿اِوَيْتَ﴾ ألجأ، والمراد بالركن الشديد: ما يلجأ إليه من عشيرة أو أنصار يحمونه من قومه، وقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أخي لوطاً؛ لقد كان يأوي إلى ركن شديد»<sup>(١)</sup> يعني: إلى الله وملائكته.

﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ للملائكة، والضمير في ﴿لَنْ يَصِلُوا﴾ لقوم لوط، وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذ.

﴿بَاسِرٍ بِأَهْلِكَ﴾ أي: اخرج بهم بالليل؛ فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن. وقرئ ﴿بَاسِرٍ﴾ بوصل الألف وقطعها<sup>(٢)</sup>، وهما لغتان؛ يقال: سرى وأسرى. ﴿يَفْطَحُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: قطعة منه.

﴿وَلَا يَلْتَمِثُ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ نُهوا عن الالتفات؛ لئلا تنفطر أكبادهم على قريتهم. وقيل: ﴿يَلْتَمِثُ﴾ معناه: يتلوَّى<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَّا إِمْرَأَتَكَ﴾ قرئ بالنصب والرفع<sup>(٤)</sup>: فالتنصب: استثناء من قوله: ﴿بَاسِرٍ بِأَهْلِكَ﴾، فيقتضي هذا أنه لم يخرجها مع أهله. والرفع: بدل من ﴿وَلَا يَلْتَمِثُ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾، وروى على هذا أنه أخرجها معه، وأنها التفتت وقالت: يا قوماء! فأصابها حجر فقتلها.

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ أي: وقت عذابهم الصبح.

﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ذكر أنهم لما قالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ قال لهم لوط ﷺ: هَلَّا عَذَّبُوا الآن! فقالوا له: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا﴾ الضمير للمدائن، روي أن جبريل ﷺ أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صُراخ الديكة ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) قرأ نافع وابن كثير بوصل الهمزة، وقرأ الباقون بقطع الهمزة.

(٣) قال في المحرر الوجيز (٦٢٥/٤): «وقالت فرقة: هي من لَفَت الشيء يَلْفُتُه: إذا نَشاء ولَوَّاه، فمعناها: ولا يَبْطِئُ».

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع التاء، وقرأ الباقون بالنصب.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ أي: على المدائن، والمراد أهلها، روي أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء، وأما من كان في المدائن فهلك لما قُليت.

﴿مِنْ سَجِيلٍ﴾ قيل: معناه من ماء وطين، وإنها كانت مثل <sup>(١)</sup> الأجر المطبوخ. وقيل: هو من سَجَلَه: إذا أرسله، وقيل: هو لفظ أعجمي.

﴿مَنْضُودٍ﴾ أي: مضمومٌ بعضُه فوق بعض.

﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ معناه: معلّمة بعلامة، روي أنه كان فيها بياض وحمرة. وقيل: كان في كل حجر اسمُ صاحبه.

﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾ الضمير للحجارة، والمراد بـ﴿الظَّالِمِينَ﴾ كفار قريش، فهذا تهديدٌ لهم؛ أي: ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم؛ لأجل كفرهم. وقيل: الضمير للمدائن، فالمعنى: ليست ببعيد منهم أفلا يعتبرون بها؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مِنْ السَّيِّئِ﴾ [الفرقان: ٤٠]. وقيل: إن ﴿الظَّالِمِينَ﴾ على العموم.



(١) في د: «من».

\* وَالَّذِينَ آمَنُوا شُعَبًا قَالَتْ يَتَقَوْمُ لاَ تَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ وَلاَ تَتَقَرَّبُوا  
 الْمَكِيلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٦﴾ وَيَتَقَوْمُ  
 أَوْفُوا الْمَكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْفِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَغْتَابُوا فِي الْأَرْضِ  
 مُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَمِيضٍ ﴿٨٩﴾ قَالُوا  
 يَشْعَبُ أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ  
 لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٩٠﴾ قَالَتْ يَتَقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَى بَيْتِهِ مِن رَّبِّهِ وَرَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا  
 حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَيْكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا  
 تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٩١﴾ وَيَتَقَوْمُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ  
 مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٩٢﴾ وَاسْتَغْفِرُوا  
 رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَبَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا  
 لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتُكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩٤﴾ قَالَتْ يَتَقَوْمُ أَرَهْطِي  
 أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ زُرَّاءَكُمْ ظَهْرِيًّا لَّانْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٥﴾ \* وَيَتَقَوْمُ  
 إِعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَّ إِلَهِي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ  
 كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِلَهِي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٦﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ  
 بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جثيمٍ ﴿٩٧﴾ كَأَنَّ لَمْ يَغْتَابُوا  
 فِيهَا إِلَّا بَعْدَ لَمَدَيْنِ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٨﴾

﴿٨٦﴾ إِنِّي أُرِيكُمْ بِخَيْرٍ يعني: رخص الأسعار، وكثرة الأرزاق.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ يوم القيامة، أو يوم عذابهم في الدنيا.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: ما أبقاء الله لكم من رزقه ونعمته.

﴿أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الصلاة: هي المعروفة، ونسب الأمر إليها مجازاً، كقوله: ﴿إِنَّ

الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والمعنى: أصلواتك تأمرك أن تترك

عبادة الأوثان؟ وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء.



﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ يعنون: ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان.

و ﴿أَنْ تَفْعَلَ﴾ عطف على ﴿أَنْ تَتْرَكَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قيل: إنهم قالوا ذلك على وجه الاستهزاء والتهكم، وقيل: معناه: الحليم الرشيد عند نفسك.

﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: سالمًا من الفساد الذي أدخلتم أنتم في أموالكم. وجواب ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ محذوف، يدل عليه المعنى، وتقديره: أرايتم إن كنت على بينة من ربي أيصح<sup>(٢)</sup> لي ترك تبليغ رسالته؟

﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ﴾ يقال: خالفني فلان إلى كذا: إذا قصده وأنت مؤل عنه، وخالفني عنه: إذا ولّى عنه وأنت قاصده.

﴿وَيَقُولُ لَا يَحْزِمُنْكَ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ أي: لا تكسبكم عداوتي أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة، و ﴿شِقَاقِي﴾ فاعل، و ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ مفعول.

﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ يعني: في الزمان؛ لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكين إليهم. ويحتمل أن يريد: في البلاد.

﴿مَا نَقْفَهُ﴾ أي: ما نفهم.

﴿وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي: ضعيف الانتصار والقدرة، وقيل: نأجل البدن، وقيل: أعمى.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ الرّهط: القرابة، والرّجم: بالحجارة، أو بالسب.

(١) كذا في جميع النسخ الخطية! ولعل الصواب - كما في المحرر الوجيز -: أنها عطف على ﴿مَا يَعْبُدُ﴾ أي: أصلوئك تأمرك أن تترك عبادة الأوثان أو أن تترك أن تفعل في أموالنا ما نشاء! قال في المحرر الوجيز (٥/٥): ﴿أَنْ﴾ الثانية عطف على ﴿مَا﴾، لا على ﴿أَنْ﴾ الأولى؛ لأن المعنى بصير: أصلوئك تأمرك أن تفعل في أموالنا ما نشاء؟ وهذا قلب ما قصده، وانظر: حاشية الطيبي على الكشاف (١٦٧/٨).

(٢) في د: «أبصيح».

﴿أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ هذا توبيخٌ لهم. فإن قيل: إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه وأنهم هم الأعزَّةُ دونه، فكيف طابق جوابه كلامهم؟ فالجواب: أن تهاونهم به وهو رسول الله تهاونٌ بالله؛ فلذلك قال: ﴿أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾.

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ الضمير في ﴿اتَّخَذْتُمُوهُ﴾ لله تعالى، أو لدينه وأمره. والظَّهْرِيُّ: ما يُطْرَحُ وراء الظهر ولا يُعْبَأُ به، وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب.

﴿إِغْمَلُوا عَلَى مَكَائِكُمْ﴾ تهديدٌ، ومعنى ﴿مَكَائِكُمْ﴾ تمكُّنكم في الدنيا وعزَّتكم فيها.

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ عذاب الدنيا والآخرة.

﴿وَارْتَفَبُوا﴾ تهديدٌ.



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١١٠﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١١١﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْفَيْتَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَبِيسُ الْوَرْدُ ﴿١١٢﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْفَيْتَةِ يَبِيسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١١٣﴾ ذَلِكَ مِنْ آثَاءِ الْفَرَى نَفْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالَهُتَهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيلٍ ﴿١١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ لَأَنَّا أَخَذَتْ آلِيْمٌ شَدِيدٌ ﴿١١٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ بَلَايَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١١٧﴾ وَمَا تَوْخِجُوهَ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدٍّ ﴿١١٨﴾ \* يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَفِئٌ وَسَعِيدٌ ﴿١١٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفِئُوا فَهُمْ لِلنَّارِ لَهَا رَافِعٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٢٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ بَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ ﴿١٢١﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَهُمْ لِلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ ﴿١٢٢﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْبِقُهُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنْفُوصٍ ﴿١٢٣﴾

﴿١١٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا ﴿١١٠﴾ أي: بالمعجزات.

﴿١١١﴾ وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١١١﴾ أي: برهان بين.

﴿١١٢﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ ﴿١١٢﴾ أي: يتقدم قدامهم للنار، كما كانوا في الدنيا يتبعونه على الضلال والكفر.

﴿١١٣﴾ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴿١١٣﴾ الورد هنا بمعنى: الدخول، وذكره بلفظ الماضي؛ لتحقيق وقوعه.

﴿١١٤﴾ وَيَوْمَ الْفَيْتَةِ ﴿١١٤﴾ عطف على ﴿فِي هَذِهِ﴾؛ فإن المراد به: الدنيا.

﴿١١٥﴾ يَبِيسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١١٥﴾ أي: العطية المعطاة.

﴿١١٦﴾ قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١١٦﴾ باقي ودائر.

﴿١١٧﴾ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالَهُتَهُمْ ﴿١١٧﴾ حجة على التوحيد ونفي الشرك.

﴿١١٨﴾ تَتْسِيلٌ ﴿١١٨﴾ أي: تخسير.

﴿١١٩﴾ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ﴿١١٩﴾ أي: يُجْمَعُونَ فِيهِ لِلْحِسَابِ، والثواب والعقاب. وإنما عبر

باسم المفعول دون الفعل؛ ليدل على ثبوت الجمع لذلك اليوم؛ لأن لفظ ﴿مَجْمُوعٌ﴾ أبلغ

من لفظ «يُجْمَع».

﴿يَوْمَ مَّشْهُودٌ﴾ أي: يحضره الأولون والآخرون.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ العامل في الظرف: «لَا تَكَلَّمْ»، أو مضمر. وفاعل «يَأْتِ» ضمير يعود على «يَوْمَ مَّشْهُودٌ». وقال الزمخشري: يعود على الله تعالى؛ كقوله: «أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ» [الأنعام: ١٥٩]، ويعضده عود الضمير عليه في قوله: «يَاذُنِيَّ»<sup>(١)</sup>.

﴿بِمَنْتَهُمْ شَفِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الضمير يعود على أهل الموقف الذين دلّ عليهم قوله: «لَا تَكَلَّمْ نَفْسٌ».

﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزفير: إخراج النفس، والشهيق: رده. وقيل: الزفير: صوت المحزون، والشهيق: صوت الباكي. وقيل: الزفير من الحلق، والشهيق من الصدر.

﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد بها سماوات الآخرة وأرضها، وهي دائمة أبداً.

والآخر: أن يكون عبارة عن التأبید، كقول العرب: ما لاح كوكب، وما ناح الحمام، وشبه ذلك مما يقصد به الدوام.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال: قيل: إنه على طريق التأدب مع الله، كقولك: «إن شاء الله» وإن كان الأمر واجباً. وقيل: المراد به: زمان خروج المذنبين من النار، ويكون «الَّذِينَ شَفَوْا» على هذا يعم الكفار والمذنبين. وقيل: استثنى مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ. وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث، دون الثاني.

﴿غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ أي: غير مقطوع.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ المرية: الشك، والإشارة إلى عبدة الأصنام؛ أي: لا تشك في فساد دين هؤلاء.

﴿مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾ أي: هم متبعون لأبائهم، تقليداً من غير برهان.

﴿وَأَنَّا لَمَوْقُوهُم نَصِيبُهُمْ﴾ يعني: من العذاب.

(١) انظر: الكشاف (٨/ ١٩٥).

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ بِاخْتِلَافٍ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ  
وَأَنْتُمْ لَمِهِ شَكَ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٢٧﴾ وَإِنْ كُنَّا لَنُيَوِّقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنْهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ  
خَبِيرٌ ﴿١٢٨﴾ فَاسْتَفِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢٩﴾ وَلَا  
تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَتَسَكَّمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ  
﴿١٣٠﴾ وَأَفِمْ الصَّلَاةَ طَرَبِي النَّهَارِ وَزَلَمًا مِنَ اللَّيْلِ إِنْ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي  
لِلذَّكْرِينَ ﴿١٣١﴾ وَاضِرٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْفُرُوقِ مِنْ  
قَبْلِكُمْ أَنْزَلُوا بَيِّنَةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا مَا أَثَرُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا  
مُصْلِحُونَ ﴿١٣٤﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ  
رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٥﴾  
وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنِكَ مِنْ أَثْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَنْبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ  
وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٦﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا  
عَامِلُونَ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ  
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القدر، وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة، فلا يفصل في الدنيا.

﴿وَإِنْ كُنَّا لَنُيَوِّقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ ، وبتخفيفها وإعمالها عمل الثقيلة<sup>(١)</sup>. والتنوين في ﴿كَلَّا﴾ عوض من المضاف إليه؛ يعني: كلهم. واللام في ﴿لَمَّا﴾ موطئة للقسم، و«ما» زائدة، و﴿لَيُؤَقِّيَنَّهُمْ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾. وقرئ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد<sup>(٢)</sup>؛ على أن تكون ﴿إِنْ﴾ نافية، و﴿لَمَّا﴾ بمعنى «إلا».

﴿لَيُؤَقِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ يعني: جزاء أعمالهم.

(١) قرأ نافع وابن كثير وشعبة عن عاصم بإسكان النون مخففة، وقرأ الباقون بتشديدها.

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة بالتشديد، وقرأ الباقون بتخفيفها.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: الكفار، وقيل: إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم.

﴿ثُمَّ لَا تَنْصُرُوهُمْ﴾ مستأنف غير معطوف، وإنما ذكر بـ﴿ثُمَّ﴾ لبعدهم النصر.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الآية؛ يراد بها الصلوات المفروضة، فالطرف الأول: الصبح، والطرف الثاني: الظهر والعصر، والزُلف من الليل: المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ لفظه عام، وخصَّصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل. وزُوي أن رجلاً قبل امرأة، ثم ندم، فذكر ذلك للنبي ﷺ، وصلى معه الصلاة، فنزلت الآية، فقال النبي ﷺ: «أين السائل؟»، فقال: ها أنا ذا، فقال: «قد غُفر لك»، فقال الرجل: ألي خاصة أو للمسلمين عامة؟ فقال: «بل للمسلمين عامة»<sup>(١)</sup>، والآية على هذا مدنية. وقيل: إن الآية كانت قبل ذلك، وذكرها النبي ﷺ للرجل مستدلاً بها، والآية على هذا مكية كسائر السورة. وإنما تذهب الحسنات -عند الجمهور- الصغائر إذا اجتنبت الكبائر.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الصلوات، أو إلى كل ما تقدّم من وعظ ووعد ووعيد.

﴿قُلُوبًا﴾ تحضيض بمعنى «هلاً».

﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أي: أولو خير ودين بقي لهم دون غيرهم.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ استثناء منقطع، معناه: ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد في الأرض. وقيل: هو متصل، فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي؛ كأنه قال: ما كان فيهم من ينهى عن الفساد في الأرض إلا قليلاً، على أن الوجه في مثل هذا البدل، ويجوز فيه النصب.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: الذين لم ينهوا عن الفساد.

﴿يُظْلَمُونَ﴾ هذا المجرور في موضع الحال من ﴿رَبِّكَ﴾، والمعنى: أنه لا يهلك أهل القرى ظالمًا لهم، تعالى عن ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود ؓ.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني: مؤمنة، لا خلاف بينهم في الإيمان.

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني: في الأديان، والملل، والمذاهب.

﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قيل: الإشارة إلى الاختلاف، وقيل: إلى الرحمة، وقيل: إليهما.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ﴾ انتصب ﴿كُلًّا﴾ بـ ﴿نَقُصُّ﴾، و﴿مَا﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾.

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ الإشارة إلى السورة.

﴿إِغْمَلُوا﴾ و﴿وَانْتَظِرُوا﴾ تهديد.





## سورة يوسف

أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ  
نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِينَ  
الْعَظِيمِ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئِي لَكَ تَقْصُصُ رُءُوبَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا  
إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَابِيلِ  
الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني: القرآن، و﴿الْمُبِينِ﴾ يحتمل: أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعذر. أو يكون متعديًا، بمعنى أنه أبان الحق؛ أي: أظهره.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلق ب﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، أو ب﴿عَرَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني: قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق. و﴿الْقَصَصِ﴾ يكون مصدرًا، أو اسم مفعول؛ بمعنى المقصوص. فإن أريد به هنا المصدر فمفعول ﴿تَقُصُّ﴾ محذوف؛ لأن ذكر القرآن يدل عليه<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِينَ الْعَظِيمِ﴾ الضمير في ﴿قَبْلِهِ﴾ للقصص؛ أي: من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله؛ لكونه جاء به من غير تعليم.

(١) أي: جعلناه عربيًا لعلكم تعقلون إذ هو لسانكم. المحرر الوجيز (٣٩/٥).

(٢) التقدير: نقص الموحى أحسن القصص. الكشاف (٢٤٠/٨).





﴿إِذْ قَالَ الْعَامِلُ فِيهِ: «اذْكُرِ الْمَضْمَر، أَوْ الْفَصِصِ»﴾.

﴿يَأْتِيَتْ أَي: يَا أَبِي، والتاء للمبالغة، وقيل: للتأنيث. وكُسِرت دلالة على ياء المتكلم، والتاء عوض من ياء المتكلم.﴾

﴿رَأَيْتَهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ كَرَّرَ الفعل لطول الكلام، وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة؛ لما وصفها بفعل مَنْ يعقل، وهو السجود. وتأويل الكواكب في المنام: إخوته، والشمس والقمر: أبواه، وسجودهم له: تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو مَلِك.

﴿لَا تَفْضُضْ رُءُوبَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ إنما قال ذلك؛ لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته، فخاف عليه من الحسد.

﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قيل: هي عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿ءَالٍ يَغْفُوبَ﴾ يعني: ذريته.



لَقَدْ كَانَ مِنْ يُونُسَ وَإِخْوَتِهِ ءَاتَتْ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٥﴾ إِذْ قَالُوا لَيُونُسَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْبَنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَهِ صَلَاحٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ فَفُتِلُوا يُونُسَ أَوْ بِظَرْحِهِ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٧﴾ \* قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَفْتُلُوا يُونُسَ وَأَلْفَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْتَفِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ بِعِلِينَ ﴿٨﴾ قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُونُسَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِخُونَ ﴿٩﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّيبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَمِيلُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا لَيْسَ أَكْلَهُ الذِّيبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ وَجَاءَ وَآبَاؤُهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَتَّابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُونُسَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكْلَهُ الذِّيبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَالِفِينَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْ رِى هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١٨﴾

﴿٥﴾ ءَاتَتْ لِّلسَّائِلِينَ أي: لمن سأل عنها، رُوي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، أو أمروا قريشاً أن يسألوه عنها، فهم السائلون على هذا<sup>(١)</sup>، واللفظ أعم من ذلك.

﴿٦﴾ لَيُونُسَ وَأَخُوهُ هو بنيامين، وهو أصغر من يوسف، ويقال إنه شقيق يوسف، وكان<sup>(٢)</sup> أصغر أولاد يعقوب.

﴿٧﴾ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ أي: جماعة نقدر على النفع والضرر بخلاف الصَّغِيرِينَ، والعصبة: العشرة فما فوقها إلى الأربعين.

﴿٨﴾ يَتَّابَانَا لَهِ صَلَاحٌ مُّبِينٌ أي: في خطإٍ وخروجٍ عن الصواب بإفراط حبه ليوسف وأخيه.

(١) لم أقف عليه.

(٢) في أ، ج، د، هـ: وكان.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ أي: لا يشارككم غيره في محبته لكم وإقباله عليكم.

﴿فَوَمَا صَلَّحِينَ﴾ أي: بالتوبة والاستقامة، وقيل: هو صلاح حالهم مع أبيهم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا، وقيل: روبيل.

﴿غَيَّبَتِ الْجُبَّ﴾ غَوْرَه، وما غاب منه.

﴿السَّيَّارَةِ﴾ جمع سَيَّارٍ، وهم القوم الذين يسرون في الأرض للتجارة، وغيرها.

﴿إِنْ كُنْتُمْ بِعِلِينَ﴾ أي: هذا هو الرأي إن فعلتموه.

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ أي: لم تخاف عليه منا؟ وقرأ السبعة ﴿تَأْمَنَّا﴾ بالإدغام والإشمام؛ لأن أصله بضم النون الأولى.

﴿يَزْتَعُ﴾ مَنْ قرأه بكسر العين<sup>(١)</sup> فهو من الرَّعِي، أي: من رَغِي الإبل، أو من رَغِي بعضهم لبعض، وحراسته. ومن قرأه بالإسكان، فهو من الرَّتْع؛ وهو الإقامة في الخصب والتنعم، والتاء على هذا أصلية، ووزن الفعل «يَفْعَلُ»، ووزنه على الأول «يَفْتَعِلُ».

ومن قرأ ﴿يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾ بالياء: فالضمير ليوسف. ومن قرأ بالنون: فالضمير للمتكلمين؛ وهم إخوته. وإنما قالوا: ﴿نَلْعَبُ﴾؛ لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء، أو كان اللعب من المباح لتعلم القتال، كالمسابقة بالخيول.

﴿وَأَجْمَعُوا﴾ أي: عزموا، وجواب ﴿لَمَّا﴾ محذوف<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنه ﴿وَأَجْمَعُوا﴾، أو ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ على زيادة الواو.

﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ يحتمل أن يكون هذا الوحي: بوساطة ملك، أو بالهام. والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ ليوسف، وقيل: ليعقوب، والأول هو الصحيح.

(١) قرأ نافع: ﴿يرتع ويلعب﴾ بالياء فيهما وبكسر العين، وقرأ ابن كثير: ﴿نرتع ونلعب﴾ بالنون فيهما وبكسر العين، وقرأ أبو عمرو وابن عامر: ﴿نرتع ونلعب﴾ بالنون فيهما وبإسكان العين، وقرأ الباقون: ﴿يرتع ويلعب﴾ بالياء فيهما وبإسكان العين.

(٢) قدره الزمخشري: فعلوا به ما فعلوا من الأذى. الكشاف (٨/٢٧١)، وفي البحر المحيط (١٤/٤٢٦): «وقدره بعضهم: جعلوه فيها، وهذا أولى؛ إذ يدل عليه قوله: ﴿وأجمعوا أن يجعلوه﴾».



﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في موضع الحال: من ﴿لَشَبَّانَهُمْ﴾؛ أي: لا يشعرون حين تنبئهم، فيكون خطاباً ليوسف عليه السلام. أو من ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾؛ أي: لا يشعرون حين أوحينا إليه، فيكون خطاباً لمحمد ﷺ.

﴿تَسْتَبِقُ﴾ أي: نجري على أقدامنا لننظر أينما يسبق.

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدقٍ لمقالتنا.

﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي: لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق، فكيف وأنت تتهمنا! وقيل: معناه: لا تصدقنا وإن كنا صادقين في هذه المقالة، فذلك على وجه المغالطة منهم. والأول أظهر.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: ذي كذب، أو وَصَفُ بالمصدر مبالغة. وروي أنهم لَطَخُوا قميصه بدم جَدِّي، وقالوا ليعقوب: هذا دمه في قميصه، فقال لهم: ما بال الذئب أكله ولم يخرق قميصه؟ فاستدل بذلك على كذبهم<sup>(١)</sup>.  
﴿سَوَّلَتْ﴾ زينت.

﴿بَصَبْرٍ جَمِيلٍ﴾ وعد من نفسه بالصبر، وارتفاعه على أنه مبتدأ، تقديره: صبر جميل أمثل، أو خبر مبتدأ، تقديره: شأني صبر جميل.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ روي أن هؤلاء<sup>(٢)</sup> السيارة من مَدِين، وقيل: هم أعراب.

﴿وَارِدَهُمْ﴾ الوارد: هو الذي يستقي الماء لجماعة، ونقل السهيلي أن اسم هذا الوارد: مالك بن دُعْرٍ من العرب العاربة، ولم يكن له ولد، فسأل يوسف عليه السلام أن يدعو له بالولد فدعا له، فرزقه الله اثني عشر ولداً، أعقب كل واحد منهم قبيلة<sup>(٣)</sup>.

﴿قَالَ يَبَشِّرِي﴾ نادى البشري، كقولك: يا حسرة، وأضافها إلى نفسه. وقرئ: ﴿يَبَشِّرِي﴾

(١) أخرجه الطبري (٣٧/١٣) عن الشعبي.

(٢) في أ، ب، هـ: «هذه».

(٣) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (١٤٤).



بحذف ياء المتكلم<sup>(١)</sup>، والمعنى كذلك. وقيل على هذه القراءة: نادى رجلاً منهم اسمه بشرى، وهذا بعيد. ولما أدلى الواردُ الحبلَ في الجب تعلق به يوسف ﷺ فحيثُ قال: ﴿يَبْشُرِي هَذَا غُلَّامٌ﴾.

﴿وَأَسْرَوْهُ بِضَلْعَةٍ﴾ الضمير الفاعل للسيارة، والضمير المفعول ليوسف ﷺ، أي: أخفوه من الرفقة، وقالوا لهم: دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعوه، والضمير أيضًا للذين أخذوه. وقيل: الضمير لإخوة يوسف، وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة: هذا عبْدُنَا.

﴿يَتَمَيَّ بِخَيْسٍ﴾ أي: ناقصٍ عن قيمته، وقيل: البخس هنا: الظلم.

﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عبارة عن قلَّتْهَا.

﴿وَكَانُوا﴾ الضمير للذين أخذوه، أو لإخوته.



(١) قرأ عاصم وحزمة والكسائي: ﴿يَا بُشْرَى﴾ بحذف ياء المتكلم، وقرأ الباقون ﴿يَا بُشْرَايَ﴾ بإثباتها.

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوِيَّ عَسَىٰ أَنْ يَنْبَغَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا  
وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤٥﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ مَاتَيْنَاهُ خُصْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ  
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٦﴾ \* وَرَوَدَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِبَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ  
لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤٧﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ  
بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا  
الْمُخْلِصِينَ ﴿١٤٨﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا  
جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤٩﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي  
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ بَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٥٠﴾ وَإِنْ  
كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥١﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ  
قَالَ إِنَّهُ مِن كَذِبِكُمْ إِنَّ كَيْدَكُم عَظِيمٌ ﴿١٥٢﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرْ  
لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾ يعني: العزيز، وكان حاجب الملك وخازنه، وقال السهيلي: اسمه قُطْفِير<sup>(١)</sup>.

﴿مِنْ مِصْرَ﴾ هو البلد المعروف، ولذلك لم ينصرف. وكان يوسف قد سيق إلى مصر، فنودي عليه في السوق حتى بلغ ثمنه وزنه ذهباً، وقيل: فضة، فاشتراه العزيز. ﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قد تقدم.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ في عودة الضمير وجهان:

أحدهما: أن يعود على الله؛ فالمعنى: أنه يفعل ما يشاء لا رادَّ لأمره.

والثاني: أن يعود على يوسف ﷺ؛ أي: يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة.

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (١٤٤).

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قيل في الأشد: البلوغ، وقيل: ثمان عشرة سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون، وقيل: أربعون.

﴿حُكْمًا﴾ هو الحكمة أو<sup>(١)</sup> النبوة.

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمِيَاهُ بِبَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة<sup>(٢)</sup>، وهي زليخا امرأة العزيز.

﴿وَعَلَّقَتْ لِأَيْتُوبَ﴾ روي أنها كانت سبعة أبواب.

﴿هِيَ لَكْ﴾ اسم فعل معناه: تعال وأقبل. وقرئ بفتح الهاء وكسرها، وبفتح التاء وكسرها وضمها<sup>(٣)</sup>، والمعنى في ذلك كله واحد، وحركات التاء للبناء. وأما من قرأه بالهمز؛ فهو فعل من تهيأت، كقولك: جئت.

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدرية، والمعنى: أعوذ بالله.

﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى، أو للذي اشتراه؛ لأن السيد يقال له رب، فالمعنى: لا ينبغي لي أن أخونه.

﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك في الأول.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا﴾ أكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى ألفوا فيها التواليف، فمنهم مفرط ومفرط. وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف عليه السلام من حيث الفعل الذي أرادته، وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها، وحلّه للتكة وغير ذلك، مما ينبغي أن لا يقال به؛ لضعف نقله، ولنزاهة الأنبياء عن مثله. ومنهم من جعل أنها همّت به لتضربه على امتناعه، وهمّ بها ليقتلها، أو يضربها ليدفعها، وهو بعيد، يردّه قوله:

(١) في ج: «و».

(٢) في أ، ب، هـ: «للمرأة».

(٣) قرأ نافع وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿هَيْتَ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء، وقرأ هشان عن ابن عامر: ﴿هَيْتَ﴾ بالهمز، وقرأ ابن كثير: ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء وضم التاء، وقرأ الباقون: ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء والتاء. وأما القراءة بكسر التاء مع فتح الهاء ﴿هَيْتَ﴾ فليست سبعة، وإنما هي قراءة ابن عباس عليه السلام، وابن أبي إسحاق، وابن محيصن، وأبي الأسود، وعيسى. المحرر الوجيز (٥/ ٦٤).



﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾. ومنهم من جعل همَّها به من حيث مرادها، وهمه بها ليدفعها، وهذا أيضًا بعيد؛ لاختلاف سياق الكلام.

والصواب إن شاء الله: أنها همت به من حيث مرادها، وهمَّ بها كذلك، لكنه لم يعزم على ذلك، ولم يبلغ إلى ما ذُكر من حلِّ التكة وغيرها، بل كان همُّه خطرةً خطرت على قلبه لم يُطعها، ولم يتابعها، ولكنه بادر إلى التوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه، ولا يَقْدَحُ هذا في عصمة الأنبياء؛ لأن الهمَّ بالذنب ليس بذنب، ولا نقص عليه في ذلك؛ فإنه من همَّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة.

﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها، وإنما حذف؛ لأن قوله ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ يدلُّ عليه. وقد قيل: إن ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ هو الجواب، وهذا ضعيف؛ لأن جواب «لولا» لا يتقدَّم عليها.

واختلف في البرهان الذي رآه: فقيل: ناداه جبريل: يا يوسف تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء! وقيل: رأى يعقوب ينهاه. وقيل: تفكَّر فاستبصر. وقيل: رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياة منه، فقال: أنا أولى أن أستحيي من الله.

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ﴾ الكاف: في موضع نصب، متعلقة بفعل مضمر، التقدير: ثبتناه مثل ذلك الثبوت. أو في موضع رفع، تقديره: الأمر مثل ذلك.

﴿السُّوءَ وَالْبِخْشَاءَ﴾ خيانة سيده، والوقوع في الزنا.

﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ قرئ بفتح اللام حيث وقع<sup>(١)</sup>؛ أي: الذين أخلصهم الله لطاعته. وبالكسر؛ أي: أخلصوا دينهم لله.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ معناه: سبق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب، فقصد هو الخروج والهروب عنها، وقصدت هي أن تردَّه. فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿الْبَابَ﴾ بالإفراد، وقد قال: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ بالجمع؟ فالجواب: أن المراد هنا الباب البرَّاني الذي هو المخرج من الدار.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها.



﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ أي: قطعته من وراء، وذلك أنها قبضت في قميصه من خلفه لترده، فتخرق القميص، والقُدُّ: القطع بالطول، والقُطُّ: بالعرض.

﴿وَأَلْقَىٰ سَيِّدَهَا﴾ أي: وجدا زوجها عند الباب.

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ لما رأت الفضيحة عكست القضية، وادّعت أن يوسف راودها عن نفسها، فذكرت جزاء كل من فعل ذلك على العموم، ولم تصرّح بذكر يوسف؛ لدخوله في العموم، وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها. و﴿مَا جَزَاءُ﴾ يحتمل أن تكون «ما»: نافية، أو استفهامية.

﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ برأ نفسه من دعواها.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ قيل: هو ابن عمها، وقيل: كان طفلاً في المهد فتكلم. وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق في براءة يوسف ﷺ. وكونه لم يتكلم قط، ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف ﷺ. والتقدير: شهد شاهد فقال، أو ضمنت الشهادة معنى القول.

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ بَصَدَقَتْ﴾ لأنها كانت تدافعه فتقذ قميصه من قبل.

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ بَكَذَبَتْ﴾ لأنها جبذته إلى نفسها حين قر منها، فقدَّت<sup>(١)</sup> قميصه من دبر.

﴿بَلَمَّا رَآ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ فاعل ﴿رَآ﴾: زوجها، أو الشاهد.

﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ الضمير للأمر، أو لقولها: ﴿مَا جَزَاءُ﴾.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: اكتمه ولا تحدّث به، و﴿يُوسُفُ﴾ منادى حذف منه حرف النداء؛ لأنه قريب، وفي حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ﴾ خطاب لها، وذلك من كلام زوجها، أو من كلام الشاهد.

﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ جاء بلفظ التذكير، ولم يقل «من الخاطئات»؛ تغليبا للذكور.



(١) في أ، ب، هـ: «فقد».

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَيْهَا عَنْ نَفْسِهِ فَذْ شَغَبَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرِيهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَهَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٥٧﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمْتُنَّيْ بِبِهِ وَلَقَدْ رَوَدَّتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَوَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَفْعَلَنَّهُ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٥٨﴾ \* قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنَنَّهُ فَحَتَّى حِينٍ ﴿٦١﴾

﴿نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: في مصر، وروي أنهم خمس نسوة: امرأة الساقى، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب<sup>(١)</sup>.

﴿فَتَيْهَا﴾ أي: خادمتها، والفتى يقال بمعنى الشاب، وبمعنى الخادم.

﴿شَغَبَهَا﴾ بلغ شغاف قلبها وهو غلافه، وقيل: السَّوْدَاءُ منه. وقيل: الشغاف: داءٌ يصل إلى القلب.

﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: بقولهن، وسماهن مكرًا؛ لأنه كان في خفية. وقيل: كانت قد استكتمتهن سرًا فأفشينه عليها.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا﴾ أي: أعدت لهن ما يُتَكأ عليه من الفرش ونحوها. وقيل: المتكأ: طعام. وقرئ في الشاذ: «مُتَّكًا» بسكون التاء وتنوين الكاف<sup>(٢)</sup>، وهو الأترج. وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج، وقيل: كان لحمًا.

﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ﴾ أمر لِيُوسُفَ عليه السلام، وإنما أطاعها؛ لأنه كان مملوك زوجها.

(١) قاله مقاتل بن سليمان كما في تفسيره (٣٣١/٢).

(٢) قرأ بها ابن عباس عليه السلام، وابن عمر عليه السلام، ومجاهد، والجحدري، وقتادة، والضحاك، والكلبي، وأبان بن تغلب. المحرر الوجيز (٧٧/٥).

﴿أَكْبَرْتَهُ﴾ أي: عظم شأنه وجماله. وقيل: معنى أكبرن: حُضِنَ، والهاء للسكت، وهذا بعيد جداً.

﴿وَقَطَّعَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي اشتغلن بالنظر إليه، وبُهِتْنَ من جماله حتى قَطَّعن أيديهن وهنَّ لا يشعرن كما يقطع الطعام.

﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾ معناه براءة وتنزيه؛ أي: تنزيهٌ لله وتعجب من قدرته على خلقه مثله. و«حاش» في باب الاستثناء تخفض على أنها حرف، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلاً. وأما هنا: فقال أبو علي الفارسي: إنها فعل، والدليل على ذلك من وجهين:

أحدهما: أنها دخلت على لام الخبر وهو اللام في قوله ﴿لِلَّهِ﴾، ولا يدخل الحرف على حرف.

والآخر: أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة، والحروف لا يحذف منها شيء، وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل، وإنما تحذف من الأفعال كقولك: لم يك، ولا أدِر. والفاعل بـ ﴿حَشَّ﴾ ضمير يعود على يوسف، تقديره: بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله.

وقال الزمخشري: إن ﴿حَشَّ﴾ وُضِعَ موضع المصدر، كأنه قال: «تنزيهاً»، ثم قال: «لله»؛ ليبين من ينزهه، قال: وإنما حذف منه التنوين مراعاةً لأصله من الحرفية<sup>(١)</sup>.

﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ أخرجنه من البشر، وجعلنه من الملائكة؛ مبالغة في وصفه بالحسن.

﴿قَالَتْ بِذَلِكَ آلُكَ لَمُتْنِي بِهِ﴾ توبيخُ لهن على اللوم<sup>(٢)</sup>.

﴿بِاسْتَعْصَمَ﴾ أي: طلب العصمة، وامتنع مما أرادت منه.

﴿أَضْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: أمل<sup>(٣)</sup>، وكلامه هذا تضرُّعٌ إلى الله.

(١) انظر: الكشاف (٨/٣١٧).

(٢) من قوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ إلى هنا: سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «أمل».

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾ أي: ظهر، والفاعل محذوف، تقديره: رأيي، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ :  
 لزوجها وأهلها، أو <sup>(١)</sup> مَنْ تشاور معه في ذلك.  
 ﴿وَرَأَوْا آيَاتٍ﴾ أي: الأدلة على براءته.



(١) في أ، ب، د، هـ: هو.

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَّيْنِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِيتُني أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِيتُني  
 أَخْمِلُ قَوًّا رَاسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِيتًا يَتَّوِيلُهُ ۖ إِنَّا نَرْبِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ لَا  
 يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقْنِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا ۚ عَلَّمْنِي رَبِّي  
 إِنَّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٦﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي  
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا  
 وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ يَصْلَحْجِي السِّجْنَ ۖ آرَبَاتٍ مُتَبَرِّجُونَ  
 خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٨﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا  
 أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ  
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ يَصْلَحْجِي السِّجْنَ ۖ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْفِي رَبَّهُ خَمْرًا  
 وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُضْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ فَضَيَّ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِي ۖ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ  
 لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ۚ فَأَنْبَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ۚ فَلَبِثَ فِي  
 السِّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٢١﴾

﴿١٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَّيْنِ ﴿١٥﴾ أي: شابان، وقَبْلَ هذا محذوفٌ لا بد منه، وهو: فسجنوه.  
 وكان يوسف ﴿١٦﴾ قد قال لأهل السجن: إِنِّي أَعْبُرُ الرُّؤْيَا، فلذلك سأله الفتيان عن منامهما.  
 وقيل: إنهما استعملاهما لِيُجَرِّبَاه، وقيل: رأيا ذلك حقًا.

﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ قيل فيه: سَمَّى العنبَ خمرًا بما يؤول إليه، وقيل: هي لغة.

﴿إِنَّا نَرْبِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قيل: معناه: في تأويل الرؤيا، وقيل: إحسانه إلى أهل السجن.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقْنِيهِ﴾ الآية؛ تقتضي أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم؛  
 ليجعل ذلك وَصْلَةً إِلَى دعائهما لتوحيد الله. وفيها وجهان:

أحدهما: أنه قال: إنه يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما، وذلك  
 من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزةٌ للأنبياء.

والآخر: أنه قال: لا يأتِيَكُمَا طعام في المنام إِلَّا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا.

﴿ذَلِكَ مَا عَلَّمَنِ رَبِّي﴾ رُوي أنهما قالا له: من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم؟ فقال: ﴿ذَلِكَ مَا عَلَّمَنِ رَبِّي﴾.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلاً لما قبله من قوله: ﴿عَلَّمَنِ رَبِّي﴾، أو يكون استئنافاً.

﴿يَصْلَحَنِي السِّجْنُ﴾ نسبهما إلى السجن: إمّا لأنهما سكّناه، أو لأنهما صحّباه في السجن، فكانه قال: يا صاحبي في السجن.

﴿أَرْبَابٌ مُتَّبَعُونَ خَيْرٌ﴾ الآية؛ دعاهما إلى توحيد الله، وأقام عليهما الحجة؛ رغبة في إيمانهما.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ أوقع الأسماء هنا موقع المسميات، والمعنى: سميت آلهة ما لا يستحق الإلهية، ثم عبدتموها<sup>(١)</sup>.

﴿مِنْ سُلْطَنٍ﴾ أي: حجة وبرهان.

﴿يَسْفِي رَبَّهُ﴾ يعني: الملك.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ الظن هنا يحتمل: أن يكون بمعنى اليقين؛ لأن قوله: ﴿فُضِيَ الْأَمْرُ﴾ يقتضي ذلك. أو يكون على بابه؛ لأن عبارة الرؤيا ظنٌّ.

﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: عند الملك.

﴿بِأَنبِيَاءِ الشَّيْطَانِ ذَكَرَ رَبَّهُ﴾ قيل: الضمير ليوسف عليه السلام؛ أي: نسي في ذلك الوقت أن يذكر الله، ورجا غيره، فعاقبه الله على ذلك بأن لبث في السجن. وقيل: الضمير للذي نجا منهما، وهو السّاقى؛ أي: نسي ذكر يوسف عند ربه، فأضاف الذكر إلى ربه؛ إذ هو عنده، والربُّ على هذا التأويل: الملك.

﴿يَضَعُ سِنِينَ﴾ البضع: من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى التسعة، وقيل: إلى السبعة.

وروي أن يوسف عليه السلام سُجِنَ خمسَ سنين أولاً، ثم سجن بعد قوله ذلك سبعَ سنين<sup>(٢)</sup>.

(١) في ب: «تسميتهم آلهة ما لا يستحق الإلهية، ثم عبدوها».

(٢) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/٢٦١) عن الكلبي، وهو ضعيف جداً.

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُتَبَلَاتٍ خُضْرٍ  
وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا أَضَعَتْ  
أَخْلَمَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَمِ بِعَلَمِينَ ﴿٥٢﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا  
أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٥٣﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ  
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُتَبَلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾  
قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ  
يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ يَأْتِي  
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِشُونَ ﴿٥٧﴾

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ هو ملك مصر الذي كان العزيز خادماً له، واسمه رِيَّان بن الوليد،  
وقيل: مصعب بن الريان، وكان من الفراعنة. وقيل: إنه فرعون موسى، عُمُر أربع مئة سنة  
حتى أدرك موسى ﷺ، وذلك بعيد.

﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ﴾ يعني: في المنام.

﴿عِجَافٌ﴾ أي: ضِعَافٌ في غاية الهُزَال.

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ﴾ خطابٌ لجلسائه وأهل دولته.

﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: تعرفون تأويلها، يقال: عبرتُ الرؤيا بتخفيف الباء، وأنكر بعضهم  
التشديد، وهو مسموعٌ من العرب. وأدخلت اللام على المفعول به لِمَّا تقدَّم على الفعل.

﴿قَالُوا أَضَعَتْ أَخْلَمَ﴾ أي: تخالطها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفسٍ  
ووسوسة شيطانٍ بحيث لا يُعْبَرُ. وأصل الأضغاث: ما جُمع من أخلاط النبات، واحده:  
ضِغْتُ. فإن قيل: لم قال ﴿أَضَعَتْ أَخْلَمَ﴾ بالجمع، وإنما كانت رؤيا واحدة؟  
فالجواب: أن هذا كقولهم: «فلان يركب الخيل»، وإن ركب فرساً واحداً.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَمِ بِعَلَمِينَ﴾ إمَّا أن يريدوا: تأويل الأحلام الباطلة، أو تأويل الأحلام  
على الإطلاق، وهو الأظهر.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ هو ساقى الملك.

﴿وَأَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد حين.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ يُقَدَّرُ قبله محذوفٌ لا بد منه، وهو: فأرسلوه فقال: يا يوسف. وسمَّاه صديقاً؛ لأنه كان قد جَرَّبَ صِدْقَهُ في تعبير الرؤيا وغيرها، والصديق مبالغة في الصدق.

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ أي: فيمن رأى سبع بقرات، وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف، فتعجَّب كيف غلبتهن؟ وكيف وسعت في بطونهن؟ ورأى سبع سنبلات خضر، وقد التفت بها سبعُ يابسات، حتى غطَّت خضرتها.

﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ هذا تعبيرُ الرؤيا، وذلك أنه عبَّر البقرات السَّمان بسبع سنين مخصبة، وعبَّر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة، وكذلك السنبلات الخضر واليابسة. ﴿دَابَّاءٌ﴾ بسكون الهمزة وفتحها<sup>(١)</sup>، مصدر دأب على العمل: إذا داوم عليه، وهو مصدر في موضع الحال.

﴿فَمَا خَصَدْتُمْ بِذُرُوهُ فِي سُثُلَيْهِ﴾ هذا رأيُ أرشدهم يوسف عليه السلام إليه، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين، فعلمهم حيلةً يبقى بها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة، وهي أن يتركوه في سنبله غير مدروس<sup>(٢)</sup>، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي: لا تدرُسوا منه إلا ما يُحتاج للأكل خاصة.

﴿سَبْعَ شِدَادٍ﴾ يعني: سبع سنين ذات شدة وجوع.

﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: تأكلون فيهنَّ ما اخترنتم من الطعام في سنبله، وأسند الأكل إلى السنين مجازاً.

(١) قرأ حفص عن عاصم بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بإسكانها.

(٢) دَرَسَ الحنطة دِرَاسًا: إذا داسها. لسان العرب (٧/٣٨٢).



﴿مِمَّا تُخِصُّونَ﴾ أي: تُخْرِزُونَ<sup>(١)</sup> وتُخَبِّتُونَ.

﴿ثُمَّ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا، وهو الإخبار بالعام الثامن.

﴿يَعَاثُ النَّاسُ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْغَيْثِ؛ أي: يُمَطَّرُونَ، أو من الغوث؛ أي: يَفْرُجُ اللهُ عَنْهُمْ.

﴿وَبِهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي: يعصرون الزيتون والعنب والسَّمْسَمَ وغير ذلك مما يعصر.



(١) في د: «تخزنون».

وَقَالَ الْمَلِكُ إِيْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ بِسَأْلِهِ مَا بَالَ الْإِسْوَةِ الَّتِي  
 قَطَّعَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُمُ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ  
 فُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّنِ حَاضِرُ الْحَقِّ أَنَا  
 رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا  
 يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا أَتَتْهُ نَفْسِي إِلَّا الْنَفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ  
 رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٤﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِيْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِضُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ  
 الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿١٠٥﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾  
 وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوهُ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا  
 نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٠٨﴾

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِيْتُونِي بِهِ﴾ قَبْلَ هَذَا مَحذُوفٌ، وَهُوَ: فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَصَّ  
 عَلَيْهِ مَقَالَه يوسُفَ ﷺ، فَرَأَى عِلْمَهُ وَعَقْلَهُ، فَقَالَ: ﴿إِيْتُونِي بِهِ﴾.

﴿قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ بِسَأْلِهِ﴾ لَمَّا أَمَرَ الْمَلِكُ بِإِخْرَاجِ يوسُفَ مِنَ السَّجْنِ وَإِتْيَانِهِ إِلَيْهِ، أَرَادَ  
 يوسُفَ أَنْ يَبْرِي نَفْسَهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ مَرَاوِدَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ عَنْ نَفْسِهَا، وَأَنْ يُعْلِمَ الْمَلِكَ  
 وَغَيْرَهُ أَنَّهُ سُجِنَ ظُلْمًا، فَذَكَرَ طَرَفًا مِنْ قِصَّتِهِ لِيَنْظُرَ الْمَلِكُ فِيهَا فَيَتَبَيَّنَ لَهُ الْأَمْرُ، وَكَانَ هَذَا  
 الْفِعْلُ مِنْ يوسُفَ صَبْرًا وَحِلْمًا؛ إِذْ لَمْ يُجِبْ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ السَّجْنِ سَاعَةً دُعِيَ إِلَى ذَلِكَ  
 بَعْدَ طَوِيلِ الْمُدَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ؛ رَغْبًا لِذِمَامِ زَوْجِهَا وَسِتْرًا لَهَا، بَلْ  
 ذَكَرَ النِّسْوَةَ اللَّاتِي قَطَّعَ أَيْدِيَهُنَّ.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ﴾ الْآيَةُ؛ جَمَعَ الْمَلِكُ النِّسْوَةَ وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ مَعَهُنَّ، فَسَأَلَهُنَّ عَنْ قِصَّةِ  
 يوسُفَ، وَأَسْنَدَ الْمَرَاوِدَةَ إِلَى جَمِيعَهُنَّ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِأَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ هِيَ الَّتِي  
 رَاوَدَتْهُ وَحْدَهَا.

﴿فُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تَبَرُّتُ لِيوسُفَ ﷺ، أَوْ تَبَرُّتُ لَأَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَرَاوِدَتِهِ، وَتَكُونُ تَبَرُّتُ  
 يوسُفَ ﷺ بِقَوْلِهِنَّ: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.

﴿إِنَّنِ حَاضِرُ الْحَقِّ﴾ أَي: تَبَيَّنَ وَظَهَرَ، ثُمَّ اعْتَرَفَتْ عَلَى نَفْسِهَا بِالْحَقِّ.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قيل: إنه من كلام امرأة العزيز متصلاً بما قبله، والضمير في ﴿لِيَعْلَمَ﴾ و﴿أَخُنْهُ﴾ على هذا ليوسف ﷺ؛ أي: ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال غيبته، والإشارة بـ﴿ذَلِكَ﴾ إلى توبتها وإقرارها. وقيل: إنه من كلام يوسف ﷺ، فالضمير للعزيز؛ أي: لم أخنه في زوجته في غيبته، بل تعففتُ عنها، والإشارة بـ﴿ذَلِكَ﴾ إلى توقُّفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته.

﴿وَمَا أَتَّبِعْتُ نَفْسِي﴾ اختلف أيضاً هل هو من كلام امرأة العزيز، أو من كلام يوسف ﷺ؟ فإن كان من كلامها: فهو اعترافٌ بعد الاعتراف. وإن كان من كلامه: فهو اعترافٌ بما همَّ به على وجه خطوره على قلبه، لا على وجه العزم والقصد، أو قاله في عموم الأحوال على وجه التواضع.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ النفس هنا للجنس، والنفوس ثلاثة أنواع: أماراة بالسوء، ولؤامة؛ وهي التي تلوم صاحبها، ومطمئنة.

﴿الَّا مَا رَجِمَ رَبِّي﴾ استثناء من ﴿النَّفْسِ﴾؛ إذ هي بمعنى النفوس، أي: إلا النفس المرحومة وهي المطمئنة، ف«ما» على هذا بمعنى الذي. ويحتمل أن تكون ظرفية؛ أي: إلا حين رحمة الله.

﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله خاصتي وخلاصتي، قال أولاً: ﴿إِيتُونِي بِهِ﴾، فلما تبين له حاله قال: ﴿إِيتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾.

﴿قَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: لما رأى حُسن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه قال له: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، والمكين: من التمكن، والأمين: من الأمانة.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ لما فهم يوسف ﷺ من الملك أنه يريد تصريحه والاستعانة به قال له ذلك، وإنما طلب منه الولاية رغبةً منه في العدل وإقامة الحق والإحسان، وكان هذا الملك كافراً.

ويُستدلُّ بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يُصلح بعض الأحوال. وقيل: إن الملك أسلم.

وأراد بقوله: ﴿خَزَائِرِ الْأَرْضِ﴾: أرض مصر؛ إذ لم يكن للملك غيرها، والخزائن: كل ما يختزن من طعام ومال وغير ذلك.

﴿إِنِّي خَمِيطٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان تعم<sup>(١)</sup> وجوه المعرفة والضبط للخزائن. وقيل: حفيظٌ للحساب، عليمٌ بالأسن، واللفظ أعم من ذلك. ويُسْتَدَلُّ بذلك على أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره، وإذا<sup>(٢)</sup> كان في ذلك فائدة.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ الإشارة بـ«ذلك» إلى ما تقدّم من جميل صنع الله به. ورُوي أن الملك ولّاه في موضع العزيز، وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره، وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت، فتزوجها يوسف ﷺ ودعا الله، فردّها عليها جمالها وشبابها، وأنه باع من أهل مصر في أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق لهم شيء منها، ثم بالحلي، ثم بالدواب، ثم بالضّياح والعقار، ثم برقابهم حتى تملّكهم جميعاً، ثم أعتقهم وردّ عليهم أملاكهم.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ﴾ الرحمة هنا: يراد بها في الدنيا، وكذلك الأجر في قوله: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾، فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص، وأن المحسن لا بدّ له من أجره في الدنيا، فالأول: في المشيئة، والثاني: واقع لا محالة، ثم أخبر أن أجر الآخرة خيرٌ من ذلك كلّهُ للذين آمنوا وكانوا يتقون. وفي الآية إشارة إلى أن يوسف ﷺ جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة.



(١) في هامش أ: «تعمّان».

(٢) في أ، هـ: «أو إذا».

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ  
إِيتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوهِدُ الْكَفِيلَ ﴿٥١﴾ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا لَمْ  
تَأْتُوهُ بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٥٣﴾ قَالُوا سَنُرِيدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٥٤﴾  
وَقَالَ لِمَتِّي إِنَّكُمْ يَجْعَلُونَا بِضْعَتَهُمْ فِي رَحَالِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّكُمْ  
يَرْجِعُونَ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَفِيلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَّكْتُلُ  
وَأَنَا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ بِاللَّهِ  
خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا  
يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفِظُ أَخَانًا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ  
ذَلِكَ كَيْلُ بِسِيرٍ ﴿٥٨﴾ \* قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُتَوِّبُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا  
أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا تَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا  
مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لِّإِلْحَاظِكُمْ  
إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ  
أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَغْفُوبُ فَضِيلَهَا وَإِنَّهُ لَكَاوٍ  
عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة في بلادهم، فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذي أدخره يوسف ﷺ.

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ إنما أنكروه لبعد العهد به وتغير سنه، أو لأنه كان مثلثاً. وروي أنهم دخلوا عليه وهو على<sup>(١)</sup> هيئة عظيمة من الملك، وأنه سألهم عن أحوالهم، وأخبروه أنهم تركوا أخا لهم (عند أبيهم)<sup>(٢)</sup>، فحينئذ قال لهم: ﴿إِيتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، وهو بنيامين شقيق يوسف ﷺ.

(١) في د: «في».

(٢) لم ترد في أ، ج، هـ.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ الجَهاز: ما يحتاج إليه المسافر من زاد وغيره، والمراد به هنا: الطعام الذي باع منهم.

﴿خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أي: المضيفين.

﴿وَأَنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ أي: نفعل ذلك لا محالة.

﴿وَقَالَ لِمِثْيَتِهِ﴾ جمع فتى، وهو الخادم سواء كان حرًا أو عبدًا.

﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ أمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منه بها الطعام في أوعيتهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَغْرِفُونَهَا﴾ أي: لعلهم يعرفون اليد والكرامة في ردّ البضاعة إليهم، وليس الضمير للبضاعة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع، وقصد بردّ البضاعة إليهم مع الطعام استلافهم بالإحسان إليهم.

﴿مَنْعَ مِثَا الْكَيْلِ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿إِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾، فهو خوف من المنع في المستقبل.

﴿تَكْتُلْ﴾ وزنه تَفْتَعِلُ من الكيل.

﴿مَا تَبْغِي﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية، و﴿تَبْغِي﴾ بمعنى: نطلب، والمعنى: أي شيء نطلبه بعد هذه الكرامة، وهي ردّ البضاعة مع الطعام؟ ويحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، و﴿تَبْغِي﴾ من البغي؛ أي: لا نتعدّى على أخينا ولا نكذب على الملك.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نسوق لهم الطعام.

﴿وَنَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ يريدون بعير أخيه؛ إذ كان يوسف لا يعطي إلا كيل بعير من الطعام لإنسان، فأعطاهم عشرة أبعرة، ومنعهم الحادي عشر؛ لغيبة صاحبه حتى يأتي، والبعير: الجمل.

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ بِسِيرٍ﴾ إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى: أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بغير. وإن كانت الإشارة إلى ﴿كَيْلٌ بِعِيرٍ﴾ فالمعنى: أنه يسير على يوسف؛ أي: قليل عنده أو سهل عليه، فلا يمنهم منه.

﴿حَتَّىٰ تُوْتُوهُ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أراد أن يحلفوا له، و﴿لَتَأْتَيْنِي﴾ جواب اليمين.

﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إِلَّا أَن تُغْلَبُوا، فلا تطيقون الإتيان به.

﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ﴾ خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين؛ إذ كانوا أهل جمالٍ وهيئة.

﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾، والمعنى: أن ذلك لا يدفع ما قضى الله.

﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناء منقطع، والحاجة هنا: هي شفقتهم عليهم ووصيته لهم.



وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْتَهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِفُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْعَدُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا نَعْفِدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَسَ جَاءَ بِهِ جِنْدٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُغِيبَهُ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرَفِينَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا بِمَا جَزَّؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧١﴾ قَالُوا جَزَّؤُهُ مِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ بِهِوَ جَزَّؤُهُ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ رِغَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ رِغَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ \* قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَتَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧٦﴾

﴿٦٦﴾ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴿٦٦﴾ أي: ضمه.

﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ أخبره بأنه أخوه، واستكتمه ذلك.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا تحزن؛ وهو من البؤس.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الضمير لإخوة يوسف، ويعني: ما فعلوا بيوسف وأخيه. ويحتمل أن يكون لفتيانه؛ أي: لا تبال بما تراه من تحيلي في أخذك.

﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ السِّقَايَةُ هي الصُّوَاع، وهو إناء يشرب به الملك، ويكال به الطعام، وكان من فضة، وقيل: من ذهب. وقصد بجعله في رحل أخيه أن يحتال على إمساكه معه؛ إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المسروق له.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي: نادى مناد.

﴿أَتَيْتَهَا الْعَيْرُ﴾ أي: أيتها الرفقة.

﴿إِنَّكُمْ لَسَّرِفُونَ﴾ خطاب لإخوة يوسف، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة؛ لما في ذلك



من المصلحة من إمساك أخيه. وقيل: إن حافظ السقاية نادى: إنكم لسارقون، بغير أمر يوسف، وهذا بعيد؛ لتفتيش الأوعية.

﴿وَلَمَسَ جَاءَ بِهِ جِمْلَ بَعِيرٍ﴾ أي: لمن جبره<sup>(١)</sup> وردّه جملٌ بغير من طعام على وجه الجمل.

﴿وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ﴾ أنا ضامنٌ لحمل البعير لمن ردّ الصواع، وهذا من كلام المنادي.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ استشهدوا بعلمهم؛ لما ظهر لهم من ديانتهم في دخولهم أرضهم، حتى كانوا يجعلون الأكمة في أفواه إبلهم؛ لئلا تنال زروع الناس.

﴿قَالُوا بِمَا جَزَّؤُوهَ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي: قال فتيان يوسف: ما جزاء آخذ الصواع إن كنتم كاذبين في قولكم: ﴿وَمَا كُنَّا سَرِيفِينَ﴾، فالضمير في قوله: ﴿جَزَّؤُوهَ﴾ يعود على الآخذ المفهوم من الكلام.

﴿قَالُوا جَزَّؤُوهَ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ بِهِوَ جَزَّؤُوهَ﴾ المعنى: أن إخوة يوسف أفتوا فيما سُئلوا عنه فقالوا: جزاء السارق أن يُستعبد، ويُؤخذ في السرقة.

وأما الإعراب فيحمل وجهين:

الأول: أن يكون ﴿جَزَّؤُوهَ﴾ الأول مبتدأ، و﴿مَنْ﴾ مبتدأ وهي شرطية أو موصولة، وخبرها ﴿بِهِوَ جَزَّؤُوهَ﴾، والجملة خبر ﴿جَزَّؤُوهَ﴾ الأول.

والوجه الثاني: أن يكون ﴿مَنْ﴾ خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف، وتقديره: جزاؤه أخذ مَنْ وَجَدَ في رحله، وتمّ الكلام، ثم قال: ﴿بِهِوَ جَزَّؤُوهَ﴾؛ أي: هذا الحكم جزاؤه.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ من كلام إخوة يوسف؛ أي: هذا حُكْمنا في السَّراق. وقد كان هذا الحكم في أول الإسلام، ثم نسخ بقطع الأيدي<sup>(٢)</sup>.

(١) أي: ردّه.

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (١٤٣/٥): «وَحُكِيَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ نُسِخَ بِالْقَطْعِ، وَهَذَا ضَعِيفٌ، مَا كَانَ قَطٍ فِيمَا عَلِمْتُ».

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾ هذا تمكينٌ للحيلة، ورفعٌ للثَّمة.

﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ ليصحَّ له بذلك إمساكه معه، وإنما أتت الصواع في هذا الموضع؛ لأنه سقاية، أو لأن الصواع يذكر ويؤنث.

﴿كَذَلِكَ كِذْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: صنعنا له هذا الصُّنع.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: في شُرْعِهِ أو عادته؛ لأنه إنما كان جزاء السارق عنده أن يُضْرَبَ ويُضَعَّفَ عليه الغرم، ولكن حكَّم في هذه القضية بحكم آل يعقوب.

﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ يعني: الرَّفْعَةُ بالعلم؛ بدليل ما بعده.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي: فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر، أو الله ﷻ.

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ لإخوة يوسف، وأشاروا إلى يوسف ﷺ، ومعنى كلامهم: إن يسرق بنيامين فقد سرق أخوه يوسف من قبل؛ فهذا الأمر إنما صدر من ابني راحيل<sup>(١)</sup>، لا مِنَّا، وقصدوا بذلك دفع المعرَّة عن أنفسهم، ورموا بها يوسف وشقيقه.

واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف ﷺ على ثلاثة أقوال:

الأول: أن عمته ربَّته، فأراد والده أن يأخذه منها، وكانت تحبه ولا تصبر عنه، فجعلت عليه مِنطَقَةً لها، ثم قالت: إنه أخذها، فاستعبده بذلك، وبقي عندها إلى أن ماتت.

والثاني: أنه أخذ صنماً لجده والدِ أمه فكسره.

والثالث: أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين.

﴿بِأَسْرَرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ قال الزمخشري: الضمير للجملَة التي بعد ذلك؛ وهي قوله: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا﴾، والمعنى: قال في نفسه: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا﴾<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عطية: الضمير للحزاة التي وجد في نفسه من قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾، أسرَّ كراهية مقالته،

(١) راحيل: اسم أم يوسف وبنيامين.

(٢) انظر: الكشاف (٨/ ٤٠١-٤٠٣).

ثم جاهرهم بقوله: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ أي: لسوء أفعالكم<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة.  
 ﴿إِنَّ لَهُدَّ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ استعطاف، وكانوا قد أعلموه بشدة محبة أبيه فيه.  
 ﴿فَخَذَ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ على وجه: الضمان، أو<sup>(٢)</sup> الاسترهان، أو الاستعباد، وهذا هو  
 الأظهر؛ لقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَلَعْنَا عِنْدَهُ﴾.  
 ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أحسنت إلينا فيما فعلت معنا قبل، أو على الإطلاق.



(١) انظر: المحرر الوجيز (١٤٦/٥).

(٢) في ب: «و».

بَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا بَرَّظْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَخُفَّ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٥٥﴾ ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَاطِينَ ﴿٥٦﴾ وَشَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٥٧﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٥٨﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَهِيَّ عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنُوا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ يَتَّبِعُوا إِذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٢﴾ \*بَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجِيَةٍ قَاوُيْ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا بَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا لَنْتَ أَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَفْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ التَّوْبَةُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٧﴾ إِذْهَبُوا بِقِيصِهِ هَذَا بِالْفَوْهِ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَاتِ بِصِيرًا وَاثْوِنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٨﴾

﴿٥٥﴾ «اسْتَيْسَسُوا» أي: ينسوا.

﴿٥٦﴾ «خَلَصُوا نَجِيًّا» أي: انفردوا عن غيرهم ينجي بعضهم بعضًا. والنجي يكون: بمعنى المناجي، ومصدرًا.

﴿٥٧﴾ «قَالَ كَبِيرُهُمْ» قيل: كبيرهم في السن؛ وهو روبيل. وقيل: كبيرهم في الرأي؛ وهو شمعون، وقيل: يهوذا.

﴿٥٨﴾ «وَمِنْ قَبْلُ مَا بَرَّظْتُمْ فِي يُوسُفَ» تحتمل «مَا» وجوها:

الأول: أن تكون زائدة<sup>(١)</sup>.

والثاني: أن تكون مصدرية، ومحلها الرفع بالابتداء<sup>(٢)</sup>، وتقديره: وقع من قبل<sup>(٣)</sup> تفريطكم في يوسف.

والثالث: أن تكون موصولة<sup>(٤)</sup>، ومحلها أيضًا الرفع كذلك.  
والأول أظهر.

﴿قَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ يريد: الموضع الذي وقعت فيه القصة.

﴿إِزْجِعُوا إِلَيَّ أَبِيكُمْ﴾ من قول كبيرهم، وقيل: من قول يوسف ﷺ، وهذا بعيد.

﴿إِنَّ إِبْنَكُ سَرَقَ﴾ قرأ الجمهور بفتح السين والراء. وروي عن الكسائي «سَرَقَ» بضم السين وكسر الراء وتشديد هاء<sup>(٥)</sup>؛ أي: نُسِبَتْ له السرقة.

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ أي: قولنا لك: ﴿إِنَّ إِبْنَكُ سَرَقَ﴾ إنما هي شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَاطِينَ﴾ أي: لا نعلم الغيب هل ذلك حق في نفس الأمر، أم لا؛ إذ يمكن أن دُسَّ الصُّوَاعُ في رحله من غير علمه. وقال الزمخشري: المعنى: ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقة وتيقناه؛ لأن الصُّوَاعَ استُخْرِجَ من وعائه، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَاطِينَ﴾ أي: ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق<sup>(٦)</sup>. وقراءة ﴿سَرَقَ﴾ بالفتح تعضد قول الزمخشري، والقراءة بالضم تعضد القول الأول.

(١) أي: صلة، لا موضع لها من الإعراب، أي: ومن قبل هذا قُصِّرْتُمْ في شأن يوسف. المحرر الوجيز (١٣/٥)، والكشاف (٤٠٨/٨).

(٢) وخبرها الظرف، وهو «من قبل». الكشاف (٤٠٨/٨).

(٣) في هامش ب زيادة «هذا».

(٤) أي: ومن قبل هذا ما فَرَّطْتُمُوهُ في حق يوسف. الكشاف (٤٠٩/٨).

(٥) ذكرها في المحرر الوجيز (١٣١/٥)، قال: «قرأ ابن عباس ؓ وأبو رزين: (سَرَقَ)..» ورويت هذه القراءة عن الكسائي. اهـ. ولم يذكرها ابن مجاهد في كتابه: السبعة في القراءات.

(٦) انظر: الكشاف (٤١٠/٨).

﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ تقديره: واسأل أهل القرية، وكذلك: أهل العير؛ يعنون الرُّفقة، هذا قول الجمهور. وقيل: المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها، ولا يبعد أن تخبره الجمادات؛ لأنه نبي. والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز. والقرية هنا: هي مصر.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ قبله محذوف تقديره: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام، فقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ الآية.

﴿بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني: يوسف، وأخاه بنيامين، وأخاهم الكبير الذي قال: لن أبرح الأرض.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ لما لم يصدقهم أعرض عنهم، ورجع إلى التأسف.

﴿وَقَالَ يَتَّسِعْ عَلَيَّ يُوسُفُ﴾ تأسف على يوسف ﷺ، دون أخيه الثاني والثالث الذاهبين؛ لأن حُزنه عليه كان أشد؛ لإفراط محبته، ولأن مصيبتَه كانت السابقة.

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنُهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾ أي: من البكاء الذي هو ثمرة الحزن، فقيل: إنه عَمِيَ، وقيل: إنه كان يدرك إدراكًا ضعيفًا. وروي عن النبي ﷺ: أن يعقوب حَزَنَ حُزْنَ سَبْعِينَ ثَكْلَى، وأُعْطِيَ أَجْرَ مِائَةِ شَهِيدٍ، وما سَاءَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ قَطُّ<sup>(١)</sup>.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ قيل: إنه فعيل بمعنى فاعل؛ أي: كاظم لحزنه لا يظهره لأحد، ولا يشكو إلا إلى الله<sup>(٢)</sup>. وقيل: بمعنى مفعول، كقوله: ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]؛ أي: مملوء القلب بالحزن، أو بالغِظ على أولاده. وقيل: الكظيم: الشديد الحُزَن.

﴿تَاللَّهِ تَفْتَرُوا﴾ أي: لا تفتؤ، والمعنى: لا تزال، وحذف حرف النفي؛ لأنه لا يلتبس بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتًا لكان مؤكدًا باللام والنون.

﴿حَرَضًا﴾ أي: مُشْفِيًا<sup>(٣)</sup> على الهلاك.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٧/١٣-٣٠٨) عن الحسن البصري مرفوعًا إلى النبي ﷺ فيكون مرسلاً، ورواه أيضًا عن الحسن من كلامه، وشيخ الطبري في كلا الإسنادين محمد بن حميد الرازي، ضعفه البخاري، وقال يعقوب بن شيبة: «كثير المناكير»، وضعفه أبو حاتم الرازي والنسائي وغير واحد. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (٩/١٢٧-١٣١).

(٢) في أ، ب: «إلا لله».

(٣) في د: «مشرقًا».

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَخَزَنَتِي إِلَى اللَّهِ﴾ رَدَّ عَلَيْهِمْ تَفْنِيدَهُمْ لَهُ؛ أَي: إِنَّمَا أَشْكُو إِلَى اللَّهِ، لَا إِلَيْكُمْ وَلَا لغيركم. والْبَثُّ: أَشَدُّ الْحَزَن.

﴿وَأَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَي: أَعْلَمَ مِنْ لُطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا يُوجِبُ حَسَنَ ظَنِّي بِهِ، وَقُوَّةَ رَجَائِي فِيهِ.

﴿يَبْنَئِي إِذْهَبُوا﴾ يَعْنِي: إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي تَرَكْتُمْ بِهَا أَخَوَيْكُمْ.

﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أَي: تَعَرَّفُوا خَبَرَهُمَا، وَالتَّحَسُّسُ: طَلَبُ الشَّيْءِ بِالْحَوَاسِ؛ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ. وَإِنَّمَا لَمْ يَذْكُرِ الْوَلَدَ الثَّالِثَ؛ لِأَنَّهُ بَقِيَ هُنَاكَ اخْتِيَارًا مِنْهُ، وَلَأنَّ يُوسُفَ وَأَخَاهُ كَانَا أَحَبَّ إِلَيْهِ.

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ أَي: مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ إِنَّمَا جَعَلَ الْيَأْسَ مِنْ صِفَةِ الْكَافِرِ؛ لِأَنَّ سَبِيَّهُ تَكْذِيبٌ بِالرَّبُّوبِيَّةِ، أَوْ جَهْلٌ بِصِفَاتِ اللَّهِ مِنْ قُدْرَتِهِ وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ أَي: عَلَى يُوسُفَ ﷺ، وَقَبْلَ هَذَا مُحذُوفٌ؛ تَقْدِيرُهُ: فَرَجَعُوا إِلَى مِصْرَ.

﴿الضَّرُّ﴾ يَرِيدُونَ بِهِ: الْمَجَاعَةُ، أَوْ الْهَمُّ عَلَى إِخْوَتِهِمْ<sup>(١)</sup>.

﴿بِضْعَةٍ مُزْجِيَةٍ﴾ يَعْنُونَ الدِّرَاهِمَ الَّتِي جَاؤُوا بِهَا لِشُرَاءِ الطَّعَامِ، وَالْمَزْجَاةُ: الْقَلِيلَةُ، وَقِيلَ: الرَّدِيئَةُ، وَقِيلَ: النَّاقِصَةُ. وَقِيلَ: إِنْ بَضَاعَتُهُمْ كَانَتْ عُرُوضًا؛ فَلِذَلِكَ قَالُوا هَذَا.

﴿وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ قِيلَ: يَعْنُونَ بِمَا بَيْنَ الدِّرَاهِمِ الْجَيَادِ وَدِرَاهِمِهِمْ. وَقِيلَ: أَوْفَ لَنَا الْكِيلَ الَّذِي هُوَ حَقُّنَا، وَزَدْنَا عَلَى حَقِّنَا، وَسَمَوْا الزِّيَادَةَ صَدَقَةً، وَيَقْتَضِي هَذَا أَنَّ الصَّدَقَةَ كَانَتْ حَلَالًا لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَقِيلَ: ﴿وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ بَرْدٌ أَخِينَا إِلَيْنَا.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قَالَ النِّقَاشُ: هُوَ مِنَ الْمَعَارِيضِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ، فَظَنُّوا أَنَّهُ عَلَى دِينِ أَهْلِ مِصْرَ، فَلَوْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ يَجْزِيكَ

(١) فِي د: «أَخَوَيْهِمْ».

بصدقتك كذبوا، فقالوا لفظاً يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا بَعَلْتُمْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ لما شكوا إليه رَقَّ لهم وعرفهم بنفسه. ورُوي أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثامٌ، ثم أزال اللثام ليعرفوه<sup>(٢)</sup>. وأراد بقوله: ﴿مَا بَعَلْتُمْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ التفريق بينهما في الصغر، ومضرَّتْهم ليوسف ﷺ، وإذاية أخيه من بعده؛ فإنهم كانوا يُذِلُّونه وَيَشْتُمُونَهُ.

﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ اعتذارٌ عنهم؛ فيَحْتَمِلُ أن يريد: الجهل بقبح ما فعلوه، أو جهل الشباب.

﴿قَالُوا أَأَنْتَ يَاسُفُ﴾ قرئ بالاستفهام، والخبر<sup>(٣)</sup>. فالخبر على أنهم عرفوه، والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو ولم يحققوه.

﴿مَنْ يَتَّبِعْ وَيُصْبِرْ﴾ قيل: أراد مَنْ يتق في ترك المعصية، ويصبر على السجن. واللفظ أعم من ذلك.

﴿إِثْرَكَ اللَّهُ﴾ أي: فضلك.

﴿لَخَطِيبَيْنِ﴾ أي: عاصين، وفي كلامهم استعطافٌ واعترافٌ.

﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ عفوٌ جميل، والتثريب: التعنيف، أو العقوبة. وقوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ راجعٌ إلى ما قبله فيوقف عليه، وهو يتعلّق بالتثريب، أو بالمقدّر في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من معنى الاستقرار<sup>(٤)</sup>. وقيل: إنه يتعلّق بـ﴿يَغْفِرُ﴾، وذلك بعيد؛ لأنه تحكُّمٌ على الله؛ وإنما ﴿يَغْفِرُ﴾ دعاءٌ، فكأنه أسقط حقَّ نفسه بقوله: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، ثم دعا الله<sup>(٥)</sup> أن يغفر لهم حقه.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/١٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/٣٢٨) عن ابن إسحاق.

(٣) قرأ ابن كثير ﴿إِنَّكَ﴾ بالإخبار، وقرأ الباقون بالاستفهام.

(٤) تقديره: لا تثريب ثابت أو مستقر عليكم اليوم. المحرر الوجيز (٥/١٤٦).

(٥) في ب، د، هـ: دعا إلى الله.



﴿إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾ روي أن هذا القميص كان لإبراهيم عليه السلام، كساه الله له حين أخرج من النار، وكان من ثياب الجنة، ثم صار لإسحاق، ثم ليعقوب، ثم دفعه يعقوب ليوسف<sup>(١)</sup>، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به. والظاهر: أنه كان قميص يوسف عليه السلام الذي بمنزلة قميص كل أحد.

﴿يَا بَصِيرًا﴾ الظاهر: أنه عَلِمَ ذلك بوحى من الله.



(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٢١٩٦) عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عليه السلام.

وَلَمَّا بَصَلَتْ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أُنْثِقِدُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَمِ بِضَلَّالٍ قَدِيمٍ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا أُنْجِزَ الْبَشِيرُ أَلْفَيْهِ عَلَى وَجْهِهِ بَارِئًا بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَتِ هَذَا تَاوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ \* رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَاوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾

﴿بَصَلَتْ الْعِيرُ﴾ أي: خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب ﷺ.

﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ كان يعقوب ﷺ بيت المقدس، ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة.

﴿لَوْلَا أُنْثِقِدُونَ﴾ أي: تلووموني أو تردون عليّ قولي. وقيل: معناه: تقولون: ذهب عقلك؛ لأن الفند هو الخرف.

﴿لَمِ بِضَلَّالٍ قَدِيمٍ﴾ أي: في ذهابك عن الصواب؛ بإفراط محبتك في يوسف قديمًا.

﴿فَلَمَّا أُنْجِزَ الْبَشِيرُ﴾ روي أن البشير يهوذا؛ لأنه كان جاء بقميص الدَّم، فقال لإخوته: إني ذهبت إليه بقميص التُّرْحَة؛ فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ وعدّهم بالاستغفار لهم، فقيل: سَوْفَهُمْ إِلَى السَّحَرِ؛ لأن الدعاء يستجاب فيه، وقيل: إلى ليلة الجمعة.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ هنا محذوفات يدل عليها الكلام؛ وهي: فرحل يعقوب بأمله حتى بلغوا يوسف.

﴿عَاوِيَّ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي: ضمّهما، أراد<sup>(١)</sup> بالأبوين: أباه وأمه. وقيل: أباه وخالته؛ لأن أمه كانت قد ماتت، وسمّى<sup>(٢)</sup> الخالة على هذا أمًا.

﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ راجع إلى الأمن الذي في قوله: ﴿عَامِينَ﴾.

﴿وَرَبَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: على سرير الملك.

﴿وَحَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾ كان السجود عندهم تحية وكرامة، لا عبادة.

﴿وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: حين رأى الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له. وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عامًا، وقيل: أربعون.

﴿أَحْسَنَ بَيٍّ﴾ يقال: أحسن به وإليه.

﴿أَخْرَجْنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ إنما لم يقل أخرجني من الجبّ لوجهين: أحدهما: أن في ذكر الجب خزي إخوته، وتقرّيعهم<sup>(٣)</sup> بما فعلوا؛ فترك ذكره؛ توقيراً لهم. والآخر: أنه خرج من الجب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك؛ فالنعمة به أكثر.

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ أي: من البادية، وكانوا أصحاب إبل وغنم، فعدّ في النعم مجيئهم للحاضرة.

﴿نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: أفسد وأغوى.

﴿لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ أي: لطيف التدبير لما يشاء من الأمور.

﴿مِنَ الْمَلِكِ﴾ «من» للتبعض؛ لأنه لم يعطه الله إلا بعض ملك الدنيا، بل بعض ملك مصر.

(١) في د: «وأراد».

(٢) في د: «وتسمّى».

(٣) كذا في نسخة خزانة القرويين، أي: توبيخهم، وفي بقية النسخ: «وتعريفهم»! ولعلّ المثبت أدل على مقصود السياق، وترجمه عبارة المحرر الوجيز (١٥٣/٥): «أن في ذكر إخراجهم من الجبّ تجديد فعل إخوته وخزيهم بذلك، وتقليع [كذا باللام] نفوسهم، وتحريك تلك الغوائل وتخبيث النفوس».

﴿تَوَفَّيْنِي مُسْلِمًا﴾ لما عدَّد النعم التي أنعم الله عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم، فدعا بالموت. وقيل: ليس ذلك دعاءً بالموت، وإنما دعا أن يتم الله عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله.

﴿ذَلِكَ مِنْ آثَاءِ الْغَيْبِ﴾ احتجاج على صحة نبوة النبي ﷺ بإخباره بالغيوب.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ؛ تأكيدًا لحجته، والضمير لإخوة يوسف.

﴿إِذْ أَجْمَعُوا﴾ أي: عزموا.

﴿وَهُمْ يَنْكُرُونَ﴾ يعني: فعلهم بيوسف ﷺ.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ عموم؛ لأن الكفار أكثر من المؤمنين، وقيل: أراد أهل مكة.

﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ اعتراض؛ أي: لا يؤمنون، ولو حرصت على إيمانهم.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لست تسألهم أجرًا على الإيمان، فيثقل عليهم بسبب

ذلك. وهكذا معناه حيث وقع.



وَكَايَ مِّنَ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا يَوْمِئِذٍ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ أَبَاقُمْثَوْا أُن تَاتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَاتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ فَلَ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُّوحِيهِ إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرِدُ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ \* لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْقَوْمِ الْيُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾

﴿وَكَايَ مِّنَ آيَةٍ﴾ يعني: المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه.

﴿وَمَا يَوْمِئِذٍ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ نزلت في كفار العرب الذي يُقرُّون بالله ويعبدون معه غيره. وقيل: في أهل الكتاب؛ لقولهم: عزيز ابن الله، (والمسيح ابن الله) <sup>(١)</sup>.

﴿غَشِيَةٌ﴾ هي ما يَغشى ويَغْمُ.

﴿فَلَ هَٰذِهِ سَبِيلِي﴾ إشارة إلى شريعة الإسلام.

﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: أدعو الناس إلى عبادة الله، وأنا على بصيرة من أمري وحجة واضحة.

﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: ﴿أَنَا﴾ تأكيد للضمير في ﴿أَدْعُوا﴾، و﴿مَنِ اتَّبَعَنِي﴾ معطوف عليه، و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ في موضع الحال. وقيل: ﴿أَنَا﴾ مبتدأ، و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ خبره، فعلى هذا: يوقف على قوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾، وهذا ضعيف.

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تقديره: وأقول: سبحانه الله.

(١) سقط من أ، ب، هـ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردُّ على من أنكر أن يكون النبي من البشر. وقيل: فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولاً من النساء.

﴿مِنْ أَهْلِ الْفُرَيْيِّ﴾ أي: من أهل المدن، لا من أهل البوادي؛ فإن الله لم يبعث رسولاً من أهل البادية؛ لجفائهم<sup>(١)</sup>.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ متصل في المعنى بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ إلى قوله: ﴿عَفِيفَةً الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. ويأْسُهم يحتمل أن يكون: من إيمان قومهم، أو من النصر، والأول أحسن.

﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ قرئ بتشديد الذال وتخفيفها<sup>(٢)</sup>. فأما التشديد: فالضمير في ﴿وَوَظَنُوا﴾ وفي ﴿كَذَّبُوا﴾ للرسول. والظن يحتمل أن يكون: على بابه، أو بمعنى اليقين؛ أي: علم الرسول أن قومهم قد كذبوه فيؤمنوا من إيمانهم. وأما التخفيف: فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم؛ أي: ظنوا أن الرسول قد كذبوه فيما ادَّعوا من الرسالة، أو من النصرة عليهم.

﴿فِي فَصَصِهِمْ﴾ الضمير: للرسول على الإطلاق، أو ليوسف وإخوته.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ يعني: القرآن.

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدّم معناه في «البقرة»<sup>(٣)</sup>.



(١) في ب: «لجفائهم».

(٢) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بتخفيف الذال، وقرأ الباقر بتشديدها.

(٣) انظر تفسير الآية (٤٠).

## سورة الرعد

الَّذِينَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْفَنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الْجِبَالِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِيًا إِنَّ ثُنْيَيْنِ يُغْشَىٰ الذِّلَّ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٍ وَجُنُودٌ مِنَ الْأَعْنَابِ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٍ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ \* وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَذًا كُنَّا ثَرْبًا لِّأَنَّا لَهُمْ خَلْقٌ جَدِيدٌ ﴿٥﴾ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوَلَيْكَ الْأَعْمَلُ فِي أَغْنَفِهِمْ وَأَوَلَيْكَ أَصْحَابُ الْبَارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦﴾ وَدَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٨﴾

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ أي: آيات هذه السورة. ويحتمل أن يريد: آيات الكتب على الإطلاق. ويحتمل أن يريد: القرآن، وهذا بعيد؛ لتكرار ذكر القرآن بعد ذلك.

﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ﴾ يعني: القرآن، وإعرابه: مبتدأ، وخبره ﴿الْحَقُّ﴾.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أي: بغير شيء تقف عليه إلا قدرة الله.

﴿تَرَوْنَهَا﴾ قيل: الضمير للسماوات، ف﴿تَرَوْنَهَا﴾ على هذا: في موضع الحال، أو استئناف. وقيل: الضمير للعمدة؛ أي: ليس لها عمدة مرئية، فيقتضي المفهوم: أن لها عمدة لا تُرى. وقيل: إن عمدها هو جبل قاف المحيط بالديار. وقال الجمهور: لا عمدة لها ألبتة، فالمراد: نفى العمدة ونفي رؤيتها.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ «ثُمَّ» هنا لترتيب الإخبار، لا لترتيب وقوع الأمر؛ فإن العرش كان قبل خلق السماوات<sup>(١)</sup>. وتقدم الكلام على الاستواء في «الأعراف»<sup>(٢)</sup>.

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ﴾ يعني: أمر الملكوت.

﴿يَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ يعني آيات كتبه<sup>(٣)</sup>.

﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ يقتضي أنها بسيطة لا كورة، وهو ظاهر الشريعة<sup>(٤)</sup>. وقد يترتب لفظ

(١) [التعليق ٦٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «ثُمَّ» هنا لترتيب الإخبار، لا لترتيب وقوع الأمر؛ إلخ، يفهم من كلامه ﷺ أن الآية لا تدل على أن استواء الله على عرشه كان بعد خلق السماوات والأرض، كما يقتضيه عطف الفعل على الفعل، بل قوله: «فإن العرش كان قبل خلق السماوات» يدل على أنه يذهب إلى أن الاستواء على العرش كان قبل خلق السماوات والأرض، وهذا يقتضي أن الاستواء تابع لوجود العرش، فيلزم من ذلك أنه تعالى لم يزل مستويا على العرش منذ خلقه، وهذا خلاف ظاهر القرآن؛ لأن الأصل في المعطوف بـ (ثم) أنه بعد المعطوف عليه، بل هو مترسخ عنه، ولا أعلم قائلا بهذا ممن يقتدى به من الأئمة، أعني أنه تعالى لم يزل مستويا على العرش منذ خلقه، بل ولا أعلم من تعرض لهذه المسألة بنفي ولا إثبات، أي: استواء الله على عرشه قبل خلق السماوات والأرض، لكن ذكر المسألة الشيخ العلامة محمد العثيمين ﷺ في شرح العقيدة الواسطية (١/٣٨٦)، واختار التوقف. هذا؛ والذي ينبغي القطع به أن الله بعد خلق السماوات والأرض استوى على عرشه، وما قبل ذلك فيسكت عنه، ولا يتعرض له بنفي ولا إثبات؛ لعدم الدليل على النفي أو الإثبات. والله أعلم.

وبعد: فيزيد المقام إيضاحا للإجابة عن الأسئلة الآتية: الأول: هل استوى الله على العرش بعد خلق السماوات والأرض؟ الجواب: نعم؛ يقينا وقطعا؛ لأن هذا موجب خبر الله عن نفسه.

ثانيا: هل كان الله عند خلق السماوات والأرض مستويا على العرش؟ الجواب: لا؛ لم يكن مستويا على العرش عند خلق السماوات والأرض؛ إذ يمتنع في الكلام أن يقال لمن كان قائما: ثم قام، أو لمن كان قاعدا: ثم قعد، فقله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ يدل على إثبات الاستواء بعد خلق السماوات والأرض، وعلى نفيه عند خلق السماوات والأرض، يوضحه أن الله لو كان مستويا على العرش عند خلق السماوات والأرض لم يصح في اللسان أن يقال فيه: ثم استوى على العرش، كما تقدم.

ثالثا: هل استوى الله على العرش قبل الاستواء الذي أخبر عنه بعد خلق السماوات والأرض؟ الجواب: هذا هو الذي لم يأت فيه بيان، فيجب الإمساك عن القول فيه. والله أعلم.

(٢) انظر تفسير الآية (٥٣).

(٣) في د: «كتابه».

(٤) يرى ابن جزى رحمه الله تعالى لابن عطية في المحرر الوجيز (٥/١٧٢) أن ظاهر ما تدل عليه نصوص الشريعة كون الأرض بسيطة لا كروية مع أنه في العبارة التالية: «وقد يترتب... وجه معنى الآية توجيهها صحيحا» (انظر: التبيان في إيمان القرآن لابن القيم، ص ٤٤٧)، وقد قرّر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الأرض كروية =



البسط والمد مع التكوين؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها، وإنما التكوين لجملة الأرض.

﴿رَوَاسِي﴾ يعني: الجبال الثابتة.

﴿رَوْحَيْنِ إِثْنَيْنِ﴾ يعني: صنفين من الثمر، كالأسود والأبيض، والحلو والحامض. فإن قيل: تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصنافاً كثيرة! فالجواب: أن ذلك زيادة في الاعتبار، وأعظم في الدلالة على القدرة، فذكر الاثنين؛ لأن دلالة غيرها<sup>(١)</sup> من باب أولى<sup>(٢)</sup>. وقيل: إن الكلام تم في قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ثم ابتداء بقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ﴾ يعني: الذكر والأنثى. والأول أحسن.

﴿يُغْشِيهِ لَيْلٌ ثَهَابٌ﴾ أي: يلبسه إياه، فيصير له كالغشاء، وذلك تشبيه.

﴿فَطَعَّ مَّتَجَوِّرَاتٍ﴾ يعني: قرى<sup>(٣)</sup> متلاصقة، ومع تلاصقها فإن أرضها تتنوع إلى طيب وردي، وصلب ورخو، وغير ذلك، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر.

﴿صِنَوَائٍ وَغَيْرِ صِنَوَائٍ﴾ الصنوان: هي النخلات الكثيرة، ويكون أصلها واحداً، وغير الصنوان: المفترق فرداً فرداً، وواحد الصنوان: صنو.

== والأفلاك مستديرة بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، وهو مما يعلم بالعقل، وأن علماء المسلمين يتفقون مع ما يقرره أهل الهيئة والحساب في هذا (انظر: مجموع الفتاوى ٥/١٥٠، ٦/٥٦٦، ٦/٥٨٦، ١٧/٣٣٤، ٢٥/١٤٢، ٢٥/١٩٣)، ولكن بعض أهل الإسلام يخالف في كون الأرض كروية، وربما استندوا في هذا الرأي إلى ما ظنوه مستنداً لهم من ظواهر النصوص، وليست هي عند التحقيق كذلك، وقد بين شيخ الإسلام السبب الداعي لمن جنح إلى هذا الرأي من أهل الإسلام، وهو أنهم لما رأوا ما في كلام أهل الهيئة والحساب من الباطل الكثير المخالف لأدلة الشرع الصحيحة الصريحة، ظنوا أن كل ما يقوله هؤلاء باطل مردود، ولو كان في نفس الأمر حقاً يتفق مع ما علم الشرع، ظانين أنهم بذلك ينصرون الشرع، ولا يميزون بين الحق الذي عندهم، مما دل عليه السمع والعقل، وبين الباطل المخالف للسمع والعقل. (انظر: مجموع الفتاوى ١٧/٣٣٤، ٢٥/١٣٢).

(١) في د: «غيرهما».

(٢) قال في المحرر الوجيز (٥/١٧٣): «وهذه الآية تقتضي أن كل ثمرة فموجود منها نوعان، فإن اتفق أن وجد من ثمرة أكثر من نوعين فغير ضار في معنى الآية».

(٣) في أ، ب: «قطعا».

﴿تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَبْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ حجة وبرهان على أنه تعالى قدير مُريد؛ لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذي تسقى به دليل على القدرة والإرادة، وفي ذلك ردٌّ على القائلين بالطبيعة.

﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي: إن تعجب يا محمد فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يُعْجَب منه؛ فإن الذي قدر على إنشاء ما ذكرنا من السماوات والأرض والشمرات قادرٌ على إنشاء الخلق بعد موتهم.

﴿أَدَا كُنَّا تَرَابًا إِنَّا لَهُمْ خَلْقٌ جَدِيدٌ﴾ هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث. واختلف القراء في هذا الموضع وفي سائر المواضع التي فيها استفهامان، وهي أحد عشر موضعًا، أولها: هذا، وفي «الإسراء» موضعان، وفي «المؤمنين» موضع، وفي «النمل» موضع، وفي «العنكبوت» موضع، وفي «آل عمران» «السجدة» موضع، وفي «الصفات» موضعان، وفي «الواقعة» موضع، وفي «النازعات» موضع: فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني<sup>(١)</sup>. ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط، وهو نافع<sup>(٢)</sup>. ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط<sup>(٣)</sup>. وأصل الاستفهام في المعنى إنما هو عن الثاني في مثل هذا الموضع؛ فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقًا جديدًا، ولم ينكروا أن يكونوا ترابًا.

فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط: فهو على الأصل. ومن قرأ بالاستفهام في الأول: فإنما القصد بالاستفهام الثاني. ومن قرأ بالاستفهام فيهما: فذلك للتأكيد.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ أَغْلَالٌ فِي أَعْنُنِيهِمْ﴾ يحتمل: أن يريد الأغلال في الآخرة، فيكون حقيقة. أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنُنِيهِمْ أَغْلَالًا﴾ [يس: ٧]، فيكون مجازًا يجري مجرى الطبع والختم على القلوب.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: بالنقمة قبل العافية، والمعنى: أنهم طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف.

(١) وهم ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمة.

(٢) والكسائي.

(٣) وهو ابن عامر.

﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتْ﴾ جمع مثلة على وزن «سَمُرَةٌ»، وهي العقوبة العظيمة التي تجعل الإنسان مثلاً، والمعنى: كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم؟ أفلا يخافون مثل ذلك؟

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ يريد: ستره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة، وقيل: يريد مغفرته لمن تاب، والأول أظهر هنا.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية؛ اقترحوا نزول آية على النبي ﷺ، من نزول ملك معه أو شبه ذلك، ولم يعتدوا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التي جاء بها، وذلك منهم معاندة.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ أي: إنما عليك إنذارهم، وليس عليك أن تأتيهم بآية، إنما ذلك إلى الله. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يراد بالهادي الله تعالى، فالمعنى: إنما عليك الإنذار والله هو الهادي لمن يشاء إذا شاء.

والوجه الثاني: أن يريد بالهادي النبي ﷺ، فالمعنى: إنما أنت نبيٌ منذر، ولكل قوم هادٍ من الأنبياء ينذرهم، فليس أمرك ببذع ولا مستنكر.

الثالث: روي أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر، وأنت يا عليُّ الهادي»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٤٢-٤٤٣) عن ابن عباس ؓ، قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٣٤): «وهذا الحديث فيه نكارة شديدة»، وأخرجه الحاكم (٤٦٤٦) عن علي ؓ، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: «بل كذب، قبح الله واضعه»، وقال ابن تيمية في المنهاج (٧/ ١٣٩): «هذا كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث».

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَخِيلُ كُلُّ نَبِيٍّ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿١﴾  
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٢﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَن أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ  
 هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿٣﴾ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ  
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا  
 مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خُوفًا وَطَمَعًا وَيُنَشِئُ  
 السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿٥﴾ وَتَسْبِخُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنَ خَيْبَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ  
 فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿٦﴾ \* لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ  
 وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ لِيَبْلُغَ قَاهُ  
 وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٧﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٨﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ  
 أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى  
 وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴿٩﴾ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ  
 الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٠﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ  
 أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا تُوَفَّدُونَ عَلَيْهِ فِي الْبَارِ ابْتِغَاءً حَلِيقَةٍ أَوْ مَتَّعِ  
 زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْبَغُ  
 النَّاسِ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١١﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ  
 الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ  
 ذَوَلَقٍ لَهُمْ سُوءَ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَخِيلُ كُلُّ نَبِيٍّ﴾ كقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٣]، وهي من  
 الخمس التي لا يعلمها إلا الله، ويعني: يعلم هل هو ذكر أو أنثى، أو تائم أو خداج<sup>(١)</sup>، أو  
 حسن<sup>(٢)</sup> أو قبيح، أو غير ذلك.

(١) في ج: «مخدج»، وفي ب: «ناقص»، وكلها بمعنى واحد.

(٢) في ب: «أعرج» بدلا من «حسن».

﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ﴾ معنى «تَغِيضُ»: تنقص، ومعنى «تَزْدَادُ»: من الزيادة. فقيل: إن الإشارة لدم الحيض<sup>(١)</sup>؛ فإنه يقل ويكثر. وقيل: للولد، فالغيض: السقط، أو الولادة لأقل من تسعة أشهر، والزيادة: البقاء أكثر من تسعة أشهر. ويحتمل أن تكون «ما» في قوله: «مَا تَخِيلُ»، «وَمَا تَغِيضُ»، «وَمَا تَزْدَادُ»: موصولة، أو مصدرية.

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ المعنى: إن الله يسمع كل شيء، فالجهر والإسرار عنده سواء. وفي هذا وما بعده تقسيم، وهو من أدوات البيان؛ فإنه ذكر أربعة أقسام، وفيه أيضًا مطابقة.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ المعنى: سواء عند الله المستخفي بالليل وهو في غاية الاختفاء، مع السارب بالنهار، وهو في غاية الظهور. ومعنى السارب: المتصرف في سره - بالفتح -؛ أي: في طريقه ووجهه.

والسارب والمستخفي اثنان، قصد التسوية بينهما في اطلاع الله عليهما، مع تباين حالهما. وقيل: إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار صفتان لموصوف واحد، يستخفي بالليل، ويظهر بالنهار، ويعضد هذا كونه قال: «وَسَارِبٌ»، فعطفه عطف الصفات، ولم يقل: «ومن هو سارب» بتكرار «من» كما قال: «مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ».

إلا أن جعلهما اثنين أرجح؛ ليقابل «مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ»، فيكمل التقسيم إلى أربعة، وعلى هذا يكون قوله: «وَسَارِبٌ» عطفًا على الجملة وهي قوله: «وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ»، لا على «مُسْتَخْفٍ» وحده.

﴿لَهُدَّ مَعْقِبَاتُ﴾ المعقبات هنا: جماعات<sup>(٢)</sup> الملائكة، وسميت معقبات؛ لأن بعضهم يعقب بعضًا، والضمير في «لَهُدَّ» يعود على «من» المتقدمة، كأنه قال: لمن أسر ولمن جهر ولمن استخفى ولمن ظهر معقبات. وقيل: يعود على الله، وهو قول ضعيف؛ لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق.

(١) في أ: «إلى دم الحيض».

(٢) في أ: «جماعة».

﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ صفة للمعقبات، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به: حفظ أعماله، أو حفظه وحراسته من الآفات.

﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ صفة للمعقبات؛ أي: معقبات من أجل أمر الله؛ إذ أمرهم بحفظه<sup>(١)</sup>، وقرئ: «بأمر الله»<sup>(٢)</sup>، وهذه القراءة تعضد ذلك، ولا يتعلق ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ على هذا به ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾. وقيل: يتعلق به؛ على معنى أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب؛ بدعائهم له واستغفارهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ المعنى: إن الله لا يغير ما يقوم من العافية والنعم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بالمعاصي، فيقتضي ذلك: أن الله لا يسلب النعم، ولا يُنزل النقم إلا بالذنوب.

﴿يُرِيكُمْ أَتْرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الخوف يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة، والطمع في المطر الذي يكون معه.

﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ وصفها بالثقل؛ لأنها تحمل الماء.

﴿وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ الرعد: اسم ملك، وصوته المسموع تسبيح. وقد جاء في الأثر: أن صوته زجرٌ للسحاب<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك.

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ قيل: إنها إشارة إلى الصاعقة التي نزلت على أزيد الكافر وقتلته، حين هم بقتل النبي ﷺ هو وأخوه عامر بن الطفيل<sup>(٤)</sup>.

واللفظ أعم من ذلك.

(١) فيكون في الكلام تقديم وتأخير، أي: له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه. المحرر الوجيز (١٨٧/٥).

(٢) قرأ كذلك علي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة وجعفر بن محمد. المحرر الوجيز (١٨٧/٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩-١٨٠)، وأحمد (٢٤٨٣)، والترمذي (٣١١٧) وقال: «حسن غريب»، والنسائي في الكبرى (٩٠٢٤) عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ في ضمن حديث طويل، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣٨/٨): «ورجاله ثقات».

(٤) أخرجه الطبري (٤٨١/١٣) عن ابن جريج.

﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ يعني: الكفار، والواو: للاستئناف، أو للحال.

﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي: شديد القوة، والمحال: مشتق من الحيلة، فالميم زائدة، ووزنه مِفْعَل. وقيل: معناه: شديد المكر؛ من قولك: محلّ بالرجل: إذا مكر به، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فِعَال، وتأويل المكر على هذا القول كتأويله في المواضع التي ورد<sup>(١)</sup> في القرآن<sup>(٢)</sup>.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ قيل: هي لا إله إلا الله، والمعنى: أن دعوة العباد بالحق لله، ودعوتهم بالباطل لغيره.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ يعني به: ﴿الَّذِينَ﴾: ما عُبد من دون الله من الأصنام وغيرهم، والضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار. والمعنى: أن المعبودين لا يستجيبون لمن عبدتهم.

﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ قَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ شبه إجابة الأصنام لمن عبدتهم بإجابة الماء لمن بسط إليه كفّه، وأشار إليه بالإقبال إلى فيه، ولا يبلغ فمه على هذا أبداً؛ لأن الماء جمادٍ لا يعقل المراد، فكذلك الأصنام. والضمير في قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ للماء، وفي ﴿يَبْلُغُهُ﴾ للفم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ «من» لا تقع إلا على من يعقل، فهي هنا يراد بها: الملائكة والإنس والجن. فإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه؛ فهو عامٌ في الجميع، من شاء منهم، ومن أبى، ويكون ﴿طَوْعًا﴾ لمن أسلم ورضي، ﴿وَكَرْهًا﴾ لمن كره وسخط. وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد، فيكون سجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن طوعاً، وأما الكره؛ فهو سجود المنافق، أو<sup>(٣)</sup> سجود ظل الكافر.

(١) في د: «وردت».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (١٧) و(٣٩) و(٥٨) و(٦٠).

(٣) في د، هـ: «أو».

﴿وَوَظَّلْنَاهُمْ﴾ معطوف على ﴿مَنْ﴾، والمعنى: أن الظلال تسجد غدوة وعشية، وسجودها: انقيادها للتصريف بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وقيل: سجودها: فيئها بالعشي.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب عن السؤال المتقدم، وهو ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة؛ لأنه أمرٌ واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله: ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الأعمى تمثيل للكافر، والبصير تمثيل للمؤمن، و﴿الظَّالِمَتِ﴾ الكفر، و﴿وَالثَّوَرِ﴾ الإيمان، وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَفُوا وَخَلْفَاهُ﴾ بَشَبَهَ الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ ﴿أَمْ﴾ هنا بمعنى «بل» والهمزة، و﴿خَلَفُوا﴾ صفة لـ ﴿شُرَكَاءَ﴾، والمعنى: أن الله وقفهم هل خلق شركاؤهم خلقاً كخلق الله فحملهم ذلك واشتباؤه بما خلق الله على أن جعلوا إلهاً غير الله؟ ثم أبطل ذلك بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فحصل الرد عليهم.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ الآية؛ هذا مثلٌ ضربه الله للحق وأهله، والباطل وحزبه، فمثل الحق وأهله: بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية، وتتفع به الأرض. وبالذهب والفضة والحديد والصفير وغيرها من المعادن التي ينتفع بها الناس. وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله: بالزبد الذي يرمي به السيل. ويزبد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أذيت، وليس في الزبد منفعة، وليس له دوام.

﴿بِقَدَرِهَا﴾ يحتمل أن يريد: ما قُدِّرَ لها من الماء، ويحتمل أن يريد: بقدر ما تحتمله، على قدر صغرها وكبرها.

﴿زَبَدًا رَابِيًا﴾ الزبد: ما يحمله السيل من غُثَاءٍ ونحوه، والرَّابِي: المنتفخ الذي ربا، ومنه الربوة.

﴿وَمِمَّا تُوفِدُونَ﴾ المجرور في موضع خبر مقدم، والمبتدأ ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾؛ أي: ينشأ من الأشياء التي يوقد عليها زبدٌ مثل زبد السيل.



﴿إِبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ الذي يُوقَدُ عليه إِبْتِغَاءُ الْحِلْيِ: هو الذهب والفضة، والذي يوقد عليه إِبْتِغَاءُ مَتَاعٍ: هو الحديد والرصاص والنحاس والصُّفْر وشبه ذلك. ومعنى المتاع: ما يَسْتَمْتَعُ الناس به في مرافقهم وحوادثهم.

﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: يضرب أمثال الحق والباطل.

﴿جُبَاءً﴾ يَجْفُوهُ السَّيْلُ؛ أي: يرمي به.

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد: الخالص من الماء، ومن تلك الأحجار.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾ الذين استجابوا: هم المؤمنون، وهذا استئناف كلام، والحسنى: الجنة، وإعرابها: مبتدأ، وخبرها: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، فيوقف على ﴿الْأَمْثَالُ﴾، وعلى ﴿الْحُسْنَى﴾.

وقيل: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ يتعلّق بـ ﴿يَضْرِبُ﴾، و ﴿الْحُسْنَى﴾ مصدر من معنى ﴿اسْتَجَابُوا﴾؛ أي: استجابوا الاستجابة الحسنى، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ معطوف على ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾، والمعنى: يضرب الله الأمثال للطائفتين، وعلى هذا إنما يوقف على: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾.

﴿سَوْءَ الْحِسَابِ﴾ أي: المناقشة والاستقصاء.



\* أَقَمْنَ يَعْلَمَنَّ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَغْبَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْعَيْثَ ۝ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۝ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الْبَارِ ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعِزِّ عُنُقِي الْبَارِ ۝ وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الْبَارِ ۝ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۝

﴿أَقَمْنَ يَعْلَمَنَّ﴾ تقرير، والمعنى: أسوء من آمن ومن لم يؤمن؟ والأعمى هنا: من لم يؤمن بالنبي ﷺ. وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وأبي جهل لعنه الله<sup>(١)</sup>.

﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ القرابات وغيرها.

﴿وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ قيل: يدفعون الشر بقلوبهم: لا إله إلا الله. وقيل: يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن. والأظهر: يفعلون الحسنات؛ فيدرونها بها السيئات، كقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. وقيل: إن هذه الآية نزلت في الأنصار<sup>(٢)</sup>، ثم هي عامة في كل من اتصف بهذه الصفات.

﴿عُقْبَى الْبَارِ﴾ يعني: الجنة، ويحتمل أن يريد بالدار: الآخرة، وأضاف العقبي إليها؛ لأنها فيها، ويحتمل أن يريد بالدار: الدنيا، وأضاف العقبي إليها؛ لأنها عاقبتها.

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في الهداية (٣٧٢٧/٥)، وابن عطية في تفسيره (١٩٩/٥)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٢٠٠/٥)، ولم أقف عليه مسنداً، وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٣٧٥/٢): «نزلت في المهاجرين والأنصار».

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من ﴿عُقْبَى الْبَارِ﴾، أو خبر ابتداء مضمرة؛ تفسيراً لـ ﴿عُقْبَى الْبَارِ﴾.

﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ أي: مَنْ كَانَ صَالِحًا.

﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقولون لهم: سلام عليكم.

﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ يتعلّق بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم، ويجوز أن يتعلّق بـ ﴿سَلَّمَ﴾؛ أي: نسلم<sup>(١)</sup> عليكم بما صبرتم.

﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية؛ أوصافٌ مضادة لما تقدّم. وقيل: إنها في الخوارج، والأظهر: أنها في الكفار.

﴿سَوْءَ الْبَارِ﴾ يحتمل أن يراد بها: الدنيا، أو الآخرة<sup>(٢)</sup>.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسّع على من يشاء، ويضيّق على من يشاء، وهذا تفسيره حيث وقع.

﴿وَبَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إخبارٌ في ضمنه ذمٌ وتسفيه لمن فرح بالدنيا، ولذلك حقرها بقوله: ﴿إِلَّا مَتْنَعٌ﴾؛ أي: قليلٌ بالنظر إلى الآخرة.



(١) في ج، هـ: «يسلم».

(٢) في أ، ب: «في الدنيا والآخرة».

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَرَادَ ۖ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذُونَ الْقُلُوبَ ۖ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ ۖ \* كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَّةٌ لَّنُحْلِلُوا عَلَيْهِمُ الذِّمَّةَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ۖ وَلَوْ أَن فِرْعَانَا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قَطَّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لَّيْلَهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَقَلَمَ يَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا فَارِغَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۖ

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ خرج به مخرج التعجب منهم لما طلبوا آية، أي: قد جاءكم محمد ﷺ بالقرآن وبآيات كثيرة فعِمِيتُم عنها، وطلبتُم غيرها، وتماديتُم على الكفر؛ لأنَّ الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات، وقد يهدي من يشاء دون ذلك.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذُونَ الْقُلُوبَ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ بدل من ﴿مَن أَرَادَ﴾، أو خبر ابتداء مضمر. و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بدل ثانٍ، أو مبتدأ.

﴿طُوبَى﴾ مصدر من: طاب، كبُشِرَى، ومعناها: أصبت خيراً وطيباً. وقيل: هي شجرة في الجنة. وإعرابها: مبتدأ.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ الكاف تتعلّق بالمعنى الذي في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَرَادَ﴾.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ قيل: إنها نزلت في أبي جهل<sup>(١)</sup>. وقيل: نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية، فكتب الكاتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال قائلهم: نحن لا نعرف الرحمن<sup>(٢)</sup>، وهذا ضعيف؛ لأن الآية نزلت قبل ذلك، ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط. ومعنى الآية: أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم.

(١) لم أقف عليه مستنداً.

(٢) أخرجه الطبري (٥٣٠/١٣) عن قتادة ومجاهد.

﴿مَتَابٍ﴾ مَفْعَلٌ من التوبة، وهو اسم مصدر.

﴿وَلَوْ أَنَّ فِرْعَانَ سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآية؛ جواب «لو» محذوف تقديره: لو أن قرأنا على هذه الصفة من تسيير الجبال به، وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى؛ لم يؤمنوا به، فالمعنى كقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧].

وقيل: تقديره: لو أن قرأنا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذي هو غاية في التذكير، ونهاية في الإنذار، كقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ [الحشر: ٢١]. وقيل: هو متعلق بما قبله، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرأنا سيرت به الجبال.

﴿أَفَلَمْ يَأْتَيْسَ﴾ معناه: أفلم يعلم، وهي لغة هوازن، وقرئ: «أو لم يتبين»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: كفار قريش والعرب.

﴿قَارِعَةً﴾ يعني: مصيبة في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، أو غزوات المسلمين إليهم.

﴿أَوْ تَحُلْ﴾ الفاعل ضمير القارعة، والمعنى: أنها إما أن تصيبهم، وإما أن تقرب منهم. وقيل: الناء للخطاب، والفاعل ضمير المخاطب؛ وهو النبي ﷺ. والأول أظهر.

﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ هو فتح مكة، وقيل: قيام الساعة.



(١) قال في المحرر الوجيز (٢٠٦/٥): «قرأ ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن أبي مليكة وعكرمة والجحدري وعلي بن الحسين وزيد بن علي وجعفر بن محمد ﷺ: (أفلم يتبين)».

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكُمْ بِأَمْلِيَّتٍ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٢١﴾ أَقَمَنَ هُوَ فَأَيُّمَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ذَا أُمِّ تُتَيْتُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٢﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢٣﴾ \* مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثُلَهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ فُلِ لَّئِمَّا أَمِزَتْ أَنِ اعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٢٥﴾ وَكَذَلِكَ أُنزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَيْسَ لِتَبِغَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٢٦﴾

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ﴾ الآية؛ مقصدها: تأنيس وتسلية للنبي ﷺ، وهكذا حيث وقع.

﴿بَأَمْلِيَّتٍ﴾ أي: أمهلتهم.

﴿أَقَمَنَ هُوَ فَأَيُّمَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ هو الله تعالى؛ أي: حفيظ رقيب على عمل كل أحد. والخبر محذوف تقديره: «أقمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعبد أم غيره؟»، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾.

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: اذكروا أسماءهم.

﴿أَمْ تُتَيْتُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ المعنى: أن الله لا يعلم لنفسه شركاء، وإذا لم يعلمهم هو فليسوا بشيء، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم، وتعبدون الباطل؟ وذلك كقولك: قل لي من زيد؟ أم هو أقل من أن يُعرف؟ فهو كالعدم.

﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ المعنى: أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة؟ كقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ [النجم: ٢٣].

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ هنا وفي «القتال»: أي: صفتها، وليس بضرب مثل لها. والخبر: عند سييويه: محذوف متقدّم، تقديره: فيما يتلى عليكم: صفة الجنة. وقال الفراء: الخبر متأخر، وهو: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾ يعني: ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها، والأكل -بضم الهمزة-: المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها<sup>(١)</sup>، والأكل -بفتح الهمزة-: المصدر.

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: من أسلم من اليهود والنصارى، كعبد الله بن سلام ﷺ والنجاشي وأصحابه. وقيل: يعني: المؤمنين، و﴿الْكِتَابَ﴾ على هذا: القرآن.

﴿وَمِنَ الْأَخْزَابِ﴾ قيل: هم بنو أمية وبنو المغيرة من قريش، والأظهر: أنها في سائر كفار العرب. وقيل: هم اليهود والنصارى؛ لأنهم لا ينكرون القصص والأشياء التي في كتبهم، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو مما حرفوه.

﴿فَلِإِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ وجه اتصاله بما قبله: أنه جوابٌ للمنكرين، وردّ عليهم، كأنه قال: إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده، فكيف تنكرون هذا؟

﴿مَتَابٍ﴾ مفعّل من الأوب؛ وهو الرجوع، أي: مرجعي في الآخرة، أو مرجعي بالتوبة.



(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بإسكان الكاف، وقرأ الباقون بضمها.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَآئَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٥٠﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٥١﴾ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٥٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَن عَقَّبَى الْبَارِ ﴿٥٤﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٥٥﴾

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ ردُّ على من أنكر أن يكون الرسول من البشر، أو يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرية، فالمعنى: لست بيدع في ذلك، بل أنت كمن تقدَّم من الرسل.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَآئَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ردُّ على الذين اقترحوا الآيات.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ قال الفراء: المعنى: «لكل كتاب أجل» بالعكس. وهذا لا يلزم، بل المعنى صحيح من غير عكس، أي: لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قيل: يعني ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام، ويثبت منها ما يشاء. وقيل: هي في آجال بني آدم، وذلك أن الله تعالى في ليلة القدر - وقيل: في ليلة النصف من شعبان - يكتب آجال من يموت في ذلك العام، فيُمحَى<sup>(١)</sup> من ديوان الأحياء، ويثبت من لا يموت في ذلك العام. وقيل: إن المحو والإثبات على العموم في جميع الأشياء. وهذا تردُّه القاعدة المتقررة: أن القضاء لا يتبدَّل، وأن علم الله لا يتغير، فقال بعضهم: المحو والإثبات في كل شيء إلا في السعادة والشقاوة الأخراوية، والآجال.

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصل كل كتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها.

(١) في أ، ب: «فيمحوا».



﴿وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ﴾ «إن» شرط دخلت عليها «ما» المؤكدة، وجوابها: ﴿فَإِنَّمَا﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِيهِمُ الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الإتيان هنا: بالقدرة والأمر، والأرض: أرض الكفار، ونقصها: هو بما يفتح<sup>(١)</sup> الله للمسلمين منها، والمعنى: أو لم يروا ذلك فيخافوا أن نمكّنك منهم. وقيل: الأرض: جنس، ونقصها: بموت الناس، وهلاك الثمرات، وخراب البلاد، وشبه ذلك.

﴿لَا مَعْصِيَةَ لِحُكْمِيَّةٍ﴾ المعقّب: الذي يكرّ على الشيء فيبطله.

﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب<sup>(٢)</sup>.

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَفُورُ﴾ تهديد، والمراد بالكافر: الجنس؛ بدليل قراءة ﴿الْكُفَّارُ﴾ بالجمع<sup>(٣)</sup>. و﴿عُقُوبَى الْبَارِ﴾: الدنيا، أو<sup>(٤)</sup> الآخرة.

﴿فَلْ كَسِبَتْهُمُ بِأَلْفِهِمْ﴾ أي: علمه بذلك، أو<sup>(٥)</sup> إظهاره للآيات الدالة على ذلك. وشهادة الله له هي: علمه بذلك، أو<sup>(٥)</sup> إظهاره للآيات الدالة على ذلك.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ معطوف على اسم الله؛ على وجه الاستشهاد به. فقيل: المراد عبد الله بن سلام ﷺ ومن أسلم من اليهود والنصارى الذين يعلمون صفته ﷺ من التوراة والإنجيل. وقيل: المراد: المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوة. وقيل: المراد: الله تعالى؛ فهو الذي عنده علم الكتاب، ويضعف هذا، لأنه عطفت صفة على موصوف، ويقويه قراءة: «وَمِنْ عِنْدِهِ» بـ«مِنْ» الجارة وخفض «عنده»<sup>(٦)</sup>.



(١) في أ، ب، د: «فتح».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (١٧) و(٣٩) و(٥٨) و(٦٠).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتوحيد، وقرأ الباقون بالجمع.

(٤) في أ، ب، د: «أو».

(٥) في ج، د: «أو».

(٦) هي قراءة علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عباس وابن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والحكم ﷺ. المحرر الوجيز (٥/ ٢١٧).

## سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ

اَلرَّ كِتٰبُ اَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ ﴿١﴾ بِاِذْنِ رَبِّهِمْ اِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٢﴾ اَللّٰهُ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِيْنَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ ﴿٣﴾ الَّذِيْنَ يَسْتَحِبُّوْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْاٰخِرَةِ وَيَصُدُّوْنَ عَنِ سَبِيلِ اللّٰهِ وَيَبْغُوْنَهَا عِوَجًا اَوَّْلٰىكَ فِى ضَلٰلٍ بَعِيْدٍ ﴿٤﴾ وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمٍۭهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَّشَآءُ وَيَهْدِىْ مَنْ يَّشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيْمُ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوْسٰى بِآيٰتِنَا اَنْ اَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ ﴿٦﴾ وَذَكَرْنٰهُمْ بِآيٰتِنَا اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّكُلِّ صَبّٰرٍ شٰكُوْرٍ ﴿٧﴾ وَاِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ اَنْجٰىكُمْ مِّنْ اِلٍۭ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُوْنَكُمْ سُوًۢءَ الْعَذَابِ وَيَدْعٰىحُوْنَ اَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُوْنَ نِسَاءَكُمْ وَفِىْ ذٰلِكُمْ بَلٰٓءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيْمٌ ﴿٨﴾

﴿١﴾ «لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ» الخطاب للنبي ﷺ، والظلمات: الكفر والجهل، والنور: الإيمان والعلم.

﴿٢﴾ «بِاِذْنِ رَبِّهِمْ» أي: بأمره، (وهو إرساله) <sup>(١)</sup>.

﴿٣﴾ «اِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» بدل من: «إِلَى النُّوْرِ».

﴿٤﴾ «اللّٰهُ» قرئ بالرفع <sup>(٢)</sup>: وهو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمّر. وبالحذف: بدل.

﴿٥﴾ «يَسْتَحِبُّوْنَ» أي: يؤثرون.

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٢) قرأ نافع وابن عامر بالرفع، وقرأ الباقون بالحذف.

﴿وَيَبْقَوْنَهَا﴾ قد ذكر<sup>(١)</sup>.

﴿بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ أي: بلغتهم وكلامهم.

﴿أَنْ أَخْرِجَ﴾ «أَنْ» مفسرة، أو مصدرية على تقدير: بأن.

﴿وَذَكَّرَهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ﴾ أي: عقوبته للأمم المتقدمة، وقيل: إنعامه على بني إسرائيل. واللفظ يعم النعم والنقم. وعبر عنها بالأيام؛ لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تعظيم لها، كقولهم: يوم كذا ويوم كذا.

﴿وَيَذِّخُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ذكر هنا بالواو؛ ليدل أن سوء العذاب غير الذبح، أو أعم من ذلك، ثم جرد الذبح، كقوله: ﴿وَمَلَكَيْتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧]. وذكر في «البقرة» بغير واو؛ تفسيرا للعذاب.



(١) انظر تفسير الآية (٩٩) من سورة آل عمران.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١﴾ وَقَالَ مُوسَى  
إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَمِثْلَ شَجَرٍ مِمَّا  
تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٤﴾ \* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَهِيَ اللَّهُ شَكَّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ  
لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ  
أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا يَا تُوَّابُونَ ﴿٥﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا  
بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ  
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا  
سُبُلَنَا وَلَنْصِيرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَنُومُونَ ﴿٧﴾ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴿١﴾ من كلام موسى ﷺ، و﴿تَأَذَّنَ﴾ بمعنى: آذَن؛ أي: أعلم، كقولك:  
توعَّد وأوعد، وإعلام الله مقترن بإفاد ما أعلم به.

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ هذا معمول ﴿تَأَذَّنَ﴾؛ لأنه يتضمن معنى «قال». ويحتمل أن  
تكون الزيادة: من خير الدنيا، أو من الثواب في الآخرة، أو منهما.

﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ يحتمل أن يريد: كفر النعم، أو الكفر بالإيمان. والأول أرجح؛ لمقابلته  
بالشكر.

﴿١٩﴾ ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ عبارة عن كثرتهم، كقوله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾  
[الفرقان: ٣٨].

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الضمائر لقوم الرسل، والمعنى: أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه أنفسهم غيظًا  
على الرسل، كقوله: ﴿عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْأَغِطِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، أو استهزاء  
وضحكًا، كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه.

والثاني: أن الضمائر لهم، والمعنى: أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه أنفسهم؛ إشارة إلى<sup>(١)</sup> الأنبياء بالسكوت.

والثالث: أنهم ردُّوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكيناً لهم، ودفعاً لقولهم.

﴿أَيُّ اللَّهِ شَكٌّ﴾ المعنى: أي وجود الله شك، أو في إلهيته؟ وقيل: في وحدانيته. والهمزة للتقرير والتوبيخ؛ لأنه لا يحتمل الشك؛ لظهور الأدلة، ولذلك وصفه<sup>(٢)</sup> بعد بقوله: ﴿بَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: إن «مِنْ» زائدة. ومنع سبويه زيادتها في الواجب، وهي عنده للتبعض، ومعناه: أنه يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدّم من ذنوبه قبل الإسلام، ويبقى ما يذنب بعده في المشيئة، فوقعت المغفرة للبعض. ولم يأت في القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكفار، كهذا الموضع، والذي في «الأحقاف» وسورة «نوح». وجاء للمؤمنين بغير «مِنْ»، كالذي في «الصف».

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال الزمخشري وأهل مذهبه من المعتزلة: معناه: يؤخركم إن آمنتُم إلى آجالكم، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت<sup>(٣)</sup>.

وهذا بناء على قولهم بالأجلين، وأهل السنة يابون هذا؛ فإن الأجل عندهم واحد محتوم<sup>(٤)</sup>.

(١) في أ، ج: «على».

(٢) في ج، هـ: «وصف».

(٣) انظر: الكشاف (٨/٥٦٣).

(٤) [التعليق ٦٤] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن جرير رحمه الله: «وهذا بناء على قولهم - أي: المعتزلة - بالأجلين»: أقول: هذا صحيح عن المعتزلة؛ ومعناه: أن المعتزلة يقولون: إن المقتول ومن يُعاجل بالعقوبة، له أجل متأخر لو لم يقتل أو يُعاجل، لانتهى إليه، ولقُتِلَ أو تعجل عقوبته أجل متقدم. وقال بعضهم عن المعتزلة: إن الأجل واحد، وهو الأجل المسمى، وإن المقتول مقطوع عليه أجله، وكذا من يُعاجل بالعقوبة بسبب كفره.

والحق: أن الأجل الذي قدره الله في علمه وكتابه واحد؛ سواء كان متقدماً أو متأخراً، ولا يقع إلا هو؛

﴿قَالُوا إِنِ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ اسْتِيعَاذًا لِتَفْضِيلِ بَعْضِ الْبَشَرِ عَلَى بَعْضٍ بِالنَّبُوَّةِ، أَوْ يَكُونَ إِحَالَةً لِنَبُوَّةِ الْبَشَرِ. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ؛ لَطَلِبُهُمُ الْبَرَهَانَ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿بَاثُونًا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾، وَلِقَوْلِ الرِّسْلِ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أَي: بِالتَّفْضِيلِ بِالنَّبُوَّةِ.

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ الْمَعْنَى: أَي: شَيْءٌ يَمْنَعُنَا مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إِنْ قِيلَ: لِمَ كَرَّرَ الْأَمْرَ بِالتَّوَكُّلِ؟

فَالْجَوَابُ عِنْدِي: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ رَاجِعٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ طَلَبِ الْكَفَّارِ لِسُلْطَانٍ مُبِينٍ؛ أَي: حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ، فَتَوَكَّلِ الرِّسْلُ فِي وَرُودِهَا عَلَى اللَّهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَتَضَيَّرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْنَاكُمْ﴾ أَي: نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فِي دَفْعِ أَذَاكُم. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: إِنْ هَذَا الثَّانِي بِمَعْنَى الثَّبُوتِ عَلَى التَّوَكُّلِ<sup>(١)</sup>.



= فالمتقدم لا يتأخر، والمتأخر لا يتقدم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أَجَلٌ مُدَدٌ مُّدَدٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُّوَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وهذا معنى ما أشار إليه المؤلف في قوله: «وأهل السنة: يَأْبُونُ هَذَا؛ فَإِنَّ الْأَجَلَ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ مُحْتَمٍ»، والله أعلم.

(١) انظر: الكشف (٨/ ٥٦٥).

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا بِأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ  
لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَلَتُسْكَتَنَّكُمْ الْآرَضُ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ  
وَعِيدِي ﴿١٧﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٨﴾ مِّنْ وَرَآيِهِ جَهَنَّمُ وَيُسَفَىٰ مِنْ مَّاءٍ  
صَدِيدٍ ﴿١٩﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ  
وَرَآيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿٢٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ إِشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي  
يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الصُّلْبُ الْقَعِيدُ ﴿٢١﴾ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ  
اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى  
اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٢﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الصُّعْفَبِيُّ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ  
أَنْتُمْ مُّعْتَنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا  
أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢٣﴾

﴿١٦﴾ «أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا» «أَوْ» هنا: بمعنى «إِلَّا أَنْ»، أو على أصلها؛ لوقوع أحد الشيئين.  
والعوذ هنا: بمعنى الصيرورة، وهو كثير في كلام العرب، ولا يقتضي أن الرسل كانوا في  
ملة الكفار قبل ذلك.

﴿١٧﴾ «خَافَ مَقَامِي» فيه ثلاثة أوجه هنا، وفي «وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّي» في «الرحمن»:  
فالأول: أن معناه: مقام الحساب في القيامة. والثاني: أن معناه: قيام الله على عباده  
بأعمالهم. والثالث: أن معناه: خافني، وخاف ربه<sup>(١)</sup>، على إقحام المقام، أو على التعبير به  
عن الذات.

﴿١٨﴾ «وَاسْتَفْتَحُوا» الضمير للرسل؛ أي: استنصروا بالله، وأصله: طلب الفتح، وهو الحُكم.  
«جَبَّارٍ عَنِيدٍ» أي: قاهر، أو متكبر. «عَنِيدٍ» مخالف لا ينقاد.

﴿١٩﴾ «مِّنْ وَرَآيِهِ» في الموضعين: الورا هنا: بمعنى ما يستقبل من الزمان.  
وقيل: معناه هنا: أمامه، وهو بعيد.

(١) قوله: «وخاف ربه» هذا تفسير لآية «الرحمن»: (ولمن خاف مقام ربه).

﴿وَيُسْقَى﴾ معطوف على محذوف تقديره: من ورائه جهنم يُلقى فيها ويُسقى، وإنما ذكر هذا السقي تجريدًا بعد ذكر جهنم؛ لأنه من أشدّ عذابها.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي: يتكلّف جرّعه، وتصعب عليه إساغته. ونفي «كاد» يقتضي وقوع الإساغة بعد جهد. ومعنى «يُسِيغُهُ»: يبتلعه.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يجد ألمًا مثل ألم الموت وكُرباته من جميع الجهات. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: لا يُرَاحُ بالموت.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مذهب سيئويه والفراء فيه كقولهما في: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ التي في «الرعد» و«القتال». والخبر عند سيئويه: محذوف تقديره: فيما يتلى عليكم. والخبر عند الفراء: الجملة التي بعد. والمثل هنا بمعنى التشبيه.

﴿أَغْمَلُوهُمْ كَرَمَادٍ﴾ شبهها بالرماد في ذهابها وتلاشيها.

﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي: شديد الريح، والعُصوف في الحقيقة من صفة الريح.

﴿لَا يَفْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لا يرون له منفعة.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ أي: ظهوروا، ومعنى الظُّهور هنا: خروجهم من القبور. وقيل: معناه صاروا بالبراز، وهي الأرض المتسعة.

﴿تَبَعًا﴾ جمع تابع، أو مصدر وصف به مبالغة، أو على حذف مضاف.

﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «من» الأولى: للبيان، والثانية: للتبويض. ويجوز أن يكونا للتبويض معًا. قاله الزمخشري<sup>(١)</sup>. والأظهر: أن الأولى: للبيان، والثانية: زائدة، والمعنى: هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئًا من عذاب الله.

﴿مَجِصٍ﴾ أي: مهرب، حيث وقع، ويحتمل أن يكون: مصدرًا، أو اسم مكان.



(١) انظر: الكشاف (٥٧٧/٨).



وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ وَادْخُلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَبَرُّهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣﴾ تُوْتِيهِ أَكْطَافًا كُلَّ حَبٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٥﴾ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٦﴾

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ يعني: إبليس الأقدم، روي أنه يقوم خطيباً بهذا الكلام يوم القيامة، أو في النار يقوله لأهلها<sup>(١)</sup>.

﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ إن كان كلام إبليس في القيامة: فمعنى ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: تعيّن<sup>(٢)</sup> قوم للنار وقوم للجنة. وإن كان في النار: فمعنى ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: حصل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة.

﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ استثناء منقطع.

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثين لي.

﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: بإشراككم لي مع الله في الطاعة.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يتعلق بـ ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾، ويحتمل أن يتعلق بـ ﴿كَفَرْتُ﴾، والأول أظهر وأرجح.

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ استئناف، من كلام الله تعالى. ويحتمل أن يكون حكاية عن إبليس.

(١) أخرجه الطبري (١٣/٦٣٠)، وابن أبي حاتم (٧/٢٢٤٠) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٠٧).

(٢) في د: «تبيّن».

﴿يَأْذِي رَبَّهُمْ﴾ بتعلق بـ ﴿أَدْخِلْ﴾، أو بـ ﴿خَلِّدِينَ﴾، والأول أحسن.  
 ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ ابن عباس ؓ وغيره: هي: «لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>. (وقيل: كل كلمة حسنة.)<sup>(٢)</sup>

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة في قول الجمهور. واختار ابن عطية: أنها شجرة غير معينة، إلا أنها كل ما اتصف بتلك الصفات<sup>(٣)</sup>.

﴿وَفَرَّغَهَا فِي السَّاءِ﴾ أي: في الهواء، وذلك عبارة عن طولها.  
 ﴿ثَوَّتَ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ الحين في اللغة: وقت غير محدود، وقد تقترن به قرينة تحده؛ فقيل في: ﴿كُلَّ حِينٍ﴾: كل سنة لأن النخلة تُطعم كل سنة، وقيل غير ذلك.  
 ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر، وقيل: كل كلمة قبيحة.

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظلة عند الجمهور، واختار ابن عطية: أنها غير معينة<sup>(٤)</sup>.  
 ﴿اجْتَنَّتْ﴾ أي: اقتلعت، وحقيقة الاجتثاث: أخذ الجُثَّة، وهذا في مقابلة قوله: ﴿أَصْلَهَا ثَابِتٌ﴾.

﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هو «لا إله إلا الله»، والإقرار بالنبوة.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: إذا فُتِنوا لم يَزَلُوا.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ هو عند السؤال في القبر عند الجمهور.



(١) أخرجه الطبري (٦٣٥/١٣)، وابن أبي حاتم (٢٢٤١/٧).

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢٤٤/٥).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٢٤٦/٥).

\* أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٠٧﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٠٨﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴿٢٠٩﴾ فَلْيَتَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٢١٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِمَّا قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ بِهِمْ وَلَا خِلَافٌ ﴿٢١١﴾ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِيهِ الْبَحْرُ بِأَمْرِهِ ﴿٢١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٢١٣﴾ وَعَاتَبَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢١٤﴾

﴿٢٠٧﴾ ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ نعمة الله هنا: هو محمد ﷺ ودينه، أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها، والتقدير: بدّلوا شكر نعمة الله كُفْرًا.

﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ أي: من أطاعهم واتبعهم.

﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ فسرها بقوله: ﴿جَهَنَّمَ﴾.

﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْفِقُوا﴾ هو جواب شرط مقدر، يتضمّن قوله: ﴿قُلْ﴾، تقديره: إن تقل لهم أقيموا يقيموا، ومعمول القول على هذا محذوف<sup>(١)</sup>. وقيل: جُزْمٌ بإضمار لام الأمر، تقديره: ليقيموا.

﴿وَلَا خِلَافٌ﴾ من الخلّة، وهي المودة.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يريد الجنس.



(١) لأن جواب ﴿قُلْ﴾ يدل عليه، وتقديره: قل لعبادي الذين آمنوا: أقيموا الصلاة وأنفقوا، يقيموا الصلاة وينفقوا. الكشاف (٨/٦٠٠).

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٥٦﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ  
 أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ قَسِ ثُبُعِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٧﴾ رَبَّنَا  
 إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ  
 وَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ  
 تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلِي وَمَا يَخْبِي عَلَيَّ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥٩﴾  
 \*الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿٦٠﴾ رَبِّ  
 اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٦١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ  
 يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٦٢﴾

﴿الْبَلَدَ آمِنًا﴾ ذُكِرَ فِي «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَاجْنُبْنِي﴾ أي: امنعني، والماضي منه: جنَّب، يقال: جنَّب وجَنَّب - بالتشديد - وأجنب  
 بمعنى واحد.

﴿وَبَنِيَّ﴾ يعني: بنيه من صلبه، وفيهم أُجيبَت دعوته، وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام.  
 ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ يريد: من عصاه بغير الكفر، أو عصاه بالكفر ثم تاب منه، فهو الذي  
 يصحُّ أن يدعى له بالمغفرة، ولكنه ذكر اللفظ بالعموم؛ لِمَا كَانَ فِيهِ ﷻ من الرحمة  
 للخلق وحسن الخلق.

﴿أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ يعني: ابنه إسماعيل ﷺ، لما وَلَدَتْهُ أمه هاجر غارت بها<sup>(٢)</sup> سارة  
 زوجة إبراهيم، ﷻ فحملته مع أمه من الشام إلى مكة.

﴿بِوَادٍ﴾ يعني: مكة، والوادي: ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء.  
 ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ يعني الكعبة: فإِذَا أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ أَقْدَمَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷻ عَلَى مَا جَاءَ  
 فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ. وَإِذَا أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷻ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيُنَى هُنَاكَ بَيْتٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (١٢٥).

(٢) في د: «منه».

(٣) في ج: «سَيُنَى هُنَاكَ بَيْتًا».

﴿لِيَفِيئُوا الصَّلَاةَ﴾ اللام يحتمل أن تكون: لام الأمر بمعنى الدعاء، أو لام «كي»، وتعلق بـ «أَسْكَنْتُ». وجمع الضمير يدل على أنه كان قد عَلِمَ أن ابنه يُعَقِّبُ هنالك نسلاً.

﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ أي: تسير بجِدِّ وإسراع، ولهذه الدعوة حُبَّ الله حج البيت إلى الناس، على أنه قال ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ بالتبويض. قال بعضهم: لو قال: «أفئدة الناس» لحجته فارس والروم<sup>(١)</sup>.

﴿وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: ارزقهم في ذلك الوادي مع أنه غير ذي زرع، وأجاب الله دعوته فجعل مكة تُجَبِّي<sup>(٢)</sup> إليها ثمرات كل شيء.

﴿وَمَا يَخْهَى﴾ الآية؛ يحتمل أن تكون: من كلام الله تعالى، أو حكاية عن إبراهيم.

﴿وَهَبْ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ روي: أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مئة وسبعة عشر عامًا<sup>(٣)</sup>، وروي أقل من هذا، وإسماعيل أسنُّ من إسحاق.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ إن أراد بالدعاء: الطلب والرغبة فمعنى القبول: الاستجابة، وإن أراد بالدعاء: العبادة، فالقبول على حقيقته.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ قيل: إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما. والصحيح: أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أنه عدوُّ الله، حسبما ورد في «براءة».



(١) أخرجه الطبري (٦٩٨/١٣)، وابن أبي حاتم (٢٢٤٩/٧) عن مجاهد.

(٢) في أ، ب، هـ: «تجبي».

(٣) أخرجه الطبري (٧٠٢/١٣) عن سعيد بن جبير.

وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿١٥﴾  
 مُهْطِعِينَ مُقْنِعِينَ رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿١٦﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ  
 الْعَذَابُ بَئِيقًا الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْلَمَ  
 تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِمَّن قَبْلَ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿١٧﴾ وَسَكَتْنَاهُمْ فِي مَسْجِدٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
 وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ بَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿١٨﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ  
 مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿١٩﴾ فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخِلِفًا وَعْدِهِ رُسُلَهُ  
 إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ  
 الْقَهَّارِ ﴿٢١﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٢٢﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قِطْرٍ وَتَغَشَّى  
 وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٤﴾ هَذَا بَلَغَ  
 لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ﴿٢٥﴾

﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا﴾ هذا وعيدٌ للظالمين، وهم الكفار هنا على الأحرار. فإن قيل: لمن هذا الخطاب هنا وفي قوله: ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخِلِفًا وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾؟

فالجواب: أنه يحتمل أن يكون خطاباً للنبي ﷺ، أو لغيره. فإن كان لغيره فلا إشكال. وإن كان له فهو مشكّل؛ لأن النبي ﷺ لا يحسب أن الله غافل، وتأويل ذلك بوجهين:

أحدهما: أن المراد: الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغير مخلف وعده.

والآخر: أن المراد: إعلامه بعقوبة الظالمين، فمقصد الكلام الوعيد لهم.

﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: تُجَدُّ النظر من الخوف.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ قيل: الإهطاع: الإسراع، وقيل: شدة النظر من غير أن يطرف.

﴿مُقْنِعِينَ رُءُوسِهِمْ﴾ قيل: الإقناع هو رفع الرأس، وقيل: خفضه من الدلة.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا يطرفون بعيونهم؛ من الحذر والجزع.

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي: منخرقة، لا تعي شيئاً؛ من شدة الجزع، فشبهها بالهواء في تفرغه من الأشياء. ويحتمل أن يريد مضطربة في صدورهم.

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني: يوم القيامة، وانتصاب ﴿يَوْمَ﴾ على أنه مفعول ثانٍ لـ ﴿أُنذِرُ﴾، ولا يجوز أن يكون ظرفاً.

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا﴾ تقديره: يقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا﴾ الآية.

﴿مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ﴾ هو المقسم عليه، ومعنى ﴿مِّنْ زَوَالٍ﴾: أي: من الأرض بعد الموت؛ أي: حلفتكم أنكم لا تبعثون.

﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ﴾ أي: جزاء مكرهم.

﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلزَّوَالِ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ «إن» هنا نافية، واللام لام الجحود، والجبال يراد بها: الشرائع والنبوات، شُبِّهَتْ بالجبال في ثبوتها، والمعنى: تحقير مكرهم؛ لأنه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة.

وقرأ الكسائي: ﴿لَتَزُولَ﴾ بفتح اللام ورفع ﴿تَزُولُ﴾ ، و«إن» -على هذه القراءة- مخففة من الثقيلة، واللام للتأكيد، والمعنى: تعظيم مكرهم؛ أي: إن مكرهم من شدته بحيث تزول منه الجبال، ولكن الله عصم ووقى منه.

﴿وَلَا تَخْسِئَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ يعني: الوعد بالنصر على الكفار. فإن قيل: هلا قال: «مخلف رسوله وعده»، ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟

فالجواب: أنه قدّم الوعد ليُعلم أنه لا يُخلف الوعد أصلاً على الإطلاق، ثم قال: ﴿رُسُلَهُ﴾؛ ليُعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس، فكيف يخلف وعد رسوله وخيرة خلقه؟ فقدّم الوعد أولاً؛ لقصد الإطلاق، ثم ذكر الرسل؛ لقصد التخصيص.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ﴾ العامل في الظرف: ﴿ذُرْ إِنْتِقَامٌ﴾، أو محذوفٌ. وتبديل الأرض: بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي، هكذا ورد في الحديث الصحيح<sup>(١)</sup>.

﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾ تبديلها: بانشقاقها، وانتثار كواكبها، وخسوف شمسها وقمرها.

وقيل: تبدّل أرضاً من فضة، وسماؤه من ذهب، وهذا ضعيف.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.



﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الكفار.

﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْبَادِ﴾ أي: مربوطين في الأغلال.

﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ أي: قمصهم، والسَّرْبَال: القميص.

﴿مِنْ قِطْرٍ﴾ هو الذي تُهْتَأُّ به الإبل، وللنار فيه اشتعالٌ شديد، فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلقٌ بمحذوف؛ أي: فعل الله ذلك ليجزي.

﴿هَذَا بَلَّغٌ﴾ إشارة: إلى القرآن، أو إلى ما تَضَمَّنَتْ هذه السورة.

﴿وَلِيُنْذِرُوا بِهِ﴾ معطوفٌ على محذوف تقديره: لِيُنْصَحُوا بِهِ وَلِيُنْذِرُوا.





## سورة الحج

الَّتِي لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَهُمْ  
يَاْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ  
مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَأْتِيهَا الذِّكْرُ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ  
لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِيْنَا بِالْمَلِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نَنْزِلُ الْمَلِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ  
وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ  
فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي  
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ  
السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْكِتَابِ: الكتب المتقدمة، وعطف القرآن عليها. والظاهر: أنه القرآن، وعطف عطف الصفات.

﴿٢﴾ رَبَّمَا﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد<sup>(١)</sup>، وهما لغتان، و«ما» حرفٌ، كَافَّةٌ لـ«رُبَّ». ومعنى «رب»: التقليل، وقد تكون للتكثير، وقيل: إن هذه منه. وقيل: إنما عبر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكم؛ كقوله: ﴿قَدْ تَرَى ثَقْلَبَ وَجْهِكَ﴾ [البقرة: ١٤٣]، و﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٢]. وقيل: إن معنى التقليل في هذه: أنهم لو كانوا يودُّون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودُّونه مرارًا كثيرة؟ ولا تدخل «رُبَّ» إِلَّا عَلَى الْمَاضِي، وإنما دخلت هنا على المستقبل؛ لأنه في التحقيق كالماضي.

(١) قرأ نافع وعاصم بتخفيف الباء، وقرأ الباقون بالتشديد.

﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ قيل: إن ذلك عند الموت، وقيل: في القيامة، وقيل: إذا خرج عصاة المسلمين من النار، وهذا هو الأرجح؛ لحديث روي في ذلك<sup>(١)</sup>.

﴿ذَرَهُمْ﴾ وما بعده: تهديد.

﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: وقت محدود.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ لكفار قريش، وقولهم: ﴿نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾<sup>(٢)</sup> على وجه الاستخفاف؛ أي: بزعمك ودعواك.

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ ﴿لَوْ مَا﴾ عَرْضٌ وَتَحْصِيصٌ، والمعنى: أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة معه.

﴿مَا تَنْزَلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ردٌ عليهم فيما اقترحوا، والمعنى: أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق؛ من الوحي والمصالح التي يريد الله، لا باقتراح مقترح واختيار كافر معترض. وقيل: الحق هنا: العذاب.

﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿إِذَا﴾ حرف جواب وجزاء، والمعنى: لو أنزل الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار الذين اقترحوا نزولهم؛ لأن عادة الله أن من اقترح آيةً فرآها ولم يؤمن أنه يعجل له العذاب، وقد علم الله أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الذكر هنا: هو القرآن، وفي قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ردٌ لإنكارهم واستخفافهم في قولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ ولذلك أكد به ﴿نَحْنُ﴾، واحتج عليه بحفظه.

(١) أخرجه الطبري (٨/١٤) وابن أبي حاتم (٢٢٥٥/٧)، والحاكم (٢٩٥٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعاً، وأخرجه ابن حبان (٧٤٣٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٠٧) من حديث جابر ﷺ، وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (٥٨٦/٨).

(٢) في هـ زيادة: «يعنون».

ومعنى حفظه: حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن، فلم يقدر أحد على الزيادة فيه، ولا النقصان منه، ولا تبديله، بخلاف غيره من الكتب؛ فإن حفظها موكول إلى أهلها؛ لقوله: ﴿يَمَا اسْتُحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٦].

﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ الشَّيْع: جمع شيعة، وهي الطائفة التي تتشيع لمذهب أو رجل.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى ﴿نَسْلُكُهُ﴾: نُدْخِلُهُ. والضمير في ﴿نَسْلُكُهُ﴾: يحتمل: أن يكون للاستهزاء الذي دلَّ عليه قوله: ﴿بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. أو يكون للقرآن؛ أي: نسلكه في قلوبهم مستهزءاً به، ويكون قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ تشبيهاً بالاستهزاء المتقدم، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ تفسير لوجه إدخاله في قلوبهم، والضمير في ﴿بِهِ﴾ للقرآن.

﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدّمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء، حتى هلكوا بسبب ذلك، ففي الكلام تهديد لقريش.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ﴿لَفَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر. وقيل: الضمير في ﴿ظَلُّوا﴾ و﴿يَعْرُجُونَ﴾ للملائكة، وفي ﴿فَالُوا﴾ للكفار. ومعنى ﴿يَعْرُجُونَ﴾: يصعدون. والمعنى: أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا: إنها تخيل أو سحر.

وقري ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(١)</sup>، ويحتمل أن يكون مشتقاً من السُّكْر، فيكون معناه: حُيِّرَتْ أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته، أو من السُّكْر، وهو السُّدُّ، فيكون معناه: منعت أبصارنا من النظر.



(١) قرأ ابن كثير بتخفيف الكاف، وقرأ الباقر بتشديدها.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٧﴾ وَحَمِيطْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٨﴾  
 إِلَّا مَنْ إِسْتَرَقَ السَّمْعَ بِأَتْبَعِهِ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ  
 وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿٢٠﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢١﴾  
 وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّحَ  
 بِأَنْزِلَتْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّا لَنَخْشِ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُ  
 وَنَحْضُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّ  
 رَبَّكَ هُوَ يَخْشَرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿بُرُوجًا﴾ يعني: المنازل الاثني عشر.

﴿إِلَّا مَنْ إِسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ استثناء من حفظ السماوات، فهو في موضع نصب.

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أي: مقدر بقصد وإرادة؛ فالوزن على هذا مستعار. وقيل: المراد: ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة، والأول أعم وأحسن.

﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ يعني: البهائم والحيوانات، و﴿مَنْ﴾ معطوف على ﴿مَعَاشٍ﴾. وقيل: على الضمير في ﴿لَكُمْ﴾، وهذا ضعيف في النحو؛ لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، وهو قوي في المعنى؛ أي: جعلنا في الأرض معاش لكم وللحيوانات.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ قيل: يعني المطر، واللفظ أعم من ذلك. والخزائن: المواضع الخازنة، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت. وقيل: إن ذلك تمثيل، والمعنى: وإن من شيء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه.

﴿بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ أي: بمقدار محدود.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّحَ﴾ يقال: لَفَحَتِ الناقة والشجرة: إذا حملت فهي لاقحة، وأَلْفَحَتِ الرِّيحُ الشجرَ فهي مُلْفِحةٌ، و﴿لَوَفِّحَ﴾: جمع لاقحة؛ لأنها تحمل الماء، أو جمع ملقحة؛ على حذف الميم الزائدة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَفِدِّينَ﴾ الآية؛ يعني: الأولين والآخرين من الناس، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذكر بعد ذلك في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾؛ لأنه إذا أحاط بهم علماً لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم. وقيل: يعني: من استقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر، وقيل: من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه.



وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿١٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ بَارِ  
السُّمُومِ ﴿١٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿١٨﴾ فَإِذَا  
سَوَّيْتَهُ وَنَبَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا  
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ  
السَّاجِدِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ لَمْ أَكُ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٢﴾ قَالَ  
بَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ  
يُبْعَثُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٦﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَفَاتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي  
لَأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ هَذَا  
صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٣١﴾  
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٢﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٣٣﴾

﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ الإنسان هنا هو: آدم ﷺ، والصلصال: الطين  
اليابس الذي يصلصل؛ أي: يصوت، وهو غير مطبوخ، فإذا طُبِخ فهو فخارٌ.

﴿مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ الحمأ: الطين الأسود، والمسنون: المتغير المتن. وقيل: إنه من أسن  
الماء: إذا تغير، والتصريف يردُّ هذا القول<sup>(١)</sup>. وموضع ﴿مِّنْ حَمَلٍ﴾ صفة لـ ﴿صَلْصَلٍ﴾؛  
أي: من صلصال كائن من حمأ.

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ﴾ يراد به: جنس الشياطين، وقيل: إبليس الأول، وهذا أرجح؛ لقوله:  
﴿مِنْ قَبْلُ﴾، وتناسلت الجن من إبليس، وهو للجن كآدم للناس.  
﴿السُّمُومُ﴾ شدة الحر.

﴿خَلِّقُ بَشَرًا﴾ يعني: آدم ﷺ.

﴿وَنَبَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ يعني: الروح التي في الجسد، وأضاف الله تعالى الروح إلى  
نفسه إضافة مُلْكٍ إلى مالك؛ أي: من الروح الذي هو لي، وخلق من خلقي.

(١) لا اختلاف المادتين، فمسنون من مادة (سنن) وليس من مادة (أسن).

وتقدّم الكلام على سجود الملائكة في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، أو من السماء.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يقتضي إقراره بالربوبية، وأن كفره كان بوجه غير الجحود، وهو اعتراضه على الله في أمره بالسجود لآدم.

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَفْتِ الْمَعْلُومِ﴾ اليوم الذي طلب إبليس أن يُنظرَ إليه: هو يوم القيامة. ويوم الوقت المعلوم الذي أنظرَ إليه: هو يوم النفخ في الصور النفخة الأولى؛ حين يموت من في السماوات ومن في الأرض.

وكان سؤال إبليس الإنظار إلى يوم القيامة جهلاً منه ومغالطة؛ إذ سأل ما لا سبيل إليه؛ لأنه لو أعطي ما سأل لم يمت أبداً؛ لأنه لا يموت أحد بعد البعث، فلما سأل ما لا سبيل إليه أعرض الله عنه، وأعطاه الإنظار إلى النفخة الأولى.

﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للسببية؛ أي: لأغوينهم بسبب إغوائك لي. وقيل: للقسم؛ كأنه قال: بقدرتك على إغوائي لأغوينهم. والضمير لذرية آدم.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ القائل لهذا هو الله تعالى، والإشارة بـ«هَذَا»: إلى نجاة المخلصين من إبليس، وأنه لا يقدر عليهم، أو إلى تقسيم الناس إلى غويٍّ ومُخلَص.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس؛ فيكون قوله: «إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ» استثناءً متصلاً، أو يريد بالعباد المخلصين؛ فيكون الاستثناء منقطعاً.

﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير للغاوين.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ روي: أنها سبعة أطباق، في كل طبقة باب، فأعلاها: للمذنبين من المسلمين، والثاني: لليهود، والثالث: للنصارى، والرابع: للصابئين، والخامس: للمجوس، والسادس: للمشركين، والسابع: للمنافقين<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر تفسير الآية (٣٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٢٦٥/٧) عن الضحاك.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ ﴿١٧﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ  
 إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿١٨﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿١٩﴾ نَبِيٌّ  
 عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢٠﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٢١﴾ وَنَبِيَّهُمْ عَسَى  
 إِبْرَاهِيمَ ﴿٢٢﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ  
 بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ  
 بِالْحَقِّ فَلَا تَكُ مِنَ الْفَاطِنِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ وَمَنْ يَفْتَنُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ فَمَا  
 خَطَبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٌ إِنَّا  
 لَمَنْجُوهُمْ وَأَجْمَعِينَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِمْرَأَتَهُ فَذَرْنَاهَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣١﴾

﴿١٦﴾ ادْخُلُوهَا: تقديره: يقال لهم: ادخلوها، والسلام هنا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: التحية،  
 أو السلامة.

﴿١٧﴾ إِخْوَانًا: يعني: أخوة المودة والإيمان.

﴿١٨﴾ مُتَقَابِلِينَ: أي: يقابل بعضهم بعضًا في الأسرة.

﴿١٩﴾ نَصَبٌ: أي: تعب.

﴿٢٠﴾ نَبِيٌّ عِبَادِي: الآية؛ أي: أعلمهم، والآية آية ترجية وتخويف.

﴿٢١﴾ وَنَبِيَّهُمْ عَسَى ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ: ضَيْفٌ هنا: واقع على جماعة، وهم الملائكة الذين  
 جاؤوا إلى إبراهيم عليه السلام بالبشرى.

﴿٢٢﴾ وَجِلُونَ: أي: خائفون، والوجل: الخوف.

﴿٢٣﴾ لَا تَوْجَلْ: أي: لا تخف.

﴿٢٤﴾ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ: هو إسحاق عليه السلام.

﴿٢٥﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ: المعنى: أبشرتُموني بالولد مع أنني قد كبر  
 سني! وكان حينئذ ابن مئة سنة، وقيل أكثر.



﴿فَبِمَ تَنبِّئُونَ﴾ قال ذلك على وجه التعجب من ولادته في كبره، أو على وجه الاستبعاد لذلك. وقرئ ﴿تَنبِّشُونَ﴾<sup>(١)</sup>: بتشديد النون وكسرها؛ على إدغام نون الجمع في نون الوقاية، وبالكسر والتخفيف؛ على حذف إحدى النونين، وبالفتح؛ وهي نون الجمع.

﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: باليقين الثابت، فلا تستبعده ولا تشك فيه.

﴿وَمَنْ يَفْنَظْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ دليل على تحريم القنوط. وقرئ ﴿يَفْنَظْ﴾: بفتح النون وكسرها<sup>(٢)</sup>، وهما لغتان.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم؟ وبأي شيء جئتم؟

﴿إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون: قوم لوط.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يحتمل أن يكون استثناء من ﴿قَوْمٍ﴾؛ فيكون منقطعاً؛ لوصف القوم بالإجرام، ولم يكن آل لوط مجرمين. ويحتمل أن يكون استثناء من الضمير في ﴿مُّجْرِمِينَ﴾؛ فيكون متصلاً؛ كأنه قال: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط فلم يجرموا.

﴿إِلَّا إِمْرَأَتَهُ﴾ استثناء من ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾، فهو استثناء من استثناء. وقال الزمخشري: إنما هو استثناء من الضمير المجرور في قوله: ﴿لَمَنَجَّوْهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. وذلك هو الذي يقتضيه المعنى.

﴿فَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الغابر: يقال بمعنى الباقي، وبمعنى الذهاب. وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم، وهو لله وحده؛ لما لهم من القرب والاختصاص بالله، لا سيما في هذه القضية، كما يقول خاصة الملك: دبرنا كذا. ويحتمل أن يكون حكاية عن الله.



(١) قرأ ابن كثير بتشديد النون وكسرها، وقرأ نافع بالكسر والتخفيف، وقرأ الباقون بالفتح والتخفيف.

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون، وقرأ الباقون بفتحها.

(٣) انظر: الكشف (٤٦/٩).

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا  
بِهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٨﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٩﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِفِطْحِ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ  
أَذْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَمِثْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٢٠﴾ وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ  
دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضُنُوبِهِمْ  
بَلَا تَبْضَحُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْا ﴿٢٤﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ  
بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ بَاعِلِينَ ﴿٢٦﴾ لَعَنُوكَ إِنَّهُمْ لَهُمْ سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ  
مُشْرِفِينَ ﴿٢٨﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَابِغَةً وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُفِيرٍ ﴿٣١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ \* وَإِنْ كَانَ  
أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ لَظَّالِمِينَ ﴿٣٣﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴿٣٤﴾

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: لا يعرفهم<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا بِهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: جئناك بالعذاب لقومك. ومعنى  
﴿يَمْتَرُونَ﴾: يشكون فيه.

﴿وَاتَّبِعْ أَذْبَرَهُمْ﴾ أي: كن خلفهم وفي ساقيتهم؛ حتى لا يبقى منهم أحد، وليكونوا  
قدَّامه؛ (فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه؛ لخوفه عليهم)<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا يَلْتَمِثْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ تقدَّم في «هود»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قيل: هو مصر، وقيل: «حيث» هنا للزمان؛ إذ لم يُذكر مكان.

﴿وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ هو من القضاء والقدر، وإنما تعدى بـ«إلى»؛ لأنه ضَمَّنَ  
معنى: «أوحينا». وقيل: معناه: أعلمناه بذلك الأمر.

﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾ هذا هو تفسير لـ«ذَلِكَ الْأَمْرَ»، ودابر القوم: أصلهم، والإشارة  
إلى قوم لوط.

(١) في أ، ب: «قوم لا يعرفهم».

(٢) في أ، ب: «ولو كانوا وراءه لاشتغل بخوفه عليهم».

(٣) انظر تفسير الآية (٨٠).

- ﴿مُضْجِحِينَ﴾ في الموضعين: أي: إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح.
- ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ المدينة هي سدُوم، واستبشار أهلها بالأضياف؛ طمعًا أن ينالوا منهم الفاحشة.
- ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعُلَمِينَ﴾ كانوا قد نهوه أن يُضيفَ أحدًا.
- ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ دعاهم إلى تزويج بناته؛ ليقِيَ بذلك أضيافه.
- ﴿لَعَنَرُكُ﴾ قسمٌ، والعمر: الحياة؛ ففي ذلك كرامةٌ للنبي ﷺ، لأن الله أقسم بحياته. وقيل: هو من قول الملائكة للوط ﷺ. وارتفاعه: بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: لعمرُك قسمي، واللام للتوطئة.
- ﴿إِنَّهُمْ لَمِ سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الضمير لقوم لوط، و﴿سَكْرَتِهِمْ﴾: ضلالهم وجهلهم، و﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: يتحيرون.
- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحة جبريل، وهي أخذته لهم.
- ﴿مُشْرِفِينَ﴾ أي: داخلين في الشروق، وهو وقت بزوغ الشمس. وقد تقدّم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في «هود»<sup>(١)</sup>.
- ﴿لِّلْمُتَوَسِّينَ﴾ أي: للمتفرسين، ومنه: فِراسة المؤمن، وقيل: للمعتبرين، وحقبة التوسم: النظر إلى السمة.
- ﴿وَأَنَّهُمَا لَيْسَ لِي مَفِيٍّ﴾ أي: بطريق ثابت يراه الناس، والضمير: للمدينة<sup>(٢)</sup> المهلكة.
- ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ أصحاب الأيكة: قوم شعيب، والأيكة: الغيضة من الشجر، لما كفروا أضرمها الله عليهم نارا.
- ﴿وَأَنَّهُمَا لَيَأْمَامُ مَبِينٍ﴾ الضمير في ﴿وَأَنَّهُمَا﴾: قيل: إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب، فالإمام على هذا: الطريق؛ أي: إنهما بطريق واضح يراه الناس. وقيل: الضمير للوط وشعيب ﷺ؛ أي: إنهما على طريق من الشرع واضح. والأول أظهر.

(١) انظر تفسير الآية (٨٠).

(٢) في ج، هـ: «للمدائن».

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٥﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ دَأَائِيَّتَنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٦﴾ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْجِحِينَ ﴿٨٨﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴿٩٠﴾ بِاضْطِحَ الْصَّفْحِ الْجَمِيلِ ﴿٩١﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْفُرْعَانَ الْعَظِيمَ ﴿٩٣﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٤﴾ وَقُلِ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٩٥﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٦﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ عِضِينَ ﴿٩٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٨﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٠١﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قَبْسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٠٣﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٠٤﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٠٥﴾

﴿٨٥﴾ «أَصْحَابُ الْحِجْرِ» هم ثمود قوم صالح، والحجر: واديهـم، وهو بين المدينة والشام. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحداً، وفي ذلك تأويلان: أحدهما: أن من كذب واحداً من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع؛ لأنهم جاؤوا بأمر متفق من التوحيد. والثاني: أنه أراد الجنس، كقولك: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرساً واحداً.

﴿٨٦﴾ «وَأَتَيْنَاهُمْ دَأَائِيَّتَنَا» يعني: الناقة، وما كان فيها من العجائب.

﴿٨٧﴾ «وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا» النحت: النقر بالماويل وشبهها في الحجر والعود وشبه ذلك، وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال.

﴿٨٨﴾ «آمِنِينَ» يعني: آمنين من تهدم بيوتهم لوثاقتها، وقيل: آمنين من عذاب الله.

﴿٨٩﴾ «إِلَّا بِالْحَقِّ» يعني: أنها لم تُخلق عبثاً.

﴿٩٠﴾ «بِاضْطِحَ الصَّفْحِ الْجَمِيلِ» قيل: إن الصّفـح الجميل هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب. وفي الآية مهادة للكفار منسوخة بالسيف.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قيل: يعني: أم القرآن؛ لأنها سبع آيات. وقيل: يعني السُّور السبع الطُّوال؛ وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة. والأول أرجح؛ لوروده في الحديث<sup>(١)</sup>.

و﴿الْمَثَانِي﴾: مشتق من التثنية، وهو التكرير؛ لأن الفاتحة تُكرَّر قراءتها في الصلاة، ولأن غيرها من السور تُكرَّر فيها القصص وغيرها. وقيل: هو مشتق من الثناء؛ لأن فيها ثناءً على الله. و﴿مِّن﴾ تحتمل أن تكون: للتبعيض، أو لبيان الجنس. وعطف القرآن على السبع المثاني؛ لأنه يعني ما سواها من القرآن، فهو عموم بعد الخصوص.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تنظر إلى ما متعناهم به في الدنيا، ومعنى الآية: تزهيد في الدنيا؛ كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم، فلا تنظر إلى الدنيا؛ فإن الذي أعطيناك أعظم منها.

﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: أصنافاً من الكفار.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسف لكفرهم.

﴿وَإَخِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي: تواضع ولن للمؤمنين، والجناح هنا: استعارة.

﴿كَمَا أُنزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ الكاف من ﴿كَمَا﴾ متعلقة بقوله: ﴿أَنَا الْذَّيْرُ﴾؛ أي: أنذر قريشاً عذاباً مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين. وقيل: تتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ أي: أنزلنا عليك كتاباً كما أنزلنا على المقتسمين.

واختلف في المقتسمين: ف قيل: هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه، فاقسموا إلى قسمين. وقيل: هم قريش، اقتصموا أبواب مكة في الموسم، فوقف كل واحد منهم على باب، يقول أحدهم: هو شاعر، ويقول الآخر: ساحر، وغير ذلك.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أي: أجزاء، وقالوا فيه أقوالاً مختلفة، وواحد ﴿عِضِينَ﴾ عِضَةٌ. وقيل: هو من العَضِ، وهو السَّحَر، والعاضه: الساحر، والمعنى على هذا: قالوا إنه سحر. والكلمة محذوفة اللام، ولامها على القول الأول: واو، وعلى الثاني: هاء.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) عن أبي سعيد ابن المعل.

﴿بَوَرَّيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إن قيل: كيف يُجمع بين هذا وبين قوله: ﴿بَيُؤَمِّدُ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٨]؟

فالجواب: أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض؛ لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها.

﴿بَاصْذَغُ يَمَا ثَوْمَرُ﴾ أي: صرّح به وأنفذه.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ يعني قومًا من أهل مكة؛ أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ، وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن غِيظَلَة<sup>(١)</sup>، وقصة إهلاكهم مذكورة في السِّير. وقيل: هم الذين قُتلوا ببدر؛ كأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وغيرهم. والأول أرجح؛ لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تسليّة للنبي ﷺ وتأنيس.

﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَفِينُ﴾ أي: الموت.



(١) أخرجه الطبري (١٤/١٤٧) عن سعيد بن جبير، وانظر: سيرة ابن هشام (١/٤٠٨).

## سورة النحل

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يَنْزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ  
مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ  
مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ  
حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَخْمَلُ الْأَثْقَالَ لَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ  
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا  
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قيل: يعني القيامة، وقيل: النصر على الكفار، وقيل: عذاب الكفار في الدنيا. ووضع الماضي موضع المستقبل؛ لتحقيق وقوع الأمر، ولقربه. وروي أنها لما نزلت وثب رسول الله ﷺ قائماً، فلما قال: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ سَكَنَ<sup>(١)</sup>.

﴿يَنْزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ﴾ أي: بالنبوة، وقيل: بالوحي.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ﴾ أي: من نطفة المني، والمراد: جنس الإنسان.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن معناه: متكلم يخاصم عن نفسه. والثاني: يخاصم في ربه ودينه، وهذا في الكفار. والأول أعم.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي: ما يُتَدَفَّأُ به، يعني: ما يُتَّخَذُ من جلود الأنعام وأصوافها من

(١) لم أقف عليه مسنداً، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٨٧) عن ابن عباس، وفي الدر المنثور (٥/٩): «وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ دُعِرَ أصحاب الرسول ﷺ، حتى نزلت ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فسكنوا».

التياب. ويَحْتَمِلُ أن يكون قوله: ﴿لَكُمْ﴾ متعلقًا بما قبله، أو بما بعده، ويختلف الوقف باختلاف ذلك.

﴿وَمَنْعُ﴾ يعني: شرب ألبانها، والحرث بها، وغير ذلك.  
﴿وَمِنْهَا تَاكُلُونَ﴾ يَحْتَمِلُ أن يريد بالمنافع ما عدا الأكل؛ فيكون الأكل أمرًا زائدًا عليها. أو يريد بالمنافع: الأكل وغيره، ثم جَرَّد ذكر الأكل؛ لأنه أعظم المنافع.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الجمال: حسن المنظر، و﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: يعني: حين تردونها بالعشي إلى المنازل، و﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: حين تردونها بالغداة إلى الرعي، وإنما قَدَّمَ ﴿تُرِيحُونَ﴾ على ﴿تَسْرَحُونَ﴾؛ لأن جمال الأنعام بالعشي أكثر؛ لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروعها حافلة.

﴿وَتَحْمِلُ أُنْفَالَكُمْ﴾ يعني: الأمتعة وغيرها، وقيل: أجساد بني آدم.

﴿إِلَى بَلَدٍ﴾ أي: إلى أي بلد توجهتم، وقيل: يعني مكة.

﴿يَشِي الْأَنْفُسُ﴾ أي: بمشقة.

﴿لَتَرْكَبُوهَا زِينَةً﴾ استدلَّ بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير؛ لكونه علل خَلَقَهَا بالركوب والزينة دون الأكل. ونَصَبُ ﴿زِينَةً﴾ على أنه مفعول من أجله، وهو معطوف على موضع ﴿لَتَرْكَبُوهَا﴾.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبارة على العموم؛ أي: أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها. وكلُّ مَنْ ذَكَرَ في هذه الآية شيئًا مخصوصًا فهو على وجه المثال.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قُضُ السَّبِيلِ﴾ أي: على الله تقويم طريق الهدى، بنصب الأدلة وبعث الرسل. والمراد بالسبيل هنا: الجنس، ومعنى القصد: القاصد الموصِل، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف.

﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ يعود على السبيل؛ إذ المراد به: الجنس، ومعنى الجائر: الخارج عن الصواب؛ أي: ومن الطريق جائر، كطريق اليهود والنصارى وغيرهم.





هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ  
 الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ ﴿٢﴾  
 وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالشُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
 لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِيفًا أَلْوَنَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿٤﴾  
 وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى  
 الْبُلُوكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ بَضَائِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾ \* وَالْفَيْ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي  
 أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦﴾ وَعَلَّمَتِ بِاللَّجِيمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٧﴾ أَقَمْنَ  
 يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ  
 رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا  
 وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١١﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾

﴿١﴾ «مَاءً لَكُمْ» يحتمل أن يتعلق «لَكُمْ» بـ «أَنْزَلَ»، أو يكون في موضع خبر لـ «شَرَابٌ»، أو صفة لـ «مَاءً».

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يعني: ما ينبت بالمطر<sup>(١)</sup> من الشجر.

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي: ترعون أنعامكم.

﴿١٣﴾ «وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ» يعني: الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك.

﴿مُخْتَلِيفًا أَلْوَنَ﴾ أي: أصنافه وأشكاله.

﴿١٥﴾ «لَحْمًا طَرِيًّا» يعني: الحوت.

﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الجواهر والمرجان.

﴿مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ جمع ماخرة، يقال: معّرت السفينة، والمخّر: شقّ الماء، وقيل: صوت جزي الفلك بالرياح.

(١) في أ، ب: «ما ينبت المطر».

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ بَضْلِهِ﴾ يعني: في التجارة، وهو معطوف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾.

﴿وَأَلْفَيْ فِي الْأَرْضِ رَوَّاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الرواسي: الجبال، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت، و﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ في موضع مفعول من أجله، والمعنى: أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد الأرض. وروي أن الله لما خلق الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: لا يستقر على ظهر هذه أحد، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَنْهَرَا﴾ قال ابن عطية: ﴿وَأَنْهَرَا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: وجعل أو خلق أنهارا، قال: وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن ﴿أَلْفَيْ﴾ أخص من «جعل» و«خلق»، ولو كانت ﴿أَلْفَيْ﴾ بمعنى «خلق» لم يحتج إلى هذا الإضمار<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَسَبَلَا﴾ يعني: الطرق.

﴿وَعَلَّمَتْ﴾ يعني: ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك، وهو معطوف على ﴿وَأَنْهَرَا وَسَبَلَا﴾. وقال ابن عطية: هو نصب على المصدر؛ أي: لعلكم تعتبرون وعلامات؛ أي: عبرة وإعلاما<sup>(٣)</sup>.

﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني: الاهتداء بالليل في الطرق، والنجم هنا: جنس، وقيل: المراد الثريا والفرقدان. فإن قيل: قوله: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مخرج عن سنن الخطاب، وقدم فيه النجم، كأنه يقول: وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون، فمن المراد بـ﴿هُمْ﴾؟  
فالجواب: أنه أراد قريشا؛ لأنهم كان لهم في الاهتداء بالنجوم في سيرهم علم لم يكن لغيرهم، وكان الاعتبار ألزم لهم فخصصوا. قال ذلك الزمخشري<sup>(٤)</sup>.

﴿أَقَمَّنْ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقْ﴾ تقرير يقتضي الرد على من عبد غير الله، وإنما عبر عنهم بـ«من» لأن فيهم من يعقل ومن لا يعقل، أو مشاكلة لقوله: ﴿أَقَمَّنْ يَخْلُقْ﴾.

(١) أخرجه الطبري (١٨٩/١٤) عن الحسن بن قيس بن عباد.

(٢) المحرر الوجيز (٣٣٨/٥).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣٣٩/٥).

(٤) انظر: الكشف (٩٥/٩-٩٦).

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعاً من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته، ولذلك أعقبها بقوله: ﴿أَبَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾. وفيها أيضاً تعداداً لنعمه على خلقه؛ ولذلك أعقبها بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَبُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر لكم التقصير في شكر نعمه.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ نفى عن الأصنام صفات الربوبية، وأثبت لهم أضدادها، وهي أنهم مخلوقون غير خالقين، وغير أحياء، وغير عالمين بوقت البعث، فلما قام البرهان على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده فقال: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

﴿أَمْ مَوْتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أي: لم تكن لهم حياة قط ولا تكون، وذلك أعرق في موتها ممن تقدمت له حياة ثم مات، ثم يعقب موته حياة.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ الضمير في ﴿يَشْعُرُونَ﴾ للأصنام، وفي ﴿يُبْعَثُونَ﴾ للكفار الذين عبدوهم، وقيل: إن الضميرين للكفار.



إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ بِالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٢﴾ لَا جَرَمَ  
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا  
أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ لِيُخِيلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ  
الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ يَغْيِرَ عَلَيْهِمْ سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿١٥﴾

﴿١٢﴾ «فُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ» أي: تنكر وحادانية الله تعالى وجل.

﴿١٣﴾ «لَا جَرَمَ» أي: لا بد، ولا شك. وقيل: إن «لا» نفى لما تقدم، و«جَرَمَ» معناه: وجب،  
أو حق، و«أَنَّ» فاعلة بـ«جَرَمَ».

﴿١٤﴾ «أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أي: ما سطره الأولون، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتب<sup>(١)</sup>  
تواريخ، وكان يقول: إنما يحدث محمد بأساطير الأولين، وحديثي أجمل من حديثه<sup>(٢)</sup>.  
و«مَآذَا» يجوز أن يكون: اسمًا واحدًا مركبًا من «ما» و«ذا»، ويكون منصوبًا بـ«أَنْزَلَ». أو  
أن تكون «ما» استفهامًا في موضع رفع بالابتداء، و«ذا» بمعنى الذي، وفي «أَنْزَلَ» ضمير  
محذوف.

﴿١٥﴾ «لِيُخِيلُوا أَوْزَارَهُمْ» اللام لام العاقبة والصيرورة؛ أي: قالوا أساطير الأولين، فأوجب  
ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم. ويحتمل أن تكون للأمر.  
«يَغْيِرَ عَلَيْهِمْ» حال: من المفعول في «يَضِلُّونَهُمْ»، أو من الفاعل.



(١) في أ، ب: «كتاب».

(٢) أخرجه الطبري (٣٩٩/١٧) عن عكرمة عن ابن عباس ؓ.

فَدَمَكَّرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِأَتَى اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ بِخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّفَفُ مِنْ بَوْنِهِمْ  
وَأَتَيْهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْفَيْتَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي  
الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ آوَوْا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَاذِبِينَ  
﴿١٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمَةِ أَنْفُسِهِمْ بِالْقَوَا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ  
﴿١٩﴾ \* وَفِيلٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ  
الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا  
مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِيهِ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ تَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ  
عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ  
أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ بَعَثَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ  
﴿٢٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَخَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٤﴾

﴿بَأْتَى اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ الآية؛ قيل: المراد بالذين من قبلهم: نمرود؛ فإنه بنى  
صرحاً ليصعد فيه إلى السماء بزعمه، فلما علا فيه فرسحين هدمه الله وخر سقفه عليه.  
وقيل: المراد بالذين من قبلهم: كل من كفر من الأمم المتقدمة، ونزلت به عقوبة الله،  
فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ توبيخ للمشركين، وأضاف الشركاء إلى نفسه؛ أي: على  
زعمكم ودعواكم، وفيه تهكم بهم.

﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ بِهِمْ﴾ أي: تعادون من أجلهم. فمن قرأ بكسر النون<sup>(١)</sup>: فالمفعول  
ضمير المتكلم، وهو الله عز وجل. ومن قرأ بفتحها: فالمفعول محذوف تقديره: تعادون  
المؤمنين من أجلهم.

(١) قرأ نافع بكسر النون، والباقون بفتحها.

﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْتَقُونَ مِنْهُمْ﴾ هم الأنبياء والعلماء من كل أمة، وقيل: يعني الملائكة، واللفظ أعم من ذلك.

﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ حال من الضمير المفعول في ﴿تَتَوَقَّيْهِمْ﴾.

﴿وَأَلْقُوا السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا للموت.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ أي: قالوا ذلك، ويحتمل قولهم لذلك: أن يكونوا قصدوا الكذب؛ اعتصامًا به، كقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٤]. أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم في أنفسهم، فلم يقصدوا الكذب، ولكنه كذب في نفس الأمر.

﴿بَلَىٰ﴾ من قول الملائكة للكفار؛ أي: قد كنتم تعملون السوء.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين؛ قابل ذلك بمقالة المؤمنين. فإن قيل: لم نصب جواب المؤمنين، وهو قولهم: ﴿خَيْرًا﴾، ورفع جواب الكافرين وهو ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؟

فالجواب: أن قولهم ﴿خَيْرًا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: أنزل خيرًا، ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله، وأما ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ فهو خبر ابتداء مضمر تقديره: هو أساطير الأولين، فلم يعترفوا بأن الله أنزله؛ فلا وجه لنصبه، ولو كان منصوبًا لكان الكلام متناقضًا؛ لأن قولهم: أساطير الأولين يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمر يقتضي التصديق بأن الله أنزله؛ لأن تقديره: أنزل.

فإن قيل: يلزم مثل هذا في الرفع؛ لأن تقديره: هو أساطير الأولين؛ فهو غير مطابق للسؤال الذي هو: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾؟ فالجواب: أنهم عدلوا بالجواب عن السؤال، فقالوا: هو أساطير الأولين، ولم ينزله الله.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ارتفع ﴿حَسَنَةٌ﴾ بالابتداء، و﴿لِلَّذِينَ﴾ خبره. والجملة بدل من ﴿خَيْرًا﴾، وتفسير للخير الذي قالوه. وقيل: هي استئناف كلام الله تعالى، لا من كلام الذين قالوا: ﴿خَيْرًا﴾.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بـ ﴿نِعْمَ﴾ ، فيكون: مبتدأ وخبره فيما قبله، أو خبر ابتداء مضمر. ويحتمل أن يكون مبتدأ، وخبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، أو مضمر تقديره: لهم جنات عدن.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير للكفار.

﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني: لقبض أرواحهم.

﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ يعني: قيام الساعة، أو العذاب في الدنيا.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾ أي: أصابهم جزاء سيئات ما عملوا.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون، وهذا تفسيره حيث وقع.



وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا  
 مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ بَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَهْلَ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٦﴾  
 وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ «عَبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ  
 وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ  
 ﴿٥٧﴾ إِنْ تَحْرِضْ عَلَى هُدْيِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٨﴾ \*وَأَفْسَنُوا  
 بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
 يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الْذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٦٠﴾  
 إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦١﴾

﴿٦٠﴾ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قالوا ذلك على وجه المجادلة  
 والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم؛ أي: إِنَّا فَعَلْنَا هُوَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ فَهُوَ صَوَابٌ، ولو  
 شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه. والرَّدُّ عليهم: بأن الله نهى عن الشرك، ولكنه قضاءه على من  
 يشاء من عباده. ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في الآخرة على وجه التمني؛ فإن «لو» تكون  
 للتمني، والمعنى على هذا: أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غير الله، ولم  
 يحرّموا ما أحلَّ الله من البحيرة وغيرها.

﴿٦١﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ قرئ بضم الياء من «يَهْدِي» وفتح الدال على البناء  
 للمفعول<sup>(١)</sup>؛ أي: لا يهدي غير الله مَنْ يُضِلُّهُ الله. وقرئ «يَهْدِي» بفتح الياء وكسر الدال،  
 والمعنى على هذا: لا يهدي الله من قضى بإضلاله.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ الضمير عائد على «مَنْ يُضِلُّ»؛ لأنه في معنى الجمع.

﴿بَلَى﴾ ردُّ على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت؛ أي: أنه يبعث.

(١) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بفتح الياء وكسر الدال، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الدال.



﴿لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ بِهِ﴾ اللام تتعلق بما دل عليه ﴿بَلَى﴾؛ أي: يبعثهم ليبين لهم، وهذا برهان على البعث؛ فإن الناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم، فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ الآية؛ برهان أيضاً على البعث؛ لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى.



وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرُ الْآخِرَةِ أَكْثَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ بِمَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ أَتَأْمِنُ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيهِمْ بِمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٠﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَقَّهُوا ظِلَّةٌ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٣﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوفِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ يعني: الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة؛ لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعد هذا. وقيل: نزلت في أبي جندل بن سهيل رضي الله عنه <sup>(١)</sup> وخبره مذكور في السير في قصة الحديبية، وهذا بعيد؛ لأن السورة نزلت قبل ذلك.

﴿لَنَبْوِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وعدُّ أن ينزلهم بقعةً حسنة، وهي المدينة التي استقرُّوا بها. وقيل: إن ﴿حَسَنَةً﴾ صفة لمصدر؛ أي: نبوئتهم تبوئةً حسنة. وقرئ «لَنُبْوِيَنَّهُمْ» <sup>(٢)</sup> بالشاء؛ من الشواء.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ وصفٌ للذين هاجروا، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتاً، أو على تقدير: هم الذين، أو أمدح الذين.

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ ردُّ على من استبعد أن يكون الرسول من البشر. ﴿بِمَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني: أحبار اليهود والنصارى؛ أي: لأن جميعهم يشهدون أن الرسول <sup>(٣)</sup> من البشر.

(١) أخرجه الطبري (١٨٩/١٤) وابن أبي حاتم (٢٢٨٣/٧) عن داود بن أبي هند.

(٢) هي قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود ونعيم بن مسرة والربيع بن خثيم رضي الله عنه. المحرر الوجيز (٣٥٦/٥).

(٣) في ج، هـ: «الرسل».

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ يتعلّق به ﴿أَرْسَلْنَا﴾ الذي في أول الآية على التقديم والتأخير في الكلام، أو به «أرسلنا» مضمراً، أو به «يُوجِي» ، أو به «تَعْلَمُونَ» .

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ يعني: القرآن.

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يحتمل أن يريد: لتبين القرآن بسرّك نصّه وتعليمه للناس، أو لتبين معانيه؛ بتفسير مشكله، فيدخل في هذا ما بيّنته السنة من الشريعة.

﴿أَقَامِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يعني: كفار قريش عند جمهور المفسرين. و«السَّيِّئَاتِ» تحتمل وجهين: أحدهما: أن يريد بها الأعمال السيئات؛ أي: المعاصي، فيكون ﴿مَكَرُوا﴾ يتضمن معنى: عملوا. والآخر: أن يريد: المكرات السيئات؛ أي: مكرهم بالنبي ﷺ؛ فيكون المكر على بابه.

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ يعني: في أسفارهم.

﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بمُفْلِتِينَ، حيث وقع.

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: على تنقّص؛ أي: ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئاً بعد شيء حتى يهلكوا، من غير أن يهلكهم جملة واحدة؛ ولهذا أشار بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءَوْفٌ رَحِيمٌ﴾؛ لأن الأخذ هكذا أخف من غيره، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشكل عليه معنى التخوُّف في الآية، حتى قال له رجل من هذيل: التخوف التنقص في لغتنا<sup>(١)</sup>.

والوجه الثاني: أنه من الخوف؛ أي: يهلك قومًا قبلهم، فيتخوفوا هم ذلك، فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه، وذلك خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُونَ ظِلَّهُ﴾ معنى الآية: اعتباراً بانتقال الظل، ويعني بقوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأجرام التي لها ظلال؛ من الجبال والشجر والحيوان وغير

(١) لم أقف عليه مسنداً، وذكره الثعلبي في تفسيره (١٩/٦) عن سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه الطبري في تفسيره (٢٣٦/١٤) وفي إسناده راو مجهول.

ذلك؛ وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلُّها إلى جهة، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى، ثم يمتدُّ الظل ويعمُّ بالليل إلى طلوع الشمس.

وقوله: ﴿يَتَقَبَّحُوا﴾ من الفيء؛ وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غُدُوَّةً، وقال رؤية بن العجاج: يقال بعد الزوال: ظلٌّ وفيء، ولا يقال قبله إلا: ظل، ففي لفظ: ﴿يَتَقَبَّحُوا﴾ هنا تجوُّزٌ مَّا؛ لوقوع الخصوص في موضع العموم؛ لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره، فوضع ﴿يَتَقَبَّحُوا﴾ موضع ينتقل أو يميل<sup>(١)</sup>. والضمير في ﴿ظِلَّالَهُ﴾ يعود على: ﴿مَا﴾، أو على ﴿شَيْءٍ﴾.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ يعني: عن الجانبين؛ أي: يرجع الظل من جانب إلى جانب، و﴿الْيَمِينِ﴾ بمعنى الأيمان، واستعار هنا الأيمان والشمائِل للأجرام؛ فإن اليمين والشمال إنما هما في الحقيقة للإنسان.

﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ حالٌ من الظَّلَال، وقال الزمخشري: حال من الضمير في ﴿ظِلَّالَهُ﴾، إذ هو بمعنى الجمع؛ لأنه يعود على قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>. فعلى الأول: يكون السجود من صفة الظَّلَال، وعلى الثاني: يكون من صفة الأجرام.

واختلَف في معنى هذا السجود: ف قيل: عبَّر به عن الخضوع والانقياد، وقيل: هو سجود حقيقة.

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: صاغرون، وجمع بالواو؛ لأن الدُّخُور من أوصاف العقلاء.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ يحتمل أن يكون ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ بيانًا لما في السماوات وما في الأرض معًا؛ لأن كل حيوان يصحُّ أن يوصف بأنه يدبُّ. ويحتمل أن يكون بيانًا لما في الأرض خاصة. وإنما قال: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ ليعم

(١) في أ، ب، جـه: «تنتقل أو تميل».

(٢) إعراب الزمخشري إنما هو لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾، وليس لقوله: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾، إذ قال في الكشف (١٢٨/٩): ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾: حالٌ من الظَّلَال، ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: حال من الضمير في ﴿ظِلَّالَهُ﴾، قال الطيبي في حاشيته على الكشف: «فالمعنى: ظلَّالهم ساجدة، وهم في أنفسهم متواضعون صاغرون، فيتفق الباطن مع الظاهر».

العقلاء وغيرهم، ولو قال: «من في السماوات» لم يدخل في ذلك غير العقلاء. قاله الزمخشري<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ إن كان قوله: «مِن دَابَّةٍ» بياناً لما في السماوات والأرض: فقد دخل الملائكة في ذلك، وكرر ذكرهم؛ تخصيصاً لهم بالذكر وتشريفاً. وإن كان «مِن دَابَّةٍ» لما في الأرض خاصة: فلم تدخل الملائكة في ذلك، فعطفهم على ما قبلهم.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ قُوَّتِهِمْ﴾ هذا إخبار عن الملائكة، وهو بيان نفي الاستكبار. ويحتمل أن يريد: فوقيّة القدر والعظمة، أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها. وقيل: معناه يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر: الكشاف (١٣١/٩).

(٢) [التعليق ٦٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن جرير: «هذا إخبار عن الملائكة، وهو بيان نفي الاستكبار...»، إلخ: أقول: قوله: «بيان نفي الاستكبار»، يريد: أن قوله: «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ» [النحل: ٥٠] تفسير لقوله: «وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» [النحل: ٤٩].

ثم تردّد - رحمه الله - وعفان عن - في توجيه قوله تعالى: «مِن قُوَّتِهِمْ» بين التفويض والتأويل: فقال: «ويحتمل أن يريد: فوقيّة القدر والعظمة»؛ وهذا تأويل. وقال: «أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها»؛ وهذا تفويض. وقال: «وقيل: معناه: يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم»؛ وهذا تأويل؛ لأنه صرف للفظ عن ظاهره، وهو في الحقيقة تحريف؛ لأنه لا دليل يدل عليه. ولجوء المؤلف في توجيه الآية إلى التفويض والتأويل، راجع إلى نفي الفوقيّة الحقيقيّة لله تعالى بذاته فوق جميع المخلوقات، وهو مذهب الأشاعرة؛ وعلى هذا: فالمؤلف يذهب مذهبهم. ومذهب أهل السنة: أن الله بذاته فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه.

\* وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيتَى قَارَهُبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا أَبْعَزَ اللَّهُ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ  
الضَّرُّ بِإِلَهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا بَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾  
لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَفْعَلُونَ نَصِيبًا مِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْمَا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا  
يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ  
مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾  
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْآغْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿٥١﴾ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِثْنَيْنِ ﴿٥١﴾ وَصَفَ ﴿إِلَهَيْنِ﴾ بـ ﴿إِثْنَيْنِ﴾ تأكيداً وبياناً للمعنى. وقيل: إن  
﴿إِثْنَيْنِ﴾ مفعول أول و ﴿إِلَهَيْنِ﴾ مفعول ثانٍ، فلا يكون في الكلام تأكيداً.

﴿فَإِيتَى قَارَهُبُونَ﴾ خرج من الغيبة إلى التكلم؛ لأن الغائب هو المتكلم، و ﴿فَإِيتَى﴾ مفعول  
بفعل مضمر، ولا يعمل فيه ﴿قَارَهُبُونَ﴾؛ لأنه قد أخذ معموله.

﴿وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا﴾ أي: واجباً وثابتاً، وقيل: دائماً. وانتصابه: على الحال من ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن تكون الواو: للاستئناف، أو للحال؛ فيكون  
الكلام متصلاً بما قبله؛ أي: كيف تتقون غير الله، وما بكم من نعمة فمنه وحده؟

﴿فَإِلَهِ تَجْتَرُونَ﴾ أي: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ اللام: لام الأمر على وجه التهديد؛ لقوله بعدها: ﴿فَتَمَتَّعُوا  
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فعلى هذا يبتدى بها. وقيل: هي لام العاقبة؛ فعلى هذا توصل بما قبلها؛  
لأنها في الأصل لام كي، وذلك بعيد في المعنى. والكفر هنا يحتمل أن يريد به: كفر النعم؛  
لقوله: ﴿بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾، أو كفر الجحود والشرك؛ لقوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ يريد التمتع في الدنيا، وذلك أمرٌ على وجه التهديد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ لكفار العرب؛ فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبًا من ذبائحهم وغيرها. والمراد بقوله: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأصنام، والضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للكفار؛ أي: لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة. وقيل: الضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للأصنام؛ أي: لأشياء غير عالمية، وهذا بعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ إشارة إلى قول الكفار: إن الملائكة بنات الله، ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَنَهُ﴾.

﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ المعنى: أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون؛ يعني بذلك: الذكور من الأولاد. وأما الإعراب: فيجوز أن يكون ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ مبتدأ، وخبره المجرور قبله. وأن يكون مفعولاً بفعل مضمر تقديره: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون. وأن يكون معطوفاً على ﴿الْبَنَاتِ﴾؛ على أن هذا يمنع البصريون؛ لأنه من باب: «ضربتني»<sup>(١)</sup>، وكان يلزم عندهم أن يقال: لأنفسهم.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ إخبار عن حال العرب في كراهتهم البنات. و ﴿ظَلَّ﴾ هنا يحتمل أن تكون: على بابها، أو بمعنى صار. والسواد: عبارة عن العبوس والغم، وقد يكون معه سواد حقيقة. و ﴿كَظِيمٌ﴾ قد ذكر في «يوسف»<sup>(٢)</sup>.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: يستخفي من أجل سوء ما بُشِّرَ به.

﴿أَيْمِسُّهُ عَلَىٰ هَوًى أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ المعنى: يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التي بُشِّرَ بها على هوان وذُلِّ لها، أو يدفنها في التراب حية، وهي المؤودة، وهذا معنى: ﴿يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾.

(١) بين أبو حيان قاعدة هذا الباب في البحر المحيط (٣٨٠/١٣) بقوله: «الفعل الرفع لضمير الاسم المتصل لا يتعدى إلى ضميره المتصل المنصوب، فلا يجوز: زيدٌ ضربه، تريد: ضرب نفسه، إلا في باب ظن وأخواتها من الأفعال القلبية، و(فَقَدَ)، و(عَدِمَ)، فيجوز: زيدٌ ظنه قائماً، وزيدٌ فقده، وزيدٌ عديمه. والضمير المجرور بالحرف كالممنصب المتصل، فلا يجوز: زيدٌ غضب عليه، تريد: غضب على نفسه، فعلى هذا الذي تقرّر لا يجوز النصب؛ إذ يكون التقدير: ويجعلون لهم ما يشتهون، فالواو ضميرٌ مرفوع، و(لهم) مجرور باللام، فهو نظير: زيد غضب عليه. ا.هـ. ولمزيد من الإيضاح انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي (٢٤٢/٧).

(٢) انظر تفسير الآية (٨٤).



﴿مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ أي: صفة السَّوِّءِ؛ من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفات الافتقار والنقص.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الوصف الأعلى؛ من الغنى عن كل شيء، والتزاهة عن صفات المخلوقين<sup>(١)</sup>.



(١) [التعليق ٦٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: كلام حق ليس فيه ما يحتاج إلى تعليق.



وَلَوْ يَوَاحِذُ اللَّهِ النَّاسَ يَظْلِمُهُمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى  
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ  
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرِطُونَ ﴿١٢﴾  
\*ثَالِثٌ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ بَرَزَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ بِهِمْ وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً  
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾

﴿١١﴾ «وَلَوْ يَوَاحِذُ» يعني: لو يعاقبهم في الدنيا.

«يَظْلِمُهُمْ» أي: بكفرهم ومعاصيهم.

«مَا تَرَكَ عَلَيْهَا» الضمير للأرض.

«مِن دَابَّةٍ» يعم<sup>(١)</sup> بني آدم وغيرهم، وهذا يقتضي أن تهلك الحيوانات بذنوب بني آدم، وقد ورد ذلك في الأثر<sup>(٢)</sup>. وقيل: يعني بني آدم خاصة.

﴿١٢﴾ «وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ» يعني: البنات.

«أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ» «أَنَّ» بدلٌ من «الْكَذِبِ». و«الْحُسْنَىٰ» هنا: قيل: هي الجنة، وقيل: ذكور الأولاد.

«وَأَنَّهُمْ مُّفْرِطُونَ» بكسر الراء والتخفيف<sup>(٣)</sup>: من الإفراط؛ أي: متجاوزون الحد في المعاصي. و«بفتح الراء والتخفيف»: من الفُرط أي معجلون إلى النار. وبكسر الراء

(١) في ج، د: «يعني».

(٢) أخرج الطبري (٢٦٠/١٤) عن أبي هريرة ؓ أنه سمع رجلاً وهو يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، قال: فالتفت إليه، فقال: «بلى، والله إن الجباري لتموت في وكرها هُزْلاً بظلم الظالم».

(٣) قرأ نافع بكسر الراء، وقرأ الباقر بفتحها، وقراءة السبعة جميعاً بتخفيف الراء، وقرأ أبو جعفر المدني بكسر الراء وتشديد هاء.

والتشديد: من التفريط.

- ﴿بِهِوَ وَلِيَّهُمُ الْيَوْمَ﴾ يحتمل أن يريد به ﴿الْيَوْمَ﴾: وقت نزول الآية، أو يوم القيامة.
- ﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على موضع ﴿لِتَّبَيِّنَ﴾، وانتصباً على أنهما مفعولٌ من أجلهما؛ أي: لأجل البيان والهدى والرحمة.



وَأَن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نَّسْفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا  
لِّلشَّارِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ  
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا  
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ  
خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَقَّعُكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكُنَّ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ  
اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

﴿١٦﴾ ﴿نَسْفِيكُمْ﴾ بفتح النون وضمها<sup>(١)</sup>: لغتان، يقال: سَقَى وأسَقَى.

﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ الضمير للأنعام، وإنما ذُكِّرَ لأنه مفرد بمعنى الجمع، كقولهم: ثوب أخلاق<sup>(٢)</sup>، أو لأنه اسم جنس. وإذا أنث فهو جمع نَعَم.

﴿مِن بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ﴾ الفرت: هو ما في الكرش من القدر، والمعنى: أن الله يخلق اللبن متوسطًا بين الفرت والدم يكتنفانه، ومع ذلك فلا يغيّران له لونًا ولا طعمًا ولا رائحة. و«من» في قوله: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ للتبعض، وفي قوله: ﴿مِن بَيْنِ قَرْنٍ﴾ لابتداء الغاية.

﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ يعني: سهلًا للشرب، حتى قيل: لم يَغْصَّ أحدٌ قطُّ باللبن<sup>(٣)</sup>.

﴿١٧﴾ ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره: نسقيكم من ثمرات النخيل والأعنان؛ أي: من عصيرها، ويدلُّ عليه ﴿نَسْفِيكُمْ﴾ الأول. أو يكون ﴿مِن ثَمَرَاتِ﴾ معطوفًا على ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾. أو يتعلق ﴿مِن ثَمَرَاتِ﴾ بـ ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، وكرّر

(١) قرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم بفتح النون، وقرأ الباقون بضمها.

(٢) أخلاق جمع خَلَقَ أي: بال، ضد الجديد، قال في تاج العروس (٢٥٠ / ٢٥٦): «يقال: ثوب أخلاق يصفون به الواحد: إذا كانت الخلقة فيه كله.. وقال الفراء: إنما قيل: ثوب أخلاق لأن الخلقة تنفسي فيه، فتكثر، فيصير كل قطعة منها خلقًا».

(٣) ذكره الطبري (٢٧٤ / ١٤). وقال في الدر المنثور (٦٨ / ٩): «أخرج ابن مردويه عن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي كبشة عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: ما شرب أحد لبنًا فشرّق، إن الله يقول: «لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ»».

﴿مِنَّةٌ﴾ تأكيداً. أو يكون ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ صفة لمحذوف تقديره: شيءٌ تتخذون.

﴿سَكْرًا﴾ يعني: الخمر، ونزل ذلك قبل تحريمها، فهي منسوخة بالتحريم. وقيل: إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التي في الخمر، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم، فلا نسخ. وقيل: السَّكْر: المائع من هاتين الشجرتين كالحَلِّ والرُّبِّ. والرزق الحسن: العنب والتمر والزبيب.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ﴾ الوحي هنا: بمعنى الإلهام؛ فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحى منام، ووحى إلهام.

﴿أَيَّ إِنْتِخِذٍ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿أَيَّ﴾ مفسرة للوحي الذي أوحى إلى النحل، وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع؛ إما في الجبال وكواها<sup>(١)</sup>، وإما في متجوف الأشجار، وإما فيما يعرش بنو آدم من الأجباح<sup>(٢)</sup> والحيطان ونحوها.

و«من» في المواضع الثلاثة للتبويض؛ لأن النحل إنما تتخذ بيوتاً في بعض الجبال، وبعض الشجر، وبعض الأماكن.

وعرش: معناه: هيئاً أو بنى، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ عطف ﴿كُلِي﴾ على ﴿إِنْتِخِذِي﴾، و«من» للتبويض؛ وذلك أنها إنما تأكل النوار<sup>(٣)</sup> من الأشجار. وقيل: المعنى: من كل الثمرات التي تشتهيها.

﴿بِاسْمِكَ سُبُلَ رَبِّكَ﴾ يعني: الطرق في الطيران<sup>(٤)</sup>، وأضافها إلى الرب؛ لأنها مملكه وخلقه.

﴿ذَلَّالًا﴾ أي: مطيعة منقادة، ويحتمل أن يكون حالاً من السبل، قال مجاهد: لم يتوَعَّر قطُّ على النحل طريق<sup>(٥)</sup>، أو حالاً من النحل؛ أي: منقادة لما أمرها الله به.

(١) في اللسان (١٠١/٢٠): «والكُوَّ والكُوَّة: الخَرَق في الحائط والثَّقب في البيت ونحوه.. وجمع الكُوَّة كِيَوَى بالقصر نادرٌ وكِوَاء بالمد، والكاف مكسورة فيهما».

(٢) الأجباح جمع جَبَج - مثلث الجيم -، وهو خلية العسل. القاموس المحيط.

(٣) النوار على وزن رُمَان: الزهر من الأشجار. القاموس المحيط.

(٤) في أ: «الغيران».

(٥) أخرجه الطبري (٢٨٧/١٤)، وابن أبي حاتم (٢٢٩٠/٧).

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني: العسل.

﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أي: منه أبيض وأصفر وأحمر.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل؛ لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل، كالمعاجن والأشربة النافعة من الأمراض، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يتداوى به من كل شيء <sup>(١)</sup>؛ فكانه أخذه على العموم، وعلى ذلك يدل الحديث عن النبي ﷺ أن رجلاً جاء إليه، فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلاً»، فذهب ثم رجع فقال: فقد سقيته فما نفع، قال: «فاذهب فاسقه عسلاً؛ فقد صدق الله وكذب بطن أخيك»، فسقاه فشفاه الله عز وجل <sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمَرِ﴾ أي: إلى أخسّه وأحقره، وهو الهرم. وقيل: حذّه خمسة وسبعون عامًا، وقيل: ثمانون، والصحيح: أنه لا ينحصر إلى مدة معينة، وأنه يختلف بحسب الناس.

﴿لَيْكِنَّا لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ اللام لام الصيرورة؛ أي: يصير إذا هرم لا يعلم شيئاً بعد أن كان يعلم قبل الهرم، وليس المراد نفي العلم بالكلية، بل ذلك عبارة عن قلة العلم؛ لغلبة النسيان. وقيل: المعنى لثلا يعلم زيادة على علمه شيئاً.



(١) أخرجه حميد بن زنجويه كما في الدر المنثور (٩/ ٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

﴿وَاللَّهُ بَصَلٌ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ بُضِلُوا بَرْآءَةٌ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ بِهِمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَقْبِنِعَةً لِلَّهِ يُخْجَدُونَ﴾ ٧٥ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنٌ وَحَقَّةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَقْبَالًا بَطِلَ يَوْمِنُونَ وَيَنْعَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ٧٦ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٧٧ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٧٨ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِرُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧٩ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدَهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٨٠

﴿وَاللَّهُ بَصَلٌ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ الآية؛ في معناها قولان:

أحدهما: أنها احتجاج على الوجدانية؛ كأنه يقول: أنتم لا تسوون بين أنفسكم وبين ممالككم في الرزق، ولا تجعلونهم شركاء لكم، فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي؟! والآخر: أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه؛ حتى يرد ما رزقه الله عليه، كما جاء في الحديث: «أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون»<sup>(١)</sup>. والأول أرجح.

﴿أَقْبِنِعَةً لِلَّهِ يُخْجَدُونَ﴾ الجحد هنا: على المعنى الأول: إشارة إلى الإشراف بالله، وعبادة غيره. وعلى المعنى الثاني: إشارة إلى بخس<sup>(٢)</sup> الممالك فيما يجب لهم من الإنفاق.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني: الزوجات. و﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ يحتمل: أن يريد: من نوعكم وعلى خلقكم. أو يريد: أن حواء خلقت من آدم ﷺ، وأسند ذلك إلى بني آدم لأنهم من ذريتهما.

﴿وَحَقَّةً﴾ جمع حافد، ابن عباس ﷺ: هم أولاد البنين<sup>(٣)</sup>، وقيل: الأصهار، وقيل: الخدم،

(١) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١) عن أبي ذر ﷺ.

(٢) في ج، د: «جنس».

(٣) أخرجه الطبري (٣٠١/١٤).

وقيل: البنات؛ لأن لفظ البنين المذكور لا يدل عليهن. والحفد<sup>(١)</sup> في اللغة: الخدمة.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية؛ توبيخ للكفار، ورد عليهم في عبادتهم للأصنام، وهي لا تملك لهم رزقاً. وانتصب ﴿رِزْقاً﴾؛ لأنه<sup>(٢)</sup> مفعول بـ ﴿يَنَالُكَ﴾، ويحتمل أن يكون: مصدرًا، أو اسمًا لما يُرَزَّق. فإن كان مصدرًا: فإعراب ﴿شَيْئاً﴾ مفعول به؛ لأن المصدر ينصب المفعول. وإن كان اسمًا: فإعراب ﴿شَيْئاً﴾ بدل منه.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الضمير عائد على ﴿مَا﴾؛ لأن المراد به الآلهة. ونفى الاستطاعة بعد نفي الملك؛ لأن نفيها أبلغ في الذم.

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ الآية؛ مثل لله تعالى وللأصنام، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك، ويده الرزق، ويتصرف فيه كيف يشاء، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام؟! وإنما قال: ﴿لَا يَفِيدُ عَلَى شَيْءٍ﴾؛ لأن بعض العبيد يقدر على بعض الأمور كالمكاتب والمأذون له.

﴿وَمِنْ رَزَقْنَاهُ﴾ «مَنْ» هنا نكرة موصوفة، والمراد بها: من هو حرٌّ قادر؛ كأنه قال: حرًّا رزقناه؛ ليطابق ﴿عَبْدًا﴾. ويحتمل أن تكون موصولة.

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي: هل يستوي العبيد والأحرار الذي ضرب بهم المثل؟!!

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكر لله على بيان هذا المثل ووضوح الحق.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: الكفار.

﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ الآية؛ مثل لله تعالى وللأصنام، كالذي قبله، والمقصود منهما: إبطال مذاهب المشركين، وإثبات الوحداية لله تعالى. وقيل: إن الرجل الأبكم: أبو جهل، والذي يأمر بالعدل: عمار بن ياسر رضي الله عنه. والأظهر: عدم التعيين. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلِيَةٍ﴾ الكلُّ: الثقل؛ يعني: أنه عيالٌ على وليه أو سيده، وهو مثالٌ للأصنام، والذي يأمر بالعدل: هو الله تعالى.

(١) في أ، ب، د: «والحفدة».

(٢) في ب، د: «على أنه».

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السِّنَّ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَبْيَدَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ \* أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُنْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْلًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَفِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَفِيكُم بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بيان لقدرة الله على إقامتها، وأن ذلك يسير عليه؛ كقوله: ﴿مَّا خَلَفَكُم وَلَا بَعْثَكُم إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٧]. وقيل: المراد سرعة إتيانها.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الأمهات: جمع أم، زيدت فيه الهاء؛ فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل. وقرئ: بضم الهمزة، وبكسرها<sup>(١)</sup>؛ إتباعا للكسرة قبلها.

﴿فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ أي: في الهواء البعيد من الأرض.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ السكن: مصدر يوصف به، وقيل: هو فَعَلَ بمعنى مفعول. ومعناه: ما يسكن فيه كاليوت، أو يسكن إليه.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ يعني: بيوت<sup>(٢)</sup> الأدم من القباب وغيرها. ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: تجدونها خفيفة.

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة - وقرأ حمزة بكسر الميم أيضا - وذلك في حال الوصل، وقرأ الباقون بضمها وصلا ووقفا.

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، د.



﴿يَوْمَ ظَعَنَ لَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ يعني: في السفر والحضر، واليوم هنا بمعنى الوقت، ويقال: ظعن الرجل: إذا رحل. وقرئ ﴿ظَعَنَكُمْ﴾ بفتح العين، وإسكانها<sup>(١)</sup>؛ تخفيفاً.

﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأُزْبَارِهَا وَأَشْجَارِهَا﴾ الأصواف: للغنم، والأوبار: للإبل، والأشعار: للمعز والبقر. ﴿أَثْنَاءَ﴾ الأثاث: متاع البيت من البسط وغيرها. وانتصابه: على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: جعل.

﴿وَمَتَّلَعًا إِلَى حِينٍ﴾ أي: إلى وقت غير معين، ويحتمل أن يريد: إلى أن تبلى وتفنى، أو إلى أن تموتوا.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًّا﴾ نعمة عددها الله عليهم بالظل؛ لأن الظل في بلادهم مطلوب محبوب؛ لشدة حرها، ويعني بما خلق: من الشجر وغيرها.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ الأكنان: جمع كن، وهو ما يقي من المطر والريح وغير ذلك، ويعني بذلك الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَفِيكُمُ الْحَرَّ﴾ السراويل: هي الثياب من القمص وغيرها. وذكر وقاية الحر ولم يذكر البرد؛ لأن وقاية الحر أهم عندهم؛ لحرارة بلادهم. وقيل: لأن ذكر أحدهما يغني عن ذكر الآخر.

﴿وَسَرَابِيلَ تَفِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ يعني: دروع<sup>(٢)</sup> الحديد.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إشارة إلى ما ذكر من النعم من أول السورة إلى هنا. والضمير في ﴿يَعْرِفُونَ﴾ للكفار، وإنكارهم لنعم الله: إشراكهم به وعبادة غيره. وقيل: ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ هنا: نبوة محمد ﷺ.



(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين، وقرأ الباقون بإسكانها.

(٢) في أ، ب، هـ: «درع».

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخَفُوا عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالُوا لِلَّهِمَّ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٨﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٩﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا بَقِيًّا أَلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٩٠﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَرَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: يشهد عليهم بإيمانهم أو كفرهم.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا يؤذن لهم في الاعتذار.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يسترضون، وهو من العتبي بمعنى الرضا.

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يحتمل أن يكون: بمعنى التأخير، أو بمعنى النظر؛ أي لا ينظر الله إليهم.

﴿قَالُوا لِلَّهِمَّ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ للمعبودين، والمعنى: أنهم كذبوهم في قولهم إنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم: ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَحْبُونَ﴾ [يونس: ٢٨]. فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب: أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم؛ فكان عبادتهم لم تكن عبادة. ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله، لا في العبادة.

﴿وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ﴾ أي: استسلموا له <sup>(١)</sup> وانقادوا.

﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا بَقِيًّا﴾ روي أن الزيادة في العذاب هي حيات وعقارب كالبعال تلسعهم <sup>(٢)</sup>.

(١) في أ، ب، هـ: إلى الله.

(٢) أخرجه الطبري (٣٣١/١٤)، وابن أبي حاتم (٢٢٩٧/٧) عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، قال: «إن لجهم جبابا فيها حيات أمثال البُخْت، وعقارب أمثال البغال الدُّهم».

\* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْفَيْصَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْهَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ وَأُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُخَوِّفَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ \* فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١١﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ يعني بالعدل: فِعْلُ الواجبات، وبالإحسان: المندوبات، وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين. قال ابن مسعود رضي الله عنه: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الإيتاء: مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك في العدل والإحسان، ولكنه جرّده بالذكر؛ اهتماماً به.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ قيل: يعني الزنا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ هو أعم من الفحشاء؛ لأنه يعم جميع المعاصي.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٧/١٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٠٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٨٩)، والحاكم (٣٣٥٨) وصححه ووافقه الذهبي

﴿وَالْبَغْيِ﴾ يعني: الظلم .

﴿وَلَا تَنْفُضُوا الْآيَمْنَ﴾ هذا في الأيمان التي في الوفاء بها خيرٌ، وأما ما كان تركه أولى فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه، كما جاء في الحديث<sup>(١)</sup>. أو تكون الأيمان هنا: ما يحلفه الإنسان في حق غيره، أو معاهدة لغيره.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَهَيْلًا﴾ أي: رقيبًا ومتكفلًا بوفائكم بالعهد. وقيل: إن هذه الآية نزلت في بيعة النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وقيل: فيما كان بين العرب من حلف في الجاهلية<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَضَتْ غَزَلَهَا﴾ شبه الله من يحلف ولا يفي بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلًا قويًا ثم تنفضه. ويروى أنه كانت بمكة امرأة حمقاء تسمى رَيْطَةَ بنت سعد، كانت تفعل ذلك<sup>(٤)</sup>، وبها وقع التشبيه. وقيل: إنما شبه بامرأة غير معينة.

﴿أَنْكُثًا﴾ جمع نَكَثَ، وهو ما يُنْكَثُ؛ أي: ينقض، وانتصابه على الحال.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ الدَّخَلُ: الدَّغْلُ، وهو قِصْدُ الخديعة.

﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ «أَنْ» في موضع المفعول من أجله؛ أي: بسبب أن تكون أمة. ومعنى «أَرْبَى»: أكثر عددًا، أو أقوى. ونزلت الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت الأولى وحالفت الثانية<sup>(٥)</sup>. وقيل: الإشارة بالأرْبَى هنا<sup>(٦)</sup>: إلى كفار قريش؛ إذ كانوا حيثُذ أكثر من المسلمين.

﴿إِنَّمَا يَبْتَلُواكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ الضمير للأمر بالوفاء، أو لكون أمة هي أربى من أمة؛ فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أو لا.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢) عن عبد الرحمن بن سمرة ؓ.

(٢) أخرجه الطبري (٣٣٨/١٤)، وابن أبي حاتم (٢٢٩٩/٧) عن مزينة بن جابر.

(٣) أخرجه الطبري (٣٣٩/١٤) عن مجاهد.

(٤) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٤٨٤/٢)، أن اسمها: رَيْطَةُ بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة.

وأخرج ابن أبي حاتم (٢٣٠٠/٧) عن أبي بكر بن حفص أن اسمها سعيذة الأسدية.

(٥) أخرجه الطبري (٣٤٠/١٤) عن ابن زيد.

(٦) في أ، ب، ج، هـ: «منها».

﴿بَتَرْلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استعارة في الرجوع عن الخير إلى الشر، وإنما أفرد القدم ونكرها؛ لاستعظام الزل في قدم واحدة، فكيف في أقدام كثيرة؟!

﴿وَتَذُقُوا السَّوَةَ﴾ يعني: في الدنيا.

﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يدل على أن الآية فيمن بايع النبي ﷺ.

﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا ضَلِيلًا﴾ الثمن القليل: عرض الدنيا، وهذا نهى لمن بايع النبي ﷺ أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار، ورجائه الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ أي: يفنى.

﴿وَلَنَحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ يعني: في الدنيا؛ فقال ابن عباس ؓ: هي الرزق الحلال<sup>(١)</sup>، وقيل: هي القناعة. وقيل: هي حياة الآخرة.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ظاهر اللفظ: أن يستعاذ بعد القراءة؛ لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقد شد قوم فأخذوا بذلك. وجمهور الأمة: على أن الاستعاذة قبل القراءة، وتأويل الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعد، أو: إذا أخذت في قراءة القرآن فاستعد بالله.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ليس له عليهم سبيل، ولا يقدر على إضلالهم.

﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ أي: يتخذونه وليًا.

﴿يَهٗ مُشْرِكُونَ﴾ الضمير لإبليس، والباء سببية.



(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٥٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠).

وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِي وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٥٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥٤﴾ إِنَّمَا يُفْتَرِے الْكَذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٥٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ اضْطُرَّ فَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَمِلُونَ ﴿١٥٨﴾ لَا جَزَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٥٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٠﴾

﴿١٥١﴾ ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ التبديل هنا: النسخ، كان الكفار إذا نُسخت آية، يقولون: هذا افتراء، ولو كان من عند الله لم يبدل.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ﴾ جملة اعتراض بين الشرط وجوابه، وفيها ردٌّ على الكفار؛ أي: الله أعلم بما يصلح للعباد في وقت، ثم ما يصلح لهم بعد ذلك.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني: جبريل ﷺ.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: مع الحق في أوامره ونواهيه وأخباره. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾: بمعنى حقًا، أو بمعنى أنه واجب النزول.

﴿أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ كان بمكة غلام أعجمي اسمه يعيش<sup>(١)</sup>، وقيل: كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار، فكان النبي ﷺ يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قريش: هذان يعلمان محمدًا<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (١٤ / ٣٦٥) عن عكرمة.

(٢) أخرجه الطبري (١٤ / ٣٦٧) عن عبد الله بن مسلم الحضرمي، وصححه ابن حجر في الإصابة (٧ / ٤٦).

﴿لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي﴾ اللسان هنا: بمعنى اللغة والكلام. و﴿يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد: إذا مال، وقرئ بفتح الياء<sup>(١)</sup>، من لحد، وهما بمعنى. وهذا ردٌ عليهم بأن الشخص الذي أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمي اللسان؛ وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة فلا يمكن أن يأتي به أعجمي. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ هذا في حق من علم الله منه أنه لا يؤمن، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]، فاللفظ عام يراد به الخصوص، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٦٥] الآية. وقال ابن عطية: المعنى: إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله، ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخر؛ تهتمًا بتقبيح أفعالهم<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ردٌ على قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾؛ يعني: إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن؛ لأنه لا يخاف الله، وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله؛ أي: هم الذين عادتهم الكذب؛ لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي. ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ الآية؛ «مَنْ» شرطية في موضع رفع بالابتداء، وكذلك «مَنْ» في قوله: ﴿مَنْ شَرَحَ﴾؛ لأنه تخصيص من الأول. وقوله: ﴿فَعَلَيْنَهُمْ غَضَبٌ﴾: جواب على الأولى والثانية؛ لأنهما بمعنى واحد. أو يكون جوابًا للثانية، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية. وقيل: ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ بدل: من ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أو من المبتدأ في قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، أو من الخبر.

﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ استثناء من قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ﴾، وذلك أن قومًا ارتدوا عن الإسلام، فنزلت فيهم الآية، وكان فيهم من أكرهه على الكفر فنطق بكلمة الكفر وهو يعتقد الإيمان<sup>(٣)</sup>؛

(١) قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء والحاء، وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤١٠/٥).

(٣) أخرجه الطبري (٣٧٨/١٤)، وابن أبي حاتم (٢٣٠٤/٧) عن مجاهد، ولفظه: نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض أصحاب النبي ﷺ بالمدينة: أن هاجروا، فإننا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنوهم وكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية.

منهم: عمار بن ياسر، وصهيب، وبلال رضي الله عنهم؛ فعذرهم الله، روي: أن عمار بن ياسر رضي الله عنه شكى إلى رسول الله ﷺ ما صنّع به من العذاب وما سامح به من القول، فقال له رسول الله ﷺ: «كيف تجد قلبك؟» قال: أجده مطمئنًا بالإيمان، قال: «فأجبههم بلسانك؛ فإنه لا يضرّك»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحكم فيمن أكره على النطق بالكفر. وأما الإكراه على فعلٍ هو كفر، كالسجود لصنم؛ فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟ فأجازه الجمهور، ومنعه قوم.

وكذلك قال مالك<sup>(٢)</sup>: لا يلزم المكره يمينٌ، ولا طلاق، ولا عتق، ولا شيء فيما بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من حقوق الناس، ولا تجوز له الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الإشارة إلى العذاب، والباء للتعليل، فعُلِّلَ عذابهم بعلتين: إحداهما: إيثارهم الحياة الدنيا، والأخرى: أن الله لا يهديهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّوْا قِرَاءَةَ الْجُمُهورِ﴾ ﴿بَيَّنَّوْا﴾ بضم الفاء؛ أي: عذّبوا، فالآية - على هذا - في عمار رضي الله عنه وشبهه من المعدّين على الإسلام. وقرأ ابن عامر بفتح الفاء؛ أي: عذّبوا المسلمين؛ فالآية على هذا فيمن عذّب المسلمين، ثم هاجر وجاهد، كالحضرمي<sup>(٣)</sup> وأشباهه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كرّر ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ تأكيدًا، والضمير في ﴿بَعْدِهَا﴾ يعود على الأفعال المذكورة؛ وهي: الهجرة، والجهاد، والصبر.



(١) أخرجه الطبري في (٣٧٤/١٤)، وابن أبي حاتم (٢٣٠٤/٧)، والحاكم (٣٣٦٢) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٦٨٩٦)، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، وفيه: فقال النبي ﷺ: «فإن عادوا فعد»، وليس: «فأجبههم بلسانك؛ فإنه لا يضرّك»، وقال ابن حجر في الفتح (٣١٢/١٢): «وهو مرسل، ورجاله ثقات».

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٤٩/٢٢)، (٤٧٩/٢٧).

(٣) هو عامر بن الحضرمي، وكان يعذّب غلامه جبرًا ويكرهه على الكفر، وهو الغلام الأعجمي النصراني الذي كانوا يزعمون أنه يعلم محمدًا ﷺ، ثم أسلم الحضرمي. انظر: الكشاف (٢٠٦/٩)، والإصابة (٤٩٧/٥).



\*يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ بِأَذَانِهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١١﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ بِكَذِّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٢﴾ بَكَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١١٣﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالذَّمَّ وَاللَّحْمَ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٥﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا فَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٨﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أَوْ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: اذْكُرْ، وَهَذَا أَظْهَرُ. ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ النَفْسُ هُنَا: بِمَعْنَى الْجُمْلَةِ؛ كَقَوْلِكَ: إِنْسَانٌ. وَالنَفْسُ فِي قَوْلِهِ ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ بِمَعْنَى الذَّاتِ الْمَعِينَةِ الَّتِي تَقِيضُهَا الْغَيْرُ؛ أَيْ: تَجَادُلُ عَنْ ذَاتِهَا لَا عَنْ غَيْرِهَا، فَهِيَ كَقَوْلِكَ جَاءَ زَيْدٌ نَفْسُهُ وَعَيْنُهُ.

﴿تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ أَيْ: تَحْتَجُّ وَتَعْتَذِرُ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ وَلَا يُودَّنُ لَهُمْ بَيَعْتِيزُونَ؟ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْحَالَ مُخْتَلَفٌ بِاخْتِلَافِ الْمَوَاطِنِ وَالْأَشْخَاصِ.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ الْآيَةُ؛ قِيلَ: إِنَّ الْقَرْيَةَ الْمَذْكُورَةَ مَكَّةُ، كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي: بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَصَابَهُمُ الْجَدْبُ وَالْخَوْفُ مِنْ غَزْوِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّمَا قَصِدَ قَرْيَةً غَيْرَ مَعِينَةَ أَصَابَهَا ذَلِكَ، فَضَرَبَ اللَّهُ بِهَا مَثَلًا لِمَكَّةَ<sup>(١)</sup>، وَهَذَا أَظْهَرُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ وَعِظَ أَهْلَ مَكَّةَ بِمَا جَرَى لِغَيْرِهِمْ. وَالضَّمَائِرُ فِي قَوْلِهِ:

(١) لَمْ تَرُدْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي أ، ب، هـ.

﴿كَفَرَتْ﴾ و﴿أَذَافَهَا﴾ يراد بها أهل القرية؛ بدليل قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿بِأَذَافَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ الإذاقة واللباس هنا مستعاران. أما الإذاقة فقد كثر استعمالها في البلايا حتى صارت كالحقيقة. وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف؛ لاشتغالهما على اللباس، ومباشرتهما له كمباشرة الثوب.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ إن كان المراد بالقرية مكة: فالرسول هنا: محمد ﷺ، والعذاب الذي أخذهم: القحط وغيره. وإن كانت القرية غير معينة: فالرسول: من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما، والعذاب: ما أصابهم من الهلاك.

﴿بَكُلُوا﴾ وما بعده مذكور في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ هذه الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرّموا أشياء كالبحيرة وغيرها مما ذكر في سورة «المائدة» و«الأنعام»، ثم يدخل فيها كل من قال: هذا حلال أو حرام بغير علم. وانتصب «الْكَذِبَ» بـ﴿لَا تَقُولُوا﴾، ويكون قوله: ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ بدلاً من «الْكَذِبَ»، و«ما» في قوله: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾ موصولة<sup>(٢)</sup>. ويجوز أن ينتصب «الْكَذِبَ» بقوله: ﴿تَصِفُ﴾، وتكون «ما» على هذا مصدرية، ويكون قوله: ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ معمول<sup>(٣)</sup> بـ﴿لَا تَقُولُوا﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ يعني: عيشهم في الدنيا، وانتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني قوله في «الأنعام»: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧] إلى آخر الآية، فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود؛ ليُعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراءٌ على الله، كما فعلت العرب.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ هذه الآية تأنيسٌ لجميع الناس وفتح باب التوبة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (١٧١) وما بعدها.

(٢) أي: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرم. الكشاف (٩/ ٢١٤).

(٣) في هـ: «مفعول».

(٤) أي: ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب، أي: لا تحرّموا ولا تحلّوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم، لا لأجل حجة وبينة. الكشاف (٩/ ٢١٥).

(٥) في ج: «للتوبة».

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣١﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَيْهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَآتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٣﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ ابْتَغِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٤﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيُخْخِمْ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٣٥﴾ أَذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَافُوا بِمِثْلِ مَا عُوفِيتُمْ بِهِ وَلَيْسَ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٣٧﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلٰىلٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه كان وحده أمةً من الأمم؛ لكمالهِ وجمعه لصفات الخير، كقول الشاعر:

وليس لله<sup>(١)</sup> بمســـــــــــــــــتنكر  
أن يجمع العالم في واحد<sup>(٢)</sup>

والآخر: أن يكون أمة بمعنى إمام، كقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٣]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: والأمة معلّم الناس الخير<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر معنى القانت<sup>(٤)</sup> والحنيف<sup>(٥)</sup>.

﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني: لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه. وقيل: يعني المال والأولاد.

﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من أهل الجنة.

(١) في ب، ج، د، هـ: «وليس على الله»، والمثبت موافق لما في الديوان.

(٢) البيت لأبي نواس الحسن بن هانئ، كما في ديوانه (ص: ٢١٨).

(٣) أخرجه الطبري في (١٤ / ٣٩٤)، وابن أبي حاتم (٧ / ٢٣٠٦)، والحاكم (٣٣٦٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) انظر: المقدمة في اللغات مادة (٤٦٠).

(٥) انظر: المقدمة في اللغات مادة (١٣١).

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفى عنه الشرك؛ لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أمر موسى ﷺ بني إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصاً للعبادة، فرضي بعضهم بذلك، وقال أكثرهم: بل يكون يوم السبت، فالزمهم الله يوم السبت، فاختلفهم فيه: هو ما ذكر، والسبت على هذا: هو اليوم. وقيل: اختلفهم فيه: هو أن منهم من حرّم الصيد فيه، ومنهم من أحله، فعاقبهم الله بالمسخ قردة، فالمعنى: إنما جعل وبال السبت<sup>(١)</sup> على الذين اختلفوا فيه، والسبت على هذا: مصدر من سبت: إذا عظم يوم السبت. قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup>. وتقتضي الآية: أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم ﷺ.

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ المراد بالسبيل هنا: الإسلام. والحكمة: هي الكلام الذي يظهر صوابه. والموعظة: هي الترغيب والترهيب. والجدال: هو الرد على المخالف. وهذه الأشياء الثلاثة يسميها أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدل<sup>(٣)</sup>. وهذا الآية تقتضي مهادة تسخت بالسيف. وقيل: إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطّف والرفق غير منسوخ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار. وأما العصاة فهي في حقهم مُحْكَمَةٌ إلى يوم القيامة باتفاق.

﴿وَأَنْ عَاقِبْتُمْ بَعَافِيُوا بِمِثْلِ مَا عُوبِئْتُمْ بِهِ﴾ المعنى: إن صنيع بكم صنيع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ. ويحتمل أن يكون ﴿عَاقِبْتُمْ﴾ بمعنى: أصبتم عُقْبَى؛ كقوله في «المنتحنة»: ﴿بَعَافِئْتُمْ﴾ [المنتحنة: ١١]، بمعنى: غنمتم، فيكون في الكلام تجنيس. وقال الجمهور: إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب ﷺ، لما بقر المشركون بطنه يوم أحد قال

(١) أي: وبال ترك تعظيم السبت. حاشية الطيبي على الكشاف (٢٢٣/٩).

(٢) انظر: الكشاف (٢٢٣/٩).

(٣) في أ، ب: «والجدال».

النبي ﷺ: «والله لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم»، فنزلت الآية، فكفر النبي ﷺ عن يمينه، وترك ما أراد من المثلة<sup>(١)</sup>. ولا خلاف أن المثلة حرام، وقد وردت الأحاديث بذلك؛ ويقتضي ذلك أنها مدنية.

ويحتمل أن تكون الآية عامة، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال، وتكون على هذا مكية كسائر السورة. واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم اتّمن الظالم المظلوم على مال، هل يجوز له خيانتة في القدر الذي ظلمه؟ فأجاز ذلك قوم؛ لظاهر الآية. ومنعه مالك<sup>(٢)</sup>؛ لقوله ﷺ: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»<sup>(٣)</sup>.

«وَلَيْسَ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» هذا ندبٌ إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك؛ فإن العقوبة مباحة، وتركها أفضل، والضمير راجع إلى الصبر. ويحتمل أن يراد بالصابرين هنا: العموم، أو يراد به المخاطبون؛ كأنه قال: خير لكم.

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ هذا عزمٌ على النبي ﷺ في خاصّته على الصبر، ويروى أنه قال لأصحابه: «أما أنا فأصبر كما أمرت، فماذا تصنعون؟» قالوا: نصبر كما نُدبنا<sup>(٤)</sup>. ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله. وقد قيل: إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فُعل مثلها بحمزة ﷺ، فذلك غير منسوخ.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسّف لكفرهم.

(١) أخرجه ابن المنذر (٤٤٧/٢)، والطبراني في الكبير (٢٩٣٧)، والبزار في مسنده (٩٥٣٠)، والحاكم (٤٨٩٤) وسكت عنه، عن أبي هريرة ؓ، وضعفه الذهبي، وابن كثير في تفسيره (٦١٤/٤)، وابن حجر في الفتح (٣٧١/٧).

(٢) وأحمد في المشهور من مذهبه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥٤٠/٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي (١٢٦٤) وقال: «حسن غريب»، وأبو داود (٣٥٣٥)، والحاكم (٢٢٩٦) وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة ؓ.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢٨٨/٣)، وابن المنذر والطبراني، وابن مردويه - كما في الدر (٩/١٣٥) - عن ابن عباس ؓ بلفظ: فقال رسول الله ﷺ: «بل نصبر يا رب»، ويتقوى هذا الطريق بالطرق الأخرى كما قال في الفتح (٣٧٢/٧).

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمُكِّرُونَ﴾ أي: لا يضيق<sup>(١)</sup> صدرك بمكرهم، والضَّيْق - بفتح الضاد - تخفيف من ضَيَّقَ، كَمِيتٌ ومِيتٌ. وقرئ بالكسر<sup>(٢)</sup>، وهو مصدر. ويجوز أن يكون الضَّيْق والضَّيْق مصدرين.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يريد أنه معهم بمعونته ونصره.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ الإحسان هنا: يَحْتَمِلُ أن يراد به: فعل الحسنات، أو المعنى الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه»<sup>(٣)</sup> وهذا هو الأظهر؛ لأنه رتبة فوق التقوى.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «لا يضيق»

(٢) قرأ ابن كثير بكسر الضاد، والباقون بالفتح.

(٣) تقدم تخريجه.

## سورة الإسراء

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا  
 حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِنشَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى  
 لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا  
 شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا  
 كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ  
 الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ  
 وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ  
 وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا  
 تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِن عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾  
 إِنَّ هَٰذَا الْفَرْعَ أَن يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ  
 لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ معنى «سُبْحَنَ» تنزيه، وهو مصدر غير متصرف.

وأسرى وسرى: لغتان، وهو فعل غير متعد. واختار ابن عطية أن يكون «أسرى» هنا متعدياً؛ أي: أسرى الملائكة بعبد<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد. والعبد هنا: هو نبينا محمد ﷺ، وإنما وصفه بالعبودية؛ تشريفاً له وتقريباً.

«لَيْلًا» إن قيل: ما فائدة قوله: «لَيْلًا» مع أن السرى هو السير بالليل؟ فالجواب: أنه أراد بقوله: «لَيْلًا» بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٣٤).

أربعين ليلة، وذلك أبلغ في الأعجوبة.

﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ يعني بالمسجد الحرام: مسجد مكة المحيط بالكعبة، وقد روي في الحديث أنه ﷺ قال: «بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل...»<sup>(١)</sup>. وقيل: كان النبي ﷺ ليلة الإسراء في بيته، فالمسجد الحرام على هذا: مكة؛ أي: بلد المسجد الحرام. وأما المسجد الأقصى: فهو بيت المقدس الذي بإيلياء، وسُمِّيَ الأقصى؛ لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد. ويحتمل أن يريد بـ﴿الْأَقْصَا﴾: الأبعد؛ فيكون المقصد إظهار العَجَب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة.

واختلف العلماء في كيفية الإسراء: فقال الجمهور: كان بجسد النبي ﷺ وروحه. وقال قوم: كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حق.

فحجة الجمهور: أنه لو كان منامًا لم تنكره قريش، ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفار، ألا ترى قول أم هانئ له: لا تخبر بذلك فيكذبك قومك؟<sup>(٢)</sup> وحجة من قال: إن الإسراء كان منامًا: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وإنما يقال الرؤيا في المنام، ويقال فيما يُرى بالعين: رؤية، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «بينما أنا بين النائم واليقظان..» وذكر الإسراء<sup>(٣)</sup>، وقال في آخر الحديث: «فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام...»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، ولفظه: «بينما أنا في الحطيم - وربما قال: في الحجر - مضطجعًا، إذ أتاني آت...».

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٣٢/٢٤ - ٤٣٣)، وفي إسناده متروك كذاب كما قال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) عن قتادة عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة.

(٤) هذا اللفظ ليس من حديث قتادة، وإنما هو من رواية بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس، أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) ولم يسق لفظ شريك، وإنما قال: «وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئا وآخر، وزاد ونقص»، قال عبد الحق الإشبيلي في الجمع بين الصحيحين (١/ ٢٢٩): «هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس، وقد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بالفاظ غير معروفة، وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين، كمثل ابن شهاب، =



وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال: إن الإسراء كان مرتين: إحداهما: بالجسد، والأخرى: بالروح، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس، وهو الذي أنكرته قريش، وأن الإسراء بالروح كان إلى السماوات السبع، ليلة فرضت الصلوات الخمس، ولقي الأنبياء في السماوات<sup>(١)</sup>.

﴿أَلَيْسَ بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صفة للمسجد الأقصى، والبركة حوله بوجهين: أحدهما: ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء. والآخر: كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خصَّ الله بها الشام.

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي: لنري محمدًا ﷺ تلك الليلة من العجائب، فإنه رأى السماوات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء، وكلمه الله تعالى حسبما ورد في أحاديث الإسراء، وهي في مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا.

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ يحتمل أن يعود الضمير: على ﴿الْكَتَبِ﴾، أو على ﴿مُوسَى﴾.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ أي: ربًّا تكلِّون إليه أمركم. و«أن» يحتمل أن تكون: مصدرية، أو مفسرة.

= وثابت البناني، وفتادة، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث، والأحاديث التي تقدّمت قبل هذا هي الأحاديث المعوّل عليها. وانظر: زاد المعاد، ط: الرسالة (٣/ ٣٨)، والفتح لابن حجر (١٣/ ٤٨٤-٤٨٥).

(١) [التعليق ٦٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: اقتصر المؤلف ﷺ على ذكر اختلاف العلماء في الإسراء؛ هل كان بروحه ﷻ، أو بجسده، أو بروحه وجسده معًا، وهل كان يقظة أو منامًا، وذكر بعض الوجوه من أدلة المختلفين، ولم ينص على الصواب في ذلك، وإن كان يظهر من سياق كلامه أنه يميل إلى أن الإسراء كان بروحه ﷻ وجسده، وأنه كان يقظة لا منامًا، وهذا هو الحق، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبِيدِهِ، لَيْسَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ والعبد اسم للروح والبدن جميعًا، وحكى المؤلف ﷺ قول من جمع بين الأدلة بأن الإسراء كان مرتين، فكان مرة يقظة ومرة منامًا، وأقره، أي: لم يضعفه، وهو قول ضعيف عند المحققين من أهل العلم؛ إذ يمتنع في حكمة الله أن يفرض سبحانه الصلوات خمسين على النبي وأمه، ثم يخففها إلى خمس، ثم يفرضها خمسين مرة أخرى، ثم يخففها، وهذا لازم القول بتعدد الإسراء والمعراج. والله أعلم.

﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ منادى، وفي ندائهم بذلك تَلَطَّفٌ وتذكير بنعمة. وقيل: هو مفعول ﴿تَتَّخِذُوا﴾<sup>(١)</sup>، ويتعين معنى ذلك على قراءة مَنْ قرأ ﴿يَتَّخِذُوا﴾ بالياء<sup>(٢)</sup>. ويعني بـ ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: أولاده الثلاثة؛ وهم: سامٌ وحامٌ ويافثٌ، ونساءهم، ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أي: كثير الشكر، كان يحمد الله على كل حال، وهذا تعليل لما تقدم؛ أي: كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح ﷺ.

﴿وَفَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ قيل: إن ﴿فَضَيْنَا﴾ هنا بمعنى: أعلمنا وأخبرنا، كما قيل في: ﴿وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]، والكتاب على هذا: التوراة. وقيل: قضينا: من القضاء والقدر، والكتاب على هذا: اللوح المحفوظ الذي كُتبت فيه مقادير الأشياء، و«إلى» بمعنى على.

﴿بِالتَّبْسِئِ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ هذه الجملة بيانٌ للمقضي، وهي في موضع جواب ﴿فَضَيْنَا﴾ إذا كان من القضاء والقدر؛ لأنه جرى مجرى القسم. وإن كان بمعنى أعلمنا: فهو جواب قسم محذوف، تقديره: والله لتفسدن، والجملة في موضع معمول ﴿فَضَيْنَا﴾. والمرتان المشار إليهما: إحداهما: قتل زكريا، والأخرى: قتل يحيى ﷺ.

﴿وَلَتَعْلَنَّ عَلَوًا كَبِيرًا﴾ من العلو، وهو الكبر<sup>(٣)</sup> والتجبر.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ معناه: أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم عبادًا له؛ لينتقم منهم على أيديهم. واختلف في هؤلاء العبيد: فقيل: جالوت وجنوده، وقيل: بُحْتُ نَصْر<sup>(٤)</sup> ملك بابل.

(١) ويكون المعنى: أن لا تتخذوا بشرًا إلها من دون الله. المحرر الوجيز (٤٣٩/٥).

(٢) قرأ أبو عمرو بالياء، والباقون بالتاء.

(٣) في ب: «التكبر».

(٤) انظر التعليق عند تفسير الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.

﴿فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ﴾ أي: تردّدوا بينها بالفساد، روي أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المساجد وسبّوا منهم سبعين ألفاً<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الدّولة والغلبة على الذين بُعثوا عليكم، ويعني: رجوع الملك إلى بني إسرائيل، واستنقاذ أسراهم، وقتل بخت نصر. وقيل: قتل داود لجالوت. ﴿أَكْثَرَ نَهِيراً﴾ أي: أكثر عدداً، وهو مصدرٌ من قولك: نفر الرجل: إذا خرج مسرعاً، أو جمع نفر.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ الأول: بمعنى: فعل الحسنات، والثاني: بمعنى الإحسان، كقولك: أحسنتُ إلى فلان، ففيه تجنيسٌ، واللام فيه بمعنى «إلى»، وكذلك اللام في قوله: ﴿وَأَنْ أَسْأْتُمْ بَلَهًا﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ﴾ يعني: إذا أفسدوا في المرة الآخرة، بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم، فـ﴿الْآخِرَةِ﴾ صفة للمرة. ومعنى ﴿لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ﴾: يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء كقوله: ﴿سَيَبُتُّ وَجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٨]. واللام: لام كي، وهي تتعلّق بـ«بعثنا» المحذوف؛ لدلالة الأول عليه. وقيل: هي لام الأمر. ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني: بيت المقدس.

﴿وَلِيَتَبَرَّأُوا﴾ من التّبار، وهو الإهلاك وشدة الفساد.

﴿مَا عَلَّمُوا﴾ مفعول «يَتَبَرَّأُوا»؛ أي: يهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد. وقيل: إن «مَا» ظرفية؛ أي: يفسدوا مدّة علوّهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ خطابٌ لبني إسرائيل، ومعناه: ترجيةٌ لهم بالرحمة إن تابوا بعد المرة الثانية.

(١) هكذا ذكره الزمخشري في الكشاف (٩/ ٢٤٧). ولم أقف على من قال بهذا التحديد، وفي تفاصيل ما جرى لهم روايات كثيرة مختلفة، أخرجها الطبري (١٤/ ٤٥٦-٥٠٥)، وأخرج الطبري (١٤/ ٥٠٣) عن ابن زيد قال: «كانت الآخرة أشد من الأولى بكثير، فإن الأولى كانت هزيمة فقط، والآخرة كان التدمير، وأحرق بخت نصر التوراة حتى لم يترك منها حرفاً واحداً، وخرّب المسجد».



﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾ خطاب -أيضاً- لبني إسرائيل؛ أي: إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى عقابكم، وقد عادوا؛ فبعث الله عليهم محمداً ﷺ وأمته يقتلونهم ويذللونهم إلى يوم القيامة.

﴿حَصِيرًا﴾ أي: سجنًا، وهو من الحَصْر. وقيل: أراد به ما يفرش ويبسط، كالحصير المعروف.

﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي: الطريقة والحالة التي هي أقوم. وقيل: يعني لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك.



\* وَيَذْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ  
 آيَاتَيْنِ لِمَا حَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّيَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ  
 السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿٢﴾ وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَّزِمَتَهُ طَبِيرُهُ مِن عُنْفَيْهِ  
 وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿٣﴾ إِفْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ  
 عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ  
 وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً  
 أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَفُوا بِهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن  
 الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٧﴾ مَّن كَانَ يَرِيدُ  
 الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿٨﴾  
 وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿٩﴾  
 كَلَّا تُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِن عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿١٠﴾ انْظُرْ  
 كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا ﴿١١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ  
 اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿١٢﴾

﴿١﴾ وَيَذْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ المعنى: ذمَّ وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وأنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير في وقت التثبيت<sup>(١)</sup>. وقيل: إن الآية نزلت في الضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، وقد تقدّم أن الصحيح في قائلها أنه أبو جهل<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ الإنسان هنا وفي الذي قبله: اسم جنس. وقيل: يعني هنا آدم، وهو بعيد.

(١) في ب، هـ: «التثبيت».

(٢) انظر سورة الأنفال، آية (٣٢).

﴿بَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار كقولك: مسجد الجامع؛ أي: الآية التي هي الليل، والآية التي هي النهار، ومحو آية الليل على هذا: كونه مظلماً. والوجه الثاني: أن يراد بآية الليل القمر، وآية النهار الشمس، ومحو آية الليل على هذا: كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس.

﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ يحتمل أن يريد: النهار بنفسه، أو الشمس. ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ تبصر فيها الأشياء.

﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لتوصلوا بضوء النهار إلى التصرف في معاشكم، ولتعلموا - باختلاف الليل والنهار، أو بمسير الشمس والقمر - عدد السنين وحساب الأشهر والأيام.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ بِصَلَتِهِ تَفْصِيلًا﴾ انتصب ﴿كُلُّ﴾ بفعل مضمر، والتفصيل: البيان.

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَّزِمَتَهُ ظَنِيرَةٌ فِيْ غَنَفِهِ﴾ انتصب ﴿كُلُّ﴾ بفعل مضمر، والظائر هنا: العمل، والمعنى: أن عمله لازم له. وقيل: ﴿ظَنِيرَةٌ﴾ ما قُدِّرَ عليه وله من خير وشر، والمعنى على هذا: أن كل ما يلقي الإنسان قد سبق به القضاء، وإنما عبّر عن ذلك بالظائر؛ لأن العرب كانت عاداتها التيمُّن والتشاؤم بالطير. وقوله: ﴿فِيْ غَنَفِهِ﴾ أي: هو كالقِلادة أو الغُلّ، لا ينفك عنه.

﴿كِتَابًا يَلْفِيهِ مَنَشُورًا﴾ يعني: صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات.

﴿إِفْرَأْ كِتَابَكَ﴾ تقديره: يقال له: اقرأ.

﴿حَسِيبًا﴾ أي: محاسبًا، أو من الحساب؛ بمعنى العدد.

﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ معناه حيث وقع: لا يؤخذ أحدٌ بذنب أحد، والوزر في اللغة: الثقل والحمل، ويراد به هنا: الذنوب. ومعنى ﴿تَزِرْ﴾ تحمل، و﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: وزر نفسٍ أخرى.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ قيل: إن هذا في حكم الدنيا؛ أي: أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم. وقيل: هو عام في الدنيا والآخرة، وأن الله لا يعذب في الآخرة قوماً إلا وقد أرسل إليهم رسولاً فكفروا به وعصوه، ويدل على ذلك قوله: ﴿كَلَّمَآ أَلْفَيْ بَيْهَا فَوَجَّ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهُآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (الملك: ٨ - ٩)، ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات.

واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع، لا من مجرد العقل.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ في تأويل ﴿أَمَرْنَا﴾ هنا ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون في الكلام حذف تقديره: أمرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا وفسقوا. والثاني: أن يكون ﴿أَمَرْنَا﴾ عبارة عن القضاء عليهم بالفسق؛ أي: قضينا عليهم ففسقوا<sup>(١)</sup>. والثالث: أن يكون ﴿أَمَرْنَا﴾ بمعنى كثرنا، واختاره أبو علي الفارسي. وأما على قراءة ﴿أَمَرْنَا﴾ بمد الهمزة<sup>(٢)</sup> فهو بمعنى كثرنا.

وأما على قراءة «أَمَرْنَا» بتشديد الميم<sup>(٣)</sup> فهو من الإمارة؛ أي: جعلناهم أمراء ففسقوا. والمترف: الغني المتنعم بالدنيا.

﴿بَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ﴾ أي: القضاء الذي قضاه الله.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ الْقُرُونِ﴾ مئة سنة، وقيل: أربعون.

﴿مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْغَاجِلَةَ﴾ الآية في الكفار الذين يريدون الدنيا، ولا يؤمنون بالآخرة، على أن لفظها أعم من ذلك. والمعنى: أنهم يعجل الله لهم حظاً من الدنيا بقبدين: أحدهما: تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله. والآخر: تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله، و﴿لَمَنْ تُرِيدُ﴾ بدل من ﴿لَهُ﴾، وهو بدل بعض من كل.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٤).

(٢) هي قراءة يعقوب.

(٣) قرأ بها ابن عباس ؓ وأبو عثمان النهدي، وأبو العالية، ورويت عن علي ؓ. المحرر الوجيز (٥/ ٤٥٣)

﴿مَذْخُورًا﴾ أي: مبعَّدًا، أو مهانًا.

﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي: عمل لها عملها.

﴿كَلَّا نُمِدُّ﴾ انتصب ﴿كَلَّا﴾ بـ ﴿نُمِدُّ﴾، وهو من المَدَد، ومعناه: نزيدهم من عطائنا.

﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾ بدل من ﴿كَلَّا﴾، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين.

﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ يعني: رزق الدنيا. وقيل: من الطاعات لمن أراد الآخرة، ومن

المعاصي لمن أراد الدنيا. والأول أظهر.

﴿مَخْظُورًا﴾ أي: ممنوعًا.

﴿بَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: في رزق الدنيا.

﴿لَا تَجْعَلْ﴾ خطابٌ لواحد، والمراد به جميع الخلق؛ لأن المخاطب غير معين.

﴿مَذْمُومًا﴾ أي: يذمه الله وخيار عباده.

﴿مَخْذُولًا﴾ أي: غير منصور.





\* وَفَضِّلِي رَبِّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١﴾ وَخَبِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ إِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٣﴾ وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَسِيرُ وَالنَّاسِ السَّبِيلُ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٥﴾ وَإِنَّمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ إِنْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّنْسُورًا ﴿٦﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٨﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُونُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ بَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿١١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿١٢﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُم وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٣﴾ \* وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١٤﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿١٥﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿١٦﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْجَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْفَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٧﴾ أَفَأَصْبَحْكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا لَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿١٨﴾

﴿وَفَضِّلِي رَبِّكَ﴾ أي: حكم والزم وأوجب. أو أمر، ويدل على ذلك ما في مصحف ابن مسعود ﷺ: «ووصي ربك» <sup>(١)</sup>.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ «أن» مفسرة، أو مصدرية على تقدير: بأن لا تعبدوا.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤٩).

﴿وَمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» المؤكدة، وجوابها: ﴿بَلَّا تَقُلْ لَهُمَا أَقْبَ﴾. والمعنى: الوصية ببر الوالدين إذا كبراً، أو كبر أحدهما، وإنما خصَّ حالة الكبر؛ لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بمؤنتهما؛ لضعفهما. ومعنى ﴿عِنْدَكَ﴾ أي: في بيتك وتحت كنفك.

﴿أَقْبَ﴾ حيث وقعت: اسم فعل، معناها: قولٌ مكروه يقال عند الضجر ونحوه، وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولئ وأحرئ أن لا يقال لهما ما فوق ذلك. ويجوز في «أَقْبَ» الكسر والفتح والضم، وهي حركات بناء، وأما تنوينها فهو للتنكير<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ من الانتهاز؛ وهو الإغلاظ في القول.

﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ استعارة في معنى التواضع لهما والرفق بهما، فهو كقوله: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وأضافه إلى الذل مبالغة في المعنى؛ كأنه قال: الجناح الذليل. و«من» في قوله: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ للتعليل؛ أي: من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما.

﴿الْأَوَّابِينَ﴾ قيل: معناه الصالحين، وقيل: المسبِّحين، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع؛ فحقيقته: الراجعين إلى الله.

﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ خطابٌ لجميع الناس بصلة قرابتهم والإحسان إليهم. وقيل: هو خطاب خاص بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته حَقَّهُم من بيت المال. والأول أرجح.

﴿وَمَا تُعْرِضَنَّ﴾ الآية؛ معناها: إن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيههم؛ فقل لهم كلاماً حسناً، وكان النبي ﷺ إذا سأل أحد فلم يكن عنده ما

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ نافع وحفص عن عاصم بكسر الفاء منونة، وقرأ الباكون بالكسر من غير تنوين. وأما القراءة بضم الفاء فهي في الشاذ، قرأ بها أبو السَّمَّال. المحرر الوجيز (٤٦٢/٥).

يعطيه أعرض عنه، حياة منه<sup>(١)</sup>، فأمر بحسن القول مع ذلك، وهو أن يقول: رزقكم الله أو أعطاكم الله وشبه ذلك. والميسور: مشتق من اليسر.

﴿إِنِّيغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ مفعول من أجله، يحتمل: أن يتعلق بقوله: ﴿وَأَمَّا تُغْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ والمعنى على هذا: أنه يعرض عنهم انتظاراً لرزق يأتيه، فيعطيه إياهم، فالرحمة على هذا: هو ما يرجيه من الرزق. أو يتعلق بقوله: ﴿بَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّنْ سُورَةٍ﴾؛ أي: ابتغ رحمة ربك بقول ميسور، والرحمة على هذا: هي الأجر والثواب.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ استعارة في معنى: غاية البخل؛ كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء<sup>(٢)</sup>، وشدَّت إلى عنقه.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ استعارة في معنى: غاية الجود، فنهى الله عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما، كقوله: ﴿إِذَا أَنْقَضُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿مَلُومًا﴾ أي: يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك. أو يلومك من يستحقُّ العطاء؛ لأنك لم تترك ما تعطيه. أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء.

﴿مَخْسُورًا﴾ أي: مُنْقَطِعًا بك لا شيء عندك، وهو من قولهم: حَسِرَ السَّفَرُ البعير: إذا أتعبه حتى لم تبق له قوة<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء؛ فلا تهتم بما تراه من ذلك؛ فإن الله أعلم بمصالح عباده.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٢٧٠): «غريب، ويقرب منه ما رواه ابن حبان في صحيحه (٤٨٣٦)، والحاكم في مستدركه (٢٥٩١) في الجهاد من حديث أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت». اهـ. وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وأخرجه -أيضاً- أحمد في مسنده (١٣٩٧٥)، وابن أبي شيبة (٣٨١٥٤)، وليس فيه أنه سبب نزول الآية، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٣٢٥/٧) عن السدي، وذكر أن الآية نزلت بسبب ذلك.

(٢) في ب: «العطاء».

(٣) في ب، هـ: «يُتَبَقِّ له قوة».

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ ذُكِرَ فِي «الْأَنْعَام»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الْحَقُّ الْمَوْجِبُ لِقَتْلِ النَّفْسِ: هُوَ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثَ: كُفْرٍ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنَا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ أُخْرَى»<sup>(٢)</sup>. وَتَتَّصِلُ<sup>(٣)</sup> بِهَذِهِ الْأَشْيَاءُ أُشْيَاءٌ أُخْرَى؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَاهَا، كَالْحِرَابَةِ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَمَنْعِ الزَّكَاةِ.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾ الْمَظْلُومُ هُنَا: مَنْ قُتِلَ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَالْوَلِيُّ: هُوَ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ وَسَائِرُ الْعَصَبَةِ، وَلَيْسَ النِّسَاءُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عِنْدَ مَالِكٍ<sup>(٤)</sup>. وَالسُّلْطَانُ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ لَهُ: هُوَ الْقَصَاصُ، أَوْ تَخْيِيرُهُ<sup>(٥)</sup> بَيْنَ الْعَفْوِ وَالْقَصَاصِ.

﴿بَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ﴾ نَهَى عَنْ أَنْ يُسْرِفَ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ؛ بِأَنْ يَقْتُلَ غَيْرَ قَاتِلِ وَلِيهِ، أَوْ يَقْتُلَ اثْنَيْنِ بَوَاحِدٍ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ التَّعْدِي. وَقُرِئَ «بَلَا تُسْرِفَ» بِالتَّاءِ<sup>(٦)</sup>؛ خُطَابًا لِلْقَاتِلِ، أَوْ لَوَلِيِّ الْمَقْتُولِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ الضَّمِيرُ: لِلْمَقْتُولِ، أَوْ لَوَلِيهِ، وَنَصْرُهُ: هُوَ الْقَصَاصُ.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ ذُكِرَ فِي «الْأَنْعَام»<sup>(٧)</sup>. قَالَ بَعْضُهُمْ<sup>(٨)</sup>: «لَا تَقْرَبُوا» وَ«لَا تَقْتُلُوا» مَعْطُوفَاتٌ عَلَى «أَلَّا تَعْبُدُوا»<sup>(٩)</sup>. وَالظَّاهِرُ: أَنَّهَا مَجْزُومَاتٌ بِالنَّهْيِ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدَهَا:

(١) انظر تفسير الآية (١٥٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في أ، ب، هـ: «وتتصل».

(٤) خلافاً لأبي حنيفة والشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٥٢/٢٥).

(٥) في أ، ب، هـ: «وتخيره».

(٦) قرأ حمزة والكسائي بالتاء، وقرأ الباقون بالياء.

(٧) انظر تفسير الآية (١٥٣).

(٨) قاله الطبري في تفسيره (٥٧٧/١٤).

(٩) في ج زيادة: «وذلك خطأ»، ولم ترد في شيء من النسخ الأخرى، ويظهر أنها زيادة مقحمة؛ بدليل أن ابن جزي وجّه هذا الإعراب كما سيأتي قريباً.

﴿وَلَا تَقْفُ﴾ «وَلَا تَمْنِشْ». ويصحُّ أن تكون معطوفات إذا جعلنا «أَلَّا تَعْبُدُوا» مجزوماً على النهي، و«أن» مفسرة.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ عامٌّ في العهود مع الله، ومع الناس.

﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون من معنى<sup>(١)</sup> الطلب؛ أي: يُطلب الوفاء به. والثاني: أن يكون المعنى: يُسأل عنه يوم القيامة، هل وفى به أم لا.

﴿وَزِنُوا بِالْقُسْطَاسِ﴾ قيل: القسطاس الميزان، وقيل: العدل. وقرئ بكسر القاف<sup>(٢)</sup>، وهي لغة.

﴿وَأَحْسَنَ تَاوِيلًا﴾ أي: أحسن عاقبة ومآلاً، وهو من آل: إذا رجع.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ المعنى: لا تقل ما لا تعلم من ذمِّ الناس وشبه ذلك، واللفظ مشتق من قَفَوْتُهُ: إذا اتَّبَعْتَهُ.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ «أُولَئِكَ» إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد، وإنما عاملها معاملة العقلاء في الإشارة بـ«أُولَئِكَ»؛ لأنها حواس لها إدراك.

والضمير في «عَنْهُ» يعود على «كُلِّ»، ويتعلَّق «عَنْهُ» بـ«مَسْئُولًا»، والمعنى: أن الإنسان يُسأل عن سمعه وبصره وفؤاده. وقيل: الضمير يعود على: «مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»، والمعنى على هذا: أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تُسأل عما ليس لها به علم، وهذا بعيد.

﴿وَلَا تَمْنِشْ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ المَرَح: الخيلاء والكِبَر في المشية، وقيل: هو إفراط السرور بالدنيا. وإعرابه: مصدر في موضع الحال.

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أي: لن تجعل فيها خَرْقًا بمشيك عليها، والخَرْق هو: القطع. وقيل: معناه: لا تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي.

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بكسر القاف، وقرأ الباقون بضمها.

والمراد بذلك: تعليل النهي عن الكبر والخيلاء؛ أي: إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض، ولا على مطاولة الجبال؛ فكيف تتكبر وتختال في مشيك؟! وإنما الواجب عليك التواضع.

﴿٢٨﴾ ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات، والمكروه هنا: بمعنى الحرام، لا على اصطلاح الفقهاء في أن المكروه دون الحرام. وإعراب ﴿مَكْرُوهًا﴾: نعت لـ ﴿سَيِّئَةً﴾، أو بدلٌ منها، أو خبر ثانٍ لـ ﴿كَانَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿أَفَأَصْطَفَيْكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ خطابٌ على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، والمعنى: كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات؟! ومعنى ﴿أَصْطَفَيْكُمْ﴾: خصَّكم.

﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾ أي: عظيم النكر والشناعة.



وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ سُبْحَتَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٣﴾ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوُاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿١٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَقًا إِنَّا لَنَمْعُوثُونَ خَلْفًا جَدِيدًا ﴿١٩﴾ \* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا ﴿٢٠﴾ أَوْ خَلْفًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ دَ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٢﴾

﴿١١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ هذا احتجاج على الوجدانية، وفي معناه قولان: أحدهما: أن المعنى: لو كان مع الله آلهة لابتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته، فيكونون<sup>(١)</sup> من جملة عباده. والآخر: لابتغوا سبيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته في قدرته، ومعلوم أن ذلك لم يكن؛ فلا إله إلا هو.

﴿١٢﴾ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾ الآية؛ اختلف في كيفية هذا التسبيح: فقيل: هو تسبيح بلسان الحال؛ أي: بما تدلُّ عليه صنعته من قدرته وحكمته. وقيل: إنه تسبيح حقيقة، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

﴿١٤﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ في معناه قولان: أحدهما: أن الله أخبر نبيه ﷺ أنه يستره من الكفار إذا أرادوا به شرًا، ويحميه<sup>(٢)</sup> منهم. والآخر: أنه

(١) في ب: «فيكون».

(٢) في ج، د: «ويحميه».

يحجب<sup>(١)</sup> الكفار عن فهم القرآن، وهذا أرجح؛ لما بعده.

والمستور هنا: قيل: معناه مستور عن أعين الخلق؛ لأنه من لطف الله وكفايته، فهو من المغيبات، وقيل: معناه ساتراً.

﴿أَكِنَّةٌ﴾ جمع كَنَانٍ؛ وهو الغطاء، و﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن يفقهوه، وهذه كلها استعارات في إضلالهم.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدانية الله تعالى قرَّ المشركون عن ذلك؛ لما فيه من رفض آلهتهم وذمها. و﴿تُبْوراً﴾ مصدر في موضع الحال.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء، والضمير في ﴿بِهِ﴾ عائذ على «ما»؛ أي: نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء.

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ أي: جماعة يتناجون، أو هم ذو نجوى، والنجوى: كلام السر.

﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ قيل: معناه جُنَّ فُسُحْرٍ، وقيل: معناه ساحر. وقيل: هو من السحر - بفتح السين -؛ وهو الرثة؛ أي: بشراً ذا سحر مثلكم، وهذا بعيد.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي: مثلك بالساحر، والشاعر، والمجنون. ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الحق.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى؛ ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وأصحابه من الكفار<sup>(٢)</sup>.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَقًا﴾ الآية؛ معناها: إنكارهم للبعث، واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقاً جديداً بعد فنائهم. والرُّفَات: الذي بَلِي حتى صار غباراً وفتاتاً. وقد ذُكر في «الرعد» اختلاف القراء في الاستفهامين<sup>(٣)</sup>.

(١) في ب، هـ: «حجب».

(٢) أخرجه الطبري (١٤ / ٦١٣) وابن أبي حاتم (٧ / ٢٣٣٣) عن مجاهد.

(٣) انظر تفسير الآية (٦).



﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ المعنى: لو كنتم حجارة أو حديدًا لقدّرنا على بعثكم وإحيائكم، مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التي في الحياة؛ فأولئى وأحرى أن نبعث أجسادكم ونحيي عظامكم البالية، فذكر الحجارة والحديد تنبيهًا بهما على ما هو أسهل في الحياة منهما. ومعنى قوله: ﴿كُونُوا﴾ أي: كونوا في الوهم والتقدير، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم في ذلك.

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قيل: يعني السماوات والأرض والجبال. وقيل: بل أحوال على فكرتهم عمومًا في كل ما هو كبير عندهم؛ أي: لو كنتم حجارة أو حديدًا أو شيئًا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة؛ لقدّرنا على بعثكم.

﴿بَسِيفَتُهُمْ يَلَيُّكَ رُءُوسُهُمْ﴾ أي: يحرّكونها تحريك المستبعد للشيء، أو المستهزئ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ أي: متى يكون البعث.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ الدعاء هنا: عبارة عن البعث بالنفخ في الصور<sup>(١)</sup>. والاستجابة: عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين. و﴿بِحَمْدِهِ﴾ في موضع الحال؛ أي: حامدين له، وقيل: معنى ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بأمره.

﴿وَتَقُولُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: لبثتم في الدنيا، أو في القبور.



(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٤).

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ  
 عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٦﴾ رَبُّكُمْ أَغْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْجُمَكُمْ أَوْ لَنْ يَشَأْ يَعَذِّبَكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ  
 عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ أَغْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ بَضَلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ  
 عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٨﴾ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ  
 كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَخْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ  
 أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٦٠﴾ وَإِنْ  
 مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْتَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي  
 الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦١﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ  
 النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيبًا ﴿٦٢﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ  
 بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ  
 وَنَحْوَهُمْ بِمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٣﴾

﴿٥٦﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ العباد هنا: المؤمنون؛ أمرهم أن يقول بعضهم  
 لبعض كلامًا لنا طيبًا. وقيل: أن يقولوه للمشركين، ثم نسخ ذلك بالسيف. وإعراب  
 ﴿يَقُولُوا﴾ كقوله: ﴿يُفِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] في «إبراهيم»، وقد ذكر.

﴿٥٧﴾ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ قِيلَ: يعني الملائكة، وقيل: عيسى وأمه وعُزَيْرًا<sup>(١)</sup>،  
 وقيل: نفر من الجن كان العرب يعبدونهم. والمعنى: أنهم لا يقدرُونَ على كشف الضرر  
 عنكم، فكيف تعبدونهم؟!

﴿٥٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ المعنى: أن أولئك الآلهة الذين  
 تدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله، ويرجون، ويخافونه، فكيف تعبدونهم معه؟!  
 وإعراب ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ صفة له، و﴿يَبْتَغُونَ﴾ خبره، والفاعل في

(١) في ج، د: «وعزير» بالمنع من الصرف، وهو مختلف في صرفه ومنعه من الصرف، كما سبق كلام ابن جزي  
 عنه في سورة التوبة.

﴿يَدْعُونَ﴾ ضمير للكفار<sup>(١)</sup>، وفي ﴿يَبْتَغُونَ﴾ للآلهة<sup>(٢)</sup> المعبودين. وقيل: إن الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ و﴿يَبْتَغُونَ﴾ للأنبياء المذكورين قبل في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾. و﴿الْوَسِيلَةَ﴾ هي ما يتوسل به ويتقرب.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من الضمير في ﴿يَبْتَغُونَ﴾؛ أي: يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم، فكيف بغيره؟ أو ضمن ﴿يَبْتَغُونَ﴾ معنى «يحرصون»؛ فكأنه قال: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله بالاجتهاد في طاعته. ويحتمل أن يكون المعنى: أنهم يتوسلون بأيهم أقرب إلى الله. ﴿مَخْذُورًا﴾ من الحذر؛ وهو الخوف.

﴿وَإِنْ مِّنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْصَةِ﴾ يحتمل هذا الكلام وجهين: أحدهما: أن يكون بالموت والقضاء الذي لا بد منه. والآخر: أن يكون بأمر من الله يأخذ<sup>(٣)</sup> المدينة دفعة فيهلكها، وهذا أظهر؛ لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به.

والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هو في الحقيقة لأهل القرى؛ أي: مهلكو أهلها أو معذبوهم. وروي: أن هلاك مكة بالحبشة، والمدينة بالجوع، والكوفة بالترك، والأندلس بالخييل<sup>(٤)</sup>.

وسئل الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير عن غرناطة، فقال: قد أصابها العذاب يوم قتل الموحدين بها في ثورة ابن هود<sup>(٥)</sup>، وأما هلاك قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغيرها فأخذ الروم لها.

(١) في ج، د: «الكفار» بدون لفظة «ضمير».

(٢) في ب، ج: «الآلهة».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «بأخذ».

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٢٠/٩) عن مقاتل أنه وجده في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها، وقال ابن عطية (٥٠٠/٥): «وحكى النقاش أنه وجد في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسير هذه الآية استقراء البلاد المعروفة اليوم، وذكر لهلاك كل قطر منها صفة، ثم ذكر نحو ذلك عن وهب بن منبه فذكر فيه أن هلاك الأندلس وخرابها يكون بسنابك الخيل واختلاف الجيوش فيها، وتركت سائرها لعدم الصحة في ذلك».

(٥) هو محمد بن يوسف بن محمد ابن هود الجذامي، من أعقاب بني هود الجذاميين ملوك سرقسطة أيام الطوائف بالأندلس، ثار على دولة الموحدين بالأندلس سنة ٦٢٥ هـ لما ضعف أمرهم وكثرت الفتن في أقطار المغرب، ودخل إلى بلنسية وبايعه أهل شاطبة وجيان وقرطبة وإشبيلية وسبتة وغرناطة وغيرها، =

﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ الآيات هنا يراد بها: التي يقترحها الكفار، فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكتهم الله. وسبب الآية: أن قريشاً اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا بها فيهلكوا<sup>(١)</sup>، وعبر بالمنع عن ترك ذلك.

﴿وَأَنْ تُرْسِلَ﴾ في موضع نصب، و﴿أَنْ كَذَّبَ﴾ في موضع رفع. ثم ذكر ناقة ثمود تنبيهاً على ذلك؛ لأنهم اقترحوها فكانت<sup>(٢)</sup> سبب هلاكهم. ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾: بينة واضحة الدلالة.

﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ إن أراد بالآيات هنا المقترحة: فالمعنى: أنه يرسل بها تخويفاً من العذاب العاجل، وهو الإهلاك. وإن أراد المعجزات غير المقترحة: فالمعنى: أنه يرسل بها تخويفاً من عذاب الآخرة؛ ليراها الكافر فيؤمن. وقيل: المراد بالآيات هنا الزلازل والرعد والكسوف وغير ذلك من المخاوف.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ المعنى: اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش؛ يعني: بشركناك بقتلهم يوم بدر، وذلك قوله: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، وإنما قال: ﴿أَحَاطَ﴾ بلفظ الماضي وهو لم يقع؛ لتحقيقه<sup>(٣)</sup> وصحة وقوعه بعد. وقيل: المعنى: أحاط بالناس في منعك وحياطتك منهم، كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَغْصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [الناس: ٦٩].

= وتسمى بأمير المسلمين، وخطب للخليفة العباسي المستنصر، ووصل إليه كتاب الخليفة العباسي من بغداد سنة ٦٣١ هـ بالراية والخلع والعهد، ولقبه المتوكل، ومات سنة ٦٣٥ هـ ودفن بمرسية، قال فيه صاحب المغرب في حلى المغرب: «وكان عامياً جاهلاً مشتوماً على الأندلس، كأنما كان عقوبة لأهلها، فيه زويرة محاسنها، وطوي بساطها، ونثر سلكها». انظر أخباره في: المغرب في حلى المغرب لأبي الحسن الأندلسي (٢/ ٢٥١)، وتاريخ ابن خلدون (٤/ ٢١٥)، ودولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان (٤/ ٣٩١).

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٣٥)، وأحمد (٢٣٣٣)، والنسائي في الكبرى (١١٢٢٦)، والحاكم (٣٣٧٩) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عباس ؓ.

(٢) في أ، ب، هـ: «وكانت».

(٣) في ب: «لتحققه».

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي آرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ اختلف في هذه الرؤيا: فقيل: إنها الإسراء، فمن قال إنه كان في اليقظة: فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين، ومن قال إنه كان في المنام: فالرؤيا منامية<sup>(١)</sup>. والفتنة على هذا: تكذيب الكفار بذلك، وارتداد بعض المسلمين حينئذ.

وقيل: إنها رؤيا النبي ﷺ في منامه هزيمة الكفار وقتلهم بيد، والفتنة على هذا: تكذيب قريش بذلك وسخريتهم به. وقيل: إنها رؤياه أنه يدخل مكة، فعجل في سنة الحديبية فرد عنها، فافتتن بعض المسلمين بذلك. وقيل: رأى في المنام أن بني أمية يصعدون على منبره؛ فاعتم بذلك<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْفُرْعَانِ﴾ يعني: شجرة الزقوم، وهي معطوفة على ﴿الرُّءْيَا﴾؛ أي: جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس؛ وذلك أن قريشا لما سمعوا أن في جهنم شجرة الزقوم سخروا من ذلك وقالوا: كيف تكون شجرة في النار والنار تحرق الشجر؟ وقال أبو جهل: ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد<sup>(٣)</sup>.

فإن قيل: أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن؟ فالجواب: أن المراد: لعنة أكلها، وقيل: إن اللعنة هنا بمعنى الإبعاد والكراهة؛ لأنها في أصل الجحيم. ﴿وَنَخَوِّفُهُمْ﴾ الضمير لكفار قريش.



(١) في ب، ج، هـ: «منامة»، وفي د: «منامة».

(٢) في ج، د: «لذلك». وهذا القول ذكره الثعلبي (٣٨١/١٦) من رواية عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده، وعبد المهيمن: قال البخاري: «منكر الحديث»، وقال النسائي: «متروك»، وقال الدارقطني: «ليس بالقوي»، فالخبر ضعيف. الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (١٥٤/٢)، وتهذيب الكمال (٤٤٠/١٨).

(٣) أخرجه الطبري (٦٤٨ / ١٤) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

\* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِيناً ﴿١٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْفَيْسَمَةِ لَأَخْتَنَّكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٦﴾ قَالَ إِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مُّوَفَّوْرًا ﴿١٧﴾ وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَّعَتْ مِنْهُمْ بَصُوتُكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِزَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٨﴾ إِنَّ عِبَادِي لَكَ عَلَيْنِهِمْ سُلْطٰنٌ وَكَهْنِي بَرِيكَ وَكِيلًا ﴿١٩﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْبَلَدَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٢١﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٢٢﴾ أَمْ آمَنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٢٣﴾ \* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٢٤﴾

﴿١٦﴾ ﴿طِيناً﴾ تمييز، أو حال من ﴿مَنْ﴾، أو من مفعول ﴿خَلَقْتُ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ الكاف من ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ للخطاب، لا موضع لها من الإعراب، و﴿هَذَا﴾ مفعول بـ«أرأيت»، والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كَرَّمْتَهُ علي -أي: فضَّلْتَهُ-؛ لم فضَّلْتَهُ وأنا خير منه؟ فاختصر الكلام بحذف <sup>(١)</sup> ذلك. وقال ابن عطية: ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ هنا بمعنى: أتأملت ونحوه، لا بمعنى: أخبرني <sup>(٢)</sup>.

﴿لَأَخْتَنَّكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ معناه: لأميلنهم وأقودهم، وهو مأخوذ من: تحنيك الدابة؛ وهو أن يشدَّ على حنكها بحبل فتقاد.

(١) في ج: «فحذف».

(٢) المحرر الوجيز (٥/٥٠٦).

﴿قَالَ إِذْهَبْ﴾ قال ابن عطية: ﴿إِذْهَبْ﴾ وما بعده من الأوامر: صيغة أمر على وجه التهديد<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: ليس المراد الذهاب الذي هو ضد المجيء، وإنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته؛ خذلائنا له وتخلية<sup>(٢)</sup>. ويحتمل عندي: أن يكون معناه: الطرد والإبعاد.

﴿بِمَسْ تَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ كان الأصل أن يقال: «جزاؤهم» بضمير الغيبة؛ ليرجع إلى ﴿مَسْ تَبْعَكَ﴾، ولكنه ذكره بلفظ الخطاب؛ تغليبا للمخاطب على الغائب، وليدخل إبليس معهم.

﴿جَزَاءٌ مَوْفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال، والموفور: المكمل.

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ أي: اخدع واستخف.

﴿بِصَوْتِكَ﴾ قيل: يعني الغناء والمزامير، وقيل: الدعاء إلى المعاصي.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: هول، وهو من الجلبة، وهو الصياح.

﴿بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ الخيل هنا يراد به<sup>(٣)</sup>: الفرسان الراكبون على الخيل، والرجل: جمع راجل؛ وهو الذي على رجله: فقيل: هو مجاز واستعارة بمعنى: افعل جهذك. وقيل: إن له من الشياطين خيلاً ورجلاً. وقيل: المراد: فرسان الناس ورجالهم المتصرفون في الشر. ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ مشاركته في الأموال: هي بكسبها بالربا، وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك. ومشاركته في الأولاد: هي بالاستيلاد بالزنا، وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك.

﴿وَعَذَّاهُمْ﴾ يعني: المواعيد الكاذبة؛ من شفاعة الأصنام وشبه ذلك.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يعني: المؤمنين الذين يتوكلون على الله؛ بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَكَيْفَىٰ بِرَبِّكَ وَكَيْلًا﴾، ونحوه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/٥٠٨).

(٢) انظر: الكشاف (٩/٣٣٠).

(٣) في أ، د، هـ: «بها».

﴿يُزَجَّ لَكُمْ الْبُلُكُ﴾ أي: يجريها ويسيرها، والفلك هنا: جمع، وابتغاء الفضل: في التجارة وغيرها.

﴿الضَّرَّ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني: خوف الغرق.

﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ضَلَّ هنا: بمعني تَلَفَ وفُقِدَ؛ أي: تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده، فلجأتم إليه حينئذ دون غيره، فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدة إلا إياه؟!

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ أي: كفورًا بالنعم، والإنسان هنا: جنس.

﴿أَبَاقِمْتُمْ﴾ الهمزة للتوبيخ، والفاء للعطف؛ أي: أنجوتم من البحر فأمتتم الخسف في البر؟!

﴿حَاصِبًا﴾ يعني: حجارة، أو ريحًا شديدة ترمي بالحصباء.

﴿وَكَيْلًا﴾ أي: قائمًا بأموركم، وناصرًا لكم.

﴿فَاصِبًا مِنَ الرِّيحِ﴾ يعني: الذي يقصف ما يلقي؛ أي: يكسره.

﴿تَبِيعًا﴾ أي: مطالبًا بشاركم؛ أي: لا تجدون من يتصر لكم منا، كقوله: ﴿بَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥].

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ يعني: فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان، ولم يفضلهم على الملائكة؛ ولذلك قال: ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾، وأنواع التفضيل كثيرة لا نحصى، وقد ذكر المفسرون منها: كون الإنسان يأكل بيده، وكونه منتصب القامة، وهذه أمثلة.





يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ بَشِيلاً ﴿٥٦﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا ﴿٥٨﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَضُ إِلَيْهِمْ شُيْئًا فَلِيلًا ﴿٥٩﴾ إِذَا لَأَذُنُوكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦١﴾ سَنَّةً مِّنْ قَدَرٍ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٦٢﴾

﴿بِإِمْئِهِمْ﴾ قيل: يعني بنبيهم؛ يقال: يا أمة فلان، وقيل: يعني: كتابهم الذي نزل عليهم، وقيل: كتابهم الذي فيه أعمالهم.

﴿وَلَا يَظْلَمُونَ بَشِيلاً﴾ الفتل: هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، والمعنى: أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلاً ولا كثيراً، فعبر بأقل الأشياء؛ تنبيهاً على الأكثر.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ الإشارة بـ﴿هَذِهِ﴾ إلى الدنيا.

والعمى يراد به: عمى القلب؛ أي: من كان في الدنيا أعمى عن الهدى<sup>(١)</sup> والصواب فهو في يوم القيامة أعمى؛ أي: حيران يائس من الخير. ويحتمل أن يريد بالعمى في الآخرة: عمى البصر؛ كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]. وإنما جعل الأعمى في الآخرة أضل سبيلاً؛ لأنه حيث لا ينفعه الاهتداء.

ويجوز في ﴿أَعْمَى﴾ الثاني: أن يكون صفة كالأول، وأن يكون من «أفعل» التي للتعريض، وهذا أقوى؛ لقوله ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، فعطف ﴿أَضَلُّ﴾ الذي هو من «أفعل» من كذا» على ما هو شبيهه. وقال سيبويه: «لا يجوز أن يقال: هو أعمى من كذا». ولكن إنما يمتنع ذلك في عمى البصر، لا في عمى القلب.

(١) في ب: «الهداية».

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ الآية؛ سببها: أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ: اقبل<sup>(١)</sup> بعض أمرنا ونقبل على بعض أمرك<sup>(٢)</sup>. وقيل: إن ثقيفاً طلبوا من النبي ﷺ أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى<sup>(٣)</sup>، والآية على هذا القول مدنية. ﴿لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَةً﴾ الافتراء هنا يراد به: مخالفة ما أوحى إليه في القرآن أو في غيره. ﴿وَإِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي: لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلاً.

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ «لولا» تدل على امتناع شيء لوجود غيره، فدلّت هنا على امتناع مقاربة النبي ﷺ للركون إليهم؛ لأجل تثبيت الله له وعصمته. و﴿كِدْتَ﴾ تقتضي -أيضاً- نفى الركون؛ لأن معنى كاد فلان يفعل كذا: أنه لم يفعله؛ فانتفى الركون إليهم ومقاربتهم، فليس في ذلك غش من جانب النبي ﷺ؛ لأن التثبيت منعه من مقاربة الركون إليهم، ولو لم يثبت الله لكانت مقاربتهم للركون إليهم شيئاً قليلاً، وأما مع التثبيت فلم يركن قليلاً ولا كثيراً، ولا قارب ذلك.

﴿وَإِذَا لَادَفْنُوكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ﴾ أي: ضعف عذابهما لو فعل ذلك. ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ الضمير لقريش، كانوا قد هموا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة، وذلك قبل الهجرة، فالأرض هنا يراد بها: مكة؛ لأنها بلده. ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك من مكة إلا قليلاً، فلما خرج النبي ﷺ مهاجراً من مكة إلى المدينة، من أجل إذابة قريش له ولأصحابه، لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلاً، وقتلوا يوم بدر. ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ انتصب «سُنَّةٌ» على المصدر، ومعناه: العادة؛ أي: هذه عادة الله مع رسله.

(١) في د: «أقبل على».

(٢) عزاه ابن عطية (٥/٥١٩) إلى ابن إسحاق، ولم أقف عليه، وأخرجه الطبري (١٥/١٦) بمعناه عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/١٥) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ، بلفظ: أن ثقيفاً كانوا قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله أجّلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يهدى لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسّرنا الآلهة.

أَفِمْ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَفُرْعَانَ الْفَجْرِ إِنَّ فُرْعَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَبَسَى أَنْ تَبَعْتَهُ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوفًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَبَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

﴿٧٨﴾ أَفِمْ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَفُرْعَانَ الْفَجْرِ ﴿٧٨﴾ هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة، فدلوك الشمس: زوالها، والإشارة إلى الظهر والعصر، وغسق الليل: ظلمته، وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء، وقرآن الفجر: صلاة الصبح.

وانتصب ﴿فُرْعَانَ الْفَجْرِ﴾ بالعطف على موضع اللام في قوله: ﴿لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ﴾؛ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى «عند»<sup>(١)</sup>. وقيل: هو عطف على ﴿الصَّلَاةَ﴾. وقيل: مفعول بفعل مضمر تقديره: اقرأ قرآن الفجر. وإنما عبر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر؛ لأن القرآن يُقرأ فيها أكثر من غيرها؛ لأنها تصلى بسورتين طويلتين.

﴿إِنَّ فُرْعَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي: تشهده ملائكة الليل والنهار، فيجتمعون فيه؛ إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل. و ﴿مِنْ﴾ للتبعية، والضمير في ﴿بِهِ﴾ للقرآن.

والتهجد: السهر؛ وهو ترك الهجود، ومعنى الهجود: النوم؛ فالتفعل هنا: للخروج عن الشيء، كالتحرج والتأثم في الخروج عن الإثم والحرَج.

(١) إذا كانت اللام ظرفية فكيف انتصب ﴿قرآن﴾ - وهو مصدر - على العطف على الظرف؟ لم أقف على من ذكر هذا الوجه الإعرابي في الآية من المفسرين غير ابن جزي هنا، ولم يتضح لي المعنى على هذا الوجه!

﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾ يعني: الشفاعة يوم القيامة، وانتصب ﴿مَقَامًا﴾ على الظرف.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية؛ المدخل: دخوله إلى المدينة، والمخرج: خروجه من مكة. وقيل: المدخل: في القبر، والمخرج: إلى البعث. واختار ابن عطية أن يكون على العموم في جميع الأمور<sup>(١)</sup>.

﴿سُلْطَنًا نَّصِيرًا﴾ قيل: معناه: حجة تنصرني بها وتُظهر<sup>(٢)</sup> بها صدقي. وقيل: قوة ورياسة تنصرني بها على الأعداء، وهذا أظهر.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ الحق: الإيمان، والباطل: الكفر.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ ﴿مِنْ﴾: لبيان الجنس، أو للتبويض. والمراد بالشفاء: أنه يشفي القلوب من الريب<sup>(٣)</sup> والجهل. ويحتمل أن يريد: نفعه من الأمراض؛ بالرقى به والتعويد.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الآية؛ المراد بالإنسان هنا: الجنس؛ لأن ذلك من سجية الإنسان. وقيل: إنما يراد الكافر؛ لأنه هو الذي يُعرض عن الله.

﴿وَنَبِّأْ بِجَانِبَيْهِ﴾ أي: بعد، وذلك تأكيد وبيان للإعراض. وقرئ ﴿نَاءً﴾<sup>(٤)</sup>، وهما بمعنى واحد.

﴿كُلٌّ يَفْعَلُ عَلَى شَاكِلَتَيْهِ﴾ أي: على مذهبه وطريقته التي تشاكله.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٣٠).

(٢) في أ، ب: «ويظهر».

(٣) في أ، ب: «الريبة».

(٤) هي قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر.

﴿وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾ وَلَيْسَ شَيْئًا لَتَذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْفِطَ السَّمَاءُ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَكِ قِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَفِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تُفَرِّقُ بِهِ فُلَ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾

﴿٨٥﴾ ﴿وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ السائلون: اليهود، وقيل: قريش بإشارة اليهود.

والروح هنا عند الجمهور: هو الذي في الجسم، وقد يقال فيه: النفس. وقيل: الروح هنا جبريل عليه السلام، وقيل: القرآن. والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك.

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من الأمور التي استأثر الله بها، ولم يُطلع عليها خلقه. وكانت اليهود قد قالت لقريش: أسألوه عن الروح، فإن لم يجيبكم فيه بشيء فهو نبي<sup>(١)</sup>، وذلك أنه كان عندهم في التوراة: أن الروح مما انفرد الله بعلمه.

وقال ابن بريدة: لقد مضى النبي ﷺ وما يعرف الروح<sup>(٢)</sup>. ولقد كثر اختلاف الناس في النفس والروح، وليس في أقوالهم في ذلك ما يعول عليه.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ خطاب عام لجميع الناس؛ لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله. وقيل: خطاب لليهود خاصة. والأول أرجح؛ لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح.

(١) يأتي تخريجه في سورة الكهف، الآية (٢٤).

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده إلى عبد الله بن بريدة في كتاب العظمة (٣/ ٨٦٧).

﴿٨٦﴾ وَلَيْسَ شَيْئًا لَنُذْهِبَ بِالذِّمَّةِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴿١﴾ أَي: إن شئنا ذهبنا بالقرآن، فمحوناه من الصدور والمصاحف. وهذه الآية متصلة المعنى بقوله: ﴿وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: في قدرتنا أن نذهب بالذي أوحينا<sup>(١)</sup> إليك فلا يبقى عندكم شيء من العلم.

﴿وَكَيْلًا﴾ أي: من يتوكل برده وإعادته بعد ذهابه.

﴿٨٧﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴿٢﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: استثناء متصل؛ بمعنى: أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب. أو استثناء منقطع؛ بمعنى: أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب.

﴿٨٨﴾ فَلَيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ عَجَزَ الْخَلْقُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِالْقُرْآنِ؛ لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين الواضحة، والمعاني العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها، ولا يصلون إليها، ثم جاءت فيه على الكمال. وقال أكثر الناس: إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه. ووجوه إعجازه كثيرة، قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجهًا<sup>(٢)</sup>.

﴿ظَهِيرًا﴾ أي: مُعِينًا.

﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴿٣﴾ أَي: بينا لهم كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة. وهذا يدل على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا.

﴿وَأَبْنَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الكفور: الجحود، وانتصب بقوله: ﴿أَبْنَى﴾؛ لأنه في معنى النفي.

﴿٩٠﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُنْجِزَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَشُوعًا ﴿٤﴾ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ: هم أشراف قريش، طلبوا من النبي ﷺ أنواعًا من خوارق العادات، وهي التي ذكرها الله في

(١) في أ، ب، هـ: «أوحى».

(٢) ذكر في المقدمة في الباب الحادي عشر عشرة أوجه من الإعجاز، وذكر هذه الأوجه العشرة أيضًا في كتابه «النور المبين في قواعد عقائد الدين» (ص: ٦٧).

هذه الآية. وقيل: إن الذي قاله عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وكان ابن عمه النبي ﷺ، ثم أسلم بعد ذلك.

والينبوع: العين، قالوا له: إن مكة قليلة الماء ففجّر لنا فيها عيناً من الماء.  
﴿أَوْ تُسْفِطُ السَّمَاءَ كَمَا رَعِمْتَ﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخِيفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْفِطُ عَلَيْهِمْ كِسَافاً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سبا: ٩].

﴿كِسَافاً﴾ بفتح السين<sup>(١)</sup>: جمع كِسْفَةٍ؛ وهي القطعة، وقرئ بالإسكان؛ أي: قِطْعاً واحداً.  
﴿فَبَيْلاً﴾ قيل: معناه مقابلةً ومعاينة، وقيل: ضامناً شاهداً بصدقك، والقَبالة في اللغة: الضمان.

﴿بَيِّنَاتٍ مِّن زُخْرِفٍ﴾ أي: من ذهب.  
﴿فَلْ سُبْحَنَّ رَبِّي﴾ تعجبٌ من اقتراحاتهم، و<sup>(٢)</sup>تنزيهٌ لله عن قولهم: ﴿ثَاتِي بِاللَّهِ﴾، وعن أن يطلبَ منه هذه الأشياء التي طلبها الكفار؛ لأن ذلك سوء أدب.  
﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ أي: إنما أنا بشر؛ فليس في قدرتي شيء مما طلبتم، وأنا رسول؛ فليس علي إلا التبليغ.



(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين، وقرأ الباقون بإسكان السين.

(٢) في ج: «أو».

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَلَوْ  
كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمْسِكُونَ مِظْمَظِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿١٦﴾ فَلَوْ  
كَبِئَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِ  
الْهُدَىٰ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ  
عُثْمًا وَبُكْمًا وَصَمًّا مَاؤِيَّهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَثَ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٨﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا نُهُمْ  
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرِقَّتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٩﴾ \* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ  
اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَادِرٌّ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ  
فِيهِ قَاتِبِ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٢٠﴾ فَلَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ  
خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿٢١﴾

﴿١٥﴾ «إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا» المعنى: أن الذي منع الناس من الإيمان هو إنكارهم لبعث الرسل<sup>(١)</sup> من البشر.

﴿١٦﴾ «فَلَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ» الآية؛ معناها: أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكًا، ولكنهم بشر؛ فالرسول إليهم بشر من جنسهم. ومعنى «مِظْمَظِينَ»: ساكنين في الأرض.

﴿١٧﴾ «شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» ذكر في «الأنعام»<sup>(٢)</sup>.

﴿١٨﴾ «عُثْمًا وَبُكْمًا وَصَمًّا» قيل: هي استعارات، بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى. وقيل: هي حقائق، وأنهم يكونون عميًا وبكمًا وصمًا حين قيامهم من قبورهم.

﴿١٩﴾ «كُلَّمَا خَبَثَ» معناه في اللغة: سكن لهبها، والمراد هنا: كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بُدِّلُوا أَجْسَادًا أُخَرَ، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت.

(١) في أ، د، هـ: «الرسول».

(٢) انظر تفسير الآية (٢٠).



﴿وَقَالُوا أَذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ استبعاداً للحشر، وقد تقدّم معنى الرفات<sup>(١)</sup>، والكلام في الاستفهامين<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ﴾ الآية؛ احتجاج على الحشر؛ فإن السماوات والأرض أكبر من الإنسان، فكما قدر الله على خلقها؛ فأولئى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فثائه. والرؤية في الآية رؤية قلب.

﴿أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ القيامة، أو أجل الموت.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ «لو» حرف امتناع، ولا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمرًا، فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره: لو تملكون، ثم فسره بـ﴿تَمْلِكُونَ﴾ الظاهر، و﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير الذي في «تملكون» المضمر.

﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أي: الأموال والأرزاق.

﴿إِذَا لَأْمَسَكُمْ خَشْيَةُ الْإِنْفَاقِ﴾ أي: لو ملكتم الخزائن لأمسكنكم عن الإعطاء خشية الفقر، فالمراد بالإنفاق: عاقبة الإنفاق؛ وهو الفقر. ومفعول ﴿لَأْمَسَكُمْ﴾: محذوف. وقال الزمخشري: لا مفعول له؛ لأن معناه: بخلتم؛ من قولهم للبخیل: ممسك<sup>(٣)</sup>.

ومعنى الآية: وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى.



(١) انظر تفسير الآية (١٩) من هذه السورة.

(٢) انظر تفسير الآية (٦) من سورة الرعد.

(٣) انظر: الكشاف (٣٨٦/٩).

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسَلَ بَيْتَ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٧٧﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوزَعُونُ مَثْبُورًا ﴿١٧٨﴾ فَأَرَادَ أَنْ يُسَتْمِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٧٩﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لِيمِماً ﴿١٨٠﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٨١﴾ وَفَرَعَانَا بِرَفْنَةٍ لِيَفْرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْرٍ وَتَزَلَّتْ رَقَبَتُهُ وَنَبَذَ فِي الْأَرْضِ نَدِيرًا ﴿١٨٢﴾ فَلَا تُؤْمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨٣﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٨٤﴾ فَلَا تَدْعُوا اللَّهَ أَوْ تَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا فِيهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٨٥﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا ﴿١٨٦﴾

﴿تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الخمس منها: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والأربع: انقلاب عصاه حية، وإخراج يده بيضاء، وحل العقدة من لسانه، وفلق البحر.

وقد عدَّ فيها: رفع الطور فوقهم، وانفجار الماء من الحجر، على أن يسقط اثنان من الآخر. وقد عدَّ فيها -أيضاً-: السنون، والنقص من الثمرات.

وروي أن بعض اليهود سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «هي ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا بيريء إلى سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفروا يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١٨٠٩٢)، والنسائي (٤٠٨٩)، والترمذي (٢٧٣٣) وقال: «حسن صحيح»، والحاكم (٢٠) وصححه ووافقه الذهبي، والطبري (١٥/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم (٢٨٥١/ ٩) من حديث صفوان بن عسال. قال ابن كثير في تفسيره (٥/ ١٢٥): «وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة [أحد الرواة] في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بال عشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم».

﴿بَسَّلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى ﷺ؛ لتزداد يقيننا، والآية -على هذا- خطاب لمحمد ﷺ.

وقال الزمخشري: إن المعنى: قلنا لموسى: أسأل بني إسرائيل من فرعون؛ أي: اطلب منه أن يرسلهم معك، فهو كقوله: ﴿بَارِئِلَ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٤]، فالأمر في قوله ﴿بَسَّلَ﴾ لموسى على إضمار القول. وقال -أيضاً-: يحتمل أن يكون المعنى: أسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك<sup>(١)</sup>. وهذا أيضاً على أن يكون الخطاب لموسى ﷺ. والأول أظهر.

﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل، والمراد: آباؤهم الأقدمون. والعامل في ﴿إِذْ﴾ على القول الأول: ﴿هَاتَيْنَا مُوسَى﴾، أو فعل مضمَر. والعامل فيه على قول الزمخشري: القول المحذوف.

﴿مَسْحُورًا﴾ هنا وفي «الفرقان»: أي: سُحِرَتْ فاختلط عقلك، وقيل: معناه: ساحر.

﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ -بفتح التاء- خطاب لفرعون، والمعنى: أنه علم أن الله أنزل الآيات، ولكنه كفر بها<sup>(٢)</sup> عناداً، كقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]. والإشارة بـ﴿هَؤُلَاءِ﴾ إلى الآيات.

﴿مَثْبُورًا﴾ أي: مُهْلَكًا، وقيل: مغلوبًا، وقيل: مصروفًا عن الخير.

قابل موسى ﷺ قول فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَهْرَعُونَ مَثْبُورًا﴾.

﴿بَارَادَ أَنْ يَنْتَهِيَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر.

﴿أَسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ يعني: أرض الشام.

﴿لَمِيمًا﴾ أي: جميعًا مختلطين.

(١) انظر: الكشاف (٣٨٨/٩).

(٢) في ج، هـ: «كذبها».

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾ الضمير للقرآن، و﴿بِالْحَقِّ﴾ معناه في الموضعين: بالواجب من المصلحة والسداد. وقيل: معنى الأول كذلك، ومعنى الثاني: ضد الباطل؛ أي: بالحق في أخباره وأوامره ونواهي.

﴿وَفَرَّقْنَا بَيْنَهُمَا﴾ انتصب بفعل مضمر يدل عليه ﴿فَرَّقْنَاهُ﴾، ومعناه: بيناه وأوضحناه. ﴿عَلَى مَكْثٍ﴾ قيل: معناه على تمهل وترتيل في قراءته. وقيل: على طول مدة نزوله شيئاً فشيئاً من حين بعث النبي ﷺ إلى وفاته، وذلك عشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون. ﴿فَلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أمر باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم، كأنه يقول: سواء آمتم أو لم تؤمنوا؛ لأنكم لستم بحجة، وإنما الحجة أهل العلم من قبله، وهم المؤمنون من أهل الكتاب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْعِلْمِ مِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني: المؤمنين من أهل الكتاب، وقيل: الذين كانوا على الحنفية قبل البعثة؛ كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، والأول أظهر. وهذه الجملة تعليل لما تقدم، والمعنى: إن لم تؤمنوا به أنتم، فقد آمن به من هو أعلم منكم.

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: لناحية الأذقان، كقولهم: خرّ لليدين وللقم. والأذقان: جمع ذقن، وهو أسفل الوجه حيث اللحية. وإنما كرّر ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾؛ لأن الأول للسجود، والثاني للبكاء.

﴿فَلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ سببها: أن الكفار سمعوا رسول الله ﷺ يدعو: «يا الله يا رحمن»، فقالوا: كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد، وها هو يدعو إلهين! <sup>(١)</sup> فنزلت الآية مبينة أن قوله: «الله أو الرحمن» اسمان لمسمى واحد، وأنه مخير في الدعاء بأي الاسمين شاء.

والدعاء في الآية بمعنى التسمية؛ كقولك: دعوت ولدي زيداً، لا بمعنى النداء.

﴿آيَاتٍ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ «آيَاتٍ» اسم شرط منصوب بـ ﴿تَدْعُوا﴾، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه، و﴿مَا﴾ زائدة للتأكيد، والضمير في ﴿لَهُ﴾ لله تعالى، وهو المسمى، لا الاسم.

(١) أخرجه الطبري (١٥/١٢٣) عن ابن عباس ؓ.

والمعنى: أي هذين الاسمين تدعوا فحسن؛ لأن الله له الأسماء الحسنی، فوضع قوله: ﴿بَلِّغْهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى﴾ موضع الجواب، وهو في المعنى تعليل للجواب؛ لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ المخافنة: هي الإسرار. وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة، فسمعه المشركون، فسبوا القرآن ومن أنزله، فأمر رسول الله ﷺ بالتوسط بين الإسرار والجهر؛ ليُسمع أصحابه الذين يصلون معه، ولا يُسمع المشركين<sup>(١)</sup>.

وقيل: المعنى: لا تجهر بصلاتك كلها، ولا تخافت بها كلها، واجعل منها سرًا وجهراً، حسبما أحكمته السنة، وقيل: الصلاة هنا الدعاء.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾ أي: ليس له ناصر يمنع من الذل؛ لأنه تعالى عزيز، فلا يفتقر إلى ولي يحميه، فنفي الولاية على هذا المعنى؛ لأنه غني عنها، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده.

وحكى الطبري أن قوله: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ ردُّ على النصارى واليهود، الذين نسبوا لله ولداً، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ﴾ ردُّ على المشركين، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾ ردُّ على الصابئين في قولهم: لولا أولياء الله لذلَّ الله، تعالى الله عن قولهم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكَبِيرَةٌ﴾ معطوف على ﴿قُلْ﴾، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب؛ وهو التعظيم، أو باللسان؛ وهو أن يقول: «الله أكبر» مع قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية.



(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦) عن ابن عباس ؓ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣٩/١٥).

## سورة الكهف

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا  
مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَتَكِينٍ فِيهِ  
أَبَدًا ۝ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا إِلَهَ بِهِمْ قَبْرَتْ  
كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ فَلَعَلَّكَ بِخَيْعِ نَفْسِكَ عَلَى آبَائِهِمْ  
إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَتَلَبَّسُوا فِيهَا  
أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ  
الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا  
مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا  
۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيَّ الْجِزْيَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ العبد هنا: هو النبي ﷺ، ووصفه بالعبودية  
تشريفًا له، وإعلامًا باختصاصه وقربه. والكتاب: القرآن.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ العوج بكسر العين: في المعاني التي لا تُحسُّ. وبالفتح: في  
الأشخاص، كالعصا ونحوها. ومعناه: عدم الاستقامة، وقيل فيه هنا: معناه: لا تناقض فيه  
ولا خلل فيه. وقيل: لم يجعله مخلوقًا. واللفظ أعم من ذلك.

﴿قَيِّمًا﴾ أي: مستقيمًا. وقيل: قيماً على الخلق بأمر الله تعالى. وقيل: قيماً على سائر  
الكتب بتصديقها. وانتصابه على الحال من ﴿الْكِتَابَ﴾، والعامل فيه ﴿أَنْزَلَ﴾. ومنع  
الزمخشري ذلك؛ للفصل بين الحال وذو الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمر،

تقديره: جعله قيماً<sup>(١)</sup>.

﴿لَيُنذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، أو بـ ﴿قِيَمًا﴾، والفاعل به: ضمير الكتاب، أو النبي ﷺ. والبأس: العذاب. وحذف المفعول الثاني<sup>(٢)</sup> - وهو الناس -، كما حذف المفعول الآخر من قوله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ..﴾؛ لدلالة المعنى على المحذوف.

﴿مَنْ لَدُنْهُ﴾ أي: من عنده، والضمير عائد على الله تعالى.

﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ يعني: الجنة.

﴿مُكَيِّمِينَ فِيهِ﴾ أي: دائمين، وانتصابه على الحال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هم النصارى؛ بقولهم<sup>(٣)</sup> في عيسى عليه السلام، واليهود في عزيز، وبعض العرب في الملائكة.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ الضمير عائد: على قولهم، أو على الولد.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ انتصب على التمييز، وقيل: على الحال<sup>(٤)</sup>. ويعني بالكلمة قولهم: ﴿إِتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، وعلى ذلك يعود الضمير في ﴿كَبُرَتْ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَلِخَغَ ثَفْسِكَ﴾ أي: قاتلها بالحزن والأسف، والمعنى: تسلية النبي ﷺ عن عدم إيمانهم.

﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ استعارة فصيحة؛ كأنهم من قرطٍ إدبارهم قد بُعدوا، فهو يتبع آثارهم؛ تأسفاً عليهم. وانتصب ﴿أَسْبَاً﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه: ﴿بَلِخَغَ ثَفْسِكَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ يعني: ما يصلح للترئين، كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك.

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٠٤).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، ولعل صواب العبارة: «وحذف المفعول الأول»؛ إذ المفعول الثاني مذكور وهو (بأساً). انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٦٣)، وحاشية الطيبي على الكشاف (٩/ ٤٠٧).

(٣) في د: «لقولهم».

(٤) التقدير: كبرت فزيتهم - أو نحو هذا - كلمة. المحرر الوجيز (٥/ ٥٦٤).

﴿لَتَبْلُوهُمْ أَهْنَهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أي: لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا.

﴿وَأَنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ المعنى: إخباراً بفناء الدنيا وزينتها. والصعيد: هو التراب، والجُرُز: الأرض التي لا نبات فيها؛ أي: سنُفني ما على الأرض من الزينة، حتى تبقى كالأرض التي لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء بهجة<sup>(١)</sup>.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ «أم» هنا استفهام، والمعنى: أحسبت أنهم عجب؟ بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب.

والكهف: الغار الواسع.

والرقيم: اسم كلبهم. وقيل: هو لوح رُقمت فيه أسماءهم على باب الكهف. وقيل: كتاب فيه شرعهم ودينهم. وقيل: هو القرية التي كانت بإزاء الكهف. وقيل: الجبل الذي فيه الكهف. وقال ابن عباس: لا أدري ما الرقيم!<sup>(٢)</sup>

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ نذكر من قصصهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه؛ إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا: وذلك أنهم كانوا قومًا مؤمنين، وكان ملك بلادهم كافرًا يقتل كل مؤمن، وفروا بدينهم، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه، ويختفوا من الملك وقومه، فأمر الملك باتباعهم، فانتهى المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم، وعرفوا الملك بذلك، فوقف عليه في جنده، وأمر بالدخول إليهم، فهاب الرجال ذلك وقالوا له: دعهم يموتوا جوعًا وعطشًا، وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نومًا ثقیلاً، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعامًا بدراهم كانت لهم، فعجب منها البائع، وقال: هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان؛ فمن أين جاءتك؟ وشاع الكلام بذلك في الناس، فقال الرجل: إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهف، فقال الناس: هؤلاء هم الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم، فمشوا إليهم فوجدوهم موتى. وأما موضع كهفهم: فقيل: إنه بمقربة من فلسطين.

(١) في د: «بهجة».

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٦٠) عن عكرمة عن ابن عباس ؓ قال: «ما أدري ما الرقيم، أكتاب، أم بنيان؟».



وقال قوم: إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لَوْشَة في جهة غرناطة، وفيه موتى ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك، وقال: إنه دخل إليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقي بعض جذراته<sup>(١)</sup>، وروي أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها: مدينة دقيوس، والله أعلم.

ومما يُبعد ذلك: ما روي أن معاوية رضي الله عنه مرَّ عليهم وأراد الدخول إليهم<sup>(٢)</sup>، ولم يدخل معاوية الأندلس قط، وأيضاً فإن الموتى الذين في غار لَوْشَة يراهم الناس، ولم يدرك أحداً الرعب الذي ذكر الله في أصحاب الكهف.

﴿بَصَّرْنَاهُ عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾ عبارة عن إلقاء النوم عليهم. وقال الزمخشري: المعنى: ضربنا على آذانهم حجاباً، ثم حذف هذا المفعول<sup>(٣)</sup>.

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي: كثيرة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم.

﴿لَتَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ أي: لنعلم علماً يظهر في الوجود؛ لأن الله قد كان علم ذلك. والمراد بالحزبين: الذين اختلفوا في مدة لبثهم، فالحزب الواحد: أصحاب الكهف، والحزب الآخر: القوم الذين بعث الله أصحاب<sup>(٤)</sup> الكهف في مدتهم. وقيل: إن الحزبين معاً أصحاب الكهف؛ إذ كان بعضهم قد قال: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وقال بعضهم: ﴿رَبُّكُمْ أَغْلَمَ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾. و﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل ماضٍ، و﴿أَمَدًا﴾ مفعول به. وقيل: ﴿أَحْصَىٰ﴾ اسم للتفضيل، و﴿أَمَدًا﴾ تمييز، وهذا ضعيف؛ لأن ﴿أَفْعَلَ مِنْ﴾ التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي، إلا في الشاذ.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/٥٩٥)، وقال بعد إيراد ذلك: «وإنما استسهلْتُ ذكرَ هذا مع بُعده؛ لأنه عَجَبٌ يَنخَلُدُ ذكره ما شاء الله عز وجل».

(٢) يأتي تخريجه قريباً.

(٣) انظر: الكشاف (٩/٤١٦).

(٤) في أ، ج: «أهل».

نَحْنُ نَفُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذَّتْهُمْ هَدَى ﴿١٤﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٥﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ بَمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ إِفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٦﴾ وَإِذْ إِعْتَزَلْنَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْتَا إِلَى الْكُفْهِمْ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّجْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرِيفًا ﴿١٧﴾ \* وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كُهُبِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٨﴾

﴿١٤﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴿١٤﴾ أي: قوينا عزمهم، وألهمناهم الصبر.

﴿إِذْ قَامُوا﴾ يحتمل أن يريد: قيامهم من النوم، أو قيامهم بين يدي الملك الكافر، لما آمنوا ولم يبالوا به.

﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أي: لو دعونا من دونه إلهاً لقلنا قولاً شططاً، والشطط: الجور والتعدي.

﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ تحضيض بمعنى التعجيز؛ أي: أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله.

﴿وَإِذْ إِعْتَزَلْنَاهُمْ﴾ خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ عطف على المفعول في ﴿إِعْتَزَلْنَاهُمْ﴾ ؛ أي: تركتموهم وتركتم ما يعبدون.

﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: ما يعبدون من دون الله، و﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى «غير»، وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله. وفي مصحف ابن مسعود ﴿١٨﴾: «وما يعبدون من دون الله»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥١).

﴿بِأَوْرَآءِ إِلَى الْكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في ﴿إِذْ إِغْرَزْنَاهُمْ﴾، والمعنى: أن بعضهم قال لبعض: إذ<sup>(١)</sup> فارقنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى، ونتكلم على الله؛ فإنه يرحمنا ويرفق بنا.  
﴿مَرْفِئًا﴾ بفتح الميم وكسر ها<sup>(٢)</sup>: ما يُرْتَفَقُ به وَيُنْتَفَعُ.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قبل هذا الكلام<sup>(٣)</sup> محذوف تقديره: فأوى القوم إلى الكهف، ومكثوا فيه، وضرب الله على آذانهم. ومعنى ﴿تَزَّوَّرَ﴾: تميل وتروغ. ومعنى ﴿تَقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم؛ أي: تبعد عنهم، وهو من القرض بمعنى القطع. وذات اليمين والشمال<sup>(٤)</sup>: أي: جهته.

ومعنى الآية: أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها، ولا عند غروبها؛ لثلاثي يحرقوا بحرّها. فقل: إن ذلك كرامة الله لهم، وخرقٌ عادة. وقيل: كان باب الكهف شمالياً يستقبل بنات نعش<sup>(٥)</sup>، فلذلك لا تصيبهم الشمس. والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾.  
﴿وَهُمْ فِي بَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في موضع واسع، وذلك مُفْتَحٌ لإصابة الشمس<sup>(٦)</sup>، ومع ذلك حجبها الله عنهم.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرقٌ عادة. وإن كان لكون بابهم إلى الشمال؛ فالإشارة إلى أمرهم بجملته.



(١) في ب، ج، د، هـ: «إذا»، والمثبت أصوب، وموافق لما في المحرر الوجيز (٥/ ٥٧٧).

(٢) قرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الفاء.

(٣) في هـ: «كلام».

(٤) في ب: «وذات الشمال».

(٥) بنات نعش: من الكواكب الشامية القريبة من نجم القطب، وهي سبعة أنجم، أربعة منها نعش؛ لأنها مربّعة، قيل: شُبّهت بحمّلة النعش في تربيعها، وثلاثة بنات نعش. انظر: كتاب الأنواء لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، وتاج العروس (١٧/ ٤١٨).

(٦) عبارة الكشاف (٩/ ٤٢٦): «مع أنهم كانوا في مكان واسع مُفْتَحٍ مُعْرَضٍ لإصابة الشمس».

وَتَحْسِبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ  
بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَئِيتُ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ  
لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ  
بِمَا لَبِثْتُمْ قَابَعْتُوهُمْ أَحَدَكُمْ يَوْمَافُكُم هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا  
فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿٦﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ  
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٧﴾ وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ  
لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا  
عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٨﴾  
سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْبُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ  
سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٩﴾ \* فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ  
إِلَّا مِرَاءَ ظَهْرٍ وَلَا تَسْتَفْتِ بِهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٠﴾

﴿١٠﴾ وَتَحْسِبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴿١٠﴾ أَيَقَاطًا: جمع يَقِطٌ، وهو المنتبه، كانت أعينهم مفتوحة  
وهم نائمون، فيحسبهم من يراهم أيقاظًا. وفي قوله: ﴿أَيَقَاطًا﴾ و﴿رُقُودٌ﴾ مطابقة، وهي من  
أدوات البيان.

﴿وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي: نقلبهم من جانب إلى جانب، ولولا ذلك  
لأكلتهم الأرض، وكان هذا التقلب من فعل الله وملائكته، وهم لا ينتبهون من نومهم.  
وروي أنهم كانوا يقلّبون مرتين في السنة، وقيل: من سبع سنين إلى مثلها.

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ قيل: إنه كان كلبًا لأحدهم يصيد به. وقيل: كان كلبًا لراعٍ، فمرؤا  
عليه فصحبهم، وتبعه كلبه. وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضى؛ لأنه حكاية حال.

﴿بِالْوَصِيدِ﴾ أي: بباب الكهف، وقيل: عتبه، وقيل: الفناء.

﴿وَلَئِيتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ذلك لما ألبسهم الله من الهيئة. وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم،  
وعظم أجرامهم. وقيل: لوحشة مكانهم.

وعن معاوية رضي الله عنه أنه غزا الروم فمرّ بالكهف، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس رضي الله عنه: لا تستطيع ذلك، قد قال الله لمن هو خير منك: ﴿لَوْ إِطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، فبعث ناسًا إليهم، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحًا فأحرقتهم <sup>(١)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي: كما أنماهم كذلك بعثناهم؛ ليسأل بعضهم بعضًا، واللام في ﴿لِيَتَسَاءَلُوا﴾ لام الصيرورة.

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على من قال: ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ولكنه لم يعلم مقدارها؛ فأسند علمها إلى الله.

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ الورق: الفضة، وكانت دراهم تزودها حين خروجهم إلى الكهف. ويُسْتَدَلُّ بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه. ويُسْتَدَلُّ ببعث أحدهم على جواز الوكالة. فإن قيل: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكّر مدة لبثهم؟ فالجواب: أنهم كأنهم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك، فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم، فابعثوا أحداكم.

﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ قيل: إنها طرسوس.

﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ قيل: أكثر، وقيل: أحل. وروى: أنه أراد شراء زبيب، وقيل: تمر.

﴿وَلِيَتَلَطَّفَ﴾ أي: في اختفائه وتحيلته.

﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي: إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة. وقيل: معنى ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: بالقول. والأول أظهر.

﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما أنماهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم.

﴿لِيَعْلَمُوا﴾ الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف؛ أي: أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة؛ ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٣٤٨/٧)، وابن أبي شيبة - كما في الدر المنثور (٤٩٥/٩) - ومن طريقه الواحدي في الوسيط (١٤٠/٣)، قال ابن حجر في الكاف الشاف (١٠٣): «وإسناده صحيح».

﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿أَغْرَيْنَا﴾، أو مضمَر تقديره: اذكر. والمتنازعون: هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء؟ وقيل: تنازعوا هل تحشر الأجساد، أو الأرواح بلا أجساد؟ فأراهم الله حال أصحاب الكهف؛ ليعلموا أن الأجساد تحشر.

﴿بَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ أي: على باب كهفهم، إما ليطمس أثرهم<sup>(١)</sup>، وإما ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذ تربتهم تبرُّكا. وإما ليكون علما على كهفهم يعرف<sup>(٢)</sup> به.

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ قيل: يعني الولاة. وقيل: يعني المسلمين؛ لأنهم كانوا أحقَّ بهم من الكفار، فبنوا على باب الكهف مسجدا لعبادة الله.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن كان في زمان النبي ﷺ من اليهود، أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف.

﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظنا، وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي.

﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُتِبَ لَهُمُ﴾ قال قوم: إن الواو واو الثمانية؛ لدخولها هنا، وفي قوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَّةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٦]، وفي قوله في أهل الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٠]، وفي قوله في «براءة»: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وقال البصريون: لا تثبت واو الثمانية، وإنما الواو هنا كقولك: جاء زيد وفي يده سيف.

قال الزمخشري: وفائدتها التوكيد، والدلالة على أن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُتِبَ لَهُمُ﴾ صدقوا وأخبروا بحق، بخلاف الذين قالوا: ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُتِبَ لَهُمُ﴾، والذين قالوا: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُتِبَ لَهُمُ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عطية: دخلت الواو في آخر إخبار عن عددهم؛ لتدل على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصحَّ الكلام<sup>(٤)</sup>.

(١) في ج: «أثارهم».

(٢) في د: «ليُعرف».

(٣) انظر: الكشف (٩/ ٤٤٠).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٨٨).

وكذلك دخلت السين في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث؛ استغناء بدخولها في الأول.

﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: لا يعلم عدَّتَهُم إِلَّا قَلِيلٌ من الناس، وهم من أهل الكتاب. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلهم»<sup>(١)</sup>؛ لأنه قال في الثلاثة والخمسة: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، ولم يقل ذلك في ﴿سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ ﴿لَا تُمَارِ﴾: من المِرَاء؛ وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج. ومعنى الآية: لا تمارِ أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف إلا مرأً ظاهراً؛ أي: غير متعمِّق فيه، من غير مبالغة ولا تعنيف في الرد عليهم.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف؛ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٠/١٥).

وَلَا تَقُولْ لِشَاءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي فَلَا أَفْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿١٥﴾ وَلْيَتُوبُوا فِي كَثَابَتِ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿١٦﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ ﴿١٧﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٨﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنُكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْوَيْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿١٩﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرِيِّ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الْقَوَاتُ وَحَسَنَتُ الْمُرْتَفَقَاتُ ﴿٢٢﴾

﴿وَلَا تَقُولْ لِشَاءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ سببها: أن قريشاً سألوها اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: اسألوهم عن فتية ذهبوا في الزمان الأول، وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وهو ذو القرنين، وعن الروح؛ فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي، فسألوهم فقال: «غدا أخبركم»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فأمسك الله عنه الوحي خمسة عشر يوماً، فأرجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف، فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذو القرنين<sup>(١)</sup>، وأنزل عليه هذه الآية؛ تأديباً له وتعليماً، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل.

(١) أخرجه الطبري (١٥/١٤٣) عن ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس ؓ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٧٠) عن ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ؓ.



وقوله: ﴿غَدًا﴾ يريد به الزمان المستقبل، لا اليوم الذي بعد يومه خاصة. وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى، وتقديره: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول: «إن شاء الله»، أو تقول: «إلا أن يشاء الله». والمعنى: أن يعلّق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته، ويرأى هو من الحول والقوة.

وقيل: إن قوله ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾، والمعنى: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله؛ بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة - على هذا - راجعة إلى القول، لا إلى الفعل، ومعناها: إباحة القول بالإذن فيه، حكى هذا الزمخشري<sup>(١)</sup>، وحكاه ابن عطية، وقال: إنه من الفساد بحيث كان الواجب أن لا يُحكى<sup>(٢)</sup>.

﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: الإشارة بذلك إلى الاستثناء؛ أي: استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولاً، وذلك على مذهبه في أن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة<sup>(٣)</sup>.

وأما مذهب مالك والشافعي<sup>(٤)</sup>: فإنه لا ينفع إلا إن كان متصلاً باليمين. وقيل: معنى الآية: اذكر ربك إذا غضبت. وقيل: اذكره إذا نسيت شيئاً؛ ليذكرك ما نسيت.

والظاهر: أن المعنى: اذكر ربك إذا نسيت ذكره؛ أي: ارجع إلى الذكر متى غفلت عنه، وادكره في كل حال، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»<sup>(٥)</sup>.

﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ هذا كلام أمر النبي ﷺ أن يقوله،

(١) انظر: الكشاف (٤٤٩/٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥٩٠/٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢٥ / ١٥) وابن أبي حاتم (٢٣٥٥ / ٧)، والحاكم (٧٨٣٣) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (٦٨ / ١١) عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٨٨ / ٢٨).

(٥) أخرجه مسلم (٣٧٣).

والإشارة بـ﴿هَذَا﴾ إلى خبر أصحاب الكهف؛ أي: عسى أن يؤتيني الله من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبؤي من خبر أصحاب الكهف.

واللفظ يقتضي أن المعنى: عسى أن يوفقني<sup>(١)</sup> الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب الكهف وأقرب إلى الله.

وقيل: إن الإشارة بـ﴿هَذَا﴾ إلى المنسي؛ أي: إذا نسيت شيئاً فقل: عسى أن يهديني الله لشيء آخر هو أرشد من المنسي.

﴿وَلْيَتُوبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدَاذُوا تِسْعًا﴾ في هذا قولان:

أحدهما: أنه حكاية عن أهل الكتاب؛ يدل على ذلك ما في قراءة ابن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم»<sup>(٢)</sup>، وهو معطوف على «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً»، فقوله: «فَلِإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا» رد عليهم في هذا العدد المحكي عنهم.

القول الثاني: أنه من كلام الله تعالى، وأنه بيان لما أجمل في قوله: «بَضَرْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا»، ومعنى قوله: «فَلِإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا» -على هذا-: أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم، وقد أخبر بمدة لبثهم، فأخبره هو الحق؛ لأنه أعلم من الناس، فكان قوله: «فَلِإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ» احتجاج على صحة ذلك الإخبار.

وانتصب «سِنِينَ»: على البدل من «ثَلَاثَ مِائَةٍ»، أو عطف البيان، أو على التمييز. وذلك على قراءة التنوين في «ثَلَاثَ مِائَةٍ»<sup>(٣)</sup>. وقرئ بغير تنوين: على الإضافة، ووضع الجمع موضع المفرد.

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي: ما أبصره وما أسمع! لأن الله يدرك الخفيات كما يدرك الجليات.

(١) في د: «يؤتيني»..

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٢٩).

(٣) قرأ حمزة والكسائي بغير تنوين، وقرأ الباقر بالتنوين.

﴿مَا لَهُمْ﴾ الضمير: لجميع الخلق، أو للمعاصرين للنبي ﷺ.

﴿وَلَا يَشْرِكُ بِهِ حُكْمُهُ أَحَدٌ﴾ هو خبر؛ على القراءة بالياء والرفع. وقرئ بالتاء والجزم<sup>(١)</sup>؛ على النهي.

﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِي﴾ يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن؛ فالمعنى: لا يبدل أحد القرآن ولا غيره. ويحتمل أن يريد بالكلمات: القضاء والقدر.

﴿مُلْتَحِدًا﴾ أي: ملجأ تميل إليه.

﴿وَأَضِيزُ نَفْسِكَ﴾ أي: احببها صابراً.

﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ هم فقراء المسلمين، كبلال وصهيب وخباب رضي الله عنهم، وكان الكفار قد قالوا له: اطرده هؤلاء نجالتك نحن، فنزلت الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشيِّ﴾ قيل: المراد الضلوات الخمس. وقيل: الدعاء على الإطلاق.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنُكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا، قال الزمخشري: يقال عداه: إذا جاوزه، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف، وإنما تعدى هنا بـ«عن»؛ لأنه تضمن معنى: بَيَّتْ عينه عن الرجل: إذا احتقره<sup>(٣)</sup>.

﴿ثَرِيدَ زِينَةِ الدُّنْيَا﴾ جملة في موضع الحال، فهي متصلة بما قبلها، وهي في معنى تعليل لفعل المنهي عنه في قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنُكَ عَنْهُمْ﴾؛ أي: لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا.

(١) قرأ ابن عامر بالخطاب والجزم ﴿وَلَا تُشْرِكُ﴾، وقرأ الباقون بالغيب والرفع.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٥٩)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٠)، وابن ماجه (٤١٢٧)، والبزار في مسنده (٦/ ٦٩)، والطبراني في الكبير (٤/ ٧٦) عن خباب بن الارت رضي الله عنه. وحسن إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٨٤٤)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢١٩)، وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٦٠): «حديث غريب».

(٣) انظر: الكشف (٩/ ٤٦٠).

﴿أَغْبَلْنَا قَلْبَهُ﴾ أي: جعلناه غافلاً، أو وجدناه غافلاً. وقيل: إنه يعني عيينة بن حصن الفزاري، والأظهر: أنها مطلقة من غير تعيين.

﴿فُرْطًا﴾ من التَّفْرِيط والتضييع، أو من الإفراط والإسراف.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: هذا هو الحق.

﴿بِمَا شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾ لفظه: أمرٌ وتخيير، ومعناه: أن الحق قد ظهر، فيختار كل إنسان لنفسه؛ إما الحق الذي ينجيه، أو الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديدٌ.

﴿سُرَادِقُهَا﴾ السُّرَادِق في اللغة: ما أحاط بالشيء، كالسُّور والجدار. وأما سرادق جهنم: فقيل: حائط من نار، وقيل: دخان.

﴿كَالْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت إذا انتهى حرُّه، روي ذلك عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. وقيل: ما أذيب من الرصاص وشبهه.

﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي: شيئاً يُرْتَفَق به؛ فهو من الرِّفْق<sup>(٢)</sup>. وقيل: يُرْتَفَق عليه؛ فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء.

﴿أَوَلَيْكَ لَهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراض. ويجوز أن يكونا خبرين. أو يكون ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ الخبر، و﴿أَوَلَيْكَ﴾ كلام مستأنف، ويقوم العموم في قوله: ﴿مَنْ أَحْسَنَ﴾ مقام الضمير الرابط، أو يقدر: من أحسن عملاً منهم.

وروي أن النبي ﷺ قال: «إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١١٦٧٢)، والترمذي (٢٥٨١)، وابن حبان (٧٤٧٣)، والحاكم (٣٨٥٠) وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ قال: «كعكر الزيت، فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه».

(٢) في أ، ب، هـ زيادة: «به»، والمثبت موافق لما في تفسير الطبري (٢٥٣/١٥).

(٣) أخرج أبو جعفر النحاس بإسناده في معاني القرآن (٢٣٥/٤): «حدثنا أبو عبد الله أحمد بن علي بن سهل، قال: حدثنا محمد بن حميد: قال: أخبرنا يحيى بن الضريس عن زهير بن معاوية عن أبي إسحاق =

﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أسوار، أو سوار، وهو ما يجعل في الذراع. وقيل: أساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار.

﴿مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: الغليظ منه.

﴿الْأَرَايِكُ﴾ الأسرة والفُرش.



= عن البراء بن عازب قال: قدم أعرابي إلى رسول الله ﷺ في حجة الوداع والنبي واقف بعرفات على ناقته الصهباء، فقال: إني رجل متعلم فأخبرني عن قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؟ قال النبي ﷺ: «يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد وما هم منك ببعيد هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف معي، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فأعلم قومك أن هذا الآية نزلت في هؤلاء الأربعة»، وذكره السهيلي بإسناده إلى أبي جعفر النحاس في التعريف والإعلام (ص: ١٨٤)، وفي إسناده محمد بن حميد الرازي، وضعفه البخاري، وقال يعقوب بن شيبه: «كثير المناكير»، وضعفه أبو حاتم الرازي والنسائي وغير واحد. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (٩/ ١٢٧-١٣١).

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُخَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَهْرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظِلُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظِلُّ السَّاعَةَ فَآيَةً وَلَئِن رُّدِّتْ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهُمَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٥﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُخَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا ﴿٣٦﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٧﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٨﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيَظْهِرَ صَعِيدًا زَلْفًا ﴿٣٩﴾ أَوْ يُضْحِكَ مَاؤَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُدًى طَلَبًا ﴿٤٠﴾ \* وَاجْبِطْ بَثْمِرَهُ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفْبِهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤١﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٢﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٣﴾

﴿وَاضْرِبْ لَهُم﴾ الضمير: للكفار الذين قالوا: اطرد فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم؛ أي: مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين. وهما أخوان من بني إسرائيل، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ورثا مالا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر، فعيّره الكافر بفقره، فأهلك الله مال الكافر. وروي أن اسم المؤمن تملیخا، واسم الكافر فوطس. وقيل: كانا شريكين اقتسما المال، فاشترى أحدهما بماله جنتين، وتصدق الآخر بماله.

﴿اُكُلَهَا﴾ بضم الهمزة: اسم المأكول، ويجوز ضم الكاف وإسكانها<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: لم تنقص.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بإسكان الكاف، وقرأ الباقون بضمها.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ بضم الثاء والميم<sup>(١)</sup>: أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس رضي الله عنه وقتادة<sup>(٢)</sup>. وقيل: هو الذهب والفضة خاصة.

وهو من ثمر ماله: إذا كثره، ويجوز إسكان الميم تخفيفاً. وأما بفتح الثاء والميم: فهو المأكول من الشجر، ويحتمل المعنى الآخر.

﴿يَخَاوِرُهُ﴾ أي: يراجعه في الكلام.

﴿وَأَعَزَّ نَفَرًا﴾ يعني: الأنصار والخدم.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ أفرد الجنة هنا؛ لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين؛ إذ لا يمكن دخولهما معاً في دفعة واحدة.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ إما بكفره، أو بمقالته لأخيه؛ فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه.

﴿قَالَ مَا أَظْلُ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى السماوات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون قائلاً ببقاء هذا الوجود، كافراً بالآخرة. أو تكون الإشارة إلى جنته، فيكون قوله إفراطاً في الاغترار وقلة التحصيل.

﴿وَلَيْسَ رُدَّتْ إِلَى رَبِّي﴾ أي: إن كان هذا -على سبيل الفرض والتقدير، كما يزعم أخي-، لأجدن في الآخرة خيراً من جنتي في الدنيا. وقرئ ﴿خَيْرًا مِّنْهُمَا﴾ بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد للجنة<sup>(٣)</sup>.

﴿مُنْقَلَبًا﴾ أي: مرجعاً.

﴿أَكْفَرَتْ بِأَلَيْهِ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافراً بالله؛ لشكّه في البعث.

(١) قرأ عاصم بفتح الثاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم، وقرأ الباقر بضم الثاء والميم.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٠) وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦١) عن قتادة، قال: قرأها ابن عباس: «وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ» بالضم، وقال: يعني: أنواع المال.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضمير الاثنين، وقرأ الباقر بضمير الواحد.

﴿سَوِيكَ رَجُلًا﴾ كما تقول سَوَاكَ إنسانًا. ويحتمل أن قَصَدَ الرَّجُولِيَّةَ على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى.

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، والأصل على هذا: «لكن أنا»، ثم أُلْقِيَتْ حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت، ثم أدغمت النون في النون.

وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف، ويتوجه ذلك: بأن تكون «لكن» لحقتها نون الجماعة التي في «خرجنا» و«ضربنا»، ثم أدغمت النون في النون.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ﴾ الآية؛ وصية من المؤمن للكافر، و«لولا» تحضيض.

﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُوتِيَ خَيْرًا مِمَّ جَنَّتِكَ﴾ يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة.

﴿حُسْبَنًا﴾ أي: أمرًا مهلكًا، كالحرِّ والبرد ونحو ذلك.

﴿صَعِيدًا زَلْفًا﴾ الصعيد: وجه الأرض، والزَّلَق: الذي لا يثبت فيه قدم، يعني: أنه تذهب أشجاره ونباته.

﴿غَوْرًا﴾ أي: غائرًا ذاهبًا، وهو مصدر وصف به.

﴿وَأَحْيَظَ بِشَرِّهِ﴾ عبارة عن هلاكها<sup>(١)</sup>.

﴿يَقْلِبُ كَفَّيْهِ﴾ عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يريد: أن السَّقْفَ وقعت وهي العروش، ثم تهدمت الحيطان عليها، فالحيطان على العروش. وقيل: إن كرومها المعروشة سقطت عروشها، ثم سقطت الكروم عليها.

﴿وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ﴾ قال ذلك على وجه التمني لما هلك بستانه، أو على وجه التوبة من الشرك.

(١) في ب: «إهلاكها».



﴿هُنَالِكَ﴾ ظرفٌ يحتمل أن يكون العامل فيه ﴿مُنْتَصِرًا﴾ ، أو يكون في موضع خبر ﴿الْوَلِيَّةِ﴾.

﴿الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ﴾ بكسر الواو<sup>(١)</sup>: بمعنى الرياسة والملك، وبفتحها: من الموالاة والمودة.  
﴿وَحَيْرٌ غُفْبًا﴾ أي: عاقبة.



(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتحها.

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٥٤﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٥٥﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٥٦﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَبَاقًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٥٧﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ بَTَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٥٨﴾

﴿٥٤﴾ «فاختلط به» الباء سببية، والمعنى: صار به النبات مختلطاً؛ أي: ملتقاً ببعضه ببعض من شدة تكاثفه.

﴿٥٥﴾ «أصبح هشيماً» أي: متفتتاً، و«أصبح» هنا بمعنى «صار».

﴿٥٦﴾ «تذروه الرِّيح» أي: تفرقه، ومعنى المثل: تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزراع في فنائها بعد خضرته.

﴿٥٧﴾ «الْمَالُ وَالْبَنُونَ» الآية؛ هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد، وذلك من أدوات البيان. وقرئ: «زينا» بالثنية<sup>(١)</sup>؛ لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة؛ لأنها مصدر.

﴿٥٨﴾ «وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» هذا قول الجمهور، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. وقيل: الصلوات الخمس. وقيل: الأعمال الصالحات على الإطلاق.

(١) لم أقف على نسبة هذه القراءة، وفي الدر المصون للسمين الحلبي (٥٠٢/٧): «وقرئ شاذاً: (زينا الحياة)».

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦١٧)، والحاكم (١٩٨٥) وقال: «صحيح على شرط مسلم»، والطبري (١٥/٢٧٨) من حديث أبي هريرة ؓ. وأخرجه أحمد (١١٧١٣)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم (١٨٨٩) وصححه، من حديث أبي سعيد الخدري ؓ، وزاد فيه: «ولا حول ولا قوة إلا بالله». وأخرجه أحمد (١٨٣٥٣) من حديث النعمان بن بشير ؓ.

﴿نُسِِرَ الْجِبَالُ﴾ أي: نَحْمَلُهَا، ومنه قوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٩٠]، وبعد ذلك تصير هباءً.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: ظاهرة؛ لزوال الجبال عنها.

﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ قال الزمخشري: إنما جاء ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ بلفظ الماضي بعد قوله: ﴿نُسِِرَ﴾؛ للدلالة على أن حشرهم قبل تسيير الجبال؛ ليُعاينوا تلك الأهوال<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَمْ نَغَادِرْ﴾ أي: لم نترك.

﴿صَفًّا﴾ أي: صفوفًا، فهو أفراد تَنَزَّلُ منزلة الجمع، وقد جاء في الحديث: «إن أهل الجنة مئة وعشرون صفًا، أنتم منها ثمانون صفًا»<sup>(٢)</sup>.

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ. و﴿كَمَا خَلَقْتَكُمْ﴾ أي: حفاة عراة غُرُلًا.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني: صحائف الأعمال، ف﴿الْكِتَابُ﴾ اسم جنس.



(١) انظر: الكشف (٩/ ٤٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٢٨)، وابن أبي شيبة (٣٢٣٧٣)، والحاكم (٢٧٥) من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، وقال الحاكم: «عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه في أكثر الأقاويل» ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد (٢٢٩٤٠)، والترمذي (٢٥٤٦) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٨٩)، وابن حبان (٧٤٥٩)، والحاكم (٢٧٣) وقال: «على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخِذًا لَظَالِمِينَ ۝ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ۝ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝﴾

﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ كلام مستأنف، جرى مجرى التعليل لإبادة إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع؛ فإن الجن صنف غير الملائكة.

وقد يجيب عن ذلك من قال: إنه كان من الملائكة: بأن ﴿كَانَ﴾ هنا بمعنى «صار»؛ أي: خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن، وهم الذين خُلِقُوا من نار.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عما أمره<sup>(١)</sup> به، والفسق في اللغة: الخروج.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا توبيخ ووعظ، وذرية إبليس: هم الشياطين، واتخاذهم أولياء: بطاعتهم في عصيان الله والكفر به.

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ الضمير: للشياطين على وجه التحقير لهم، أو للكفار، أو لجميع الخلق، فيكون فيه ردٌّ على المنجمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرصة.

﴿وَمَا كُنْتُمْ مُتَخِذًا لَظَالِمِينَ عَصَادًا﴾ أي: مُعِينًا، ومعنى «الظالمين»: الذين يُضِلُّون العباد، وذلك يقوِّي أن المراد الشياطين.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم، وقد بيَّن هذا بقوله: «الَّذِينَ زَعَمْتُمْ».

(١) في «أمر».

﴿مُؤَيَّاتٌ﴾ أي: مهلكا، وهو اسم موضع، أو مصدر من: وَبَقَّ الرجل: إذا هلك. وقد قيل: إنه واد من أودية جهنم. والضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾: للمشركين وشركائهم.

﴿بَطَّنُوا أَنَّهُمْ مُّوَافِعُهَا﴾ الظنُّ هنا بمعنى اليقين.

﴿مَضْرِباً﴾ أي: معدلاً ينصرفون إليه.



وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥١﴾  
وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ  
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٢﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجِدِ الَّذِينَ  
كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِنَا وَمَا نُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ  
ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ  
يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا أَبَدًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ الْعَظِيمُ  
ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ  
مَوْيلًا ﴿٥٥﴾ \* وَتِلْكَ الْأَفْرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِنَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٦﴾

﴿جَدَلًا﴾ أي: مخاصمة ومداغة بالقول، ويقضي سياق الكلام ذم الجدال. وسببها  
فيما قيل: مجادلة النضر بن الحارث<sup>(١)</sup>، على أن الإنسان<sup>(٢)</sup> يراد به الجنس.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ الآية؛ معناها: أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو  
القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة، وهي الإهلاك في الدنيا، أو يأتيهم العذاب؛  
يعني: عذاب الآخرة.

ومعنى ﴿قُبُلًا﴾: معاينة. وقرئ بضمين<sup>(٣)</sup>، وهو جمع قبيل؛ أي: أنواعا من العذاب.

﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي: يبطلوا.

﴿وَمَا نُنذِرُوا﴾ يعني: العذاب. و«ما»: موصولة، والضمير محذوف تقديره: أنذروه، أو  
مصدرية.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم، أو تعليل  
له. والأكنة: جمع كنان وهو الغطاء، والوقر: الصمم، وهما على وجه الاستعارة في قلة

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦٢٣/٥) ولم أقف عليه مسندا.

(٢) في زيادة: «هنا».

(٣) قرأ عاصم وحزمة والكسائي ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الباء.

فهمهم للقرآن، وعدم استجابتهم للإيمان.

﴿قَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ يراد به: مَنْ قَضَى اللهُ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ.

﴿لَوْ يَوَازِيهِمُ الضَّمِيرُ﴾ لكفار قريش، أو لسائر الناس، كقوله: ﴿لَوْ يَوَازِيهِ اللَّهُ النَّاسُ﴾ [النحل: ٦١]، والجملة خبر المبتدأ، و﴿الْعَفْوَ ذُو الرِّحْمَةِ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر؛ توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذه. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ﴿الْعَفْوَ﴾ هو الخبر، و﴿لَوْ يَوَازِيهِمُ﴾ بيان لمغفرته ورحمته. والأول أظهر.

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ قيل: هو الموت، وقيل: عذاب الآخرة، وقيل: يوم بدر.

﴿مَوْيلاً﴾ أي: منجى، يقال: وآل الرجل: إذا نجاً<sup>(١)</sup>.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ يعني: عاداً وثموداً وغيرهم من المتقدمين. والمراد: أهل القرى؛ ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾. وفي ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش.

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ أي: وقتاً معلوماً، والمُهْلِكُ هنا -بضم الميم وفتح اللام-: اسم مصدر من «أهلك»، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول؛ لأن الفعل متعد.

وقرئ بفتح الميم<sup>(٢)</sup>، من «هلك»، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل.



(١) في أ: «أي: ملجأ.. ملجأ» وهما بمعنى واحد. تفسير الطبري (١٥/ ٣٠٤)، والكشاف (٩/ ٥٠٣).

(٢) روى حفص عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام، وروى شعبة بفتح الميم واللام، وقرأ الباقر بضم الميم وفتح اللام.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَبْتِهِ لَا أَتْرُكُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿١﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٢﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَبْتِهِ هَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَفِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِيئِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٤﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا فَقَصَصَا ﴿٥﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيئَهُ رَحْمَةً مِنْ عَيْنِنَا وَعِلْمَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٧﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٩﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٠﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُخْبِرَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١١﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَبْتِهِ﴾ هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر عليه السلام، وهو موسى بن عمران نبي الله. وقال قوم: هو موسى آخر<sup>(١)</sup>، وذلك باطل، رده ابن عباس عليه السلام وغيره، ويدل الحديث على بطلانه.

وفتاه: هو يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، وهو من ذرية يوسف عليه السلام، والفتى هنا: بمعنى الخديم.

وسبب القصة فيما روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: أن موسى عليه السلام خطب يوماً في بني إسرائيل، ف قيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه بل<sup>(٢)</sup> عبدنا الخضر، فقال: يا رب دلني على السبيل إلى لقائه، فأوحى الله إليه أن يحمل حوتاً في مِكتل ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك، ففعل موسى عليه السلام ذلك حتى لقيه<sup>(٣)</sup>.

(١) في الحديث التالي.

(٢) في ب، د: «بل».

(٣) أخرجه البخاري (١٢٢)، (٤٧٢٥)، (٤٧٢٦)، (٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠) عن ابن عباس عليه السلام أن أبي بن كعب عليه السلام حدثه.



﴿لَا أَبْرَحَ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ قال موسى ﷺ هذا الكلام وهو سائر؛ أي: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، فحذف خبر ﴿لَا أَبْرَحَ﴾ اختصاراً؛ لدلالة المعنى عليه. ومعنى ﴿لَا أَبْرَحَ﴾ هنا: لا أزال؛ لأن حقيقة «لا أبرح» تقتضي الإقامة في الموضع، وكان موسى ﷺ حين قالها على سفر لا يريد إقامة. و﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: عند طَنْجَة، حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه، وهو بحر الأندلس. وقيل: هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق.

﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: زماناً طويلاً، والحُقُب - بضم القاف وإسكانها -: ثمانون سنة. وقيل: زمان غير محدود. وقيل: هو جمع حِقْبَة، وهي السنة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ الضمير في ﴿بَلَغَا﴾ لموسى وفتاه، والضمير في ﴿بَيْنَهُمَا﴾ للبحرين.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نَسَب النسيان إليهما، وإنما كان النسيان من الفتى وحده، كما تقول: فعل بنو فلان كذا: إذا فعله واحد منهم. وقيل: نسي الفتى أن يقدمه، ونسي موسى ﷺ أن يأمره فيه بشيء.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاعل ﴿اتَّخَذَ﴾: الحوت، والمعنى: أنه سار في البحر، فقيل: إن الحوت كان ميتاً مملوحاً، ثم صار حياً بإذن الله، ووقع في الماء فسار فيه، وقال ابن عباس ﷺ: إنما حيي الحوت؛ لأنه مسّه ماء عَيْن يقال لها: عَيْن الحياة، ما مست قَطُّ شيئاً إلا حيي<sup>(١)</sup>، وفي الحديث: أن الله أمسك جَرِيَةَ الماء على الحوت فصار (عليه مثل الطَّاق - أي: بقي موضع سلوكه في الماء فارغاً من الماء - فصار<sup>(٢)</sup>) مثل السَّرَب<sup>(٣)</sup>، وهو المسلك في جوف الأرض، وذلك معجزة لموسى ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٧). وانظر: الفتح، لابن حجر (٨ / ٤١٥).

(٢) سقط من أ، ب، ج، هـ، وهو مستدرَك من النسخ الأخرى، وهو في الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البر سرّياً حتى وصل إلى البحر، فعام على العادة.  
ويردّ هذا ما ورد في الحديث.

﴿قَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: جاوزا الموضع الذي وصف له، وهو الصخرة التي نام عندها، فسار<sup>(١)</sup> الحوت في البحر بينما كان موسى ﷺ نائماً، وكان ذهاب الحوت أمانة لقائه للخضر، فلما استيقظ موسى أصابه الجوع، فقال لفتاه: ﴿ءَاتِنَا عَدَاءَنَا﴾.  
﴿نَضْبًا﴾ أي: تعباً.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ قال الزمخشري: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ هنا بمعنى: أخبرني، ثم قال: فإن قلت: ما وجه التثام هذا الكلام؛ فإن كل واحد من ﴿أَرَأَيْتَ﴾ و﴿إِذْ أَوَيْنَا﴾ و﴿قَالَ﴾ نسيب الحوت لا متعلق له؟

فالجواب: أنه لما طلب موسى ﷺ الحوت ذكر يوسع ما رأى منه، وما اعتراه من نسيانه فدعش، فطفق يسأل موسى ﷺ عن سبب ذلك، فكانه قال: أرايت ما دهاني إذ أويينا إلى الصخرة، فإني نسييت الحوت، فحذف بعض الكلام<sup>(٢)</sup>.

﴿نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ أي: نسييت أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر، فتقديره: نسييت ذكر الحوت.

﴿أَنْ أَذْكَرَهُ﴾ بدل من الهاء في ﴿أَنْبِئْنِيهِ﴾، وهو بدل اشتمال.

﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من كلام يوسع، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً للناس. أو يكون إخباراً من الله تعالى، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً للناس، أو اتخذ موسى ﷺ سبيل الحوت عجباً؛ أي: تعجب هو منه.

وإعراب ﴿عَجَبًا﴾: مفعول ثانٍ لـ ﴿اتَّخَذَ﴾، مثل ﴿سَرَّيَا﴾. وقيل: إن الكلام تمّ عند قوله: ﴿فِي الْبَحْرِ﴾، ثم ابتداء التعجب فقال: ﴿عَجَبًا﴾، وذلك بعيد.

(١) في ب، ج، د: «فصار».

(٢) انظر: الكشاف (٩/٥١١-٥١٢).

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: فقد الحوت هو ما كنا نطلب؛ لأنه أمانة على وجدان الرجل.  
﴿بَارِئًا عَلَيْنَا إِبَارِهِمَا فَصَّصًا﴾ أي: رجعا في طريقهما يقصّان أثرهما الأول؛ لئلا يخرجنا عن الطريق.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ هو الخضر.

﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ يعني النبوة على قول من قال: إن الخضر نبي. وقيل: إنه ليس نبي، ولكنه ولي. وتظهر نبوته من هذه القصة؛ لأنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحي. واختلف أيضا هل مات أو هو حي إلى الآن؟ ويذكر كثير من الصلحاء أنهم يرونه ويكلّمهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ في الحديث: أن موسى ﷺ وجد الخضر مسجّى بثوبه فقال: السلام عليك، فرفع رأسه وقال: وأنتي بأرضك السلام؟ ثم قال له: من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: ألم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى، ولكنني أحببت لقاءك وأن أتعلم منك، قال: إني على علم من علم الله علّمني لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علّمك لا أعلمه أنا<sup>(٢)</sup>.

(١) [التعليق ٦٨] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في تفسير العبد في الآية: «هو الخضر» حق، وهو متفق عليه بين المفسرين، ودلت عليه السنة، كما في حديث ابن عباس ﷺ في الصحيحين، وذكر المؤلف ﷺ الخلاف في شأن الخضر في مسألتين: في نبوته، وهل هو حي أو ميت؟ وذكر ما يرجح القول بنبوته، مما ورد في قصته في الآيات، ولا ريب أن القول بنبوته قول قوي، ولكن لا يقطع بذلك.

وأما القول بحياة الخضر فهو قول باطل؛ إذ لا دليل يدل على بقائه، وما ذكره المؤلف من رؤية بعض الصالحين له فليس مما يعول عليه في إثبات الأمور الغيبية، وهي من دعاوى الصوفية، كما يذكرون أنهم يرون النبي ﷺ يحضر بعض مجالسهم للذكر يقظة لا مناما، والمحققون من أهل العلم على خلاف هذا القول، أعني ما يدعى من حياة الخضر، قالوا: مما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّكَ خَلْدًا﴾، قالوا: ولو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ ويؤمن به؛ فإنه لا يسعه إلا اتباعه، كما قال النبي ﷺ في موسى ﷺ: «لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني» رواه أحمد وغيره. وظاهر من سياق كلام المؤلف أنه يميل إلى القول بحياة الخضر؛ لأنه استشهد له ولم يضعفه، عفا الله عنه، وغفر له.

(٢) تقدم تخريجه قريبا.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ الآية؛ مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه.

﴿رُشْدًا﴾ قرئ: بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما<sup>(١)</sup>، والمعنى واحد. وانتصب على أنه: مفعول ثانٍ بـ ﴿تُعَلِّمُ﴾، أو حال من الضمير في ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.



(١) قرأ أبو عمرو بفتح الراء والشين، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الشين.

بَانْظَلَفَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَفَهَا قَالَ أَخْرِقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا أَمْرًا ﴿٥٠﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٥١﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُزِهِنِي مِّنْ أَمْرِ عُسْرًا ﴿٥٢﴾ بَانْظَلَفَا حَتَّى إِذَا لَفِيَا غُلَامًا بِقَتْلِهِ قَالَ أَتَقْتُلَنِي نَفْسًا رَّكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٥٣﴾ \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٥٤﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي فَدَ بَلَّغْتَ مِن لَّدُنِّي عَذْرًا ﴿٥٥﴾ بَانْظَلَفَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ بِأَقَامَتِهِ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٥٦﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَتَّبِعُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٥٧﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٥٨﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٥٩﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٦٠﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا بَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرٍ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٦١﴾

﴿بَانْظَلَفَا﴾ الضمير لموسى والخضر ؑ. وفي الحديث: «أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر، حتى مرت بهما سفينة، فعرفها الخضر فحملا فيها بغير تَوَلٍّ<sup>(١)</sup>؛ أي: بغير أجره<sup>(٢)</sup>».

﴿خَرَفَهَا﴾ روي أن الخضر أزال لوحين من ألواحها<sup>(٣)</sup>.

﴿شَيْئًا أَمْرًا﴾ أي: عظيمًا، وقيل: منكرًا.

﴿بَانْظَلَفَا﴾ يعني: بعد نزولهما من السفينة، فمرًا بغلمان يلعبون، وفيهم غلام وضيء الصورة، فاقتلع الخضر رأسه. وقيل: ذبحه. وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في القاموس المحيط من معاني التَوَلٍّ: أجره السفينة خاصة.

(٣) تقدم تخريجه، ولفظه: «فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه».

والأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح<sup>(١)</sup>. وروي أن اسم الغلام جَيْشُور - بالجيم -، وقيل: بالحاء المهملة<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري: إن قلت: لم قال: ﴿خَرَفَهَا﴾ بغير فاء، وقال: ﴿بَقَتَلَهُ﴾ بالفاء؟ فالجواب: أن ﴿خَرَفَهَا﴾ جواب الشرط، و﴿قَتَلَهُ﴾ من جملة الشرط معطوف عليه، والجزاء: ﴿قَالَ أَقْتَلْتُ﴾.

فإن قلت: لم خولف بينهما؟ فالجواب: أن خَرَقَ السفينة لم يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام<sup>(٣)</sup>.

﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ قيل: إنه كان لم يبلغ، فمعنى ﴿زَكِيَّةً﴾ ليس له ذنب. وقيل: إنه كان بالغًا، ولكنه لم ير له الخضر ذنبًا.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفسًا لم يكن بقتله بأسً على وجه القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغًا؛ فإن غير البالغ لا يُقتل وإن قتل نفسًا.

﴿شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي: منكراً، وهو أبلغ من قوله: ﴿إِمْرَأً﴾، ويجوز ضم الكاف وإسكانها<sup>(٤)</sup>.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾ بزيادة ﴿لَكَ﴾، فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس في قوله أولاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة، وإن لم يتقدم لها ذكرٌ، ولكن سياق الكلام يدل عليها.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِي عُذْرًا﴾ أي: قد أعذرت إلي، فأنت معذور عندي. وفي الحديث: «كانت الأولى من موسى نسيانًا»<sup>(٥)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ورد في رواية البخاري (٤٧٢٦).

(٣) انظر: الكشاف (٥٢٢/٩).

(٤) قرأ نافع وابن ذكوان عن ابن عامر وشعبة عن عاصم بضم الكاف، وقرأ الباقون بإسكانها.

(٥) تقدم تخريجه.

﴿أَتَيَا أَهْلَ فَرْيَةٍ﴾ قيل: هي أنطاكية. وقيل: بَرْقَةُ. وقال أبو هريرة رضي الله عنه وغيره: هي بالأندلس<sup>(١)</sup>، ويُذكر أنها الجزيرة الخضراء، وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة.

﴿إِسْتَظْعَمَا أَهْلَهَا﴾ أي: طلبا منهم طعاما.

﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ أي: يسقط، وإسناد الإرادة إلى الجدار مجاز، ومثل ذلك كثير في كلام العرب، وحقيقته: أنه قارب أن ينقض. ووزن ﴿يَنْقَضُ﴾ يَنْفَعِلُ، وقيل: يَفْعَلُ - بالتشديد - كَيَحْمَرُّ.

﴿بِقَائِمَةٍ﴾ قيل: إنه هدمه ثم بناه، وقيل: مسح يده وأقامه فقام.

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: قال موسى للخضر: لو شئت لاتخذت عليه أجرا! أي: طعاما نأكله.

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إنما قال له هذا؛ لأجل شرطه في قوله: ﴿إِنْ سَأَلْتكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْ بَيْنِي﴾، على أن قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ليس بسؤال، ولكن في ضمنه أمرٌ بأخذ الأجرة عليه؛ لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام.

والْبَيْنُ هنا: ليس بظرف، وإنما معناه: الوصلة والقرب. وقال الزمخشري: الأصل: «هذا فراق بيني وبينك» بتنوين «فراق» ونصب «بين» على الظرفية، ثم أضيف المصدر إلى الظرف<sup>(٢)</sup>.

والإشارة بقوله: ﴿هَذَا﴾ إلى السؤال الثالث، الذي أوجب الفراق.

﴿أَمَّا السَّهِيَّةُ بِكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ قيل: إنهم تجار، ولكنه قال فيهم: «مساكين» على وجه الإشفاق عليهم؛ لكونهم كانوا يُغَصَّبُونَ سفيتهم، أو لكونهم في لجج البحر. وقيل: كانوا عشرة إخوة، منهم خمسة عاملون بالسفينة، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم.

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦٤١/٥)، ولم أقف عليه مستندا

(٢) انظر: الكشاف (٥٣٢/٩).

وقرى: «مساكين» بتشديد السين<sup>(١)</sup>؛ أي: يمسون السفينة.

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ قيل: معناه: قدامهم، وقرأ ابن عباس ؑ: «أمامهم»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عطية: إن «وراءهم» على باب، ولكن روعي به الزمان، فالوراء هو المستقبل، والأمام هو الماضي<sup>(٣)</sup>.

﴿كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا﴾ عموم معناه<sup>(٤)</sup> الخصوص في الجياد الصّحاح من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود ؑ: «يأخذ كل سفينة صالحة»<sup>(٥)</sup>. وقيل: إن اسم هذا الملك هُذُذ بن بُدَد، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح.

وفي الكلام تقديم وتأخير؛ لأن قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مؤخر في المعنى عن ذكر غَضْبَهَا؛ لأن خوف الغضب سبب في أنه عابها، وإنما قُدِّمَ للعناية به.

﴿وَأَمَّا الْغُلَمَ﴾ روي أنه كان كافراً، وروي أنه كان يفسد في الأرض<sup>(٦)</sup>.

﴿وَيَخْشِينَا أَنْ يَزْهِقَهُمَا﴾ المتكلم بذلك هو الخضر. وقيل: إنه من كلام الله، وتأويله على هذا: «فكرهنا». وقال ابن عطية: إنه من نحو ما وقع في القرآن من «عسى» و«لعل»، وإنما هو في حق المخاطبين<sup>(٧)</sup>.

ومعنى: ﴿يَزْهِقَهُمَا ظَعِينًا وَكُفْرًا﴾: يكلفهما ذلك، والمعنى: أن يحملهما حبه على اتباعه، أو يضربهما مخالطته<sup>(٨)</sup> مع مخالفته لهما.

(١) نسبها أبو حيان إلى علي بن أبي طالب ؑ. البحر المحيط (٣٤٣/١٤)

(٢) تقدم تخريجه في الحديث المتفق عليه.

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦٤٧/٥).

(٤) في ج، هـ: «يراد به».

(٥) أخرجه الطبري (٣٥٦/١٥). وفي أ: «قرأ ابن عباس»، وهي قراءة ابن عباس -أيضاً- كما في الحديث المتفق عليه المتقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه في الحديث المتفق عليه.

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٦٤٩/٥).

(٨) في د: «بمخالطته».



﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾ أي: غلامًا آخر خيرًا من الغلام المقتول.

﴿رَزَقُوهُ﴾ أي: طهارة وفضيلة في دينه.

﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ أي: رحمة وشفقة؛ فقيل: المعنى أن يرحمهما، وقيل: يرحمانه.

﴿لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ اليتيم: من فقد أباه قبل البلوغ. وروي أن اسم الغلامين: أضرم وصريم، واسم أبيهما: كاشح، وهذا يفتقر إلى صحة نقل.

﴿كَنَزْنَاهُمَا﴾ قيل: مال عظيم. وقيل: كان علمًا في صحف مدفونة. والأول أظهر.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قيل: إنه الأب السابع. وظاهر اللفظ: أنه الأقرب.

﴿بَارَادَ رَبُّكَ﴾ أسند الإرادة هنا إلى الله؛ لأنها في أمرٍ مُّغَيَّبٍ مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله، وأسندها الخضر إلى نفسه في قوله: ﴿بَارَدْتُ أَنْ أَعْيَبَهَا﴾؛ لأنها لفظة <sup>(١)</sup> عيب، فتأدّب بأن لا يُسندَها إلى الله، وذلك كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ [الشعراء: ٨٠]، فأسند المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله؛ تأدّبًا.

واختلف في قوله: ﴿بَارَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾ هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله؟

﴿وَمَا بَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ هذا <sup>(٢)</sup> دليل على نبوة الخضر؛ لأن المعنى أنه فعل ما فعل بأمر الله؛ أي: بوحيه.



(١) في أ، ب: «لفظ».

(٢) في ج: «في هذا».

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَرَيْنِ فُلْ سَأَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٥٨﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ  
وَعَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي  
عَيْنِ حَيِّثُهَا وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا فَلَمَّا يَلَذَا الْفَرَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا  
﴿٦٠﴾ \* قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ﴿٦١﴾ وَأَمَّا مَنْ  
آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٦٢﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ  
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٦٣﴾ كَذَلِكَ  
وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٦٤﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَيِّ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا  
لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٦٥﴾ قَالُوا يَلَذَا الْفَرَيْنِ إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ  
فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٦٦﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ  
بَأَعْيُنِنَا إِنْ أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٦٧﴾ أَتَوْنِي زَبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ  
الضَّدْبَيْنِ قَالَ انْفِخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٦٨﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ  
يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَفْبًا ﴿٦٩﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكًّا  
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٧٠﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ  
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٧١﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿٧٢﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي  
غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِهِ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿٧٣﴾

﴿٥٨﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَرَيْنِ ﴿٥٨﴾ السائلون: اليهود، أو قریش بإشارة اليهود. وذو القرنين:  
هو الإسكندر الملك، وهو يوناني - وقيل: رومي -، وكان رجلاً صالحاً. وقيل: كان نبياً.  
وقيل: كان ملكاً - بفتح اللام - . والصحيح أنه ملك - بكسر اللام - .

واختلف لم سمي ذا القرنين؟ فقيل: كان له ضفيران من شعر هما قرناه، فسمي بذلك.  
وقيل: لأنه بلغ المشرق والمغرب؛ فكانه حاز قرني الدنيا.

﴿٥٩﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴿٥٩﴾ التمكين له: أنه ملك الدنيا، ودانت له الملوك كلهم.

﴿٦٠﴾ وَوَعَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٦٠﴾ أي: علماً وفهماً، يتوصل به إلى معرفة الأشياء. والسبب: ما  
يتوصل به إلى المقصود من علم، أو قدرة، أو غير ذلك.

﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقًا يوصله.

﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَيِثُهَا﴾ قرئ بالهمز<sup>(١)</sup>، على وزن «فَعِلَةٌ»؛ أي: ذات حَمَاءٍ<sup>(٢)</sup>. وقرئ بالياء، على وزن «فاعلة». وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس رضي الله عنهما، فقال ابن عباس رضي الله عنه: «حمئة»، وقال معاوية رضي الله عنه: «حامية»، فبعثنا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر، فقال: أمّا العربية فأنتم أعلم بها مني، ولكنني أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطن، فوافق ذلك قراءة ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

ومعنى: ﴿حَامِيَّةٌ﴾: حارة. ويحتمل أن يكون بمعنى حمئة، ولكن سهلت همزته، فيتفق معنى القراءتين. وقد قيل: يمكن أن يكون فيها حَمَاءٌ، وتكون حارّة لحرارة الشمس، فتكون جامعةً للوصفين، ويجتمع معنى القراءتين.

﴿فُلْنَا يَذَا الْقُرْنَيْنِ﴾ استدلل بهذا من قال: إن ذا القرنين نبي؛ لأن هذا القول وحي. ويحتمل أن يكون بإلهام، فلا يكون فيه دليل على نبوته.

﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كانوا كفارًا، فخيرهم الله بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإسلام، فيحسن إليهم. وقيل: الحُسْنُ هنا: هو الأُسْرُ، وجعله حُسْنًا؛ بالنظر إلى القتل.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ﴾ اختار أن يدعوهم إلى الإسلام، فمن تمادى على الكفر قتله، ومن أسلم أحسن إليه. والظلم هنا: الكفر، والعذاب: القتل. وأراد بقوله: ﴿عَذَابًا نُّكَرًا﴾: عذاب الآخرة.

﴿قُلْ هَـذِهِ جَزَاءُ الْحَسَنَى﴾ المراد بالحسنى: الجنة، أو الأعمال الحسنة.

﴿وَسَنَقُولَ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ وعدهم بأن ييسر عليهم.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم ﴿حَمِيَّةٌ﴾ بغير ألف بعد الحاء وبالهمز، وقرأ الباقون ﴿حَامِيَّةٌ﴾ بالألف وفتح الياء من غير همز.

(٢) في السان (١/٥٤): «الحمأة: الطين الأسود الممتن».

(٣) أخرجه الطبري (١٥/٣٧٥) وابن أبي حاتم (٧/٢٣٨٣).

﴿وَجَدَهَا تَظْلَعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ هؤلاء القوم هم الزنج، وهم أهل الهند ومن وراءهم. ومعنى: ﴿لَمْ تَجْعَلْ﴾ الآية: أنهم ليس لهم بنیان؛ إذ لا تحتل<sup>(١)</sup> أرضهم البناء، وإنما يدخلون من حرّ الشمس في أسراب تحت الأرض. وقال ابن عطية: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم<sup>(٢)</sup>. وقيل: السّتر: اللباس، فكانوا -على هذا- لا يلبسون الثياب.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أمرُ ذي القرنين كذلك؛ أي: كما وصفناه؛ تعظيمًا لأمره. وقيل: إن ﴿كَذَلِكَ﴾ راجع لما قبله؛ أي: لم نجعل لهم سترًا كما جعلنا لكم من المباني والثياب. وقيل: المعنى: وجد عندها قومًا كذلك؛ أي: مثل القوم الذين وجد عند مغرب الشمس، وفعل معهم مثل فعله.

﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ أي: بين الجبلين، وهما جبلان في طرف الأرض. وقرئ بالضم والفتح<sup>(٣)</sup>، وهما بمعنى. وقيل: ما كان من خَلْقَةِ الله فهو مضموم، وما كان من فعل الناس فهو مفتوح.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ قيل: هم التُّرك.

﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس، فهم لا يفقهون القول إلا بالإشارة أو نحوها.

﴿يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم، في خَلْقَتَهُمْ<sup>(٤)</sup> تشويه، منهم مُفْرِطُ الطول ومفراط القصر.

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ إفسادهم: بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر. وقيل: كانوا يأكلون بني آدم.

(١) في ج: «تحتل».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦٥٧/٥).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم بفتح السين، وقرأ الباقون بضمها.

(٤) في هـ: «خلقهم».

﴿قُلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدًّا﴾ «هل» استفهام في ضمنه عرض ورغبة. والخَرْجُ: الجباية، ويقال فيه: خَرَجَ، وقد قرئ بهما<sup>(١)</sup>. فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالاً يقيم بها السدَّ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: ما بسط الله لي من الملك خير من خرجكم؛ فلا حاجة لي به، ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي.

﴿رَدْمًا﴾ أي: حاجزاً حصيناً، والرَّدْمُ أعظم من السد.

﴿سَأَوَّىٰ بَيْنَ الصَّدْقَيْنِ﴾ أي: بين الجبلين.

﴿قَالَ أَنْبِئُونَا بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ أي: أوقدوا النار على الحديد.

﴿فِظْرًا﴾ أي: نحاساً مذاباً، وقيل: هو الرصاص. وروي أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء، ثم جعل البنيان من زُبُر الحديد، حتى ملأ به ما بين الجبلين، ثم أفرغ عليه النحاس المذاب<sup>(٢)</sup>.

﴿بِمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أصل ﴿اسْتَطَعُوا﴾: استطاعوا، وحذفت التاء تخفيفاً. والضمير في ﴿يَظْهَرُوهُ﴾ للسد، ومعنى ﴿يَظْهَرُوهُ﴾: يعلوه ويصعدوا على ظهره، فالمعنى: أن يأجوج ومأجوج لا يقدرّون أن يصعدوا على السد؛ لارتفاعه، ولا ينقبوه؛ لقوّته.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ القائل ذو القرنين، وأشار إلى الرَّدْم.

﴿وَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني: القيامة.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مبسوطاً مسوياً بالأرض.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الضمير في ﴿تَرَكْنَا﴾ لله عز وجل.

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يحتمل أن يريد به: يوم القيامة؛ لأنه قد تقدّم ذكره، فالضمير في قوله:

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿خَرَجًا﴾ وقرأ الباقون ﴿خَرْجًا﴾.

(٢) أخرجه الطبري (٣٩٨-٣٩٠/١٥) في ضمن أثر طويل عن ابن إسحاق، قال: حدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه. قال ابن كثير (١٩٥/٥): «وقد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه أثراً طويلاً عجيباً في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ما جرى له، وفيه طول وغرابة ونكارة».

﴿بَغْضَهُمْ﴾ - على هذا - لجميع الناس. أو يريد بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم كمال السد، والضمير في قوله: ﴿بَغْضَهُمْ﴾ - على هذا - لياجوج وماجوج. والأول أرجح؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، فيتصل الكلام.

و﴿يَمُوجُ﴾ عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الصُّور: هو القرن الذي يُنْفَخ فيه يوم القيامة حسبما جاء في الحديث<sup>(١)</sup>، يُنْفَخ فيه إسرافيل نفختين، إحداهما للصفق، والأخرى للقيام من القبور.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها.

﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾ عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم، وكذلك ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾.



(١) أخرجه أحمد (٦٥٠٧)، والترمذي (٢٤٣٠) وحسنه، وأبو داود (٤٧٤٢)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٠)، وابن حبان (٧٣١٢)، والحاكم (٣٦٣١) وصححه ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

\*أَحْسِبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًّا ﴿٣﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْإِزْدِاقِ نُزُلًا ﴿٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿٦﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿٨﴾

﴿أَحْسِبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء، كما حكى عنهم أنهم يقولون: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبا: ٤١]. والعباد هنا: مَنْ عُبِدَ مع الله ممن لا يريد ذلك، كالملائكة وعيسى بن مريم ﷺ. ﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي: يَسْرُنَا.

﴿نُزُلًا﴾ ما يسر<sup>(١)</sup> للضيف والقادم عند نزوله، والمعنى: أن جهنم لهم بدل النزل، كما أن الجنة نزل في قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْإِزْدِاقِ نُزُلًا﴾. ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الآية في كفار العرب؛ لقوله: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾. وقيل: في الرهبان؛ لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم، وهي لا تقبل منهم. وفي قوله: ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ تجنيس الخط، وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف<sup>(٢)</sup>.

(١) في أ، هـ: «ما يتيسر»، وفي ب: «تيسر».

(٢) تجنيس التصحيف: هو اتفاق الكلمتين في الخط لا في اللفظ، انظر المقدمة الأولى، الباب العاشر.

﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾ أي: ليس لهم حسنة توزن؛ لأن أعمالهم قد حبطت.  
 ﴿جَنَّتُ الْعِزْدُونَ﴾ هي أعلى الجنة حسبما ورد في الحديث<sup>(١)</sup>، ولفظ الفردوس أعجمي معرب.

﴿حَوْلًا﴾ أي: تحوُّلاً وانتقالاً.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الآية؛ إخبارٌ عن اتساع علم الله تعالى. والكلمات: هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، فمعنى الآية: لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفذ علم الله، وكذلك لو جيء ببحر آخر مثله؛ وذلك لأن البحر متناهٍ وعلم الله غير متناهٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ أي: زيادة، والمدد: هو ما يُمدُّ به الشيء أي: يُكثَّر.

﴿بِمَسْ كَان يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ إن كان الرجاء هنا على بابه: فالمعنى: يرجو حُسن لقاء ربه، وأن يلقاه لقاء رضا وقبول. وإن كان الرجاء بمعنى الخوف: فالمعنى: يخاف سوء لقاء ربه.

﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ يحتمل أن يريد الشرك بالله، وهو عبادة غيره؛ فيكون راجعاً إلى قوله: ﴿يُوجَى إِلَى أَنَّمَا إِلَهُ الْكُفَرِ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾. أو يريد الرياء؛ لأنه الشرك الأصغر. واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) [التعليق ٦٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن جزي رحمه الله: «إخبارٌ عن اتساع علم الله تعالى...»، إلخ: أقول: هذا صريحٌ بتأويل كلام الله بعلمه؛ فالآية عند المؤلف إخبارٌ عن سعة علم الله، لا عن دوام كلامه، وقد بنى هذا التأويل على قول الأشاعرة في «كلام الله»: بأنه معنى نفسي غير مسموع منه؛ وذلك في قوله: «والكلمات: هي المعاني القائمة بالنفس»، وهذا ظاهرٌ في أن المؤلف يقرر القول بالمعنى النفسي. وقول الأشاعرة في كلام الله قول باطلٌ مناقضٌ لدلالة العقل والشرع؛ فهو - عندهم - معنى نفسي ليس بصوت ولا حرف، واحدٌ لا يتعدّد، قديمٌ لا تتعلّق به مشيئة الله.

وهذا خلافٌ ما عليه أهل السنة والجماعة من السلف ومن تبعهم؛ فكلام الله - عند أهل السنة - كلامٌ مسموع؛ كما سمع موسى كلام الله من الله؛ أي: بلا واسطة، وهو متعدّد، فهو حروف وكلمات، وسور وآيات، وهو سبحانه يتكلّم بما شاء، إذا شاء، كيف شاء، متى شاء؛ كما أخبر أنه قال ويقول، ونادى وينادي؛ كما دلّت على ذلك الآيات، والله أعلم.



(كامل تفسير سورة الكهف، وبتمامها تمّ جميع النصف من البقرة من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

يتلوه إن شاء الله تفسير سورة مريم ﴿١﴾.



(١) كذا في ب، وورد في أ هكذا: «كامل الجزء الأول من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ويتلوه الثاني إن شاء الله، ومن الله أرجو العون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وورد في ج هكذا: «كامل تفسير سورة الكهف، والحمد لله، وبتمامها تم السفر الأول، ويتلوه في الثاني إن شاء الله تعالى سورة مريم عليها السلام، وصلى الله على محمد».

ولم يرد في د، هـ.

## سُورَةُ مَرْيَمَ (١)

كَهَيِّعَصَّ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِیَّاءَ ﴿١﴾ اِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَفِيًّا ﴿٣﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٤﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ أَلِي يَغْفِرَ لِي وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٥﴾ \* يَزَكِّرْ يَاءَ إِنَّا نُنْشِرُكَ بِغَلَمٍ إِسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٦﴾ قَالَ رَبِّ آبَى أَنْ يُكُونَ لِي غَلَمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٨﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿٩﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْجَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٠﴾ يَتَّخِطُّ خَذِ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَعْتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١١﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٢﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٣﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٤﴾

﴿كَهَيِّعَصَّ﴾ قد تكلمنا في «البقرة» على حروف الهجاء. وقيل في هذا: إن الكاف من «كريم» أو «كبير» أو «كاف»، والهاء من «هادي»، والياء من «علي»، والعين من «عزيز» أو «عليم»، والصاد من «صادق». وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول في دعائه: «يا كهيعص» <sup>(٢)</sup> فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسمًا من أسماء الله تعالى، أو ينادي بالأسماء

(١) في ب، ج هنا زيادة: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٥١/١٥)، والدارمي في النقص على المريسي (ص ٥٤) (ط: المكتبة الإسلامية)، وابن ماجه في التفسير - كما قال المزي في تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٨٤) - عن فاطمة ابنة علي - وهي فاطمة الصغرى - عنه عليه السلام، واختلف في سماع فاطمة من أبيها، انظر: تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٦١)، وجامع التحصيل، للعلائي (٣١٨).

التي اقتطعت منها هذه الحروف.

﴿ذَكَرَ﴾ تقديره: هذا ذكر.

﴿عَبْدُهُ زَكْرِيَّا﴾ وصفه بالعبودية تشريفاً له، وإعلاماً باختصاصه وتقريبه. ونصب ﴿عَبْدُهُ﴾ على أنه مفعول لـ ﴿زَحَمَتِ﴾؛ فإنها مصدرٌ أضيف إلى الفاعل، ونصب المفعول. وقيل: هو مفعول بفعل مضمر، تقديره: رَجِمَ عَبْدُهُ، وعلى هذا يوقف على ما قبله، وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه، وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ يعني: دعاه.

﴿يَذَاءُ خَفِيًّا﴾ أخفاه لأن الله يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء، أو لئلا يلومَه الناس على طلب الولد.

﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ أي: ضعف.

﴿وَاشْتَغَلَ﴾ استعارة للشيب، من اشتعال النار.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَفِيًّا﴾ أي: قد سعدت بدعائي لك فيما تقدّم، فاستجب لي في هذا، فتوسّل إلى الله بإحسانه القديم إليه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ يعني: الأقارب، قيل: خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل: خاف أن يضيّعوا الدين من بعده.

﴿مِنْ وَرَاءِ﴾ أي: من بعدي.

﴿عَافِرًا﴾ أي: عقيماً.

﴿بَقِيَ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يعني: وارثاً.

﴿يَرِثُنِي﴾ قيل: يعني وراثته المال. وقيل: وراثته العلم والنبوة، وهذا أرجح؛ لقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه هذا اللفظ أحمد في مسنده (٩٩٧٢) عن أبي هريرة ؓ. وأخرجه النسائي في الكبرى (٦٢٧٥) أيضاً بهذا اللفظ من حديث عمر ؓ، وهو في الصحيحين من حديث أبي بكر ؓ بلفظ: «لا نورث، ما تركناه صدقة» أخرجه البخاري (٤٠٣٥)، ومسلم (١٧٥٨).

وكذلك يرث من آل يعقوب العلم والنبوة، وقيل: الملك. ويعقوب هنا: هو يعقوب بن إسحاق على الأصح.

﴿رَضِيًّا﴾ أي: مرضي<sup>(١)</sup>، فهو فعيل بمعنى مفعول.

﴿سَمِيًّا﴾ يعني مَنْ سُمِّيَ باسمه. وقيل: مثيلاً ونظيراً. والأول أحسن هنا.

﴿أَنْبَى يَكُونُ لِي غُلَمٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعُقم امرأته، فسأل ذلك أولاً؛ لعلمه بقدرة الله عليه، وتعجب منه؛ لأنه نادر في العادة. وقيل: سألته وهو في سنٍّ من يرجوه، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ.

﴿غَتِيًّا﴾ قيل: يُيسر في الأعضاء والمفاصل. وقيل: مبالغة في الكبر.

﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف في موضع رفع؛ أي: الأمر كذلك؛ تصديقاً له فيما ذكر من كبره وعُقم امرأته، وعلى هذا يوقف على قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾، ثم يبدأ: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾. وقيل: إن الكاف في موضع نصب بـ ﴿قَالَ﴾، و﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى مبهم يفسره: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيَّ﴾.

﴿إِجْعَلْ لِّي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأته.

﴿سَوِيًّا﴾ أي: سليماً غير أخرس، وانتصابه على الحال من الضمير في ﴿تَكَلَّمَ﴾، والمعنى: أنه لا يكلم الناس مع أنه سليم من الخرس. وقيل: إن ﴿سَوِيًّا﴾ يرجع إلى الليالي؛ أي: مستويات.

﴿بَأَوْجَى إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار، وقيل: كتبه في التراب؛ إذ كان لا يقدر على الكلام.

﴿أَنْ سَبَّحُوا﴾ قيل: معناه: صلُّوا، والسُّبُّحة في اللغة: الصلاة. وقيل: قولوا<sup>(٢)</sup>: سبحان الله.

﴿يَتَخَيَّبِي﴾ التقدير: قال الله ليحيى بعد ولادته: يا يحيى.

﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: في العلم به، والعمل به.

(١) في د: «مرضياً».

(٢) في أ، ب: «قوله».

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ قيل: الحكم: معرفة الأحكام. وقيل: الحكمة. وقيل: النبوة.

﴿وَحَنَانًا﴾ قيل: معناه: رحمة. وقال ابن عباس: لا أدري ما الحنان! <sup>(١)</sup>

﴿وَزَكَاةً﴾ أي: طهارة. وقيل: ثناء، كما يزكي الشاهد.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٧٧/١٥) عن عكرمة عن ابن عباس ؓ.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ابْتَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ﴿١﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٢﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٤﴾ قَالَتْ أَنبَى بِكَ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِتَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَفْضِيًّا ﴿٦﴾ \* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٧﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جُذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نِسَاءً مَنْسِيًّا ﴿٨﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِينَ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٩﴾ وَهَرَبَ إِلَيْكَ بِجُذْعِ النَّخْلَةِ تُسَافِرُ عَلَيْكَ زُبًا جَنِيًّا ﴿١٠﴾ فَكَلِمَةَ أَشْرَى وَفَرَغَ عِنْدَ بِرْمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿١١﴾ فَأَثَرُ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا غَرِيًّا ﴿١٢﴾ يَتْلُو هَؤُلَاءِ مَا كَانِ آبَاؤُكُمْ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكِ بَغِيًّا ﴿١٣﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِ صَبِيًّا ﴿١٤﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿١٦﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَفِيًّا ﴿١٧﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٨﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٩﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا فُضِي أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٠﴾ وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢١﴾ بِاخْتَلَفِ الْأَحْزَابِ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٢﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِ الْظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ فُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والكتاب: القرآن.

﴿إِذِ ابْتَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي: اعتزلت منهم، وانفردت.

﴿مَكَانًا شَرْفِيًّا﴾ أي: إلى جهة الشرق<sup>(١)</sup>، ولذلك يصلي النصارى إلى المشرق.

(١) في ب: «المشرق».

﴿بَارِئًا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبريل عليه السلام. وقيل: عيسى عليه السلام. والأول هو الصحيح؛ لأن جبريل هو الذي تمثّل لها باتفاق.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَفِيًّا﴾ لما رأت الملك الذي تمثّل لها في صورة البشر قد دخل عليها؛ خافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه: إن كنت ممن يتقي الله فابعُد عني؛ فإني أعوذ بالله منك. وقيل: إن ﴿تَفِيًّا﴾ اسم رجل معروف بالشرّ عندهم، وهذا ضعيف بعيد.

﴿لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ الغلام الزكيّ: هو عيسى عليه السلام.

وقرئ: ﴿لِيَهَبَ﴾ بالياء<sup>(١)</sup>، والفاعل فيه هو ضمير الربّ سبحانه وتعالى. وقرئ بهمزة المتكلم، وهو جبريل عليه السلام، وإنما نسب الهبة إلى نفسه لأنه هو الذي أرسله الله بها، أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى.

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغيّ: هي المرأة المجاهرة بالزنا، ووزن بغيّ: فعول.

﴿وَلِتَجْعَلَنَّ آيَةً﴾ الضمير للولد، واللام تتعلّق بمحذوف تقديره: لنجعله آية فعلنا ذلك.

﴿بَحَمَلَتْنِي﴾ يعني: في بطنها، وكانت مدة حملها ثمانية أشهر. وقال ابن عباس عليه السلام<sup>(٢)</sup>: حملته وولدتها من ساعته<sup>(٣)</sup>.

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيدًا، وإنما بعُدت حياء من قومها أن يظنوا بها الشرّ.

﴿فَأَجَاءَهَا﴾ معناه: ألجأها، وهو منقول من «جاء» بهمزة التعدية.

﴿الْمَخَاضِ﴾ أي: النفاس.

﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ روي أنها احتضنت الجذع؛ لشدة وجع النفاس.

(١) قرأ أبو عمرو وورش عن نافع وقالون بخلف عنه: ﴿لِيَهَبَ﴾ بالياء، وقرأ الباقر وهو الوجه الثاني لقالمون: ﴿لَاهَبَ﴾ بالهمز.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/٤٩٧)، وابن أبي حاتم (٧/٤٤٠٢). قال ابن كثير في تفسيره (٥/٢٢٢): «وهذا غريب».

(٣) في أ: «ساعة».

﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثٌّ﴾ إنما تمنّت الموت خوفاً من إنكار قومها، وظنهم بها الشرّ، ووقوعهم في ذمّها، وتمني الموت جائز في مثل هذا، وليس هذا من تمني الموت لضرّ نزل بالبدن؛ فإنه منهّي عنه.

﴿وَكُنْتُ نِسِيًّا﴾ النسي: الشيء الحقيق الذي لا يؤبه له<sup>(١)</sup>، ويقال بفتح النون وكسرها<sup>(٢)</sup>.

﴿فَبَنَادِبِهَا مِن تَحْتِهَا﴾ قرئ «من» بفتح الميم وكسرها<sup>(٣)</sup>، وقد اختلف على كلتا القراءتين: هل هو جبريل أو عيسى عليه السلام؟ وعلى أنه جبريل: قيل: إنه كان تحتها كالقابلة، وقيل: كان في مكان أسفل من مكانها.

﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ تفسير للنداء، ف«أن» مفسّرة.

﴿سَرِيًّا﴾ يعني: جدولاً، وهو ساقية من ماء كان قريباً من جذع النخلة، وروي أن النبي ﷺ فسّره بذلك<sup>(٤)</sup>. وقيل: يعني عيسى عليه السلام؛ فإن السريّ الرجل الكريم.

﴿وَهَزَّتْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ كان جذعاً يابساً، فخلق الله فيه الرطب؛ كرامة لها وتأنيساً. وقد استدلّ بعض الناس بهذه الآية أن الإنسان ينبغي له أن يتسبّب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهزّ النخلة. والباء في «بجذع» زائدة، كقوله: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» [البقرة: ١٩٤].

﴿تَسْقُطْ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ الفاعل بـ «تسقط» النخلة. وقرئ بالياء<sup>(٥)</sup>؛ والفاعل - على ذلك - الجذع. و«رطباً» تمييز. والجنيّ معناه: الذي طاب وصلاح لأن يجتنى.

(١) في ج، د، هـ: «به».

(٢) قرأ حمزة وحفص عن عاصم بفتح النون، وقرأ الباقر بكسرها.

(٣) قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «مِن تَحْتِهَا» بكس الميم وخفض التاء، وقرأ الباقر «مِن تَحْتِهَا» بفتح الميم ونصب التاء.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٩/٢) من حديث البراء مرفوعاً، وضعفه الهيثمي في المجمع (١٤٩/٧). وروي موقوفاً عن البراء، وهو أصح، أخرجه الطبري (٥٠٦/١٥)، والحاكم (٣٤١٣) وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٦/١٣) من حديث ابن عمر مرفوعاً، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٢٢٤/٥)، والهيتمي في المجمع (١٤٩/٧).

(٥) هي قراءة الأعمش ويعقوب «يَسْقُطُ». المحرر الوجيز (٢٣/٦).



﴿بَكْلِي وَاشْرَبِي﴾ أي: كلي من الرطب، واشربي من ماء الجدول، وهو السري.  
﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي: طيبي نفسًا بما فعل<sup>(١)</sup> الله لك من ولادة نبي كريم، أو من تيسير  
المأكول والمشروب.

﴿فِيمَا تَرِينَ﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة للتأكيد، و «تَرِينَ» فعل  
خوطبت به المرأة، ودخلت عليه النون الثقيلة؛ للتأكيد.

﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتًا عن الكلام. وقيل: تعني: الصيام؛ لأن من شرطه في  
شريعتهم الصمت. وإنما أمرت بالصمت؛ صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها،  
و<sup>(٢)</sup> لأن عيسى تكلم عنها. وإخبارها<sup>(٣)</sup> بأنها نذرت الصمت<sup>(٤)</sup> كان بهذا الكلام. وقيل:  
بالإشارة. ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت.

﴿بَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾ لما رأت الآيات علمت أن الله سيبيِّن عذرها، فجاءت به من المكان  
القصي إلى قومها.

﴿شَيْئًا قَرِيبًا﴾ أي: شنيعًا، وهو من الفرية.

﴿يَاأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ كان هارون عابدًا من<sup>(٥)</sup> بني إسرائيل، شُبِّهَتْ به مريم في كثرة  
العبادة؛ ف قيل لها: أخته، بمعنى: أنها تشبهه. وقيل: كان أخاها من أبيها، وكان رجلًا  
صالحًا. وقيل: هو هارون النبي أخو موسى ﷺ، وكانت من ذريته، ف«أخت» على هذا  
كقولك: «أخو بني فلان»؛ أي: واحد منهم. ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من  
النسب حقيقة؛ فإن بين زمانهما دهرًا طويلًا.

﴿بَأْشَارَتِ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى ولدها ليتكلم، وصمتت هي كما أمرت.

(١) في ج، د: «جعل».

(٢) في د: «أو».

(٣) في ب، هـ: «فإخبارها».

(٤) في هـ: «الصوم».

(٥) في د هـ: «في».

﴿كَانَ فِي الْمَهْدِ﴾ «كان» بمعنى: يكون، والمهد: هو المعروف. وقيل: المهد هنا: حجرها.

﴿ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ﴾ يعني: الإنجيل، أو التوراة والإنجيل.

﴿مُبْرَكًا﴾ من البركة. وقيل: نفع. وقيل: معلّم للخير. واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَأَوْصِيَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ هما المشروعتان. وقيل: الصلاة هنا: الدعاء، والزكاة: التطهير من العيوب.

﴿وَبَرًّا﴾ معطوف على ﴿مُبْرَكًا﴾، روي أن عيسى ﷺ تكلم بهذا الكلام وهو في المهد، ثم عاد إلى حالة الأطفال، على عادة البشر. وفي كلامه هذا ردّ على النصارى؛ لأنه اعترف أنه عبد الله، وردّ على اليهود؛ لقوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا؛ لتقدّم السلام المنكّر في قصة يحيى ﷺ، فهو كقولك: رأيت رجلاً فأكرمت الرجل. وقال الزمخشري: الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلعنة من اتّهم مريم؛ كأنه قال: السلام كلّهُ عليّ لا عليكم، بل عليكم ضده<sup>(١)</sup>.

﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بالرفع<sup>(٢)</sup>: خبر مبتدأ تقديره: هذا قول الحق، أو بدّل، أو خبرٌ بعد خبر. وبالنصب: منصوب على المدح بفعل مضمر، أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدّم.

﴿بِهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يختلفون؛ فهو من المراء. أو: يشكّون؛ فهو من المرية. والضمير لليهود والنصارى.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ من كلام عيسى ﷺ. وقرئ بفتح الهمزة<sup>(٣)</sup>: تقديره: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه. وبكسرهما: لا ابتداء الكلام. وقيل: هو من كلام النبي ﷺ، والمعنى: يا محمد! قل لهم: ذلك عيسى بن مريم، وإن الله ربي وربكم. والأوّل أظهر.

(١) انظر: الكشف (١٧/١٠).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم بنصب اللام، وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرهما.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ هذا ابتداء إخبار، والأحزاب: اليهود والنصارى؛ لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافاً شديداً، فكذب اليهود وعبدوا النصارى، والحق خلاف أقوالهم كلها.

﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ معناه: من تلقائهم، ومن أنفسهم، وأن الاختلاف لم يخرج عنهم.

﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا﴾ أي: ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة! على أنهم في الدنيا في ضلال مبين.

﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت<sup>(١)</sup>. وقيل: هو يوم القيامة. وانتصاب ﴿يَوْمَ﴾ على المفعولية، لا على الظرفية.

﴿وَهُمْ فِي غَبْلَةٍ﴾ يعني: في الدنيا، فهو متعلق<sup>(٢)</sup> بقوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أو بـ ﴿أَنْذِرْهُمْ﴾.



(١) بهذا ورد تفسيره في الحديث، أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) في ب، هـ: «يتعلق».

\* وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٥﴾ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١٧﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٨﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿١٩﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ الْهَيْمَةِ يَا إِبْرَاهِيمُ لِمَ لَمْ تَتَنَّهُ لَازِمَتَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَمِيًّا ﴿٢٢﴾ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَشْيَ الْآكُونَ بِدَعَاءِ رَبِّي شَفِيًّا ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا إِعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٢٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٢٥﴾

﴿١٥﴾ «صِدِّيقًا» بناءً مبالغة من الصدق، أو من التصديق، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي، نبوي بعده. ويحتمل أن جمع<sup>(١)</sup> الوصفين.

﴿١٦﴾ «مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ» يعني: الأصنام.

﴿١٧﴾ «صِرَاطًا سَوِيًّا» أي: قويمًا.

﴿١٨﴾ «لَازِمَتَكَ» قيل: يعني: الرجم بالحجارة. وقيل: الشتم.

﴿١٩﴾ «وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا» أي: حينًا طويلاً، وعطف «وَاهْجُرْنِي» على محذوف، تقديره: احذر رجومي لك.

﴿٢٠﴾ «قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ» هو وداع ومفارقة. وقيل: مسالمة، لا تحية؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز.

﴿٢١﴾ «سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ» وعد، وهو الذي أشير إليه في قوله: «عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ» [التوبة: ١١٥]. قال ابن عطية: معناه: سادعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك؛ وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز<sup>(٢)</sup>. وقيل: وعده أن يستغفر له مع كفره؛ ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر

(١) في ج زيادة «بين».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣٩/٦).

للكفار حتى أعلمه الله بذلك، ويقوّي هذا القول قوله: ﴿وَأَغْمِزْ لِأَيِّى إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصّٰلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٧]، ومثّل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب: «لاستغفرون لك ما لم أنّه عنك»<sup>(١)</sup>.

﴿حَمِيًّا﴾ أي: بارًّا متلطّفًا.

﴿وَأَعْتَزَّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تعبدون.

﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه ﷺ، وهبهما الله عوضًا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم.

﴿مِنْ رَّحْمَتِنَا﴾ النبوة. وقيل: المال والولد. واللفظ أعم من ذلك.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يعني: الشناء الباقي عليهم إلى آخر الدهر.



(١) تقدم تخريجه.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَتَذَيَّنَّا مِنْ جَانِبِ  
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّغْنَا نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي  
الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ بِأَمْرِ أَهْلِهِ  
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ  
صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ  
ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا  
تُكَلِّمُهُمْ وَعَاشَيْتَ الرَّحْمَلَ خَرُّوا سُجَّدًا بُكِيًّا ﴿٥٨﴾ \*بَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا  
الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ  
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ  
كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾  
تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُدً مَا بَيْنَ  
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا  
بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام<sup>(١)</sup>: أي: أخلص نفسه وأعماله لله. وافتحها: أي: أخلصه الله  
للنبوة والتقريب.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ النبي أعم من الرسول؛ لأن النبي كل من أوحى الله إليه، ولا يكون  
رسولاً حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

﴿وَتَذَيَّنَّا﴾ هو تكليم الله له. ﴿الطُّورِ﴾ هو الجبل المشهور بالشام.

﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكان على يمين موسى ﷺ حين وقف عليه. ويحتمل أن يكون  
من اليُمن.

﴿نَجِيًّا﴾ النجى: فعيل، وهو المنفرد بالمناجاة. وقيل: هو من النجاة. والأول أصح.

(١) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بفتح اللام، وقرأ الباقون بكسرها.

﴿مِنْ رَّحْمَتِنَا﴾ «من»: سببية، أو للتبعية. و﴿أَخَاهُ﴾: على الأول: مفعول، وعلى الثاني: بدل.

﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ روي أنه وعد رجلاً إلى مكان، فانتظره فيه سنة<sup>(١)</sup>. وقيل: الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبيح في قوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّائِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢]، وهذا على قول من قال: إن الذبيح هو إسماعيل.

﴿إِذْ رِيسَ﴾ هو أول نبي بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من خط بالقلم، ونظر في علم النجوم، وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح ﷺ.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن عباس ﷺ: رفعه الله إلى السماء، وهناك مات، وفي حديث الإسراء: أنه في السماء الرابعة<sup>(٢)</sup>. وقيل: يعني: رفعة النبوة وتشريف منزلته. والأول أشهر، ويرجح الحديث.

﴿إِذْ رِيسَ﴾ إشارة إلى كل من ذكر في هذه السورة، من زكرياء إلى إدريس ﷺ.

﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ «من» هنا للبيان، والتي بعدها للتبعية.

﴿مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ يعني: نوحاً وإدريس ﷺ.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني: إبراهيم ﷺ.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﷺ.

﴿وَإِسْرَءِيلَ﴾ يعني: أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى ﷺ.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمل العطف على «من» الأولى، أو الثانية.

﴿وَبِكَيْتًا﴾ جمع بالك، ووزنه فُعُول.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤١١/٧) عن سفيان الثوري بلاغاً. وأخرجه الطبري (٥٦١/١٥) عن سهل بن عقيل أنه انتظره يوماً وليلة. قال ابن عطية (٤٣/٦): «روي أنه وعد رجلاً أن يلقاه في موضع، فجاء إسماعيل وانتظر الرجل يومه وليلته، فلما كان في اليوم الآخر جاء الرجل، فقال له: ما زلت هنا في انتظارك منذ أمس، وفي كتاب ابن سلام: أنه انتظره سنة، وهذا بعيد غير صحيح، والأول أصح».

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) عن أنس ﷺ.

﴿بَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يقال في عَقِب الخير: خَلَف -بفتح اللام-، وفي عقب الشر: خَلَف -بالسكون- وهو المعنى هنا. واختَلَفَ فيمن المراد بذلك؟ فقيل: النصاري؛ لأنهم خَلَفُوا اليهود. وقيل: كُلٌّ من كفر وعصى من بعد بني إسرائيل.

﴿أَصَاغُوا الصَّلَاةَ﴾ قيل: تركوها، وقيل: أخرجوها عن أوقاتها.

﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ الغي: الخسران. وقد يكون بمعنى الضلال؛ فيكون على حذف مضاف تقديره: يلقون جزاء غي.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ استثناءً يحتمل الاتصال والانقطاع.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي: أخبرهم من ذلك<sup>(١)</sup> بما غاب عنهم.

﴿مَاتِيًّا﴾ وزنه مفعول؛ فقيل: إنه بمعنى فاعل؛ لأن الوعد هو الذي يأتي. وقيل: إنه على بابه؛ لأن الوعد هو الجنة، وهم يأتونها.

﴿لَعَوًّا﴾ يعني: ساقط الكلام.

﴿إِلَّا سَلَمًا﴾ استثناءً منقطع.

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل: المعنى: أن زمانهم يُقَدَّرُ بالأيام والليالي؛ إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل. وقيل: المعنى: أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه، وعبر عن ذلك بالبكرة والعشي؛ على عادة الناس في أكلهم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ فقال له: «أبطأت عني واشتقت إليك»، فقال: «إني كنت أشوق، ولكنني عبدٌ مأمور؛ إذا بُعثت نزلت وإذا حُبست احتبست»، ونزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

(١) في ب، ج: «بذلك».

(٢) في هـ: «في كلامهم».

(٣) أخرجه هذا اللفظ ابن أبي حاتم (٢٤١٤/٧) عن عكرمة. وأخرجه البخاري (٣٢١٨) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟»، قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية.



﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: له ما قدامنا وما خلفنا، وما نحن فيها<sup>(١)</sup> من الجهات والأماكن؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: ما بين النفختين.

وقيل: ما مضى من أعمارنا، وما بقي منها، والحال التي نحن فيها. والأول أكثر مناسبة لسبب الآية.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذُّهول. وقيل: بمعنى الترك. والأول أظهر.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: مثيلاً ونظيراً، فهو من المسامي والمضاهي. وقيل: مَنْ يُسَمَّى باسمه؛ لأنه لم يتسم بالله غيره تعالى.



(١) في ج، هـ: «فيه».

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذًا مَا مِثَّ لَسَوْفَ أَخْرَجَ حَيًّا ﴿١٥﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿١٦﴾ بَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِّن كُلِّ شِيعَةٍ أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُتِيًّا ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَغْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿١٩﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ آمَنُوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٢١﴾ وَإِذَا ثُنِجْنَا عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٢٢﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ﴿٢٣﴾ \* قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴿٢٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٢٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ إِهْتَدَوْا هُدًى وَابْتَلَيْتُ الصَّالِحِينَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٢٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٢٧﴾ أَظْلَعُ الْغَيْبِ أَمْ إِنَّا خَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٢٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٢٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٣٠﴾ وَإِنَّا خَذَوْنَا مِثْقَلًا ذَرَّةً مِّن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٣١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٣٢﴾

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذًا مَا مِثَّ لَسَوْفَ أَخْرَجَ حَيًّا﴾ هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور. والإنسان هنا: جنس يراد به الكفار.

وقيل: إن القائل لذلك أبي بن خلف، وقيل: أمية بن خلف. والهمزة التي دخلت على «أَذًا مَا مِثَّ» للإنكار والاستبعاد. واللام في قوله: «لَسَوْفَ» سبقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى<sup>(١)</sup>.

والإخراج يراد به: البعث.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاج على صحة البعث، ورد على من أنكره؛ لأن النشأة الأولى دليل على الثانية.

(١) قال في المحرر الوجيز (٥٣/٦): «واللام في قوله: «لَسَوْفَ» مجلوبة على الحكاية لكلام معلم بهذا المعنى، كأن قائلًا قال للكافر: إذا مت يا فلان لسوف تخرج حيًّا، فقرره الكافر على الكلام على جهة الاستبعاد، وكرر الكلام حكاية للقول الأول».

﴿لَتَحْشُرَنَّهُمُ وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني: قُرْنَاءَهُم من الشياطين الذين أضلَّوهم. والواو: للعطف، أو بمعنى «مع»؛ فيكون «الشَّيَاطِينَ» مفعولاً معه.

﴿جُنَيْتًا﴾ جمع جاثٍ، ووزنه فُعُول، من قولك: جثا الرجل: إذا جلس جلسة الذليل الخائف.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب، أو أتباع إنسان. ومعنى الآية: أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها، فيقدِّمه إلى النار. وقال بعضهم: المعنى: نبدأ بالأكبر جُرمًا فالأكبر جُرمًا.

﴿أَيُّهُمْ﴾ اختلف في إعرابه: فقال سيوييه: هو <sup>(١)</sup> مبني على الضم؛ لأنه حُذِفَ العائد عليه من الصلة - وكان التقدير: «أَيُّهُمْ هو أشدُّ» - فوجب البناء. وقال الخليل: هو مرفوع على الحكاية، تقديره: الذي يقال له أشدُّ <sup>(٢)</sup>. وقال يونس: علَّقَ عنها الفعل، وارتفعت بالابتداء <sup>(٣)</sup>.

﴿أُولَئِكَ بِهَا صَلِيلًا﴾ الصَّلِي: مصدر: صَلَّى النار، ومعنى الآية: أن الله يعلم من هو أولى بأن يُصلَّى العذاب.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خطابٌ لجميع الناس عند الجمهور. فأما المؤمنون فيدخلونها، ولكنها تَحْمَدُ فلا تضرُّهم، فالورود على هذا بمعنى <sup>(٤)</sup>: الدخول، كقوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، و﴿بَأْوَرَدْهُمْ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨].

وقيل: الورد بمعنى القدوم عليها، كقوله: ﴿وَرَدَ مَاءَ مَذْيَنٍ﴾ [القصص: ٢٢]، والمراد بذلك: جواز الصراط. وقيل: الخطاب للكفار؛ فلا إشكال.

(١) موصول بمعنى: الذي. الدر المصون، للسمين الحلبي (٦٢١/٧).

(٢) أعربها الخليل على أنها - «أَيُّهُمْ» - مبتدأ، و«أشدُّ» خبره، وهي استفهامية، والجملة محكية بقولٍ مقدَّر، والتقدير: «لننزع من كل شِيعَةٍ المَقُول فيه: أَيُّهُمْ أشدُّ». الدر المصون، للسمين الحلبي (٦٢١/٧).

(٣) فهي عنده في الأصل في محل نصب بـ «ننزع»، إلا أنها علَّقت الفعل، فارتفعت بالابتداء وما بعدها خبرها كقول الخليل، ومذهب يونس أنه يجوز التعليق في سائر الأفعال، ولا يخصُّه بأفعال القلوب كما يخصه الجمهور. الدر المصون، للسمين الحلبي (٦٢١/٧-٦٢٢).

(٤) في أ، ب، هـ: «المعنى».

﴿حَتْمًا﴾ أي: أمرًا لا بدَّ منه.

﴿٧٦﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴿٧٦﴾ إن كان الورد بمعنى الدخول: فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردًا وسلامًا، ثم بالخروج منها. وإن كان بمعنى المرور على الصراط: فنجاتهم بالجواز، والسلامة من الوقوع فيها.

﴿٧٧﴾ أَوَى الْفِرَاقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٧﴾ الفريقان: هم المؤمنون والكفار. والمقام: اسم مكان من قام. وقرئ بالضم<sup>(١)</sup>؛ من أقام. والنديُّ: المجلس.

ومعنى الآية: أن الكفار قالوا للمؤمنين: نحن خير منكم مقامًا؛ أي: أحسن حالًا في الدنيا، وأجمل مجلسًا؛ فنحن أكرم على الله منكم.

﴿٧٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ ﴿٧٨﴾ ﴿كَمْ﴾ مفعول بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾. ومعنى الآية: ردُّ على الكفار في قولهم المذكور؛ أي: ليس حُسْنُ الحال في الدنيا دليلًا على الكرامة عند الله؛ لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالًا منكم في الدنيا.

﴿هُمْ أَخْسَنُ﴾ قال الزمخشري: هذه الجملة في موضع نصب صفة لـ ﴿كَمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿أَثْنًا﴾ أي: متاع البيت. وقال ابن عطية: هو اسمٌ عام في المال؛ العين والعرض<sup>(٣)</sup> والحيوان<sup>(٤)</sup>. وهو اسم جمع. وقيل: هو جمع، واحده أثناة.

﴿وَرِيًّا﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء، معناه: منظر حسن، وهو من الرؤية، والرِّي: اسم المرئي. وقرئ بتشديد الياء من غير همز<sup>(٥)</sup>، وهو تخفيف من الهمز، فالمعنى متفق. وقيل: هو من رِيَّ الشارب؛ أي: التمتع بالمشارب والمأكُل.

(١) قرأ ابن كثير بضم الميم، والباقون بفتحها.

(٢) انظر: الكشف (٨٣/١٠).

(٣) في د: «والعروض».

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٦٠/٦).

(٥) قرأ قالون عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿وَرِيًّا﴾ بتشديد الياء من غير همز، وقرأ الباقون ﴿وَرِيًّا﴾.

وقرأ ابن عباس: «زَيْناً» بالزاي<sup>(١)</sup>.

﴿بَلَيْتُمْذَ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ أي: يمهله ويُملي له، واختلف هل هذا الفعل دعاء، أو خبر سبق بلفظ الأمر تأكيداً؟

﴿حَتَّى﴾ هنا: غاية للمد في الضلال.

﴿إِذَا الْعَذَابُ﴾ يعني: عذاب الدنيا.

﴿شَرَّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ في مقابلة قولهم: ﴿خَيْرَ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

﴿وَالْبَنِينَ الصَّالِحِينَ﴾ ذكر في «الكهف»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَحَيْرَ مَرَدًّا﴾ أي: مرجعاً وعاقبة.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل.

﴿وَقَالَ لِأَوْتَيْنِ مَالًا وَوَلَدًا﴾ كان قد قال: لئن بُعثت كما يزعم محمد ليكونن لي هناك مال وولد<sup>(٣)</sup>.

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبِ﴾ الهمزة للإنكار، والرد على العاصي في قوله.

﴿كَلَّا﴾ ردع له عن كلامه.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنما جعله مستقبلاً؛ لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل.

﴿وَنُمَدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نزيد له فيه.

﴿وَوَرِثَهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة، وهي المال والولد.

ووراثتها: هي بأن يهلك العاصي ويتركها، وقد أسلم ولداه هشام وعمر و

(١) ذكرها مكي في الهداية (٥٨٠/٧)، وابن عطية في تفسيره (٦٢/٦) بدون إسناد، وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٢/١٣): «وروى سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس: «هم أحسن أثاثاً وزياً» بالزاي».

(٢) انظر تفسير الآية (٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥) عن خباب

﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: بلا مال، ولا ولد، ولا ولي، ولا نصير.

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ قيل: إن الضمير في ﴿يَكْفُرُونَ﴾ للكفار، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للمعبودين، فالمعنى كقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٤].

وقيل: إن الضمير في ﴿يَكْفُرُونَ﴾ للمعبودين، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للكفار، فالمعنى كقولهم: ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدْقًا﴾ معناه: يكون لهم خلاف ما أمّلوه منهم، فيصير العزّ الذي أمّلوه ذلّة. وقيل: معناه: أعداء.

أَلَمْ تَرَأْنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكُفَرِيِّينَ تَوْزِعُوهُمْ أَزْوَاجًا ۖ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ۖ يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۖ وَنُسُوفُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ۖ لَا يَمْلِكُونَ الشَّبْعَةَ إِلَّا مَنِ انْتَحَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ وَقَالُوا إِنَّا نَحْنُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۖ يَكَادُ السَّمَاءُ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۖ إِنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۖ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۖ إِنْ كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَةُ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۖ لَقَدْ أَخْبَلْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَذَابًا ۖ وَكُلُّهُمْ آتِيَةُ يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ وَرَدًا ۖ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۖ وَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَيِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ۖ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ۖ

﴿٢٧﴾ «أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكُفَرِيِّينَ» تَضَمَّنَ مَعْنَى: «سَلَطْنَا»، وَلِذَلِكَ تَعَدَّى بِ«عَلَى».

﴿تَوْزِعُوهُمْ أَزْوَاجًا﴾ أَي: تُزَعِّجُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: لَا تَسْتَبْطِئْ عَذَابَهُمْ وَتَطْلُبْ تَعْجِيلَهُ.

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ أَي: نَعُدُّ مَدَّةَ بَقَائِهِمْ فِي الدُّنْيَا. وَقِيلَ: نَعُدُّ أَنْفُسَهُمْ.

﴿وَفْدًا﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: رِكْبَانٌ<sup>(١)</sup>، وَمَعْنَى الْوَفْدِ لُغَةً: الْقَادِمُونَ، وَعَادَتُهُمُ الرُّكُوبُ؛ فَلِذَلِكَ قِيلَ ذَلِكَ. وَقِيلَ: مُكْرَمُونَ؛ لِأَنَّ الْعَادَةَ إِكْرَامُ الْوُفُودِ.

﴿وَرَدًا﴾ مَعْنَاهُ: عَطَاشٌ<sup>(٢)</sup>؛ لِأَنَّ مَن يَرِدُ الْمَاءَ لَا يَرُدُّهُ إِلَّا لِلْعَطَشِ.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّبْعَةَ﴾ الضَّمِيرُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلْكَفَّارِ، وَالْمَعْنَى: لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُشْفَعَ لَهُمْ، وَيَكُونَ ﴿إِلَّا مَنِ انْتَحَذَ﴾ اسْتِثْنَاءً مُنْقَطِعًا، بِمَعْنَى «لَكِنْ».

(١) فِي د: «رِكْبَانًا».

(٢) فِي د: «عَطَاشًا».

أو يكون الضمير للمتقين، فلا استثناء متصل، والمعنى: لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهداً، أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ عهداً.

أو يكون الضمير للفريقين؛ إذ قد ذكروا قبل ذلك؛ فلا استثناء -أيضاً- متصل، و﴿مَنْ مَيَّ إِتَّخَذَ﴾: يحتمل أن يراد به الشافع، أو المشفوع له.

﴿عَهْدًا﴾ يريد به: الإيمان والأعمال الصالحة. ويحتمل أن يريد به: الإذن في الشفاعة، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [طه: ١٠٦]. والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة محمد ﷺ في الموقف حين يفرد بها، ويقول غيره من الأنبياء: «نفسي نفسي»<sup>(١)</sup>.

﴿شَيْئًا إِذَا﴾ أي: شيئاً<sup>(٢)</sup> صعباً.

﴿يَتَّبَعُونَ مِنْهُ﴾ أي: يتشققن من قول الكفار: اتخذ الله ولداً.

﴿هَذَا﴾ أي: انهداماً.

﴿أَنْ دَعَوْا﴾ أي: من أجل أن دعوا للرحمن ولداً. وقرئ ﴿وُلْدًا﴾ بضم الواو وإسكان اللام<sup>(٣)</sup>، وهي لغة.

﴿أَنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ردٌّ على مقالة الكفار، والمعنى: أن الكل عبيده؛ فكيف يكون أحد منهم ولداً له؟! و﴿أَنْ﴾ نافية، و﴿كُلُّ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿ءَاتِيَهُ الرَّحْمَنُ﴾.

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ هو المحبة والقبول الذي يجعله الله في القلوب لمن شاء من عباده. وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب ؑ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) في هـ: «شيئاً».

(٣) قرأ حمزة والكسائي بضم الواو وإسكان اللام، وقرأ الباقون بفتح الواو واللام.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٤٨/٥)، والكبير (١٢٢/١٢) عن ابن عباس ؓ، وإسناده ضعيف كما في مجمع الزوائد للهيتمي (٧/١٥١).



﴿يَسْرَتُهُ﴾ الضمير للقرآن، و﴿يَلْسَانِيكَ﴾ أي: بلغتك.

﴿قَوْمًا لَّدَا﴾ جمع اللد، وهو الشديد الخصومة والمجادلة، والمراد بذلك: قريش. وقيل: معناه: فجأرا.

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ هو الصوت الخفي، والمعنى: أنهم لم يبق منهم أثر، وفي ذلك تهديد لقريش.



## سُورَةُ طه

طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفِيَ ۝ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى ۝  
 الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۝ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
 الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝ وَإِن تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝ اللَّهُ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۝ وَهَلْ آتَيْكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ  
 امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى الْبَارِ هُدًى ۝ فَلَمَّا  
 آتَاهَا نُورًا يَمْسُكُ ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ بَاخِلُكَ نَعْلِيكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا  
 اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۝ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝  
 إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا  
 مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۝ وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَمْسِكُ ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ  
 أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا فَاهْشُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ ۝ قَالَ أَلِفُهَا يَمُوسَىٰ ۝  
 بِالْفِيهَا إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۝ وَاضْمُمْ  
 يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ۝ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ۝  
 ۝ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝

قيل في «طه»: إنه من أسماء النبي ﷺ. وقيل: معناه: يا رجل. وانظر الكلام على  
 حروف الهجاء في أول «البقرة».

١ «مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفِيَ» قيل: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورمت  
 قدماه، فنزلت الآية؛ تخفيفاً عنه<sup>(١)</sup>، فالشقاء على هذا: إفراط التعب في العبادة.

(١) أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن علي عليه السلام، كما في الدر المنثور (١٠/١٤١)، وتخريج أحاديث الكشاف  
 للزيلعي (٣/٣٤٨).

وقيل: المراد به: التأسف على كفر الكفار. واللفظ عام في ذلك كله، والمعنى: أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة؛ لأنه أنزل<sup>(١)</sup> عليه القرآن الذي هو سبب السعادة.

﴿إِلَّا تَذَكُّرَةً﴾ نصبٌ على الاستثناء المنقطع. وأجاز ابن عطية أن يكون بدلًا من موضع ﴿لِتَشْفَى﴾؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله<sup>(٢)</sup>، ومنع ذلك الزمخشري؛ لاختلاف الجنس<sup>(٣)</sup>. ويصح أن ينصب بفعل مضمر تقديره: أنزلناه تذكرةً.

﴿تَنزِيلًا﴾ نصبٌ على المصدرية، والعامل فيه: مضمر، أو ﴿مَا أَنزَلْنَا﴾. وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ﴿مَا أَنزَلْنَا﴾، ثم رجع إلى الغيبة في قوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ الآية، وذلك هو الالتفات.

﴿وَالسَّمَوَاتِ الْغُلَى﴾ جمع عُليا.

﴿عَلَى الْعَرْشِ إِسْتَوَى﴾ تكلمنا عليه في «الأعراف»<sup>(٤)</sup>.

﴿الْثَّرَى﴾ هو في اللغة: التراب الندي، والمراد به هنا: الأرض.

﴿وَأَن تَجْهَرُ﴾ مطابقة هذا الشرط لجوابه: كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السر وأخفى.

﴿يَعْلَمُ الْسِرَّ وَأَخْفَى﴾ السرُّ: الكلام الخفي، والأخفى: ما في النفس. وقيل: السر: ما في نفوس البشر، والأخفى: ما انفرد الله بعلمه.

﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ تكلمنا عليها في «الأعراف»<sup>(٥)</sup>.

﴿وَهَلْ آتَيْكَ﴾ لفظه استفهام، والمراد به: التنبيه.

(١) في ج: «نزل».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٧٩/٦).

(٣) انظر: الكشاف (١٠/١٢٤).

(٤) انظر تفسير الآية (٥٣).

(٥) انظر تفسير الآية (١٨٠).

﴿إِذْ رِءَا﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ : ﴿حَدِيثٌ﴾ ؛ لأن فيه معنى الفعل. وكان من قصة موسى ﷺ: أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر، فسار بالليل واحتاج إلى نار، ففدحه بزنده<sup>(١)</sup> فلم ينقدح، فرأى نارا فقصده إليها فناداه الله، وأرسله إلى فرعون. ﴿عَاقَسْتُ نَارًا﴾ أي: رأيت.

﴿يَقْبَسُ﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبه ونحوها.

﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى الْبَارِ هُدًى﴾ يعني: هدى إلى الطريق من دليل أو غيره.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أمر بخلع نعليه؛ لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة. واختار ابن عطية: أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب، ويعظم البقعة المباركة، ويتواضع في مقام مناجاة الله<sup>(٢)</sup>، وهذا أحسن.

﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهر.

﴿ظُرِّي﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه اسم للوادي<sup>(٣)</sup>، وإعرابه على هذا: بدل، ويجوز تنوينه؛ على أنه مكان، وترك صرفه؛ على أنه بقعة.

والثاني: أن معناه: مرتين، فإعرابه على هذا: مصدر؛ أي: قدس الوادي مرة بعد مرة، أو نودي موسى مرة بعد مرة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ قيل: المعنى: لتذكرني فيها. وقيل: لأذكرك بها. فالمصدر على الأول: مضاف للمفعول. وعلى الثاني: مضاف للفاعل. وقيل: معنى ﴿لِذِكْرِي﴾: عند ذكري، كقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: عند دلك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبي ﷺ استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها<sup>(٤)</sup>.

(١) في ج: «بزنده».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٨٢/٦).

(٣) في ب: «الوادي».

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٧) ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك» وأقم الصلاة للذكرى<sup>(١)</sup>، وأخرجه مسلم (٦٨٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

﴿أَكَاذُ أَخْفِيهَا﴾ اضطرب الناس في معناه: ف قيل: ﴿أَخْفِيهَا﴾ بمعنى أظهرها، وأخفيت - على هذا - من الأضداد. وقال ابن عطية: هذا قول مختل<sup>(١)</sup>؛ وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالالف، من الإخفاء، وخفى بغير الف بمعنى: أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال: «أخفيها» بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك في الشاذ<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أخفى بمعنى خفى<sup>(٣)</sup>؛ أي: أظهر، فلا يكون هذا القول مختلاً على هذه اللغة.

وقيل: ﴿أَكَاذُ﴾ بمعنى «أريد»، فالمعنى: أريد إخفاءها. وقيل: المعنى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَاذُ﴾، وتمّ هنا الكلام، بمعنى: أكاد أنفيها؛ لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال: ﴿أَخْفِيهَا﴾. وقيل: المعنى: أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم؟! وهذه الأقوال ضعيفة.

وإنما الصحيح أن المعنى: أن الله أبهم وقت الساعة فلم يُطلع عليه أحداً<sup>(٤)</sup>؛ حتى إنه كاد أن يخفي وقوعها؛ لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها؛ إذ أخبر بوقوعها، فالإخفاء على معناه المعروف في اللغة، و«كاد» على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه، وهذا المعنى هو اختيار المحققين.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلّق بـ ﴿آتِيَةٌ﴾.

﴿بِمَا تَسْعَى﴾ أي: بما تعمل.

﴿بَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ الضمير للساعة، أي: لا يصدّك عن الإيمان بها والاستعداد لها. وقيل: الضمير للصلاة، وهو بعيد. والخطاب لموسى عليه السلام. وقيل: لمحمد ﷺ، وذلك بعيد.

﴿بَتَرْدَى﴾ معناه: تهلك، والرّدَى: هو الهلاك، وهذا الفعل منصوب في جواب: ﴿بَلَا يَصُدُّكَ﴾.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٨٥/٦).

(٢) قرأها أبو الدرداء رضي الله عنه والحسن وابن جبير ومجاهد. البحر المحيط (٢٧/١٥).

(٣) انظر: الكشف (١٤٧/١٠).

(٤) في ب، هـ: «أحد».

﴿وَمَا تِلْكَ يَبِيبِينَكَ يَمُوسَى﴾ إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية، فمعنى السؤال: تقرير على أنها عصا؛ ليتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها، وبعد أن يقلبها.

وقيل: إنما سأله ليؤنسه ويسطه بالكلام.

﴿وَأَهَشْ بِهَا عَلَى غَنَمٍ﴾ معناه: أضرب بها الشجر؛ لينثر<sup>(١)</sup> الورق للغنم.

﴿مَتَّارِبٌ﴾ أي: حوائج.

﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ أي: تمشي.

﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ يعني: أنها لما أخذها عادت كما كانت أول مرة. وانتصب ﴿سِيرَتَهَا﴾ على أنه: ظرف، أو مفعول بإسقاط حرف الجر.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ الجناح هنا: الجنب؛ أي: تحت الإبط، وهو استعارة من جناح الطائر.

﴿تَخْرُجُ بَيَظًا﴾ روي أن يده خرجت وهي بيضاء كالشمس<sup>(٢)</sup>.

﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يريد من غير برص ولا عاهة.

﴿لِئْرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ يحتمل أن تكون ﴿الْكُبْرَى﴾: مفعول ﴿لِئْرِيكَ﴾، وأن تكون صفة للآيات. ويختلف المعنى على ذلك.



(١) في ج: «لينثر».

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٩٠/٦) ولم أقف عليه مسندًا.

قَالَ رَبِّ اِشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٥﴾ وَيَسِّرْ لِي اَمْرِي ﴿١٦﴾ وَاخْلَلْ عُمْدَةَ مِى لِسَانِي ﴿١٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿١٨﴾  
 وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ اَهْلِي ﴿١٩﴾ هَازِلُونَ اَخِي ﴿٢٠﴾ اَشْدُّ بِهِ اُزْرِي ﴿٢١﴾ وَاَشْرِكُهُ فِيْ اَمْرِي ﴿٢٢﴾  
 كُنْتُ نَسِيْحَكَ كَثِيْرًا ﴿٢٣﴾ وَتَذَكَّرْتُكَ كَثِيْرًا ﴿٢٤﴾ اِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا ﴿٢٥﴾ \* قَالَ قَدْ اَوْثِيْتُ  
 سَوْاكَ يَمُوْسَىٰ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً اُخْرٰى ﴿٢٧﴾ اِذْ اَوْحَيْنَا اِلٰى اِمَامِكَ مَا يُوجِبِي ﴿٢٨﴾ اَنْ  
 اِفْدِيْبِهِ فِي التَّابُوْتِ بِاَفْدِيْبِهِ فِي النَّيْمِ فَلْيُلْفِيْهِ النَّيْمُ بِالسَّاحِلِ يَاْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّهِ وَعَدُوٌّ لَّهِ وَالْقَلِيْتُ  
 عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ﴿٢٩﴾ وَلِتَضْمَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٠﴾ اِذْ تَمْشِيْ اُخْتُكَ قَتْلُوكَ هَلْ اَدْلَكُمُ عَلَى  
 مَن يَكْفُلُهُ وَرَجَعْتُكَ اِلٰى اِمَامِكَ كُنْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنْ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَرَجَّيْتُكَ مِّنْ  
 اَلْعَمِّ وَقَتَلْتَ قَتْلًا بَلِيْغًا سِنِيْنَ فِيْ اَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمُوْسَىٰ ﴿٣١﴾  
 وَاضْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيْ اِذْهَبْ اَنْتَ وَاُخُوْكَ بِآيَاتِيْ وَلَا تَنِيْا فِيْ ذِكْرِيْ ﴿٣٢﴾ اِذْهَبَا اِلٰى فِرْعَوْنَ  
 اِنَّهُ طَغٰى ﴿٣٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشٰى ﴿٣٤﴾ فَلَا رَيْبًا اِنَّا نَخَافُ اَنْ  
 يَّبْرِظَ عَلَيْنَا اَوْ اَنْ يَّطْغٰى ﴿٣٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا اِنِّيْ مَعَكُمْ اَسْمَعُ وَاَبْرٰى ﴿٣٦﴾ بَايْتَهُ فَقَوْلَا اِنَّا  
 رَسُوْلَا رَبِّكَ فَاَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيْ اِسْرٰءِيْلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ  
 عَلٰى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدٰى ﴿٣٧﴾ اِنَّا قَدْ اَوْحٰى اِلَيْنَا اَنْ اَلْعَذَابُ عَلٰى مَن كَذَّبَ وَتَوَلٰى ﴿٣٨﴾ قَالَ  
 قَسَ رَبُّكُمْ يَمُوْسَىٰ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِيْ اَعْطٰى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدٰى ﴿٤٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ  
 الْفُرُوْغِ الْاَوَّلٰى ﴿٤١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّهِ فِيْ كِتٰبٍ لَا يَضِلُّ رَبِّيْ وَلَا يَنْسٰى ﴿٤٢﴾ الَّذِيْ جَعَلَ  
 لَكُمْ اَلْاَرْضَ مِهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيْهَا سُبُلًا وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَاَخْرَجْنَا مِنْهُ اَزْوَاجًا مِّنْ  
 ثَبَاتٍ شَجَرٰى ﴿٤٣﴾ كُلُوْا وَارْعَوْا اَنْعَامَكُمْ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لَّاٰوِيْ اِلٰهِيْ ﴿٤٤﴾ \* مِنْهَا  
 خَلَقْنٰكُمْ وَفِيْهَا نُعِيْدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً اُخْرٰى ﴿٤٥﴾

﴿اِشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: اِنْ قِيلَ: لَمْ قَالَ ﴿اِشْرَحْ لِي﴾، ﴿وَيَسِّرْ لِي اَمْرِي﴾، مع اَنْ المعنى يَصْحُحُ دُونَ  
 قوله: «لي»؟ فالجواب: اَنْ ذَلِكَ تَأْكِيدٌ وَتَحْقِيقٌ لِلرَّغْبَةِ.

﴿وَاخْلَلْ عُمْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾: الْعُمْدَةُ: هِيَ الَّتِي اعْتَرَتْهُ بِالْجُمُرَةِ حِينَ جَعَلَهَا فِي فِيهِ<sup>(١)</sup>

(١) فِي دَاهِ: اَفْمَهُ.

وهو صغير، حين أراد فرعون أن يجزبه<sup>(١)</sup>. وإنما قال: ﴿عَفْدَةً﴾ بالتنكير؛ لأنه طلب حلَّ بعضها؛ ليفقهوا قوله، ولم يطلب الفصاحة الكاملة.

﴿وَزِيرًا﴾ أي: مُعِينًا، وإعراب ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: بدل، أو مفعول أول.

﴿أَزْرِي﴾ أي: ظهري، والمراد: القوة، ومنه: ﴿بِئَازَرَةٍ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: قواه.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أي: قد أعطيناك كلَّ ما طلبت من الأشياء المذكورة.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ: وحي كلام بواسطة ملك، أو وحي إلهام، كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

﴿مَا يُوجِي﴾ إيهام، يراد به تعظيم الأمر.

﴿أَنْ إِفْذِيهِ فِي التَّابُوتِ بِأَفْذِيهِ فِي النَّيْمِ﴾ الضمير الأول: لموسى عليه السلام، والثاني: للتابوت، أو لموسى عليه السلام. والنيم: البحر، والمراد به هنا: النيل. وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يدي غلام من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولد ذكر يولد لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تُلْقِيهِ فِي التَّابُوتِ وَتُلْقِي التَّابُوتَ فِي الْبَحْرِ، ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يُشْرِفُ عَلَى النَّيْلِ، فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه، وامراته معه<sup>(٢)</sup>، ففتَح فأشفقت عليه امرأته، وطلبت أن تتخذه ولدًا فأباح لها ذلك.

﴿يَاخُذُهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ هو فرعون.

﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي: أحببتك. وقيل: أراد: محبة الناس فيه؛ إذ كان لا يراه أحدٌ إلاَّ أحبه. وقيل: أراد: محبة امرأة فرعون ورحمتها له. وقوله: ﴿مِّنِّي﴾ يَحْتَمِلُ: أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلْقَيْتُ﴾، أو يكون صفة لـ ﴿مَحَبَّةً﴾ فيتعلَّق بمحذوف<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلِتَضَعْ عَلَىٰ غَيْنِي﴾ أي: تُرَبِّي وَيُحَسِّنْ إِلَيْكَ بِمَرَأِي مَنِي وَحَفِظِي<sup>(٤)</sup>.

(١) في ج: «يذبحه».

(٢) في ج: «حوله».

(٣) قال في الكشاف (١٧٠/١٠): «وإما أن يتعلَّق بمحذوف هو صفة لـ ﴿مَحَبَّةً﴾؛ أي: محبةٌ حاصلةٌ أو واقعةٌ مني».

(٤) [التعليق ٧٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «تُرَبِّي وَيُحَسِّنْ إِلَيْكَ»: أقول: هذا صحيح؛ وهو الذي يقتضيه السياق، وتدلُّ عليه الجملة؛ فقوله: «تُرَبِّي»، هو معنى «تَضَنُّع».



والعامل في «لِئَضْنَع» محذوف.

﴿إِذْ تَنْشِئُ اثْنُكَ﴾ العامل في «إِذْ»: «تَضْنَع»، أو «أَلْقَيْتُ»، أو فعل مضمر تقديره: ومثلاً عليك.

﴿بَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة، فطلبوا له مرضعة، فقالت أخته ذلك؛ ليرد إلى أمه.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني: القبطي الذي وكزه فقتل عليه.

﴿فَتَجَبَّيْنَكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ يعني: الخوف من أن يطلب بثأر المقتول.

﴿وَقَتَلْتَ بُتُونًا﴾ أي: اخترناك اختباراً حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوّة والرسالة. وقيل: خلّصناك من محنة بعد محنة؛ لأنه خلّصه من الذبح، ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل. والفتون يحتمل أن يكون: مصدرًا، أو جمع فتنة.

﴿فَلَيْسَتْ سِينِينَ﴾ يعني: الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب.

﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: بميقات محدود قدره الله <sup>(١)</sup> لنبوتك.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ عبارة عن الكرامة والتقريب؛ أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني <sup>(٢)</sup>.

= وقوله: «بِمَرَأَىٰ مِنِّي»، يدلّ له قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَيْنِي﴾؛ فدلّت الآية على إثبات العين لله بلا كيف؛ كما تفيدُهُ الإضافة، وعلى أن الله يرى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وذكرُ الرؤية يقتضي الحفظ من كلّ شر.

ولم يتعرّض المؤلف لإثبات العين أو نفيها؛ فلعلّه أثار الإمساك على طريقة أهل التفويض من النفاة لحقائق الصفات؛ وهو الغالب عليه ﷺ في هذا الكتاب؛ كما تقدّم، والله أعلم.

(١) في ب: «وقدرة الله».

(٢) [التعليق ٧١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في قوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾: «عبارة عن الكرامة والتقريب...»، إلخ: صحيح.

وقوله: «عبارة»: أقول: أي: الاصطناع؛ عبارة عن الكرامة والتقريب؛ أي: معناه الكرامة والتقريب؛ فـ «اصْطَنَعْتُكَ» - كما قال المؤلف - أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني.

وقوله تعالى: ﴿لِنَفْسِي﴾؛ أي: جعلتك من خاصّتي؛ كقوله تعالى عن المليك: ﴿أَتَتُونِي يَوْمَ﴾؛ يعني: يوسف، ﴿أَسْتَلْزِمُهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٤].

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ أي: لا تضعفا ولا تقصرا، والونى: هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها.

﴿أَنْ يَفْرُطَ﴾ أي: يعجل بالشر.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: سرحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى ﷺ إلى فرعون بالإيمان بالله، وبتسريح بني إسرائيل.

﴿وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾ كان يعذبهم بذبح أبنائهم، وتسخيرهم في خدمته، وإذلالهم.

﴿فَذِجِّتَكَ بِآيَةٍ﴾ يعني: قلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدها وهما آيتان؛ لأنه أراد إقامة البرهان، وهو معنى واحد.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ يحتمل أن يريد: التحية، أو السلامة.

﴿قَالَ بَسْ رَبُّكُمْ يَلْمُوسَى﴾ أفرد موسى ﷺ بالنداء بعد جمعه مع أخيه ﷺ؛ لأنه الأصل في النبوة، وأخوه تابع له.

﴿الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ المعنى: أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه، ﴿خَلْقَهُ﴾ على هذا بمعنى<sup>(١)</sup> المخلوقين، وإعرابه: مفعول أول، و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ : مفعول ثان. وقيل: المعنى: أعطى كل شيء خلقته وصورته؛ أي: أكمل ذلك وأتقنه، فالخلق على هذا بمعنى: الخلقة، وإعرابه: مفعول ثان، و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ : مفعول أول. والمعنى الأول أحسن.

﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أي: هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم، وعلمهم كيف ينتفعون به.

﴿قَالَ بَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى: محاجة ومناقضة لموسى ﷺ؛ أي: ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى؟ أو ما بالها لم تكن على دين موسى؟ أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعاً للكلام الأول، وروغاناً عنه وخيدة؛ لما رأى أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسى ﷺ عن الكلام في شأنها، فقال: ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، ثم عاد إلى وصف الله؛ رجوعاً إلى الكلام الأول.

(١) في أ، ب: «على هذا المعنى».

﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ أي: فراشا. وانظر كيف وصف موسى ﷺ ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتَّصف بها، لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له: هو القادر أو الرازق أو شبه ذلك؛ لأمكن فرعون أن يغالط<sup>(١)</sup> ويدعي ذلك لنفسه.

﴿وَسَلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: أنهج<sup>(٢)</sup> لكم فيها طرقا<sup>(٣)</sup> تمشون فيها.

﴿بِأَخْرَجْنَا﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى ﷺ، على تقدير: يقول الله عز وجل: ﴿بِأَخْرَجْنَا﴾. ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، ثم ابتداء كلام الله.

﴿أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أي: أصنافا مختلفة.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ المعنى: أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر؛ لأنه أذن في ذلك، فكانه أمر به.

﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: العقول، واحدها نهيئة.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الضمير للأرض، يريد: خَلَقَ<sup>(٤)</sup> آدم من تراب.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني: بالدفن عند الموت.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني: عند البعث.



(١) في ج، د: «يفالط».

(٢) في ج، د: «أنهج»، وهما بمعنى واحد.

(٣) في ب، ج، د: «طريقا».

(٤) في ج: «خَلَقَهُ».

وَلَقَدْ آتَيْنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٥﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ  
يَمُوسَى ﴿٥٦﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ۖ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ  
مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٥٧﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ الْإِنْسَانُ ضِحِّيًّا ﴿٥٨﴾ فَبَقُولَىٰ فِرْعَوْنُ  
فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٥٩﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَرَبُّكُمْ لَا تَفْتَروا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَيَسْحَachtَكُمْ  
بِعَذَابٍ ۚ وَقَدْ خَابَ مَنْ ابْتَدَرَىٰ ﴿٦٠﴾ فَبَنَزَرَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا الشَّجْوَىٰ ﴿٦١﴾ قَالُوا إِنَّ هَذِهِ  
لَسَّاجِرَاتٌ يَرِيدْنَ أَنْ يُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيفَتِكُمُ الْمَثَلَىٰ ﴿٦٢﴾  
فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آيُوا صَبًا ۖ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٣﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ  
تُلْفَىٰ ۖ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْفَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالَ بَلْ أَلْفُوا بِإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ  
سِحْرِهِمْ ۖ أَنَّهَا تَسْجَىٰ ﴿٦٥﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُّوسَىٰ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا لَا تَخِبَ إِنَّكَ أَنْتَ  
الْأَعْلَىٰ ﴿٦٧﴾ وَالْيَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاجِرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاجِرُ  
حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٨﴾ فَالْفَىٰ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٦٩﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ  
قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَا فَطَعَنَ أُيُودِيكُمْ وَأَرْجَلَكُمْ  
مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ الشَّجَرِ ۖ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَنفَىٰ ﴿٧٠﴾ \* قَالُوا لَنْ  
تُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَافْضُ مَا أَنْتَ فَاضٌّ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧١﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنُغَيِّرَ لَنَا حَطَبِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ  
وَأَنفَىٰ ﴿٧٢﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ۖ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٣﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ  
مُؤْمِنًا ۖ قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ۖ بِأَوْلَىٰ ۖ لَهُمْ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٤﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٥﴾

﴿٥٥﴾ «آتَيْنَا كُلَّهَا» يعني: الآيات التي رآها فرعون، وهي تسع آيات، وليس يريد  
جميع آيات الله على العموم؛ فالإضافة في قوله: «آتَيْنَا» تجري مجرى التعريف بالعهد؛  
أي: آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفاً لها.

﴿٥٦﴾ «فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا» يحتمل أن يكون الموعد: اسم مصدر، أو اسم زمان، أو  
اسم مكان. ويدل على أنه اسم مكان: قوله: «مَكَانًا سَوِيًّا»، ولكن يضعف بقوله:

﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾؛ لأنه أجاب بظرف الزمان. ويدلُّ على أن الموعد اسمُ زمان: قوله: ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾، ولكن يضعف بقوله: ﴿مَكَانًا سَوًى﴾. ويدلُّ على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد: قوله: ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾؛ لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد، لا الزمان ولا المكان، ولكن يضعف ذلك بقوله: ﴿مَكَانًا﴾ وبقوله: ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾. فلا بدَّ على كل وجه من تأويل، أو إضمار.

ويختلف إعراب<sup>(١)</sup> قوله: ﴿مَكَانًا﴾ باختلاف تلك الوجوه:

فأما إن كان الموعد اسم مكان: فيكون قوله: ﴿مَوْعِدًا﴾ و﴿مَكَانًا﴾ مفعولين لقوله<sup>(٢)</sup>: ﴿اجْعَلْ﴾، ويطابقه قوله: ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ من طريق المعنى، لا من اللفظ، وذلك أن<sup>(٣)</sup> الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورة.

وإن كان الموعد اسم زمان: فينتصب قوله: ﴿مَكَانًا﴾ على أنه ظرف مكان، والتقدير: موعدًا كائنًا في مكان.

وإن كان الموعد اسم مصدر: فينتصب ﴿مَكَانًا﴾ على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد، أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله: ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ على حذف مضاف تقديره: موعدكم وعدُّ يوم الزينة<sup>(٤)</sup>.

وقرأ الحسن: «يوم الزينة» بالنصب<sup>(٥)</sup>، وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف.

﴿مَكَانًا سَوًى﴾ معناه: مستوي في القرب منا ومنكم، وقيل: معناه: مستوي في الأرض<sup>(٦)</sup>، ليس

(١) سقطت من أ، ب، هـ.

(٢) في ب: «بقوله».

(٣) في ب: «لأن».

(٤) انظر: الكشاف (١٠/١٩١).

(٥) المحرر الوجيز (٦/١٠٤).

(٦) في أ: «مستوي الأرض».

فيه انخفاض ولا ارتفاع. وقرئ بكسر السين وضمها<sup>(١)</sup>، والمعنى متفق.

﴿يَوْمَ الزَّيْتَةِ﴾ يوم عيد لهم. وقيل: يوم عاشوراء.

﴿وَأَنْ يُخْشَرَ﴾ عطفٌ على ﴿الزَّيْتَةِ﴾، فهو في موضع خفض. أو عطف على اليوم، فهو في موضع رفع. وقصد موسى ﷺ أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد؛ لتظهر معجزته ويتبين الحق للناس.

﴿فَيَسْحَتَكُمْ﴾ معناه: يهلككم، ويقال: سَحَتِ وأَسَحَتِ، وقد قرئ بفتح الياء وضمها<sup>(٢)</sup>، والمعنى متفق.

﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَجْرٌ﴾ قرئ: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ بالياء<sup>(٣)</sup>، ولا إشكال في ذلك. وقرئ بتخفيف ﴿إِنَّ﴾، وهي مخففة من الثقيلة، وارتفع بعدها ﴿هَٰذَا﴾ بالابتداء.

وأما<sup>(٤)</sup> قراءة نافع وغيره بتشديد ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿هَٰذَا﴾: فقليل: ﴿إِنَّ﴾ هنا بمعنى: «نعم»، فلا تنصب، ومنه ما روي في الحديث: «إِنَّ الحمد لله» بالرفع<sup>(٥)</sup>. وقيل: اسم ﴿إِنَّ﴾ ضمير الأمر والشأن، تقديره: إِنَّ الأمر، و﴿هَٰذَا لَسَجْرٌ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾. وقيل: جاء القرآن في هذه الآية بلغة بني الحارث بن كعب، وهي إبقاء التثنية بالالف في حال النصب والخفض<sup>(٦)</sup>.

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بضم السين، وقرأ الباقر بكسرها.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقر بفتحهما.

(٣) قرأ أبو عمرو ﴿إِنَّ هَٰذِينَ﴾، وقرأ حفص عن عاصم: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ بتخفيف ﴿إِنَّ﴾ وكذلك ابن كثير إلا أنه شدد النون من ﴿هَٰذَا﴾، وقرأ الباقر ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ بتشديد ﴿إِنَّ﴾ ورفع ما بعدها.

(٤) في أ، ب زيادة: «على».

(٥) أخرجه أبو جعفر النحاس بإسناده في إعراب القرآن (٣/٣١)، وفي إسناده عمرو بن جميع الكوفي، وهو متروك متهم بالوضع. ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٢٥١).

(٦) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسالة بين فيها أن إلزام اسم الإشارة المثني الألف في الرفع والنصب والخفض على البناء: هي اللغة الفصيحة المعروفة، وهي لغة قريش الذين نزل القرآن بلغتهم، بل ولغة سائر العرب، وليست لغة بني الحارث بن كعب فحسب الذين هم أهل نجران، واختار هذا التوجيه في الآية، وقال: «إنه لم يثبت أنه لغة قريش، بل ولا لغة سائر العرب؛ أنهم ينطقون في الأسماء المبهمة إذا تئيت بالياء»، وانظر كلامه في مجموع الفتاوى (١٥/٢٤٨) وما بعدها.

وقالت عائشة رضي الله عنها: هذا مما لحن فيه كتاب <sup>(١)</sup> المصحف <sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ أي: يذهبا <sup>(٣)</sup> بسيرتكم الحسنة.

﴿بِأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي: اعزموا، وأنفذوه.

﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ استدلل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييل لا حقيقة. وقال بعضهم: إن حيلة السحرة في سعي الحبال والعصي هي أنهم حشوها بالزئبق، وأوقدوا تحتها نارا، وغطوا النار؛ لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم. وقيل: جعلوها للشمس، فلما أحس الزئبق بحر النار أو الشمس سال، وهو في حشو الحبال والعصي فحملها، فتخيّل الناس أنها تمشي، فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا فابتلعها.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٍ﴾ «ما» هنا موصولة، وهي اسم «إن»، و«كَيْدٌ» خبرها.

﴿ءَأَمْنَا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ قدّم هنا <sup>(٤)</sup> «هَارُونَ»؛ لتعتدل <sup>(٥)</sup> رؤوس الآي، وتكون على الألف.

﴿مَنْ خَلَفَ﴾ أي: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.

﴿وَالَّذِي بَطَرْنَا﴾ معطوف على «مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ». وقيل: هي واو القسم.

﴿هَذِهِ الْحَيَاةُ﴾ نصب على الظرفية؛ أي: إنما قضاؤك في هذه الدنيا.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ قيل: إن هذا وما بعده من كلام السحرة لفرعون؛ على وجه الموعظة. وقيل: هو من كلام الله.

(١) في أ، ب، هـ: «كتاب».

(٢) انظر تخريجه والتعليق عند تفسير الآية (١٦١) من سورة النساء.

(٣) في أ، ب: «يذهب».

(٤) زيادة من ج، د.

(٥) في ب، ج: «تعتدل».

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اسْرِ بِعِبَادِي بِاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً  
وَلَا تَخْشَى ۝ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَاشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ  
وَمَا هَدَىٰ ۝ يَتَّبِعْ إِسْرَءِيلَ فَدَنَّاكَ مِنْ عِدَّتِكَ وَعَدَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ  
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ۝ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ  
عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۝ وَإِنَّ لَعْنَتَنَا لَمَّا تَابَ وَآمَنَ وَعِیْلُ  
صَاحِبِهِ ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۝ وَمَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمْ دُوَلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرُهُ  
وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝ قَالَ فَإِنَّا فَدَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۝  
فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِيباً قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسِيباً ۝ أَقْطَالَ  
عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ۝ فَالُوا مَا  
أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى  
السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٍ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝  
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ۝ وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً ۝

﴿أَنِ اسْرِ بِعِبَادِي﴾ يعني: بني إسرائيل، وأضافهم إلى نفسه؛ تشریفاً لهم، وكانوا - فيما قيل - ست مئة ألف. ﴿يَبَساً﴾ أي: يابساً، وهو مصدر وصف به.

﴿لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى﴾ أي: لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه، ولا تخشى الغرق في البحر.

﴿مَا عَاشِيَهُمْ﴾ إبهام؛ لقصد التهويل.

﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ إن قيل: إن قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ يغني عن قوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾! فالجواب: أنه مبالغة وتأکید. وقال الزمخشري: هو تهكم بفرعون في قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكُمْ﴾ إلا سَبِيلَ الرَّشَادِ [غافر: ٢٩] (١).

﴿يَتَّبِعْ إِسْرَءِيلَ﴾ خطابٌ لهم بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون.

(١) انظر: الكشاف (١٠/٢١٤).



وقيل: هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ. والاول أظهر.

﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء؛ ليكلّم فيه ربه. والطور: هو الجبل، واختلف: هل هذا الطور هو الذي رأى فيه موسى ﷺ النار في أول نبوّته؟ أو (٢) هو غيره؟ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الَمَّ وَالسَّلْوَ﴾ ذكر في «البقرة» (٣).

﴿بَقَعْدُ هَوًى﴾ أي: هلك، وهو استعارة من السقوط من علٍ إلى سُفلٍ.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بدّ، والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السنة. وقالت المعتزلة: لا يغفر إلا لمن تاب (٤).

﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ أي: استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح. ويحتمل أن يكون الهدى هنا: عبارة عن نور وعلم، يجعله الله في قلب من تاب وآمن وعمل صالحاً.

﴿وَمَا أَغْجَلَكْ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ قصص هذه الآية: أن موسى ﷺ، لما أمره الله أن يسير هو وبني إسرائيل إلى الطور، تقدّم هو وحده؛ مبادرة إلى أمر الله، وطلباً لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون ﷺ، فأمرهم السامريّ حيثذ عبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: ﴿وَمَا أَغْجَلَكْ عَنْ قَوْمِكَ﴾؟

وإنما سأل الله موسى ﷺ عن سبب استعجاله دون قومه؛ ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره، فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل.

(١) في ب، د: «بني» بلا واو، والمثبت هو الموافق لما في المحرر الوجيز (١١٧/٦)؛ فالأمر هو الله تعالى.

(٢) في ب، ج زيادة «هل».

(٣) انظر تفسير الآية (٥٦).

(٤) [التعليق ٧٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «المغفرة لمن تاب: حاصلة ولا بُدّ...»، إلخ: صحيح؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَبَادِيُ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ وهذه الآية لمن تاب، أمّا من لم يتب، فما دون الشرك، فمغفرته مقيّدة بالمشيئة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴿ [النساء: ٤٨].

وقول المعتزلة: «لا يغفر إلا لمن تاب»، يتّوا عليه القول بتخليد أهل الكبائر في النار.

وقيل: إنما سأل على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه، فاعتذر موسى بعذرين: أحدهما: أن قومه على أثره؛ أي: قريب منه، فلم يتقدم عليهم بكثير يوجب العتاب. والثاني: أنه إنما تقدم طلباً لرضا الله.

﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ رجلاً من بني إسرائيل، ويقال<sup>(١)</sup>: إنه ابن خال موسى. وقيل: لم يكن منهم، وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها: سامرة. وكان ساحراً منافقاً.

﴿بَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾ يعني: رجع من الطور، بعد كمال<sup>(٢)</sup> الأربعين يوماً التي كلمه الله فيها.

﴿أَسِيباً﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(٣)</sup>.

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ يعني: ما وعدهم من الوصول إلى الطور.

﴿أَبْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ﴾ يعني: المدة، وهذا الكلام توبيخ لهم.

﴿بِمَلِكِنَا﴾ قرئ بالفتح والضم والكسر<sup>(٤)</sup>، ومعناه: ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا، ولكن غلبنا بكيد السامري، فيحتمل أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقاتهم، ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم، أو اعتذروا بقلة ملكهم لأنفسهم في النظر، وعدم توفيقهم للرأي السديد، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر.

﴿حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا: الأحمال، سميت أوزاراً؛ لثقلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار؛ أي: الذنوب.

وزينة القوم: هي حُلِيّ القبط قوم فرعون، كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل: أخذوه بعد هلاكهم، فقال لهم السامري: اجمعوا هذا الحُلِيّ في حفرة

(١) في ج: «يقال».

(٢) في ج: «إكمال».

(٣) انظر تفسير الآية (١٥٠).

(٤) قرأ نافع وعاصم بفتح الميم، وقرأ حمزة والكسائي بضمها، وقرأ الباقون بكسرها.

حتى يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك، وأوقد السامري نارا على الحلي، وصاغ منه عجلا. وقيل: بل خلق الله منه العجل، من غير أن يصنعه السامري، ولذلك قال لموسى: ﴿قَدْ بَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾.

﴿فَقَذَيْنَاهَا﴾ أي: قذفنا أحمال الحلي في الحفرة.

﴿بَكَدَّاكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ كان السامري قد رأى جبريل عليه السلام، فأخذ من موطئ<sup>(١)</sup> فرسه قبضة من تراب، وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء موات صار حيوانا، فألقاها على العجل، فخار العجل؛ أي: صاح صياح العجل.

فالمعنى: أنهم قالوا: كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامري قبضة التراب.

﴿جَسَدًا﴾ أي: جسما بلا روح، والخوار: صوت البقر.

﴿وَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ أي: قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض.

﴿وَنَسِيتُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من كلام بني إسرائيل، والفاعل: موسى؛ أي: نسي موسى إلهه هنا، وذهب يطلبه في الطور، والنسيان على هذا بمعنى<sup>(٢)</sup>: الذُّهول.

والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله تعالى، والفاعل: السامري؛ أي: نسي دينه وطريق الحق، والنسيان على هذا بمعنى: التَّرك.

﴿أَفَلَا يَرْوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ معناه: لا يردُّ عليهم كلاما إذا كلموه، وذلك ردُّ عليهم في دعوى<sup>(٣)</sup> الربوبية له. وقرئ ﴿يَرْجِعُ﴾: بالرفع<sup>(٤)</sup>، و«أن» مخففة من الثقيلة، وبالنصب، وهي مصدرية.



(١) في ها: «وطء».

(٢) في أ، ب، ها: «المعنى».

(٣) في ب: «دعواهم».

(٤) قرأ الجمهور بالرفع، وهي قراءة السبعة، وقرأ أبو حيوة في الشاذ بالنصب. البحر المحيط (١١٧ / ١٥).

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقُومُوا إِنَّكُمْ بَعِثْتُمْ بِهِ، وَإِنْ رَبُّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿١٥﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِمِينَ حَتَّىٰ يُزْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿١٦﴾ قَالَ يَلْهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعِيَ ۚ أَبْغَضَيْتَ أَمْرِي ﴿١٧﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلُحِيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنَّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْفُقْ قَوْلِي ﴿١٨﴾ قَالَ بِمَا خَطْبُكَ يَسْمِيرِي ﴿١٩﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ، فَفَبِطُتْ فَبْطَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴿٢٠﴾ \* قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ، وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِمًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٢١﴾ إِنَّمَّا إِلَهِكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٢٢﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٢٣﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْفَيْتَةِ وِزْرًا ﴿٢٤﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْفَيْتَةِ حِمْلًا ﴿٢٥﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْفًا ﴿٢٦﴾ يَتَخَلَّفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٢٨﴾

﴿١٥﴾ «قَالَ يَلْهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعِيَ» ﴿لا﴾ زائدة للتأكيد، والمعنى: ما منعك أن تتبعني في المشي إلى الطور؟ أو تتبعني في الغضب لله، وشدة الزجر لمن عبد العجل، وقتالهم بمن لم يعبد.

﴿١٧﴾ «قَالَ يَبْنَؤُمْ» ذكر في «الأعراف» (١).

﴿١٦﴾ «لَا تَأْخُذْ بِلُحِيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي» كان موسى ﷺ قد أخذ بشعر هارون ﷺ ولحيته من شدة غضبه، لما وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل.

﴿١٩﴾ «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ» أي: لو قاتلت (٢) من عبد العجل منهم بمن لم يعبد لقلت: فرقت جماعتهم، وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله: «تَتَّبِعِيَ» في الزجر والقتال.

(١) انظر تفسير الآية (١٥٠).

(٢) في أ، ب، هـ: «قتلت».

أو: لو اتبعتك في المشي إلى الطور لأتبعني بعضهم دون بعض، ففترقت جماعتهم، وهذا على أن يكون معنى «تَتَّبِعِي» في المشي إلى الطور.

﴿وَلَمْ تَزِفْ قَوْلِي﴾ يعني: قوله <sup>(١)</sup>: «أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ» [الأعراف: ١٤٢].

﴿قَالَ بَمَا خَطْبُكَ يَسْتَمِرِّي﴾ أي: قال موسى ما شأنك؟ ولفظ الخطب يقتضي انتهازاً؛ لأنه مستعمل في المكاره.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أي: رأيت ما لم يروه، يعني: جبريل عليه السلام وفرسه.

﴿بَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي: قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود عليه السلام: «من أثر فرس الرسول» <sup>(٢)</sup>. وإنما سُمِّيَ جبريل بالرسول؛ لأن الله أرسله إلى موسى عليه السلام. والقبضة: مصدر قبض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كـ «ضرب الأمير».

ويقال: قبض بالضاد المعجمة: إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد المهملة: إذا أخذ بأطراف الأصابع، وقد قرئ كذلك في الشاذ <sup>(٣)</sup>.

﴿بَتَبَدَّلْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحلي، فصار عَجَلًا، أو على العجل فصار له خوار.

﴿إِن لَّكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ عاقب موسى عليه السلام السامري؛ بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته: لا مساس؛ أي: لا مماسة ولا إذاية. وروي أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحمى له وللذي مسه، فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه <sup>(٤)</sup>.

﴿وَإِنَّ لَّكَ مَوْعِدًا﴾ يعني: العذاب في الآخرة، وهذا تهديد ووعيد.

(١) في د، هـ زيادة «له».

(٢) أخرجها الطبري (١/ ٦٦٩).

(٣) قرأ بها عبد الله بن مسعود وابن الزبير وأبي بن كعب عليه السلام. المحرر الوجيز (١٢٧/ ٦).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (١٤/ ٥١١)، والزمخشري في الكشاف (١٠/ ٢٣٣) بدون نسبته إلى قائل، ولم أقف عليه مسنداً.

﴿ظَلَّتْ﴾ أصله ظَلَلْتُ، حذفت إحدى اللامين، والأصل في معنى ظل: أقام بالنهار، ثم استعمل في الذُّؤوب على الشيء<sup>(١)</sup> ليلاً ونهاراً.

﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ من الإحراق بالنار. وقرئ بفتح النون وضم الراء<sup>(٢)</sup>، بمعنى: نَبْرُدُهُ بِالْمِيزِدِ. وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى؛ لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار، والصحيح: أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك.

﴿ثُمَّ لَنَسِيفَنَّهُ فِي الَّيَمِّ نَسِيًّا﴾ أي: نُلقِيهِ فِي الْبَحْرِ، وَالنَّسْفُ: تفريق الغبار ونحوه.

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾ الآية؛ من كلام موسى ﷺ لبني إسرائيل.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبة من الله تعالى لمحمد ﷺ، و﴿أَنْبَاءً مَّا قَدْ سَبَقَ﴾: أخبار المتقدمين.

﴿ذِكْرًا﴾ يعني: القرآن.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني: إعراض تكذيب به.

﴿وِزْرًا﴾ الوزر في اللغة: الثقل، ويعني هنا: العذاب؛ لقوله: ﴿خَلِيدِينَ فِيهِ﴾، أو الذنوب؛ لأنها سبب العذاب.

﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بحمل؛ لِثِقَلِهِ. قال الزمخشري: «ساء» تجري مجرى «بئس»، ففاعلها مضمَر يفسره: ﴿حِمْلًا﴾<sup>(٣)</sup>. وقال غيره: فاعلها مضمَر يعود على الوزر.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: يَنْفَخُ الْمَلَكُ فِي الْقُرْنِ. وقرئ: ﴿تَنْفَخُ﴾ بالنون<sup>(٤)</sup>؛ أي: بأمرنا.

(١) في ب، ج: «المشي».

(٢) قرأ بها علي وابن عباس ﷺ وابن وردان عن أبي جعفر ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾.

(٣) انظر: الكشف (٢٣٩/١٠).

(٤) قرأ أبو عمرو بالنون وفتحها وضم الفاء، وقرأ الباقر بالياء وضمها وفتح الفاء.

﴿زُرْفًا﴾ قيل: زرق الألوان كالسواد<sup>(١)</sup>. وقيل: زرق العيون من العمى.

﴿يَتَخَلَّطُونَ بَيْنَهُمْ﴾ إن لَيُتَنَمَّ إِلَّا عَشْرًا﴿ أي: يقول بعضهم لبعض في السر: إن لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال، وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا. وقيل: يعنون لبثهم<sup>(٢)</sup> في القبور.

﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيفَةً﴾ إن لَيُتَنَمَّ إِلَّا يَوْمًا﴿ أي: يقول أعلمهم بالأمر -بالإضافة إليهم-: إن لبثتم إلا يومًا واحدًا، فاستقلَّ المدة أشدَّ<sup>(٣)</sup> مما استقلَّها غيره.



(١) قال في المحرر الوجيز (١٣٢/٦): «قالت فرقة: أراد: زُرَقَ الألوان، وهي غاية في التشويه؛ لأنهم يجينون كلون الرماد، ومَهَيَّجَ كلام العرب أن يسمَّى هذا اللون أزرق».

(٢) في أ، ب: «لبثتم».

(٣) في هـ: «أكثر».

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥٦﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَبًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٥٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٥٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشِّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذْنُ لَهُ الرَّحْمَنِ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٥٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١٦٠﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١٦١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١٦٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١٦٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٦٤﴾

﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي﴾ أي: يجعلها كالغبار، ثم يفرقها.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَبًا﴾ الضمير في ﴿يَذَرُهَا﴾ للجبال، والمراد: مواضعها من الأرض، والقاع الصَّفْصَف: المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه.

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ المعروف في اللغة: أن العِوَج بالكسر: في المعاني، وبالفتح: في الأشخاص، والأرض شخص؛ فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح، وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه؛ فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه؛ ليكون غاية في نفي العِوَج من كل وجه.

﴿وَلَا أَمْتًا﴾ الأمت: هو الارتفاع اليسير.

﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ يعني: الذي يدعو الخلق إلى الحشر.

﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا يعوج أحد عن اتباعه والمشي نحو صوته. أو لا عوج لدعوته؛ لأنها حق. ﴿هَمْسًا﴾ هو الصوت الخفي.

﴿لَا تَنْفَعُ الشِّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذْنُ لَهُ الرَّحْمَنِ﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلًا، و﴿مَنْ﴾ في موضع نصب ب﴿تَنْفَعُ﴾، وهي واقعة على المشفوع له، فالمعنى: لا تنفع الشفاعة أحدًا إلا من أذن له الرحمن في أن يُشْفَعَ له. أو أن يكون الاستثناء منقطعًا، و﴿مَنْ﴾ واقعة على الشافع، والمعنى: لكن من أذن له الرحمن يشفع.



﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ إن أريد به ﴿مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ المشفوع فيه، فاللام في ﴿لَهُ﴾ بمعنى: لأجله؛ أي: رضي قول الشافع لأجل المشفوع فيه. وإن أريد الشافع فالمعنى: رضي قوله في الشفاعة.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران لجميع الخلق<sup>(١)</sup>، والمعنى ذكر في آية الكرسي<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ قيل: المعنى: لا يحيطون بمعلوماته، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. والصحيح عندي: أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته؛ إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله، ولو أراد المعنى الأول لقال: ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثنى ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ هناك، ولم يستثن هنا<sup>(٣)</sup>.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ أي: ذلت يوم القيامة.

﴿وَلَا هَظْمًا﴾ أي: بخسًا ونقصًا لحسناته.

﴿أَوْ يُخَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: تذكرًا. وقيل: شرفًا، وهو هنا بعيد.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: إذ أقرأك جبريل القرآن<sup>(٤)</sup> فاستمع إليه، واصبر حتى يفرغ، وحينئذ تقرأه أنت، فالآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]. وقيل: كان النبي ﷺ إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين، فأمر أن يتأني حتى تفسر له المعاني<sup>(٥)</sup>. والأول أشهر.



(١) في أ، ب، هـ: «الضمير للخلق».

(٢) انظر تفسير الآية (٢٥٤).

(٣) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٦).

(٤) لم ترد في أ، ب، هـ.

(٥) أخرج ابن أبي حاتم (٢٤٣٧ / ٧) عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ قال: لا تُثْلِه على أحد حتى يُتِمَّ لك.

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ بَنَسِيٍّ وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴿١٣٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١٣١﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٣٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَا أَشُدَّهُمَا وَكَانَا مِنَ الْغَالِينَ ﴿١٣٣﴾ وَضَلَّ لَهُمَا الْوَيْلُ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ أَصَابَا شَيْئًا مِّنْهَا ﴿١٣٤﴾ فَخَرَجَا مِنْهَا طَرَفًا ﴿١٣٥﴾ فَلَمَّا جَاؤَا الْجَنَّةَ لِغَدَاةٍ مِّنْ ثَمَرِهَا قَالُوا لِلْمَلَكِئَةِ اطَّاعُوا أَتَمْنَىٰ إِبْلِيسَ أَنْ تَمْلِكَ عَلَىٰ بَنِي آدَمَ بَاطِلًا لِّمَن ظَلَمَ ۖ سَآءَ مَا يَنْظُرُونَ ﴿١٣٦﴾ وَتَوَلَّىٰ وَكَانَ الْكَافِرَ ﴿١٣٧﴾ فَسُحِقَ الْإِبْلِيسُ سَحَقًا شَدِيدًا ﴿١٣٨﴾ فَقَالَ أَتَدْعُونِي لَعْنَتِي ۖ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُنَادِينَ ﴿١٣٩﴾ فَقَالَ أَتَدْعُونِي لَعْنَتِي ۖ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُنَادِينَ ﴿١٤٠﴾ فَسُحِقَ الْإِبْلِيسُ سَحَقًا شَدِيدًا ﴿١٤١﴾ فَخَرَجَا مِنْهَا طَرَفًا ﴿١٤٢﴾ فَلَمَّا جَاؤَا الْجَنَّةَ لِغَدَاةٍ مِّنْ ثَمَرِهَا قَالُوا لِلْمَلَكِئَةِ اطَّاعُوا أَتَمْنَىٰ إِبْلِيسَ أَنْ تَمْلِكَ عَلَىٰ بَنِي آدَمَ بَاطِلًا لِّمَن ظَلَمَ ۖ سَآءَ مَا يَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَتَوَلَّىٰ وَكَانَ الْكَافِرَ ﴿١٤٤﴾ فَسُحِقَ الْإِبْلِيسُ سَحَقًا شَدِيدًا ﴿١٤٥﴾

﴿عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ أي: وصَّيناه أن لا يأكل من الشجرة.

﴿بَنَسِيٍّ﴾ يحتمل أن يريد النسيان الذي هو ضدُّ الذُّكْرِ، فيكون ذلك عذراً لآدم ﷺ، أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا يمكن غيره؛ لأن الناسي لا عقاب عليه<sup>(١)</sup>.

وقد تقدَّم الكلام على قصة آدم ﷺ وإبليس في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ أي: لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة، فجعل المسبب موضع السبب.

وخصَّ آدم ﷺ بقوله: ﴿فَتَشْقَى﴾؛ لأنه كان المخاطب أولاً والمقصود بالكلام، وقيل: لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختصُّ بالرجال.

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٣٧/٦).

(٢) انظر تفسير الآية (٣٤) وما بعدها.

﴿لَا تَقْمُؤْا فِيهَا وَلَا تَضْجِي﴾ الظمأ: هو العطش، والضجى<sup>(١)</sup>: هو البروز للشمس.  
 ﴿يَخْصِبْ﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(٢)</sup>، وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في «البقرة»<sup>(٣)</sup>.

﴿إِهْبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء.

﴿فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة، وجوابها ﴿بِمَنِّي إِتَّبَعْ﴾.

﴿وَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْفِي﴾ أي: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي: ضيقة؛ فقل: إن ذلك في الدنيا؛ فإن الكافر ضيق المعيشة؛ لشدة حرصه، وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية: لا يُعرض أحدٌ عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته وتكدَّر عليه عيشه. وقيل: ذلك في البرزخ. وقيل: في جهنم بأكل الزقوم، وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة.

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْفَيْتَةِ أَغْبَى﴾ يعني: أعمى البصر.

﴿بَنَسِيَّتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْبِئُ﴾ من الترك، لا من الذهول.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ أي: عذاب جهنم أشدُّ وأبقى من المعيشة الضنك، ومن الحشر أعمى.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه: ألم يتبين لهم، والضمير لقريش، والفاعل بـ﴿يَهْدِ﴾ مقدَّر، تقديره: ألم يهد لهم الهدى، أو الأمر. وقال الزمخشري: الفاعل الجملة التي بعده<sup>(٤)</sup>. وقيل: الفاعل ضمير الله عز وجل، ويدل عليه قراءة: «أفلم يهد» بالنون<sup>(٥)</sup>. وقال الكوفيون: الفاعل ﴿كَمْ﴾.

(١) في أ، ب: «والضحاء».

(٢) انظر تفسير الآية (٢١).

(٣) انظر تفسير الآية (٣٤) وما بعدها.

(٤) انظر: الكشاف (١٠/٢٦٩).

(٥) نسبها في البحر المحيط (١٥/١٦٢) إلى ابن عباس رضي الله عنه، والسلمي.



﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾ يريد: أن قريشًا يمشون في مساكن عاد وثمود، ويعاينون آثار هلاكهم.

﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: ذوي العقول.



وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٧﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٨﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَتَّبِعْتَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٩﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعُظِيمَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿٢٢﴾ فَلِكُلِّ مَّتْرَبَضٍ مَّتْرَبَضًا فَسْتَغْلَمُونَ مِّنْ أَصْحَابِ الضَّرِيطِ السَّوِيَّ وَمَن يَهْتَدِ ﴿٢٣﴾

﴿١٧﴾ «وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا» الكلمة هنا: القضاء السابق، والمعنى: لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لازماً؛ أي: واقعاً بهم.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على «كَلِمَةٌ»؛ أي: لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لازماً، وإنما أخره لتعتدل رؤوس الآي. والمراد بالأجل المسمى: يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري<sup>(١)</sup>. وقيل: المراد به: أجل الموت. وقيل: القيامة.

﴿١٨﴾ «وَسَبِّحْ» يحتمل أن يريد بالتسبيح: الصلاة، أو قول: «سبحان الله»، وهو ظاهر اللفظ. «بِحَمْدِ رَبِّكَ» في موضع الحال؛ أي: وأنت حامدٌ لربك على أن وفقك للتسبيح. ويحتمل أن يكون المعنى: سبِّح تسبيحاً مقروناً بحمد ربك، فيكون أمراً بالجمع بين قول: «سبحان الله» وقول: «الحمد لله»، وقد قال رسول الله ﷺ: «وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»<sup>(٢)</sup>.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال: إن معنى «وَسَبِّحْ»: الصلاة، فالتى قبل طلوع الشمس: الصبح، والتي قبل غروبها: الظهر والعصر،

(١) الذي في البخاري (٤٧٧٤) عن ابن مسعود ؓ أنه فسر «لزماً» بيوم بدر، وليس الأجل المسمى!

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري ؓ.

ومن آناء الليل: العشاء الآخرة<sup>(١)</sup>، وأطراف النهار: المغرب والصبح. وكرر الصبح في ذلك؛ تأكيداً للأمر بها.

وسمى الطرفين أطرافاً لأحد وجهين: إما على نحو: ﴿بَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤]<sup>(٢)</sup>، وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف. وآناء الليل: ساعاته، واحدها: أني. ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في «الحجر»<sup>(٣)</sup>، ومدَّ العينين: هو تطويل النظر، ففي ذلك دليل<sup>(٤)</sup> أن النظر غير الطويل معفو عنه.

﴿زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شبه نعيم الدنيا بالزهر وهو<sup>(٥)</sup> النُّوار؛ لأن الزهر له منظرٌ حسن، ثم يذبل ويضمحل. وفي نصب ﴿زَهْرَةَ﴾ خمسة أوجه:

[١] أن ينتصب بفعل مضمر على الذم.

[٢] أو يضمَّن ﴿مَتَّعْنَا﴾ معنى: أعطينا، ويكون ﴿زَهْرَةَ﴾ مفعولاً ثانياً له.

[٣] أو يكون بدلاً من موضع الجار والمجرور.

[٤] أو يكون بدلاً من ﴿أَزْوَاجًا﴾، على تقدير: ذوي زهرة.

[٥] أو ينتصب على الحال.

﴿لِتَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: نختبرهم.

﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، فتفرغ أنت وأهلك للصلاة؛ فنحن<sup>(٦)</sup> نرزقك.

(١) في أ، ب، هـ: «المغرب والعشاء الآخرة».

(٢) أي: هو من باب وضع الجمع موضع الثنية عند أمن اللبس. الكشاف (٢٧٢/١٠)، والبحر المحيط (١٥/١٦٦-١٦٧)، والدر المصون (٨/١٢٢).

(٣) انظر تفسير الآية (٨٨).

(٤) في ب، د زيادة «على».

(٥) في أ، ب: «وهي».

(٦) في أ، هـ: «نحن».

وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال: «قوموا فصلوا؛ بهذا أمركم الله»، ويتلو هذه الآية<sup>(١)</sup>.

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ البينة هنا: البرهان، والصحف الأولى: هي التوراة والإنجيل وغيرهما<sup>(٢)</sup> من كتب الله.

والضمير في ﴿قَالُوا﴾ وفي ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ لقريش، لما اقترحوا على وجه العناد والتعنيث أجابهم الله بهذا الجواب، والمعنى: قد جاءكم برهان ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ، فلا شيء تطلبون آية أخرى؟

ويحتمل أن يكون المعنى: قد جاءكم القرآن، وفيه من العلوم والقصاص ما في الصحف الأولى، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ الآية؛ معناها: لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجوا على الله بأن يقولوا: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، و«لولا» هنا: عرض، فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ.

﴿قُلْ كُلٌّ مَّتَرَبِّصٌ﴾ أي: قل كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر. ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد.

﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم.



(١) ذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (٦/ ٢٦٧) عن بكر بن عبد الله المزني.

(٢) في أ، ب، هـ: «وغيرها».

## سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

إِفْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ  
إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَّهُمْ فُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ السُّجُودِ الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ  
مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثْ أَحْلَمَ بَلْ إِفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ  
الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَهْمَ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا  
رِجَالًا يُوْحِي إِلَيْهِمْ بِأَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا  
يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا  
الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ وَأَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ «إِفْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» الناس: لفظاً<sup>(١)</sup> عام. وقال ابن عباس ؓ: المراد به هنا: المشركون من قريش<sup>(٢)</sup>؛ بدليل ما بعد ذلك؛ فإنه من صفاتهم. وإنما أخبر عن الساعة بالقرب؛ لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها، ولأن كل آت قريب.  
﴿٢﴾ «مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ» يعني بالذكر: القرآن، و﴿مُحَدَّثٍ﴾ أي: محدث النزول<sup>(٣)</sup>.

(١) في أ، هـ: «لفظه».

(٢) عزاه إليه الزمخشري في الكشاف (١٠/ ٢٨٤)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٣) [التعليق ٧٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «يعني بالذكر: القرآن، و﴿مُحَدَّثٍ﴾» أي: محدث النزول:

لا إشكال فيه؛ فالذكر من أسماء القرآن؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّا ذَكْرًا لِّكُمْ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ تُكْفِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقوله: «أي: محدث النزول»، موافق لما نقله ابن جرير عن أهل التأويل؛ فإنه قال: «ما يُحَدِّثُ اللَّهُ مِنَ تَنْزِيلِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ»، وأسندته إلى قتادة.



﴿وَأَسْرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الواو في ﴿أَسْرُوا﴾ ضمير فاعل، يعود على ما قبله، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدل من الضمير. وقيل: إن الفاعل هو ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وجاء ذلك على لغة من قال: «أكلوني البراغيث»<sup>(١)</sup>، وهي لغة بني الحارث بن كعب، وقال سيبويه: لم تأت هذه اللغة في القرآن. ويحتمل أن يكون ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: منصوباً بفعل مضمر على الذم، أو خبر ابتداء مضمر. والأول أحسن.

﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هذا الكلام في موضع نصب؛ بدلاً من ﴿التَّجْوَى﴾؛ لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والبشر المذكور في الآية: هو محمد ﷺ.

﴿قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ إخبار بأنه سمع ما تناجوا به على أنهم أسروه. فإن قيل: هلاً قال: «يعلم السر»؛ مناسبة لقوله: ﴿وَأَسْرُوا التَّجْوَى﴾؟ فالجواب: أن القول يشمل السر والجهر؛ فحصل به ذكر السر وزيادة.

﴿بَلْ قَالُوا أَضَعَتْ أَحْلَمٌ﴾ أي: أخلاط منامات، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة؛ ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم.

﴿كَمَا أَرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي: كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية، فالتشبيه في الإتيان بالمعجزات.

﴿مَاءَ أَمْنَتِ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ لما قالوا: ﴿قَلِيلَاتِنَا بِآيَةٍ﴾ أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات، فلما رأوها ولم يؤمنوا هلكوا، ثم قال: ﴿أَبَهُمْ يَوْمِنَوْ﴾ أي: إن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال من قبلهم. ويحتمل أن يكون المعنى: أن كل قرية

= وهذا موافق أيضاً لبعض أجوبة الإمام أحمد رحمه الله؛ حين احتجبت المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن مخلوق [ينظر: البداية والنهاية (١٤/٣٨٥، ٤٠٠) ط. دار هجر]، والله أعلم.

ومع هذا نقول: إن ما قاله ابن جرير مع جلالة قدره وقدر من نقل عنه، وهو فتادة: متضمنٌ لصرف الكلام عن ظاهره، فمحدث في الآية وصف للذكر لا للإناث.

(١) وهي لغة من يلحق بالفعل المسند إلى فاعل مثني أو جمع علامة تدلُّ على التثنية أو الجمع، واللغة الأنصحية أن يُجرَّد الفعل - والحالة هذه - من العلامة. انظر: الدر المصون (٤/٣٧٠-٣٧١)، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢/٨٤-٨٥).

هلكتم لم تؤمن، فهو لاء كذلك، ولا يكون - على هذا - جواباً لقولهم: ﴿قُلْيَايَنَّا بِشَايَةٍ﴾، بل يكون إخباراً مستأنفاً على وجه التهديد.

و﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ في موضع الصفة لـ ﴿فَرِيَّةٍ﴾، والمراد: أهل القرية.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردُّ على قولهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؟﴾ والمعنى: أن الرسل المتقدمين رجالاً من البشر؛ فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولاً؟  
﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني: أحبار أهل الكتاب.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ أي: ما جعلنا الرسل أجساداً غير طاعمين، ووحد الجسد لإرادة الجنس، و﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ صفة لـ ﴿جَسَدًا﴾. وفي الآية ردُّ على قولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧].

﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ يعني: المؤمنين.

﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم. وقيل: تذكيركم.



وَكَمْ قَصْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ وَمَسْلِكِ كُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَبُولُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ \* فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَنَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا بِعِلِيِّنَّ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ يَتَّخِذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ بَيْنَهُمَا إِلَهَةٌ لَأَلَّهُ لَبْسَدًا بِسَبْحَنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ بِهِمْ مَعْزُوزُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلْيُكْفِرْ بِهِ فَنَنْزِلْ بِهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿قَصْنَا﴾ أي: أهلكنا، وأصله من: قَضَمَ الظهر أي: كسره.

﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ يريد: أهل القرية. قال ابن عباس رضي الله عنه: هي قرية باليمن يقال لها: حَضُور، بعث الله إليهم رسولا فقتلوه، فسَلَطَ الله عليهم بُخْتَ نَصْرٍ <sup>(١)</sup> ملك بابل، فأهلكهم الله بالقتل <sup>(٢)</sup>. وظاهر اللفظ أنه على العموم؛ لأن «كم» للتكثير، فلا يريد قرية معينة.

(١) انظر التعليق عند تفسير الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.

(٢) أخرجه ابن مردويه في تفسيره - كما في الدر المنثور (١٠/ ٢٥٨) - من طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه، والكلبي واو. وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٧) عن وهب بن منبه.

﴿يَرْكُضُونَ﴾ عبارة عن فرارهم، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب، وركضوها؛ لتسرع الجري، أو شَبَّهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ أي: قيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، والقائل لذلك: هم الملائكة، قالوه تهكمًا بهم، أو رجال بخت نصر إن كانت القرية المعينة، قالوا ذلك لهم خداعًا؛ ليرجعوا فيقتلوههم. ﴿مَا أَثْرَفْتُمْ﴾ أي: نُعِمْتُمْ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ تهكم بهم وتوبيخ؛ أي: ارجعوا إلى نعيمكم<sup>(١)</sup> ومساكنكم؛ لعلكم تُسألون عما جرى عليكم. ويحتمل أن يكون ﴿تُسْأَلُونَ﴾ بمعنى: يطلب لكم الناس معروفكم<sup>(٢)</sup>، وهذا أيضًا تهكم.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ الآية؛ اعتراف وندم حين لم ينفعهم.

﴿حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾ شَبَّهوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى ﴿خَمِيدِينَ﴾: موتى، وهو تشبيه بخمود النار.

﴿لَعِينٍ﴾ حال منفية؛ أي: ما خلقنا السماوات والأرض لأجل اللعب، بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ اللهو في لغة اليمن: الولد، وقيل: المرأة، و﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: من<sup>(٣)</sup> الملائكة، فالمعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ ولدًا لاتخذناه من الملائكة، لا من بني آدم، فهو ردُّ على من قال: المسيح ابن الله وعزير ابن الله. والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب؛ لاتصاله بقوله: ﴿لَعِينٍ﴾. وقال الزمخشري: المعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ لهوًا لكان ذلك في قدرتنا، ولكن ذلك لا يليق بنا؛ لأنه مناقض للحكمة<sup>(٤)</sup>. وفي كلا القولين نظر.

(١) في أ، ب، هـ: «نِعْمَتِكُمْ».

(٢) عبارة الكشف (٣٠٣/١٠): «يسألكم الوافدون عليكم والطَّمَاغُ، ويستمطرون سحائب أكفكم، ويمتزون [أي: يستندون] أخلاف معروفكم وأيادكم».

(٣) لم ترد في ب، ج.

(٤) انظر: الكشف (٣٠٦/١٠).

﴿إِنْ كُنَّا بِعِلَيْنَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ﴿إِنْ﴾: شَرْطِيَّةٌ، وَجَوَابُهَا فِيمَا قَبْلَهَا، أَوْ نَافِيَّةٌ. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ.

﴿تَنْفِذُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الْحَقُّ: عَامٌ فِي الْقُرْآنِ وَالرِّسَالَةِ وَالشَّرْعِ وَكُلِّ مَا هُوَ حَقٌّ، وَالْبَاطِلُ: عَامٌ فِي أَضْدَادِ ذَلِكَ.

﴿بَيِّذْمَغُهُ﴾ أَي: يَقْمَعُهُ وَيُبْطِلُهُ، وَأَصْلُهُ مِنْ إصَابَةِ الدِّمَاغِ.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةُ.

﴿وَلَا يَسْتَحْصِرُونَ﴾ أَي: لَا يَغَيِّبُونَ<sup>(١)</sup>، وَلَا يَمْلَأُونَ.

﴿أَمْ إِنْ تَأْخُذُوا بِالْهَيْئَةِ مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ «أَمْ» هُنَا: لِلإِضْرَابِ عَمَّا قَبْلَهَا، وَالِاسْتِفْهَامِ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ لِمَا بَعْدَهَا. وَ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ يَتَعَلَّقُ بِ﴿يُنْشِرُونَ﴾. وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْأَلْهَةَ الَّتِي اتَّخَذَهَا الْمُشْرِكُونَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُنْشِرُوا الْمَوْتَى مِنَ الْأَرْضِ، فَلَيْسَتْ بِأَلْهَةٍ فِي الْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّ مِنْ صِفَةِ الْإِلَهِ الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَهَسَدَتَا﴾ هَذَا بَرَهَانٌ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِمَا﴾ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ صِفَةُ لـ ﴿آلَ اللَّهِ﴾، وَ﴿إِلَّا﴾ بِمَعْنَى «غَيْرِ». فَاقْتَضَى الْكَلَامُ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: نَفْيُ كَثْرَةِ الْأَلْهَةِ، وَوَجُوبُ أَنْ يَكُونَ الْإِلَهِ وَاحِدًا. وَالْأَمْرُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْوَاحِدُ هُوَ اللَّهُ دُونَ غَيْرِهِ، وَدَلٌّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾. وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَكَانَتْ آيَةُ تَدُلُّ عَلَيْهِ لَوْ لَمْ تَذْكُرْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ.

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي مَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّهَا دَلِيلُ التَّمَانُعِ الَّذِي أوردَهُ الْأَصُولِيُّونَ، وَذَلِكَ أَنَّا لَوْ فَرضْنَا إِلَهَيْنِ، فَأَرَادَ أَحَدُهُمَا شَيْئًا وَأَرَادَ الْآخَرُ نَقِيضَهُ، فَمَا أَنْ تَنْفُذَ إِرَادَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَذَلِكَ مُحَالٌ؛ لِأَنَّ النَّقِيضَيْنِ لَا يَجْتَمِعَانِ، وَإِمَّا أَنْ لَا تَنْفُذَ إِرَادَةَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَذَلِكَ أَيْضًا مُحَالٌ؛ لِأَنَّ النَّقِيضَيْنِ لَا يَرْتَفَعَانِ مَعًا، وَلِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى عَجْزِهِمَا وَقُصُورِهِمَا، فَلَا يَكُونَانِ إِلَهَيْنِ، وَإِمَّا أَنْ تَنْفُذَ إِرَادَةَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دُونَ الْآخَرِ، فَالَّذِي تَنْفُذَ إِرَادَتَهُ هُوَ الْإِلَهِ، وَالَّذِي لَا تَنْفُذَ إِرَادَتَهُ لَيْسَ بِإِلَهِ، فَالْإِلَهِ وَاحِدٌ.

(١) فِي ب: «لَا يَلْعَبُونَ».

وهذا الدليل إن سلّمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا؛ لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان بمدينة<sup>(١)</sup> واحدة، ولا وليان<sup>(٢)</sup> لخطّة<sup>(٣)</sup> واحدة.

﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم؛ فأفعاله كلها جارية على الحكمة.

﴿وَهُمْ يَسْأَلُونَ﴾ لفقد العلتين.

﴿أَمْ لِيَتَّخِذُوا مِنْ دُونِيَّ إِلَهَةً﴾ كرّر هذا الإنكار؛ استعظاماً للشرك، ومبالغة في تقييده؛ لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، وليناط به ما ذكر بعده من تعجيز<sup>(٤)</sup> المشركين، وأنهم ليس لهم على الشرك برهان؛ لا من جهة العقل، ولا من جهة الشرائع.

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيز لهم. وقد تكلمنا على ﴿هَاتُوا﴾ في «البقرة»<sup>(٥)</sup>.

﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ رد على المشركين، والمعنى: <sup>(٦)</sup> هذا الكتاب الذي معي، والكتب التي من قبلي ليس فيها ما يقتضي الإشراف بالله، بل كلها متفقة على التوحيد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الآية؛ رد على المشركين، والمعنى: أن كل رسول إنما أتى بـ«لا إله إلا الله».

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة، وهم الذين قال فيهم بعض الكفار: إنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية؛ لأنها تناقض النبوة، ووصفهم بالكرامة؛ لأن ذلك هو الذي غرّ الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا.

(١) في ج: «المدينة».

(٢) في أ، ج، د: «وليان».

(٣) في ب: «بخطّة».

(٤) في أ، هـ: «تعجيزهم»!

(٥) انظر تفسير الآية (١١٠).

(٦) في ج زيادة: «أن».

﴿لَا يَسْأَلُونَكَ بِالْقَوْلِ﴾ أي: لا يتكلمون حتى يتكلم هو؛ تأدباً معه.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أي: لمن ارتضى أن يشفع له. ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة: في الآخرة، أو في الدنيا، وهي استغفارهم لمن في الأرض.

﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية على فرض أن لو قالوا ذلك، ولكنهم لا يقولونه، وإنما مقصود<sup>(١)</sup> الآية الرد على المشركين. وقيل: إن الذي قال: «إني إله»: هو إبليس لعنه الله.



(١) في ب: «مقصد».

\*أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْفًا بَقَعْتَفْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْعًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِإِنْسَانٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا بَرَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ كَفَرُوا إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ فَأَوْفَرِيكُمْ دَعَائِيهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴿٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٠﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلِ مِنْ قَبْلِكَ بِحَاقِ الْإِنْسَانِ بِمَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٢﴾

﴿كَانَتَا رَتْفًا بَقَعْتَفْنَاهُمَا﴾ الرُّتْق: مصدرٌ وُصِفَ به، ومعناه: الملتصق ببعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح، والْفَتْق: الفتح: فقليل: كانت السماء مُلصقة<sup>(١)</sup> بالأرض ففتقهما<sup>(٢)</sup> الله بالهواء. وقيل: كانت السماوات<sup>(٣)</sup> ملصقة بعضها ببعض، والأَرْضُونَ<sup>(٤)</sup> كذلك، ففتقهما<sup>(٥)</sup> الله سبعاً سبعاً. والرؤية في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ﴾ على هذا: رؤية قلب. وقيل: فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، والرؤية على هذا: رؤية عين.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: خلقنا من الماء كل حيوان، ويعني بالماء: المني. وقيل: الماء الذي يُشْرَب؛ لأنه سببُ حياة الحيوان، ويدخل في ذلك النبات باستعارة.

(١) في د، هـ: «ملتصقة».

(٢) في ب، ج: «فتقها».

(٣) كذا في هامش د، وهامش هـ ورمز له بـ«خ»، وفي بقية النسخ: «السما».

(٤) في ب، ج: «والأرض».

(٥) في هـ: «فتقهما».



﴿رَوَّسَى﴾ يعني: الجبال.

﴿أَن تَمِيدَ﴾ تقديره: كراهة أن تميد.

﴿وَجَاجَا﴾ يعني: الطرق الكبار. وإعرابه عند الزمخشري: حال من السُّبُل؛ لأنه صفةٌ تقدّمت على النكرة<sup>(١)</sup>.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني: في طرقهم وتصرفاتهم.

﴿سَفِيحًا مَّخْبُوظًا﴾ أي: حُفِظَ مِنَ السُّقُوطِ، وَمِنَ الشَّيَاطِينِ.

﴿عَن آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يعني: الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك.

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوض عن الإضافة؛ أي: كلهم في فلك يسبحون، يعني: الشمس والقمر، دون الليل والنهار؛ إذ لا يوصف الليل والنهار بالسَّبْح في الفلك، فالجملة: في موضع حال من ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، أو مستأنفة<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: لفظ ﴿كُلٌّ﴾ و﴿يَسْبَحُونَ﴾ جمعٌ، فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان؟

فالجواب: أنه أراد جنس مطالعتهما<sup>(٣)</sup> كل يوم وليلة، وهي كثيرة. قاله الزمخشري<sup>(٤)</sup>. وقال الغزنوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة. وعبر عنها بضمير الجماعة<sup>(٥)</sup> العقلاء في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ لأنه وصفهم بفعل العقلاء، وهو السَّبْح.

فإن قيل: كيف قال: ﴿فِي فَلَكٍ﴾ وهي أفلاك كثيرة؟

فالجواب: أنه أراد: كل واحد يَسْبَح في فلكه<sup>(٦)</sup>، وذلك كقولك<sup>(٧)</sup>: «كساهم الأمير

(١) انظر: الكشف (٣٣٩/١٠).

(٢) في أ، ب: «مستأنف».

(٣) في ج: «مطالعهما».

(٤) انظر: الكشف (٣٤٢/١٠).

(٥) في هـ: «جماعة»، ولم ترد في ب.

(٦) في أ، هـ: «فلك».

(٧) في أ، ج: «كقولك».

حُلَّةٌ؛ أي: كسا كل واحد منهم حلة.

ومعنى الفلك: جسم مستدير، وقال بعض المفسرين: إنه من موج، وذلك بعيد، والحق: أنه لا تعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود<sup>(١)</sup>. ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَجْرُونَ، أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء. وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ سببها: أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنهم تمنوا موته؛ ليشتوا به<sup>(٣)</sup>، وهذا أنسب لما بعده.

﴿أَقْبَلِي مِتَّ بِهِمُ الْخَالِدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة ﴿بِهِمُ الْخَالِدُونَ﴾ وقُدِّمت<sup>(٤)</sup>؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: كل نفس مخلوقة لا بد لها أن تذوق الموت. والذوق هنا استعارة.

﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ أي: نختبركم بالفقر والغنى، والمرض والصحة، وغير ذلك من أحوال الدنيا؛ ليظهر الصبر على الشر، والشكر على الخير، أو خلاف ذلك. ﴿بِئْتَنَّهُ﴾ مصدر من معنى ﴿تَبْلُوكُم﴾.

﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُتَكُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذم، دلَّت على ذلك قرينة الحال؛ فإن الذكر قد يكون بدم أو مدح. والجملة تفسير للهزة؛ أي: يقولون: أهذا الذي..

﴿وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال؛ أي: كيف ينكرون ذمك لألهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحق بالملامة. وقيل: معنى ﴿يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ﴾: تسميته بهذا الاسم؛ لأنهم أنكروها. والأول أغرق في ضلالهم.

(١) انظر التعليق عند تفسير الآية رقم (٣) من سورة الرعد.

(٢) ذكره في المحرر الوجيز (١٦٥/٦).

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (١٦٥/٦)، وانظر: تفسير الثعلبي (١٢٣/١٨).

(٤) في ج: «وتقدمت».

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: خلق شديد الاستعجال، وجاءت هذه العبارة للمبالغة، كقولك: **خُلِقَ حاتم من جودٍ**. والإنسان هنا: جنس. وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها، والعذاب الذي طلبوه<sup>(١)</sup>، فذكر الله هذا توطئة لقوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾. وقيل: المراد هنا: آدم عليه السلام؛ لأنه لما وصل الروح إلى صدره أراد أن يقوم. وهذا ضعيف. وقيل: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: من طين، وهذا أضعف.

﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ وعيدٌ، وجوابٌ على ما<sup>(٢)</sup> طلبوه من التعجيل.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية؛ تفسيرٌ لاستعجالهم.

﴿الْوَعْدُ﴾ القيامة، أو نزول العذاب بهم.

﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب «لو» محذوف.

﴿جِينَ﴾ مفعول به لـ ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمُ﴾ الضمير الفاعل: للنار، وقيل: للساعة.

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تفجؤهم.

﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: لا يؤخرون عن العذاب.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمُ﴾ الآية؛ تسليةً بالتأسي.

﴿بِحَقِّ﴾ أي: أحاط.



(١) لم أفق عليه.

(٢) في ب: «لما»، وفي أ: «ما» بدون «على».

\* قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرِّحْمِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٤﴾ أَمْ لَهُمْ  
 ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿١٥﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ  
 وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِيهِمُ الْآرْضَ نَنفُسُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمْ  
 الْعَالِمُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ﴿١٧﴾ وَلَيْسَ مَسْئَلُهُمْ  
 نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لِيَقُولُوا يَوْنِلَنَّا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٨﴾ وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ  
 الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١٩﴾  
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ  
 بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٢١﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَرِّكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٢٢﴾

﴿مَنْ يَكْلُوْكُمْ﴾ أي: من يحفظكم من أمر الله؟ و«مَنْ» استفهامية. والمعنى: تهديد، وإقامة حجة؛ لأنهم لو أجابوا على هذا السؤال لا عترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ، ثم جاء قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ بمعنى: أنهم إذا سئلوا ذلك السؤال لم يجيبوا عنه؛ لأنه تقوم عليهم الحجة إن أجابوا، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله؛ أي: عن الجواب الذي فيه ذكر الله. وقال الزمخشري: معنى الإضراب هنا: أنهم معرضون عن ذكره، فضلاً عن أن يخافوا بأسه<sup>(١)</sup>.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أي: تمنعهم من العذاب، و«أَمْ» هنا للاستفهام، والمعنى: الإنكار والنفي، وذلك أنه لما سألهم عن يكلوهم أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم، ثم احتجَّ عن ذلك بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره.

﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار؛ أي: لا يُصْحَبُونَ منا بنصر ولا حفظ.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ أي: متعناهم بالنعم والعافية في الدنيا، فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله. والإضراب بـ«بل» عن معنى الكلام المتقدم؛ أي: لم يحملهم على الكفر

(١) انظر: الكشاف (١٠/٣٥١).

والاستهزاء نصرًا ولا حفظ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم.

﴿تَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ذكر في «الرعد»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ إشارة إلى الكفار، والصَّمَم استعارة في إفراط إعراضهم.

﴿نَفْحَةٌ﴾ أي: خطرة، وفيها تقليل العذاب. والمعنى: أنهم لو رأوا أقل شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أي: العدل، وإنما أفرد القسط، وهو صفة للجمع: لأنه مصدرٌ وُصِفَ به، كعدلٍ ورضًا، أو على تقدير: ذوات القسط. ومذهب أهل السنة: أن الميزان يوم القيامة حقيقة، له كِفَتَانِ ولسانٌ وعمودٌ توزن فيه الأعمال، والخِفَّةُ والثَقْلُ متعلقة بأجسام؛ إما صحف الأعمال، أو ما شاء الله. وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارة عن العدل في الجزاء<sup>(٢)</sup>.

﴿لِيَوْمِ الْفَيْتَةِ﴾ قال ابن عطية: تقديره: لحساب يوم القيامة، أو لحكمه، فهو على حذف مضاف<sup>(٣)</sup>. وقال الزمخشري: هو كقولك: كتبت الكتاب لست خَلَوْنَ من الشهر<sup>(٤)</sup>.

﴿مِثْقَالِ حَبَّةٍ﴾ أي: وزنها، والرفع<sup>(٥)</sup> على أَنَّ «كان» تامة، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمرة.

﴿الْفُرْقَانِ﴾ هنا: التوراة. وقيل: التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾ يعني: القرآن.



(١) انظر تفسير الآية (٤٢).

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (١١٠).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١٧٣/٦).

(٤) انظر: الكشف (٣٥٧/١٠).

(٥) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ﴾ ٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ  
الْصَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ﴾ ٥٢ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ  
أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿قَالُوا أَحِثِّتْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ ٥٣ قَالَ بَلْ  
رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي يَقْطُرُ مِنَ الْفُجَارِ وَآنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿وَتَاللَّهِ  
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَانَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُذِيرِينَ﴾ ٥٤ فَجَعَلَهُمْ جُذُأً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ  
يَرْجِعُونَ ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٥ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ  
يَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿قَالُوا بَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ٥٦ قَالُوا إِنَّكَ بَعَلْتَ  
هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿قَالَ بَلْ بَعَلَّهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأُلُوهُمْ وَإِنْ كَانُوا يَنْطَفِقُونَ﴾ ٥٧  
فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ  
مَا هَؤُلَاءِ يَنْطَفِقُونَ﴾ ٥٨ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفِ  
لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ  
كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ٥٩ فَلَمَّا يَتَّزَارَ كُوْنِيهِ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا  
فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِسِرِينَ﴾ ٦٠ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿وَوَهَبْنَا  
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكَوَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ ٦١ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا  
وَأَرْحَمِينَ إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ ﴿وَلُوطًا  
إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٦٢ وَادْخُلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٣﴾

﴿٥١﴾ «رُشْدَهُ» يعني: إرشاده إلى توحيد الله، وكسر الأصنام، وغير ذلك.

﴿٥٢﴾ «مِن قَبْلُ» أي: قبل موسى وهارون ؑ. وقيل: آتيانه رشده قبل النبوة.

﴿٥٣﴾ «وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ» أي: عَلِمْنَا<sup>(١)</sup> أنه يستحق ذلك.

﴿٥٤﴾ «الصَّمَائِلُ» يعني: الأصنام، وكانت على صور بني آدم.

(١) في أ: «علمناه».

﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد من غير دليل.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: هل <sup>(١)</sup> هذا الذي تقول جدُّ أو <sup>(٢)</sup> مزاح؟ وانظر كيف عبَّروا <sup>(٣)</sup> عن الحق بالفعل، وعن اللَّعِبِ بالجملة الاسمية؛ لأنه أثبت عندهم.

﴿فَطَرَهُمْ﴾ أي: خلقهم، والضمير للسموات والأرض، والتمثيل <sup>(٤)</sup>، وهذا <sup>(٥)</sup> أليق بالردِّ عليهم.

﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ يعني: خروجهم إلى عيدهم.

﴿جَذَذًا﴾ أي: فُتَاتًا، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح <sup>(٦)</sup>، وهو من الجذِّ بمعنى القطع.

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ تَرَكَ الصنم الكبير لم يكسره، وعلَّقَ القُدوم على يده <sup>(٧)</sup>.

﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للصنم الكبير؛ أي: يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء. وقيل: الضمير لإبراهيم عليه السلام، أي: يرجعون إليه فيبين لهم الحق.

﴿قَالُوا مَسْ بَعْلَ هَذَا﴾ قبله محذوف تقديره: فرجعوا من عيدهم فأروا الأصنام مكسورة، فـ ﴿قَالُوا مَسْ بَعْلَ هَذَا﴾.

﴿فَتَنَى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذمِّ، ويقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَانَكُمْ﴾.

(١) لم ترد في أ، هـ.

(٢) في ج، د: «أم».

(٣) في ج، د: «عبر».

(٤) كذا في جميع النسخ الخطية! ولعل صواب العبارة: «أو للتمثيل»؛ ليستقيم الكلام مع ما بعده وهو قوله: «وهو أليق بالرد عليهم»؛ أي: كون الضمير للتمثيل أليق من كونه للسموات والأرض، وهذا هو الموافق لعبارة الكشاف (٣٦٥/١٠) إذ قال: «الضمير في «فطرهم» للسموات والأرض، أو للتمثيل، وكونه للتمثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم».

(٥) في ج، د: «وهو».

(٦) قرأ الكسائي بكسر الجيم، وقرأ الباقون من السبعة بضمها، وقرئ في الشاذ بفتحها، وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه وأبو نُهيك وأبو السماك. المحرر الوجيز (١٧٥/٦).

(٧) في أ، ب، ج، هـ: «من يده»!

﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ قيل: إن إعراب ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ منادى<sup>(١)</sup>. وقيل: خبر ابتداء مضمرة. وقال الأعمش<sup>(٢)</sup>: هو رفع على الإهمال<sup>(٣)</sup>. والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله به ﴿يُقَالُ﴾؛ لأن المراد الاسم لا المسمى. وهذا اختيار ابن عطية<sup>(٤)</sup> والزمخشري<sup>(٥)</sup>.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: يشهدون عليه بما فعل، أو يحضرون عقوبتنا له.

﴿قَالَ بَلْ بَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ قصد إبراهيم ﷺ بهذا القول تبيكتهم وإقامة الحجة عليهم، كأنه يقول: إن كان إلها فهو قادر على أن يفعل، وإن لم يقدر فليس بإله، ولم يقصد الإخبار المحض؛ لأنه كذب. فإن قيل: فقد جاء في الحديث: «إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات، إحداها<sup>(٦)</sup> قوله: ﴿بَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾»<sup>(٧)</sup>؟

فالجواب: أن معنى ذلك: أنه قال قولاً ظاهره الكذب، وإن كان القصد به معنى آخر، ويدل على ذلك قوله: ﴿بَسَّطُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَفِقُونَ﴾؛ لأنه أراد به أيضاً تبيكتهم وبيان ضلالهم.

﴿وَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: رجعوا إليها بالفكرة والنظر، أو رجعوا إليها بالملامة. ﴿وَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شيء. أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه: ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وفي تعنيفه على أعين الناس.

(١) كأنهم أرادوا: الذي يقال له عندما يُدعى: يا إبراهيم. المحرر الوجيز (١٧٦/٦).

(٢) هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشَّتَمَرِي الإشبيلي، النحوي، ولد سنة (٤١٠هـ)، كان عالماً بالعربية واللغة واسع الحفظ للأشعار ومعانيها، جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن، فكانت الرحلة إليه في وقته. لُقِّب بالأعمش؛ لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقاً واسعاً، وتوفي بإشبيلية سنة (٤٧٦هـ). انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢٨٤٨/٦).

(٣) قال ابن عطية في توضيح مراده: «لما رأى وجوه الرِّفَع كلها لا توضِّح المعنى الذي قصده؛ ذهب إلى رفعه بغير شيء، كما قد يرفع التجرد والعُرْو عن العوامل الابتداء» المحرر الوجيز (١٧٦/٦).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١٧٦/٦).

(٥) انظر: الكشف (٣٧٠/١٠).

(٦) في د: «أحدها».

(٧) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



﴿ثُمَّ نُكْسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ استعارة لانقلابهم برجعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟! فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم، فهذه غاية الضلال في فعلهم، وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم. ويحتمل أن يكون ﴿نُكْسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ بمعنى رجوعهم عن<sup>(١)</sup> المجادلة إلى الانقطاع؛ فإن قولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ﴾ اعترافٌ يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة. ويحتمل على هذا أن يكون ﴿نُكْسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ حقيقة؛ أي: أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة.

﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ تقدم الكلام على ﴿إِنِّي﴾ في «الإسراء»<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه<sup>(٣)</sup> بالظلم.

﴿فُلْنَا يَتَنَارَ كُونِهِ بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي: ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة.

واختلف كيف بردت النار؟ ف قيل: أزال الله عنها ما فيها من الحر والإحراق. وقيل: دفع عن جسم إبراهيم عليه السلام حرها وإحراقها، مع ترك ذلك فيها. وقيل: خلق بينه وبينها حائلاً. ومعنى السلام هنا: السلامة، وقد روي<sup>(٤)</sup> أنه لو لم يقل: ﴿سَلَامًا﴾ لهلك إبراهيم بالبرد<sup>(٥)</sup>. وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم عليه السلام؛ لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه.

﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، خرج إليها من العراق. وبركئها: بخضبتها، وكثرة الأنبياء فيها<sup>(٦)</sup>.

(١) في أ: «من».

(٢) انظر تفسير الآية (٢٣).

(٣) لم ترد هذه الكلمة في ج، د.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠٦ / ١٦) وابن أبي حاتم (٢٤٥٦ / ٨) عن ابن عباس عليه السلام.

وأخرجه أحمد في الزهد، ط. دار ابن رجب (١٧١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٤٨٢) عن علي عليه السلام.

(٥) في هـ: «من البرد».

(٦) «فيها» زيادة من ج، د.

﴿ثَابِتَةً﴾ أي: عطية، والتنفيل<sup>(١)</sup>: العطاء. وقيل: سماه نافلة؛ لأنه عطاءٌ بغير سؤال؛ فكانه تبرع. وقيل: الهبة: إسحاق، والنافلة: يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله: ﴿هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، فأعطي يعقوب؛ زيادةً على ما سأل. واختار بعضهم على هذا الوقف على ﴿إِسْحَاقَ﴾؛ لبيان المعنى، وهذا ضعيف؛ لأنه معطوفٌ على كل قول.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يرشدون الناس بإذننا.

﴿وَلُوطًا﴾ قيل: إنه انتصب بفعل مضمر يفسره ﴿اتَّيْنَاهُ﴾. والأظهر أنه انتصب بالعطف على ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾، أو<sup>(٢)</sup> ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾. وانتصب ﴿نُوحًا﴾ و﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ وما بعدهم بالعطف أيضًا، وقيل: بفعل مضمر تقديره: اذكر.

﴿اتَّيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أي: حكمًا بين الناس، أو حكمةً.

﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ هي سدُوم<sup>(٣)</sup> من أرض الشام.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: في الجنة، أو في أهل رحمتنا<sup>(٤)</sup>.



(١) في ب، ج: «والتنفل».

(٢) في، د: «أو».

(٣) في ب: «سدام».

(٤) [التعليق ٧٤] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: كلٌّ مِنَ التفسيرَيْنِ صحيحٌ، وإن كان الأول هو الجاري على الظاهر. ويدلُّ لصحة التفسيرَيْنِ: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٧٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْغُوبَةً ﴿٧٨﴾ فَأَدْخِلْ فِي عِبَادِي ﴿٧٩﴾ وَأَدْخِلْ جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اتَّبَعَتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، وقوله سبحانه عن سُلَيْمَانَ عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْكَاتِبِينَ﴾ [النمل: ١٩]، وقال الله في الحديث القدسي للجنة: «أَنْتِ رَحْمَتِي؛ أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَسَاءَ مِنْ عِبَادِي» [أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦)]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والله أعلم.

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٦٥﴾ وَنَصْرَتَهُ  
 مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٦﴾ وَدَاوُدَ  
 وَسَلِيمَ بْنَ إِذْ يَخْكُمُ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٦٧﴾  
 فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ  
 وَكُنَّا بِعِلِّيِّينَ ﴿٦٨﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٦٩﴾  
 وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ  
 عَلِيمِينَ ﴿٧٠﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٧١﴾  
 وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا  
 مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٧٣﴾  
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ  
 الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ \* وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا وَقَطَّرَتْهُ أَنْ لَسْ نَفِيرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ  
 وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ  
 الْوَارِثِينَ ﴿٧٨﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي  
 الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٧٩﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ بَرْجَهَا فَلَمَّا بَقِعْنَا بِهَا  
 مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ  
 فَاعْبُدُونِ ﴿٨١﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٨٢﴾

﴿٦٥﴾ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ أَي: دعا قبل إبراهيم ولوط ؑ.

﴿٦٥﴾ مِنَ الْكَرْبِ يعني: الغرق.

﴿٦٦﴾ وَنَصْرَتَهُ مِنَ الْقَوْمِ تعدي «نصرتُهُ» بـ «من»: لأنه مطاوع «انتصر»<sup>(١)</sup> المتعدي

(١) كذا وردت العبارة في النسخ الخطية! والصواب: «لأن مطاوعه (انتصر)» يقال: نصرته فانتصر، وانظر:

بـ«مِنْ»، أو تَضَمَّنَ<sup>(١)</sup> معنى: نَجَّينَاهُ، أو أَجْرُنَاهُ.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ كان داود ﷺ نبيًّا ملكًا، وكان ابنه سليمان ﷺ حيثُ ابن<sup>(٢)</sup> أحد عشر عامًا.

﴿فِي الْحَرْثِ﴾ قيل: زرع، وقيل: كَرَم، والحرث يقال فيهما.

﴿إِذْ نَبَّشَتْ﴾ رَعَتْ فيه بالليل.

﴿لِيَحْكُمَ بِهِمُ﴾ الضمير لداود وسليمان ﷺ والمتخاصمين، وقيل: لداود وسليمان ﷺ خاصة؛ على أن يكون أقلُّ الجمع اثنين.

﴿فَبَيَّهَنَّهَا سُلَيْمَانُ﴾ تخاصم إلى داود رجلان، دخلت غنمُ أحدهما على زرع الآخر بالليل فافسده، فقضى داودُ بأن يأخذ صاحبُ<sup>(٣)</sup> الزرع الغنم، ووجه هذا الحكم: أن قيمة<sup>(٤)</sup> الزرع<sup>(٥)</sup> مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال: يا نبيَّ الله لو حكمتَ بغير هذا كان<sup>(٦)</sup> أرفق للجميع!

قال: وما هو؟ قال: يأخذ صاحب الغنم الأرض؛ ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم ينتفعُ بألبانها وصوفها وتسلها، فإذا كمل الزرع رُدَّت الغنمُ إلى صاحبها، والأرضُ بزرعها إلى ربِّها، فقال له داود: وَفَّقْتَ يا نبيَّ، وقضى بينهما بذلك، ووجه حكم سليمان: أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان. ويَحْتَمَلُ أن يكون ذلك إصلاحًا، لا حكمًا.

(١) في ج: «أو ضَمَّنَ»، وسقطت من ب.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «مِنْ»!

(٣) في ب: «رَبُّ».

(٤) في ب زيادة «هذا».

(٥) في د زيادة: «كانت».

(٦) في ب، د: «الكان».

واختلف الناس: هل كان حكمهما باجتهاد أو وحي؟

فمن قال: كان باجتهاد: أجاز الاجتهاد للأنبياء، وروي أن داود عليه السلام رجع عن حكمه لما تبين له أن الصواب خلافه.

وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء، وعلى القول بالجواز اختلف: هل وقع أم لا؟ وظاهر قوله: ﴿بَقَّيْنَاهَا سُلَيْمًا﴾ أنه كان باجتهاد، خص الله سليمان عليه السلام فيه بفهم القضية. ومن قال: كان بوحي: جعل حكم سليمان عليه السلام ناسخاً لحكم داود عليه السلام. وأما حكم إفساد المواشي للزرع <sup>(١)</sup> في شرعنا:

فقال مالك والشافعي <sup>(٢)</sup>: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون النهار؛ للحديث الوارد في ذلك <sup>(٣)</sup>، وعلى هذا يدل حكم داود وسليمان عليهما السلام؛ لأن النفس لا يكون إلا بالليل. وقال أبو حنيفة: لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار؛ لقوله ﷺ: «العجماء جربها جبار» <sup>(٤)</sup>.

﴿وَكَلَّا إِنَّا نَحْكُمُا وَعِلْمًا﴾ قيل: يعني في هذه النازلة، وأن داود عليه السلام لم يخطئ فيها، ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدل هذا القول على أن كل مجتهد مصيب <sup>(٥)</sup>.

(١) في ج: «الزرع».

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٣٧/١٥).

(٣) وهو ما أخرجه أحمد في مسنده (١٨٦٠٦) وأبو داود (٣٥٧٠)، والنسائي في الكبرى (٥٧٥٣) وابن ماجه (٢٣٣٢)، والحاكم (٢٣٠٣) وصححه ووافقه الذهبي: عن حرام بن مَحِيصَة بن مسعود أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدته، فقضئ رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل. وفي إسناده الحديث اختلاف فروي عن حرام بن مَحِيصَة عن البراء، وهو على هذا مرسل؛ فإن حراماً لم يسمع من البراء، وروي موصولاً عن حرام بن مَحِيصَة عن أبيه عن البراء، أخرجه كذلك أحمد (٢٣٦٩٧)، وأبو داود (٣٥٦٩)، والنسائي في الكبرى (٥٧٥٤)، وابن حبان (٦٠٠٨). وصوب ابن عبد البر وغيره المرسل، وقال في التمهيد (٨٢/١١): «هذا الحديث وإن كان مرسل فهو حديث مشهور أرسله الأئمة وحدث به الثقات واستعمله فقهاء الحجاز وتلقوه بالقبول». وانظر: البدر المنير (١٩/٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٩١٢)، ومسلم (١٧١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه. والعجماء: الدابة، والجبار: الهدر. النهاية لابن الأثير (٥٦٧/٢).

(٥) القول الصحيح الذي عليه المحققون في هذه المسألة: أن المصيب في مسائل الاجتهاد في الشريعة واحد، وأن الشريعة راجعة إلى قول واحد يصيبه من أصابه ويخطؤه من أخطأه، فمن أصابه فله أجران أجر على =

وقيل: بل يعني: حكماً وعلماً في غير هذه النازلة، وهذا على القول بأنه أخطأ فيها، وأن المصيب واحد من المجتهدين.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كان هذا التسبيح قول: «سبحان الله»، وقيل: الصلاة معه إذا صلى. وقدم الجبال على الطير؛ لأن تسبيحها أغرب؛ إذ هي جماد. ﴿وَكُنَّا بِعِلِّيْنَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا. وقال ابن عطية: معناه: كان ذلك في حقه؛ لأجل أن داود عليه السلام استوجب ذلك منا<sup>(١)</sup>.

﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ يعني: دروع<sup>(٢)</sup> الحديد، وأول من صنعها داود عليه السلام، قال ابن عطية: اللبوس في اللغة: السلاح<sup>(٣)</sup>. وقال الزمخشري: اللبوس: اللباس<sup>(٤)</sup>.

﴿لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ أي: لتقيكم في القتال. وقرئ بالياء والتاء والنون<sup>(٥)</sup>، فالنون: الله تعالى، والتاء: للصنعة، والياء: لداود، أو للبوس.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: استدعاءً إلى الشكر.

﴿وَلَسَلَيْتَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ عطف «الرَّيحَ» على «الْجِبَالَ»، والعاصفة: هي الشديدة. فإن قيل: كيف قال «عَاصِفَةً» وقال في «ص»: «رُخَاءً» [ص: ٣٥] أي: ليئة؟

فالجواب: أنها كانت في نفسها ليئة طيبة، وكانت تسرع في جريها كالعاصف، فجمعت الوصفين. وقيل: كانت رُخَاءً في ذهابه، وعاصفةً في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة

= اجتهداه، وأجر على إصابته الحق، ومن أخطأه فله أجر واحد على اجتهد، وخطؤه مغفور له، ويدل على هذا قوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر» [أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)]. انظر: قواطع الأدلة للسمعاني (١٩/٥)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٨٧/٥) وما بعدها، والموافقات للشاطبي (٥٩/٥).

(١) المحرر الوجيز (١٨٨/٦).

(٢) في أ، ب: «درع».

(٣) المحرر الوجيز (١٨٩/٦).

(٤) الكشف (٣٨٥/١٠).

(٥) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء، وقرأ شعبة عن عاصم بالنون، وقرأ الباقر بالياء.

المسافرين الإسراع في الرجوع. وقيل: كانت تشتدُّ إذا رفعت البساط، وتلين إذا حملته.  
﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني: أرض الشام، وكانت مسكنه وموضع<sup>(١)</sup> ملكه،  
فخصَّ في الآية الرجوع إليها؛ لأنه<sup>(٢)</sup> يدلُّ على الانتقال منها<sup>(٣)</sup>.

﴿يَغْوُصُونَ لَهُ﴾ أي: يدخلون في الماء؛ ليستخرجوا له الجوهر من البحار.

﴿عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أقلُّ من الغوص، كالبنيان والخدمة.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أي: نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه. وقيل: معناه عالمين بعددهم.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ كان أيوب عليه السلام نبيًّا من الروم، وقيل: من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير، فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك<sup>(٤)</sup> الأولاد فصبر، ثم سلَّطَ البلاء على جسمه فصبر إلى أن مرَّ به قوم فشميتوا به، فحينئذ دعا إلى الله<sup>(٥)</sup> تعالى.

على أن قوله: ﴿مَسْنِيَّ الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ليس تصريحًا بالدعاء، ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، ووصف ربَّه بغاية الرحمة؛ ليرحمه، فكان في ذلك من حسن التلطُّف ما ليس في التصريح بالطلب.

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ لما استجاب الله له أنبع<sup>(٦)</sup> له عينًا من ماء، فشرب منه واغتسل، فبرئ من المرض والبلاء.

﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ روي أن الله أحيا أولاده الموتى<sup>(٧)</sup>، ورزقه مثلهم معهم في

(١) في ج، د: «أرض».

(٢) في أ، ب: «فإنه».

(٣) قال في المحرر الوجيز (١٩٠/٦): «وخصَّص في هذه الآية انصرافه في سفراته إلى أرضه؛ لأن ذلك يقتضي سفره إلى المواضع التي سافر إليها».

(٤) في ج: «هلك».

(٥) في د: «دعا الله».

(٦) في هـ: «فتح».

(٧) هذه الكلمة زيادة من ج، د.

الدنيا، وقيل: في الآخرة. وقيل: ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى، ومثلهم معهم. وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله.

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: رحمة لأيوب، وذكرى لغيره من العابدين؛ ليصبروا كما صبر، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معاً للعبدين.

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ قيل: هو إلياس عليه السلام، وقيل: زكريا عليه السلام، وقيل: نبي بُعث إلى رجل واحد<sup>(١)</sup>، وقيل: رجل صالح غير نبي. وسُمِّي ذا الكفل أي: ذا الحظ من الله، وقيل: لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر<sup>(٢)</sup> من بعده.

﴿وَذَا النُّونِ﴾ هو يونس عليه السلام، والنون: هو الحوت، تُسب إليه؛ لأنه التقمه.

﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ أي: مغاضباً لقومه؛ إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون، حتى أدركه ضجرٌ منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَكُ كَصَحَابِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]. ولا يصح قول من قال: مغاضباً لربه.

﴿بَقَلَّ أَنْ لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظن أن لن نضيق عليه، فهو من معنى قوله: ﴿بَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٧]. وقيل: هو من القدر والقضاء؛ أي ظن أن لن نقدر عليه بعقوبة. ولا يصح قول من قال: إنه من القدرة.

﴿بَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ قبل هذا الكلام محذوف؛ لبيانه في غير هذه الآية، وهو: أنه لما خرج ركب السفينة فرمى في البحر، فالتقمه الحوت، ﴿بَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت. ويحتمل أن عبّر بالظلمات عن بطن الحوت؛ لشدة ظلمته، كقوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٦].

﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿أَنْ﴾ مفسرة، أو مصدرية على تقدير: نادى بأن. والظلم الذي اعترف به: كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم.

(١) في ب: «وحده».

(٢) في ب، هـ: «بأمره».



﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ يعني: من بطن الحوت، وأخرجه إلى البر.

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون مطلقاً، أو يكون لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك<sup>(١)</sup> قال رسول الله ﷺ: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له»<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد ولا وارث.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: إن لم ترزقني وارثاً فأنت خير الوارثين، فهو استسلام لله.

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَةً﴾ يعني: ولدت بعد أن كانت عقيماً، واسم زوجته: أشياع، قاله السهيلي<sup>(٣)</sup>.

﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الضمير للأنبياء المذكورين.

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الرِّغْب: الرجاء، والرَّهَب: الخوف. وقيل: الرغب: أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب: أن ترفع ظهورها<sup>(٤)</sup>.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ بَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران، ومعنى ﴿أَحْصَنَتْ﴾: من العفة؛ أي: أعفته عن<sup>(٥)</sup> الحرام والحلال، كقولها: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿فَتَنْفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه؛ لأنه كان بأمره. والروح هنا: هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه؛ للتشريف، أو للملك.

﴿آيَةً﴾ أي: دلالة، ولذلك لم يش<sup>(٦)</sup>.

(١) في أ، هـ: «وكذلك».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٦٢)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في الكبرى (١٠٤١٧)، والحاكم (٤١٢١) وصححه ووافقه الذهبي، عن إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن سعد رضي الله عنه.

(٣) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٢١١).

(٤) في ج، د: «ظهورهما».

(٥) في أ، ب، هـ: «من».

(٦) لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة، وهي ولادتها إياه من غير فحل. الكشاف (١٠/ ٣٩٨).

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي: ملتكم ملة واحدة، وهو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين  
 لمحمد ﷺ؛ أي: إنما بُعث الأنبياء المذكورون بما أُمِرتم به من الدين؛ لأن جميع الرسل  
 متفقون في أصول العقائد.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: اختلفوا فيه، وهو استعارة من جعل الشيء قطعاً. والضمير  
 للمخاطبين قبل، فالأصل: تقطَّعتم.



بِمَنْ يَّعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿١٥﴾ وَحَرَّمَ عَلَيَّ قَرْيَةً أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٧﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَيَوَّنَتْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿١٩﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجِرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ \* إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ نُنْظِرُ السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَغَدَاً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا بِعِلِّيِّينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ غَالِيينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ قَهْلَ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ادْنُتْكُمْ عَلَيَّ سَوَاءٌ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّهُ يَغْلِبُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ بَيِّنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٢﴾ قُلْ رَبِّ اجْعَلْ لِّي حَقًّا بِالحَقِّ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ ﴿٣٣﴾

﴿١٦﴾ ﴿بَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: لا إبطال لثواب عمله.

﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي: نكتب عمله في صحيفته.

﴿١٧﴾ ﴿وَحَرَّمَ عَلَيَّ قَرْيَةً أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قرئ ﴿حِزْمٌ﴾ بكسر الحاء<sup>(١)</sup>، وهو بمعنى حرام. واختلف في معنى الآية: فقيل: حرام بمعنى: ممتنع، (أي: ممتنع)<sup>(٢)</sup> على قرية (أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة، أو ممتنع على قرية)<sup>(٣)</sup> قد أهلكها الله أن يرجعوا

(١) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف، وقرأ الباقون بفتح الحاء والراء وألف بعدها.

(٢) سقط من ب، ج، هـ.

(٣) سقط من أ، ب، هـ.

إلى الدنيا. و﴿لَا﴾ زائدة في الوجهين.

وقيل: حرام بمعنى: حتم واقع لا محالة، ويُتصور فيه الوجهان، وتكون ﴿لَا﴾ نافية فيهما، أي: حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة، أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا. وقيل: المعنى: ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، و﴿لَا﴾ على هذا نافية أيضاً، ففيه رد على من أنكر البعث.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا: حرف ابتداء، أو غاية متعلقة بـ ﴿يَرْجِعُونَ﴾. وجواب ﴿إِذَا﴾: ﴿وَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾، وقيل: الجواب: ﴿يَوْنِلَنَا﴾؛ لأن تقديره: يقولون يا ويلنا. و﴿بُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي: فُتِحَ سُدُّهَا، فحذف المضاف. ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ الحدب: المرتفع من الأرض، و﴿يَنْسِلُونَ﴾: أي يسرعون. والضمير: لياجوج وماجوج؛ أي: يخرجون من<sup>(١)</sup> كل طريق؛ لكثرتهم، وقيل: لجميع الناس. ﴿أَلْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني: القيامة.<sup>(٢)</sup>

﴿وَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ ﴿إِذَا﴾ هنا للمفاجأة، والضمير عند سيويه: ضمير القصة، وعند الفراء: للأبصار. و﴿شَاخِصَةٌ﴾ من الشخوص، وهو إحداد النظر من الخوف.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطاب للمشركون. والحصب: ما توقد به النار، كالحطب، وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام: «حطب جهنم»<sup>(٣)</sup>. والمراد بـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها، تُحرق في النار؛ توبيخاً لمن عبدها. ﴿وَارِدُونَ﴾ الورد هنا: دخول<sup>(٤)</sup>.

﴿زَبِيرٌ﴾ ذكر في «هود»<sup>(٥)</sup>.

(١) في ب: «على».

(٢) في ج زيادة: «يوم».

(٣) تفسير الطبري (١٦ / ٤١٢).

(٤) في هـ: «الدخول».

(٥) انظر تفسير الآية (١٠٦).

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ قبل: يُجعلون في توايت من نار، فلا يسمعون شيئاً. وقيل: يُصمُّهم الله كما يُعميهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ ﴿سَبَقَتْ﴾ أي: قُضيت في الأزل، و﴿الْحُسْنَى﴾: السعادة. ونزلت الآية لما اعترض ابن الزُّبَيْرِ على قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فقال: إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا<sup>(١)</sup>. فالمعنى: إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد، واللفظ مع ذلك على عمومته في كل من سبقت له السعادة.

﴿حَسْبِيَ﴾ أي: صوتها.

﴿الْبَقَرَعِ الْأَكْبَرِ﴾ أهوال القيامة على الجملة، وقيل: ذبح الموت، وقيل: النفخة الأولى في الصور؛ لقوله: ﴿بَقَرَعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٩].

﴿كَطَيِّ السَّجِّلِ لِلْكِتَابِ﴾ السَّجِّلُ: الصحيفة، والكتاب: مصدر؛ أي: كما يُطَوَّى السجل ليكتب فيه، أو ليصان الكتاب الذي فيه.

وقيل: السجل: رجل كاتب، وهذا ضعيف. وقيل: هو ملك في السماء الثانية، ترفع إليه الأعمال، وهذا أيضاً ضعيف.

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ أي: كما قَدَرْنَا على البَدْءِ نَقْدِرُ على الإعادة، فهو كقوله: ﴿قُلْ يُخَيِّبُهَا الَّذِينَ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨]. وقيل: المعنى: نعيدهم على الصورة التي بدأناهم<sup>(٢)</sup> كما جاء في الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾<sup>(٣)</sup>. والكاف متعلقة بقوله: ﴿نُعِيدُهُ﴾.

﴿بَعِلِينَ﴾ تأكيدٌ لوقوع البعث.

(١) أخرجه ابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (٣٧٩ / ٥)، والدر المنثور (٣٧١ / ١٠) - وعنه الحافظ الضياء في المختارة (٣٤٥ / ١١)، عن عكرمة عن ابن عباس ؓ. ورواه الطبراني في الكبير (١٥٣ / ١٢) عن عاصم بن بهدلة عن أبي رزين عن ابن عباس ؓ.

(٢) في أ، ب، هـ: «بدأناهم».

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٥٩) عن ابن عباس ؓ.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ في الزبور هنا قولان:

أحدهما: أنه كتاب داود عليه السلام، والذكر هنا على هذا: التوراة التي أنزل الله على موسى عليه السلام، أو ما في الزبور من ذكر الله تعالى.

والقول الآخر: أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء، والذكر على هذا: هو اللوح المحفوظ؛ أي: كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرد له، بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها.

والأول أرجح؛ لأن إطلاق الزبور على كتاب داود عليه السلام أظهر وأكثر استعمالاً، ولأن الزبور مفردٌ، فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع، ولأن النصّ قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها <sup>(١)</sup> الصالحون.

﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها. وقيل: الأرض المقدسة. وقيل: أرض الجنة. والأول أظهر.

والعباد الصالحون: أمة محمد عليه السلام، ففي الآية ثناء عليهم، وإخبارٌ بغيبٍ ظهر <sup>(٢)</sup> مصداقه في الوجود؛ إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا خطاب لمحمد عليه السلام، وفيه تشريف عظيم. وانتصاب ﴿رَحْمَةً﴾ على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنى على هذا: أن النبي عليه السلام هو الرحمة. ويحتمل: أن يكون مصدرًا في موضع الحال من ضمير الفاعل، تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين، أو يكون مفعولًا من أجله.

والمعنى على كل وجه: أن الله رحم العالمين بإرسال محمد عليه السلام؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة.

(١) في ج زيادة: «عبادي».

(٢) في أ، ب: «وإخبار بظهور غيب»!

فإن قيل: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ عموم، والكفار لم يُرحموا به؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا، فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم.

والآخر: أنهم رُحِموا به؛ لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقذِّمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك.

﴿وَإِن تَنصَحُوا لِّعِبَادِي سَوَاءٌ عَلَيَّ أَعْلَمْتُكُمْ بِالْحَقِّ عَلَىٰ اسْتِوَاءٍ فِي الْإِعْلَامِ، وَتَبْلِيغٍ إِلَىٰ جَمِيعِهِمْ لَمْ يَخْتَصْ بِهِ وَاحِدٌ دُونَ<sup>(١)</sup> آخَرٍ.

﴿وَإِن أَدْرِتْ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ «إن» هنا وفي الموضع الآخر نافية، و﴿أَدْرِتْ﴾ فعلٌ علَّقَ عن معموله؛ لأنه من أفعال القلوب، وما بعده في موضع الم معمول من طريق المعنى؛ فيجب وصله معه، والهمزة في قوله: ﴿أَقْرَبُ﴾ للتسوية، لا لمجرد الاستفهام. وقيل: يوقف على ﴿إِن أَدْرِتْ﴾ في الموضعين، ويبتدأ بما بعده، وهذا خطأ؛ لأنه يطلب ما بعده.

﴿لَعَلَّهُ يَنْتَهَئِي الضَّمِيرُ لِمَهَالِهِمْ وَتَأْخِيرُ عِقَابِهِمْ.

﴿وَمَتَّعُ إِلَىٰ حَبِيٍّ﴾ أي: إلى الموت، أو القيامة.

﴿الْمُسْتَعَانَ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: أستمع به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب.



(١) في أ، ب زيادة: «واحد».

## سورة الحج

يَأْتِيهَا النَّاسُ بِإِثْقَالٍ رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ بَاءَتْهُ يُضِلَّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِمَّنْ نُطْبِقُهُ ثُمَّ مِّنْ غَلْفَةٍ ثُمَّ مِمَّنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّفَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّفَةٍ لِّتَبَيَّنَ لَكُمْ وَنُفِّرَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَّقِي وَيَمْكُم مِّن يُّرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْغَمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَثْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِظْمِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْفِتْمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

﴿إِثْقَالٍ رَبِّكُمْ﴾ تكلمنا على التقوى في أول «البقرة».

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي: شدتها وهولها<sup>(١)</sup>، كقوله: ﴿وَزَلْزَلُوا﴾ [البقرة: ٢١٢]، أو تحريك الأرض حينئذ، كقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]. والجملة تعليل للأمر بالتقوى. واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك: في الدنيا بين يدي القيامة؟

(١) في أ، ب، هـ: «وهو هولها».



أو بعد أن تقوم القيامة؟ والأرجح: أن ذلك قبل القيامة؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل، لا بعد القيامة.

﴿يَوْمَ تَرَوْنها﴾ العامل في الظرف ﴿تَذْهَلُ﴾. والضمير للزلزلة، وقيل: للساعة، وذلك ضعيف؛ لما ذكرنا، إلا أن يريد ابتداء أمرها.

﴿تَذْهَلُ﴾ الذُّهول: هو الذهاب عن الشيء مع دَهْشة.

﴿مَرْضَعَةٍ﴾ إنما لم يقل «مرضع»؛ لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع مُلْقِمَةٌ ثديها للصبى، والمرضع: التي شأنها أن تُرضع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقال: ﴿مَرْضَعَةٍ﴾؛ ليكون ذلك أعظم في الدهول؛ إذ تنزع ثديها من فم الصبي حينئذ.

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾ تشبيه بالسُّكَّارِ؛ لشدة الغم.

﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَى﴾ نفى لحقيقة السكر. وقرئ ﴿سَكْرَى﴾<sup>(١)</sup>، والمعنى متفق<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجْذَلُ فِي اللَّهِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث<sup>(٣)</sup>، وقيل: في أبي جهل<sup>(٤)</sup>. وهي تتناول كلَّ مَنْ اتصف بذلك.

﴿شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: شديد الإغواء، ويحتمل أن يريد: شيطان الجن، أو الإنس.

﴿كُتِبَ﴾ تمثيلٌ لثبوت الأمر، كأنه مكتوب. ويحتمل أن يكون بمعنى: قُضِيَ، كقوله: كَتَبَ الله.

﴿أَنَّهُ﴾ في موضع المفعول الذي لم يسمَّ فاعله، و﴿بِأَنَّهُ﴾ عطفٌ عليه، وقيل: تأكيد<sup>(٥)</sup>.

﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ أي: تبعه، أو اتخذه وليًّا. والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾، وفي ﴿أَنَّهُ﴾ في الموضعين،

(١) قرأ حمزة والكسائي بفتح السين وإسكان الكاف من غير ألف، وقرأ الباقون بضم السين وفتح الكاف وألف.

(٢) في ج زيادة «عليه».

(٣) أخرجه الطبري (٤٥٩/١٦) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم (٢٤٧٤/٨) عن أبي مالك.

(٤) ذكره ابن عطية في تفسيره (٢١٤/٦) قولاً، ولم أقف عليه مستنداً.

(٥) هكذا أعربها ابن عطية (٢١٥/٦) والزمخشري (٤٣٦/١٠) وصرح الطيبي في حاشيته بأن هذا موضع صعب

من حيث الإعراب، وبسط الكلام فيه. وانظر: البحر المحيط (٣١٠/١٥)، والدر المصون (٢٢٧/٨-٢٢٨).

وفي ﴿تَوَلَّاهُ﴾ : للشيطان. وفي ﴿يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ : للمتولي له. ويحتمل أن تكون تلك الضمائر أولًا لـ ﴿مَنْ يُجَدِّلُ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ الآية؛ معناها: إن شككتم في البعث الآخر اوي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خَلَقْتُمْ؛ فتعلموا أن الذي قَدَّرَ على خَلَقْتُمْ أول مرة، قادرٌ على أن يعيدكم ثاني مرة، وأن الذي قَدَّرَ على إخراج النبات من الأرض بعد موتها، قادر على أن يخرجكم من قبوركم.

﴿خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ إشارة إلى خلق آدم ﷺ، وأسند ذلك إلى الناس؛ لأنهم من ذريته، وهو أصلهم.

﴿مِّنْ عِلْفَةٍ﴾ العلقه: قطعة من دم جامدة.

﴿مِّنْ مَّضْغَةٍ﴾ أي: قطعة من لحم.

﴿مُخَلَّفَةٍ﴾ التامة الخلقة، وغير المخلقة: غير التامة، كالسَّقَط. وقيل: المخلقة: المسوأة السالمة من النقصان.

﴿لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ﴾ اللام تتعلق بمحذوف تقديره: ذكرنا ذلك لنبين لكم قدرتنا على البعث. ﴿وَنُفِئَنَّ﴾ فعلٌ مستأنف.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: وقت وضع الحمل، وهو مختلفٌ، أقله ستة أشهر إلى ما فوق ذلك.

﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أفرده: لأنه أراد الجنس، أو أراد: نخرج كل واحد منكم طفلاً.

﴿لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ هو كمال القوة والعقل والتمييز، وقد اختلف فيه من ثمان عشرة سنة إلى خمس وأربعين.

﴿أَرَادَ الْعَصِيرَ﴾ ذكر في «النحل»<sup>(١)</sup>.

﴿هَامِدَةً﴾ يعني: لا نبات فيها.

(١) انظر تفسير الآية (٧٠).

﴿أَهْتَزَّتْ﴾ تحرَّكت بالنبات، وتخلخلت أجزاؤها لما دخلها الماء. ﴿وَرَبَّتْ﴾ انتفخت.

﴿زُوجَ بَيْحٍ﴾ أي: صنف عجيب.

١- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: ذلك المذكور، من أمر الإنسان والنبات، حاصل بأن<sup>(١)</sup> الله هو الحق. هكذا قدره الزمخشري<sup>(٢)</sup>، والباء على هذا سببية، وبهذا المعنى أيضًا فسرها ابن عطية<sup>(٣)</sup>. ويلزم على هذا أن لا يكون قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ معطوفاً على ذلك؛ لأنه ليس بسبب لما ذكر؛ فقال ابن عطية: قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ ليس بسبب لما ذكر؛ ولكن المعنى: أن الأمر مرتبط ببعضه ببعض، أو على تقدير: والأمر أن الساعة<sup>(٤)</sup>.

وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان.

أما قوله: «إن الأمر مرتبط ببعضه ببعض»، فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف، والعطف لا يصح. وأما قوله: «على تقدير: الأمر أن الساعة»؛ فذلك استئناف، وقطع للكلام الأول، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة؛ فكيف يجعل ذكرها مقطوعاً مما قبله؟!

والذي يظهر لي: أن الباء ليست بسببية، وإنما يُقدَّر لها فعلٌ تتعلق به ويقتضيه المعنى، وذلك أن يكون التقدير: ذلك الذي تقدَّم من خَلْق الإنسان والنبات شاهد<sup>(٥)</sup> بأن الله هو الحق، وبأنه يحيي<sup>(٦)</sup> الموتى، وبأن الساعة آتية، فيصح عطف: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ مما استدلَّ عليها بخَلْق الإنسان والنبات.

(١) في هـ: «لأن».

(٢) الكشاف (١٠/٤٤٥).

(٣) المحرر الوجيز (٦/٢١٨).

(٤) المحرر الوجيز (٦/٢١٨).

(٥) في د: «تشهد».

(٦) في ج: «محيي».

﴿وَمِنَ الثَّالِثِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت فيمن نزلت الأولى، وقيل: في الأخنس بن شريق<sup>(١)</sup>.

﴿ثَانِي عَظِيمٍ﴾ كناية عن المتكبر المعرض.

﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ إن كانت في النضر بن الحارث: فالخزي: أسره ثم قتله، وكذلك قتل أبي جهل.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾ أي: يقال له: ذلك بما فعلت، وبعدل الله؛ لأنه لا يظلم العباد.



(١) ذكر ابن عطية في تفسيره (٦/ ٢١٨) عن النقاش أنه حكاه عن محمد بن كعب.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَّعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌِ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٥٠﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٥١﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿٥٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٥٣﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٥٧﴾ \* هَذَانِ خَصْمَتَيْنِ إِخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمَا بِالَّذِينَ كَفَرُوا فَطَعَتْ لَهُمِ ثِيَابٌ مِّن بَارٍ يَصُبُّ مِن قُورٍ رَّءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُم مَّقْطِعٌ مِّن حديدٍ ﴿٥٨﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٩﴾

﴿مَنْ يَّعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ نزلت في قوم من الأعراب، كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال: هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به، وارتدَّ عن الإسلام<sup>(١)</sup>.

فالحرف هنا: كناية عن المقصد، وأصله: من الانحراف عن الشيء، أو من الحرف بمعنى الطرف؛ أي: أنه في طرف من الدين لا في وسطه.

﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ خسارة الدنيا: بما جرى عليه فيها، وخسارة الآخرة: بارتداده، وسوء اعتقاده.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤٢)، والطبري (١٦/٤٧٢)، وابن أبي حاتم (٨/٢٤٧٦) عن ابن عباس ؓ.

﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ يعني: الأصنام، و﴿يَدْعُوا﴾ بمعنى: يعبد (في الموضعين) <sup>(١)</sup>.

﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ فيها إشكالان: الأول: في المعنى، وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأن ضررها أكثر من نفعها، فنفي الضرر ثم أثبتة! والجواب: أن الضر المنفي أولاً يراد به ما يكون من فعلها، وهي لا تفعل شيئاً، والضر الثاني يراد به: ما يكون بسببها من العذاب وغيره.

والإشكال الثاني: دخول اللام على «مَنْ»، وهي في الظاهر مفعول، واللام لا تدخل على المفعول! وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه:

أحدها: أن اللام مقدّمة على موضعها، كأن الأصل أن يقال: يدعو مَنْ لضره أقرب من نفعه، فموضعها الدخول على المبتدأ.

وثانيها: أن «يَدْعُوا» هنا كُرِّر تأكيداً لـ «يَدْعُوا» الأول، وتمّ الكلام عنده، ثم ابتدأ قوله: ﴿لِمَنْ ضَرُّهُ﴾، ف«مَنْ» مبتدأ، وخبره «لَيْسَ الْمَوْلَى».

وثالثها: أن معنى «يَدْعُوا»: يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرّة الأصنام، فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام.

«الْمَوْلَى» هنا: بمعنى الولي.

«الْعَشِيرَةُ» صاحب؛ فهو من العشرة <sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ لما ذكر أن الأصنام لا تنفع مَنْ عبدها؛ قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع، وهو دخول الجنة.

﴿وَلَيَمْنَدُ يُسَبِّحُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْطَعُ﴾ السبب هنا: الحبل، والسماء هنا: سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تُعلّق <sup>(٣)</sup> منها الحبال.

(١) لم ترد في ج، د، هـ.

(٢) في أ، ب، هـ: «العشيرة»!

(٣) في ج، د، هـ: «يعلق».

والقطع هنا يراد به: الاختناق بالحبل، يقال: قَطَعَ الرجلُ: إذا اختنق. ويَحْتَمِلُ أن يراد به: قَطَعُ الرَّجُلُ من الأرض بعد ربط الحبل في العنق، وربطه في السقف.

والمراد بالاختناق هنا: ما يفعله من اشتدَّ غيظه وحسرتة، أو طمِع فيما لا يصل إليه، كقولك للحسود: مُتْ كمدًا، أو اختنق؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك.

وفي معنى الآية قولان: الأول: أن الضمير في «يَنْصُرُهُ» لمحمد ﷺ، والمعنى على هذا: مَنْ كَانَ مِنَ الْكُفَّارِ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا فَلْيَخْتَنِقْ بِحَبْلٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَلَا بَدَّ؛ عَلَى غِيظِ الْكُفَّارِ. فموجب الاختناق: هو الغيظ من نصرة محمد ﷺ.

والقول الثاني: أن الضمير في «يَنْصُرُهُ» عائِدٌ على «مَنْ»، والمعنى على هذا: مَنْ ظَنَّ بسبب ضيق صدره وكثرة غمِّه أن لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فَلْيَخْتَنِقْ، وليمت بغيظه؛ فإنه لَا يَقْدِرُ عَلَى غير ذلك. فموجب الاختناق على هذا: القنوط، والتسخط من القضاء، وسوء الظن بالله حتى يش<sup>(١)</sup> من نصره، ولذلك فسر بعضهم «أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ» بمعنى: أن لَنْ يَرْزُقَهُ.

وهذا القول أرجح من الأول لوجهين: أحدهما: أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف؛ لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط، حتى ظنَّ أن الله لَا يَنْصُرُهُ<sup>(٢)</sup>، فيكون هذا الكلام متصلًا بما قبله، ويدلُّ عليه<sup>(٣)</sup> قوله قبل هذه الآية: «إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» أي: الأمور بيد الله؛ فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله، ولا يتقلب إذا أصابته فتنة.

والوجه الثاني: أن الضمير في «يَنْصُرُهُ» على هذا القول يعود على ما تقدَّم<sup>(٤)</sup>، وأما في القول الأول فلا يعود على مذكورٍ قبله؛ لأن النبي ﷺ لم يُذَكَّرْ قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه، ولا يدلُّ سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة.

(١) في ج: «يأس».

(٢) في أ، ب: «أن لَنْ يَنْصُرَهُ».

(٣) في د: «على ذلك».

(٤) في ج، هـ: «تقدمه».

﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الكيد هنا يراد به: اختناقه، وسُمِّيَ كيداً؛ لأنه وضعه موضع الكيد؛ إذ هو غاية حيلته. والمعنى: إذا خنق نفسه فلينظر هل يُذهب ذلك ما يغيظه من الأمر؟ أي: ليس يُذهبه.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن؛ أي: مثل هذا أنزلنا القرآن كله آيات بينات. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ قال ابن عطية: «أن» في موضع خبر الابتداء، والتقدير: الأمر أن الله<sup>(١)</sup>، وهذا ضعيف؛ لأن فيه تكلف إضمار، وقطعاً للكلام عن المعنى الذي قبله. وقال الزمخشري: التقدير: لأن الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات<sup>(٢)</sup>، فجعل «أن» تعليلاً للإنزال، وهذا ضعيف؛ للفصل بينهما بالواو. والصحيح عندي: أن قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ معطوف على ﴿ءَاتَيْنَا بَيِّنَاتٍ﴾؛ لأنه مقدر بالمصدر، فالتقدير: أنزلناه آيات بينات وهدى لمن أراد الله أن يهديه.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٣)</sup>، وكذلك ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾. ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن الخير من النور والشر من الظلمة. ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه الجملة هي خبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية، وكُرِّرَتِ ﴿إِنَّ﴾ مع الخبر للتأكيد. وقُضِلَ اللهُ بَيْنَهُمْ: بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق، وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار.

﴿يَسْجُدْ لَهُمْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ دخل في هذا: من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الملائكة والجن، ولم يدخل الناس في ذلك؛ لأنه ذكرهم في آخر الآية، إلا أن يكون ذكرهم في آخرها على وجه التجريد.

(١) المحرر الوجيز (٦/٢٢٤).

(٢) الكشاف (١٠/٤٥٦).

(٣) انظر تفسير الآية (٦١).



وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف؛ لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به: الانقياد، ثم إن الانقياد يكون على وجهين: أحدهما: الانقياد لطاعة الله طوعاً. والآخر: الانقياد لما يُجري الله على المخلوقات من أفعاله وتدبيره، شاؤوا أو أبوا.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد للطاعة؛ فيكون ﴿كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ معطوفاً على ما قبله من الأشياء التي تسجد، ويكون قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ مستأنفاً يراد به من لا ينقاد للطاعة، ويؤقف على قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾، وهذا القول هو الصحيح.

وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدبيره؛ فلا يصح تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد؛ لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى.

ف قيل<sup>(١)</sup>: إن قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ معطوف على ما قبله، ثم عطف عليه ﴿كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، فالجميع على هذا يسجد، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ يقتضي ظاهره: أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود.

وتأوله الزمخشري على هذا المعنى: بأن أعرب ﴿كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ فاعلاً بفعل مضمير تقديره: يسجد سجود طاعة، أو مرفوعاً بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: مثاب<sup>(٢)</sup>. وهذا تكلف بعيد.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَيْنِ﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم، ويدل على ذلك: ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن

(١) في ج، د: «وقيل».

(٢) الكشف (١٠/٤٥٩).

(٣) في نسبة هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنه نظراً فابن عباس رضي الله عنه يقول بأنها في المؤمنين وأهل الكتاب، لا عموم الكفار، وأما القول بأنها في المؤمنين والكفار على العموم، فهو قول مجاهد وعطاء والحسن البصري وعاصم والكلبي. انظر: تفسير الطبري (١٦/٤٩١)، والمحرم الوجيز (٦/٢٢٨).

الحارث رضي الله عنه، حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة<sup>(١)</sup>، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات.

والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، والمراد به هنا: جماعة، والإشارة بـ ﴿هَذَانِ﴾ إلى الفريقين.

﴿إِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه وفي صفاته، والضمير في ﴿إِخْتَصَمُوا﴾ لجماعة الفريقين. ﴿بِالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية؛ حكم بين الفريقين، بأن جعل للكفار النار، وللمؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا.

﴿فُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾ أي: فصلت على قدر أجسادهم، وهو مستعار من تفصيل الثياب. ﴿الْحَمِيمُ﴾ الماء الحار.

﴿يُضْهِرُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: يُذاب، وذلك أن الحميم إذا صُبَّ على رؤوسهم وصل حره إلى بطونهم، فأذاب ما فيها. وقيل: معنى ﴿يُضْهِرُّ﴾: يُنْضِجُ.

﴿مَقْلَعٌ﴾ جمع مقمعة؛ أي: مقرعة من حديد يُضْرَبُونَ بها، وقيل: هي السَّيَاط.

﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدل من المجرور قبله.

﴿وَذُوقُوا﴾ التقدير: يقال لهم: ذوقوا.



(١) أخرجه البخاري (٣٩٦٦)، ومسلم (٣٠٣٣) عن أبي ذر رضي الله عنه.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١١﴾ وَهَدَوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدَوْا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ تُدْفَعُ مِنْ عَذَابِ آيَةٍ ﴿١٣﴾

﴿١١﴾ «مِنْ أَسَاوِرَ» «مِنْ» لبيان الجنس، أو التبعض. وفسرنا الأساور في «الكهف»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب<sup>(٢)</sup>: مفعول بفعل مضمر؛ أي: يُعْطَوْنَ لُؤْلُؤًا، أو معطوف على موضع «مِنْ أَسَاوِرَ»؛ إذ هو مفعول. وبالحذف: معطوف على «أَسَاوِرَ»، أو على «ذَهَبٍ».

﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قيل: هو «لا إله إلا الله»، واللفظ أعم من ذلك.

﴿صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ أي: صراط الله، فالحميد اسم الله. ويحتمل أن يريد: الصراط الحميد، وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك: مسجد الجامع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خبره محذوف، يدل عليه قوله: «تُدْفَعُ مِنْ عَذَابِ آيَةٍ». وقيل: الخبر «يَصُدُّونَ» على زيادة الواو، وهذا ضعيف. وإنما قال: «يَصُدُّونَ» بلفظ المضارع؛ ليدل على الاستمرار على الفعل.

﴿سَوَاءً﴾ بالرفع<sup>(٣)</sup>: مبتدأ، أو خبر مقدم، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ «جعلنا». وقرئ بالنصب؛ على أنه المفعول الثاني، و«الْعَاكِفُ» فاعل به.

﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي﴾ العاكف: المقيم في البلد، والبادي: القادم عليه من غيره، والمعنى: أن الناس سواء في المسجد الحرام، لا يختص به أحد دون أحد<sup>(٤)</sup>، وذلك إجماع.

(١) انظر تفسير الآية (٣١).

(٢) قرأ نافع وعاصم بالنصب، وقرأ الباقر بالحذف.

(٣) روى حفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع.

(٤) في ج، هـ: «دون آخر».

وقال أبو حنيفة: حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء، وليس لأحد فيها ملك<sup>(١)</sup>، والمراد عنده بالمسجد الحرام: جميع مكة.

وقال مالك وغيره: ليست الدور في ذلك كالمسجد، بل هي متملكة<sup>(٢)</sup>.

﴿بِالْحَادِ بِظُلْمٍ﴾ الإلحاد: الميل عن الصواب. والظلم هنا: عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر؛ لأن الذنوب بمكة أشدُّ منها في غيرها، وقيل: هو استحلال الحرام<sup>(٣)</sup>. ومفعول ﴿يُرَدُّ﴾ محذوف، تقديره: مَنْ يُرَدُّ أَحَدًا، أو مَنْ يرد شيئًا، و ﴿بِالْحَادِ بِظُلْمٍ﴾: حالان مترادفان. وقيل: المفعول قوله: ﴿بِالْحَادِ﴾ على زيادة الباء.



(١) وهو إحدى الروایتين عن أحمد، وهي المذهب عن الأصحاب.

(٢) وهو قول الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى، اختارها ابن قدامة وابن أبي عمر وابن تيمية وابن القيم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٧٢/١١).

(٣) في ب، ج: «الحرم».

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِبِينَ وَالْقَائِمِينَ  
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٥﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ  
فَجٍّ عَسِيبٍ ﴿٦﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَاجِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ  
بَيْمَةٍ الْأَنْعَمَ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَاقِيسِ الْفَقِيرِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ  
وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٨﴾ \* ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ بِهِوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا جَلَّتْ  
لَكُمْ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا يُثْلِي عَنْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٩﴾  
حَبَقَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّبُهُ الظُّلُمُ أَوْ  
تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَفَوَى الْقُلُوبِ  
﴿١١﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَاجِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿١٢﴾

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ العامل في «إِذ» مضمَر، تقديره: اذكر. و﴿بَوَّأْنَا﴾  
أصله: بَاءَ بمعنى رَجَعَ، ثم ضوعف ليتعدَّى، واستعمل بمعنى: أنزلنا في الموضع، كقوله:  
﴿تَبَوَّأَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦١]. إِلَّا أَنْ هَذَا الْمَعْنَى يَشْكَلُ هُنَا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾؛ فَتَعْدَى  
الْفِعْلُ بِاللَّامِ، وَهُوَ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، حَتَّى قِيلَ: اللَّامُ زَائِدَةٌ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: هَيَّأْنَا، وَقِيلَ: جَعَلْنَا.  
و﴿الْبَيْتِ﴾ هُنَا: الْكَعْبَةُ، وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ آدَمُ ﷺ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ، ثُمَّ دَرَسَ بِالطُّوفَانِ، فَدَلَّ اللَّهُ  
إِبْرَاهِيمَ ﷺ عَلَى مَكَانِهِ، وَأَمَرَهُ بِنِيَانِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ﴾ «أَنْ»: مَفْسُورَةٌ، وَالْخَطَابُ لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَإِنَّمَا فُسِّرَتْ تَبَوُّةُ الْبَيْتِ بِالنَّهْيِ  
عَنِ الْإِشْرَاقِ وَالْأَمْرِ بِالتَّطْهِيرِ؛ لِأَنَّ التَّبَوُّةَ إِنَّمَا قُصِدَتْ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ الَّتِي تَقْتَضِي ذَلِكَ.

﴿وَطَهَّرْ بَيْتِي﴾ عَامٌّ فِي التَّطْهِيرِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَنْجَاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ يَعْنِي: الْمُصَلِّينَ.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ خَطَابُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَقِيلَ: لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ.

(١) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُصَنَّفِهِ (٩٠٩٠)، وَالطَّبْرِيُّ (٥٥١/٢) عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ.

روي<sup>(١)</sup> أنه لما أمر بالأذان بالحج صعد على جبل أبي قبيس، ونادى: أيها الناس! إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة، وهم في أصلاب آبائهم، وأجابه في ذلك الوقت كل شيء من جماد وغيره: «لييك اللهم لييك»، فجرت التلبية على ذلك<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا تُثَوِّكَ رَجَالًا﴾ جمع راجل؛ أي: ماشيًا على رجليه.

﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضامر يراد به: ما يُركب من فرس وناقة وغير ذلك، ووصفه بالضمور؛ لأنه لا يصل إلى البيت إلا بعد ضموره. وقوله: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حال معطوف على حال؛ كأنه قال: رجالًا وركبًا. واستدل بعضهم بتقديم الرجال في الآية على أن المشي<sup>(٣)</sup> إلى الحج أفضل من الركوب<sup>(٤)</sup>. واستدل بعضهم بسقوط ذكر البحر من هذه الآية على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر.

﴿يَاتِينَ﴾ صفة لـ ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ لأنه في معنى الجمع.

﴿مِنْ كُلِّ قَبْجٍ عَمِيٍّ﴾ أي: طريق بعيد.

﴿مَنْتَبِعَ لَهُمْ﴾ التجارة، وقيل: أعمال الحج وثوابه، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيَذْكُرُوا بِاسْمِ اللَّهِ﴾ يعني: التسمية عند ذبح البهائم ونحرها في الضحايا والهدايا<sup>(٥)</sup>. وقيل: يعني الذكر على الإطلاق. وإنما قال: ﴿بِاسْمِ اللَّهِ﴾؛ لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء.

﴿وَيَوْمَ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عند مالك: يوم النحر وثنائه وثالثه خاصة؛ لأن هذه هي أيام الضحايا

(١) في ب، د: «وروي».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٨٧/٨) عن ابن عباس ؓ. وأخرجه الطبري (٥١٥/١٦) عنه أيضًا، ولكن فيه: «قام على الحجر»، وليس: «على جبل أبي قبيس».

(٣) في أ، ب: «الماشي».

(٤) في أ: «الراكب».

(٥) في أ: «والهدي».

عنده<sup>(١)</sup>، ولم يُجَزْ ذبحها بالليل؛ لقوله: ﴿فِي أَيَّامٍ﴾. وقيل: الأيام المعلومات: عشر ذي الحجة، ويوم النحر، والثلاثة<sup>(٢)</sup> بعده، وقيل: عشر ذي الحجة خاصة. وأما الأيام المعدودات؛ فهي الثلاثة بعد يوم النحر. فيوم النحر من المعلومات، لا من المعدودات، واليومان بعده من المعلومات والمعدودات، ورابع النحر من المعدودات، لا من المعلومات.

﴿بَكَلُوا مِنْهَا﴾ ندب، أو إباحة. ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا، ويتصدق بالأكثر. ﴿الْبَاطِسَ﴾ الذي أصابه البؤس، وقيل: هو المتكفف، وقيل: الذي يظهر عليه أثر الجوع. ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ التَّفَثُ في اللغة: الوسخ، فالمعنى: ليقضوا إزالة تفثهم بقص الأظفار، والاستحداد، وسائر خصال الفطرة، والتنظيف بعد أن يحلوا من الحج. وقيل: التفت: أعمال الحج. وقرئ بكسر اللام وإسكانها<sup>(٣)</sup>، وهي لام الأمر، وكذلك ﴿وَلِيُوقُوا﴾ و﴿وَلِيُطَوُّوا﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلِيُطَوُّوا﴾ المراد هنا: طواف الإفاضة عند جميع المفسرين، وهو الطواف الواجب. ﴿بِالنَّيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس. وقيل: العتيق: الكريم، كقولهم: فرس عتيق. وقيل: أعتق من الجبابة؛ أي: مُنِعَ منهم. وقيل: العتيق: أي: لم يملكه أحد<sup>(٥)</sup> قط.

﴿ذَلِكَ﴾ هنا، وفي الموضع الثاني: مرفوع على تقدير: الأمر ذلك، كما يقدم الكاتب جملة من كتابه، ثم يقول: «هذا؛ وقد كان كذا». وأجاز بعضهم الوقف على قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ في ثلاثة مواضع من هذه السورة، وهي:

[١] هذا.

(١) وهو قول أبي حنيفة وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/٣٦٧).

(٢) في أ: «والثلاثة»، وفي ب: «وثلاثة».

(٣) قرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش عن نافع وقنبل عن ابن كثير بكسر اللام، وقرأ الباقر بإسكان اللام.

(٤) روى ابن ذكوان عن ابن عامر بكسر اللام فيهما، وقرأ الباقر بإسكانها.

(٥) في ج زيادة: «منهم».

[٢] و﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>. لأنها جملة مستقلة؛ إذ هو خبر ابتداء مضمّر. والأحسن: وصلها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر ابن الزبير؛ لأن ما بعدها ليس كلامًا أجنبًا. ومثلها:

[٣] ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ [الحج: ٥٨]. و﴿ذَلِكَ بِذُوقُوهُ﴾ [الأنفال: ١٤] في «الأنفال». و﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ﴾ [ص: ٥٤] في «ص».

﴿حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ جمع حُرْمَة، وهو ما لا يحلُّ هتكه من جميع الشريعة، فيحتمل أن يكون هنا على العموم، أو يكون خاصًا بما يتعلق بالحج؛ لأن الآية فيه. ﴿بِهِوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ أي: التعظيم للحرّمات خير.

﴿إِلَّا مَا يَتَّبِلَى عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما حرّمه في غير هذا الموضع، كالميتة. ﴿الرَّجَسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ ﴿مِنْ﴾ لبيان الجنس؛ كأنه قال: الرّجس الذي هو الأوثان. والمراد: النهي عن عبادتها، أو عن الذبح تقرّبًا إليها، كما كانت العرب تفعل. ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: الكذب، وقيل: شهادة الزور.

﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية؛ تمثيلٌ للمشارك بمن أهلك نفسه أشدّ الهلاك. ﴿سَحِيحٍ﴾ أي: بعيد.

﴿شَعِيرَ اللَّهِ﴾ قيل: هي الهدايا في الحج، وتعظيمها: بأن تُختار سمانًا عظامًا غالية الأثمان. وقيل: مواضع الحج، كعرفة ومنى والمزدلفة، وتعظيمها: إجلالها وتوقيرها والقصد إليها. وقيل: الشعائر: أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمها: القيام بها وإجلالها. ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَفَوَى الْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفِعلَة التي يتضمّنُها الكلام، وهي مصدر ﴿يُعَظِّمُ﴾.

(١) في جميع النسخ ما عدا هـ زيادة: «و(ذلك ومن يشرك بالله) باعتبارها الموضع الثالث وهذا وهم؛ فليست هناك آية بهذا النظم لا في سورة الحج ولا في غيرها، فلعل مراده أن الموضع الثالث هو الموضع الآتي، وهو ذلك ومن عاقب».



وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات<sup>(١)</sup>.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من قال: إن شعائر الله هي الهدايا: فالمنافع بها: شرب لبنها، وركوبها لمن اضطر إليها، والأجل المسمى: نحرها. ومن قال: إن شعائر الله مواضع الحج، فالمنافع: التجارة فيها، أو الأجر، والأجل المسمى: الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْمَعِينِ﴾ من قال: إن الشعائر الهدايا فمحلُّها: موضع نحرها، وهو<sup>(٢)</sup> منى ومكة، وخصَّ البيت بالذكر؛ لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهدي. و﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول ليست للترتيب في الزمان؛ لأن محلَّها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجُمْل. ومن قال: إن الشعائر مواضع الحج، فمحلُّها: مأخوذ من إحلال المحرم؛ أي: آخر ذلك كلُّه الطواف بالبيت، يعني: طواف الإفاضة؛ إذ به يحلُّ المحرم من إحرامه. ومن قال: إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق؛ فذلك لا يستقيم مع قوله: ﴿مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ﴾.



(١) الكشاف (١٠/٤٨٣).

(٢) في ج، هـ: وهي.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا بِاسْمِ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْيَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ قَلْبُهُ أَسْلِمُوا وَيَبْشِرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ فَلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُفِيعِ الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٧﴾ وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا بِاسْمِ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا بِكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْفَانِغَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَيَبْشِرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٩﴾

﴿٣٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا أي: لكل أمة مؤمنة. والمنسك: اسم مكان؛ أي: موضعاً<sup>(١)</sup> لعبادتهم. ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى: عبادة، والمراد بذلك: الذبائح؛ لقوله: ﴿لِيَذْكُرُوا بِاسْمِ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾ بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقرباً إلى الأصنام.

﴿فَالْيَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ في وجه اتصاله بما قبله وجهان:

أحدهما: أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبنا بقوله: ﴿فَالْيَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾؛ أي: هو الذي شرع المناسك لكم، ولمن تقدم قبلكم.

والثاني: أنه إشارة إلى الذبائح؛ أي: إلهكم إله واحد؛ فلا تذبحوا تقرباً لغيره.

﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ الخاشعين، وقيل: المتواضعين. وقيل: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ<sup>(٢)</sup>، وكذلك قوله بعد ذلك: ﴿وَيَبْشِرِ الْمُحْسِنِينَ﴾. واللفظ فيهما أعم من ذلك.

﴿وَجِلَتْ﴾ خافت.

﴿وَالْبُذُنَ﴾ جمع بَذَنَة، وهو ما أشعر من الإبل، واختلف هل يقال للبقرة بدنة؟ وانتصابه بفعل مضمَر.

(١) في أ، ب: «موضعها».

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦/ ٢٤٨)، ولم أقف عليه مسنداً.

﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ واحدها شعيرة، و﴿مِنْ﴾ للتبويض، وبذلك استدلل من قال: إن شعائر الله المذكورة أولاً على العموم في أمور الدين.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قيل: الخير هنا: المنافع المذكورة قبل، وقيل: الثواب، والصواب: العموم في خير الدنيا والآخرة.

﴿صَوَافٍ﴾ معناه: قائمات قد صُفِّفْنَ أيديهن وأرجلهن. وهو منصوب على الحال من الضمير المجرور، ووزنه فواعل، وواحدة صافّة.

﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: سقطت إلى الأرض عند موتها، يقال: وجب الحائط وغيره: إذا سقط.

﴿الْفَائِغَ﴾ معناه: السائل، وهو من قولك: قنع الرجل - بفتح النون -: إذا سأل. وقيل: معناه: المتعفف عن السؤال، فهو - على هذا - من قولك: قنع - بالكسر -: إذا رضي بالقليل.

﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مُفْتَعِل، يقال: اعتررت القوم<sup>(١)</sup>: إذا تعرّضت لهم. فالمعنى: أطعموا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله، أو أطعموا من تعفف عن السؤال بالكلية، ومن تعرّض للعطاء.

﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي: كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم. وقال الزمخشري: التقدير: مثل التسخير الذي عَلِمْتُمْ سخرناها لكم<sup>(٢)</sup>.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ المعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنما تصلون إليه بالتقوى؛ أي: بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبّر عن هذا المعنى بلفظ: ﴿يَنَالُ﴾ مبالغة وتأكيداً<sup>(٣)</sup>، كأنه قال: لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله، وإنما يصل إليه التقوى منكم؛ فإن ذلك هو الذي طلب منكم، وعليه يحصل لكم الثواب.

(١) في ج، د: «بالقوم».

(٢) الكشاف (١٠/٤٩٠).

(٣) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

وقيل: كان أهل الجاهلية يضربون البيت بالدماء، فأراد المسلمون فعل ذلك، فنهوا عنه، ونزلت الآية<sup>(١)</sup>.

﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴿٢﴾ كُرْرًا تَأْكِيدًا.

﴿لِتَكْفِرُوا بِاللَّهِ﴾ قيل: يعني قول الذابح: «بسم الله والله أكبر»، واللفظ أعم من ذلك.



(١) أخرجه الطبري (٨ / ٧٠)، وابن أبي حاتم (٨ / ٢٤٩٥) عن ابن جريج

(٢) في ج زيادة «هنا».

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَبُورٍ﴾ ١٣ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ١٤ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا إِسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ١٥ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ١٦ ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ ١٧ ﴿وقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ١٨ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ بِكَيْفٍ كَانَ نَكِيرٍ﴾ ١٩ ﴿فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهِى خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِيرٌ مُّعَظَّلَةٌ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ ٢٠ ﴿أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْمَلُونَ بِهَا أَوْ إِذَا نَ سَمِعُوا بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ٢١ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢ ﴿وَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ ٢٣

﴿١٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم. وحذف مفعول «يَدْفَعُ»؛ ليكون أعظم وأعم. وقرئ «يَدْفَعُ» بالالف، و«يَدْفَعُ» بسكون الدال من غير ألف<sup>(١)</sup>، وهما بمعنى واحد؛ أجريت «فاعل» مُجَرِّئ «فعل»، كقولك: عاقبت اللص. وقال الزمخشري: «يَدْفَعُ» معناه: يبالغ في الدفع عنهم؛ لأنه للمبالغة، وفعل المغالب أقوى<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَبُورٍ﴾ الخَوَّان: مبالغة في خائن، والكفور: مبالغة في كافر. قال الزمخشري: هذه الآية علّة لما قبلها<sup>(٣)</sup>.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون الدال من غير ألف، وقرأ الباقون بالالف.

(٢) الكشف (١٠/٤٩٢).

(٣) الكشف (١٠/٤٩٢).

﴿إِذْ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال، ونسخت المودة مع الكفار، وكان نزولها عند الهجرة. وقرئ ﴿إِذْ﴾: بضم الهمزة<sup>(١)</sup>؛ على البناء لما لم يسم فاعله، وبالفتح؛ على البناء للفاعل، وهو الله تعالى. والمعنى: أذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه؛ لدلالة ﴿يَقْتُلُونَ﴾ عليه. وقرئ ﴿يَقْتُلُونَ﴾ بفتح التاء وكسرها<sup>(٢)</sup>.  
﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني: الصحابة؛ فإن الكفار آذوهم وأضرُّوا بهم، حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، ونسب الإخراج إلى الكفار؛ لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب، ووصفهم بالظلم.

﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾ قال ابن عطية: هو استثناء منقطع، لا يجوز فيه البدل عند سيبويه<sup>(٣)</sup>. وقال الزمخشري: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ في محل الجر على الإبدال من ﴿حَقٍّ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ﴾ الآية؛ تقوية للإذن في القتال، وإظهار للمصلحة التي فيه، كأنه يقول: لولا القتال والجهد لاستولى الكفار على المسلمين، وذهب الدين. وقيل: المعنى: لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة. والأول أليق بسياق الآية. وقرئ: ﴿دَفَعَ﴾ بالالف<sup>(٥)</sup>: مصدر دافع، وبغير ألف: مصدر دفع.

﴿لَهَيْمَتْ﴾ قرئ بالتخفيف، والتشديد<sup>(٦)</sup>؛ للمبالغة.

﴿صَوَامِعُ﴾ جمع صومعة - بفتح الميم -، وهي موضع العبادة، وكانت للصابئين ولرهبان

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم بضم الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بفتح التاء، وقرأ الباقون بكسرها.

(٣) المحرر الوجيز (٦/٢٥٣).

(٤) الكشف (١٠/٤٩٤).

(٥) قرأ نافع بالالف، وقرأ الباقون بغير ألف.

(٦) قرأ نافع وابن كثير بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد.

النصارى، ثم سُمِّي بها في الإسلام موضع الأذان. والبيع: جمع بيعة - بكسر الباء -، وهي كنائس النصارى.

والصلوات: شنائع<sup>(١)</sup> اليهود، وقيل: هي مشتركة لكل أمة، والمراد بها: مواضع الصلوات. والمساجد: للمسلمين. فالمعنى: لولا دفاع الله؛ لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة في أزمانهم، ولاستولى المشركون على هذه الأمة، فهدموا مواضع عبادتهم.

﴿يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾ الضمير لجميع ما تقدم من المتعبدات، وقيل: للمساجد خاصة. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: من ينصر دينه وأوليائه، وهو وعد تضمن الحَضَّ على القتال.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ الآية؛ قيل: يعني أمة محمد ﷺ، وقيل: الصحابة، وقيل: الخلفاء الأربعة؛ لأنهم الذين مكَّنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية؛ ضمير الفاعل لقريش، والخطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له، والوعيد لهم.

﴿تَكْبِيرٌ﴾ مصدر بمعنى الإنكار.

﴿عَلَى عَرْشِهَا﴾ العروش<sup>(٢)</sup>: السُّقُف، فإن تعلَّق الجار بـ ﴿خَاوِيَةً﴾ فالمعنى: أن العروش سقطت، ثم سقطت<sup>(٣)</sup> الشيطان عليها، فهي فوقها. وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال فالمعنى: أنها خاوية مع بقاء عروشها.

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية (٦/٣٦٥): «شُؤْغَةٌ: كنيس، معبد اليهود، وجمعه: شُؤْغٌ»، وهذه الكلمة مأنوسة، مألوفة الاستعمال عند أهل المغرب والأندلس، فقد استعملها ابن عطية في المحرر الوجيز عند تفسير هذه الآية، واستعملها ابن سهل الأندلسي الجياني المالكي في كتابه الإعلام بنوازل الأحكام (ص: ٧٧٣)، وتجمع شؤْغَةٌ على شُؤْغٍ وشُؤْغَاتٍ.

(٢) في أ، ب، هـ: «العرش».

(٣) في ب: «العرش سقط ثم سقط».

﴿وَبِيرٍ مُّعْظَلَةٍ﴾ أي: لا يُستقى الماء منها؛ لهلاك أهلها. ورُوي أن هذه البئر هي الرُّس، وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود<sup>(١)</sup>. والأظهر أنه لم يُرد التعيين؛ لقوله: ﴿بَكَائِينَ مِّنْ قَرْيَةٍ﴾، وهذا اللفظ<sup>(٢)</sup> يراد به التكثير.

﴿وَقَصْرِ مَّشِيدٍ﴾ أي: مبني بالشَّيد، وهو الجِصُّ، وقيل: المشيد: المرفوع البنيان<sup>(٣)</sup>.

﴿فَلَوْبٌ يَغْفُلُونَ بِهَا﴾ دليل على أن العقل في القلب، خلافاً للفلاسفة في قولهم: إنه في الدماغ.

﴿وَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرَ﴾ أي: لا تعمى الأبصار عمى يُعتدُّ به، وإنما العمى الذي يعتدُّ به عمى القلوب. أو إن<sup>(٤)</sup> هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم؛ ولكن عميت قلوبهم. فالمعنى الأول: لقصد المبالغة، والثاني: خاصُّ هؤلاء القوم.

﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ مبالغة، كقوله: ﴿يَقُولُونَ يَا أُولَئِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير لكفار قريش.

﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إخبارٌ يتضمن الوعيد بالعذاب، وسماء وعداً؛ لأن المراد به مفهوم.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ المعنى: إن يوماً من أيام الآخرة مقداره<sup>(٥)</sup> ألف سنة من أعوام الدنيا، ولذلك قال ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك خمس مئة سنة»<sup>(٦)</sup>. وقيل: المعنى: إن يوماً واحداً من أيام العذاب كألف سنة؛ لطول العذاب؛ فإن أيام البؤس طويلة، وإن كانت في الحقيقة قصيرة. وفي كل واحد من الوجهين تهديدٌ للذين

(١) ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (ص ٢١٥) قولاً غير معزوف.

(٢) في ب، هـ: «لفظ».

(٣) في ج: «البناء».

(٤) في أ، ج: «وأن».

(٥) في ب: «مقدار».

(٦) أخرجه أحمد (٨٥٢١)، والترمذي (٢٣٥٣) وصححه، والنسائي في الكبرى (١١٢٨٥)، وابن ماجه (٤١٢٢)،

وابن حبان (٦٧٦) عن أبي هريرة ؓ.





استعجلوا العذاب، إلا أن الأول أرجح؛ لأن الألف سنة فيه حقيقة. وقيل: إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض.

﴿وَكَايَ مِّنْ فَرْيَةٍ﴾ ذكر أوّل القرى التي أهلكها بغير إملاء، وذكر هنا التي أهلكها بعد الإملاء. والإملاء: هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد. وعطف هذه الجملة بالواو على الجملة<sup>(١)</sup> المعطوفة قبلها بالواو، وقال في الأولى: ﴿وَكَايَ﴾؛ لأنه بدلٌ من قوله: ﴿وَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.



(١) في أ، د، هـ: «الجميل».

\* قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُدْعَىٰ إِلَيَّ الْفِتْنَةُ ۖ فَمَنِ اتَّبَعُنِي فَإِنَّهُ بِرٍّ مَّا تُدْعَىٰ إِلَيْهِ وَإِنَّ كُفْرًا مِّمَّا تُدْعَىٰ إِلَيْهِ لَآتِيَنَّكُمْ رَبِّي فَأُعَذِّبُنَهُمْ ۖ فَكَيْفَ يُعَذِّبُهُمْ ۚ

وَرَزَقَ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْفِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ عَائِيَّتِهِ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِيَجْعَلَ مَا يُلْفِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْفَاسِقِينَ فَلَوْبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهِيَ شِقَاقِ بَعِيدٍ ۝ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ هَوَّأُوا الْعِلْمَ أَنََّّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ۖ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ إِلَهٌ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فِئَةٌ وَلَكِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝

﴿سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ أي: سعوا فيها بالظعن عليها، وهو من قولك: سعى في الأمر إذا جد<sup>(١)</sup> فيه؛ لقصد إصلاحه أو إفساده.

﴿مُعْجِزِينَ﴾ بالالف<sup>(٢)</sup> أي: مغالين؛ كأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم، فصارت مفاعلة. وقرئ بالتشديد من غير ألف؛ ومعناه: أنهم يُعْجِزُونَ الناس عن الإسلام؛ أي: يشبطونهم عنه.

﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ النبي أعم من الرسول، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، فقدم الرسول؛ لمناسبته لقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وآخر النبي؛ لتحصيل العموم؛ لأنه لو اقتصر على ﴿رَسُولٍ﴾ لم يدخل في ذلك من كان نبياً غير رسول.

﴿إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين، فلما بلغ إلى قوله: ﴿أَبْرَأْتُمْ آلَ اللَّهِ وَالْعَزَىٰ﴾

(١) في أ: «أكَّد»، وفي ج: «أخذ».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الجيم من غير ألف، وقرأ الباقون بالتخفيف والالف.

﴿وَمَنْ أَلْقَى الشَّيْطَانَ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] ألقى الشيطان: «تلك الغرائقة العلى، منها الشفاعة ترتجى»، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به، وقالوا: هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد<sup>(١)</sup>. واختلف في كيفية إلقاء الشيطان: ف قيل: إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك، وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به؛ لأنه قَرَّبَ صوته من صوت النبي ﷺ حتى التبس الأمر. وقيل: إن النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الغلط والسهو؛ لأن الشيطان أنساه ووسوس في قلبه، حتى خرجت تلك الكلمات على لسانه من غير قصد. والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة. والقول الأول أرجح؛ لأن النبي ﷺ معصومٌ في التبليغ.

فمعنى الآية: أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان. واختلف في معنى ﴿تَمَنَّى﴾ و﴿أَمْنِيَّتِهِ﴾ في هذه الآية: ف قيل: تمنى بمعنى: تلا، والأمنية: التلاوة؛ أي: إذا قرأ الكتاب<sup>(٢)</sup> ألقى الشيطان من عنده في تلاوته. وقيل: هو من التمني؛ بمعنى: حب<sup>(٣)</sup> الشيء. وهذا المعنى أشهر في اللفظة؛ أي: تمنى النبي ﷺ مقاربة قومه واستلافهم، فألقى الشيطان ذلك الكلام في هذه الأمنية؛ ليُعْجِبَهُمْ ذلك.

﴿بَيْنَسَخُ اللَّهِ مَا يُلْفِي الشَّيْطَانُ﴾ أي: يبطله، كقولك: نسخت الشمس الظل. ﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلق بقوله: ﴿بَيْنَسَخُ﴾ و﴿يُحْكِمُ﴾. ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أهل الشك، «وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُ» المكذبون. وقيل: الذين في قلوبهم مرض: عامة الكفار، «وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُ»: أشدُّهم كفرًا وعتوًا، كأبي جهل.

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٠٧) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٠) عن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب والضحاك وأبي العالية وغيرهم. قال ابن كثير (٥/ ٤٤١): «قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائقة.. ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مستندة من وجه صحيح، والله أعلم». وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٠-٢٩٢).

(٢) في أ، ب، هـ: «الكتب».

(٣) في د: «أحب».

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ شِقَاقٌ بَعِيدٌ﴾ يعني بـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾: المذكورين قبلُ، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمَر؛ ليقضي عليهم بالظلم. والشَّقَاقُ: العداوة، ووصفه بـ ﴿بَعِيدٌ﴾؛ لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير.

﴿الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْعِلْمِ﴾ قيل: يعني الصحابة. واللفظ أعم من ذلك.

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير عائد على القرآن. وقال الزمخشري: هو لتمكين الشيطان من الإلقاء<sup>(١)</sup>.

﴿فَتُخِيتَ﴾ أي: تخشع.

﴿فِي مِرَّةٍ مِّنْهُ﴾ الضمير: للقرآن، أو للنبي ﷺ، أو إلقاء الشيطان.

﴿يَوْمٍ عَفِيمٍ﴾ يعني: يوم بدر، ووصفه بالعقيم<sup>(٢)</sup>؛ لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم؛ لأنهم يُقتلون فيه. وقيل: هو يوم القيامة، والساعة مقدّماته، ويقوّي ذلك قوله: ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ يَلِدُ﴾، ثم تقسيم<sup>(٣)</sup> الناس إلى أصحاب الجحيم، وأصحاب النعيم.



(١) الكشاف (١٠/٥١٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «بالعقم».

(٣) في أ، ب، هـ: «قسم».

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٦﴾ لِيَدْخِلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يُرْضَوْنَ بِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَبُوءُ غُفُورٌ ﴿٥٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَبْعٌ بِصِيرٍ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦١﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٢﴾

﴿٥٦﴾ ﴿فُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ روي أن قوما قالوا: يا رسول الله قد عَلِمْنَا<sup>(١)</sup> ما أعطى الله مَنْ قُتِلَ مِنَ الْخَيْرِ، فما لمن مات معك؟ فنزلت الآية مُعْلِمَةً أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ قُتِلَ وَمَنْ مَاتَ مَعًا<sup>(٢)</sup>، ولا يقتضي ذلك المساواة بينهم؛ لأن تفضيل الشهداء ثابت.

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يحتمل أن يريد به: الرزق في الجنة بعد يوم القيامة، أو رزق الشهداء في البرزخ، والأول أرجح؛ لأنه يعلم الشهداء والموتى.

﴿٥٧﴾ ﴿مَدْخَلًا﴾ يعني: الجنة.

﴿٥٨﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ تقديره هنا: الأمر ذلك، كما يقول الكاتب: «هذا وقد كان كذا..» إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر.

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ سَمَّى الْإِبْتِدَاءَ عِقَابًا بِاسْمِ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا تَجَوُّزًا، كما تُسَمَّى الْعِقَابَةُ أَيْضًا بِاسْمِ الذَّنْبِ، ووَعَدَ بِالنَّصْرِ لِمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَبُوءُ غُفُورٌ﴾ إن قيل: ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن في ذكر هذين الوصفين إشعارًا بأن العفو أفضل من المعاقبة<sup>(٣)</sup>، فكانه حُضِّ

(١) في أ، ب، هـ: «أعلمنا الله».

(٢) ذكره الزمخشري في تفسيره (٥١٧/١٠) ولم أقف عليه مسندًا.

(٣) في هـ: «العقوبة».

على العفو. والثاني: أن في ذكرهما إعلامًا بعفو الله عن المعاقب حين عاقب، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ﴾ أي: ذلك النصر بسبب أن الله قادر، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل.

ومعنى الإيلاج هنا: أنه يُدخِل ظلمة هذا مكان ضوء هذا، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا. وقيل: الإيلاج هو ما ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: ذلك الوصف الذي وُصف الله به هو بسبب أنه الحق.

﴿تُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ تصبح هنا: بمعنى تصير.

وفهم بعضهم أنه أراد: صبيحة ليلة المطر، فقال: لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة والبلاد الحارة. وأما على معنى تصير؛ فذلك عام في كل بلد.

والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جوابًا لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لم يحبت الفعل، وكان المعنى نفي خضرتها، وذلك خلاف المقصود. وإنما قال ﴿تُصْبِحُ﴾ بلفظ المضارع؛ ليفيد بقاءها كذلك مدة.



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْبُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالثَّائِلِينَ لَرَّءَوْفٌ رَحِيمٌ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١٧﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذِعٌ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ ﴿١٨﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بَيْنَا كُنْتُمْ بِهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢١﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ﴿٢٢﴾ \*وَإِذَا تَثَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا فُلْ أَفَاتِيئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ الثَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢٣﴾

﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك.

﴿أَنْ تَقَعَ﴾ في موضع مفعول، على تقدير: عن أن تقع. وقال الزمخشري: كراهة أن تقع؛ فهو مفعول من أجله<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل<sup>(٢)</sup> طي السماء كوقوعها، أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء.

﴿أَخْيَاكُمْ﴾ أي: أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة؛ لأن الإنسان قبل ذلك تراب، فهو جماد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح.

﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ يعني: الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني: البعث.

﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جحود للنعم.

(١) الكشاف (١٠/ ٥٢٣).

(٢) في ب، هـ: «يجعل».

﴿مَنْسُكًا﴾ هنا: اسم مصدر؛ لقوله: ﴿تَاسِكُوهُ﴾، ولو كان اسم مكان لقال: «ناسكون فيه». ﴿بَلَا يَنْتَرِعَنَّكَ﴾ ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي لهم منازعة النبي ﷺ؛ لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع<sup>(١)</sup> النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي، والمراد غير النهي. وقيل: المعنى: لا تنازعهم<sup>(٢)</sup> فينازعوك، فحذف الأول؛ لدلالة الثاني عليه. ويحتمل أن يكون نهيًا لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ.

﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في الدين والشريعة، أو في الذبائح.

﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: ادع الناس إلى عبادة ربك.

﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾ الآية تقتضي موادةً منسوخة بالقتال.

﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، والإشارة بـ﴿ذَلِكَ﴾ إلى معلومات الله<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة: إلى كُتُب المعلومات في الكتاب، أو إلى الحكم في الاختلاف، والأول أظهر.

﴿مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني: الأصنام، والسلطان هنا: الحجة والبرهان.

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ قيل: إنه يعني: ما ليس لهم به علم ضروري، فنفي أولًا البرهان النظري، ثم العلم الضروري. وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى، بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معًا.

(١) في ج، د: «لا يسمع».

(٢) في أ، ب، هـ: «لا تنازعوهم».

(٣) [التعليق ٧٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «يعني: اللوح المحفوظ»، صحيح، وكذلك قوله: «والإشارة بـ«ذلك»: إلى معلومات الله»، صحيح أيضًا، ومعلومات الله المشار إليها هي ما تضمنته الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]؛ فكل ما في السماء والأرض معلوم لله، ومكتوب في أم الكتاب اللوح المحفوظ. والآية دالة على مرتبتين من مراتب الإيمان بالقدر، وهما مرتبتا العلم والكتابة، والله أعلم.



﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ أي: الإنكار لما يسمعون، فـ﴿الْمُنْكَرُ﴾ مصدر، كـالمُكْرَم بمعنى الإكرام. ويعرف ذلك في وجوههم: بعبوسها<sup>(١)</sup> وإعراضها. ﴿يَسْطُونَ﴾ من السَّطوة، وهي سرعة البطش. ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ يَحْتَمِلُ: أن يكون ﴿النَّارُ﴾ مبتدأ، و﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ خبره. أو يكون ﴿النَّارُ﴾ خبر ابتداء مضمَر<sup>(٢)</sup>، كأنَّ قائلًا قال: ما هو؟ فقيل: هو النار، ويكون ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ استئنافًا، وهذا أظهر.



(١) في أ: «لعبوسها».

(٢) زيادة من د.

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ  
اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧١﴾ مَا  
قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٢﴾ اللَّهُ يَضْطَرُّهُ مِنَ الْمَلَكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ  
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٣﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٤﴾ يَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِزْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٥﴾  
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ  
أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ  
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ  
فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٦﴾

﴿٧١﴾ «ضَرْبَ مَثَلٍ» أي: ضربه الله؛ لإقامة الحجة على المشركين.

﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى. والمعنى: أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تُعبد من دون الله الذي خلق كل شيء؟! ثم أوضح عجزهم بقوله: ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه.

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ﴾ بيان أيضًا لعجز الأصنام؛ بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئًا لم يقدروا على استنفاذه منه على حال ضعفه. وقد قيل: إن المراد بما يسلب الذباب منهم: الطيب الذي كانت العرب تجعل على الأصنام، واللفظ أعم من ذلك.

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ المراد بالطالب: الأصنام، وبالمطلوب: الذباب؛ لأن الأصنام تطلب من الذباب ما<sup>(١)</sup> سلبته منها. وقيل: الطالب: الكفار، والمطلوب: الأصنام؛ لأن الكفار يطلبون الخير منهم.

﴿٧٢﴾ «مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أي: ما عظموه حق تعظيمه.

(١) في أ، ب، هـ: «بما».

﴿وَاللَّهُ يَضْطَرُّهُ مِنَ الْمَلِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ردُّ على من أنكر أن يكون الرسول من البشر.

﴿إِزْكُوا وَاسْجُدُوا﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره<sup>(١)</sup>؛ للحديث الصحيح الوارد في ذلك<sup>(٢)</sup>، خلافاً للمالكية.

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ عمومٌ في العبادات بعد ذكر الصلاة التي عبَّرَ عنها بالركوع والسجود، وإنما قدَّمها؛ لأنها أهم العبادات.

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ قيل: المراد صلة الرحم، وقال ابن عطية: هي في الندب فيما<sup>(٣)</sup> عدا الواجبات، واللفظ أعم من ذلك كله.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد: جهاد الكفار، أو جهاد النفس والشیطان والهوى، أو العموم في ذلك كله.

﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ قيل: إنه منسوخ، كنسخ ﴿حَقَّ ثُبَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] بقوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وفي ذلك نظر. وإنما أضاف الجهاد إلى الله؛ لبيان بذلك فضله واختصاصه بالله.

﴿اجْتَبَيْكُمْ﴾ أي: اختاركم من بين الأمم.

﴿مِنْ حَرْجٍ﴾ أي: مشقة، وأصل الحرج: الضيق.

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ انتصب ﴿مِلَّةَ﴾ بفعل مضمر، تقديره: أعني بالدين ملة إبراهيم، أو: التزموا ملة إبراهيم. وقال الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف، كأنه قال: ﴿كَمِلَّةِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤/ ٢٢٤).

(٢) وهو حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدة؟ قال: «نعم»، فمن لم يسجد، فلا يقرأهما، أخرجه أحمد (١٧٣٦٤)، والترمذي (٥٧٨)، وأبو داود (١٤٠٢)، والحاكم (٨٠٥) وسكت عنه هو والذهبي، وقال الترمذي: «هذا حديث ليس إسناده بذلك القوي»، وضعفه ابن حجر في البلوغ. وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أقرأ خمس عشرة سجدة في القرآن، منها ثلاث في المفصل، وفي سورة الحج سجدة. أخرجه أبو داود (١٤٠١)، وابن ماجه (١٠٥٧)، والحاكم (٨١١) وقال: «هذا حديث رواه مصريون قد احتج الشيخان بأكثرهم» ووافقه الذهبي، وحسنه النووي والمنذري، وضعفه عبد الحق. البدر المنير (٤/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٣) في أ، ب، هـ: «مما».

(٤) في هـ زيادة «إبراهيم».

وقال الزمخشري: انتصب بمضمون ما تقدم، كأنه قال: وسَّع عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: لم يكن إبراهيم أباً للمسلمين كلهم؟! فالجواب: أنه أبو رسول الله ﷺ، وكان أباً لأُمَّته؛ لأن أمة الرسول في حكم أولاده؛ ولذلك قرئ: ﴿وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ وهو أب لهم<sup>(٢)</sup>. وأيضاً؛ فإن قريشاً وأكثر العرب من ذرية إبراهيم ﷺ، وهم أكثر الأمة، فاعتبرهم دون غيرهم.

﴿هُوَ سَبِيلُكُمْ﴾ الضمير لله تعالى، ومعنى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: في الكتب المتقدمة، ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: في القرآن. وقيل: الضمير لإبراهيم ﷺ، والإشارة إلى قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ومعنى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ على هذا: من قبل وجودكم، وهنا يتم الكلام على هذا القول، ويكون قوله: ﴿وَفِي هَذَا﴾ مستأنفاً أي: وفي هذا بلاغٌ. والقول الأول أرجح، وأقلُّ تكلفاً، ويدلُّ عليه قراءة أبي بن كعب: «الله سماكم المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

﴿شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾ تقدّم معنى هذه الشهادة في «البقرة»<sup>(٤)</sup>.  
﴿بِأَفِيضُوا الصَّلَاةَ﴾ الظاهر أنها المكتوبة؛ لا قترانها مع الزكاة.  
﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ معناه هنا: وليكم وناصركم؛ بدلالة ما بعد ذلك.



(١) الكشف (٥٣/١٠).

(٢) هي في مصحف أبي ﷺ، وقرأ بها ابن عباس ﷺ فيما أخرجه الحاكم (٣٥٥٦) وصححه، والبيهقي (١٣٤٢٠)، وقرأ بها مجاهد فيما رواه ابن أبي حاتم (٣١١٥/٩).

(٣) ذكرها الزمخشري في الكشف (٥٣٨/١٠) ولم أقف عليها مسندة.

(٤) انظر تفسير الآية (١٤٢).

## سورة المؤمنين

فَدَافَلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِبُرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ بَوَالِغِ هُمْ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْيَرْدُونَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الخشوع: حالة في القلب، من الخوف والمراقبة والتدلل لعظمة المولى جلّ جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح، بالسكون والإقبال على الصلاة، وعدم الالتفات، وبالبكاء والتضرع.

وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة؛ لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: «لا يكتب للمعبود من صلاته إلا ما عقل منها»<sup>(١)</sup>. والصواب: أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب؛ فقد يحضر القلب ولا يخشع.

﴿٢﴾ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ اللغو هنا: الساقط من الكلام، كالسبّ واللّهو، والكلام بما لا يعني. وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعاً<sup>(٢)</sup>.

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/١١٦): «لم أجده مرفوعاً.. ولا ابن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار ؓ: «لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه».

(٢) عدّها ابن جزّي وتكلم عن تفاصيلها في كتابه «القوانين الفقهية» (ص: ٧٠٦)، وهي إجمالاً: (١) الغيبة، (٢) والبهتان، (٣) والكذب، (٤) واليمين الغموس، (٥) وشهادة الزور، (٦) والنميمة، (٧) والاستهزاء، (٨) وإطلاق ما لا يحل إطلاقه على الله أو رسوله أو الملائكة أو الأنبياء أو الصحابة، (٩) وكلام العوام في دقائق علم الكلام مما لا يعلمون، (١٠) والسحر، (١١) والفحش من الكلام، (١٢) والشعر والغناء، =

ومعنى الإعراض عنه: عدم الاستماع إليه، والدخول فيه. ويحتمل أن يريد: أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى.

﴿لِلزَّكَاةِ فَاعْلَوْنَ﴾ أي: مؤدّون. فإن قيل: لم قال ﴿فَاعْلَوْنَ﴾ ولم يقل: «مؤدّون»؟  
فالجواب: أن الزكاة لها معنيان: أحدهما: الفعل الذي يفعله المزكي؛ أي: أداء ما يجب على المال. والآخر: المقدار المخرج من المال، كقولك: هذا زكاة مالي. والمراد هنا: الفعل؛ لقوله: ﴿فَاعْلَوْنَ﴾. ويصح المعنى الآخر على حذف؛ تقديره: هم لأداء الزكاة فاعلون.

﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله: ﴿غَيْرَ مَلُومِينَ﴾؛ أي: لا يُلَامُونَ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ. ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿حَافِظُونَ﴾ على أن يكون ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى «عن».

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعني: النساء المملوكات. قال الزمخشري: إنما قال ﴿مَا مَلَكَتْ﴾ ولم يقل «من»؛ لأن الإناث يعبرن مجرى غير العقلاء<sup>(١)</sup>.

﴿وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: ما سوى الزوجات والمملوكات.

﴿لَا مَنَّتِيهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد: أمانات الناس وعهدهم، أو أمانة الله وعهده في دينه أو العموم. والأمانة أعم من العهد؛ لأنها قد تكون بعهد، وبغير عهد متقدم.

﴿رَاعُونَ﴾ أي: حافظون لها، قائمون بها.

﴿عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المحافظة عليها: هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها. فإن قيل: كيف كرّر ذكر الصلوات أوّلاً وآخرًا؟ فالجواب: أنه ليس بتكرار؛ لأنه قد ذكر أوّلاً الخشوع فيها، وذكر هنا المحافظة عليها، فهما مختلفان. وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم؛ دلالة على ثبوت فعلهم لها.

= (١٣) والمدح، (١٤) وكلام ذي الوجهين، (١٥) وتركبة الإنسان لنفسه، (١٦) وإفشاء السر، (١٧) والكذب في الوعد، (١٨) والجدال والخصام، (١٩) وذم الأشياء، (٢٠) والكلام فيما لا يعني.

(١) الكشف (١٠/٥٥٠).

(٢) لم ترد في أ، هـ.

﴿الْوَارِثُونَ﴾ أي: المحصّلون<sup>(١)</sup> للجنة، فالميراث استعارة. وقيل: إن الله جعل لكل إنسان مسكنًا في الجنة ومسكنًا في النار، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة.

﴿الْمُزْدَوَسُونَ﴾ مدينة الجنة، وهي جنة الأعتاب. وأعاد الضمير عليها مؤنثًا؛ على معنى الجنة.



(١) كذا في هامش أ، وفي بقية النسخ: «المخلصون»، والمثبت هو الأقرب، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٢٨٠/٦).

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْقَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظًا بِكَسَوْنَا الْعِظَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْفًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا بَوَاقِيَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٩﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَغْنَيْنَا لَكُمْ فِيهَا بَوَاقِي كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٠﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سِينَاءَ تُثَبُّتُ بِالذَّهَبِ وَصَنَعْنَا لَآكِلِينَ ﴿٢١﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٢﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

﴿١٣﴾- ﴿٢٣﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ اختلف هل يعني آدم ﷺ؟ أو جنس بني آدم؟

﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ السُّلَالَةُ: هي ما يُسَلُّ من الشيء، أي: ما يستخرج منه، ولذلك قيل إنها الخلاصة، والمراد بها هنا: القطعة التي أخذت من الطين وخلق منها آدم ﷺ.

فإن أراد بالإنسان آدم: فالمعنى: أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً﴾ لا بدَّ أن يراد به ابن آدم؛ فيكون الضمير يعود على غير مَنْ ذكر أولاً، ولكن يفسره سياق الكلام.

وإن أراد بالإنسان ابن آدم: فيستقيم عَوْدُ الضمير عليه، ويكون معنى خَلَقَهُ من سلالة من طين: أي: خلق أضله، وهو أبوه آدم.

وَيَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنْ يَرَادَ بِالْإِنْسَانِ الْجِنْسُ الَّذِي يَعُمُّ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ، فَأَجْمَلَ ذَكَرَ الْإِنْسَانَ أَوَّلًا، ثُمَّ فَصَّلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِآدَمَ، وَهِيَ مِنْ طِينٍ، وَإِلَى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِذُرِّيَّتِهِ، وَهِيَ النُّطْفَةُ.

فإن قيل: ما الفرق بين ﴿مِنْ﴾ و﴿مِنْ﴾؟ فالجواب -على ما قال الزمخشري-: أن الأول



للابتداء، والثاني للبيان، كقوله: ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحج: ٤٨] <sup>(١)</sup>.

﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني: رَجِمَ الْأَمَّ. ومعنى ﴿مَّكِينٍ﴾: متمكن، وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقرّة، لا من صفة المحلّ المستقرّ فيه، ولكنه كقولك: «طريق سائر» أي: يسير الناس فيه. وقد تقدّم تفسير النطفة والمضغة والعلاقة في أول «الحج» <sup>(٢)</sup>.

﴿خَلْفًا آخَرًا﴾ قيل: هو نفخ الروح فيه، وقيل: خروجه إلى الدنيا، وقيل: استواء الشباب، وقيل: على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ هو مشتقّ من البركة، وقيل: معناه: تقدّس.

﴿أَحْسَنُ الْخَلْقِينَ﴾ أي: أحسن الخالقين خلقًا، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه.

وفسر بعضهم ﴿الْخَلْقِينَ﴾ بالمقدّرين؛ فرارًا من وصف المخلوق بأنه خالق. ولا يجب أن يُنفى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع، كقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٢]، وإنما الذي يجب أن يُنفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم، فهذا هو الذي انفرد الله به <sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الكشاف (٥٥٦/١٠).

(٢) انظر تفسير الآية (٥).

(٣) [التعليق ٧٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: الخلق - في اللغة - يأتي بمعنى: الإيجاد بعد عَدَم، ويأتي بمعنى: التقدير؛ ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

وَلَا تَنْتَفِرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ خُسُوفٍ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَنْفِرِي

وقد جاء المعنيان في القرآن فيما يضاف إلى الله، ولكن المعنى الأول هو الأكثر، وشواهدُه بتصاريّف مادّته لا تُحصَر:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: ٣٨]، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧]، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ

كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٥]، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

ومن الخلق بمعنى التقدير: قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤]؛ فالخالق: هو المقدّر لما يريدُ إيجاده، والبارئ: هو المخرج لما قدره إلى الوجود.

ويحتمل المعنيين قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

ولم يأت في القرآن «الخلق» مضافًا إلى غير الله؛ إلا ما جاء في الخبر عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠]، والأظهر: أَنَّ الْخَلْقَ هنا بمعنى التقدير؛ فهو عليه السلام لا يُوجد طيرًا، وإنما يخلُق ما هو كهيئة الطير؛ فينفُخ فيه؛ فيكون طيرًا بإذن الله.

﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني: السماوات، وسماها طرائق؛ لأن بعضها طُورِقَ<sup>(١)</sup> فوق بعض كمطارقة النعل<sup>(٢)</sup>. وقيل: يعني الأفلاك؛ لأنها طرق للكواكب.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالخلق: المخلوقين، أو المصدر.

﴿مَاءً يَقْدَرُ﴾ يعني: المطر الذي ينزل من السماء، فتكون منه العيون والأنهار في الأرض. وقيل: يعني: أربعة أنهار، وهي النيل، والفرات، ودجلة، وسبحان، ولا دليل على هذا التخصيص. ومعنى ﴿يَقْدَرُ﴾: بمقدار معلوم لا يزيد عليه<sup>(٣)</sup> ولا ينقص منه.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يعني: الزيتون. وإنما خصّ النخيل والأعناب والزيتون بالذكر؛ لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع.

﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾: جبل بالشام، وهو الذي كلم الله عليه موسى ﷺ، ونُسب الزيتون إليه؛ لأنها فيه كثيرة. و﴿سَيْنَاءَ﴾ اسم الجبل، أضافه إليه، كقولك<sup>(٤)</sup>: جبل أحد. وقرئ بفتح السين<sup>(٥)</sup>، ولم ينصرف للتأنيث اللازم.

وهذا يُعلم: أنه لم يأتِ «الخلق» بمعنى الإيجاد في القرآن مضافاً لغير الله مطلقاً، ولا يُستعمل في لسان المسلمين إضافة الخلق لغير الله، بل نفى سبحانه وتعالى «الخلق» عن كل ما يعبد المشركون: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، ﴿أَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، حتى ما ينحسره المشركون من الأصنام، أضاف الله خلقها إليه؛ قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَقْمِلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦].

وعلى هذا: فلا يجوز إضافة مصنوعات البشر إلى صانعيها بلفظ «الخلق»، بل الله خالقها بالأسباب التي خلقها وقدرها.

وعلى هذا: فتعقب المؤلف لمن قال: ﴿أَحْسَنُ الْخَلْقَيْنِ﴾ [المؤمنون: ١٤]: أحسن المقدرين - ضعيف.

وقول المؤلف: «من عدم»، الصواب أن يقول: بعد عدم، أو عن عدم.

وعبارة المؤلف: «من عدم»، في قوله: «ولئنا الذي يجب أن يُنفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من عدم».

(١) في ب: «طرائق»، وفي ج: «طروق» والمثبت هو الصواب وهو الموافق لعبارة الكشف (٥٦٣/١٠).

(٢) طارِق النعل: إذا وضع بعضها على بعض، وركب بعضها على بعض. انظر: لسان العرب (٨٩/١٢).

(٣) في أ، ب، هـ: «عليها».

(٤) في ج، د: «كقوله».

(٥) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها.

وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للمُعْجَمَة أو للتأنيث مع التعريف؛ لأن «فِعْلَاء» بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث.

وقيل: معناه: مبارك، وقيل<sup>(١)</sup>: ذو شجر، ويلزم على ذلك صَرْفُهُ.

﴿تَثْبِثُ بِالذَّهْنِ﴾ يعني: الزيت.

وقرئ ﴿تَثْبِثُ﴾ بفتح التاء<sup>(٢)</sup>، فالمجرور على هذا في موضع الحال، كقولك: جاء زيد بسلاحه. وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن أثبت بمعنى نَبَت. والثاني: حذف المفعول، تقديره: تُنْبِت ثمرتها بالدهن. والثالث: زيادة الباء.

﴿وَصَبِغَ لِلْأَكْلِيلِ﴾ الصَّبِغ: الغمس في الإدام.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، والمقصود بالذكر: الإبل؛ لقوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾. وقد تقدّم في «النحل» ذكرُ المنافع التي فيها<sup>(٣)</sup>، وتذكيرها وتأنيتها<sup>(٤)</sup>.



(١) سقطت هذه الكلمة من أ، ب، هـ.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء، وقرأ الباقر بفتح التاء وضم الباء.

(٣) انظر تفسير الآية (٥).

(٤) انظر تفسير الآية (٦٦).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٩﴾ \* فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَّبِعُضِلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَطْيَكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠﴾ إِن هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرَّبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢١﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتُ ﴿٢٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَبَارَ الْتَتُّورُ فَاغْلُظْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَازِينَ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٣﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَّعَكَ عَلَى الْفُلِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٢٧﴾

﴿١٩﴾ «مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ» استبعدوا أن تكون النبوة لبشر؛ فيا عجباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر!

﴿يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعُضِلَ﴾ أي: يطلب الفضل والرياسة عليكم.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ أي: بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله، أو بمثل الكلام الذي قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح ﷺ فترة طويلة.

﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون، فانظر اختلاف قولهم فيه؛ فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت لم يعيّنوه، ولكن أرادوا: وقت زوال جنونه على قولهم، أو وقت موته.

﴿انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتُ﴾ تضمّن هذا دعاء عليهم؛ لأن نصرته إنما هي بإهلاكهم. وقد تقدّم في «هود» تفسير «بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا»، و«بَارَ الْتَتُّورُ»، و«لَا تُخَاطِبُنِي»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (٣٧) و(٤٠) من سورة هود.

﴿بِأَسْلَافِكُمْ فِيهَا﴾ أي: أدخل فيها. وقد تقدّم تفسير ﴿زَوْجَيْنِ إِنْتَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ «إن» مخففة من الثقيلة، و﴿مُبْتَلِينَ﴾: اسم فاعل من ابتلى، ويحتمل أن يكون بمعنى<sup>(٢)</sup> الاختبار، أو إنزال البلاء.

﴿فَرَزْنَا آخَرِينَ﴾ قيل: إنهم عاد، ورسولهم هود عليه السلام؛ لأنهم الذين يلون قوم نوح. وقيل: إنهم ثمود، ورسولهم صالح عليه السلام، وهذا أصح<sup>(٣)</sup>؛ لقوله: ﴿بِأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾، وثمود هم الذين هلكوا بالصيحة، وأما عاد فهلكوا بالريح.



(١) انظر تفسير الآية (٤٠) من سورة هود.

(٢) في ب، د: «من».

(٣) في أ، ب، هـ: «أصلح».

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ «عَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَقَلًا تَتَّقُونَ» ﴿٣٣﴾ وَقَالَ  
 الْكَلْبُ مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ الْأَخِيرَةِ وَاتَّزَقْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا  
 بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ  
 إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٥﴾ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ  
 ﴿٣٦﴾ هِيَ هِيَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ  
 بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ \* قَالَ رَبِّ  
 لَنْصُرَنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٤٠﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤١﴾ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ  
 وَجَعَلْنَاهُمْ غُلَامًا بَعْدَ أَلْفِ قَوْمٍ الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخِرِينَ ﴿٤٣﴾ مَا تَسْبِقُ  
 مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا ثَبْرًا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ  
 بِاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ بَعْدَ أَلْفِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى  
 وَأَخَاهُ هَارُونَ ﴿٤٦﴾ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا  
 عَالِينَ ﴿٤٨﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٩﴾ فَكَذَّبُوهُمَا وَكَانُوا مِنَ  
 الْمُهْلَكِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٥١﴾ وَجَعَلْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
 عَابِدَيْنَا وَآمَرْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٢﴾

﴿٣٣﴾ «مِنْ قَوْمِهِ» قَدَّمَ هَذَا الْمَجْرُورَ عَلَى قَوْلِهِ: «الَّذِينَ كَفَرُوا»؛ لِثَلَاثِ يُوْهُم أَنَّهُ مُتَّصِلٌ  
 بِقَوْلِهِ: «الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، بخلاف قوله: «فَقَالَ الْكَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ» فِي غَيْرِ هَذَا  
 الْمَوْضِعِ <sup>(١)</sup>.

﴿وَاتَّزَقْنَاهُمْ﴾ أَي: نَعَمْنَاهُمْ.

﴿بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ قَالُوا ذَلِكَ لِإِنْكَارِهِمْ أَنْ يَكُونَ نَبِيٌّ <sup>(٢)</sup> مِنَ الْبَشَرِ، أَوْ قَالُوهُ أَنْفَةً مِنْ  
 اتِّبَاعِ بَشَرٍ مِثْلِهِمْ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ قَوْمِ نُوحٍ.

(١) انظر: درة التنزيل للإسكافي ص: ٩٣٥، وملاك التأويل لأبي جعفر ابن الزبير (٢/ ٨٧٥).

(٢) فِي د، هـ: «النبي».

﴿أَيَعِدْكُمْ﴾ استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد.

﴿أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾ كَرَّرَ «أَنْ» تأكيداً<sup>(١)</sup> للأولى؛ و﴿مُخْرَجُونَ﴾ خبرٌ عن الأولى.

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ هذا من حكاية كلامهم. و﴿هَيْهَاتَ﴾: اسم فعل بمعنى: بَعُدَ، وقال الغزنوي<sup>(٢)</sup>: هي للتأسف والتأوه. ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان<sup>(٣)</sup>. وتارة يجيء فاعله دون لام، كقوله:

فهيئات هيئات العقيق وأهله<sup>(٤)</sup>

وتارة يجيء باللام، كهذه الآية.

قال الزجاج في تفسيره: البعد لما توعدون<sup>(٥)</sup>؛ فنزله منزلة المصدر.

قال الزمخشري: وفيه وجه آخر؛ وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو، بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في ﴿هَيْتَ لَكَّ﴾ [يوسف: ٢٣] لبيان المهيئت به<sup>(٦)</sup>.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، فوضع ﴿هِيَ﴾ موضع الحياة؛ لدلالة الخبر عليها.

﴿تَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعضٌ ويولد بعض، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر، ومرادهم: إنكار البعث.

(١) في د: «تأكيداً».

(٢) صاحب كتاب «عين المعاني»، تقدم التعريف به في المقدمة الأولى من الكتاب، الباب السادس.

(٣) قراءة السبعة بفتح التاء، وقرأ أبو جعفر المدني بالكسر، وقرأ عيسى الهمداني والأعرج بالإسكان، وقرأ أبو حيوة بالضم. المحرر الوجيز (٦/ ٢٩٤).

(٤) هذا صدر بيت لجرير بن عطية، كما في ديوانه (ص: ٣٨٥)، وعجزه: «وهيئات وضلّ بالعقيق توأسله» وروي البيت هكذا «فهيئات هيئات»، وروي «فأيهاات أيهاات» بالهمزة، وهما لغتان، والعرب تبدل الهمزة هاء وبالعكس. انظر: تحفة المجد الصريح شرح كتاب الفصيح، لأبي جعفر اللبلي (١/ ٢٤٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ١٣).

(٦) انظر: الكشف (١٠/ ٥٨٢).



﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلٍ﴾<sup>(١)</sup> صفة للزمان، والتقدير: عن زمانٍ قليلٍ يندمون.

﴿بَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً﴾ يعني: هالكين كالغناء، والغناء: ما يحمله السيل من الورق وغيرها مما يبلل ويسود، فشبه به الهالكين.

﴿بَبَعْدٍ﴾ مصدرٌ وُضع موضع الفعل بمعنى: بَعْدُوا؛ أي: هلكوا، والعامل فيه مضمَرٌ لا يظهر.

﴿تَثْرَآ﴾ مصدرٌ وزنه: فَعْلَى، ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوعٌ موضع الحال؛ أي: متواترين واحداً بعد واحد. فمن قرأه بالتنوين<sup>(٢)</sup>: فألفه للإلحاق، ومن قرأه بغير تنوين: فألفه للتأنيث فلم ينصرف، وتأنيثه لأن الرسل جماعة. والتاء الأولى فيه بدلٌ من واو هي<sup>(٣)</sup> فاء الكلمة.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: يتحدث الناس بما جرى عليهم، ويَحْتَمِلُ أن يكون جمعٌ حديث، أو جمعٌ أَحْدُوثة، وهذا أليق؛ لأنها تقال في الشر.

﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: متكبرين.

﴿وَقَوْمَهُمَا لَنَا عَدِيدُونَ﴾ أي: خادمون<sup>(٤)</sup> متذللون.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لبني إسرائيل، لا لقوم فرعون؛ لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة.

﴿وَأَوَيْتَهُمَا إِلَى رُبُوعٍ﴾ الرُّبُوع: الموضع المرتفع، ويجوز فيها فتح الراء وضمُّها وكسرها<sup>(٥)</sup>. واختلف في موضع هذه الرُبُوع: فقيل: بيت المقدس، وقيل: بغوطة دمشق،

(١) في أ، ب، ج: «وقيل»، وهو تصحيف، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٠/ ٥٨٤).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتنوين، وقرأ الباقر بغير تنوين.

(٣) في د: «وهي».

(٤) في د: «خادمون».

(٥) قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء، وقرأ الباقر من السبعة بضمها، وقرأ في الشاذ بكسرها، قرأ بها ابن عباس ؓ ونصر عن عاصم. المحرر الوجيز (٦/ ٢٩٧).



وقيل: بفلسطين<sup>(١)</sup>.

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ القرار: المستوي من الأرض، فمعناه: أنها بسيطة يتمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل: القرار هنا: الثمار والحبوب.

والمعين: الماء الجاري؛ فليل: إنه مشتق من قولك: مَعَنَ الماءُ: إذا كثر؛ فالميم على هذا أصلية، ووزنه فَعِيل، وقيل: إنه مشتق من العين؛ فالميم زائدة، ووزنه مفعول.



(١) في أ، ب، هـ: «فلسطين».

يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَأَنْ هَذِهِ  
 أَمْتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٦﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا  
 لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٧﴾ بَدَرَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٨﴾ أَيَخْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِذُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ  
 وَبَنِينَ ﴿٥٩﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٠﴾ \* إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ  
 مُشْفِقُونَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ  
 يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٤﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
 وَهُمْ لَهَا سَافِقُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً وِجْلاً وَلَا سَعْياً وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا  
 يُظْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٧﴾  
 حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٨﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا  
 تَنْصُرُونَ ﴿٦٩﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَغْفَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٧٠﴾  
 مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَعِيراً تَهْجُرُونَ ﴿٧١﴾ أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ  
 الْأَوَّلِينَ ﴿٧٢﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٧٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ  
 بِالْحَقِّ وَآكُثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ لَاتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ  
 وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَجَ  
 رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا  
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٨﴾ \* وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَدَّجُوا  
 فِي ظُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٨٠﴾  
 حَتَّىٰ إِذَا بَتَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٨١﴾

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرقة، وإنما المعنى: أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك. وقيل: الخطاب لمحمد ﷺ، وأقامه مقام الجماعة، وهذا بعيد.

﴿كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذات،

فالأمر للإباحة<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قرئ ﴿أَنَّ﴾<sup>(٢)</sup>: بالكسر على الاستئناف. وبالفتح على معنى: لِأَنَّ، وهي متعلّقة بقوله آخِرًا: ﴿بِأَقْنُفٍ﴾، وقيل: تتعلّق بفعل مضمر تقديره: واعلموا. والأمة هنا: الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره.

﴿بَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: افرقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿زُبُرًا﴾ جمع زبور، وهو الكتاب<sup>(٣)</sup>، والمعنى: أنهم افرقوا في أتباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك، أو وضعوا كتبًا<sup>(٤)</sup> من عند أنفسهم.

﴿بَدَّرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ الضمير لقريش، والغمرة: الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء<sup>(٥)</sup>.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا: يوم بدر، أو يوم موتهم.

﴿أَيَحْسِبُونَ﴾ الآية؛ ردّ عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خيرٌ لهم وأنها بسبب رضا الله عنهم<sup>(٦)</sup>.

﴿نَسَارِعُ لَهُمْ﴾ هذا خبر «أَنَّ»، والضمير الرابط محذوف، تقديره: نسارع به.

﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن ذلك استدراجٌ لهم، ففيه معنى التهديد.

﴿يُوتُونَ مَا ءَاتَوْا﴾ قيل: معناه يُعْطُونَ ما أعطوا من الزكوات<sup>(٧)</sup> والصدقات. وقيل: إنه

(١) انظر التعليق عند تفسير الآية (٥) من سورة المائدة.

(٢) قرأ عاصم وحمة والكسائي بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، وابن عامر بتخفيف النون ساكنة.

(٣) في أ، هـ: «الكتب».

(٤) في ب، ج: «كتابًا».

(٥) قال في الكشف (١٠/ ٥٩٣): «الغمرة: الماء الذي يغمر القامة، فُضِرْتُ مثلاً لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعميتهم، أو شُبَّهوا باللاعبيين في غمرة الماء؛ لما هم عليه من الباطل».

(٦) في أ: «ولسبب رضا الله عنهم»، وفي ب: «ويسببها رضي الله عنهم».

(٧) في أ، د: «الزكاة».

عامٌ في جميع أعمال البر؛ أي: يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم، وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، إلا أنها قرأت: «يأتون ما أتوا» بالقصر<sup>(٢)</sup>، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة. وقيل: إنه عامٌ في الحسنات والسيئات؛ أي: يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله.

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ «أن»: في موضع المفعول من أجله، أو في موضع المفعول به ﴿وَجِلَّةٌ﴾؛ إذ هي في معنى: خائفة.

﴿وَأُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فيه معنيان: أحدهما: أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات. والآخر: أنهم يتعجلون ثواب الخيرات، وهذا مطابق للآية المتقدمة<sup>(٣)</sup>؛ لأنه أثبت فيه ما نفي عن الكفار من المسارعة<sup>(٤)</sup>.

﴿وَهُمْ لَهَا سَافِقُونَ﴾ فيه المعنيان المذكوران في ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾. وقيل: معناه: سبقت لهم السعادة في الأزل.

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني: أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج عن الوُسْع والطاقة. وقد تقدّم الكلام على تكليف ما لا يطاق في «البقرة»<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَدَيْنَا مِكْتَبٌ﴾ يعني: صحائف الأعمال، ففي الكلام تهديد، وتأمين من الظلم والحيث.

﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: في غفلة من الدين بجملته، وقيل: من القرآن، وقيل: من الكتاب المذكور، وقيل: من الأعمال التي وصف بها المؤمنين.

(١) أخرجه أحمد (٢٥٢٦٣)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، والحاكم (٣٤٨٦) وصححه ووافقه الذهبي، عن عائشة ؓ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة» قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم» أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٧٠).

(٣) الآية المتقدمة قوله تعالى في الكفار: «أيحسبون أنما نمدهم به من مال ونبين، نسارع لهم في الخيرات».

(٤) انظر: الكشاف وتعليق الطيبي (١٠/ ٥٩٧).

(٥) في تفسير آخر آية منها.

﴿وَلَهُمْ أَغْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: لهم أعمال سيئة دون الغمرة التي هم فيها، فالمعنى: أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ -على هذا- إلى الغمرة، وإنما أشار إليها بالتذكير<sup>(١)</sup>؛ لأنها في معنى الكفر.

وقيل: الإشارة إلى قوله: ﴿مِّنْ هَذَا﴾؛ أي: لهم أعمال سيئة غير (ذلك المعنى)<sup>(٢)</sup> المشار إليه حسبما اختلف فيه.

﴿هُمْ لَهَا غَمَلُونَ﴾ قيل: هو إخبار عن أعمالهم في الحال، وقيل: عن الاستقبال، وقيل: المعنى: أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله، فجعل ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَبِيهِمْ﴾ غاية لقوله: ﴿غَمَلُونَ﴾.

﴿مُتْرَبِيهِمْ﴾ أي: أغنياءهم<sup>(٣)</sup> وكبراءهم.

﴿إِذَا هُمْ يَجْزَوْنَ﴾ أي: يستغيثون ويصيحون. فإن أراد بالعذاب قتل<sup>(٤)</sup> المترفين يوم بدر: فالضمير في ﴿يَجْزَوْنَ﴾ لسائر قریش؛ أي: ناحوا وصاحوا<sup>(٥)</sup> على القتلى. وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة: فالضمير لجميعهم.

﴿لَا تَجْزَوْا الْيَوْمَ﴾ تقديره: يقال لهم يوم العذاب: لا تجأروا، ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة، أو<sup>(٦)</sup> يكون بلسان الحال<sup>(٧)</sup>. ولفظه نهى، ومعناه: أن الجؤار لا ينفعهم.

﴿عَلَىٰ أَغْلَبِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ أي: ترجعون إلى وراء، وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات، وهي القرآن.

(١) في أ، ب، هـ: «بالتأكيد».

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

(٣) في أ، ب، هـ: «أعيانهم».

(٤) في أ، هـ: «قتال».

(٥) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٦) في ج، د: «وأن».

(٧) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٤).

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ قيل: إن الضمير عائذ على المسجد الحرام، أو على الحرم وإن لم يُذكر؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام، والمعنى: أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام؛ لأنهم أهله وولاته.

وقيل: إنه عائذ على القرآن؛ من حيث ذُكرت الآيات، والمعنى على هذا: أن القرآن يحدث لهم عتواً وكِبَرًا<sup>(١)</sup>.

وقيل: إنه يعود على النبي ﷺ، وهو على هذا متعلق بـ﴿سَمِيرًا﴾.

﴿سَمِيرًا﴾ مشتق من السَّمر، وهو الجلوس بالليل للحديث، وكانت قريش تجتمع<sup>(٢)</sup> بالليل في المسجد، فيتحدثون، وكان أكثر حديثهم سبَّ النبي ﷺ، و﴿سَمِيرًا﴾ مفرد بمعنى الجمع، وهو منصوب على الحال، فمن جعل الضمير في ﴿بِهِ﴾ للنبي ﷺ، فالمعنى: أنهم سامرون بذكره وسبّه.

﴿تَهْجُرُونَ﴾ من قرأ بضم التاء وكسر الجيم<sup>(٣)</sup> فمعناه: تقولون الهُجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام. ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم: فهو من الهَجْر - بفتح الهاء -؛ أي: تهجرون الإسلام، والنبي ﷺ، والمؤمنين، أو من قولك: هَجَرَ المريض: إذا هَذَى؛ أي: تقولون اللغو من القول.

﴿أَقْلَمَ يَذَّبُرُوا الْقَوْلَ﴾ يعني: القرآن، وهذا توبيخ لهم.

﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ معناه: أن النبوة ليست بيدع فينكرونها، بل قد جاءت آباءهم الأولين، فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل ﷺ وغيرهم.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمُ﴾ المعنى: ألم يعرفوا محمداً ﷺ، ويعلموا أنه أشرفهم حسباً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأرجحهم عقلاً؛ فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى

(١) في د: «وتكبراً».

(٢) في ب: «يجتمعون».

(٣) قرأ نافع بضم التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الجيم.

الجنون أو غير ذلك من النقائص؟ مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي عقل سليم أنه عين الصواب.

﴿وَلَوْ إِتَّبَعَ الْخَوَّاهُ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ الاتباع هنا: استعارة، والحق هنا يراد به: الصواب والأمر المستقيم، فالمعنى: لو كان الأمر على ما تقتضي أهواؤهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السماوات والأرض، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقيل: إن الحق في الآية هو الله تعالى، وهذا بعيد في المعنى، وإنما حمّله عليه أن جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما الحق هنا هو المذكور في قوله: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَكَثُرَتْ لَهُمُ الْخَوَّاهُ﴾.

﴿بَلْ آتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد: بتذكيرهم ووعظهم، أو بفخرهم وشرفهم، وهذا أظهر. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ الخرج: هو الأجرة، ويقال فيه: خراج، والمعنى واحد، وقد قرئ<sup>(١)</sup> بالوجهين في الموضعين<sup>(٢)</sup>، فهو كقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور: ٣٨، القلم: ٤٦]؛ أي: لست تسألهم أجراً فيثقل عليهم اتباعك.

﴿فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ﴾ أي: رزق ربك خير من أموالهم؛ فهو يرزقك ويغنيك عنهم. ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسْكَبُونَ﴾ أي: عادلون ومعرضون<sup>(٣)</sup> عن الصراط المستقيم المذكور. ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾ الآية؛ قال الأكثرون: نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله ﷺ على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها<sup>(٤)</sup>، فالمعنى: لو رحمناهم بالخضب، وكشفنا ما بهم من ضر القحط والجوع؛ لتمادوا على طغيانهم.

(١) في أ، ب: «وقد روي».

(٢) قرأ ابن عامر: «خَرْجًا فَخَرْجٌ»، وقرأ حمزة والكسائي: «خَرَجًا فَخَرَجٌ»، وقرأ الباقر: «خَرْجًا فَخَرَجٌ».

(٣) في أ، ب، هـ: «ومعرضون».

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٣) والنسائي في الكبرى (١١٢٨٩)، وابن حبان (٩٦٧)، والحاكم (٣٤٨٨) وصححه ووافقه الذهبي، عن عكرمة عن ابن عباس ؓ.

وفي هذا عندي نظر؛ فإن الآية مكية باتفاق، وإنما دعا النبي ﷺ على قريش بعد الهجرة حسبما ورد في الحديث<sup>(١)</sup>.

وقيل: المعنى: لو رحمتهم بالرد إلى الدنيا بعد موتهم لعادوا لما نهوا عنه.

وهذا القول لا يلزم عليه ما لزم على الآخر، ولكنه خارج عن معنى الآية.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ قيل: إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط، وإن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا: يوم بدر. وهذا مردود بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر. وقيل: إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر، والباب المتوعد به هو القحط.

وقيل: الباب ذو العذاب الشديد: عذاب الآخرة، وهذا أرجح، ولذلك وصفه بالشدة؛ لأنه أشد من عذاب الدنيا، وقال: إنهم فيه مبلسون؛ أي يائسون<sup>(٢)</sup> من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة، كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١١].

﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي: ما تذللوا لله عز وجل. وقد تقدّم الكلام على هذه الكلمة في «آل عمران»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إن قيل: هلاً قال: «فما استكانوا وما تضرعوا»، أو «فما يستكينون وما يتضرعون» باتفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال؟

فالجواب: أن «مَا اسْتَكَانُوا» عند العذاب الذي أصابهم، و«مَا يَتَضَرَّعُونَ» حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد، فنفي الاستكانة فيما مضى، ونفي التضرع في الحال والاستقبال<sup>(٤)</sup>.



(١) أخرجه البخاري (٤٨٢١) ومسلم (٢٧٩٨) عن ابن مسعود ؓ.

(٢) في ب: «آيسون».

(٣) انظر تفسير الآية (١٤٦).

(٤) انظر: الكشاف (٦١٥/١٠).



وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّمُ وَيُيَبِّسُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَبَلًا تَغْفِلُونَ ﴿١٩﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَنَبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَّابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٢﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَبَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَبَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٦﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَتُهُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنبِئُونَا بِمَنْ تَسْحَرُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ أَنبِئْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٩﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٣٠﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّيْ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

﴿١٧﴾ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: شكرًا قليلًا تشكرون. وذكر السمع والبصر والأفئدة -وهي القلوب-؛ لعظيم<sup>(١)</sup> المنافع التي فيها؛ فيجب شكر خالقها، ومن شكره: توحيدُه واتباع رسوله ﷺ، ففي ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة.

﴿١٩﴾ ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿٢٠﴾ أي: نشركم فيها.

﴿٢١﴾ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿٢٢﴾ أي: هو فاعله ومختص به، فاللام للاختصاص. وقد ذكر في «البقرة» معنى اختلاف الليل والنهار<sup>(٢)</sup>.

﴿٢٣﴾-﴿٢٤﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٢٥﴾ أي: قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة، ثم فسر قولهم بإنكارهم للبعث، وإليه الإشارة بقولهم: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَّابَاؤُنَا هَذَا﴾. وقد ذكر

(١) في ج: «العظم».

(٢) انظر تفسير الآية (١٦٣).

الاستفهامان في «الرعد»<sup>(١)</sup>، و«أَسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ» في «الأنعام»<sup>(٢)</sup>.

﴿قُلْ لَيْسَ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ هذه الآيات<sup>(٣)</sup> توقيف لهم على أمور لا يمكنهم إلا الإقرار بها، وإذا أقرّوا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرئ في الأول ﴿لِلَّهِ﴾ باللام بإجماع؛ جواباً لقوله: ﴿لَيْسَ الْأَرْضُ﴾، وكذلك قرأ الجمهور الثاني والثالث، وذلك على المعنى؛ لأن قوله: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ في معنى: «لمن هي». وقرأ أبو عمرو الثاني والثالث بالرفع على اللفظ.

﴿مَلَكُوتٌ﴾ مصدرٌ في بنائه مبالغة.

﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ الإجارة: المنع من الإنسان<sup>(٤)</sup>، يقال: أجزت فلاناً على فلان: إذا منعتَه من مضرتَه وإهانته، فالمعنى: أن الله تعالى يُغيث من شاء ممن شاء، ولا يغيث أحداً منه أحداً.

﴿بِأَبْنَى تُسْحَرُونَ﴾ أي: تُخدعون عن الحق، والخادعُ لهم الشيطان، وذلك تشبيهٌ بالسحر في التخليط والوقوع في الباطل.

ورُتبت هذه التوبيخات الثلاثة بالتدرج، فقال أولاً: ﴿أَبَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، ثم قال ثانياً: ﴿أَبَلَا تَتَّقُونَ﴾، وذلك أبلغ؛ لأن فيه زيادةً تخويف، ثم قال ثالثاً: ﴿بِأَبْنَى تُسْحَرُونَ﴾، وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره.

﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني: فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد، ولذلك ردّ عليهم بنفي ذلك.

﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ هذا برهان على الوحدانية، وبيانه أن يقال: لو كان مع الله إله آخر لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر، واستبدَّ كل واحد

(١) انظر تفسير الآية (٦).

(٢) انظر تفسير الآية (٢٦).

(٣) في أ، ب، د: «الآية».

(٤) في أ، ب، هـ: «الإهان» كذا والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز (٣١٦/٦).

منهما بملكه، وطلب غلبة الآخر والعلو عليه، كما ترى<sup>(١)</sup> حال ملوك الدنيا، ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كُرَّةٌ واحدة: علمنا أن ماله ومديبره واحد، لا إله غيره. وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية<sup>(٢)</sup> وغيره، بل هو دليل آخر.

فإن قيل: «إذا» لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل؟ فالجواب: أن الشرط محذوف تقديره: لو كان معه آلهة، وإنما حُذِفَ لدلالة قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، وهو جواب للكفار الذين وقع الرد عليهم<sup>(٣)</sup>.

﴿عَلَّمَ الْغَيْبِ﴾ بالرفع<sup>(٤)</sup>: خبر ابتداء، وبالحذف: صفة لله.



(١) في ج، د: «نرى».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣١٧/٨).

(٣) انظر: الكشف (٦٢٢/١٠).

(٤) قرأ نافع وحزمة والكسائي وشعبة عن عاصم برفع الميم، وقرأ الباقر بالحذف.

\* قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿١٥﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ  
تُرِيدَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿١٧﴾ اذْفَعْ بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٨﴾  
وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٩﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ ﴿٢٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا  
جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٢١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا بَيْنَمَا تَرْكُتُ كَلًّا إِنَّهَا  
كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٢٢﴾ فَإِذَا نُبِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ  
بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَنْ  
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ تَلَفَحَ وَجُوهُهُمُ النَّارَ  
وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلُو عَلَىٰكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا رَبَّنَا  
غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِفُونُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿٢٨﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٢٩﴾  
قَالَ إخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴿٣٠﴾ إِنَّهُ كَانَ قَرِيبٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْمِرْ  
لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٣١﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرَهُ وَكُنْتُمْ  
مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٣٢﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآيِزُونَ ﴿٣٣﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي  
الْأَرْضِ عِدَّةَ سِنِينَ ﴿٣٤﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا  
قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ \* أَبَحْسَبْتُمْ أَنَّنَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا إِلَيْنَا لَا  
تُرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾ بَتَّعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ  
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَقُلْ  
رَبِّ ارْغَمْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤٠﴾

١٥- ١٦ ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ الآية؛ معناها: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يدعو لنفسه  
بالنجاه من عذاب الظالمين إن قُضي أن يرى ذلك، وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار.

و«إِنْ» شرطية، و«مَا» زائدة، وجواب الشرط: ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾، وكرر قوله: ﴿رَبِّ﴾  
مبالغة في الدعاء والتضرع.

١٧ ﴿اذْفَعْ بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ قيل: التي هي أحسن: لا إله إلا الله، والسبيئة: الشرك.  
والأظهر أنه أمر بالصَّفْح والاحتمال وحسن الخلق، فهو مُحْكَمٌ غير منسوخ، وإنما نُسخ

ما يقتضيه من مسالمة الكفار.

﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يعني: نزغاته ووسواسه<sup>(١)</sup>، وقيل: يعني الجنون، واللفظ أعم من ذلك.

﴿أَنْ يَخْضَرُوا﴾ معناه: أن يكونوا معه، وقيل: يعني: حضورهم<sup>(٢)</sup> عند الموت.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ قال ابن عطية: ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا حرف ابتداء<sup>(٣)</sup>؛ أي ليست غاية لما قبلها. وقال الزمخشري: ﴿حَتَّىٰ﴾ تتعلق بـ ﴿يَصِفُونَ﴾؛ أي: لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت<sup>(٤)</sup>.

﴿قَالَ رَبِّ لِإِجْعُولٍ﴾ يعني: الرجوع إلى الدنيا، وخاطب ربه مخاطبة الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري<sup>(٥)</sup> وغيره، ومثله قول الشاعر:

ألا فارحموني يا إله محمد<sup>(٦)</sup>

وقيل: إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة.

﴿بِمَا تَرَكْتُ﴾ قيل: يعني فيما تركت من المال. وقيل: فيما تركت من الإيمان؛ فهو كقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، والمعنى: أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا؛ ليؤمن ويعمل صالحاً في الإيمان الذي تركه أول مرة.

﴿كَلَّا﴾ ردع له عما طلب.

(١) في ب، ج: «وسواسه».

(٢) في أ، ب: «بحضورهم».

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦/٣٢٠).

(٤) انظر: الكشاف (١٠/٦٢٥).

(٥) انظر: الكشاف (١٠/٦٢٦).

(٦) هذا صدر بيت وتماه: «فإن لم أكن أهلاً فأنت له أهل»، أورده الزمخشري في الكشاف (١٠/٦٢٦)، ولم أقف على قائله.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني: قوله: ﴿رَبِّ إِنْجَعُونِي﴾ لَعَلِّي أَعْمَلَ صَالِحًا، فسمي هذا الكلام كلمة، وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يقول هذه الكلمة لا محالة؛ لإفراط ندمه وحسرتة، فهو إخبار بقوله. والثاني: أن المعنى: أنها كلمة يقولها، ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئًا. والثالث: أن يكون المعنى: أنه يقولها كاذبًا فيها، ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحًا.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أي فيما يستقبلون من الزمان. والضمير للجماعة المذكورين في قوله: ﴿جَاءَ أَحَدَهُمْ﴾.

﴿بَرَزَخُ﴾ يعني: المدة التي بين <sup>(١)</sup> الموت والقيامة، وهي تحوّل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا. وأصل البرزخ: الحاجز بين شيئين.

﴿وَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المعنى: أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة؛ لاشتغال كل أحد بنفسه، كقوله: ﴿يَوْمَ يَهْرُؤُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ <sup>(٢)</sup> وَأَقِمَّه وَأَيَّاهُ [عبس: ٣٤ - ٣٥]، فتكون الأنساب كأنها معدومة.

﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضًا؛ لاشتغال كل أحد بنفسه.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٢٧، الطور: ٢٣]؟ فالجواب: أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى، ثم يتساءلون بعد ذلك؛ فإن يوم القيامة يومٌ طويل فيه مواقف مختلفة <sup>(٣)</sup>.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ أي: تصيبهم بالإحراق.

﴿كَلْحُونٌ﴾ الكُلُوح: انكشاف الشفتين عن الأسنان، وكثيرًا ما يجري ذلك للكلاب، وقد يجري <sup>(٣)</sup> للكبش إذا شويت رؤوسها، وفي الحديث: «إن شفة الكافر ترتفع في

(١) في أ، ب، هـ: «بعد».

(٢) انظر: الكشف (١٠/٦٢٩).

(٣) في أ، ب، هـ: «تجري».

النار<sup>(١)</sup> حتى تبلغ وسط رأسه<sup>(٢)</sup>، وفي ذلك عذاب وتشويه.

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِفْوَتُنَا﴾ أي: ما قُدِّر علينا<sup>(٣)</sup> من الشقاء. وقرئ: ﴿شَفَاوَتُنَا﴾<sup>(٤)</sup>، والمعنى واحد.

﴿قَالَ إِخْسَوْا بِهَا﴾ كلمة تستعمل في زجر الكلاب، ففيها إهانة وإبعاد.

﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ أي: لا تكلمون في رفع العذاب، فحينئذ يأسون من ذلك، أعاذنا الله من ذلك برحمته.

﴿سُخْرِيًّا﴾ بضم السين<sup>(٥)</sup> من السُّخْرَةِ بمعنى التَّخْدِيم، وبالكسر: من السَّخَرِ بمعنى الاستهزاء، وقد يقال هذا بالضم. وقرئ هنا بالوجهين؛ لاحتمال المعنيين، على أن معنى الاستهزاء هنا أليق؛ لقوله: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ﴾.

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: في جوف الأرض أمواتاً، وقيل: أحياء في الدنيا. فأجابوا بأنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم؛ لاستقصار<sup>(٦)</sup> المدة، ولما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئاً.

﴿بَسْئِلِ الْعَادِّيْنَ﴾ أي: اسأل من يَقْدِر على أن يَعُدَّ، وهو: مَنْ عُوِيَ مما ابتلوا به، أو يعنون الملائكة.

﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ معناه: أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين<sup>(٧)</sup> أبداً.

(١) في أ، ب، هـ: «بالنار».

(٢) أخرجه أحمد (١١٨٣٦)، والترمذي (٣١٧٦) وقال: «حسن صحيح غريب»، والحاكم (٢٩٧١) وصححه وسكت عنه الذهبي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: «تشويه النار فتقلص شفته العالبة حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرته».

(٣) في أ: «ما قدرنا عليهم».

(٤) قرأ حمزة والكسائي ﴿شَفَاوَتُنَا﴾، وقرأ الباقون ﴿شِفْوَتُنَا﴾.

(٥) قرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها.

(٦) في ج، د: «لاستقصارهم».

(٧) في ج، د زيادة: «فيها».



﴿عَبَثًا﴾ أي: باطلاً، والمعنى: إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب.

﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ أي: لا حجة ولا دليل، والجملة صفة لقوله: ﴿إِلَهًا آخَرَ﴾، وجواب الشرط: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾.

﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن.

وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين؛ ليبين البون<sup>(١)</sup> بين الفريقين، والله أعلم.



(١) في د، هـ: «الفرق».



## سُورَةُ النُّورِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي  
بَاغِلَاوَا كُلٌّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةٌ جَلْدَةٌ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا  
زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾  
وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا  
لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ  
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدِهِمْ  
أَرْبَعٌ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَّعَنَتْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ  
الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعٌ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾  
وَالْخَمِيسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ السورة: خبر ابتداء مضمّر، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: فيما أنزل عليكم سورة. و﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صفة للسورة.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي: فرضنا الأحكام التي فيها، وقرئ بالتشديد<sup>(١)</sup> للمبالغة.

﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني: ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال. وقيل: معنى ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ هنا: ليس فيها مُشْكِل.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء، وقرأ الباقون بالتخفيف.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ بِاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾: يراد بهما الجنس، وقدم الزانية؛ لأن الزنا كان حيثنذ في النساء أكثر؛ فإنه كان منهن إماء وبغايا يجاهرن<sup>(١)</sup> بذلك.

وإعراب ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ كإعراب: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٤٠]، وقد ذكر في «المائدة».

وهذه الآية ناسخة بإجماع لما في سورة «النساء» من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة، ومن الأذى في الأخرى<sup>(٢)</sup>.

ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه؛ فإن جلد المئة إنما هو حد الزانية والزاني إذا كانا مسلمين حُرَّين<sup>(٣)</sup> غير محصنين. فيخرج منها الكفار؛ فيردون إلى أهل دينهم. ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة.

فأما العبد والأمة: فحدُّهما خمسون جلدة، سواء كانا محصنين أو غير محصنين. وأما المحصنان الحرَّان فحدُّهما الرجم. هذا على مذهب مالك.

وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب: فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهرة العموم في المسلمين والكافرين، وفي الأحرار والعبيد والإماء، وفي المحصن وغير المحصن، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء؛ منها باتفاق، ومنها باختلاف.

فأما الكفار: فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدَّهم جلد مئة؛ أحصنوا أو لم يُحصنوا؛ أخذًا بعموم الآية. ورأى الشافعي<sup>(٤)</sup> أن حدَّهم كحدَّ المسلمين؛ الجلد إن لم يُحصنوا، والرجم إن أحصنوا؛ أخذًا بالآية، وبرجم النبي ﷺ لليهودي واليهودية إذ زنيا<sup>(٥)</sup>.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «يجاهرون».

(٢) انظر تفسير الآية (١٦).

(٣) في ب زيادة: «بالغين».

(٤) وأحمد، فالإسلام عندهما ليس شرطًا في الإحصان. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/٢٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٣٥)، ومسلم (١٦٩٩) من حديث ابن عمر ؓ.

ورأى مالك أن يُردُّوا إلى أهل دينهم؛ لقوله في سورة «النساء»: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ١٥]، فخصَّ نساء المسلمين؛ على أنها قد نسختها هذه، ولكن بقيت في محلها.

وأما العبد والأمة: فرأى أهل الظاهر أن حدَّ الأمة خمسون جلدة؛ لقوله تعالى: ﴿بَعْلَاهُمْ يَضْفُ مَا عَلَى الْمُخَصَّنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]، وأن حدَّ العبد الجلد مئة؛ لعموم الآية. وقال غيرهم: يُجلد العبد خمسين؛ بالقياس على الأمة؛ إذ لا فرق بينهما.

وأما المحصن: فقال الجمهور: حكمه الرجم، فهو مخصوص من هذه الآية، وبعضهم يسمي هذا التخصيص نسخاً، ثم اختلفوا في المخصَّص أو الناسخ: فقليل: الآية التي ارتفع لفظها وبقي حكمها، وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»<sup>(١)</sup>. وقيل: الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم.

وقال أهل الظاهر وعلي بن أبي طالب عليه السلام: يُجلد المحصن بالآية، ثم يُرجم بالسنة<sup>(٢)</sup>، فجمعوا عليه الحدَّين، ولم يجعلوا الآية منسوخة بالرجم<sup>(٣)</sup>، ولا مخصَّصة. وقال الخوارج: لا رجم أصلاً؛ فإن الرجم ليس في كتاب الله. ولا يُعتدُّ بقولهم. وظاهر الآية الجلد دون تغريب، وبذلك قال أبو حنيفة.

وقال مالك<sup>(٤)</sup> بالجلد والتغريب سنة؛ للحديث، وهو قوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام»<sup>(٥)</sup>. ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك<sup>(٦)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أثر علي أخرجه أحمد (٩٤٢)، والنسائي في الكبرى (٧١٠٢)، والحاكم (٨٠٨٧) وصححه ووافقه الذهبي، عن الشعبي عن علي ﷺ أنه جلد شراحة يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة، فقال: جلدها بكتاب الله ورجمها بسنة رسول الله ﷺ. وأخرجه البخاري (٦٨١٢) ولم يذكر فيه الجلد.

(٣) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٤) والشافعي وأحمد وجمهور أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/٢٥٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٩٠) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٦) وقال أحمد بتغريب النساء دون العبيد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/٢٥٤، ٢٦٤).

## وصفة الجلد:

عند مالك: في الظهر، والمجلود جالس. وقال الشافعي<sup>(١)</sup>: يفرق على جميع الأعضاء، والمجلود قائم. وتستر المرأة بثوب لا يقيها الضرب. ويجرد الرجل عند مالك، وقال قوم: يجلد على قميص<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قيل: يعني: في إسقاط الحد؛ أي: أقيموه ولا بد، وقيل: في تخفيف الضرب، وقيل: في الوجهين.

فعلى القول الأول: يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرح، وهو مذهب مالك والشافعي<sup>(٣)</sup>. وعلى القول الثاني والثالث: يكون الضرب في الزنا أشد.

واختلف: هل يجوز أن تجمع مئة سوط ويضرب بها ضربة واحدة؟ فمنعه مالك. وأجازه أبو حنيفة؛ لما ورد في قصة أيوب<sup>(٤)</sup>. وأجازه الشافعي<sup>(٥)</sup> للمريض؛ لورود ذلك في الحديث<sup>(٦)</sup>.

﴿وَلَيْسَ لَهُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بذلك: توبيخ الزناة، والغلظة عليهم.

واختلف في أقل ما يجرى من الطائفة؟ فقيل: أربعة؛ اعتباراً بشهادة الزنا<sup>(٧)</sup>، وهو قول

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ١٨٤).

(٢) وبه قال أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ١٨٧).

(٣) ومذهب أحمد: أن الجلد في الزنى أشد الجلد، ثم جلد القاذف. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ١٩٠).

(٤) سيأتي عند تفسير الآية رقم (٤٠) من سورة داود.

(٥) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ١٩٤).

(٦) وهو حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن سعيد بن سعد بن عبادة، قال: كان بين أبياتنا إنسان مُخَدَّجٌ [أي: ناقص الخلق] ضعيف، لم يرغ أهل الدار إلا وهو على أمة من إماء الدار يخبث بها، وكان مسلماً، فرفع شأنه سعد إلى رسول الله ﷺ فقال: «اضربوه حده» قالوا: يا رسول الله، إنه أضعف من ذلك، إن ضربناه مئة قتلناه قال: «فخذوا له عُنْكَالاً فيه مئة شِغْرَاخ، فاضربوه به ضربة واحدة، واخلوا سبيله». أخرجه أحمد (٢١٩٣٥)، والنسائي في الكبرى (٧٢٦٨)، وابن ماجه (٢٥٧٣)، والبيهقي (١٧٠٠٩). وأخرجه أبو داود (٤٤٧٢) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن بعض أصحاب النبي ﷺ. قال ابن عبد الهادي في المحرر (٥٩٨): «وإسناده جيد»، وقال ابن حجر في البلوغ (٣١٥): «وإسناده حسن».

(٧) في أ، ب: «الزناة».

ابن أبي زيد. وقيل: عشرة. وقيل: اثنان<sup>(١)</sup>، وهو مشهور مذهب مالك. وقيل: واحد<sup>(٢)</sup>.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية؛ معناها: ذمُّ الزناة، وتشنيعُ الزنا، وأنه لا يقع فيه إلا زانٍ أو مشركٌ، ولا يوافقُه عليه من النساء إلا زانية أو مشركة، و﴿يَنْكِحُ﴾ على هذا بمعنى: يجامع.

وقيل: معناها: لا يحلُّ لزاني أن يتزوج إلا زانية أو مشركة، ولا يحلُّ لزانية أن تتزوج إلا زانياً أو مشركاً، ثم تُسَخ هذا الحكم، وأُبيح لهما التزوُّج ممن شاء<sup>(٣)</sup>. والأول هو الصحيح.

﴿وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الإشارةُ بـ﴿ذَٰلِكَ﴾: إلى الزنا؛ أي: حُرِّم الزنا على المؤمنين. وقيل: الإشارة إلى تزوُّج المؤمن غير الزاني لزانية؛ فإن قوماً منعوا أن يتزوَّجها، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها، وهو بعيد. وأجاز تزوُّجها مالك وغيره، وروي عنه كراهته<sup>(٤)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ هذا حدُّ القذف، وهو الفرية التي عبَّر الله عنها هنا بالرمي.

و﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ هنا يراد به: العفائف من النساء، وخصَّهن بالذكر؛ لأن قذفهنَّ أكثر وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى؛ إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحدٌ. وقيل: إن المعنى: يرمون الأنفس المحصنات؛ فيعمُّ اللفظ - على هذا - النساء والرجال.

ويحتاج هنا إلى الكلام في القذف، والقاذف، والمقذوف، والشهادة في ذلك:

فأما القذف: فهو الرمي بالزنا؛ اتفاقاً. أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي<sup>(٥)</sup>؛ لعموم لفظ الرمي في الآية، خلافاً لأبي حنيفة. أو النفي من النسب. ومذهب مالك أن التعريض

(١) في أ، ب، ج: «اثنين».

(٢) وهو مذهب الحنابلة، أنه واحد مع الذي يقيم الحد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/٢٠٦، ٢٦).

(٣) في د: «شاؤوا».

(٤) ومذهب أحمد أنه يحرم نكاح الزانية حتى تتوب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٣٥/٢٠).

(٥) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٧٤/٢٦).

بذلك كله كال تصريح<sup>(١)</sup>، خلافاً للشافعي وأبي حنيفة<sup>(٢)</sup>.

وأما القاذف: فيُحدُّ سواءً كان مسلماً أو كافراً؛ لعموم الآية، وسواءً كان حرّاً أو عبداً. إلا أن العبد والأمة إنما يحدّان<sup>(٣)</sup> أربعين عند الجمهور، فنصّفا حدّهما؛ قياساً على تنصيفه في الزنا، خلافاً للظاهرية. ولا يحدُّ الصبي ولا المجنون؛ لكونهما غير مكلّفين.

وأما المقدوف: فمذهب مالك<sup>(٤)</sup>: أنه يشترط فيه: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عما رُمي به، والتمكّن من الوطء؛ تحرّراً من المجبوب وشبهه، فلا يحدُّ عنده من قذف صبيّاً أو كافراً أو مجنوناً أو عبداً أو من لا يمكنه الوطء. وقد قيل: يحدُّ من قذف واحداً منهم؛ لعموم الآية. واتّفق على اشتراط البراءة مما رُمي به.

وأما الشهادة التي تُسقط حدّ القذف: فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقدوف عبداً أو كافراً<sup>(٥)</sup>، أو يشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قُذف به كالمروء في المُكحلة، ويؤدّون الشهادة مجتمعين.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ تقدّم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام؛ وهي الحدّ، وردّ شهادة القاذف، وتفسيره.

فاتّفق على أن الاستثناء راجع إلى التّفسيق، وأن ذلك يزول عنه بالتوبة. واتّفق على أنه لا يرجع إلى الحدّ، وأنه لا يسقط عنه بالتوبة.

واختلف هل يرجع إلى ردّ الشهادة أم لا؟ فقال مالك<sup>(٦)</sup>: إذا تاب قيلت شهادته، خلافاً لأبي حنيفة. وتوبته: هو صلاح حاله في دينه، وقيل: إكذاب نفسه.

(١) وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وهي المذهب عند الأصحاب.

(٢) في الرواية الأخرى، وهو ظاهر كلام الخرقى، واختيار غلام الخلال. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٨٩/٢٦).

(٣) في ب: «يجلد».

(٤) وهو مذهب أحمد، إلا أن عنده في اشتراط البلوغ روايتين، والمذهب عند الأصحاب أنه لا يشترط. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٥١/٢٦).

(٥) في ب، ج، د: «عبداً أو كافراً».

(٦) والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٩٠/٢٩).

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ هذه الآية في قذف الرجل لامرأته؛ فيجب اللعان بذلك. وسببها: أن رجلاً قال يا رسول الله: الرجل يجد مع امرأته رجلاً؛ أيقضه فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فسكت عنه نبي الله ﷺ، ثم عاد فقال مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل فيك وفي صاحبك، فأتيني<sup>(١)</sup> بها» فتلاعنا، وفرق رسول الله ﷺ بينهما<sup>(٢)</sup>.

وموجب اللعان عند مالك شيان: أحدهما: أن يدعي الزوج أنه رأى امرأته تزني. والآخر: أن ينفي حملها ويدعي الاستبراء قبله<sup>(٣)</sup>.

فإذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام:

[١] نفي حد القذف عنه.

[٢] وانتفاء نسب الولد منه.

[٣] ووجوب حد الزنا عليها إن لم تلاعن، فإن تلاعن سقط الحد عنها.

ولفظ الآية عام في الزوجات؛ الحرائر والمماليك، والمسلمات والكافرات، والعدول وغيرهم، وبذلك أخذ مالك<sup>(٤)</sup>. واشترط مالك في الزوج: الإسلام. واشترط أبو حنيفة: أن يكونا مسلمين حريين عدلين<sup>(٥)</sup>.

﴿بَشَّهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: يقول الزوج أربع مرات: «أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني»، أو «أشهد بالله ما هذا الحمل مني، ولقد زنت، وإني في ذلك لمن الصادقين»، ثم يقول في الخامسة: «لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين». وزاد أشهب: أن يقول: «أشهد بالله الذي لا إله إلا هو».

(١) في أ، ب، هـ: «فأتيني».

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٠٨)، مسلم (١٤٩٢) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) وموجب اللعان عند أحمد وغيره: أن يقذف امرأته بالزنى. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤٠٧/٢٣).

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٩٢/٢٣).

(٥) وهو رواية عن أحمد، اختارها الخرقى. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٩٣/٢٣).

وانتصب: ﴿أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ﴾ على المصدرية، والعامل فيه: ﴿شَهَدَةُ أَحَدِهِمْ﴾. وقرئ بالرفع<sup>(١)</sup>، وهو خبر ﴿شَهَدَةُ أَحَدِهِمْ﴾.

وقوله: ﴿بِاللَّهِ﴾ و﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ من صلة ﴿أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ﴾، أو من صلة<sup>(٢)</sup> ﴿شَهَدَةُ أَحَدِهِمْ﴾.

﴿وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعَنْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قرئ بنصب ﴿الْخَمِيسَةَ﴾ هنا وفي الموضع الثاني<sup>(٣)</sup>، وانتصب: بفعل مضمّر تقديره: ويشهد الشهادة<sup>(٤)</sup> الخامسة، أو بالعطف على ﴿أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ﴾ على قراءة النصب. وقرئ بالرفع: على الابتداء، أو عطف على ﴿أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ﴾ بقراءة الرفع.

وقرئ ﴿أَنْ لَعَنْتُ﴾، و﴿أَنْ غَضِبَ﴾: بتشديد ﴿أَنْ﴾، ونصب اسمها<sup>(٥)</sup>. وتخفيفها، ورفع اللعنة والغضب على الابتداء<sup>(٦)</sup>.

﴿وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ العذاب هنا: حدُّ الزنا؛ أي: يدفعه التّعان المرأة، وهو<sup>(٧)</sup> أن تقول أربع مرات: «أشهد بالله ما زنيت، وإنه في ذلك لمن الكاذبين»، ثم تقول في الخامسة: «غضب الله عليها إن كان من الصادقين». ويتعلّق بالتّعانها ثلاثة أحكام:

[١] دفع الحد عنها.

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم برفع العين، وقرأ الباقر بن النصب.

(٢) في ج: «لا من صلة».

(٣) اتفق القراء السبعة على قراءة ﴿الْخَامِيسَةَ﴾ بالرفع في الموضع الأول، وقرئ في الشاذ بالنصب هنا، قرأ بها طلحة بن مصرف وأبو عبد الرحمن والحسن والأعمش، وأما في الموضع الثاني فروى حفص ﴿وَالْخَامِيسَةَ﴾ بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع. المحرر الوجيز (٦/٣٤٥).

(٤) سقطت هذه الكلمة من أ، ب.

(٥) وهي قراءة السبعة سوى نافع.

(٦) وهي قراءة نافع، إلا أنه قرأ ﴿غَضِبَ اللَّهُ﴾ بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الجلالة بعد، وقرأ يعقوب من العشرة ﴿أَنْ غَضِبَ اللَّهُ﴾ بفتح الضاد ورفع الباء وخفض الهاء.

(٧) في أ، ب، هـ: «وهي».





[٢] والتفريق بينها وبين زوجها.

[٣] وتأبيد التحريم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ جواب «لولا» محذوف هنا وفي الموضع الآخر، تقديره: «لولا فضل الله عليكم لَوَاخِذُكُمْ<sup>(١)</sup>»، أو نحو هذا.



(١) كذا رُسمت في النسخ المخطوطة بالواو، قال في «المصباح المنير» في مادة (أخ ذ): «أخذه بذنبه: عاقبه عليه، وأخذه بالمد مواخذةً كذلك، والأمر منه آخِذٌ بحدِّ الهمزة، وتبدل واوًا في لغة اليمن فيقال: وأخذه مواخذةً، وقرأ بعض السبعة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ بالواو على هذه اللغة».

\* إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَبِيرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ  
 أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ لَوْلَا إِذْ  
 سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ لَوْلَا جَاءُوا  
 عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ  
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ إِذْ  
 تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ  
 اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ  
 عَظِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
 الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
 وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٤﴾

﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ الإفك: أشد الكذب.

ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ست عشرة آية في شأن عائشة ؓ وبراءتها مما  
 رماها به أهل الإفك، وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة:

[١] برأ يوسف ؑ بشهادة الشاهد من أهلها.

[٢] وبرأ موسى ؑ من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه.

[٣] وبرأ مريم ؑ بكلام ولدها في حجرها.

[٤] وبرأ عائشة ؓ من الإفك بإنزال <sup>(١)</sup> القرآن في شأنها.

ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية العظمى في الاعتناء بها، والكرامة لها، والتشديد على  
 من قذفها.

(١) في أ، ب: «فأنزل».

وقد خرج حديث الإفك البخاري ومسلم وغيرهما<sup>(١)</sup>، واختصاره: أن عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فضاع لها عقد، فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل رضي الله عنه، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ما بال رجال رموا أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً»، وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما أعلم عليها إلا ما يعلمه الصائغ على تبر الذهب الأحمر.

والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولم يُذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة، وهم: عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، وحمنة بنت جحش، ومسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وقيل: إن حسان لم يكن منهم.

وارتفاع ﴿عُصْبَةٍ﴾ لأنه خبر ﴿إِنَّ﴾. واختار ابن عطية أن يكون ﴿عُصْبَةٍ﴾ بدلاً من الضمير في ﴿جَاءُوا﴾، ويكون الخبر: ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾؛ على تقدير: إن حديث الذين جاؤوا بالإفك<sup>(٢)</sup>. والأول أظهر.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للمسلمين، والخير في ذلك من خمسة أوجه:

[١] تبرئة أم المؤمنين رضي الله عنها.

[٢] وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها.

[٣] والأجر الجزيل لها في الفرية<sup>(٣)</sup> عليها.

[٤] وموعظة المؤمنين.

[٥] والانتقام من المفترين.

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣٥٣/٦).

(٣) في ب: «بالفرية».

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، وقيل: الذي بدأ بهذه الفرية، وهو غير معين. والعذاب العظيم هنا: يحتمل أن يراد به: الحد، أو عذاب الآخرة.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا: عَرَضٌ، والمعنى: أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم؛ فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة رضي الله عنها أبعد؛ لفضلها.

وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري، فقال لزوجته: أكنت أنت تفعلين ذلك؟ قالت: لا والله! قال: فعائشة أفضل منك، قالت: نعم<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: لم قال: ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾ بلفظ الخطاب، ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ولم يقل: «ظننتم»؟ فالجواب: أن ذلك التفتت، قصد به المبالغة، والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرًا<sup>(٢)</sup>.

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا عَرَضٌ، والضمير في ﴿جَاءُوا﴾ لأهل الإفك، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء.

﴿أَبْضُتُمْ بِهِ﴾ يقال: أفاض في الحديث وخاض فيه: إذا أكثر الكلام فيه.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿مَسَّكُمْ﴾ أو ﴿أَبْضُتُمْ﴾. ومعنى ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾: يأخذه بعضكم من بعض.

وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتابٌ لهم على خوضهم في حديث الإفك، وإن كانوا لم يصدقوه؛ فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره وتركه له بالكلية، فعاتبهم على ثلاثة أشياء، وهي: تلقّيه بالأسنة؛ أي: السؤال عنه وأخذه من المسؤول. والثاني: قولهم ذلك. والثالث: أنهم حسبوه هيئًا وهو عند الله عظيم.

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢١٢) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٤٦) عن محمد بن إسحاق بن يسار، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار. وأخرجه الواقدي - كما في تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧) - عن أفلح مولى أبي أيوب.

(٢) انظر: الكشف (١١/ ٣٤).

وفائدة قوله: ﴿يَأْسِئْتِكُمْ﴾ و﴿يَأْفَوَاهِكُمْ﴾: الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب؛ إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ فَلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ أي: كان الواجب أن تبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعكم<sup>(١)</sup> له.

و﴿لَوْلَا﴾ أيضًا في هذه الآية عَرْضٌ، وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما، ولكنه فصل بينهما بقوله: ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾؛ لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف: الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار ذلك الكلام في أول وقت سماعه<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ﴿مَا يَكُونُ لَنَا﴾: ما ينبغي لنا ولا يحلُّ لنا أن نتكلم بهذا.

﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهٌ لله عن أن تكون زوجة رسوله ﷺ على ما قال أهل الإفك. وقال الزمخشري: هو بمعنى التعجب من عظم الأمر، والاستبعاد له، والأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجائب<sup>(٣)</sup>.

﴿بُهْتَلٌ عَظِيمٌ﴾ البهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة: أن يقال ما فيه.

﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾ تقديره: يعظكم كراهة أن تعودوا، ثم عظم الأمر وأكده بقوله: ﴿إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك، ثم هو عامٌ في غيرهم ممن اتصف بصفاتهم. والعذاب في الدنيا الحد.

وأما عذاب الآخرة؛ فقد ورد في الحديث أن من عوقب في الدنيا على ذنب لم يعذب<sup>(٤)</sup>

(١) في أ، ب: «أن يبادروا.. سماعهم».

(٢) في ج: «سمعتهم».

(٣) انظر: الكشاف (٤١/١١).

(٤) في د: «يعاقب».

عليه في الآخرة<sup>(١)</sup>، فأشكل اجتماع الحدِّ مع عذاب الآخرة في هذا الموضع، فيحتمل: أن يكون القاذف يعذب في الآخرة، ولا يسقط الحدُّ عنه عذاب الآخرة، بخلاف سائر الحدود. أو يكون هذا مختصاً بمن قذف عائشة رضي الله عنها؛ فإنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة<sup>(٢)</sup>. أو يكون<sup>(٣)</sup> لمن مات مصيراً غير تائب. أو يكون للمنافقين.



(١) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٨/١٧)، والثعلبي في تفسيره (١١٤-١١٥/١٩)، والطبراني في الكبير (٢٣/١٥٣)، وفي إسناده راوٍ لم يسم. مجمع الزوائد للهيتمي (٧/١٨٦).

(٣) في أ، ب: «تكون».

\*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْ أَنَّهُ بَظُلِّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَ مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ وَلَا يَأْتِلِ الثَّوَلُ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُوتُوا أَثُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيُغْفِرُوا وَلْيُصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمَخَضَنَاتِ الْعَقِيلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٥﴾ الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦﴾

﴿١﴾ «خُطُوتِ الشَّيْطَانِ» ذِكْرٌ فِي «البقرة» (١).

﴿٢﴾ «بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ» ذِكْرٌ فِي «النحل» (٢).

﴿٣﴾ «زَكَايَ» أَي: تَطَهَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَصَلَحَ دِينُهُ (٣).

﴿٤﴾ «وَلَا يَأْتِلِ الثَّوَلُ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُوتُوا أَثُولِي الْقُرْبَىٰ» مَعْنَى «يَأْتِلِ»: يَحْلِفُ؛ فَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ: أَلَيْتُ: إِذَا حَلَفْتَ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: يُقْصَرُ؛ فَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ: أَلَوْتُ أَي: قَصَرْتُ؛ وَمِنْهُ: «لَا يَأْلُوَكُمْ خَبَالًا» [آل عمران: ١١٨]. وَالْفَضْلُ هُنَا: يَحْتَمِلُ أَن يُرِيدَ بِهِ: الْفَضْلُ فِي الدِّينِ، أَوْ الْفَضْلُ فِي الْمَالِ؛ وَهُوَ أَن يُفْضَلَ لَهُ عَنْ مَقْدَارِ مَا يَكْفِيهِ. وَالسَّعَةُ: هِيَ اتِّسَاعُ الْمَالِ. وَنَزَلَتِ الْآيَةُ بِسَبَبِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ (رضي الله عنه) حَلَفَ أَن لَا يُنْفِقَ عَلَى مِسْطَحٍ، لَمَّا تَكَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَيْهِ لِمَسْكَنَتِهِ، وَلَأنَّهُ قَرِيبُهُ، وَكَانَ ابْنُ بَنْتِ خَالَتِهِ (٤)،

(١) انظر تفسير الآية (١٦٧).

(٢) انظر تفسير الآية (٩٠).

(٣) فِي د: «حَالَهُ».

(٤) فِي أ، ب، ج: «ابْنِ خَالَتِهِ»، وَالْمَثْبُوتُ هُوَ الصَّوَابُ كَمَا فِي الْإِصَابَةِ لِابْنِ حَجَرٍ (١٣٩/١٠).

فلما نزلت الآية رَجَعَ إلى مسطح النفقة والإحسان، وكَفَّرَ عن يمينه<sup>(١)</sup>. قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن<sup>(٢)</sup>؛ لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف. ثم إن لفظ الآية على عمومها في أن لا يحلف أحدٌ على ترك عمل صالح.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: كما تحبون أن يغفر الله لكم؛ كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم. ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه: «إني لأحبُّ أن يغفر الله لي»، ثم ردَّ النفقة إلى مسطح<sup>(٣)</sup>.

﴿الْمُخَصَّنَاتِ الْغَفِيلَاتِ﴾ معنى «الْمُخَصَّنَاتِ» هنا: العفائف ذوات الصَّوْن. ومعنى «الْغَفِيلَاتِ»: السَّليَمَات الصدور؛ فهو من الغفلة عن الشرِّ.

﴿لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ هذا الوعيد للقاذفين لعائشة رضي الله عنها، ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ابن عباس رضي الله عنه: كلُّ مَذنب تقبل توبته إذا تاب إلَّا من خاض في حديث عائشة<sup>(٤)</sup>. وقيل: الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يحتمل أن يراد به: الحدُّ أو عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ الْعَامِلُ فِيهِ: «يُوقِيهِمْ»، وَكَرَّرَ «يَوْمِيذٍ» تَأْكِيدًا. وقيل: العامل فيه «عَذَابٌ»، أو فعل مضمر.

﴿دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي: جزاءهم الواجب لهم.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ هذه الآية تدلُّ على أن ما قبلها في المنافقين؛ لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين. ومعنى «الْمُبِينُ»: الظاهر الذي لا شك فيه.

﴿الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية؛ معناها: أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال؛ ففي ذلك ردُّ على أهل الإفك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو

(١) في ضمن حديث الإفك وتقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في ضمن حديث الإفك (٢٧٧٠) عن عبد الله بن المبارك.

(٣) في ضمن حديث الإفك وتقدم تخريجه.

(٤) في ب، ج، د، هـ: «فقال».

(٥) تقدم تخريجه قريبًا.



أطيب الطيبين؛ فزوجته<sup>(١)</sup> أطيب الطيبات. وقيل: <sup>(٢)</sup> المعنى: أن الخبيثات <sup>(٣)</sup> من الأعمال للخبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس؛ ففيه أيضًا ردٌّ على أهل الإفك؛ لأن عائشة عليها السلام لا يليق بها إلا الطيبات من الأعمال، بخلاف ما قاله أهل الإفك. وقيل: المعنى: أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك؛ أي: أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم.

﴿وَأُولَئِكَ مَبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ الإشارة بـ ﴿وَأُولَئِكَ﴾ إلى الطيبين والطيبات، والضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ للخبيثات والخبيثين، والمراد: تبرئة عائشة عليها السلام مما رميت به.



(١) في أ، ب، هـ: «وزوجته».

(٢) في أ، ب، هـ زيادة: «إن».

(٣) في ب: «الخباثات».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَعَلَىٰ أَهْلِهَا  
 ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ  
 لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فارجعوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ  
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا  
 تَكْتُمُونَ ﴿٥٨﴾ \* قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ  
 اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥٩﴾ وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا  
 يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا  
 لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ  
 أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَئِكَ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ  
 الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ  
 زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنكِحُوا الْأَيَّامِيَّ مِنْكُمْ  
 وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ  
 عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلِيَسْتَعْفِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ  
 الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي  
 ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا بُتَيْتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصِنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
 وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ  
 مُّبِينَاتٍ وَمَقَالًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٣﴾

﴿٦٧﴾ ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَعَلَى أَهْلِهَا﴾ هذه الآية أمرٌ  
 بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعمُّ بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث  
 الأمر بالاستئذان على الأمِّ؛ خيفة أن يراها عريانة<sup>(١)</sup>. ومعنى «تَسْتَأْذِنُوا»: تستأذنوا، وهو

(١) عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ سأل رجل، فقال: يا رسول الله، استأذن على أمي؟ فقال: نعم،  
 قال الرجل: إني معها في البيت، فقال رسول الله ﷺ: «استأذن عليها»، فقال الرجل: إني خادمها، فقال  
 له رسول الله ﷺ: «استأذن عليها، أحب أن تراها عريانة؟» قال: لا، قال: «فاستأذن عليها».

مأخوذ من قولك: أنست الشيء: إذا علمته؛ فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟

وقيل: هو مأخوذ من الأئس ضد الوخشة.

وقرأ ابن عباس: «حتى تستأذنوا»<sup>(١)</sup>.

والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهي إلى الوجوب.

واختلف أيهما يقدم؟

ف قيل: يقدم السلام، ثم يستأذن؛ فيقول: «السلام عليكم»، ثم يقول: «أدخل؟».

وقيل: يقدم الاستئذان؛ لتقديمه في الآية.

وليس في الآية عدد الاستئذان، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات<sup>(٢)</sup>، وهو تفسير للآية.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾ سبب هذه الآية: أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم؛ فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون، فأباححت هذه الآية دخولها بغير استئذان<sup>(٣)</sup>. واختلف في البيوت غير المسكونة المذكورة في هذه الآية:

فقيل: هي الفنادق التي في الطرق، ولا يسكنها أحد، بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل، والمتاع على هذا: التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك.

وقيل: هي الخرب التي تدخل للبول والغائط، والمتاع على هذا: حاجة الإنسان.

= أخرجه مالك في الموطأ (٢٧٢٠)، والطبري (١٧ / ٢٤٤). وهو مرسل، قال ابن عبد البر في التمهيد (١٦ / ٢٢٩): «وهو مرسل صحيح، مجتمع على صحة معناه».

(١) أخرجه الطبري (١٧ / ٢٣٩)، والحاكم (٣٤٩٦) وصححه ووافقه الذهبي، وصحح ابن حجر في الفتح (٨ / ١١) إسناده الطبري. وقال ابن كثير في تفسيره (٦ / ٣٨): «وهذا غريب جدا عن ابن عباس».

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦ / ٣٧١)، ولم أقف عليه مسنداً.

وقيل: هي حوانيت القيسارية<sup>(١)</sup>، والمتاع على هذا: الثياب والبسط وشبهها. وهذا القول خطأ؛ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إعرابها كإعراب ﴿يُفِينُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] في «إبراهيم»، وقد ذكر. و﴿مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ للتبعض. والمراد: غَضُّ البصر عما يحرم، والاقْتِصَارُ به على ما يحل. وقيل: معنى التبعض فيه: أن النظرة الأولى لا حرج فيها، ويُمْنَعُ ما بعدها. وأجاز الأخفش أن تكون ﴿مِنْ﴾ زائدة. وقيل: هي لابتداء الغاية؛ لأن البصر مفتاح القلب.

والغَضُّ المأمور به: هو عن النظر إلى العورات، أو إلى ما لا يحل من النساء، أو إلى كتاب الغير وشبه ذلك مما يُسْتَر. وحفظ الفروج المأمور به: هو عن الزنا، وقيل: أراد ستر العورة، والأظهر أن الجميع مراد.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعاً. واختلف هل يجب عليها غَضُّ بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا؟ وعن سائر جسد المرأة أم لا؟ فعلى القول بذلك: تشتمل الآية عليه. والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ نهي عن إظهار الزينة بالجملة، ثم استثنى الظاهر منها، وهو ما لا بد من النظر إليه عند حركتها، أو إصلاح شأنها، وشبه ذلك. فقيل: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: الثياب؛ فعلى هذا: يجب ستر جميع جسدتها. (وقيل: الثياب والوجه)<sup>(٢)</sup>. وقيل: الثياب والوجه والكفان، وهو مذهب مالك؛ لأنه أباح كشف وجهها وكفها في الصلاة<sup>(٣)</sup>. وزاد أبو حنيفة: القدمين.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ الجيوب: هي التي يقول لها العامة: أطواق.

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية (٤٣٥/٨): «قيسارية... ميدان عام يقام فيه سوق، أو هي بالأحرى: بناية مربعة في شكل رواق الدير، فيها حجرات ومخازن وحوانيت للتجارة».

(٢) سقط من أ، ج، د. ومثبت في ب، هـ، وهو قول في تفسير الآية كما في المحرر الوجيز (٣٧٤/٦).

(٣) وهو مذهب الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠٦/٣).

وسببها: أن النساء كنَّ في ذلك الزمان يلبسن ثياباً واسعة<sup>(١)</sup> الجيوب يظهر منها صدورهنَّ، وكنَّ إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة سدَّنَّها من وراء الظهر، فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا ستر عليها، فأمرهنَّ الله بَلْيِ الأخمرة على الجيوب؛ ليستر جميع ذلك. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ الآية؛ المراد بالزينة هنا: الباطنة، فلما ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذي المحرم من الزينة الظاهرة؛ ذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج وذو المحارم<sup>(٢)</sup> من الزينة الباطنة. وبدأ بالبُعولة - وهم الأزواج -؛ لأن إطلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم ثنى بذوي المحارم، وسوى بينهم في إبداء الزينة، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب.

والمراد بالآباء: كل من له ولادة من والدٍ وجدٍّ، وبالأبناء: كل من عليه ولادة من ولدٍ وولدٍ ولد. ولم يذكر في هذه الآية من ذوي المحارم: العمَّ والخال: ومذهب جمهور العلماء: جواز رؤيتهما للمرأة؛ لأنهما من ذوي المحارم. وكره ذلك قوم. وقال الشعبي<sup>(٣)</sup>: إنما لم يذكر العمَّ والخال؛ لثلاثي صفا زينة المرأة لأولادهما. ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ يعني<sup>(٤)</sup>: جميع المؤمنات؛ فكأنه قال: أو صنفهن، ويخرج عن ذلك: نساء الكفار.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يدخل في ذلك: الإماء المسلمات والكتاتيات. وأما العبيد: ففيهم ثلاثة أقوال: منع رؤيتهم لسيدتهم، وهو قول الشافعي. والجواز<sup>(٥)</sup>، وهو قول ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما<sup>(٦)</sup>. والجواز بشرط أن يكون العبد وغداً<sup>(٧)</sup>، وهو مذهب مالك،

(١) في ج: «واسعات».

(٢) في هـ: «المحرم».

(٣) في أ، ج: «الشافعي» وهو خطأ، الصواب أنه الشعبي، كما في تفسير الطبري (١٧٣/١٩).

(٤) في ب: «يدخل».

(٥) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٨/٢٠).

(٦) أثر ابن عباس رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٥٥٧)، وأثر عائشة رضي الله عنها أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٩٤٧)، والبيهقي (١٣٥٤٦).

(٧) المراد بالوغد: القبيح المنظر (شرح مختصر خليل للخرشي (٢٢١/٣))، وفي المدونة (٥٢/٤) سأل ابن القاسم الإمام مالكا عن الوغد فقال: «الذي لا منظر له ولا خطب فذلك الوغد».

وإنما أخذ جوازه من قوله: ﴿أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ﴾. واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبية أم لا؟ على قولين.

﴿أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ شرط في رؤية غير ذوي المحارم شرطين:

أحدهما: أن يكونوا<sup>(١)</sup> تابعين، ومعناه: أن يتبع لشيء يُعطاه كالوكيل والمتصرف، ولذلك قال بعضهم: هو الذي يتبعك وهمته بطئه. والآخر: أن لا يكون لهم إربة في النساء، كالخصي والمخنث والشيخ الهرم والأحمق. فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين، وقيل: بأحدهما. ومعنى ﴿الْأَرْبَةِ﴾: الحاجة إلى الوطء.

﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ أراد بـ ﴿الطِّفْلِ﴾: الجنس، ولذلك وصفه بالجمع، ويقال: طفل: ما لم يراهق الحُلُم. و ﴿يَظْهَرُوا﴾ معناه: يطلعون بالوطء على عورات النساء، فمعناه: الذين لم يوطؤوا النساء. وقيل: الذي لا يدرون ما عورات النساء. وهذا أحسن.

﴿وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلَيْهِمَا لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِيَنَّ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ روي أن امرأة كان لها خلخالان، فكانت تضرب بهما؛ فيسمعهما الرجال، فنهى الله عز وجل عن ذلك. قال الزجاج: إسماع صوت الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها<sup>(٢)</sup>.

﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيَّةَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة واجبة على كل مكلف؛ بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة. وفرائضها ثلاثة:

[١] الندم على الذنب؛ من حيث عُصِي به ذو الجلال<sup>(٣)</sup>، لا من حيث أضرَّ ببدن أو مال.

[٢] والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان، من غير تأخير ولا توانٍ.

[٣] والعزم أن لا يعود إليها أبداً، ومهما قُضي عليه بالعود أحدث عزمًا مجددًا.

(١) في أ: «يكونا»!

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٤٠).

(٣) في ب، د: «عصى به ذا الجلال».

وآدابها ثلاثة:

- [١] الاعتراف بالذنب مقرونًا بالانكسار.
  - [٢] والإكثار من التضرُّع والاستغفار.
  - [٣] والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدَّم من السيئات.
- ومراتبها سبع:

- [١] فتوبة الكفار: من الكفر.
  - [٢] وتوبة المخلّطين<sup>(١)</sup>: من الذنوب الكبائر<sup>(٢)</sup>.
  - [٣] وتوبة العدول: من الصغائر.
  - [٤] وتوبة العابدين: من الفترات.
  - [٥] وتوبة السالكين: من عِلل القلوب والآفات.
  - [٦] وتوبة أهل الورع: من الشبهات.
  - [٧] وتوبة أهل المشاهدة: من الغفلات.
- والبواعث على التوبة سبعة:
- [١] خوف العقاب.
  - [٢] ورجاء الثواب.
  - [٣] والخجل من الحساب.
  - [٤] ومحبة الحبيب.
  - [٥] ومراقبة الرقيب القريب.
  - [٦] وتعظيم المقام.
  - [٧] وشكر الإنعام.

(١) في ج، د: «المخلصين».

(٢) في أ، ب: «الكبار».

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ الأيامي: جمع أيم، ومعناه: الذين لا أزواج لهم رجالاً كانوا أو نساء، أبقاراً أو ثيبات. والخطاب هنا: للأولياء والحكام؛ أمرهم الله بتزويج الأيامي، فاقضى ذلك النهي عن عضلهم من التزويج. وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح، واشتراط الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي<sup>(١)</sup>، خلافاً لأبي حنيفة.

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يعني: الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإنائهم. وقال الزمخشري: «الصَّالِحِينَ» بمعنى: الصلاح في الدين، قال: وإنما خصهم الله بالذكر؛ ليحفظ عليهم صلاحهم<sup>(٢)</sup>. والمخاطبون هنا ساداتهم<sup>(٣)</sup>. ومذهب الشافعي<sup>(٤)</sup>: أن السيد يُجبر على تزويج عبيده؛ لهذه الآية، خلافاً لمالك. ومذهب مالك: أن السيد يُجبر عبده وأمته على النكاح، خلافاً للشافعي<sup>(٥)</sup>.

﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وعد الله بالغنَى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: التمسوا الغنى في النكاح<sup>(٦)</sup>.

﴿وَلَيْسَتْغِيهِمُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أمر بالاستعفاف، وهو الاجتهاد في طلب العفة عن الحرام لمن لا يقدر على التزوج. فقوله: «لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً» معناه: لا يجدون استطاعة على التزوج بأي وجه تعذر التزوج. وقيل: معناه: لا يجدون صداقاً للنكاح. والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله: «حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ».

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/١٥٥).

(٢) انظر: الكشف (١١/٧٣-٧٥).

(٣) في ج، د، هـ: «سادتهم».

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/٤٣٧).

(٥) ومذهب أحمد: له أن يجبر إملاء الصغار والكبار، وعبيده الصغار دون الكبار. المقنع مع الشرح الكبير

والإنصاف (٢٠/١٣٠-١٣٣).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/٢٧٥).



﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يَكَاتِبُوهُمْ﴾ «الكتب» هنا: مصدر بمعنى الكتابة، وهي مقاطعة العبد على مال مُنَجَّم، فإذا أدّاه خرج حراً، وإن عجز بقي رقيقاً. وقيل: إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى، سأل<sup>(١)</sup> مولاه أن يكتبه فأبى عليه<sup>(٢)</sup>. وحكمها مع ذلك عام؛ فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على النذب عند مالك<sup>(٣)</sup> والجمهور.

وقال الظاهرية وغيرهم: هو على الوجوب، وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنس بن مالك رضي الله عنه حين سأله مملوكه سيرين الكتابة، فتلكأ أنس، فقال له عمر: لتكاتبنه أو لأوجعنك بالدرة<sup>(٤)</sup>. وإنما حمّله مالك على النذب؛ لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها.

واختلف هل يُجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب. ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ الخير هنا: القوة على الأداء بأي وجه كان، وقيل: هو المال الذي يؤدّي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس، وقيل: هو الصّلاح في الدين. ﴿وَعَاثَوْهُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ هذا أمرٌ بإعانة المكاتب على كتابته، واختلف فيمن المخاطب بذلك؟ فقيل: هو خطاب للناس أجمعين، وقيل: للولاة، والأمر على هذين القولين: للنذب.

وقيل: هو خطاب لسادات المكاتبين، وهو على هذا القول: نذبٌ عند مالك، ووجوبٌ عند الشافعي<sup>(٥)</sup>.

(١) كذا وردت الكلمة في جميع النسخ الخطية والصواب: «سأله مولاه»، وحويطب من سادات قريش وليس من العبيد، ومولاه الذي سأل الكتابة اسمه صبيح. انظر: الإصابة لابن حجر (٢/٦٥٦، ٥/٢١٨).

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦/٣٨١) عن النقاش.

(٣) وأحمد في إحدى الروايتين، وهي ظاهر المذهب، وفي الرواية الأخرى: أنه على الوجوب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩/١٩١).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/٢٧٦). قال ابن كثير في تفسيره (٦/٥٣): «إسناده صحيح».

(٥) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩/٣٥٠).

فإن كان الأمر للناس: فالمعنى: أن يعطوهم صدقات<sup>(١)</sup> من أموالهم.

وإن كان للولادة: فيعطوهم من الزكوات<sup>(٢)</sup>.

وإن كان للسادات<sup>(٣)</sup>: فيحطوا عنهم من كتابتهم، وقيل: يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة.

وعلى القول بالخط من الكتابة؛ اختلف في مقدار ما يحط؟

فقيل: الربع<sup>(٤)</sup>، وروي ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

وقيل: الثلث.

وقال مالك والشافعي: لا حد في ذلك، بل أقل ما ينطلق عليه<sup>(٦)</sup> شيء، إلا أن الشافعي يجبره على ذلك، ولا يجبره مالك.

وزمان الخط عنه: في آخر الكتابة عند مالك<sup>(٧)</sup>، وقيل: في أول نجم.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا بُتَيْتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ معنى «الْبِغَاءِ»: الزنا، نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك. وسبب الآية: أن عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كان له جاريتان، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة، ويضربهما على ذلك، فشكتا ذلك إلى

(١) في د، هـ: «صدقة».

(٢) في أ، د: «الزكاة».

(٣) في أ، ب: «للسادة».

(٤) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٥٢/١٩).

(٥) عن أبي عبد الرحمن السلمي - واسمه: عبد الله بن حبيب - عن علي بن أبي طالب ؓ، عن رسول الله ﷺ قال: «وأتوهم من مال الله الذي آتاكم» قال: «ربع الكتابة». أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٨٦/٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٨٩)، ومن طريق عبد الرزاق النسائي في الكبرى (٥٠١٧)، والحاكم (٣٥٠١)، والبيهقي (٢١٦٦٧). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.. وقد أوقفه أبو عبد الرحمن علي بن علي في رواية أخرى»، ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير في تفسيره (٥٤/٦): «وهذا حديث غريب، ورفعته منكر، والأشبه أنه موقوف على علي ؓ»، وصوب وقفه أيضا النسائي والبيهقي وغيرهم. البدر المنير (٧٤٩/٩).

(٦) في دزيادة: «اسم».

(٧) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٥٤/١٩).

النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله<sup>(١)</sup>.

﴿إِنْ أَرَدَنْ تَحْصَنًا﴾ هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا؛ إذ لا يتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن، وهو التعفف. وقيل: هو راجع إلى قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى﴾. وذلك بعيد.

﴿لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: ما تكسبه الأمة بفرجها، وما تلده من الزنا. ويتعلق ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ بقوله: ﴿لَا تُكْرِهُوا﴾.

﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المعنى: غفور لهنّ رحيم بهن، لا يؤاخذهنّ بالزنا؛ لأنهنّ أكرهن عليه. ويحتمل أن يكون المعنى: غفور رحيم للسيد الذي يكرههن إذا تاب من ذلك.

﴿ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ بفتح الياء<sup>(٢)</sup>: أي بينها الله، وبالكسر: مبيّنات للأحكام والحلال والحرام.

﴿وَمَثَلًا﴾ يعني: ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا؛ لأنه كان حراماً في كل ملة، أو في براءة عائشة ؓ، كما برأ يوسف ومريم ؑ.



(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٩) من حديث جابر ؓ.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة عن عاصم بفتح الياء، وقرأ الباقون بكسرها.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْفِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٥٦﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِفَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ بَوَاقِيَهُ حِسَابَةً وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٨﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ بَوْفَةٍ مَوْجٌ مِنْ بَوْفَةٍ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا قَمًا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقةً: على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازاً: على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثل شيء؛ فتأويل الآية: الله ذو نور السماوات والأرض. أو وصف نفسه بأنه نور، كما تقول: زيدٌ كرمٌ: إذا أردت المبالغة في أنه كريم.

فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار: فمعنى ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم. أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به، كما تظهر الأشياء بالضوء.

ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب عليه السلام: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو<sup>(١)</sup>؛ أي: جعل فيهما النور.

(١) ذكرها الثعلبي في تفسيره (٢٤١/١٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨٢/١٦) ولم أقف عليها مسندة.

وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب: فمعنى «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»: جاعل النور في قلوب أهل السماوات والأرض، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه<sup>(١)</sup>: معناه: هادي أهل السماوات والأرض<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩٥) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٣) من طريق علي بن أبي طلحة عنه رضي الله عنه.  
(٢) [التعليق ٧٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف رضي الله عنه: «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»: «النور»: يُطْلَقُ حقيقةً: على الضوء الذي يُدْرَكُ بالابصار، ومجازاً: على المعاني التي تُدْرَكُ بالقلوب... إلخ: أقول: النور نوعان: مخلوق، وغير مخلوق هو صفة الله تعالى؛ قال ابن القيم رحمته الله:

وَالنُّورُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْلُوقٌ وَوَضُ — فَمَا هُمَا وَاللهُ مُتَّحِدَانِ  
وَكَذَلِكَ الْمَخْلُوقُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْ — سُوسٌ وَمَعْقُولٌ هُمَا شَيْئَانِ

وعلى ذلك: فما ذكره المؤلف من أن النور نوعان: حسي ومعنوي؛ هو صحيح ومعلوم؛ وهما نوعا النور المخلوق؛ كما سبق في كلام ابن القيم، وهذا يقتضي أن معنى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»: أي: مُنَوِّرُهُمَا بالنور الحسي والمعنوي.

بالنور الحسي؛ وهو: ما خلقه فيهما من الأنوار؛ كالشمس والقمر والنجوم.

وبالنور المعنوي؛ وهو: هُذَاهُ الذي يجعله في قلوب أنبيائه وأوليائه وملائكته.

هذا؛ وقد سَمَّى الله وَحْيَهُ الذي بَعَثَ بِهِ رَسَلَهُ: نُورًا وَهْدًى؛ قال تعالى: ﴿فَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَنا﴾ [التغابن: ٨]، وقال في الوحي: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن مَّشَاءَ مِن عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ونظائر هذا متعددة؛ وهذا معنى ما جاء عن ابن عباس؛ قال: «نور السماوات والأرض؛ أي: هادي أهل السماوات والأرض»؛ كما ذكره المؤلف رحمته الله.

وقد جاء في السُّنَّةِ نظير ما في آية النور؛ قال رحمته الله: «وَلَكَ الْحَمْدُ؛ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» [أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩)؛ من حديث ابن عباس رضي الله عنه].

وإذا كان الله مُنَوِّرَ السماوات والأرض، والنور كمال، فهو أحق أن يكون النور صفة له؛ إذ كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه، فالخالق أولى به، ومُعْطِي الكمال أحق به.

ولكن لم يثبت أن «النور» اسم من أسمائه تعالى؛ بل الاسم الذي نطق به الكتاب والسُّنَّة: «نور السماوات والأرض»؛ فيُدْعَى بهذا الاسم؛ كما دعا به الرسول ﷺ.

وأما قول المؤلف: «أو وصف نفسه بأنه نور»:

فهذا لا يصح؛ لأن لفظ النور في الآية مقيّد بالإضافة إلى السماوات والأرض؛ فلم يقل تعالى: «اللَّهُ نُور»، بل قال: «نور السماوات والأرض»، وتقدّم معنى: نور السماوات والأرض.

وهذا الاسم: «نور السماوات والأرض»، نظير: «رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، و«قِيَوْمِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، لكن «قِيَوْم» جاء في القرآن معرّفاً غير مضاف، وفي السُّنَّةِ جاء مضافاً وغير مضاف، والله أعلم.

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة: هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة، وقيل: المشكاة: العمود الذي يكون المصباح على رأسه، والأول أصح وأشهر.

والمعنى: صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح، على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة. وإنما شبهه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه. وقيل: الضمير في ﴿نُورِهِ﴾ عائذ على محمد ﷺ، وقيل: على القرآن، وقيل: على المؤمن، وهذه الأقوال ضعيفة؛ لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير.

فإن قيل: كيف يصح أن يقال: ﴿أَللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾، والمضاف غير المضاف إليه؟ فالجواب: أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه؛ أي: الله ذو نور السماوات والأرض. أو كما تقول: زيد كرم، ثم تقول: ينعمش الناس بكرمه<sup>(١)</sup>.

﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ المصباح: هو الفتيل بناره، والمعنى: أنه في قنديل من زجاج؛ لأن الضوء فيه أزهى، لأنه جسم شفاف.

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبه الزجاج في إنارتها بكوكب دري، وذلك يحتمل معنيين: إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها. وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء؛ لصفاتها ورقة جواهرها، وهذا أبلغ؛ لاجتماع نورها مع نور المصباح. والمراد بالكوكب الدرّي: أحد الدراري المضيئة؛ كالمشتري، والزُّهرة، وسهيل، ونحوها. وقيل: أراد الزُّهرة. ولا دليل على هذا التخصيص.

وقرأ نافع ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضم الدال وبشد الياء من غير همز<sup>(٢)</sup>، ولهذه القراءة وجهان: إما أن

(١) أي: يرفعهم من الفقر إلى الغنى. انظر: شرح الفصيح لابن درستويه (ص: ٨٣).

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي ﴿دُرِّيٌّ﴾ بكسر الدال مع المد والهمز، وقرأ حمزة وشعبة عن عاصم بضم الدال وبالمدة والهمز، وقرأ الباقر بضم الدال وتشديد الياء من غير همز.

ينسب الكوكب إلى الدرّ لبياضه وصفائه. أو يكون مسهلًا من الهمز. وقرئ بالهمز وكسر الدال، وبالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرّ بمعنى الدفع<sup>(١)</sup>.

﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ من قرأ<sup>(٢)</sup> ﴿يُوقَدُ﴾ بالياء، أو ﴿تُوقَدُ﴾ بالفعل الماضي: فالفعل مسند إلى المصباح، ومن قرأ ﴿تُوقَدُ﴾ بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجية. والمعنى: يوقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة: لكثرة منافعها، أو لأنها تنبت في الأرض المباركة، وهي الشام.

﴿لَا شَرْفِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قيل: يعني: أنها بالشام، فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام. وقيل: هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية، بل هي غربية شرقية؛ لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب. وقيل: إنها في وسط دوحة، فهي لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب. وقيل: إنها من شجر الجنة، ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ مبالغة في وصف صفائه وحسنه.

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني: اجتماع نور المصباح وحسن الزجاجية وطيب الزيت، والمراد بذلك: كمال النور الممثل به.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: يوفق الله من يشاء لإصابة الحق.

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يعني: المساجد، وقيل: بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن، والأول أصح. والجارُّ يتعلّق بما قبله؛ أي: كمشكاة في بيوت، أو تُوقَدُ في بيوت. وقيل: بما بعده، وهو ﴿يُسَبِّحُ﴾، وكرر الجارُّ بعد ذلك تأكيدًا. وقيل: بمحذوف؛ أي: سَبَّحُوا في بيوت.

(١) أي: يدرأ الظلام بضوئه. الكشف (١١/١٠٣).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿تُوقَدُ﴾ بناء مفتوحة وفتح الواو وتشديد القاف وفتح الدال، وقرأ نافع وابن عامر وحفص: ﴿يُوقَدُ﴾ بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال، وقرأ الباقر كذلك ولكنهم بالتاء مؤنثًا ﴿تُوقَدُ﴾.

﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُزْبَعَ﴾ المراد بالإذن: الأمر. ورفعها: بناؤها، وقيل: تعظيمها.

﴿بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ﴾ أي: غُدُوَّة وعَشِيَّة<sup>(١)</sup>، وقيل: أراد الصبح والعصر، وقيل: صلاة الضحى والعصر.

﴿رِجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَيِّحُ﴾ على القراءة بكسر الباء<sup>(٢)</sup>. وأما على القراءة بالفتح: فهو مرفوع بفعل مضمر يدل عليه الأول.

﴿لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا تشغلهم. ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها<sup>(٣)</sup>. والبيع من التجارة، ولكنه خصه بالذكر تجريداً؛ كقوله: ﴿بِكَيْهَةٍ وَنَخْلٍ وَرُمَّانٍ﴾ [الرحمن: ٦٧]، أو أراد بالتجارة الشراء.

﴿تَتَقَلَّبُ بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَرُ﴾ أي: تضطرب من شدة الهول والخوف. وقيل: تفقه القلوب وتُبصر الأبصار بعد العمى؛ لأن الحقائق تنكشف حينئذ. والأول أصح؛ كقوله: ﴿وَإِذْ رَأَيْتُ الْأَبْصَرَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]. وفي قوله: ﴿تَتَقَلَّبُ بِهِ الْقُلُوبُ﴾ تجنيس.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ متعلق: بما قبله، أو بفعل من معنى ما قبله<sup>(٤)</sup>.

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ تقديره: جزاء أحسن ما عملوا.

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني: زيادة على ثواب أعمالهم.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٥)</sup>.

(١) في ج: «وعشيًا».

(٢) قرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم بفتح الباء، وقرأ الباقر بكسرها.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٢٢) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٥٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٣): «وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٤) تقديره: فعلوا ذلك ويُسروا لذلك ونحو هذا. المحرر الوجيز (٦/ ٣٩٣).

(٥) انظر تفسير الآية (٢١٠).



﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْمَلَهُمْ كَسْرَابٌ بِفَيْعَةٍ﴾ لما ذكر الله حال المؤمنين؛ أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكفار: الأول: يقتضي حال أعمالهم في الآخرة، وأنها لا تنفعهم، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب. والثاني: يقتضي حال أعمالهم في الدنيا، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض.

والسراب: هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس في الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض. والقيعة: جمع قاع، وهو المنبسط من الأرض، وقيل: القيعة بمعنى القاع، وليس بجمع.

﴿يَخْسِبُهُ الظُّمَانُ مَاءً﴾ الظمان: العطشان؛ أي: يظن العطشان أن السراب ماء، فيأتيه ليشربه، فإذا جاءه خاب ما أمل، وبطل ما ظن، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ ضمير الفاعل: للظمان، وضمير المفعول: للسراب، أو لموضع السراب. أو يكون ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ أي: شيئاً يُنتفع به، أو شيئاً موجوداً على العموم؛ لأنه معدوم. ويحتمل أن يكون: ضمير الفاعل: للظمان، وضمير المفعول: للسراب. أو ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ ضمير الفاعل في ﴿وَجَدَ﴾ للكافر، والضمير في ﴿عِنْدَهُ﴾ لعمله. والمعنى: وجد الله عنده بالجزاء، أو وجد زبانية الله (١) (٢).

(١) في أ، ب: «زُبْنِيَّةُ اللَّهِ» وهو مفرد الزبانية، وفي ج: «زبانيته».

(٢) [التعليق ٧٨] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف ﷺ: «وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ بِالْجَزَاءِ»؛ أي: وجد جزاء عمله الذي أعدّه الله له: أقول: هذا معنى صحيح؛ ولا يمنع أن يكون من معنى الآية: أَنَّ الْكَافِرَ يَجِدُ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أي: يَلْقَاهُ، فيُبْخِئُهُ عَلَى كُفْرِهِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ الْيَاسَ هَذَا إِلَهِي قَالُوا لَئِنْ وَرَّيْنَا قَالَ مَذْهُوبُ اللَّذَابِ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠]، ولكن المؤلف لا يقر هذه العنيدة المتضمنة للقاء الله؛ لأن من ينفي العلو، ويقول بأن الله في كل مكان لا يكون بعض المخلوقات عنده أو أقرب إليه من بعض، وهو ما يقتضيه مذهب المؤلف، كما تقدم في مواضع. والله أعلم.

﴿أَوْ كَظَلَمْتَ﴾ هذا هو المثل الثاني، وهو عطف على قوله: ﴿كَسَرَابٍ﴾. والمشبه بالظلمات: أعمال الكفار؛ أي: هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب.

﴿فِي بَحْرٍ لَّجِّيٍّ﴾ منسوب إلى اللجج، وهو معظم الماء.

وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثل<sup>(١)</sup> قوبلت به أجزاء الممثل به؛ فالظلمات: أعمال الكافر، والبحر اللجي: صدره، والموج: جهله، والسحاب: الغطاء الذي على قلبه. وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة. وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة، كما أن في وصف النور المذكور قبلها مبالغة.

﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا﴾ المعنى: مبالغة في وصف الظلمة، والضمير في ﴿أَخْرَجَ﴾ وما بعده: للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة.

واختلف في تأويل الكلام: فقليل: المعنى: إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها، فنفى الرؤية ومقاربتها. وقيل: بل رآها بعد عسر وشدة؛ لأن كاد إذا نُفِيت تقتضي الإيجاب، وإذا أُوجِبَت تقتضي النفي.

وقال ابن عطية: إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها، فأما إذا دخل حرف النفي على «كاد» كقوله: ﴿لَمْ يَكْذِبْ﴾ فإنه يحتمل النفي والإيجاب<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد، فالنور كناية عن الهدى والإيمان في الدنيا. وقيل: أراد: في الآخرة؛ أي: من لم يرحمه الله فلا رحمة له. والأول أليق بما قبله.



(١) في ج، د: «المثل».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/٣٩٥).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَوَّبَتْ كُلٌّ فِذْ عَلِمَ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٠﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ الْتَمِيزُ ﴿١١﴾  
 \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثَالِ مِثْلٍ مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَافِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَرِ ﴿١٢﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْكَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَتَوَلَّوْا إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ فُلْوْهُم مَّرْضُ أَمْ لِإِرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُوْكَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾

﴿١٠﴾ «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» الرؤية هنا بمعنى: العلم. والتسبيح: التنزيه والتعظيم، وهو من العقلاء بالنطق، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل: فقال الجمهور: إنه حقيقي، ولا يبعد أن يُلهمها الله التسبيح، كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء. وقيل: تسبيحه ظهور الحكمة فيه.

﴿صَوَّبَتْ﴾ يَصِفُّنَ أَجْنَحَتَهُنَّ فِي الْهَوَاءِ.

﴿كُلٌّ فِذْ عَلِمَ﴾ الضمير في «عَلِمَ»: الله، أو لـ «كُلٌّ»، والضمير في «صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ»: لـ «كُلٌّ».

﴿١١﴾ «يُزْجِي» معناه: يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سَوْقِ كُلِّ ثَقِيلٍ، كَالسَّحَابِ.

﴿رُكَّامًا﴾ متكاثفًا، بعضه فوق بعض. «الْوَدْقُ» المطر.

﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: من بينه، وهو جمع خَلَلٍ، كَجَبَلٍ وَجِبَالٍ.

﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا مِثْرًا مِنْ بَرَدٍ﴾ قيل: إن الجبال هنا حقيقة، وإن الله جعل في السماء جبلاً من بَرَدٍ. وقيل: إنه مجاز، كقولك: عند فلان جبلاً من مالٍ أو علمٍ؛ أي: هي في الكثرة مثل الجبال. و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: لا ابتداء الغاية، وفي قوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ كذلك، وهي بدلٌ من الأولى، أو تكون للتبعيض؛ فتكون مفعول ﴿يُنَزَّلُ﴾. و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾: لبيان الجنس، أو للتبعيض؛ فتكون مفعول ﴿يُنَزَّلُ﴾، وقال الأخفش: هي زائدة. وذلك ضعيف. وقوله: ﴿بِهَا﴾ صفة للجبال، والضمير يعود على السماء.

﴿سَنًا بَرَفٍ﴾ السَّنَا بالقصر: الضوء، وبالمدة: المجد والشرف.

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بهذا بعد هذا.

﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ يعني: بني آدم والبهائم والطيور؛ لأن ذلك كله يدب.

﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ يعني: المني، وقيل: الماء الذي في الطين الذي خلق منه آدم ﷺ وغيره.

﴿عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والحوث.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا﴾ الآية؛ نزلت في المنافقين، وسببها: أن رجلاً من المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف<sup>(١)</sup>.

﴿مُذْعِنِينَ﴾ أي: منقادين طائعين؛ لقصد الوصول إلى حقوقهم.

﴿أَفِي فُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ توقيفٌ يراد به التوبيخ، وكذلك ما بعده.

﴿أَنْ يَّحْيِفَ﴾ معناه: أن يجور، والحييف: الميل، وأسنده إلى الله؛ لأن الرسول إنما يحكم بأمر<sup>(٢)</sup> الله وشرعه.



(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٤٠٢/٦) ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) في أ: «بما أمر».

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُبْلَغُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ لِيَجْزِيَهم أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ \* وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمْ خِلافتُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ أَطَاعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ لِيَجْزِيَهم أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٥٤﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ لِيَجْزِيَهم أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ لِيَجْزِيَهم أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ لِيَجْزِيَهم أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٥٧﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ لِيَجْزِيَهم أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٥٨﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ لِيَجْزِيَهم أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ لِيَجْزِيَهم أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية؛ معناها: إنما الواجب أن يقول المؤمنون: «سمعنا وأطعنا» إذا دعوا إلى الله ورسوله. وجعل الدعاء إلى الله؛ من حيث هو إلى شرعه.

﴿وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية؛ قال ابن عباس رضي الله عنه: «مَنْ يَطِيعِ اللَّهَ»: في فرائضه، «وَرَسُولَهُ»: في سنته<sup>(١)</sup>، «وَيَخْشِ اللَّهَ»: فيما مضى من ذنوبه، «وَيَتَّقِهِ»: فيما يُستقبل<sup>(٢)</sup>.

وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة، فذكرت له هذه الآية. وسمعتها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال: إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَفْسَمُوا﴾ أي: حلفوا، والضمير للمنافقين.

﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: بالغوا في اليمين وأكدوها.

(١) في ج، د: استه.

(٢) ذكره الزمخشري في تفسيره (١١/١٢٨)، ولم أقف عليه مستنداً.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٥/٣١٨).

﴿لَيُخْرِجَنَّ﴾ يعني: إلى الغزو.

﴿قُلْ لَا تُفْسِمُوا﴾ نهى عن اليمين الكاذبة؛ لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل.

﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف؛ أي: طاعة معروفة أمثل وأولى بكم. أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: المطلوب منكم طاعة معروفة لا يُشكُّ فيها.

﴿عَلَيْهِ مَا حِمْلٌ﴾ يعني: تبليغ الرسالة.

﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِلْتُمْ﴾ يعني: السمع والطاعة وأتباع الشريعة.

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وعدٌ ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة.

وقيل: إن المراد بالآية: خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم؛ لقول رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»<sup>(١)</sup>، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة عليٍّ رضي الله عنه.

فإن قيل: أين القسم الذي جاء قوله: «لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ» جواباً له؟ فالجواب: أنه محذوف، تقديره: وعدهم الله وأقسم، أو جعل الوعد بمنزلة القسم؛ لتحقيقه.



(١) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦) وحسنه، والنسائي في الكبرى (٨٠٩٩)، وابن حبان (٦٦٥٧)، والحاكم (٤٤٣٨) وصححه وسكت عنه الذهبي، عن سفينة رضي الله عنه.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ  
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْبَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظُّهْرِ وَمِنَ بَعْدِ صَلَاةِ  
 الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ  
 بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِذَا بَلَغَ  
 الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا اسْتَذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
 ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ وَالْفَوَاحِشُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَزْنُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ  
 جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ  
 ﴿٧﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى  
 أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِهْمَتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ  
 إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ  
 أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مِّمَّا بَاتِحَةً أَوْ صَدِيفِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ  
 أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ  
 مُبَرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٨﴾

﴿لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ قيل: المراد بـ ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾: الرجال  
 خاصة، وقيل: النساء خاصة؛ لأن الرجال يستأذنون في كل وقت، وقيل: الرجال والنساء.  
 ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يعني: الأطفال غير البالغين.

﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ نصبٌ على الظرفية لأنهم أمروا<sup>(١)</sup> بالاستذان في ثلاثة مواطن. فمعنى الآية:  
 أن الله أمر الممالك والأطفال بالاستذان في ثلاثة أوقات، وهي: قبل الصبح، وحين  
 القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الآخرة؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها  
 متجردين للنوم في غالب أمرهم.

(١) في ج: «لأنه أمر».

وهذه الآية محكمة، وقال ابن عباس رضي الله عنه: ترك الناس العمل بها<sup>(١)</sup>. وحملها بعضهم على النذب.

﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ يعني: تتجردون.

﴿الظَّهِيرَةِ﴾ وسط النهار.

﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ﴾ جمع عورة؛ من الانكشاف، كقوله: ﴿بَيَّوْنَا عَوْرَةَ﴾ [الأحزاب: ١٣]. ومن رفع ﴿ثَلَاثَ﴾<sup>(٢)</sup> فهو خبر ابتداء مضمرة، تقديره: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم؛ أي: تنكشفون فيها. ومن نصبه فهو بدلٌ من ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة؛ أي: ليس عليكم ولا على المماليك والأطفال جناحٌ في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة.

﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ تقديره: المماليك والأطفال طوافون عليكم؛ فلاجل ذلك لم يؤمروا بالاستئذان<sup>(٣)</sup> في كل وقت.

﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بدلٌ من ﴿طَوَّافُونَ﴾؛ أي: بعضهم يطوف على بعض. وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ أي: بعضهم طائفٌ<sup>(٤)</sup> على بعض، أو فاعل بفعل مضمرة<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٦٣٢ / ٨) من طريق سعيد بن جبيرة عنه. وليس مراد ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية منسوخة، وإنما مراده الإنكار على الناس ترك العمل بها. قال ابن كثير في تفسيره (٨٢ / ٦): «ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلاً جداً، أنكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس..» ثم ذكر هذا الأثر وأثاراً أخرى تبين هذا المقصود.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع.

(٣) في أ، ب، هـ: «فلاجل ذلك يؤمر بالاستئذان» والمثبت هو الصواب الذي يستقيم به المعنى. انظر: المحرر الوجيز (٤٠٧ / ٦)، والكشاف (١٤١ / ١١).

(٤) في أ، ب، د: «يطوف»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف.

(٥) انظر: الكشاف (١٤٥ / ١١)، وتقدير الفعل المضمرة: «يطوف».



﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها؛ أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال.

﴿وَالْفَوَاحِشُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ جمع قاعد، وهي العجوز: فقيـل: هي التي قعدت عن الولد. وقيل: التي قعدت عن التصرف. وقيل: التي إذا رأيتها استقدرتها.

﴿فَلْيَسْ عَلَيْنَهُ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَ ثِيَابَهُ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يُيح لغيرهن من وضع الثياب. قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ إنما أباح الله لهن وضع الثياب، بشرط أن لا يقصدن إظهار زينة، والتبرُّج: هو الظهور.

﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِبْنَ خَيْرَ لَهْنٍ﴾ المعنى: أن استغفاهن عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها، والأولى لهن أن يلتزم ما يلتزم شباب النساء من السَّتر.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية؛ اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية: فقيـل:

هو في الغزو؛ أي: لا حرج عليهم في تأخيرهم<sup>(٢)</sup> عنه، وقوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ مقطوع من الذي قبله على هذا القول؛ كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرج في ترك الغزو، ولا عليكم حرج في الأكل.

وقيل: الآية كلها في معنى الأكل، واختلف الذاهبون إلى ذلك: فقيـل: إن أهل هذه الأعدار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس؛ لئلا يتقذَّرهم<sup>(٣)</sup> الناس، فنزلت الآية مبيحة لهم

(١) أخرجه الطبري (٣٦٢/١٧) وابن أبي حاتم (٢٦٤٠/٨).

(٢) في ب، ج، هـ: «تأخيرهم».

(٣) في أ، ب، هـ: «يستقذروهم».

الأكل مع الناس<sup>(١)</sup>. وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو، وخلفوا أهل هذه الأعدار في بيوتهم؛ كانوا<sup>(٢)</sup> يتجنبون أكل مال الغائب، فنزلت الآية في ذلك<sup>(٣)</sup>. وقيل: إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقدراً، فنزلت الآية، وهذا ضعيف؛ لأن رفع الحرج عن أهل الأعدار لا عن غيرهم. وقيل: إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم<sup>(٤)</sup> منه أعذارهم من الجهاد وغيره.

﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أباح الله تعالى للإنسان الأكل من هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم. ولم يذكر فيهم الابن؛ لأنه دخل في قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾؛ لأن بيت ابن الرجل بيته؛ لقوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»<sup>(٥)</sup>.

واختلف العلماء فيما ذكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة: فذهب قوم إلى أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه، والناسخ قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»<sup>(٦)</sup>. وقيل: الآية محكمة، ومعناها: إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك، وقيل: بإذن وبغير إذن.

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٦٦) عن الضحاك.

(٢) في أ، هـ: «فكانوا».

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٦٨) عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

(٤) في أ، ب، هـ: «يمنعهم».

(٥) أخرجه أحمد (٦٩٠٢)، وأبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩٢) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وأخرجه ابن ماجه (٢٢٩١) من حديث جابر ﷺ. وأخرجه ابن حبان (٤١٠) من حديث عائشة ﷺ. وللحديث طرق أخرى ذكرها ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٦٦٤) وذكر أن أصح طرقه طريق عائشة ﷺ.

(٦) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥)، والبيهقي (١١٦٦٠)، والدارقطني (٢٨٨٦) من حديث علي بن زيد بن جدعان -وهو ضعيف- عن أبي حرة الرقاشي عن عمه. وأخرجه أحمد (٢١٠٨٢) من حديث عمرو بن يثري، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٥): «ورجال أحمد ثقات». وللحديث طرق أخرى، صحح الحفاظ بعضها، ذكرها ابن الملقن في البدر المنير (٦/ ٦٩٣).

﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَّيْمَانَهُ﴾ يعني: الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتيح مخازن أموال ساداتهم، فأبيح<sup>(١)</sup> لهم الأكل منها. وقيل: المراد: ما ملك الإنسان من مفاتيح نفسه. وهذا ضعيف.

﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ الصديق يقع على الواحد والجماعة، كالعدو، والمراد به هنا: جمع ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله: ﴿ءَابَايَكُمْ﴾ و﴿مَهَيْتَكُمْ﴾ وغير ذلك. وقرن الله الصديق بالقرابة؛ لقرب مودته، وقال ابن عباس رضي الله عنه: الصديق أوكد من القرابة<sup>(٢)</sup>.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾ إباحة للأكل في حال الاجتماع والانفراد؛ لأن بعض العرب كان لا يأكل وحده أصلاً؛ خيفة من البخل، فأباح لهم الله ذلك.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: إذا دخلتم بيوتاً مسكونةً فسلموا على من فيها من الناس، وإنما قال: ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ بمعنى: صنفكم؛ كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

وقيل: المعنى: إذا دخلتم بيوتاً خاليةً فسلموا على أنفسكم؛ بأن يقول الرجل: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

وقيل: يعني بالبيوت: المساجد، فأمر<sup>(٣)</sup> بالسلام على من فيها، فإن لم يكن فيها أحدٌ فليسلم على النبي ﷺ وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين.



(١) في ج: «فأباح الله».

(٢) ذكره النقاش كما في المحرر الوجيز (٤١١/٦) ولم أقف عليه مستنداً.

(٣) في ج: «وأمر»، وفي د: «أمر»، وفي هـ: «والأمر».

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ \* لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّأ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢﴾ ۚ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

﴿١﴾ «وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ» الآية؛ الأمر الجامع: هو الذي يجمع له الناس؛ للمشورة فيه، أو للتعاون عليه. ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق بالمدينة؛ فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون من غير استئذان<sup>(١)</sup>.

﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي: لبعض حوائجهم.

﴿٢﴾ «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» في معناها ثلاثة أقوال:

الأول: أن الدعاء هنا يراد به: دعاء النبي ﷺ إياهم؛ ليجتمعوا إليه في أمر جامع، أو في قتال وشبه ذلك؛ فالمعنى: أن إجابتكم له إذا دعاكم<sup>(٢)</sup> واجبة عليكم، بخلاف إذا دعا بعضكم بعضًا، فهو كقوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ويقوي هذا القول: مناسبتة لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع.

والقول الثاني: أن المعنى: لا تدعوا الرسول ﷺ باسمه، كما يدعو بعضكم بعضًا باسمه؛ بل قولوا له: «يا رسول الله» أو «يا نبي الله»؛ تعظيمًا له ودعاءً بأشرف أسمائه.

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤٠٨) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي، وعثمان بن يهودا، أحد بني عمرو بن قريظة، عن رجال من قومه.

(٢) في ج، د: «إجابتهم له إذا دعاهم».

وقيل: المعنى: لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض، أي: دعاؤه عليكم مجاباً فاحذروه. ولفظ الآية بعيدٌ من هذا المعنى على أن المعنى صحيح.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ يعني: الذي ينصرفون عن حفر الخندق. واللواذ: الروغان والمخالفة، وقيل: الانصراف في خفية.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ الضمير لله أو <sup>(١)</sup> لرسوله ﷺ.

واختلف في ﴿عَنْ﴾ هنا: فقيل: إنها زائدة، وذلك ضعيف. وقال ابن عطية: معناه: يقع خلافهم بعد أمره، كما تقول: كان المطر عن ريح <sup>(٢)</sup>. وقال الزمخشري: يقال: خالفه إلى الأمر: إذا ذهب إليه دونه، وخالفه عن الأمر: إذا صدَّ الناس عنه؛ فمعنى ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾: يصدُّون الناس عنه؛ فحذف المفعول؛ لأن الغرض ذكر المخالف <sup>(٣)</sup>.

﴿فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفتنة: في الدنيا بالرزايا، أو بالفضيحة، أو القتل، والعذاب: في الآخرة.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت ﴿قَدْ﴾ للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد. وقيل: معناها: التقليل على وجه التهكم. والخطاب: لجميع الخلق، أو للمنافقين خاصة.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني: المنافقين. والعامل في الظرف: ﴿فَبَيِّنِيهِمْ﴾.



(١) في أ، ب، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (١١/١٦٤)..  
 (٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/٤١٥).  
 (٣) انظر: الكشاف (١١/١٦١).

## سُورَةُ الْفُرْقَانِ

تَبَرَّكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ ﴿٢﴾ تَفْذِيرًا ﴿٣﴾  
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا  
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ إِفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ  
عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٥﴾ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ إكْتَتَبَهَا بِهَيِّ تُمْلِي عَلَيْهِ  
بُخْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٦﴾ فَلَ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧﴾  
وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِئُ فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ  
نَذِيرًا ﴿٨﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا  
مَنْحُورًا ﴿٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلِ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٠﴾

﴿١﴾ تَبَرَّكَ ﴿من البركة، وهو فعل مختص بالله تعالى لم يُنطق له بمضارع.

﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وذلك على وجه التشريف له والاختصاص.

﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الضمير لمحمد ﷺ، أو للفرقان، والأول أظهر. وقوله:

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عمومٌ يشمل الإنس والجن ممن كان في عصره، وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة. وتضمن صدر هذه الآية إثبات النبوة والتوحيد، والرد على من خالف في ذلك.

﴿٢﴾ بِقَدَرٍ تَفْذِيرًا ﴿خَلَقَ﴾: عبارة عن الإيجاد بعد العدم، والتقدير: عبارة عن إتقان الصنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره وصفته وزمانه ومكانه ومصلحته وأجله، وغير ذلك.

﴿٣﴾ وَاتَّخَذُوا الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى.

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يعنون: قوماً من العبيد، منهم: عدّاسٌ ويسارٌ وأبو فكيهة الرومي.

﴿بَقَدْ جَاءُوا ظُلُمًا وَزُورًا﴾ أي: ظلموا النبي ﷺ فيما نسبوا إليه، وكذبوا في ذلك عليه.

﴿وَقَالُوا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطره الأولون في كتبهم، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث.

﴿أَكْتَتَبَهَا﴾ أي كتبها له كاتبٌ، ثم صارت تملأ عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفار. وقال الحسن: إنه من قول الله على وجه الردّ عليهم<sup>(١)</sup>. ولو كان كذلك لقال: «أَكْتَتَبَهَا» بفتح الهمزة لمعنى<sup>(٢)</sup> الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا. وينبغي على قول الحسن أن يوقف على «أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ».

﴿فَلْ أَنْزَلْهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ردٌّ على الكفار في قولهم، ويعني<sup>(٣)</sup> بالسرّ: ما أسره الكفار من أقوالهم. أو يكون ذلك على معنى التنصّل والبراءة مما نسب الكفار إليه من الافتراء؛ أي: أن الله يعلم سرّي؛ فهو العالم بأني ما افتريت عليه، بل هو أنزله عليّ. فإن قيل: ما مناسبة قوله: «إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» لما قبله؟

فالجواب: أنه لما ذكر أقوال الكفار أعقبها بذلك؛ ليبين أنه غفور رحيم في كونه لم يَعْجَلْ عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ الآية، قال هذا الكلام قريش؛ طعنًا على النبي ﷺ، وقد ردّ<sup>(٤)</sup> الله عليهم بقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ» [الفرقان: ٢٠]. وقولهم: «هَذَا الرَّسُولُ»: على وجه التهكم، كقول فرعون: «إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ» [الشعراء: ٢٦]، أو يعنون: الرسول بزعمه.

(١) ذكره الزمخشري في تفسيره (١٧٤/١١) ولم أقف عليه مسندًا.

(٢) في د: «بمعنى».

(٣) في أ، ب: «يعني» بدون واو.

(٤) في ج: «رده».

ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكًا﴾ وما بعده، ثم وصفهم بالظلم. وقد ذكرنا معنى ﴿مُسْخَرًا﴾ في «سبحان»<sup>(١)</sup>.

﴿صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلُ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يقدرون على الوصول إلى الحق؛ لبعدهم عنه، وإفراط جهلهم.



(١) انظر تفسير الآية (٤٧).



\* تَبَرَّكَ إِلَهِكَ إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلَ لَكَ فُصُورًا ﴿١١﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَّابٍ بَعِيدٍ سَبَّحُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٣﴾ وَإِذَا أُلْفُوا مِنْهَا مَكَّانًا صَيِّفًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٤﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٥﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٦﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ عَانَثُ أَمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَتَّبِعُنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٩﴾ بَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نَذِفْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَغْضَکُمْ لِبَغْضِ بَنِيهِ أَنْتُمْ أَتَّصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾

﴿١١﴾ «خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ» الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكثر والجنة في الدنيا.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني: جنات الآخرة وقصورها. وقيل: يعني: جنات وقصوراً في الدنيا، ولذلك قال: ﴿إِنْ شَاءَ﴾.

﴿١٢﴾ «إِذَا رَأَوْهُمْ» أي: إذا رأتهم جهنم، وهذه الرؤية يحتمل أن تكون: حقيقة، أو مجازاً بمعنى: صارت منهم بقدر ما يرى على البعد.

﴿سَبَّحُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ التغيط لا يسمع، وإنما المسموع أصوات دالة عليه، ففي لفظه تجوُّز. والزفير: صوت ممدود كصوت الحمار.

﴿١٣﴾ «مَكَّانًا صَيِّفًا» تضيق عليهم زيادة في عذابهم.

﴿مُقَرَّنِينَ﴾ أي مربوط بعضهم إلى بعض، وروي أن ذلك بسلاسل من نار<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦/٤٢٢) ولم أقف عليه مستنداً.

﴿دَعُوا هَٰذَا لِكِ ثُبُورًا﴾ الثُبُور: الويل، وقيل: الهلاك. ومعنى دعائهم ثُبُورًا: أنهم يقولون: يا ثُبُوراه! كقول القائل: واحسرتنى! وأسفى!

﴿لَا تَدْعُوا أَلْيَوْمَ ثُبُورًا وَحِدًا﴾ تقديره: يقال لهم ذلك، أو يكون حالهم يقتضي ذلك، وإن لم يكن ثم قول. وإنما دعوا ثُبُورًا كثيرًا؛ لأن عذابهم دائم، فالثُبُور يتجدد عليهم في كل حين.

﴿فَلِأَدْلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن الكلام توقيفٌ وتوبيخ، وإنما يُمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبرًا.

﴿وَعَدًا مَّسْئُولًا﴾ أي سأله المؤمنون، أو الملائكة في قولهم: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [غافر: ١٧]. وقيل: معناه: وعدًا واجب الوقوع؛ لأنه قد حتمه<sup>(١)</sup>.

﴿فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ﴾ القائل لذلك هو الله عز وجل. والمخاطب<sup>(٢)</sup> هم المعبودون مع الله على العموم، وقيل: الأصنام خاصة. والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَكِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ آيَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبا: ٤٠]، وقوله: ﴿ءَأَنْتَ فُلْتُ لِلنَّاسِ بِتَّخْذُونِي وَآمَنِي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٨].

﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا معادلة لما قبلها، والمعنى: أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين: أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلُّوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تُضِلُّوهم أنتم؟ ولأجل ذلك بيّن هذا المعنى بقوله: ﴿هُم﴾؛ ليُحَقِّقَ<sup>(٣)</sup> إسناد الضلال إليهم. وإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور؛ ليوبِّخ الكفار الذين عبدوهم.

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ القائل لهذا: هم المعبودون؛ قالوه على وجه التبرّي ممن عبدتهم كقولهم: ﴿أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبا: ٤١]،

(١) فهو لذلك مُعَدَّ أن يُسأل ويقتضى أي: يُطلب. المحرر الوجيز (٦/ ٤٢٤)

(٢) في ب، د: «والمخاطبون».

(٣) في أ، ب: «ليتحقق».

والمراد بذلك: توبيخ الكفار يومئذ، وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَلَكِنَّ مَتَّعْتَهُمْ وَعِبَادَهُمْ﴾ معناه: أن إمتاعهم بالنعم في الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته.

﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين، وهو من البوار بمعنى: الهلاك. واختلف: هل هو جمع بائر؟ أو مصدرٌ وُصف به، ولذلك يقع على الواحد والجماعة؟

﴿بَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ هذا خطابٌ خاطب الله به المشركين يوم القيامة؛ أي: قد كذبكم<sup>(١)</sup> آلهتكم التي عبدتم من دون الله، وتبرؤوا منكم. وقيل: هو خطاب للمعبودين؛ أي: كذبوكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا. وقيل: هو خطاب للمسلمين؛ أي: قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشرعية. وقرئ «بما يَقُولُونَ» بالياء من أسفل<sup>(٢)</sup>. والباء في قوله: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾: على القراءة بالتاء: بدلٌ من الضمير في ﴿كَذَّبْتُمْ﴾. وعلى القراءة بالياء كقولك: كتبتُ بالقلم؛ أي: كذبوكم بقولهم.

﴿بِمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرئ «بِمَا تَسْتَطِيعُونَ» بالتاء من فوق<sup>(٣)</sup>، ويحتمل على هذا: أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين، والصرف على هذين الوجهين: صرفُ العذاب عنهم. أو يكون الخطاب للمسلمين، والصرف على هذا: ردُّ التكذيب. وقرئ بالياء، وهو مسندٌ إلى المعبودين أو المشركين، والصرف: صرف العذاب.

﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ خطاب للكفار، وقيل: للمؤمنين، وقيل: على العموم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ تقديره: وما أرسلنا رسلاً أو رجالاً قبلك، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير في قوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾. وهذه الآية ردٌّ على الكفار في استبعادهم بعث رسولٍ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

(١) في د: «كذبوكم».

(٢) قرئ بها في الشاذ، قرأ بها أبو حيوة وابن الصلت عن قنبل. المحرر الوجيز (٦/٤٢٧)، والبحر المحيط (١٦/١٧٤).

(٣) روى حفص عن عاصم بالتاء، وقرأ الباقر بالياء.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس؛ لاختلاف أحوالهم، فالغني فتنة للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ تقديره: لنتظر<sup>(١)</sup> هل تصبرون.



(١) في ب، هـ: «لينتظر».

\* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴿١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّخْجُورًا ﴿٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٤﴾ وَيَوْمَ تُشْفَقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَأُنْزِلُ الْمَلَكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٥﴾ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي إِتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧﴾ يَوْنُيْتَنِى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ بَلَنَّا خَلِيلًا ﴿٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ فَوْقِي إِتَّخَذُوا هَذَا الْفُرْعَانَ مَهْجُورًا ﴿١٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لَتُفْتِنَ بِهِ أُولَئِكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿١٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْتَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿١٣﴾ الَّذِينَ يُخْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٤﴾

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ قيل: معناه لا يخافون، والصحيح: أنه على بابه؛ لأن لقاء الله يُرجى ويُخاف.

﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله، وحينئذ يؤمنون<sup>(١)</sup>، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ الآية؛ أي: طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه. وقوله: ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: كما تقول: فلان عظيم في نفسه، أي: عند نفسه، أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر<sup>(٢)</sup> في أنفسهم.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾: معنى ﴿لَا بُشْرَى﴾<sup>(٣)</sup>، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل.

(١) في أ، ب، هـ: «يؤمنوا».

(٢) في أ، ب، هـ: «الكبر»، وعبارة الكشاف (١١/ ٢٠٨): «معناه: أضمروا الاستكبار عن الحق؛ وهو الكفر والعناد في قلوبهم».

(٣) أي: يوم يرون الملائكة يُمنعون البشرى أو يعدمونها. الكشاف (١١/ ٢١٠).

﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الضمير في «يَقُولُونَ»: إن كان للملائكة: فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين: حِجْرًا محجورًا؛ أي: حرامًا عليكم الجنة أو البشري. وإن كان الضمير للمجرمين: فالمعنى أنهم يقولون: حِجْرًا؛ بمعنى عَوْدًا؛ لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة إذا رأت ما تكره<sup>(١)</sup>. وانتصابه بفعل متروك إظهاره؛ نحو: معاذ الله.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا﴾ أي: قَصَدْنَا إلى أعمالهم؛ فلفظ القُدوم مجاز. وقيل: هو قدوم الملائكة، أسنده الله إلى نفسه؛ لأنه عن أمره<sup>(٢)</sup>.

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات، كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال. والهباء: هي الأجرام الدقيقة<sup>(٣)</sup> من الغبار التي لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوّة. والمنثور: المتفرق<sup>(٤)</sup>.

(١) في ج، د: «تعوذ بهذه الكلمة مما تكره».

(٢) [التعليق ٧٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف ﷺ: «قَصَدْنَا إلى أعمالهم؛ فلفظ القُدوم مجاز»: أقول: قوله: «قَدِمْنَا؛ أي: قَصَدْنَا»، هو معنى ما جاء عن السلف؛ إذ قالوا في تفسير الآية: قَدِمْنَا؛ أي: عَمَدْنَا، والمقتضي لهذا التفسير هو تعدية الفعل بـ «إلى»؛ فـ «قَدِمَ» مضمرٌ معنى: قَصَدَ أو عَمَدَ، والفعل المضمرٌ لمعنى فعل آخر يفيد معنى الفعلين؛ كما هو معلوم؛ وعليه: فقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا﴾، يفيد معنى «قَدِمَ»، الذي فيه معنى: أتى، أو جاء، وفيه معنى: عَمَدَ أو قَصَدَ.

وعلى هذا: فليس في الآية مجاز، بل في الآية تضمين الفعل معنى فعل آخر؛ كما تقدم. وعلم مما تقدم: أنه يمكن أن يستدل بالآية على إثبات المجيء لله، لكن إضافة الفعل إلى صيغة الجمع تفيد مجيء الملائكة أيضًا؛ كما جاء الخبر عن الأمرين - مجيء الله، ومجيء ملائكته - في غير موضع؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْسَّامِ وَالْمَلَكِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢١٠].

ولهذا يشير قول المؤلف: «وقيل: هو قدوم الملائكة»؛ أي: مجيئهم، والقائل بذلك الأشبه أنه من نفاة الصفات الفعلية عن الله؛ كالمجيء والإنيان.

والحق: أنه تعالى يجيء كما يشاء؛ كما أخبر عن نفسه في عدد من الآيات، والأظهر: أن منها هذه الآية: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣].

(٣) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٤) في ج، د، هـ: «المفترق».

- ﴿حَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن هذا مستقرٌ وهذا مستقرٌ.
- ﴿وَأَحْسَنَ مَفِيلًا﴾ هو مَفْعِلٌ من النوم في القائلة، وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة. وقيل: إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار، فيقبل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.
- ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ﴾ هو يوم القيامة، وانشقاق السماء: انفطارها. ومعنى ﴿بِالْغَمِّمِ﴾: أي: يخرج منها الغمام، وهو سحب رقيق أبيض، وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض.
- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ عضَّ اليدين: كناية عن الندم والحسرة. والظالم هنا: عقبة بن أبي معيط، وقيل: كل ظالم. والظلم هنا: بمعنى الكفر.
- ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ هو محمد ﷺ، أو اسم جنس على العموم.
- ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَنًا خَلِيلًا﴾ روي: أن عقبة جَنَحَ إلى الإسلام فنهاه أبي بن خلف، أو أمية بن خلف؛ فهو فلان<sup>(١)</sup>. وقيل: إن عقبة نهي أبي بن خلف عن الإسلام، فالظالم على هذا: أبي، وفلان: عقبة<sup>(٢)</sup>. وإن كان الظالم على العموم: ف﴿فُلَنًا﴾ على العموم؛ أي: خليل كل كافر.
- ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم، أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى. ويحتمل أن يراد بالشیطان: إبليس، أو الخليل المذكور.
- ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ قيل: إن هذا حكاية قوله ﷺ في الدنيا، وقيل: في الآخرة.
- ﴿مَهْجُورًا﴾ من الهجر؛ بمعنى: البعد والترك، وقيل: من الهجر - بضم الهاء -؛ أي: قالوا فيه الهجر حين قالوا: إنه شعر وسحر، والأول أظهر.
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ العدو هنا جمع، والمراد: تسلية النبي ﷺ بالتأسي بغيره من الأنبياء.

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤١) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٤) عن مجاهد. وأخرجه الطبري أيضا عن الشعبي (١٧/ ٤٤٠-٤٤١).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤١) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٤) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

﴿وَكَيْفَ يَرْبِّيكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وعدٌ لمحمد ﷺ بالهدى والنصرة.

﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هذا من اعتراضات قريش؛ فإنهم قالوا: لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل.

﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هذا جوابٌ لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفرقًا؛ لنثبت به فؤاد محمد ﷺ؛ بحفظه، ولو نزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه؛ لأنه أميٌّ لا يقرأ، فحفظ المفرق عليه أسهل. وأيضًا؛ فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كلُّ جزءٍ منه عند حدوث سببه. وأيضًا؛ منه ناسخ ومنسوخ، ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: فرقناه تفريقًا، فإنه نزل بطول عشرين سنة. وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدّر الذي يتعلق به ﴿كَذَلِكَ﴾، وبه يتعلق ﴿لِنُثَبِّتَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ الآية؛ معناها: لا يوردون عليك سؤالًا أو اعتراضًا إلا أتيناك في جوابه بالحق والتفسير الحسن الذي يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم.

﴿٢٨﴾ ﴿الَّذِينَ يُخْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعني: الكفار، وخشروهم على وجوههم حقيقة؛ لأنه جاء في الحديث: قيل يا رسول الله: كيف يخشع الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادرًا على أن يمشيه في الآخرة على وجهه؟!»<sup>(١)</sup>.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يحتمل أن يريد بالمكان: المنزلة والشرف، أو الدار والمسكن في الآخرة.



(١) في أ، ب، هـ: «على».

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) عن أنس رضي الله عنه.



\* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٥٦﴾ بَقَلْنَا إِذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا ﴿٥٧﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٥٨﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَضْحَبَ الرِّيسَ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٥٩﴾ وَكَلَّا صَبَرْنَا لَهُ الْأَمَثَلُ وَكَلَّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْفَرَسَةِ الْيَتِيمَ إِثْمَ طَرْتُ مَطَرُ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِتَّخَذُوكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلْهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٦٢﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٦٣﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوًى أَبَانتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٦٤﴾ أَمْ تَحْسِبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَغْفِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٦٥﴾

﴿٥٦﴾ «وَزِيرًا» أي: مُعينًا.

﴿٥٧﴾ «إِلَى الْقَوْمِ» يعني: فرعون وقومه. وفي الكلام حذف تقديره: فذهبوا إليهم فكذبوهم فدمرناهم.

﴿٥٨﴾ «كَذَبُوا الرُّسُلَ» تأويله كما ذكر في قوله في «هود»: «وَعَصَوْا رُسُلَهُ» [هود: ٥٨].

﴿٥٩﴾ «وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ» يحتمل أن يريد بالظالمين مَنْ تَقَدَّمَ، وَوَضَعَ هَذَا الْاسْمَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ؛ لِقُضْدِ وَصْفِهِمْ بِالظُّلْمِ، أَوْ يَرِيدُ الظَّالِمِينَ عَلَى الْعَمُومِ.

﴿٦٠﴾ «وَأَضْحَبَ الرِّيسَ» معنى الرِّيسُ في اللغة: البثر، واختلف في أصحاب الرس، فقيل: هم من بقية ثمود، وقيل: من أهل اليمامة، وقيل: من أهل أنطاكية، وهم أصحاب ياسين. واختلف في قصتهم: فقيل: بُعِثَ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ، فَرَمَوْهُ فِي بَثْرٍ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ. وقيل: كانوا حول بثر لهم، فانهارت بهم فهلكوا.

﴿٦١﴾ «وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا» يقتضي التكثير والإيهام، والإشارة بـ «ذَلِكَ» إلى المذكور قبل من الأمم.

﴿٦٢﴾ «صَبَرْنَا لَهُ الْأَمَثَلُ» أي: بَيَّنَّا لَهُ.

﴿تَبَرَّنَا﴾ أي: أهلكنا.

﴿وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ الضمير في ﴿آتَوْنَا﴾ لقريش وغيرهم من الكفار. والقرية: قرية قوم لوط. و﴿مَطَرُ السَّوءِ﴾: الحجارة. ثم وقفهم على رؤيتهم لها؛ لأنها في طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كُفْرهم بالنشور. و﴿يَزْجُونَ﴾ كقوله: ﴿يَزْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وقد ذكر.

﴿أَهَذَا الَّذِي﴾ حكاية قولهم على وجه الاستهزاء، فالجملة في موضع معمول<sup>(١)</sup> لقول محذوف يدل عليه ﴿هَؤُلَاءِ﴾. وقوله: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ استئناف جملة أخرى، وتم كلامهم، واستأنف كلام الله تعالى في قوله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية؛ على وجه التهديد لهم.

﴿إِنَّا نَتَّخِذُ إِلَهَهُ هَوِيَّةً﴾ أي: أطاع هواه حتى صار<sup>(٢)</sup> كأنه إله.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول، وهؤلاء لهم عقول ضيعوها. أو لأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «مفعول».

(٢) في د زيادة: «له».

\* أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ ذَلِيلًا ﴿١﴾ ثُمَّ فَبَضَّنَهِ إِلَيْنَا فَبِضًّا يَسِيرًا ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ تُثْرَاءً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤﴾ لِنُخْشِي بِهِ بَلَدَةَ مَدْيَنَ وَنُسْفِيَهُ مِمَّا خَلَفْنَا نَعْمًا وَأَنْزَلْنَا كَيْسًا كَبِيرًا ﴿٥﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٧﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكُفَّيرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٨﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَخْجُورًا ﴿٩﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ دَسْبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿١٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿١١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٢﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِلَّا مَا شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٣﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿١٤﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا فِئَلٌ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿١٦﴾

﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴿١﴾ أي: إلى صنع ربك وقدرته.

﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ قيل: مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأن الظل حينئذ على الأرض كلها. واعترضه ابن عطية بأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال «ظِلٌّ» بالليل، واختار أن مَدَّ الظل ما بين أول الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير<sup>(١)</sup>. وقيل: ﴿٢﴾ مَدَّ الظِّلَّ: أي: جعله يمتد وينبسط.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتًا غير زائل، لكنه جعله يزول بالشمس. وقيل: معنى ساكن: غير منبسط على الأرض، بل يلتصق<sup>(٣)</sup> بأصل الحائط أو الشجرة ونحوها.

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٤٤٢).

(٢) في ج، د زيادة: «معنى».

(٣) في ج، د: «ملتصق».

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ قيل: معناه: أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض، ومتى يزول عن مكان إلى آخر، فيبنون على ذلك انتفاعهم به وجلو سهم فيه. وقيل: معناه: لولا الشمس لم يُعرَف أن الظل شيء؛ لأن الأشياء إنما تُعرَف بأضدادها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قَبْضُهُ: نَسْخُهُ وزواله بالشمس. ومعنى ﴿يَسِيرًا﴾: شيئاً بعد شيء، لا دفعة واحدة. فإن قيل: ما معنى «ثم» في هذه المواضع الثلاثة؟

فالجواب: أنه يحتمل أن تكون للترتيب في الزمان، أي: جعل الله هذه الأحوال حالاً بعد حال، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال، وأن<sup>(١)</sup> الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم من الثاني.

﴿الَيْلَ لِبَاسًا﴾ شبه ظلام الليل باللباس؛ لأنه يستر كل شيء كاللباس.

﴿وَالنَّوْمَ سَبَاتًا﴾ قيل: راحة، وقيل: موتاً؛ لقوله: ﴿يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٣٩]، ويدل عليه مقابلته بالنشور.

﴿الرَّيْحَ نُّشْرًا﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(٢)</sup>.

﴿مَاءَ طَهُورًا﴾ مبالغته في طاهر. وقيل: معناه: مطهر للناس في الوضوء وغيره، وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماء طهور؛ أي: مطهر، وكل مطهر طاهر، وليس كل طاهر مطهرًا.

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ قيل: جمع إنسي، وقيل: جمع إنسان، والأول أصح.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن، وقيل: للمطر، وهو بعيد.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ أي: لو شئنا لخففنا عنك أثقال الرسالة بيعت جماعة من الرسل، ولكننا خصصناك بها كرامة لك؛ فاصبر عليها.

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ الضمير: للقرآن، أو لما دلَّ عليه الكلام المتقدم<sup>(٣)</sup>.

(١) في ج، د: «بأن كان».

(٢) انظر تفسير الآية (٥٦).

(٣) أي: جامدهم بسبب كونك نذير كافة القرى. الكشاف (١١/٢٦٢).

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ اضطرب الناس في هذه الآية؛ لأنه لا يُعْلَم في الدنيا بحرٌ مِلْحٌ وبحرٌ عَذْبٌ، وإنما البحار المعروفة ماؤها مِلْحٌ: فقال ابن عباس رضي الله عنه: أراد بالبحر المِلْحِ الأجاج: بحر الأرض، وبالبحر العذب الفرات: بحر السحاب<sup>(١)</sup>. وقيل: البحر المِلْح: البحر المعروف، والبحر العذب: مياه الأرض. (وقيل: البحر المِلْح: جميع الماء المِلْح من الآبار وغيرها، والبحر العذب: هو مياه الأرض)<sup>(٢)</sup> من الأنهار والعيون.

ومعنى الفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأجاج: نقيضه. واختلف في معنى مَرَجَهما: ف قيل: جعلهما متجاورين متلاصقين. وقيل: أسال أحدهما في الآخر. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَّخْجُورًا﴾ أي: فاصلاً يفصل بينهما، وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان. وقيل: هذا البرزخ يعلمه الله، ولا يراه البشر.

﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ إن أراد بالبشر آدم: فالمراد بالماء: الماء الذي خُلِطَ مع التراب فصار طيناً. وإن أراد بالبشر بني آدم: فالمراد بالماء: المنى الذي يُخْلَقُونَ منه.

﴿بَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب والصهر يُعَمَّان كل قريب؛ فالنسب: أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم، قُرْبَ ذلك أو بَعْدَ، والصهر: هو الاختلاط بالتناكح. وقيل: أراد بالنسب: الذكور؛ أي: ذوي<sup>(٣)</sup> نسب يُنْتَسَب إليهم، وأراد بالصهر: الإناث؛ أي ذوات صهر يُصَاهَر بهنَّ، فهو كقوله: ﴿بَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة: ٣٨].

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ الكافر هنا: الجنس، وقيل: المراد أبو جهل. والظهير: المعين؛ أي: يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك. ولفظه يقع للواحد والجماعة، كقوله: ﴿وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم على الإيمان أجرة ولا منفعة لنفسي.

(١) أخرجه الطبري (٢٢/٢٠٠).

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

(٣) في ب، د: «ذو».

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ معناه: إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالتقرب إليه وعبادته، فالاستثناء منقطع. وقيل: المعنى: إلا أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالصدقة، فالاستثناء على هذا متصل. والأول أظهر. وفي الكلام محذوف تقديره: إلا سؤال من شاء، أو ما أشبه ذلك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ قرأ هذه الآية بعض السلف فقال: لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق؛ فإنه يموت<sup>(١)</sup>.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي قل: «سبحان الله وبحمده»، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به. ومعنى ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: بحمده أقول ذلك. ويحتمل أن يكون المعنى: سُبِّحَهُ مُتَلَبِّسًا<sup>(٢)</sup> بحمده، فهو أمرٌ بأن يجمع بين التسبيح والحمد.

﴿وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ يحتمل أن يكون المراد بهذا: بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم. أو يكون المراد: تهديد العباد؛ لعلم<sup>(٣)</sup> الله بذنوبهم. ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(٤)</sup>.

﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبر ابتداء مضمرة، أو بدلٌ من الضمير في ﴿اسْتَوَىٰ﴾. ﴿بَسْئَلٍ بِهِ خَبِيرًا﴾ فيه معنيان:

أحدهما - وهو الأظهر -: أن المراد: أسأل عنه من هو خبيرٌ عارفٌ به، فانتصب ﴿خَبِيرًا﴾ على المفعولية، وهذا الخبير المسؤول: هو جبريل عليه السلام، و<sup>(٥)</sup> العلماء، وأهل الكتاب. والباء في قوله: ﴿بِهِ﴾ يحتمل أن تتعلق بـ﴿خَبِيرًا﴾، أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى «عن».

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين، ط. المنهاج (٨/ ١٩٩) عن أبي أيوب سليمان الخواص.

(٢) في أ، ب، د: «متلبسًا».

(٣) في د: «بعلم».

(٤) انظر تفسير الآية (٥٣).

(٥) في ج، د: «أو».

والمعنى الثاني: أن المراد: أسأل بسؤاله خبيراً؛ أي: إن سألته تعالى تجده خبيراً بكل شيء، فانتصب ﴿خَبِيرًا﴾ على الحال، وهو كقولك: «لو رأيت فلاناً رأيت به أسداً» أي: رأيت برويته أسداً.

﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرته قريش، وقالوا: لا نعرف الرحمن، وكان مسليمة الكذاب قد تسمى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة: إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة.

﴿أَنسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ تقديره: لما تأمرنا أن نسجد له.

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الضمير الفاعل<sup>(١)</sup> في زادهم يعود على المقول وهو ﴿أَنسَجِدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾.



(١) في أ، ب، هـ: «المفعول».

\* تَبَرَّكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ  
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ  
عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا  
﴿٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ  
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَعُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يُفْسِدُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَوَاقًا ﴿٧﴾  
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ  
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ  
تَابَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا بِإِذْنِ اللَّهِ يَبْدِلْ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا ﴿١٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ  
وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُومِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا  
وَعُمًيَانًا ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّعِينَ  
إِمَامًا ﴿١٤﴾ أَوَّلِيكَ يَخْزُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿١٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا  
حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾ فَلِ مَا يَعْجَبُوا بِكُمْ رَبِّ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ  
يَكُونُ لَكُمْ لِرَامًا ﴿١٧﴾

﴿١﴾ «بُرُوجًا» يعني: المنازل الاثني عشر، وقيل: الكواكب العظام.

﴿٢﴾ «سِرَاجًا» يعني: الشمس. وقرئ بضم السين والراء على الجمع<sup>(١)</sup>، يعني: جميع الأنوار،  
ثم خصَّ القمر بالذكر تشريفًا.

﴿٣﴾ «جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً» أي: يخلف هذا هذا، وقيل: هو من الاختلاف؛ لأن هذا أبيض  
وهذا أسود. والخلفة اسم الهيئة<sup>(٢)</sup>، كالركبة والجلسة، فالأصل: جعلهما ذوي خلفة.

﴿٤﴾ «لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ» قيل: معناه: يعتبر في المصنوعات. وقيل: يتذكر لما فاتته من

(١) قرأ حمزة والكسائي «سُرُجًا» بضم السين والراء من غير ألف، وقرأ الباقون بكسر السين وفتح الراء وألف.

(٢) في ج، د: «الهيئة».



الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه بالنهار، أو فاته بالنهار فيستدركه<sup>(١)</sup> بالليل، وهذا قول عمر بن الخطاب<sup>(٢)</sup> وابن عباس<sup>(٣)</sup>.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ أي: عباده المرضيئون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة. و﴿عِبَادٌ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿الَّذِينَ يَنْشُونَ﴾، أو قوله في آخر السورة: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرُورَةَ﴾.

﴿يَنْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾ أي: رفقا وليناً بحلم ووقار، ويحتمل أن يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض، أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبر بالمشي على الأرض عن جميع تصرفهم مدة حياتهم.

﴿قَالُوا سَلَاماً﴾ أي: قالوا قولاً سديداً؛ ليدفع الجاهل برفق، وقيل: معناه: قالوا للجاهل: «سلاماً»؛ أي: هذا اللفظ بعينه، بمعنى: سلمنا منكم. قال بعضهم: هذه الآية منسوخة بالسيف. وإنما يصح النسخ في حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فمستحسن غير منسوخ.

﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ وما بعده: يحتمل أن يكون: من كلامهم، أو من كلام الله عز وجل.

﴿كَانَ غَرَاماً﴾ أي: هلاكاً وخسراناً، وقيل: ملازماً.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْبَقُوا لَمْ يَسْرِقُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ الإقتار: هو التضييق في النفقة والشح، وضده: الإسراف، فنهى عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما، وهو القوام، وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف، وإن قل.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ أي: عقاباً، وقيل: الأثام: الإثم؛ فمعناه: يلقى جزاء أثام، وقيل: الأثام: وادٍ في جهنم. والإشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا.

(١) في أ: «فيستذكره».

(٢) أخرجه الطبري (١٧/٤٨٥)، وابن أبي حاتم (٨/٢٧١٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٧٤٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/٤٨٥)، وابن أبي حاتم (٨/٢٧١٨).

﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ قيل: نزلت في الكفار لأنهم المخلدون في النار بإجماع، فكأنه قال: الذين يجمعون بين الشرك<sup>(١)</sup> والقتل والزنا. وقيل: نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون. فأما على مذهب المعتزلة: فالخلود على بابه. وأما على مذهب أهل السنة: فالخلود عبارة عن طول المدة.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ إن قلنا: إن الآية في الكفار فلا إشكال فيها؛ لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا. وإن قلنا: إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح، واختلف: هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا؟

﴿يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قيل: يوفقهم الله لفعل الحسنات بدلًا مما<sup>(٢)</sup> عملوا من السيئات. وقيل: إن هذا التبديل في الآخرة، أي: يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات.

﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: متابًا مقبولًا مرضيًا عند الله، كما تقول: لقد قلت يا فلان قولًا، أي: قولًا حسنًا.

﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لا يشهدون بالزور، وهو الكذب؛ فهو من الشهادة. وقيل: معناه: لا يحضرون مجالس الزور واللهو، فهو على هذا من المشاهدة والحضور، والأول أظهر.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ اللغو: هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه. ومعنى ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ أعرضوا عنه واستحيوا، ولم يدخلوا مع أهله؛ تنزيها لأنفسهم عن ذلك.

﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: لم يُعرضوا عن آيات الله، بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم، فالنفي للصمم والعمى، لا للخروج عليها.

﴿فِرَّةَ أَغْنَى﴾ قيل: معناه اجعل أزواجنا وذرياتنا مطيعين لله، وقيل: أدخلهم معنا الجنة، واللفظ أعم من ذلك.

(١) في ج، د: «الإشراك».

(٢) في أ، ب، هـ: «عما».

﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: قدوة يقتدي بنا المتقون، فـ«إمام»: مفرد يراد به الجنس. وقيل: هو جمع أم؛ أي: متبع.

﴿الْعُرْفَةَ﴾ يعني: غرفة الجنة؛ فهو اسم الجنس.

﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يحتمل أن تكون «مَا» نافية أو استفهامية.

وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى: لا يبالى الله بكم لولا عبادتكم له، فالدعاء بمعنى العبادة، وهذا قريب من معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الثاني: أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى: لا يبالى الله بكم، ولكنه<sup>(١)</sup> يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه. ويكون على هذين القولين خطاباً لجميع الناس من المؤمنين والكافرين؛ لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه، أو خطاباً للمؤمنين خاصة؛ لأنهم هم الذين يعبدون الله ويدعونه، ولكن يضعف هذا بقوله: ﴿بَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

الثالث: أنه خطاب للكفار خاصة، والمعنى على هذا: ما يعبأ بكم ربي لولا أنه يدعوكم إلى دينه، والدعاء على هذا بمعنى: الأمر بالدخول في الدين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول.

وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل.

﴿بَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين.

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي سوف يكون العذاب لازماً (أي: لازماً)<sup>(٢)</sup> ثابتاً. وأضر العذاب وهو اسم كان<sup>(٣)</sup>؛ لأنه جزاء التكذيب المتقدم. واختلف: هل يُراد بالعذاب هنا: القتل يوم بدر، أو عذاب الآخرة؟



(١) في أ، ب، هـ: «ولكن».

(٢) لم ترد في أ، ب، هـ.

(٣) للعلم به. الكشف (١١/٣٠٩).

## سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

طَسِمَ تِلْكَ ءَايَتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ تُفَسِّكُ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ إِنْ  
 نَشَأْ نُثَرِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٣﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ  
 مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَبَّرٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ بَقَدْ كَذَّبُوا بِسَيِّئَاتِهِمْ دَآثِبَتُوا مَا كَانُوا  
 بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ آثَبْتُنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

﴿١﴾ «طَسِمَ» تكلمنا على حروف الهجاء في أول «البقرة». ويختص<sup>(١)</sup> هذا: أنه قيل: الطاء من «ذي الطول»، والسين من «السميع» أو «السلام»، والميم من «الرحيم» أو «المنعم». «بَنِيعٌ» ذكر في «الكهف»<sup>(٢)</sup>.

﴿٢﴾ «بَظَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ» الأعناق: جمع عُنُق، وهي الجارحة المعروفة. وإنما جمع «خَاضِعِينَ» جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء، أو<sup>(٣)</sup> لأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء.

وقيل: الأعناق: الرؤساء من الناس شَبَّهوا بالأعناق كما يقال لهم: رؤوس وصدور، وقيل: هم الجماعات من الناس، فلا يحتاج جمع «خَاضِعِينَ» إلى تأويل. ﴿٤﴾ «مُخَبَّرٍ» يعني به: محدث الإتيان<sup>(٤)</sup>.

(١) في أ، ب، هـ: «ويختص».

(٢) انظر تفسير الآية (٦).

(٣) في ج، د: «أو».

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٧٣).

﴿بَسَيَاتِيهِمْ﴾ الآية؛ تهديد.

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي: من كل صنف من النبات، فيعمُّ ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى. ووصفه بالكرم؛ لما فيه من الحسن والمنافع.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة إلى ما تقدّم من النبات، وإنما ذكره بلفظ الإفراد؛ لأنه أراد: إن في كل واحد آية، أو أشار إلى مصدر قوله: ﴿أَتُبَيِّنُ﴾.



وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ابْتَئِ الْقَوْمَ الْغَٰلِمِينَ ﴿١٥﴾ فَوْمَ مَرْعُومٍ ۖ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي  
 أَخَافُ ۖ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٧﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْظِلُ لِسَانِي فَأُرْسِلْ إِلَىٰ هَٰزُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ  
 ذَنبٍ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٩﴾ قَالَ كَلَّا ۖ بَٰدِئِينَآ إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ ﴿٢٠﴾ فَآتَيْنَا  
 مَرْعُونَ بِقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ أَن أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَٰءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا  
 وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرٍ سِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَفَعَلْتَ بِعَلَّتْكَ أَلِيَّةٌ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ  
 ﴿٢٤﴾ قَالَ فَعَلْتَهَا إِذْأَنَا مِنَ الضَّٰلِّينَ ﴿٢٥﴾ فَبَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا  
 وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٦﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَن عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ ﴿٢٧﴾ قَالَ مَرْعُونَ  
 وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ \* قَالَ  
 لِمَنْ حَوْلَهُ ۖ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي  
 أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ قَالَ  
 لَيْسَ بِإِتِّخَذْتُ إِلَٰهًا غَيْرِي ۖ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٥﴾  
 قَالَ بَاتِ بِهِ ۖ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ فَأَلْفَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٧﴾ وَنَزَعَ  
 يَدَهُ ۖ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٨﴾

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ بالرفع<sup>(١)</sup>: عطفٌ على ﴿أَخَافُ﴾، أو استئناف. وقرئ بالنصب؛ عطفًا على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿فَأُرْسِلْ إِلَىٰ هَٰزُونَ﴾ أي: اجعله معي رسولاً أستعين به.

﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنبٍ﴾ يعني: قَتْلَهُ لِلْقَبْطِيِّ.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي: لا تخف أن يقتلوك.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ خطابٌ لموسى وأخيه ومن كان معهما، أو على جعل الاثنين جماعةً.

﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ لفظه جمعٌ، وورد مورد تعظيم الله تعالى. ويحتمل أن تكون الملائكة هي

(١) قراءة السبعة بالرفع، وقرأ يعقوب بالنصب.

التي تستمع بأمر الله؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع، وإنما يوصف بالسمع<sup>(١)</sup>. والأول أحسن، وتأويله: أن في الاستماع اعتناء واهتمامًا بالأمر ليست في صيغة «سامعون».

والخطاب في قوله: ﴿مَعَكُمْ﴾ لموسى وهارون وفرعون وقومه. وقيل: لموسى وهارون خاصة؛ على معاملة الاثنين معاملة الجماعة، وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان.

﴿إِنَّا رَسُولٌ﴾ إن قيل: لم أفردته وهما اثنان؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول: أن التقدير: كل واحد منا رسول. الثاني: أنهما جُعلا كشخص واحد؛ لاتفاقهما في الشريعة، ولأنهما

(١) [التعليق ٨٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف ﷺ: ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾، لفظه جمع، وورد مورد تعظيم الله تعالى... إلخ: أقول: قوله: «ورد مورد تعظيم الله» معناه: أن الله ذكر نفسه بصيغة الجمع وهو واحد؛ للدلالة على عظمته تعالى، وهذا معنى صحيح؛ فإنه تعالى:

- يذكر نفسه بصيغة المفرد، مظهرًا أو مضمّرًا؛ للدلالة على التوحيد.

- ويذكر نفسه بصيغة الجمع، مظهرًا أو مضمّرًا؛ للدلالة على عظمته؛ لكثرة أسمائه وصفاته، وكثرة عبيده وجنوده، وشواهد هذا في القرآن كثيرة؛ كما في هذه الآية: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقوله: ﴿فَتَعِمُّ الْأَسْهُدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الْغُرُورَ إِنَّا لَنَحْفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله تبارك اسمه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وقوله: ﴿إِنَّمَا عَمِلْتَ أَيِّدِينَ﴾ [يس: ٧١].

وقد يراد بهذه الصيغة الملائكة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قَوْلَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، فالمراد: قراءة جبريل، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْنَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، والمراد: قرب الملائكة الحافظين للكاتبين لعمل العبد.

وقد تدل هذه الصيغة على الأمرين معًا: على التعظيم، وعلى إرادة الملائكة، ومن ذلك هذه الآية: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]؛ فالله يستمع، والملائكة يستمعون؛ كما قال: ﴿وَإِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلْ وَرُسُلًا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقول المؤلف: «إن الله لا يوصف بالاستماع، وإنما يوصف بالسمع»؛ هذا غلط منه ﷺ؛ منشؤه نفي الأفعال الاختيارية عن الله، وهي التي تكون بمشيئته تعالى، وهو المعروف من مذهب الأشاعرة؛ كيف وقد أخبر تعالى عن نفسه في هذه الآية بصيغة الجمع بأنه مستمع<sup>١</sup>؟ ويشهد لذلك: ما جاء في السنة، وهو قوله ﷺ: «مَا أَدْنِ اللَّهُ لَشَيْءٍ كَأَدْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ» [أخرجه مسلم (٧٩٣)] من حديث أبي هريرة ؓ، وقوله: «مَا أَدْنِ» أي: ما استمع، والأذن - بالتحريك - الاستماع؛ فالاستماع فعل من الله يكون بمشيئته؛ فهو تعالى يسمع جميع الأصوات، ويستمع لما شاء منها، ومن ذلك: ما جاء في الآية والحديث؛ فالاستماع أخص من السماع؛ فكل استماع متضمن للسمع، دون العكس، والله أعلم.

أخوان؛ فكأنهما واحد. الثالث: أن ﴿رَسُولٌ﴾ هنا مصدرٌ وُصِفَ به، فلذلك يُطْلَقُ <sup>(١)</sup> على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال: رسولٌ بمعنى رسالة، بخلاف قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا﴾ [طه: ٤٦]؛ فإنه بمعنى: المرسل.

﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أطلقهم.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ قصد فرعون بهذا الكلام المنع على موسى ﷺ، والاحتقار له.

﴿وَبَعَلْتَ بَعْلَتَكَ الَّتِي بَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى ﷺ. ويعني بالفعل: قتله للقبطي.

والواو في قوله: ﴿وَأَنْتَ﴾: إن كانت للحال فقوله: ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ معناه: كافرٌ بهذا الدين الذي جئت به؛ لأن موسى ﷺ إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة، وقد كان قبل ذلك مؤمنًا، ولم يعلم بذلك فرعون، وقيل: معناه من الكافرين بنعمتي. وإن كانت الواو للاستئناف: فيحتمل أن يريد: من الكافرين بديني، أو من الكافرين بنعمتي.

﴿قَالَ بَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ القائل هنا: هو موسى ﷺ، والضمير في قوله: ﴿بَعَلْتُهَا﴾ لقتله القبطي. واختلف في معنى قوله: ﴿مِنَ الضَّالِّينَ﴾: ف قيل: معناه: من الجاهلين بأن وكزتي تقتله. وقيل: معناه: من الناسين، فهو كقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقوله: ﴿إِذَا﴾ صلةٌ في الكلام، وكأنها بمعنى حيثئذ. قال ذلك ابن عطية <sup>(٢)</sup>.

﴿فَبَرَزْتُ مِنْكُمْ﴾ أي: من فرعون وقومه، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفردته في قوله: ﴿تَمْنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ﴾ <sup>(٣)</sup>.

(١) في ج، د: «أطلق».

(٢) المحرر الوجيز (٦/٤٧٥).

(٣) هذه الآية «تَمْنُّهَا عَلَيَّ» بعد «فَبَرَزْتُ مِنْكُمْ» وليست قبلها، فلو قال: «جمع ضمير الخطاب مع إفراده في قوله... لاستقامت العبارة، كما هي عبارة الكشاف (١١/٣٣٩).



﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ معنى ﴿عَبَّدْتُ﴾: ذَلَّلْتُ واتخذتهم عبيداً، فمعنى هذا الكلام: أنك عددت نعمة عليّ تعبيد بني إسرائيل، وليست في الحقيقة بنعمة، إنما كانت نقمة؛ لأنك كنت تذبح أبناءهم، ولذلك وصلتُ أنا إليك فربيتني.

فالإشارة بقوله: ﴿تِلْكَ﴾ إلى الترية. و﴿أَنْ عَبَّدْتُ﴾: في موضع رفع عطْفُ بيان على ﴿تِلْكَ﴾، أو في موضع نصبٍ على أنه مفعول من أجله.

وقيل: معنى الكلام: تربيتك نعمة عليّ؛ لأنك عبَّدت بني إسرائيل وتركنتني. فهي في المعنى الأول إنكارٌ لنعمته، وفي الثاني اعترافٌ بها.

﴿قَالَ لَيْسَ إِنْتَحَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ أجابه موسى ﷺ بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فقال: ﴿أَلَا تَسْتَعِينُونَ﴾؟ تعجباً من جوابه، فزاد موسى ﷺ في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة<sup>(١)</sup> عند العقلاء وأعظم البراهين؛ فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون<sup>(٢)</sup> بها على وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها، ونسب موسى ﷺ إلى الجنون مغالطةً منه، وأبدى الازدراء والتهكُّم في قوله: ﴿رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ فزاد موسى ﷺ في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾؛ لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جحدها، ولا أن يدعيها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمرود، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهدَّده بالسجن، فأقام موسى ﷺ عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطُّفٍ؛ طمعاً في إيمانه، فقال: ﴿أَرَأَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام، وتقديره: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين؟

(١) في ب، ج، د، هـ: «دلالة».

(٢) في أ، ب، هـ: «يستدلون».

وقد تقدّم في «الأعراف»<sup>(١)</sup> ذكر العصا واليد، و «مَاذَا تَأْمُرُونَ» و «أَرْجِيهِ» ، و «خَشِيرِينَ» .

فإن قيل: كيف قال أولاً: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»، ثم قال آخرًا: «إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»؟  
فالجواب: أنه لا يَنْ أَوْلَا طمعًا في إيمانهم، فلما رأى منهم العناد والمغالطة وبخهم بقوله:  
«إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون: «إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» .



(١) انظر تفسير الآية (١٠٦) وما بعدها.

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِصِ حَاشِرِينَ ﴿٥٩﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَجَارٍ عَلِيمٍ ﴿٦٠﴾ بِجَمِيعِ السَّحَرَةِ لَمِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٦١﴾ وَفِيلٌ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٦٢﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعِ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٦٣﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِهَارُونَ أَبِى لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْسُ الْغَالِبِينَ ﴿٦٤﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِىَ الْمَقَرِّيْنَ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْفُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ رَبِّعُونَ إِنَّا لَتَحْسُ الْغَالِبِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَهُنَّ مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٦٨﴾ قَالَهُنَّ السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٣﴾ \* قَالُوا لَا صَبْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٧٤﴾ إِنَّا نَظْمَعُ أَنْ يَغَيِّرَ لَنَا رَبُّنَا حُطَّتًا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾

﴿لَمِيقَاتٍ يَوْمَ﴾ هو يوم الزينة.

﴿تَتَّبِعِ السَّحَرَةَ﴾ أي: تتبعهم في نصرة ديننا، لا في عمل السحر.

﴿بِعِزَّةِ رَبِّعُونَ﴾ قَسَمٌ أَقْسَمُوا بِهِ. وقد تقدَّم في «الأعراف»<sup>(١)</sup> تفسير «مَا يَأْفِكُونَ»، وما بعد ذلك.

﴿لَا صَبْرَ﴾ أي: لا يضرُّنا ذلك؛ لأننا نُنْقَلِبُ إِلَى اللَّهِ.



(١) انظر تفسير الآية (١١٦) وما بعدها.

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ يُسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِ  
 حَشِيرَةٍ ﴿٥٧﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَدِرُونَ ﴿٦٠﴾  
 فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٦١﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْزَنَّا بَيْنَهُ  
 إِسْرَآئِيلَ ﴿٦٣﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِفِينَ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَنَّتَيْنِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُورُونَ  
 ﴿٦٥﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ يُضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ  
 فَيَنْقَلِبَ بَكَانٍ كُلِّ فِرْعَوٍ كَالظُّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾ وَأَرْزَلْنَا قَوْمَ الْأَخْيَرِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ  
 مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْيَرِ ﴿٧٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾  
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٢﴾

﴿إِسْرِ بِعِبَادِي﴾ يعني: بني إسرائيل.

﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ إخبارٌ باتباع فرعون.

﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ الشَّرْذِمَةُ: الطائفة من الناس، وفي هذا احتقارٌ لهم، على أنه رُوي أنهم كانوا ستّ مئة ألف، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ﴾ يعني: التي بمصر. والعيون: الخُلجان الخارجة من النيل، و<sup>(١)</sup> كانت ثمّ عيون في ذلك الزمان، وقيل: يعني الذهب والفضة، وهو بعيد.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجالس الأمراء والحكام، وقيل: المنابر، وقيل: المساكن الحسان.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع خفض؛ صفة لـ ﴿مَقَامٍ﴾، أو في موضع نصب، على تقدير: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج، أو في موضع رفع، على أنه خبر ابتداء تقديره: الأمر كذلك.

﴿وَأَوْزَنَّا بَيْنَهُ إِسْرَآئِيلَ﴾ أي: أورثهم الله مواضع فرعون بمصر. على أن التواريخ لم يُذكر فيها مُلك بني إسرائيل لمصر، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام، فتأويله على هذا: أورثهم مثل ذلك بالشام.

(١) في أ، ب، د: «أو».

﴿بِأَتْبَعُوهُمْ﴾ أي: لحقوهم، وضمير الفاعل لفرعون وقومه، وضمير المفعول لبني إسرائيل.

﴿مُشْرِفِينَ﴾ معناه: داخلين في وقت الشروق، وهو طلوع الشمس، وقيل: معناه: نحو المشرق، وانتصابه على الحال.

﴿تَرَاءَا أَلْجَمْعَيْنِ﴾ وزن ﴿تَرَاءَا﴾ تفاعل، وهو مشتق من الرؤية، والجمعان: جمع موسى وجمع فرعون، أي: رأى بعضهم بعضاً.

﴿فَانْفَلَقَ﴾ تقدير الكلام: فضرب موسى البحر فانفلق.

﴿كُلُّ يَرِيٍّ﴾ أي: كل جزء منه، والطود: الجبل. ورؤي: أنه صار في البحر اثنا عشر طريقاً، لكل سبط من بني إسرائيل طريق.

﴿وَأَزَلَيْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ﴾ يعني بـ ﴿الْآخَرِينَ﴾: فرعون وقومه، ومعنى: ﴿أَزَلَيْنَا﴾: قربناهم من البحر ليغرقوا. و﴿ثُمَّ﴾ ظرف يراد به هنا: حيث انفلق البحر، وهو بحر القلزم.



وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ  
لَهَا عَلَيْهِمْ ﴿٥٨﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٥٩﴾ أَوْ يَنْبَعُونَكُمْ أَوْ يُضَرُّونَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا بَلْ  
وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ أَبَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٦٢﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ  
الْأَفْقَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٦٥﴾ وَالَّذِي هُوَ  
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٦٧﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ﴿٦٨﴾ \* وَالَّذِي أَطْمَعُ  
أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٦٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٧٠﴾ وَاجْعَلْ لِي  
لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧١﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٧٢﴾ وَاعْزِزْ لِي أَبْيَ إِثْنَهُ كَانَ مِنْ  
الضَّالِّينَ ﴿٧٣﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ ﴿٧٤﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٧٥﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ  
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَازْلَجْتَ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾ وَبَرَزْتَ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ ﴿٧٨﴾ وَفِيلَ لَهُمْ آيَنَ  
مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٩﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ  
وَالْغَاوُونَ ﴿٨١﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٨٣﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَمِ  
ضَلَّلٍ مُبِينٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ نَسَوَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَصْلَنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا لَنَا مِنْ  
شَافِعِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا صِدِّيقٍ حَسِيمٍ ﴿٨٨﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُخَرِّقُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩١﴾

﴿٥٦﴾ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام؛ ليبين لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء، ويقيم عليهم الحجة.

﴿٥٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ إن قيل: لم صرّحوا بقولهم «نَعْبُدُ»، مع أن السؤال - وهو قوله: «مَا تَعْبُدُونَ» - يغني عن التصريح بذلك، وقياسٌ مثل هذا: الاستغناء بدلالة السؤال كقوله: «مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠]؟

فالجواب: أنهم صرّحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام، ثم زادوا قولهم: «فَنَنْظِلُ لَهَا عَلَيْهِمْ» مبالغة في ذلك.

﴿٥٨﴾ بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ اعترافٌ بالتقليد المحض.

﴿٥٩﴾ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ استثناء منقطع، وقيل: متصل؛ لأن في آباؤهم من عبد الله تعالى.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله؛ تأدباً مع الله.

﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ قيل: أراد كذباته<sup>(١)</sup> الثلاثة الواردة في الحديث<sup>(٢)</sup>، وهي قوله في سارة زوجته: «هي أختي»، وقوله: ﴿إِنِّي سَفِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ بَعَلَّكَ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وقيل: أراد الجنس على الإطلاق؛ لأن هذه الثلاث من المعارض فلا إثم فيها.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء جميلاً.

﴿لَا يَنْفَعُ﴾ وما بعده: منقطع عن كلام إبراهيم عليه السلام، وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضاً من كلام إبراهيم عليه السلام.

﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قيل: سليم من الشرك والمعاصي، وقيل: الذي يلقي ربه وليس في قلبه شيء غيره. وقيل: بقلب لديغ من خشية الله، والسليم: هو اللديغ لغة. وقال الزمخشري: هذا من بدع<sup>(٣)</sup> التفاسير<sup>(٤)</sup>.

وهذا الاستثناء: يحتمل أن يكون متصلاً، فيكون: ﴿مَنْ آتَى اللَّهَ﴾ مفعولاً بقوله: ﴿لَا يَنْفَعُ﴾، والمعنى على هذا: أن المال لا ينفع إلا من أنفقه في طاعة الله، وأن البني لا ينفعون إلا من علمهم الدين وأوصاهم بالحق.

ويحتمل أيضاً أن يكون متصلاً، ويكون قوله: ﴿مَنْ آتَى اللَّهَ﴾ بدلاً من قوله: ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ على حذف مضاف تقديره: إلا مالٌ من أتى الله وبنوه. ويحتمل أن يكون منقطعاً بمعنى: «لكن».

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: قُرِبَتْ.

﴿وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ يعني: المشركين؛ بدلالة ما بعده.

(١) في ج، د: «كلماته».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة عليه السلام.

(٣) في أ، ب، د، هـ: «بديع»، والمثبت موافق لعبارة الكشف.

(٤) الكشف (٣٨١/١١).

- ﴿بَكْبِكْبُوا بِهَا﴾ كبكبوا: مضاعف من «كَبَّ»<sup>(١)</sup> كُرِّرَت حروفه؛ دلالة على تكرير معناه، أي: كبَّهم الله في النار مرةً بعد مرة. والضمير للأصنام، و﴿الْعَاوِدْنَ﴾ هم المشركون، وقيل: الضمير للمشركين، و﴿الْعَاوِدْنَ﴾ هم الشياطين.
- ﴿نَسَوِيْكُمْ يَرْبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾ أي: نجعلكم سواءً معه.
- ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ يعني: كبراءهم، وأهل الجُرم والجُرأة منهم.
- ﴿حَمِيمٍ﴾ أي: خالص الودِّ. قال الزمخشري: جَمَعَ الشفعاء ووَحَّدَ الصديق؛ لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الأصدقاء<sup>(٢)</sup>.



(١) في ب، ج: «مضاعف مركب»!

(٢) الكشف (٣٨٦/١١).



كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمَتْ أُخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ  
 أَمِينٌ ﴿٥٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٥٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٦١﴾ \* قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ وَمَا  
 عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٣﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿٦٤﴾ وَمَا أَنَا بِظَارِدِ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٦٦﴾ قَالُوا لَيْسَ لَكَ تَنْتَهُ يَنْتُوحَ لَكُوكُنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿٦٧﴾  
 قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿٦٨﴾ فَابْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾  
 فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بِعَذَابِ الْبَاقِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
 وَمَلَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٣﴾

كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٩﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٠﴾  
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٣١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾  
 أَتَنْبُوْنَ بِكُلِّ رِيعٍ - آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٣٣﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٣٤﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ  
 بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٣٦﴾ وَاتَّقُوا الَّيْمَةَ أَمْدَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾ أَمْدَكُمْ  
 بِأَنْعَمِ وَبَيْنٍ ﴿١٣٨﴾ وَجَنَّتْ وَعُيُوبٌ ﴿١٣٩﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٠﴾ قَالُوا سَوَاءٌ  
 عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٤١﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤٢﴾ وَمَا نَحْنُ  
 بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٤٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴿١٤٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٥﴾ وَإِنَّ  
 رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٦﴾

﴿١٢٨﴾ ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ الرِّيع: المكان المرتفع، وقيل: الطريق.

﴿آيَةً﴾ يعني: المباني الطَّوَال، وقيل: أبراج الحمام.

﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مَصْنَع، وهو ما أُتِقِنَ صُنْعُهُ من المباني، وقيل: مآخذ الماء.

﴿١٣٣-١٣٧﴾ ﴿أَمْدَكُمْ بِأَنْعَمِ﴾ الآية؛ تفسير لقوله ﴿أَمْدَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فَأُنْهِمَ أَوَّلًا، ثم فسره.

﴿١٣٧﴾ ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام<sup>(١)</sup>: أي: عاداتهم، والمعنى: أنهم قالوا: ما هذا الذي نحن عليه من ديننا ومبانينا<sup>(٢)</sup> إِلَّا عادة الناس الأولين.

وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام، ويحتمل على هذا وجهين: أحدهما: أنها بمعنى الخِلْقَة، والمعنى: ما هذه الخِلْقَة التي نحن عليها إِلَّا خِلْقَة الأولين. والآخر: أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، والمعنى: ما هذا الذي جئت به إِلَّا كذب الأولين.



(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الخاء وإسكان اللام، وقرأ الباقون بضمهما.

(٢) سقطت هذه الكلمة من أ، ب، هـ.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَتُتَفُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنَّهُ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ \* أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَلَنْتُمْ عَنْ آمِينِ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا بُرْهِيْنٌ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا بِاتِّبَاعِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَافَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّغْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا تَدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

﴿١٤١﴾ «أَتُتْرَكُونَ» تخويفٌ لهم، معناه: أطمعون أن تُتركوا في النعم على كفركم.

﴿١٤٨﴾ «وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ» الطَّلْع: عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكم، والهضيم: اللين الرطب، فالمعنى: أن طلعها يتم ويرطب. وقيل: هو الرخص<sup>(١)</sup> أول ما يخرج، وقيل: الذي ليس فيه نوى.

فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات، والجنات تحتوي على النخل؟ فالجواب: أن ذلك تجريدٌ، كقوله: «بَنَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ» [الرحمن: ٦٧]. ويحتمل أنه أراد: الجنات التي ليس فيها نخل، ثم عطف عليها النخل.

﴿١٤٩﴾ «وَتَنْجِتُونَ» ذكر في «الأعراف»<sup>(٢)</sup>.

﴿١٤٩﴾ «بُرْهِيْنٌ» قرئ باللف وبغير ألف<sup>(٣)</sup>، وهو منصوب على الحال من الفاعل في «تَنْجِتُونَ». وهو مشتق من الفَراهة وهي النشاط والكَيْس، وقيل: معناه: أقوياء، وقيل: أشْرين بطْرين.

(١) الرخص: الشيء الناعم. كما في القاموس المحيط.

(٢) انظر تفسير الآية (٧٣).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبغير ألف، وقرأ الباقون بألف.

﴿مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ مبالغة في المسحورين، وهو من السَّحَر - بكسر السين - . وقيل: من السَّحَر - بفتح السين - وهي الرُّثَّة، والمعنى على هذا: إنما أنت بشر.

﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ أي: حظٌّ من الماء.

﴿بِأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ لما تغيرت ألوانهم حسبما أخبرهم صالح ﷺ ندموا حين لم تنفعهم الندامة، فأخذتهم الصبحة التي ماتوا منها، وهي العذاب المذكور هنا.



كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٩﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٧١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٢﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٣﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٧٤﴾ قَالُوا لَيْسَ لَنَا تَنَوُّعٌ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَخْرُجِينَ ﴿١٧٥﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٧٦﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٧﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٨﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧٩﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٨٠﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا بَسَاءً مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٨١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨٣﴾

﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ أي: من المبغضين. وفي قوله: ﴿قَالَ﴾، و﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: نجّني من عقوبة عملهم، أو اعصمني من عملهم، والأول أرجح.

﴿١٧٦﴾ - ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني: امرأة لوط.

﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(١)</sup>، وكذلك ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾.



(١) انظر تفسير الآية (٨٢).

كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٧٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٨٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ \* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُبْسِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولَى ﴿٨٥﴾ فَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿٨٦﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨٧﴾ بِأَسْفِط عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٩٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ بَلَايَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩٢﴾

﴿٧٧﴾ «أَصْحَابُ لَيْكَةٍ» قرئ بالهمز وخفض التاء<sup>(١)</sup>، مثل الذي في «الحجر» و«ق»، ومعناه: الغيضة من الشجر.

وقرئ هنا وفي «ص» بفتح اللام والتاء: فقيل: إنه مسهلٌ من الهمز. وقيل: إنه اسم بلد، ويقوي هذا القول بأنه - على هذه القراءة بفتح التاء - غير منصرف، فدل<sup>(٢)</sup> ذلك على أنه اسم علم. وضعف ذلك الزمخشري، وقال: إن «لَيْكَةٍ» اسم لا يُعرف<sup>(٣)</sup>.

﴿٧٧﴾ «إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ» لم يقل هنا «أخوهم» كما قال في قصة نوح وغيره!

فقيل: إن شعيباً ﷺ بُعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال: «وَالَّذِي مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا» [الأعراف: ٨٥]، وبعث أيضاً إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم، فلذلك لم يقل «أخوهم»، فكان شعيبٌ ﷺ على هذا مبعوثاً إلى قبيلتين<sup>(٤)</sup>.

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر هنا وفي «ص»: «لَيْكَةٍ» بلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها ولا همزة بعدها وبفتح تاء التانيث وصلًا، وقرأ الباقون بآلف وصل مع إسكان اللام وهمزة مفتوحة بعدها وخفض تاء التانيث.

(٢) في ج، د: «يدل».

(٣) الكشاف (١١/٤١١).

(٤) في أ، ب: «القبيلتين».

وقيل: إن أصحاب الأيكة هم مدين، ولكنه قيل<sup>(١)</sup> «أخوهم» حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يقل «أخوهم» حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها؛ تنزيهاً<sup>(٢)</sup> لشعيب عليه السلام عن النسبة إليها.

﴿مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكيل والوزن.

﴿بِالْفُسْطَايْنِ﴾ الميزان المعتدل.

﴿وَالْجِلَّةِ﴾ يعني: القرون والأمم المتقدمة.

﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة<sup>(٣)</sup> من نار أحرقتهم، فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة.

فإن قيل: لم كرر قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ مع كل قصة؟ فالجواب: أن ذلك أبلغ في الاعتبار، وأشد تنبيهاً للقلوب، وأيضاً فإن كل قصة منها كأنها كلامٌ قائمٌ مستقلٌ بنفسه، فحُتمت بما حُتمت به صاحبها.



(١) في د: «قال».

(٢) في ج: «تشریفاً».

(٣) في ج، د: «سحاب».

وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٥٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٥٨﴾ بِلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٥٩﴾ وَأَنَّهُ لَهُ زُبُرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٠﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَّعْلَمَهُدَّ عَلَّمَتُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٦١﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٦٢﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٣﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦٤﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٦٥﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦٦﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿١٦٧﴾ أَلْبَعْدَا إِنَّا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٦٨﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿١٦٩﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧٠﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿١٧١﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿١٧٢﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ بِهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ وَمَا يَتَّبِعُهُ لَهُمْ وَمَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٤﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿١٧٥﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿١٧٦﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٧٧﴾ وَاخْضِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٨﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّهِمْ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٨٠﴾ الَّذِي يَرْيَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٨١﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿١٨٢﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٨٣﴾ هَلْ أَتَيْنَاكَ عَلَىٰ مَن تَنْزِلُ الشَّيْطَانُ ﴿١٨٤﴾ تَنْزِيلٌ عَلَىٰ كُلِّ آفَاقٍ آثِيمٍ ﴿١٨٥﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٨٦﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿١٨٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٨٨﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْفَلِبُونَ ﴿١٩٠﴾

﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الضمير للقرآن.

﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ إشارة إلى حفظه إياه؛ لأن القلب هو الذي يحفظ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ يعني: كلام العرب، وهو متعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾، أو ﴿الْمُنذِرِينَ﴾.

﴿وَأَنَّهُ لَهُ زُبُرُ الْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: أن القرآن مذكور في كتب المتقدمين، ففي ذلك

دليل على صحته، ثم أقام الحجة على قریش بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَّعْلَمَهُدَّ عَلَّمَتُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ والمعنى: أن علم بني إسرائيل بأنه من عند الله آية لكم وبرهان،



والمراد: مَنْ أسلم من بني إسرائيل، كعبد الله بن سلام ﷺ، وقيل: الذين كانوا يبشرون بمبعثه ﷺ.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ الآية؛ ﴿الْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم، وهو الذي لا يتكلم، سواءً كان إنساناً أو بهيمة أو جماداً. والأعجمي: المنسوب إلى الأعجم، وقيل: هو بمعنى الأعجم.

ومعنى الآية: أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم، ثم قرأه عليهم لم يؤمنوا؛ لإفراط عنادهم، ففي الآية <sup>(١)</sup> تسليّة للنبي ﷺ عن كفرهم به مع وضوح برهانه.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى ﴿سَلَكْنَاهُ﴾: أدخلناه. والضمير للتكذيب الذي دلّ عليه ما تقدّم من الكلام، أو للقرآن، أي: سلكناه في قلوبهم مكذباً به. وتقدير قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل هذا السلك سلكناه. و﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: يحتمل أن يريد به: قريشاً، أو الكفار المتقدمين. و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: تفسير للسلك الذي سلك <sup>(٢)</sup> في قلوبهم.

﴿بَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ تمنّوا أن يؤخّروا حين لم ينفعهم التمني.

﴿أَبِيعْدَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ﴾ توبيخ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم: ﴿وَأَمْطَرُ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وشبه ذلك.

﴿أَبَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ المعنى: أن مدّة إمهالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها، وإن طالّت مدّة سنين؛ لأن كل ما هو آتٍ قريب. قال بعضهم: ﴿سِنِينَ﴾ يراد <sup>(٣)</sup> به عمر الدنيا.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ المعنى: أن الله لم يهلك قوماً إلّا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولاً فأنذروهم فكذبوه.

(١) في ج، د، هـ: «ذلك».

(٢) في ج: «سلكه».

(٣) في ج، د: «يريد».

﴿ذِكْرِي﴾ منصوبٌ على المصدر من معنى الإنذار، أو على الحال من الضمير من ﴿مُنْذِرُونَ﴾، أو على المفعول من أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر.

﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ الضمير للقرآن، وهذا ردُّ على من قال: إنه كهانة نزلت<sup>(١)</sup> بها الشياطين على محمد ﷺ.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ما يمكنهم ذلك ولا يقدرُونَ عليه. ولفظ «ما ينبغي» تارة يستعمل بمعنى: لا يمكن، و<sup>(٢)</sup> بمعنى: لا يليق.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعْزُولُونَ﴾ تعليلٌ لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة؛ لأنهم مُنعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ، وقد كان أمر الكهان كثيرًا منتشرًا قبل ذلك.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ عشيرة الرجل: هم قرابته الأدنون، ولما نزلت هذه الآية أُنذر النبي ﷺ أقاربه فقال: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار»، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: في معناها قولان: أحدهما: أنه أمر بأن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس. والآخر: أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذُ القريبَ من الرأفة بقريبه، ولا يُحاييهم بالإنذار<sup>(٤)</sup>.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ عبارة عن لين الجانب والرفق وعن التواضع.

﴿الَّذِي يَبْرِيكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: حين تقوم في الصلاة، ويَحتمل أن يريد سائر التصرفات.

﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ معطوفٌ على الضمير المفعول في قوله: ﴿يَبْرِيكَ﴾، والمعنى: أنه يراك حين تقوم وحين تسجد. وقيل: معناه: يرى صلاتك مع المصلين، ففي ذلك

(١) في ج: «نزلت».

(٢) في د: «وتارة».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤، ٢٠٦) عن أبي هريرة ؓ.

(٤) الكشاف (١١/٤٣٠).

إشارة إلى الصلاة في<sup>(١)</sup> الجماعة. وقيل: يرى تقلب بصره في المصلين خلفه؛ لأنه ﷺ كان يراهم من وراء ظهره.

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله: ﴿هَلْ انْتَبِهْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾، والأفَّاك: الكذاب، والأثيم: الفاعل للإثم، ويعني بذلك الكهان. وفي هذا رد على من قال: إن الشياطين تنزلت على محمد ﷺ بالكهانة؛ لأنها لا تنزل إلا على أفَّاكٍ أثيم، وكان ﷺ في غاية الصدق والبر.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ معناه: يستمعون، والضمير يحتمل: أن يكون للشياطين؛ بمعنى: أنهم يستمعون إلى الملائكة. أو يكون للكهان؛ بمعنى: أنهم يستمعون إلى الشياطين.

وقيل: ﴿يُلْقُونَ﴾ بمعنى: يلقون المسموع، والضمير يحتمل أيضًا على هذا: أن يكون للشياطين؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان. أو يكون للكهان؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الناس.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ يعني: الشياطين، أو الكهان؛ لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ لما ذكر الكهان ذكر الشعراء؛ ليبين أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر؛ لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة.

وأراد: الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي، كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك، وقيل: أراد شعراء الجاهلية، وقيل: شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم.

﴿وَالْغَاوُونَ﴾ قيل: هم رواة الشعر، وقيل: هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار؛ لما فيها من اللغو والباطل، وقيل: هم الشياطين.

(١) في ج، د: «مع».

﴿يَوْمَ كُلِّ وَّادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارة وتمثيل؛ أي: يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل، ويُفِرُّون في التجوُّز حتى يخرجوا<sup>(١)</sup> إلى الكذب.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ استثناء من الشعراء يعني به: شعراء المسلمين؛ كحسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف. وقيل: إن هذه الآية مدنية.

﴿وَذَكَّرُوا اللَّهَ﴾ قيل: معناه: ذكروا الله في أشعارهم، وقيل: يعني الذكر على الإطلاق. ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره من الشعر في هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبي ﷺ والمسلمين.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْفَلِبُونَ﴾ وعيدٌ للذين ظلموا، والظلم هنا: بمعنى الاعتداء على الناس؛ لقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾.

وعمل ﴿يَنْفَلِبُونَ﴾ في ﴿أَيَّ﴾ لتأخره، وقيل: إن العامل في ﴿أَيَّ﴾: ﴿سَيَعْلَمُ﴾<sup>(٢)</sup>.



(١) في ج: «يخرجون».

(٢) قال في الدر المصون (٨/٥٦٧): «قوله: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْفَلِبُونَ﴾ منصوب على المصدر، والناصب له «يَنْفَلِبُونَ» وقُدِّم لتضمنه معنى الاستفهام، وهو معلق لـ «سيعلم» ساداً مسدداً مفعولياً».

## سورة النمل

طَسَّ يَلْكَ ءَايَاتِ الْفُرْعَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُفِيمُونَ  
 الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ  
 أَعْمَلَهُمْ بِهِمْ يَغْمَهُونَ ﴿٤﴾ أَتَوَلَّيْكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ ﴿٥﴾  
 \*وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْفُرْعَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا  
 سَاءَتِيبُكُمْ مِنْهَا يَخَبِّرُ أَوْ أَتِيَكُمْ بِشَهَابٍ فَبَسَّ لَعَلَّكُمْ تَظْلُمُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ  
 بُورِكَ مَن فِي الْبَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْسُقُ إِلَيْنَا فَنَنْشِئُهَا عَصَاً أَمْ  
 الْحَكِيمِ ﴿٩﴾ وَأَلْيَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنَّمَا جَاءَ وَلِيُّ مُذِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْسُقُ إِلَى  
 تَخَفٍ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِيَ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بُعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ  
 ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِيهِ تَسْمِعُ ءَايَاتِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ  
 إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا  
 بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

﴿١﴾ «يَلْكَ ءَايَاتِ الْفُرْعَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ» عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض، وإن كان الموصوف واحدًا.

﴿٢﴾ «هُدًى وَبُشْرَى» في موضع نصب على المصدر، أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمرة.

﴿٣﴾ «وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» تحتل هذه الجملة: أن تكون معطوفة، فتكون بقية صلة «الذين». أو تكون مستأنفة وتمت الصلاة قبلها. ورجع الزمخشري هذا<sup>(١)</sup>.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرّون.

﴿سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ يعني: في الدنيا، وهو القتل يوم بدر. ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة، والأول أرجح؛ لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك.

﴿لَتَلْقَى الْفُرْعَانَ﴾ أي: تُعطاه.

﴿ءَأَنْتُمْ﴾ ذكر في «طه»<sup>(١)</sup>، وكذلك «قَبَسِ». والشَّهَاب: النجم، شبه القبس به. وقرئ<sup>(٢)</sup> بإضافة «بِشَّهَابٍ» إلى «قَبَسِ»، وبالتنوين، على البدل أو الصفة. فإن قيل: كيف قال هنا: «سَأَتِيكُمْ» وفي الموضع الآخر: «لَعَلِّي آتِيكُمْ» [طه: ٩]، والفرق بين الترجي والتسويق: أن التسويق متيقن الوقوع بخلاف الترجي؟ فالجواب: أنه قد يقول الراجي: «سيكون كذا» إذا قوي رجاؤه.

﴿تَضْطَلُّونَ﴾ معناه: تستدفئون بالنار من البرد، ووزنه تفتعلون، وهو مشتق من صَلَّي بالنار، والطاء فيه بدل من التاء.

﴿أَنْ بُورِكَ مَسَّ فِي الْبَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ «أَنْ» مفسرة، و «بُورِكَ» من البركة، و «مَسَّ فِي الْبَارِ»: يعني مَنْ في مكان النار، «وَمَنْ حَوْلَهَا»: مَنْ حول مكانها: يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام. وقال الزمخشري: والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض، وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام<sup>(٣)</sup>.

﴿وَسُبْحَنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسى عليه السلام، أو يكون مستأنفاً. وعلى كلا الوجهين قصد به: تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء، و<sup>(٤)</sup> في قوله: «بُورِكَ مَسَّ فِي الْبَارِ»؛ إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (٩).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتنوين، وقرأ الباقون بالإضافة.

(٣) الكشاف (١١/ ٤٦٤).

(٤) في أ، ج: «أو».

(٥) [التعليق ٨١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف عليه السلام: «وَسُبْحَنَ اللَّهُ» [النمل: ٨]، يحتمل أن يكون

مما قيل في النداء لموسى عليه السلام... إلخ:

﴿وَأَلِيَّ عَصَاكَ﴾ هذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾؛ لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، وأن ألقى عصاك؛ فكلاهما تفسير للنداء.

﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ الجان: الحية، وقيل: الحية الصغيرة، وعلى هذا يُشكل قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَأَنَّ﴾ [الأعراف: ١٠٦]! والجواب: أنها تُعبان في جزمها، جانٌّ في سرعة حركتها.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع، أو لم يلتفت.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ استثناء منقطع، تقديره: لكن مَنْ ظلم من سائر الناس، لا من المرسلين. وقيل: إنه متصل؛ على القول بتجويز الذنوب على الأنبياء، وهذا بعيد؛ لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب، وأيضاً فإن تسميتهم ظالمين شنيع (على القول بتجويز الذنوب عليهم) <sup>(١)</sup>.

﴿بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أي: عمل عملاً صالحاً.

= أقول: الأظهر: أن ذلك من جملة ما قيل لموسى عليه السلام في النداء، وهو مع ذلك دالٌّ على تنزيه الله عن كل نقص، والتنزيه: هو مدلول الكلمة في كل موارد، وفي هذا تعليم لموسى عليه السلام ما يستحقه الرب من التنزيه؛ كما علمه تعالى ما يستحقه من الإلهية والربوبية والتنزيه عن الشرك في قوله: ﴿فَأَسْمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ <sup>(١٣)</sup> *إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي* ﴿طه: ١٣-١٤﴾، وقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصاص: ٣٠].

وأما قول المؤلف: «أو يكون مستأنفاً؛ وعلى كلا الوجهين: قصد به تنزيه الله»:

فهذا القدر من عبارته صحيح، ولا إشكال فيه؛ ولكنه - عفا الله عنه - قيد التنزيه بقوله: «مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء...»، إلخ، وقد أجمل وأبهم ما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء، وكذا لم يوضح ما قاله بعض الناس في الآية مما يجب تنزيه الله عنه.

ولهذا صار كلامه غامضاً لا يفيد السامع معنى محدداً، ولا يفهم مراده إلا من يعرف مذهباً في كلام الله. وإذا قد عُلِمَ مما تقدم: أن المؤلف على طريقة الأشاعرة، ومذهب الأشاعرة في كلام الله: أنه معنى نفسي قديم، ليس بصوت ولا حرف، ولا يكون بمشيئته - فالذي يحذره المؤلف: أن يفهم من لفظ النداء: أن كلامه تعالى بصوت؛ لأن النداء: هو الخطاب بصوت رفيع مسموع، ومذهب أهل السنة: أن كلام الله يكون بصوت، مناداةً ومناجاةً؛ فالله نادى موسى ومناجاه.

وأما قوله: «قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه»، فلعله يريد قول من قال: «المراد بـ «مَنْ فِي النَّارِ»: هو الله»؛ وهذا القول يستعظمه من لم يعرف مراد من قال ذلك من السلف؛ فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن بُورِكَ: أن قُدَّسَ، وأن النار هي نور، وبمعرفة ذلك يزول الإشكال.

(١) في هامش ب بدل هذه العبارة: «ولو على القول بتجويز الذنوب الصغائر عليهم» وصحح عليه.

﴿فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر في «طه»<sup>(١)</sup>.

﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ متصل بقوله: «أَلَيْ» و «أَدْخِلْ»، تقديره: نيسر لك ذلك في جملة تسع آيات. وقد ذكرت الآيات التسع في «الإسراء»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَلَيْ بِزَعْوَنَ﴾ متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام، تقديره: اذهب بالآيات التسع إلى فرعون.

﴿مُبْصِرَةً﴾ أي: ظاهرة واضحة الدلالة، أسند الإبصار لها مجازاً، وهو في الحقيقة لمتأملها.

﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني: أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقنوا أنها الحق، فكفروهم عناداً، ولذلك قال فيه: «ظُلُمًا»، والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها «قد». و «وَعَلَوْا» يعني: تكبروا.



(١) انظر تفسير الآية (٢١)، ولم يذكر هناك معنى الجيب هناك، وإنما ذكر تفسير بقية الآية، وذكر تفسير الجيب في سورة القصص آية (٣٢).

(٢) انظر تفسير الآية (١١).



وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَضَلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَآتَيْنَا مِنْ كُلِّ  
 شَيْءٍ لَّانْ هَذَا لَهُوَ الْبَظْلُ الْمُبِينُ ﴿٥٢﴾ \* وَخَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ آلِجِي وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ  
 بِهِمْ يُورَعُونَ ﴿٥٣﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادٍ لِّلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا  
 مَسَكِنَتَكُمْ لَا يَخِطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ فَبَتَّبَسَمَ صَاحِبُكَ مِنْ  
 قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ  
 صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٥﴾ وَتَبَقَّدَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا  
 أَرَى الْهَدهُدهَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٥٦﴾ لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي  
 بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٥٧﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِظْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ مِّنْ  
 بَيْنِ يَدَيْ لَنِي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَجَدْتُهَا  
 وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
 فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا  
 يُخْفُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾ \* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ  
 أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٢﴾ إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا بَالِغَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا  
 يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلَأُوا إِنِّي أَنفِئُ إِلَىٰ كِتَابِ كَرِيمٍ ﴿٦٤﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٦٥﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٦٦﴾

﴿٥١﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴿٥١﴾ أي: ورث عنه النبوة والعلم والملك.

﴿٥٢﴾ وَخَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ آلِجِي وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ﴿٥٢﴾ أي: فُهِمْنَا مِنْ أَصْوَاتِ الطَّيْرِ الْمَعَانِي الَّتِي فِي نَفُوسِهَا.

﴿٥٣﴾ وَآتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لَّانْ هَذَا لَهُوَ الْبَظْلُ الْمُبِينُ ﴿٥٣﴾ عمومٌ معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير، كقولك: فلان يقصده كل أحد. وقوله: ﴿عَلِمْنَا﴾ و﴿وَآتَيْنَا﴾ يحتمل أن يريد نفسه وأباه، أو نفسه خاصة على وجه التعظيم؛ لأنه كان ملكاً.

﴿٥٤﴾ وَخَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ ﴿٥٤﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان ﷺ اختلافاً شديداً، تركنا ذكره؛ لعدم صحته.

﴿بِهِمْ يوزَعُونَ﴾ أي: يُكفون ويرد أولهم إلى آخرهم، ولا بد لكل ملك أو حاكم من ورعة يدفعون الناس.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ ظاهر هذا: أن سليمان عليه السلام وجنوده كانوا مشاة بالأرض أو ركباناً، حتى خافت منهم النملة. ويحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأحسّت النملة بنزولهم في وادي النمل.

﴿قَالَتْ تَمْلَأُ﴾ النمل حيوان فطن، قوي الحس، يدخر قوته، ويقسم الحبة بقسمين؛ لثلاث، وتنب، ويقسم حبة الكزبر بأربع قطع؛ لأنها تنبت إذا قسمت على اثنين، ولا فراط إدراكها قالت هذا القول، وزوي أن سليمان عليه السلام سمعه، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال<sup>(١)</sup>، وذلك لا يسمعه البشر إلا من خصّه الله بذلك.

﴿ادْخُلُوا﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء؛ لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء.

﴿لَا يَخْطِئَنَّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون جواباً للأمر، أو نهياً بدلاً من الأمر؛ لتقارب المعنى.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الضمير لسليمان عليه السلام وجنوده، والمعنى: اعتذار عنهم لو حطّموا النمل؛ أي: لو شعروا بهم لم يحطّموهم.

﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا﴾ تبسّم لأحد أمرين:

أحدهما: سروره بما أعطاه الله.

والآخر: ثناء النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان.

﴿وَتَبَقَّدَ الطَّيْرُ﴾ اختلف الناس في معنى تفقده للطير: فقيل: ذلك عناية بأمور ملكه. وقيل: لأن الطير كانت تطلّعه، فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه.

﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ «أم» منقطعة؛ فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، ﴿بِقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾ أي: لا أراه ولعله حاضرٌ وستره ساتر، ثم علم أنه غائب فأخبر بذلك.

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣/٢٩٩).

﴿لَاَعْدِيَّةَ لَهُ﴾ روي أن تعذيبه للطير كان ينتف ريشه<sup>(١)</sup>.

﴿يَسْلُطُ مَبِينٌ﴾ أي حجة بينة.

﴿بَمَكَّتْ﴾ أي: أقام، ويجوز فتح الكاف وضمها، وبالفتح قرأ عاصم<sup>(٢)</sup>.

والفعل يحتمل أن يكون مسنداً إلى سليمان ﷺ، أو إلى الهدهد، وهو أظهر.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يعني: زماناً قريباً.

﴿أَحْظَتْ﴾ أي: أحطت علماً بما لم تعلمه.

﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ هي<sup>(٣)</sup> قبيلة من العرب، وجدّهم الذي يُعرفون به: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ومن صرّفه<sup>(٤)</sup> أراد الحيّ أو الأب، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة. وقرئ بالتسكين؛ لتوالي الحركات. وعلى القراءة بالتثنية يكون في قوله: ﴿مِنْ سَبِيلٍ يَتَّبِلِ﴾ ضرب من أدوات البيان، وهو التّسجيع<sup>(٥)</sup>.

﴿وَجَدْتُ إِمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ المرأة: بلقيس بنت شراحيل، كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت بعده على الملك. والضمير في ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ يعود على سبأ، وهم قومها.

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: سرير ملكها. ووقف بعضهم على ﴿عَرْشٌ﴾، ثم ابتدأ ﴿عَظِيمٌ﴾ ﴿وَجَدْتُهَا﴾ على تقدير: عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس. وهذا خطأ، وإنما حمّله عليه الفراء من وصف عرشها بالعظمة.

(١) أخرجه الطبري (٣٣/١٨)، وابن أبي حاتم (٢٨٦٢/٩) عن ابن عباس ؓ ومجاهد وغيرهما.

(٢) قرأ الباقر بالضم.

(٣) في ج، د: «يعني».

(٤) قرأ أبو عمرو والبزي عن ابن كثير بفتح الهمزة من غير تنوين، وروى قبل عن ابن كثير بإسكان الهمزة، وقرأ الباقر بالخفض والتنوين.

(٥) في أ، ب، هـ: «التجنيس»، وانظر الباب العاشر من المقدمة الأولى.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ من كلام الهدد، أو من كلام الله. وقرأ الجمهور بالتشديد<sup>(١)</sup>، و«أَن»: في موضع نصبٍ على البدل من «أَغْتَلَّهْمُ». أو في موضع خفضٍ على البدل من «السَّيْلُ». أو يكون التقدير: «لا يهتدون لأن يسجدوا» فحذف اللام، وزاد «لا».

وقرئ بالتخفيف على أن تكون «أَلَّا» حرف تنبيه، وأن تكون الياء النداء<sup>(٢)</sup>، فيوقف عليها بالالف على تقدير: «يا قوم» ثم يبتدئ: «اسجدوا».

﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ الخبء في اللغة: الخفي، فقيل: معناه هنا: الغيب، وقيل: يخرج النبات من الأرض. واللفظ يعُمُّ كل خفي، وبه فسرهُ ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: تنحَّ إلى مكان قريب؛ لتسمع ما يقولون، وروي أنه دخل عليها من كوةٍ فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة<sup>(٤)</sup>. وقيل: إن التقدير: انظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم، فهو من المقلوب، والمعنى الأول أحسن.

﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ من قوله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سبا: ٣١].

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ قبل هذا الكلام محذوف، تقديره: فألقى الهددُ إليها الكتاب فقرأته، ثم جمعت<sup>(٥)</sup> أهل ملكها فقالت لهم: يا أيها الملأ.

﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان عليه السلام، أو لأن فيه اسم الله، أو لأنه مختوم، كما جاء في الحديث: «كرم الكتاب ختمه»<sup>(٦)</sup>.

(١) قرأ الكسائي بتخفيف اللام ويقفُ «أَلَّا يا» ويبتدئ «اسجدوا» بهمزة مضمومة على الأمر، فهو في تقدير: أَلَّا يا هؤلاء اسجدوا، فهو كلمتان فمن ثَمَّ فصلت وقفًا، وقرأ الباقر بتشديد اللام و«يسجدوا» كلمة واحدة، فلذا لم تفصل.

(٢) في ج، د: «تكون ياء النداء».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨٦٨/٩) من طريق العوفي عنه رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري (٤٧/١٨)، وابن أبي حاتم (٢٨٧٠/٩) عن قتادة.

(٥) في أ، ب، هـ: «فجمعت».

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٣٩/٢٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٨/١)، والطبراني في الأوسط (١٦٢/٤)

عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعًا، بلفظ: «كرامة الكتاب ختمه»، وهو حديث ضعيف جدًا، في إسناده محمد بن

مروان السدي الصغير، وهو متروك متهم بالكذب. انظر: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (١٦/٣)،

ومجمع الزوائد (١٨٦/٨).

﴿مِسْ سَلِيمَن﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا نَصُّ الْكِتَابِ بَدَأَ فِيهِ بِالْعُنْوَانِ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِهَا؛ أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّ الْكِتَابَ مِنْ سَلِيمَانَ.

﴿وَأَتُونِي مَسْلِمِينَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِنْقِيَادِ؛ بِمَعْنَى: مُسْتَسْلِمِينَ، أَوْ يَكُونَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ.



قَالَتْ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٥٤﴾ قَالُوا نَحْنُ  
 أَزْلُوا قُوَّةً وَأَزْلُوا بَأْسَ شَدِيدٍ ﴿٥٥﴾ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا  
 دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ  
 بِهَدِيَّةٍ فَنْظُرَ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتَيْدُونِي بِمَالٍ مِمَّا آتَيْنِي بِهِ اللَّهُ  
 خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٥٩﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ  
 بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَتِيَكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ  
 يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٦١﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي  
 عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ  
 طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن  
 شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٦٣﴾ \* قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا  
 نَنْظُرَ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونِ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ فِيلٌ أَلْهَكَا عَرْشَهَا قَالَتْ  
 كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا آلْعَلَمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٦٥﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ  
 اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ فِيلٌ لَهَا أَدْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً  
 وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنَ قَوَارِيرَ ﴿٦٧﴾ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي  
 وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾

﴿٥٤﴾ «نَحْنُ أَزْلُوا قُوَّةً» يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ قُوَّةَ الْأَجْسَادِ، أَوْ قُوَّةَ الْمَلِكِ وَالْعُدُدِ وَالْعَدَدِ<sup>(١)</sup>.

﴿٥٥﴾ «وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ» مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِهَا، فَيُوقِفُ عَلَى مَا قَبْلَهُ. أَوْ مِنْ  
 كَلَامِ بَلْقَيْسٍ تَاكِيدًا لِلْمَعْنَى الَّتِي أَرَادَتْهُ، أَوْ تَعْنِي: كَذَلِكَ يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ بِنَا.

﴿٥٧﴾ «وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ» قَالَتْ لِقَوْمِهَا: إِنِّي أَجْرُبُ<sup>(٢)</sup> هَذَا الرَّجُلَ بِهَدِيَّةٍ مِنْ نَفَائِسِ  
 الْأَمْوَالِ، فَإِنْ كَانَ مَلِكًا دُنْيَاوِيًّا: أَرْضَاهُ الْمَالِ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا لَمْ يَرْضَهُ الْمَالِ، وَإِنَّمَا يَرْضِيهِ  
 دُخُولُنَا فِي دِينِهِ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ هَدِيَّةً عَظِيمَةً وَصَفَّهَا النَّاسَ، وَاخْتَصَرْنَا وَصَفَهَا؛ لِعَدَمِ صَحَّتِهِ.

(١) هذه الكلمة سقطت من أ، ج، د.

(٢) في أ، ب، هـ: «معجبة».

﴿أَتَمِدُّونَ بِمَالٍ﴾ إنكارٌ للهدية؛ لأن الله أغناه عنها بما أعطاه.

﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي: أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها، وأنا لست كذلك.

﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ خطابٌ للرسول، وقيل: للهدد، والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿بَلَّمَا جَاءَ سَلَيْتَنَ﴾ مسندٌ إلى الرسول.

﴿لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بها.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ القائل: سليمان عليه السلام، والملأ: جمعه من الجن والإنس. وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين؛ لأنه وُصف له بعظمة، فأراد أخذه قبل أن يُسلموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم، فـ ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا: من الدخول في دين الإسلام. وقيل: إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه؛ ليظهر لهم قوته، فـ ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا: بمعنى منقادين.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ روي عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت: الكودن<sup>(١)</sup>.

﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ قبل أن تقوم من مجلس الحكم، وكان يجلس من غُدُوَّة<sup>(٢)</sup> إلى الظهر. وقيل: معناه: قبل أن تستوي من جلوسك قائماً.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ هو آصف، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم، وقيل: هو الخضر، وقيل: هو جبريل، والأول أشهر. وقيل: هو سليمان، وهذا بعيد.

﴿عَاتِيكَ بِهِ﴾ في الموضعين: يحتمل أن يكون: فعلاً مستقلاً، أو اسم فاعل.

﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الطرف: العين، فالمعنى: قبل أن تُغمض بصرَكَ إذا نظرت إلى شيء. وقيل: الطرف: تحريك الأجفان إذا نظرت.

(١) كذا في النسخ الخطية بالذال، وذكره النحاس في إعراب القرآن (١٣٣/٥) عن وهب، وقال: اسمه: كودن - بالذال -، وأخرجه الطبري (٦٦/١٨-٦٧)، وابن أبي حاتم (٢٨٨٤/٩) عن وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي، وقال: اسمه: كوزن - بالزاي -، وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن رومان قال: اسمه كوزي.  
(٢) في د: «من الصبح».

﴿بَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ قبل هذا محذوف، تقديره: فجاء الذي عنده علم من الكتاب بعرشها. ومعنى ﴿مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾: حاصلًا عنده، وليس هذا بـ«مستقر» الذي يقدر النحويون تعلق المجرورات به، خلافاً لمن فهم ذلك<sup>(١)</sup>.

﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: منفعة الشكر لنفسه.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ تنكيره: تغيير وصفه وستر بعضه، وقيل: الزيادة فيه والنقص منه. وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها.

﴿اتَّهَتَدَتْ﴾ يحتمل أن يريد تهتدي لمعرفة عرشها، أو للجواب عنه إذا سئلت، أو للإيمان. ﴿بَلَمَّا جَاءَتْ فِيلٌ أَلْهَكَذَا عَرْشَكُمْ﴾ كان عرشها قد وصل إلى سليمان ﷺ قبلها، فأمر بتكثيره، وأن يقال لها: ﴿أَلْهَكَذَا عَرْشَكُمْ﴾ أي: أمثل<sup>(٢)</sup> هذا عرشك؟ (ولم يقل لها: «أهذا عرشك؟»)<sup>(٣)</sup>؛ لئلا تظن أنه هو، فأجابت بقولها: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ جواباً على نحو السؤال، ولم تقل: «هو هو»؛ تحرُّراً من الكذب، أو من التحقيق في محل الاحتمال.

﴿وَأَوْتَيْنَا آلَ عِمْلَانَ﴾ هذا من كلام سليمان ﷺ وقومه، لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك؛ اعترافاً بنعمة الله عليهم في أن آتاهم العلم قبل بلقيس، وهداهم للإسلام قبلها.

والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره: قد أسلمت هي وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة وأوتينا نحن العلم قبلها.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان ﷺ وقومه، أو من كلام الله تعالى. ويحتمل أن يكون ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾: فاعلاً، أو مفعولاً. فإن كان فاعلاً: فالمعنى: صدَّها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت. وإن كان مفعولاً: فهو على إسقاط حرف الجر، والمعنى: صدَّها الله أو سليمان عمَّا كانت تعبد من دون الله، فدخلت في الإسلام.

(١) انظر: البحر المحيط (١٦/٤٤٠)، والدر المصون (٨/٦١٦).

(٢) في ب، ج: «مثل».

(٣) سقط من ب، هـ.



﴿فِيلٌ لَهَا آذُنٌ أَلْفٌ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ الصَّرح في اللغة: القصر، وقيل: صحن الدار. وروي أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها، فُبَيَّنَّ<sup>(١)</sup> له على طريقها قصرٌ من زجاج أبيض، وأجرى الماء من تحته، وألقى فيه دوابَّ البحر من السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما رأت حسيته لجَّةً، واللجة: الماء المجتمع كالبحر، فكشفت عن ساقها؛ لتدخله لما أمرت بدخوله<sup>(٢)</sup>.

وروي أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها، فقالوا له: إن عقلها مخبولٌ، وإن رجلها كحافر الحمار، فاختر عقلها بتنكير العرش فوجدتها عاقلة، واختبر ساقها بالصرح، فلما كشفت عن ساقها وجدها أحسن الناس ساقًا، فتزوجها وأقرها على ملكها باليمن<sup>(٣)</sup>، وكان يأتيها مرة في كل شهر، وقيل: أسكنها معه بالشام.

﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ﴾ لما ظنَّت أن الصرح لجة ماء فكشفت<sup>(٤)</sup> عن ساقها لتدخل الماء؛ قال لها سليمان عليه السلام: إنه صرَّخ. والممرَّد: الأملس، وقيل: الطويل. والقوارير: جمع قارورة، وهي الزجاجية.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنَّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تعني: بكفرتها فيما تقدَّم. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ هذا ضربٌ من ضروب التجنيس.



(١) في د: «أن يبين».

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (١١/٥٣٧).

(٣) ذكره الزمخشري أيضًا (١١/٥٣٧).

(٤) في ج، د: «وكشفت».

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقٌ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ لِي مَا تَأْمُرُهُمْ رَبِّي بِفَالْإِسْلَامَ خَيْرٌ لِّمَن تَحْكُمُ بِغَيْرِ حَكْمٍ فَكَذَّبُوهُ فَنَادَىٰ رَبُّهُ إِن مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ آلِكَ وَبَنِيكَ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ ﴿٦٦﴾ فَجَاءهُمُ الْغَمَامُ وَالْجَارُ الْمُجْرِمُ يَنْصَرِفُ أَيُّهُم مِّنَ الْغَمَامِ يُدْرِكُ فَإِذَا هُم مَّخْرُوجُونَ ﴿٦٧﴾ فَذَرَوْهُم مَّا يَصْرِفُونَ وَمَا كُنَّا لِنُعْظِرَهُمْ أَنَّكُنَّا مُؤْتُونَ السَّاعَةَ إِنَّا جَاءُوكُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيكُمْ وَأُخْرَىٰ مُّخْتَلِفًا ذَاتَ آيَاتٍ ﴿٦٨﴾ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْمَالَاتِ وَانصَبُوا صَبَارًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

﴿بَرِيْقٌ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفريقان: من آمن ومن كفر، واختصامهم: اختلافهم وجدالهم في الدين.

﴿لَمْ تَسْتَغْجِلُونْ﴾ أي: لم تطلبون العذاب قبل الرحمة، أو المعصية قبل الطاعة.

﴿قَالُوا إِظْهَرْنَا بِكَ﴾ أي: تشاء منا بك، وكانوا قد أصابهم القحط.

﴿قَالَ طَلَبْتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: السَّبَب الذي يحدث عنه خيرُكم أو شرُّكم هو عند الله، وهو قضاؤه وقدره، وذلك ردُّ عليهم في تطيُّرهم، ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح .

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني : مدينة ثمود.

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: إنهم كانوا يُقرضون الدينار والدراهم، ولفظ الفساد أعمُّ من ذلك.

﴿تَفَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: احلفوا<sup>(١)</sup> به، وقيل: إنه فعل ماضٍ، وذلك ضعيف، والصحيح: أنه فعل أمر، قاله بعضهم لبعض، وتعاهدوا عليه.

﴿لَتَبَيَّنَّتْهُ وَأَهْلُهُ﴾ أي: لنقتلنه وأهله بالليل، وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه.

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلَكَ أَهْلِيهِ﴾ أي: ننبأ من دمه إن طلبنا به وليه. و﴿مَهْلَكَ﴾ يحتمل أن يكون: اسم مصدر، أو زمان، أو مكان. فإن قيل: إن قولهم: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلَكَ أَهْلِيهِ﴾ يقتضي التبري من دم أهله، دون التبري من دمه.

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنهم أرادوا: ما شهدنا مَهْلَكَ ومهلك أهله، وحذف مهلكه؛ لدلالة قولهم: ﴿لَتَبَيَّنَّتْهُ وَأَهْلُهُ﴾.

والثاني: أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم؛ لقوله: ﴿وَأَعْرِفْنَا عَالِ فِرْعَوْنَ﴾ يعني: فرعون وقومه.

الثالث: أنهم قالوا: ﴿مَهْلَكَ أَهْلِيهِ﴾ خاصة؛ ليكونوا صادقين، فإنهم<sup>(٢)</sup> شهدوا مهلكه ومهلك أهله معاً، وأرادوا التعريض في كلامهم؛ لئلا يكذبوا.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يحتمل أن يكون قولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ مغالطة، مع اعتقادهم أنهم كاذبون. ويحتمل أنهم قصدوا وجهاً من التعريض؛ ليخرجوا به عن الكذب، وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن ﴿مَهْلَكَ أَهْلِيهِ﴾، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحاً وأهله معاً، ثم يقولوا: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلَكَ أَهْلِيهِ﴾، (أي: ما شهدنا مهلك أهله وحدهم)<sup>(٣)</sup>، وإنا لصادقون في ذلك،<sup>(٤)</sup> يعنون: لأنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معاً، وعلى ذلك حملة الزمخشري<sup>(٥)</sup>.

(١) في أ، ب، هـ: «احلفوا».

(٢) في أ، ب، هـ: «بأنهم».

(٣) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٤) في أ، ب، ج زيادة: «بل»!

(٥) الكشاف (١١/٥٤٣).

﴿إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾ روي أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح عليه السلام اختفوا ليلاً في غار قريباً من داره؛ ليخرجوا منه <sup>(١)</sup> إلى داره بالليل، فوقعت عليهم صخرة أهلكتهم، ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح عليه السلام ومن آمن به.

﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ قيل: معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية. وقيل: تبصرون بأبصاركم؛ لأنهم كانوا ينكشفون بفعل <sup>(٢)</sup> ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض. وقيل: تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب.

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ و ﴿الْعَيْرِينَ﴾ و ﴿أَمْطَرْنَا﴾ قد ذكر <sup>(٣)</sup>.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «منها».

(٢) في ج، د: «لفعل».

(٣) انظر تفسير الآية (٨١) وما بعدها من سورة الأعراف.

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١١﴾ أَمَّنْ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتٍ بَهْجَةً مَّا كَانَ  
لَكُمْ دَرَأَن تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ۚ ؕ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿١٢﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ  
خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ ؕ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا  
يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ ؕ اللَّهُ  
مَعَ اللَّهِ فَلْيَلَا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿١٤﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُزِيلُ الرِّيحَ  
تُشْرَأُ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ ؕ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ  
يُعِيدُهُ وَمَنْ يَزُفُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ ؕ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ فَلْهَاتُوا بُرْهَانَكُمْ دَرَأَن كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ  
يُنْعَثُونَ ﴿١٧﴾ \* بَلْ إِذْ رَكَ عَلِمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿١٨﴾

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا؛ لأنها براهين على وحدانيته وقدرته، وأن يستفتح ذلك بحمده، والسلام على من اصطفاه من عباده، كما تُستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك، تيمُّناً بذكر الله. قال ابن عباس ؓ: يعني بـ ﴿عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾: الصحابة<sup>(١)</sup>. واللفظ يعمُّ الملائكة والأنبياء والصحابة وجميع الصالحين.

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هذا على وجه الردِّ على المشركين، فدخلت ﴿خَيْرٌ﴾ التي يراد بها التفضيل؛ لتبكيهم وتعنيفهم، مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوه أصلاً، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله: ﴿وَاللَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ على وجه التقرير لهم، على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده، فقامت الحجة عليهم بذلك، وفيها أيضاً نِعَمٌ يجب

(١) أخرجه الطبري (١٨/٩٨)، وابن أبي حاتم (٩/٢٩٠٦).

شكرها، فقامت (الحجة عليهم) <sup>(١)</sup> بذلك أيضًا. و«أم» في قوله: «خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ» متصلة عاطفة، و«أم» في المواضع التي بعده منقطعة، بمعنى: بل والهمزة.

﴿فَوَمَّ يْعْدِلُونَ﴾ أي: يعدلون عن الحق والصواب، أو يعدلون بالله غيره؛ أي: يجعلون له عديلاً ومثيلاً.

﴿رَوَّسَى﴾ يعني: الجبال.

﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «الفرقان» <sup>(٢)</sup>.

﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ قيل: هو المجهود، وقيل: الذي لا حول له ولا قوة. واللفظ مشتق من الضَّر؛ أي: الذي أصابه الضر، أو من الضَّرورة؛ أي: الذي ألجأته الضرورة إلى الدعاء.

﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلفاء فيها يتوارثون <sup>(٣)</sup> سكتها.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ يعني: الهداية بالنجوم والطرق.

﴿نُشْرَأْ﴾ ذكر في «الأعراف» <sup>(٤)</sup>.

﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الرزق من السماء: المطر، ومن الأرض: النبات.

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيز للمشركين.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «من زعم أن محمداً يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله»، ثم قرأت هذه الآية <sup>(٥)</sup>.

فإن قيل: فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالغيوب، وذلك معدود في معجزاته. فالجواب: أنه صلى الله عليه وسلم

(١) سقطت من أ، ب.

(٢) انظر تفسير الآية (٥٣).

(٣) في د: «توارثون».

(٤) انظر تفسير الآية (٥٦).

(٥) أخرجه مسلم (١٧٧).

قال: «إني لا أعلم<sup>(١)</sup> إلا ما علّمني الله»<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكهّان والمنجّمين، وأشباههم، بالأمور المغيبة؟ فالجواب: أن إخبارهم بذلك عن ظنّ ضعيف أو عن وهم لا عن علم، وإنما اقتضت الآية نفي العلم.

وقد قيل: إن الغيب في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة؛ لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، فعلى هذا: يندفع السؤال الأول والثاني؛ لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿قُلِ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولقوله ﷺ: «في خمس لا يعلمهنّ إلا الله»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٣] إلى آخر السورة<sup>(٣)</sup>.

فإن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بالرفع على البدل، والبدل لا يصح إلا إذا كان الاستثناء متصلاً، ويكون ما بعد «إلا» من جنس ما قبلها؟ والله تعالى ليس ممن في السماوات والأرض باتفاق؛ فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السماوات والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما، ولا داخلًا فيهما، ولا خارجًا عنهما؛ فهو على هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن يكون منصوبًا؟

فالجواب: من أربعة أوجه:

الأول: أن البدل هنا جاء على لغة بني تميم في البدل وإن كان منقطعاً، كقولهم: «ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ» بالرفع، والحمار ليس من الأحدين، وهذا ضعيف؛ لأن القرآن نزل بلسان أهل الحجاز، لا بلغة بني تميم.

(١) في أ، ب زيادة: «الغيب»، ولم ترد في الحديث.

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة (٥٢٣/٢) عن ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل في ضمن قصة، وأخرجه البيهقي بإسناده إلى ابن إسحاق في دلائل النبوة (٢٣٢/٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) عن أبي هريرة ؓ.

والثاني: أن الله في السماوات والأرض بعلمه، كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعني: بعلمه، فجاء البدل على هذا المعنى، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿يَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ﴾ وقعت فيه لفظة «في» الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية، ولا يجوز استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين.

الجواب الثالث: أن قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يراد به: كل موجود، فكأنه قال: «من في الوجود»، فيكون الاستثناء على هذا متصلاً، فيصح الرفع على البدل، وإنما قال: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جزئياً على منهاج كلام العرب، فهو لفظ خاص يراد به ما هو أعم منه.

الجواب الرابع: أن يكون الاستثناء متصلاً، على أن يتأول ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ في حق الله كما يتأول قوله: ﴿ءَامِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٧] وحديث السوداء<sup>(١)</sup> وشبه ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أب داود (٣٢٨٤)، وأحمد (٧٩٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: يا رسول الله، إن علي عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: «من أنا؟» فأشارت بإصبعها إلى رسول الله وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال: «أعتقها»، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (١٦٣/٨)، وأخرجه مسلم (٥٣٧) في ضمن حديث طويل من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، وليس فيه وصف الجارية بالسوداء.

(٢) [التعليق ٨٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف رحمته الله: «والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق...»، إلخ: أقول: بنى المؤلف على قوله: «إن الله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق»: أن الاستثناء في قوله تعالى: «إِلَّا اللَّهُ» منقطع، وهو يقتضي نصب الاسم الشريف، والقراءة بالرفع، وذكر عن هذا الإشكال أربعة أجوبة، وليس مقصودنا في هذه التعليقات اللغوية، بل التعقبات العقديّة. والذي يهْمُنَا هنا قوله: «والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق»؛ يريد: باتفاق المشيئين للعلو والنافين له، وهم من عبّر عنهم بالمشيئين للجهة والنافين؛ فإنهم جميعاً يقولون: إنه تعالى ليس داخل العالم: فالمُشَبِّهون للعلو يقولون: «إنه تعالى فوق العالم على العرش». ونفاة العلو يقولون: «إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم»، وهم من عبّر عنهم بنفاة الجهة؛ يقول: «والقائلون بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما، ولا فوقهما، ولا داخلًا فيهما، ولا خارجًا عنهما». فعلى كلا القولين: فالله ليس في السماء ولا في الأرض؛ وهذا معنى قوله: «باتفاق». والحق: أنه تعالى فوق سمواته على عرشه؛ وهو ما دلّ عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة، ويقابل ذلك قولان باطلان:



﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا يشعر من في السماوات والأرض متى يبعثون؛ لأنَّ عِلْمَ الساعة مما انفرد به الله. وروى أن سبب نزول الآية أن قريشاً سألوا النبي ﷺ متى الساعة<sup>(١)</sup>.

﴿بَلْ إِذْرَكَ عَلِمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وزن ﴿إِذْرَكَ﴾: تفاعل، ثم سَكَنْتِ التاء وأدغمت في الدال واجتلبت ألف الوصل. والمعنى: تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها. وقرئ ﴿أَذْرَكَ﴾ بهمزة قطع<sup>(٢)</sup> على وزن: أفعل، والمعنى على هذا: يُذْرِكُ علمهم في الآخرة، أي: يعلمون فيها الحق؛ لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق. فقوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ على هذا: ظرف، وعلى القراءة الأولى: بمعنى الباء.

﴿عَمُونَ﴾ جمع عَم، وهو من عمى القلوب.



= أحدهما: أنه تعالى داخل في المخلوقات؛ أي: أنه تعالى حال فيها؛ فهو في كل مكان؛ وهذا قول حلولية الجهمية.

الثاني: أنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجة؛ وهو قول معطلة الجهمية ونفايتهم؛ وقد ذكره المؤلف عن نفاة الجبهة.

وكلا القولين باطل، والثاني أبطل؛ فإنه مع مناقضته للسمع، مناقض للعقل أظهر مناقضة؛ فإن من الممتنع أن يكون موجود لا داخل العالم ولا خارجة؛ فإن ذلك من سلب النقيضين الذي لا يصح إلا في المعدوم، فإذا أُضيفَ إلى ذلك: أنه موجود، تضمن أنه موجود معدوم؛ وهذا جمع بين النقيضين، الذي هو أحد الممتنعات المتفق عليها، والقول بنفي الجبهة وما تفرع عنه هو المشهور من مذهب الأشاعرة.

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٥٥٢/٦) والزمخشري في الكشاف (٥٦٧/١١) ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿أَذْرَكَ﴾ بهمزة قطع، وقرأ الباقر بوصل الهمزة وتشديد الدال وألف بعدها.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا آيِنًا لَمُخْرَجُونَ ﴿٧٠﴾ لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا  
 مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
 الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا  
 الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٤﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٥﴾  
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا  
 تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمَا مِنْ غَآيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٨﴾  
 إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٩﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ  
 وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَفْضِلُ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ  
 اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٨٢﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ النُّصُمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا  
 مُدْبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُغْيَىٰ عَنْ ضَلَّاتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا بِهِمْ  
 مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ \* وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ  
 كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٥﴾

﴿٧٠﴾ ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ أي: تبعكم، واللام زائدة، أو ضَمَّنْ معنى «قَرَّبَ»؛ فتعدَّى باللام. ومعنى الآية: أنهم استعجلوا العذاب بقولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾، فقيل لهم: عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون، وهو قتلهم يوم بدر.

﴿٧٧﴾ ﴿غَآيَةٍ﴾ الهاء فيه للمبالغة؛ أي: ما من شيء في غاية الخفاء، إلا وهو عند الله في كتاب.

﴿٨١﴾ ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ شبه مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ بِالْمَوْتَى فِي أَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَإِنْ كَانُوا أَحْيَاءَ، ثُمَّ شَبَّهَهُم بِالنُّصُمِ وَبِالْعُغْيَى؛ وَإِنْ كَانُوا صِحَاحَ الْحَوَاسِّ، وَأَكَّدَ عَدَمَ سَمَاعِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾؛ لِأَنَّ الْأَصْمَّ إِذَا أَدْبَرَ وَبَعُدَ عَنِ الدَّاعِي زَادَ صَمَمَهُ وَعَدَمَ سَمَاعِهِ بِالْكَلِيَّةِ.

﴿٨٤﴾ ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إِذَا حَانَ وَقْتُ عَذَابِهِمْ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْقَوْلُ الْأَزَلِيُّ مِنَ اللَّهِ

في ذلك وهو قضاؤه<sup>(١)</sup>، والمعنى: إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض. وخروج الدابة من أشراط الساعة، وروى أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل: من الصفا<sup>(٢)</sup>. وأن طولها ستون ذراعاً<sup>(٣)</sup>. وقيل: هي الجساسة التي وردت في الحديث<sup>(٤)</sup>.

﴿تَكَلِّمُهُمْ﴾ قيل: تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام، وقيل: تقول: «ألا لعنة الله على الظالمين». وروى أنها تسم<sup>(٥)</sup> الكافر وتخطم أنفه<sup>(٦)</sup> وتسود وجهه، وتبيض

(١) [التعليق ٨٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف ﷺ: «إذا حان وقت عذابهم...»، إلخ: أقول: في تفسير وقوع القول بقرب وقت العذاب نظر؛ والأظهر أن قوله: ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: حَقَّ القول عليهم، وهو حكم الله بأنهم لا يؤمنون؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٧]. ولا ريب أن ما حَقَّ عليهم من القول بأنهم لا يؤمنون هي كلمته تعالى القدريّة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ۖ﴾ [يس: ٩٦-٩٧]، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ﴾ [النمل: ٢٧]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

فمعنى: ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: وقع عليهم موجب كلمته تعالى السابقة في الحكم: بأنهم لا يؤمنون. فهذه كلماته الكونية سبقت لقوم في الشقاوة، ولقوم بالسعادة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ...﴾ [الأنبياء: ١٧١-١٧٢].

وقول المؤلف: «القول الأزلي من الله»، الأزلي: هو الذي لا بداية له؛ وهذا يجري على قول الأشاعرة: إن كلام الله قديم بقدومه سبحانه؛ لأن كلام الله عندهم لا تتعلق به المشيئة، ولا ريب: أن كلماته القدريّة صادرة عن مشيئته تعالى، وما كان بمشيئته يمنع أن يكون أزلياً، وكلماته تعالى التي أخبر أنها سبقت يحتمل أن تكون عند كتابة المقادير في أم الكتاب، والله أعلم.

(٢) انظر: الدر المنثور للسيوطي (١١/٤٠٣) وما بعدها.

(٣) أخرجه الثعلبي بإسناده في تفسيره (٣٢٨/٢٠) عن حذيفة ؓ مرفوعاً، وفي إسناده من هو متكلم فيه ومن يروي الموضوعات.

(٤) حديث الجساسة أخرجه مسلم (٢٩٤٢) عن فاطمة بنت قيس ؓ.

(٥) في ج، د: «تستم».

(٦) تخطم أنف الكافر: أي: تسمه، من خطمت البعير، إذا كويته خطأ من الأنف إلى أحد خدييه، وتسمى تلك السمة الخطم. النهاية لابن الأثير (٣/١٢٠٨).

وجه المؤمن<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ من قرأ بكسر الهمزة<sup>(٢)</sup>: فهو ابتداء كلام. ومن قرأ بالفتح: فهو معمول  
﴿تَكَلَّمَهُمْ﴾؛ أي: تقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. أو مفعول من أجله  
تقديره: تكلمهم؛ لأن الناس لا يوقنون، ثم حذفت اللام. ويحتمل قوله: ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾:  
(أي: لا يوقنون)<sup>(٣)</sup> بخروج الدابة، أو لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين، وهذا أظهر.



(١) أخرجه الترمذي (٣١٨٧) وحسنه، وابن ماجه (٤٠٦٦)، وأحمد (٧٩٣٧)، والحاكم (٨٤٩٤) وسكت عنه  
الذهبي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «تخرج الدابة ومعه خاتم سليمان بن داود، وعصا  
موسى بن عمران، ﷺ، فتجلبو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم».

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقر بكسرها.

(٣) سقطت من أ، ب، ج، هـ.

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا بِهِمْ يَوْمَزَعُونَ ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا بِهِمْ لَا يَنْطِفُونَ ﴿٨٧﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا لَّانَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ بَقَرَعٌ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٩﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٩٠﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٩١﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا أَمِِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٣﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ إِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٤﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرَ بِكُمْ مَّآيَاتِيهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾

﴿٨٥﴾ بِهِمْ يَوْمَزَعُونَ﴾ أي: يساقون بعنف.

﴿٨٦﴾ أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «أم» استفهامية، والمعنى: إقامة الحجة عليهم، كأنه قيل <sup>(١)</sup> لهم: إن كان لكم عمل أو حجة فها توها.

﴿٨٧﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حق العذاب عليهم، أو قامت الحجة عليهم.

﴿٨٨﴾ لَا يَنْطِفُونَ﴾ إنما يسكتون؛ لأن الحجة قد قامت عليهم. وهذا في بعض مواطن القيامة <sup>(٢)</sup>، وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن آخر <sup>(٣)</sup>.

﴿٨٩﴾ لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في «يونس» <sup>(٤)</sup>.

(١) في د: «قال».

(٢) في هـ زيادة: «دون بعض».

(٣) هذه الكلمة لم ترد في أ، ب، هـ.

(٤) انظر تفسير الآية (٦٧).

﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ذُكِرَ فِي «الكهف»<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قِيلَ: هُمُ الشَّهَدَاءُ، وَقِيلَ: جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ.  
﴿دَاخِرِينَ﴾ صَاغِرِينَ مُتَذَلِّلِينَ.

﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ أَي: قَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ يَكُونُ مَرُورُهَا فِي أَوَّلِ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَنْسِفُهَا اللَّهُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ فَتَكُونُ كَالْعَهْنِ، ثُمَّ تَصِيرُ هَبَاءً مُنْبَثًّا.

﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ مُصَدَّرٌ، وَالْعَامِلُ فِيهِ مُحذُوفٌ، وَقِيلَ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْإِغْرَاءِ: أَي: انْظُرُوا صَنِيعَ اللَّهِ.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ قِيلَ: إِنْ الْحَسَنَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَاللَّفْظُ عَامٌّ.  
وَمَعْنَى: «خَيْرٌ مِنْهَا»: أَنْ لَهُ بِالْحَسَنَةِ الْوَاحِدَةِ عَشْرًا.

﴿مَنْ بَرَعَ يَوْمِئِذٍ مِّنْ نَّوْنٍ﴾ «بَرَعَ»: فَتَحَ الْمِيمَ مِنْ «يَوْمِئِذٍ»<sup>(٢)</sup>. وَمَنْ أَسْقَطَ التَّنْوِينَ لِلْإِضَافَةِ قَرَأَ: بِفَتْحِ الْمِيمِ عَلَى الْبِنَاءِ، أَوْ بِكَسْرِهَا عَلَى الْإِعْرَابِ.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ السَّيِّئَةُ هُنَا: الْكُفْرُ، وَالْمَعَاصِي الَّتِي قَضَى اللَّهُ بِتَعْذِيبِ فَاعِلِهَا.

﴿هَذِهِ الْبَلَدَةُ﴾ يَعْنِي: مَكَّةَ.

﴿إِلَٰهٍ حَرَمَهَا﴾ أَي: جَعَلَهَا حَرَمًا آمِنًا، لَا يُقَاتِلُهَا أَحَدٌ، وَلَا تُنْتَهَكُ حَرَمَتُهَا. وَنَسَبَ تَحْرِيمَهَا هُنَا إِلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَنَسَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ؑ فِي قَوْلِهِ: «إِنْ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ»<sup>(٣)</sup>؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الَّذِي أَعْلَمَ النَّاسَ بِتَحْرِيمِهَا، فَلَيْسَ بَيْنَ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ تَعَارُضٌ، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنْ مَكَّةَ حَرَمَهَا اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

(١) انظر تفسير الآية (٩٥).

(٢) قرأ نافع: «فزع يومئذ» بإسقاط التنوين، وفتح الميم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «فزع يومئذ» بإسقاط التنوين، وكسر الميم، وقرأ الباقر «فزع يومئذ» بالتنوين، وفتح الميم.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٠) عن عبد الله بن زيد بن عاصم ؓ.

والأرض» (١).

﴿وَمَنْ ضَلَّ فَغُلِّ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: إنما عليّ الإنذار والتبليغ.

﴿سَيُرِيكُمْ دَعَائِيَّتِهِ﴾ وعيدٌ بالعذاب الذي يضطرهم إلى معرفة آيات الله، إما في الدنيا أو في الآخرة.



(١) أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤) عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه.

## سُورَةُ الْفَصَصِ

طَسِمَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ نَبِيُّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنُ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٤﴾ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٥﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ بِالْأُفْيِهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ بَالِقِطَّةٍ عَالٍ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٧﴾ وَقَالَتْ إِمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ فَتَتْ عَيْنَ لَيْ وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ بَرِيًّا إِذْ كَدَتْ لَثْبِيءَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ فُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١١﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَفَرَّقَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾

﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تكبر وطغا.

﴿شِيْعًا﴾ أي: فرقًا مختلفين، فجعل فرعون القبط ملوكًا وبني إسرائيل خدما لهم، وهم الطائفة الذين استضعفهم، وأراد الله أن يَمُنَّ عليهم ويجعلهم أئمة؛ أي: ولاية في الأرض، ويورثهم أرض فرعون وقومه.

﴿وَهَامَانَ﴾ هو وزير فرعون.



﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ اختلف هل كان هذا الوحي بإلهام؟ أو منام؟ أو كلام بواسطة ملك؟ وهذا أظهر؛ لثقتها بما أوحى إليها وامثالها ما أمرت به.

﴿بِإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: خفت عليه أن يذبحه فرعون؛ لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل، لما أخبره الكهان أن هلاكه على يدي غلام منهم.

﴿بِالْقَفْظَةِ عَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقاط: اللقاء من غير قصد، روي أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت في البحر، وهو النيل، فأمرت أن يُساق لها، ففتحته فوجدت فيه صبيًا فأحبته، وقالت لفرعون: هذا قرّة عين لي ولك.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ اللام لام العاقبة، وتسمى أيضًا لام الصيرورة.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ روي: أن فرعون همّ بذبحه؛ إذ توسّم<sup>(١)</sup> أنه من بني إسرائيل، فقالت امرأته: لا تقتلوه.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه. والضمير الفاعل لفرعون وقومه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ بَرِيًّا﴾ أي: ذاهلاً لا عقل معها. وقيل: فارغاً من الصبر. وقيل: فارغاً من كل شيء إلا من همّ موسى. وقيل: فارغاً من وعد الله؛ أي: نسي ما أوحى إليها. وقيل: فارغاً من الحزن؛ إذ لم يغرق، وهذا بعيد؛ لما بعده. وقرئ «فَرِغًا»<sup>(٢)</sup> - بالزاي -<sup>(٣)</sup>، من الفزع.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أي: تظهر أمره، وفي الحديث: «كادت أمّ موسى أن تقول: «وَأَبْنَاهُ!»، وتخرج صائحة على وجهها»<sup>(٤)</sup>.

(١) في ج، د: «توسّم».

(٢) في ج، د: «فازعاً».

(٣) هي قراءة فضالة بن عبيد والحسن. المحرر الوجيز (٥٧٣/٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٠/١٨)، وابن أبي حاتم (٢٩٤٧/٩) والثعلبي في تفسيره (٢٣٨/٧) موقوفاً على

ابن عباس ؓ، وليس فيه: «وتخرج صائحة على وجهها».

﴿رَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهَا﴾ أي: رزقناها الصبر.

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ فُصِّيهِ﴾ أي: اتبعيه، والقَصُّ: طلب الأثر، فخرجت أخته تبحث عنه في خفية.

﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنِ جُنُبٍ﴾ أي: رآته من بعيد، لم تقرب منه؛ لئلا يعلموا أنها أخته. وقيل:

معنى ﴿عَنِ جُنُبٍ﴾: عن شوق إليه. وقيل: معناه: أنها نظرت إليه، كأنها لا تريده.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أنها أخته.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ أي: منع منها؛ بأن بغضها الله له. و﴿الْمَرَاضِعَ﴾ جمع مَرَضِعٍ، وهي المرأة التي تُرَضِعُ، أو جمع مَرَضَعٍ -بفتح الميم والضاد-، وهو موضع الرضاع، يعني: الثدي.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من أول مرة.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ القائلة: أخته تخاطب آل فرعون.

﴿بَرَدْنَهُ إِلَىٰ آمِهِ﴾ لما منعه الله من المراضع وقالت أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ الآية، جاءت بأمه، فقَبِلَ ثَدْيَهَا، فقال لها فرعون: ومن أنت منه؛ فما قَبِلَ ثدي امرأة إلا ثديك؟ (فقالت: إني)<sup>(١)</sup> امرأة طيبة اللبن، فذهبت به إلى بيتها، وقرت عينها بذلك، وعلمت أن وعد الله حق في قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾.



(١) في ج: «أنت».

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ خُضًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَدَخَلَ  
 الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ  
 عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ  
 قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي  
 بِعَفْوِكَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ  
 ﴿١٦﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِبًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ  
 مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَىٰ  
 أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا  
 تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوسَىٰ إِنَّ  
 الْأَمْلَآءَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٩﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِبًا يَتَرَقَّبُ  
 قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾

﴿١٣﴾ «بَلَغَ أَشُدَّهُ» ذكر في «يوسف»<sup>(١)</sup>.

﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ أي: كمل عقله، وذلك مع الأربعين سنة.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ يعني: مصر، وقيل: قرية حولها، والأول أشهر.

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ قيل: في القائلة، وقيل: بين العشاءين، وقيل: يوم عيد. وقيل: كان قد  
 جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل مخفياً متخوفاً.

﴿هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ الذي من شيعته: من بني إسرائيل، والذي من عدوه: من القبط.

﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾ أي: ضربه، والوكز: الدفع بأطراف الأصابع. وقيل: بجمع<sup>(٢)</sup> الكف.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قتله، ولم يرد أن يقتله، ولكن وافقت وكثرته الأجل، فندم وقال:

(١) انظر تفسير الآية (٢٢).

(٢) في ج، د، هـ: «بجميع»، والمثبت موافق لما في الكشاف (١٢/ ٢٤).

﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: إن الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له.

فإن قيل: كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً؟ فالجواب: أنه لم يؤذن له في قتله، ولذلك يقول يوم القيامة: «إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها»<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ بَلَلْتُ أَكُونُ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الظهير: المعين، والباء سببية، والمعنى: بسبب إنعامك عليّ لا أكون ظهيراً للمجرمين، فهي معاهدة عاهد موسى ﷺ عليها ربه.

وقيل: الباء باء القسم، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿بَلَلْتُ أَكُونُ﴾ لا يصلح<sup>(٢)</sup> لجواب القسم<sup>(٣)</sup>. وقيل: جواب القسم محذوف، تقديره: وحق نعمتك لأتوبنّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين. وقيل: الباء للتحليف؛ أي: اعصمني بحق نعمتك عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين.

ويُحتجُّ بهذه الآية على المنع من صحبة ولاية الجور.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ في الموضعين: أي: يتحسس هل يطلبه أحد.

﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي: يستغيث به، لقي موسى ﷺ الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلاً آخر من القبط، فاستغاث بموسى ﷺ لينصره كما نصره بالأمس، فعظم ذلك على موسى ﷺ وقال له: «إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ».

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ الضمير في «أَرَادَ» وفي «يَبْطِشُ»: لموسى ﷺ، وفي «قَالَ»: للإسرائيلي.

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة ﷺ في ضمن حديث الشفاعة الطويل.

(٢) في ب، ج: «لا يصح».

(٣) قال في المحرر الوجيز (٥٧٩/٦): «لأن القسم لا يُتلقَى بـ(لن)، والفاء تمنع أن تُنزل (لن) منزلة (لا) أو (ما)، فتأمل».

والمعنى: لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي، ظنَّ الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به؛ إذ قال له: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، فقال الإسرائيلي لموسى: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تُفْتَلِنِي كَمَا فَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ؟﴾

وقيل: الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ للإسرائيلي، والمعنى: فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي، ولم يفعل موسى ذلك؛ لندامته على قتله للآخر بالأمس = فضحه الإسرائيلي؛ فقال له: أتريد أن تقتلني؟ فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ قيل: إنه مؤمن آل فرعون، وقيل غيره.

﴿يَسْعَى﴾ أي: يسرع في مشيه؛ ليدرك موسى ﷺ فينصحه.

﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرَّضُونَ بِكَ﴾ يتشاورون، وقيل: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، كما قتلت القبطي.



\* وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَبْسِي رَبِّيَ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١١﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴿١٢﴾ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نُسْفِيهِ حَتَّى يَضِدَّ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿١٤﴾ فَبَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَفَيْتَ لَنَا بَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتْ إِسْتِجْرَةٌ إِنَّ خَيْرَ مِمَّا اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿١٦﴾ قَالَ إِنِّي أَزِيدُ أَنْ انْكَحِكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجِجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا بَيْنَ عِنْدِكَ وَمَا أَزِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ فَضَيْتَ فَلَا عُدُونَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا تَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٨﴾

﴿١١﴾ «وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ» أي: قصد بوجهه ناحية مدين، وهي مدينة شعيب عليه السلام.

﴿فَالَ عَبْسِي رَبِّيَ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: وسط الطريق، يعني: طريق مدين؛ إذ كان قد خرج فارًا بنفسه، وكان لا يعرف الطريق، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام. وقيل: أراد: سبيل الهدى، وهذا أظهر. ويدل كلامه هذا على أنه كان عارفاً بالله قبل نبوته.

﴿١٢﴾ «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ» أي: وصل إليه، وكان بئراً.

﴿يَسْقُونَ﴾ أي: يسقون مواشيهم.

﴿١٣﴾ «إِمْرَأَتَيْنِ» روي: أن اسمهما: ليا وصفوريا<sup>(١)</sup>، وقيل: صفراء وصفراء<sup>(٢)</sup>.

﴿تَذُودَانِ﴾ أي: تمنعان الناس عن غنمهما. وقيل: تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقي<sup>(٣)</sup>

(١) ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (٢٤١)، وأخرجه ابن المنذر عن مجاهد كما في الدر المنثور (١١/٤٥٠).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٦/١٢).

(٣) في أ، ب، هـ: «يسقوا».

الناس، وهذا أظهر؛ لقولهما: ﴿لَا تَسْفِيهِ حَتَّىٰ يُضْذِرَ الرِّعَاءَ﴾ أي: كانت عادتهما أن لا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس؛ لقوة الناس وضعفهما، أو لكراهتهما التزاحم<sup>(١)</sup> مع الناس.

﴿يُضْذِرَ﴾ بضم الياء وكسر الدال<sup>(٢)</sup>: فعل متعدّد، والمفعول محذوف، تقديره: حتى يُضْذِرَ الرعاء مواشيهم. وقرئ بفتح الياء وضم الدال، أي: ينصرفون عن الماء.

﴿شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي: لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ: هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور. وقيل: ابن أخيه. وقيل: رجل صالح ليس من شعيب بنسب.

﴿بَسَفَيْ لَهَا﴾ أدركته شفقةٌ عليهما فسقى غنمهما. وروي أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلاً، فرفعها وحده<sup>(٣)</sup>.

﴿تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾ أي: جلس في الظل، وروي أنه كان ظلّ سمرة<sup>(٤)</sup>.

﴿إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ بِفِيرٍ﴾ طلب من الله ما يأكله، وكان قد اشتدّ عليه الجوع.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ قبل هذا الكلام محذوف تقديره: فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاء في السقي، فأخبرته بما كان من سقي الرجل لهما، فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته، واختلف هل التي جاءتة الصغرى أو الكبرى؟

﴿عَلَىٰ إِسْتِخْيَآءٍ﴾ رُوي: أنها سترت وجهها بكُمّ ذرعها. والمجرور يتعلق بما قبله، وقيل: بما بعده، وهو ضعيف.

﴿وَفَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: ذكر له قصّته.

﴿لَا تَخَفْ﴾ أي: قد نجوت من فرعون وقومه؛ لأن بلد مدين لم يكن من ملك فرعون.

(١) في أ، ب، هـ: «للتزاحم».

(٢) قرأ أبو عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال، وقرأ الباقر بن بضم الياء وكسر الدال.

(٣) أخرجه الطبري (١٨ / ٢٢٥) من طريق العوفي عنه عليه السلام.

(٤) أخرجه الطبري (١٨ / ٢١٤) عن السدي، وفي المحرر الوجيز (٦ / ٥٨٥): «قاله ابن مسعود عليه السلام» ولم أقف عليه مسنداً.

﴿إِسْتَجِرَّةٌ﴾ أي: اجعله أجيرًا لك.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ هذا الكلام حكمة جامعة بليغة، وروي أن أباها قال لها: من أين عرفت قوته وأمانته؟ قالت: أما قوته: ففي رفعه الحجر من فم البئر، وأما أمانته: فإنه لم ينظر إليها<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾ زوجه التي دعت، واختلف هل زوجه الكبرى أو الصغرى؟ واسم التي زوجه صفورة، وقيل: صفوريا. ومن لفظ شعيب حسن أن يقال في عقود الأنكحة: «أنكحها إياها» أكثر من أن يقال: «أنكحها إياه».

﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبْجَ﴾ أي: أزوجك بنتي على أن تخدمني ثمانية أعوام. قال مكّي: في هذه الآية خصائص في النكاح، منها: أنه لم يعين الزوجة، ولا حدًّا أول الأمد، وجعل المهر إجارة<sup>(٢)</sup>.

قلت<sup>(٣)</sup>: فأما التعيين فيحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المرافضة، وقد قال الزمخشري: إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح، وإنما كان مواعدة<sup>(٤)</sup>. وأما ذكر أول الأمد؛ فالظاهر أنه من حين العقد.

وأما النكاح بالإجارة؛ فظاهر من الآية، وقد قرره شرعنا حسبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل: «قد زوجتكها على ما معك من القرآن»<sup>(٥)</sup>؛ أي: على أن تعلمها ما عندك<sup>(٦)</sup> من القرآن.

(١) أخرجه الطبري (١٨ / ٢٢٥)، وابن أبي حاتم (٩ / ٢٩٦٧) عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ؓ.

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي (٨ / ٥٥٢٢).

(٣) وقاله أيضًا ابن عطية في المحرر الوجيز (٦ / ٥٨٦).

(٤) الكشف (١٢ / ٤٠).

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥) عن سهل بن سعد الساعدي ؓ.

(٦) في أ، ب: «معك».



وقد أجاز النكاح بالإجارة: الشافعي، وابن حنبل<sup>(١)</sup>، وابن حبيب؛ للآية والحديث. ومنعه مالك.

﴿بِإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا بَيْنَ عِنْدِكَ﴾ جعل الأعوام الثمانية شرطًا، ووكل العامنين إلى مروءة موسى عليه السلام، فوفى له العشر. وقيل: وفى العشر وعشرًا بعدها، وهذا ضعيف؛ لقوله: ﴿بَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي: الأجل المذكور.



(١) في إحدى الروايتين، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩١/٢١).

\* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ الْبَارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَظِئِ النَّوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسْوَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَأَنْ أَلِيَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنَّمَا جَاءَ وَلِيُّ مُذِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسْوَ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿١٧﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَبِّكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلَّكَ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ مُرْعَوٍ وَمَلَائِيَةٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيفِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٩﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْآءَ يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٠﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُتْمَا وَمَنْ ابْتَعَكَمَا اتَّبَعْنَا لَبُدَّ لَهُمَا وَكَانَ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَتَتَّبِعُنَا وَمَنْ يَمُوجْ فِيهَا وَنَحْمِلْ عَنَّا إِثْمُهَا ﴿٢١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الْبَارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالَ مُرْعَوٌ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَأَوْفِدْ لِي يَتْلُمُ عَلَى الطَّيْرِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْلِعَ إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٤﴾ \* وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُزْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ فَبَنَدَتْهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى الْبَارِ وَيَوْمَ الْفَيْتَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْفَيْتَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٢٨﴾

﴿١٥﴾ ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ الأهل هنا: الزوجة، مشى بها إلى مصر.

﴿جَذْوَةٍ﴾ أي: قطعة، ويجوز كسر الجيم وفتحها وضمها<sup>(١)</sup>. وقد ذُكر ﴿آنَسَ﴾ ، و﴿الطور﴾ ، و﴿تَصْطَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) قرأ عاصم بفتح الجيم، وقرأ حمزة بضمها، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) انظر تفسير الآية (٥٢) من سورة مريم، وتفسير الآية (٩) من سورة طه، وتفسير الآية (٧) من سورة النمل.

﴿شَطِيطٍ الْوَادِ﴾ جانبه، و﴿الْأَيْتِ﴾ صفةً للشايط، وهو جانبه اليمين. ويحتمل أن يكون من اليُمن؛ فيكون صفةً للوادي.

﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ روي: أنها كانت عَوْسَجَةً<sup>(١)</sup>.

﴿جَانَّ﴾ ذُكِرَ فِي «النمل»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي: أدخلها فيه، والجيب: هو فتح الجُبَّة من حيث يُخْرَج الإنسان رأسه.

﴿وَاضْمِ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ الجناح: اليد، أو الإبط و<sup>(٣)</sup>العَضْد. أمره الله لما خاف من الحية أن يضمَّه إلى جنبه ليخفَّ بذلك خوفه؛ فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخفَّ خوفه.

وقيل: ذلك على وجه المجاز، وأن المعنى: أنه أمر بالعزم على ما أمر به؛ كقولهم: «اشدُّ حيازيمك، واربط جأشك».

﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ أي: من أجل الرَّهْب؛ وهو الخوف. وفيه ثلاث لغات: فتح الراء والهاء، وفتح الراء وإسكان الهاء، وضم الراء وإسكان الهاء<sup>(٤)</sup>.

﴿بَذَانِكَ بُرْهَانِ﴾ أي: حُجَّتَان، والإشارة إلى العصا واليد.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ يتعلَّق بفعل محذوف يقتضيه الكلام<sup>(٥)</sup>.

﴿رِدَا﴾ أي: مُعِينًا، وقرئ بالهمز<sup>(٦)</sup>، وبغير همز: على التسهيل من المهموز، أو يكون

(١) أخرجه الطبري (٢٤٢/١٨) عن قتادة.

(٢) انظر تفسير الآية (١٠).

(٣) في د: «أو».

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الراء والهاء، وروى حفص عن عاصم بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء.

(٥) تقديره: مرسلًا بهما إلى فرعون، أو اذهب إلى فرعون. الدر المصون (٦٧٣/٨).

(٦) قرأ نافع بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز.

من: أَرَدَيْتُ؛ أي: زدتُ.

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ استعارة في المعونة.

﴿بِأَيَّتِنَا﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿تَجْعَلُ﴾، أو بـ ﴿لَا يَصْلُونَ﴾، أو بـ ﴿الْقَلْبُونَ﴾.

﴿بِأَوْفَدَ لِي يَهَامِسُ عَلَى الظِّمِّ﴾ أي: اصنع الآجر؛ لبنان الصَّرح الذي رام أن يصعد منه إلى السماء. وروي أنه أول من عمل الآجر<sup>(١)</sup>، وكان هامان وزير فرعون.

وانظر<sup>(٢)</sup> ضعف عقولهما وعقول قومهما، وجهلهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصَّرح. وقد روي أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع إليه<sup>(٣)</sup> مخضوباً<sup>(٤)</sup> بدم<sup>(٥)</sup>، وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم.

ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يعني: في دعوى الرسالة، والظن هنا يحتمل: أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين.

﴿أَيُّمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْبَارِ﴾ أي: كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار.

﴿مِّنَ الْمُفْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المبعدين، وقيل: قُبِحَتْ وجوههم، وقيل: قُبِحَ ما يفعل بهم وما يقال لهم.



(١) أخرجه الطبري (٢٥٥/١٨)، وابن أبي حاتم (٢٩٧٩/٩) عن قتادة.

(٢) في ج زيادة: «كيف».

(٣) في أ، ب، هـ: «السهم».

(٤) في ج: «مخضباً».

(٥) أخرجه الطبري (٢٥٦/١٨)، وابن أبي حاتم (٢٩٧٩/٩) عن السدي.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى  
 وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ فَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا  
 كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي  
 أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥٩﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ  
 نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَيْهِمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٠﴾  
 وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ  
 آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا  
 أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرٌ مُبِينٌ وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ  
 كَذِبٍ مُكْتَبٍ ﴿٦٢﴾ فَلِئَلَّا يَكْتُوبَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٣﴾  
 فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى  
 مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٤﴾

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والمراد به: إقامة حجة؛ لإخباره بحال موسى ﷺ، وهو لم يحضره. و﴿الْعَرَبِيِّ﴾: المكان الذي في غرب الطور، وهو الذي كلم الله فيه موسى ﷺ. والأمر المقضي إلى موسى ﷺ هو النبوة. و﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ معناه: من الحاضرين هنالك.

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ المعنى: لم تحضر يا محمد على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا، فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها، فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم، فكفروا بك.

وقيل: المعنى: لكننا أنشأنا قرونًا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر، وطالت الفترة فأرسلناك على فترة من الرسل.

﴿ثَاوِيًا﴾ أي: مقيمًا.

﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني: تكليم موسى ﷺ، والمراد بذلك: إقامة حجة محمد ﷺ؛ لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضراً حينئذ.

﴿وَلَكِنَّ رَحْمَةً﴾ انتصب على المصدر، أو على أنه مفعول من أجله، والتقدير: ولكن أرسلناك رحمةً منا لك <sup>(١)</sup> و <sup>(٢)</sup> رحمةً للخلق بك.

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ﴾ «لولا» هنا: حرف امتناع، و«لولا» الثانية: عَرَضٌ وتحضيض. والمعنى: لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار إليهم، وإقامة الحجة عليهم؛ لئلا يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني: القرآن ونبوة محمد ﷺ.

﴿قَالُوا لَوْلَا آتَيْنَا مِثْلَ مَا آتَيْنَا مُوسَى﴾ يعنون: إنزال الكتاب عليه من السماء جملةً واحدة، وقلب العصا حية، وقلق البحر، وشبه ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَا مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ هذا ردٌ عليهم فيما طلبوه، والمعنى: أنهم كفروا بما آتوا موسى ﷺ؛ فلو آتينا محمداً ﷺ مثل ذلك لكفروا به، و«مِنْ قَبْلُ» على هذا يتعلّق بقوله: ﴿آتَيْنَا مُوسَى﴾. ويحتمل أن يتعلّق بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ إن كانت الآية في بني إسرائيل، والأول أحسن.

﴿قَالُوا سَجَرًا تَظْهَرُ﴾ يعنون: موسى وهارون، أو موسى ومحمداً ﷺ. والضمير في ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ وفي ﴿قَالُوا﴾: لكفار قريش، وقيل: لأبائهم، وقيل: لليهود، والأول أصح؛ لأنهم المقصودون بالرد عليهم.

﴿فَاتَّوَا بِكِتَابٍ﴾ أمرٌ على وجه التعجيز لهم.

﴿أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب محمد ﷺ.

(١) في أ، ب، هـ: بك.

(٢) في د: «أو».

﴿وَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتابٍ هو أهدى منهما أبداً، ولكنه ذكره بحرف «إِنْ» مبالغةً في إقامة الحجة عليهم، كقوله: ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَسْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٣].

﴿بِأَعْلَمَ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ المعنى: إن لم يأتوا بكتابٍ فاعلم أن كفرهم عنادٌ واتباعٌ لأهوائهم، لا بحجة ولا برهان.



\* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنْذَرُ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أَوَلَيْكَ يُوتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُهُمْ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهَدْيَ مَعَكَ نَتَّخِظُكَ مِنْ أَزْوَاجِنَا أَوْ لَمْ نُنْمِصْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطْرُثَ مَعِيشَتَهَا فَبِئْسَ مَسَکِينُهُمْ لَمْ تَسْکَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَاتَيْنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنْفَىٰ أَبْلَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥١﴾ «وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ» الضمير لكفار قريش، وقيل: لليهود، والأول أظهر؛ لأن الكلام من أوله معهم. و«الْقَوْلَ» هنا: القرآن، و«وَصَّلْنَا لَهُمْ»<sup>(١)</sup>: أبلغناه<sup>(١)</sup> لهم؛ ليتذكروا به، أو جعلناه موصولاً ببعضه ببعض.

﴿٥٢﴾ «الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ» يعني: مَنْ أسلم من اليهود، وقيل: النجاشي وقومه، وقيل: نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ بمكة، وهم عشرون رجلاً، فأمنوا به. والضمير في «قَبْلِهِ» للقرآن. وقولهم: «إِنَّهُ الْحَقُّ» تعليل لإيمانهم. وقولهم: «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ» بيان لأن إسلامهم قديم؛ لأنهم وجدوا ذكر محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يُبعث.

﴿٥٣﴾ «أَوَلَيْكَ يُوتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ» قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يُؤْتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ، ورجل مملوك أدَّى حقَّ الله وحقَّ ماله،

(١) في أ، ب، هـ: «بلغناه».



ورجلٌ كانت له أمةٌ فأعتقها وتزوّجها»<sup>(١)</sup>.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ يعني: صَبَرَهُمْ عَلَى إِذَايَةِ قَوْمِهِمْ لَهُمْ لَمَّا أَسْلَمُوا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ.

﴿وَيَذَرُوعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالسَّيِّئَةِ: مَا يَقَالُ لَهُمْ مِنَ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ، وَبِالْحَسَنَةِ: مَا يَجَاوِبُونَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْحَسَنِ. أَوْ يَرِيدُ: سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ وَحَسَنَاتِهَا<sup>(٢)</sup>، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْخَسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ يعني: ساقطَ الكلام.

﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ دَأْءَمَلَكُمْ﴾ هذا على وجه التبرّي والبعد من القائلين للغو.

﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ معناه هنا: المتاركة والمباعدة، لا التحية، أَوْ كَأَنَّهُ سَلَامُ الانْصِرَافِ وَالْبُعْدِ.

﴿لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب؛ إِذْ دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ مَوْتِهِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَعِيرَنِي بِهَا قَرِيشٌ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ<sup>(٣)</sup>، وَمَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَلَفْظُ الْآيَةِ مَعَ ذَلِكَ عَلَى عَمُومِهِ.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ لَفْظٌ عَامٌّ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ: الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ.

﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدْيَ مَعَكَ نَنُخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ الْقَائِلُونَ لِذَلِكَ: قَرِيشٌ، وَرَوَى أَنَّ الَّذِي قَالَهَا مِنْهُمْ: الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ نُوْفَلٍ<sup>(٤)</sup>. وَ﴿الْهْدْيُ﴾ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَمَعْنَاهُ: الْهَدْيُ عَلَى زَعْمِكَ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ قَالُوا: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الَّذِي تَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنْ إِنْ اتَّبَعْنَاكَ تَخْطِفُنَا<sup>(٥)</sup> الْعَرَبُ؛ أَيْ: أَهْلِكُونَا بِالْقِتَالِ؛ لِمُخَالَفَةِ دِينِهِمْ.

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) في أ، ب، هـ: «وحسانتهم».

(٣) أخرجه مسلم (٢٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨٧/١٨)، والنسائي في الكبرى (١١٣٢١) عن ابن عباس ﷺ.

(٥) في ب، ج، د: «تخطفتنا».

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ هذا ردٌ عليهم فيما اعتذروا به من تخطُّفِ الناس لهم، والمعنى: أن الحرم لا تتعرض له العرب بقتال، ولا يمكن الله أحدًا من إهلاك<sup>(١)</sup> أهله، فقد كانت العرب يُغيِّرُ بعضهم على بعض، وأهل الحرم آمنون من ذلك.

﴿تُجْبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تجلب إليه الأرزاق مع أنه وادٍ غير ذي زرع.

﴿بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ معنى ﴿بَطَرَتْ﴾: طغت وسفَّهت. و ﴿مَعِيشَتَهَا﴾: نصبٌ: على التفسير، مثل: ﴿سَمِةَ نَفْسَةٍ﴾ [البقرة: ١٢٩]. أو على إسقاط حرف الجرّ، تقديره: بطرت في معيشتها. أو يتضمَّن ﴿بَطَرَتْ﴾ معنى: كفرت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: قليلًا من الشُّكْنَى، أو قليلًا من السَّاكِنِينَ، أي: لم يسكنها بعد إهلاكها إلا ما<sup>(٢)</sup> على الطريق ساعة.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ أمُّ القرى: مكة؛ لأنها أول ما خُلِقَ من الأرض، ولأن فيها بيت الله. والمعنى: أن الله أقام الحجة على أهل القرى؛ بأن بعث محمدًا ﷺ في أم القرى، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم، وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَمَا أَوْفَيْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ الآية؛ تحقيقٌ للدنيا، وتزهيد فيها، وترغيب في الآخرة.



(١) في أ، ب: «هلاك».

(٢) في ب، ج: «ما».

أَبَسَ وَعَدَّتْهُ وَغَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَفِيهِ كَمَسٌ مَتَّعْنَهُ مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْفَيْتَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٢﴾ \* قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿١٣﴾ وَفِيلٌ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾ فَعِمِثَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءَ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٦﴾ بِأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُغْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ فَلِأَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ مَن إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَآ تَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ فَلِأَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ مَن إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَآ تَبْصِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٤﴾ وَتَزَعَّنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعِلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾

﴿١١﴾ «أَبَسَ وَعَدَّتْهُ» الآية؛ إيضاح لما قبلها من البون<sup>(١)</sup> بين الدنيا والآخرة. والمراد بـ«مَن» وَعَدَّتْهُ: المؤمنون، وبـ«مَن مَّتَّعْنَهُ»: الكافرون. وقيل: محمد ﷺ وأبو جهل، وقيل: حمزة ﷺ وأبو جهل، والعموم أحسن لفظاً ومعنى.

﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب.

﴿١٢﴾ «وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ» العامل في الظرف مضمَر، وفاعل ينادي: الله تعالى. ويَحْتَمَلُ أن يكون

ندأؤه: بواسطة، أو بغير واسطة<sup>(١)</sup>. والمفعول به: المشركون.

﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ توبيخ للمشركين، ونسبهم إلى نفسه على زعمهم؛ ولذلك قال: ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، فحذف المفعول، تقديره: تزعمون أنهم شركاء لي، أو تزعمون أنهم شفعاء لكم.

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ معنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: وجب عليهم العذاب، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبرائهم. والإشارة بقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ إلى أتباعهم من الضعفاء. فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم: ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ وبين قولهم: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾؛ فإنهم اعترفوا بإغوائهم، وتبرؤوا مع ذلك منهم؟

فالجواب: أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك، والمعنى: أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه، ولكن لم يكونوا يعبدوننا، إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها، فترأنا إليك من عبادتهم لنا، فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا<sup>(٢)</sup> الضعفاء، وتبرؤوا من أن يكونوا هم آلهتهم، فلا تناقض في الكلام، وقد قيل في معنى الآية غير ذلك مما هو تكلف بعيد.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

الأول: أن المعنى: لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام.

والثاني: لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا.

(١) [التعليق ٨٤] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «ويحتمل أن يكون ندأؤه بواسطة أو بغير واسطة». أقول: في هذا التردد نظر؛ والصواب أنه ناداهم بغير واسطة، وذلك لوجهين: ١. أنه إذا كان بغير واسطة كان حقيقة، وإذا كان بواسطة كان مجازاً، والأصل الحقيقة.

٢. أن تكليمه تعالى أو ندأؤه لمن شاء بلا واسطة ممكن، ليس بممتنع؛ بدليل أن الله تعالى كلم موسى بلا واسطة، فقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فأكد الفعل بالمصدر للدلالة على الحقيقة. وأيضاً: لو أراد أنه كلمه بواسطة لقي ذلك، مثل: كلمه بأن أرسل رسولاً. ويؤيد ذلك، أن تكليم موسى بواسطة يناهض اختصاص موسى بالتكليم، فكل الرسل كلمهم الله بواسطة الرسول من الملائكة. والله أعلم.

(٢) في د: «أغروا».

والثالث: لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوها. ف﴿لَوْ﴾ على هذه الأقوال حرف امتناع، وجوابها محذوف.

والرابع: أن يكون ﴿لَوْ﴾ للتمني، أي: تمنوا لو كانوا مهتدين.

﴿مَاذَا أَجَبْتُمْ﴾ أي: هل صدقتم المرسلين أو كذبتموهم؟

﴿بَعِثْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءَ يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿عَمِيتَ﴾ عبارة عن حيرتهم، و﴿الْأَنْبَاءَ﴾: الأخبار، أي: أظلمت عليهم الأمور؛ فلم يعرفوا ما يقولون.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الأنباء؛ لأنهم قد تساوا في الحيرة والعجز عن الجواب.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ قيل: إن سببها استغراب قريش لاختصاص محمد ﷺ بالنبوة، فالمعنى: أن الله يخلق ما يشاء، ويختار لرسالته من يشاء من عباده. ولفظها<sup>(١)</sup> أعم من ذلك، والأحسن حملة على عمومها؛ أي: يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق، ويفعل ما يريد.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، والمعنى: ما كان للعباد اختيار؛ إنما الاختيار والإرادة لله وحده، فالوقف على قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾. وقيل: إن ﴿مَا﴾ مفعولة بـ﴿يَخْتَارُ﴾، ومعنى ﴿الْخِيَرَةُ﴾ على هذا: الخير والمصلحة، وهذا يجري على قول المعتزلة. وذلك ضعيف؛ لرفع ﴿الْخِيَرَةُ﴾ على أنها اسم ﴿كَانَ﴾، ولو كانت ﴿مَا﴾ مفعولة لكان اسم ﴿كَانَ﴾ مضمرًا يعود على ﴿مَا﴾، وكانت ﴿الْخِيَرَةُ﴾ منصوبة على أنها خبر ﴿كَانَ﴾. وقد اعتذر عن هذا من قال: إن ﴿مَا﴾ مفعولة؛ بأن قال: تقدير الكلام: يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور، وهذا ضعيف<sup>(٢)</sup>.

(١) في أ، ب: «واللفظ».

(٢) [التعليق ٨٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف ﷺ: «ما»: نافية، والمعنى: ما كان للعباد اختيار... إلخ:

أقول: أصاب المؤلف في ترجيح أن «ما» نافية، وفي تضعيف القول بأنها موصولة.

وقال ابن عطية: يتجه أن تكون ﴿مَا﴾ مفعولة إذا قَدَرْنَا ﴿كَانَ﴾ تامة، ويوقف على قوله: ﴿مَا كَانَ﴾؛ أي: يختار كل كائن، ويكون ﴿لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ جملة مستأنفة<sup>(١)</sup>. وهذا بعيد جدًا.

﴿يَعْلَمَ مَا تَكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تخفيه قلوبهم، وعبر عن القلب بالصدر؛ لأنه يحتوي عليه.

﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ قيل: إن الحمد في الآخرة: قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَغَدَرَهُ﴾ [الزمر: ٧١]، و<sup>(٢)</sup> قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. وفي ذكر ﴿الْأُولَى﴾ مع ﴿الْآخِرَةِ﴾ مطابقة.

﴿سَرْمَدًا﴾ أي: دائماً. والمراد بهذه الآيات: إثبات الوجدانية وإبطال الشرك.

فإن قيل: كيف قال: ﴿يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ﴾، وهلاً قال: «يأتيكم بنهار» في مقابلة قوله: ﴿يَأْتِيَكُمْ لَيْلٍ﴾؟ فالجواب: أنه ذكر الضياء؛ لكثرة ما فيه من المنافع والعبر.

﴿لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي: في الليل، ﴿وَلَتَبْتَغُوا مِنْ بَضْلِهِ﴾ في النهار، ففي الآية لفٌّ ونشرٌ.

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجنا من كل أمة شهيداً منهم يشهد عليهم بأعمالهم، وهو نبيهم؛ لأن كل نبي يشهد على أمته.

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر، وذلك إعدارٌ لهم وتوبيخ وتعجيز.



= وما أوردته على القول الثاني من جهة إعراب: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾، صحيح أيضاً، وكذا ما يرد عليه من جهة المعنى، وهو أنه يلزم أن يكون المعنى: يختار ما فيه الخير للعباد؛ وبهذا تمسك بعض المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح على الله؛ كما أشار إليه المؤلف. وقد اختار القول الأول كثير من المفسرين؛ وهو الصواب، وقد رجحه ابن القيم من وجوه؛ فانظرها في زاد المعاد [١/٤٠-٤٣]، والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز (٦/٦٠٦)، وقال: «معناها: تعديد النعمة عليهم في اختيار الله تعالى لهم، لو قبلوا وفهموا».

(٢) في ج، د: «أو».

\* إِنَّ فَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ يَبْغِي عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُودًا بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْفَوْزِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَاتَّبَعَ وِصَايَا رَبِّكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُبْسِدِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْفُرُوفِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٩﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَارُونَ إِنَّهُ لَكُوْهُ حَظٌّ عَظِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ﴿٧١﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٧٢﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئُ اللَّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٧٣﴾ \* تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَافِيَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧٤﴾

﴿٧١﴾ إِنَّ فَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ ﴿٧٢﴾ أي: من بني إسرائيل، وكان ابن عم موسى ﷺ، وقيل: ابن عمته، وقيل: ابن خالته.

﴿يَبْغِي عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبر وطغى، ومن ذلك كفره بموسى ﷺ.

﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُودًا بِالْعُصْبَةِ﴾ المفاتيح: هي التي يفتح بها، وقيل: هي الخزائن، والأول أظهر. والعصبة: جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين.

﴿وَتَنُودًا﴾: معناه: تثقل؛ يقال: ناء به الحمل: إذا أثقله. وقيل: معنى ﴿تَنُودًا﴾: تنهض بتحامل وتكلف، والوجه على هذا أن يقال: إن العصبة تنوء بالمفاتيح، لكنه قلب؛ كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرًا، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول.

﴿لَا تَفْرَحْ﴾ الفرح هنا: الذي يقود إلى الإعجاب والطغيان؛ ولذلك قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾. وقيل: إنه الشرور بالدنيا؛ لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة، وبدل على

هذا قوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْنَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢].

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال، وذلك بفعل الحسنات والصدقات.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تضيع حظك من دنياك، وتمتع بها مع عملك للآخرة. وقيل: معناه: لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو ما يعمل فيها من الخير، فالكلام على هذا: وعظ، وعلى الأول: إباحة للتمتع بالدنيا؛ لئلا ينفر عن قبول الموعظة.

﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا الجواب على وجه الرد عليهم، والروغان عما ألزموه من الموعظة. والمعنى: أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له؛ بسبب علم عني استوجبه به. واختلف في هذا العلم، فقيل: إنه علم الكيمياء، وقيل: التجارب للأمور والمعرفة بالمكاسب، وقيل: حفظه التوراة، وهذا بعيد؛ لأنه كان كافراً. وقيل: المعنى: إنما أوتيته على علم من الله وتخصيص خصني به، ثم جعل قوله: ﴿عِنْدِي﴾ كما تقول: في ظني واعتقادي.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ فَدَّ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْفُرُوزِ﴾ هذا رد عليه في اغتراره بالدنيا.

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ يعني: جمعاً للمال، أو جمعاً للخدّام، والأول أظهر.

﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه متصل بما قبله، والضمير في ﴿ذُنُوبِهِمُ﴾ يعود على القرون المتقدمة، و﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: من بعدهم؛ أي: لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدّمهم من الأمم الهالكة؛ لأن كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة.

والثاني: أنه إخبار عن حال المجرمين في الآخرة، وأنهم لا يسألون عن ذنوبهم؛ لكونهم يدخلون النار من غير حساب.



والصحيح: أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسألون عنها؛ لقوله: ﴿قَوْرَبِكْ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]؛ وإنما هذا السؤال المنفي: السؤال على وجه الاستخبار وطلب التعريف؛ لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه؛ لكن يسألون على وجه التوبيخ.

وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة: فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه: فهو على وجه الاستخبار والتعريف؛ ومنه قوله: ﴿بَيَوْمٍ ذِي نَسْأَلٍ عَن دُثْبِيهِ إِنْسٍ وَلَا جَانَّ﴾ [الرحمن: ٣٨].

﴿٧٩﴾ ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قيل: في ثياب حُمْرٍ، وقيل: في عبده وحاشيته، واللفظ أعم من ذلك.

﴿٨٠﴾ ﴿وَيَلْعَنُكُمْ﴾ زجرٌ للذين تمنوا مثل حال قارون.

﴿وَلَا يَلْقَاهَا إِلَّا الْضَّالُّونَ﴾ الضمير عائد على الخصال التي دلَّ عليها الكلام المتقدم، وهي الإيمان والعمل الصالح. وقيل: على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم؛ أي: لا تصدر الكلمة إلا عن الصابرين. والصبر هنا: هو إمساك النفس عن الدنيا وزينتها.

﴿٨١﴾ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ روي أن قارون لما بغى على بني إسرائيل وأذى موسى دعا موسى عليه السلام، فأوحى الله إليه: قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفي أتباعه، فقال موسى: «يا أرض خذيهم»، فأخذتهم إلى الركب، فاستغاثوا بموسى فقال: «يا أرض خذيهم» حتى تمَّ بهم الخسف<sup>(١)</sup>.

﴿٨٢﴾ ﴿مَكَانَهُ﴾ أي: منزلته في المال والعزة.

﴿بِالْأَمْسِ﴾ يحتمل أن يراد به: اليوم الذي قبل ذلك اليوم، أو ما تقدَّم من الزمان القريب.

(١) أخرجه الطبري (٣٣١/١٨)، وابن أبي حاتم (٣٠١٦/٩)، وابن أبي شيبة (٣٢٥٠٤)، والحاكم (٣٥٣٦)

وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، عن ابن عباس ؓ.

﴿وَيْكَأَنَّ﴾ مذهب سيويه أن «وَيَ» حرف تنبيه، ثم ذكرت بعدها «كَأَنَّ»، والمعنى على هذا: أنهم تنبَّهوا لخطئهم في قولهم: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾، ثم قالوا: «كَأَنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر»؛ أي: ما أشبه الحال بهذا.

وقال الكوفيون: «ويك» هي: «ويلك»، حذفت منها اللام؛ لكثرة الاستعمال، ثم ذكرت بعدها «أَنَّ»، والمعنى: ألم تعلم أن الله. وقيل: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ كلمة واحدة معناها: ألم تعلم. ﴿عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تكبرا وطغيانا، لا رفعة المنزلة؛ فإن إرادتها جائزة.



مَسْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَسْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ فُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَسْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٦﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْفَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٩﴾

﴿٨٥﴾ ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أنزله عليك وأثبتته، وقيل: معناه: أعطاك القرآن، والمعنى: مقارب. وقيل: فرض عليك أحكام القرآن، فهو على حذف مضاف.

﴿لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾ المعاد: الموضع الذي يعاد إليه: فقبل: يعني مكة، ونزلت الآية حين الهجرة، ففيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها. وقيل: يعني الآخرة؛ فمعناها: إعلام بالحشر. وقيل: يعني الجنة.

﴿٨٦﴾ ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْفَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: ما كنت تطمع أن تنال النبوة، ولا أن ينزل عليك الكتاب، ولكن الله رحمك بذلك، أو رحم الناس بنبوتك. والاستثناء بمعنى: «لكن»؛ فهو منقطع. ويحتمل أن يكون متصلاً؛ والمعنى: ما أنزل عليك الكتاب إلا رحمة من ربك لك أو للناس. و﴿رَحْمَةً﴾ على هذا: مفعول من أجله، أو حال، وعلى الأول: منصوب على الاستثناء.

﴿٨٧﴾ ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله؛ فالمفعول محذوف على هذا، تقديره: ادع الناس.

﴿٨٨﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي: لا تعبد مع الله إلهاً آخر.

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ الآية؛ أي: إلا إياه، والوجه هنا عبارة عن الذات<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٢٢).

## سُورَةُ الْغَنَاقِ بُرُوتْ

أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لِيَتَّ وَهُوَ السَّيِّعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِّ مَقَامٍ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَيْسَ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ذُوقُوا عَذَابَ اللَّهِ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢﴾

﴿١﴾ أَلَمْ ﴿١﴾ ذُكِرَ فِي «البقرة».

﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا﴾ الآية؛ نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا بمكة مستضعفين، منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه وغيره <sup>(١)</sup>، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، فضاقت صدورهم بذلك، فأنسهم الله بهذه الآية، ووعظهم، وأخبرهم أن ذلك اختبار؛ ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى، والثبوت على الإيمان، وأعلمهم تعالى أن تلك

(١) أخرجه الطبري (١٨/٣٥٨)، وابن أبي حاتم (٩/٣٠٣٢) عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

سيرته في عبادته، يُسلط الكفار على المؤمنين؛ ليمحّصهم<sup>(١)</sup> بذلك، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب. ولفظها مع ذلك عامٌّ، فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة؛ من مصيبة أو مضرة في النفس والمال وغير ذلك.

ومعنى ﴿حَسِبَ﴾: ظنَّ، و﴿أَنْ يُّتْرَكُوا﴾ مفعولها، والهمزة للإنكار، ﴿وَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: في موضع الحال من الضمير في ﴿يُّتْرَكُوا﴾ تقديره: غير مفتونين. و﴿أَنْ يَقُولُوا﴾: تعليل في موضع المفعول من أجله.

﴿بَلَيَغْلَسَ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَفُوا﴾ أي: يعلم صدقهم علماً ظاهراً في الوجود، وقد كان علمه في الأزل. والصدق والكذب في الآية يعني بهما: صحة الإيمان والثبوت عليه، أو ضد ذلك.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ أمّ معادلة لقوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ﴾. والمراد بـ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الكفار الذين يعذبون المؤمنين. ولفظها مع ذلك عامٌّ في كل كافر وعاصٍ. ومعنى ﴿يَسْبِقُونَا﴾: يَفُوتُون عقابنا ويُعْجِزُوننا. فمعنى الكلام: نفى سبقهم، كما أن معنى الآية قبلها: نفى ترك المؤمنين بغير فتنة.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ الآية؛ تسليّة للمؤمنين، ووعدٌ لهم بالخير في الآخرة. والرجاء هنا: على بابه، وقيل: هو بمعنى الخوف. و﴿أَجَلَ اللَّهِ﴾ الموت، ومعنى ﴿يَلَاتِ﴾: قريب الإتيان؛ فإن كل ما هو آتٍ قريب. ومعنى الآية: من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا حتى يلقي الله فيُجازيه؛ فإن لقاء الله قريبٌ.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: منفعة جهاده إنما هي لنفسه؛ فإن الله لا تنفعه طاعة العباد. والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال، أو جهاد النفس.

﴿حَسَنًا﴾ منصوبٌ بفعل مضمر تقديره: وصينا الإنسان يفعل<sup>(٢)</sup> بوالديه حسناً. أو مصدرٌ من معنى ﴿وَصَيْنَا﴾ أي: وصية حسنة.

(١) في د: «ليمتحنهم».

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآية؛ نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؛ فإنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر<sup>(١)</sup>. وقيل: نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك، فأمرهم الله بالثبوت على الإسلام، وأن لا يطيعوا الوالدين إذا أمرهم بالكفر. وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت في قوم كانوا مؤمنين بالسنتهم، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المسلمين قالوا: إنا كنا معكم<sup>(٢)</sup>. فمعنى ﴿أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: أُوذِيَ بسبب إيمانه بالله. و﴿فِتْنَةُ النَّاسِ﴾: تعذيبهم. وقيل: إنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل لأمه<sup>(٣)</sup>.

﴿إِتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ أي: قال الكفار للمؤمنين: اكفروا كما كفرنا، ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان. وروى: أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة. حكاه المهدوي<sup>(٤)</sup>.

وقولهم: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ جزاء قولهم: ﴿إِتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر؛ للمبالغة، ولما كان معناه الخبر صَحَّ تكذيبهم فيه، فأخبر الله أنهم كاذبون؛ أي: لا يحملون أوزار هؤلاء، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار.



(١) أخرجه مسلم (١٧٤٨) بعد الحديث رقم (٢٤١٢) عن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (٣٦٥/١٨)، وابن أبي حاتم (٣٠٣٧/٩) عن مجاهد.

(٣) رواه البزار في مسنده (٢٥٨/١) عن عمر رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦/٦): «ورجاله ثقات»، وانظر: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٤١/٣-٤٢).

(٤) انظر: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، لأبي العباس المهدوي (١٨١/٥).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٠١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّيْفَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ لَا عِبَادُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٤﴾ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ إِلَهُم مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَن يَبْلُغَ الْاَلْمِينَ ﴿١٠٥﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٠٦﴾ فَلَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٧﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٠﴾ بَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِّن النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْفَيْصَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوِيكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿١١٢﴾ \*بَقَامَسَ لَهُ لَوْطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾

﴿١٠١﴾ «فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا» الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه، ويحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته. وروي أنه بُعث وهو ابن أربعين سنة، وأنه عُمِّر بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة<sup>(١)</sup>.

(١) أخرج ابن أبي حاتم (٣٠٤١/٩)، وابن أبي شيبة (٣٤٦١٩)، عن ابن عباس ؓ قال: «بُعث نوح وهو لأربعين سنة، ولَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِينَ عَامًا حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ وَفَشُوا» وأخرجه الحاكم (٤٠٠٥) عن ابن عباس مرفوعًا، وسكت عنه الذهبي. وأخرج الطبري (٣٧٠/١٨)، وابن أبي حاتم (٣٠٤٢/٩) عون بن أبي شداد، قال: «إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ، فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ خَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ»، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/٦٨): «وهذا غريب، وقول ابن عباس ؓ أقرب».

فإن قيل: لم قال: ﴿أَلَفَ سَنَةً﴾ ثم قال: ﴿خَمْسِينَ عَامًا﴾؛ فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟ فالجواب: أن ذلك كراهةٌ لتكرار لفظ السنة، فإن التكرار مكروه<sup>(١)</sup> إلا إذا قصد به تفخيمٌ أو تهويلٌ.

﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ يحتمل أن يعود الضمير على السفينة، أو على النجاة، أو على القصة بكمالها.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ هو من الخَلْقَة؛ يريد به: نَحَتَ الأصنام، فسماه خِلْقَةً على وجه التجوُّز، وقيل: هو من اختلاق الكذب.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ الآية؛ احتجاجٌ على الوجدانية ونفي الشركاء. فإن قيل: لم نكر الرزق أولاً، ثم عرّفه في قوله: ﴿بِابْتِغَاؤِ عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾؟ فالجواب: أنه نكره في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾؛ لقصد العموم في النفي، فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم، ثم عرّفه بعد ذلك لقصد العموم في طلب الرزق كله من الله؛ لأنه لا يُقتضى العموم في سياق الإثبات إلا مع التعريف؛ فكأنه قال: ابتغوا الرزق كله عند الله.

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ الآية؛ تحتمل أن تكون من كلام إبراهيم عليه السلام، أو من كلام الله تعالى. ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار وتهديدهم، أو يراد به تسليّة النبي ﷺ عن تكذيب قومه، بالناسي بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ يقال: بدأ الله الخلق وأبداه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة. والمعنى: أولم ير الكفار أن الله خلق الخلق؛ فيستدلّون بالخلقة الأولى على الإعادة في الحشر؟

فقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس بمعطوف على ﴿يُبْدِئُ﴾؛ لأن المعنى فيهما مختلف؛ لأن رؤية البداية بالمشاهدة، بخلاف الإعادة؛ فإنها تُعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلّها. وقد قيل: إنه يريد إعادة النبات وإبداءه، وعلى هذا يكون ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ عطفاً على ﴿يُبْدِئُ﴾؛ لاتفاق المعنى، والأول أحسن واليق بمقاصد الكلام.

(١) في أ، ب، هـ: «يكروه».



﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: إعادة الخلق، وهي حشرهم. ثم أمرهم بالسَّير في الأرض؛ ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم، ولذلك ختمها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَالِيهِ تُفْلَبُونَ﴾ أي: ترجعون.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لا تفوتون من عذاب الله، وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء.

﴿وَأُولَئِكَ يَنْتَظِرُونَ﴾ يحتمل أن يئأسوا في الآخرة، أو يكون وصفًا لحالهم في الدنيا؛ لأن الكافر يئأس<sup>(١)</sup> من رحمة الله، والمؤمن راجٍ خائفٌ. وهذا الكلام من قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ إلى هنا: يحتمل أن يكون خطابًا لمحمد ﷺ معترضًا بين قصة إبراهيم عليه السلام. ويحتمل أن يكون خطابًا لإبراهيم، وبعد ذلك ذكر جواب قومه له.

﴿مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ﴾ نصبُ المودة<sup>(٢)</sup> على أنها مفعولٌ من أجله، أو مفعول ثانٍ لـ ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾. ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمر، أو خبر «إِنَّ»، وتكون «ما» موصولة. ونصبُ ﴿بَيْنَكُمْ﴾: على الظرفية، وخفضه: بالإضافة.

﴿بِقَامٍ لَهُ لُوطٌ﴾ تضمَّن «قَامٍ» معنى: انقاد، ولذلك تعدَّى باللام.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ القائل لذلك: إبراهيم عليه السلام، وقيل: لوط عليه السلام. وهاجرا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام، وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.



(١) في أ، ب، هـ: «يئس».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي «مودة» بالرفع من غير تنوين «بينكم» بالخفض، وقرأ حمزة وحفص عن عاصم «مودة» بالنصب من غير تنوين «بينكم» بالخفض، وقرأ الباقون «مودة بينكم» بالنصب فيهما والتنوين.

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَثُونَ الْقَبْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾  
 أَيْتُكُمْ لَأَثُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴿٥٨﴾ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ بِمَا كَانَ جَوَابَ  
 قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِيَّتَنَا يَعَذِّبُ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٩﴾ قَالَ رَبِّ لَا تَنْصُرْنِي عَلَى  
 الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ  
 الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَغْلَمُ بِمَا فِيهَا لَنَنْجِيَنَّه  
 وَأَهْلَهُ إِلَّا إِمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِتْرَهُ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ  
 ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا إِمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٣﴾  
 إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا  
 مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾

﴿٥٨﴾ «وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ» قيل: أراد قطع الطرق<sup>(١)</sup> للسلب والقتل. وقيل: أراد قطع سبيل  
 النسل، بترك النساء وإتيان الرجال.

﴿٥٩﴾ «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ» النادي: المجلس الذي يجتمع فيه الناس.  
 والمنكر: فعلهم بالرجال، وقيل: إذايتهم للناس.

﴿٦٠﴾ «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى» الرسل هنا: الملائكة. والبشرى: بشارة  
 إبراهيم ﷺ بالولد، وهو قوله: «وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ» [الذاريات: ٢٨]، أو بشارته بنصر<sup>(٢)</sup>  
 لوط ﷺ، والأول أظهر.

﴿٦١﴾ «أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ» هي قرية لوط.<sup>(٣)</sup>

﴿٦٢﴾ «قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا» ليس إخباراً بأنه فيها، وإنما قصد نجاة لوط ﷺ من العذاب الذي  
 يصيب أهل القرية، وبراءته من الظلم الذي وُصفوا به، فكانه قال: كيف تُهلكون أهل القرية  
 وفيهم<sup>(٤)</sup> لوط؟ وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط؟

(١) في ج، د: «الطريق».

(٢) في ج، هـ: «بنصرة».

(٣) في أ، ب، هـ: «يعني».

(٤) في أ، ب، هـ: «وفيها».

﴿مِنَ الْغَافِرِينَ﴾ قَدْ ذُكِرَ<sup>(١)</sup>، وَكَذَلِكَ ﴿سِوَاهِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.  
﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أَي: عَذَابًا.



(١) انظر تفسير الآية (٨٣) من سورة الأعراف.

(٢) انظر تفسير الآية (٧٧) من سورة هود.

\* وَالْأَيُّ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوْمٌ لَعَبَدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ ﴿٢٦﴾ بِكَذِبِهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٢٧﴾ وَعَادَا وَتُمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ بَصْدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ إِذَا أَخَذَتْ بِتِنَاءٍ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْتِبْيُوتِ لَتَبِيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٣٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٦﴾ «وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ» قيل: الرجاء هنا: بمعنى الخوف، وقيل: هو على بابه.

﴿٢٧﴾ «وَلَا تَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ» يعني: نقصهم المكيال والميزان.

﴿٢٨﴾ «الرَّجْفَةُ» هي الصيحة.

﴿٢٩﴾ «وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ» أي: أن آثار مساكنهم باقية، تدل على ما أصابهم.

﴿٣٠﴾ «وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» قيل: معناه: لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به. وقيل: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادًا. وقيل: معنى: «مُسْتَبْصِرِينَ» عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال، ولكنهم لم يفعلوا.

﴿٣١﴾ «مَا كَانُوا سَافِلِينَ» أي: لم يفوتوا.

﴿٣٢﴾ «بِمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا» الحاصب: الحجارة، والحاصب أيضًا: الريح الشديدة. فيحتمل عندي أنه أراد به المعنيين؛ لأن قوم لوط أهلكوا بالحجارة، وعادًا أهلكوا بالريح، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين، كقوله: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» [الأحزاب: ٥٦]، ويقوى ذلك هنا؛ لأن المقصود ذكر عموم أخذ أصناف الكفار.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني: ثمود ومدين.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني: قارون.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا﴾ يعني: قوم نوح، وفرعون وقومه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ إِتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ شبه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتًا ضعيفًا، فكما أن ما اعتمدت عليه العنكبوت من بيتها ليس بشيء؛ كذلك ما اعتمد<sup>(١)</sup> عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء؛ لأنهم لا ينفعون ولا يضرّون.

﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ أي: أضعفها.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «مَا» موصولة بمعنى: «الذي»، مفعولة للفعل الذي قبلها. وقيل: هي نافية، والفعل معلق عنها، والمعنى على هذا: لستم تدعون من دون الله شيئًا له بآل فيصلح أن يسمّى شيئًا.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، لا على وجه العبث واللعب.



(١) في ب، د: «اعتمدت».

أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ  
وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ \* وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ  
أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُ وَآلَهُ  
وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ  
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا كُنْتَ  
تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُرَ يَمِينُكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَاتُ  
بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا  
أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتُ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَكُفِهِمْ أَنَّا  
أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾

﴿١٥﴾ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ إذا كان المصلي خاشعاً في صلاته، متذكراً  
لعظمة من وقف بين يديه: حمّله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر: فكان الصلاة  
ناحيةً عن ذلك.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قيل فيه ثلاثة معانٍ:

الأول: أن المعنى: إن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله؛ لأن  
ذكر الله أعظم ما فيها، وكأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيه عن الفحشاء والمنكر؛ لأن ذكر  
الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.

الثاني: أن ذكر الله على الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة؛ لأنها  
في بعض الأوقات دون بعض.

الثالث: أن ذكر الله أكبر أجراً من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث:  
«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ؟» قالوا: بلى، قال: «ذكر الله»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلا بالتي هي أحسن، لا بضرب ولا قتال. وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد، ثم نُسخ بالسيف. ومعنى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: الذين ظلموكم، أو <sup>(١)</sup> صرّحوا بإذابة نبيكم ﷺ. وقيل: معنى الآية: لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدّثوكم به من الأخبار إلا بالتي هي أحسن، ومعنى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ على هذا: من بقي منهم على كفره، والمعنى الأول أظهر.

﴿وَقُولُوا آمَنَّا﴾ هذا وما بعده: يقتضي موادةً ومسالمة، وهي منسوخة بالسيف. ويقتضي أيضًا: الإعراض عن مكالمتهم، وفي الحديث: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، فإن كان باطلا لم تصدّقوهم، وإن كان حقًا لم تكذبوهم» <sup>(٢)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: كما أنزلنا الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك. ﴿بِالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: عبد الله بن سلام ﷺ وأمثاله ممن أسلم من اليهود والنصارى.

﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أراد بالذين أوتوا الكتاب: أهل التوراة والإنجيل، وأراد بقوله: ﴿مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ كفار قريش. وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب: المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بـ ﴿هَؤُلَاءِ﴾: المعاصرين لمحمد ﷺ منهم، كعبد الله بن سلام ﷺ.

(١) في ب، هـ: «و».

(٢) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥) وأبو داود (٣٦٤٤)، وابن حبان (٦٢٥٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠١٦٠)، والبيهقي (١٩٢١٤)، عن أبي نعمة الأنصاري ﷺ، أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود، فقال: يا محمد، هل تتكلم هذه الجنابة؟ قال رسول الله ﷺ: «الله أعلم»، قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقًا لم تكذبوهم، وإن كان باطلا لم تصدّقوهم»، وضعفه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٨٢/٤)، وله شاهد عند البخاري (٤٤٨٥) عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا».. الآية.

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء بالقرآن. فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿بَيِّنِينَ﴾؟ فالجواب: أن ذلك تأكيد للكلام، وتصوير للمعنى المراد.

﴿إِذَا لَأَرْثَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار، فكانوا<sup>(١)</sup> يقولون: لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه. وقيل: وجه الاحتجاج: أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفاً للصفة التي وصفه الله بها عندهم. والمذهب الصحيح: أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قط ولا كتب. وقال الباجي<sup>(٢)</sup> وغيره: إنه كتب؛ لظاهر حديث الحديبية، وهذا القول ضعيف.

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ﴾ الضمير للقرآن، والإضراب بـ ﴿بَلْ﴾ عن كلام محذوف تقديره: ليس الأمر كما حسب المبطلون والظالمون.

﴿أَوَلَمْ يَكُفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ المعنى: كيف يطلبون آيةً والقرآن أعظم الآيات، وأوضحها دلالة على صحة النبوة، فهلاً اكتفوا به عن طلب الآيات!



(١) في ج، د: «وكانوا».

(٢) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٩٤هـ)، وله رسالة في هذه المسألة أسماها «تحقيق المذهب من أن النبي ﷺ قد كتب»، وجرت له في ذلك قصة، انظرها في: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٥٤٠)، والديباج المذهب لابن فرحون (١/٣٨٠).



قُلْ كَفَى بِاللّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ  
وَكَفَرُوا بِاللّهِ ءَوَّلِيكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَسْتَغْفِرُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ أَلَّجَلٌ مُّسَمًّى  
لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ يَسْتَغْفِرُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ  
لَمَحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾ يَوْمَ يَغْشِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ بَوَافِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوفُوا  
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ يَعْجَذِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَّا أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي بَاعِبُدُونَ ﴿٦٠﴾ كُلُّ  
نَفْسٍ ذَآئِفَةٌ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ  
الْجَنَّةِ غُرَبًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمِلِينَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا  
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٣﴾ \* وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا إِيَّاكُمْ وَهُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قَاتِلِي يُوقِفُكُمْ ﴿٦٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ  
يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ ﴿٦٦﴾ وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ﴾ ذكر معناه في «الرعد»<sup>(١)</sup>، وفي «الأنعام»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير للكفار، يعني: قولهم: ﴿إِنِّيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾  
[الأعراف: ٧٦]، وقولهم: ﴿بِأَمْطَرِ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وشبه ذلك.

﴿وَلَوْ أَلَّجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لولا أن الله قدر لعذابهم أجلاً مسمى لعاجلهم<sup>(٣)</sup> به حين طلبوه.  
﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ يحتمل أن يريد: القتل الذي أصابهم يوم بدر، أو الجوع الذي أصابهم  
بتوالي القحط، أو يريد عذاب الآخرة، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَحِيطَةٌ  
بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: يحيط بهم. والعامل في الظرف: محذوف، أو «محيطَةٌ».

(١) انظر تفسير الآية (٤٣).

(٢) انظر تفسير الآية (١٩).

(٣) في أ، ب: «فاجاهم».

﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ تحريض على الهجرة من مكة؛ إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار، وترغيب في غيرها من أرض الله، فحيثما هاجروا إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ أي: نزلهم. وقرئ: ﴿نُثَوِّئُهُمْ﴾ بالثاء المثناة<sup>(١)</sup> من الثواء<sup>(٢)</sup>، وهو الإقامة في المنزل.

﴿وَكَايَ مِمَّنْ دَاَبَّ لِأَنْ تَحْمِلَ رِزْقَهَا﴾ أي: كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها. والقصد بالآية: تقوية لقلوب المؤمنين؛ إذ خافوا الجوع والفقر في الهجرة إلى بلاد الناس، أي: كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرت من بلدكم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ﴾ في الموضعين: إقامة حجة عليهم.

﴿وَبَأَبَى يَوْفِكُونُ﴾ أي: كيف يُصَرِّفون عن الحق.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد الله على ظهور الحجة، أو يكون المعنى: إلزامهم أن يحمدا الله لما اعترفوا أنه خلق السماوات والأرض.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إضراب عن كلام محذوف تقديره: يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به؛ ولكنهم لا يعقلون.



(١) وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقر بالباء.

(٢) في ج، د: «الثوي».

(٣) في د، هـ: «بلادكم».

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمُ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾  
 فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ  
 يُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا بِسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا  
 حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَقْبَالَ بَطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿١٨﴾ وَمَنْ  
 أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى  
 لِلْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾

- ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ ﴿الْحَيَوَانُ﴾ مصدر، كالحياة.
- ﴿إِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾ الآية؛ إقامة حجة عليهم بدعائهم لله حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء.
- ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ أمرٌ على وجه التهديد، أو على وجه الخذلان والتخليّة، كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك: «اعمل ما شئت».
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ الضمير لكفار قريش، والحرم الآمن: مكة؛ لأنها كانت لا تُغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد، ولا ينتهك أحد حرمتها.
- ﴿وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتل وأخذ الأموال.
- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني: جهاد الأنفس من الصبر على إذابة الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك. وقيل يعني: القتال، وذلك ضعيف؛ لأن القتال لم يكن مأمورًا به حين نزول الآية.
- ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنهم لسبيل<sup>(١)</sup> الخير.
- ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المعنى: إنه معهم بإعانتة ونصره.



(١) في أ: «لسيل».

## سُورَةُ الرُّومِ

أَلَمْ غَلَبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿١﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴿٢﴾ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يَعْلَمُونَ ظَهيراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَتَّبَعُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٧﴾ \* أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السَّوْءَ أَلَمْ يَكُذِّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٩﴾

﴿١﴾ «غَلَبَتْ الرُّومُ» أي: هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم. وسميت الروم باسم جدهم، وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿٢﴾ «فِي أَدْنَى الْأَرْضِ» قيل: هي الجزيرة، وهي بين الشام والعراق، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس. وقيل: في أدنى أرض العرب منهم، وهي أطراف الشام.

﴿٣﴾ «وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ» إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس (بعد أن غلبهم الفرس) <sup>(١)</sup>.

﴿٤﴾ «فِي بِضْعِ سِنِينَ» البضع: ما بين الثلاث إلى التسع.

(١) سقط من أ، ب.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ رُوي: أن غلب الروم لفارس<sup>(١)</sup> وقع يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية؛ ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش. وقيل: فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس؛ لأن الروم أهل كتاب، فهم أقرب إلى الإسلام، وكذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم؛ لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب، فهم أقرب إلى كفار قريش. وروي أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: إن نبينا ﷺ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون، وراهنهم على عشر قلاص<sup>(٢)</sup> إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله ﷺ: «زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل»، فجعل القلاص مئة، والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبي بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف؛ إذ كان قد مات، وجاء بها إلى النبي ﷺ فقال له: «تصدق بها»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكّد، كقولك: «له عليّ ألف درهم عرفاً»؛ لأن معناه: اعترفت<sup>(٤)</sup> له بها اعترافاً.

﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا﴾ قيل: معناه: يعلمون ما يدرك بالحواسّ دون ما يدرك بالعقول؛ فهم في ذلك مثل البهائم. وقيل: الظاهر: ما يُعلم بأوائل العقول، والباطن: ما يُعلم بالدليل والنظر. وقيل: هو من<sup>(٥)</sup> الظهور بمعنى: العلوّ في الدنيا. وقيل: ظاهر بمعنى: زائل ذاهب. والأظهر أنه أراد بالظاهر: المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها؛ لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها. وانظر كيف نفى العلم عنهم أولاً، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة. وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة؛ لاجتماع النفي والإثبات. وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم؛ لقلة منفعته، فهو على هذا بيان للنفي.

(١) في د: «للفرس».

(٢) القلاص: جمع قلوص، وهي الشابة الفتية من الإبل. الصحاح للجوهري.

(٣) أخرج القصة بهذا السياق أو يقاربه الطبري في تفسيره (٤٥١/١٨) عن عكرمة، وأخرجها مع اختلاف يسير فيها: أحمد (٢٤٩٥) والترمذي (٣١٩٣) وقال: «حسن غريب»، والنسائي في الكبرى (١١٣٢٥)، والحاكم

(٣٥٤٠) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) في د، هـ: «أعترف».

(٥) في أ، ب: «بمعنى».

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما: أن تكون النفس ظرفاً للفكرة في خلق السماوات والأرض؛ كأنه قال: أو لم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السماوات والأرض إلا بالحق.

والثاني: أن يكون المعنى: أولم يتفكروا في ذواتهم وخلقهم؛ ليستدلوا بذلك على الخالق، ويكون قوله: ﴿مَا خَلَقَ﴾ الآية استئناف كلام، والمعنى الأول أظهر.

﴿وَأَنزَلْنَا الْأَرْضَ﴾ أي: حرثوها.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السُّوْءَ﴾ معنى ﴿السُّوْءَ﴾: هلاك الكفار. ولفظ ﴿السُّوْءَ﴾ تأنيث الأسوأ، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن. وقرئ ﴿عَاقِبَةُ﴾<sup>(١)</sup>: بالرفع على أنه اسم ﴿كَانَ﴾، و﴿السُّوْءَ﴾ خبرها. وقرئ بنصب ﴿عَاقِبَةُ﴾ على أنها خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿السُّوْءَ﴾ اسمها. و﴿أَن كَذَّبُوا﴾ مفعول من أجله. ويحتمل أن تكون ﴿السُّوْءَ﴾ مصدر: ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾<sup>(٢)</sup>.



(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) في أ، ب، هـ: «أساء».

اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ بِتَقَرُّفُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الإبلاس: الكون في شرٍّ مع اليأس من الخير.

﴿يَتَقَرَّرُونَ﴾ معناه: في المنازل والجزاء.

﴿يُحْبَرُونَ﴾ يُنْعَمُونَ<sup>(١)</sup>، من الحُبور، وهو السرور والنعيم، وقيل: يُكْرَمُونَ.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ هذا تعليمٌ للعباد؛ أي: قولوا: «سبحان الله» حين تمسون وحين تصبحون، وعشيًّا وحين تظهرون؛ أي: حين تدخلون في وقت الظهيرة وهو وسط النهار. وقوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اعتراض بين المعطوفات. وقيل: أراد بذلك الصلوات الخمس، فـ ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: الصبح، ﴿وَعَشِيًّا﴾: العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: الظهر.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ ذُكِرَ فِي «آل عمران»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيُخِي الْأَرْضَ﴾ أي: يُنْبِتُ فِيهَا النَّبَاتَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي: كما يخرج الله النبات من الأرض، كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة.



(١) في أ، ب، هـ: «يتنعمون».

(٢) انظر تفسير الآية (٢٧).

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿١١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ \* وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَلَوِيِّكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ بَضَائِعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَغْدًا مَوْتَهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٦﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَلْبَتُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ أي: تتصرفون<sup>(١)</sup> في الدنيا.

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: من صنفكم وجنسكم. وقيل: أراد خِلقة حواء من ضلع آدم ﷺ، وخاطب الناس بذلك؛ لأنهم ذرية آدم.

﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قيل: المودة: الجماع، والرحمة: الولد، والعموم أحسن وأبلغ.

﴿وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لغاتكم.

﴿وَالْوَلَوِيِّكُمْ﴾ يعني: البياض والسواد، وقيل: يعني: أصنافكم، والأول أظهر.

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذكر في «الرعد»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ معناه: تثبت، أو يقوم تدبيرها<sup>(٣)</sup>.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ «إِذَا» الأولى: شرطية، والثانية: فجائية، وهي جواب الأولى. والدعوة في هذه الآية: قوله للموتى: قوموا، أو النفخة الثانية

(١) في د: «تصرفون».

(٢) انظر تفسير الآية (١٢).

(٣) في ج، د: «تدبرها».



في الصور. و﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿تَخْرُجُونَ﴾، أو بقوله: ﴿دَعَاكُمْ﴾؛ على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو؛ كقولك: «دعوتك من الجبل» إذا كان المدعو في الجبل.

﴿فَنُتَبِّهُونَ﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُوَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ﴾ أي: الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث؛ فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثاني مرة، ولكن الأمور كلّها متساوية عند الله؛ فإن كل شيء على الله يسير<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السماوات والأرض.



(١) انظر تفسير الآية (١١٦).

(٢) [التعليق ٨٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف ﷺ: «هذا تقريب لفهم السامع، وتحقيق

للبعث... إلخ:

أقول: يريد: أن أفعل التفضيل ليس على بابه؛ فلا يدل على أن الإعادة أيسر على الله من البدء: «الخلق الأول»؛ لأن قدرته تعالى على الأشياء واحدة، والأشياء بالنسبة لقدرته سواء؛ فليس شيء منها أيسر على الله من شيء، وإنما ذكر أفعل التفضيل تقريباً للمخاطبين؛ لأن المستقر في عقولهم أن الإعادة أهون من البدء؛ وهذا توجية صحيح.

وفي الآية: توجية آخر صحيح أيضاً؛ وهو أن أفعل التفضيل ليس على بابه؛ أي: ليس المقصود منه المفاضلة بين شيئين، بل المراد إثبات الوصف؛ وعلى هذا: فقوله تعالى: ﴿أَهْوَنَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: هيّن عليه، فيكون من قبيل الصفة المشبهة؛ والله أعلم.

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِيهِ مَا  
 رَزَقْنَاهُمْ وَأَنزَلْنَاهُمْ فِيهِ سَوَاءً تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
 يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ  
 نَّاصِرِينَ ﴿١٨﴾ \* وَأَفَمِنْ وَجْهِكَ لِلَّذِينَ حَنِيمًا فِطَرْتُ اللَّهُ إِلَيْهِ بَطَرَ النَّاسُ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ  
 اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا  
 الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٠﴾ مِنَ الَّذِينَ بَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ جُزْءٍ مِّمَّا  
 لَدَيْهِمْ جُزْءٌ ﴿٢١﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا  
 بَرِيقَ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ أَنزَلْنَا  
 عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً بَرِحُوا بِهَا  
 وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَفْتِنُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ  
 يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾ بَقَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ  
 السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلَىٰ بِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ رَبِّ  
 لَازِبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ  
 هُمُ الْمُضْمِعُونَ ﴿٢٨﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ  
 شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شِئْنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٩﴾

﴿١٧﴾ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ ﴿١٧﴾ هذا هو المثل المضروب، ومعناه: أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم، ولا يستون معكم في أحوالكم، فكذلك الله تعالى لا يشاركه عبيده في ملكه، ولا يماثله أحد في ربوبيته، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي، ودخل في النفي قوله: ﴿وَأَنزَلْنَاهُمْ فِيهِ سَوَاءً تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ أي: لستم في أموالكم سواء مع عبيدكم، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم؛ لأن العبيد عندكم أقل وأذل من ذلك.

﴿١٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٨﴾ الإضراب بـ ﴿بَلِ﴾ عما تضمنته معنى الآية المتقدمة، كأنه يقول: ليس لهم حجة في إشراكهم بالله؛ بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم.

﴿بَاقِمٌ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ هو دين الإسلام. وإقامة الوجه في الموضعين من السورة: عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه. وفي قوله: ﴿أَفِمْ﴾، و﴿أَلْفِمْ﴾ ضربٌ من ضروب التّجنيس.

﴿بِطَرَّتْ أَلَلَهُ﴾ منصوبٌ على المصدر: كقوله: ﴿صِبْغَةَ أَلَلَهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]. أو مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله. ومعناه: خلقة الله، والمراد به: دين الإسلام؛ لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السّليمة، وإنما كفر مَنْ كفر لعارضي أخرجته عن أصل فطرته، كما قال ﷺ: «كُلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرّانه...»<sup>(١)</sup>.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ أَلَلَهُ﴾ يعني بـ ﴿خَلْقِ أَلَلَهُ﴾: الفطرة التي فطر الناس عليها من الإيمان. ومعنى أن الله لا يبدّلها: أنه لا يخلق الناس على غيرها، ولكن يبدّلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى. أو يكون المعنى: أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدّلوها؛ فالنفي على هذا حكمٌ لا خبر. وقيل: إنه على الخصوص<sup>(٢)</sup> في المؤمنين؛ أي: لا تبدل لفطرة الله في حق مَنْ قضى الله أنه يثبت على إيمانه. وقيل: إنه نهي عن تبدل خلقة الله، كخصاء الفحول من الحيوان، وقطع أذانها وشبه ذلك.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ منصوبٌ على الحال من قوله: ﴿أَفِمْ وَجْهَكَ﴾؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: هو وأمته، ولذلك جمعهم في قوله: ﴿مُنِيبِينَ﴾. وقيل: هو حال من ضمير الفاعل المستتر في: «الزموا فطرة الله». وقيل: هو حال من قوله: ﴿بَطَرَتِ النَّاسَ﴾، وهذا بعيد.

﴿وَأَتَّفَقُوا﴾ وما بعده: معطوفٌ على ﴿أَفِمْ وَجْهَكَ﴾، أو على العامل في ﴿بِطَرَّتْ أَلَلَهُ﴾، وهو «الزموا» المضمر.

﴿مِنَ الَّذِينَ بَرَّفُوا دِينَهُمْ﴾ المجرور بدلٌ من المجرور قبله. ومعنى ﴿بَرَّفُوا دِينَهُمْ﴾: جعلوه فرقاً؛ أي: اختلفوا فيه. وقرئ: ﴿بَارَقُوا﴾ من المفارقة<sup>(٣)</sup>؛ أي: تركوه.

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) في ج، د: «إنه خصوص».

(٣) قرأه حمزة والكسائي «فَارَقُوا» بالالف وتخفيف الراء، وقرأ الباقون بغير الف مع التشديد.

والمراد بالمشركين هنا: أصناف الكفار، وقيل: هم المسلمون الذي تفرقوا فرقا مختلفة، ففي لفظ ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ على هذا تجوز بعيد، ولعل قائل هذا القول إنما قاله في قول الله في «الأنعام»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ بَرَّوْا دِينَهُمْ﴾؛ فإنه ليس هناك ذكر المشركين.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ الآية؛ إنحاء على المشركين؛ لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء.

﴿لِيَكْفُرُوا﴾ ذكر في «العنكبوت»<sup>(١)</sup>.

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة بمعنى: «بل» والهمزة. والسلطان: الحجة، وكلامه مجاز، كما تقول: نطق الكتاب بكذا، والمعنى: ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ إنحاء على من يفرح ويبطر إذا أصابه الخير، ويقنط إذا أصابه الشر.

وانظر كيف قال هنا «إِذَا»، وقال في الشر: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ لأن «إِذَا» للقطع بوقوع الشرط، بخلاف «إِنْ»؛ فإنها للشك في وقوعه، ففي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشر.

﴿يَمَّا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ﴾ المعنى: أن ما يصيب الناس من المصائب فإنه بسبب ذنوبهم.

﴿بَنَاتٍ ذَا أَلْفُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ يعني: صلة رحم القرابة؛ بالإحسان والمودة، ولو بالكلام الطيب.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لَّا تُزْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الآية؛ معناها كقوله: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي: ما أعطيتكم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتكم من الصدقات فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به. وقيل: المراد: أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له ليعوضه أكثر من ذلك، فهذا وإن كان جائزا فإنه لا ثواب فيه.

(١) انظر تفسير الآية (٦٦).

وقرى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبِّا﴾: بالمد<sup>(١)</sup>: بمعنى أعطيتكم، وبالقصر: يعني: جئتم به؛ أي: فعلتموه. وقرى<sup>(٢)</sup>: ﴿لَتَرْبُوا﴾ بالتاء المضمومة، و﴿لَتَرْبُوا﴾ بالياء مفتوحة ونصب الواو. ﴿بِقَاتِلَيْكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ المضعف: ذو الإضعاف من الحسنات. وفي هذه الجملة التفات؛ لخروجه من الخطاب إلى الغيبة، وكان الأصل أن يقال: «وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون». وفيها أيضا حذف؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى «ما»، وتقديره: «المضعفون به»، أو: «فمؤتوه هم المضعفون».



(١) قرأ ابن كثير بقصر الهمزة، والباقون بمدّها.

(٢) قرأ نافع بالتاء وضمها وإسكان الواو، وقرأ الباقر بالياء وفتحها وفتح الواو.

\* ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ ﴿١١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ  
مُشْرِكِينَ ﴿١٢﴾ فَأَوْمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِن قَبْلُ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ  
يَصْدَعُونَ ﴿١٣﴾ مَن كَفَرَ بَعْلِيهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَنْهَدُونَ ﴿١٤﴾ لِيَجْزِيَ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾ وَمِن آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ  
الرياح مَبْشُرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْأَنْهَارُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْتَمَنَّا  
مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ فَتُبْثِرُ سَحَابًا  
فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا  
أَصَاب بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنْزَلَ عَلَيْهِم  
مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿١٩﴾ فَاذْكُرُوا إِلَى أَمْرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ  
لَمَخِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا بَرَأوهُ مُضْغَرًّا لَّظَلُّوا مِن  
بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿٢٢﴾ وَمَا  
أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا بِهِمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قيل: البر: البلاد البعيدة من البحر، والبحر: هو البلاد التي على ساحل البحر. وقيل: البر: اللسان، والبحر: القلب، وهذا بعيد. والصحيح: أن البر والبحر هما المعروفان، وظهور الفساد في البر: بالقحط والفتن وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر: بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان.

﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: لا رجوع له، ولا بد من وقوعه.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بقوله: ﴿يَأْتِي﴾، أو بقوله: ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: لا يردّه الله.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ من الصّدع، وهو الفرقة؛ أي: يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿وَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يُوطَّئون، وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه. والمعنى: أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ ﴿يَمْهَدُونَ﴾، أو ﴿يَصْدَعُونَ﴾، أو بمحذوف<sup>(١)</sup>.

﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ أي: تبشّر بالمطر.

﴿وَلِيَذِيقَكُمْ﴾ عطف على ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾؛ كأنه قال: لِيُشْرِكُمْ وليذيقكم. ويحتمل أن يتعلّق بمحذوف تقديره: لِيُذِيقَكُمْ من رحمته أرسلها.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ انتصب ﴿حَقًّا﴾ لأنه خبر «كان»، واسمها ﴿نَضْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وقيل: اسمها مضمّر يعود على مصدر ﴿انْتَقَمْنَا﴾، أي: وكان الانتقام حقًّا، فعلى هذا: يوقف على ﴿حَقًّا﴾، ويكون ﴿نَضْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مبتدأ، وهذا ضعيف.

﴿فَتَثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تحرّكها وتنشرها.

﴿كِسْبًا﴾ أي: قِطْعًا، وقرئ بإسكان السين<sup>(٢)</sup>، وهما بناءان للجمع. وقيل: معنى الإسكان: أن السحاب قطعة واحدة.

﴿الْوَدَقِ﴾ هو المطر.

﴿مِنْ خِلَلِهِ﴾ الخلال: الشقاق التي بين بعضه وبعض؛ لأنه متخلّل الأجزاء، والضمير يعود على السحاب.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ كرر للتأكيد، ليفيد سرعة تقلّب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار. ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي: قانطين، كقوله: ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَنَطَوْا﴾ [الشورى: ٢٦].

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ الضمير للنبات الذي يُنبته الله بالمطر، والمعنى: لئن أرسل الله ريحًا فاصفرّ بها النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله.

وقيل: الضمير للريح، وقيل: للسحاب، والأول أحسن في المعنى.

(١) تقديره: ذلك، أو: فعل ذلك ليجزي. المحرر الوجيز (٣٢/٧).

(٢) قرأ ابن عامر بخلف عن هشام بإسكان السين، وقرأ الباقر بفتحها، وهو الوجه الثاني لهشام.

﴿وَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ الآية؛ استعارة في عدم سماع الكفار للمواعظ والبراهين،  
فشبه الكفار بالموتى في عدم إحساسهم.





\*اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٧﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتُّوُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ أَلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٦١﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوفُونَ ﴿٦٣﴾

﴿٥٧﴾ ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ الضعف الأول: كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيفاً في حال الطفولية، والضعف الأخير: هو الهرم. وقرئ بفتح الضاد وضمها<sup>(١)</sup>، وهما لغتان.

﴿٥٨﴾ ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه: أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلا ساعة، أو: ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة، وذلك لاستقصارهم تلك المدة.

﴿٥٩﴾ ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي: مثل هذا الصرف كانوا يُصرفون في الدنيا عن الصدق والتحقيق؛ حتى يروا الأشياء على غير ما هي عليه.

﴿٦٠﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتُّوُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون، ردُّوا مقالة الكفار التي حلفوا عليها.

﴿٦١﴾ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله: ﴿لَبِثْتُمْ﴾. وقيل: يعني: القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله: ﴿اتُّوُوا الْعِلْمَ﴾، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا: قال الذين أتوا العلم في كتاب الله؛ أي: العلماء بكتاب الله. وقولهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ﴾ خطابٌ للكفار. وقولهم: ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ تقريرٌ لهم، وهو في المعنى جوابٌ لشرط مقدر تقديره: إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث.

(١) قرأ حمزة وشعبة وحفص في أحد الوجهين بفتح الضاد، وقرأ الباقون بضمها.

﴿وَلَا هُمْ يَسْتَغْتَبُونَ﴾ من العُتْبَى: بمعنى الرضا؛ أي: لا يُرَضُّون، وليست «استفعل» هنا للطلب.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني: ما وعد من النصر على الكفار.  
﴿وَلَا يَسْتَخِيفَنَّكَ﴾ من الخِيفَة؛ أي: لا تضطرب لكلامهم.



## سُورَةُ لُقْمَانَ

أَلَمْ تَلِكْ ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يَفِيضُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُؤْفِقُونَ ۝ أَؤَلِيكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُبْلِحُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِيهِ اقْتِنَاءٌ وَقِرَاءٌ قَبْشَرُهُ بِعَذَابِ الْيَمِّ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْفَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَّ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ \* هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝

﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ذُكِرَ فِي «يُونُس»<sup>(١)</sup>.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ هُوَ الْغِنَاءُ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «شُرَاءُ الْمَغْنِيَاتِ وَبَيْعُهُنَّ حَرَامٌ»، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ<sup>(٢)</sup>. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي قَرِيشٍ اشْتَرَى جَارِيَةً مَغْنِيَةً تَغْنِي بِهِجَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٣)</sup>، فَالشُّرَاءُ عَلَى هَذَا: عَلَى حَقِيقَتِهِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي

(١) انظر تفسير الآية (١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٦٩)، والترمذي (١٢٨٢) وقال: «غريب»، وابن ماجه (٢١٦٨)، والبيهقي (١١٠٥٥)، والطبراني في الكبير (٢٥١/٨)، والطبري (٥٣٢/١٨)، وابن أبي حاتم (٣٠٩٦/٩)، عن أبي أمامة ؓ، والحديث إسناده ضعيف، نقله الترمذي عن البخاري كما في سنن البيهقي، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٣٣١/٦)، والهيتمي في مجمع الزوائد (٢٢٥/٨).

(٣) أخرجه الطبري (٥٣٩/١٨)، عن ابن عباس ؓ، وليس فيه: «تغني بهجاء رسول الله ﷺ».

النضر بن الحارث<sup>(١)</sup>، وكان قد تعلّم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث، وشراء لهو الحديث: استحبابه وقوله وسماعه، فالشراء على هذا: مجاز. وقيل: ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾: الطُّبْل، وقيل: الشرك، ومعنى اللفظ يعم ذلك كله. وظاهر الآية: أنه لهو مضاف إلى كفر واستخفاف بالدين؛ لقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، وأن المراد شخص معين؛ لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا﴾ ذكر في «الرعد»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ أي: لتلا تميد.



(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٥ / ٤) عن ابن عباس رضي الله عنه، وإسناده واهٍ، فيه محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي، وهما متروكان.

(٢) انظر تفسير الآية (٢).

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ شَكَرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ  
 فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ  
 لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَانَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ  
 شَكَرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ  
 فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمَا فِي الدُّنْيَا مَغْرُوبٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ  
 فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ  
 أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٥﴾ يَبْنِي أَيْمُ الصَّلَاةِ وَأَمُرٌ  
 بِالْمَغْرُوبِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاضِرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٦﴾ وَلَا  
 تُصَلِّعْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٧﴾  
 وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٨﴾

﴿لُقْمَانَ﴾ رجل ينطق بالحكمة، واختلف هل هو نبي أم لا؟ وفي الحديث: «لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً حسن اليقين، أحبَّ الله فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة»<sup>(١)</sup>. وروى أنه كان ابن أخت أيوب<sup>(٢)</sup> أو ابن خالته<sup>(٣)</sup>. وروى أنه كان قاضي<sup>(٤)</sup> بني إسرائيل<sup>(٥)</sup>. واختلف في صناعته، فقيل: نجار، وقيل: خياط، وقيل: راعي غنم. وكان ابنه كافراً، فما زال يوصيه حتى أسلم. وروى أن اسم ابنه ثاران<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٨٥/١٧)، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٤٥٠/٣)، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ط. مكتبة البخاري (٣١٥/١) عن أبي مسلم الخولاني مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وفي إسنادهما نوفل بن سليمان الهنائي، ضعفه الدارقطني وغيره، وقال أبو حاتم الرازي عن الإسناد الأول: «موضوع بهذا الإسناد». انظر: لسان الميزان، لابن حجر (٣٠٠/٨).

(٢) نقله الثعلبي في تفسيره (١٩٧/٢١) عن وهب بن منبه.

(٣) قاله مقاتل بن سليمان في تفسيره (٤٣٤/٣).

(٤) في ب: «قاضي في».

(٥) نقله الثعلبي في تفسيره (١٩٧/٢١) عن الواقدي.

(٦) ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (٢٤٩)، وعزاه إلى الطبري والقتيبي، يعني: ابن قتيبة. ولم أقف عليه في تفسير الطبري ولا في تاريخه، وذكره ابن قتيبة في المعارف (٥٥).

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هذه الآية والتي بعدها اعتراض في أثناء وصية لقمان لابنه؛ على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله. ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه؛ حسبما ذكرنا في «العنكبوت»<sup>(١)</sup>.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي: ضعفاً على ضعف؛ لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفاً. وانتصاب ﴿وَهْنًا﴾ بفعل مضمر تقديره: تَهْنُ وَهْنًا.

﴿وَفِضْلُهُ﴾ أي فطامه، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع.

﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ تفسير للوصية، واعتراض بينها وبين تفسيرها بقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِضْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾؛ ليبين ما تكابده الأم بالولد؛ مما يوجب عظيم حقها، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب.

﴿يَتَّبِعَنِ﴾ الآية؛ رجع إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان: يا بني.

﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: وزنها، والمراد بذلك: أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد؛ فعبر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر.

﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ قيل: أراد الصخرة التي عليها الأرض، وهذا ضعيف. وإنما معنى الكلام: أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو<sup>(٢)</sup> كانت في أخفى موضع كجوف صخرة؛ فإن الله يأتي بها يوم القيامة، وكذلك لو كانت في السماوات أو في الأرض.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ أمر بالصبر على المصائب عموماً، وقيل: المعنى: ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر.

﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يحتمل أن يريد: مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب، أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجِدِّ. ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول؛ أي: من معزومات الأمور.

(١) انظر

(٢) في أ، هـ: «لو».

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ الصَّعَرُ في اللغة: الميل؛ أي: لا تولُّ الناسَ خَدَّكَ، وتعرض عنهم تكبراً عليهم.

﴿مَرَحًا﴾ ذكر في «الإسراء»<sup>(١)</sup>.

﴿مُخْتَالٍ﴾ من الخيلاء.

﴿وَأَفْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: اعتدل فيه، فلا تُسرِعْ<sup>(٢)</sup> إسراعاً يدلُّ على الطَّيشِ والخِفَّةِ، ولا تُبطِئْ<sup>(٣)</sup> إبطاءً يدلُّ على النُّخوة والكبر.



(١) انظر تفسير الآية (٣٧).

(٢) في أ، ب زيادة: «فيه».

(٣) في ب زيادة: «فيه».

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿١٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلًا كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٦﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزِنكَ كُفْرُهُمْ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٨﴾ نَمَتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١٩﴾ وَلَيْسَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢١﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَفْئَلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَبِذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَغْنَثُكُمْ إِلَّا كَنَفِيسٌ وَاحِدَةٌ إِنْ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٥﴾

﴿نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ الظاهرة: الصحة والمال وغير ذلك، والباطنة: النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها: ستر قبيح الأعمال، وقيل: الظاهرة: نعم الدنيا، والباطنة: نعم العقبى، واللفظ أعم من ذلك كله.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله<sup>(١)</sup>.

﴿أَوَّلًا كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ معناه: أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار؟!

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ «يُسْلِمُ» أي: يخلص، أو يستسلم وينقاد. والوجه هنا عبارة عن المقصد<sup>(٢)</sup>.

(١) قاله النقاش كما في المحرر الوجيز (٧/ ٥٥)، وتقدم في نظيرتها في سورة الحج، الآية رقم (٣).

(٢) في أ: «الفصد».





﴿بِالْعَزْوَةِ الْوُثْقَى﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وما بعده ذكر في «العنكبوت»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَمٌ﴾ الآية؛ إخباراً بكثرة كلمات الله، والمراد: اتساع علمه<sup>(٣)</sup>.

ومعنى الآية: أن شجر الأرض لو كانت أقلاماً، والبحر لو كان مداداً يصب فيه سبعة أبحر صباً دائماً، وكُتبت بذلك كلمات الله: لَنَفِدَتِ الْأَشْجَارُ والبحار ولم تَنفَدْ كلمات الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية. فإن قيل: لم لم يقل: «والبحر مداد» كما قال في «الكهف»: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٤]؟ فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله: ﴿يَمْدُدُهُ﴾؛ لأنه من قولك: مَدَّ الدَّوَاةَ وأمدّها.

فإن قيل: لم قال: ﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾ ولم يقل: «من شجر» باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟

فالجواب: أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة؛ حتى لا يبقى منها واحدة.

(١) انظر تفسير الآية (٢٥٦).

(٢) انظر تفسير الآية (٦٣).

(٣) [التعليق ٨٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «والمراد اتساع علمه» هذا صريح في تأويل كلمات الله بعلم الله، وهذا خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الفرق بين علم الله، وكلام الله؛ فعلم الله صفة ذاتية ثابتة للرب أزلاً وأبداً، ولا تتعلق بها المشيئة، وأما الكلام فصفة فعلية تتعلق بها المشيئة، أي: إنه تعالى يتكلم بما شاء إذا شاء، وكلماته سبحانه لا تحصي، ولا نهاية لها، كما تدل عليه الآية المذكورة في سورة لقمان، وآية الكهف: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْيَمُّ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، والذي يبدو أن المؤلف ومن قال بقوله حملهم على هذا التأويل - الذي هو في الحقيقة تحريف - الفرار من إثبات التعدد في كلام الله؛ لأنه خلاف أصل الأشاعرة في كلام الله، وهو أنه معنى نفسي واحد، لا تعدد فيه، وهو خلاف ما دل عليه القرآن في آيتي الكهف ولقمان، كما يفيد لفظ الجمع في (كلمات)، وكما في قوله تعالى: ﴿وَرَتَّثَ كَلِمَاتٍ رَبِّي صِدْقًا وَعَذَابًا﴾ بالجمع على إحدى القراءتين. إذا علم ما تقدم فالصواب أن الكلمات جمع كلمة، وكلمات الله كلها من كلامه، ومثل هذه الآيات من أدلة أهل السنة على إثبات كلام الله، وكما دل القرآن على التعدد في كلام الله فقد دلت السنة على ذلك في أحاديث عدة؛ مثل قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق» وما أشبهه [أخرجه ومسلم (٢٧٠٨) عن خولة بن حكيم]، وقوله في التيسيح الذي رغب فيه ﷺ: «ومداد كلماته» [أخرجه ومسلم (٢٧٢٦) عن جويرية].

فإن قيل: لم قال: ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ولم يقل: ﴿كَلِمُ اللَّهِ﴾ بجمع الكثرة؟  
فالجواب: أن هذا أبلغ؛ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنها جمع قلة، فكيف ينفد  
الجمع الكثير.

وروي أن سبب الآية: أن اليهود قالوا: قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله، فنزلت  
الآية<sup>(١)</sup>؛ لتدل أن ما عندهم قليل من كثير، والآية على هذا مدنية.

وقيل: إن سببها: أن قريشاً قالوا: إن القرآن سينفذ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ بيان لقدرة الله على بعث الناس، ورد  
على من استبعد ذلك.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي: يدخل كل واحد منهما في الآخر؛ بما يزيد في أحدهما  
ويتقص من الآخر، أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على  
ظلمة الليل.

﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ يحتمل أن تكون الباء سببية، أو يكون المعنى: ذلك شاهد بأن الله هو  
الحق.



(١) أخرجه الطبري (٥٧٢/١٨)، وابن أبي حاتم (٣١٠٠/٩) عن ابن عباس ؓ، وأخرجه الطبري أيضاً عن عكرمة  
وعطاء بن يسار.

(٢) أخرجه الطبري (٥٧٢/١٨)، وابن أبي حاتم (٣١٠١/٩) عن قتادة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَاؤُاُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قُلَّمَا تَجَاهَمُوا إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٢٦﴾ \*يَأْتِيهَا النَّاسُ إِيْتَفَؤُا رَبُّكُمْ وَآخَشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِيهِ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا لَّانَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾: يحتمل أن يريد بذلك: ما تحمله السفن من الطعام والتجارات، فتكون الباء: للإلصاق أو للمصاحبة. أو يريد الريح، فتكون الباء سببية.

﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: مبالغة في صابر وشاكر.

﴿كَالظُّلَلِ﴾: جمع ظُلة، وهو ما يعلوك من فوق، وشبه الموج بذلك إذا ارتفع وعظم حتى علا فوق الإنسان.

﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾: المقتصد: المتوسط في الأمر، فيحتمل أن يريد: كافرًا متوسطًا في كفره لم يسرف فيه، أو مؤمنًا متوسطًا في إيمانه؛ لأن الإخلاص الذي كان عليه في البحر يزول عنه. وقيل: معنى ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾: مؤمنٌ ثبت في البرِّ على ما عاهد الله عليه في البحر.

﴿خَتَّارٍ﴾: أي: غدار شديد الغدر، وذلك أن جَحَدَ نعمة الله غدرٌ.

﴿لَا يَجْزِيهِ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾: أي: لا يقضي<sup>(١)</sup> عنه شيئًا، والمعنى: أنه لا ينفعه، ولا يدفع عنه مضرة.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾: أي: ولدٌ، فكما لا يقدر الولد لوالده على شيء، كذلك لا يقدر الوالد لولده على شيء.

(١) في ب: «لا يغني».

﴿الْعُرُورُ﴾ الشيطان، وقيل: الأمل والتسويق.

﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: متى تكون الساعة<sup>(١)</sup>؛ فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: «مفاتيح الغيب خمس» وتلا هذه الآية<sup>(٢)</sup>.  
﴿مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يعني: من خير أو شر، أو مال أو ولد، أو غير ذلك.



(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٨) عن ابن عمر ؓ.

## سُورَةُ السَّجْدَةِ

الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٩﴾ بَلْ هُمْ يَلْفَافُونَ رَيْبَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ \* قُلْ يَتَوَفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

﴿١﴾ «نَزَّلَ الْكِتَابَ» يعني: القرآن.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك أنه من عند الله عز وجل. ونفي الريب على اعتقاد أهل الحق، وعلى ما هو الأمر في نفسه، لا على اعتقاد أهل الباطل.

﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يتعلق بـ «نَزَّلَ».

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ الضمير لقريش، و«أَمْ» بمعنى: «بل» والهمزة.

﴿لِتُنذِرَ﴾ يتعلق بما قبله، أو بمحذوف<sup>(١)</sup>.

﴿مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ يعني: في الفترة من زمان عيسى عليه السلام، وقد جاء الرسل قبل ذلك،

(١) تقديره: أنزله لتنذر. المحرر الوجيز (٦٦/٧)

كإبراهيم عليه السلام وغيره، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا يندبرهم؛ ليقوم الحجّة عليهم.

﴿إِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر في «الأعراف»<sup>(١)</sup>.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْعٍ﴾ نفى الشفاعة على وجهين:

أحدها: الشفاعة للكفار، وهي معدومة على الإطلاق.

والآخر: أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله، كقوله: ﴿مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي: واحد الأمور، وقيل: المأمور به من الطاعات، والأول أصح.

﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: ينزل ما دبّره<sup>(٢)</sup> وقضاه من السماء إلى الأرض.

﴿ثُمَّ يَعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس عليه السلام<sup>(٣)</sup>: المعنى: يُنفذ الله قضاءه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا، مقداره لو سِيرَ فيه السير المعروف من البشر ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض خمس مئة عام، فالألف: ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء.

وقيل: إن الله يُلقِي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر، وهو يوم من أيام الله، فإذا فرغت ألقى إليهم مثلها، فالمعنى: أن الأمور تَنْفُذُ عنده لهذه المدة، ثم تصير إليه آخرها؛ لأن عاقبة الأمور إليه، فالعروج على هذا: عبارة عن مصير الأمور إليه.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الغيب: ما غاب عن المخلوقين، والشهادة: ما شاهدوه.

﴿أَخْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أي: أتقن جميع المخلوقات. وقرئ ﴿خَلَقَهُ﴾ - بإسكان

اللام -<sup>(٤)</sup> على البدل.

(١) انظر تفسير الآية (٥٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «يدبره».

(٣) أخرجه الطبري (١٨/٥٩٣).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بإسكان اللام، وقرأ الباقر بفتحها.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ يعني: آدم ﷺ.

﴿نَسْلَهُ﴾ يعني: ذريته.

﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني: المنى، والسلالة: مشتقة من سَلَّ يَسْلُ؛ فكان الماء يُسَلُّ من الإنسان. والمهين: الضعيف.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: قومه.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ عبارة عن إيجاد الحياة فيه. وإضافة الروح إلى الله إضافة ملِك إلى مالك، وقد يراد بها الاختصاص؛ لأن الروح لا يعلم كُنْهه إلا الله<sup>(١)</sup>.

﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تَلَفْنَا وصرنا ترابًا. ومعنى هذا الكلام المحكي عن الكفار: استبعاد للبعث. والعامل في ﴿إِذَا﴾: معنى قولهم: ﴿إِنَّا لَهِيَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، تقديره: نُبْعَثُ؟ ﴿يَتَوَقَّعُكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ اسمه: عزرائيل، وتحت يده ملائكة.



(١) [التعليق ٨٨] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف ﷺ: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [السجدة: ٩]، عبارة عن إيجاد الحياة فيه... إلخ:

أقول: يريد المؤلف: أن النفخ في آدم من الروح عبارة عن إيجاد الحياة فيه، وهذا تأويل للنفخ؛ فيظهر منه: أنه لا يثبت إضافة النفخ إلى الله؛ لأن من مذهبه نفي الأفعال الاختيارية عن الله تعالى.

ولا موجب للعدول عن ظاهر القرآن؛ فالله تعالى أضاف نفخ الروح في آدم إلى نفسه المقدسة في ثلاثة مواضع:

في سورة الحجر؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِن حَمَلٍ نَّسْتُونَ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعَا لَهُ سَكِينٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩].

وقال في سورة (ص): ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعَا لَهُ سَكِينٌ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١-٧٢]. وقال في السجدة: ﴿ثُمَّ سَوَّيْتُهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [السجدة: ٩]؛ أي: الإنسان الذي بدأه من طين، وهو آدم؛ كما في آيتي الحجر، و(ص).

وعليه: فالنفخ من أفعال الله تعالى التي تكون بمشيئته سبحانه؛ فهو تعالى ينفخ فيما شاء، ما شاء، كيف شاء، والله أعلم.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ بَذُرُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا يَوْمٌ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢١﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿٢٣﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَأْثُورِ ﴿٢٤﴾ إِنَّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِء تَكْذِبُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ ذَوْنَ الْعَذَابِ الْكَبِيرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَفِعُونَ ﴿٢٨﴾

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يحتمل أن تكون «لو» للتمني، وتأويله في حق الله كتأويل الترجي، وقد ذكر<sup>(١)</sup>، أو تكون للامتناع، وجوابها محذوف تقديره: لو ترى حال المجرمين في الآخرة لرأيت أمراً مهولاً.

﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ عبارة عن الذل والغم والندم.

﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ تقديره: يقولون: ربنا قد علمنا الحقائق.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ يعني: أنه لو أراد أن يهدي جميع الخلق لفعل؛ فإنه قادر على ذلك، بأن يجعل الإيمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات، ولكن يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء.

﴿بَذُرُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا، والنسيان هنا: بمعنى الترك.

(١) انظر المادة (٢٩٨) في اللغات.



﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع، والمعنى: يتركون مضاجعهم بالليل؛ من كثرة صلاتهم للنوافل. ومن صلى العشاء والصبح في جماعة فقد أخذ بحظه<sup>(١)</sup> من هذا.

﴿وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ يعني: أنه لا يعلم أحد مقدار ما يُعطيه الله من النعيم. وقرئ ﴿أُخْفِيَ﴾ بإسكان الياء<sup>(٢)</sup>، على أن يكون فعل المتكلم، وهو الله تعالى.

﴿أَبَسَ كَانَ مَوِينًا﴾ الآية؛ يعني: المؤمنين والفاسقين على العموم. وقيل: يعني: علي بن أبي طالب عليه السلام، وعقبة بن أبي معيط<sup>(٣)</sup>.

﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْبَارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿الَّذِي﴾ نعت للعذاب، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكّر في قوله: ﴿بِهِ﴾. فإن قيل: لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير، ووصف في «سبا» النار وأعاد عليها الضمير، فقال: ﴿عَذَابَ الْبَارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبا: ٤٤]؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه خصّ العذاب في «السجدة» بالوصف اعتناءً به، لما تكرر ذكره في قوله: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾.

الثاني: أنه تقدّم في «السجدة» ذكر النار، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير، لكنه جعل الظاهر مكان المضمّر، فكما لا يوصف المضمّر لم يوصف ما قام مقامه وهو النار، فوصف العذاب ولم يصف النار.

الثالث - وهو الأقوى - : أنه امتنع في السجدة وصف النار؛ فوصف العذاب، وإنما امتنع وصفها؛ لتقدّم ذكرها، فإنك إذا ذكرت شيئاً ثم كرّرت ذكره لم يجز وصفه، كقولك: «رأيت رجلاً فأكرمت الرجل»، فلا يجوز وصفه؛ لئلا يفهم أنه غيره.

(١) في ب، هـ: «بحظه».

(٢) قرأ حمزة بإسكان الياء، وقرأ الباقون بفتحها.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/٦٢٥)، وابن أبي حاتم (٩/٣١٠٩) عن عطاء بن يسار، وأخرجه ابن أبي حاتم أيضاً عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى﴾ يعني: الجوع ومصائب الدنيا، وقيل: القتل يوم بدر، وقيل: عذاب القبر، وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَفِعُونَ﴾ هذا وعيد لمن ذُكر بآيات ربه فأعرض عنها. وكان الأصل أن يقول: «إِنَّا مِنْهُ مُنْتَقِمُونَ»، ولكنه وضع ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ موضع المضمرة؛ ليصفهم بالإجرام. وقدّم المجرور على ﴿مُنْتَفِعُونَ﴾ للمبالغة.



وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوفُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْفَيْصَةِ مِمَّا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْفُرُوزِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٤١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٢﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَتُهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ لَهُمْ مَّتَّظِرُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٧﴾ ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ المرية: الشك، والضمير لموسى ﷺ؛ أي: لا تشك في لقائك موسى ليلة الإسراء. وقيل: المعنى: لا تشك في لقاء موسى للكتاب<sup>(١)</sup> الذي أنزل عليه، والكتاب على هذا: التوراة. وقيل: الكتاب هنا: جنس، والمعنى: لقد آتينا موسى الكتاب، فلا تشك أنت في لقائك للكتاب<sup>(٢)</sup> الذي أنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب، كقوله: ﴿وَأَنْتَكَ لَثَلَفَى الْفُرْعَانُ﴾ [النمل: ٦].

﴿٣٨﴾ ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير: لجميع الخلق، وقيل: لبني إسرائيل خاصة.

﴿٣٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ذكر في «طه»<sup>(٣)</sup>.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِنِهِمْ﴾ الضمير في «يَمْشُونَ» لأهل مكة؛ أي: يمشون في مساكن القوم المهلكين، كقوله: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْجِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨]. وقيل: الضمير للمهلكين؛ أي: أهلكتناهم وهم يمشون في مساكنهم، والأول أحسن؛ لأن فيه حجة على أهل مكة.

﴿٤٠﴾ ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يعني: التي لا نبات فيها من شدة العطش.

(١) في أ، ب، هـ: «الكتاب».

(٢) في أ، ب، هـ: «الكتاب».

(٣) انظر تفسير الآية (١٢٨).

﴿مَتَّبِعِي هَذَا الْفَتْحِ﴾ أي: الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة. وقيل: يعني: فتح مكة، وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾ وذلك في الآخرة<sup>(١)</sup>؛ لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه.

﴿وَأَغْرَضَ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف.

﴿وَانْتَظِرُوا أَنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ أي: انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون<sup>(٢)</sup> هلاكك، وهذا<sup>(٣)</sup> تهديد لهم.



(١) في أ، ب زيادة: «وقيل: يعني: فتح مكة» وهي زيادة مقحمة لا معنى لها.

(٢) في ب، د، هـ: «منتظرون».

(٣) في أ، ب، هـ: «وفي هذا».

## سورة الاحزاب

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ اللَّهَ لَا يُطِيعُ الْكُفَّيرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ أَلْفًا تُظَاهَرُونَ مِنْهُمْ أُمَمَهُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ اذْعَوْهُمْ لِابْنَائِهِمْ هُوَ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِيْمًا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَبْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ نداء فيه تكريم له؛ لأنه ناداه بالنبوة، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم.

﴿إِنِّي اللَّهُ﴾ أي: دُم على التقوى، وزد منه.

﴿وَلَا تُطِيعُ الْكُفَّيرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة. ويعني بـ ﴿الْكُفَّيرِينَ﴾: المظهرين للكفر، وبـ ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾: الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر. وروي أن ﴿الْكُفَّيرِينَ﴾ هنا: أبي بن خلف، و ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ هنا: عبد الله بن أبي بن سلول<sup>(١)</sup>، والعموم أظهر.

(١) في الدر المنثور للسيوطي (١١/٧١٨): «وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج: «ولا تطع الكافرين» أبي بن خلف «والمنافيين» أبو عامر الراغب وعبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس».

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾ قال ابن عباس عليه السلام: كان في قريش رجل يقال له: ذو القلبيين؛ لشدة فهمه، فنزلت الآية نفيًا لذلك <sup>(١)</sup>.

ويقال: إنه ابن خَطَلٍ <sup>(٢)</sup>، وقيل: جميل بن معمر <sup>(٣)</sup>.

وقيل: إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي؛ أي: كما لم يجعل الله لرجل من <sup>(٤)</sup> قلوبين في جوفه، كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أديعاءكم أبناءكم.

﴿أَلَيْسَ تَظْهَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي: تقولون للزوجة: «أنت علي كظهر أمي»، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم، وسيأتي حكمه في «المجادلة». وإنما تعدى هذا الفعل بـ «من» لأنه تضمن <sup>(٥)</sup> معنى: يتباعدون <sup>(٦)</sup> منهم.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ ذُرِّيَّاتَكُمْ﴾ الأديعاء جمع دعي، وهو الذي يدعى ولد فلان وليس بولده. وسببها: أمر زيد بن حارثة عليه السلام، وذلك أنه كان فتى من كلب، فسباه بعض العرب وباعه من خديجة عليها السلام، فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم فتبناه؛ فكان يقال له: «زيد بن محمد» حتى أنزلت هذه الآية <sup>(٧)</sup>.

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ﴾ الإشارة إلى نسبة الدعي إلى غير أبيه، أو إلى كل ما تقدم من المنفيات. وقوله: «يَافُوهُكُمْ» تأكيد لبطلان القول.

﴿أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ بَابَائِهِمْ﴾ الضمير للأديعاء، أي: انسبواهم إلى آبائهم الذين ولدوهم.

﴿وَالَّذِينَ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يقتضي أن يحبوه صلى الله عليه وسلم أكثر مما يحبون أنفسهم، وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم.

(١) أخرجه الطبري (٧ / ١٩) من طريق العوفي عنه عليه السلام.

(٢) أخرجه عبد حميد عن سعيد بن جبير، كما في الدر المنثور (٤٣٣ / ١٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩ / ٣١١٢) عن السدي: أنها نزلت في رجل من قريش من بني جُمَحٍ، يقال له: جميل بن معمر.

(٤) لم ترد في ج، د، هـ.

(٥) في أ، ب: «بتضمن».

(٦) في هـ: «تباعدون».

(٧) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس عليه السلام كما في الدر المنثور (٧٢٢ / ١١).

﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أَتَمَّهْتَهُمْ﴾ جعل الله تعالى لأزواج النبي ﷺ حرمة الأمهات في تحريم نكاحهن ووجوب مبرّتهن، ولكن أوجب حجبهن عن الرجال.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ هذا نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بأخوة الإسلام وبالهجرة، وقد تكلمنا عليها في «الأنفال»<sup>(١)</sup>.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد: القرآن، أو اللوح المحفوظ.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون بياناً لأولي الأرحام، أو يتعلق بـ ﴿أُولَىٰ﴾؛ أي: أولو الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بدوي أرحام.

﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أُولِيَاءُكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ يريد: الإحسان إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة، ونفعهم في الحياة، والوصية لهم عند الموت؛ فذلك جائز، ومندوب إليه، وإن لم يكونوا قرابة، وأما الميراث فللقربة خاصة. واختلف: هل يعني الأولياء المؤمنين خاصة، أو المؤمنين والكافرين؟

﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يعني: القرآن، أو اللوح المحفوظ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع. وقيل: هو الميثاق الذي أخذه حين أخرج بني آدم من صلب آدم ﷺ كالذرّ، والأول أرجح؛ لأنه هو المختص بالأنبياء.

﴿وَمِنْكُمْ وَمِنْ ثَوَجٍ﴾ قد دخل هؤلاء في جملة النبيين، ولكنه خصّصهم<sup>(٢)</sup> بالذكر تشريفاً لهم، وقدم محمداً ﷺ تفضيلاً له.

﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ يعني: الميثاق المذكور، وإنما كرّره: تأكيداً، وليصفه بأنه غليظ؛ أي: وثيق ثابت يجب الوفاء به.

﴿لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ﴾ اللام تحتمل أن تكون لام «كي»، أو لام الصيرورة. والصدق هنا يحتمل أن يكون: الصدق في الأقوال، أو الصدق في الأفعال والعزائم. ويحتمل أن يريد بـ ﴿الصَّدِيقِينَ﴾: الأنبياء، أو غيرهم من المؤمنين.

(١) انظر تفسير الآية (٧٥).

(٢) في ج، د: «خصّصهم».

\*يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ءَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ اِذْ جَاءَكُمْ مِنْ بَوَيْكُم مِّنْ اَسْفَلٍ مِنْكُمْ وَاِذْ رَاَعَتْ الْاَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونًا ﴿٢﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٣﴾ وَاِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ اِلَّا غُرُورًا ﴿٤﴾ وَاِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَأَيُّهَا النَّاسُ لَنَكُونَنَّ لَكُمْ اَبْرَارًا وَنَكْتَلُ مِنْكُمْ الْقِيَمَةَ لَنَكُونَنَّ اَتَقِيًّا ﴿٥﴾ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ اَفْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْيَمِّنَةَ لَخَالَتَّهَا وَاَمَّا تَلَبَّثُوا فِيهَا اِلَّا يَسِيرًا ﴿٦﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْاَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللّٰهِ مَسْئُولًا ﴿٧﴾ فَلَئِنْ يَنْفَعَكُمْ الْاِبْرَارُ اِنْ بَرَزْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ اَوْ الْقَتْلِ وَاِذَا لَا تُمْتِنُونَ اِلَّا قَلِيلًا ﴿٨﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِّنَ اللّٰهِ اِنْ اَرَادَ بِكُمْ سُوْءًا اَوْ اَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْم مِّنْ دُوْرِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٩﴾ \* قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الْمُغْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَآيِلِينَ لِاِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ اِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ اِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠﴾ اَشِحَّةً عَلَيْكُمْ اِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَاَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ تَدُورُ اَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ اِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ اَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ اُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاُخِطَ اللّٰهُ اَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا ﴿١١﴾ يَخْسِبُونَ الْاَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَاِنْ يَّاتِ الْاَحْزَابَ يَوَدُّوْا لَوْ اَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْاَغْرَابِ يَسْتَلُونَ عَنْ اَثْبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا بِكُمْ مَا قَتَلُوا اِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾

﴿١﴾ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴿١﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق. والجنود المذكورة: هم قريش ومن كان معهم من الكفار، وسماهم الله في هذه السورة الأحزاب، وكانوا نحو عشرة آلاف، حصروا المدينة، وحفر رسول الله ﷺ الخندق حولها؛ ليمنعهم من دخولها.

﴿٢﴾ بَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴿٢﴾ أرسل الله عليهم ريح الصَّبا، فاطفأت نيرانهم واكفأت <sup>(١)</sup> قدورهم، ولم يُمكنهم معها قرارًا، فانصرفوا خائبين.

(١) في ب: «واكبت».



﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة.

﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِّنْ بَوْفِكُمْ وَمِنْ أَسْبَلِ مِنْكُمْ﴾ أي: حَصَرُوا المدينة مِنْ أعلاها وَمِنْ أسفلها. وقيل: معنى ﴿مِنْ بَوْفِكُمْ﴾ أهل نجد؛ لأن أرضهم فوق المدينة، ﴿وَمِنْ أَسْبَلِ مِنْكُمْ﴾ أهل مكة وسائر تهامة.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: مالت عن مواضعها، وذلك عبارة عن شدة الخوف.

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ الحناجر: جمع حَنْجَرَةٍ، وهي الحلق. وبلغ القلب<sup>(١)</sup> إليها مجازاً وعبارة عن شدة الخوف. وقيل: بل هو حقيقة؛ لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف، فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة.

﴿وَتَنظَرُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ أي: تظنون أن الكفار يغلبونكم، وقد وعدكم الله بالنصر عليهم. فأما المنافقون فظنوا ظنَّ السَّوءِ وصَرَّحُوا به. وأما المؤمنون فربما خَطَرَتْ لبعضهم خَوَاطِر مما لا يمكن للبشر دفعها، ثم استبصروا وَوَثِقُوا بوعْدِ الله. وقرأ نافع ﴿الظُّنُونًا﴾ و ﴿الرَّسُولًا﴾ [الأحزاب: ٦٦]، و ﴿السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧]: بالألف في الوصل وفي الوقف<sup>(٢)</sup>. وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف، وبإثباتها في الوقف دون الوصل. فأما إسقاطها: فهو الأصل. وأما إثباتها: فلتعديل رؤوس الآي؛ لأنها كالتقوافي، وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة. وأما من أثبتها في الحالين: فإنه أجرى الوصل مُجَرِّئِ الوقف.

﴿هَٰذَا لِكَيْ تُبْتَلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اختبروا، أو أصابهم بلاء. والعامل في الظرف: ﴿تُبْتَلَى﴾، وقيل: ما قبله<sup>(٣)</sup>.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أصل الزَّلْزَلَة: شدة التحريك، وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ روي أنه يعني: مُعْتَبٌ بن قُشَيْر<sup>(٤)</sup>.

(١) في أ، هـ: «القلوب».

(٢) قرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم بالألف في الوصل والوقف، وقرأ أبو عمرو وحمزة بغير ألف في الحالين، وقرأ الباقر بالألف في الوقف دون الوصل.

(٣) وهو: «وتظنون». المحرر الوجيز (٩٧/٧).

(٤) أخرجه الطبري (٣٨/١٩) عن يزيد بن رومان.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ قال السهيلي: الطائفة تقع على الواحد فما فوقه، والمراد هنا: أوس بن قيطي<sup>(١)</sup>.

﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ يثرب: اسم المدينة، وقيل: اسم البقعة التي المدينة في طرف منها. و﴿مَقَامٌ﴾ اسم موضع من القيام؛ أي: لا قرار لكم هنا، يعنون موضع القتال. وقرئ بالضم<sup>(٢)</sup>، وهو اسم موضع من الإقامة. وقولهم: ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي: إلى منازلكم بالمدينة، ودعوا القتال.

﴿وَيَسْتَأْذِنُ بَرِيْقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ﴾ أي: يستأذنه<sup>(٣)</sup> في الانصراف. والمستأذن: أوس بن قيطي وعشيرته، وقيل: بنو حارثة<sup>(٤)</sup>.

﴿إِنَّ بَيْتَنَا غَوْرةٌ﴾ أي: منكشفة للعدو، وقيل: خالية للسراق، فكذبهم الله في ذلك.

﴿وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَفْطَارِهَا﴾ أي: لو دخلت عليهم المدينة من جهاتها.

﴿ثُمَّ سِيلُوا الْمَيْتَةَ﴾ يريد بالفتنة: الكفر أو قتال المسلمين.

﴿لَأَتَوْهَا﴾ قرئ بالقصر<sup>(٥)</sup> بمعنى: جاؤوا إليها، وبالمد بمعنى: أعطوها من أنفسهم.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ الضمير للمدينة.

﴿فَذِ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ دخلت «قد» على الفعل المضارع لمعنى التهديد، وقيل: للتقليل على وجه التهكم.

﴿الْمُعَوِّفِينَ مِنْكُمْ﴾ أي: الذين يعوّقون الناس عن الجهاد، ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم.

(١) التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ٢٥٥)، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٣) عن يزيد بن رومان.

(٢) روى حفص عن عاصم بضم الميم، وقرأ الباقر بفتحها.

(٣) في ب: «يستأذنه».

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٤) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ، وأوس بن قيطي من بني حارثة كما في تفسير

الطبري (١٩/ ٣٠).

(٥) قرأ نافع وابن كثير بالقصر، وقرأ الباقر بالمد.

﴿وَالْفَاقِلِينَ إِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد، كانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقين مثلهم: «هَلُمَّ إِلَى الْجُلُوسِ مَعَنَا بِالْمَدِينَةِ وَتَرَكِ الْقِتَالَ»<sup>(١)</sup>. وقد ذُكِرَ ﴿هَلُمَّ﴾ في «الأنعام»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ البأس: القتال. و﴿قَلِيلًا﴾: صفةٌ لمصدر محذوف تقديره: إِلَّا إِتْيَانًا قَلِيلًا، أو مستثنى من فاعل ﴿يَأْتُونَ﴾، أي: إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ ﴿أَشِحَّةً﴾ جمع شحيح: فقيل: معناه: يَشْحُونُ بأنفسهم فلا يقاتلون. وقيل: يشحون بأموالهم. وقيل: معناه أشحة عليكم في وقت الحرب، أي: يشفقون عليكم أَنْ تُقْتَلُوا<sup>(٣)</sup>.

ونَضَبُ ﴿أَشِحَّةً﴾: على الحال من ﴿الْفَاقِلِينَ﴾، أو ﴿الْمُعَوِّفِينَ﴾، أو من الضمير في ﴿يَأْتُونَ﴾، أو نَضَبٌ عَلَى الدَّمِّ.

﴿وَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: إِذَا اشْتَدَّ الْخَوْفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ نَظَرَ إِلَيْكَ هَوْلًا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَلَا دُوا بِكَ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ.

﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ عبارة عن شدة خوفهم.

﴿وَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِاللِّسَنِ حِدَادٍ﴾ السَّلَقُ بِاللِّسَنِ: عبارة عن الكلام بكلام مُسْتَكْرَهٍ<sup>(٤)</sup>. ومعنى ﴿حِدَادٍ﴾: فصحاء قادرين على الكلام؛ أي: إِذَا نَصَرَكُمُ اللَّهُ فَزَالِ الْخَوْفُ رَجَعَ الْمُنَافِقُونَ إِلَى إِذَايَتِكُمْ بِالسَّبِّ وَتَنْقُصِ الشَّرِيعَةِ. وقيل: إِذَا غَنِمْتُمْ طَلَبُوا مِنَ الْمَغَانِمِ.

﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي: يَشْحُونُ بفعل الخير، وقيل: يَشْحُونُ بِالْمَغَانِمِ. وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في ﴿سَلَفُوكُمْ﴾.

(١) في د: «واتركوا».

(٢) انظر تفسير الآية (١٥٠).

(٣) في أ، ب: «يقتلوا».

(٤) في ب: «مستكره».



﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ ليس المعنى أنها حبّطت بعد ثبوتها، وإنما المعنى: أنها لم تقبل؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال.

وقيل: إنهم نافقوا بعد أن آمنوا، فالإحباط على هذا حقيقة.

﴿يَخْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ الأحزاب هنا: هم كفار قريش ومن معهم. والمعنى: أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة، وهم قد انصرفوا.

﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ معنى ﴿يَوَدُّوا﴾: يتمنّوا، و﴿بَادُونَ﴾: خارجون في البادية، و﴿الْأَعْرَابِ﴾: هم أهل البوادي من العرب. فمعنى الآية: أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنّى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب، وأن لا يكونوا في المدينة، بل غائبين عنها يسألون من ورد عليهم عن أنبائكم.



لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ  
كَثِيرًا ﴿١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ  
فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ  
بِصَدَقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٤﴾  
\* وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ  
فَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ  
الرُّعْبَ قَرِيضًا يَّفْتُلُونَ وَيُاسِرُونَ قَرِيضًا ﴿٦﴾ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ  
تَطْثُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٧﴾

﴿١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿١﴾ أي: قدوة تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر  
وسائر الفضائل. وقرئ ﴿إِسْوَةٌ﴾ بضم الهمزة<sup>(١)</sup>، والمعنى واحد.

﴿٢﴾ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿٢﴾ قيل: إن هذا الوعد ما أعلمهم به رسول الله ﷺ حين  
أمر بحفر الخندق؛ من أن الكفار ينزلون عليهم، وأنهم ينصرفون خائبين. وقيل: إنه قول  
الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ  
الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٢] الآية، فعلموا أنهم يبتلون ثم يُنصرون<sup>(٢)</sup>.

﴿٣﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴿٣﴾ يعني: من قُتل شهيدًا، قال أنس بن مالك ؓ: يعني: عمي أنس  
بن النضر<sup>(٣)</sup>، وقيل: يعني: حمزة بن عبد المطلب ؓ<sup>(٤)</sup>. وقضاء النحب عبارة عن الموت  
عند ابن عباس ؓ<sup>(٥)</sup> وغيره. وقيل: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: وفى العهد الذي عاهد الله عليه، ويدلُّ

(١) قرأ عاصم بضم الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) كذا في نسخة خزاعة القرويين، وفي بقية النسخ: «ينصرفون»! والمثبت هو الأصوب والأنسب للسياق، وانظر  
الكشاف (١٢/ ٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٥، ٤٧٨٣)، ومسلم (١٩٠٣).

(٤) ذكره مقاتل بن سليمان كما في تفسيره (٣/ ٤٨٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٥) من طريق سعيد بن جبير عنه ؓ.

على هذا: ما ورد أن رسول الله ﷺ قال: «طلحة ممن قضى نجه»<sup>(١)</sup> وهو لم يقتل يومئذ. «وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» المفعول محذوف؛ أي: ينتظر أن يقضى نجه: أي: ينتظر الشهادة في سبيل الله على قول ابن عباس ؓ. أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصّلاح على القول الآخر.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ الصّياصي: هي الحصون. ونزلت الآية في يهود بني قريظة، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله ﷺ فنقضوا عهده وصاروا مع قريش، فلما انصرف قريش عن المدينة حصر رسول الله ﷺ بني قريظة، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ؓ؛ فحكم بأن يقتل رجالهم وتُسبى نساؤهم وذريتهم<sup>(٢)</sup>. «بَرِيْفًا تَفْتُلُونَ» يعني: الرجال، وقُتل منهم يومئذ كل من أنبت، وكانوا بين ثمان مئة والتسع مئة.

﴿وَتَأْسِرُونَ بَرِيْفًا﴾ يعني: النساء والذرية.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ يعني: أرض بني قريظة، قسّمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين. «وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا» هذا وعدٌ بفتح أرضٍ لم يكن المسلمون قد وطئوها حينئذ، وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المغرب والمشرق. ويحتمل عندي أن يريد به: أرض بني قريظة؛ لأنه قال: «أَوْرَثَكُمْ» بالفعل الماضي، وهي التي كانوا قد أخذوها حينئذ، وأمّا غيرها من الأرضين، فإنما أخذوها بعد ذلك، فلو أرادها لقال: «يورثكم»، وإنما كرّرها بالعطف؛ ليصفها بقوله: «لَمْ تَطَّوْهَا»: أي: لم تدخلوها قبل ذلك.



(١) أخرجه الترمذي (٣٢٠٢) وقال: «غريب»، وابن ماجه (١٢٦، ١٢٧)، والطبري (١٩/٦٦)، وابن أبي حاتم (٩/٣١٢٤) من حديث إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عمه موسى بن طلحة عن معاوية ؓ، وأخرجه الحاكم (٣٥٥٧) من طريق إسحاق عن عمه عن عائشة ؓ، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: «بل إسحاق بن يحيى بن طلحة متروك»، قاله أحمد، فالحديث ضعيف جدا.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/٧٢) عن قتادة.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ فَلَا زَوْجَكَ إِنْ كُنْتَ تُرِدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا بَتَعَالَيْنِ أَمَتَّعَكُنَّ  
وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ وَإِنْ كُنْتَ تُرِدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ  
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦﴾ يَنْبِسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَلْحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضْعَفُ  
لَهَا أَلْعَذَابُ ضَعِيفِينَ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٧﴾ \* وَمَنْ يَفْنَثْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَتَعْمَلْ صَالِحًا ثَوَّتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٨﴾ يَنْبِسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ  
كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَنْفَقْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا  
مَعْرُوفًا ﴿٩﴾ وَفَرَنْ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ  
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ  
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١٠﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ لَطِيمًا حَبِيرًا ﴿١١﴾

﴿١١﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ فَلَا زَوْجَكَ إِنْ كُنْتَ تُرِدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا ﴿١١﴾ الآية؛ سببها: أن أزواج  
رسول الله ﷺ تغايرن حتى غمه ذلك، وقيل: طلبن منه ملابس ونفقات كثيرة، وكان أزواجه  
يومئذ تسع نسوة؛ خمس من قريش، وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن  
الخطاب، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية ؓ، وأربع  
من غير قريش، وهن: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي من بني إسرائيل،  
وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق ؓ. <sup>(١)</sup>

﴿بَتَعَالَيْنِ أَمَتَّعَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أصل «تعال»: أن يقوله مَنْ كان في موضع  
مرتفع لمن في موضع منخفض، ثم استعملت بمعنى: «أقبل» في جميع الأمكنة.  
و﴿أَمَتَّعَكُنَّ﴾: من المتعة، وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت. والسراح: الطلاق. فمعنى  
الآية: أن الله أمر رسوله ﷺ أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أردن زينة الدنيا، وبين  
البقاء في عصمته إن أردن الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة ؓ، فاخترت البقاء في عصمته، ثم  
تبعها سائرهن في ذلك، فلم يقع طلاق.

(١) أخرجه الطبري (١٩/٨٦)، وابن أبي حاتم (٩/٣١٢٨) عن قتادة وعكرمة والحسن.

قالت عائشة رضي الله عنها: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، ولم يعد<sup>(١)</sup> ذلك طلاقاً<sup>(٢)</sup>.

وإذا اختارت المخيرة الطلاق: فمذهب مالك: أنه ثلاث. وقيل: طلقة بائنة. وقيل: طلقة رجعية<sup>(٣)</sup>.

ووصف السراح بالجميل يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث، أو يريد أنه ثلاث، وجماله: حسن الرعي والثناء وحفظ العهد.

﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ﴾ «من» للبيان، لا للتبويض؛ لأن جميعهن مُحْسِنَاتٌ.

﴿بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾ قيل: يعني: الزنا، وقيل: يعني: عصيان زوجهن ﷺ، أو تكليفه ما يشق عليه، وقيل: عموم في المعاصي.

﴿يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلو رتبتهن<sup>(٤)</sup>؛ لأن كل أحد يطالب على مقدار<sup>(٥)</sup> حاله. وقرئ «يُضَعَفُ»<sup>(٦)</sup>: بالياء ورفع «الْعَذَابُ»، على البناء للمفعول. وبالنون ونصب «الْعَذَابُ»، على البناء للفاعل.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرئ بالياء<sup>(٧)</sup>؛ حملاً على لفظ «مَنْ»، وبالتالي؛ حملاً على المعنى. وكذلك «تَعْمَلْ»<sup>(٨)</sup>. والقنوت هنا: بمعنى الطاعة.

﴿تُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: يضاعف<sup>(٩)</sup> لهن ثواب الحسنات.

﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ يعني: في الجنة، وقيل: في الدنيا، والأول هو الصحيح.

(١) في ج، د: «نعد».

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦٣)، ومسلم (١٤٧٧).

(٣) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/٢٨١).

(٤) في هـ: «مرتبتهن».

(٥) في ج، د: «قدر».

(٦) قرأ ابن كثير وابن عامر: «يُضَعَفُ» بالنون وتشديد العين وكسرها من غير ألف «العذاب» بالنصب، وقرأ أبو عمرو «يُضَعَفُ» بالياء وتشديد العين مفتوحة من غير ألف ورفع «العذاب»، وقرأ الباقر كذلك ولكن بتخفيف العين وألف قبلها «يُضَاعَفُ» لها العذاب.

(٧) قراءة السبعة بالياء، وقرئ في الشاذ بالياء، قرأ بها عمرو بن فايد والجحدري. المحرر الوجيز (٧/١١٣).

(٨) قرأ حمزة والكسائي: «ويعمل» بالتذكير «يؤتها» بالياء، وقرأ الباقر بالتأنيث وبالنون.

(٩) في ب، د: «نضاعف».



﴿لَسْتُ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ إِنْتَقَيْتُ﴾ فضلهنَّ الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء، إلا أنه قد يخرج من هذا العموم: فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون؛ لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها<sup>(١)</sup>.

﴿فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ﴾ نهى عن الكلام اللين الذي يعجب الرجال ويُميلهم إلى النساء.  
﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: فجورٌ وميلٌ للنساء. وقيل: هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع.  
﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوبًا﴾ هو الصواب من الكلام، أو<sup>(٢)</sup> الذي ليس فيه شيء مما نهى عنه.  
﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئ بكسر القاف<sup>(٣)</sup>، ويحتمل وجهين: أن يكون من الوقار. أو من القرار في الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في «ظَلْتُ». وأما القراءة بالفتح: فمن القرار في الموضع، على لغة من يقول: قَرَزْتُ - بالكسر - أَقَرُّ - بالفتح -، والمشهور في اللغة عكس ذلك. وقيل: هي من: قَارَ يَقَارُ: إذا اجتمع. ومعنى القرار أرجح؛ لأن سودة ؓ قيل لها: لم لا تحجّين؟ فقالت: أمرنا الله أن نَقَرَّ في بيوتنا<sup>(٤)</sup>.

وكانت عائشة ؓ إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمار ؓ: إن الله أمرك أن تَقَرِّي في بيتك<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرُّج: إظهار الزينة.

(١) أخرج أحمد (١٢٣٩١)، والترمذي (٣٨٧٨) وصححه، وابن حبان في صحيحه (٦٩٥١) - واللفظ له - عن أنس بن مالك ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية امرأة فرعون».

(٢) في ب، ج: «و».

(٣) قرأ نافع وعاصم بفتح القاف، وقرأ الباقون بكسرها.

(٤) أخرجه الثعلبي بإسناده في تفسيره (٤١٩/٢١) عن محمد بن سيرين أنه قال: بُيِّت أن قيل لسودة..، فشيخ ابن سيرين مبهم لم يُسم. وأخرج أحمد (٢٦٧٥١) عن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: «هذه، ثم ظُهور الحُصْرِ»، قال: فكن كلهنَّ يحجُجْنَ إلا زينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، وكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه، ثم ظُهور الحُصْرِ»، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٩٠/٣).

(٥) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز (١١٧/٧)، ولم أقف على قول عمار ؓ.

﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾ أي: مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن، من الانكشاف والتعرض للنظر. وجعلها أولى؛ بالنظر إلى حال الإسلام. وقيل: الجاهلية الأولى: ما بين آدم ونوح ﷺ، وقيل: ما بين موسى وعيسى ﷺ.

﴿الرَّجَسُ﴾ أصله: النجس، والمراد به هنا: النقائص والعيوب.

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ منادى، أو منصوبٌ على التخصيص. وأهل بيت النبي ﷺ هم: أزواجه، وذريته، وأقاربه، كالعباس وعليّ، وكل من حرمت عليه الصدقة. وقيل: المراد هنا: أزواجه خاصة، والبيت على هذا: المسكن، وهذا ضعيف؛ لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال: «عنكن».

وروي أن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وفاطمة والحسن والحسين»<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَذْكُرَنَّ﴾ خطابٌ لأزواج النبي ﷺ، خصّهن به بعد دخولهن مع أهل البيت. وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة، أو التذكُّر بالقلب. و ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾: هي القرآن، و﴿الْحِكْمَةِ﴾: هي السنة.



(١) أخرجه الطبري (١٩٠/١٩١)، وابن أبي حاتم (٣١٣١/٩)، والبزار - كما في مجمع الزوائد ولم أقف عليه في مسنده - عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً. وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٦٤)، وأخرج مسلم (٢٤٢٤) عن عائشة ﷺ، قالت: خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مرَّحَلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فادخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فادخلها، ثم جاء علي فادخله، ثم قال: «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَامِلِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَامِلَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ﴿١٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ \* فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سَتَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَعْدًا مَفْدُورًا ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَهَنُ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿١٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٠﴾

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية؛ سببها: أن بعض النساء قلن: ذكر الله الرجال ولم يذكرنا! فنزل فيها ذكر النساء<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الإسلام: هو الانقياد، والإيمان: هو التصديق<sup>(٢)</sup>.

ثم إنهما يُطلقان بثلاثة أوجه:

باختلاف المعنى، كقوله: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

وبالاتفاق؛ لاجتماعهما، كقوله: ﴿بِأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥] الآية.

وبالعموم، فيكون الإسلام أعم؛ لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخص لأنه بالقلب خاصة، وهذا هو الأظهر في هذا الموضع.

(١) أخرجه أحمد (٢٦٥٧٥)، والنسائي في الكبرى (١١٣٤١)، والحاكم (٣٥٦٠) وصححه ووافقه الذهبي، عن أم سلمة ؓ أنها قالت ذلك، فأنزل الله هذه الآية.

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٤).

﴿وَالْفَيْنَتَيْنِ وَالْفَيْنَتَيْنِ﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ: بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ، أَوْ الطَّاعَةِ.

﴿وَالصَّدِيقَيْنِ وَالصَّدِيقَيْنِ﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَدَقِ الْقَوْلِ، أَوْ مِنْ صَدَقِ الْعِزْمِ، أَوْ الْعَهْدِ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُوسَى﴾ الْآيَةُ؛ مَعْنَاهَا: أَنَّهُ لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ اخْتِيَارٌ مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمُ التَّسْلِيمُ وَالْانْقِيَادُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ رَاجِعٌ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ: ﴿لِمُوسَى وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ الْعُمُومُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَوْطئةٌ<sup>(١)</sup> لِلْقِصَّةِ الْمَذْكُورَةِ بَعْدَهَا.

وقيل: سببها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَاطَبَ امْرَأَةً لِيُزَوِّجَهَا<sup>(٢)</sup> لِمَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَكَرِهَتْ هِيَ وَأَهْلُهَا ذَلِكَ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ قَالُوا: رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>. وَاخْتُلِفَ هَلْ هَذِهِ الْمَخْطُوبَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ أَوْ غَيْرُهَا؟ وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهَا أُمُّ كُلْثُومُ بِنْتُ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ هُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْكَلْبِيُّ ﷺ، وَإِنْعَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ: بِالْإِسْلَامِ وَغَيْرِهِ، وَإِنْعَامَ النَّبِيِّ ﷺ: بِالْعِتْقِ. وَكَانَتْ عِنْدَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَهِيَ بِنْتُ أُمِّمَةَ عَمَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَشَكَا زَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُوءَ مَعَاشَرَتِهَا وَتَعَاظُمِهَا عَلَيْهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَطْلُقَهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾<sup>(٥)</sup> يَعْنِي: فِيمَا<sup>(٦)</sup> وَصَفَهَا بِهِ مِنْ سُوءِ الْمَعَاشَرَةِ.

أَوْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْلُقْهَا، فَيَكُونُ نَبِيًّا عَنِ الطَّلَاقِ عَلَى وَجْهِ التَّنْزِيهِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «أَبْغَضُ الْمَبَاحِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ»<sup>(٧)</sup>.

(١) فِي أ، ب، هـ: «مَوْطئة».

(٢) فِي أ، هـ: «فَزَوَّجَهَا».

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٩/١١٢)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، وَفِيهِ أَنَّ الْمَخْطُوبَةَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ﷺ.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٩/١١٤)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٩/٣١٣٤) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ.

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٢٠) عَنْ أَنَسٍ ﷺ.

(٦) فِي ب، ج: «مِمَّا».

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢١٧٨)، وَابْنُ مَاجَةَ (٢٠١٨)، مِنْ حَدِيثِ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَوْصُولًا، وَلَفْظُهُ: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ...»، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٢٧٩٤)، وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ -أَيْضًا- مَرْسَلًا (٢١٧٧)، وَهُوَ الرَّاجِعُ، وَمِمَّنْ رَجَعَ إِسْرَالَهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَالبَيْهَقِيُّ، وَالمُنْذَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ. انْظُرْ: الْبَدْرُ الْمُنِيرُ، لِابْنِ الْمَلَقَنِ (٨/٦٥-٦٨).

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه أمرٌ جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب<sup>(١)</sup>، ولكنه خاف أن يُسلطَ الناسُ عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياةً وحشمةً وصيانةً لعرضه، وذلك أنه روي أن النبي ﷺ كان حريصاً على أن يُطلقَ زيدُ زينبَ ليتزوجها هو ﷺ لقرباتها منه ولحسنها، فقال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو يخفي الحرص عليها؛ خوفاً من كلام الناس، لثلاث يقولوا: تزوج امرأة ابنه؛ إذ كان قد تبنّاها، فالذي أخفاه ﷺ: هو إرادة تزوجها، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوجها<sup>(٢)</sup>. قالت عائشة رضي الله عنها: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتّم هذه الآية؛ لشدة حبها عليه<sup>(٣)</sup>.

وقيل: إن الله كان قد أوحى إلى رسوله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ: هو ما أعلمه الله به من ذلك<sup>(٤)</sup>.

﴿بَلَمَّا فَضَيَّ زَيْدٌ مَنَّهُا وَظَرَاً رَّوَّجَتْكَهَا﴾ لم يُذكر أحدٌ من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة رضي الله عنه. والوظرة: الحاجة، قال ابن عطية: ويراد به هنا: الجماع<sup>(٥)</sup>. والأحسن أن يكون أعمّ من ذلك، أي: لما لم يبقَ لزيد فيها حاجة زوجها الله من نبيه ﷺ. وأسند الله تزويجها إليه تشريقاً له<sup>(٦)</sup>، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: «إن الله زوجني نبيه من فوق سبع سماوات»<sup>(٧)</sup>. واستدلّ بعضهم بقوله: ﴿رَّوَّجَتْكَهَا﴾ على أن الأولى: أن يقال في كتاب الصّدّاق: «أنكحه إياها» بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية.

﴿لَكِنَّهُ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ المعنى: أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ؛ ليعلم المؤمنون أن تزوج نساء أَدْعِيَائِهِمْ حلالٌ لهم، فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء في الحقيقة.

(١) في أ، ب، هـ: «عيب».

(٢) أخرجه الطبري (١٩ / ١١٥) عن قتادة وابن زيد.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٩ / ١١٦)، وابن أبي حاتم (٩ / ٣١٣٥) عن علي بن الحسين.

(٥) المحرر الوجيز (٧ / ١٢٣).

(٦) في د: «لها».

(٧) أخرجه البخاري (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ إِمَّا بَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ المعنى: أن تزوج النبي ﷺ لزینب بعد زید حلالاً لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك ردُّ على من تكلم في ذلك من المنافقين. و﴿بَرَضَ﴾ هنا بمعنى: قسم الله له.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحله الله لهم. وقيل: إن الإشارة بذلك إلى داود عليه السلام في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى، والعموم أحسن. ونصبُ ﴿سُنَّةَ﴾: على المصدر، أو على إضمار فعل<sup>(١)</sup>، أو على الإغراء<sup>(٢)</sup>.

﴿الَّذِينَ يَبْلَغُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، وهم الأنبياء، أو رفعٌ على إضمار مبتدأ، أو نصبٌ بإضمار فعل.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ هذا ردُّ على من قال في زید بن حارثة: زید بن محمد، فاعترض على النبي ﷺ تزوج امرأة زید. وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين عليهما السلام؛ لأنه ﷺ ليس أباً لهما في الحقيقة؛ لأنهما ليسا من صلبه، وإنما كانا ابني بته، وأما ذكور أولاده فماتوا صغاراً؛ فليسوا من الرجال.

﴿وَحَايِمُ النَّبِيِّينَ﴾ أي: آخرهم فلا نبى بعده ﷺ. وقرئ بكسر التاء<sup>(٣)</sup>: بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم، وبالفتح بمعنى أنهم ختموا به، فهو كالخاتم والطابع لهم. فإن قيل: إن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان فيكون بعده ﷺ؟

فالجواب: أن النبوة أتت<sup>(٤)</sup> عيسى قبله عليه السلام، وأيضاً فإن عيسى عليه السلام يكون إذا نزل على شريعته عليه السلام، فكانه واحداً من أمته.



(١) تقديره: الزم، أو نحوه.

(٢) كأنه قال: فعليه سنة الله. المحرر الوجيز (٧/ ١٢٤).

(٣) قرأ عاصم بفتح التاء، وقرأ الباقون بكسرها.

(٤) في ج، د: «أوتيت».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ ذُكِّرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي  
يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝  
تَجِئْتُهُمْ يَوْمَ يُلْقَوْنَهُ سَلَامًا ۖ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا  
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَذَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّن  
اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ۝ وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَهْبَى  
بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ \* يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ  
تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنَعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝  
يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَخْلَلْنَا لَكَ أَرْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَجَاءَ  
اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمِيكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَيكَ وَبَنَاتٍ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَزْنَ  
مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن  
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ  
عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ تُرْجَى مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُثَوِّبُ إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ  
وَمَن يُبْتَغَتْ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذُنِي أَمْ تَفَرَّ أَغْنِيَهُنَّ وَلَا يَخْزَنَ  
وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْنَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝ لَا  
يَجُلُ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا  
مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّفِيعًا ۝

﴿١﴾ «ذُكِّرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» شرط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به، بخلاف سائر الأعمال. والذكر يكون بالقلب وباللسان، وهو على أنواع كثيرة، من التهليل، والتسبيح، والحمد، والتكبير، وذكر أسماء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

﴿٢﴾ «وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» قيل: إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر. والأظهر أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره. وقال ابن عطية: أراد: في كل الأوقات، فحدّ النهار بطرفيه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٢٦).

(٢) المحرر الوجيز (١٢٦/٧).

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم﴾ هذا خطاب للمؤمنين، وصلاة الله عليهم: رحمته لهم، وصلاة الملائكة عليهم: دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ ﴿يُصَلِّي﴾ في المعنيين على اختلافهما. وقيل: إنه على حذف تقديره: «وملائكته يصلون».

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قيل: يعني: يوم القيامة، وقيل: في الجنة، وهو الأرجح؛ لقوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠]. ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض، أو قول الملائكة لهم: «سلام عليكم».

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً﴾ أي: يشهد على أمته.

﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: بأمره وإرساله.

﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ استعارة للنور الذي تضمنه الدين.

﴿وَدَعَا أَذِينَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا تؤذهم، فالمصدر على هذا: مضاف إلى المفعول، ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف.

والآخر: احتمل إذايتهم لك، وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على هذا: مضاف للفاعل.

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ ظَلَفْتُمُوهُنَّ﴾ الآية؛ معناها: سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول. فالنكاح في الآية: هو العقد، والمس: هو الجماع، و﴿تَعْتَدُونَهَا﴾: من العدد.

﴿بِمَتَعُوهُنَّ﴾ هذا يقتضي متعة المطلقة قبل الدخول، سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق، وقوله تعالى في «البقرة»: ﴿وَإِنْ ظَلَفْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ بَرَضْتُمْ لَهُنَّ بَرِيضَةً بَيْنَ صَفِّ مَا بَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥] يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها: يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها.

وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها؟

ويمكن الجمع بينهما: بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه، ومخصصة لعمومها.



﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ الْجُورَهُنَّ﴾ في معناها قولان:

أحدهما: أن المراد: أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ، كعائشة وغيرها رضي الله عنهن، وكان قد أعطاهن مهورهن.

والآخر: أن المراد: جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يُعطي مهرها، وهذا أوسع من الأول.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السراري بملك اليمين. ويعني بقوله: ﴿أَبَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾: الغنائم.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾ يعني: قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له رضي الله عنه أعمام وعمات إخوة لأبيه، ولم يكن لأمه رضي الله عنها أخ ولا أخت، فإنما <sup>(١)</sup> يعني بخاله وخالته: عشيرة أمه وهم بنو زهرة، ولذلك كانوا يقولون: نحن أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن قال: إن المراد بقوله: ﴿أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾: مَنْ كان في عصمته: فهذا عطفٌ عليهن، وإباحةٌ لأن يتزوج قرابته زيادةً إلى مَنْ كان في عصمته. ومن قال: إن المراد: جميع النساء، فهذا تجريدٌ منهن؛ على وجه التّشريف بعد دخول هؤلاء في العموم. ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ تخصيصٌ تحرّز به ممن لم يهاجر، كالطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة.

﴿وَأَمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أباح الله له صلى الله عليه وسلم مَنْ وَهبت له نفسها من النساء، واختلّف هل وقع ذلك أم لا؟

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة إلاّ بنكاح أو ملك يمين، لا بهبة نفسها <sup>(٢)</sup>، ويؤيد هذا: قراءة الجمهور: ﴿إِنْ وَهَبَتْ﴾ - بكسر الهمزة <sup>(٣)</sup> - أي: إن وقع ذلك.

(١) في ج، د: «وإنما».

(٢) أخرجه الطبري (١٣٤/١٩)، وابن أبي حاتم (٣١٤٤/١٠)، والبيهقي (١٣٣٥٦)، والطبراني في الكبير (٢٩٦/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠٧/٩): «ورجاله ثقات».

(٣) هي قراءة السبعة، وقرئ في الشاذ بفتحها، قرأ بها أبي بن كعب رضي الله عنه والحسن والثقي والشعبي. المحرر الوجيز (١٣٢/٧).

وقيل: قد وقع ذلك، وعلى هذا قرئ: ﴿أَنْ وَهَبَتْ﴾ -بفتح الهمزة-، واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها؟ ف قيل: ميمونة بنت الحارث. وقيل: زينب بنت خزيمة أم المساكين. وقيل: أم شريك الأنصارية. وقيل: أم شريك العامرية.

﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هبة المرأة نفسها مزية خاصة<sup>(١)</sup> بالنبى ﷺ دون غيره. وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب؛ ليخص المخاطب وحده.

وقيل: إن ﴿خَالِصَةً﴾ يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له ﷺ؛ لأن سائر المؤمنين قصرُوا على أربع نسوة، وأبيح له ﷺ أكثر من ذلك.

ومذهب مالك<sup>(٢)</sup>: أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد، خلافاً لأبي حنيفة. وإعراب ﴿خَالِصَةً﴾: مصدر، أو حال، أو صفة لـ ﴿امْرَأَةً﴾.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا بَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ يعني: أحكام النكاح؛ من الصداق والولي والاختصار على أربع وغير ذلك.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ يتعلّق بالآية التي قبله<sup>(٣)</sup> أي: قد بينّا أحكام النكاح؛ لئلا يكون عليك حرج، أو لئلا يُظنَّ بك أنك فعلت ما لا يجوز. وقال الزمخشري: يتعلّق بقوله: ﴿خَالِصَةً لِّكَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿تُزَجِّجُ مَن نَّشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن نَّشَاءُ﴾ معنى ﴿تُزَجِّجُ﴾: تؤخّر وتبعد، ومعنى: ﴿تُؤْوِي﴾: تضمّ وتقرب. واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء؟

فقيل: إن ذلك في القسمة بينهنّ؛ أي: تكثر لمن شئت، وتقلّ لمن شئت. وقيل: إنه في الطلاق؛ أي: تمسك من شئت وتطلق من شئت. وقيل: معناه: تتزوج من شئت، وترك من شئت. والمعنى على كل قول: توسعة على النبي ﷺ، وإباحة له أن يفعل ما شاء، وقد اتفق

(١) في أ، هـ: «خالصة».

(٢) والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/٩٣-٩٤).

(٣) في ب، ج، د: «قبلها».

(٤) الكشف (١٢/٤٦٠).

الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نسائه؛ أخذاً منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له. والضمير في قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ يعود: على أزواجه ﷺ خاصة، أو على كل ما أحلَّ له، على حسب الخلاف المتقدم.

﴿وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: مَنْ كنت عزلته من نسائك فلا جناح عليك في ردّه بعد عزله.

والآخر: مَنْ ابتغيت ومن عزلت سواءً في إباحة ذلك. فـ﴿مِنْ﴾ للتبويض على القول الأول، وأما على الثاني فنحو قولك: «مَنْ لقيك ممن لم يلقك سواءً».

﴿ذَلِكَ أَذُنِي أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِنَّ﴾ أي: إذا عَلِمَ أن هذا حكمُ الله قرأت به أعينهن ورضين به، وزال ما كان بهنَّ من الغيرة، فإن سبب نزول هذه الآيات ما وقع بين أزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يحلُّ لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد<sup>(١)</sup> عليهن. قال ابن عباس ؓ: لما خيرهنَّ رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله جازاهنَّ الله على ذلك، بأن حرَّم عليه غيرهنَّ<sup>(٢)</sup> من النساء؛ كرامةً لهنَّ<sup>(٣)</sup>.

والقول الثاني: لا يحلُّ لك النساء غير الأصناف التي سمَّيت، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ أي: لا يحلُّ لك غير مَنْ ذُكِرَ حسبما تقدَّم.

وقيل: معنى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾: لا يحلُّ لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات المذكورات، وهذا بعيد. واختلف في حكم هذه الآية؟

(١) في د: «ولا تزيد».

(٢) من هنا يبدأ سقط ورقة من نسخة ب.

(٣) نسبته في المحرر الوجيز (١٣٦/٧) إلى عباس ؓ وقناة، ولم أقف عليه من قول ابن عباس، ووقفت عليه من قول قتادة والحسن، أخرجه الطبري (١٩/١٤٠، ١٤٧)، وابن أبي حاتم (٩/٣١٢٨). وأخرجه البيهقي في السنن عن أنس ؓ (١٣٣٤٧) والشعبي (١٣٣٤٦).



ف قيل: إنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ على القول بأن المراد به: جميع النساء. وقيل: إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد: من كان في عصمته، وهذا هو الأظهر؛ لما ذكرنا عن ابن عباس رضي الله عنه، ولأن التسع في حق صلى الله عليه وسلم كالأربع في حق أمته.

﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ معناه: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلاً منها. وقيل: معناه: ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء، بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر له عن زوجته، وهذا ضعيف.

﴿وَلَوْ أَغْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ في هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ المعنى: أن الله أباح له الإمام. والاستثناء في موضع رفع على البدل من ﴿النِّسَاءِ﴾، أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في ﴿حُسْنُهُنَّ﴾.



\*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْرِينَ  
إِنِّيهِ وَلَكِي إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ  
كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا  
فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِفُلُوبِكُمْ وَفَلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا  
رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٥﴾  
إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَبِّرُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ  
وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُهُنَّ وَآتَمِينَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ  
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ إِخْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٦٠﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ سبب هذه الآية  
على ما رواه أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، لما تزوج زينب بنت جحش، أُولم عليها، فدعا  
الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت، فثقل ذلك على رسول الله ﷺ، فخرج  
ليخرجوا بخروجه، ومرَّ على حُجْر نِسائه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف،  
فخرجوا عند ذلك <sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في قوم كانوا يتحَيَّنون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه  
قبل الطعام فيقعّدون إلى أن يُطْبَخ <sup>(٢)</sup>، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأمرُوا أن لا يدخلوا حتى  
يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا <sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩١)، ومسلم (١٤٢٨).

(٢) في ج: «ينضج».

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٥١٩ / ٢١) بدون سند، ولم أقف عليه مستندًا.

قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس رضي الله عنه أليق بما <sup>(١)</sup> في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فلعل <sup>(٢)</sup> قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل؛ فإن الآية تضمنت الحكمين.

﴿غَيْرَ نَظِيرٍ إِنِّي﴾ أي: غير منتظرين لوقت الطعام، والإتي: هو الوقت. وقيل: إني الطعام: نُضِجُهُ وإدراكه، يقال: أَنَى يَأْنِي إِنِّي.

﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا﴾ أمر بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها. ﴿وَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ أي: انصرفوا، قال بعضهم: هذا أدب أدب الله به الثقلاء <sup>(٣)</sup>. وقالت عائشة رضي الله عنها: حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم! <sup>(٤)</sup>

﴿وَلَا مُسْتَنِينَ لِحَدِيثٍ﴾ معطوف على ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ﴾، أو تقديره: «ولا تدخلوها مستأنسين» <sup>(٥)</sup>. ومعناه النهي عن أن يُطِيلُوا <sup>(٦)</sup> الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض، أو يستأنسوا حديث أهل البيت، واستثناسه: تسمُّعه وتجنُّسه.

﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ﴾ يعني: جلوسهم للحديث، أو دخولهم بغير إذن. ﴿بِئْسَ تَحِيَّةٌ مِنْكُمْ﴾ تقديره: يستحيي من إخراجكم؛ بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: إن إخراجكم حق لا يتركه الله.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ المتاع: الحاجة من الأثاث وغيره. وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي ﷺ، وسببها: ما رواه أنس رضي الله عنه من قعود القوم يوم

(١) في أ، هـ: «لما».

(٢) في أ، ج، هـ: «فعلى»!

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٥٢٤/٢١) بإسناده عن إسماعيل بن أبي حكيم المدني القرشي.

(٤) كذا في جميع النسخ الخطية نسبة هذا القول إلى عائشة رضي الله عنها، والصواب: «ابن عائشة» كما أخرجه الثعلبي في تفسيره (٥٢٥/٢١). وهو عبيد الله بن محمد بن حفص القرشي التيمي، يعرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمي. انظر: تهذيب الكمال للزمي (١٩/١٤٧).

(٥) فيكون منصوبًا، وعلى التقدير الأول يكون مجرورًا. الكشاف (١٢/٤٧٠).

(٦) كذا في نسخة خزائن القرويين، وفي بقية النسخ: «يطلبوا»، ولعل المثبت هو الأصوب، وهو موافق لعبارة الكشاف (١٢/٤٧٠).

الوليمة في بيت زينب عليها السلام <sup>(١)</sup>. وقيل: سببها: أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله ﷺ بأن يحجب نساءه، فنزلت الآية موافقة لقول عمر <sup>(٢)</sup>.

قال بعضهم: لما نزل في أمهات المؤمنين ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كن لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب، ولا يجوز أن يروهن متنقيات ولا غير متنقيات، <sup>(٣)</sup> بخلاف ذلك دون سائر النساء <sup>(٤)</sup>.

﴿ذَلِكَ مَّا أَظْهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد: أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال.

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاحَهُنَّ﴾ سببها: أن بعض الناس قال: لو مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فحرم الله على الناس تزوج نسائه بعده؛ كرامة له ﷺ <sup>(٥)</sup>.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ الآية؛ لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة، وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأولادهم، وأولاد الأخوات.

﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ قيل: يريد: النساء <sup>(٦)</sup> القرابة والمتصرفات لهن، وقيل: يريد نساء جميع المؤمنات. ويقوي الأول: تخصيص النساء بالإضافة إليهن، ويقوي الثاني: أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ اختلف فيمن أبيح لهن الظهور له من ملك اليمين؟ فقيل: الإمام دون العبيد. وقيل: الإمام والعبيد، وهذا أولى بلفظ الآية، ثم اختلف من ذهب إلى هذا: فقال قوم: من ملكته <sup>(٧)</sup> من العبيد دون من ملكه غيرهن، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية.

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦)، ومسلم (٢١٧٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) في ج: «خصصهن».

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن الفرس (٤٣٩/٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣١٥٠/١٠)، والبيهقي (١٣٤١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في أ: «في النساء».

(٧) في ج، د، هـ: «ملكته».

وقال قوم: بل جميع العبيد، كان في ملكهن أو في ملك غيرهن<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ هذه الآية تشريفٌ للنبي ﷺ. وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣].  
﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الصلاة على النبي ﷺ فرض إسلامي، فالأمر به محمول على الوجوب، وأقله مرة في العمر.

وأما حكمها في الصلاة: فمذهب الشافعي<sup>(٢)</sup>: أنها فرض تبطل الصلاة بتركه. ومذهب مالك<sup>(٣)</sup>: أنها سنة. وصفتها: ما ورد في الحديث الصحيح: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»<sup>(٤)</sup>. وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافًا كثيرًا.

وأما السلام على النبي ﷺ فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهد في الصلاة، أو السلام عليه حين لقائه.

وأما السلام عليه بعد موته: فقد قال ﷺ: «من سلم عليّ قريبًا سمعته، ومن سلم عليّ بعيدًا بلغته»<sup>(٥)</sup>؛ فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»<sup>(٦)</sup>.

(١) في ج: «أو في غير ملكهن».

(٢) وأحمد في ظاهر مذهبه.

(٣) ورواية عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ٥٤٣، ٦٧٢).

(٤) في أزيادة: «آل».

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦) عن كعب بن عجرة ؓ، وأخرجه البخاري (٦٣٥٨) عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم (٤٠٥) عن أبي مسعود الأنصاري ؓ، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٦) في د: «بلغني».

(٧) هذان حديثان، فقوله: «فإن الله حرم...» إلخ حديث أوس بن أوس ؓ، أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٣)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (٩١٠)، والحاكم (١٠٢٩) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

وقوله: «من سلم عليّ قريبًا...» إلخ وجدته بهذا اللفظ: «من سلم عليّ عند قبري سمعته...» أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٤٠/٣)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١٣٦/٤)، وقال: «لا أصل له... وليس بمحفوظ»، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣٠٣/١)، وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلي (١٣٥/٣).



﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إذابة الله: هي بالإشراك به، ونسبة الصّاحبة والولد له. وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء. وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله، والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث: «يقول الله تعالى: يَشْتِمُنِي ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقله: إن لي صاحبةً وولداً، وأما تكذيبه إياي فقله: لا يعيدني كما بداني»<sup>(١)</sup>. وأما إذابة رسول الله ﷺ: فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال.

وقال ابن عباس ؓ: نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ<sup>(٢)</sup> صفية بنت حُيٍّ ؓ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ الآية في البهتان، وهو ذكْرُ الإنسان بما ليس فيه، وهو أشدُّ من الغيبة، مع أن الغيبة محرمة، وهي ذكْرُه بما فيه مما يكره.



(١) أخرجه البخاري (٣١٩٣) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) في أ، ج: «أخذ».

(٣) أخرجه الطبري (١٧٨/١٩)، وابن أبي حاتم (٣١٥٢/١٠) من طريق العوفي عنه.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ فَلَا زَوْجَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ  
أَذْنَبِي أَنْ يُعْرِضَ فَلَا يُؤْذِيَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥﴾ \* لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَعَفِّفُونَ وَالَّذِينَ  
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا  
﴿١٦﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَفِفُوا اخْذُوا وَقَتَلُوا تُفْتِيلًا ﴿١٧﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَسَ تَجِدَ  
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١٨﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ فَلِي لَمَّا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ  
السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٢٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا  
يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي الْبَارِ يَقُولُونَ يَلَيَّتْنَا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا  
الرَّسُولَ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحُونَا السَّبِيلَ ﴿٢٣﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ  
مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا ﴿٢٤﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ فَلَا زَوْجَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَبِيبِهِنَّ﴾ كان  
نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعيًا إلى نظر الرجال إليهن،  
فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن، ويقع الفرق بين الحرائر والإماء.

والجلابيب: جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار، وقيل: هو الرداء. وصورة  
إدناؤه عند ابن عباس رضي الله عنه: أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر  
بها<sup>(١)</sup>. وقيل: أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها، وقيل: أن تغطي نصف وجهها.

﴿ذَلِكَ أَذْنَبِي أَنْ يُعْرِضَ فَلَا يُؤْذِيَنَّ﴾ أي: ذلك أقرب إلى أن يُعرف الحرائر من الإماء، فإذا  
عُرف أن المرأة حرة لم تُعارض بما تعارض به الأمة. وليس المعنى: أن تُعرف المرأة حتى  
يُعلم من هي، إنما المراد: أن يُفرق بينها وبين الأمة؛ لأنه كان بالمدينة إماء يُعرفن بالسوء،  
وربما تعرض لهن السفهاء.

﴿لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَعَفِّفُونَ﴾ الآية؛ تضمنت وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا.  
فقيل: إنهم لم ينتهوا، ولم يُنفذ الوعيد عليهم، ففي ذلك دليل على بطلان القول

(١) أخرجه الطبري (١٨١/١٩)، وابن أبي حاتم (٣١٥٤/١٠) من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة. وقيل: إنهم انتهوا وسترُوا أمرهم، فكفَّ عنهم إنفاذ الوعيد. و﴿الْمُتَنَفِّقُونَ﴾: هم الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر. و﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: قومٌ كان فيهم ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه. وقيل: هم الزناة؛ كقوله: ﴿بَيِّظَمَعَ أَلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]-. و﴿وَالْمُزْجِجُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: قومٌ كانوا يُشيعون أخبار السوء ويخوِّفون<sup>(١)</sup> المسلمين. فيَحْتَمِل أن تكون هذه الأصناف متفرقة، أو تكون داخلية في جملة المنافقين، ثم جَرَّدَها بالذكر.

﴿لَتُغْرِيَنَّهُ بِهَمِّ﴾ أي: نسلطك عليهم، وهذا هو الوعيد.

﴿ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ ذلك لأنه يَنْفِيهِمْ أو يقتلهم، والضمير المجرور: للمدينة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يَحْتَمِل أن يريد: إلَّا جوارًا قليلًا، أو وقتًا قليلًا، أو عددًا<sup>(٢)</sup> قليلًا منهم. والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات، ف﴿قَلِيلًا﴾: على الاحتمال الأول: مصدر، وعلى الثاني: ظرف، وعلى الثالث: منصوب على الاستثناء.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصبٌ على الذم. أو بدلٌ من ﴿قَلِيلًا﴾ على الوجه الثالث. أو حالٌ من ضمير الفاعل في ﴿يَجَاوِرُونَكَ﴾ تقديره: سَيُفْنُونَ ملعونين<sup>(٣)</sup>.

﴿أَيُّنَمَا تُفَبِّحُوا اتَّخَذُوا﴾ أي: حيثما طُفِّرَ بهم أسروا، والأخذُ: الأسر.

﴿سَنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: عادته. ونصبه على المصدر.

﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ يعني: المنافقين من الأمم المتقدمة، وقيل: يعني: كفار بدر؛ لأنهم أسروا وقتلوا.

﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ إنما قال ﴿قَرِيبًا﴾ بالتذكير، والساعة مؤنثة؛ على تقدير: شيئًا قريبًا، أو زمانًا قريبًا، أو لأن تأنيثها غير حقيقي.

(١) في أ، هـ: «ويخيفون».

(٢) في أ، ج، هـ: «وعدا»!

(٣) على تقدير: «لا يجاورونك» بـ«سيفنون»، قاله في المحرر الوجيز (٧/ ١٤٩)، وانظر: البحر المحيط (٣٧١/ ١٧).

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي الْبَارِ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾: قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾، أو: ﴿لَا يَجِدُونَ﴾، أو محذوفٌ. وتقلب وجوههم: تصریفها في جهات النار، كما تدور البضعة <sup>(١)</sup> في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة. أو تغيّر <sup>(٢)</sup>ها عن أحوالها.



(١) البضعة: القطعة من اللحم. القاموس المحيط.

(٢) في أ: «تغيّرها».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ بَرَاءَةً اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٧٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَىٰ اللَّهِ وَفُلُوهُ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٩﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٨٠﴾

﴿٧٦﴾ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ﴾ هم قومٌ من بني إسرائيل، وإذابتهم له: ما ورد في الحديث: أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عرأة، وكان موسى ﷺ يستتر منهم إذا اغتسل، فقالوا: إنه آذُرٌ<sup>(١)</sup>، فاغتسل موسى ﷺ يوماً وحده، وجعل ثيابه على حجر، ففرَّ الحجر بشيابه، واتبعه موسى وهو يقول: «ثوبي حجر! ثوبي حجر!»، فمرَّ في اتباعه على ملاٍ من بني إسرائيل فراؤوه سليماً مما قالوا، فذلك قوله: ﴿بَرَاءَةً اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾<sup>(٢)</sup>. وقيل: إذابتهم له: أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكة حملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر، فبرأ الله موسى، وروي أنه حيي فأخبرهم ببراءة موسى. والقول الأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح.

﴿٧٧﴾ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قيل: يعني: لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك.

﴿٧٨﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ الأمانة: هي التكليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي، وقيل: هي الأمانة في الأموال، وقيل: غسل الجنابة. والصحيح العموم في التكليف.

وعَرْضُهَا عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أحدهما: أن يكون الله خلق لها إدراكًا، فعُرِضَتْ عليها الأمانة حقيقة، فأشفقت منها، وامتنعت من حملها.

(١) الأذَر: الرجل الذي به انتفاخ في الخصية. النهاية لابن الأثير (١/٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩) عن أبي هريرة ؓ.

والثاني: أن يكون (على وجه المجاز، و)<sup>(١)</sup> المراد: تعظيم شأن الأمانة، وأنها من الثقل بحيث إنها لو عُرِضت على السماوات<sup>(٢)</sup> والأرض والجبال، لأبَيَّنَ من حملها وأشققن منها، فهذا ضربٌ من المجاز كقولهم: «عرضتُ الحِمْلُ العظيم على الدابة فأبت أن تحمله»، والمراد: أنها لا تقدر على حمله.

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ﴾ أي: التزم الإنسان القيامَ بالتكاليف مع شدة ذلك، وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول. و﴿الْإِنْسَنُ﴾ هنا: جنس، وقيل: يعني: آدم ﷺ، وقيل: قابيل الذي قتل أخاه.

﴿لَيُعَذِّبَ﴾ اللام للصيرورة؛ فَإِنَّ حَمْلَ الأمانة كان سببَ تعذيبِ المنافقين والمشركين، ورحمةً للمؤمنين.



(١) سقط من ج، د، هـ.

(٢) هنا انتهى سقط الورقة من ب.

## سُورَةُ سَبَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
 الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ  
 الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ  
 لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي  
 كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَثْلَافَهُمْ وَلَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ  
 ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أَثْلَافَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ الْيَمِّ ﴿٥﴾ وَيَذَرِي الَّذِينَ ءَاثَرُوا  
 الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِّن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مَرَفْتُمْ كُلَّ مَرْجٍ إِنَّكُمْ لَهِيَ خُلَٰئِفَةٌ لِّبَنِي  
 إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ آلِهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ  
 الْبَعِيدِ ﴿٧﴾ أَقَلَّمُ يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَّشَأْ نَخَسِفَ بِهِمُ  
 الْأَرْضَ أَوْ نُسَفِّطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾

﴿١﴾ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ يحتمل أن يكون الحمد الأول: في الدنيا، والثاني: في الآخرة. وعلى هذا حمله الزمخشري<sup>(١)</sup>. ويحتمل عندي أن يكون الحمد الأول للعموم والاستغراق، فيجمع الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرد منه الحمد في الآخرة، كقوله: ﴿بِكِهَّةٍ وَنَخْلٍ وَرُمَّانٍ﴾ [الرحمن: ٦٧]. ثم إن الحمد في الآخرة يحتمل أن يريد به الجنس، أو يريد به قوله: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، أو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ [الزمر: ٧٨].

(١) الكشاف (١٢/٤٩٧).

﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يدخل فيها من المطر والأموات<sup>(١)</sup> وغير ذلك، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك، ﴿وَمَا يَغْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان ابن حرب<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا يَغْرُبُ﴾ أي: لا يغيب ولا يخفى.

﴿وَلَا أَضْغَرُ﴾ معطوفٌ على ﴿مِثْقَالٍ﴾. وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ لأن حرف الاستثناء يمنع من العطف<sup>(٣)</sup>. ولا خلاف بين القراء السبعة في رفع ﴿أَضْغَرُ﴾ و﴿أَكْبَرُ﴾ في هذا الموضع. وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة<sup>(٤)</sup>، وإنما الخلاف في «يونس».

﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

﴿لَيَجْزِيَنَّكَ﴾ يتعلق بقوله: ﴿لَتَأْتِيََنَّكُمْ﴾، أو بقوله: ﴿لَا يَغْرُبُ﴾، أو بمعنى قوله: ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ مبتدأ، وخبره الجملة بعده. وقال ابن عطية: هو معطوفٌ على ﴿الَّذِينَ﴾ الأول<sup>(٥)</sup>. وقد ذُكر في «الحج» معنى «سَعَوْا»، و﴿مُعْجِزِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع<sup>(٧)</sup>: صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾، وبالحذف: صفة لـ ﴿رَجْزٍ﴾.

﴿وَيَرَى﴾ معطوفٌ على ﴿لَيَجْزِيَنَّكَ﴾، أو مستأنف، وهذا أظهر.

(١) في أ، ب، هـ: «والأقوات»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٢/٤٩٨).

(٢) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣/٥٢٣).

(٣) الكشاف (١٢/٥٠٤).

(٤) المحرر الوجيز (٧/١٥٧).

(٥) المحرر الوجيز (٧/١٥٧).

(٦) انظر تفسير الآية (٥١).

(٧) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالرفع، وقرأ الباقر بالخفض.



﴿الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْعِلْمِ﴾ هم الصحابة، أو من أسلم من أهل الكتاب، أو على العموم.  
 ﴿الْحَقَّ﴾ مفعول ثاني لـ ﴿يَرَى﴾؛ لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم، والضمير فصل.  
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ تَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون: محمدًا ﷺ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَهِيَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معنى ﴿مُرِّقْتُمْ﴾ أي: بليتيم في القبور، وتقطعت أوصالكم، و﴿كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾: مصدر. والخلق الجديد: هو الحشر في القيامة. والعامل في ﴿إِذَا﴾: معنى ﴿إِنَّكُمْ لَهِيَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأن معناه: تُبعثون إذا مرقتم. وقيل: العامل فيه: فعل مضمر مقدّر قبلها<sup>(١)</sup>، وذلك ضعيف. و﴿إِنَّكُمْ لَهِيَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معمول ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾، وكسرت «إِنَّ»؛ للام التي في خبرها. ومعنى الآية: أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتيم في الأرض، ومرادهم: استبعاد الحشر.

﴿أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ﴾ هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة.

﴿بَلِ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ﴾ هذا ردٌ عليهم، أي: أنه لم يفر على الله كذبًا، وليس به جنة، بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب. ويحتمل أن يريد بالعذاب: عذاب الآخرة، أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق، ومحاولة ظهور الباطل.

﴿أَبَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الضمير في ﴿يَرَوْا﴾ للكفار المنكرين للبعث.

وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم؛ لأنهما محيطتان بهم.

والمعنى: ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلموا<sup>(٢)</sup> أن الذي خلقهما قادرٌ علىٰ بعث الناس بعد موتهم؟

(١) تقديره: ينبيئكم بأنكم تُبعثون إذا مُرِّقْتُمْ. المحرر الوجيز (٧/ ١٥٨).

(٢) في أ، ب، هـ: «فيعلمون».

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى تَهْدِيدًا لَهُمْ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْفِظَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ أَي: أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُمَا مُحِيطَتَانِ بِهِمْ، فَيَعْلَمُوا<sup>(١)</sup> أَنَّهُمْ لَا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ؟

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة إلى إحاطة السماء والأرض بهم، أو إلى عظمة خَلْقَةِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ فَإِنْ فِيهَا آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْبَعْثِ.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «فيعلمون».

\* وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا بَقْلًا يَجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٥﴾ أَلْإِغْمَلُ سَبْعِينَ وَفَذَرِ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦﴾ وَلَسَلَيْنَا الرِّيحَ غَدُوها شَهْرَ وَرَوَّاحها شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْفُطْرِ وَمِنَ الْجَبِ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهٖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٧﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِبَابٍ كَالْجَوَابِ وَفُودٍ رَاسِيَتٍ إَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَائِهِ فَلَمَّا خَرَ تَبَيَّنَتِ الْجَبُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٩﴾

﴿يَجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ﴾ تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسير للفضل. ومعنى ﴿أَوْبَى﴾: سُبْحِي، وأصله من التأويب، وهو التراجع؛ لأنه كان يرجع التسييح فترجعه معه. وقيل: هو من التأويب بمعنى: السير بالنهار، وقيل: كان ينوح، فتُسعده<sup>(١)</sup> الجبال بصداها، والطير بأصواتها.

﴿وَالطَّيْرُ﴾ بالنصب<sup>(٢)</sup>: عطف على موضع: ﴿يَجِبَالُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقيل: مفعول معه، وقيل: عطف على ﴿بَقْلًا﴾. وقرئ بالرفع عطفًا على لفظ: ﴿يَجِبَالُ﴾.

﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه له لِيَتَا بغير نار، كالطين والعجين، وقيل: لَأَنَ لَهُ الحديد؛ لشدة قوته.

﴿سَبْعِينَ﴾ هي الدروع الكاسية.

﴿وَفَذَرِ فِي السَّرْدِ﴾ معنى ﴿السَّرْدِ﴾ هنا: نَسَجُ الدروع، وتقديرها: أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف، ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها. وقيل: لا تجعل المسمار رقيقًا ولا غليظًا.

(١) في ج: «فتساعده» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٤/ ٥١٧) ..

(٢) قراءة السبعة بالنصب، وقرئ في الشاذ بالرفع، قرأ بها الأعرج وجماعة من أهل المدينة. المحرر الوجيز (٧/ ١٦٢).

(٣) لأن موضع المناذئ المفرد نصب. المحرر الوجيز (٧/ ١٦٢).

﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ خطابٌ لداود عليه السلام وأهله.

﴿وَلَسَلِمَنَّ الرِّيحُ﴾ بالنصب<sup>(١)</sup>: على تقدير: وسخرنا، وقرئ بالرفع: على الابتداء.

﴿غَدَّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ﴾ أي: كانت تسير به بالغداة<sup>(٢)</sup> مسيرة شهر، وبالعشيّ مسيرة شهر، فكان يجلس على سريرته وكان من خشب، يحمل فيما روي أربعة آلاف فارس<sup>(٣)</sup>، فترفعه الريح ثم تحمله.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْفِطْرِ﴾ قال ابن عباس عليه السلام: كانت تسيل له باليمن عين من نحاس، يصنع منها ما أحب<sup>(٤)</sup>، والقطر: النحاس. وقيل: القطر: الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك، كان يسيل له منه عيون. وقيل: المعنى: أن الله أذاب له النحاس بغير نار، كما صنع بالحديد لداود عليه السلام.

﴿نُذِفَةُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني: نار الآخرة، وقيل: كان معه ملك يضربهم بسوط نار<sup>(٥)</sup>.

﴿مَحْرِيْبٌ﴾ هي القصور، وقيل: المساجد.

﴿وَتَمَثَّلَ﴾ قيل: إنها كانت على غير صور الحيوان، وقيل: على صور الحيوان، وكان ذلك جائزاً عندهم.

﴿كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية، وهي البركة التي يجتمع فيها الماء.

﴿رَأْسِيَّتٍ﴾ أي: ثابتات في مواضعها، لا يستطيع أحد أن ينقلها لعظمتها<sup>(٦)</sup>.

(١) روى شعبة عن عاصم بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب.

(٢) في أ، ب، هـ: «بالغدوة».

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٧/١٦٥)، وقال: «وروي أكثر من هذا بكثير، ولكن عدم صحته مع بُعد شبهه أوجب اختصاره»، ولم أقف على هذه الرواية مسندة أنهم أربعة آلاف، وأخرج ابن أبي حاتم (٨/٢٤٥٨) سعيد بن جبير قال: كان يوضع لسليمان عليه السلام ست مئة ألف كرسي فيجلس مما يليه مؤمنو الإنس، ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن، ثم يأمر الطير فتظلمهم، ثم يأمر الريح فتحمله عليه السلام.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/٢٢٩) من طرق عن ابن عباس عليه السلام، وليس فيه قوله: «كانت باليمن»، وإنما هذا من قول قتادة كما في تفسير الطبري (١٩/٢٢٨).

(٥) في ج: «سوط من نار».

(٦) في د: «لعظمتها».

﴿إِغْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ حكاية ما قيل لآل داود. وانتصب ﴿شُكْرًا﴾ على أنه مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال، تقديره: شاكرين، أو مصدر من المعنى؛ لأن العمل شكر، تقديره: اشكروا شكرًا، أو مفعول به.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ يحتمل أن يكون: مخاطبة لآل داود، أو مخاطبة لمحمد ﷺ.

﴿ذَابَتْ أَلْأَرْضُ تَاكُلُ مِنسَاتَهُ﴾ المنساة: هي العصا، وقرئت بالهمز وبغير همز<sup>(١)</sup>. ودابة الأرض: هي الأرضة، وهي السوسة التي تأكل الخشب وغيره. وقَصَصُ الآية: أن سليمان ﷺ دخل قبة من قوارير، وقام يصلي متكئًا على عصاه، فقُبِضَ روحه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك سنة، لم يعلم أحد بموته، حتى وقعت العصا فخرًا إلى الأرض. واختصرنا كثيرًا مما ذكره الناس في هذه القصة؛ لعدم صحته.

﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾ من تبين الشيء: إذا ظهر، وما بعدها بدل من ﴿الْجِنَّ﴾<sup>(٢)</sup>، والمعنى: ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب. وقيل: ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ بمعنى: علمت، و﴿أَنَّ﴾ وما بعدها: مفعول به على هذا، والمعنى: علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وتحققوا ذلك بعد التباس الأمر عليهم، أو علمت الجن أن كبارهم لا يعلمون الغيب، وأنهم كاذبون في دعوى ذلك.

﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يعني: الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان ﷺ، وتسخيرهم لهم في أنواع الأعمال، والمعنى: لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم<sup>(٣)</sup> موت سليمان.



(١) قرأ نافع وأبو عمرو وبغير همز، وروى ابن ذكوان عن ابن عامر بالهمزة ساكنة، وقرأ الباقون بالهمزة مفتوحة.

(٢) بدل اشتغال، كقولك: «تبين زيد جهله». الكشف (١٢/٥٢٧).

(٣) في ج، د: «عليها».

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتْ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا  
لَهُ بَلَدٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ  
ذَوَاتِي أَكْلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا  
الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ \* وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْفَرَى الْيَبِ بَرَكْنَا فِيهَا فُرًى ظَهَرَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ  
سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْجَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ  
أَحَادِيثَ وَمَزَفْنَاهُمْ كُلٌّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ  
عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ وَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيفًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا  
لِتَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ﴿٢١﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ سبأ: قبيلة من العرب، سُميت باسم أبيها الذي تناسلت منه، وقيل: باسم أمها، وقيل: باسم موضعها، والأول أشهر؛ لأنه ورد في الحديث<sup>(١)</sup>. وكانت مساكنهم بين الشام واليمن.

﴿جَنَّتْ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهم وادٍ، وكانت الجنات عن يمينه وشماله. و ﴿جَنَّتْ﴾: بدل من ﴿آيَةٌ﴾، أو مبتدأ<sup>(٢)</sup>، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿كُلُوا﴾ تقديره: قيل لهم: كلوا من رزق ربكم، قالت لهم ذلك الأنبياء. وروي أنهم بُعث لهم ثلاثة عشر نبياً فكذبوهم<sup>(٣)</sup>.

﴿بَلَدٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: كثيرة الأرزاق، طيبة الهواء، سليمة من الهوام.

(١) وهو حديث قروة بن مُسَيْكٍ العُطَيْفِي، قال: أتيتُ النَّبِيَّ ﷺ.. -فذكر الحديث-، فقال رجلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ سَبَأٍ، مَا هُوَ؟ أَرْضٌ أَمْ امْرَأَةٌ؟ فَقَالَ: «لَيْسَ بِأَرْضٍ وَلَا امْرَأَةً، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةً مِنَ الْعَرَبِ، فَنِيَامَانِ سِتَّةٌ، وَنِسَاءٌ أَرْبَعَةٌ». أخرجه أحمد (٥٢٨/٢٩)، وأبو داود (٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢) وقال: «حسن غريب»، والحاكم (٣٥٨٦) وسكت عنه الذهبي، وله شاهدٌ من حديث ابن عباس ؓ، أخرجه أحمد (٢٨٩٨)، والحاكم (٣٥٨٥) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) وخبر: «عن يمين وشمال»، كذا قدره في المحرر الوجيز (١٧٤/٧)، وتعقبه أبو حيان في البحر المحيط (٤٢٠/١٧) بقوله: «ولا يظهر؛ لأنه نكرة لا مسوغٌ للابتداء بها، إلا إن اعتُقد أن ثم صفةٌ محذوفة، أي: جنتان لهم، أو عظيمنتان لهم عن يمين وشمال، وعلى تقدير ذلك يبقى الكلام مُفْلَتًا مما قبله».

(٣) أخرجه الطبري (٢٤٩/١٩) عن وهب بن منبه اليماني.

﴿بَاغْرُضُوا﴾ أي: أعرضوا عن شكر الله، أو عن طاعة الأنبياء.

﴿بَارُسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ كان لهم سدٌ يُمسك الماء؛ ليرتفع فتُسقى به الجنات، فأرسل الله على السد الجُرذَ، وهي دُويبةٌ خرَّبتَه فبيست الجنات. وقيل: لما خرب السدُّ حمل السيل الجنات وكثيراً من الناس.

واختلف في معنى العرم؟ فقيل: هو السد، وقيل: هو اسم ذلك الوادي بعينه، وقيل: معناه: الشديد، فكأنه صفة للسيل، من العرامة، وقيل: هو الجرذ الذي خرب السدَّ، وقيل: المطر الشديد.

﴿أَكْلٍ خَنْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأكل - بضم الهمزة -: المأكول. والخمط: شجر الأراك، وقيل: كل شجرة ذات شوك<sup>(١)</sup>. والأثل: شجرٌ يشبه الطِّرفاء. والسدر: شجر معروف. وإعراب ﴿خَنْطٍ﴾: بدلٌ من ﴿أَكْلٍ﴾، أو عطف بيان. وقرئ بالإضافة<sup>(٢)</sup>. و ﴿أَثْلٍ﴾ عطفٌ على ﴿أَكْلٍ﴾ لا على ﴿خَنْطٍ﴾؛ لأن الأثل لا أكل له.

والمعنى: أنهم لما هلكت الجنتان المذكورتان قبل أبدلهم الله منهما<sup>(٣)</sup> جنتين بضدٍّ وصفهما في الحُسن والأرزاق.

﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ معناه: لا يُناقش ويُجازى بمثل فعله إلا الكفور؛ لأن المؤمن قد يسمع الله له، ويتجاوز عنه.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرْيَ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةَ﴾ هذه الآية وما بعدها وصفٌ حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم. ويعني بـ ﴿الْقَرْيَ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾: الشام، والقرى الظاهرة: قرى متصلة من بلادهم إلى الشام. ومعنى ﴿ظَهْرَةَ﴾: يظهر بعضها من بعض؛ لاتصالها، وقيل: مرتفعة في الآكام، وقال ابن عطية: معناه: خارجة عن المدن، كما تقول: بظاهر المدينة أي: خارجها<sup>(٤)</sup>.

(١) في دزيادة: «هي الخمط».

(٢) قرأ أبو عمرو بالإضافة، وقرأ الباقون بالتنوين.

(٣) في ب، ج، هـ: «منها».

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ١٧٨).

﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي: قسمنا مراحل السفر، وكانت القرى متصلة، فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى، ولا يخاف جوعاً ولا عطشاً، ولا يحتاج إلى حمل زاد، ولا يخاف من أحد.

﴿قَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ<sup>(١)</sup> ﴿بَعِدْ﴾ و ﴿بَعْدْ﴾ بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب. والمعنى: أنهم بطروا النعمة وملّوا العافية، فطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة؛ ليمشوا في المفاوز ويتزودوا للأسفار<sup>(٢)</sup>، فعجّل الله إجابتهم. وقرئ ﴿بَاعَدْ﴾ بفتح العين على الخبر، والمعنى: أنهم قالوا: إن الله باعد بين قراهم، وذلك كذبٌ وجحد للنعم.

﴿وَوَلَّيْنَاهُمَا أَنْفُسَهُمَا﴾ يعني: بقولهم: ﴿بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، أو بذنوبهم على الإطلاق. ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فرقناهم في البلاد، حتى ضرب المثل بفرقتهم، فقيل: «تفرقوا أيدي<sup>(٣)</sup> سبأ». وفي الحديث: «إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة»<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي: وجد ظنه فيهم صادقاً، يعني: قوله: ﴿لَا غُورِيَّتَهُمْ﴾ [ص: ٨١]، وقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦].



(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر: ﴿بَعْدْ﴾ بالتشديد، وقرأ الباقون من السبعة ﴿بَاعِدْ﴾ بالالف والتخفيف، وقرأ يعقوب الحضرمي: ﴿رَبُّنَا﴾ بالرفع ﴿بَاعَدْ﴾ بالالف وفتح العين والداال على الخبر.

(٢) في د: «الأسفارهم».

(٣) في د: «أيادي»، والمثل ورد بالوجهين كما قال في المحرر الوجيز (٧/ ١٨٠).

(٤) تقدم تخريجه قريباً.



قُلْ اَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ  
وَمَا لَهُمْ بِهِمَا مِنْ شِرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿١١﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ  
لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنِ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾  
\* قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُم لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ  
مُّبِينٍ ﴿١٣﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَمَّا آجُرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ  
يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿١٥﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ  
هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ  
لَّا تَسْتَخِيرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَفِيدُونَ ﴿١٩﴾

﴿١١﴾ قُلْ اَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ﴾ تعجيزٌ للمشركين وإقامة حجة عليهم. ويعني بـ ﴿الَّذِينَ رَزَعْتُمْ﴾: آلهم. ومفعول ﴿رَزَعْتُمْ﴾ محذوف، أي: زعمتهم أنهم آلهة، أو زعمتهم أنهم شفعاء. وروى أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشاً<sup>(١)</sup>.  
﴿مِنْ شِرْكِ﴾ أي: نصيب. والظهير: الموعين.

﴿١٢﴾ ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ المعنى: لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع؛ فإنه لا يشفع أحدٌ إلا بإذنه. وقيل: المعنى: لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه. والمراد: أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله، ففي ذلك ردٌّ على المشركين الذين كانوا يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنِ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية في الملائكة ﷺ؛ فإنهم<sup>(٢)</sup> إذا سمعوا الوحي إلى جبريل ﷺ يفزعون لذلك فزعاً عظيماً، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟﴾

(١) ذكره في المحرر الوجيز (١٨١/٧) ولم أقف عليه مسنداً، وفي تفسير مقاتل (٥٣٦/٢) وتفسير الثعلبي (٣٦٣/١٦) أن الآية التي نزلت بسبب الجوع الذي أصاب قريشاً هي آية الإسراء: ﴿قُلْ اَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَخْوِيلًا﴾، وليس آية سبأ هذه.  
(٢) في أ، ب، هـ: «أنهم».

فيقولون: «قال الحق»<sup>(١)</sup>. ومعنى «فَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ»: زال عنها الفزع. والضمير في «قُلُوبِهِمْ» وفي «قَالُوا»: للملائكة.

فإن قيل: كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكرُ يعود الضمير عليه؟ فالجواب: أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله: «وَلَا تَنْبَغُ الشَّيْءُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ»؛ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة، ويقولون: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله»، فذكرُ الشفاعة يقتضي ذكرُ الشافعين، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دلَّ عليهم لفظ الشفاعة.

فإن قيل: بم اتصل قوله: «حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ»، ولأي شيء وقعت «حَتَّى» غاية؟ فالجواب: أنه اتصل بما فهم من الكلام؛ من أنْ تَمَّ انتظارا للإذن، وفزعاً وتوقفاً حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويقرب هذا في المعنى من قوله: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَبًا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ» [النبا: ٣٨].

ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها، فاضطربوا فيها، حتى قال بعضهم: هي في الكفار بعد الموت، ومعنى «فَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ»: رأوا الحقيقة، فقبل لهم: «مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» فيقولون: «قال الحق»، فيقرُّون حين لا ينفعهم الإقرار.

والصحيح: أنها في الملائكة؛ لورود ذلك في الحديث، ولأن القصد الردُّ على الكفار الذين عبدوا الملائكة، بذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ سؤالٌ قُصِدَ به: إقامة الحجة على المشركين. ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ جوابٌ عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، فلذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة.

﴿وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذه ملاطفة وتنزُّلٌ في المجادلة إلى غاية الإنصاف، كقولك: «الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل»، ولا تُعَيَّن بالتصريح أحدهما، ولكن تُنبِّه الخصم على النظر؛ حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل.

والمقصود من الآية: أن المؤمنين على هدى، وأن الكفار في ضلال مبين.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠١) عن أبي هريرة ؓ.

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ إخبارٌ يقتضي مسالمة نسخها السيف.

﴿يَبْفَتْحُ بَيْنَنَا﴾ أي: يحكم، و﴿الْفَتْاحُ﴾: الحاكم.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ إقامة حجة على المشركين. والرؤية هنا رؤية قلب، ف﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعولٌ ثالث، والمعنى: أروني بالدليل والحجة من هم له شركاء عندكم كيف<sup>(١)</sup> وجه الشُّركة؟ وقيل: هي رؤية بصر، و﴿شُرَكَاءَ﴾ حال من المفعول في ﴿أَلْحَقْتُمْ﴾؛ كأنه قال: أين الذين تعبدون من دونه؟ وفي قوله: ﴿أَرُونِي﴾ تحقيرٌ للشركاء وازدراءٌ بهم، وتعجيزٌ للمشركين. وفي قوله: ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عن الإشراك. وفي وصف الله بالعزیز الحكيم ردٌّ عليهم؛ لأن شركاءهم ليسوا كذلك.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ المعنى: أن الله أرسل محمداً ﷺ إلى جميع الناس، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء. وإعراب ﴿كَافَّةً﴾: حالٌ من «الناس»، قُدِّمت للاهتمام، هكذا قال ابن عطية<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: ذلك خطأ؛ لأن تقدُّم حال المجرور عليه لا يجوز، وتقديره عنده: وما أرسلناك إِلَّا رسالةً عامة للناس<sup>(٣)</sup>، ف﴿كَافَّةً﴾ صفةٌ للمصدر المحذوف.

وقال الزجاج: المعنى: أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والتبشير<sup>(٤)</sup>، فجعله حالاً من الكاف، والتاء على هذا: للمبالغة، كالتاء في «راوية» و«علامة».

﴿قُلْ لَّكُمْ مِّيعَادٌ يَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة، أو: نزول العذاب بهم في الدنيا. وهو الذي سألوها عنه على وجه الاستخفاف فقالوا: ﴿مَتْبَى هَذَا الْوَعْدِ﴾.



(١) في د: «وكيف».

(٢) المحرر الوجيز (١٨٦/٧).

(٣) الكشف (٥٥٦/١٢) - (٥٦٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (٢٥٤/٤).

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُؤْمِنَ بِهِدَا الْفُرْعَانِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْضُوعُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنْتُمْ صَدَدْتُمْ عَنْ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَامُرَوْنَنَا أَنْ تَكْفُرَ بِاللَّهِ وَتَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آغَاثِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ فَلِئِنْ رَأَيْتُمُ النَّارَ تُرْزَقُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَفْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هي: الكتب المتقدمة، كالطوراة والإنجيل. وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ. وقيل: الذي بين يديه: يوم القيامة، وهذا خطأ وعكس؛ لأن الذي بين يدي الشيء هو ما يتقدم عليه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ جواب «لو» محذوف، تقديره: لرأيت أمراً عظيماً.

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ أي: يتكلمون ويُجيب بعضهم بعضاً.

﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ أي: كفرتم باختياركم، لا بأمرنا.

﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ المعنى: أن المستضعفين قالوا للمستكبرين: بل مكرّم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا، فإعراب «مَكْرُ»: مبتدأ وخبره محذوف، أو خبر ابتداء مضمّر. وأضاف «مَكْرُ» إلى «اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» على وجه الاتّساع<sup>(١)</sup>.

ويحتمل أن يكون أضافه إلى المفعول، أو إلى الفاعل على وجه المجاز، كقولهم: «نهاره صائم، وليله قائم»، أي: يُصام فيه ويُقام. ودلّت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار.

(١) بإجرائه مجرى المفعول به، وإضافة المكر إليه. الكشاف (١٢/ ٥٦٤).

فإن قيل: لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين كفروا؟  
 فالجواب: أنه قد تقدّم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك، فعطف عليه كلامهم الثاني،  
 ولم يتقدّم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه.  
 ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها، فهو من الأضداد. والضمير  
 يجمع <sup>(١)</sup> المستضعفين والمستكبرين.  
 ﴿مُتَرَفِّهًا﴾ يعني: أهل الغنى والتنعّم في الدنيا، وهم الذين يبادرون إلى تكذيب  
 الأنبياء. والقصد بالآية: تسليّة النبي ﷺ عن تكذيب أكابر قريش له.  
 ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ الضمير: لقريش، أو للمترفّفين المتقدّمين. قاسوا أمر  
 الآخرة على الدنيا، وظنّوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذبهم في  
 الآخرة.  
 ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبارٌ يتضمّن الردّ عليهم بأن <sup>(٢)</sup> بسط الرزق  
 وقبضه في الدنيا معلق بمشيئة الله، فقد يوسّع الله على الكافر والعاصي، ويضيّق على  
 المؤمن والمطيع، وبالعكس؛ فليس في الدنيا <sup>(٣)</sup> دليل على أمر الآخرة.



(١) في أ، هـ: «الجميع».

(٢) في أ، ب، هـ: «فإن».

(٣) في أ، ب، هـ: «ذلك».

\* وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّذِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْهَىٰ إِلَّا مَنَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
 قَاتِلِينَ لَكُمْ جَزَاءَ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُبَاتِ آمِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا  
 مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ  
 وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٦﴾ وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ  
 نَقُولُ لِلْمَلَكِكَةِ أَهْؤُلَاءِ آيَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ  
 كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٨﴾ قَالَتِ يَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا  
 ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا تُثْلَىٰ عَلَيْهِمْ  
 آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا  
 هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٨٠﴾ وَمَا  
 آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٨١﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ  
 قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٨٢﴾

﴿زُلْهَى﴾ مصدر بمعنى القرب، كأنه قال: تقربكم قُرْبَى.

﴿إِلَّا مَنَ آمَنَ﴾ استثناء من المفعول في ﴿تُقَرَّبُكُمْ﴾، والمعنى: أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله. وقيل: الاستثناء منقطع، والأول أحسن.

﴿جَزَاءَ الضَّعِيفِ﴾ يعني: تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك.

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ الآية؛ كُرِّرَتْ هنا لاختلاف القصد، فإن القصد بالأول: ردُّ على الكفار، والقصد هنا: ترغيب للمؤمنين<sup>(١)</sup> بالإنفاق.

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ الخلف قد يكون بالمال، أو بالثواب.

﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم، وليس في ذلك نفى لعبادتهم لهم.

(١) في ج: «المؤمنين».

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ عبادتهم للجن: طاعتهم لهم في الكفر والعصيان. وقيل: كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيُعبدون بعبادتها. ويحتمل أن يكون قومٌ قد عبدوا الجن؛ لقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الآية؛ معناها يحتمل وجهين:

أحدهما: ليس عندهم كتبٌ تدلُّ على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذيرٌ يشهد بما قالوه، فأقوالهم باطلة؛ إذ لا حجة لهم عليها، فالقصد على هذا: ردُّ عليهم.

والآخر: أنهم ليس عندهم كتب، ولا جاءهم نذير، فهم محتاجون إلى من يعلمهم ويُنذرهم؛ فلذلك بعث الله إليهم محمداً ﷺ، فالقصد على هذا: إثبات نبوة محمد ﷺ.

﴿وَمَا بَلَغُوا مِغْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ﴾ المِغْشَار: العُشر، وقيل: عشر العشر، والأول أصح. والضمير في ﴿بَلَغُوا﴾: لكفار قريش، وفي ﴿آتَيْنَهُمْ﴾: للكفار المتقدمين؛ أي: إن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين<sup>(١)</sup> من القوة والأموال. وقيل: الضمير في ﴿بَلَغُوا﴾: للمتقدمين، وفي ﴿آتَيْنَهُمْ﴾: لقريش؛ أي: ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة. والأول أصح، وهو نظير قوله: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم: ٨].

﴿بَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ أي: إنكاري، يعني: عقوبة الكفار المتقدمين، وفي ذلك تهديدٌ لقريش.



(١) في ج، د: «للمتقدمين».

\* قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفِرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنْ رَأَيْتُمْ يُفْذِلُ بِالْحَقِّ عَلَّمَ الْغُيُوبِ ﴿٥٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٥٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ بِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنبَأَ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٦٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَفْذِبُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٦٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٦٤﴾

﴿٦١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴿٦١﴾ أي: بقضية واحدة؛ تقريباً عليكم.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ هذا تفسير القضية الواحدة، ف﴿أَنْ تَقُومُوا﴾: بدّل، أو عطف بيان، أو خبر ابتداء مضمّر. ومعناه: أن تقوموا للنظر في أمر محمد ﷺ قياماً خالصاً لله تعالى، ليس فيه اتباع هوئى ولا ميل. وليس المراد بالقيام هنا: القيام على الرجلين؛ وإنما المراد: القيام بالأمر والجد فيه.

﴿مَثْنَى وَفِرَادَى﴾ حال من الضمير في ﴿تَقُومُوا﴾، والمعنى: أن تقوموا اثنين اثنين؛ للمناظرة في الأمر وطلب التحقيق، وتقوموا واحداً واحداً؛ لإحضار الذهن واستجماع الفكرة، ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ فتعلموا أنه ما به من جنة؛ لأنه جاء بالحق الواضح، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ومثانة علمه، وأنه بلغ في الحكمة مبلغاً عظيماً، فبدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفتر على الله.

﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ متصل بما قبله على الأصح؛ أي: تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة، وقيل: هو استئناف.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه: «إن أعطيتني شيئاً فخذ»، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً، ولكنه يريد البراءة من عطائه، فكذلك معنى هذا، فهو كقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧، ص: ٨٤].



﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَفْذِفُ بِالْحَقِّ الْقَذْفَ: الرمي، ويستعار للإلقاء، فالمعنى: يلقي الحق إلى أنبيائه، أو يرمي الباطل بالحق فيذهب.﴾

﴿عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾ خبر ابتداء مضمر، أو بدل: من الضمير في ﴿يَفْذِفُ﴾، أو من اسم ﴿إِنَّ﴾ على الموضع.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني: الإسلام.

﴿وَمَا يَنْدِيءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ الباطل: الكفر، ونفي الإبداء والإعادة عبارة عن أنه لا يفعل شيئاً ولا يكون له ظهور، أو عبارة عن ذهابه، كقوله: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]. وقيل: الباطل: الشيطان.

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني: قربته تعالى بعلمه وإحاطته<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَرْغَاوُاْ﴾ جواب «لو» محذوف، تقديره: «لرأيت أمراً عظيماً». ومعنى ﴿يَرْغَاوُاْ﴾: أسرعوا الهروب<sup>(٢)</sup>، والفعل ماضٍ بمعنى الاستقبال، وكذلك ما بعده من الأفعال. ووقت الفرع: البعث، وقيل: الموت، وقيل: يوم بدر.

﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ أي: لا يفتوتون الله إذا هربوا.

﴿وَاخْذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني: من الموقف إلى النار إذا بُعثوا، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا، أو من أرض بدر إلى القلب. والمراد على كل قول: سرعة أخذهم.

﴿وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾ أي: قالوا ذلك عند أخذهم. والضمير المجرور: لله تعالى، أو للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام.

(١) [التعليق ٨٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف ﷺ: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠] يعني: قُرْبُهُ تعالى بعلمه وإحاطته: أقول: قوله: ﴿قُرْبُهُ بعلمه وإحاطته﴾؛ معناه: إثبات القُرْبِ العام؛ كالمعية العامة المقتضية للعلم، فيؤول المعنى إلى: أنه تعالى قريب من كل أحد، ومن كل شيء، كما أنه مع كل أحد، بعلمه وإحاطته. وهذا الذي ذهب إليه المؤلف من إثبات القُرْبِ العام الراجع إلى العلم، هو المناسب لمذهب الأشاعرة؛ فإنهم لا يثبتون لله قُرْباً خاصاً من بعض العباد؛ كالملائكة الذين عنده؛ فليس أحد من العباد أقرب إليه من بعض؛ وذلك لقولهم: «إنه تعالى في كل مكان»؛ كما تقدم ذكر ذلك عنهم، وسبق التعليق عليه عند كلام المؤلف على قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَمْلِكُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، والله أعلم.

(٢) في أ، هـ: «إلى الهروب».

﴿وَأَتَى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ التناوش - بالواو -<sup>(١)</sup>: التناول، إلا أن التناوش تناوُل سهلٍ لشيء قريب. وقرئ بهمز الواو، فيحتمل أن يكون المعنى واحداً، أو يكون المهموز بمعنى الطلب<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: استبعاد وصولهم إلى مرادهم.

والمكان البعيد: عبارة عن تعذر مقصودهم؛ فإنهم يطلبون ما لا يكون، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون، وهو رجوعهم إلى الدنيا، أو<sup>(٣)</sup> انتفاعهم بالإيمان حينئذ.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه في قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾.

﴿وَيَفْزَبُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿يَفْزَبُونَ﴾ فعل ماضٍ في المعنى، معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾. ومعناه: أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار، ويقولون في الرسول ﷺ: إنه ساحر أو شاعر. والمكان البعيد هنا: عبارة عن بطلان ظنونهم، وبُعد أقوالهم عن الحق.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: حيل بينهم وبين دخول الجنة، وقيل: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ، وقيل: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّنْ قَبْلَ﴾ يعني: الكفار المتقدمين، وجعلهم أشياعهم؛ لاتفاقهم في مذاهبهم. و ﴿مِمَّنْ قَبْلَ﴾ يحتمل أن يتعلق بـ ﴿فُعِلَ﴾، أو بـ ﴿أَشْيَاعِهِمْ﴾، على حسب معنى ما قبله<sup>(٤)</sup>.

﴿فِي شَكٍّ مَّرِيبٍ﴾ هو أقوى الشك وأشدّه إظلاماً<sup>(٥)</sup>.



(١) قرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي وشعبة عن عاصم بهمز الواو، وقرأ الباقر بالواو المحضة.

(٢) تقول: تنافشتُ الشيء: إذا طلبته من بعيد. المحرر الوجيز (٧/ ١٩٧-١٩٨).

(٣) في ج، د: «أو».

(٤) أي: على حسب الاختلاف في وقت الفزع، هل هو يوم القيامة فيتعلق بـ ﴿أَشْيَاعِهِمْ﴾، أو هو يوم بدر فيتعلق بـ ﴿فُعِلَ﴾. المحرر الوجيز (٧/ ١٩٩).

(٥) في ج، د: «ظلاماً».

## سورة قاطر

الْحَمْدُ لِلَّهِ قَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنِي وَثَلَاثَ وَرَبِّعَ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِيَّ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ذِكْرًا نِعَمَتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بَاتِي تَوَكُّونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

- ﴿١﴾ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴿١﴾ أي: وسائط بين الله وبين الأنبياء، ومتصرفين في أمر الله. ﴿مَّثْنِي وَثَلَاثَ وَرَبِّعَ﴾ صفات لـ ﴿أَجْنِحَةٍ﴾، ولم ينصرف للعدل والوصف. والمعنى: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة. ﴿زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قيل: يعني: حُسن الصوت، وقيل: حسن الوجه، وقيل: حسن الخط. والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة، أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين. ﴿٢﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴿٢﴾ الفتح: عبارة عن العطاء<sup>(١)</sup>، والإمساك: عبارة عن المنع. والإرسال: الإطلاق بعد المنع. والرحمة: كل ما يمنُّ الله به على عباده من خير الدنيا والآخرة. فمعنى الآية: لا مانع لما أعطى الله، ولا مُعطي لما منع الله.

(١) في د: «الإعطاء».

فإن قيل: لم أنت الضمير في قوله: ﴿بَلَا مُنْسِكَ لَهَا﴾ وذكره في قوله: ﴿بَلَا مُزِيلَ لَهُ﴾ وكلاهما يعود على ﴿مَا﴾ الشرطية؟

فالجواب: أنه لما فسر الأول بقوله: ﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ أنه؛ لتأنيث الرحمة، وترك الآخر على الأصل من التذكير.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد إمساكه.

﴿هَلْ مِنْ خَلِيٍّ غَيْرَ اللَّهِ﴾ رفع ﴿غَيْرَ﴾<sup>(١)</sup>: على الصفة لـ ﴿خَلِيٍّ﴾ على الموضع، وخفضه: صفة على اللفظ. ورزق السماء: المطر، ورزق الأرض: النبات. والمعنى: تذكير بنعم الله، وإقامة حجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ﴾ الآية؛ تسلية للنبي ﷺ عن تكذيب قومه له، كأنه يقول: إن يكذبوك<sup>(٢)</sup> فلا تحزن لذلك؛ فإن الله سينصرك عليهم، كما كذبت رسل من قبلك فنصرهم الله.

﴿الْفُرُوزَ﴾: الشيطان، وقيل: التسويف.



(١) قرأ حمزة والكسائي بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع.

(٢) في أ، هـ: «كذبوك».

\* أَقَمَسَ زَيْنَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ، فَبَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا يَسْفُتْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٦﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَنْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ اجْحَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ بَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴿١٠﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْتَبِهُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١١﴾

﴿٥﴾ أَقَمَسَ زَيْنَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ: توقيف، وجوابه محذوف، تقديره: «أفمن زَيْنَ له سوء عمله كمن لم يُزَيْنَ له؟»، ثم بنى على ذلك ما بعده. فالذي زَيْنَ له سوء عمله: هو الذي أضله الله، والذي لم يُزَيْنَ له سوء عمله: هو الذي هداه الله.

﴿٦﴾ وَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ: تسلية للنبي ﷺ عن حُزْنِهِ لِعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِيَدِ اللَّهِ.

﴿٧﴾ كَذَلِكَ النُّشُورُ: أي الحشر، والمعنى: كما يُحيي الله الأرض بالنبات كذلك يحيي الموتى.

﴿٨﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ: الآية؛ تَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ:

أحدها - وهو الأظهر -: من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله؛ فإن العزة كلها لله.

والثاني: من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فلله العزة جميعًا، فالمغالِبُ له مغلوب.

والثالث: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعًا.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قيل: يعني: لا إله إلا الله، واللفظ يعمُّ ذلك وغيره من الذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، وتعليم العلم، فالعموم أولى.

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ضمير الفاعل في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ الله، وضمير المفعول: للعمل الصالح، فالمعنى: أن الله يرفع العمل الصالح؛ أي: يتقبَّله ويُثيب عليه.

والثاني: أن ضمير الفاعل: للكلم الطيب، وضمير المفعول: للعمل الصالح، والمعنى على هذا: أنه لا يُقبل عملٌ صالح إلا ممن له كلمٌ طيب. وهذا يصح إن قلنا: إن الكلم الطيب: «لا إله إلا الله»؛ لأنه لا يُقبل العمل إلا من موحد.

والثالث: أن ضمير الفاعل: للعمل الصالح، وضمير المفعول: للكلم الطيب، والمعنى على هذا: أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب، فلا يُقبل الكلم إلا ممن له عمل صالح.

روي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنه <sup>(١)</sup>، واستبعده ابن عطية <sup>(٢)</sup>، وقال: لم يصح عنه؛ لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبَّل من كل مسلم، قال: وقد يستقيم بأن يُتأوَّل: أنه يزيد في رفعه وحسن موقعه <sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٣٣٩/١٩) من طريق علي بن أبي طلحة عنه رضي الله عنه.

(٢) المحرر الوجيز (٢٠٦/٧).

(٣) [التعليق ٩٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «فيه ثلاثة أقوال»، قال: «والثالث: أن ضمير الفاعل - أي: لفعل يرفع - للعمل الصالح، وضمير المفعول للكلم الطيب»، وهذا الذي شرحه المؤلف هو قول جمهور المفسرين، وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، كما ذكره المؤلف، وذكر أن موجب هذا أن الكلم الطيب لا يُقبل إلا ممن له عمل صالح، ونقل الاعتراض عليه عن ابن عطية؛ وعبارة ابن عطية في هذا: «هذا قول يردّه معتقد أهل الحق والسنة، ولا يصح عن ابن عباس رضي الله عنه، والحق أن العاصي التارك للفرائض إذا ذكر الله تعالى وقال كلاماً طيباً؛ فإنه مكتوب له متقبل منه، وله حسناته وعليه سيئاته» اهـ وما قاله ابن عطية من معتقد أهل السنة أن الله يقبل العمل الصالح من العبد صحيح، ولكن في وروده على التفسير المشهور للآية نظراً؛ فإله يقبل عمل العبد وإن كان عاصياً ما اتقى الشرك، واتقى الله في عمله المعين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢٧)، وذكر المؤلف القولين الآخرين؛ أحدهما: أن ضمير الفاعل يعود إلى الله، فهو سبحانه الذي يرفع العمل الصالح ويقبله، والثاني: أن ضمير الفاعل يعود إلى الكلم، أي: الكلم يرفع العمل الصالح، وهذا القولان ضعيفان؛ إذ مقتضاهما نصب العمل على الاشتغال، وهذا لم يُقرأ به إلا في بعض القراءات الشاذة، =

﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ لا يتمدئ «مكر»، فتأويله: «يمكرون المكرات السيئات»، فتكون «السَّيِّئَاتِ» مصدرًا. أو تضمَّن<sup>(١)</sup> «يَمْكُرُونَ» معنى: يكتسبون، فتكون «السَّيِّئَاتِ» مفعولًا. والإشارة هنا: إلى مكر قريش برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة، وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يُخرجوه.

﴿وَمَكْرُؤُكُم بِئُورٌ﴾ البوار: الهلاك أو<sup>(٢)</sup> الكساد، ومعناه هنا: أن مكْرهم يَبْطُل ولا ينفعهم.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافًا، وقيل: ذُكرنا وإناثًا، وهذا أظهر.

﴿وَمَا يَعْمرُ من مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ من عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ التعمير: طول العمر، والنقص: قصره، والكتاب: اللوح المحفوظ. فإن قيل: إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد، فكيف أعاد الضمير في قوله: ﴿وَلَا يَنْقُصُ من عُمرِهِ﴾ على الشخص المعمَّر؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول - وهو الصحيح -: أن المعنى: ما يعمَّر من أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، فوضع «من مَّعْمَرٍ» في موضع: «من أحدٍ»، وليس المراد شخصًا واحدًا، وإنما ذلك كقولك: «لا يعاقب الله عبدًا ولا يُثيبه إلا بحق».

والثاني: أن المعنى: لا يُزاد في عمر إنسان ولا يُنقص من عمره إلا في كتاب، وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانًا إن تصدَّق فعمره ستون سنة، وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر»<sup>(٣)</sup>، إلا أن ذلك

= وبهذا يترجَّح القول الأول المروي عن السلف عن ابن عباس وغيره، ويدفع عنه الاعتراض الذي أورده ابن عطية أن أجل العمل الصالح الإيمان، كما في الصحيحين أن النبي ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله» [أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣)] عن أبي هريرة ؓ، ومعلوم أن من لا إيمان له لا يرتفع له عمل؛ فالإيمان شرط قبول العمل، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧]، فالإيمان بالله ورسوله أجل عمل يرتفع به الكلم الطيب وغيره من كل عمل صالح.

(١) في أ، هـ: «يُضمَّن».

(٢) في د: «أو».

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس ؓ بلفظ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه».

مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين، وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعبٌ حين طعن عمر عليه السلام: «لو دعا الله لزاد في أجله»، فأنكر الناس ذلك عليه، فاحتجَّ بهذه الآية <sup>(١)</sup>.

والثالث: أن التعمير هو: كُتِبَ ما يُستقبل من العمر، والنقص هو: كُتِبَ ما مضى منه في اللوح المحفوظ، وذلك في حق كل شخص <sup>(٢)</sup>.

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٥١): «رواه إسحاق بن راهويه في مسنده: أخبرنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، قال: قال كعب...»، ورواه أيضًا عن عبد الرزاق معمر بن راشد كما في جامعه الملقح بالمصنف (١١/ ٢٢٤)، ورواه أيضًا الفريابي في كتاب القدر (ص: ٢٨١) عن عباس العنبري عن عبد الرزاق.

(٢) [التعليق ٩١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف عليه السلام في الوجه الثاني من وجوه مرجع الضمير في قوله: «وَمَا يَمُتُّ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمُرِهِ»: إنَّ المراد: مَنْ يُعَمَّرُ بسبب؛ كالصَّدَقَةِ، أو يُنْقَضُ مِنْ عُمُرِهِ؛ لعدم ذلك؛ فَمَنْ تَصَدَّقَ أو وَصَلَ رَحِمَةً، زِيدَ في عمره، بخلاف مَنْ ليس كذلك، واعتَرَضَ عليه السلام على هذا الوجه: بأنه يوافق قول المعتزلة القائلين بالأجلين، وأنه خلاف قول الأشاعرة. ولا شك: أنَّ قول المعتزلة بأنَّ للإنسان أَجَلَيْنِ مكتوبين؛ أحدهما: معلق على سبب، وهذا السبب غير معلوم لله، وغير مكتوب. ولا ريب أنَّ هذا القول باطل.

وأهل السنة يقولون بما دلَّت عليه السنة؛ بأنَّ طول العمر قد يكون بسبب من قَبْل العبد؛ كالبرِّ والصلة؛ فَمَنْ عُمِّرَ بهذا السبب، فالسبب والمسبب قد سبقَ بهما علمُ الله وكتابه؛ بمعنى: أنَّ الله قد عَلِمَ وكتبَ أنَّ هذا يطولُ عمره بذلك السبب، ويَعْلَمُ سبحانه أنه لو لم يكن منه ذلك السبب، لكان عمره دون ذلك؛ فهما - عند أهل السنة - أَجَلَانِ:

أَجَلٌ معلومٌ مكتوبٌ هو وسببه؛ فلا يَقَعُ سواه.

وأَجَلٌ معلومٌ أنه لا يَقَعُ لعدم وقوع سببه؛ فهو غير مكتوب.

فَعِلْمُ الله شاملٌ لما كان وما يكون، وما لا يكون، لو كان كيف يكون.

وبذلك يُعْلَمُ: أنه لا تغيُّر في علم الله، ولا في كتابه، ويمتنع أن يحدث ما يُوجِبُ ذلك؛ أي: التغيُّر في علم الله وكتابه.

وأما المعتزلة: فقولهم بالأجلين، معناه - على ما ذكره عنهم أبو منصور الماتريدي في تفسيره [المسمى بـ «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٩١)] - أنَّ الله تعالى يَجْعَلُ لكلِّ أحدٍ أَجَلَيْنِ، فإذا وَصَلَ رَحِمَةً، أماته في أبعَد الأجلين، وإذا لم يصل، جعل أَجَلَهُ الأوَّلَ. قال أبو منصور متعقبًا: «فهذا أمرٌ مَنْ يَجْهَلُ العواقب، فأما مَنْ كان عالمًا بالعواقب، فلا؛ لأنَّه بُدِّوْا ورجوعٌ عمَّا تقدَّم من الأمر». اهـ.

ومن فروع قول المعتزلة: أنَّ أفعال العباد غير مخلوقة لهم ولا مقدَّرة، ومن فروع ذلك: أنَّ المقتول مقطوعٌ عليه أَجَلُهُ.

وأهل السنة يقولون: إنَّ المقتول ميّتٌ بأجله.



﴿وَمَا يَسْتَوِ الْبَحْرَيْنِ﴾ قد فسرنا البحرين والفرات والأجاج في «الفرقان»<sup>(١)</sup>، و﴿سَاءَ﴾ في «النحل»<sup>(٢)</sup>. والقصد بالآية: التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده. وقال الزمخشري: المعنى: أن الله ضرب البحرين المِلْحَ والعذب مثليين للمؤمن والكافر<sup>(٣)</sup>، وهذا بعيد.

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: الحوت.

﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الجوهر والمرجان. فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلا من البحر المِلْح دون العذب؛ فكيف قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ أي: من كل واحد منهما؟  
فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ذلك تجوُّز في العبارة، كما قال: ﴿يَمْعَشَرُ أَلْجِحَ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣١] والرسول إنما هي من الإنس.

الثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر المِلْح حيث تنصبُّ أنهار الماء العذب، أو ينزل المطر، فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصبُّ<sup>(٤)</sup> في البحر المِلْح: كان الإخراج منهما جميعاً.

الثالث: زعم قوم أنه قد يخرج اللؤلؤ والمرجان من المِلْح والعذب، وهذا قول يُبطله الحسُّ.

﴿مَوَاحِشَ﴾ ذكر في «النحل»<sup>(٥)</sup>.

﴿يُولِجُ﴾ ذكر في «لقمان»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (٥٣).

(٢) انظر تفسير الآية (٦٦).

(٣) الكشف (١٢/٦٢٥).

(٤) في ج، د: «تنصبُّ».

(٥) انظر تفسير الآية (١٤).

(٦) انظر تفسير الآية (٢٩).

﴿فَظْمِيرٌ﴾ هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر، والمعنى: أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف أكثرها؟

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: بإشراككم، فالمصدر مضاف للفاعل. وكُفِرَ الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون: بكلام يخلقه الله عندها، أو بقرينة الحال.

﴿وَلَا يَنْبِيئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مُخْبِرٌ مثل مخبرٍ عالمٍ به، يعني: نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدتهم.



\* يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٢﴾ وَمَا ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٣﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَنْبِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿٥﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكْنِي فَإِنَّمَا يَتَرَكَنِي لِتَفْسِيهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿٧﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٨﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْخُرُورُ ﴿٩﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿١٠﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿١٢﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۖ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٣﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَيْفٍ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٤﴾

﴿١﴾ «أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ» خطابٌ لجميع الناس، وإنما عرّف «الْفُقَرَاءَ» بالألف واللام؛ ليدلّ على اختصاص الفقر بجنس الناس، وإن كان غيرهم فقراء، ولكن فقر<sup>(١)</sup> الناس أعظم، ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر. ووضّفه بأنه الحميد؛ ليدلّ على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده. «وَلَا تَزِرُ» ذكر في «سبحان»<sup>(٢)</sup>.

﴿٢﴾ «وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَنْبِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ» الحمل: عبارة عن الذنوب. والمثقلة: الثّقلية الحمل؛ أي: النفس الكثيرة الذنوب. والمعنى: أنها لو دعت أحداً إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها. وحذف مفعول «إِنْ تَدْعُ»؛ لدلالة المعنى، وقصد العموم. وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ».

«وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ» المعنى: ولو كان المدعو ذا قربي ممن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل عنه شيئاً؛ لأن كل أحد يقول: نفسي نفسي.

«إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم» المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى: اختصاصهم بالإنذار.

(١) في ج، د: «فقراء».

(٢) انظر تفسير الآية (١٥).

﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في ﴿يَخْشَوْنَ﴾؛ أي: يخشون ربهم، وهم غائبون عن عذابه، أو غائبون عن الناس، فخشيتهم حق لا رياء.

﴿وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ تمثيل للكافر والمؤمن.

﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ تمثيل للكفر والإيمان.

﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ تمثيل للثواب والعقاب. وقيل: ﴿الظِّلُّ﴾: الجنة، و﴿الْحَرُورُ﴾: النار. (والحرور في اللغة: شدة الحر بالنهار والليل، والسَّمُوم: بالنهار خاصة) (١).

﴿وَمَا يَسْتَوِ الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ تمثيل لمن آمن فهو كالحي، ومن لم يؤمن فهو كالميت.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ عبارة عن هداية الله لمن يشاء.

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ عبارة عن عدم سمع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبَّههم بالموتى في عدم إحساسهم. وقيل: المعنى: أن أهل القبور - وهم الموتى حقيقة - لا يسمعون، فليس عليك أن تُسمعهم، وإنما بعثت إلى الأحياء. وقد استدلت عائشة رضي الله عنها بالآية على أن الموتى لا يسمعون، وأنكرت ما ورد من خطاب النبي ﷺ لقتلى بدر حين جُعِلُوا فِي الْقَلْبِ (٢). ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث: بأن الموتى في القبور إذا رُدَّتْ إِلَيْهِمْ أرواحهم سمعوا، وإن لم تردَّ إلى أجسادهم لم يسمعوا.

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ معناه: أن الله قد بعث إلى كل أمة نبياً يقيم عليهم الحجة. فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة؟ ألا ترى أن بين عيسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم ست مئة سنة لم يبعث فيها نبي؟ فالجواب: أن دعوة عيسى عليه السلام ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة.

(١) سقط من أ، ب، هـ.

(٢) أخرج البخاري (٣٩٧٨)، ومسلم (٩٣٢) عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ذكر عند عائشة، أن ابن عمر يرفع إلى النبي ﷺ: «إن الميت يُعَذَّب في قبره ببكاء أهله عليه» فقالت: وهل [أي: غلط]، إنما قال رسول الله ﷺ: «إنه ليعذب بخطيئته أو بدنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن» وذاك مثل قوله: «إن رسول الله ﷺ قام على القلب يوم بدر، وفيه قتلى بدر من المشركين، فقال لهم ما قال: «إنهم ليسمعون ما أقول» وقد وهل، إنما قال: «إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق» ثم قرأت: «إنك لا تسمع الموتى..»، «وما أنت بمسمع من في القبور» بقول: حين نبؤوا مقاعدهم من النار.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أْتَيْتَهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [السجدة: ٢]؟

فالجواب: أنهم لم يأتهم نذيرٌ معاصر لهم، فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم، وأيضاً فإن المراد بقوله: ﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أن نبوة محمد ﷺ ليست ببذع، فلا ينبغي أن تُنكر؛ لأن الله أرسله كما أرسل من قبله، والمراد بقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أْتَيْتَهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أنهم محتاجون إلى الإنذار؛ لكونهم لم يتقدم من يُنذِرهم، فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَ﴾ الآية؛ تسليةً بالتأسي.

﴿نَكِيرَةً﴾ ذكر في «سبأ»<sup>(١)</sup>.



(١) انظر تفسير الآية (٤٥).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ  
 بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٥٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ  
 أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
 يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ  
 ﴿٥٨﴾ لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٥٩﴾ \* وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
 مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا  
 الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ  
 بِالْخَيْرَاتِ إِذْ قَالَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٦١﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ  
 أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٦٢﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ  
 إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٦٣﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا  
 يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُفْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ  
 عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ غَافِرٍ ﴿٦٥﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ  
 صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ  
 فَذُوقُوا بِمَا لِّلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٦٦﴾

﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا﴾ يريد: الصفرة والحمرة وغير ذلك من الألوان. وقيل: يريد  
 الأنواع، والأول أظهر؛ لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك. وفي الوجهين دليل على  
 أن الله تعالى فاعل مختار، يخلق ما يشاء ويختار. وفيه رد على الطبايعيين؛ لأن الطبيعة لا  
 يصدر عنها إلا نوع واحد.

﴿جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة، وهي الخطط والطرائق في الجبال.

﴿وَعَرَابِيبُ سُودٌ﴾ جمع غريب، وهو الشديد السواد. وقدم الوصف الأبلغ، وكان حقه أن  
 يتأخر؛ لقصد التأكيد، ولأن<sup>(١)</sup> ذلك كثيرا ما يأتي في كلام العرب.

(١) في أ، ب، هـ: «لأن» بدون واو.

﴿كَذَلِكَ﴾ يتعلّق بما قبله فيتمّ الوقف عليه، والمعنى: أن من الناس والدواب والأنعام مختلفاً<sup>(١)</sup> ألوانه، مثل الجبال المختلف ألوانها، والثمار المختلف ألوانها، وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يعني: العلماء بالله وصفاته وشرائعه علماً يوجب لهم الخشية من عذابه، وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية»<sup>(٢)</sup>؛ لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفه لم يخف منه؛ فلذلك خصّ العلماء بالخشية.

﴿لَا الَّذِينَ يَثْلَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: يقرأون القرآن، وقيل: معنى «يَثْلَوْنَ»: يتبعون، والأول أظهر. والخبر: «يَرْجُونَ تَجَرَّةً»، أو محذوف.

﴿لَنْ تَبُورَ﴾ أي: لن تكسُد، ويعني بالتجارة: طلب الثواب.

﴿لِيُؤْفِقَهُمُ الْفُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ توفية الأجور: هي ما يستحقّه المطيع من الثواب، والزيادة: التّضعيف فوق ذلك، وقيل: الزيادة: النظر إلى وجه الله.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٣)</sup>.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، والتّوريت: عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم.

﴿بِمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة رضي الله عنهم وأكثر المفسرين<sup>(٤)</sup>: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه: العاصي، والسابق: التقي<sup>(٥)</sup>، والمقتصد: بينهما. وقال الحسن: السابق: من

(١) في أ، ج، هـ: «مختلف».

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٣٩): «لم أجده هكذا، وفي الصحيح: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية».

(٣) انظر تفسير الآية (٤١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩ / ٣٦٧) وما بعدها.

(٥) في ج: «المتقي».

رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه: من رجحت سيئاته (على حسناته)<sup>(١)</sup>، والمقتصد: من استوت حسناته وسيئاته، وجميعهم يدخلون الجنة<sup>(٢)</sup>. وروى أن رسول الله ﷺ قال: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له»<sup>(٣)</sup>. وقيل: الظالم: الكافر، والمقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقي، فالضمير في «مِنْهُمْ» على هذا: يعود على العباد. وأما على القول الأول: فيعود على «الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا»، وهو أرجح وأصح؛ لوروده في الحديث، وجلالة القائلين به.

فإن قيل: لم قَدَّم الظالم ووسَّط المقتصد وآخر السابق؟

فالجواب: أنه قَدَّم الظالم لنفسه رفقا به؛ لثلا ييأس، وآخر السابق لثلا يُعَجَّب بنفسه. وقال الزمخشري: قَدَّم الظالم لكثرة الظالمين، وآخر السابق لقلّة السابقين<sup>(٤)</sup>. «ذَلِكَ هُوَ الْبَظْلُ الْكَبِيرُ» الإشارة إلى الاصطفاء.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من ﴿الْبَظْلُ﴾، أو خبر مبتدأ تقديره: «ثوابهم»<sup>(٥)</sup> جنات عدن، أو مبتدأ تقديره: «لهم جنات عدن».

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم، والمقتصد، والسابق، على القول بأن الآية في هذه الأمة. وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة. وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصة<sup>(٦)</sup>، وذلك على قول المعتزلة في الوعيد. «أَسَاوِرٌ» ذكر في «الحج»<sup>(٧)</sup>.

(١) زيادة من د، وهامش ب.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٩٩/٢٢).

(٣) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور (ص: ٦٠) من حديث عمر مرفوعاً، وضعف إسناده بانقطاعه، قال: «وروي من وجه آخر غير قوي، عن عمر موقوفاً عليه»، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٠٥/٢٢) عن عمر رضي الله عنه أيضاً مرفوعاً بإسناد ضعيف، فيه عمرو بن الحصين العقيلي، وهو متروك. انظر: تهذيب الكمال (٥٨٧/٢١).

(٤) الكشف (٦٥٩/١٢).

(٥) في د: «مواهم».

(٦) الكشف (٦٥٨/١٢).

(٧) بل ذكر في سورة الكهف في تفسير الآية (٣١).



﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ قيل: هو عذاب النار، وقيل: أهوال القيامة، وقيل: الموت، وقيل: هموم الدنيا.

والصواب: العموم في ذلك كله.

﴿دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ هي الجنة، و﴿الْمَقَامَةِ﴾: هي الإقامة في الموضع، وإنما سُميت الجنة دار المقامة؛ لأنهم يقيمون فيها، ولا يخرجون منها.

﴿نَصَبَ﴾ النصب: تعب البدن، واللُّغوب: تعب النفس اللازم عن تعب البدن.

﴿يَضْطَرِّحُونَ﴾ يفتعلون من الصُّراخ؛ أي: يستغيثون فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾. وفي قولهم: ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ اعتراف<sup>(١)</sup> بسوء عملهم وتندُّم عليه.

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ الآية؛ توبيخ لهم وحجة عليهم. وقيل إن مدة التذكير: ستون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: البلوغ، والأول أرجح؛ لقول رسول الله ﷺ: «من عمَّره الله ستين فقد أعذر إليه في العمر»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ يعني: النبي ﷺ، وقيل: يعني: الشيب؛ لأنه نذير بالموت، والأول أظهر<sup>(٣)</sup>.



(١) في أ، هـ: «اعترفهم».

(٢) أخرجه أحمد (٩٣٩٤)، والنسائي في الكبرى (١١٨٢٢)، وابن حبان (٢٩٧٩) عن أبي هريرة ؓ، وصححه ابن كثير في تفسيره (٥٥٥/٦) وأخرجه البخاري (٦٤١٩) عنه ؓ بلفظ: «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله، حتى بلغه ستين سنة».

(٣) في ب: «أرجح وأظهر».

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَنِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم خَلْقًا فِي الْأَرْضِ بَشَرًا كَفَرْتُمْ بِهِ عَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا حَسَارًا ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَادَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْوْنِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿١٠﴾ \* إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١١﴾ وَأَنفُسُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَيْسَ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّا يَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْخُدَىٰ الْأَمِّ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٢﴾ اِسْتَغْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ يَقُولُ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١٣﴾ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿١٤﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِیُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿١٥﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿١٦﴾

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما تُضمّره الصدور وتعتقده. قال الزمخشري: «ذات» هنا: تأنيث «ذو» بمعنى صاحب؛ لأن المضمّرات تصحب الصدور<sup>(١)</sup>.

﴿خَلِيفَ﴾ ذكر في «الأنعام»<sup>(٢)</sup>.

﴿مَفْتَأٌ﴾ المقت: احتقارك<sup>(٣)</sup> الإنسان وبغضه من أجل عيوبه أو ذنوبه.

﴿فَلْأَرَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ الآية؛ احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ ای: نصیب۔

(١) الكشاف (١٤/٦٦٥-٦٦٦).

(٢) انظر تفسير الآية (١٦٧).

(۳) في ج، د: «احتقار».

﴿عَلَىٰ بَيْتٍ﴾ أي: على أمر جلي. والضمير في ﴿اتَّيْنَهُمْ﴾ يحتمل أن يكون للأصنام، أو للمشركين، وهذا أظهر في المعنى، والأول أليق بما قبله من الضمائر.

﴿أَن تَزُولَا﴾ في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تزولا، أو مفعول به؛ لأن ﴿يُنْسِكُ﴾ بمعنى: يمنع.

﴿وَلَيْسَ زَالَتَا﴾ أي: لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد. وقيل: أراد: زوالهما يوم القيامة عند طي السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال.  
﴿مِّنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ترك<sup>(١)</sup> الإمساك.

﴿وَأَفْسَوْا بِاللَّهِ﴾ الضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى؛ جاءتهم الرسل فكذبوهم، والله لئن جاءنا رسول لنكوننَّ أهدى منهم.

﴿لَاخَذَى الْأُمَمُ﴾ يعني: اليهود والنصارى.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿إِسْنِكُبَارًا﴾ بدلٌ من ﴿نُبُورًا﴾، أو مفعولٌ من أجله.

﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف<sup>(٢)</sup>، كقولك: «مسجدُ الجامع»، و«جانبُ الغربي»، والأصل أن يقال: المكر السيئ.

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي: لا يُحِيط وبأل المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره. وقال كعب لابن عباس ؓ: إن في التوراة: «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها»، فقال ابن عباس ؓ: أنا أجد هذا<sup>(٣)</sup> في كتاب الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) في أ، ب، هـ: «تركه».

(٢) كذا وردت العبارة في جميع النسخ الخطية، والعبارة فيها قلبٌ، ولعل صوابها: «من إضافة الموصوف إلى الصفة»، كذا قال مكِّي في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٩٦)، فالموصوف -وهو «مَكْرٌ»- أضيف إلى صفته -وهي «السيئ»- وليس العكس.

(٣) في أ، هـ: «أجدها».

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٢/ ٢٢٥)، ولم أقف عليه مسنداً.

﴿بَقَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَّتْ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون إلا عادة الأمم المتقدمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لا يفوته شيء، ولا يصعب عليه.

﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ الضمير للأرض، والدابة: عموم في كل ما يدب، وقيل: أراد بني آدم خاصة.

﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة. وباقي الآية وعد ووعيد.





|           |                       |
|-----------|-----------------------|
| ٥ .....   | سُورَةُ الْأَنْعَامِ  |
| ٣١ .....  | سُورَةُ بَرَاءة       |
| ٧٨ .....  | سُورَةُ يُونُسَ       |
| ١٠٦ ..... | سُورَةُ هُودٍ         |
| ١٤٠ ..... | سُورَةُ يُوسُفَ       |
| ١٧٩ ..... | سُورَةُ الزُّمَرِ     |
| ١٩٨ ..... | سُورَةُ الْاَنْعَامِ  |
| ٢١٣ ..... | سُورَةُ الْحَجِّ      |
| ٢٢٧ ..... | سُورَةُ النَّازِعَاتِ |
| ٢٦٧ ..... | سُورَةُ الْأَنْعَامِ  |
| ٣٠٦ ..... | سُورَةُ الْكَافِرِينَ |
| ٣٥٠ ..... | سُورَةُ مَرْيَمَ      |
| ٣٧٤ ..... | سُورَةُ طه            |
| ٤٠٤ ..... | سُورَةُ الْأَنْعَامِ  |
| ٤٣٦ ..... | سُورَةُ الْحَجِّ      |
| ٤٧٣ ..... | سورة الزمير           |

|           |                        |
|-----------|------------------------|
| ٥٠١ ..... | سُورَةُ التَّوْبَةِ    |
| ٥٤٦ ..... | سُورَةُ الْمُرْقَاتِ   |
| ٥٦٨ ..... | سُورَةُ الشُّعَرَاءِ   |
| ٥٩٣ ..... | سُورَةُ النَّعَمَانِ   |
| ٦٢٠ ..... | سُورَةُ الْقَطْرِ      |
| ٦٤٨ ..... | سُورَةُ الْغَنَجِكِيِّ |
| ٦٦٤ ..... | سُورَةُ الرُّومِ       |
| ٦٧٩ ..... | سُورَةُ الْفَحْمَانِ   |
| ٦٨٩ ..... | سُورَةُ السَّجْدَةِ    |
| ٦٩٧ ..... | سُورَةُ الْأَخْزَاتِ   |
| ٧٣١ ..... | سُورَةُ سَبِيحِ        |
| ٧٥١ ..... | سُورَةُ قَطْرِ         |
| ٧٦٩ ..... | الفهرس                 |



# التَّسْهِيلُ الْعُلُومِ التَّنْزِيلِيَّ

تأليف العلامة الفسري القاسم  
محمد بن أحمد ابن جزي الكبي الأندلسي الغرناطي  
رحمه الله وتقبله في الشَّهَاد (٦٩٣ - ٥٧٤١ هـ)

وبها مِشْه

## التَّغْلِيْقَاتُ عَلَى الْمَسَائِدِ الْعُقَدَاتِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَاءِ  
حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ

الجزء الثالث  
من يس إلى التماس

تجقيق  
د. علي بن حمد الصايحي  
عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

دار الكتب والوثائق  
بمكة المكرمة



التَّسْهِيلُ الْعُلُومِ مِنَ التَّنْزِيلِ

وَبِهَامِشِهِ

التَّعْلِيقَاتُ عَلَى الْمَسَائِلِ الْعَقَدِيَّةِ



ح دار طيبة الخضراء ، 1444 هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفرناطي ، محمد أحمد ابن جزي الكلبي  
التسهيل لعلوم التنزيل

وبهامشه التعليقات على المسائل العقيدية 1 ❖ 3

محمد أحمد ابن جزي الكلبي الفرناطي ؛ علي بن محمد الصالحي - ط 2 - مكة المكرمة ، 1443 هـ

1 مج 728 ص ؛ 24x17 سم

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8310-37-1 (ج 3)

1- القرآن - تفسير أ. الصالحي، علي بن محمد (محقق) ب. العنوان

1442/8517

ديوي 3, 227

رقم الإيداع: 1442/8517

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8310-73-1 (ج 3)

يمكنكم طلب الكتب عبر

متجرنا الإلكتروني



حيثما كنت يصلك طلبك

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الخامسة (1444 هـ - 2023 م)



dar.taibagreen123

dar.taiba

@dar\_tg

dar\_tg

dartaibagreen@gmail.com

yyy.01@hotmail.com

0125562986

0550428992

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

# التَّسْهِيلُ الْعُلُومَ التَّنْزِيلُ

تأليف العلامة الفسّار أبي القاسم  
محمد بن أحمد ابن جُزَيّ الكَلْبِي الأندلسي الغرناطي  
رحمه الله وتقبله في الشَّهَاد (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

وَبِهَامِشِهِ

## التَّعْلِيْقَاتُ عَلَى الْمَسَائِلِ الْعُقَدَاتِ

لفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبَرَّاكِ  
حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ  
مِنْ يَسِّ إِلَى التَّكَاثُرِ

تحقيق  
د. علي بن حمد الصّايحي  
عضو هيئة التدريس بجامعة أمّ القرى



سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

## سورة يس

يَسَّ وَالْفُرْعَانَ الْحَكِيمَ ﴿١﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٤﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ بِهِمْ غَلِبُوا ﴿٥﴾ \* لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ بِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيهِمْ غُلًّا بَهِيمًا إِلَى الْأَذْقَانِ بِهِمْ مُفْمِحُونَ ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ بِهِمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿٨﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

قد تكلّمنا في «البقرة» على حروف الهجاء. وقيل في «يس»: إنه من أسماء النبي ﷺ، وقيل: معناه: «يا إنسان».

﴿١﴾ «تَنْزِيلَ» بالرفع<sup>(١)</sup>: خبر ابتداء مضمر، وبالنصب: مصدر، أو مفعول بفعل مضمر<sup>(٢)</sup>.

﴿٥﴾ «لِتُنذِرَ قَوْمًا» هم قريش، ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الناس.

﴿٦﴾ «مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ» نافية، والمعنى: لم يُرسل إليهم ولا لأبائهم رسول ينذرهم. وقيل: المعنى: لتنذر قوماً مثل ما أنذر آبائهم، فـ«مَّا» على هذا: موصولة بمعنى «الذي»، أو مصدرية. والأول أرجح؛ لقوله: «بِهِمْ غَلِبُوا»، يعني: أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم، ويكون<sup>(٣)</sup> بمعنى قوله: «مَّا أَتَيْلَهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ» [السجدة: ٢٤]، ولا يعارض هذا بعث

(١) قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع.

(٢) تقديره: أعني. الكشف (١٠/١٣).

(٣) في أ، ب، هـ: «وتكون».

الأنبياء المتقدمين؛ فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم هم<sup>(١)</sup> ولا آباؤهم الأقربون.

⑥ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق القضاء.

⑦ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيهِ أَعْتَفِهِمْ أَغْلًا﴾ الآية؛ فيها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها عبارة عن تماديهم على الكفر، ومنع الله لهم من الإيمان، فشبههم بمن جعل في عنقه غُلَّ يمنعه من الالتفات، وُعْطِيَ على بصره فصار لا يرى.

والثاني: أنها عبارة عن كفهم عن إذابة النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر، فرجع عنه فرعاً مرعوباً.

والثالث: أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم.

والأول أظهر وأرجح؛ لقوله قبلها: ﴿بِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله بعدها ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿بِهِمْ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ الذَّقْنُ: هو طرف الوجه حيث تنبت اللحية. والضمير للأغلال، وذلك أن الغُلَّ حَلَقَةٌ في العنق، فإذا كان واسعاً عريضاً وصل إلى الذَّقْنِ، فكان أشدَّ على المغلول. وقيل: الضمير للأيدي، على أنها لم يتقدم لها ذكر، ولكنها تفهم من سياق الكلام؛ لأن المغلول تُضم يده<sup>(٢)</sup> في الغُلَّ إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود ﷺ: «إِنَّا جعلنا في أيديهم أغللاً فهي إلى الأذقان»<sup>(٣)</sup>، وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري<sup>(٤)</sup>.

﴿بِهِمْ مُفْتَحُونَ﴾ يقال: قَمَحَ البعيرُ: إذا رفع رأسه، وأَقَمَحَهُ غيره: إذا فعل به ذلك. والمعنى: أنهم لما اشتدَّت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع. وقيل: معنى ﴿مُفْتَحُونَ﴾: ممنوعون من كل خير.

(١) لم ترد في أ، ب، د، هـ.

(٢) في أ، ب، هـ: «يده».

(٣) تفسير الطبري (١٩/٤٠٣).

(٤) الكشف (١٣/١٤-١٤).

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا﴾ الآية؛ السُّدُّ: الحائل بين الشيئين، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان.

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: غطينا على أبصارهم، وذلك أيضًا مجازًا يراد به: إضلالهم.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية؛ ذكرنا معناها وإعرابها في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر، وهو القرآن.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾ معناه كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]، وقد ذكرناه في «فاطر».

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي: نبعثهم يوم القيامة، وقيل: إحيائهم: إخراجهم من الشرك إلى الإيمان، والأول أظهر.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ أي: ما قدّموا من أعمالهم، وما تركوه بعدهم، كعلم علموه أو تحبب حبسوه. وقيل: الآثار هنا: الخطأ إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث<sup>(٢)</sup>.

﴿إِمَامٌ مُبِينٌ﴾ أي: في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، أو صحائف الأعمال.



(١) انظر تفسير الآية (٥).

(٢) أخرج البخاري (٦٥٥) من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم (٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد»، قالوا: نعم، يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة دياركم تُكْتَبُ آثاركم، دياركم تكتب آثاركم».

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ۖ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُم لَيْسَ لَكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْسَ ذِكْرُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝ وَجَاءَ مِنَ أَمْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَفْقَهُوا إِلَيْكُمُ الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الذِّكْرَ الَّذِي بَقَرْتَنِي وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ۝ ءَأَتَّخِذُ مِنْ ذُرِّيَّتِي عَالِهَةً إِن يَرِدْ إِلَّا الرَّحْمَنُ يَضْرِبُ لَكَ تُغَىٰ عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَنْفَعُوكَ ۝ إِنِّي إِذًا لَّهِ ضَلَّالٌ مُّبِينٌ ۝ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوا ۝ فَبَلَّغْنَا إِلَهُ الْجَنَّةِ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ۝ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ۝ يَحْسُرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدُنَّا مُخْضَرُونَ ۝

١٢ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ الضمير لقريش، و ﴿مَّثَلًا﴾ و ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ مفعولان

بـ ﴿اضْرِبْ﴾ على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين، وهو الصحيح. والقرية: أنطاكية.

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى ﷺ يدعون الناس إلى عبادة الله. وقيل: بل هم رسل أرسلهم الله، ويدل على هذا قول قومهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾، فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله.

١٣ ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوينا الاثنين برسول ثالث، وقيل: اسمه شمعون.

١٤ ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ﴾ إنما أكدوا الخبر هنا باللام؛ لأنه جواب للمنكرين، بخلاف الموضع الأول؛ فإنه إخبار مجرد.

١٥ ﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُم﴾ أي: تشاءمنا، وأصل اللفظة: من زجر الطير؛ ليستدل على ما يكون من خير أو شر، وإنما تشاءموا بهم؛ لأنهم جاؤوا بدين غير دينهم، وقيل: وقع فيهم الجذام لما كفروا، وقيل: قحطوا.

﴿قَالُوا ظَنِّيرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي: قال الرسل لأهل القرية: شؤمكم معكم؛ أي: إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب كفركم، لا بسببنا.

﴿أَيَسْ ذُكِّرْتُمْ﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط، وفي الكلام حذف تقديره: أنتظيرون إن ذُكرتم؟

﴿يَسْعَى﴾ أي: يُسرع؛ لجده<sup>(١)</sup> ونصيحته، وقيل: اسمه: حبيب النجار.

﴿إَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجرًا على الإيمان، فلا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم، وتربحون معهم الهدى في دينكم.

﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنى: أي شيء يمنعني من عبادة ربي؟ وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه، ولذلك قال: ﴿وَالْيَهُ تَرْجَعُونَ﴾ فخطابهم.

﴿إِنْ يَرِدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ﴾ هذا وصف للآلهة، والمعنى: كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون، ولا ينقذونني من الضر.

﴿إِنِّي إِذَا لَأَهْلِي ضَلَّ مُبِينٍ﴾ أي: إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين.

﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ خطاب لقومه، أي: اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي، وقيل: خطاب للرسل؛ ليشهدوا له.

﴿فَبَلَّ أَنْزَلِ الْجَنَّةَ﴾ قبل هذا محذوف يدل عليه الكلام، وروي في الأثر، وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه، فلما مات قيل له: ادخل الجنة. واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء؟ أو هل ذلك بمعنى الإشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها؟

﴿قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ بما غفر لي ربي، تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنوا، ولذلك ورد في الحديث أنه: «نصح لهم حيًا وميتًا»<sup>(٢)</sup>.

(١) في ج: «بجده».

(٢) رواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/١٦٣) -، قال: حدثنا الحسن بن محمد السكوني الكوفي، حدثنا علي بن محمد بن خالد المطرز، حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد، حدثنا أبي، حدثنا بيان عن قيس بن أبي حازم عن المغيرة بن شعبة من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعاً، =



وقيل: أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه، ويحزنهم ذلك.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ المعنى: أن الله أهلكهم بصيحة صاحبا جبريل، ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء؛ لأنهم أهون من ذلك. وقيل: المعنى: ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلاً كما قالت قريش: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ بَيَّكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٧]. ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة بعد ذلك.

﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أي: ما كنا لننزل جنداً من السماء على أحد.

﴿فَإِذَا هُمْ خُمُودُونَ﴾ أي: ساكنون لا يتحركون ولا ينطقون.

﴿يَخْسَرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ نداء للحسرة، كأنه قيل<sup>(١)</sup>: «يا حسرة احضري فهذا وقتك»، وهذا التفجع عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسول. ويحتمل أن يكون من كلام: الملائكة، أو المؤمنين من الناس. وقيل: المعنى: يا حسرة العباد على أنفسهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ الضمير: لقريش، أو للعباد على الإطلاق، والرؤية هنا: بمعنى العلم.

﴿وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ قرئ ﴿لَّمَّا﴾ بالتخفيف<sup>(٢)</sup>، وهي لام التأكيد دخلت على «ما» الزائدة، و﴿إِنْ﴾ على هذا: مخففة من الثقيلة. وقرئ بالتشديد، وهي بمعنى «إلا»، و﴿إِنْ﴾ على هذا نافية.



= وإسناده ضعيف جداً، الحسن بن محمد السكوني، ضعفه الدارقطني (لسان الميزان لابن حجر ٣/ ١١٦)، وعمر بن إسماعيل متروك (التقريب ٧١٤). وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس ؓ موقوفاً، عزاه له ابن كثير في تفسيره (٥٧٢ / ٦)، ولم أقف عليه في كتابه.

(١) في ب، د، هـ: «قال».

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة بالتشديد، وقرأ الباقر بالتخفيف.

وَعَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَخْيَيْنَتْنَا مِنْهَا حَبًّا بَيْنَهُ يَأْكُلُونَ ﴿٥١﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٥٢﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٣﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٥٥﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٥٧﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٥٨﴾ وَعَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْبَلَدِ الْمَشْحُونِ ﴿٥٩﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٦٢﴾ وَإِذَا فِئَلٌ لَهُمْ إِبْتِغَاؤُ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِذَا فِئَلٌ لَهُمْ أَنْهَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُدَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٦﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٦٧﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾

﴿٥١﴾ «وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ» ﴿مَا﴾ معطوفة على «ثَمَرِهِ»؛ أي: ليأكلوا من الثمر ومما<sup>(١)</sup> عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة. وقيل: ﴿مَا﴾ نافية. وقرئ ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ بغير هاء<sup>(٢)</sup> و﴿مَا﴾ على هذا: معطوفة.

﴿٥٢﴾ «الْأَزْوَاجَ» يعني: أصناف المخلوقات، ثم فسرها بقوله: «مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ» وما بعده، ف«مِنْ» في المواضع الثلاثة للبيان.

﴿٥٣﴾ «وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» يعني: أشياء لا يعلمها بنو آدم، كقوله: «وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [النحل: ٨].

(١) في ب، ج، د: «وما».

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بغير هاء، وقرأ الباقون بالهاء.

﴿تَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أن نجرّده منه، وهي استعارة.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي: لحدّ موقت تنتهي إليه من فلكها، وهي نهاية جزيها إلى أن ترجع في المنقلبين: الشتوي والصيفي. وقيل: مستقرّها: وقوفها كلّ يوم وقت الزوال، بدليل وقوف الظل حيثنّذ. وقيل: مستقرّها: يوم القيامة حين تكوّر. وفي الحديث: «مستقرّها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها»<sup>(١)</sup>، وهذا أصحّ الأقوال؛ لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح. وقري «لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا»<sup>(٢)</sup>؛ أي: لا تستقرّ عن جزيها.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ﴾ قري بالرفع<sup>(٣)</sup>: على الابتداء، أو عطفت على «الليل». وبالنصب: على إضمار فعل. ولا بدّ في «قَدَرْتَهُ» من حذف، تقديره: قدرنا سيره منازل. ومنازل القمر ثمانية وعشرون، ينزل القمر كلّ ليلة واحدة منها من أول الشهر، ثم يستتر<sup>(٤)</sup> في آخر الشهر ليلة أو ليلتين.

قال الزمخشري: «وهذه المنازل هي مواقع النجوم؛ وهي: الشّرطان<sup>(٥)</sup>، البُطّين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الدراع، النّرة، الطّرف، الجبهة، الزّبرة، الصّرفة، العوّاء، السّمّاك، الغفر، الزّبائني، الإكليل، القلب، السّولة، النّعائم، البلّدة، سعّد الذّابح، سعّد بلّغ، سعّد السّعود، سعّد الأخبية، فرغ الدّلّو المقدّم، فرغ الدّلّو المؤخّر، الرّشاء»<sup>(٦)</sup>،<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩) عن أبي ذرّ رضي الله عنه.

(٢) قرأ بها ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبو جعفر محمد بن علي وابنه جعفر رضي الله عنه.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب.

(٤) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «يَسْتَسِرُّ»، قال ابن سيده في المحكم (٤٠٨/٨): «وَأَسْتَسِرَّ الْهَلَالُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ: خَفِيَ، لَا يُلْقِطُ بِهِ إِلَّا مَزِيدًا.. وَالسَّرَرُ وَالسَّرَرُ وَالسَّرَارُ وَالسَّرَارُ كُلُّهُ: اللَّيْلَةُ الَّتِي يَسْتَسِرُّ فِيهَا الْقَمَرُ»، وهي الموافقة لما في الكشاف (١١٩٠/٢) ط: كلكتا.

(٥) في ب، ج، د: «السرطان» بالسين، والمثبت هو الصواب فالسرطان -بالشين- هو الذي يعدّ من منازل القمر الثمانية والعشرين، وأما السرطان -بالسين- فهو من البروج الاثني عشر. انظر: الأنواء لابن قتيبة (ص: ١٧، ١٢٠).

وفي أ، هـ: «النّطح»، وهو اسم لمنزلة الشّرطان أيضًا، والمثبت موافق لما في الكشاف (٥١/١٣).

(٦) في ب: «بطن الحوت»، وهو من أسماء هذه المنزلة كما في الأنواء لابن قتيبة (ص: ٨٥)، والمثبت موافق لما في الكشاف.

(٧) الكشاف (٥١/١٣-٥٥).

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ المرجون: هو غصن النخلة، شبه القمر به إذا تناهى في نقصانه. والتشبيه في ثلاثة أوصاف، وهي: الرُّقَّة، والانحناء، والصُّفرة. ووصفه بالقديم؛ لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ المعنى: لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره، هكذا قال بعضهم. ويحتمل أن يريد: أن سير الشمس في الفلك بطيء، فإنها تقطع الفلك في سنة، وسير القمر سريع، فإنه يقطع الفلك في شهر، والبطيء لا يدرك السريع.

﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يعني: أن كل واحد منهما جعل الله له وقتاً موقَّتا، وحدًا معلومًا لا يتعداه، فلا يأتي الليل حتى ينفصل النهار، كما لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل.

ويحتمل أن يريد: أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس؛ أي: لا تجتمع معه، فيكون المعنى كالذي قيل<sup>(١)</sup> في قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فحصل من ذلك: أن الشمس لا تجتمع مع القمر، وأن القمر لا يجتمع مع الشمس.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ذكر في «الأنبياء»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ معنى «الْمَشْحُونِ»: المملوء. و«الْفُلِّ» هنا يحتمل أن يريد به: جنس السفن، أو سفينة نوح ﷺ. وأما الذرية: فقول: إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح ﷺ، وسمي الآباء ذرية؛ لأن الذرية تناسلت<sup>(٣)</sup> منهم، وأنكر ابن عطية ذلك<sup>(٤)</sup>. وقيل: يعني: النساء، وذلك بعيد. والأظهر: أنه إن أراد بالفلك جنس السفن: فيعني جنس بني آدم، وإنما خص ذريتهم بالذكر؛ لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة.

(١) في ب، ج، هـ: «قيل».

(٢) انظر تفسير الآية (٣٣).

(٣) في أ، هـ: «متناسلة».

(٤) المحرر الوجيز (٧/٢٥٠).

وإن أراد بالفلك سفينة نوح: فيعني بالذرية: من كان في السفينة، وسماهم ذرية؛ لأنهم ذرية آدم ونوح، فالضمير في ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ على هذا: لنوع<sup>(١)</sup> بني آدم، كأنه يقول: الذرية منهم.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ إن أراد بالفلك سفينة نوح: فيعني بقوله: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ سائر السفن التي يركبها الناس. وإن أراد بالفلك جنس السفن: فيعني بقوله: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ الإبل وسائر المركوبات، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غير. والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، ولا يتصور هذا في المركوبات غير السفن.

﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ أي: لا مُغيث، ولا مُنقذ لهم من الغرق.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ قال الكسائي: نصب ﴿رَحْمَةً﴾ على الاستثناء، كأنه قال: إلا أن نرحمهم<sup>(٢)</sup>. وقال الزجاج: نصب ﴿رَحْمَةً﴾ على المفعول من أجله، كأنه قال: إلا لأجل رحمتنا إياهم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَتَّعْنَا إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: آجالهم.

﴿وَإِذَا فِيلٌ لَهُمْ بَاقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الضمير لقريش، وجواب ﴿إِذَا﴾ محذوف، تقديره: «أعرضوا»، ويدل عليه: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾. والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم: ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة. وقيل: ما بين أيديهم: عذاب الأمم المتقدمة، وما خلفهم: عذاب الآخرة.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطِعِم مِّن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضون الناس على الصدقات وإطعام المساكين، فيجيبهم الكفار بهذا الجواب، وفي معناه قولان:

أحدهما: أنهم قالوا: كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم، فمنذ حرمهم الله نحرمهم نحن، وهذا كقولهم: «كن مع الله على المذبر».

(١) في ب، ج، هـ: «النوع».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢٥١/٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٨٩/٤).

والآخر: أن قولهم ردّ على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون: الأمور كلها بيد الله، فكان الكفار يقولون لهم: لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء؛ فما بالكم تطلبون إطعامهم منا؟

ومقصودهم<sup>(١)</sup> في الوجهين: احتجاج لبخلهم ومنعهم الصدقات، واستهزاء بمن حصّهم على الصدقة<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطاباً للمؤمنين، أو يكون من كلام الله خطاباً للكافرين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون: يوم القيامة، أو نزول العذاب بهم.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، يعني: النفخة الأولى في الصور، وهي نفخة الصّفق.

﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّصُونَ﴾ أي: تأخذهم بغتة وهم يختصمون؛ أي: يتكلمون في أمورهم. وأصل ﴿يَخِصِّصُونَ﴾: يختصمون، ثم أدغم. وقرئ بفتح الخاء، وبكسرهما، واختلاس حركتها<sup>(٣)</sup>.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: لا يقدرّون أن يوصوا بما لهم وما عليهم؛ لسرعة الأمر.

﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم؛ لسرعة الأمر.



(١) في ب، د: «ومقصودهم».

(٢) في ب: «بمن يعطي الصدقة».

(٣) قرأ حمزة «يَخِصِّصُونَ» بفتح الياء وإسكان الصاد، وتخفيف الصاد، وقرأ ابن كثير، وورش عن نافع وهشام عن ابن عامر: «يَخِصِّصُونَ» بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد، وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع باختلاس فتحة الخاء وتشديد الصاد، وقرأ عاصم والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر «يَخِصِّصُونَ» بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ إِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا يَتَوَلَّنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥١﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً إِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدُنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٢﴾ بِالنَّوْمِ لَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةَ النَّوْمُ فِي شَغْلِ بَعْضِهِمْ ﴿٥٤﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٥﴾ لَهُمْ فِيهَا بَكْرَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٦﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٧﴾ وَامْتَنَزُوا النَّوْمُ أَتِيهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٨﴾ \* أَلَمْ آغْضِدْ لَكُمْ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥٩﴾ وَأَنْ تَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَقَلَّمْ تَكُونُوا تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٢﴾ إِصْلَوْهَا النَّوْمُ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٣﴾ النَّوْمُ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْتَىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَنْ نَعْمِرْهُ نَكْسِئْهُ فِي الْخَلْقِ أَقَلًّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ إِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ هذه النفخة الثانية، وهي نفخة القيام من القبور. و ﴿الْأَجْدَاثِ﴾: هي القبور. و ﴿يَنسِلُونَ﴾: يسرعون المشي، وقيل: يخرجون.

﴿قَالُوا يَتَوَلَّنَا﴾ الويل: منادى، أو مصدر. ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ المرقد: يحتمل أن يكون: اسم مصدر، أو اسم مكان. قال أبي بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر<sup>(١)</sup>. قال ابن عطية: وهذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم: ﴿مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ أنها استعارة وتشبيه به<sup>(٢)</sup>، يعني: أن قبورهم شبهت بالمضاجع، لكونهم فيها على هيئة الراقد<sup>(٣)</sup>، وإن لم يكن رقاد<sup>(٤)</sup> في الحقيقة.

(١) أخرجه الطبري (١٩/٤٥٦-٤٥٧).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٢٥٦).

(٣) في ب: «الراقدين».

(٤) في ج، د: «راقدا».

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿هَذَا﴾: مبتدأ، وما بعده: خبره. وقيل: إن ﴿هَذَا﴾ صفة لـ ﴿مَرْفِدِنَا﴾، و﴿مَا وَعَدَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر<sup>(١)</sup>، وهذا ضعيف. ويحتمل أن يكون هذا الكلام: من بقية كلامهم، أو يكون من كلام الله تعالى، أو من كلام الملائكة، أو المؤمنين، يقولونها<sup>(٢)</sup> للكفار على وجه التقرّيع.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يعني: النفخة الثانية، وهي نفخة القيام.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ قيل: هو افتضاض الأبكار، وقيل: سماع الأوتار. والأظهر: أنه عام في الاشتغال بالنعيم<sup>(٣)</sup> واللذات.

﴿فَكَهَنَ﴾ قرئ بالالف<sup>(٤)</sup>، ومعناه: أصحاب فاكهة، وبغير ألف، وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور.

﴿فِي ظِلٍّ﴾ جمع ظلّ، وقرئ بالضم<sup>(٥)</sup>، جمع ظِلَّةٍ.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير.

﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ أي: ما يتمنون، وقيل: معناه: أن ما يدعون به يأتيهم.

﴿سَلَّمَ﴾ مبتدأ، وقيل: بدل من ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾.

﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكّد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله، بواسطة الملائكة، أو بغير واسطة<sup>(٦)</sup>.

﴿وَامْتَنَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة.

﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ الجبل: الأمة العظيمة. وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها<sup>(٧)</sup>.

(١) تقديره: «حق» أو نحوه. المحرر الوجيز (٢٥٦/٧)

(٢) في ب: «يقولونه».

(٣) في ب: «بالنعم».

(٤) قراءة السبعة بالالف، وقرأ أبو رجاء ومجاهد وأبو جعفر بغير ألف. المحرر الوجيز (٢٥٨/٧)

(٥) قرأ حمزة والكسائي «فِي ظِلٍّ» بضم الطاء من غير ألف بين اللامين، وقرأ الباقون بكسرها وألف بينهما.

(٦) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٨٤).

(٧) ذكره النقاش عنه، كما في المحرر الوجيز (٢٦٠/٧)



وقرئ<sup>(١)</sup>: بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمهما مع التخفيف، وبضم الجيم وإسكان الباء، وهي لغات بمعنى واحد.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: نمنعهم من الكلام، فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ هذا تهديد لقريش. والطمس على العين: هو العمى، و﴿الْصِّرَاطَ﴾: الطريق، و﴿أَبْنَى﴾: استفهام يراد به النفي. فمعنى الآية: لو نشاء لأعميناهم؛ فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يُبصروه. وقيل: يعني: عمى البصائر، أي: لو نشاء لختمنا على قلوبهم، والطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ هذا تهديد بالمسخ، فقل: معناه: المسخ قردة وخنازير، أو حجارة، وقيل: معناه: لو نشاء لجعلناهم مُقْعَدِينَ مَبْطُولِينَ لا يستطيعون تصرفاً. وقيل: إن هذا التهديد كله بما<sup>(٢)</sup> يكون يوم القيامة، والأظهر أنه في الدنيا.

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ المكانة: المكان، والمعنى: لو نشاء لمسخناهم مسخاً يُقْعِدُهُمْ في مكانهم. ﴿فَمَا اسْتَظْغَوْا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: إذا مسخوا في مكانهم لم يَقْدِرُوا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا.

﴿وَمَنْ نَعْمِرْهُ نَنْكُسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي: نحول خَلْقَتَهُ من القوة إلى الضعف، ومن الفهم إلى البله، وشبه ذلك، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٣]. وإنما قصد بذكر ذلك هنا: الاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار، كما قَدَّرَ على تنكيس الإنسان إذا هَرِمَ.



(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر: ﴿جَبَلًا﴾ بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام، وقرأ ابن كثير وحَمْزَةُ والكسائي ﴿جَبَلًا﴾ بضم الجيم والباء وتخفيف اللام، وقرأ الباقر: ﴿جَبَلًا﴾ بكسر الجيم والباء والتشديد.

(٢) في أ، ب، هـ: «إنما».

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَاتٍ أُنْعَمًا فَبُهِمَ لَهُمَا مَالِكُونَ ﴿٣﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٤﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَاجِعُ وَمِشَارِبٌ أَفْلَا يَشْكُرُونَ ﴿٥﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٦﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧﴾ فَلَا يُخْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُخَيُّ الْأَعْظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿١٠﴾ فَلْيُخَيِّبَهَا آلِهَتُهُ أَنْشَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ \*الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿١٢﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٤﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ الضميران <sup>(١)</sup> لمحمد ﷺ، وذلك ردُّ على الكفار في قولهم: إنه شاعر، وكان ﷺ لا يَنْظُم الشعر ولا يزنه، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه. فإن قيل: قد روي عنه ﷺ أنه قال:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كُذِبَ      أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ <sup>(٢)</sup>  
وروي عنه أيضًا ﷺ:

هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتٍ      وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ <sup>(٣)</sup>  
وهذا كلامٌ على وزن الشعر.

فالجواب: أنه ليس بشعر؛ لأنه <sup>(٤)</sup> لم يقصد به الشعر، وإنما جاء موزونًا بالاتفاق لا بالقصد، فهو كالكلام المنثور، ومثل هذا يقال فيما جاء في القرآن من الكلام الموزون. ويقتضي قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ تنزيه النبي ﷺ عن الشعر؛ لما فيه من الأباطيل

(١) في ج، د: «الضمير».

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦) من حديث جندب بن سفيان ﷺ.

(٤) في ج، د: «وأنه».

وإفراط التجوُّز<sup>(١)</sup>، حتى يقال: «إن الشعر أطيُّه أكذبُه»، وليس كلُّ الشعر كذلك؛ فقد قال ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»<sup>(٢)</sup>. وقد أكثر الناس في ذمِّ الشعر ومدحه، وإنما الإنصاف قول الشافعي: «الشعر كلامٌ، والكلام منه حسنٌ ومنه قبيح»<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ الضمير للقرآن؛ يعني: أنه ذكرٌ لله، أو تذكير للناس، أو شرفٌ لهم.

﴿يَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي: حيَّ القلب والبصيرة.

﴿وَيَجِئَ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: يجب عليهم العذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئُنَا أَنْعَامًا﴾ مقصد الآية: تعديدُ نعمةٍ<sup>(٤)</sup> وإقامة حجة. والأيدي هنا عند أهل التأويل: عبارةٌ عن القدرة، وهي عند أهل التسليم: من المتشابه الذي يجب الإيمان به، وعلمه عند الله<sup>(٥)</sup>.

﴿فَبَيْنَهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الرُّكُوب - بفتح الراء - : هو المركوب.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَاجِعٌ﴾ يعني: الأكل منها والحمل عليها، والانتفاع بالجلود والصوف وغيره.

﴿وَمَشَارِبٌ﴾ يعني: الألبان.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الضمير في «يَسْتَطِيعُونَ» للأصنام، وفي «نَصْرَهُمْ» للمشركين. ويحتمل العكس، ولكن الأول أرجح؛ فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لعلمهم يُنصرون: أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم، فخاب أملهم.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾ الضمير الأول: للمشركين، والثاني: للأصنام؛ يعني: أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم؛ حتى إنهم لهم كالجند. وقيل: بالعكس، بمعنى: أن الأصنام جندٌ محضرون لعذاب المشركين في الآخرة، والأول أرجح؛ لأنه تقييحٌ لحال المشركين.

(١) في ب، ج: «التجاوز».

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤٥) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) ذكره البيهقي في مناقب الشافعي (٦٠/٢) قال: «الشعر كلامٌ حسنٌ كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام، غير أنه كلام باقي سائر، فذلك فضله على سائر الكلام».

(٤) في أ، هـ: «نعمة الله».

(٥) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٥٠).

﴿٧٥﴾ «بَلَا يُخْرِجُكَ قَوْلُهُمْ» تسليّة للنبي ﷺ، معلّلة بما بعدها.

﴿٧٦﴾ «أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ» هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة، وردّ على من أنكر ذلك.

والنطفة: هي نقطة<sup>(١)</sup> المنيّ التي خلق الإنسان منها، ولا شك أن الإله الذي قدر على خلقه من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث. وسبب الآية: أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم، فقال: يا محمد من يحيي هذا؟ -وقيل: إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف، وقيل: أبي بن خلف- فقال له رسول الله ﷺ: «الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم»<sup>(٢)</sup>.

﴿٧٧﴾ «وَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ» أي: متكلم قادر على الخصام، يُبين ما في نفسه بلسانه.

﴿٧٨﴾ «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا» إشارة إلى قول الكافر: من يحيي هذا العظم؟

﴿٧٩﴾ «وَنَسِيَ خَلْقَهُ» أي: نسي الاستدلال بخلقه الأولى على بعثه. والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذّهل، أو التّرك.

﴿٨٠﴾ «وَهِيَ رَمِيمٌ» أي: بالية متفتّنة.

﴿٨١﴾ «فَلْ يُخَيِّبْهَا لَذَّةُ أَنْشَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» استدلال بالخلقة الأولى على البعث.

﴿٨٢﴾ «وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» أي: يعلم كيف يخلق كل شيء، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها. والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرًا، أو بمعنى المخلوق.

﴿٨٣﴾ «الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا» هذا دليل آخر على إمكان البعث، وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعين قالوا: طَبَعُ الموت يضادُّ طَبَعُ الحياة فكيف تصير العظام حية؟ فأقام الله عليهم الدليل بخروج النار من الشجر الأخضر الممتلئ ماءً، مع مضادة طبع الماء للنار. ويعني بـ«الشَّجَرِ»: زِنَادَ العرب، وهو شجر المرخ والعفّار، فإنه يُقطع من كل واحد منهما غصنٌ أخضرٌ يَقَطُرُ منه الماء، فيُسْحَقُ المرخ على العفّار،

(١) في أ، هـ: «نطفة».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٢٠٣/١٠)، والحاكم (٣٦٠٦) وصححه ووافقه الذهبي، والضياء في المختارة

(٨٨-٨٧/١٠) عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس ؓ، وأخرجه الطبري (٤٨٧/١٩) عن سعيد بن جبیر، ولم

يذكر ابن عباس ؓ.

فينقذ<sup>(١)</sup> النار بينهما. قال ابن عباس رضي الله عنه: ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العُتَاب<sup>(٢)</sup>، ولكنه في المرخ والعفّار أكثر.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ هذا دليل آخر على البعث، فإن الإله الذي قَدَّر على خَلْقِ السماوات والأرض على عظمتها وكِبَرِ أجرامها<sup>(٣)</sup> قادرٌ على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها. والضمير في ﴿مِثْلَهُمْ﴾ يعود على الناس.

﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ في ذكر هذين الاسمين أيضًا استدلالٌ على البعث، وكذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾؛ لأن هذه<sup>(٤)</sup> عبارة عن قدرته على جميع الأشياء، ولا شك أن الخلاق العليم القدير<sup>(٥)</sup> لا يصعب عليه إعادة الأجساد<sup>(٦)</sup>.

﴿يَسُبِّحَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا استدلالٌ على البعث، وتنزيهٌ لله عما نسب<sup>(٧)</sup> الكفار إليه من العجز عن البعث، وإنهم<sup>(٨)</sup> ما قدرُوا الله حق قدره، وكلُّ من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه.



(١) في ب، ج: «فينقذ».

(٢) أخرجه ابن مردويه في تفسيره - كما في الدر المنثور (١٤/ ٢٤٧-٢٥٤) - في ضمن أثر طويل في تفسير سورة الواقعة، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي أنبأنا الحسين بن عبد الله بن يزيد أنبأنا محمد بن عبد الله بن سابط أنبأنا الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي مالك أو عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه، وذكره.

(٣) في د: «عظمتها وكبر أجرامها».

(٤) في د: «هذا».

(٥) في أ، ب، ج، هـ: «القادر».

(٦) [التعليق ٩٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «عبارة عن قدرته» أقول: لا يريد رضي الله عنه بقوله: «عبارة عن قدرته» أن هذا مدلول اللفظ؛ إذ ليس معنى (خلاق) أنه على كل شيء قدير، بل هذا المعنى هو لازم معنى الآية؛ فالآية تدل على عموم قدرته تعالى بطريق اللزوم أو التضمن، لا بطريق المطابقة؛ فكونه تعالى خلاقًا يستلزم أنه على كل شيء قدير، أو يتضمن هذا المعنى، فليس في عبارة المؤلف ما يؤخذ عليه، والله أعلم.

(٧) في ب، ج: «ينسبه».

(٨) في د: «فلأنهم».

## سورة الصافات

وَالصَّافَّاتِ صَبَاً ۝ بِالزَّجَرِ زَجْراً ۝ بِالتَّلِيلِ ذِكْراً ۝ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرَبِينَةِ الْكَوَكِبِ  
۝ وَحِفْظاً مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ لَّا غَلْبَىٰ وَيُقَذَّبُونَ مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ ۝ دُخُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝  
بِاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَسَدٌ خَلْفاً أَمْ مِّنْ خَلْفَتَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّزِيزٍ ۝ بَلْ عَجِبْتَ  
وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝ وَقَالُوا إِن هَذَا  
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ إِذَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَّعِظْماً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوْ عَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ  
نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَقَالُوا يَتَوَلَّىٰ هَذَا يَوْمَ  
الَّذِينَ ۝ هَذَا يَوْمُ الْقَبْضِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ۝

١ ﴿وَالصَّافَّاتِ صَبَاً﴾ تقديره: والجماعات الصافات. ثم اختلف فيها، فقيل: هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفاً لعبادة الله. وقيل: هي من يصف من بني آدم في الصلوات والجهاد، والأول أرجح؛ لقوله حكاية عن الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾.

٢ ﴿بِالزَّجَرِ زَجْراً﴾ هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها، وقيل: الزاجرون بالمواعظ من بني آدم، وقيل: هي آيات القرآن المتضمنة الزجر عن المعاصي.

٣ ﴿بِالتَّلِيلِ ذِكْراً﴾ هي الملائكة تتلو القرآن والذكر، وقيل: هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم. وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد.

٤ ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ يعني: مشارق الشمس، وهي ثلاث مئة وستون مشرقاً، وكذلك المغارب فإنها تشرق في كل يوم من أيام السنة في مشرق منها، وتغرب في مغرب. واستغنى

بذكر المشارق عن ذكر المغارب؛ لأنها مُعادلة لها، فتُفهم من ذكرها.

﴿بِرِيَّةٍ الْكَوَكِبِ﴾ قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب<sup>(١)</sup>، والزينة تكون: مصدرًا واسمًا لما يُزَان به. فإن كان مصدرًا فهو مضافٌ إلى الفاعل، تقديره: «بأن زينت الكواكب السماء»، أو مضاف إلى المفعول، تقديره: «بأن زينَّا الكواكب». وإن كانت اسمًا: فالإضافة بيانٌ للزينة. وقرئ بتنوين ﴿بِرِيَّةٍ﴾ وخفضِ ﴿الْكَوَكِبِ﴾ على البدل، وينصب ﴿الْكَوَكِبِ﴾ على أنها مفعولٌ به ﴿زِينَةٍ﴾، أو بدلٌ من موضع ﴿زِينَةٍ﴾.

﴿وَحِفْظًا﴾ منصوبٌ على المصدر، تقديره: وحفظناها حفظًا، أو مفعولٌ من أجله، والواو زائدة، أو محمول على المعنى؛ لأن المعنى: إنا جعلنا الكواكب زينةً للسماء وحفظًا.

﴿مَّارِدٍ﴾ أي: شديد الشر.

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ إِلَّا غَلَبَى﴾ الضمير في ﴿يَسْمَعُونَ﴾ للشياطين، و﴿آلَمٍ إِلَّا غَلَبَى﴾ هم الملائكة الذين يسكنون في السماء. والمعنى: أن الشياطين مُنعت من سَمْع أحاديث الملائكة. وقرئ ﴿يَسْمَعُونَ﴾ بتشديد السين والميم<sup>(٢)</sup>، ووزنه يتفعّلون، والتَّسْمَعُ: طلب السماع. فنفي السَّماع على القراءة الأولى، ونفي طلبه على القراءة بالتشديد.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١]، ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يسمعون، لكنهم لا يسمعون شيئًا منذ بعث محمد ﷺ؛ لأنهم يُرْمون بالكواكب. ﴿وَيُقَذَّبُونَ﴾ أي: يُرجمون، يعني: بالكواكب، وهي التي يراها الناس تنقُض. قال النقاش ومكي: ليست الكواكب الراجمة للشياطين بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا تُرى حركتها، وهذه الراجمة تُرى حركتها؛ لقربها منا<sup>(٣)</sup>. قال ابن عطية: وفي هذا نظر<sup>(٤)</sup>.

(١) قرأ عاصم وحزمة ﴿بِرِيَّةٍ﴾ بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين، وروى شعبة عن عاصم: ﴿الْكَوَكِبِ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالخفض.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بتشديد السين والميم، وقرأ الباقون بتخفيفهما.

(٣) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٦٠٨٦)

(٤) المحرر الوجيز (٢٧٣/٧).

﴿دُحُورًا﴾ أي: طَرْدًا وإبعادًا وإهانة؛ لأن الدَّخْر: الدفعُ بعنف. وإعرايه: مفعول من أجله، أو مصدر من ﴿يُفْذَقُونَ﴾ على المعنى، أو مصدر في موضع الحال، تقديره: مَذْهُورِينَ.

﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم؛ لأنهم يُرْجَمُونَ بالنجوم في الدنيا، ثم يعذبون بجهنم.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع، بدلٌ من الضمير في قوله: ﴿لَا يَسْتَعُونَ﴾. والمعنى: لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذي خطف الخطفة.

﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي: شديد الإضاءة.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمَ شِدِّ خَلْقًا أَمْ مِّنْ خَلْقْنَا﴾ الضمير لكفار قريش، والاستفتاء: نوعٌ من السؤال، وكأنه سؤال مَنْ يُعْتَبَرُ قوله ويُجْعَلُ حجة؛ لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم عليهم به الحجة. و﴿مِّنْ خَلْقْنَا﴾ يراد به: ما تقدّم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارك والكواكب. وقيل: يراد به: من تقدّم من الأمم، والأول أرجح؛ لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: «أَمْ مِّنْ عَدَدْنَا»<sup>(١)</sup>. ومقصد الآية: إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة، كأنه يقول: هذه المخلوقات أشدُّ خلقًا منكم، فكما قدّرنا على خَلْقَتِهِمْ<sup>(٢)</sup> كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّزِيبٍ﴾ اللازب: اللازم؛ أي: يلزم ما جاوره ويلصق به، ووصفه بذلك يراد به ضعفُ خَلْقِهِ بَنِي آدَمَ.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: عجبت يا محمد من ضلالهم<sup>(٣)</sup> وإعراضهم عن الحق، أو عجبت من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة.

(١) تفسير الطبري (١٩/٥١٠)، يعني بـ«مِّنْ عَدَدْنَا»: الصفات وغيرها والسموات والأرض وما بينهما. المحرر الوجيز (٧/٢٧٤)

(٢) في أ، ب، هـ: «خلقكم»، وفي ج: «خلقكم».

(٣) في ب، ج، د: «ضلالهم».



وقرئ ﴿عَجِبْتُ﴾ بضم التاء<sup>(١)</sup>، وأشكل ذلك على من يقول: إن التعجب مستحيل على الله فتأوله<sup>(٢)</sup> بمعنى: أنه جعله على حالٍ تعجب منها<sup>(٣)</sup> الناس. وقيل: تقديره: «قل يا محمد: عجبْتُ». وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث، كقوله ﷺ: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»<sup>(٤)</sup>، وهو صفة فعل، وإنما جعلوه مستحيلاً على الله؛ لأنهم قالوا: إن التعجب استعظامٌ خفي سببه، والصواب: أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب، بل هو لمجرد الاستعظام؛ فعلى هذا: لا يستحيل على الله<sup>(٥)</sup>.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ تقديره: وهم يسخرون منك، أو من البعث.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ الآية هنا: العلامة، كانشقاق القمر ونحوه. وروي أنها نزلت في مشرك اسمه رُكانة، أراه النبي ﷺ آياتٍ فلم يؤمن<sup>(٦)</sup>.

(١) قرأ حمزة والكسائي بضم التاء، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) في د، هـ: «فتأولوه».

(٣) في ب، ج: «يعجب منه»، وفي د: «يتعجب منها».

(٤) أخرجه أحمد (١٧٣٧٠)، والطبراني في الكبير (٣٠٩/١٧)، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٨/٣)، وابن المبارك في الزهد (١١٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٠/١) من حديث عقبة بن عامر ؓ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧٧/١٠): «إسناده حسن»، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٢٠٦): «وسنده حسن، وضعفه شيخنا [يعني: ابن حجر] في فتاويه لأجل ابن لهيعة»، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٤٥١/٧): «ومدار أسانيدهم على ابن لهيعة، وهو ضعيف».

(٥) [التعليق ٩٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف ﷺ: «وأشكَل ذلك...»، إلخ: أقول: أي: نسبة العجب إلى الله؛ كما في القراءة المشار إليها، وهي قراءة سبعة؛ أي: أشكَل ذلك على نفاة العجب عن الله، وهم كل من ينفي قيام الصفات الفعلية بالله؛ كالأشاعرة، والكلايين والماتريدية، وهم الذين عناهم المؤلف بقوله: «إنهم يقولون: إن التعجب مستحيل على الله؛ لأنه استعظامٌ شيء خفي سببه».

وقد خالفهم المؤلف في تفسير التعجب، فجوّزه على الله، واستشهد له ببعض ما جاء في السنة؛ وقد أصاب في ذلك. والذين نفوا العجب عن الله، أولوا ما جاء في القرآن والسنة، مما يدل على إثبات العجب بتأويلات، منها ما أورده المؤلف؛ فجمعوا بين التعطيل بنفي الصفات، والتحريف بتأويل الآيات.

والجاري على مذهب أهل السنة والجماعة: إثبات العجب من الله، كغيره من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة؛ كالغضب والرضا، والمحبة والكراهة، وليس شيء من ذلك يشبه صفات المخلوقين، فليس عجب الله كعجب المخلوق، ولا حبه كحبه، ولا رضاه كرضاه، وهذا هو الحق الذي قامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

(٦) قال في المحرر الوجيز (٢٧٥/٧): «وروي أنها نزلت في ركانة وهو رجل من المشركين من أهل مكة لقيه رسول الله ﷺ في جبل خال وهو يرعى غنما له وهو أقوى أهل زمانه، فقال له رسول الله ﷺ: «يا ركانة أرايت إن صرعتك أتؤمن بي؟» قال: نعم، فصرعه رسول الله ﷺ ثلاثاً ثم عرض عليه آيات من دعاء شجرة وإقبالها =

و «يَسْتَسْخِرُونَ» معناه: يسخرون، فيكون «فَعَلَ» و«استَفْعَلَ» بمعنى واحد، وقيل: معناه: يستدعي بعضهم بعضاً لأن يسخر، وقيل: يبالغون في السخرية.

﴿١٦﴾ «أَدَا مِثْنًا وَكُنَّا ثُرَابًا» الآية؛ معناها: استبعادهم للبعث. وقد تقدّم الكلام على الاستفهامين في «الرعد»<sup>(١)</sup>.

﴿١٧﴾ «أَوْءَابَاؤُنَا» بفتح الواو<sup>(٢)</sup>، دخلت<sup>(٣)</sup> همزة الإنكار على واو العطف. وقرئ بالإسكان عطفاً بـ «أو».

﴿١٨﴾ «فَلْ نَعْم وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ» أي: قل: تبعثون. والداخر: الصّاغر الدليل.

﴿١٩﴾ «زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ» هي النفخة في الصور للقيام من القبور.

﴿٢٠﴾ «فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ» يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار، أو من الانتظار، أي: ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿٢١﴾ «هَذَا يَوْمَ الدِّينِ» يحتمل أن يكون من كلامهم، مثل الذي قبله، أو مما يقال لهم، مثل الذي بعده.



= ونحو ذلك مما اختلف فيه العلماء والفاظ الحديث، فلما فرغ من ذلك كله لم يؤمن وجاء إلى مكة فقال: يا بني هاشم ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فنزلت هذه الآية فيه وفي نظرائه وهذه القصة ذكرها ابن إسحاق مرسله - كما في سيرة ابن هشام (١/٣٩١)، والبداية والنهاية لابن كثير، ط. هجر (٤/٢٥٥) - وليس فيها ذكر سبب النزول.

(١) انظر تفسير الآية (٥).

(٢) قرأ ابن عامر وقالون عن نافع بإسكان الواو، وقرأ الباقر بفتحها.

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «ودخلت».

\* اخشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون ﴿١﴾ من دواب الله باهذوهم إلى صراط الجحيم ﴿٢﴾ وفيهم من إنهم مسئولون ﴿٣﴾ ما لكم لا تتأصرون ﴿٤﴾ بل هم اليوم مستسلمون ﴿٥﴾ وأقبل بغضهم على بغض يتساءلون ﴿٦﴾ قالوا إنكم كنتم تأثوننا عن الإيمان ﴿٧﴾ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ﴿٨﴾ وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً ظغين ﴿٩﴾ بحق علينا قول ربنا إنا لذايقون ﴿١٠﴾ فأغويتكم إنا كنا غويين ﴿١١﴾ فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون ﴿١٢﴾ إنا كذلك نفعل بالمجرمين ﴿١٣﴾ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴿١٤﴾ ويقولون آيتنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴿١٥﴾ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴿١٦﴾ إنكم لذايقوا العذاب الأليم ﴿١٧﴾ وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴿١٨﴾ إلا عباد الله المخلصين ﴿١٩﴾ أولئك لهم رزق معلوم ﴿٢٠﴾ بواكة وهم مكرمون ﴿٢١﴾ في جنات النعيم ﴿٢٢﴾ على سرر متقابلين ﴿٢٣﴾ يظاف عليهم بكائس من معبي ﴿٢٤﴾ بيضاء لذة للشريين ﴿٢٥﴾ لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴿٢٦﴾ وعندهم فاصرات الطرف عين ﴿٢٧﴾ كأنهم بيض مكنون ﴿٢٨﴾ فأقبل بغضهم على بغض يتساءلون ﴿٢٩﴾ \* قال فأيل منهم د إني كان لي قريب ﴿٣٠﴾ يقول أنك لمن المصدفين ﴿٣١﴾ أذا مثنا وكنا تراباً وعظاماً إنا لمدينون ﴿٣٢﴾ قال هل أنتم مطلقون ﴿٣٣﴾ باطلع براءة في سراء الجحيم ﴿٣٤﴾ قال تالله إن كدت لتزدن ﴿٣٥﴾ ولولا نعمة ربّي لكنت من المخضرين ﴿٣٦﴾ أبما نحن ببيتين ﴿٣٧﴾ إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعدين ﴿٣٨﴾ إن هذا لهو الفوز العظيم ﴿٣٩﴾ ليمثل هذا فليعمل العليلون ﴿٤٠﴾ أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ﴿٤١﴾ إنا جعلناها فتنّة للظالمين ﴿٤٢﴾ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴿٤٣﴾ طلغها كأنه رؤوس الشياطين ﴿٤٤﴾ فإنهم ياكلون منها فمالئون منها البطون ﴿٤٥﴾ ثم إن لهم عليها شرباً من حميم ﴿٤٦﴾ ثم إن مرجعهم إلى الجحيم ﴿٤٧﴾ إنهم ألبوا أباءهم ضالين ﴿٤٨﴾ بهم على آثريهم يهرعون ﴿٤٩﴾ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ﴿٥٠﴾ ولقد أرسلنا بهم منذرين ﴿٥١﴾ بانظر كيف كان عقبة المنذرين ﴿٥٢﴾ إلا عباد الله المخلصين ﴿٥٣﴾

﴿اخشروا﴾ الآية؛ خطاب للملائكة، خاطبهم به الله تعالى، أو خاطب به بعضهم بعضاً.

﴿وأزواجهم﴾ يعني: نساءهم المشركات، وقيل: يعني: أصنافهم وقرناءهم من الجن والإنس.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ يعني: الأصنام والأدميين الذين كانوا يرضون بذلك.

﴿بَاهْذُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي: دلوهم على طريق <sup>(١)</sup> جهنم ليدخلوها.

﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ يعني: إنهم يُسألون عن أعمالهم توبيخاً لهم، وقيل: يسألون عن قول: «لا إله إلا الله»، والأول أرجح؛ لأنه أعم. ويحتمل أن يُسألوا عن عدم تناصرهم، على وجه التهكم بهم، فيكون ﴿مَسْئُولُونَ﴾ عاملاً فيما بعده، والتقدير: يقال لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً وقد كنتم في الدنيا تقولون: نحن جميع منتصر؟

﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي: منقادون عاجزون عن الانتصار.

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾: للضعفاء من الكفار، خاطبوا الكبراء منهم في جهنم، أو للإنس خاطبوا الجن. و﴿الْيَمِينِ﴾ هنا يحتمل ثلاثة معانٍ:

الأول: أن يراد بها: طريق الخير والصواب، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين، كما أن العبارة عن الشرّ بالشمال، والمعنى: أنهم قالوا لهم: إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدوننا عنه.

والثاني: أن يراد بها: القوة، والمعنى على هذا: إنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان.

والثالث: أن يراد بها: اليمين التي يُحلف بها، أي: كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدّكم في ذلك وتنبّعكم.

﴿قَالُوا بَلْ لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾: للكبراء من الكفار، أو للشياطين. والمعنى: أنهم قالوا لأتباعهم: ليس الأمر كما ذكرتم، بل كفرتم باختياركم.

﴿بَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ أي: وجب العذاب علينا وعليكم. و﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ معمول القول، وحذف معمول ﴿لَذَائِقُونَ﴾ تقديره: وجب القول بأننا ذائقون العذاب.

﴿فَاغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ أي: دعوناكم إلى الغي؛ لأننا كنا على غي.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «صراط».

﴿وَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار. ﴿وَيَقُولُونَ أَيْنَا لَنَارِكُمَا أَلِهَيْنَا لَشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لكفار قريش، ويعنون به ﴿شَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾: محمداً ﷺ، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ أي: جاء بالتوحيد والإسلام، وهو الحق، ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين قبله؛ لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به. ويحتمل أن يكون صدقهم؛ لأنهم أخبروا بنبوته فظهر صدقهم لما بُعث ﷺ.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع بمعنى «لكن». وقرئ ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها في كل موضع<sup>(١)</sup>، وقد تقدّم تفسيره<sup>(٢)</sup>.

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ السُّرُر: جمع سرير، وتقابلُهم في بعض الأحيان؛ للسرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد في قصره<sup>(٣)</sup>.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ الذين يطوفون عليهم: الولدان، حسبما ورد في الآية الأخرى<sup>(٤)</sup>. والكأس: الإناء الذي فيه خمر. قاله ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>، وقيل: كأس: إناء واسع الفم، ليس له مقبض، سواء كان فيه خمر أم لا. والمعين: الجاري الكثير، ووزنه فَعِيل، والميم فيه أصلية، وقيل: هو مشتقٌّ من العين، فالميم زائدة، ووزنه: مفعول. ﴿لَذَّةٍ﴾ أي: ذات لذة، فوصفها بالمصدر اتِّسَاعًا.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الغَوْل: اسم عامٌّ في الأذى والضّر، ومنه يقال: غاله يغوله: إذا أهلكه. وقيل: الغول: وجعٌ في البطن، وقيل: صداعٌ في الرأس. وإنما قدّم المجرور هنا تعريضاً بخمر<sup>(٦)</sup> الدنيا؛ لأن الغول فيها.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) انظر تفسير الآية (٢٤) من سورة يوسف.

(٣) في ب، ج، د: «بقصره».

(٤) يعني قوله تعالى في الواقعة: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ وَلَذُنَّ مُخَلَّدُونَ﴾.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١).

(٦) في أ، ب، ج، هـ: «الخمر».

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أي: لا يسكرون من خمر الجنة، ومنه التزيف، وهو السكران. و«عن» هنا سببية، كقولك: «فعلته عن أمرك»، أي: لا يُنْزَفُونَ بسبب شربها.

﴿فَصَرَّتْ أَلْظُرُفُ﴾ معناه: أنهم قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم.

﴿عَيْنٌ﴾ جمع عَيْنَاء، وهي الكبيرة العينين في جمال.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيَاضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قيل: شَبَّهْنَ في اللون بَيَاضَ النِّعَامِ؛ لأنه بياض خالطه<sup>(١)</sup> صفرة حسنة، ولذلك قال امرؤ القيس: كِبْكِرَ مُقَانَاةَ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق، وهو المكنون، أي: المصون تحت القشر الأول<sup>(٣)</sup>، وقيل: أراد الجوهر المصون.

﴿بِقَابِلٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ هذا إخبارٌ عن تحدث أهل الجنة. قال الزمخشري: هذه الجملة معطوفة على «يُطَافُ عَلَيْهِمْ»، والمعنى: أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب بما جرى لهم في الدنيا<sup>(٤)</sup>.

﴿إِنِّي كَانُ لِي قَرِينٌ﴾ قيل: إن هذا القائل وقرينه من البشر، مؤمنٌ وكافرٌ، وقيل: كان قرينه من الجن.

﴿يَقُولُ أَأَنْتَ لِمَ الْتَمَصْتَنِي﴾ معناه: أنه كان يقول له على وجه الإنكار: أتصدق بالدين والآخرة؟

﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجازون ومحاسبون على الأعمال، ووزنه: مفعول، وهو من الدِّين بمعنى الجزاء والحساب.

(١) في ب: «خاللة»، وفي ج، هـ: «خالطته».

(٢) هذا صدر بيت من معلقته الشهيرة، وعجزه: «غَذَاهَا تَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرَ مُحَلَّلٍ»، والبكر: أول بيضة تبيضها النعامة، والمقانة: المخالطة، التي قُونِي بياضها بصفرة؛ أي: خلط بياضها بصفرة. انظر: شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر الأنباري (ص: ٧٠-٧١).

(٣) في ب، هـ: «القشرة الأولى».

(٤) الكشف (١٤٧/١٣).

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ أي: قال ذلك القائل لرفقائه في الجنة، أو للملائكة، أو لخدّامه: هل أنتم مطلعون على النار لأريكم ذلك القرين فيها؟ وروى أن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى النار<sup>(١)</sup>.

﴿يَسْأَلُ الْجَحِيمَ﴾ أي: في وسطها.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لِتَزِيدِي﴾ أي: تهلكني بإغوائك، والردي: الهلاك، وهذا خطاب خاطب به المؤمن قرينه الذي في النار.

﴿الْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب.

﴿أَقِمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ هذا من كلام المؤمن خطاباً لقرينه، أو خطاباً لرفقائه في الجنة، ولهذا قال: ﴿نَحْنُ﴾، فأخبر عن نفسه وعنهم. ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعاً.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبُورُ الْعَظِيمِ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمن، أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة، أو من كلام الله تعالى. وكذلك يحتمل<sup>(٢)</sup> هذه الوجوه في قوله: ﴿لِيُثْلَ هَذَا بَلِغْتِ لِي الْعَمَلُونَ﴾. والأرجح فيه: أن يكون من كلام الله تعالى؛ لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلاً به، ولأن الأمر بالعمل إنما يكون حقيقة في الدنيا ففيه تحريض على العمل الصالح.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى نعيم الجنة وكل ما ذكر من وصفها. وقال الزمخشري: الإشارة إلى قوله: ﴿رِزْقٌ مَّغْلُومٌ﴾<sup>(٣)</sup>. والنزل: الضيافة، وقيل: الرزق الكثير. وجاء التفضيل هنا بين شيتين ليس بينهما اشتراك؛ لأن الكلام تقرير وتوبيخ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَهَا بُنْتَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ قيل<sup>(٤)</sup>: سببها: أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم، قالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢١٦) عن كعب الأحبار.

(٢) في د، هـ: «تحتمل».

(٣) الكشاف (١٣ / ١٥٤).

(٤) لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٥) أخرجه الطبري (١٩ / ٥٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢١٦) عن قتادة.

فالفتنه على هذا: الابتلاء في الدنيا، وقيل: معناه: عذاب الظالمين في الآخرة. والمراد بالظالمين هنا: الكفار.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: تنبت في قعر جهنم، وترتفع أغصانها إلى دركاتنا.

﴿ظَلَعَهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ﴾ الطَّلَع: ثمر النخلة، فاستُعير لشجرة الزقوم، وشُبَّه برؤوس الشياطين مبالغة في قبحه وكراهته؛ لأنه قد تقرّر في نفوس الناس كراحتها وإن لم يروها، ولذلك يقولون للقيح المنظر: وجه شيطان. وقيل: رؤوس الشياطين: شجرة معروفة باليمن، وقيل: هو صنف من الحيات.

﴿لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: مزاجًا من ماء حار. فإن قيل: لم عطف هذه الجملة بـ ﴿ثُمَّ﴾؟  
فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان، فالمعنى: أنهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم، وبعد ذلك يشربون الحميم.

والثاني: أنه لترتيب مضاعفة العذاب، فالمعنى: أن شربهم للحميم أشدّ مما ذكر قبله.

﴿يَهْرَعُونَ﴾ الإهراع: الإسراع الشديد.





وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُوْنَ ﴿٥٦﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٥٧﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِيْنَ ﴿٥٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٥٩﴾ سَلَّمَ عَلٰى نُوْحٍ فِي الْعَلَمِيْنَ ﴿٦٠﴾ إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٦١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٣﴾ \* وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ ﴿٦٤﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَاذَا تُعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ أَيِفْكَاءَ إِلَٰهَ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٦٧﴾ بَمَا ظَلَمْتُمْ رَبَّ الْعَالَمِيْنَ ﴿٦٨﴾ بَنَظَرٍ نَّظَرَةً فِي الشُّجُومِ ﴿٦٩﴾ فَقَالَ إِنِّي سَفِيمٌ ﴿٧٠﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِيْنَ ﴿٧١﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِفُونَ ﴿٧٣﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٧٤﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَتُعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٧٨﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْقَلِيْنَ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِيْكُمْ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِيْنَ ﴿٨٠﴾ فَبَشَّرْتَهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَتِيمَتِي أَنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿٨٢﴾ قَالَ يَٰأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِرِيْنَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿٨٤﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَلِيَّابْرَاهِيْمَ ﴿٨٥﴾ فَذْ صَدَفَتْ الرَّءْفَا إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِيْنُ ﴿٨٧﴾ وَقَدَيْتُهُ بِذَنبِ عَظِيمٍ ﴿٨٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٩﴾ سَلَّمَ عَلٰى إِبْرَاهِيْمَ ﴿٩٠﴾ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٩١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٩٢﴾ وَبَشَّرْتَهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِيْنَ ﴿٩٣﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلٰى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِيْنٌ ﴿٩٤﴾

﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ ﴿٥٦﴾ أي: دعانا، يعني: دعاءه بإهلاك قومه ونصرته عليهم.

﴿٥٧﴾ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٥٧﴾ يعني: الغرق.

﴿٥٨﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِيْنَ ﴿٥٨﴾ أهل الأرض كلهم من ذرية نوح ﷺ؛ لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة، تناسل الناس من أولاده الثلاثة: سام وحام ويافث.

﴿٥٩﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٥٩﴾ معناه: أبقينا له ثناء جميلاً في الناس إلى يوم القيامة.

﴿٦٠﴾ سَلَّمَ عَلٰى نُوْحٍ فِي الْعَلَمِيْنَ ﴿٦٠﴾ هذا تسليم من الله على نوح ﷺ. وقيل: إن هذه الجملة هي مفعول ﴿تَرَكْنَا﴾، وهي محكية، أي: تركنا هذه الكلمة تقال له، يعني: أن الخلق

يَسْلُمُونَ عَلَيْهِ. فَيُتَبَدَأُ بِ﴿سَلَّمَ﴾ عَلَى القول الأول، لا على الثاني، والأول أظهر. ومعنى ﴿يَسْلُمُونَ﴾ عَلَى القول الأول: تخصيصه بالسَّلام عليه من بين العالمين، كما تقول: أَحَبُّ فُلَانًا فِي النَّاسِ، أَي: أَحَبُّهُ خُصُوصًا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ. ومعناه عَلَى القول الثاني: أَنَّ السَّلامَ عَلَيْهِ ثَابِتٌ فِي الْعَالَمِينَ. وهذا الخلاف يجري حيثما ذُكِرَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ الشَّيْعَةُ: الصَّنْفُ الْمُتَّفِقُ، فَمَعْنَى ﴿مِنْ شِيعَتِهِ﴾: عَلَى دِينِهِ فِي التَّوْحِيدِ. وَالضَّمِيرُ يَعُودُ: عَلَى نُوحٍ ﷺ، وَقِيلَ: عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ.

﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ﴾ عِبَارَةٌ عَنْ إِخْلَاصِهِ، وَإِقْبَالِهِ بِكَلِمَتِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْمَجِيءُ بِالْجَسَدِ.

﴿يَقْلِبُ سَلِيمٌ﴾ أَي: سَلِيمٌ مِنَ الشَّرِكِ وَالشُّكِّ وَجَمِيعِ الْعُيُوبِ.

﴿أَيُّفَكَآ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الْإِفْكُ: الْبَاطِلُ، وَإِعْرَابُهُ هُنَا: مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، وَ﴿إِلَهَةٌ﴾: مَفْعُولٌ بِهِ. وَقِيلَ: ﴿أَيُّفَكَآ﴾: مَفْعُولٌ بِهِ، وَ﴿إِلَهَةٌ﴾: بَدَلٌ مِنْهُ. وَقِيلَ: ﴿أَيُّفَكَآ﴾: مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، تَقْدِيرُهُ: «أَفْكِيْنَ»؛ أَي: كَاذِبِينَ. وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ.

﴿بِمَا ظَنَّنَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ تَظُنُّونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنَّ يِعَاقِبُكُمْ بِهِ، وَقَدْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ؟ أَوْ: أَيُّ شَيْءٍ تَظُنُّونَ أَنَّهُ هُوَ حَتَّى عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ؟ كَمَا تَقُولُ: «مَا ظَنَنْتُكَ بِفُلَانٍ؟» إِذَا قَصَدْتَ تَعْظِيمَهُ. فَالْمَقْصِدُ عَلَى الْمَعْنَى الْأُولَى: تَهْدِيدٌ، وَعَلَى الثَّانِي: تَعْظِيمٌ لِلَّهِ وَتَوْبِيخٌ لَهُمْ.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ٨٨ ﴿بَقَالَ إِنِّي سَفِيمٌ﴾ رُوي أَنَّ قَوْمَهُ كَانَ لَهُمْ عِيدٌ يَخْرُجُونَ إِلَيْهِ، فَدَعَا إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ، فَحِينَئِذٍ قَالَ: ﴿إِنِّي سَفِيمٌ﴾؛ لِيَمْتَنَعَ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ، فَيَكْسِرُ أَصْنَامَهُمْ إِذَا خَرَجُوا لِعِيدِهِمْ. وَفِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

الأول: أَنَّهُ كَانَتْ تَأْخُذُهُ الْحُمَّى فِي وَقْتٍ مَعْلُومٍ، فَنَظَرَ فِي النُّجُومِ لِيَرَى وَقْتَ الْحُمَّى، وَاعْتَذَرَ عَنِ الْخُرُوجِ بِأَنَّهُ سَقِيمٌ مِنَ الْحُمَّى.

والثاني: أَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا مَنْجُمِينَ وَكَانَ هُوَ يَعْلَمُ أَحْكَامَ النُّجُومِ، فَأَوْهَمَهُمْ أَنَّهُ اسْتَدَلَّ بِالنَّظَرِ فِي عِلْمِ النُّجُومِ أَنَّهُ يَسْقَمُ، فَاعْتَذَرَ بِمَا يَخَافُ مِنَ السُّقْمِ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ.

والثالث: أَنَّ مَعْنَى نَظَرَ فِي النُّجُومِ: أَنَّهُ نَظَرَ وَفَكَّرَ فِيمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ فَقَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ، وَالنُّجُومُ عَلَى هَذَا: مَا يَنْجُمُ مِنْ حَالِهِ مَعَهُمْ، وَلَيْسَتْ نَجُومُ السَّمَاءِ، وَهَذَا بَعِيدٌ.

وقوله: ﴿إِنَّهُ سَفِيمٌ﴾ على حسب هذه الأقوال:

يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ حَقًّا لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا تَجَوُّزَ أَصْلًا، وَيَعَارِضُ هَذَا مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَذَبَ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، أَحَدَاهَا<sup>(١)</sup>»؛ قوله: ﴿إِنَّهُ سَفِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَذِبًا صُرَاحًا، وَجَازَ لَهُ ذَلِكَ عَلَى هَذَا الْإِحْتِمَالِ؛ لِأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ؛ إِذْ قَصَدَ كَسْرَ الْأَصْنَامِ.

وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَعَارِضِ، فَأَرَادَ أَنَّهُ سَقِيمٌ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ؛ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ لَا بَدَّ أَنْ يَمْرُضَ، أَوْ أَرَادَ أَنَّهُ سَقِيمُ النَّفْسِ مِنْ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ. وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَوْلَى؛ لِأَنَّ نَفْيَ الْكَذِبِ بِالْجُمْلَةِ يُعَارِضُ الْحَدِيثَ، وَالْكَذِبُ الصُّرَاحُ لَا يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ، أَمَّا الْمَعَارِضُ فَهِيَ جَائِزَةٌ.

﴿بَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ أَي: تَرَكُوهُ إِعْرَاضًا عَنْهُ، وَخَرَجُوا إِلَى عَيْدِهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّهُ أَرَادَ بِالسُّقْمِ الطَّاعُونَ، وَهُوَ دَاءٌ يُعْدِي، فَخَافُوا مِنْهُ وَتَبَاعَدُوا عَنْهُ مَخَافَةَ الْعَدْوَى.

﴿بِرَاعٍ﴾ أَي: مَالٍ.

﴿بَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْاسْتِهْزَاءِ بِالَّذِينَ يَعْبُدُونَ تِلْكَ الْأَصْنَامَ.

﴿صَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أَي: بِيَمْنَى يَدَيْهِ، وَقِيلَ: بِالْقُوَّةِ، وَقِيلَ: بِالْحَلْفِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَتَأْتِيهِ لَآكِيدَتَانِ أَصْنَنْتَكُمُ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ وَأَلْيَقُ بِالضَّرْبِ. وَ«صَرْبًا» مُصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

﴿يَزِفُونَ﴾ أَي: يَسْرِعُونَ.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ﴾ أَي: تَنْجِرُونَ، وَالنَّحْتُ: النَّجَارَةُ، إِشَارَةٌ إِلَى صَنْعَتِهِمْ<sup>(٣)</sup> لِلْأَصْنَامِ مِنَ الْحِجَارَةِ أَوِ الْخَشَبِ.

(١) فِي أ، هـ: «إِحْدَاهَا».

(٢) تَقْدِمُ تَخْرِيجَهُ.

(٣) فِي أ، هـ: «صَنْعَتِهِمْ».

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ذهب قوم إلى أن ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى: الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد. وقيل: إنها موصولة بمعنى «الذي»، والمعنى: الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها، وهذا اليق بسياق الكلام، وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام. وقيل: إنها نافية، وقيل: استفهامية، وكلاهما باطل.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ قيل: البنيان: في موضع النار، وقيل: بل كان للمنجنيق الذي رُمي عنه. ﴿بَارِئُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني: حرّقه بالنار. ﴿بَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْقِلِينَ﴾ أي: المغلوبين.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ قيل: إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد: أنه ذاهب - أي: مهاجر - إلى الله، فهاجر إلى أرض الشام. وقيل: إنه قال ذلك قبل أن يُطرح في النار، وأراد: أنه ذاهب إلى ربه بالموت؛ لأنه ظن أن النار تُحرّقه. و﴿سَيِّدِينَ﴾: على القول الأول: يعني الهدى إلى صلاح<sup>(١)</sup> الدين والدنيا، وعلى القول الثاني: إلى الجنة. وقالت المتصوفة: معناه: ذاهب إلى ربي بقلبي، أي: مقبل على الله بكليته، تارك لما سواه<sup>(٢)</sup>.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني: ولدًا من الصالحين.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: عاقل. واختلف الناس في هذا الغلام المبشّر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضي الله عنهم<sup>(٣)</sup>: هو إسماعيل، وحجتهم من ثلاثة أوجه:

(١) في أ، ج: «إصلاح».

(٢) [التعليق ٩٤] قال الشيخ عبد الرحمن البراءك: قوله: «قالت المتصوفة» إلخ، أقول: نقله هذا التأويل للآية عن الصوفية دون تعقب إقرار له، وهذا التأويل في نفسه معنى حق؛ فلا ريب أن إبراهيم مقبل على ربه بكلية قلبه، كيف وقد قال الله فيه: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقُلُوبٍ سَابِغَةٍ﴾ ١٩ لكن جعل هذا المعنى تفسيراً للآية ليس بمستقيم؛ لأنه خلاف تفسير السلف للآية؛ فالسلف ومن تبعهم على أن المراد بالآية الهجرة من العراق إلى الشام، فقوله في الصافات: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾، هو المذكور في سورة العنكبوت: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَزِيرُ الْمُعْكِدُ﴾، فالأيتان في هجرة البدن، لا في هجرة القلب؛ فإبراهيم عليه السلام لم يزل مهاجراً إلى ربه بقلبه.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٩٢) وما بعدها.

الأول: أن رسول الله ﷺ قال: «أنا ابن الذبيحين»<sup>(١)</sup> يعني: إسماعيل عليه السلام، ووالده عبد الله، حين نذر والده عبد المطلب أن ينحره إن يسّر الله له أمر زمزم، ففداه بمئة من الإبل.

والثاني: أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح: «وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ»، فدلّ ذلك على أن الذبيح غيره.

والثالث: أنه روي أن إبراهيم عليه السلام جرت له قصة الذبيح بمكة، وإنما كان معه بمكة إسماعيل عليه السلام.

وذهب علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> وابن مسعود<sup>(٣)</sup> وجماعة من التابعين عليه السلام: إلى أن الذبيح إسحاق، وحثهم من وجهين: الأول: أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالولد إنما كانت بإسحاق؛ لقوله: «وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ» [هود: ٧٠]. والثاني: أنه روي أن يعقوب عليه السلام كان يكتب: من يعقوب إسرائيل<sup>(٤)</sup> ابن إسحاق ذبيح الله<sup>(٥)</sup>.

(١) أورده في المحرر الوجيز (٣٠١/٧) والكشاف (١٨٥/١٣)، ولم أقف على إسناد له، وأخرج الطبري (١٩/٥٩٧)، والحاكم (٤٠٣٦)، والأموي في مغازيه - كما في تفسير ابن كثير (٣٠/٧) -، وابن مردويه - كما في الدر المنثور (٤٣٤/١٢) - عن عبد الله بن سعيد الصنابحي، قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق بن إبراهيم فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح، فقال معاوية: سقطتم على الخبر كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه الأعرابي، فقال: يا رسول الله، خلّفت البلاد يابسة والماء يابساً، هلك المال وضاع العيال، فعُدّ عليّ بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه. قال ابن كثير: «وهذا حديث غريب جداً»، وقال الذهبي: «إسناده واهٍ»، وضعفه السيوطي في الدر المنثور.

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٣٦٩/٢٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٩/٥٨٩).

(٤) في أ، ب، د، هـ: «إسرائيل الله» بزيادة اسم الله، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (١٦/٢٠١): «في التاريخ [يعني: تاريخ الطبري]: «إسرائيل الله»، وكان الذي في التفسير [أي: بدون زيادة اسم الله] هو الصواب، لأن «إيل» بمعنى «الله»، و«إسرا»، يضاف إليه، وكان «إسرا»، بمعنى: «سري»، وهو بمعنى المختار، كأنه: «صفي الله» الذي اصطفاه. وفي تفسير ذلك اختلاف كثير».

(٥) هكذا ذكره الزمخشري (١٨٧/١٣) أن يعقوب كان يكتب، وفي تفسير الطبري (١٣/٢١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٧/٢١٥٩) عن أبي ميسرة أن يوسف عليه السلام قال: «أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله»، وأخرجه ابن أبي حاتم أيضاً (٧/٢١٥٩) عن ابن عباس عليه السلام بنحوه.

﴿قَلَمًا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ﴾ يريد بالسمي هنا: العمل والعبادة، وقيل: المشي، وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة.

﴿قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ يحتمل أن يكون رأى في المنام الذبح، وهو الفعل، أو أمر في المنام أن يذبحه. والأول أظهر في اللفظ هنا، والثاني أظهر في قوله: ﴿إِفْعَلْ مَا تَوْمَرُ﴾، ورؤيا الأنبياء وحى، فوجب<sup>(١)</sup> عليهم الامتثال على الوجهين.

﴿بَانظُرْ مَاذَا تَرْى﴾ إن قيل: لم شاوره في أمر هو محتم<sup>(٢)</sup> من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر، فأجابه بأحسن جواب.

﴿قَلَمًا أَسْلَمًا﴾ أي: استسلما وانقادا لأمر الله.

﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي: صرعه بالأرض على جبينه، وللإنسان جبينان حول الجبهة. وجواب ﴿لَمَّا﴾: محذوف عند البصريين، تقديره: فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم. وقال الكوفيون: جوابها: ﴿تَلَّهُ﴾، والواو زائدة. وقال بعضهم: جوابها: ﴿تَلَدَيْنَهُ﴾، والواو زائدة.

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا﴾ يحتمل أنه يريد بقلبك، أي: كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها. ويحتمل أن يريد: صدقتها بعملك، أي: وفيت حقها من العمل.

فإن قيل: إنه أمر بالذبح ولم يذبح، فكيف قيل له: ﴿صَدَّقْتَ الرُّءْيَا﴾؟

فالجواب: أنه قد بذل جهده؛ إذ عزم على الذبح ولو لم يفذه الله لذبحه، ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه، فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله، وقد قضى إبراهيم عليه السلام ما عليه.

﴿الْبَلَاؤُاَ الْمُبِينُ﴾ أي الاختبار البين، الذي تظهر<sup>(٣)</sup> به طاعة الله، أو المحنة البينة الصعوبة.

(١) في ب، ج: «يوجب».

(٢) في أ، هـ: «حتم».

(٣) في ب، ج، د: «يظهر».

﴿وَقَدِّتَهُ يَذْبَحْ عَظِيمًا﴾ الذَّبِيحُ: اسم لما يُذْبَح، وأراد به هنا: الكبش الذي فداه به، وروي أنه من كباش الجنة، وقيل: إنه الكبش الذي قَرَّبَ به ولد آدم<sup>(١)</sup>، ووصفه بـ﴿عَظِيمًا﴾ لذلك، أو لأنه من عند الله، أو لأنه متقبَّل. وروي في القَصَص: أن الذبيح قال لإبراهيم: «اشدد رباطي لثلاث أضطرب، واصرف بصرك عني لثلاث ترحمني»، وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع، فحينئذ جاءه الكبش من عند الله<sup>(٢)</sup>. وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية، وتركناه لعدم صحته.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إن قيل: لم قال هنا في قصة إبراهيم ﷺ: ﴿كَذَلِكَ﴾ دون قوله: «إِنَّا»، وقال في غيرها: «إِنَّا كَذَلِكَ»؟ فالجواب: أنه قد تقدَّم في قصة إبراهيم نفسها: «إِنَّا كَذَلِكَ» فأغنى عن تكرار «إِنَّا» هنا.



(١) أخرجه الطبري (١٩ / ٦٠١، ٦٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٢٤) عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ؓ: قوله: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ فقربا قربانهما، فجاء صاحب الغنم بكبش أعين أقرن أبيض، وصاحب الحرث بصبرة من طعام، فقبل الله الكبش فخرنه في الجنة أربعين خريفاً، وهو الكبش الذي ذبحه إبراهيم ﷺ. واللفظ لابن أبي حاتم. قال ابن كثير في تفسيره (٣ / ٨٣): «إسناد جيد».

(٢) أخرجه الطبري (١٩ / ٥٨٠)، وابن أبي حاتم (/) عن السدي.

\* وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١١﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ بِكَائِنُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَشِينَ ﴿١١٣﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٤﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْيَرِينَ ﴿١١٥﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٧﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٩﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تُتَّقُونَ ﴿١٢٠﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢١﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٢﴾ بِكَذْبِهِ جَاءَنَّهُمْ لَمُحَضَّرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ﴿١٢٤﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْيَرِينَ ﴿١٢٥﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ﴿١٢٦﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٩﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٢﴾ وَانكُم لَتَمُوتُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٣﴾ وَبِالنِّيلِ أَفْلَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿١١٠﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ يعني: بالنبوة وغير ذلك.

﴿١١١﴾ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: الغرق، أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم.

﴿١١٢﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الضمير يعود على موسى وهارون ﷺ وقومهما. وقيل: على موسى وهارون ﷺ خاصة، وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم، وهذا ضعيف.

﴿١١٣﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَشِينَ﴾ يعني: التوراة، ومعنى ﴿الْمُسْتَشِينَ﴾: البين. وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع<sup>(١)</sup>.

﴿١١٦﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلياس: من ذرية هارون، وقيل: إنه إدريس. وقد أخطأ من قال: إنه إلياس المذكور في أجداد النبي ﷺ.

﴿١٢٢﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ البعل: الرب بلغة اليمن، وقيل: بعل: اسم صنم كان لهم يقال له: بعلبك.

(١) انظر الباب العاشر من المقدمة الأولى.



﴿سَلَّمَ عَلَيَّ ءَالِ يَاسِينَ﴾ ﴿ءَالٍ﴾ هنا - على هذه القراءة<sup>(١)</sup> - بمعنى أهل، و﴿يَاسِينَ﴾ اسم لإلياس، وقيل: لأبيه، وقيل: اسم لمحمد ﷺ. وقرئ ﴿إِلَ يَاسِينَ﴾ بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة، وهو على هذا جمع إلياسي؛ أي: منسوب لإلياس، حذفت منه الياء كما حذفت من «أعجمين»، وقيل: سمى كل واحد من آل إلياس بإلياس، ثم جمعهم، وقيل: هي لغة في «إلياس».

﴿عَجُوزًا فِي الْقُبُورِ﴾ قد ذكر<sup>(٢)</sup>.



(١) قرأ نافع وابن عامر بالمد وقطع ﴿آلٍ﴾ من «ياسين»، وقرأ الباقون بكسر الهمزة وإسكان اللام ووصلها بالياء.

(٢) انظر تفسير الآية (٨٢) من سورة الأعراف.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠١﴾ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٠٢﴾ فَسَاهَمَ بِكَانٍ مِنَ  
 الْمَذْحِجِينَ ﴿١٠٣﴾ فَالْتَفَمَهُ الْحَوْثُ وَهُوَ مَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٠٥﴾ لَلَبِثَ فِي  
 بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٦﴾ \* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٠٧﴾ وَأَثْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّفَاطِيهِ ﴿١٠٨﴾  
 وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٠٩﴾ فَاثْمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمُ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبِّيُّ  
 الْبَنَاتِ وَلَهُمُ النَّبُونَ ﴿١١١﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١١٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهَمَ لَيَقُولُونَ  
 ﴿١١٣﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١٤﴾ أَصْطَغَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١١٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١١٦﴾  
 ﴿١١٧﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١١٨﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١١٩﴾ فَاتَّوٰا بِكَيْتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٢٠﴾  
 وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢١﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا  
 يُصِفُونَ ﴿١٢٢﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ﴿١٢٣﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٢٤﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ ﴿١٢٥﴾ إِلَّا  
 مَن هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا مِثًّا إِلَّا لَهُدٍ مَّقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٢٧﴾ وَإِنَّا لَنَخْلُ الصَّٰقِبُونَ ﴿١٢٨﴾ وَإِنَّا لَنَخْلُ  
 الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٣٠﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣١﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمَخْلَصِينَ ﴿١٣٢﴾ فَكَبَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٣﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٤﴾  
 إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٣٥﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٣٦﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٣٧﴾ وَأَبْصِرْهُمْ  
 فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٣٨﴾ أَبْعَدَا إِنَّا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٣٩﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٤٠﴾  
 وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٤١﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٤٢﴾ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٤٣﴾  
 وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٤﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قد ذكرنا قصته في «يونس»<sup>(١)</sup> و«الأنبياء»<sup>(٢)</sup>.

﴿إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: هرب إلى السفينة، والفلک هنا: واحد، و  
 «الْمَشْحُونِ»: المملوء. وسبب هروبه: غضبه على قومه حين لم يؤمنوا، وقيل: إنه  
 أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله، فلما رأى قومه مخايل العذاب  
 آمنوا، فرفع الله عنهم العذاب، فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب.

(١) انظر تفسير الآية (٩٨).

(٢) انظر تفسير الآية (٨٦).

﴿وَسَاهَمَ بَكَانٍ مِنَ الْمَذْحِضِينَ﴾ معنى «سَاهَمَ»: ضرب القرعة، والشَّهْمَةُ: هي القرعة، والمَذْحِضُ: المغلوب في القرعة والمُحَاجَّةُ. وسبب مقارعة<sup>(١)</sup>: أنه لما ركب السفينة، وقفت ولم تَجِرْ، فقالوا: إنما وقفت من حدثٍ أحدثه أحدنا، فنقترع لنرى على من تخرج القرعة فنطرحه، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس عليه السلام فطرحوه في البحر، فالتقمه الحوت.

﴿وَهُوَ مَلِيْمٌ﴾ أي: فَعَلَ ما يُلام عليه، وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج.

﴿قُلُوبًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَسِيحِينَ﴾ تسميحه: هو قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦]، حسبما حكى الله عنه في «الأنبياء». وقيل: هو قوله: «سبحان الله». وقيل: هو الصلاة، واختلف على هذا: هل يعني صلاته في بطن الحوت، أو قبل ذلك. واختلف في مدة بقاءه في بطن الحوت: فقيل: ساعة، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أربعون يومًا.

﴿فَتَبَدَّلَ بِالْعَرَاءِ﴾ العراء: الأرض الفضاء التي لا شجر فيها، ولا ظل، وقيل: يعني: الساحل.

﴿وَهُوَ سَفِيْمٌ﴾ روي أنه كان كالطفل المولود بَصْعَةً لحم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَثْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّفْطِيْنِ﴾ أي: أثبتناها فوقه؛ لَتُظِلَّهُ وتقيه حرَّ الشمس. واليقطين: هو القرع، وإنما خصَّه الله به؛ لأنه يجمع برد الظل، ولين الملمس، وكبر الورق، وأن الذُّباب لا يقربه؛ فإن لحم يونس عليه السلام لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب. وقيل: اليقطين: كل شجرة لا ساق لها، كالْبُقُول، والْقَرَع، والبَطِيخ، والأول أشهر.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾ يعني: رسالته الأولى التي أبق بعدها. وقيل: هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت، والأول أشهر.

﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل: «أو» هنا: بمعنى «بل»، وقرأ ابن عباس عليه السلام: «بل يزيدون»<sup>(٣)</sup>.

(١) في د: «قرعته».

(٢) أخرجه الطبري (٦٣٢/١٩) عن ابن عباس عليه السلام والسدي.

(٣) أخرجه الطبري (٦٣٧/١٩).

وقيل: هي بمعنى الواو، وقيل: هي للإبهام، وقيل: المعنى: أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول: هم مئة ألف أو يزيدون. واختلف في عددهم: فقيل: مئة وعشرون ألفاً، وقيل: مئة وثلاثون ألفاً، وقيل: مئة وأربعون ألفاً، وقيل: مئة وسبعون ألفاً.

﴿وَنَسَامُنُوا بِمَنَعَتِهِمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ روي أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم، وفرّقوا بينها<sup>(١)</sup> وبين الأمهات، وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا، فرفع الله العذاب عنهم<sup>(٢)</sup>. و﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: إلى آجالهم<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها؛ لضعف صحتها.

﴿بِاسْتَفْتِهِمْ أَلَيْسَ آلِ بْنِكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ قال الزمخشري: إن هذا معطوف على قوله: ﴿بِاسْتَفْتِهِمْ﴾ الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما<sup>(٤)</sup>. والضمير المفعول: لقريش وسائر الكفار، أي: أسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله، فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور، وتلك قسمةٌ ضيّزى، ثم قرّره على ما زعموا من أن الملائكة إناث<sup>(٥)</sup> وردّ عليهم بقوله: ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾.

ويحتمل أن يكون: بمعنى الشهادة، أو بمعنى الحضور، أي: أنهم لم يحضروا على ذلك ولم يعلموه. ثم أخبر عن كذبهم في قولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾، ثم قرّره على ما زعموا من أن الله اصطفي لنفسه البنات، وذلك كله ردّ عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علواً كبيراً.

﴿أَصْطَفَىٰ﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل.

﴿مَا لَكُمْ﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية معناها: التوبيخ، وهي في موضع رفع بالابتداء، والمجرور بعدها خبرها، فينبغي الوقف على قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾.

(١) في ب، ج: «بينهما».

(٢) أخرجه الطبري (٣٧٥/١٦)، وابن أبي حاتم (١٩٨٨/٦) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؓ.

(٣) في أ، هـ: «أجلهم».

(٤) الكشاف (٢٠٦/١٣).

(٥) في ب، ج: «بنات».

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ﴾ أي: برهان بينٌ.

﴿فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ تعجيزٌ لهم؛ لأنهم ليس لهم كتاب يحتجّون به.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب، وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن الجنة هنا: الملائكة، وسميت بهذا الاسم؛ لأنه مشتقٌّ من الاجتنان وهو الاستتار، والملائكة مستورون عن أعين بني آدم كالجن، والنسب الذين جعلوا بين الله وبينهم: قولهم: إنهم بنات الله.

والقول الثاني: أن الجن هنا الشياطين<sup>(١)</sup>، وفي النسب الذي جعلوا بينه وبينهم قولان:

أحدهما: أن بعض الكفار قال: إن الله والشيطان<sup>(٢)</sup> أخوان، تعالى الله عن ذلك.

والآخر: أن بعضهم قال: إن الله نكح في الجن فولدت له الملائكة، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ من قال: إن الجن الملائكة: فالضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يعود على الكفار؛ أي: قد علمت الملائكة أن الكفار مُحْضَرُونَ في العذاب. ومن قال: إن الجن الشياطين: فالضمير يعود عليهم؛ أي: قد علمت الشياطين إنهم محضرون في العذاب.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع: من المحضرين، أو من الفاعل في ﴿يَصِفُونَ﴾.

والمعنى: لكن عباد الله المخلصين لا يُحْضَرُونَ في العذاب، أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهلُه.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقَتِينِينَ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ هذا خطابٌ للكفار، والمراد بـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها. و﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ عطفٌ على

(١) في أ، ج، هـ: «الشيطان».

(٢) في أ، د، هـ: «والشياطين».

الضمير في ﴿إِنَّكُمْ﴾، ويجوز أن تكون الواو بمعنى «مع». ومعنى ﴿بَيْنَيْنِ﴾: مُضِلِّينَ. والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، و«على» سببية معناها التعليل، و﴿مَنْ هُوَ﴾: مفعول به ﴿بَيْنَيْنِ﴾. والمعنى: إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تُضِلُّونَ أحداً إلا من قضى الله أن يضلَّ الجحيم، أي: لا تقدرون على إغواء الناس إلا بقضاء الله. وقال الزمخشري: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على الله تعالى<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هذا حكاية كلام الملائكة ﷺ، وتقديره: ما منا ملك إلا وله مقام معلوم، فحذف الموصوف لفهم الكلام. والمقام المعلوم يحتمل أن يراد به الموضع الذي يقومون فيه؛ لأن منهم مَنْ هو في السماء الدنيا وفي الثانية وفي سائر السماوات وحيث شاء الله. ويحتمل أن يراد به: المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّابِقُونَ﴾ أي: الواقفون صفوفًا في العبادة، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم؛ ليقعدوا بالملائكة، وليس أحدٌ من أهل الملل يصلُّون صفوفًا إلا المسلمون.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ السَّيِّحُونَ﴾ قيل: معناه: المصلون؛ لأن الصلاة يقال لها: تسييحٌ، وقيل: معناه: القائلون «سبحان الله». وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة ﷺ ردٌّ على من قال: إنهم بناتُ الله أو شركاءُ له؛ لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له. ويدلُّ هذا الكلام أيضًا على أن المراد بالجن قبل هذا: الملائكة. وقيل: إن هذا كله من كلام محمد ﷺ وكلام المسلمين، والأول أشهر.

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الضمير: لكفار قريش وسائر العرب. والمعنى: أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون: لو أرسل الله إلينا رسولاً أو أنزل علينا كتاباً لكننا عباد الله المخلصين.

(١) الكشاف (١٣/٤١٢)، وقال: «فإن قلت: كيف يفتنونه على الله؟ قلت: يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم، من قولك: فتن فلان على فلان امرأته، كما تقول: أفسدها عليه وخبيها عليه».

﴿فَكَبَرُوا بِهِ﴾ الضمير للذكر، أو لمحمد ﷺ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعد على كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ المعنى: سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم، وأن جند الله غالبون. وهذا النصر والغلبة: بظهور الحجة والبرهان، وبهزيمة الأعداء في القتال، وبالسعادة في الآخرة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جِئَ﴾ أي: أعرض عنهم، وذلك موادةً منسوخة بالسيف. والحين هنا يراد به: يوم بدر، وقيل: حضور آجالهم<sup>(١)</sup>، وقيل: يوم القيامة.

﴿وَأَبْصَرَهُمْ وَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ هذا وعد للنبي ﷺ، ووعد لهم.

﴿أَبْغَضَيْنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ إشارة إلى قولهم: «متى هذا الوعد؟» و«أمطر علينا حجارة من السماء»، وشبه ذلك.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمُ﴾ السَّاحَةُ: الفناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يردُّ على الإنسان من محذور. وشؤء الصَّباح: مستعمل في ورود الغارات والرزايا. ومقصد الآية: التهديد بعذاب يحُلُّ بهم بعد أن أُنذروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيلٌ بقوم أُنذروهم ناصحٌ بأن جيشًا يحُلُّ بهم فلم يقبلوا نصحه، حتى جاءهم الجيش فأهلكهم.

﴿وَأَبْصَرَ﴾ كرر الأمر بالتولي عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد. وقيل: أراد بالوعد الأول: عذاب الدنيا، وبالثاني: عذاب الآخرة. فإن قيل: لم قال أولاً ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾، وقال هنا: ﴿وَأَبْصَرَ﴾، فحذف الضمير المفعول؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه اكتفى بذكره أولاً عن ذكره ثانيًا، فحذفه اختصارًا.

والآخر: أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم، كأنه قال: «أبصر جميع الكفار»، بخلاف الأول، فإنه في قریش خاصة.

(١) في أ، هـ: «آجالهم».

﴿سُبْحَنَ رَبِّيَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالاً كثيرة شنيعة. و﴿الْعِزَّةُ﴾ إن أراد بها: عزة الله فمعنى ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: ذو العزة، وأضافها إليه لاختصاصه بها، وإن أراد بها: عزة الأنبياء والمؤمنين فمعنى ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: مالئها وخالقها. ومن هذا قال محمد بن سحنون<sup>(١)</sup>: من حلف بعزة الله؛ فإن أراد صفة الله فهي يمين، وإن أراد العزة التي أعطى عباده فليست بيمين<sup>(٢)</sup>.

ثم ختم الله هذه السورة بالسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. فأما السلام على المرسلين: فيحتمل أن يريد به التحية، أو سلامتهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلاً لقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾. وأما الحمد فيحتمل أن يريد به الحمد على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن يريد الحمد على الإطلاق<sup>(٣)</sup>.



(١) محمد بن سحنون - واسمه عبد السلام - بن سعيد التنوخي، ابن الفقيه المالكي المعروف، تفقه بأبيه، وتوفي سنة (٢٥٦هـ). الديباج المذهب (٢/١٦٩).

(٢) انظر: النوادر والزيادات، لابن أبي زيد القيرواني (٤/١٥).

(٣) جاء في ب هنا: «كامل تفسير» والصفات، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حلیم كريم قوي معين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مباركاً فيه.

وجاء في ج هكذا: «كامل تفسير سورة» والصفات، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته والتابعين من بعده وسلم تسليماً، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حلیم كريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



## سُورَةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١)

صَّ وَالْفُرْعَانِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿١﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرَبٍ فَنَادَوْا وَلَا تَجِئْ مِنَّا صَاحِبُ السَّحَابِ ﴿٢﴾ أَجْعَلْ أَلَهِيَّةَ إِلَهًا وَاحِدًا لَّا هَذَا لَشَيْءٍ عَجَابٌ ﴿٣﴾ وَأَنْطَلَقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٤﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأُمَلَّةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا إِخْتِلَافٌ ﴿٥﴾ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِهِ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ﴿٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٧﴾ أَمْ لَهُمْ مِثْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿٨﴾ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿٩﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١١﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٢﴾

﴿صَّ﴾ تكلما في حروف الهجاء في «البقرة». ويختص بهذا أنه قيل فيه: معناه: «صدق محمد». وقيل: هو حرف من اسم الله: «الصمد»، أو «صادق الوعد»، أو «صانع المصنوعات». «وَالْفُرْعَانِ ذِي الذِّكْرِ» هذا قسم، جوابه محذوف تقديره: إن القرآن من عند الله، أو إن محمداً ﷺ لصديق وشبه ذلك. وقيل: جوابه في قوله «صَّ»؛ إذ هو بمعنى: صدق محمد. وقيل: جوابه: «إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ»، وهذا بعيد. وقيل: جوابه: «إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ» وهذا أبعد. ومعنى «ذِي الذِّكْرِ»: ذي الشرف، أو الذكرى بمعنى الموعدة، أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة.

«بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ» «الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني: قريشاً، و«بَلِ» للإضراب عن

(١) قال السخاوي في «جمال القراء وكمال الإقراء» (ص: ٩١): «سورة «ص»، وتسمى سورة داود ﷺ».

كلام محذوف، وهو جواب القسم، أي: إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق. والعزة هي: التكبر، والشقاق: العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما، وتفاقم الكفار فيهما.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ إخبارٌ يتضمن تهديدًا لقريش.

﴿بَنَادُوا وَلَآتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ المعنى: أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك. و﴿لَآتٍ﴾ بمعنى: ليس، وهي «لا» النافية زيدت عليها علامة التأنيث، كما زيدت في «رُبَّتْ» و«ثُمَّتْ»، ولا تدخل «لات» إلا على الأزمان، واسمها مضمر، و﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ خبرها، والتقدير: وليس الحين الذين دعوا فيه حين مناص. والمناص: المفتر والنجاة، من قولك: ناص ينوص إذا فرّ.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الضمير لقريش، والمُنْذِر: محمد ﷺ؛ أي: استبعدوا أن بعث الله رسولاً منهم. ويحتمل أن يريد من قبيلتهم، أو يريد من البشر مثلهم. ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ كان الأصل: «وقالوا»، ولكن وضع هذا الظاهر موضع المضمر؛ إظهاراً للغضب، وقصدًا لوصفهم بالكفر.

﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ هذا إنكارٌ منهم للتوحيد. وسبب نزول هذه الآيات: أن قريشًا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كُفَّ ابن أخيك عنا، فإنه يعيب ديننا ويذمُّ آلهتنا، ويُسفِّه أحلامنا، فكلَّمه أبو طالب في ذلك، فقال ﷺ: «إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب»، فقالوا: نعم، وعشر كلمات معها. فقال: «قولوا: لا إله إلا الله»، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدًا<sup>(١)</sup>.

﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ «انْظُرْ إِلَى إِلَهِ الْمُكَذِّبِينَ»: عبارة عن خروجهم عن أبي طالب، وقيل: عبارة عن تفرُّقهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر. و﴿أَنْ يَمْشُوا﴾ معناه: يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا

(١) أخرجه الطبري (١٩/٢٠)، وابن أبي حاتم (٣٢٣٥/١٠)، وأحمد (٣٤١٩)، والترمذي (٣٢٣٢) وصححه، والنسائي في الكبرى (٨٧١٦)، وابن حبان (٦٦٨٦)، وابن أبي شيبة (٣٧٧١٩)، والحاكم (٣٦١٧) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٨٦٤٨) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ؓ.

محمدًا فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده.

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ هذا أيضًا مما حكى الله من كلام قريش، وفي معناه وجهان: أحدهما: إن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد، أي: إن هذا التوحيد شيءٌ يراد به الانقيادُ إليه. والآخر: أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم، أي: إن هذا شيءٌ ينبغي أن يُراد ويُتمسك به، أو إن هذا شيء يريدُه الله منا؛ لَمَّا قَضَى علينا به. والأول أرجح؛ لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه، فيكون الكلام على نسقٍ واحد.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ هذا أيضًا مما حكى من كلامهم، أي: ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة. والمراد بـ﴿الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: ملةُ النصارى؛ لأنها بعد ملة موسى ﷺ وغيره، وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد. وقيل: المراد: ملة قريش، أي: ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركنا عليها آبائنا. وقيل: المراد: الملة المنتظرة؛ إذ كانوا يسمعون من الأخبار والكهَّان أن رسولاً يبعث يكون آخر الأنبياء.

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا ابْتِغَاءٌ﴾ هذا أيضًا مما حكى من كلامهم، والإشارة إلى التوحيد والإسلام. ومعنى الاختلاق: الكذب.

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ الهمزة للإنكار، والمعنى: أنهم أنكروا أن يخصَّ الله محمدًا ﷺ بإنزال القرآن عليه دونهم.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرٍ﴾ هذا ردُّ عليهم، والمعنى: أنهم ليست لهم حجة ولا برهان، بل هم في شكٍّ من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا. ويحتمل أن يريد بـ﴿ذِكْرٍ﴾: القرآن.

﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ هذا وعيدٌ لهم وتهديد، والمعنى: أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب، فإذا ذاقوه زال عنهم الشكُّ، وأذعنوا للحق.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ هذا ردُّ عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة. والمعنى: أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤوا ويمنعوها ممن شاؤوا، بل يعطيها الله لمن يشاء. ثم وصف نفسه بـ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾؛ لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب يُنعم على من يشاء، فلا حجة لهم فيما أنكروا.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا أيضًا ردٌّ عليهم، والمعنى: أم لهم الملك فيتصرّفوا فيه كيف شاؤوا؟ بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء. و﴿أَمْ﴾ الأولى: منقطعة بمعنى «بل» وهمزة الإنكار. وأما الثانية: فيحتمل أن تكون كذلك، أو تكون عاطفةً معادلة لما قبلها.

﴿فَلْيَرْتَفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ هذا تعجيزٌ لهم، وتهكُّمٌ بهم. ومعنى «يَرْتَفَعُوا» يصعدوا، و﴿الْأَسْبَابِ﴾ هنا: السَّلايِمُ<sup>(١)</sup> والطرق، وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو، وقيل: هي أبواب السماء. والمعنى: إن كان لهم ملك السماوات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك.

﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ هذا وعيدٌ بهزيمتهم في القتال، وقد هُزِموا يوم بدر وغيره. و﴿مَّا﴾ هنا: صفةٌ لـ «جُنْدٍ»، وفيها معنى التحقير لهم. والإشارة بـ «هُنَالِكَ» إلى حيث وضعوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء. وقيل: الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب، وهذا بعيد، وقيل: الإشارة إلى موضع بدر. و﴿مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ معناه: من جملة الأحزاب الذين تعصّبوا للباطل فهلكوا.

﴿وَمِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: كانت له أوتادٌ وخشب يلعب بها وعليها<sup>(٢)</sup>. وقيل: كان له أوتاد يُسمّرها في الناس لقتلهم. وقيل: أراد المباني العظام الثابتة، ورجّحه ابن عطية<sup>(٣)</sup>. وقال الزمخشري: إن ذلك استعارةٌ في ثبات المُلْك، كقول القائل:

فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ<sup>(٤)</sup>

﴿وَأَضْحَبُ لَيْكَةٍ﴾ قد ذُكِرَ<sup>(٥)</sup>.

(١) في أ، هـ: «السلايم» وهما جمعان صحيحان للكلمة.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/٢٠) عن سعيد بن جبيرة عنه رضي الله عنه.

(٣) المحرر الوجيز (٣٢٨/٧).

(٤) الكشف (٢٤٣/١٣)، وهذا عجز بيت للأسود بن يعقّر النهشلي كما في ديوانه (ص: ٢٧)، وصدر البيت: «ولقد غنّا فيها بأنعم عيشة».

(٥) انظر تفسير الآية (١٧٦) من سورة الشعراء.

وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا فِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ  
الْحِسَابِ ﴿٥٢﴾ إضْمِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّا سَخَرْنَا  
الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٥٤﴾ وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿٥٥﴾ وَشَدَدْنَا  
مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضْلَ الْخِطَابِ ﴿٥٦﴾ \* وَهَلْ آتَيْكَ تَبَوُّؤُ الْخُضُمِ إِذْ تَسَوَّرُوا  
الْمِخْرَابَ ﴿٥٧﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصَصْنَا لَكَ فِي هَذِهِ نَسِيبًا  
بَعْضُ بَاخِكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ  
وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ قَبَّلَ أَكْمَلَيْنِهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٥٩﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ  
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا  
وَأَنَابَ ﴿٦٠﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴿٦١﴾ يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ  
خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ  
الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦٢﴾

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ «يَنْظُرُ» هنا بمعنى: ينتظر، و«هَؤُلَاءِ» يعني: قريشًا. والصَّيْحَةُ الواحدة: النفخة في الصور، وهي نفخة الصَّعَق. وقيل: الصَّيْحَةُ: عبارة عما أصابهم من قتل وشدائد، والأول أظهر، وقد روي تفسيرها بذلك عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في عدة مواضع منها (٣٣/٢٠)، وابن أبي حاتم (٢٩٢٩/٩)، والطبراني في كتاب الطُّوَلَات - كما في تفسير ابن كثير (٢٨٢/٣) - وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٨٢١/٣)، والبيهقي في البعث والنشور، ط. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت (٣٣٦)، من حديث أبي هريرة ؓ، أنه قال: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «قرن»، قال: كيف هو؟ قال: «قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة الفزع الأولى، والثانية: نفخة الصَّعَق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرَافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره الله فيديمها ويطولها، فلا يفتر وهي التي يقول الله «مَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ».. الحديث، وهو حديث طويل جدًا. وفيه أن هذه الصَّيْحَةُ هي نفخة الفزع، لا نفخة الصَّعَق. وهذا الحديث قال فيه ابن كثير في تفسيره (٢٨٨/٣): «هذا حديث مشهور وهو غريب جدًا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي..» وانظر تمة كلامه.

﴿مَا لَهَا مِنْ قَوَائٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: ما لها من رجوع، أي: لا يرجعون بعدها إلى الدنيا، وهو على هذا مشتق من الإفاقة.

الثاني: ما لها من تردد؛ أي: إنما هي واحدة لا ثانية لها.

الثالث: ما لها من تأخير ولا توقّف مقدار فُوقِ ناقة، وهي ما بين حَلْبَتَي اللبن. وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة ﴿قَوَائٍ﴾ بالضم<sup>(١)</sup>؛ لأن فُوقِ الناقة بالضم، والقولان الأولان على الفتح والضم.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا فِطْنًا﴾ القِطُّ في اللغة له معنيان: أحدهما: الكتاب. والآخر: النصيب. وفي معناه هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: نصيبنا من الخير، أي: دعوا أن يعجّل الله لهم في الدنيا.

والآخر: نصيبهم من العذاب، فهو كقولهم: «أمطر علينا حجارة من السماء».

والثالث: صحائف أعمالنا.

﴿إِصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ الأيد: القوة، وكان داود عليه السلام جمع قوة البدن والقوة في الدين، والملك والجنود. والأوّاب: الرجّاع إلى الله. فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لمحمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره له بذكر داود عليه السلام؟

فالجواب عندي: أن ذكر داود ومن ذكر بعده من الأنبياء ﷺ في هذه السورة فيه تسليّة للنبي ﷺ عن أقوال الكفار، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب، وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود عليه السلام من تسخير الطير والجبال، وشدة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه<sup>(٢)</sup> يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم؛ كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان عليه السلام من الملك العظيم، وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء.

(١) قرأ حمزة والكسائي بضم الفاء، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) في ب، ج: «فإنه».

والمقصد: ذكر الإنعام عليهم؛ لتقوية قلب النبي ﷺ.

وأيضاً فإن داود وسليمان وأيوب ؑ أصابتهم شدائد ثم فرّجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر محمداً ﷺ بذكرهم؛ ليُعلم أنه يفرّج عنه ما يلقى من إذابة قومه، ويُعقبها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة.

وقال ابن عطية: المعنى: واذكر داود ذا الأيد في الدين؛ فتأس به وتأيد كما تأيد<sup>(١)</sup>.

وأجاب الزمخشري عن السؤال بأن قال: كأن الله قال لنبيه ﷺ: اصبر على ما يقولون، وعظّم أمر المعصية في أعين الكفار بذكر قصة داود، وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زلّ فوبّخه الله عليها فاستغفر وأتاب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم؟<sup>(٢)</sup>.

وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود ؑ؛ حيث جعله مثلاً يهدّد الله به الكفار، وصرّح بأنه زلّ وأن الله وبّخه على زلته، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا!

﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ يعني: وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس؛ أي: تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى، وأما شروقها: فطلوعها.

﴿مَخْشُورَةً﴾ أي: مجموعة.

﴿كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ﴾ أي: كل مسبح لأجل تسبيح داود. ويحتمل أن يكون ﴿أَوَابٌ﴾ هنا بمعنى: رجاء؛ أي: يرجع إلى أمره.

﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ﴾ قيل: يعني: النبوة، وقيل: العلم والفهم، وقيل: الزبور.

﴿وَفَضَّلَ الْخِطَابَ﴾ ابن عباس ؓ: هو فصل القضاء بين الناس بالحق<sup>(٣)</sup>. علي بن أبي طالب ؓ: هو إيجاب اليمين على المدعى عليه، والبيّنة على المدعي<sup>(٤)</sup>. وقيل: أراد قول: «أما بعد»، فإنه أول من قالها. وقال الزمخشري: معنى فصل الخطاب: البيّن من

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٣٠).

(٢) الكشاف (١٣/٢٤٦-٢٤٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/٤٩) من طريق العوفي عنه ؓ.

(٤) عزاه إليه الثعلبي في تفسيره (٢٢/٤٨٢) ولم يسنده، ولم أقف عليه مسنداً، وأخرجه الطبري (٢٠/٥٠) عن شريح.

الكلام الذي يفهمه مَنْ يُخاطَب به<sup>(١)</sup>. وهذا المعنى اختار<sup>(٢)</sup> ابنُ عطية، وجعله من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: ١٣]<sup>(٣)</sup>.

﴿وَهَلْ آتَيْكَ نَبَأُ الْخَصِمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام؛ تنبيهًا للمخاطَب ودلالةً على أنها من الأخبار العجيبة، التي ينبغي أن يُلقَى البأل لها.

والخصم: يقع على الواحد والاثنين والجماعة، كقولك: عدلٌ وزورٌ. واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروي أنهما جبريل وميكائيل ؑ، بعثهم الله ليضرب بهم المثل لداود ؑ في نازلةٍ وقعَ هو في مثلها، فأفتى بفتيا هي واقعةٌ عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر، وسنذكر القصة بعد هذا. ومعنى ﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ علّوا على سُوره ودخلوه.

والمحراب: الموضع الأرفع من القصر، أو المسجد، وهو موضع التبعد. ويحتمل أن يكون المتسَوِّر للمحراب اثنين فقط؛ لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين، فتجيء الضمائر في ﴿تَسَوَّرُوا﴾، و﴿دَخَلُوا﴾، و﴿فَزَعَ مِنْهُمْ﴾: على وجه التجويز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائزٌ على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان. ويحتمل أنه جاء مع كل واحد من الخصمين جماعةٌ فيقع على جميعهم خصمٌ، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقةً، وعلى هذا عوّل الزمخشري<sup>(٤)</sup>.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَبَزَعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ هنا: ﴿تَسَوَّرُوا﴾، وقيل: هي بدلٌ من الأولى. وأما ﴿إِذْ﴾ الأولى: فالعامل فيها: ﴿آتَيْكَ﴾، أو ﴿نَبَأُ﴾. وردَّ الزمخشري ذلك، وقال: إن العامل فيها محذوفٌ، تقديره: هل أتاك نباٌ تحاكم الخصم إذ تسوروا<sup>(٥)</sup>. وإنما فزع داود منهم؛ لأنهم دخلوا عليه بغير إذن، ودخلوا من غير الباب، وقيل: إن ذلك كان ليلاً.

(١) الكشاف (١٣/٢٥٣).

(٢) في ج، د، هـ: «اختيار».

(٣) المحرر الوجيز (٧/٣٣٢).

(٤) الكشاف (١٣/٢٥٨).

(٥) الكشاف (١٣/٢٥٩).



﴿حَضَمَ بَغْيٌ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ تقديره: نحن خصمان، ومعنى «بَغْيٌ»: تعدى.  
 ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تجز علينا في الحكم، يقال: شَطَّ الحاكم: إذا جاز. وقرئ في الشاذ:  
 ﴿لَا تُشْطِطْ﴾ بفتح التاء<sup>(١)</sup>، أي: لا تبعد عن الحق، يقال: شَطَّ إذا بُعد.  
 ﴿سَوَاءٌ الصِّرَاطُ﴾ أي: وسط الطريق، ويعني: القصد والحق الواضح.  
 ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْمِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي  
 الْخِطَابِ﴾ هذا حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا: أخوة الدين.  
 والنعجة في اللغة: تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهي هنا عبارة عن  
 المرأة، ومعنى «أَكْمِلْنِيهَا»: ملئها لي، وأصله: اجعلها في كفالتي، وقيل: اجعلها كفلي،  
 أي: نصيبي. ومعنى «عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» أي: غلبني في الكلام والمحاورة، يقال: عزَّ فلانٌ  
 فلانًا: إذا غلبه.

وهذا الكلام تمثيلٌ للقصة التي وقع داود عليه السلام فيها، وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول  
 فيها قديمًا وحديثًا، حتى قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «من حدث بما يقول هؤلاء  
 القصاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدّين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله»<sup>(٢)</sup>.  
 ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه<sup>(٣)</sup> داود عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضًا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها  
 إذا أعجبت، وكانت<sup>(٥)</sup> لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام

(١) وهي قراءة أبي رجاء وقتادة والحسن والجحدري. المحرر الوجيز (٣٣٦/٧).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٤٩٨/٢٢) عن الحارث الأعور عن علي عليه السلام، وقال أبو بكر ابن العربي في أحكام  
 القرآن (١٦٣٩/٤) بعد أن ذكره: «وهذا مما لا يصح عنه».

(٣) في ب، ج: «تبرئة».

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٦٠/٧): «قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت  
 فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثًا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية  
 يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر  
 على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرُدَّ علمها إلى الله ﷻ، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضًا».

(٥) في ب، ج: «وكان».

شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود ﷺ على امرأة رجل فأعجبته، فسأله النزول عنها ففعل، وتزوجها داود ﷺ فولد له منها سليمان ﷺ، وكان لداود تسع وتسعون امرأة، فبعث الله إليه الملائكة مثالا لقصته، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، ﴿وَلِيهِ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، ﴿بَقَالَ أَكْثَمُ لِيَهَا﴾ إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته.

فأجابهم داود ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِي﴾، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسم الملكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعر أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه، ﴿بِاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود ﷺ وقع فيما لا يجوز شرعاً، وإنما عوتب على أمر جائز، كان ينبغي له أن يتنزه عنه؛ لعلو مرتبته ومتانة دينه، فإنه قد يُعَاتَب الفضلاء على ما لا يُعَاتَب عليه غيرهم، كما قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

وأيضاً؛ فإنه كان له تسع وتسعون امرأة، وكان غنياً عن هذه المرأة، فوقع العتاب على الاستكثار من النساء، وإن كان جائزاً.

وروي هذا الخبر على وجه آخر، وهو أن داود ﷺ انفرد يوماً في محرابه للتعبّد، فدخل عليه طائر من كَوَّة، فوقع بين يديه فأعجبه، فمدّ يده ليأخذه فطار على الكوة، فصعد داود ليأخذه، فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته، ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده، وأنه خرج للجهاد مع الجند، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند الثابت، وهو موضع قلما يخلص أحد منه، فتقدم ذلك الرجل فقاتل<sup>(١)</sup> حتى قتل شهيداً، فتزوج داود امرأته بعده، فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل، وتزوجها امرأته بعده، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها.

(١) في أ: «يقاتل».

وقيل: إن داود عليه السلام همَّ بذلك كله ولم يفعله، وإنما وقعت المعاتبة على همِّه بذلك. وروي أن السبب فيما جرى له من ذلك: أنه أعجب بعلمه<sup>(١)</sup>، وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه، ففُتِنَ بتلك القصة.

وروي أيضًا أن السبب في ذلك: أنه تمنَّى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليه السلام، والترم أن يُبتلى كما ابتلوا، فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ «سُؤَالٍ» مصدرٌ مضاف إلى المفعول، وإنما تعدَّى به «إلى»؛ لأنه تضمَّن معنى الإضافة، كأنه قال: بسؤال نعجتك مضافةً أو مضمومة إلى نعاجه. فإن قيل: كيف قال له داود: «لَقَدْ ظَلَمَكَ» قبل أن يثبت عنده ذلك؟ فالجواب: أنه روي أن الآخر اعترف بذلك، وحُذِفَ ذكر اعترافه اختصارًا. ويحتمل أن يكون قوله: «لَقَدْ ظَلَمَكَ» على تقدير صحة قوله. وقد قيل: إن قوله لأحد الخصمين: «لَقَدْ ظَلَمَكَ» قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التي استغفر منها وأتاب.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ «الْخُلَطَاءُ»: هم الشركاء في الأموال، ولكن الخلطة أعمُّ من الشُّركة، ألا ترى أن الخلطة في المواشي ليست بشركة في رقابها. وقصد داود عليه السلام بهذا الكلام الوعظ للخصم الذي بغى، والتسليّة بالتأسي للخصم الذي بغى عليه.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ «مَّا» زائدة للتأكيد.

﴿وَوَظَلَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ ظن هنا: بمعنى شعر بالأمر، وقيل: بمعنى أيقن. و«فَتَنَّاهُ» معناه: اخترناه.

﴿وَوَخَّرَ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ معنى «وَوَخَّرَ»: ألقى بنفسه إلى الأرض، وإنما حقيقة ذلك في السجود، فقيل: إن الركوع هنا: بمعنى السجود، وقيل: خرَّ من ركوعه ساجدًا بعد أن ركع. ومعنى «أَنَابَ»: تاب. وروي أنه بقي ساجدًا أربعين يومًا يبكي حتى نبت البقل من دموعه<sup>(٢)</sup>.

(١) في أ، هـ: «بعلمه».

(٢) أخرجه الطبري (٧٣/٢٠) عن وهب بن منبه، وهو من الإسرائيليات.

وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك، خلافاً للشافعي<sup>(١)</sup>، إلا أنه اختلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾، أو عند قوله: ﴿وَحَسَنَ مَّثَابٍ﴾؟

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّثَابٍ﴾ الزُّلْفَى: القُرْبَة والمكانة الرفيعة. والمآب: المرجع في الآخرة.

﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تقديره: قال الله يا داود. وخلافة داود: بالنبوة والملك. قال ابن عطية: لا يقال «خليفة الله» إلا لنبي، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله، وقول الناس فيهم: «خليفة الله» تجوُّز<sup>(٢)</sup>.



(١) وأحمد، فليس عندهم من عزائم السجود، وإنما هي سجدة شكر. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤/٢٢٢).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٣٤٢).

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا  
 مِنَ النَّارِ ﴿٥١﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ  
 الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٥٢﴾ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لَيْدُبُرًا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا  
 الْأَلْبَابِ ﴿٥٣﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٥٤﴾ \*إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ  
 الصَّيْحَتُ الْجِيَادُ ﴿٥٥﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ  
 ﴿٥٦﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَبَطِئَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ بَتْنَا سُلَيْمَانَ وَأَلْفَيْنَا عَلَى  
 كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٥٨﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي  
 إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٥٩﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٦٠﴾ وَالشَّيَاطِينَ  
 كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴿٦١﴾ وَءَاخِرِينَ مُفْرِنِينَ فِي الْأَضْبَادِ ﴿٦٢﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ  
 بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٦٤﴾

﴿٦٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ﴿٦٤﴾ أي: عبثًا، بل خلقها الله بالحق؛ للاعتبار  
 بها والاستدلال على خالقها.

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المعنى: أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خِلقة  
 السماوات والأرض عندهم باطلاً لغير الحكمة؛ فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء  
 الآخر أي<sup>(١)</sup>.

﴿٥١﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴿٥١﴾ أمنا استفهامية  
 يراد بها الإنكار، أي: إن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفساد، بل يجازي  
 كل أحد بعمله؛ لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء، وفيه  
 أيضًا وعد<sup>(٢)</sup> ووعد.

﴿٥٥﴾ إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّيْحَتُ الْجِيَادُ ﴿٥٥﴾ : جمع صافن، وهو الفرس  
 الذي يرفع إحدى يديه أو رجله، ويقف على طرف الأخرى. وقيل: الصافن: هو الذي

(١) في ب، هـ: «الآخرى».

(٢) في ب، ج: «وعظا».

يسوي يديه. والصَّفْنُ<sup>(١)</sup> علامة على فراهة الفرس. و﴿الْحَيَّادُ﴾: السريعة الجري.

واختلف الناس في قصص هذه الآية: فقال الجمهور: إن سليمان ﷺ عُرِضَتْ عليه خيل كان ورثها عن أبيه - وقيل: أخرجتها له الشياطين من البحر -، وكانت ذوات أجنحة، وكانت ألف فرس - وقيل: أكثر -، فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاته صلاة العشي - وقيل: العصر<sup>(٢)</sup> -، فأسف لذلك، وقال: ردوا عليّ الخيل، فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها؛ لما كانت سبب فوت الصلاة، ولم يترك منها إلا اليسير، فأبدله الله أسرع منها، وهي الريح.

وأنكر بعض العلماء هذه الرواية، وقال: تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان ﷺ، وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز، فكيف يفعله سليمان ﷺ؟ وأي ذنب للخيل في تفويت الصلاة. فقال بعضهم: إنما عقرها ليأكلها الناس، وكان زمانهم زمان مجاعة، فعقرها تقرّباً إلى الله. وقال بعضهم: لم تفته صلاة، ولا عقر الخيل، بل كان يصلي فعُرِضَتْ عليه الخيل، فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت إصطبلاتها، فلما فرغ من الصلاة قال: «ردّوها عليّ» فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة. وقيل: إن المسح عليها كان وسماً في سوقها وأعناقها بوسم: «حَبَسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

﴿قَالَ إِنِّي أَخْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف في القصة: فأما الذين قالوا: إن سليمان ﷺ عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة: فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الخير هنا: يراد به الخيل، وزعموا أنه يقال للخيل خير، و﴿أَخْبَبْتُ﴾

(١) يعني: مصدر صَفَنَ الفرس، هكذا ذكر أن مصدره: «الصَّفْنُ»! وفي الصحاح للجوهري، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠٦/١٢) أن مصدره «الصَّفُون»، وكذا عبّر الزمخشري في تفسيره (٢٧٨/١٣).

(٢) كذا في النسخ، وفي المحرر الوجيز (٣٤٤/٧): «حتى فاته وقت صلاة العشاء [كذا]»، قال قتادة: صلاة العصر، وفي الكشف (٢٧٩/١٣): «وغفل عن العصر، أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشي»، والذي ذكره الطبري (٨٤/٢٠) أنها صلاة العصر، وعزا إلى قتادة والسدي وعلي بن أبي طالب ﷺ، ولم يذكر قولاً غيره، فقول المؤلف: «صلاة العشي»، وقيل: العصر يظهر أنهما قولان مترادفان، لا متغايران. والله أعلم.

بمعنى: آثرت، أو بمعنى فعلٍ يتعدى بـ «عن»؛ كأنه قال: آثرت حب الخيل فشغلني عن ذكر ربي.

والآخر: أن الخير هنا: يراد به المال؛ لأن الخيل وغيرها مأل، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكْ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٧٩] أي: مالا.

والثالث: أن المفعول محذوف، و﴿حَبَّ الْخَيْرِ﴾ مصدر، والتقدير: أحببت هذه الخيل مثل حب الخير، فشغلني عن ذكر ربي.

وأما الذين قالوا: إنه كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها؛ فالمعنى: أنه قال: إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي، فشغلني ذلك عن النظر إلى الخيل.

﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها، ولكنها تفهم من سياق الكلام، وذكر العشي يقتضيها، والمعنى: حتى غابت الشمس. وقيل: الضمير للخيل، ومعنى ﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾: دخلت إصطبلاتها، والأول أشهر وأظهر.

﴿رَدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ أي: قال سليمان: ردوا عليّ الخيل.

﴿بَطْنِ مَسْحًا بِالسَّوِي وَالْأَعْنَاقِ﴾ السُّوق: جمع ساق، يعني: سوق الخيل وأعناقها؛ أي: جعل يمسحها مسحًا. وهذا المسح مختلفٌ على حسب الاختلاف المتقدم: هل هو قَطْعُها وعقرها؟ أو مَسْحُها باليد محبةً لها؟ أو وَسْمُها بالتحجيس<sup>(١)</sup>؟

﴿وَلَقَدْ بَتْنَا سُلَيْمَنَ وَالْقَيْنَا عَلَيَّ كُرْسِيِّهٖ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها، وفي ذلك أربعة أقوال:

الأول: أن سليمان ﷺ كان له خاتمٌ مُلِكِه، وكان فيه اسم الله<sup>(٢)</sup>، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء؛ توقيراً لاسم الله تعالى، فنزعه يوماً ودفعه إلى جاريتته، فتمثل لها جنّي في صورة

(١) في ب، ج: «التحجيس».

(٢) في هامش ب زيادة: «الأعظم».

سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، وروي أن اسمه صخر، فقع على كرسي سليمان يأمر وينهى، والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فأرأى بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتاً ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجنّي قد رماه في البحر، فليس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه<sup>(١)</sup>. ففتنة سليمان على هذا: هي ما جرى له من سلب ملكه. والجسد الذي أُلقي على كرسيه: هو الجنّي الذي قعد عليه، وسماه جسداً؛ لأنه تصوّر في صورة إنسان. ومعنى «أَنَابَ»: رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء، أو رجع إلى ملكه.

والقول الثاني: أن سليمان ﷺ كانت له امرأة يحبها، وكان أبوها ملكاً كافراً قد قتله سليمان، فسألته أن يصنع لها صورة أبيها، فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريتها، وصار صنماً معبوداً في داره، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوماً، فلما علم به كسره<sup>(٢)</sup>. فالفتنة على هذا: عمل الصورة. والجسد: هو الصورة.

والقول الثالث: أن سليمان كان له ولد، وكان يحبه حباً شديداً، فقالت الجن: إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في الشُّخْرة أبداً، فلم يشعر إلّا وولده ميت على كرسيه<sup>(٣)</sup>. فالفتنة على هذا: حبه في الولد. والجسد: هو الولد لما مات، وسمي جسداً؛ لأنه جسد بلا روح.

والقول الرابع: أن سليمان قال: «لأطوفنَّ الليلة على مئة امرأة، تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فلم تحمل واحدة منهن إلّا واحدة جاءت بشقّ إنسان. فالفتنة على هذا: كونه لم يقل: «إن شاء الله». والجسد: هو شقّ الإنسان الذي وُلِد له.

فأما القول الأول: فضعيفٌ من طريق النقل، مع أنه يبعد ما ذُكر فيه من سلب المُلْك عن سليمان ﷺ وتسليط الشياطين<sup>(٤)</sup> عليه.

(١) هذه من الأخبار الإسرائيلية كما قال ابن كثير في تفسيره (٦٨/٧).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٥٣٢/٢٢) عن وهب بن منبه، فهو من الإسرائيليات أيضاً.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٥٤٣/٢٢) عن الشعبي.

(٤) في أ: «الشيطان».



وأما القول الثاني: فضعيفٌ أيضاً، مع أنه يُبعد أن يُعبد صنمٌ في بيت نبيٍّ، أو يأمر نبيٌّ بعمل صنم.

وأما القول الثالث: فضعيفٌ أيضاً.

وأما القول الرابع: فقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير لمعنى الآية.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ قَدَّم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عنده أهمُّ من الدنيا، فقَدَّم الأولى والأهمَّ. فإن قيل: لأي شيء قال: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الْحَجَّاج: إنه كان حسوداً<sup>(٢)</sup>؟ فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه إنما قال ذلك لئلا يجري عليه مثل ما جرى من أخذ الجني لملكه، فقصد أن لا يُسلب عنه ملكه في حياته ويصير إلى غيره.

والآخر: أنه طلب ذلك لتكون<sup>(٣)</sup> معجزة، ودلالة على نبوته.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ معنى ﴿رُخَاءً﴾: ليناً طيبة، وقيل: مطيعة<sup>(٤)</sup> له. وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨٠] في «الأنبياء». و﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصد وأراد.

﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ «الشَّيَاطِينِ» معطوف على «الرِّيحِ»، و﴿كُلِّ بَنَاءٍ﴾ بدلٌ من «الشَّيَاطِينِ».

أي: سَخَّرْنَا له الريح والشياطين مَنْ يَبْنِي مِنْهُمْ وَمَنْ يَغُوصُ فِي الْبَحْرِ.

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٤٩/٧): «وروي في مثالب الحجاج بن يوسف أنه لما قرأ هذه الآية قال: «لقد كان حسوداً»، وهذا من فسق الحجاج».

(٣) في أ، هـ: «ليكون».

(٤) في أ: «طائعة»، وفي هـ: «طيعة».

﴿وَأَخْرَيْنَ مُفَرَّجِينَ فِي الْأَصْبَادِ﴾ أي: آخرين من الجن مؤثقيين في القيود والأغلال.  
 ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا بِأَمْنٍ أَوْ أَمْسِكَ﴾ الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله، والمعنى: أن الله قال له: أعط من شئت وامنع من شئت. وقيل: المعنى: امنن على من شئت من الجن بالإطلاق<sup>(١)</sup> من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود، والأول أحسن، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

﴿يَغْيِرُ حِسَابٌ﴾ يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ:

أحدها: أنه لا يُحَاسَبُ في الآخرة على ما فعل.

والآخر: بغير تضيق عليه<sup>(٣)</sup> في الملك.

والثالث: بغير حساب ولا عدد، بل خارج عن الحضر.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾ قد ذكر في قصة داود عليه السلام.



(١) في أ، هـ: «بإطلاق».

(٢) لم أقف عليه من قول ابن عباس رضي الله عنه، وإنما هو من قول الحسن، أخرجه الطبري (٩٩/٢٠)، وأما قول ابن عباس رضي الله عنه فيها فهو -فيما أخرجه الطبري-: ما أوتي من القوة على الجماع.

(٣) في د: «عليك».

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ وَعَذَابٌ ۝ أَرْكُضُ بِرَجُلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرِي لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَبْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصِرِ ۝ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرِي الْبَارِ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُضْطَجِعِينَ الْآخِيَارَ ۝ وَأَذْكُرِ اسْمَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِيَارِ ۝ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَفِينِ لِحُسْنِ مَثَابٍ ۝ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحِنَةٌ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ ۝ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِمُحْكِمَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝ \* وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ تَبَادُلٍ ۝ هَذَا وَإِنَّ لِلْمُطَّغِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسَّ السَّيِّئَاتِ فِيهَا هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَسِيمٌ وَعَسَاقٌ ۝ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۝ هَذَا بَوَّاحٌ مُفْتَحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا الْبَارِ ۝ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ وَأَنْتُمْ قَدْ مُتِمُّوهُ لَنَا فَيَسَّ الْفَرَارِ ۝ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي الْبَارِ ۝ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۝ أَتُخَذُّنَاهُمْ سُخْرِيًّا أَمْ رَآغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ۝ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ الْبَارِ ۝

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ وَعَذَابٌ﴾ قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في «الأنبياء»<sup>(١)</sup>. والنَّصْبُ: يقال بضم النون وإسكان الصاد، ويفتح النون وإسكان الصاد، وبضم النون والصاد، ويفتحهما<sup>(٢)</sup>، ومعناه واحد: وهو المشقة. فإن قيل: لم نَسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان؟ فالجواب: من أربعة أوجه:

أحدها: أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه روي أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكراً فلم يغيِّره<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (٨٢).

(٢) قراءة السبعة بضم النون وإسكان الصاد، وقرأ أبو جعفر المدني بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرئ في الشاذ بفتح النون وإسكان الصاد. المحرر الوجيز (٣٥١/٧).

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٣٥١/٧)، وقال الثعلبي (٥٥٩/٢٢): «وروي حيان عن الكلبي: أن أيوب عليه السلام كان يغزو ملكاً من الملوك كافراً، وكانت مواشي أيوب في ناحية ذلك الملك، فداهته ولم يغزه فابتلي».

وقيل: إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يُعط جاره منها شيئاً<sup>(١)</sup>.

والثاني: أنه أراد: ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء، فدعا إلى الله أن يدفع<sup>(٢)</sup> عنه وسوسة الشيطان بذلك.

والثالث: أنه روي أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه، فأهلك ماله فصبر، وأهلك أولاده فصبر، وأصابه الجذام والمرض الشديد فصبر، فنسب ذلك إلى الشيطان؛ لتسليط الشيطان عليه.

والرابع: روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها: قولي لزوجك إن سجد لي سجدة أذهب ما به من المرض، فذكرت المرأة ذلك لأيوب، فقال لها: «ذلك عدو الله الشيطان»، وحينئذ دعا<sup>(٣)</sup>.

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ التقدير: «قلنا له: اركض برجلك»، فضرَب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة، فشرب منها فذهب<sup>(٤)</sup> كل مرض كان في داخل جسده، واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده. وروي أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان، فشرب من أحدهما، واغتسل من الأخرى<sup>(٥)</sup>.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ ذكر في «الأنبياء»<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٣/٣٥١) ولم أقف عليه مستنداً.

(٢) في أ، ب، هـ: «يرفع».

(٣) لم أقف عليه هكذا، ولكن أخرج ابن أبي حاتم (١٠/٣٢٤٥) وابن عساكر في تاريخه (١٠/٦٧) عن ابن عباس ؓ قال: إن إبليس قعد على الطريق فاتخذ تابوتاً يداوي الناس فقالت امرأة أيوب: يا عبد الله إن هاهنا مبتلى، من أمره كذا وكذا، فهل لك أن تداويه؟ قال: نعم، بشرط إن أنا شفيتُه أن يقول: أنت شفيتني لا أريد منه أجراً غيره، فأتى أيوب ؓ فذكرت ذلك له فقال: ويحك! ذاك الشيطان، لله عليّ إن شفاني الله تعالى أن أجلك مئة جلدة، فلما شفاه الله تعالى أمره أن يأخذ ضغثاً، فأخذ عذقاً فيه مئة شَمْرَاخ، فضرَب بها ضربة واحدة. هـ. فليس فيه أن إبليس أمر بالسجود.

(٤) في ب: «فأذهب الله».

(٥) أخرجه الطبري (١٠٨/٢٠) عن قتادة والحسن.

(٦) انظر تفسير الآية (٨٣).

﴿وَأَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ الضَّغْتُ: القبضة من القُضبان. وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته مئة سوط إذا برئ من مرضه، وكان سبب ذلك ما ذكرته له من لقاء الشيطان وقوله لها: إن سجد لي زوجك أذهبت ما به، فأمره الله أن يأخذ ضغثًا فيه مئة قضيب فيضربها بها ضربة واحدة فيبر في يمينه<sup>(١)</sup>. وقد ورد مثل هذا عن نبينا ﷺ في حد رجل زنى، وكان مريضًا، فأمر رسول الله ﷺ بعذق نخلة فيه شماريخ مئة، فضرب به ضربة واحدة، ذكر ذلك أبو داود والنسائي<sup>(٢)</sup>. وأخذ به بعض العلماء، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه<sup>(٣)</sup>.

﴿أَوَّلِي الْأَيْدِ وَالْأَبْصَرِ﴾ ﴿الْأَيْدِ﴾ جمع يد، وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحة، وإنما عبر عن ذلك بالأيدي؛ لأن الأعمال أكثر ما تُعمل بالأيدي. وأما ﴿الْأَبْصَرِ﴾ فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم، من قولك: أبصر الرجل: إذا تبين له الأمور. وقيل: ﴿الْأَيْدِ﴾ جمع يد بمعنى النعمة، ومعناه: أولو النعم التي أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة، وهذا ضعيف؛ لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما تجمع<sup>(٤)</sup> على أيادي. وقرأ ابن مسعود عليه السلام: «أولو الأيد»<sup>(٥)</sup>، بغير ياء، فيحتمل أن تكون «الأيدي» محذوفة الياء، أو يكون «الأيد» بمعنى القوة، كقوله: ﴿دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾.

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الْبَارِ﴾ معنى ﴿أَخْلَصْنَاهُمْ﴾: جعلناهم خالصين لنا، أو خصصناهم<sup>(٦)</sup> دون غيرهم. و﴿خَالِصَةٍ﴾ صفةٌ حذف موصوفها، تقديره: بخِصلةٍ خالصة. وأما الباء في قوله: ﴿بِخَالِصَةٍ﴾: فإن كان ﴿أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ بمعنى: جعلناهم خالصين: فالباء سببية للتعليل. وإن كان ﴿أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ بمعنى خصصناهم: فالباء لتعدية الفعل. وقرأ نافع

(١) تقدم قريبًا.

(٢) تقدم تخريجه في أول سورة النور.

(٣) انظر تفسير الآية رقم (٢) من سورة النور.

(٤) في ب، ج، هـ: «يجمع».

(٥) ذكره الطبري في تفسيره (١١٦/٢٠).

(٦) في أ، هـ: «أخلصناهم».

بإضافة ﴿خَالِصَةٍ﴾ إلى ﴿ذِكْرِي﴾ من غير تنوين. وقرأ غيره بالتنوين، على أن تكون ﴿ذِكْرِي﴾ بدلاً من ﴿خَالِصَةٍ﴾ على وجه البيان والتفسير لها. و﴿الْبَارِ﴾ يحتمل أن يريد به: الآخرة أو الدنيا. فإن أراد به الآخرة: ففي المعنى ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ﴿ذِكْرِي الدَّارِ﴾ يعني به: ذكْرهم للآخرة وحبّهم فيها.

والآخر: أن معناه: تذكيرهم للناس بالآخرة، وترغيبهم للناس فيما عند الله.

والثالث: أن معناه: ثواب الآخرة، أي: أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة.

والأول أظهر. وإن أراد بالدار الدنيا: فالمعنى: حُسن الثناء والذكر الجميل في الدنيا،

كقوله: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشعراء: ٨٤].

﴿٤٦﴾ ﴿الْأَخْبَارِ﴾ جمع خَيْرٍ بتشديد الياء، أو خَيْرٍ المخفف من خَيْرٍ، كَمَيِّتٍ مخفف من مَيِّتٍ.

﴿٤٧﴾ ﴿وَدَا الْكِفْلِ﴾ ذكر في «الأنبياء»<sup>(١)</sup>.

﴿٤٨﴾ ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدّم في هذه السورة من ذكر الأنبياء. وقيل: الإشارة إلى القرآن بجملته، والأول أظهر. وكأن قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ ختامٌ للكلام المتقدم، ثم شرع بعده في كلام آخر، كما يُتِمُّ المؤلف باباً ثم يقول: «فهذا باب»، ثم يشرع في آخر.

﴿٤٩﴾ ﴿قَصِرَتْ الظُّرُبُ﴾ ذكر في «الصفات»<sup>(٢)</sup>.

﴿أَنْزَابٌ﴾ يعني: أسنانهنّ سواء، يقال: فلانٌ تَرَبُّ فلان: إذا كان مثله في السنّ. وقيل: يعني: أن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء.

﴿٥٠﴾ ﴿مَا لَهُ مِنْ نَّبَادٍ﴾ أي: ماله من فناءٍ ولا انقضاء.

﴿٥١﴾ ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلْمُتَّغِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ﴾ تقديره: «الامر هذا»، لما أتمّ ذكر أهل الجنة ختمه بقوله: ﴿هَذَا﴾، ثم ابتداء وصف أهل النار. ويعني بالطّاعين: الكفار.

(١) انظر تفسير الآية (٨٤).

(٢) انظر تفسير الآية (٤٨).

﴿هَذَا بَلِيدٌ وَقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ﴾ ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿حَمِيمٌ﴾، و ﴿بَلِيدٌ وَقُوهُ﴾: اعتراضٌ بينهما. والحميم: الماء الحار. والغساق: قرئ بتخفيف السين وتشديد هاء<sup>(١)</sup>، وهو صديد أهل النار، وقيل: ما يسيل من عيونهم، وقيل: هو عذابٌ لا يعلمه إلا الله.

﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ ﴿وَأَخْرَجَ﴾ معطوفٌ على ﴿حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ﴾، تقديره: وعذاب آخر، قيل: يعني: الزمهرير. ومعنى ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾: من مثله ونوعه؛ أي: من مثل العذاب المذكور. و ﴿أَزْوَاجًا﴾ معناه: أصناف، وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر. والمعنى: أنها أصنافٌ من العذاب.

وقال ابن عطية: ﴿وَأَخْرَجَ﴾ مبتدأ، واختُلف في خبره؛ فقيل: تقديره: ولهم عذاب آخر<sup>(٢)</sup>. وقيل: ﴿أَزْوَاجًا﴾ مبتدأ، و ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ خبر ﴿أَزْوَاجًا﴾، والجملة خبر ﴿وَأَخْرَجَ﴾. وقيل: ﴿أَزْوَاجًا﴾ خبر ﴿وَأَخْرَجَ﴾، و ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ في موضع الصفة. وقرئ ﴿وَأَخْرَجَ﴾ بالجمع<sup>(٣)</sup>، وهو أليق أن يكون ﴿أَزْوَاجًا﴾ خبره؛ لأنه جمعٌ مثله.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ الفوج: الجماعة من الناس. والمقتحم: الداخل في زحامٍ وشدة. وهذا من كلام خزنة النار، خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولًا، ثم دخل بعدهم أتباعهم، وهم الفوج المشار إليه. وقيل: هو كلام أهل النار بعضهم لبعض، والأول أظهر.

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي: لا يلقون رُحْبًا ولا خيرًا، وهو دعاءٌ من كلام رؤساء الكفار؛ أي: لا مرحبًا بالفوج الذين هم أتباعٌ لهم.

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ هذا حكايةٌ كلام الأتباع للرؤساء، لما قالوا لهم: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أجابوهم بقولهم: ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾.

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف.

(٢) المحرر الوجيز (٧/٣٥٨).

(٣) قرأ أبو عمرو: ﴿وَأَخْرَجَ﴾ بضم الهمزة من غير مد، وقرأ الباقون بالفتح والمد.

﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع للرؤساء، وهو تعليل لقولهم: ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ تَ﴾. والضمير في ﴿قَدْ مَتَمُّوهُ﴾ للعذاب، ومعنى ﴿قَدْ مَتَمُّوهُ﴾: أوجبتموه لنا بما قدَّمتم في الدنيا من إغوائنا، وأمركم لنا بالكفر.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَا لَنَا هَذَا بَرَدُهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع، دعوا إلى الله تعالى أن يُضاعِف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا بِآيَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ [الاعراف: ٣٦]. والضعف: زيادة المثل.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ لرؤساء الكفار، وقيل: للطَّاغين. والرجال: هم ضعفاء المؤمنين. فقيل: إن القائلين لذلك هم: أبو جهل، وأمّية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأمثالهم، وإن الرجال المذكورين هم: عمّار، وبلال، وصهيب رضي الله عنهم، وأمثالهم.

واللفظ أعم من ذلك. والمعنى: أنهم قالوا في جهنم: ما لنا لا نرى في النار رجالًا كنا في الدنيا نعدُّهم من الأشرار.

﴿أَتَّخَذْتَهُمْ سُخْرِيًّا﴾ قرئ ﴿أَتَّخَذْتَهُمْ﴾ بهمزة قطع<sup>(١)</sup>، ومعناها: توبيخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سُخْرِيًّا. وقرئ بآلف وصل، على أن تكون الجملة صفة للرجال. وقرئ ﴿سُخْرِيًّا﴾ بضم السين<sup>(٢)</sup>: من التسخير بمعنى الخدمة، وبالكسر: من معنى الاستهزاء.

﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ هذا يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون معادلاً لقولهم: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا﴾، والمعنى: ما لنا لا نراهم في جهنم؟ فهم ليسوا فيها؟ أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا؟ ومعنى ﴿زَاغَتْ عَنْهُمْ﴾: مالت فلم ترهم<sup>(٣)</sup>.

(١) قرأ أبو عمرو وحمة والكسائي بآلف وصل، وقرأ الباقون بهمزة قطع.

(٢) قرأ نافع وحمة والكسائي بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها.

(٣) في أ، هـ: «ترهم».



الثاني: أن يكون معادلاً لقولهم: ﴿أَتَّخَذْتُهُمْ سُخْرِيًّا﴾ ، والمعنى: اتخذناهم سُخْرِيًّا أم زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا؟ ومعنى زاغت الأبصار على هذا: مالت عن النظر إليهم؛ احتقاراً لهم.

الثالث: أن تكون «أم» منقطعةً بمعنى «بل» والهمزة، فلا تعادل شيئاً مما قبلها.

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار، ثم فسره بقوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾. وإعراب ﴿تَخَاصُمُ﴾: بدلٌ من ﴿حَقٌّ﴾، أو خبر مبتدأ مضمرة.



قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ  
الْغَفُورُ ﴿٢﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٤﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ  
يَخْتَصِمُونَ ﴿٥﴾ إِنْ يُرْجَى إِلَى إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا  
مِّن طِينٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٨﴾ بِسَجْدَةِ الْمَلَكَةِ  
كُلُّهُمْ رَاجِعُونَ ﴿٩﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ يَتَّبِعُ مَا مَنَعَكَ أَنْ  
تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿١١﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ  
وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٤﴾ قَالَ  
رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٦﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَفَاتِ الْمَعْلُومِ ﴿١٧﴾ قَالَ  
فَبِعِزَّتِكَ لَا غُورِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٩﴾ \* قَالَ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ أَقُولُ  
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ  
الْمُتَكَلِّمِينَ ﴿٢١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٢٣﴾

﴿١﴾ ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ النُّبَأُ: الخبر، ويعني به: ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة. وقيل: يعني: القرآن، وقيل: يوم القيامة، والأول أعم وأرجح.

﴿٥﴾ ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ المَلَأُ الْأَعْلَى: هم الملائكة. ومقصد الآية: الاحتجاج على نبوة محمد ﷺ؛ لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك. والضمير في ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ للملأ الأعلى، واختصامهم: هو في قصة آدم عليه السلام حين قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٥] حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: «يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقال: لا أدري، قال: في الكفارات، وهي: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد» الحديث بطوله<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٤) عن ابن عباس عليه السلام، وقال الترمذي: «حسن غريب»، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٢١٠٩)، والترمذي (٣٢٣٥)، وصححه، ونقل عن البخاري تصحيحه، ولفظ الحديث: «الكفارات: مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات».

وقيل: الضمير في «يَخْتَصِمُونَ» للكفار؛ أي: يختصمون في الملا الأعلى فيقول بعضهم: هم بنات الله، ويقول آخرون: هم آلهة تعبد. وهذا بعيد.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من «إِذْ يَخْتَصِمُونَ». وقد ذكرنا في «البقرة» معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس<sup>(١)</sup>. وذكرنا في «الحجر» معنى قوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِي﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ يَبْرَأِيلُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ الضمير في «قَالَ» لله ﷻ، و«بِإِيْدِي»: من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليم علم حقيقته إلى الله. وقال المتأولون: هو عبارة عن القدرة<sup>(٣)</sup>. وقال القاضي أبو بكر ابن الطيب: إن اليد والعين والوجه صفات ذات زائدة على الصفات المتقررة. قال ابن عطية<sup>(٤)</sup>: وهذا قول مرغوب عنه<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (٣٣).

(٢) انظر تفسير الآية (٢٩).

(٣) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٥٠).

(٤) المحرر الوجيز (٧/٣٦٤).

(٥) [التعليق ٩٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله ﷻ: «من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به» إلخ، يعني أن هذه الآية المتضمنة إثبات يدين لله من الآي المتشابه المذكور في قوله تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» ومن المذاهب في التشابه من القرآن أنه الذي لا يعلم تفسيره إلا الله، أي: لا يعلم معناه والمراد به إلا الله، مستدلين بقوله تعالى: «وَمَا يَسْكُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ»، وتفسير المتشابه بهذا مردود؛ لأن الله أمر بتدبر القرآن كله، وذم المعارضين عن تدبره، وما لا يفهم معناه لا يؤمر بتدبره؛ لأنه لا معنى له؛ ككلام الأعجمي لا يؤمر العربي بتدبره، وأيضاً فإنه على تقدير أن التشابه من القرآن ما لا يفهم معناه لا يكون هدى ولا بياناً ولا شفاءً، فعلم بذلك بطلان هذا المذهب في معنى التشابه من القرآن، ونفاة الصفات أو كثير منهم - كالأشاعرة - يجعلون نصوص ما ينفونه من التشابه، أي: مما لا يعلم معناه إلا الله، وقد نص ابن جزي ﷻ على أن هذه الآية «مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي» من التشابه الذي فسره بالمعنى المتقدم في التشابه، وهذا يقتضي أنه لا يثبت لله يدين حقيقة؛ لأنه اعتبر لفظ اليدين من التشابه الذي يؤمن بلفظه، وتفوض حقيقته إلى الله، وهذا هو مذهب أهل التفويض من النفاة؛ لأنه جعل مقابله قول أهل التأويل الذين يفسرون اليدين بالقدرة، وابن جزي على خلاف قولهم، وأما ذكره لقول أبي بكر الباقلاني المتضمن لإثبات الصفات التي ذكرها، فمقصود ابن جزي - والله أعلم - تعقب ابن عطية له بقوله: «وهذا قول مرغوب عنه»، وقد ظهر بعد المراجعة أن ابن عطية نفسه ينكر على أبي بكر الباقلاني إثبات هذه الصفات زائدة على الصفات المتقررة، ولعلمهم يريدون بالمتقررة الصفات السبع، وهي القدرة والعلم إلخ، وظهر أيضاً أن ابن عطية من أهل التأويل؛

وحكى الزمخشري: أن معنى ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: خلقت بغير واسطة<sup>(١)</sup>.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل، و ﴿أَمْ﴾ هنا معادلة. والمعنى: أستكبرت الآن أم كنت قديماً ممن يعلو ويستكبر؟ وهذا على جهة التوبيخ له.

﴿رَجِيمٌ﴾ أي: لعين مطرود.

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَفَاتِ الْمَعْلُومِ﴾ يعني: يوم القيامة، وقد تقدّم الكلام على ذلك في «الحجر»<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ بِيَعِزَّتِكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الباء للقسم، أي: أقسم إبليس بعزة الله أن يغوي بني آدم.

﴿قَالَ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَا مَلَأَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ هنا: الله تعالى. و﴿الْحَقُّ﴾ الأول: مُقَسَّمٌ<sup>(٣)</sup> به، وهو منصوب بفعل مضمر، كقولك: «الله لأفعلن»، وجوابه: ﴿لَا مَلَأَ جَهَنَّمَ﴾. وقرئ بالرفع<sup>(٤)</sup>، وهو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمر تقديره: الحق يميني. وأما ﴿الْحَقُّ﴾ الثاني: فهو مفعولٌ بـ﴿أَقُولُ﴾. وقوله: ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ جملة اعتراض بين القسم وجوابه، على وجه التأكيد للقسم.

= لأنه فسر اليمين بالقدر، فظهر من سياق كلام ابن جزّي أنه ذكر قول ابن عطية شاهدا لمذهب أهل التأويل الذين فسروا اليمين بالقدر، فتيين من مجموع كلام ابن جزّي أنه من الثقة أهل التفويض، وأن ابن عطية من الثقة أهل التأويل، وأن أبا بكر الباقلاني من أهل الإثبات للصفات الخيرية، كاليمين والعين والوجه، فالحق مع أبي بكر الباقلاني في إثبات هذه الصفات، ومذهب ابن جزّي وابن عطية في نفي حقائق هذه الصفات وتفويض معناها أو تأويلها باطل مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة الذين يثبتون جميع صفات الله التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ، ويجرون النصوص على ظاهرها مثبتين ما دلّت عليه معرضين عن تأويلها بخلاف ظاهرها، وهذا معنى قول بعض السلف: أمرؤها كما جاءت، بلا كيف، والله أعلم.

(١) الكشف (١٣/ ٣٢٤).

(٢) انظر تفسير الآية (٣٨).

(٣) في ب، ج: «المقسم».

(٤) قرأ عاصم وحمزة بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ أي: الذين يتصنعون ويتحللون بما ليسوا من أهله.

﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ هذا وعيد؛ أي: لتعلمنَّ صدق خبره بعد حين. والحينُ: يوم القيامة، أو موتهم، أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.



## سُورَةُ الزُّمَرِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ بِإِذْنِ اللَّهِ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَظْطَعِبِي مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكْوَرُ أَلِيلٌ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى أَلِيلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً زَوْجٌ يَخْلُقَكُمْ فِي بَطْنٍ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِبِي تُضَرُّونَ ﴿٧﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٨﴾ \*وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ فُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٩﴾ أَمِنْ هُوَ فَنُفِثَ لَنَاءً أَلِيلَ سَاجِدًا وَفَاقِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ فُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُلَاءِ أَلَيْسَ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» «تَنْزِيلٌ» مبتدأ، وخبره: «مِنَ اللَّهِ». أو خبر ابتداء مضمرة تقديره: «هذا تنزيل»، و«مِنَ اللَّهِ» على هذا الوجه: يتعلق بـ«تَنْزِيلٍ»، أو يكون خبراً بعد خبر، أو

خبر مبتدأ آخر محذوف<sup>(١)</sup>. و﴿الْكِتَابِ﴾ هنا: القرآن، أو السورة، واختار ابن عطية أن يراد به: جنس الكتب المنزلة<sup>(٢)</sup>. وأما ﴿الْكِتَابِ﴾ الثاني: فهو القرآن باتفاق.

﴿بِالْحَقِّ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون معناه: متضمنًا للحق. والثاني: أن يكون معناه: بالاستحقاق والوجوب.

﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أي: لا يكون فيه شرك أكبر ولا شرك أصغر وهو الرياء.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ قيل: معناه: من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص. ويحتمل أن يكون معناه: أن الدين الخالص هو دين الله وهو<sup>(٣)</sup> الإسلام، الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره. معنى ﴿الْخَالِصُ﴾: الصافي عن شوائب الشرك. وقال قتادة: الدين الخالص: شهادة أن لا إله إلا الله<sup>(٤)</sup>. وقال الحسن: هو الإسلام<sup>(٥)</sup>، وهذا أرجح لعمومه.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يريد بالأولياء: الشركاء المعبودين. ويحتمل أن يريد بـ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾: الكفار العابدين لهم، أو الشركاء المعبودين. والأول أظهر؛ لأنه يحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على ﴿الَّذِينَ﴾ تقديره: الذين اتخذوهم، ويكون ضمير الفاعل في ﴿اتَّخَذُوا﴾ عائداً على غير مذكور. وارتفاع ﴿الَّذِينَ﴾ على الوجهين بالابتداء، وخبره: إما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، أو المحذوف المقدر قبل قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾؛ لأن تقديره: «يقولون ما نعبدهم»، والأول أرجح؛ لأن المعنى به أكمل.

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ هذه الجملة في موضع معمول قول محذوف، والقول في موضع الحال، أو في موضع بدل من صلة ﴿الَّذِينَ﴾. وقرأ ابن مسعود ﴿لِيُقَرِّبُونَا﴾: «قالوا ما نعبدهم»<sup>(٦)</sup> بإظهار القول. أي: يقول الكفار: ما نعبد هذه الآلهة إلا ليقربونا إلى

(١) تقديره: هذا تنزيل الكتاب، هذا من الله. الكشاف (١٣/٣٣٣).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٣٦٩).

(٣) من هنا يبدأ سقط ورقة من ج.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/١٥٦).

(٥) عزاه إليه الزمخشري في الكشاف (١٣/٣٣٦)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٦) تفسير الطبري (٢٠/١٥٧).

الله وَيَشْفَعُوا لَنَا عنده. ومعنى بذلك: الكفار الذين عبدوا الملائكة، أو الذين عبدوا الأصنام، أو الذين عبدوا عيسى أو عزيزاً، فإن جميعهم قالوا هذه المقالة. ومعنى ﴿زُلْهِبْ﴾: قُزِي، فهو مصدرٌ من ﴿يُفَرِّبُونَ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كِبَارٌ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم: ﴿لِيُفَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾. وقوله: ﴿لَا يَهْدِي﴾ في تأويله وجهان: أحدهما: لا يهديه في حال كفره. والثاني: أن ذلك مختصٌ بمن قضى عليه بالموت على الكفر. وهذا تأويل: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ و﴿الْكُفْرِينَ﴾ حيث وقع.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأُصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ الولد يكون على وجهين:

أحدهما: بالولادة الحقيقية، وهذا محالٌ على الله تعالى، لا يجوز في العقل.

والثاني: التبني، بمعنى الاختصاص والتقريب، كما يتخذ الإنسان ولدَ غيره ولداً؛ لإفراط محبته له، وذلك ممتنعٌ على الله بإخبار الشرع، فإن قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعِ لِلرَّحْمَى أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٣] يعمُ نفي الوجهين.

فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية<sup>(١)</sup>: لو أراد الله أن يتخذ ولداً على وجه التبني لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته، ولكنه لم يُرد ذلك ولا فعله.

وقال الزمخشري: معناها: لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك، ولكنه يصطفى من عباده مَنْ يشاء على وجه الاختصاص والتقريب، لا على وجه اتخاذه ولداً، فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب، فحَسِبَ الكفار أنهم أولادُه، ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثاً، فأفراطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته<sup>(٢)</sup>.

﴿سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد؛ لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه، ولا جنسَ له؛ لأنه واحد. ووصف نفسه بالقهار؛ ليدلَّ على نفي الشركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مهوَّزٌ تحت قهره تعالى، فكيف يكون شريكاً له؟

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٧١).

(٢) الكشف (١٣/٣٣٨-٣٣٩).



ثم أتبع ذلك بما ذكره من خِلقة السماوات والأرض وغيرها؛ لتدلّ على وحدانيته وقدرته وعظمته.

﴿يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ﴾ التَّكْوِيرُ: اللَّفُّ وَاللَّيْ، ومنه: كَوَّرُ العِمَامَةِ التي يلتوي بعضها على بعض، وهو هنا استعارة. ومعناه على ما قال ابن عطية: يعيد من هذا على هذا، فكان الذي يطول من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءً فيستره، وكان الذي يقصر يدخل في الذي يطول فيستر فيه<sup>(١)</sup>. ويَحْتَمِلُ أن يكون المعنى: أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه، فشُبَّه في ستره له بثوب يلفُّ على آخر.

﴿لَا جِلِّ مُسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدم ﷺ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء، خلقها من ضِلَعِ آدم. فإن قيل: كيف عطف قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ﴾ على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بـ ﴿ثُمَّ﴾ التي تقتضي الترتيب والمهلة، ولا شك أن خِلقة حواء كانت قبل خِلقة بني آدم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول - وهو المختار - أن العطف إنما هو على معنى قوله: ﴿وَاحِدَةٍ﴾ لا على ﴿خَلَقَكُمْ﴾، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدة، ثم خلق منها زوجها بعد وُحْدَتِهَا.

الثاني: أن «ثم» لترتيب الإخبار، لا لترتيب الوجود.

الثالث: أنه يعني بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذرّ، وكان ذلك قبل خِلقة حواء.

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ زُرُوجٍ﴾ يعني: المذكورة<sup>(٢)</sup> في «الأنعام»: ﴿مِنَ الْأُنثَىٰ إِنْثَىٰ وَمِنَ الْمَعْزِ إِنْثَىٰ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ إِنْثَىٰ وَمِنَ الْبَقَرِ إِنْثَىٰ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وسماها أزواجاً؛ لأن الذكر زوج الأنثى<sup>(٣)</sup> والأنثى زوج الذكر<sup>(٤)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٧/٣٧٢).

(٢) في أ، هـ: «المذكورين».

(٣) في ب، د: «للأنثى».

(٤) في ب، د: «للذكر».

وأما لفظ ﴿أَنْزَلَ﴾ ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها إلى الأرض.

الثاني: أن معنى ﴿أَنْزَلَ﴾: قضى وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه.

الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات، فتعيش منه هذه الأنعام، فعبر بإنزالها عن إنزال رزقها، وهذا بعيد.

﴿خَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقِ﴾ يعني: أن الإنسان يكون نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، إلى أن يتم خلقه، ثم ينفخ فيه الروح.

﴿فِي ظِلْمَتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي: البطن والرحم والمشيمة. وقيل: صلب الأب والرحم والمشيمة، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿بُطُونٌ آمَهَاتِكُمْ﴾ ولم يذكر الصلب.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ أي: لا يضره كفركم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين:

أحدهما: أن الرضا بمعنى الإرادة، ويعني بـ﴿عِبَادِهِ﴾ من قضى الله له بالإيمان والوفاء عليه، فهو كقوله: ﴿إِنَّ عِبَادَ لَيْسَ لَكُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

والآخر: أن الرضا غير الإرادة، والعباد على هذا: على العموم، أي: لا يرضى الكفر لأحد من البشر، وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم، فهو لم يرضه دينًا ولا شرعًا، وأراده وقوعًا ووجودًا.

وأما المعتزلة: فالرضا عندهم: بمعنى الإرادة، والعباد على العموم؛ جزيًا على قاعدتهم في القدر وأفعال العباد<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ هذا عموم، والشكر الحقيقي يتضمن الإيمان.

(١) [التعليق ٩٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ذكر المؤلف الوجهين عن الأشعرية، ولم يرجح، والصواب هو القول الثاني، وهو أن الرضا غير الإرادة، وأنه لا تلازم بين الرضا والإرادة الكونية؛ وعلى هذا: فالله لا يرضى الكفر لأحد من عباده، وإن كان قد يشاؤه من بعضهم؛ فالكافر قد شاء الله منه الكفر، وإن كان لا يرضاه منه؛ وهذا يوافق قول أهل السنة.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ ذكر في «الإسراء»<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ الآية؛ يراد بالإنسان هنا: الكافر؛ بدليل قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾. والقصد بهذه الآية: عتاب وإقامة حجة، فالعتاب: على الكفر وترك دعاء الله، وإقامة الحجة: على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد. فإن قيل: لم قال هنا: ﴿وَإِذَا مَسَّ﴾ بالواو، وقال بعد هذا: ﴿فَإِذَا مَسَّ﴾ بالفاء؟

فالجواب: أن الذي بالفاء مسبب عن قوله: ﴿إِشْمَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فجاء بفاء السببية<sup>(٢)</sup>. قاله الزمخشري<sup>(٣)</sup>، وهو بعيد.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ معنى ﴿خَوَّلَهُ﴾: أعطاه. والنعمة هنا: يحتمل أن يريد بها: كشف الضر المذكور، أو أي نعمة كانت.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، أي: نسي دعاءه، أو تكون بمعنى «الذي»، والمراد بها: الله تعالى.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَلِيلٌ﴾ بتخفيف الميم<sup>(٤)</sup>، على إدخال همزة الاستفهام على «مَنْ». وقيل: هي همزة النداء، والأول أظهر. وقرئ بتشديدها، على إدخال «أَمْ» على «مَنْ». و«مَنْ» مبتدأ، وخبره محذوف، وهو المعادل للاستفهام، تقديره: «أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ كغيره»، وإنما حُذف لدلالة الكلام عليه، وهو ما ذكر قبله<sup>(٥)</sup> وما ذكر بعده من قوله: ﴿فَلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾. والقنوت هنا: بمعنى الطاعة، أو الصلاة بالليل.

و﴿بِأَنَاءِ اللَّيْلِ﴾: ساعاته.



(١) انظر تفسير الآية (١٥).

(٢) في ب، هـ: «التسبيب»، وفي د: «التسبب».

(٣) الكشف (١٣/٤٠٤).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وحزمة بالتخفيف، والباقيون بالتشديد.

(٥) من حال الكافر. الكشف (١٣/٣٥٠).

قُلْ يٰٓعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَٱرْضَ ٱللَّهُ وَسِعَةً  
 إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ ٱلَّذِينَ  
 وَءُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ  
 ﴿٥٧﴾ قُلْ ٱللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۚ قُلْ لَئِنْ أَلْхَسِرِينَ ٱلَّذِينَ  
 خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَءَٰهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْفِتْنَةِ ۖ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَٰنُ ٱلْحَقِيقُ ﴿٥٨﴾ لَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ ظُلُلٌ  
 مِنَ ٱلْبَارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۖ يَعْبُدُونَ قَٰتِلِينَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ اجْتَنَبُوا  
 الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبَشْرَىٰ بَبَشِيرٍ عِبَادِ ﴿٦٠﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِيعُونَ ٱلْقَوْلَ  
 فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُوَٰلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَءَٰوَلَّيْكَ هُمْ ۖ أُوَٰلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٦١﴾ أَقَمْتَ حَقَّ  
 عَلَيْهِ كَلِمَةَ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مِنْ فِي ٱلْبَارِ ﴿٦٢﴾ لَكِ ٱلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ  
 قَبْلِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَعَدَ ٱللَّهُ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْعَهْدَ ﴿٦٣﴾ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ  
 ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ  
 يَهْبِجُ بِهِ قَبْرِيَّةً مُّضْجَرًّا ثُمَّ يُجْعَلُهُ حُطْلًا ۚ لَٰنَ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لَٰوَلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٦٤﴾

﴿قُلْ يٰٓعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية؛ نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه ؓ حين  
 عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة<sup>(١)</sup>. ومعناها: التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة.

﴿ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يحتمل أن يتعلق ﴿فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ بـ ﴿أَحْسَنُوا﴾،  
 والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة. أو يتعلق بـ ﴿حَسَنَةً﴾، والحسنة  
 على هذا: حُسن الحال والعافية<sup>(٢)</sup> في الدنيا، والأول أرجح.

﴿وَٱرْضَ ٱللَّهُ وَسِعَةً﴾ يراد بها: البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها، والمقصد من  
 ذلك: حُض على الهجرة.

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٣٨٠/٧)، وعزاه الواحدي في البسيط (٢٧٨/١٩) إلى ابن عباس ؓ.

(٢) في ب، د: «والعاقبة» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (٣٥٣/١٣).

﴿إِنَّمَا يُؤَمِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الصَّابِر يُؤْتَى أَجْرُهُ، ولا يحاسب على أعماله، فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

الثاني: أن أجر الصابرين بغير حضر، بل أكثر من أن يحصر<sup>(١)</sup> بعدد أو وزن، وهذا قول الجمهور.

﴿وَأَمِيزَتْ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ اللام هنا يجوز أن تكون زائدة<sup>(٢)</sup>، أو للتعليل، ويكون المفعول على هذا محذوفاً<sup>(٣)</sup>. فإن قيل: كيف عطف ﴿أَمِيزَتْ﴾ على ﴿أَمِيزَتْ﴾ والمعنى واحد؟

فالجواب: أن الأول أمرٌ بالعبادة والإخلاص، والثاني أمرٌ بالسَّبق إلى الإسلام، فهما معنيان اثنان. وكذلك قوله: ﴿قُلِ لِلَّهِ أَعْبُدْ﴾ ليس تكراراً لقوله: ﴿أَمِيزَتْ أَن أَعْبُدَ اللَّهَ﴾؛ لأن الأول إخبارٌ بأنه مأمور بالعبادة، والثاني إخبارٌ بأنه يفعل العبادة. وقَدَّم اسم الله تعالى؛ للحصر واختصاص<sup>(٤)</sup> العبادة به وحده.

﴿وَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾ هذا تهديدٌ، ومبالغة في الخِذلان والتَّخلية لهم على ما هم عليه.

﴿ظَلَّلَ﴾ جمع ظَلَّة - بالضم -، وهو ما غَشِيَ من فوق، كالسقف، فقوله: ﴿مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ بَيِّنٌ، وأما: ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ﴾ فسماء ظَلَّة؛ لأنه سقفٌ لمن تَحْتَهُمْ؛ فإن جهنم طبقات، وقيل: سماء ظَلَّة؛ لأنه يلتهب ويصعد<sup>(٥)</sup> من أسفلهم إلى فوقهم.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ قيل: إنها نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم؛ إذ دعاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه

(١) في أ: «ينحصر»، وفي ب: «يحصى».

(٢) مثل قولك: أردتُ لأن أفعل. الكشاف (٣٥٧/١٣).

(٣) أي: وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين. الكشاف (٣٥٦/١٣).

(٤) هنا ينتهي سقط الورقة من ج.

(٥) في ب، ج: «ويتعد»!

إلى الإيمان فأمنوا<sup>(١)</sup>.

وقيل: نزلت في أبي ذر، وسلمان رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>، وهذا ضعيف؛ لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة، وهذه السورة مكية، والأظهر: أنها عامة.

والطَّاغُوتُ هنا: كلُّ ما عُبد من دون الله، وقيل: الشَّيَاطِينُ.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: معناه: يستمعون القول على العموم، فيتبعون القرآن؛ لأنه أحسن الكلام. وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه، من العفو الذي هو أحسن من الانتصار، وشبه ذلك. وقيل: هو الذي يسمع حديثاً فيه حسنٌ وقبيح، فيحدث بالحسن ويكف عما سواه، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup>، وهو الأظهر. وقال ابن عطية: هو عام في جميع الأقوال، والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظرٍ شديد يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، فيتبعون الأحسن من ذلك<sup>(٤)</sup>. وقال الزمخشري مثل هذا المعنى<sup>(٥)</sup>.

﴿أَمَّنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَقَانَتْ تُنْفِذَ مَسَّ فِي الْبَارِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون الكلام جملةً واحدة تقديره: أفمن<sup>(٦)</sup> حقت<sup>(٧)</sup> عليه كلمة العذاب أنت<sup>(٨)</sup> تنقذه؟ فوضع ﴿مَسَّ فِي الْبَارِ﴾ موضع المضمر. والهمزة في قوله: ﴿أَقَانَتْ﴾ هي الهمزة التي في قوله: ﴿أَمَّنْ﴾ وهي همزة الإنكار؛ كرّرت للتأكيد.

(١) قاله ابن إسحاق كما في المحرر الوجيز (٧/ ٣٨٣)، وليس فيه ذكر عثمان وطلحة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٩) عن عبد الرحمن بن زيد أنها نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

(٣) عزاه إليه الواحدي في البسيط (١٩/ ٢٨٤)، والزمخشري في الكشاف (١٣/ ٣٦٣).

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٣٨٣).

(٥) الكشاف (١٣/ ٣٦٢-٣٦٣).

(٦) من هنا يبدأ سقط ورقة من هـ.

(٧) في أ: «حق».

(٨) في ب، ج: «أفانت».



والثاني: أن يكون التقدير: أفمن حق عليه العذاب تتأسف عليه؟ فحذف الخبر، ثم استأنف قوله: «أَبَأَنْتِ تُنْفِذِ مَنْ فِي الْبَارِ؟» وعلى هذا يوقف على «الْعَذَابِ»، والأول أرجح؛ لعدم الإضمار.

﴿بَسَلَكَهُ يَتَّبِعَ فِي الْأَرْضِ﴾ معنى «سَلَكَهُ»: أدخله وأجراه. والينابيع: جمع ينبوع، وهو العين. وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر.

﴿مُخْتَلِباً أَلْوَنَهُ﴾ أي: أصنافه، كالقمح والأرز والبقول وغير ذلك، وقيل: «أَلْوَنَهُ»: الخضرة والحمرة وشبه ذلك. وفي الوجهين دليل على الفاعل المختار، وردّ على أهل الطبائع.



أَقَمَّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴿١﴾ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ  
 اللَّهِ ﴿٢﴾ وَلِئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ  
 مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهُ  
 يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٤﴾ أَقَمَّ يَتَّفِعُ بِوَجْهِهِ سَوَاءَ الْعَذَابِ  
 يَوْمَ الْفَيْتَمَةِ ۚ وَفِيلٌ لِّلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ بَأْتِيَهُمُ  
 الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦﴾ فَأَذَافَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ  
 أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ  
 يَتَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾ فَرَأَيْنَا غَرِيبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ  
 شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا  
 يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْفَيْتَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿١٢﴾

﴿١﴾ «أَقَمَّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» تقديره: أقم من شرح الله صدره كالقاسي القلب؟  
 وروي أن المراد بمن شرح الله صدره للإسلام: علي بن أبي طالب، وحمزة رضي الله عنه، والمراد  
 بالقاسية قلوبهم: أبو لهب، وأولاده <sup>(١)</sup>. واللفظ أعم من ذلك.

﴿مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال الزمخشري: «مِّن» هنا: سببية، أي: قلوبهم قاسية من أجل ذكر  
 الله <sup>(٢)</sup>، وهذا المعنى بعيد. ويحتمل عندي: أن يكون «قاسية» تضمين معنى: خالية، فلذلك  
 تعدى بـ«مِن»، والمعنى: أن قلوبهم خالية من ذكر الله.

﴿لَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن. «كِتَابًا» بدل من «أَحْسَنَ»، أو حال منه.  
 «مُتَشَابِهًا» معناه هنا: أنه يشبه بعضه بعضاً في الفصاحة والنطق بالحق، وأنه ليس فيه  
 تناقض ولا اختلاف.

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٣٨٧/٧)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢٩٢/١٩) من رواية عطاء عن  
 ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) قال: «أي: إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة، كقوله: «بَرَّادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ  
 رِجْسِهِمْ» ٢٠. الكشاف (٣٦٧-٣٦٨).



﴿مَثَانِي﴾ جمع مثنى؛ أي: تنبئ فيه القصص وتكرر<sup>(١)</sup>. ويحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء؛ لأنه ينبئ فيه على الله. فإن قيل: ﴿مَثَانِي﴾ جمع؛ فكيف وُصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم<sup>(٢)</sup> إلى سور وآيات كثيرة، فهو جمعٌ بهذا الاعتبار. ويجوز أن يكون كقولهم: «برمة أعشار»، و«ثوب أخلاق»<sup>(٣)</sup>، أو يكون تمييزاً من «مُتَشَبِّهًا»، كقولك: «حسنُ شمائل».

﴿ثُمَّ تَلِينَ جُلُودَهُمْ وَفُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إن قيل: كيف تعدى «تَلِينَ» بـ«إلى»؟ فالجواب: أنه تضمن معنى فعلٍ تعدى بـ«إلى»، كأنه قال: تميل أو تسكن أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله.

فإن قيل: لم ذكرت الجلود أولاً وحدها، ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولاً «تَفْشَعِرُ» ذكر الجلود وحدها؛ لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانياً: «تَلِينَ» ذكر الجلود والقلوب؛ لأن اللين توصف به القلوب والجلود، أما لين القلوب: فهو ضدُّ قسوتها، وأما لين الجلود: فهو ضد قشعريرتها، فاقشعرت أولاً من الخوف، ثم لانت بالرجاء.

﴿ذَلِكَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن، أو إلى الخشية واقشعرار الجلد. ﴿أَقَمَ يَتَّقِي بَوَجهِهِ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ الخبر محذوفٌ كما تقدم في نظائره، تقديره: أقمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمنٌ من العذاب؟ ومعنى «يَتَّقِي بَوَجهِهِ»: يَلْقَى النار بوجهه؛ ليكفُّها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا لقي شيئاً من المخاوف استقبله بيديه، وأيدي هؤلاء مغلولَةٌ، فاتَّقُوا النار بوجوههم.

(١) في أ: «ينبئ... ويكرر».

(٢) في أ: زيادة: «فيه».

(٣) أي: هو مما لفظه واحد ومعناه الجمع، قال الصغاني في التكملة (١/ ٣٩٢): «وهو مما جاء منه الواحد على لفظ الجمع كأنهم جعلوه أجزاءً». وثوب أخلاق: أخلاق جمع خَلَقَ أي: بال، ضدَّ الجديد، قال في تاج العروس (٢٥/ ٢٥٦): «يقال: ثوب أخلاق يصفون به الواحد: إذا كانت الخُلُوقَة فيه كله.. وقال الفراء: إنما قيل: ثوب أخلاق لأن الخُلُوقَة تنفَسُ فيه، فتكثر، فيصير كل قطعة منها خَلَقًا»، وبرمة أعشار: البرمة: القدر، وأعشار: إذا انكسرت قطعاً قطعاً، فهي مفرد في معنى الجمع؛ لأن البرمة مجتمعة من هذه الأعشار أو الأكسار، وهي قطعها. انظر: الصحاح، للجوهري (عشر)، وشرح الرضي على الكافية (٢/ ٣٠٦).

﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان.

﴿فَرَّانَا غَرِيْبًا﴾ نصب<sup>(١)</sup> على الحال، أو بفعل مضمر على المدح.

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: ليس فيه تضاد ولا اختلاف، ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر. وقيل: معناه: غير مخلوق، وقيل: غير ذي لحن. فإن قيل: لم قال: ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ ولم يقل: ﴿غَيْرَ مُعْوَجٍ﴾؟

فالجواب: أن قوله: ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أبلغ في نفي العوج عنه، كأنه قال: ليس فيه شيء من العوج أصلاً.

﴿رَجُلًا بِهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ أي: متنازعون متظالمون، وقيل: متشاكسون. وأصله من قولك: رجلٌ شَكِسٌ: إذا كان ضيق الصدر. ومعنى ضرب هذا المثل: بيان حال من يشرك بالله ومن يوحد، فشبّه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوأ حال، وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد. فمعنى قوله: ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي: خالصاً له. وقرئ ﴿سَلَمًا﴾ بغير ألف، و﴿سَالِمًا﴾ بألف<sup>(٢)</sup>، والمعنى واحد.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ في هذا وعدٌ للنبي ﷺ، ووعدٌ للكفار، فإنهم إذا ماتوا جميعاً وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من كان على الباطل. وفيه أيضاً إخبارٌ بأنه ﷺ سيموت؛ لثلاث<sup>(٣)</sup> يختلف الناس في موته كما اختلفت الأمم في غيره، وقد جاء أنه لما مات ﷺ أنكر عمر بن الخطاب ﷺ موته، حتى احتجّ عليه أبو بكر الصديق ﷺ بهذه الآية، فرجع إليها<sup>(٤)</sup>.

﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ قيل: يعني: الاختصام في الدماء، وقيل: في الحقوق. والأظهر أنه اختصاص النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له، فيكون من تمام ما قبله. ويحتمل أن يكون على العموم في اختصاص الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها.

(١) في ب: «نصبهما»، وفي ج: «نصبها».

(٢) قرأ ابن كثير أبو عمرو بالألف وكسر اللام، وقرأ الباقون بغير ألف وبالفتح.

(٣) في ب، ج: «ثلاث».

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٦٧) عن عائشة ؓ.



﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ﴾ الآية؛ احتجاج على التوحيد، وردُّ على المشركين.

﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرَّةٍ﴾ الآية؛ ردُّ على المشركين، وبرهان على الوحدانية. وروي أن سببها: أن المشركين خوَّفوا رسول الله ﷺ من آلهتهم، فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرُونَ على شيء<sup>(١)</sup>. فإن قيل: كيف قال: ﴿كَاشِفَتُ﴾ و﴿مُنْسِكَّتُ﴾ بالتأنيث؟ فالجواب: أنها لا تعقل، فعاملها معاملة المؤنثة، وأيضاً ففي تأنيثها تحقير لها وتهكُّم بمن عبدها.

﴿إِغْمَلُوا عَلَى مَكَائِكُمْ﴾ تهديد ومسالمة منسوخة بالسيف.

﴿بِالْحَقِّ﴾ ذكر في أول السورة<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر - كما في الدر المنثور (١٢/ ٦٦٢) - عن قتادة، وأن الآية التي نزلت بسبب

ذلك الآية التي قبلها: ﴿إِلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

(٢) انظر تفسير الآية (٢).

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ \* أَمْ لِنَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَرَأَوْا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّبُهَاتُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦١﴾ قُلِ اللَّهُمَّ بَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٦٣﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نًا ثُمَّ إِذَا حَوَّلَتْهُ نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أَوتَيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلِ هِيَ فَتْنَةٌ وَلَعَنَّا أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ فَذَقَالهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٦٧﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٨﴾

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ هذه الآية <sup>(١)</sup> اعتباراً، ومعناها: أن الله يتوفى النفوس على وجهين: أحدهما: وفاة كاملة حقيقية، وهي الموت. والآخر: وفاة النوم؛ لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع، ومنه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦١]، وتقديرها: ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها.

﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أي: يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي. ومعنى إمساكها: أنه لا يردها إلى الدنيا.

﴿وَيُرْسِلَ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يرسل الأنفس النائمة. وإرسالها: هو ردها إلى الدنيا. والأجل المسمى: هو أجل الموت الحقيقي. وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه؛ لقوله:

(١) في ب، ج، د: آية ١.

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

﴿أَمْ إِنْ تَأْتُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُبْعَاءَ﴾ «أم» هنا: بمعنى «بل» وهمزة الإنكار. والشفعاء: هم الأصنام وغيرها، لقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُبْعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

﴿قُلْ أُولَئِكَ نَادَوْا﴾ دخلت همزة الاستفهام على واو الحال، وتقديره: أيشفعون وهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون؟

﴿قُلْ لِلَّهِ الشُّبْعَةُ جَمِيعاً﴾ أي: هو مالكمها، فلا يشفع أحدٌ إليه إلا بإذنه، وفي هذا ردٌّ على الكفار في قولهم: إن الأصنام تشفع لهم.

﴿وَإِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ الآية؛ معناها: أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراك به. ومعنى ﴿إِشْمَازَتْ﴾: انقبضت من شدة الكراهة. وروي أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة «النجم»، فألقى الشيطان في أمنيته حسبما ذكرنا في «الحج»<sup>(١)</sup>، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا يظنون؛ لأنهم كانوا يظنون ظنوناً كاذبة. وقال الزمخشري: إن المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم، أي: ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم، فهو كقوله في الوعد: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتِ لَهُمْ مِنْ فُرَّةٍ أَعْيَى﴾ [السجدة: ١٧]<sup>(٣)</sup>. وقيل: معناها: عملوا أعمالاً حسبوها حسنات، فإذا هي سيئات، وقال الحسن: ويلٌ لأهل الرياء من هذه الآية<sup>(٤)</sup>، وهذا على أنها في المسلمين، والظاهر أنها في الكفار.

(١) انظر تفسير الآية (٥٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/٢١٨) عن مجاهد.

(٣) الكشف (١٣/٤٠٤-٤٠٣).

(٤) لم أقف عليه من قول الحسن، وإنما هو من قول سفيان الثوري، عزاه إليه الثعلبي (٢٣/٧٤)، وفي المحرر الوجيز (٧/٤٠١)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٩١) أنه قال: «ويلٌ لأهل الرياء، ويلٌ لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصّتهم». وقد تحرّفت كلمة «الرياء» في بعض مطبوعات تفسير الثعلبي والمحرر الوجيز إلى «الربا» و«الزنا»، والمثبت هو الصواب بمراجعة المخطوطات، وهو الأليق بالسياق.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ معنى ﴿حَاقَ﴾: حَلَّ ونَزَلَ. وقال ابن عطية وغيره: إن هذا على حذف مضاف تقديره: حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزئون<sup>(١)</sup>. ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف، وهو أحسن، ومعناه: حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون؛ لأنهم كانوا في الدنيا يستهزئون إذا خُوفوا بعذاب الله، ويقولون: متى هذا الوعد؟

﴿قَالَ إِنَّمَا أَتَيْتُهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد: على علم مني بالمكاسب والمنافع.

والآخر: على علم الله باستحقاقه لذلك. و﴿إِنَّمَا﴾ هنا تحتمل وجهين:

أحدهما - وهو الأظهر - أن تكون «ما» كافة، و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في موضع الحال.

والآخر: أن تكون «ما» اسم «إنَّ» و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ خبرها. وإنما قال: ﴿أَتَيْتُهُمْ﴾ بالضمير المذكر وهو عائد على النعمة؛ للحمل على المعنى.

﴿بَلْ هِيَ بَيْتُةٌ﴾ ردُّ على الذي قال: ﴿إِنَّمَا أَتَيْتُهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

﴿فَذَقَلَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قارون وغيره.



(١) المحرر الوجيز (٧/٤٠١).

قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ \* وَأَيُّبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٢﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ أَوْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَىٰ مَا بَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٤﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَفِينَ ﴿٥﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي بِكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَوْمَ الْفِتْنَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨﴾ وَيَنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَعَازِيهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٩﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أَتُؤَلِّيكُمْ هُمْ الْخَسِرُونَ ﴿١١﴾

﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال علي بن أبي طالب، وابن مسعود رضي الله عنه: هذه أرجى آية في القرآن<sup>(١)</sup>. وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية»<sup>(٢)</sup>.

واختلف في سببها: فقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة<sup>(٣)</sup>. وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا، ففُتِنُوا فافْتَنُوا، ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم، وهذا قول عمر بن الخطاب، وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي لما جرى له ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) قول علي رضي الله عنه أخرجه الطبري (٢٢٨/٢٠). وقول ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه الطبري (٢٢٦-٢٢٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٠٠٢)، والطبراني في الكبير (١٤٢/٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢٨/٢٠)، وابن أبي حاتم (٣٢٥٣/١٠)، وأحمد (٢٢٣٦٢)، والطبراني في الأوسط (٦٢/١) من حديث ثوبان رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٤/٧): «فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن».

(٣) أخرجه الطبري (٢٢٥/٢٠) عن عطاء بن يسار، وابن أبي حاتم (٣٢٥٣/١٠) عن أبي سعيد.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢٧/٢٠)، والحاكم (٣٦٢٨) وصححه، والبيهقي (١٧٧٥٦)، والبزار (٢٥٨/١)، الطبراني في الكبير (١٧٧/٢٢) من طريق ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر.



وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية، قالوا: ما ينفعنا الإسلام وقد زينا، وقتلنا النفوس؟ فنزلت الآية فيهم<sup>(١)</sup>.

ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره، وذلك أن ﴿الَّذِينَ اسْتَرْفَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: إن أراد به الكفار: فقد أجمعت<sup>(٢)</sup> الأمة على أنهم إذا أسلموا غُفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم؛ لقوله ﷺ: «الإسلام يَجُبُّ ما قبله»<sup>(٣)</sup>، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم، بل يخلدُهم في النار.

وإن أراد به العصاة من المسلمين: فإن العاصي إذا تاب غفر الله ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

فالمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها: المغفرة للكفار إذا أسلموا، أو للعصاة إذا تابوا، أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة.

والظاهر: أنها نزلت في الكفار، وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا، والدليل على أنها في الكفار: ما ذكر بعدها إلى قوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: اتبعوا القرآن، وليس المعنى: أن بعض القرآن أحسن من بعض؛ لأنه حسن كله، وإنما المعنى: أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر، ويجتنبوا ما فيه من النواهي، فالتفضيل الذي يقتضيه «أحسن» إنما هو في الاتباع. وقيل: يعني: اتبعوا الناسخ دون المنسوخ، وهذا بعيد.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن تقول نفس. وإنما نكر النفس؛ لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفوس الكفار.

(١) أخرجه الطبري (٢٢٤/٢٠٠) عن ابن عباس ؓ والسدي.

(٢) في ب، ج: «اجتمعت».

(٣) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٧٧)، وأخرجه مسلم (١٤١) بلفظ: «الإسلام يهدم ما كان قبله» من حديث

عمر بن العاص ؓ.

﴿يَا جَبِّ لِلَّهِ﴾ أي: في حق الله، وقيل: في أمر الله. وأصله: من الجنب بمعنى الجانب، ثم استعير لهذا المعنى.

﴿السَّخِرِينَ﴾ أي: المستهزئين.

﴿يَبْلَى﴾ جوابٌ للنفس التي حُكي كلامها، ولا يجاب <sup>(١)</sup> بـ «بلى» إلا النفي. وهي هنا جوابٌ لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾؛ لأنه في معنى النفي؛ لأن «لو» حرف امتناع، وتقدير الجواب: بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب. وقال ابن عطية <sup>(٢)</sup>: هي جوابٌ لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾؛ فإن معناه يقتضي أن العمر لم يتسع للنظر، فقيل له: ﴿يَبْلَى﴾ على وجه الرد عليه <sup>(٣)</sup>. والأول أليق بسياق <sup>(٤)</sup> الكلام؛ لأن قوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ تفسيرٌ لما تضمنته «يَبْلَى».

﴿وَجُوهَهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة، أو يكون عبارة عن شدة الكرب. ﴿بِمَبَازِيهِمْ﴾ أصله: من الفوز، والتقدير: بسبب فوزهم. وقيل: معناه بحسناتهم، وقيل: بفضائلهم.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: قائمٌ بتدبير كل شيء.

﴿مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح، وقيل: خزائن. واحدها: مَقْلِيد، وقيل: إقْلِيد، وقيل: لا واحد لها من لفظها، وأصلها كلمة فارسية.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن مقاليد السماوات والأرض فقال: «هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله،

(١) في د: «ولا يجاب».

(٢) المحرر الوجيز (٧/٤٠٧).

(٣) [التعليق ٩٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن عطية: «فإن معناه يقتضي أن العمر لم يتسع للنظر» إلخ، يريد أن معنى قول المثنى للكثرة الاعتذار أن عمره لم يتسع للنظر؛ فهو يطلب العودة إلى الدنيا لينظر فيحسن، فجاء الجواب بأنه قد جاءتك الآيات البينات فكذبت بها، واستكبرت عن الانقياد لها، وكنت بهذا التكذيب والاستكبار من الكافرين، فلا عذر لك في قصر العمر، وعدم اتساعه للنظر، ويطلب هذا الاعتذار قوله تعالى لمن سأل الرجعة: ﴿أَوَلَمْ نُمَيِّزْكُمْ مَا بَدَّكُمْ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَمَا كُنْتُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الآية.

(٤) في ب، ج: «السياق».

وأستغفر الله، هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير»<sup>(١)</sup>.

وإن صح هذا الحديث فمعناه: أن من قال هذه الكلمات صادقاً مخلصاً نال الخيرات والبركات من السماء<sup>(٢)</sup> والأرض؛ لأن هذه الكلمات تُوصِل إلى ذلك، فكأنها مفاتيح<sup>(٣)</sup> له.

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا» الآية، قال الزمخشري: إنها متصلة بقوله: «وَيَنْتَجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارَتِهِمْ» وما بينهما من الكلام اعتراض<sup>(٤)</sup>.



(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٢٥٤/١٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٨)، والطبراني في الدعاء (٤٨٤)، وأبو يعلى في مسنده كما في المقصد العلي للهيتمي (٣٢٧/٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٦/١). وقال ابن كثير في تفسيره (١١٢/٧): «غريب جداً، وفي صحته نظر، وفيه نكارة شديدة»، ورواه العقيلي في الضعفاء (٣٤٤/١) وضعفه، وضعفه أيضاً الهيتمي في مجمع الزوائد (١٥٥/١٠)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/١٤٤)، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٣٩٩/٦): «قال الحافظ المنذري: وفيه نكارة، وقد قيل فيه: موضوع، وليس ببعيد».

(٢) هنا ينتهي السقط من هـ.

(٣) في ج: «مفاتيح»، وفي د: «مفتاح».

(٤) الكشف (٤٢٣/١٣).

قُلْ أَبَعِدَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَيْسَ أَشْرَكَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٢﴾ بَلِ اللَّهُ بَاعِدُ وَكَسٍّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾ وَنُمِغَ فِي الصُّورِ بَصِيقٌ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَتَامٍ يَنْظُرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَشْرَفَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَغْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٧﴾

﴿أَبَعِدَ اللَّهُ﴾ منصوب بـ ﴿أَعْبُدُ﴾.

﴿تَأْمُرُونِي﴾ حذف إحدى النونين تخفيفاً<sup>(١)</sup>، وقرئ بنونين على الأصل، وقرئ بإدغام إحدى النونين في الأخرى.

﴿لَيْسَ أَشْرَكَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ دليل على إحباط أعمال المرتد مطلقاً، خلافاً للشافعي في قوله: لا يحبط عمله إلا إذا مات على الكفر.

فإن قيل: الموحى إليهم جماعة، والخطاب بقوله: ﴿لَيْسَ أَشْرَكَكَ﴾ لواحد؟

فالجواب: أن المعنى: أنه أوحى ذلك إلى كل واحد منهم على حدة.

فإن قيل: كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك؟

فالجواب: أن ذلك على وجه الفرض والتقدير، أي: لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم، لكنهم لم يقع منهم شرك بسبب العصمة.

ويحتمل أن يكون المراد غيرهم وخوطبوا هم؛ ليدل المعنى على غيرهم بطريق الأولى.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق تعظيمه، ولا وصفوه بما يجب له، ولا زهوه عما لا يليق به. والضمير في ﴿قَدَرُوا﴾: لقريش، وقيل: لليهود.

(١) قرأ نافع بتخفيف النون، وقرأ ابن عامر بنونين، وقرأ الباقون بالتشديد.

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ المقصود بهذا: تعظيم جلال الله، والردُّ على الكفار الذين ما قدرُوا الله حق قدره. ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات:

فقال المتأولة: إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة.

وقال ابن الطَّيِّب<sup>(١)</sup>: إنها صفات زائدة على صفات الذات.

وأما السلف الصالح فسلموا عِلْمَ ذلك إلى الله، ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم حقيقته إلا الله<sup>(٢)</sup>.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنه ما معناه: إن الأرض في قبضته والسموات مطويات، كل ذلك بيمينه<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عمر رضي الله عنه ما معناه: إن الأرض في قبضة اليد الواحدة، والسموات مطويات باليمين الأخرى؛ لأن كلتا يديه يمين<sup>(٤)</sup>.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هو القرن الذين ينفخ فيه إسرافيل، وهذه النفخة نفخة الصَّعَقِ، وهو الموت، وقد قيل: إن قبلها نفخة الفزع، ولم تُذكر في هذه الآية.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: يعني: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يميتهم بعد ذلك، وقيل: استثنى الأنبياء، وقيل: الشهداء.

﴿ثُمَّ نُفِخَ بِهِ الْخُرْى﴾ هي نفخة القيام.

﴿فِيَّامٍ يَنْظُرُونَ﴾ قيل: إنه من النظر، وقيل: من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني: صحائف الأعمال، وإنما وُحِّدَها؛ لأنه أراد الجنس، وقيل: هو اللوح المحفوظ.

(١) الباقلاني.

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٥٠) و(٩٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤٦/٢٠) من طريق العوفي عنه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤٩/٢٠).

﴿وَحِجَّةً بِالنَّبِيِّينَ﴾ ليشهدوا على قومهم.

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ يحتمل أن يكون جمع شاهد، أو جمع شهيد في سبيل الله. والأول أرجح؛ لأن فيه معنى الوعيد، ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين، والمراد على هذا: أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس، وقيل: يعني: الملائكة الحفظة.

﴿وَفُضِّلَ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق.



وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ فِيلَ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٩﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٢١﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِبِينَ مِن حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

﴿زُمَرًا﴾ في الموضعين: جمع زُمرَة، وهي الجماعة من الناس، وقال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل»<sup>(١)</sup>.

﴿خَزَنَتُهَا﴾ جمع خازن حيث وقع.

﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ يعني: القضاء السابق بعدابهم.

﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ إنما قال في الجنة ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بالواو وقال في النار بغير واو؛ لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل مجيء أهلها، فالمعنى: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتوحة، فالواو واو الحال، وجواب ﴿إِذَا﴾ على هذا محذوف<sup>(٢)</sup>، وأما أبواب النار فإنما فتحت حين جاؤوها، فوقع قوله: ﴿فُتِحَتْ﴾ جوابًا للشرط، فكان بغير واو. وقال الكوفيون: الواو في أبواب الجنة واو الثمانية؛ لأن أبواب الجنة ثمانية. وقيل: الواو زائدة، و﴿فُتِحَتْ﴾ هو الجواب.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني: أرض الجنة، والوراثة هنا: استعارة؛ كأنهم ورثوا موضع<sup>(٣)</sup> من لم يدخل الجنة.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له عن أبي هريرة ؓ.

(٢) تقديره -بعد قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ﴾- سعدوا. المحرر الوجيز (٤١٥/٧).

(٣) في أ، هـ: «مواضع».

﴿تَنْبَوْا﴾ أي: تنزل من الجنة حيث نشاء ونأخذ مسكنًا.

﴿حَاقِبِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ أي: مُحْدِقِينَ بِهِ، دائرين حوله.

﴿وَفُضِّلَ بَيْنَهُمُ﴾ الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول. ويحتمل هنا أن يكون للملائكة. والقضاء بينهم: توفية أجورهم على حسب منازلهم.

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة، أو جميع الخلق، أو أهل الجنة؛ لقوله: ﴿وَأَخِرَ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].





## سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ

جَمَّ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ غَايِرَ الذُّبِّ وَقَائِلِ الثَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَنِيرُ ﴿٢﴾ مَا يَجْدُلُ فِي عَائِتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٤﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٥﴾ الَّذِينَ يَخِيلُونَ أَلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلَجِيمٌ ﴿٦﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَوَلَّى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨﴾

﴿جَمَّ﴾ تقدّم الكلام في حروف الهجاء. ويختص<sup>(١)</sup> ﴿جَمَّ﴾ بأنها قيل: معناها: «حم الأمر»، أي قضي. وقال ابن عباس رضي الله عنه: «الر» و«حم» و«ن» هي حروف الرحمن<sup>(٢)</sup>.  
﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ ذكر في «الزمر»<sup>(٣)</sup>.

﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ أي: ذي الفضل والإنعام. وقيل: الطول: الغنى والسعة.  
﴿لَا يَغْرُزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ﴾ جعل ﴿لَا يَغْرُزُكَ﴾ بمعنى: لا يحزنك، ففيه تسليّة للنبي ﷺ، ووعد للكفار.

(١) في ب، ج، د: «وتختص».

(٢) أخرجه الطبري (٢٧٤/٢٠)، وابن أبي حاتم (١٩٢١/٦) عن عكرمة عنه رضي الله عنه.

(٣) انظر تفسير الآية (١).

﴿وَالْأَخْزَابُ﴾ يراد به: عاد وثمود وغيرهم.

﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: ليقتلوه.

﴿لِيُذِجُوا﴾ أي: يُبْطِلُوا به الحق.

﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: وجب قضاؤه.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عطفٌ على ﴿الَّذِينَ يَخْمِلُونَ﴾.

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله مؤمنون بالله؟

فالجواب: أن ذلك إظهارٌ لفضيلة الإيمان وشرفه، قال ذلك الزمخشري، وقال: إن فيه فائدةً أخرى وهي: أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق، لا بالرؤية<sup>(١)</sup>. وهذه نزعة<sup>(٢)</sup> إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله.

﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أصل الكلام: وسعت رحمته وعلمك كل شيء، فالسعة في المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم، وإنما أسندتا في اللفظ إلى الله تعالى؛ لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما، كأن ذاته رحمةٌ وعلمٌ واسعان كل شيء.

﴿وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى: قههم السيئات أنفسها، بحيث لا يفعلونها، أو يكون المعنى: قههم جزاء السيئات، فلا تؤاخذهم بها.



(١) الكشاف (١٣/٤٦٤-٤٦٥).

(٢) نزاع إلى الشيء: إذا ذهب إليه. الصحاح (نزع). وفي أ، ب، ج، هـ: «نزعة» بالغيين.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَفْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى  
 الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١﴾ \* قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا إِثْنَتَيْنِ وَأُخْبِتْنَا إِثْنَتَيْنِ بَاغِرْتَنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلِ إِلَى  
 خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٢﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ ثُمِنْتُمْ  
 بِالْحُكْمِ إِلَهُ الْعَالَمِينَ الْكَبِيرِ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا  
 وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿٤﴾ بَادِعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٥﴾ رِبِيعُ  
 الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿٦﴾  
 يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ إِلَهُ الْوَاحِدِ الْفَهَّارِ ﴿٧﴾  
 الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ  
 الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ ﴿٩﴾ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ ﴿١٠﴾  
 يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١١﴾ وَاللَّهُ يَفْضِلُ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا  
 يَفْضُلُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢﴾

﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَفْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴿١﴾ المقت: البغض  
 الذي يوجه ذنباً أو عيب. وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار؛ فإنهم إذا  
 دخلوها مقتوا أنفسهم، أي: مقت بعضهم بعضاً، ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه،  
 فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم  
 اليوم. فقله: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ مصدر مضاف إلى الفاعل، وحذف المفعول لدلالة مفعول  
 ﴿مَفْتِكُمْ﴾ عليه. وقوله: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ ظرف، العامل فيه: ﴿مَقْتُ اللَّهِ﴾ من طريق  
 المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو؛ لأن ﴿مَقْتُ اللَّهِ﴾ مصدر؛ فلا يجوز  
 أن يفصل بينه وبين بعض صلته، فيحتاج أن يقدر للظرف عامل<sup>(١)</sup>، وعلى هذا أجاز  
 بعضهم الوقف على قوله: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾، والابتداء بالظرف، وهذا ضعيف؛ لأن المراعى  
 المعنى. وقد جعل الزمخشري ﴿مَقْتُ اللَّهِ﴾ عاملاً في الظرف، ولم يعتبر الفصل<sup>(٢)</sup>.

(١) تقديره: مقتكم إذ. المحرر الوجيز (٧/٤٢٥).

(٢) جعل الزمخشري: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ تعليلاً لا ظرفاً. الكشاف (١٣/٤٧١).

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا إِئْتِنَا إِئْتِنَا﴾ هذه الآية كقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧]: فالموتة الأولى: عبارة عن كونهم عدماً، أو كونهم في الأصلاب، أو في الأرحام، والموتة الثانية: الموت المعروف، والحياة الأولى: حياة الدنيا، والحياة الثانية: حياة البعث في القيامة. وقيل: الحياة الأولى: حياة الدنيا، والثانية: الحياة في القبر، والموتة الأولى: الموت المعروف، والموتة الثانية: بعد حياة القبر، وهذا قول فاسد؛ لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجيء الحياة ثلاث مرات. فإن قيل: كيف اتصال<sup>(١)</sup> قولهم: ﴿آمَنَّا إِئْتِنَا وَأَحْيَيْتَنَا إِئْتِنَا﴾ بما قبله؟ فالجواب: أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك، فأقروا به حيثئذ؛ ليَرْضُوا الله بإقرارهم حيثئذ، فقولهم: ﴿آمَنَّا إِئْتِنَا وَأَحْيَيْتَنَا إِئْتِنَا﴾ إقرار بالبعث على أكمل الوجوه؛ طمعاً منهم أن يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله؛ إذ كانوا يُدْعَوْنَ إلى الإيمان فيكفرون.

﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الفاء هنا رابطة معناها التسيب. فإن قيل: كيف يكون قولهم: ﴿آمَنَّا إِئْتِنَا وَأَحْيَيْتَنَا إِئْتِنَا﴾ سبباً لاعترافهم بالذنوب؟

فالجواب: أنهم كانوا كافرين بالبعث، فلمَّا رأوا الإمامة والإحياء قد تكررًا عليهم علموا أن الله قادرٌ على البعث فاعترفوا بذنوبهم، وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي، فإن من لا يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخَذَهُ جَهَنَّمُ﴾ الباء: سببية للتعليل. والإشارة بـ ﴿ذَلِكُمْ﴾ تحتمل أن تكون إلى العذاب الذي هم فيه، أو إلى مقت الله لهم، أو مقتهم لأنفسهم. والأحسن: أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام، وذلك أنهم لما قالوا: ﴿قَهْلِي إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ كأنهم قيل لهم: «لا سبيل إلى الخروج»، فالإشارة بقوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ إلى عدم خروجهم من النار.

﴿يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ يعني: العلامات الدالة عليه؛ من مخلوقاته ومعجزات رسله.

﴿وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِّن السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ يعني: المطر.

(١) في أ: «اتصال».

﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى: مرتفع الدرجات، فيكون بمعنى العلي<sup>(١)</sup>، أو رافع درجات عبادته في الجنة<sup>(٢)</sup> وفي الدنيا.

﴿يُلْفِيهِ الرُّوحُ﴾ يعني: الوحي.

﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ يحتمل أن يريد: الأمر الذي هو واحد الأمور، أو الأمر بالخير. فعلى الأول: تكون ﴿مِنْ﴾ للتبعية، أو لابتداء الغاية، وعلى الثاني: تكون لابتداء الغاية، أو بمعنى الباء.

﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يعني: يوم القيامة. وسمي بذلك؛ لأن الخلائق يلتقون فيه، وقيل: لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، وقيل: لأنه يلتقي الخلق<sup>(٣)</sup> مع ربهم. والفاعل بـ﴿يُنْذِرُ﴾: ضمير يعود على ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، أو على ﴿الرُّوحُ﴾، أو على الله.

﴿لَيْسَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ هذا من كلام الله تعالى؛ تقريراً للخلق يوم القيامة؛ فيجيئونه ويقولون: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾. وقيل: بل هو الذي يجيب نفسه؛ لأن الخلق يسكتون هيبته له، وقيل: إن القائل ﴿لَيْسَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾: ملك.

﴿يَوْمَ الْأَرْبَةِ﴾ يعني: القيامة، ومعناه: القرية.

﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ معناه: أن القلوب قد صعدت من الصدور<sup>(٤)</sup>؛ لشدة الخوف حتى بلغت إلى الحناجر، فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة، أو مجازاً عبر به عن شدة الخوف. والحناجر: جمع حنجرة، وهي الحلق.

﴿كَظِيمٍ﴾ أي: محزونين حزناً شديداً، كقوله: ﴿بَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]. وقيل: معناه يكظمون حزنهم؛ أي: يطمعون أن يخفوه، والحال تغلبهم. وانتصابه على الحال من أصحاب القلوب؛ لأن معناه: قلوب الناس، أو من المفعول في ﴿أَنْذَرَهُمْ﴾، أو من ﴿الْقُلُوبِ﴾، وجمعها جمع المذكر؛ لما وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء.

(١) في ب، ج: «العلو».

(٢) في ب: «الأخرة».

(٣) في د، هـ زيادة: «فيه».

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «الصدر».

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: صديق مُشفق.

﴿وَلَا شَمِيعٌ يُطَاعُ﴾ يحتمل أن يكون نفى الشفاعة وطاعة الشفيع، أو نفى طاعة الشفيع خاصة، كقولك: «ما جاءني رجل صالح» فنفيَت الصَّلاح، وإن كان قد جاءك رجل غير صالح، والأول أحسن؛ لأن الكفار ليس لهم مَنْ يشفع<sup>(١)</sup> فيهم.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ أي: استراق النظر. والخائنة: مصدرٌ بمعنى الخيانة، أو وصفٌ للنظرة. وهذا الكلام متصل بما تقدّم من ذكر الله، واعتراض في أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرّد إليه من قوله: ﴿لَيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.



(١) في ب، هـ: «من شفيع».

\* أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَايٍ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَصَوْا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٥٢﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٥٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَخْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٤﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾

﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: حجة ظاهرة، وهي المعجزات.

﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أولاً قبل ميلاد موسى عليه السلام. (١).

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ المعنى: أنه لا يبالي بدعاء موسى عليه السلام لربه، ولا يخاف من ذلك إن قتله. ويظهر من قوله: ﴿ذَرُونِي﴾ أنه كان في الناس من ينازعه في قتل موسى عليه السلام، وذلك يدل على أن فرعون كان قد اضطرب أمره بظهور معجزات موسى عليه السلام.

﴿وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ يعني: فساد أحوالهم في الدنيا. وقرئ ﴿وَأَنْ يُظْهِرَ﴾: بالواو فقط، وبـ «أو» (٢). و﴿يُظْهِرَ﴾ (٣): بفتح الياء، ورفع ﴿الْفَسَادَ﴾ على الفاعلية، وبضم الياء، ونصب ﴿الْفَسَادَ﴾ على المفعولية.

(١) قاله قتادة كما في تفسير الطبري (٣٠٨/٢٠).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بـ «أو»، وقرأ الباقون بالواو.

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم ﴿يُظْهِرَ﴾ بضم الياء وكسر الراء، و﴿الْفَسَادَ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون ﴿يُظْهِرَ﴾ بفتح الياء والهاء، و﴿الْفَسَادَ﴾ بالرفع.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِاللَّهِ فَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُ. وَقَالَ: ﴿مَنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ لِيَشْمَلَ فِرْعَوْنَ وَغَيْرَهُ، وَلِيَكُونَ فِيهِ وَصْفٌ لِفِرْعَوْنَ بِذَلِكَ الْوَصْفِ الْقَبِيحِ.





وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿١٥﴾ يَقُومُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿١٦﴾ \* وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿١٧﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿١٨﴾ وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿١٩﴾ يَوْمَ تُنَادُونَ مَذِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَصِمْ وَمَنِ يَضِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هَادٍ ﴿٢١﴾ وَهُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَيْنَهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٢٣﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ إِنِّي لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٢٤﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ آلِهَةِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِمِرْعَوْنَ سَوَاءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٢٥﴾

﴿٢٥﴾ «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ» قيل: إن اسم هذا المؤمن حبيب، وقيل: حزقييل، وقيل: شمعان بالشين المعجمة. وروى أن هذا المؤمن كان ابن عم فرعون<sup>(١)</sup>، فقوله: «مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ» صفة للمؤمن. وقيل: كان من بني إسرائيل، فقوله: «مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ» على هذا يتعلق بقوله: «يَكْتُمُ إِيمَانَهُ».

والأول أرجح؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير، ولقوله: «فَمَن يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ» لأن هذا كلام قريب شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء، بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل ذلك الكلام.

«أَن يَقُولَ» في موضع المفعول من أجله، تقديره: أتقتلونه من أجل أن يقول ربي الله.

(١) قاله السدي كما في تفسير الطبري (٢٠/٣١١)، وعزاه في المحرر الوجيز (٧/٤٣٧) إلى مقاتل.

﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا بَعَلِيهِ كَذِبُهُ﴾ أي: إن كان موسى كاذبًا في دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه، فلا شيء تقتلون؟ فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا﴾ بعد أن كان قد آمن به؟  
فالجواب: أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب له، وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير، وقصد بذلك المحاجة لقومه، فقسّم أمر موسى ﷺ إلى قسمين؛ ليقيم عليهم الحجة في ترك قتله على كل وجه من القسمين.

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ﴾ قيل: إن ﴿بَعْضُ﴾ هنا بمعنى: «كل»، وذلك بعيد. وإنما قال ﴿بَعْضُ﴾ ولم يقل «كل» مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعدهم؛ ليلاطفهم في الكلام، ويبعد عن التعصّب لموسى ﷺ، ويظهر النصيحة لقومه، فيرتجي إجابتهم للحق.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هو المؤمن المذكور أولاً. وقيل: هو موسى ﷺ، وهذا بعيد، وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان، وكان كلام المؤمن أولاً غير صريح؛ بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه؛ إذ كان يكتُم إيمانه.

والجواب: أنه كتم إيمانه في أول الأمر، ثم صرح به بعد ذلك، وجاهرهم مجاهرة ظاهرة لما وثق بالله، حسبما حكى الله من كلامه إلى قوله: ﴿بَسْتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ و﴿بِقَوْلِ أَمْرِ إِلَى اللَّهِ﴾.

﴿يَوْمَ النَّادِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمي بذلك لأن المنادي ينادي الناس، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ﴾ [الإسراء: ٧١]. وقيل: لأن بعضهم ينادي بعضًا؛ أي ينادي أهل الجنة: ﴿فَذَوْجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٣] وينادي أهل النار: ﴿أَبِيسُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ [الأعراف: ٥٠].

﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُذْهِبِينَ﴾ أي: منطلقين إلى النار، وقيل: هاربين من النار.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ﴾ هو يوسف بن يعقوب، وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب. والبيّنات التي جاء بها يوسف ﷺ: لم تعين لنا. واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله؛ لأن كل من ملك مصر يقال له: «فرعون».

﴿فَلْتَمَّ لَنْ يَنْبَغَتْ أَللهُ مِنْ بَغْدِيءٍ رَسُولًا﴾ كلامهم هذا لا يدلُّ على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما مرادهم: لن يأتي أحدٌ يدَّعي الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: إنما هو تكذيبٌ لرسالة مَنْ بعده مضمومٌ إلى تكذيب رسالته<sup>(٢)</sup>.

﴿الَّذِينَ يَجْدِلُونَ﴾ بدلٌ من ﴿مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾، وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد؛ لأنه في معنى الجمع، كأنه قال: كلٌّ مسرفٍ.

﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾: مصدرٌ ﴿يَجْدِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال الزمخشري: الفاعل ضمير ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿الْأَسْبَبَ﴾ هنا: الطرق، وقيل: الأبواب. وكررها للتفخيم وللبيان.

﴿فَأَظْلَعُ﴾ بالرفع<sup>(٥)</sup>: عطفٌ على ﴿أَبْلُغُ﴾، وبالنصب: بإضمار «أَنْ» في جواب ﴿لَعَلِّي﴾؛ لأن الترجي غير واجب، فهو كالتمني في انتصاب جوابه، ولا نقول: إن «لعل» أُشربت معنى «ليت» كما قاله بعض النحاة.

﴿تَبَابٌ﴾ أي: خسران.



(١) المحرر الوجيز (٧/٤٤٢).

(٢) الكشاف (١٣/٥٠٩).

(٣) أي: كبر جدالهم مقننًا. المحرر الوجيز (٧/٤٤٢).

(٤) الكشاف (١٣/٥١٠).

(٥) روى حفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع.

وَقَالَ الَّذِينَ آمَنَ يَقُولُ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٥٠﴾ يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتْنَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٥١﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ اتَّبَعَ هُدًى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥٢﴾ \* وَيَقُولُ مَا لِيَ أَذْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى الْبَارِ ﴿٥٣﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَذْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَيْبِيِّ ﴿٥٤﴾ لَا جَرَمَ أَنَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْبَارِ ﴿٥٥﴾ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَقَبُولُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٦﴾ بَوْفِيهِ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٥٧﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٥٨﴾ وَإِذْ يَتَحَاجَّوْنَ فِي الْبَارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ الْبَارِ ﴿٥٩﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي الْبَارِ لِيُخْرِجَنَّ جَهَنَّمَ أَذْعُوا رَبُّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُن تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَاذِبِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٦٢﴾

﴿٥٠﴾ «مَتْنَعٌ» أي: يُتَمَتَّعُ به قليلاً. فإن قيل: لم كرّر المؤمن نداء قومه مراراً؟

فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم، وإظهار الملاطفة والنصيحة.

فإن قيل: لم جاء بالواو في قوله: «وَيَقُولُ» في الثالث دون الثاني؟

فالجواب: أن الثاني بيان للأول وتفسير، فلم يصحَّ عطفه عليه، بخلاف الثالث، فإنه

كلام آخر فصَحَّ عطفه.

﴿٥١﴾ «مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ» أي: ليس لي علم بربوبيته، والمراد بنفي العلم: نفي المعلوم،

كانه قال: «وأشرك به ما ليس بإله»، وإذا لم يكن إلهاً لم يصحَّ علمُ ربوبيته.

﴿٥٢﴾ «لَا جَرَمَ» أي: لا بدَّ، ولا شك.

﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ قال ابن عطية: المعنى: ليس له قدرٌ ولا حقٌ يجب أن يُدعى إليه أحدٌ، كأنه قال: تدعونني إلى عبادة ما لا خطر له في الدنيا ولا في الآخرة<sup>(١)</sup>. ويحتمل اللفظ أن يكون معناه: ليس له دعوة قائمة، أي: لا يُدعى أحدٌ<sup>(٢)</sup> إلى عبادته.

﴿بَوَاقِهِ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ دليل على أن مَنْ فَوَّضَ أمره إلى الله ﷻ كان الله معه.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ «النَّارُ» بدلٌ من «سُوءَ الْعَذَابِ»، أو مبتدأ<sup>(٣)</sup>، أو خبر مبتدإ مضمرة. وعَرْضُهم عليها: من حين موتهم إلى يوم القيامة، وذلك مدة البرزخ، بدليل قوله: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ». واستدل أهل السنة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر. وروي أن أرواحهم في أجواف طيرٍ سود تروح بهم<sup>(٤)</sup> وتغدو إلى النار<sup>(٥)</sup>.

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قيل: معناه: في كل غُدُوَّةٍ وعَشِيَّةٍ من أيام الدنيا. وقيل: المعنى: على تقدير ما بين الغدوة والعشية؛ لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية.

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إن قيل: هَلَّا قال: «الذين في النار لخزنتها»؟ فلم صرَّح باسمها؟ فالجواب: أن في ذكر جهنم تهويلاً ليس في ذكر الضمير.

﴿وَمَا دُعُوا الْكُبَرَىٰ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام خزنة جهنم، فيكون متصلاً بقولهم: «بَادِعُوا»، أو يكون من كلام الله تعالى استئنافاً.



(١) المحرر الوجيز (٤٤٦/٧).

(٢) في أ، ب، هـ: «يُدعى»، وفي ج: «يدعو».

(٣) وخبره: «يُعْرَضُونَ». المحرر الوجيز (٤٤٧/٧).

(٤) في ب، ج: «بها».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٢٦٧/١٠) عن الهزيل بن شرحبيل عن ابن مسعود ﷺ، وأخرجه الطبري (٣٣٧/٢٠) وابن أبي شيبة (٣٥٢٩٩)، من كلام الهزيل، وأخرجه الطبري أيضاً عن السدي.

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢﴾ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ هُدىً وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٣﴾ بِاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَبْتِهَتْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَّا هُمْ بِبَلَّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥﴾ لَخَلُو السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا» قيل: إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار، وليس بعام؛ لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكرياء ويحيى عليهما السلام. والصحيح أنه عام، والجواب عما ذكره: أن زكرياء ويحيى عليهما السلام لم يكونا من الرسل، وإنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين، وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة، لا نصر الأنبياء كلهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ يعني: يوم القيامة. و«الْأَشْهَادُ» جمع شاهد، أو شهيد. ويحتمل أن يكون بمعنى الحضور، أو الشهادة على الناس، أو الشهادة في سبيل الله. والأظهر: أنه بمعنى الشهادة على الناس؛ لقوله: ﴿بَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١].

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ يحتمل أنهم لا يعتذرون، أو يعتذرون ولكن لا تنفعهم معذرتهم. والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] فنفي الاعتذار والانتفاع به.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني: وعده لمحمد ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه.

﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ قيل: العشي: صلاة العصر، والإبكار: صلاة الصبح. وقيل: العشي: بعد العصر إلى الغروب، والإبكار: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: كفار قريش.

﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: تكبر وتعاظم يمنهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك. وقيل: كبرهم: أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم، ورأوا أنهم أحقُّ بها. والأول أظهر؛ لأن إرادة النبوة لأنفسهم حسدٌ، والأول هو الكبر.

﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ أي: لا يبلغون ما يقتضيه كبرهم من الظهور عليك، أو من ثيل النبوة. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: استعذ من شرهم؛ لأنهم أعداء لك، أو استعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد، أو استعذ بالله في جميع أمورك على الإطلاق.

﴿لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ الخلق هنا: مصدر مضاف إلى المفعول. والمراد بهذا<sup>(١)</sup>: الاستدلال على البعث؛ لأن الإله الذي خلق السماوات والأرض على كبرها قادرٌ على إعادة الأجسام بعد فنائها. وقيل: المراد: توبيخ الكفار المتكبرين، كأنه قال: خَلَقَ السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقهم؟

والأول أرجح؛ لوروده في مواضع من القرآن، ولأنه قال بعده: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ بَالِغَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فقدّم الدليل، ثم ذكر المدلول.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء هنا: هو الطلب والرغبة، وهذا وعدٌ مقيّد بالمشيئة، وهي موافقة القدر لمن أراد الله أن يستجيب له<sup>(٢)</sup>.

وقيل: ﴿ادْعُونِي﴾ هنا: بمعنى اعبدوني؛ بدليل قوله بعده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ وقوله ﷻ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا الآية<sup>(٣)</sup>، و﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ على هذا القول بمعنى: أغفر لكم وأعطيكم أجوركم.

(١) في أ، هـ: «به».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩) وصححه، والنسائي في الكبرى (١١٤٠٠)،

وابن ماجه (٣٨٢٨)، وابن حبان (٨٩٠)، والحاكم (١٨٠٢) وصححه، من حديث النعمان بن بشير ؓ.

والأول أظهر، ويكون قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ بمعنى: يستكبرون عن الرغبة إليّ، كما قال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»<sup>(١)</sup>.

وأما قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» فمعناه: أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العبادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد وتضرُّعه إلى الله.

﴿ذَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين.



(١) أخرجه أحمد (٩٧٠١)، والترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، والحاكم (١٨٠٧) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال ابن كثير في تفسيره (١٥٤ / ٧): «وهذا إسناد لا بأس به».



اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بَاطِنُ ثَوْبِكُمْ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ يُبَوِّغُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَرَّكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بَادِعُ مَخْلُصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ \* قُلْ لِيَ نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَقَّعُ مِنَ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٣﴾

﴿١٦﴾ لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في «يونس» (١).

﴿١٧﴾ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني: المستلذات؛ لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحریم فيراد به الحلال (٢).

﴿٢٠﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا متصل بما قبله، قال ذلك ابن عطية (٣) والزمخشري (٤)، وتقديره: ادعوه مخلصين قائلين: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، ولذلك قال ابن عباس (رضي الله عنه): من قال: «لا إله إلا الله» فليقل: «الحمد لله رب العالمين» (٥). ويحتمل أن يكون «الْحَمْدُ لِلَّهِ» استثناءً.

﴿٢٢﴾ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أراد الجنس، ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة.

(١) انظر تفسير الآية (٦٧).

(٢) انظر التعليق على تفسير الآية رقم (٥) من سورة المائدة.

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٤).

(٤) الكشاف (١٣/ ٥٤٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٥٧)، والحاكم (٣٦٣٩) وصححه ووافقه الذهبي.

﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ ذُكِرَ الْأَشَدُّ فِي سُورَةِ «يُوسُفَ»<sup>(١)</sup> ﴿وَاللَّامُ تَتَعَلَّقُ بِفَعْلٍ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: ثُمَّ يُبْقِيكُمْ لَتَبْلُغُوا. وَكَذَلِكَ ﴿لَتَكُونُوا﴾. وَأَمَّا ﴿لَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فَمَتَعَلَّقٌ بِمَحذُوفٍ آخَرَ تَقْدِيرُهُ: فَعَلَّ ذَلِكَ بِكُمْ لَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى، وَهُوَ الْمَوْتُ، أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.



(١) انظر تفسير الآية (٢٢).

أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْبَىٰ يُضْرَبُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا  
 أَرْسَلْنَا بِهِم رُسُلَنَا بَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ إِذِ الْأَغْلَلُ فِي غَنَفِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٦٨﴾ فِي  
 الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ فِي لَهْمٍ آتِينَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا  
 صَلُّوا عَلَيْنَا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ ذَلِكَ بِمَا  
 كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧١﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ  
 خَالِدِينَ فِيهَا قَبِيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّتَك بِغُضِّ  
 نَعْدِهِمْ أَوْ نَتَوَقَّيْتَكْ فَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا  
 عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَفْضُضْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِذَا  
 جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَضِىَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٤﴾

﴿٦٦﴾ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ يعني: كفار قريش. وقيل: هم أهل الأهواء، كالقدرية  
 وغيرهم، وهذا مردود بقوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾، إلا إن جعلته منقطعاً مما قبله،  
 وذلك بعيد.

﴿٦٧﴾ ﴿إِذِ الْأَغْلَلُ فِي غَنَفِهِمْ﴾ العامل في ﴿إِذِ﴾: ﴿يَعْلَمُونَ﴾. وجعل الظرف الماضي  
 موضع المستقبل؛ لتحقيق الأمر.

﴿يُسْحَبُونَ﴾ في الحميم: أي: يُجَرَّون، والحميم: الماء الشديد الحرارة.  
 ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ هو من قولك: سَجَرْتُ الثَّنُورَ: إذا ملأته بالنار، فالمعنى: أنهم  
 يدخلون فيها كما يدخل الحطب في الثنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره: توقد بهم  
 النار<sup>(١)</sup>.

﴿تَمْرَحُونَ﴾ من المرح، وهو الأشرُّ والبَطَرُ، وقيل: الفخر والخيلاء.  
 ﴿قَبِيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ إن قيل: قياس النظم أن يقول: «بئس مدخل الكافرين»؛  
 لأنه تقدّم قوله: ﴿ادْخُلُوا﴾؟ فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى التَّوَّاء.

(١) أخرجه الطبري (٣٠/٣٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٢٦٩).

﴿بِمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ أصل ﴿إِنَّمَا نُرِيَنَّكَ﴾: «إِنْ تُرِكَ»<sup>(١)</sup> ودخلت «ما» الزائدة بعد «إِنْ» الشرطية.

وجواب الشرط محذوف، تقديره: إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرأت عينك بذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشد الانتقام.

﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ روي عن النبي ﷺ: «أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول»<sup>(٢)</sup>، وفي حديث آخر: «أربعة آلاف»<sup>(٣)</sup>، وفي حديث أبي ذر ﷺ: «إن الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وأن الرسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر»<sup>(٤)</sup>؛ فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قصّ عليه، ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه.

﴿وَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِّى بِالْحَقِّ﴾ قال الزمخشري: أمر الله: القيامة<sup>(٥)</sup>. وقال ابن عطية:

(١) في النسخ الخطية هكذا: «إِنْ تُرِكَ» بإثبات الياء، والمثبت هو الصواب نحوياً، وهو موافق لعبارة الكشف (١٣/٥٤٧)؛ لأن الفعل مجزوم بأداة الشرط، وهو معتل، فيحذف منه حرف العلة في حالة الجزم

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٧/١٥٩) عن أنس ﷺ مرفوعاً بلفظ: «بعث الله ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس»، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٢/٤٧٠)، والهيتمي في مجمع الزوائد (٨/٣٨٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/١٣٣)، وأخرجه الطبري (٢٠/٣٦٨)، والحاكم (١٦٧/٤)، والطبراني في الأوسط (١/٢٣٦) عن أنس ﷺ أنه قال: «بعث رسول الله ﷺ بعد ثمانية آلاف من الأنبياء منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل»، وضعفه الذهبي، والهيتمي في مجمع الزوائد (٨/٣٨٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/١٣٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٠/٣٦٨) عن سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ، تفرد به الطبري، ولم أقف عليه عند غيره، وفي إسناده من لم أجد لهم ترجمة.

(٤) أخرجه ابن حبان (٣٦١) في ضمن حديث طويل، قال السيوطي في الدر المنثور (٥/١٣٢): «أخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن الجوزي في الموضوعات وهما في طرقي نقيض، والصواب أنه ضعيف لا صحيح ولا موضوع كما بيته في مختصر الموضوعات».

وأخرجه أحمد (٢٢٢٨٨)، والطبراني في الكبير (٨/٢٥٩) من حديث أبي أمامة ﷺ أن أبا ذر سأل النبي ﷺ: وضعفه الهيتمي في مجمع الزوائد (١/٣٩٣). وأخرجه ابن أبي حاتم (٩/٢٩٨٣) عن أبي أمامة ﷺ أنه سأل النبي ﷺ، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٢/٤٧٠). وأخرجه الحاكم (٣٠٣٩) عن أبي أمامة ﷺ، ولفظه: قالوا: يا رسول الله، كم كانت الرسل؟ قال: «ثلاث مائة وخمسة عشرة جما غفيرا». وصححه علي شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٥) الكشف (١٣/٥٥٠).

المعنى: إذا أراد الله إرسال رسول قضى ذلك<sup>(١)</sup>. ويحتمل أن يريد بأمر الله: إهلاك المكذبين للرسول لقوله: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾ في الموضعين: يراد به الوقت والزمان، وأصله ظرف مكان، ثم وضع موضع ظرف الزمان.



(١) المحرر الوجيز (٧/٤٥٨).

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ بِأَيِّ آيَاتِ اللَّهِ تُنَكِّرُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَعَادَاراً فِي الْأَرْضِ بَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ بَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَعَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٦٣﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَّتْ اللَّهُ إِلَيْهِ قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٤﴾

﴿٥٨﴾ «الأنعام» هي الإبل والبقر والضأن والمعز. فقوله: «لِتَرْكَبُوا مِنْهَا» يعني: الإبل، «وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» يعني: اللحوم، والمنافع: اللبن والصوف وغير ذلك، «وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً» يعني: قطع المسافات البعيدة، وحمل الأثقال على الإبل.

و«تُحْمَلُونَ» يريد: الركوب عليها، وإنما كرره بعد قوله: «لِتَرْكَبُوا مِنْهَا»؛ لأنه أراد بالركوب الأول: المتعارف في القرى والبلدان، وبالحمل عليها: الأسفار البعيدة، قاله ابن عطية<sup>(١)</sup>.

﴿٥٩﴾ «وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ» هذا عموم بعد ما قدم من الآيات المخصوصة، ولذلك وبَّخهم بقوله: «بِأَيِّ آيَاتِ اللَّهِ تُنَكِّرُونَ».

﴿٦١﴾ «بَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» الضمير يعود على الأمم المكذبين<sup>(٢)</sup>، وفي تفسير علمهم وجوه:

أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يُبعثون ولا يُحاسبون.

والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها.

(١) المحرر الوجيز (٧/٤٥٩).

(٢) في ب، ج: «المذكورين».

والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع.

وقيل: الضمير يعود على الرسل، أي: فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه، أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من كذبهم. وأما الضمير في: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ فيعود على الكفار باتفاق، ولذلك ترجَّح<sup>(١)</sup> أن يكون الضمير في ﴿بَرِحُوا﴾ يعود عليهم؛ ليتسق الكلام.

﴿سُنَّتَ اللَّهُ﴾ نصبٌ على المصدرية.



(١) في د: «وذلك يرجح».

## سورة حم السجدة

جَمَّ تَنْزِيلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كَتَبْتُ بُصِّلَتْ أَيْتُهُ فَرَأَانَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا  
وَنَذِيرًا بَأْغَرَضٍ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا فُلُوبُنَا فِيهِ أَكِنَّةٌ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا  
وَقُرُوءٍ مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلِ إِنَّا نَعْمَلُ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ أَنْتُمْ  
إِلَهُكُمْ دِلَالَةٌ وَاحِدَةٌ فَاسْتَفِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ دَاجِرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

﴿بُصِّلَتْ أَيْتُهُ﴾ أي: بُيِّنَتْ، وقيل: قُطِّعَتْ إلى سورٍ وآيات.

﴿فَرَأَانَا عَرَبِيًّا﴾ منصوبٌ بفعل مضمر على التخصيص<sup>(١)</sup>، أو حالٌ، أو مصدرٌ.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ معناه: يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها، وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف، وقيل: معناه: يعلمون الحق، وهو الإيمان. فالأول عامٌّ، وهذا خاصٌّ، والأول أولي؛ لقوله: ﴿بَأْغَرَضٍ أَكْثَرُهُمْ﴾؛ لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين. وقيل: يعلمون لسان العرب يفهمون القرآن؛ إذ هو بلغتهم. وقوله: ﴿لِقَوْمٍ﴾ يتعلق: بـ ﴿تَنْزِيلٍ﴾، أو بـ ﴿بُصِّلَتْ﴾.

والأحسن أن يكون صفة لـ ﴿كَتَبْتُ﴾.

﴿بِهِمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يقبلون ولا يطيعون، وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة.

(١) عبارة الكشاف (٥٥٩/١٣): «على الاختصاص والمدح، أي: أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنًا من صفته كيت وكيت».



﴿فِي أَكِنَّةٍ﴾ جمع كِنَانٍ، وهو الغطاء.

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ عبارة عن بُعْدِهِم عن الإسلام.

﴿بَاعْمَلِ إِنَّا عَمِلُونَا﴾ قيل: معناه: اعمل على دينك، إننا عاملون على ديننا، فهو مُتَارَكَةٌ.

وقيل: اعمل في إبطال أمرنا، إننا عاملون في إبطال أمرك، فهو تهديدٌ.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ هي زكاة المال، وإنما خصَّها بالذكر؛ لصعوبتها على الناس،

ولأنها من أركان الإسلام. وقيل: يعني بالزكاة: التوحيد، وهذا بعيدٌ، وإنما حمّله على

ذلك أن الآية مكية، ولم تُفرض الزكاة إلا بالمدينة.

والجواب: أن المراد: النفقة في طاعة الله مطلقاً، وقد كانت مأموراً بها بمكة.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، من قولك: مننتُ الحبل: إذا قطعته. وقيل: غير

منقوص، وقيل: غير محصور، وقيل: لا يُمنُّ عليهم به؛ لأنَّ المنَّ يُكَدَّرُ الإحسان.





اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام، بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة. ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب: مصدرٌ، تقديره: استوت استواءً. قاله الزمخشري<sup>(١)</sup>. وقال ابن عطية: انتصب على الحال<sup>(٢)</sup>.

﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ قيل: معناه: لمن سأل عن أمرها. وقيل: معناه: للطالبيين لها، ويعني بالطلب على هذا: حاجة الخلق إليها. وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الأول، تقديره: يبين ذلك لمن سأل عنه، ويتعلق بـ ﴿فَدَّرَ﴾ على القول الثاني.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد إليها. ويقتضي هذا الترتيب: أن الأرض خلقت قبل السماء. فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَّيْنَاهَا﴾ [التراعات: ٣٠]؟ فالجواب: أنها خلقت قبل السماء، ثم دحيت بعد ذلك.

﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ روي أنه كان العرش على الماء، فأخرج الله من الماء دخانًا، فارتفع فوق الماء، فأيس الماء فصار أرضًا، ثم خلق السماء من الدخان المرتفع<sup>(٣)</sup>.

﴿بَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اإِيْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ هذه عبارة عن لزوم طاعتهما، كما يقول الملك لمن تحت يده: «افعل كذا شئت أو أبيت»، أي: لا بد لك من فعله. وقيل: تقديره: اتبيا طوعًا وإلا أتيتما كرهًا. ومعنى هذا الإتيان: تصوُّرهما على الكيفية التي أرادها الله. وقوله لهما: ﴿إِيْتِيَا﴾ مجازٌ، وهو عبارة عن تكوينه لهما<sup>(٤)</sup>. وكذلك قولهما: ﴿أَتَيْنَا ظَايِعِينَ﴾ عبارة عن أنهما لم تمتنعا<sup>(٥)</sup> عليه حين أراد تكوينهما، وقيل: بل ذلك كلامٌ حقيقةً، وأنطق الله الأرض والسماء بقولهما: ﴿أَتَيْنَا ظَايِعِينَ﴾. وإنما جمع ﴿ظَايِعِينَ﴾ جمع العقلاء؛ لوصفهما بأوصاف العقلاء.

(١) الكشف (١٣/٥٧٣).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٤٦٦).

(٣) أخرجه الطبري (١/٤٦٢)، وابن أبي حاتم (١/٧٤) عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ وﷺ.

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٤).

(٥) في أ، ب، هـ: «يمتنعا».

﴿بَقَضِيهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أي: صنعهن، والضمير للسموات السبع، وانتصابها على التمييز؛ تفسيراً للضمير. وأعاد عليها هنا ضمير الجماعة المؤنثة؛ لأنها لا تعقل، فهو كقولك: «الجدوُعُ انكسَرْنَ». وجمعها جمع المذكر العاقل في قوله: ﴿ظَايِعِينَ﴾؛ لأنه وصفها<sup>(١)</sup> بالطَّوع، وهو فعل العقلاء، فعاملها<sup>(٢)</sup> معاملتهم، فهو كقوله: ﴿رَأَيْتَهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤١]. وأعاد ضمير التثنية في قوله: ﴿فَالْتَا﴾؛ لأنه جعل الأرض فرقة والسماء أخرى<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَوْجَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي: أوحى إلى سُكَّانِهَا من الملائكة، وإليها هي نفسها<sup>(٤)</sup> ما شاء من الأمور، التي بها قوامها وصلاحتها. وأضاف الأمر إليها؛ لأنه فيها. ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ يعني: الشمس والقمر والنجوم، وهي زينة للسماء الدنيا، سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السماوات.

﴿وَحِفْظًا﴾ تقديره: وحفظناها حفظًا. ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله على المعنى، كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينة وحفظًا. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ الضمير لقريش.

﴿صَلْعَةً﴾ يعني: وقعة وأخذة<sup>(٥)</sup> شديدة، وهي مستعارة من صاعقة النار. وقرئ «صَعَّة» بإسكان العين<sup>(٦)</sup>، وهي الوقعة، من قولك: صَعَقَ الرجل.

﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معنى ما بين الأيدي: المتقدم، ومعنى ما خلف: المتأخر. فمعنى الآية: أن الرسل جاؤوهم في الزمان المتقدم، واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود، حتى قامت عليهم الحجة، فذلك ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾، ثم جاءتهم

(١) في أ، ب، هـ: «وصفهما».

(٢) في أ، ب، هـ: «فعاملهما».

(٣) في ب، ج: «فرقة».

(٤) في ب، ج: «بعينها».

(٥) في أ، ب، ج، هـ: «واحدة».

(٦) وهي قراءة النخعي وأبو عبد الرحمن السلمي وابن محيصن. المحرر الوجيز (٧/ ٤٦٩).

رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم، فذلك «مِنْ خَلِيهِمْ» ، قاله ابن عطية<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: معناه: أتوهم من كل جانب، فهو عبارة عن اجتهدهم في التبليغ إليهم<sup>(٢)</sup>. وقيل: أخبروهم بما أصاب مَنْ قبلهم، فذلك «مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» ، وأنذروهم ما يجري عليهم في الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك «مِنْ خَلِيهِمْ».

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ «أَنْ»: حرفُ عبارة وتفسير، أو مصدرية، على تقدير: بأن لا تعبدوا إِلَّا اللَّه.

﴿بِإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة، وإنما معناه: بما أرسلتم على قولكم ودعواكم، وفيه تهكم.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قيل: إنه من الصَّر وهو شدة البرد، فمعناه: باردة. وقيل: إنه من قولك: صَرَّ يَصِرُّ: إذا صَوَّت، فمعناه: لها صوت هائل.

﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ معناه: مِنَ النَّحْسِ، وهو ضد السَّعْدِ، وقيل: شديدة البرد، وقيل: متتابعة، والأول أرجح. وروي أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء<sup>(٣)</sup>.

وقرئ «نَحْسَاتٍ» بإسكان الحاء وكسرها<sup>(٤)</sup>، فأما الكسر: فجمع نَحْسٍ، وهو صفة، وأما الإسكان: فتخفيف من الكسر، أو صفة على وزن فَعْلٍ، أو وصف بالمصدر.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي: بيَّنا لهم، فهو بمعنى البيان، لا بمعنى الإرشاد.



(١) المحرر الوجيز (٧/٤٦٩-٤٧٠).

(٢) الكشف (١٣/٥٨٣).

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٧/٤٧٢) وعزاه إلى ابن عباس ؓ.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بإسكان الحاء، وقرأ الباقون بكسرها.

وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَاءَهُ اللَّهُ إِلَى الْبَارِ بِهَمٍّ يَرْزَعُونَ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَنَعُهُمْ  
وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لِيَجْلُدِ اللَّهُمَّ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا  
اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ  
أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَنَعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ  
كَيْفَرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَبَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ  
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ إِنْ يَضُرُّوهُ بِالْتَّارِ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُغْتِيثِينَ ﴿٢٣﴾  
\*وَقَبِضْنَا لَهُمْ قُرُونًا فَرَئُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِيهِ أَمْرٌ قَدْ  
خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٤﴾

﴿بِهِمْ يَرْزَعُونَ﴾ أي: يُدْفَعُونَ بعنف.

﴿وَجُلُودُهُمْ﴾ هي الجلودُ المعروفة، وقيل: هي كناية عن الفروج، والأول أظهر.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآية؛ يحتمل أن يكون: من كلام الجلود، أو من كلام الله تعالى، أو الملائكة. وفي معناه وجهان:

أحدهما: لم تقدرُوا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنها ملازمة لكم، فلم يمكنكم احتراش من ذلك، فشهدت عليكم.

والآخر: لم تحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنكم لم تبالوا بشهادتها، ولم تظنوا أنها تشهد عليكم، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، وهذا أرجح؛ لأنساق ما بعده معه، ولما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اجتمع ثلاثة نفر قُرْشِيَّانَ<sup>(١)</sup> وثَقَفِي، أو ثَقَفِيَّانَ وقرشي<sup>(٢)</sup>، قليلُ فقه قلوبهم، كثيرُ شحم بطونهم، فتحدثوا بحديث، فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا، فقال الآخر: إن كان يسمع منا شيئا

(١) في ج، د، هـ: «قُرْشِيَّانَ» والمثبت موافق لما في الرواية.

(٢) في أ، ج، د، هـ: «قرشي» والمثبت موافق لما في الرواية.

فإنه يسمعه كله، فنزلت الآية<sup>(١)</sup>.

﴿أَزْدِيكُمْ﴾ أي: أهلككم، من الرَّذَى بمعنى الهلاك.

﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا مِمَّا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ هو من العُتْبَى بمعنى الرضا، أي: إن طلبوا العُتْبَى ليس فيهم من يُعطاها.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي: يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغُواة الإنس.

﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»: ما تقدّم من أعمالهم، «وَمَا خَلْفَهُمْ»: ما هم عازمون عليه. أو «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» من أمر الدنيا، «وَمَا خَلْفَهُمْ» من أمر الآخرة، والتكذيب بها.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق القضاء بعذابهم.

﴿فِي أَمْرٍ﴾ أي: في جملة أمم، وقيل: ﴿فِي﴾ بمعنى: «مع».



(١) أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَغْدَاءِ اللَّهِ لِلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِي أَضَلَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَكِ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٥٤﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٥٥﴾ نُزُلًا مِّنْ غُبُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٥٦﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ روي أن قائل هذه المقالة أبو جهل لعنه الله<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْغَوَا بِهِ﴾ المعنى: لا تسمعوا إليه، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات، وإنشاد الشعر، وشبه ذلك؛ حتى لا يسمعه أحد، وقيل: معناه: قَعُوا فيه وعَيَّبُوهُ.

﴿أَرِنَا الَّذِي أَضَلَّنَا﴾ يقولون هذا إذا دخلوا جهنم، فقولهم مستقبل ذكر بلفظ الماضي؛ لتحقيقه. ومعنى ﴿الَّذِي أَضَلَّنَا﴾: كُلُّ من أغوانا من الجن والإنس. وقيل: المراد: ولدُ آدم الذي سنَّ القتل، وإبليس الذي أمر بالكفر والعصيان، وهذا باطل؛ لأن ولدَ آدم مؤمنٌ عاصٍ، وإنما طلب هؤلاء من أضلَّهُم بالكفر. ﴿تَحْتَ أَفْدَانِنَا﴾ أي: في أسفل طبقة من النار.

﴿ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: المعنى: استقاموا على قولهم: ﴿رَبَّنَا اللَّهُ﴾، فصَحَّ إيمانهم، ودام توحيدهم<sup>(٢)</sup>. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المعنى: استقاموا على الطاعة وترك المعاصي<sup>(٣)</sup>. وقول عمر رضي الله عنه أَكْمَلُ وَأَحْوَطُ، وقول أبي بكر رضي الله عنه أَرْجَحُ؛

(١) أخرجه الطبري (٤١٧/٢٠)، وابن أبي حاتم (٣٢٧٢/١٠) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه من قول المشركين، دون تسمية أبي جهل، وقال في المحرر الوجيز (٤٧٨/٧): «كأبي جهل وغيره».

(٢) أخرجه الطبري (٤٢٢/٢٠) وما بعدها، والحاكم (٣٦٤٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الطبري (٤٢٥/٢٠)، ولفظه: «استقاموا - والله - لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب».



لما روى أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: «قد قالها قوم ثم كفروا، فمن مات عليها فهو ممن استقام»<sup>(١)</sup>. وقال بعض الصوفية: معنى «إِسْتَقَامُوا»: أعرضوا عما سوى الله، وهذه حالة الكمال، على أن اللفظ لا يقتضيها.

﴿تَنْزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ﴾ يعني: عند الموت.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا الضمير للآخرة.

﴿مَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تطلبون.



(١) أخرجه الطبري (٢٠ / ٤٢٢)، والترمذي (٣٤٥٠) وقال: «حديث غريب»، والنسائي في الكبرى (١١٤٠٦)، والبزار في مسنده (١٣ / ٢٩٨)، وهذا لفظ النسائي، ولفظ غيره: «قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم..»، وفي إسناده سهيل بن أبي حزم القطعي، وهو ضعيف. تقريب التهذيب (٤٢١).

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ إِذْ قَعَّ بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ بِإِذَا أُلِدَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٦٨﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ \* فَإِنِ اسْتَغْبَرُوا بِالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسْتَبَحُّ لَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٧١﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ أَنَّهُ تَرَى أَرْضًا خَالِيَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَتَمَنُّ يُلْفِي فِي الْبَارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٧٥﴾ مَا يَقَالَ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ فِيلَ لِلرَّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ فُرْقَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيهِ إِذَاذُنُكُمْ وَقُرْهُ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يَنْادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٧٧﴾

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أحسنُ قولاً منه، ويدخل في ذلك: كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم. وقيل: المراد محمد ﷺ، وقيل: المؤذنون، وهذا بعيد؛ لأنها مكية، وإنما شرع الأذان بالمدينة ولكن المؤذنون يدخلون في العموم.

﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾ الضمير يعود على الخلق الجميل الذي يتضمنه قوله: ﴿إِذْ قَعَّ بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ﴾.

﴿ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: حظ من العقل والفضل، وقيل: حظ عظيم في الجنة.

﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ﴾ «إن» شرطية دخلت عليها «ما» الزائدة. ونزع الشيطان: وساوسه وأمره بالسوء.

﴿الَّذِي خَلَقَهُ﴾ الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر؛ لأن جماعة ما لا يعقل كجماعة المؤنث، أو كالواحدة المؤنثة<sup>(١)</sup>. وقيل: إنما يعود على الشمس والقمر، وجمعهما لأن الاثنين جمع، وهذا بعيد.

﴿بِالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة.

﴿لَا يَسْمُونَ﴾ أي: لا يملئون.

﴿الْأَرْضَ خَشِيعَةً﴾ عبارة عن قلة النبات.

﴿إِهْتَرَّتْ﴾ ذكر في «الحج»<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ أَلَدَةَ أَخِيهَا لَمَخِي الْمَوْتَى﴾ تمثيل واحتجاج على صحة البعث.

﴿لَإِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي: يطعنون عليها، وهذا الإلحاد هو بالتكذيب. وقيل: باللغو فيه، حسبما تقدم في السورة.

﴿أَبْسَ يُلْفِي فِي الْبَارِ﴾ الآية؛ قيل: إن المراد بالذي يُلقى في النار: أبو جهل، وبالذي يأتي آمناً: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل: عمار بن ياسر رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>، واللفظ أعم من ذلك.

﴿إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ تهديد، لا إباحة.

﴿لَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ الذكر هنا: القرآن باتفاق. وخبر ﴿لَإِنَّ﴾ محذوف، تقديره: ضلُّوا، أو هلكوا، وقيل: خبرها: ﴿أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، وذلك بعيد.

﴿وَأَنَّهُ لَكَتَّابٌ عَزِيزٌ﴾ أي: كريم على الله، وقيل: منيع من الشيطان.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ أي: ليس فيما تقدمه ما يُبطله، ولا يأتي بعده ما يُبطله. والمراد على الجملة: أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات.

(١) فيقال: خلقهن، أو خلقها، كما يقال: الأفلام بريتها وبريتهن. انظر: الكشاف (٦١٠/١٣).

(٢) انظر تفسير الآية (٥).

(٣) قال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وفي عثمان رضي الله عنه، كما في المحرر الوجيز (٤٨٨/٧). وأخرج عبد الرزاق في

تفسيره (١٥٧/٣) عن بشر بن تميم قال: نزلت أبي جهل وعمار بن ياسر رضي الله عنه.

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ فِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: ما يقول الله لك من الوحي والشرائع إلّا مثل ما قال للرسول من قبلك.  
والآخر: ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلّا مثل ما قال الأمم المتقدمون  
لرسولهم، فالمراد على هذا: تسليّة النبي ﷺ بالناسي.

والمراد على القول الأول: أنه ﷺ (١) أتى بما جاءت به الرسل، فلا تُنكر رسالته.  
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ يحتمل أن يكون مستأنفاً. أو يكون هو المقول في الآية المتقدمة،  
وذلك على القول الأول (٢)، وأما على القول الثاني: فهو مستأنف منقطع مما قبله.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا بَصِلَتْ آيَتُهُ﴾ الأعجمي: الذي لا يفصح،  
ولا يُبين كلامه، سواء كان من العرب أو من العجم.

والعجمي: الذي ليس من العرب، فصيحاً كان أو غير فصيح. ونزلت الآية بسبب طعن  
قريش في القرآن. فالمعنى: أنه لو كان أعجمياً لطعنوا فيه وقالوا: هلّا كان مُبَيَّنّاً؟ فظهر أنهم  
يطعنون فيه على أي وجه كان.

﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ هذا من تمام كلامهم، والهمزة للإنكار.

والمعنى: أنه لو كان القرآن أعجمياً لقالوا: أقرآن أعجمي، ورسول عربي، أو مُرْسَلٌ  
إليه عربي؟ وقيل: إنما طعنوا فيه؛ لما فيه من الكلمات العجمية، كسَجِّينَ وإِسْتَبْرَقَ،  
فقالوا: أقرآن عَجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ؟ أي: مختلط من كلام العرب والعجم، وهذا يجري على  
قراءة «أَعْجَمِيٌّ» بفتح العين (٣).

﴿يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ﴾ عبارة عن إعراضهم عن القرآن، فكانهم صمّ لا يسمعون. وكذلك ﴿وَهُوَ  
عَلَيْهِمْ غَمِيٌّ﴾ عبارة عن قلة فهمهم له.

(١) في زيادة: «إنما».

(٢) أي: هذا الاحتمال إنما يجيء على القول الأول من القولين الواردين في معنى: «ما يقال لك..» الآية.

(٣) قرئ بها في الشاذ، وهي قراءة عمرو بن ميمون. المحرر الوجيز (٧/٤٩١).

﴿أَوَلَيْكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عبارة عن قلة فهمهم، فشبههم بمن يُنادى من مكان بعيد، فهو يسمع الصوت ولا يفقه ما يُقال.

والثاني: أنه حقيقة في يوم القيامة، أي: ينادون من مكان بعيد؛ لسمع أهل الموقف توبيخهم. والأول أليق بالكنابات التي قبله<sup>(١)</sup>.



(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٤).

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ بِاخْتِلَافٍ بِهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ  
وَأَنْتُمْ لِهِمْ شُكْرٌ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١١﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ بَعَلَيْنَاهَا وَمَا رَبُّكَ  
بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٢﴾ \*إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ  
مِنْ انْبِثْثٍ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ذُرِّيُّ شُرَكَاءِهِ قَالُوا ءَاذَنْتَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ  
﴿١٣﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَلُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٤﴾ لَا يَسْتَمِ الْإِنْسَانُ  
مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوَسْ فَنُوحِطْ ﴿١٥﴾ وَلَيْسَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ  
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْسَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِلَّا لِي عِنْدَهُ  
لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١٦﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا  
عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَتَبَاجَانِيَهُ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ سَرَّيْهُمْ وَءَاتَيْنَا  
فِي الْأَبْوَابِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
شَهِيدٌ ﴿١٩﴾ إِلَّا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القدر.

﴿١٢﴾ \*إِلَيْهِ يَرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها، فإذا سئل أحدٌ عن ذلك قال: الله هو  
الذي يعلمها.

﴿مِنْ أَكْثَامِهَا﴾ جمع كِمٌّ - بكسر الكاف -، وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ذُرِّيُّ شُرَكَاءِهِ﴾ العامل في «يَوْمَ» محذوف، والمراد به: يوم القيامة،  
والضمير للمشركين، وقوله: «ذُرِّيُّ شُرَكَاءِهِ» توبيخٌ لهم. وأضاف الشركاء إلى نفسه  
على زعم المشركين، كأنه قال: الشركاء الذين جعلتم لي.

﴿قَالُوا ءَاذَنْتَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ المعنى: أنهم قالوا: أعلمناك ما منا مَنْ يَشْهَدُ<sup>(١)</sup> اليوم بأن  
لك شريكاً؛ لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم.

(١) في ب، ج، د: «مِنْ شَهِيدٍ».

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ضلَّ عنهم شركاؤهم، بمعنى: أنهم لم يروههم حينئذ، ف﴿مَّا﴾ على هذا موصولة. أو: ضل عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك، ف﴿مَّا﴾ على هذا مصدرية.

﴿وَوَدَّعُوا مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ﴾ الظنُّ هنا: بمعنى اليقين، والمحيص: المهرب، أي: علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب. وقيل: يوقف على ﴿وَوَدَّعُوا﴾، ويكون ﴿مَّا لَهُمْ﴾ استئنافاً، وذلك ضعيف.

﴿لَّا يَسْمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يملُّ من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك. ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة<sup>(١)</sup>، وقيل: في غيره من الكفار، واللفظ أعم من ذلك.

﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: هذا حقِّي الواجبُ لي وليس تفضُّلاً من الله، ولا يقول هذا إلا كافر، ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾. وقوله: ﴿وَلَيْسَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِلَّا لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْبَانِ﴾ معناه: إن بُعثت تكون لي الجنة، وهذا تخرُّص وتكبر.

وروي أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَنَبَأِجَانِيَّةٍ﴾ ذكر في «الإسراء»<sup>(٣)</sup>.

﴿دُعَاءٍ غَرِيضٍ﴾ أي: كثير. وذكر الله هذه الأخلاق على وجه الذمِّ لها<sup>(٤)</sup>.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِن عِندِ اللَّهِ الْآيَةُ﴾ الآية؛ معناها: أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به، أستم في شقاق بعيد؟ فوضع قوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ موضع الخطاب لهم.

﴿سَنُرِيهِمْ دَعَائِيَّتَنَا فِي الْأَقَايِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الضمير لقريش، وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الآيات في الآفاق: هي فتح الأقطار للمسلمين، والآيات في أنفسهم: هي

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٧/ ٤٩٣) قولاً ولم ينسبه، ونسبه الواحدي في التفسير البسيط (١٩/ ٤٧٥) إلى ابن عباس.

عباس.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) انظر (٢/ ٢٩٦).

(٤) في ب، ج: «لهم».

فتح مكة، فجميع ذلك وَعْدٌ للمسلمين بالظهور، وتهديدٌ للكفار، واحتجاجٌ<sup>(١)</sup> عليهم بظهور الحق وخمول<sup>(٢)</sup> الباطل.

والثاني: أن الآيات في الآفاق: هي ما أصاب الأمم المتقدمين من الهلاك، وفي أنفسهم: يوم بدر.

والثالث: أن الآيات في الآفاق: هي خِلْقَةُ السماء وما فيها من العبر والآيات، وفي أنفسهم: خِلْقَةُ بني آدم، وهذا ضعيف؛ لأنه قال: ﴿سَنُرِيهِمْ دَرَاجَاتٍ﴾ بسين الاستقبال، وقد كانت السماء وخِلْقَةُ بني آدم مرئية، والأول هو الراجح.

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير للقرآن و<sup>(٣)</sup>الإسلام.

﴿مُحِيطٌ﴾ أي: محيطٌ بعلمه وقدرته وسلطانه.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «فجمع ذلك وعدًا للمسلمين بالظهور وتهديدًا للكفار واحتجاجًا».

(٢) في د: «وخمود».

(٣) في أ: «أو».



## سُورَةُ الشُّورَى

جَمَّ عَسَقٌ كَذَلِكَ يُوجِبُ إِلَيْكَ وَالْإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢﴾ \* يَكَاذُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْ بُوقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يَسْتَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَافِظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ بِيَهُ قَرِيبٌ فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾

﴿١﴾ «عَسَقٌ» الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدّم في «البقرة». وحكى الطبري أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنه عن «جَمَّ عَسَقٌ»، فأعرض عنه، فقال حذيفة رضي الله عنه: إنما كرهها ابن عباس؛ لأنها نزلت في رجلٍ من أهل بيته اسمه عبد الله، بيني مدينة<sup>(١)</sup> على نهر من أنهار المشرق، ثم يخسف الله بها في آخر الزمان<sup>(٢)</sup>. والرجل على هذا أبو جعفر المنصور، والمدينة بغداد، وقد ورد في الحديث الصحيح أنها يُخسف بها<sup>(٣)</sup>.

(١) في الرواية: بيني مدينتين.

(٢) تفسير الطبري (٤٦٤/٢٠) وابن أبي حاتم (٣٢٧٤/١٠)، وتتمة قول حذيفة: «فذلك قوله: «جَمَّ عَسَقٌ» يعني: عزيمة من الله وفتنة وقضاء حُجْم، عين: يعني عدلا منه، سين: يعني سيكون، وقاف: يعني واقع بهاتين المدينتين». وقال ابن كثير في تفسيره (١٨٩/٧): «وقد روى ابن جرير هاهنا أثرا غريبا عجيبا منكرا» وذكره.

(٣) لعله يقصد الحديث الذي عند مسلم (٢٩٠١) عن حذيفة بن أسيد الغفاري مرفوعا: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب...» الحديث.

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ﴾ الكاف: نعتٌ لمصدر محذوف<sup>(١)</sup>، والإشارة بـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إلى ما تضمنه القرآن أو<sup>(٢)</sup> السورة. وقيل: الإشارة إلى: ﴿جَمَّ عَصَى﴾؛ فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله، وفي صحة هذا نظرٌ.

﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ اسم ﴿اللَّهُ﴾ فاعلٌ بـ ﴿يُوحِي﴾، وأما على قراءة ﴿يُوحِي﴾<sup>(٣)</sup> بالفتح فهو فاعلٌ بفعل مضمر، دلَّ عليه ﴿يُوحِي﴾، كأنَّ قائلًا قال: «من الذي أوحى؟» فقيل: «الله».

﴿يَكَاذُ السَّمَوَاتِ يَتَّبَطَّرْنَ﴾ أي: يتشققن من خوف الله وتعظيم جلاله. وقيل: من قول الكفار: «اتخذ الله ولدًا»، فهي كالأية التي في «مريم». قال ابن عطية<sup>(٤)</sup>: وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه مردودٌ؛ لأن الله تعالى لا يوصف به<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: مثل الإيحاء السابق. البحر المحيط (٦/١٩).

(٢) في ب، ج: «و».

(٣) قرأ ابن كثير بفتح الحاء، والباقون بكسرها.

(٤) المحرر الوجيز (٥٠٠/٧).

(٥) [التعليق ٩٨] قال الشيخ عبد الرحمن البراءك: قوله: «وقيل: من قول الكفار» إلخ، هذا المعنى صحيح؛ لدلالة آية سورة مريم عليه، ولكن تفسير هذه الآية به ضعيف؛ لأنه لا ذكر لقول الكفار في هذه الآية من سورة الشورى، فالصواب في هذه الآية هو القول الأول؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَى الْعَرْشِ﴾.

وقوله: «قال ابن عطية: وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل» إلخ، أقول: جزم ابن عطية بنفي الثقل عن الله فيه نظر؛ لأنه لم يذكر على النفي دليلًا، والظاهر أن نفي الثقل عند ابن عطية ونحوه مبنيٌّ على نفي الجسم عن الله عندهم، وهو - أعني الجسم - لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفيه ولا إثباته، ولهذا فأهل السنة لا يطلقونه نفيًا ولا إثباتًا؛ لأنه لم يرد فيه شيء، ولأنه لفظ مجمل يحتمل حقًا وباطلًا، ولذا يوجبون الاستفصال عن مراد من تكلم به؛ فإن أراد حقًا قبل، وإن أراد باطلا ردًّا. وأما الثقل فلا أعلم أنه ورد مرفوعًا عن النبي ﷺ إلا حديث الأبطي، وفيه: «وإن له أبطيًا كأبطي الرجل الجديد إذا ركب من ثقله»، أي: الكرسي، كما في حديث عبد الله بن خليفة عند ابن جرير، وفي معناه حديث جبير بن مطعم في العرش عند أبي داود (٤٧٢٦) وغيره.

لكن جاء في بعض الآثار عن ابن عباس وغيره في تفسير هذه الآية أنه قال: ﴿يَتَّبَطَّرْنَ مِنْ قَوْعِهِنَّ﴾: قال: «يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى» رواه ابن جرير، وهو ما أشار إليه ابن عطية، ومثل هذه الآثار لا تكفي في إثبات صفة لذاته تعالى، فيجب التوقف عن إضافة الثقل إلى الله تعالى، إثباتًا أو نفيًا، ولكن هناك حديث قد يفهم منه إضافة الثقل إلى الله، وهو قوله ﷺ: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قَطُّ قَطُّ وعزتك، ويُزوى بعضها إلى بعض» [أخرجه البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٨٤٨) عن أنس ؓ].

﴿مِنْ بَوْنِهِنَّ﴾ الضمير للسموات، والمعنى: يتشققن من أعلاهن، وذلك مبالغة في التهويل. وقيل: الضمير للأرضين، وهذا بعيد. وقيل: الضمير للكفار، كأنه قال: من فوق الجماعات الكافرة التي من أجل أقوالها تكاد السماوات يتفطرن، وهذا أيضًا بعيد.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا عمومٌ يراد به الخصوص؛ لأن الملائكة إنما تستغفر<sup>(١)</sup> للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٦]. وقيل: إنَّ ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نسخ هذه الآية، وهذا باطل؛ لأن النسخ لا يدخل في الأخبار. ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلبَ الحِلْمِ عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم، ومعناه: الإمهال لهم، وأن لا يُعاجلوا بالعقوبة، فيكون عامًا.

فإن قيل: ما وجه اتصال قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَسْتَحْشِرُونَ﴾ الآية بما قبلها؟

فالجواب: أنا إن فسّرنا تفطّر السماوات بأنه من عظمة الله؛ فيكون تسبيح الملائكة أيضًا تعظيمًا له، فينتظم الكلام، وإن فسّرنا تفطّرها بأنه من كفر بني آدم؛ فيكون تسبيح الملائكة تنزيهاً لله تعالى عن كفر بني آدم، وعن أقوالهم القبيحة.

﴿إِنَّ أَلْأَفْرَى﴾ هي مكة، والمراد: أهلها، ولذلك عطف عليه ﴿مَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني: من الناس.

﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأن الخلائق يجتمعون فيه.

﴿أَمْ إِنَّا إِتَّخَذُوا﴾ أَمْ منقطعة، والأولياء هنا: المعبودون من دون الله.



(١) في أ، هـ: «يستغفرون».

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ انْتَبَيْتُ ﴿٥٨﴾ قَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٩﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ \* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿٦١﴾ وَمَا تَبَرَّأُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَهِيَ شَكٌّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ فَلِذَلِكَ قَادُغُ وَاسْتَفْتِمُ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَإِمْزُتْ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦٤﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿٦٥﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَهُمْ ضَلَالٌ بَعِيدٌ ﴿٦٦﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٧﴾

﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله؛ بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق. أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي ﷺ، كقوله: ﴿بَرِّدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٨].

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني: الإناث.

﴿وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ يحتمل أن يريد: الإناث، أو الأصناف.

﴿يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ معنى: ﴿يَذُرُّكُمْ﴾: يخلقكم نسلاً بعد نسل، وقرناً بعد قرن، وقيل: يكثركم. والضمير المجرور يعود على الجعل الذي تضمنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾، وهذا كما تقول: كلمتُ زيداً كلاماً أكرمته فيه. وقيل: الضمير للتزويج الذي دل عليه قوله:

﴿أَزْوَاجًا﴾. وقال الزمخشري: تقديره: يذروكم في هذا التدبير، وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجاً<sup>(١)</sup>. والضمير في ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ خطابٌ للناس والأنعام، غلب فيه العقلاء على غيرهم.

فإن قيل: لم قال: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ وهلاً قال: «يذروكم به»؟

فالجواب: أن هذا التدبير جعل كالمَنَبَع والمَعْدِن للبت والتكثير. قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup>.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيهٌ لله تعالى عن مشابهة المخلوقين<sup>(٣)</sup>. قال كثيرٌ من الناس: الكاف زائدة للتأكيد، والمعنى: ليس مثله شيء. وقال الطبري وغيره: ليست بزائدة، ولكن وضع ﴿مِثْلِهِ﴾ موضع «هو»، والمعنى: ليس كهو شيء<sup>(٤)</sup>. قال الزمخشري: وهذا كما تقول: «مثلك لا ييخل»، والمراد: أنت لا تبخل، فنفي البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته<sup>(٥)</sup>.

(١) الكشاف (٢١/١٤).

(٢) الكشاف (٢١/١٤).

(٣) [التعليق ٩٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «عن مشابهة المخلوقين» أقول: معلوم بالضرورة أن الله منزّه عن أن يشابه أحداً من المخلوقين، وعن أن يشابه أحدٌ من المخلوقين، ونفي أي واحد منهما يستلزم نفي الآخر، ولكن الذي صرّحت بنفيه نصوص القرآن هو تشبيه المخلوق بالخالق؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي: ليس شيء من الموجودات مثله، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: ليس أحد من الخلق كفواً له، أي: مثلاً له، ومن ذلك نفي الند والسّمعي، كقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: شبيهاً أو نظيراً من خلقه، وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَادًا﴾ أي: لا تجعلوا لله نظراء في استحقاق الإلهية، ولم يأت نصٌّ في نفي أن يكون تعالى مثلاً لبعض خلقه، ولكن نفي الأول يستلزم نفي الثاني، ولعل تصريح الآيات بنفي الأول، أي: مماثلة المخلوق للخالق؛ لأنه هو الواقع من المشركين، فكل من عبد مع الله غيره فقد جعله مثلاً لله، ومن ذلك شرك النصاري؛ فإنهم جعلوا المسيح إلهاً، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾. فقول ابن جزري في الآية: «تنزيهٌ لله تعالى عن مشابهة المخلوقين» أقول: هذا ما تدل عليه الآية بطريق اللزوم، أما منطوق الآية فهو تنزيه الله أن يماثله شيء من المخلوقين، فلو قال ابن جزري: تنزيه الله أن يماثله شيء من المخلوقين، كان أولى؛ ليوافق منطوق الآية، والآية دالة على نفي التشبيه بنوعيه؛ فتدل على نفي الأول بدلالة المنطوق، وعلى نفي الثاني: بطريق اللزوم، كما تقدم، ومع ذلك فعبارة ابن جزري تحتل المعنيين؛ لجواز إضافة المصدر إلى فاعله وإلى مفعوله.

(٤) تفسير الطبري (٤٧٦/٢٠).

(٥) الكشاف (٢٣/١٤).

﴿مَقَالِيدُ﴾ قد ذكر<sup>(١)</sup>.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ اتفق دين محمد ﷺ مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات، وذلك هو المراد هنا، ولذلك فسره بقوله: ﴿أَن آفِيئُوا الدِّينَ﴾ يعني: إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة. وأما الأحكام الفروعية؛ فاختلفت فيها الشرائع، فليست تراد هنا.

﴿أَن آفِيئُوا﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَن﴾: في موضع نصب، بدلاً من قوله: ﴿مَا وَصَّى﴾، أو في موضع خفض، بدلاً من ﴿بِهِ﴾، أو في موضع رفع على خبر ابتداء مضمر، أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب.

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: صعب الإسلام على المشركين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾: يعود على الله تعالى، وقيل: على الدين.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني: أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني: القضاء السابق بأن لا يفصل بينهم في الدنيا.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: المعاصرين لمحمد ﷺ من اليهود والنصارى. وقيل: يعني: العرب، و﴿الْكِتَابَ﴾ على هذا: هو القرآن.

﴿لَيْسَ شَكٌّ مِنْهُ﴾ الضمير: للكتاب، أو للدين، أو لمحمد ﷺ.

﴿بَلَدَ الْكَادُغِ﴾ أي: إلى ذلك الذي شرع الله ادعُ الناس، فاللام بمعنى «إلى». والإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾، أو إلى قوله: ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾. وقيل: إن اللام بمعنى: «من أجل»، والإشارة إلى التفرق والاختلاف، أي: لأجل ما حدث من التفرق ادعُ إلى الله، وعلى هذا: يكون قوله: ﴿وَاسْتَفِمْ﴾ معطوفاً، وعلى الأول: يكون مستأنفاً، فيوقف على ﴿كَادُغِ﴾.

﴿وَاسْتَفِمْ كَمَا أُمِرْتُ﴾ أي: دُم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته.

(١) انظر تفسير الآية (٦٠) في سورة الزمر.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الضمير للكفار، و﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ : ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله.

﴿وَأَمَرْتُ لَأُعْذِلَ بَيْنَكُمْ﴾ قيل : يعني : العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه.

ويحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام، أي : أمرت أن أحملكم على الحق.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي : لا جدال ولا مناظرة؛ فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي : يجادلون المؤمنين في دين الله. ويعني : كفار قريش، وقيل : اليهود.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ﴾ الضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾ ، أي : من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه.

وقيل : يعود على الدين، وقيل : على محمد ﷺ، والأول أحسن وأظهر.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي : زاهقة باطلة.

﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ يعني : جنس الكتب<sup>(١)</sup>.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي : بالواجب، أو متضمنًا للحق.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾ ابن عباس ؓ وغيره : يعني : العدل<sup>(٢)</sup>، ومعنى إنزال العدل : إنزال الأمر به في الكتب المنزلة. وقيل : يعني : الميزان المعروف.

فإن قيل : ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟

فالجواب : أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكأنه قال : اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم.

﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ جاء ﴿قَرِيبٌ﴾ بالتذكير؛ لأن تأنيث الساعة غير حقيقي، ولأن المراد به وقت الساعة.

(١) في ب، هـ : الكتاب.

(٢) نسبة إليه الثعلبي (٢٣/٣٣٩)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٧/٥٠٨).

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ أي: يطلبون تعجيلها؛ استهزاء بها، وتعجيزاً للمؤمنين.

﴿يَمَارُونَ﴾ أي: يجادلون ويخالفون.

﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] أي: ما تقوم به الحياة، فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره، والزائد خاص بمن شاء الله.





\* مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِعِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَافِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَفْتَرِ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ فُلُوكَ وَيَمُخِ اللَّهُ الْبَطْلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٦﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٩﴾ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾

﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ عبارة عن العمل لها، وكذلك ﴿حَرْثَ الدُّنْيَا﴾. وهو مستعار من حرث الأرض؛ لأن الحارث<sup>(١)</sup> يعمل وينتظر المنفعة مما<sup>(٢)</sup> عمل.

﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ عبارة عن تضعيف الثواب.

﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي: نؤته منها ما قُدِّر له؛ لأن كل أحد لا بد أن يصل إلى ما قُسم له.

﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ هذا<sup>(٣)</sup> للكفار، أو لمن كان يريد الدنيا خاصة، ولا رغبة له في الآخرة.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة للإنكار والتوبيخ. والشركاء: الأصنام وغيرها،

(١) في أ: «الحراث».

(٢) في أ، د: «بما».

(٣) في ب، ج: «تهديد».

وقيل: الشياطين.

﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الْدِينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ الضمير في ﴿شَرَعُوا﴾: للشركاء، وفي ﴿لَهُمْ﴾: للكفار، وقيل بالعكس، والأول أظهر. و ﴿لَمْ يَأْذَن﴾ بمعنى: لم يأمر. والمراد: ما شرعوا من الباطل<sup>(١)</sup> في الاعتقادات، وفي الأعمال، كالبَحيرة والوصيلة وغير ذلك.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ﴾ أي: لولا القضاء السابق بأن لا يُقضى بينهم في الدنيا لقضى بينهم فيها.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ يعني: في الآخرة.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يَنْشَرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ تقديره: ييسره، وحذف الجار والمجرور.

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ بمعنى القرابة، و﴿فِي﴾ بمعنى: «من أجل»، والمعنى: لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم، فالقصد على هذا: استعطاف قريش، ولم يكن فيهم بطنٌ إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة.

الثاني: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ بمعنى الأقارب؛ أي: ذوي القربى، والمعنى: إلا أن تودوا<sup>(٢)</sup> أقاربي وتحفظوني فيهم، والقصد على هذا: وصية بأهل البيت.

الثالث: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ قرابة الناس بعضهم من بعض، والمعنى: أن تودوا أقاربكم، والقصد على هذا: وصية بصلة الأرحام.

الرابع: أن ﴿الْقُرْبَى﴾ التقرب إلى الله، والمعنى: إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته.

والاستثناء على القول الثالث والرابع: منقطع. وأما على الأول والثاني: فيحتمل الانقطاع؛ لأن المودة ليست بأجر<sup>(٣)</sup>، ويحتمل الاتصال على المجاز، كأنه قال: لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة، فجعل المودة كالأجر<sup>(٤)</sup>.

(١) في ب، ج، هـ: «الباطل».

(٢) في ب: «أن لا تودوا».

(٣) في أ: «بأجرة».

(٤) في أ: «كالأجرة».

﴿يَقْتَرِفُ﴾ أي: يكتسب.

﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني: مضاعفة الثواب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة للإنكار والتوبيخ.

﴿وَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ في المقصد بها<sup>(١)</sup> قولان:

أحدهما: أنه ردُّ على الكفار في قولهم: ﴿إِفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، أي: لو افتريت على الله كذبًا لختم على قلبك، لكنك لم تفتري على الله كذبًا؛ فقد هداك وسدّدك.

والآخر: أن المراد: إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار، واحتمال أذاهم.

﴿وَيَبْخُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ هذا فعل مستأنف غير معطوف على ما قبله؛ لأن الذي قبله مجزوم، وهذا مرفوع<sup>(٢)</sup>؛ فيوقف على ما قبله ويبدأ به. وفي المراد به وجهان:

أحدهما: أنه من تمام ما قبله، أي: لو افتريت على الله كذبًا لختم على قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريت.

والآخر: أنه وعدٌ لرسول الله ﷺ بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر، ويحق الحق وهو الإسلام.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿عَنْ﴾ هنا: بمعنى «من»، وكأنه قال: التوبة الصادرة عن عباده. وقبول التوبة على ثلاثة أوجه:

أحدها: التوبة من الكفر، فهي مقبولة قطعًا.

والثاني: التوبة من مظالم العباد، فهي غير مقبولة حتى يردّ المظالم أو يستحلّ منها.

والثالث: التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله، فالصحيح: أنها مقبولة؛ بدليل هذه الآية، وقيل: هي في المشيئة.

(١) في ب، ج، د: «بهذا».

(٢) وحذفت الراوي خطأ لا معنى، كما حذفت في «ويدع الإنسان» و«سندع الزبانية». المحرر الوجيز (٧/ ٥١٤)،

والكشاف (١٤/ ٥٣).

﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ العفو مع التوبة: على حسب ما ذكرنا. وأما العفو دون التوبة: فهو على أربعة أقسام:

الأول: العفو عن الكفر، وهو لا يكون أصلاً.

والثاني: العفو عن مظالم العباد، وهو كذلك.

والثالث: العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر، وهو حاصل باتفاق.

والرابع: العفو عن الكبائر: فمذهب أهل السنة: أنه في المشيئة، ومذهب المعتزلة: أنها لا تغفر إلا بالتوبة.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معنى ﴿يَسْتَجِيبُ﴾: يجيب، و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: يُجِيبُهُمْ فيما يطلبون منه. وقال الزمخشري: أصله: «يستجيب للذين آمنوا» فحذف اللام<sup>(١)</sup>.

والثاني: أن معناه: يجيب، و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فاعل؛ أي: يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه.

والثالث: أن معناه: يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم، و«استفعل» على هذا: على بابهِ من الطلب. والأول أرجح؛ لدلالة قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾؛ ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ أي: يزيدهم ما لم يطلبوا زيادةً على الاستجابة فيما طلبوا، وهذه الزيادة روي عن النبي ﷺ أنها الشفاعة والرضوان<sup>(٣)</sup>.

(١) الكشف (٥٦/١٤).

(٢) قول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الثعلبي (٣٧١/٢٣)، والواحدي في البسيط (٥١٦/١٩). وقول معاذ أخرجه الطبري (٥٠٧/٢٠)، وابن أبي حاتم (٣٢٧٨/١٠)، والحاكم (٣٦٦١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير (٢٠٦/٧)-، والطبراني في الأوسط (٥٣/٦)، والكبير (٢٤٨/١٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال في قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾: «الشفاعة لمن وجبت له النار، ممن صنع إليهم معروفاً في الدنيا». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤/٧): «وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي من عند نفسه فقال: أتى بخبر منكر، وبقية رجاله وثقوا»، وانظر: لسان الميزان (١٤٢/٢).

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بغى بعضهم على بعض وطفوا؛ لأن الغنى يوجب الطغيان. وقال بعض الصحابة: فينا نزلت؛ لأننا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنيناها<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ قيل لعمر عليه السلام: اشتد القحط وقنط الناس، فقال: «الآن يُمطرون»<sup>(٢)</sup>، وأخذ ذلك من هذه الآية، ومنه قوله عليه السلام: «اشتدي أزمة تنفرجي»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَيَنْشُرْ رَحْمَتَهُ﴾ قيل: يعني: المطر، فهو تكرارٌ للمعنى الأول بلفظ آخر، وقيل: يعني: الشمس، وقيل بالعموم.

﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ لا إشكال أن الدواب في الأرض، وأما في السماء: فقيل: يعني: الملائكة، وقيل: يمكن أن يكون في السماء دواب لا نعلمها نحن، وقيل: المعنى: أنه بَثَّ في أحدهما، فذكر الاثنين، كما تقول: «في بني فلان كذا» وإنما هو في بعضهم. ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ يريد: جمع الخلق للحشر يوم القيامة.



(١) أخرجه الطبري (٥٠٩/٢٠)، والطبراني - كما في مجمع الزوائد (٢٣٠/٧)، والدر المنثور (١٥٨/١٣) ولم أقف عليه في معاجمه - عن عمرو بن حريث رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في أهل الصفة؛ لأنهم تمنوا الدنيا. وصحح إسناده الهيثمي والسيوطي. وأخرجه الحاكم (٣٦٦٣) عن علي رضي الله عنه، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري (٥١١/٢٠).

(٣) حديث موضوع، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ١١٦): «حديث: اشتدي أزمة تنفرجي: العسكري في الأمثال، والديلمى، والقضاعي، كلهم من حديث أمية بن خالد حدثنا الحسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي، قال: كان رسول الله ﷺ يقول، وذكره، والحسين كذاب»، وانظر: لسان الميزان لابن حجر (١٧٣/٣).

وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ مَّا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٨﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي  
الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٩﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ  
إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ  
﴿١٠﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ مِمَّا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿١١﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِيهِ آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِّنْ  
مَّحِصٍ ﴿١٢﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ  
يَغْفِرُونَ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
يُنْفِقُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَبا  
وَأُضْلَحَ بِأَحْزَرِهِ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا لِنْتَصَرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأَوْفَىٰ لَكُمْ مَا  
عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿١٨﴾ \*إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ  
الْحَقِّ فَأَوْفَىٰ لَهُمْ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ وَلَمَّا صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ أَعْمَارٍ ﴿٢٠﴾

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ يَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ المعنى: أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «لا يصيب ابن آدم خدشٌ عودٍ أو عثرةٌ قدم ولا اختلاجٌ عِرْقٍ إلَّا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»<sup>(١)</sup>.

وقرئ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بغير فاء<sup>(٢)</sup>، على أن يكون ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾ بمعنى: «الذي»، وقرئ بالفاء على أن يكون ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾ شرطًا.

﴿بِمُعْجِزَيْهِ﴾ قَدْ ذُكِرَ (۳).

﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية، وهي السفينة.

(١) أخرجه الطبري (٥١٤/٢٠) عن قتادة قال: «ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال.. الحديث، وهو مرسل، قال ابن كثير في تفسيره (٢/٣٦٣): «وهذا الذي أرسله قتادة قد روي متصلاً في الصحيح: «والذي نفسي بيده، لا يصاب المؤمن هم ولا حزن، ولا نصب، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها من خطاياها» اهـ. أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣) عن أبي سعيد وأبي هريرة ؓ، ولفظه للبخاري.

(۲) قرأ نافع وابن عامر بغير فاء، وقرأ الباقون بالفاء.

(٣) انظر تفسير الآية (٢١) في سورة العنكبوت.

﴿كَالْأَعْلَمِ﴾ جمع علم، وهو الجبل.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ الضمير في ﴿يَظْلَلْنَ﴾ للجواري، وفي ﴿ظَهْرِهِ﴾ للبحر، أي: لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر. فالمقصد: تعديد النعمة في إرسال الرياح، أو تهديد بإسكانه.

﴿أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ﴾ عطفت على ﴿يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾، ومعنى ﴿يُوقِفُهُنَّ﴾: يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة، والضمير فيه للسفن، وفي ﴿كَسَبْنَ﴾ لركابها من الناس. والمعنى: أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس.

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ أي: يعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله. وقرئ ﴿يَعْلَمُ﴾: بالرفع<sup>(١)</sup>: على الاستئناف. وبالنصب، واختلف في إعرابه على قولين:

أحدهما: أنه نصب بإضمار «أن» بعد الواو، لما وقعت بعد الشرط والجزاء؛ لأنه غير واجب. وأنكر ذلك الزمخشري وقال: إنه شاذ؛ فلا ينبغي أن يحمل القرآن عليه<sup>(٢)</sup>.

والثاني قول الزمخشري: إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره: «ليستقم منهم ويعلم»، قال: ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف كثير في القرآن، ومنه قوله: ﴿وَلِيَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢٠]<sup>(٣)</sup>.

﴿كَبَّيْرَ الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في «النساء»<sup>(٤)</sup>. وقيل: إن كبائر الإثم: هو الشرك، والفواحش: هو<sup>(٥)</sup> الزنا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ قيل: يعني: الأنصار؛ لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان. ويظهر لي أن هذه الآيات إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين ﷺ؛ لأنه بدأ أولاً

(١) قرأ نافع وابن عامر برفع الميم، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) الكشاف (٧١-٧٠/١٤).

(٣) الكشاف (٧٠-٦٩).

(٤) انظر تفسير الآية (٣١).

(٥) في أ: «هي».

بصفات أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم صفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم صفات عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم صفات علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكونه جمع هذه الأوصاف، ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من أتصف بذلك.

فأما صفات أبي بكر رضي الله عنه، فقلوه: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وإنما جعلنا هذا صفة أبي بكر وإن كان جميعهم متصفاً بها؛ لأن أبا بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره، قال رسول الله ﷺ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح <sup>(١)</sup>» <sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: «أنا مدينة الإيمان، وأبو بكر بابها» <sup>(٣)</sup>، وقال أبو بكر: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» <sup>(٤)</sup>، والتوكل إنما يقوى بقوة الإيمان.

وأما صفات عمر رضي الله عنه، فقلوه: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾؛ لأن ذلك هو التقوى، وقد قال ﷺ: «أنا مدينة التقوى، وعمر بابها» <sup>(٥)</sup>، وقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾؛ لأن قوله: ﴿فَلِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٣] نزلت في عمر رضي الله عنه.

وأما صفات عثمان رضي الله عنه، فقلوه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾؛ لأن عثمان رضي الله عنه لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام تبعه، وبادر إلى الإسلام وقوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾؛ لأن عثمان رضي الله عنه كان كثير الصلاة بالليل، وفيه نزلت: ﴿أَمِنْ هُوَ فَنَيْتُ لِقَاءَ أَلِيلٍ﴾ [الزمر: ١٠] الآية. وروي عنه أنه كان يُحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله <sup>(٦)</sup>، وقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾؛ لأن عثمان رضي الله عنه ولي الخلافة بالشورى، وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ لأن عثمان رضي الله عنه كان كثير النفقة في سبيل الله، ويكفيك أنه جهّز جيش العسرة.

(١) في ب، ج: «لرجحهم».

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣٣٥/٥) مرفوعاً، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٤١٨/١) من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٨١).



وأما صفات عليٍّ عليه السلام: فقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾؛ لأنه لما قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصاراً للحق، وانظر كيف سمى رسول الله ﷺ المقاتلين لعليٍّ عليه السلام بالفئة الباغية، حسبما ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر عليه السلام: «تقتلك الفئة الباغية»<sup>(١)</sup>، فذلك هو البغي الذي أصابه.

وقوله: ﴿بِمَنْ عَاقَبَ وَأُصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ إشارة إلى فعل الحسن بن عليٍّ عليه السلام حين بايع معاوية عليه السلام، وأسقط حق نفسه ليُصلح أحوال المسلمين، ويحقق دماءهم، قال رسول الله ﷺ في الحسن: «إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَنْتَصِرْ بَعْدَ ظُلْمِهِ بِأَوَّلِيكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾، إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن عليه السلام، وطلبه للخلافة وانتصاره من بني أمية.

وقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ إشارة إلى بني أمية، فإنهم استطالوا على الناس كما جاء في الحديث عنهم أنهم: «جعلوا عباد الله خولاً، ومال الله دُولاً»<sup>(٣)</sup>، ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب عليه السلام على منابرهم.

وقوله: ﴿وَلَمْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ الآية؛ إشارة إلى صبر أهل بيت النبي ﷺ على ما نالهم من الضر والذل طول مدة بني أمية.

﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلَهَا﴾ سمى العقوبة باسم الذنب، وجعلها مثله<sup>(٤)</sup>؛ تحرُّراً من الزيادة عليه<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧) عن أبي سعيد عليه السلام، ومسلم (٢٩١٦) عن أم سلمة عليه السلام.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (١١٧٥٨)، والحاكم (٨٤٧٩)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/٢٧١) والأوسط (٦/٨) عن أبي سعيد عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغ بنو أبي فلان - وقال الحاكم والطبراني في الصغير: «بنو أبي العاص» وفي الأوسط: «بنو الحكم» - ثلاثين رجلاً، اتخذوا مال الله دولا، ودين الله دخلاً، وعباد الله خولاً، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٤٣٤). وأخرجه الحاكم (٨٤٧٨) من حديث أبي ذر عليه السلام، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٤) في أ، ب، ج: «مثلها».

(٥) في أ: «عليه».

﴿بِمَنْ عَاقَا وَأَصْلَحَ بَأْجَرَهُ عَلَى اللَّهِ﴾ هذا يدلُّ على أن العفو عن المظلمة أفضل من الانتصار؛ لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿وَلَسَ لِنَتَصَرِّ بَعْدَ ظَلْمِهِ بِأُزْلِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾. وقيل: إن الانتصار أفضل، والأول أصح.

فإن قيل: كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ والمباح لا مدح فيه ولا ذم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المباح قد يُمدح؛ لأنه قيامٌ بحق لا بباطل.

والثاني: أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرُّراً ممن بدأ بالظلم، فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم.

والثالث: أنه إن كانت الإشارة بذلك إلى علي بن أبي طالب عليه السلام حسبما ذكرنا فانتصاره ممدوح<sup>(١)</sup>؛ لأن قتال أهل البغي واجب؛ لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَغْيٍ﴾ [الحجرات: ٩].



(١) في ب، ج، د: «محمود».

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلِ إِلَى  
 مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ وَتَرِيَهُمْ يَعْزُضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ ظُرُفٍ خَمِيٍّ وَقَالَ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْفِتْمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي  
 عَذَابٍ مُفِيمٍ ﴿١٢﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ  
 سَبِيلٍ ﴿١٣﴾ اِسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ  
 وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿١٤﴾ إِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَمِيْظًا إِنْ إِلَّا الْبَلْغَ وَإِنَّا إِذَا  
 أَذْنَأْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً بُرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا فَعَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿١٥﴾  
 لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَوْرَ ﴿١٦﴾  
 أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيْمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ \* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ  
 يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى  
 حَكِيمٍ ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِيْمَنُ  
 وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٩﴾  
 صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ «يَعْزُضُونَ عَلَيْهَا» أي: على النار.

«خَشِيعِينَ» عبارة عن الدَّل والكآبة.

«مِن الدَّل» يتعلق بـ «خَشِيعِينَ»، أو بـ «يَنْظُرُونَ»، وعلى هذا عوّل الزمخشري<sup>(١)</sup>.

«يَنْظُرُونَ مِنْ ظُرُفٍ خَمِيٍّ» فيه قولان:

أحدهما: أنه عبارة عن الدَّل؛ لأن نظر الدَّلِيل بمهانة واستكانة.

والآخر: أنهم يُحْشَرُونَ عُمِيًّا فلا ينظرون بأبصارهم، وإنما ينظرون بقلوبهم، واستبعد

هذا ابن عطية<sup>(٢)</sup> والزمخشري<sup>(٣)</sup>.

(١) الكشاف (٨١/١٤).

(٢) المحرر الوجيز (٥٢٧/٧).

(٣) الكشاف (٨٢/١٤).

والطَّرْفَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ: الْعَيْنَ، أَوْ يَكُونُ مُصَدِّرًا<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ الْفَيْصَةِ﴾ يَتَعَلَّقُ بِهِ «قَالَ»، أَوْ بِهِ «خَسِرُوا».

﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ الَّذِينَ آمَنُوا، أَوْ مُسْتَأَنَفًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ ذَكَرَ فِي «الرُّومِ»<sup>(٢)</sup>.

﴿مَنْ نَكِرَ﴾ أَي: إِنْكَارٍ، يَعْنِي: لَا تَنْكُرُونَ أَعْمَالَكُمْ.

﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا﴾ قَدَّمَ الْإِنَاثَ اعْتِنَاءً بِهِنَّ، وَتَأْنِيْسًا لِمَنْ وَهَبَهُنَّ<sup>(٣)</sup> لَهُ. قَالَ وَائِلَةُ بْنُ

الْأَسْقَعِ ؓ: مِنْ يُؤْمِنُ الْمَرْأَةُ تَبْكِيْهَا بِأَنْثَى قَبْلَ الذَّكَرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ بَدَأَ بِالْإِنَاثِ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْأَنْبِيَاءِ ؑ، فَشَعِيبٌ وَلُوطٌ ؑ كَانَ لهُمَا إِنَاثٌ دُونَ ذَكَورٍ،

وَإِبْرَاهِيمَ ؑ كَانَ لَهُ ذَكَورٌ دُونَ إِنَاثٍ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ جَمَعَ الْإِنَاثَ وَالذَّكَورَ، وَيَحْيَى ؑ كَانَ

عَقِيمًا<sup>(٥)</sup>. وَالظَّاهِرُ: أَنَّهَا عَلَى الْعُمُومِ فِي جَمِيعِ النَّاسِ؛ إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَا يَخْلُو عَنْ قِسْمٍ مِنْ

هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي ذَكَرَ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ أَدَوَاتِ الْبَيَانِ: التَّقْسِيمُ.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الْآيَةُ؛ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا كَلَامَهُ لِعِبَادِهِ،

وَجَعَلَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: أَحَدُهَا: الْوَحْيُ الْمَذْكُورُ أَوَّلًا، وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ بِالْهَامِ أَوْ بِمَنَامٍ.

وَالْآخَرُ: بِأَنْ يُسْمِعَهُ كَلَامَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. وَالثَّالِثُ: الْوَحْيُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

﴿أَوْ يُرْسِلْ رَسُولًا﴾ يَعْنِي: مَلَكًا، ﴿فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ إِلَى النَّبِيِّ، وَهَذَا خَاصٌّ بِالْأَنْبِيَاءِ.

وَالثَّانِي خَاصٌّ بِمُوسَى وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ؛ إِذْ كَلَّمَهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ. وَأَمَّا

الْأَوَّلُ؛ فَيَكُونُ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ كَثِيرًا، وَقَدْ يَكُونُ لَسَائِرِ الْخَلْقِ، وَمِنْهُ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾

[النحل: ٦٨]، وَمِنْهُ مَتَامَاتِ النَّاسِ.

(١) أَي: يَطْرُقُ طَرَفًا خَفِيًّا. الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ (٥٢٧/٧).

(٢) انْظُرْ تَفْسِيرَ الْآيَةِ (٤٤).

(٣) فِي ب: «وُهِبْنَ».

(٤) ذَكَرَهُ فِي الْمُحَرَّرِ الْوَجِيزِ (٥٢٩/٧) مِنْ قَوْلِ وَائِلَةَ، وَعَزَاهُ إِلَى الثَّعْلَبِيِّ، وَأَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٩٤/٢٣).

بِإِسْنَادِهِ عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جَدًّا، فِيهِ مَنْ هُوَ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ.

(٥) أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ (٣٩٦/٢٣) بِإِسْنَادِهِ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ بَشَرَ.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ قرئ «يُرْسِلُ» و «يُوحِي»<sup>(١)</sup>: بالرفع: على تقدير: أو هو يرسل، وبالنصب: عطفاً على «وَحْيًا»؛ لأن تقديره: «أن يوحى» فعطفت «أن» على «أن» المقدرة. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الروح هنا: القرآن، والمعنى: مثل هذا الوحي، وهو بإرسال ملك، أوحينا إليك القرآن. والأمر هنا يحتمل أن يكون واحد الأمور، أو يكون من الأمر بالشيء.

﴿مَا كُنْتَ تَذَرُهُ مَا أَلْكَتَ وَلَا أَلَيْسَ﴾ المقصد بهذا شيان: أحدهما: تعداد النعمة عليه ﷺ، بأن علمه الله ما لم يكن يعلم. والآخر: احتجاج على نبوته؛ لكونه أتى بما لم يكن يعلمه، ولا تعلمه من أحد.

فإن قيل: أمّا كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه، وأما الإيمان ففيه إشكال؛ لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم<sup>(٢)</sup>؟

فالجواب: أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة، وإنما كَمُلَ له معرفتها بعد بعثه، وقد كان مؤمناً بالله قبل ذلك، فالإيمان هنا يعني به: كمال المعرفة، وهي التي حصلت<sup>(٣)</sup> له بالنبوة. ﴿وَلَكِنَّ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ الضمير للقرآن.



(١) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) في د: «بعثهم».

(٣) في ب، ج: «جُعلت».

## سورة الزخرف

جَمَ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ  
الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٣﴾ أَفَتَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٤﴾  
وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾  
بِأَهْلِكُنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ لِيَقُولَ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا  
سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٩﴾ \* وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ بِأَنْشُرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْنًا  
كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا  
تَرْكَبُونَ ﴿١١﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا  
سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٣﴾

﴿١﴾ «وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ» يعني: القرآن. و«الْمُبِينِ» يحتمل أن يكون بمعنى البين، أو المبين لغيره.

﴿٢﴾ «وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ» «أُمُّ الْكِتَابِ»: اللوح المحفوظ. والمعنى: أن القرآن وُصف في اللوح المحفوظ بأنه عليّ حكيم. وقيل: المعنى: أن القرآن نُسخَ بجملته في اللوح المحفوظ، ومنه كان جبريل عليه السلام ينقله، فوصفه الله بأنه عليّ حكيم؛ لكونه مكتوبًا في اللوح المحفوظ، والأول أظهر وأشهر.

﴿٣﴾ «أَفَتَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا» الهمزة للإنكار، والمعنى: أنمستك عنكم الذكر؟ و«تَضْرِبُ» من قولك: أضربت عن كذا: إذا تركته. و«الذِّكْرُ» يحتمل أن يريد به: القرآن، أو التذكير والوعظ.

و﴿صَفْحًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى الإعراض، تقول: صفحتُ عنه: إذا أعرضت عنه، فكأنه قال: أنترك تذكيركم إعراضاً عنكم؟ وإعراب ﴿صَفْحًا﴾ على هذا: مصدرٌ من المعنى، أو مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال.

والآخر: أن يكون بمعنى العفو والغفران، فكأنه يقول: أئمسك عنكم الذكر عفوًا عنكم وغفرانًا لذنوبكم؟ وإعراب ﴿صَفْحًا﴾ على هذا: مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال. ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قرئ بكسر الهمزة<sup>(١)</sup>: على الشرط، والجواب في الكلام الذي قبله، وقرئ بالفتح: على أنه مفعول من أجله.

﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الضمير لقريش، وهم المخاطبون بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾. فإن قيل: كيف قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ على الشرط بحرف «إِنْ» التي معناها الشك، ومعلوم أنهم كانوا مسرفين؟

فالجواب: أن في ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف، وتجهيلهم في ارتكابه، فكأنه شيء لا يقع من عاقل، فلذلك وضع حرف التوقع في موضع الواقع.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدّم في القرآن ذكر حال الأولين وكيفية هلاكهم لما كفروا.

﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمُ﴾ الآية؛ احتجاج على قريش؛ لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره. ومقتضى جوابهم أن يقولوا: «خلقهن الله»، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بـ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾؛ لأن اعترافهم بأنه خلق السماوات والأرض يقتضي أن يعترفوا بأنه عزيز عليم. وأما قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ فهو من كلام الله، لا من كلامهم.

﴿مِهْدًا﴾ أي: فراشًا، على وجه التشبيه.

﴿سُبُلًا﴾ أي: طرقًا تمشون فيها.

(١) قرأ نافع وحزمة والكسائي بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها.

﴿مَاءٌ يَّقْدَرُ﴾ أي: بمقدار ووزن معلوم، وقيل: معناه: بقضاء.

﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض.

﴿الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ يعني: أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك.

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ الضمير يعود على ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الذكر: بالقلب، أو باللسان. ويحتمل أن يريد: النعمة في تسخير هذا المركوب، أو النعمة على الإطلاق. وكان بعض السلف<sup>(١)</sup> إذا ركب قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ثم يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُفْرِنِينَ﴾ أي: مُطِيقِينَ وغالِبِينَ.

﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اعتراف بالحشر. فإن قيل: ما مناسبة هذا للركوب؟

فالجواب: أن راكب السفينة أو الدابة متعرض للهلاك بما يخاف من غرق السفينة، أو سقوطه عن الدابة، فأمر بذكر الحشر؛ ليكون مستعداً للموت الذي قد تعرض له، وقيل: يذكر عند الركوب ركوب الجنابة.



(١) هو الحسن بن علي ؑ، أخرجه الطبري (٥٥٨/٢٠).



وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا لَئِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٤﴾ أَمْ إِتَّخَذَ مِنَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْهِيبُكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَقَلًّا وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٦﴾ أَوْ مَنْ يَنْشَوِي فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٧﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّ شُهَدَاتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْتَهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ أَتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَبِهِمْ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٠﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ \* فَلْأُولَئِئِذٍ نُثَبِّتُكُمْ يَاهْدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ ﴿٢٣﴾ فَاثْقَمْنَا مِنْهُمْ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الضمير في ﴿جَعَلُوا﴾ لكفار العرب، وفي ﴿لَهُ﴾ الله تعالى. وهذا الكلام متصل بقوله: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ﴾ الآية. والمعنى: أنهم جعلوا الملائكة بنات الله، فكانهم جعلوا جزءًا من عباده نصيبًا له وحظًا دون سائر عباده. وقال الزمخشري: معناه: أنهم جعلوا الملائكة جزءًا منه وبعضًا منه، كما يكون الولد بضعة من والده وجزءًا منه<sup>(١)</sup>.

وقال بعض اللغويين: الجزء في اللغة: الإناث، واستشهد على ذلك بيت شعر.

قال الزمخشري: وذلك كذب على العرب، والبيت موضوع<sup>(٢)</sup>.

﴿أَمْ إِتَّخَذَ مِنَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ ﴿أَمْ﴾ للإنكار والرد على الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله. ومعنى ﴿أَصْهِيبُكُمْ﴾: خصكم، أي: كيف يتخذ لنفسه البنات وهن<sup>(٣)</sup> أدنى، وأصفاكم بالبنين وهم أعلى.

(١) الكشاف (١٤/١١٠).

(٢) الكشاف (١٤/١١٠).

(٣) في ب، ج: «وهذا».

﴿وَإِذَا بَقِيَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي: إذا بُشِّرَ بالأنثى. وقد ذُكر هذا المعنى في «النحل»<sup>(١)</sup>، والمراد: أنهم يكرهون البنات؛ فكيف ينسبونها إلى الله؟ تعالى الله عن قولهم.

﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ المراد بـ «مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ»: النساء. والحلية: هي الحلي من الذهب والفضة، وشبه ذلك، ومعنى يَنْشَأُ فيها: يكبر وينبت في استعمالها. وقرئ «يَنْشَأُ» بضم الياء وتشديد الشين<sup>(٢)</sup>: بمعنى يُرَبَّى فيها.

والمقصد: الردُّ على الذين قالوا: الملائكة بنات الله، كأنه قال: أجعلتم الله من يَنْشَأُ في الحلية؟ وتلك صفة النقص، ثم أتبعها بصفة نقص أخرى، وهي قوله: «وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ» يعني: أن الأنثى إذا خاصمت أو<sup>(٣)</sup> تكلَّمت لم تقدر أن تُبين حجتها؛ لنقص عقلها، وقلَّما تجد امرأة إلا تُفسد الكلام وتخلط المعاني، فكيف يُنسب لله من يتصف بهذه النقائص؟ وإعراب «مَنْ يَنْشَأُ»: مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: أجعلتم الله من يَنْشَأُ، أو مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: أَوْ مَنْ يَنْشَأُ في الحلية خَصَّصْتُمْ به الله.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً﴾ الضمير في «جَعَلُوا» لكفار العرب، فحكى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة: أحدها: أنهم نسبوا إلى الله الولد. والآخر: أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين. والثالث: أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثًا. وقرئ «عِنْدَ الرَّحْمَنِ» بالنون<sup>(٤)</sup>، والمراد به: قُرْبُ الملائكة وتشريفهم كقوله: «الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ» [الأعراف: ٢٠٦]. وقرئ «عِبَادٌ» بالياء جمع عبد، والمراد به أيضًا: الاختصاص والتشريف.

﴿أَوْ شَهِدُوا آسَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هذا ردُّ على العرب في قولهم: إن الملائكة إناثٌ. والمعنى: أنهم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ما ليس لهم به علم؟

﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ أي: تكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة، ويسألون عنها يوم القيامة.

(١) انظر تفسير الآية (٥٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم «يَنْشَأُ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، وقرأ الباقون بفتح الياء وإسكان النون والتخفيف.

(٣) في أ، د، هـ: «و».

(٤) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر «عند» بالنون، وقرأ الباقون «عِبَادٌ» بالياء وألف بعدها.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾: للكفار، وفي ﴿عَبَدْنَاهُمْ﴾: للملائكة، وقال ابن عطية: للأصنام<sup>(١)</sup>، والأول أظهر وأشهر. والمعنى: احتجاج احتج به الذين عبدوا الملائكة، وذلك أنهم قالوا: لو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يُمهّلنا ويُنعم علينا دليل على أنه يرضى عبادتنا لهم، ثم ردّ الله عليهم بقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني: أن قولهم بغير دليل وحجة، وإنما هو تخرّص منهم.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل القرآن، وهذا أيضًا ردّ عليهم؛ لكونهم ليس لهم كتاب يستمسكون<sup>(٢)</sup> به.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ فِئَةٍ﴾ أي: على دين وطريقة. والمعنى: أنهم ليس لهم حجة، وإنما هم يقلّدون آباءهم.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية؛ معناها: كما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة؛ كذلك اتبع كل من قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة، بل بمجرد التقليد المذموم.

﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ هذا ردّ على الذين اتبعوا آباءهم. والمعنى: أتبعونهم ولو جئتكم بدين أهدى<sup>(٣)</sup> من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم؟ وقرئ: ﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدّم. وأما قراءة ﴿قُلْ﴾ بالأمر: فهو خطابٌ لمحمد ﷺ، أمره الله أن يقول ذلك لقريش، وقيل: هو للنذير المتقدّم، أمره الله أن يقول ذلك لقومه، والأول أظهر، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضًا بين قصة المتقدّمين، فإن قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ﴾ حكاية عن الكفار المتقدّمين، وكذلك قوله: ﴿بِأَنفُسِنَا مِنْهُمْ﴾ يعني: من المتقدّمين.



(١) المحرر الوجيز (٧/٥٤٠).

(٢) في ب، د: «ينمسكون».

(٣) في ب، ج: «بأهدى».

(٤) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم «قال» خبرًا، وقرأ الباقون «قل» أمرًا.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٥﴾ إِلَّا إِلَٰهَ الَّذِي قَطَرْنَاهُ مِنَّا وَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿١٦﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَافِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَٰذَا الْفَزَاءُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢٠﴾ أَهَمْ يَفْسِمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ فَنَسْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٢١﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِتَهُمْ سَفَهًا مِّنْ بَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلِيُوبِتَهُمْ أَيْبًا وَسُرْرًا عَلَيْهَا يُتَّخَذُونَ رِزْقًا وَإِن كُُلَّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٣﴾

﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ أي: بريء، وبراء في الأصل: مصدر، ثم استعمل صفة، ولذلك استوى فيه الواحد والاثان والجماعة، كعدل وشبهه.

﴿إِلَّا إِلَٰهَ الَّذِي قَطَرْنَاهُ﴾ يحتمل أن يكون استثناء منقطعاً، وذلك إن كانوا لا يعبدون الله. أو يكون متصلاً، إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وإعرابه على هذا: بدل من ﴿مَّا تَعْبُدُونَ﴾، فهو في موضع خفض، أو منصوب على الاستثناء، فهو في موضع نصب.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ قال هنا: ﴿سَيَهْدِينِ﴾، وقال مرة أخرى: ﴿بِهَوَاهِدِينِ﴾ [الشعر: ٧٨]؛ ليبدل على أن الهداية في الحال والاستقبال.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَافِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ضمير الفاعل في ﴿جَعَلَهَا﴾ يعود على إبراهيم عليه السلام، وقيل: على الله تعالى، والأول أظهر.

والضمير المؤنث المفعول يعود: على الكلمة التي قالها، وهي: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، ومعناها: التوحيد، ولذلك قيل: يعود على الإسلام لقوله: ﴿هُوَ سَبِيلُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ١٧٦]، وقيل: يعود على «لا إله إلا الله»، والمعنى متقارب، أي: جعل إبراهيم عليه السلام تلك الكلمة باقية في ذريته؛ لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد. والعقب: هو الولد وولد الولد ما تناسلوا أبداً.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ الإشارة بـ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ إلى قريش. وهذا الكلام متصل بما قبله؛ لأن قريشاً من عقب إبراهيم ﷺ، فالمعنى: لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم، بل مَتَّعْتُهُم بالنعم والعافية، فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾، وهو محمد ﷺ.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ لقريش. والقريتان: مكة والطائف. و﴿مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ﴾ معناه: من إحدى القريتين، كقوله: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُاَ وَالْمَرْجَانَ﴾ [الرحمن: ٢٠]، أي: من أحدهما.

وقيل: معناه: على رجلٍ من رجلين من القريتين، فالرجل الذي من مكة: الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، والرجل الذي من الطائف: عروة بن مسعود، وقيل: حبيب بن عمير<sup>(١)</sup>.

ومعنى الآية: أن قريشاً استبعدوا نزول القرآن على محمد ﷺ، واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء، ووصفوه بالعظمة يعنون الرئاسة في قومه وكثرة ماله، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَفْهَمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني: أن الله يخصُّ بالنبوة من شاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته، وليس ذلك بتدبير المخلوقين ولا بإرادتهم، ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿نَحْنُ فَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: كما قَسَمْنَا المعاش في الدنيا كذلك قَسَمْنَا المواهب الدينية، وإذا كنا لم نُهمل الحظوظ الحقيرة الفانية، فأولئى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية.

﴿لَيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ هو من التَّسْخِير في الخدمة، أي: رفعنا بعضهم فوق بعض لِيُخْدَم بعضهم بعضاً.

﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ هذا تحقيقٌ للدنيا. والمراد بـ ﴿رَحِمْتُ رَبِّكَ﴾ هنا: النبوة، وقيل: الجنة.

(١) في د: «حبيب بن عمرو»، والذي في تفسير الطبري (٢٠/٥٨٠): «حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي».

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الآية؛ تحقير أيضًا للدنيا. ومعناها: لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سقفاً من فضة، وذلك ليهوان الدنيا على الله، كما قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة»<sup>(١)</sup> ماء»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ المعارج: الأدراج والسلالم<sup>(٣)</sup>. ومعنى «يَظْهَرُونَ»: يرتفعون، ومنه «فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوا» [الكهف: ٩٣]. والسرر: جمع سرير. والزخرف: الذهب، وقيل: أثاث البيت من الستور والتمارق، وشبه ذلك، وقيل: هو التزيق والنقش وشبه ذلك من التزيين؛ كقوله: «حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ» [يونس: ٢٤].



(١) في ج: «جرعة».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠) وصححه، وابن ماجه (٤١١٠)، والحاكم (٧٨٤٧) وصححه، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) ف، أ، د، هـ: «والسلالم».

وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَفِضَ لَهُ شَيْطَانًا بِهِوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٥٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٥٧﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٥٨﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ فِيمَا نَذَهَبَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَفِعُونَ ﴿٦٠﴾ أَوْ نَرِيكَ أَلَدُ وَعَذَابُهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٦١﴾ \* بِاسْتَنْسِكَ بِالذِّمَّةِ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٢﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٦٣﴾ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٦٤﴾

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَفِضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾ «يَعْشُ» من قولك: عَشَى الرجل: إذا أظلم بصره، والمراد به هنا: ظلمة القلب والبصيرة. وقال الزمخشري: يَعْشَى بفتح الشين<sup>(١)</sup>: إذا حصلت الآفة في عينه، ويعشو بضم الشين: إذا نظر نظرة الأعشى، وليس به آفة<sup>(٢)</sup>، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك: عَمِيَ وتعمى. فمعنى القراءة بالضم: يتجاهل ويجهل معرفته بالحق، والأظهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر.

و﴿ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾: قال الزمخشري: يريد به القرآن<sup>(٣)</sup>، وقال ابن عطية: يريد به: ما ذكر الله به عباده من المواعظ، فالمصدر مضاف إلى الفاعل<sup>(٤)</sup>، ويحتمل عندي: أن يريد ذكر العبد لله.

ومعنى الآية: أن من غفل عن ذكر الله يَسَّرَ الله له شيطاناً يكون له قريناً، فتلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان، كما أن من دام على الذكر<sup>(٥)</sup> تباعد عنه الشيطان.

(١) قراءة السبعة بضم الشين، وقرئ في الشاذ بفتحها، قرأ بها قتادة ويحيى بن سلام البصري. المحرر الوجيز (٥٤٧/٧).

(٢) الكشف (١٣٩/١٤).

(٣) الكشف (١٤٠/١٤).

(٤) المحرر الوجيز (٥٤٧/٧).

(٥) في د: «كما أن من تمارى على الذكر ودام عليه».

﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ للشيطان<sup>(١)</sup>، وضمير المفعول في ﴿يَصُدُّونَهُمْ﴾ لـ ﴿مَنْ يَغْشَى عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾، وجمع الضميرين لأن المراد جمع.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ قرئ ﴿جَاءَنَا﴾ بضمير الاثنين<sup>(٢)</sup>، وهما: مَنْ يعيشو وشيطانه، وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد، وهو مَنْ يعيشو. والضمير في ﴿قَالَ﴾: لمن يعيشو، وقيل: لشيطنه.

﴿بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يعني: المشرق والمغرب، وغَلَبَ أحدهما في الثنية، كما قيل: القمران. والآخر: أنه يعني: المشرقين والمغربيين، وحذف «المغربيين»؛ لدلالة «الْمَشْرِقَيْنِ» عليه.

﴿وَلَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ هذا كلامٌ يقال للكفار في الآخرة، ومعناه: أنه لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب، ولا يجدون راحة التأسي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه.

والفاعل بـ ﴿يَنفَعَكُمُ﴾: قوله: ﴿أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، و﴿إِذ ظَلَمْتُمْ﴾: تعليلٌ معناه: بسبب ظلمكم. وقيل: الفاعل مضمَر، وهو التبرؤ<sup>(٣)</sup> الذي يقتضيه قوله: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ و﴿أَنْتُمْ﴾ على هذا تعليلٌ، والأول أرجح.

﴿أَبَانتُ تَسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الآية؛ خطابٌ للنبي ﷺ. والمراد بالصُّمَّ والعُمي: الكفار؛ إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام.

﴿إِنَّمَا نَذْهَبُ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَفِعُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا﴾ مركبةٌ من «إن» الشرطية و«ما» الزائدة. ومقصد الآية: وعيدٌ للكفار، والمعنى: إن عَجَّلْنَا وفاتَكَ قبل الانتقام منهم فإننا سننتقم منهم بعد وفاتِكَ، وإن أَخَّرْنَا وفاتَكَ إلى حين الانتقام منهم فإننا عليهم مقتدرون.

وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر، وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام<sup>(٤)</sup> في الدنيا، أو يريد به عذاب الآخرة. وقيل: إن الضمير في ﴿مِنْهُمْ مُنْتَفِعُونَ﴾ للمسلمين،

(١) في ب، ج، د، هـ: «للشياطين».

(٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة عن عاصم بألفٍ ثنيةً، وقرأ الباقون بغير ألفٍ إفرادًا.

(٣) في ب، د: «التبري».

(٤) في أ، هـ: «بالانتقام».



وأن معنى ذلك: أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد، وأنه أكرم نبيه ﷺ بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾: للقرآن أو للإسلام. والذكر هنا: بمعنى الشرف، وقوم النبي ﷺ: هم قريش ثم سائر العرب؛ فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وصارت فيهم الخلافة والملك، وورد عن ابن عباس ؓ أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله ﷺ أن الأمر بعده لقريش<sup>(١)</sup>.

ويحتمل أن يريد بالذكر: التذكير والموعظة، فقومه على هذا: أمته كلهم وكل من بُعث إليهم.

﴿وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ﴾ أي: تُسألون عن العمل بالقرآن، وعن شكر الله عليه.

﴿وَسْئَلٌ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾ إن قيل: كيف أمر النبي ﷺ أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدركهم؟ فالجواب أن فيه ثلاثة أقوال:  
الأول: أنه رآهم ليلة الإسراء.

الثاني: أن المعنى: أسأل أمة من أرسلنا قبلك.

الثالث: أنه لم يُرد سؤالهم حقيقة، وإنما المعنى: أن شرائعهم متفقة على توحيد الله، بحيث لو سُئلوا: هل مع الله آلهة يعبدون؟ لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد.



(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٣/ ٤٤٧)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٤)، وفي إسناده سيف بن عمر الضبي، قال العقيلي: «هو ضعيف».

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ بَرِئِينَ ۖ وَمَلَإِيهِمْ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الْدَّجُّ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٩﴾ وَنَادَىٰ بَرِئِينَ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقُومُ آلِيسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَكَادُ يَبِينُ ﴿٢٢﴾ فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ مَقْتَرِينَ ﴿٢٣﴾ بَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ بِأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيفِينَ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَفَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلْبًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٢٦﴾

﴿١٥﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الآيات هنا: المعجزات؛ كقلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وقيل: البراهين والحجج العقلية، والأول أظهر. ومعنى ﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: أنها في غاية الكبر والظهور، ولم يُرد تفضيلها على غيرها من آياته، إنما المعنى: أنها إذا نظرت وُجدت كبيرة، وإذا نُظر غيرها وُجدت كبيرة، فهو كقول الشاعر: مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ: لَا قِيْتُ سَيِّدَهُمْ<sup>(١)</sup>

هكذا قال الزمخشري<sup>(٢)</sup>. ويحتمل عندي أن يريد: ما نريهم من آية إلا هي أكبر مما تقدّمها، فالمراد: أكبر من أختها المتقدمة عليها.

﴿١٧﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الْدَّجُّ لَنَا رَبُّكَ﴾ ظاهر كلامهم هذا التناقض؛ فإن قولهم: ﴿يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ﴾ يقتضي تكذيبهم له، وقولهم: ﴿الدَّجُّ لَنَا رَبُّكَ﴾ يقتضي تصديقه؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن القائلين لذلك كانوا مكذّبين، وقولهم: ﴿الدَّجُّ لَنَا رَبُّكَ﴾ يريدون على قولك وبزعمك، وقولهم: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ وعدّوا إخلافه.

والآخر: أنهم كانوا مصدّقين، وقولهم: ﴿يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ﴾ إما أن يكون عندهم غير مذموم؛

(١) هذا صدر بين للعرنئس أحد بني أبي بكر بن كلاب، أورده أبو تمام في حماسته (ص ٤١٥)، وتمام البيت: «مثل النجوم التي يسري بها الساري».

(٢) الكشف (١٤/١٥٢).

لأن السحر كان عِلْمَ أهل زمانهم، وكأنهم قالوا: يا أيها العالم، وإما أن يكون ذلك اسمًا قد ألفوا تسمية موسى عليه السلام به من أول ما جاءهم، فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه.

﴿وَنَادَىٰ بِرَعُونَ فِي قَوْمِهِ﴾ يحتمل: أن ناداهم بنفسه، أو أمر مناديا ينادي فيهم.

﴿قَالَ يَقَوْمُ الْيَسَّىٰ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ قصد بذلك الافتخار على موسى عليه السلام. و﴿مِصْرَ﴾ هي البلد المعروف وما يرجع إليه، ومنتهى ذلك: من نهر إسكندرية إلى أسوان بطول النيل.

﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ يعني: الخُلجان الكبار الخارجة من النيل، كانت تجري تحت قصوره، وأعظمها أربعة أنهار: نهر الإسكندرية، وتَنيس، ودِمياط، ونهر طُولون.

﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ أم أنا خير؟ ثم وضع قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ موضع «تبصرون»؛ لأنهم إذا قالوا له: أنت خير فهم عنده بُصراء، وهذا من وضع السبب موضع المسبب<sup>(١)</sup>، وقيل: الأصل أن يقول: «أفلا تبصرون أم تبصرون»، ثم اقتصر على «أم»، وحذف الفعل الذي بعدها، واستأنف قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ على وجه الإخبار، ويوقف -على هذا القول- على ﴿أَمْ﴾، وهذا ضعيف. وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: «بل»، فهي منقطعة.

﴿مَهِيْنٌ﴾ أي ضعيف حقير، قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup> وغيره.

﴿وَلَا يَكْادُ يُبَيِّنُ﴾ إشارة إلى ما بقي في لسان موسى عليه السلام من أثر الجفرة، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عُقْدَةً، فلما دعا أن تُحَلَّ أُجِيبَتْ دعوته وبقي منها أثرٌ كان معه لَكَنٌ، وقيل: يعني: العِي في الكلام. وقوله: ﴿وَلَا يَكْادُ يُبَيِّنُ﴾ يقتضي أنه كان يُبَيِّنُ؛ لأن «كاد» إذا نُفِيت تقتضي الإثبات.

﴿فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ يريد: لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته؟ والأساور: جمع سوار وإسوار، وهو ما يُجعل في الذراع من الحلي، وكان الرجال حينئذ يجعلونه.

(١) لأن كونه خيرا عندهم مسبب كونهم بصراء، لأن الإبصار سبب لقوهم: أنت خير. حاشية الطيبي على

الكشاف (١٥٧/١٤).

(٢) الكشاف (١٥٧/١٤).

﴿مُفْتَرِينَ﴾ أي: مقترنين به لا يفارقونه، أو متقارنين<sup>(١)</sup> بعضهم مع بعض؛ ليشهدوا له، ويقوموا بحجته.

﴿بِاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ أي: طلب خفتهم بهذه المقالة، واستهوى عقولهم.

﴿عَاسِفُونَا﴾ أي: أغضبونا.

﴿بَجَعَلْنَاهُمْ سَلْبًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ السَّلف بفتح السين واللام<sup>(٢)</sup>: جمع سالف. وقرئ بضمهما: جمع سليف، ومعناه: متقدم، أي: تقدّم قبل الكفار؛ ليكون موعظةً لهم، ومثلاً يعتبرون به؛ لئلا يُصيبهم مثل ذلك.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «متقارنون».

(٢) قرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام، وقرأ الباقر بفتحهما.

وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦١﴾ \* وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٢﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ بِاخْتَلَفِ الْأَحْزَابِ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٦٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ ﴿٥٦﴾ روي عن ابن عباس ؓ وغيره في تفسيره هذه الآية: أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم ؑ والثناء عليه، قالت قريش: ما يريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى؛ فهذا كان صدودهم من ضربيه مثلاً، حكى ذلك ابن عطية<sup>(١)</sup>. والذي ضَرَبَ المثل على هذا: هو الله في القرآن.

و ﴿يَصُدُّونَ﴾ بمعنى: يُعرضون. وقال الزمخشري: لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٧] امتعضوا من ذلك، فقال عبد الله بن الزبعرى: أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم»، فقال: خصمتك ورب الكعبة! ألسنت تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيراً، وقد علمت أن النصارى عبدوه؟ فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك وضحكوا، وسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠] ونزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٥٥٧/٧) وعزاه إلى ابن عباس ؓ، ولم أقف عليه من قوله، ووقفت عليه من قول مجاهد وقتادة، أخرجه الطبري (٦٢٢/٢٠).

(٢) أخرجه ابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (٣٧٩/٥)، والدر المنثور (٣٧١/١٠) - وعنه الحافظ الضياء في المختارة (٣٤٥/١١)، عن عكرمة عن ابن عباس ؓ، وعزاه - أيضاً - الواحدي في التفسير (٦٦/٢٠) إلى ابن عباس ؓ.

فالمعنى على هذا: لما ضرب ابن الزبعرى عيسى ﷺ مثلاً، وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه، إذا قرئ من هذا المثل يصدون أي: يضحجون<sup>(١)</sup> ويضحون من الفرح<sup>(٢)</sup>. وهذا المعنى إنما يجري على قراءة ﴿يَصْدُونَ﴾ بكسر الصاد<sup>(٣)</sup>، بمعنى الضجيج والصياح.

﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون به ﴿هُوَ﴾ عيسى ﷺ، والمعنى: أنهم قالوا: آلهتنا خير أم عيسى؟ فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضىنا أن نكون نحن وآلهتنا معه؛ لأنه خير من آلهتنا. وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكر الزمخشري في تفسير الآية التي قبله، وأما على ما ذكر ابن عطية: فهذا<sup>(٤)</sup> ابتداء معنى<sup>(٥)</sup> آخر.

وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولاً آخر: وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى ﷺ قالوا: نحن أهدى من النصارى؛ لأنهم عبدوا آدمياً ونحن عبدنا الملائكة، وقالوا: ﴿ءَالِهَتُنَا﴾ وهم الملائكة ﴿خَيْرٌ أَمْ﴾ عيسى؟<sup>(٦)</sup>، ففضدهم: تفضيل آلهتهم على عيسى ﷺ.

وقيل: إن قولهم ﴿أَمْ هُوَ﴾ يعنون به: محمداً ﷺ، فإنهم لما قالوا: إنما يريد محمد أن نعبد كما عبدت النصارى عيسى قالوا: ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾؟ يريدون تفضيل آلهتهم على محمد ﷺ. والأظهر: أن المراد بـ ﴿هُوَ﴾: عيسى ﷺ، وهو قول الجمهور، وبدل على ذلك تقدم ذكره.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما ضربوا لك هذا المثل إلا على وجه الجدل، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره، سواء غلبه بحق أو بباطل، فإن ابن الزبعرى وأمثاله

(١) في ب، ج: «يضحكون».

(٢) الكشف (١٤/١٦٠).

(٣) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بضم الصاد، وقرأ الباقون بكسرها.

(٤) في د، هـ: «فهو».

(٥) في د: «خير».

(٦) الكشف (١٤/١٦٤).

ممن لا يخفى عليه أن عيسى ﷺ لم يدخل في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، ولكنهم أرادوا المغالطة، فوصفهم الله بأنهم ﴿قَوْمٌ خَصِصُونَ﴾.

﴿٥٩﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني: عيسى ﷺ، والإنعام عليه: بالنبوة والمعجزات وغير ذلك.

﴿٦٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ في معناها قولان:

أحدهما: لو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يسكنون الأرض، ويخلقون فيها بني آدم، فقوله ﴿مِنْكُمْ﴾ يتعلق بـ «بدلاً» المحذوف، أو بـ «يَخْلُقُونَ».

والآخر: لو نشاء لجعلنا منكم؛ أي: لو لَدُنَّا منكم أولاداً ملائكة يخلقونكم في الأرض كما يخلقكم أولادكم؛ فإننا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة، فلا تُنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد. حكى ذلك الزمخشري<sup>(١)</sup>.

﴿٦١﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ الضمير: لعيسى، وقيل: لمحمد ﷺ، وقيل: للقرآن. فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد ﷺ: فالمعنى: أنه شرط من أشراف الساعة، يوجب العلم بها، فسمي الشرط علماً؛ لحصول العلم به، ولذلك قرئ «لَعَلَّمْ» بفتح العين واللام<sup>(٢)</sup>، أي: علامة. وأما على القول بأنه للقرآن: فالمعنى: أنه يُعَلِّمُكم بالساعة.

﴿٦٢﴾ وَلَا يَتَّبِعْ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ إنما بين البعض دون الكل؛ لأن الأنبياء إنما يبينون أمور الدين لا أمور الدنيا<sup>(٣)</sup>. وقيل: ﴿بَعْضُ﴾ بمعنى: «كُلٌّ»، وهو ضعيف.

(١) الكشف (١٤/١٦٨).

(٢) هي قراءة ابن عباس وأبي هريرة وقتادة وأبي مالك الغفاري ومجاهد وأبي نضرة المنذر بن كعب ومالك بن دينار ﷺ. المحرر الوجيز (٧/٥٥٩).

(٣) عبارة المحرر الوجيز (٧/٥٦٠): «المعنى الذي ذهب إليه الجمهور: أن الاختلاف بين الناس هو في أمور كثيرة لا تحصى عدداً، منها أمور أخروية ودينية، ومنها ما لا مدخل له في الدين، فكل نبي فإنما يبعث ليبين أمر الأديان والآخرة، فذلك بعض ما يختلف فيه».

﴿بَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ ذكر في «مریم»<sup>(١)</sup>.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير: لقريش، أو للأحزاب.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ﴿الْأَخِلَاءُ﴾: جمع خليل وهو الصديق، وإنما يعادي الخليل خليله يوم القيامة؛ لأن الضرر دخل عليه من صحبته، ولذلك استثنى المتقين؛ لأن النفع دخل على بعضهم من بعض.



(١) انظر تفسير الآية (٣٦).



يَعْبَادِهِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٨٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١٨٧﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ ﴿١٨٨﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَاحٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿١٨٩﴾ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَاْكُلُونَ ﴿١٩٢﴾ إِنَّ الْمُنْجِرِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٩٣﴾ لَا يَغْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿١٩٤﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿١٩٥﴾ وَنَادَاؤُا يَمْلِكُ لِيَفْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴿١٩٦﴾ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ لَفِي جَهَنَّمَ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿١٩٧﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿١٩٨﴾ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَتُونَ ﴿١٩٩﴾ فَلَإِنْ كَانَ لِلرَّحْلِ وَلَدًا فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَبِيدِينَ ﴿٢٠٠﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٠١﴾ بَدَرَهُمْ خَوْضًا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٢٠٣﴾ وَتَبَرَّكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٠٥﴾ وَلَيْسَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِهِمْ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قَائِلِي يَوْفِكُونَ ﴿٢٠٦﴾ وَفِيهِ يَرْبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٧﴾ بَاصْصَحَّ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠٨﴾

﴿يَعْبَادِهِ﴾ الآية؛ تقديرها: يقول الله للمتقين يوم القيامة: ﴿يَعْبَادِهِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿تُخْبَرُونَ﴾ أي: تُنْعَمُونَ وتُسَرُّون<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: يائسون من الخير.

﴿وَنَادَاؤُا يَمْلِكُ لِيَفْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ المعنى: أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب. وروى أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة، وحينئذ يقول لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ لَفِي جَهَنَّمَ بِالْحَقِّ﴾ أي: دائمون في النار<sup>(٢)</sup>.

(١) في ب: «وتبشرون».

(٢) أخرجه الطبري (٢٠ / ٦٤٩)، وابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٨٦)، والحاكم (٣٦٧٧) وصححه ووافقه الذهبي، عن

ابن عباس ؓ.

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الآية؛ من كلام الله تعالى لأهل النار، أو من كلام الله لقريش في الدنيا.

﴿أَمْ أَمْرًا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أم أحكموا كيذا للنبي ﷺ؛ فإننا مُحْكِمُونَ نصره وحمايته.

﴿أَمْ يَخْسِبُونَ﴾ الآية؛ روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث، اجتماعاً وقال الأخنس: أترى الله يسمع سرّاً؟ فقال الآخر: يسمع نجواناً ولا يسمع سرّاً<sup>(١)</sup>.

﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ السرُّ: ما حدث الإنسان به نفسه أو غيره في خفية، والنَجْوَى: ما تكلموا به فيما بينهم.

﴿بَلِيلٍ﴾ أي: نسمع، ورسَلْنَا مع ذلك تكتب ما يقولون. والرسَل هنا: الملائكة الحافظون للأعمال.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ في تأويل الآية أربعة أقوال:

الأول: أنها احتجاجٌ وردُّ على الكفار، على تقدير قولهم، ومعناها: لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنّ أنا أول من يعبد ذلك الولد؛ كما يعظّم خديم<sup>(٢)</sup> الملك ولد الملك لتعظيم أبيه، ولكن ليس للرحمن ولد؛ فلست بعباد إلا الله وحده.

وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم؛ لأنه علّق عبادة الولد بوجوده، ووجوده محال؛ فعبادته محال.

ونظير هذا: أن يقول المالكي إذا قصد الردَّ على الحنفي في تحليل النبيذ: إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال، لكنه مسكر؛ فهو حرام.

(١) لم أقف على تسمية من نزلت فيهم. وأخرج الطبري (٦٥٣/٢٠) عن محمد بن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم قال: فنزلت. وتقدم أثر ابن مسعود رضي الله عنه وأن الآية التي نزلت فيهم آية فصلت: ﴿وما كنتم تستترون...﴾. (٢) في د: «خدام».



القول الثاني: أن المعنى: إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله ووحدته وكذبكم في قولكم: إن له ولداً. و﴿الْعَبِيدِينَ﴾ على هذين القولين: بمعنى العبادة.

القول الثالث: أن العابدين بمعنى المنكرين، يقال: عبَدَ الرجلُ: إذا أنفَ<sup>(١)</sup> وأنكرَ الشيءَ، والمعنى: إن زعمتم أن للرحمن ولداً فأنا أول المنكرين لذلك. و﴿إِنْ﴾ على هذه الأقوال الثلاثة: شرطية.

القول الرابع: قال قتادة وابن زيد<sup>(٢)</sup>: ﴿إِنْ﴾ هنا نافية، بمعنى: «ما كان للرحمن ولداً»، وتمَّ الكلام، ثم ابتداء قوله: ﴿بِأَنَّا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾.

والقول الأول هو الصحيح؛ لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة، وهو الذي عوّل عليه الزمخشري<sup>(٣)</sup>.

وقال الطبري: هو ملاطفة في الخطاب، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤]<sup>(٤)</sup>، وقال ابن عطية: منه قوله تعالى في مخاطبة الكفار: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِى﴾<sup>(٥)</sup>، يعني: شركائي على قولكم.

﴿فَذَرَهُمْ﴾ الآية؛ موادة منسوخة بالسيف.

﴿وَهُوَ الَّذِى فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ أي: هو إله أهل الأرض وأهل السماء. والمجرور يتعلق بـ﴿إِلَهٌ﴾؛ لأن فيه معنى الوصفية.

﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشِّفْعَةَ﴾ أي: لا يملك كل من عُبد من دون الله أن يشفع عند الله؛ لأن الله لا يشفع أحداً عنده إلا بإذنه؛ فهو المالك للشفاعة وحده.

(١) في د: «نفر».

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/٦٥٥).

(٣) الكشف (١٤/١٧٩-١٨١).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/٦٥٧).

(٥) المحرر الوجيز (٧/٥٦٤).

﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ اختلف هل يعني: بـ ﴿مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ الشافع أو المشفوع فيه؟ فإن أراد المشفوع فيه: فالاستثناء منقطع، والمعنى: لا يملك المعبودون شفاعاً؛ لكن من شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يُشفع فيه، ويحتمل على هذا أن يكون ﴿مَنْ شَهِدَ﴾ مفعولاً بـ ﴿الشَّفَعَةَ﴾ على إسقاط حرف الجر، تقديره: الشفاعه فيمن شهد بالحق.

وإن أراد بـ ﴿مَنْ شَهِدَ﴾ الشافع: فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعاً، وأن يكون متصلاً؛ لأن فيمن عُبِد: عيسى والملائكة ﷺ، والمعنى على هذا: لا يملك المعبودون شفاعاً إلا مَنْ شهد منهم بالحق.

﴿وَفِيْلَهُ يَرْبِ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ القيل: مصدرٌ كالقول، والضمير يعود على النبي ﷺ. وقرئ: ﴿وَفِيْلَهُ﴾ بالنصب والخفض، وقرئ في غير السبع بالرفع<sup>(١)</sup>.

فأما النصب: فقيل: هو معطوفٌ على ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾، وقيل: معطوف على موضع ﴿السَّاعَةِ﴾؛ لأنها مفعول أضيف إلى المصدر<sup>(٢)</sup>، وقيل: معطوف على مفعول ﴿يَكْتُبُونَ﴾، وهو محذوف، تقديره: يكتبون أقوالهم وقيله.

وأماخفض: فقيل: إنه معطوف على لفظ ﴿السَّاعَةِ﴾، ويحتمل أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾.

وأما الرفع: فقيل: إنه مبتدأ، وخبره ما بعده. وضعف الزمخشري ذلك كله، وقال: إنه من باب القسم، فالنصب والخفض: على إضمار حرف القسم كقولك: «الله لأضربن زيداً»<sup>(٣)</sup>، والرفع: كقولهم: «أيمُنُ الله» و«لعمرك».

(١) قرأ حمزة وعاصم بالخفض، وقرأ الباقون من السبعة بالنصب، وقرئ في الشاذ بالرفع، وهي قراءة الأعرج وأبي قلابه ومجاهد. المحرر الوجيز (٥٦٧/٧).

(٢) فيكون التقدير: عنده علم الساعة وعلم قيله. الكشاف (١٨٦/١٤).

(٣) عبارة الكشاف (١٨٦/١٤): «الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه»، وقال البيضاوي في تفسيره (٢٥٨/٣): «منصوبٌ بحذف الجار، أو مجرورٌ بإضماره» فعبارة البيضاوي فيها توضيح لعبارة الزمخشري، فقوله: «الله لأضربن زيداً» مجرورٌ بحرف جرٍّ مضمَر (مقدَّر)، وقوله: «الله لأضربن زيداً» منصوبٌ على حذف حرف الجر، حُذِفَ الجارُ فانتصب المجرور، فيبين بهذا أن عبارة ابن جزي فيها شيء من الاختزال.

وجواب القسم: قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، كانه قال: أقسم بقبيله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون<sup>(١)</sup>.

﴿بَاضِغَ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف.

﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ تقديره: أمري سلام، أي: مسالمة، وقيل: «سلامٌ عليكم» على جهة المودة، وهو منسوخ على الوجهين.

﴿بَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد.



(١) الكشف (١٤/١٨٥-١٨٧).

## سُورَةُ الدَّخَانِ

جِمْ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٦﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٨﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴿٩﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ أَتَى لَهُمُ الْدُخْرَى وَفَزَجَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٣﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا لَأَنْتُمْ عَائِدُونَ ﴿١٤﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِيهِمْ قَوْمٍ مُرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٦﴾ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى اللَّهِ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّهُ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَإِنَّهُ عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ وَأَنْ تَرْجُمُوهُ ﴿١٩﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي بِأَعْتَرَلَوْهُ ﴿٢٠﴾ بَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَلْؤَلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢١﴾ بَاسِرٍ بِعِبَادِهِ لِيَلَا أَنْتُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَاتَّخَذَ الْبَحْرُ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٣﴾ \* كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٤﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا يَكْتُمُونَ ﴿٢٦﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٧﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٨﴾

﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ذكر في «الزخرف»<sup>(١)</sup>. وهو قسم جوابه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، وقيل: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، وهو بعيد.

﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ يعني: ليلة القدر من رمضان. وكيفية إنزاله فيها: أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ شيئاً بعد شيء،

(١) انظر تفسير الآية (١).

وقيل: معناه أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر. وقيل: يعني بالليلة المباركة: ليلة النصف من شعبان، وذلك باطل؛ لقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] مع قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٤].

﴿وَبِهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ معنى ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفَصَّلُ وَيُخَلَّصُ. والأمر الحكيم: أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم في ذلك العام، تُنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر؛ ليمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة. وقد قيل: إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان، وهو باطل لما قدمنا.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ مفعول بفعل مضمر على الاختصاص، قاله الزمخشري<sup>(١)</sup>، وقال ابن عطية: نصب على المصدر<sup>(٢)</sup>، وقيل: على الحال.

﴿مُرْسِلِينَ﴾ من إرسال الرسل ﷺ، وقيل: من إرسال الرحمة، والأول أظهر.

﴿بَارَتْقَبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما قول علي بن أبي طالب<sup>(٣)</sup> وابن عباس<sup>(٤)</sup> ﷺ: أن الدُّخَانَ يكون قبل يوم القيامة، يصيب المؤمن منه مثل الزكام، ويُنضج رؤوس الكافرين والمنافقين، وهو من أشرار الساعة، وروى حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول آيات<sup>(٥)</sup> الساعة الدُّخَانُ»<sup>(٦)</sup>.

والثاني قول ابن مسعود ﷺ: إن الدُّخَانَ عبارة عما أصاب قريشاً حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجدب، فكان الرجل يرى دخاناً بينه وبين السماء من شدة الجوع، قال ابن مسعود ﷺ: خمسٌ قد مَضَيْنَ: الدخان، واللُّزَامُ، والبَطْشَةُ، والقمر، والرُّوم<sup>(٧)</sup>.

(١) الكشف (١٤/١٩٤).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٥٧٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/١٨١)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٢٨٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/١٨-١٩)، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير (٧/٢٤٩) وصحح إسناده-، والحاكم (٨٤١٩) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي في الدر المنثور (١٣/٢٦٦).

(٥) في أ، هـ: «أشراط».

(٦) أخرجه الطبري (٢١/١٩) وضعفه، وقال ابن كثير في تفسيره (٧/٢٤٨): «موضوع».

(٧) أخرجه البخاري (٤٨٢٥)، ومسلم (٢٧٩٨).

﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون من قول الله تعالى، أو من قول الناس لما أصابهم الدخان، وهذا أظهر؛ لأن ما بعده من كلامهم باتفاق، فيكون الكلام متناسقاً.

﴿أَبْنَى لَهُمُ الذَّكْرَى﴾ هذا من كلام الله تعالى، ومعناه: استبعاد تذكر الكفار مع تكذيبهم للنبي ﷺ. والواو في قوله: ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ واو الحال.

﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿وَقَالُوا مَعْلَمٌ﴾ أي: يُعَلِّمُهُ بشر.

﴿الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾ ابن عباس ؓ: هي يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

ابن مسعود ؓ: هي يوم بدر.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ فعلنا معهم فعل المختبر؛ ليظهر منهم ما سبق في علمنا<sup>(٢)</sup>.

﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يعني: موسى ؑ.

﴿أَن آذُوا إِلَىٰ عِبَادَ اللَّهِ﴾ ﴿أَن﴾ هنا مفسرة نابت مناب القول، و﴿آذُوا﴾ فعل أمر من الأداء، و﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ مفعول به، وهم بنو إسرائيل، والمعنى: أرسلوا بني إسرائيل، كما قال في «طه»: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [طه: ٤٦]. وقيل: ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ منادى، والمعنى: أذوا إليَّ الطاعة والإيمان يا عباد الله، والأول أظهر.

﴿وَأَن لَّا تَغْلُوا﴾ أي: لا تتكبروا.

﴿بِسُلْطٰنٍ﴾ أي: حجة وبرهان.

﴿تَرْجُمُوهُ﴾ اختلف هل معناه: الرجم بالحجارة أو السب؟ والأول أظهر.

﴿فَاغْتَرَلُوهُ﴾ أي: اتركوني، وخلّوا سبيلي.

(١) أخرجه الطبري (٢٧/٢١) عن عكرمة قال: قال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرى: يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة. وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (٢٦٩/١٣).

(٢) من قوله ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ إلى هنا سقط من أ، ب، ج، هـ.



﴿بَاسِرٍ بِعِبَادِهِ﴾ هذا أمرٌ من الله لموسى ﷺ، والعباد هنا: بنو إسرائيل، أي: أخرج بهم بالليل.

﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ إخبارٌ أن فرعون وجنوده يتبعونهم.

﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: ساكنًا على هيئته، وقيل: يابسًا. وروي أن موسى ﷺ لما جاوز<sup>(١)</sup> البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق، كما ضربه فانفلق، فقال الله له: اتركه كما هو؛ ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا<sup>(٢)</sup>. وقيل: معنى ﴿رَهْوًا﴾: سهلاً، وقيل: منفرجًا.

﴿وَعُيُونٍ﴾ يحتمل أن يريد الخُلُجَان الخارجة من النيل، أو كانت ثمَّ عيونٌ في ذلك الزمان. وقيل: يعني: الذهب والفضة، وهو بعيد.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان: المنابر، والمساكن الحسان.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ من التنعم بالأرزاق وغيرها.

﴿بَكْهَيْنَ﴾ أي: متنعمين، وقيل: فرحين<sup>(٣)</sup>، وقيل: أصحاب فاكهة.

﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع نصب؛ أي: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم، أو في موضع رفع؛ تقديره: الأمر كذلك.

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يعني: بني إسرائيل، حكاه الزمخشري<sup>(٤)</sup> والماوردي<sup>(٥)</sup>، وضعفه ابن عطية، قال: لأنه لم يُرَوْ في مشهور التواريخ أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في ذلك الزمان<sup>(٦)</sup>. وقد قال الحسن: إنهم رجعوا إليها<sup>(٧)</sup>. ويدلُّ على أن المراد بنو إسرائيل قوله في الشعراء: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

(١) في د: «جاز».

(٢) أخرجه الطبري (٣٤/٢١) عن قتادة.

(٣) في أ، ج: «فارحين».

(٤) الكشف (٢١٢/١٤).

(٥) النكت والعيون للماوردي (٢٥٢/٥).

(٦) المحرر الوجيز (٥٧٧/٧).

(٧) عزاه في المحرر الوجيز (٥٧٧/٧) إلى تفسير الثعلبي، ولم أقف عليه في تفسيره ولا في غيره.

﴿بَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه عبارة عن تحقيرهم، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه: «بكت عليه السماء والأرض» على وجه المجاز والمبالغة، فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك؛ لأنهم أحقر من أن يُبالى بهم.

الثاني: قيل: إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته، ومن السماء موضع صعود عمله<sup>(١)</sup>، فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك؛ لأنهم كفارٌ ليس لهم عمل صالح.

الثالث: أن المعنى: ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض.

والأول أفصح، وهو متزعزعٌ معروفٌ في كلام العرب.

﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ أي: مؤخرين.



(١) أخرجه الطبري (٤١/٤١) وما بعدها، عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم.

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣١﴾ مِنْ دُرْعُونَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِينَ ﴿٣٢﴾  
 وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَيَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا بِهِ بَلَاغٌ مُبِينٌ ﴿٣٤﴾  
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ بَاتُوا بِآبَائِنَا إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا  
 مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ  
 وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْ  
 مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

﴿٣١﴾ من دُرْعُونَ بدل من «الْعَذَابِ».

﴿٣٢﴾ عاليًا أي: متكبرًا.

﴿٣٣﴾ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ أي: كنّا عالمين بأنهم مستحقون لذلك.

﴿٣٤﴾ عَلَى الْعَالَمِينَ أي: على أهل زمانهم.

﴿٣٥﴾ بَلَاغٌ مُبِينٌ أي: اختبار.

﴿٣٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يعني: كفار قريش.

﴿٣٧﴾ بَاتُوا بِآبَائِنَا خاطبت قريش بذلك النبي ﷺ وأصحابه على وجه التّعجيز. وروي  
 أنهم طلبوا أن يُخَيَّرَ لهم قصي بن كلاب؛ ليسألوه عن الآخرة<sup>(١)</sup>.

﴿٣٨﴾ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ كان تبع ملكًا من حِمَيْرَ، وكان مؤمنًا وقومه كفارًا، فذمَّ الله  
 قومه ولم يذمه. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أدري أكان تبع نبيًا أو غير نبي»<sup>(٢)</sup>.  
 ومعنى الآية: أقرش أشدُّ وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار؟ وقد أهلكنا قوم

(١) أخرجه الطبري (٨٧/١٥) ضمن أثر طويل من رواية ابن إسحاق، قال: حدثني شيخ من أهل مصر، عن  
 عكرمة، عن ابن عباس ؓ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٨٩/١٥)، والحاكم (١٠٤) وصححه ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة ؓ، وهو  
 عند أبي داود وابن أبي حاتم والحاكم (٢١٧٤) أيضًا عن أبي هريرة ؓ، بلفظ: «ما أدري تبع النبي هو أم لا»،  
 وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.



تبع وغيرهم لما كفروا، فكذلك تُهلك هؤلاء، فمقصود الكلام<sup>(١)</sup> تهديد.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿قَوْمٌ تَبِعَ﴾، وقيل: هو مبتدأ، فيوقف قبله، والاول اصح.

﴿لَعَبِيبٍ﴾ حالٌ منفية، ذكرت في «الانبياء»<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى﴾ المولى هنا: يعم الولي والقريب وغير ذلك من الموالي.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ استثناء منقطع: إن أراد بقوله: ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ الكفار، ومتصل: إن أراد بذلك جميع الناس.



(١) في د: «فمقصود الآية».

(٢) انظر تفسير الآية (١٦).

إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ طَعَامُ الْآثِمِ ﴿١٥﴾ كَالْمُهْلِ تَغْلِيهِ فِي الْبُظُورِ ﴿١٦﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿١٧﴾ خَذُوهُ  
بَاغْتُلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ثُمَّ صُبُّوا قَوْقُ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿١٩﴾ ذِي لَئِكٍ أَنْتَ  
الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٢٠﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْمُتَّفِينَ فِي مَقَامِ آمِينَ ﴿٢٢﴾ فِي  
جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٣﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرِيِّ مُتَقَابِلِينَ ﴿٢٤﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِخُورٍ  
عِينٍ ﴿٢٥﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينَ ﴿٢٦﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى  
وَوَفَّيْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٢٧﴾ فَضْلًا مِمَّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٨﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ  
بِلَيْسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٩﴾ بَارِئِينَ لَّهُمْ مُزَفَّيُونَ ﴿٣٠﴾

﴿طَعَامُ الْآثِمِ﴾ أي: الفاجر، وهو من الإثم. وقيل: يعني: أبا جهل، فالألف واللام  
للعهد، والأظهر أنها للجنس؛ فتعمُّ أبا جهل وغيره.

﴿كَالْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت<sup>(١)</sup>، وقيل: ما يذوب<sup>(٢)</sup> من الرصاص وغيره.

﴿بَاغْتُلُوهُ﴾ أي: سوقوه بتعنيف.

﴿ثُمَّ صُبُّوا قَوْقُ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ المصبوب في الحقيقة إنما هو الحميم، وهو  
الماء الحار، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازاً؛ لأن ذلك  
أبلغ وأشدَّ تهويلاً، وقد جاء الأصل في قوله: ﴿يُصَّبُّ مِنْ قَوْقُ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

﴿ذِي لَئِكٍ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ يقال للكافر هذا على وجه التوبيخ والتهكم به، أي:  
كنت العزيز الكريم عند نفسك. وروي أن أبا جهل قال: ما بين جبلتيها أعزُّ مني ولا أكرم،  
فنزلت الآية<sup>(٣)</sup>.

﴿تَمْتَرُونَ﴾ تَفْتَعِلُونَ من المربة، وهو الشك.

﴿فِي مَقَامِ آمِينَ﴾ قرئ بضم الميم<sup>(٤)</sup>، أي: موضع إقامة، وبفتحها، أي: موضع قيام،

(١) هو ما يبقى في أسفله. لسان العرب (درد).

(٢) في أ، هـ: «ما يُذاب».

(٣) أخرجه الطبري (٦١/٢١) عن قتادة.

(٤) قرأ نافع وابن عامر بضم الميم، وقرأ الباقون بفتحها.

والمراد به: الجنة. والأمين: من الأمن، أي: مأمون فيه، وقيل: من الأمانة، وصف به المكان مجازًا.

﴿مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السُّندس: الرقيق من الديباج، والإستبرق: الغليظ منه.

﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع رفع؛ أي: الأمر كذلك، أو في موضع نصب؛ أي: مثل ذلك زوجناهم.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ أي: يدعون خدامهم.

﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ استثناء منقطع، والمعنى: لا يذوقون فيها الموت، لكنهم قد ذاقوا الموت الأولى خاصة قبل ذلك، ولولا قوله: ﴿فِيهَا﴾ لكان متصلًا؛ لعموم لفظ الموت. وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى: بعد، وذلك ضعيف.

﴿يَسَّرَتْهُ﴾ الضمير للقرآن.

﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك، وهي لسان العرب.

﴿بَارِئِينَ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ أي: ارتقب نصرنا لك؛ إنهم مرتقبون ضد ذلك، ففيه وعد له ووعيد لهم.



## سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

جَمَّ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ  
 ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ  
 اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَضْرِبُ الرِّيحُ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ  
 ﴿٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُمِنُونَ ﴿٥﴾ وَذُلَّ  
 لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا  
 فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٨﴾  
 مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ  
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾

﴿تَنْزِيلٌ﴾ ذكر في «الزمر»<sup>(١)</sup>. وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات، وقد ذكر معناه في مواضع.

﴿وَذُلَّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الأفَّاك: مبالغة من الإفك، وهو الكذب، والأثيم: من الإثم. وقيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث، ولفظها على العموم.

﴿يُصِرُّ﴾ أي: يدوم على حاله من الكفر. وإنما عطفه بـ﴿ثُمَّ﴾؛ لاستعظام الإصرار على الكفر بعد سماع آيات الله، واستبعاد ذلك في العقل والطبع.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾ أي: إذا بلغه شيء منها، ولم يرد العلم الحقيقي.

﴿مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ كقوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ٢٠]، وقد ذكر في «إبراهيم».



(١) انظر تفسير الآية (١).

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ بَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ \* قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا  
كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ مَن عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٨﴾  
وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ  
عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ قَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً  
بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَفْضِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِيَّاهُ كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ  
شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ  
شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٢﴾ هَذَا بَصِيرَتِ لِلنَّاسِ وَهُدًى  
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٤﴾

﴿٢٤﴾ «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» يعني: الشمس والقمر والملائكة وبني آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك.

﴿جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ أي: كل نعمة فمن الله تعالى. والمجرور في موضع الحال، أو خبر ابتداء مضمرة. وقرأ ابن عباس عليه السلام: «مِنَّة» <sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار، وأن لا يؤاخذوهم إذا آذوهم، وكان ذلك في صدر الإسلام، ف قيل: إنها منسوخة بالسيف، وقيل: ليست بمنسوخة؛ لأن احتمال الأذى مندوبٌ إليه على كل حال، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك. وروي: أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، شتمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به <sup>(٢)</sup>.

(١) حكاها أبو الفتح ابن جني عنه عليه السلام في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/٢٦٢)، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٧/٥٩٣): «وقال أبو حاتم [السجستاني]: سند هذه القراءة إلى ابن عباس عليه السلام مظلم».

(٢) ذكره الثعلبي (٢٤/١٤)، والواحدي في البسيط (٢٠/١٣٨) عن ابن عباس عليه السلام في رواية عطاء، وعن مقاتل.



و﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ هي نَعْمُهُ<sup>(١)</sup>، ف﴿يَرْجُونَ﴾ على أصله، وقيل: ﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ عبارة عن عقابه، فالرجاء بمعنى الخوف. و﴿يَغْفِرُوا﴾ مجزومٌ في جواب شرط مقدر، دلّ عليه: ﴿قُلْ﴾<sup>(٢)</sup>. قال الزمخشري: حذف معمول القول، والمعنى: قل لهم اغفروا يغفروا<sup>(٣)</sup>.

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الفاعل بـ﴿يَجْزِي﴾ ضميرٌ يعود على الله. وقرئ بنون المتكلم<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عطية: إن الآية وعيد<sup>(٥)</sup>، فالقوم على هذا: هم الذين لا يرجون أيام الله، و﴿يَكْسِبُونَ﴾ يعني: السيئات. وقال الزمخشري: القوم: هم الذين آمنوا، وجزاؤهم: الثواب؛ ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بكظم الغيظ واحتمال المكروه<sup>(٦)</sup>.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٧)</sup>.

﴿يَتَّبِعُ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: معجزاتٍ من أمر الدين.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ أي: على ملةٍ ودين.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا للإنكار، و﴿اجْتَرَحُوا﴾ اكتسبوا. والمراد بـ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: الكفار؛ لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية، وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين، ولذلك يُذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يردّها ويكي طول الليل، ويقول لنفسه: من أيّ الفريقين أنت؟!<sup>(٨)</sup>

ومعناها: إنكار ما حَسِبَهُ الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواءً في المحيا والممات.

(١) في المحرر الوجيز (٧/ ٥٩٤): «أيام إنعامه ونصره وتنعيمه في الجنة وغير ذلك».

(٢) تقديره: «قل اغفروا، فإن يجيبوا يغفروا» المحرر الوجيز (٧/ ٥٩٤).

(٣) الكشف (١٤/ ٢٤٦).

(٤) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالنون، وقرأ الباقر بالباء.

(٥) المحرر الوجيز (٧/ ٥٩٥).

(٦) الكشف (١٤/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٧) انظر تفسير الآية (٤٦).

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٤/ ٢٢).

وفي تأويلها مع ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد: ليس المؤمنون سواء مع الكفار، لا في المحيا ولا في الممات؛ فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة، والكافرين عاشوا على الكفر والمعصية، وكذلك مماتهم ليس سواء.

والقول الآخر: أنهم إن استووا في المحيا -أي: في أمور الدنيا من الصحة والرزق-، فلا يستوون في الممات، بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون، فالمراد بها: إثبات الجزاء في الآخرة، وتفضيل المؤمنين على الكفار في الآخرة، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح، فيكون معنى الآية كقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، وكقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

﴿سَوَاءٌ مَّخْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هذه الجملة بدل من الكاف في قوله: ﴿كَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وهي مفسرة للتشبيه، وهي داخلة فيما أنكره الله مما حسبه الكفار. وقيل: هي كلام مستأنف؛ والمعنى على هذا: أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء، وأن محيا الكفار ومماتهم سواء؛ لأن كل أحد يموت على ما عاش عليه، وهذا المعنى بعيد، والصحيح: أنها من تمام ما قبلها، على المعنى الذي اخترناه.

وأما إعرابها: فمن قرأ ﴿سَوَاءٌ﴾ بالرفع<sup>(١)</sup>: فهو مبتدأ، وخبره ﴿مَّخْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾، والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولاً ثانياً لـ ﴿نَجْعَلُ﴾.

ومن قرأ ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب: فهو حال، أو مفعول ثانٍ لـ ﴿نَجْعَلُ﴾، و﴿مَّخْيَاهُمْ﴾ فاعل بـ ﴿سَوَاءٌ﴾؛ لأنه في معنى: مستو.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساء حكمهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين.



(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع.

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥١﴾  
 أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْيَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ  
 بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا  
 نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٥٣﴾ \* وَإِذَا  
 تُثْلَىٰ عَلَيْهِمْ ذَوَاتُنَا يَنبَغُ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِثْنَا بِثَابِتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
 ﴿٥٤﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ  
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

﴿٥١﴾ «وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ» معطوف على قوله: «بِالْحَقِّ»؛ لأن فيه معنى التعليل، أو على  
 تعليل محذوف تقديره: خلق الله السماوات والأرض؛ ليدل بهما على قدرته، ولتُجْزَىٰ كل  
 نفس بما كسبت.

﴿٥٢﴾ «إِتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْيَهُ» أي: أطاعه حتى صار له كإله<sup>(١)</sup>.

«وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ» أي: على علم من الله سابق، وقيل: على علم من هذا الضال بأنه  
 على ضلال، ولكنه يتبع الضلال معاندةً.

«وَخَتَمَ» ذكر في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

«فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ» قال ابن عطية: فيه حذف مضافٍ تقديره: من بعد إضلال الله  
 إيَّاه<sup>(٣)</sup>. ويحتمل أن يريد: فمن يهديه غير الله.

﴿٥٣﴾ «وَقَالُوا» الضمير: لمن اتخذ إلهه هواه، أو لقريش.

«نَمُوتُ وَنَحْيَا» فيه أربع تأويلات: أحدها: أنهم أرادوا: يموت منّا قوم ويحيا قوم.  
 والآخر: نموت نحن ويحيا أولادنا. والثالث: نموت حين كنا عدماً أو نُطَقاً، ونحيا في الدنيا.

(١) في د: «كالإله».

(٢) انظر تفسير الآية (٦).

(٣) المحرر الوجيز (٦٠١/٧).

والرابع: نموت الموت المعروف، ونحيا قبله في الدنيا، فوقع في اللفظ تقديم وتأخير. ومقصودهم على كل وجه: إنكار الآخرة. ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية؛ لقولهم: ﴿وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآية.

﴿قَالُوا ابْتِئَا بِآبَائِنَا﴾ ذكر في «الدخان»<sup>(١)</sup>.

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ الآية؛ ردَّ على المنكرين للحشر، واستدلال على وقوعه بقدره الله تعالى على الإحياء والإماتة.



(١) انظر تفسير الآية (٣٤).

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِرُ يَخْسِرُ الْمُبِطُونَ ﴿١٦﴾ وَتَبَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَانِبَهُ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطُوقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلُو عَلَيْهِمْ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا فِئَلٌ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا فَلْتُم مَّا نَذِرَ مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُلْ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْفِينَ ﴿٢١﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٢﴾ وَفِىلَ الْيَوْمِ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِيَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ تَلْوِينٍ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ إِتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّثْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْيَوْمِ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾

﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ﴿٢٩﴾ أَي: تَجْثُو عَلَى الرُّكْبِ، وَتَلِكْ هَيْئَةُ الْخَائِفِ الذَّلِيلِ.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ أي: إلى صحائف أعمالها. وقيل: إلى الكتاب المنزل عليها، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الآية. فإن قيل: كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى؟ فالجواب: أنه أضافه إليهم؛ لأن أعمالهم ثابتة فيه، وأضافه إلى الله؛ لأنه تعالى مالكه، وهو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة الحافظين بكتابة أعمالكم. وقيل: إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ، ثم يُمسكونه عندهم، فتأتي أفعال العباد على نحو ذلك فتكتبها أيضًا الملائكة، فذلك هو الاستنساخ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يحتج على ذلك بأن يقول: لا يكون الاستنساخ إلا من أصل<sup>(١)</sup>.

﴿أَبْلَمْ تَكُنْ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

(١) أخرجه الطبري (٢١/١٠٤).

﴿وَحَاقٌ﴾ ذكر مراراً<sup>(١)</sup>.

﴿الْيَوْمَ نَنْسِيكُمْ﴾ النسيان هنا بمعنى: التَّرك. وأما في قوله: ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ فيحتمل أن يكون: بمعنى التَّرك، أو الذُّهول.

﴿وَلَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ﴾ من العُتْبَى، وهي الرضا.



(١) انظر المادة (١٣٧) في اللغات، وتفسير الآية (٤٨) من سورة الزمر.

## سُورَةُ الْأَخْفَافِ

جَمَّ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٢﴾ فَلَآ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ لِيَتَوَيَّعَ بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا ثَلَبَ عَلَيْهِمْ دَعَائِنَا بَيَّنَّتْ قَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَافَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾ فَلَآ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّن الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِيَكُم دَ إِنِ اتَّبِعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٨﴾ فَلَآ أَرَأَيْتُمْ دَ إِن كَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ بِآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ دَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٩﴾

﴿تَنْزِيلُ﴾ ذكر في «الزمر»<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ذكر مراراً<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

(١) انظر تفسير الآية (١).

(٢) انظر تفسير الآية (٥) من سورة يونس، وتفسير الآية (٨٥) من سورة الحجر، وتفسير الآية (٢٦) من

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾ احتجاج على التوحيد، وردّ على المشركين، فالأمر بمعنى التعجيز.

﴿شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: نصيب.

﴿إِيتُونِي بِكِتَابٍ﴾ تعجيز؛ لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراف بالله، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد.

﴿أَوْ آثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من علم قديم يدل على ما تقولون. وقيل: معناه من علم تُثيرونه، أي: تستخرجونه، وقيل: هو الإسناد، وقيل: هو الخط في الرمل، وكانت العرب تتكهن به، وقال رسول الله ﷺ: «كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل؛ فمن وافق خطه فذاك»<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الآية؛ معناها: لا أحد أضل ممن يدعو إليها لا يستجيب له، وهي الأصنام؛ فإنها لا تسمع ولا تعقل، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم؛ لأنها لا تسمعه.

﴿وَإِذَا حَشَرَ النَّاسَ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي: كان الأصنام أعداء للذين عبدوها.

﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَاهِنِينَ﴾ الضمير في «كَانُوا» للأصنام، أي: تبرأ الأصنام من الذين عبدوها. وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء؛ لأنه أسند إليهم ما يُسند إلى العقلاء، من الاستجابة والغفلة والعداوة.

﴿قُلْ إِنْ إِفْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبة لا تقدر على دفعها، ولا تملكون شيئاً من ردّها، فكيف أفتريه وأتعرض لعقاب الله؟ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تتكلمون به، يقال: أفاض الرجل في الحديث: إذا خاض فيه واستمر.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ البِدْعُ والبديع من الأشياء: ما لم يُر مثله، أي: ما كنت أوّل رسول، ولا جئت بأمر لم يجر به أحد قبلي، بل جئت بما جاء به قبلي ناسٌ كثيرون؛ فلا شيء تنكرون ذلك؟!

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.



﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفَعَّلُ بِهِ وَلَا بِكُمْ﴾ فيها أربعة أقوال:

الأول: أنها في أمر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار، وهذا بعيد؛ لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله.  
الثاني: أنها في أمر الدنيا، أي: لا أدري بما يقضي الله عليّ وعليكم؛ فإن مقادير الله مغيبة، وهذا هو الأظهر.

الثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي، وما تلزمه الشريعة.  
الرابع: أن هذا كان في الهجرة؛ إذ كان رسول الله ﷺ قد رأى في النوم أنه يهاجر إلى أرض نخل، فقلق المسلمون لتأخر ذلك، فنزلت هذه الآية.  
﴿فَلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ معنى الآية: أرايتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به، أستم ظالمين؟ ثم حذف قوله: «أستم ظالمين» وهو الجواب؛ لأنه دلّ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، والمعنى: أرايتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله، مع شهادة شاهد من بني إسرائيل على مثله، ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم، أستم أضلّ الناس وأظلم الناس؟ واختلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عبد الله بن سلام ؑ، ف قيل على هذا: إن الآية مدنية؛ لأنه إنما أسلم بالمدينة، وقيل: إنها مكية، وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر، وكان عبد الله بن سلام ؑ يقول: في نزلت الآية<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة.

الثالث: أنه موسى ؑ، ورجّح ذلك الطبري<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٢١/١٢٧)، والترمذي (٣٢٥٦) وقال: «غريب».

(٢) تفسير الطبري (٢١/١٣١).

والضمير في ﴿مِثْلِهِ﴾ للقرآن، أي: شهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد. والضمير في ﴿ءَامَنَ﴾ للشاهد، فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر: فإيمانه بيّن، وإن كان موسى عليه السلام فإيمانه: هو تصديقه بأمر محمد ﷺ وتبشيره به.



وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ سَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ \* وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي اتَّبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ إِفْكٌ لَّكُمَا اتَّعَذَّبْنِي أَنْ أَخْرِجَ وَقَدْ خَلْتُ الْفُرُونَ مِنْ قَبْلِهِ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِينَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِتُزَوِّجَهُمْ دَأْمَهُمْ وَأَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَبْسُفُونَ ﴿١٠﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي: لو كان الإسلام خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء. والقائلون لهذه المقالة: هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء؛ كبلال، وعمار، وصهيب رضي الله عنهم. وقيل: بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة، وقيل: بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه، والأول أرجح؛ لأن الآية مكية، وكانت مقالة قريش بمكة، وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة. ومعنى ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: من أجل الذين آمنوا، أي: قالوا ذلك عنهم في غيبتهم، وليس المعنى: أنهم خاطبواهم بهذا الكلام؛ لأنه لو كان خطابًا لقالوا: «ما سبقتمونا».

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ سَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: لما لم يهتدوا به قالوا: هذا إفك قديم،

ونحو هذا ما جاء في المثل: «مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ». ووصفوه بِالْقَدَم؛ لأنه قد قيل قديماً. فإن قيل: كيف عَمِلَ «بَسَيَقُولُونَ» في «إِذْ» وهي للماضي والعامل مستقبل؟ فالجواب: أن العامل في «إِذْ» محذوف، تقديره: «إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ظَهَرَ عَنَادُهُمْ، فَيَقُولُونَ...»، قال ذلك الزمخشري<sup>(١)</sup>.

ويظهر لي: أن «إِذْ» هنا بمعنى التعليل، لا ظرفية بمعنى الماضي، فلا يلزم السؤال، والمعنى: أنهم قالوا: هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به، وقد جاءت «إِذْ» بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب، ومنه: «وَلَنْ يَنْبَغَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ» [الزخرف: ٣٨] أي: بسبب ظلمكم.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الضمير في «قَبْلِهِ» للقرآن، و«كَتَبَ مُوسَىٰ» هو التوراة، و«إِمَامًا» حال، ومعناه: يُقْتَدَى به.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ الإشارة بـ «هَذَا» إلى القرآن. ومعنى «مُصَدِّقٌ»: صدق ما قبله من الكتب، وقد ذكرنا ذلك في «البقرة»<sup>(٢)</sup>. و«لِّسَانًا» حال من الضمير في «مُصَدِّقٌ»، وقيل: مفعول بـ «مُصَدِّقٌ»؛ أي: صدق ذا لسان عربي، وهو محمد ﷺ، واختار هذا ابن عطية<sup>(٣)</sup>.

﴿إِسْتَفْتُوا﴾ ذكر في «حم السجدة»<sup>(٤)</sup>.

﴿حُسْنًا﴾ ذكر في «العنكبوت»<sup>(٥)</sup>.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ أي: حملته بمشقة ووضعته بمشقة. ويقال: كره بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد<sup>(٦)</sup>.

(١) الكشاف (٢٨١/١٤-٢٨٣).

(٢) انظر تفسير الآية (٤٠).

(٣) المحرر الوجيز (٦١٦/٧).

(٤) انظر تفسير الآية (٢٩).

(٥) انظر تفسير الآية (٧).

(٦) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر بفتح الكاف، وقرأ الباقر بضمها.

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مدة حملة ورضاعه ثلاثون شهرًا، وهذا لا يكون إلا بأن ينقص من أحد الطرفين، وذلك إما أن تكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر. ومن هذا أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام والعلماء: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر<sup>(١)</sup>. وإنما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام؛ لأنه منتهى الرضاع.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر في «يوسف»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ هذا حدُّ كمال العقل والقوة. ويقال: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق عليه السلام<sup>(٣)</sup>، وقيل: إنها عامة.

﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أي: في جملة أصحاب الجنة، كما تقول: «رأيت فلانًا في الناس»، أي: مع الناس.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أَفِ لَكُمْ﴾ قال مروان بن الحكم: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كفره<sup>(٤)</sup>، كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما: «أف لكم»، وأنكرت عائشة عليها السلام ذلك وقالت: «والله ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي»<sup>(٥)</sup>. ويُبطل ذلك قطعاً قوله تعالى: ﴿وَلَيْكُمُ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين، وكان له في الجهاد غناء عظيم، وقال السدي: ما رأيت أعبد منه<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٢٠/٦٥٧)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٢٩٣)، ومالك في الموطأ (٢٤٧٦) بلاغاً.

(٢) انظر تفسير الآية (٢٢).

(٣) ذكره الطبري (٢١/١٤١) قولاً لم يسنده، وفي الدر المنثور (١٣/٣٢٦): «أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس عليه السلام»، وأخرجه الثعلبي بإسناده (٢٤/٨٣) عن علي عليه السلام.

(٤) في د: «كفر».

(٥) أخرجه البخاري (٤٨٢٧).

(٦) لم أقف على مصدر هذا القول، والسدي أدرك زمان عبد الرحمن بن أبي بكر عليه السلام، فإنه قد أدرك سعد بن أبي وقاص عليه السلام كما في تهذيب الكمال للمزي (٣/١٣٧)، وسعد توفي سنة (٥٥هـ) كما في السير للذهبي (١/١٢٣)، وعبد الرحمن مات بعد سعد، ففي صحيح مسلم (٢٤٠) أنه دخل على عائشة يوم مات سعد. توفي (٥٨هـ) =

وقال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في ابن أبي بكر، ولم يسمه <sup>(١)</sup>. ويرد ذلك: ما ذكرنا عن عائشة رضي الله عنها. وقيل: هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدل على أنها عامة قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بصيغة الجمع، ولو أراد واحداً بعينه لقال: «ذلك الذي حق عليه القول». وقد ذكرنا ﴿تَبَّ﴾ في «الإسراء» <sup>(٢)</sup>.

﴿أَتَعِدَّنِي أَنْ أَخْرَجَ﴾ أي: أتعذاني أن أخرج من القبر للبعث.

﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ أي: قد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد.

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَنِ اللَّهَ﴾ الضمير لوالديه، أي: يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقوله ابنهما، ثم يقولان له: ﴿وَيْلَكَ﴾، ثم يأمرانه بالإيمان، ﴿بَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: قد سطره الأولون في كتبهم، وذلك تكذيب بالبعث والشرعة.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: للمحسنين والمسيئين درجات في الآخرة بسبب أعمالهم، فدرجات أهل الجنة إلى علو، ودرجات أهل النار إلى سفلى.

﴿وَلِنُوفِيهِمْ﴾ تعليل لفعل محذوف، وبه يتعلق، تقديره: جعل جزاءهم درجات؛ ليوفيهم <sup>(٣)</sup> أعمالهم.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ العامل فيه محذوف، تقديره: اذكر.

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ تقديره: يقال لهم: أذهبت طيباتكم.

والطيبات هنا: الملاذ من المأكول وغيرها.

وقرى ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾: بهمزة واحدة على الخبر، وبهمزتين على التوبيخ <sup>(٤)</sup>. والآية في الكفار؛ بدليل قوله: ﴿يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وهي مع ذلك واعظة لأهل التقوى من

= بعد سعد وقبل عائشة رضي الله عنهما كما في التاريخ الكبير للبخاري (٢٤٢/٥)، فيدل هذا على أنه رؤية السدي لعبد الرحمن ممكنة، غير أني لم أقف على مصدر لهذا القول الذي أورده ابن جزي.

(١) أخرجه الطبري (١٤٤/٢١) من طريق العوفي عنه رضي الله عنه.

(٢) انظر تفسير الآية (٢٣).

(٣) في د: «لنوفيهم».

(٤) قرأ ابن كثير وابن عامر بهمزتين على الاستفهام، وقرأ الباقر بهمزة واحدة على الخبر.

المؤمنين، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله رضي الله عنه وقد رآه اشترى لحماً: أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية؟<sup>(١)</sup>

﴿عَذَابَ الْهُوْلِ﴾ أي: العذاب الذي اقترن به هوانٌ.



(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/١٩٦)، ومالك (٢٦٥٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٠١٢)، والحاكم (٣٦٩٨).

﴿وَاذْكُرْ آخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَابِ وَقَدْ خَلَّتِ الْثُذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿فَالَوْ أَجِئْتَنَا لِنَاكِحَنَّا عَنْ آلِهَتِنَا بِأَتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَابْلُغْكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِفًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ بَيْنَهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَكِنَتَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ بَيْنَمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفِيدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفِيدَتُهُمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا هُودَ أَلَمْ يَأْتِكَ اللَّهُ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

﴿وَاذْكُرْ آخَا عَادٍ﴾ يعني: هودًا.

﴿بِالْأَحْقَابِ﴾ جمع حَقْفٍ، وهو الكُدُس من الرمل. واختلف أين كانت؟ فقيل: بالشام، وقيل: بين عُمان ومهرة، وقيل: بين عُمان وحَضْرَمَوْت، والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن. ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْثُذُرُ﴾ أي: تقدّمت من قبله ومن بعده. و﴿الْثُذُرُ﴾ جمع نذير. فإن قيل: كيف يُصَوِّر تقدّمها من بعده؟

فالجواب: أن هذه الجملة اعتراض، وهي إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رسلاً متقدّمين قبل هود عليه السلام، وبقيل: معنى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: في زمانه.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: قال: إن العذاب الذي قلتُم اتينا به ليس لي علم متى يكون، وإنما يعلمه الله، وما عليّ إلا أن أبلغكم ما أُرسلت به.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ العارض: السحاب الذي يعرض في أفق السماء. والضمير في ﴿رَأَوْهُ﴾ يعود على ﴿مَا تَعِدُنَا﴾، أو على المرئي المبهم الذي فسّره قوله: ﴿عَارِضًا﴾، قال الزمخشري: وهذا أعرب وأفصح<sup>(١)</sup>. وروي أنهم كانوا قد قَحَطُوا مدّةً، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به، فقال لهم هود عليه السلام: بل هو ما

(١) الكشاف (١٤/٣٠١).



استعجلتم به من العذاب. وقوله: ﴿رِيحٌ﴾: بدلٌ من ﴿مَا اسْتَعْجَلْتُمْ﴾، أو خبر ابتداء مضمرة. ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ عمومٌ يراد به الخصوص.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ هذا خطابٌ لقريش على وجه التهديد، أي: مكَّنَّا عَادًا فيما لم نمكنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك، ثم أهلكناهم لما كفروا. و﴿إِنْ﴾ هنا: نافيةٌ بمعنى «ما»، وعدل عن «ما» كراهيةً لاجتماعها مع «ما» التي قبلها. وقيل: ﴿إِنْ﴾ شرطيةٌ، وجوابها محذوف، تقديره: إن مكَّنَّاكم فيه طَغَيْتُمْ. قال ابن عطية: وهذا تنطُّعٌ في التأويل<sup>(١)</sup>.



(١) المحرر الوجيز (٧/٦٢٩).

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَبْرًا مِّنَ الْجَحِيسِ يَسْتَمِعُونَ الْفُرْعَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ \* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَىٰ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْصِيَ السَّوْبَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٨﴾ قَاصِرٌ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِتُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ قَهْلٌ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٩﴾

﴿١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ يعني: بلاد عاد، وثمود، وسبأ، وغيرها، والمراد: إهلاك أهلها.

﴿٢﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ﴿١﴾ الآية؛ عرض معناه النفي؛ أي: لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا<sup>(١)</sup> من دون الله.

﴿قُرْبَانًا﴾ أي: تقربوا بهم إلى الله، وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. وانتصاب ﴿قُرْبَانًا﴾ على الحال. ولا يصح أن يكون ﴿قُرْبَانًا﴾ مفعولاً ثانياً لـ ﴿اتَّخَذُوا﴾ و﴿آلِهَةً﴾ بدل منه؛ لفساد المعنى، قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup>، وقد أجاز ابن عطية<sup>(٣)</sup>.

(١) في ب: «عبدوهم»، وفي د: «عبدوها».

(٢) الكشاف (٣٠٧/١٤)، قال الطيبي في الحاشية: «لأنك إذا جعلت ﴿قُرْبَانًا﴾ مفعولاً ثانياً لـ «اتخذ»، فكانت قلت: اتخذوهم - أي: الأصنام - قُرْبَانًا وآلهة، والآله لا يتخذ قُرْبَانًا، فيفسد المعنى».

(٣) المحرر الوجيز (٦٢٩/٧).



﴿بَلْ صَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي: تَلْفُوا لهم، وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: أَمَلْنَاهم نحوكَ. والنفر في اللغة: دون العشرة. وروي أن الجن كانوا سبعة<sup>(١)</sup>، وكانوا كلهم ذكراً؛ لأن النفر الرجال دون النساء، وكانوا من أهل نَصِيبِينَ<sup>(٢)</sup>، وقيل: من أهل الجزيرة. واختلف هل رآهم النبي ﷺ؟

فقيل: إنه لم يرههم، ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك. وقيل: بل علم بهم واستعدَّ لهم واجتمع معهم، وقد ورد في ذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أحاديث مضطربة<sup>(٣)</sup>.

وسبب استماع الجن: أنهم لما طُردوا عن استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا: ما هذا إلا أمر<sup>(٤)</sup> حدث! فطافوا في الأرض ينظرون ما أوجب ذلك، حتى سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الفجر في سوق عكاظ، فاستمعوا إليه وآمنوا به<sup>(٥)</sup>.

﴿انزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ في هذا دلالة<sup>(٦)</sup> على أنهم كانوا على دين اليهود، وقيل: كانوا لم يعلموا ببعث عيسى عليه السلام.

(١) أخرجه الطبري (٢١/١٦٥) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) في تفسير الطبري (٢٣/٣١٢): «وهي أرض باليمن»، وفي الجامع لأحكام القرآن للطبري (٢١/٢٧٤): «قربة باليمن غير التي بالعراق». وفي معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/٢٨٨): «نصيبين: هي بلدة في بلاد الجزيرة التي بين الشام والعراق»، ونحو هذا التعريف في معجم ما استعجم للبكري، ومرصد الاطلاع لصفي الدين القطيعي، ولم يذكروا بلدة باليمن اسمها نصيبين!

(٣) في المحرر الوجيز (٧/٦٣٢): «واضطربت الروايات عن عبد الله بن مسعود، وروي عنه ما ذكرناه، وذكر عنه أنه رأى رجلاً من الجن وهم شبه رجال الزُّطِّ السود الطُّوال حين رآهم بالكوفة، وروي عنه أنه قال: ما شاهد أحد منا ليلة الجن مع رسول الله ﷺ، فاختصرت هذه الروايات وتطوّلها لعدم صحتها». اهـ. والذي في صحيح مسلم (٤٥٠) عن علقمة قال: سألت ابن مسعود رضي الله عنه: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا.. الحديث.

(٤) في د: «لأمر».

(٥) أخرجه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٦) في أ، هـ: «دليل».



﴿مُصَدِّفًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مِّنْ﴾ هنا للتبويض على الأصح، أي: يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله. وقيل: معنى التبويض: أن المظالم لا تُغْفَر، وقيل: إن ﴿مِّنْ﴾ زائدة.

﴿وَيُجْزِكُمْ مِّنْ عَذَابِ آيِهِ﴾ أي: من النار. واختلف الناس هل للجن ثواب زيادة على النجاة من النار، أم ليس لهم ثواب إلا النجاة خاصة؟

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ الآية؛ يحتمل أن يكون من كلام الجن، أو من كلام الله تعالى. ومعنى ﴿لَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾: لا يفوت.

﴿أَوَّلَمْ يَرَوْا﴾ الآية؛ احتجاج على بعث الأجساد بخلق السماوات والأرض.

﴿وَلَمْ يَغْنَىٰ بِخَلْقِهِنَّ﴾ يقال: عَيَّتُ بالأمر: إذا لم تعرفه، فالمعنى: أنه تعالى عَلِمَ كيف خَلَقَ السماوات، وأحكم خَلَقْتَهَا؛ فلا شك أنه قادرٌ على إحياء الموتى.

﴿بِقُدْرٍ﴾ في موضع رفع؛ لأنه خبر ﴿أَنَّ﴾، وإنما دخلت الباء؛ لاشتغال النفي في أول الآية على ﴿أَنَّ﴾ وخبرها<sup>(٢)</sup>.

﴿بَلَىٰ﴾ جواب لما تقدَّم؛ أي: هو قادر على أن يحيي الموتى.

﴿بِأَصْبِرُ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ، أي: اصبر على تكذيب قومك. وأولو العزم هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليه السلام، وقيل: هم الثمانية عشر المذكورون في سورة «الأنعام»؛ لقوله: ﴿بِهَيْدِيهِمْ إِفْتِدَاهَ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقيل: كلٌّ من لقي من أمته شدة. وقيل: الرسل كلهم أولو عزم؛ ف﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ على هذا: لبيان الجنس، وعلى الأقوال المتقدمة: للتبويض.

(١) انظر تفسير الآية (٤٠).

(٢) عبارة الكشاف (٣١٦/١٤): «وإنما دخلت الباء؛ لاشتغال النفي في أول الآية على ﴿أَنَّ﴾ وما في حيزها».

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي: لا تستعجل نزول العذاب بهم، فإنهم صائرون إليه؛ فإنهم<sup>(١)</sup> إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار؛ لاستقصار أعمارهم.

﴿بَلَّغْ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذا الذي وُعِظتم به بلاغٌ، بمعنى: كفاية في الموعظة، أو بلاغ من الرسول ﷺ، أي: بَلَغَ هذه المواعظ والبراهين.



(١) في د: «ولأنهم».

## سورة القتال

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَعَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾  
ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ  
يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا  
أَخْتَضْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ بِمَا مَنَّا بَعْدَ وَامٍ وَإِدَاءَ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ وَلَوْ  
يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُلْنَ  
يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿٥﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٦﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ  
أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَأَخْبِطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٠﴾ \*أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا  
﴿١١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١٢﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: كفار قريش، وعموم اللفظ يصلح لكل كافر. كما أن قوله بعد  
هذا: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني به: الصحابة، وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن.

﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون ﴿صَدُّوا﴾ بمعنى: أعرضوا، فيكون غير متعدٍّ، أو  
بمعنى: صدوا الناس، فيكون متعدِّياً. و﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الإسلام والطاعة.

﴿أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: أبطلها وأحبطها. وقيل: المراد بـ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ هنا: ما أنفقوا في غزوة  
بدر، فإن هذه السورة نزلت بعد بدر. واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَعَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ هذا تجريد؛ للاختصاص والاعتناء، بعد عموم قوله: ﴿ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ولذلك أكدته بالجملة الاعتراضية، وهي قوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ﴾.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قيل: معناه: أصلح حالهم وشأنهم. وحقيقة البال: الخاطر الذي في القلب، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله، فالمعنى: إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى.

﴿بَضْرَبَ الرِّقَابَ﴾ أصله: «فاضربوا الرقاب ضرباً»، ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه. والمراد: اقتلوههم، ولكن عبر عنه بضرب الرقاب؛ لأنه الغالب في صفة القتل. ﴿حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ﴾ أي: هزمتموهم، والإثخان: أن يكثر فيهم القتل والأسر. ﴿بَشَدُوا الْوَتَاقَ﴾ عبارة عن الأسر.

﴿بِمَا مَنَّا بَعْدَ وَامَّا فِدَاءً﴾ المن: العتق، والفداء: فك الأسير بمال، وهما جائزان. فإن مذهب مالك: أن الإمام مخير في الأسارى بين خمسة أشياء؛ وهي: المن، والفداء، والقتل، والاسترقاق، وضرب الجزية<sup>(١)</sup>.

وقيل: لا يجوز المن ولا الفداء؛ لأن الآية منسوخة بقوله: ﴿بِأَفْتَلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فلا يجوز على هذا إلا قتلهم، والصحيح أنها محكمة. وانتصب ﴿مَنَّا﴾ و﴿فِدَاءً﴾ على المصدرية، والعامل فيهما: فعلان مضمران.

﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الأوزار في اللغة: الأثقال، فالمعنى: حتى تذهب وتزول أثقالها، وهي آلتها. وقيل: الأوزار: الآثام؛ لأن الحرب لا بد أن يكون فيها آثام في أحد الجانبين.

واختلف في الغاية المرادة هنا: فقيل: حتى يُسلم الجميع، وحينئذ تضع الحرب أوزارها، وقيل: حتى تقتلوههم وتغلبوهم، وقيل: حتى ينزل عيسى بن مريم ﷺ.

قال ابن عطية: ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبداً، كما تقول: «أنا أفعل كذا إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

(١) ومذهب أحمد أن الإمام يخير فيهم بين أربعة أشياء، وهي كما في مذهب مالك إلا ضرب الجزية. المنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٨١/١٠).

(٢) المحرر الوجيز (٦٤١/٧).

﴿ذَلِكَ﴾ تقديره: الأمر ذلك.

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: لو شاء الله لأهلك الكفار بعذابٍ من عنده، ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين، وأن يبلو بعض الناس ببعض.

﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ أي: جعلهم يعرفون منازلهم فيها، فهو من المعرفة، وقيل: معناه طيبتها لهم، فهو من العرف، وهو طيب الرائحة، وقيل: معناه شرفها ورفعها، فهو من الأعراف التي هي الجبال.

﴿بَتَغْسًا لَهُمْ﴾ أي: عثارًا وهلاكًا. وانتصابه على المصدرية، والعامل فيه فعلٌ مضمر<sup>(١)</sup>، وعلى هذا الفعل عطف قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿وَاللَّكِبِيرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ أي: لكفار قريش أمثال عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك.

﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: وليهم وناصرهم، وكذلك: ﴿وَأَنَّ الْكِبِيرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ معناه: لا ناصر لهم. ولا يصح<sup>(٢)</sup> أن يكون المولى هنا بمعنى السيد؛ لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى. ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله: ﴿رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلِيَهُمْ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٣]؛ لأن معنى المولى مختلفٌ في الموضعين؛ فمعنى ﴿مَوْلِيَهُمْ الْحَقِّ﴾: ربهم، وهذا على العموم في جميع الخلق، بخلاف قوله: ﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فإنه خاصٌ بالمؤمنين؛ لأنه بمعنى الولي الناصر.



(١) أي: اتمس الذين كفروا تمسًا. الكشاف (١٤/٣٣٠).

(٢) في أ، هـ: «ولا يصلح».



إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ  
أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَهُمْ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٥﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ  
رَبِّهِ كَسَّ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا  
أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ  
مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغِيرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيلٌ فِي الْبَارِ  
وَسَفُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ  
قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِيًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ  
﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَيْنَاهُمْ تَقْوِيَهُمْ ﴿١٩﴾ فَبَلِّغْهُمْ رِسَالَتِي بَعَثْنَا  
بَقْدَ جَاءَ أَشْرَاطُهَا بِأَنْبِئِ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿٢٠﴾ بِأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ  
لِذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوِئَكُمْ ﴿٢١﴾

- ﴿١٣﴾ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ عبارة عن كثرة أكلهم، أو عن غفلتهم عن النظر كالبهائم.
- ﴿١٤﴾ مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَهُمْ﴾ يعني: مكة، وخروجه ﷺ منها وقت الهجرة. ونسب الإخراج إلى القرية<sup>(١)</sup>، والمراد أهلها؛ لأنهم آذوه حتى خرج.
- ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ الضمير للقرى المتقدمة المذكورة في قوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وجمعه حملاً على المعنى، والمراد: أهلكنا أهلها.
- ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: على حجة، ويعني به: النبي ﷺ، كما يعني قريشاً بقوله: ﴿كَسَّ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾، واللفظ أعم من ذلك.
- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ ذكر في «الرعد»<sup>(٢)</sup>.

(١) قال في المحرر الوجيز (٧/٦٤٥): «حملاً على اللفظ».

(٢) قال في إعرابها هناك: «مَثَلُ الْجَنَّةِ» هنا وفي «القتال»: أي: صفتها، وليس بضرب مثل لها، والخبر عند سيبويه: محذوف متقدم، تقديره: فيما يتلى عليكم: صفة الجنة، وقال الفراء: الخبر متأخر، وهو: «تجري من تحتها الأنهار»<sup>(١)</sup>. هـ، فيجيء الوجهان هنا، ويكون الخبر على قول الفراء في هذه الآية: «فيها أنهار».

﴿غَيْرِ عَاسٍ﴾ أي: غير متغير.

﴿كَمَنْ هُوَ خَلَّدَ فِي النَّارِ﴾ تقديره: أمثل أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد في النار؟ فحذف هذا التقدير المراد به النفي، وإنما حذفه لدلالة التقدير المتقدم، وهو قوله: ﴿أَبَسَ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين، وجاء «يستمعون» بلفظ الجمع؛ رغباً لمعنى «مَنْ»<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ روي أنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

﴿مَاذَا قَالَ عَانِيَاءُ﴾ كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين: إما احتقاراً لكلامه، كأنهم قالوا: أيُّ فائدة فيه، وإما جهلاً ونسياناً؛ لأنهم كانوا وقت كلامه مُعْرِضِينَ عنه. و﴿عَانِيَاءُ﴾ معناه: الساعة الماضية قريباً، وأصله: من استأنفت الشيء: إذا ابتدأته.

﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ يعني: المؤمنين. والضمير في ﴿زَادَهُمْ﴾: الله تعالى، أو للكلام الذي قال فيه المنافقون: ﴿مَاذَا قَالَ عَانِيَاءُ﴾. وقيل: يعني بـ﴿الَّذِينَ أَهْتَدَوْا﴾ قوماً من النصارى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فاهتدوا هم: هو إيمانهم بـعيسى عليه السلام، وزيادة الهدى: إسلامهم.

﴿فَبَهِلَ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ الضمير للمنافقين، والمعنى: هل ينتظرون<sup>(٣)</sup> إلا الساعة؟

= وقال الزمخشري في إعرابها: ﴿أمثل الجنة﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿كمن هو خالد...﴾، وجعله من الكلام الذي في صورة الإثبات ومعناه النفي والإنكار، كأنه قيل: أمثل الجنة كمن هو خالد في النار؟ أي: كمثل جزاء من هو خالد في النار، وقوله: ﴿فيها أنهار﴾ داخل في حكم صلة «التي»، أي: التي فيها أنهار، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي فيها أنهار، أو في موضع الحال. الكشاف (١٤/ ٣٣٧-٣٣٩).

(١) كذا وردت هذه العبارة في جميع النسخ، وهو سهو، فإن آية سورة القتال: ﴿يستمع إليك﴾ بالإنفراد، وليست بالجمع، وإنما وردت بالجمع في سورة يونس فقط، وآية سورة القتال مثل آية الأنعام: ﴿ومنهم من يسمع إليك﴾، وقال المؤلف هناك في تفسيرها: «وأفرد «يستمع» وهو فعل جماعية؛ حَمَلًا على لفظ «مَنْ»، وعلّق في طرة نسخة «ب» على هذا الموضع تعليقاً فيه أدب مع المؤلف فيقول: «هذا والله أعلم مما غلط فيه المؤلف رحمه الله؛ فإنه «يستمع» بلفظ المفرد لا الجمع؛ رغباً للفظ «مَنْ» لا لمعناه، والكمال لله تعالى، وهذا من سهو المؤلف، وحاشاه أن يجهل مثل هذا».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٩٠٥) عن ابن بريدة.

(٣) في د: «ينظرون».



لأنها قريبة.

﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: علاماتها، والذي كان قد جاء من ذلك: مبعث محمد ﷺ؛ لأنه قال: «أنا من أشراط الساعة»<sup>(١)</sup>، و«بعثت أنا والساعة كهاتين»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَبْنَى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ أي: كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة؛ فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم التوبة؟ ففاعل ﴿جَاءَتْهُمْ﴾: الساعة، و﴿ذِكْرُهُمْ﴾ مبتدأ، وخبره الاستفهام المتقدم، والمراد به: الاستبعاد.

﴿وَبَاغَلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: دُم على العلم بذلك. واستدل بعضهم بهذه الآية على أن النظر<sup>(٣)</sup> والعلم قبل العمل؛ لأنه قدّم قوله: ﴿وَبَاغَلَمَ﴾ على قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوِيَكُمْ﴾ قيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرّفكم في الدنيا، ﴿وَمَثْوِيَكُمْ﴾: إقامتكم في القبور، وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرّفكم في اليقظة، ﴿وَمَثْوِيَكُمْ﴾: منامكم.



(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن جاء عن معاذ ﷺ أن النبي ﷺ قال: «سُتُّ من أشراط الساعة: موتي...» الحديث. أخرجه أحمد (٢١٩٩٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٥٣٨)، والطبراني في الكبير (١٢٢ / ٢٠)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٣ / ٧)، ويغني عنه ما في البخاري (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك ﷺ مرفوعاً: «أعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي...».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد ﷺ.

(٣) في أ، د، هـ: «على النظر».

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٥٥﴾ قَهْلَ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ ﴿٥٧﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْبَالُهَا ﴾ ﴿٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ إِزْتَدُوا عَلَى أَذْبَهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ﴾ ﴿٦٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ إِنْتَبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن، والرغبة فيه؛ لأنهم كانوا يفرحون به، ويستوحشون من إبطائه.

﴿مُحْكَمَةٌ﴾ يحتمل أن يريد بالمحكمة: ليس فيها منسوخ، أو يريد متقنة. وقرأ ابن مسعود عليه السلام: «سورة مُحَدَّثَةٌ» <sup>(١)</sup>.

﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين، ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتال؛ لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشي عليه.

﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه بمعنى: أحق، وخبره على هذا: «طَاعَةٌ»، والمعنى: أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق.

والآخر: أن «أُولَئِكَ لَهُمْ» كلمة معناها: التهديد والدعاء عليهم كقولك: «ويلٌ لهم»، ومنه: «أُولَئِكَ لَكَ فَأُولَئِكَ» [القيامة: ٣٣]، فيوقف على «أُولَئِكَ لَهُمْ» على هذا القول، ويكون «طَاعَةٌ» ابتداء كلام، تقديره: طاعة وقول معروف أمثل، أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف، أو قولهم لك يا محمد طاعة وقول معروف بالسنتهم دون قلوبهم.

(١) تفسير الطبري (٢١/٢٠٩).

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أسند العزم إلى الأمر مجازًا، كقولك: نهاره صائمٌ وليله قائمٌ.

﴿صَدَقُوا اللَّهَ﴾ يحتمل أن يريد: صدقَ اللسان، أو صدق العزم والنية، وهو أظهر.

﴿بَهْلٌ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ هذا خطابٌ للمنافقين المذكورين، خرج من الغيبة إلى الخطاب؛ ليكون أبلغ في التوبيخ. والمعنى: هل يُتَوَقَّعُ منكم الإفسادُ في الأرض وقطع الأرحام إن توليتم؟<sup>(١)</sup> ومعنى ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: صرتم ولايةً على الناس وصار الأمر لكم، وعلى هذا قيل: إنها نزلت في بني أمية<sup>(٢)</sup>، وقيل: معناه: أعرضتم عن الإسلام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم. وقيل: نزلت في قوم من اليهود، كانوا قد عرفوا نبوة محمد ﷺ من التوراة، ثم كفروا به. ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زينَ لهم ورجَّاهم أمانيتهم.

﴿وَأُمْلِئْ لَهُمْ﴾ أي: مدَّ لهم في الأماني والآمال. والفاعل: هو الشيطان، وقيل: الله تعالى، والأول أظهر؛ لتناسب الضميرين الفاعلين، في ﴿سَوَّلَ﴾ و﴿أُمْلِئْ﴾.

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ قال ذلك اليهود للمنافقين. و﴿بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: يعنون به: مخالفة رسول الله ﷺ ومحاربته.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَكَةُ﴾ أي: كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة، يعني: ملك الموت ومن معه. والفاء رابطة للكلام مع ما قبله، والمعنى: هذا جزعهم من ذكر القتال؛ فكيف يكون حالهم حين<sup>(٣)</sup> الموت؟

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ضمير الفاعل للملائكة. وقيل: إنه للكفار؛ أي: يضربون وجوه أنفسهم، وذلك ضعيف.



(١) الاستفهام للتقرير، والمعنى: فالمتوقع منكم الإفساد.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٩٧/٢٤)، قال: «نزلت في بني أمية وفي بني هاشم».

(٣) في أ، هـ: «عند».

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْتَهُمْ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ  
 بَلَعْرِفَتَهُمْ بِسَيِّئِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْظِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٣﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى  
 نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ  
 سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُ  
 أَعْمَالُهُمْ ﴿٢٥﴾ \*يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٦﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٢٧﴾ فَلَا  
 تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٨﴾ إِنَّمَا  
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٢٩﴾  
 ﴿٣٠﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْبِبْكُمُ تَبَخَّلُوا وَبَخَّلُوا أَضْغَنْتَكُمْ ﴿٣١﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنَهْضُوا  
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَنْعِكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ  
 الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٢﴾

﴿٢٢﴾ أَمْ حَسِبَ الآية؛ معناها: أظن المنافقون أن لن يفضحهم الله؟ والضغن: الحقد، ويراد به هنا: النفاق والبغض في الإسلام وأهله.

﴿٢٣﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ أي: لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلاماتهم، ولكن الله ستر عليهم؛ إبقاء عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين. وروي أن الله لم يذكر له واحدا منهم باسمه.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْظِ الْقَوْلِ﴾ معنى ﴿لَحْظِ الْقَوْلِ﴾: مقصده وطريقته. وقيل: اللحن: هو الخفي المعنى، كالكناية والتعريض. والمعنى: أنه ﷺ سيعرفهم من دلائل كلامهم، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين.

﴿٢٤﴾ ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: نختبركم.

﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ أي: نعلمه علما ظاهرا في الوجود تقوم به الحجة عليكم؛ وقد علم الله الأشياء قبل كونها، ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده؛ بما يصدر منهم. وكان الفضيل بن عياض إذا

قرأ هذه الآية بكى، وقال: «اللهم لا تبتلنا؛ فإنك إن ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا»<sup>(١)</sup>.

﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ﴾ أي: خالفوه وعادوه. ونزلت الآية في المنافقين، وقيل: في اليهود.

﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ يحتمل أربعة معان:

أحدها: لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان.

والثاني: لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات، ذكره الزمخشري<sup>(٢)</sup>، وهذا على مذهب المعتزلة، خلافاً للأشعرية؛ فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات.

والثالث: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب.

والرابع: لا تبطلوا أعمالكم بأن تقطعوها قبل تمامها.

وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية، ولذلك يستدلون بها على أن من ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها، وهذا أبعد هذه المعاني، والأول أظهرها<sup>(٣)</sup>؛ لقوله قبل ذلك في الكفار أو المنافقين: ﴿وَسَيُخِطُّ أَعْمَالَهُمْ﴾، فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدّهم عن سبيل الله ومشاقّتهم الرسول.

﴿بَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا قطع بأن مات على الكفر لا يغفر الله له، وقد أجمع المسلمون على ذلك.

﴿بَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ أي: لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بطلب الصلح، فهو كقوله: ﴿وَأَنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاِجْتَنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦٢].

﴿وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: لن ينقضكم أجور أعمالكم، يقال: وتَرَتْ الرجل أثره: إذا نقصته شيئاً، أو أذهبت له متاعاً.

﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: لا يسألكم جميعها، إنما يسألكم في الزكاة ما يخفُّ

(١) نقله الثعلبي في تفسيره (٢٤/٢٠٩).

(٢) الكشاف (١٤/٣٥٨).

(٣) في أ، ج، هـ: «أظهر».

عليكم، مثل ربع العشر، وذلك خفيف.

﴿٢٥﴾ «إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخِمْكُمْ تَبْخُلُوا» معنى «يُخِمْكُمْ»: يُلْحَ عَلَيْكُمْ، والإحفاء: هو أشد السؤال، و«تَبْخُلُوا» جواب الشرط.

﴿وَيُخْرِجَ أَضْعَافَكُمْ﴾ الفاعل: الله تعالى، أو البخل، والمعنى: يخرج ما في قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق.

﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوبٌ على التخصيص، أو منادى.

﴿لِيَتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: الجهاد أو الزكاة.

﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ أي: إنما ضرر بخله على نفسه؛ فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذي يستحقه بالإنفاق.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت<sup>(١)</sup> بقوم على خلاف صفتكم، بل<sup>(٢)</sup> راغبين في الإنفاق في سبيل الله. فقيل: إن هذا الخطاب لقريش، والقوم غيرهم: الأنصار؛ وهذا ضعيف؛ لأن الآية مدنية، نزلت والأنصار حاضرون، وقيل: الخطاب لكل من كان حيثئذ بالمدينة، والقوم: هم أهل اليمن، وقيل: فارس.



(١) في ب، ج، د، هـ: «يأتي».

(٢) العبارة في الكشف (٣٦٦/١٤) دون لفظة «بل»، وكأنها أنسب.



## سُورَةُ الْفَتْحِ

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لما أراد أن يعتمر بمكة فصدّه المشركون، وقال ﷺ لعمره رضي الله عنه وهما راجعان إلى المدينة: «لقد نزلت عليّ سورة هي أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها»<sup>(١)</sup>.

إِنَّا بَتَّحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ  
عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ بَوْرًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ  
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ  
السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾  
لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ  
إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى  
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَنْكُثْ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ بِمَا عَاهَدَ بِهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا ﴿١٠﴾

﴿إِنَّا بَتَّحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ يحتمل هذا الفتح في اللغة أن يكون من الفتح بمعنى الحكم، أي: حكمنا لك على أعدائك، أو من الفتح بمعنى العطاء، كقوله: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٣) من حديث أسلم مولن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسلم (١٧٨٦) -واللفظ له- من حديث أنس رضي الله عنه.

رَحْمَةً ﴿فاطر: ٢٢﴾، أو من فتح البلاد. واختلف في المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال:

الأول: أنه فتح مكة، وعده الله به قبل أن يكون، وذكره بلفظ الماضي لتحقيقه، وهو على هذا بمعنى فتح البلاد.

الثاني: أنه ما جرى في الحديبية من بيعة الرضوان، ومن الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش، وهو على هذا بمعنى: الحكم، أو بمعنى العطاء.

ويدل على صحة هذا القول: أنه لما وقع صلح الحديبية شق ذلك على بعض المسلمين؛ لشروط كانت فيه، حتى أنزل الله هذه السورة، وتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة، وهذا هو الأرجح؛ لأنه روي أنها لما نزلت قال بعض الناس: ما هذا الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت؟ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «بل هو أعظم الفتوح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح، ورجعوا إليكم في الأمان»<sup>(١)</sup>.

الثالث: أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح، كفتح خيبر وغيرها.

الرابع: أنه الهداية إلى الإسلام، ودليل هذا القول قوله: ﴿يَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ فجعل الفتح علة للمغفرة، ولا حجة في ذلك؛ إذ يتصور في الجهاد وغيره أن يكون علة للمغفرة أيضًا، أو تكون اللام للتصيرية والعاقبة، لا للتعليل، فيكون المعنى: ﴿إِنَّا بَتَحْنَا لَكَ بَتَحًا مَبِينًا﴾ فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة؛ بأن غفر لك، وأتم نعمته عليك، وهذاك ونصرك.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ أي: السكون والطمأنينة، يعني: سكونهم في صلح الحديبية وتسليمهم لفعل رسول الله ﷺ، وقيل: معناه الرحمة.

﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ﴾ معناه: أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين، فقالوا: لن يتقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا. وقيل: معناه: أنهم لا يعرفون الله بصفاته، فذلك هو ظن السوء به، والأول أظهر؛ بدليل ما بعده.

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/١٦٠)، عن موسى بن عقبة عن الزهري.



﴿عَلَيْهِمْ ذَايِرَةُ السَّوْءِ﴾ بِحتمل أن يكون: خبراً، أو دعاء.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ أي: تشهدُ على أمتك.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تعظّموه، وقيل: تنصروه. وقرئ: «تُعَزِّزُوهُ» بزاءين منقوطين<sup>(١)</sup>. والضمير في «تُعَزِّرُوهُ وَتُقَوِّرُوهُ»: للنبي ﷺ، وفي «تُسَبِّحُوهُ»: لله تعالى، وقيل: الثلاثة لله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هذا تشریفٌ للنبي ﷺ؛ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكد هذا المعنى بقوله: «يَدُ اللَّهِ بَوَاقُ أَيْدِيهِمْ» وذلك على وجه التخيّل والتمثيل، يريد: أن يد رسول الله ﷺ التي تعلقو أيدي المبايعين له هي يد الله في المعنى، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، وإنما المراد أن عقدَ ميثاق البيعة مع الرسول ﷺ، كعقدِهِ مع الله، كقوله: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» [النساء: ٧٩]. وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها: النعمة أو<sup>(٢)</sup> القوة، وهذا بعيد هنا<sup>(٣)</sup>. ونزلت الآية في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد.

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ﴾ يعني: أن ضررَ نكثِهِ على نفسه. ويريد بالنكث هنا: نقض البيعة.



(١) هي قراءة ابن عباس ؓ. المحرر الوجيز (٦٧١/٧).

(٢) في ب، د: «و».

(٣) [التعليق ١٠٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراءة: قوله: «وذلك على وجه التخيّل والتمثيل...»، إلخ: أقول: قد أحسن المؤلفُ في ترجيح هذا الرأي، وتنظير الآية بقوله تعالى: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» [النساء: ٨٠]، وأحسن في رده قول المتأولين اليد بالنعمة. وما رجّحه هو ما ذكره ابن القيم ؒ، والآية مع هذا تدلُّ على إثبات اليد لله تعالى [انظر: مختصر الصواعق (ص ٥٢٩ ط. دار الفكر). وانظر الكلام على صفة اليد: (ص ٥١١-٥٣٠)].

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسَيْنَاهُمْ  
 مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ مَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ  
 نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٥﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى  
 أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَّ السُّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٦﴾ وَمَنْ لَمْ  
 يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٧﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ  
 لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٨﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ  
 إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ  
 قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٩﴾ قُلْ  
 لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ آوَلِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ تُقْتَلُونَهُمْ أَوْ يَسْلَمُونَ فإِنْ  
 تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٠﴾  
 لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ نَعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢١﴾

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية؛ سماهم بالمخلفين؛ لأنهم تخلفوا عن  
 غزوة الحديبية.

والأعراب: هم أهل البوادي من العرب، لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة ليعتمر، رأوا  
 أنه يستقبل عدوًّا كثيرًا من قريش وغيرهم، فقعدهوا عن الخروج معه، ولم يكن إيمانهم  
 متمكنًا، فظنوا أنه لا يرجع هو ولا المؤمنون من ذلك السفر، ففضحهم الله في هذه  
 السورة، وأعلم رسول الله ﷺ بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون  
 في اعتذارهم.

﴿يَقُولُونَ بِآلِسَيْنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد قولهم: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾؛  
 لأنهم كذبوا في ذلك، أو قولهم: ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾؛ لأنهم قالوا ذلك رياءً من غير توبة  
 ولا صدق.

﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين؛ من البوار، وهو الهلاك، ويعني به: الهلاك في الدين.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الآية؛ أخبر الله نبيه ﷺ أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرج إلى غزوة أخرى، وهي غزوة خيبر، فأمره الله بمنعهم من ذلك، وأن يقول لهم: ﴿لَسْ تَتَّبِعُونَا﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل غزوة الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصاً بهم دون غيرهم، وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل.

وقيل: ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾: قوله: ﴿لَسْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَسْ تُفْتَلُوا مَعِيَ عَدْوًا﴾ [النوبة: ٨٤]، وهذا ضعيف؛ لأن هذه الآية نزلت في رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بعد الحديبية بمدة.

﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد: وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم خيبر.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه: يعزُّ عليكم أن تُصيبَ معكم مالا وغنيمة. و﴿بَلْ﴾ هنا: للإضراب عن الكلام المتقدم، وهو قوله: ﴿لَسْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾، فمعناها: ردُّ أن يكون الله حكَمَ بأن لا يتبعوهم. وأما ﴿بَلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهي إضرابٌ عن وصف المؤمنين بالحسد، وإثباتٌ لوصف المخلفين بالجهل.

﴿سَتَذَعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اختلف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبي ﷺ في غزوة حنين.

والثاني: أنهم الروم؛ إذ دعا رسول الله ﷺ الناس إلى قتالهم في غزوة تبوك.

والثالث: أنهم أهل الردة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

والرابع: أنهم الفرس.

ويتقوى القول الأول والثاني: بأن ذلك ظهر في حياة النبي ﷺ. وتقوى المنذر بن سعيد

القول الثالث؛ بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية، قال: وهذا لا

يوجد إلا في أهل الردة. قلت: وكذلك هو موجود في كفار العرب؛ إذ لا تؤخذ منهم

الجزية فيقوى ذلك أنهم هوازن.

﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ عطفٌ على ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ﴾. وقال ابن عطية: هو مستأنف<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ يريد: في غزوة الحديبية.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية؛ معناها: أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهاد؛ بسبب أَعْدَارِهِمْ.



(١) المحرر الوجيز (٦٧٦/٧)، وعبارته: «على القطع، أي: أو هم يُسلمون دون حرب»، وانظر لمزيد الإيضاح: حاشية الطيبي على الكشاف (٣٩٤/١٤).

\*لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٥﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧﴾ وَخَبَرَى لَمْ تَفْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١٨﴾ وَلَوْ فَتَلَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٩﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٠﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾ هُمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوبًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ بَتَضْيِيقِكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٢﴾ \*إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٣﴾

﴿١٨﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴿١﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله أحدٌ من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها»<sup>(١)</sup>. وفي الحديث أنهم كانوا ألفاً وأربع مئة<sup>(٢)</sup>، وقيل: ألفاً وخميس مئة.

وسبب هذه البيعة: أن رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية، وهي موضعٌ على نحو عشرة أميال من مكة، أرسل عثمان بن عفان ؓ رسولاً إلى أهل مكة، يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر، وأنه لا يريد حرباً، فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه؛ كرامةً له، فصرخ صارخ أن عثمان قد قُتل، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفرَّ أحد، وقيل: بايعوه على الموت، ثم جاء عثمان بعد ذلك سالماً، وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث جابر عن أم مبشر ؓ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٤٠)، ومسلم (١٨٥٦) عن جابر ؓ.

وأهل مكة؛ على أن يرجع ذلك العام ويعتمر في العام المقبل. والشجرة المذكورة: كانت سمرّة هنالك، ذهب بعد سنين، فمرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالموضع في خلافته، فاختلف الصحابة في موضعها<sup>(١)</sup>.

﴿بَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه. وقيل: من كراهة البيعة على الموت، وهذا باطل؛ لأنه ذم للصحابه. وقد ذكرنا السكينة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَتَيْنَهُمْ بَنَاتٌ قَرِيبًا﴾ يعني: فتح خيبر، وقيل: فتح مكة، والأول أشهر؛ أي: جعل الله ذلك ثواباً لهم على بيعة الرضوان، زيادةً إلى ثواب الآخرة. وأما المغانم الكثيرة المذكورة أولاً: فهي مغانم خيبر، وهي المعطوفة على الفتح القريب. وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله - وهي المذكورة ثانياً -: فهي كل ما يغنم المسلمون إلى يوم القيامة. والإشارة بقوله: ﴿عَجَلْ لَكُمْ هَذِهِ﴾ إلى خيبر. وقيل: إن المغانم التي وعدهم: مغانم خيبر، والإشارة بـ ﴿هَذِهِ﴾ إلى صلح الحديبية.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ الثَّالِثِ عَنكُمْ﴾ أي: كفّ أهل مكة عن قتالكم في الحديبية. وقيل: كفّ اليهود وغيرهم عن الإضرار بنسائكم وذريّتكم بينما<sup>(٣)</sup> خرجتم إلى الحديبية.

﴿وَلَتَكُونَ آيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تكون هذه الفعلة - وهي كفّ أيدي الناس عنكم - آيةً للمؤمنين، يستدلّون بها على النصر. واللام تتعلّق بفعل محذوف، تقديره: فعل الله ذلك لتكون آيةً للمؤمنين.

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ يعني: فتح مكة بعد ذلك<sup>(٤)</sup>. وقيل: فتح بلاد فارس والروم، وقيل: مغانم هوازن في حنين. والمعنى: لم تقدرُوا أنتم عليها، وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم. وإعراب ﴿أُخْرَى﴾: معطوفٌ على ﴿عَجَلْ لَكُمْ هَذِهِ﴾، أو مفعولٌ

(١) أخرجه الطبري (٢١/٢٧٥).

(٢) في أول السورة.

(٣) في د: «حين».

(٤) قوله: «بعد ذلك» زيادة من أ، هـ.



بفعل مضمر تقديره: أعطاكم أخرى، أو مبتدأ.

﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أهل مكة.

﴿سَنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: عادته. والإشارة: إلى يوم بدر، وقيل: الإشارة إلى نصر الأنبياء قديماً.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ روي في سببها: أن جماعة من فتيان

قريش خرجوا إلى الحديبية، ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ، فبعث إليهم

رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في جماعة من المسلمين فهزموهم وأسروا منهم قوماً،

وساقوهم إلى رسول الله ﷺ فأطلقهم<sup>(١)</sup>. فكف أيدي الكفار: هو أن هزموا وأسروا.

وكف أيدي المؤمنين عن الكفار: هو إطلاقهم من الأسر، وسلامتهم من القتل. وقوله:

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: من بعد ما أخذتموهم أسارى.

﴿هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أهل مكة.

﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام

عام الحديبية.

﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوباً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ الهدي: ما يُهدى إلى البيت من الأنعام، وكان

رسول الله ﷺ قد ساق حينئذ مئة بدنة، وقيل: سبعين؛ ليُهديها. والمعكوف: المحبوس.

﴿مَحِلَّهُ﴾: موضع نحره؛ يعني: مكة والبيت. وإعراب ﴿الْهَدْيَ﴾ عطف على الضمير

المفعول في ﴿صَدُّوكُمْ﴾، و ﴿مَعْكُوباً﴾ حال من ﴿الْهَدْيَ﴾، و ﴿أَنْ يَبْلُغَ﴾ مفعول

بالعكف. فالمعنى: صدوكم عن المسجد الحرام، وصدوا الهدي عن أن يبلغ محله.

والعكف المذكور يعني به: منع المشركين للهدي عن بلوغ مكة، أو حبس المسلمين

للهدي بينما ينظرون في أمرهم.

(١) أخرجه الطبري (٢١/٢٩١)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٠) عن ابن أبيزئ، قال ابن كثير في تفسيره (٧/٣٤٣):

«وهذا السياق فيه نظر؛ فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية؛ لأن خالداً لم يكن أسلم؛ بل قد كان طليعة

المشركين يومئذ، كما ثبت في الصحيح [صحيح البخاري ٢٧٣١].. فهذا السياق فيه خلل، قد وقع فيه شيء

فليتأمل، والله أعلم. ا.هـ.

وفي صحيح مسلم (١٨٠٨): عن أنس بن مالك ؓ، أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من

جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله ﷻ هذه الآية.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآية؛ تعليلٌ لصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل، وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم، فلو سلط الله المسلمين على أهل مكة، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن الله كفهم عنهم؛ رحمةً بالمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم.

وجواب ﴿وَلَوْلَا﴾ محذوف، تقديره: لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلطناكم عليهم. ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ في موضع بدل من ﴿رِجَالٌ﴾ و﴿نِسَاءٌ﴾، أو بدل من الضمير المفعول في ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾. والوطء هنا: الإهلاك بالسيف وغيره.

﴿فَتَصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعْزَرَةٌ﴾ أي: نصيبكم من قتلهم مشقةٌ وكراهة. واختلف هل يعني الإثم في قتلهم؟ أو الدية؟ أو الكفارة؟ أو الملامة؟ أو عيب الكفار لهم؛ بأن يقولوا: قتلوا أهل دينهم؟ أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين؟

وهذا أظهر؛ لأن قتل المؤمن الذي لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية، ولا ملامة، ولا عيب.

﴿لَيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: رحمته<sup>(١)</sup> للمؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار، بأن كف سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم. أو رحمته لمن يشاء من الكفار؛ بأن يُسلموا بعد ذلك. واللام تتعلق بمحذوف يدلُّ عليه سياق الكلام، تقديره: كان كفُّ القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معنى ﴿تَزَيَّلُوا﴾: تميزوا عن الكفار، والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان؛ أي: لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار. فقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ الثانية، وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا.

ويحتمل أن يكون ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب ﴿وَلَوْلَا﴾<sup>(٢)</sup> الأولى، وكُرِّرَتِ «لو» الثانية تأكيداً.

(١) في ج، د: «رحمة».

(٢) في أ، ب، ج، د: «لو».



﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ يعني: أنفة الكفر<sup>(١)</sup>، وهي منعهم للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة، ومنعهم من أن يكتب في كتاب الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم»، ومنعهم من أن يكتب «محمد رسول الله»، وقولهم: «لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك»<sup>(٢)</sup>، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك». والعامل في ﴿إِذْ جَعَلَ﴾: محذوف تقديره: اذكر، أو قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾. والسكينة: هي سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال الجمهور: هي «لا إله إلا الله»، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>. وقيل: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، وقيل: «لا إله إلا الله، والله أكبر»، وهذه كلها متقاربة. وقيل: هي «بسم الله الرحمن الرحيم» التي أبى الكفار أن تكتب.

﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي: كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم. وقيل: أحق بها من اليهود والنصارى.



(١) في ب، ج: «الكفار».

(٢) في أ، ب، ج: «لتابعناك».

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (٢١٢٥٤)، والترمذي (٣٢٦٥) وقال: «غريب»، والطبراني في الكبير (١٩٩/١)، والطبري (٣١٠/٢١) من حديث أبي بن كعب ؓ، وفي إسناده ثوير بن أبي فاختة، وهو ضعيف رُمي بالرفض. تقريب التهذيب (١٩٠).

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مَحْلِفِينَ  
رُؤْيَاكُمْ وَمَقْصِرِينَ لَا تَخَافُونَ بَعْلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَبَجَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ بَنَحًا قَرِيبًا ﴿١٥﴾ هُوَ  
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦﴾  
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ  
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيِبَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي  
الْإِنجِيلِ كَزَرْجٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوفِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ  
بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾

﴿١٧﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُؤْيَا بِالْحَقِّ ﴿١﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه  
إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه، بعضهم محلّقون وبعضهم مقصّرون، وروي  
أنه أتاه ملكٌ في النوم فقال له: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الآية، فأخبر الناس برؤياه،  
وظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام، فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال  
المنافقون: أين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيءٌ من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ  
صَدَقَ اللَّهُ رُؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ <sup>(١)</sup> أي: تلك الرؤيا صادقة، وسيخرج تأويلها بعد ذلك،  
فاطمأنت قلوب المؤمنين، وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل، هو وأصحابه فدخلوا  
مكة واعتمرُوا، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام، وظهر صدق رؤياه، وتلك عُمره القضية، ثم فتح  
مكة بعد ذلك، ثم حج هو وأصحابه. و﴿صَدَقَ﴾ في هذا الموضع يتعدّى إلى مفعولين.  
و﴿بِالْحَقِّ﴾ يتعلّق بـ﴿صَدَقَ﴾ <sup>(٢)</sup>، أو بـ﴿الرُّؤْيَا﴾ على أن يكون حالاً منها <sup>(٣)</sup>.

﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك في الأمر، وذلك محالٌ على الله؛  
اختلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال:

(١) أخرجه الطبري (٣١٦-٣١٧) عن مجاهد وقناة وابن زيد.

(٢) الكشاف (١٤/٤١٤): «أي: صدّقه فيما رأى، وفي كونه وحصوله صدقاً مُلتبساً بالحق، أي: بالعرض الصحيح  
والحكمة البالغة».

(٣) الكشاف (١٤/٤١٤): «أي: صدّقه الرؤيا مُلتبسة بالحق، على معنى: أنها لم تكن من أضغاث الأحلام».

الأول: أنه استثناء قاله الملك الذي رآه النبي ﷺ في المنام، فحكى الله مقالته كما وقعت.

والثاني: أنه تأديب من الله لعباده؛ ليقولوا: «إن شاء الله» في كل أمرٍ مستقبل.

والثالث: أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته؛ لأنه يمكن أن يتم له الوعد، أو يموت أو يمرض؛ فلا يتم له.

والرابع: أن الاستثناء راجع إلى قوله: ﴿عَامِينَ﴾، لا لدخول المسجد الحرام.

والخامس: أن «إن شاء الله» بمعنى: «إذ<sup>(١)</sup> شاء الله».

﴿مُحَلِّفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحلاق والتقصير من سنة الحج والعمرة، والحلاق أفضل من التقصير، لقول رسول الله ﷺ: «رحم الله المحلقين» ثلاثاً، ثم قال في المرة الأخيرة: «والمقصرين»<sup>(٢)</sup>.

﴿بَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ يريد: ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة؛ فإنه لما انعقد الصلح، وارتفعت الحرب رغب الناس في الإسلام، فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وخمسة مئة، وقيل: ألف وأربع مئة، وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف.

﴿بَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قيل: يعني: فتح خيبر، وقيل: بيعة الرضوان، وقيل: صلح الحديبية، وهذا هو الأصح؛ لأن عمر قال لرسول الله ﷺ: أوفتح<sup>(٣)</sup> هو يا رسول الله؟ قال: «نعم»<sup>(٤)</sup>. وقيل: هو فتح مكة، وهذا ضعيف؛ لأن معنى قوله: ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ قبل دخول المسجد الحرام، وإنما كان فتح مكة بعد ذلك، فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمره القضية عام سبعة، وفتح مكة عام ثمانية.

(١) في أ، ج، د: «إذا» والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز (٦٨٧/٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١) عن ابن عمر ؓ.

(٣) في د: «أفتح».

(٤) أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥) من حديث سهل بن حنيف ؓ.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ذكر في «براءة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَيْفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً بأن محمداً رسول الله، أو شاهداً بإظهار دينه.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني: جميع أصحابه، وقيل: من شهد معه الحديبية. وإعراب «الذين معطوف على «مُحَمَّدٌ»، و«رَسُولُ اللَّهِ» صفة، و«أَشِدَّاءُ» خبرٌ عن الجميع. وقيل: «الذين مَعَهُ» مبتدأ، و«أَشِدَّاءُ» خبره، و«رَسُولُ اللَّهِ» خبر «مُحَمَّدٌ»، ورجح ابن عطية هذا<sup>(٢)</sup>.

والأول عندي أرجح؛ لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، وأما على ما اختاره ابن عطية؛ فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصاً بالصحابة دون النبي ﷺ، وما أحقَّ النبي ﷺ بالوصف بذلك؛ لأن الله قال فيه: «يَا مُؤْمِنِينَ رَءَوْفٌ رَحِيمٌ» [التوبة: ١٢٩]، وقال له: «جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» [التوبة: ٧٤] فهذا هو الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين.

﴿سَيَبَاهُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ السَّيِّمُ: العلامة، وفيه ستة أقوال:

الأول: أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود.

الثاني: أنه أثر التراب في الوجه.

الثالث: أنه صُفْرَةُ الوجه من السَّهَر والعبادة.

الرابع: حُسْنُ الوجه؛ لما ورد في الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»<sup>(٣)</sup> وهذا الحديث غير صحيح، بل وقع فيه غلطٌ من الراوي، فرفعه إلى النبي ﷺ

(١) انظر تفسير الآية (٣٣).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٦٨٨-٦٨٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٠٩)، وقال ابن عدي في الكامل (٢/ ٣٠٥): «وبلغني عن محمد بن عبد الله بن نمير أنه ذكر له هذا الحديث عن ثابت [بن موسى الزاهد] فقال: باطل، شُبّه على ثابت، وذلك أن شريك كان مزاحاً، وكان ثابت رجلاً صالحاً فيشبهه أن يكون ثابت دخل على شريك وكان شريك يقول: الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر عن النبي ﷺ قال. فالتفت فرأى ثابتاً فقال يمازحه: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت لغفلته أن هذا الكلام الذي قال شريك هو من الإسناد الذي قرأه فحملة على ذلك، وإنما ذلك قول شريك والإسناد الذي قرأه متن حديث معروف»، وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٦١): «الصحيح أنه موقوف».

وهو غير مروى عنه.

الخامس: أنه الخشوع.

السادس: أن ذلك يكون في الآخرة، يجعل الله لهم نوراً من أثر السجود كما يجعل غرة من الضوء، وهذا بعيد؛ لأن قوله: ﴿تَرْبِيَهُمْ زُرْعًا سَجْدًا﴾ وصف حالهم في الدنيا، فيكون<sup>(١)</sup> ﴿سَيِّبَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ كذلك.

والأول هو الأظهر، وقد كان بوجه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وعلي بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من كثرة السجود<sup>(٢)</sup>.

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ﴾ أي: وصفهم فيها، وتم الكلام هنا، ثم ابتداء قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾. وقيل: إن ﴿مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ عطف على ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ﴾، ثم ابتداء قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ وتقديره: هم كزرع، والأول أظهر؛ ليكون وصفهم في التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان، وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك، وعلى هذا: يكون ﴿مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ بمعنى التشبيه والتمثيل. وعلى القول الآخر: يكون المثل بمعنى الوصف كـ ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ﴾.

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ هذا مثل ضربه الله للإسلام؛ حيث بدأ ضعيفاً، ثم قوي وظهر. وقيل: الزرع مثل للنبي ﷺ؛ لأنه بُعث وحده فكان كالزرع حبة واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشطاء، وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل. ويقال: بإسكان الطاء، وفتحها دون مد، وفتحها مع المد، وهي لغات<sup>(٣)</sup>.

(١) في أ، هـ: «فتكون».

(٢) قال في الكشاف (١٤/٤٢١): «وكان كل من العلّيين - علي بن الحسين زين العابدين، وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الأملك [أي: الخلفاء] -، يقال له: ذو الثفّنات؛ لأن كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفّنات البعير». أ. هـ، وثفّنات البعير: ما يقع على الأرض من أعضائه إذا غلظ. قاله الجوهري في الصحاح.

(٣) قرأ ابن كثير وابن ذكوان عن ابن عامر «شطاء» بفتح الطاء، وقرأ الباقر من السبعة بإسكانها. وقرئ في الشاذ «شطاء» بفتح الطاء مع المد، قرأ بها عيسى بن عمر. المحرر الوجيز (٧/٦٩١).

﴿فَنَازَرَهُ﴾ أي: قواه، وهو من المؤازرة بمعنى المعاونة. ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع، والمفعول ﴿شَطَطَهُ﴾، أو بالعكس؛ لأن كل واحد منهما يقوي الآخر. وقيل: معناه: ساواه طولاً، فالفاعل على هذا: الشطء. ووزن ﴿نَازَرَهُ﴾ أفعله، وقيل: فاعله، وقرئ بقصر الهمزة على وزن فَعَلَ<sup>(١)</sup>.

﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: صار غليظاً.

﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْفِهِ﴾ السُّوق: جمع ساق، أي: قام الزرع على سوقه. وقيل: ﴿كَزَزِعَ﴾ يعني: النبي ﷺ، ﴿أَخْرَجَ شَطَطَهُ﴾ بأبي بكر، ﴿فَنَازَرَهُ﴾ بعمر، ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ بعثمان، ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْفِهِ﴾ بعلي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>.

﴿لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ تعليل لما دلَّ عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين، فهو يتعلّق بفعل يدلُّ عليه الكلام تقديره: جعلهم الله كذلك؛ ليغَيِّظَ بهم الكفار. وقيل: يتعلّق بـ ﴿وَعَدَ﴾، وهو بعيد.

﴿مِنْهُمْ﴾ لبيان الجنس، لا للتبويض؛ لأنه وعدٌ عمّ جميعهم<sup>(٣)</sup>.



(١) روى ابن ذكوان عن ابن هشام: ﴿فَنَازَرَهُ﴾ بقصر الهمزة، وقرأ الباقر بالمد.

(٢) حكاه النقاش عن ابن عباس<sup>(٤)</sup> كما في المحرر الوجيز (٧/٦٩١).



## سورة الحجرات

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ۖ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ  
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ  
رَسُولِ اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ فُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ لَٰنَ الَّذِينَ  
يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ  
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا  
أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا بَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ  
لَوْ طِيعْتُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي  
فُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْبُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاكِدُونَ ﴿٧﴾ بَضَلًا مِّنَ  
اللَّهِ وَنِعْمَةً ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ \* وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأْضَلِخَا بَيْنَهُمَا  
فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن بَاءَتْ  
فَأْضَلِخَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ  
فَأْضَلِخُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به، ولا تقطعوا في رأي إلا بنظره.

والثاني: لا تقدموا الولاية بمحضه؛ فإنه يقدم من شاء.

والثالث: لا تتقدموا بين يديه إذا مشى، وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب:

﴿لَا تَقْدِمُوا﴾ بفتح التاء والقاف والذال.

والأول هو الأظهر؛ لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي، وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له، فربما فعل ذلك قوم مع النبي ﷺ، فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد: معناه: لا تفتاتوا على الله شيئاً حتى يذكره على لسان رسوله ﷺ<sup>(١)</sup>. وإنما قال: «بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ»؛ لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحى الله<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب؛ كرامة له وتعظيماً.

وسببها: أن بعض جفاة الأعراب<sup>(٣)</sup> كانوا يرفعون أصواتهم.

﴿أَنْ تَخْبِطَ أَعْمَلُكُمْ﴾ مفعول من أجله، تقديره: مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته، أو جهرتم له بالقول ﷺ. فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معاً من طريق المعنى.

وأما من طريق الإعراب: فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو: «لَا تَجْهَرُوا»، وعند الكوفيين بالأول وهو «لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ». وهذا الإحباط؛ لأن قلة الأدب معه ﷺ والتقصير في توقيفه يُحبط الحسنات وإن فعله مؤمن؛ لعظيم ما وقع فيه من ذلك. وقيل: إن الآية خطابٌ للمنافقين، وهذا ضعيف؛ لقوله في أولها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا» وقوله: «وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق؛ فإنه يفعله جُرْأَةٌ وهو يقصده.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر ؓ، فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر ؓ: «والله يا رسول الله لا كلمتك إلا سراً<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>، وكان عمر ؓ يخفي كلامه حتى يستفهمه النبي ﷺ<sup>(٦)</sup>. ولفظها مع ذلك على عمومته.

(١) أخرجه الطبري (٣٣٦/٢١)، ولفظه: «لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه».

(٢) في ج: «بوحى من الله».

(٣) في ب، هـ: «العرب».

(٤) في ج، د: «إسراة».

(٥) أخرجه الحاكم (٣٧٢٠) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، من حديث أبي هريرة ؓ.

(٦) أخرجه البخاري (٧٣٠٢).

ومعنى «امْتَحَنَ»: اختبر، فوجدها كما يجب، مثل ما يُخْتَبَر الذهب بالنار، فيوجد طيبًا. وقيل: معناه: درَّبها للتقوى؛ حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلف. وقيل: معناه: أخلصها الله للتقوى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ «الْحُجَرَاتِ»: جمع حُجْرَة، وهي قطعة من الأرض يُحْجَر حولها بحائط، وكان لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ حجرة. ونزلت الآية في وفد بني تميم، قدموا على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبي ﷺ، فوقفوا خارجها ونادوا: «يا محمد! اخرج إلينا، يا محمد! اخرج إلينا»، فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداءة وقلة توقير، فتربص رسول الله ﷺ مدة ثم خرج إليهم، فقال له واحد منهم -وهو الأقرع بن حابس-: يا محمد إن مدحي زَيْنٌ وذَمِّي شَيْنٌ، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك! ذلك الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيهم قليل ممن يعقل، ونفى العقل عن أكثرهم، لا عن جميعهم. والآخر: أن يكون جميعهم ممن لا يعقل، وأوقع القلة موضع<sup>(٢)</sup> النفي. والأول أظهر في مقتضى اللفظ، والثاني أبلغ في الذم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ يعني: خيرًا في الثواب، وفي انبساط نفس النبي ﷺ لهم، وقضائه لحوائجهم. وإنكارُ فعلهم فيه تأديبٌ لهم، وتعليمٌ لغيرهم. ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ سببها: أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق؛ ليأخذ زكواتهم<sup>(٣)</sup>، فروي أنه كان معاديًا لهم، فأراد إذايتهم، فرجع من بعض طريقه وكذب عليهم، وقال للنبي ﷺ: إنهم قد منعوني الصدقة وطرّدوني وارتدّوا،

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٩١)، والطبري (٣٤٦/٢١) من حديث الأقرع بن حابس، وإسناد أحمد رجاله رجال الصحيح، كما في مجمع الزوائد (٢٣٨/٧)، وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (٥٣٩/١٣). وأخرجه الترمذي (٣٢٦٧) وحسنه، والنسائي في الكبرى (١١٤٥١)، والطبري (٣٤٥/٢١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) في ب، هـ: «موقع».

(٣) في أ، د، هـ: «زكواتهم».

فغضب رسول الله ﷺ وهمم بغزوهم، ونظر في ذلك، فوردَ وفدَّهم منكربين لذلك<sup>(١)</sup>.

وروي أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه مُتَلَقِّينَ له، فرآهم على بعدٍ ففزع منهم وظنَّ بهم الشر، وانصرف فقال ما قال<sup>(٢)</sup>. وروي أنه بلغه أنهم قالوا: لا نعطيه صدقة ولا نطيعه، فانصرف وقال ما قال.

فالفاسق المشار إليه في الآية: هو الوليد بن عقبة، ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفسَّاق، حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران، ثم قال لهم: أزيدكم؟<sup>(٣)</sup>. ثم هي باقية فيمن اتَّصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر.

وقرئ ﴿بَتَيْنًا﴾ من التبيين، و﴿تَتَبَتْنَا﴾ بالثاء<sup>(٤)</sup> من التثبُّت<sup>(٥)</sup>، ويقوي هذه القراءة: أنها لما نزلت روي أن رسول الله ﷺ قال: «التثبُّت<sup>(٦)</sup> من الله، والعجلة من الشيطان»<sup>(٧)</sup>. واستدلَّ بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد؛ لأن دليل الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبول.

قال المنذر البلوطي: وهذه الآية تردُّ على من قال: إن المسلمين كلهم عدول؛ لأن الله أمر بالتبيين<sup>(٨)</sup> قبل القبول، فالمجهول الحال يُخشى أن يكون فاسقًا.

﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: مخافة أن تصيبوا قومًا بجهالة. والإشارة إلى قتال بني المصطلق؛ لما ذكر عنهم الوليد ما ذكر.

(١) أخرجه أحمد (١٨٤٥٩)، وابن أبي حاتم (٣٣٠٣/١٠)، والطبراني في الكبير (٢٧٤/٣) عن الحارث بن ضرار الخزاعي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٨/٧): «ورجال أحمد ثقات»، وقال السيوطي في الدر المشور (٥٤٥/١٣): «بسند جيد».

(٢) أخرجه الطبري (٣٥٠/٢١) عن أم سلمة وابن عباس ؓ.

(٣) في أ، هـ زيادة: «إن شئتم».

(٤) قرأ حمزة والكسائي بالثاء من التثبُّت، وقرأ الباقر بالباء من التبيين.

(٥) في أ، ب، هـ: «التثبُّت».

(٦) في ب، هـ: «التثبُّت».

(٧) أخرجه الطبري (٣٥٢/٢١) عن قتادة مرسلاً، ولفظه: «التبيين من الله...»، وعليه؛ فليس في هذه الرواية دلالة على تقوية هذه القراءة، بل فيها دلالة على تقوية القراءة الأولى.

(٨) في ب، ج، د: «بالتبيين».

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي: لشقيتكم، والعنت: المشقة. وإنما قال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ ولم يقل: ﴿لو أطاعكم﴾؛ للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته ﷺ لهم، والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم، وذلك أن رأي رسول الله ﷺ خير وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناس في رأيهم<sup>(١)</sup> لهلكوا، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ الآية.

﴿وَإِذْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِتْتَلَوْا بِأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ اختلف في سبب نزولها: فقال الجمهور: هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله بن أبي بن سلول حين مرَّ به رسول الله ﷺ وهو متوجهٌ إلى زيارة سعد بن عبادَةَ ﷺ في مرضه، فقال عبد الله بن أبي للنبي ﷺ: لقد أذاني نثنُ حمارك، فردَّ عليه عبد الله بن رواحة ﷺ وتلاحى الناس حتى وقع بين الطائفتين ضربٌ بالجريد<sup>(٢)</sup>، ويروى: بالحديد<sup>(٣)</sup>. وقيل: سببها أن فرقتين من الأنصار وقع بينهما قتال، فأصلحه رسول الله ﷺ بعد جهْدٍ، ثم حُكِّمها باقي إلى آخر الدهر. وإنما قال: ﴿إِتْتَلَوْا﴾ ولم يقل: «اقتتلا»؛ لأن الطائفة في معنى القوم والناس، فهي -في المعنى- جمعٌ.

﴿وَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ بَقَّتِلَوْا آلِيَهُ تَبَعِي﴾ أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية، وذلك إذا تبين أنها باغية. فأما الفتن التي تقع بين المسلمين؛ فاختلف العلماء فيها على قولين: أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال، وهذا مذهب سعد بن أبي وقاص، وأبي ذر، وجماعة من الصحابة ﷺ، وحجَّتْهم: قول رسول الله ﷺ: «قتال المسلم كفر»<sup>(٤)</sup>، وأمره ﷺ بكسر السيوف في الفتن<sup>(٥)</sup>.

(١) في أ، هـ: «آرائهم».

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩) من حديث أنس ﷺ، وأخرجاه أيضًا -البخاري (٦٢٠٧)، ومسلم (١٧٩٨)- من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

(٣) انظر: فتح الباري (٢/٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) عن ابن مسعود ﷺ.

(٥) في حديث أبي بكره ﷺ، وفيه أن النبي ﷺ قال: «يَعْمَدُ إِلَىٰ سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَىٰ حِدِّهِ بِحَجَرٍ». أخرجه مسلم (٢٨٨٧)، والمراد: كسر السيف حقيقة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٩/١٨).

والقول الثاني: أن النهوض فيها واجب؛ لتكف الطائفة الباغية، وهذا مذهب علي، وعائشة، وطلحة، والزبير، وأكثر الصحابة رضي الله عنهم، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء، وحجتهم: هذه الآية.

فإذا فرعنا على القول الأول: فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله، يريد نفسه أو ماله فعليه دفعه عن نفسه وإن أدى ذلك إلى قتله؛ لقوله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ نَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»<sup>(١)</sup>.

وإذا فرعنا على القول الثاني: فاختلف مع من يكون النهوض في الفتن؟  
فقليل: مع السواد الأعظم، وقيل: مع العلماء، وقيل: مع من يرى أن الحق معه.  
وحكم القتال في الفتن: أن لا يُجهز على جريح، ولا يُطلب هارب، ولا يُقتل أسير، ولا يُقسم فيء.

﴿حَتَّى تَفِيءَ﴾ أي: ترجع إلى الحق.

﴿وَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إنما ذكره بلفظ التثنية؛ لأن أقل من يقع بينهم البغي اثنان.  
وقيل: أراد بالأخوين: الأوس والخزرج. وقرئ ﴿بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ﴾ بالتاء على الجمع<sup>(٢)</sup>، وقرئ ﴿بَيْنَ إِخْوَانِكُمْ﴾ بالنون<sup>(٣)</sup> على الجمع أيضًا.



(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، مسلم (١٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وليس فيه لفظة: «نفسه»، ولكن جاء في حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... ومن قتل دون دمه فهو شهيد»، أخرجه أحمد (١٦٥٢)، والترمذي (١٤٢١) وصححه، والنسائي (٤١٠٦).

(٢) وهي قراءة يعقوب.

(٣) قرئ بها في الشاذ، وهي قراءة ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن سيرين والحسن وعاصم الجحدري وثابت البناني وحامد بن سلمة. المحرر الوجيز (١٤/٨).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٥٣﴾

﴿٥١﴾ لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ ﴿٥١﴾ نهي عن السخرية، وهي الاستهزاء بالناس.

﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ أي: لعل المسخور منه خيرٌ من الساخر عند الله، وهذا تعليل للنهي.

﴿وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ﴾ لما كان القوم لا يقع إلّا على الذكر ان عطف النساء عليهم.

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا يطعن بعضكم على بعض. واللمز: العيب، سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز في سورة «الهمزة». و﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ هنا بمنزلة قوله: ﴿بَسَلِمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٥٩].

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا يدع أحدٌ<sup>(١)</sup> أحداً بلقب، والتناز باللقاب: التداعي بها. وقد أجاز المحدثون أن يقال: الأعمش والأعرج ونحوه، إذا دعت إليه الضرورة، ولم يقصد النقص والاستخفاف.

﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يريد بـ«الاسم»: أن يُسمّى الإنسان فاسقاً بعد أن سُمّي مؤمناً، وفي ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: استقباح الجمع بين الفسوق وبين الإيمان، فمعنى ذلك: أن من فعل شيئاً من هذه الأشياء التي تُهي عنها فهو فاسق وإن كان مؤمناً.

(١) في د: «أحدكم».

والآخر: بشئ ما يقوله الرجل للآخر: «يا فاسق» بعد إيمانه، كقولهم لمن أسلم من اليهود: «يا يهودي».

الثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن، وهذا على مذهب المعتزلة<sup>(١)</sup>.

﴿إِجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ يعني: ظن السوء بالمسلمين، وأما ظن الخير فهو حسن. ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قيل: معنى الإثم هنا: الكذب لقوله ﷺ: «الظن أكذب الحديث»<sup>(٢)</sup>؛ لأنه قد لا يكون مطابقاً للأمر. وقيل: إنما يكون إثماً إذا تكلم به، وأما إذا لم يتكلم به فهو في فسحة؛ لأنه لا يقدر على دفع الخواطر. واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع في الشرع؛ لأنه أمر باجتناّب كثير من الظن، وأخبر أن بعضه إثم؛ فأمر باجتناّب أكثر من الإثم؛ احترازاً من الوقوع في البعض الذي هو إثم.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي: لا تبحثوا عن مخبآت الناس. وقرأ الحسن: «تَحَسَّسُوا» بالحاء<sup>(٣)</sup>. والتجسس بالجيم: في الشر، وبالحاء: في الخير. وقيل: التجسس: ما كان من وراء وراء، والتجسس - بالحاء -: الدخول والاستعلام.

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَّغْضُكُم بَعْضًا﴾ المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه. والغيبة: هي ما يكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره»، قيل: يا رسول الله وإن كان

(١) [التعليق ١٠١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف: «الثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن...»، إلخ: أقول: الفرق بين الوجه الثاني والثالث: أن المراد بالوجه الثاني: من أطلق على أخيه: «فاسق»؛ على وجه السب مغايظة له لخصومة بينهما.

فأما الثالث، فمعناه: الحكم على المسلم العاصي: بأنه فاسق، وليس بمؤمن، فيُخرجُه عن الإيمان، ويجعلُه في منزلة بين الإيمان والكفر؛ وهذا - كما قال المؤلف - على مذهب المعتزلة؛ فإنهم يجعلون مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن، ولا هو كافر؛ فخالقوا أهل السنة الذين يقولون: «إن مرتكب الكبيرة معه أصل الإيمان؛ فهو مؤمن ناقص الإيمان». وخالقوا الخوارج الذين يقولون: «مرتكب الكبيرة كافر».

ثم يتفق الخوارج والمعتزلة على حكمه في الآخرة، وهو الخلود في النار.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، مسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) المحرر الوجيز (١٩/٨).



حقاً؟ قال: «إذا قلت باطلاً فذلك البهتان»<sup>(١)</sup>. وقد رُخص في الغيبة في مواضع؛ منها: في التجريح في الشهادة، والرواية، والنصيحة في النكاح وشبهه، وفي التحذير من أهل الضلال.

﴿أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا بَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه الله تعالى الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتاً، والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم، ثم زاد في تقييده أن جعله ميتاً؛ لأن الجيفة مستقدرة. ويجوز أن يكون «مَيْتًا» حالاً: من الأخ، أو من لحمه. وقيل: «بَكَرِهْتُمُوهُ» إخبار عن حالهم بعد التقرير، كأنه لما قرره: «هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً؟» أجابوا فقالوا: «لا نحب ذلك»، فقال لهم: «فكرهتموه»، وبَعَدَ هذا محذوف تقديره: «فكذلك فاكروها الغيبة التي هي تشبهه»، وحُذِفَ هذا؛ لدلالة الكلام عليه، وعلى هذا المحذوف يُعْطَفُ قوله: «وَاتَّقُوا اللَّهَ»، قاله أبو علي الفارسي<sup>(٢)</sup>.

وقال الرُّماني: كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحق أن يجاب؛ لأنه بصيرٌ عالم، والطبع أعمى جاهل<sup>(٣)</sup>. وقال الزمخشري: في هذه الآية مبالغات كثيرة: منها: الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها: جَعَلَ ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة، ومنها: إسناد الفعل إلى «أَحَدِكُمْ»، والإشعار بأن أحداً من الأخدين لا يحب ذلك، ومنها: أن لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتاً، ومنها: أن لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخاً<sup>(٤)</sup>.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الذكر والأنثى هنا: آدم ﷺ وزوجته<sup>(٥)</sup>. قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس، كأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) المحرر الوجيز (٢٢/٨).

(٣) المحرر الوجيز (٢٢/٨).

(٤) الكشف (٥٠٢/١٤).

(٥) في دزيادة: «حواء».

(٦) المحرر الوجيز (٢٣/٨).

والأول أظهر وأصح؛ لقوله ﷺ: «الناس من آدم، وآدم من التراب»<sup>(١)</sup>.

ومقصود الآية: التسوية بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب؛ إنما هو بالتقوى، قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله»<sup>(٢)</sup>.

وروي أن سبب الآية أن رسول الله ﷺ أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا: كيف نزوج نساءنا<sup>(٣)</sup> لمواليها؟<sup>(٤)</sup>

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الشعوب: جمع شعب - بفتح الشين -، وهو أعظم من القبيلة، وتحتة القبيلة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، وهم القرابة الأدنون. فمُضَر وربيعة وأمثالهما: شعوب، وقريش قبيلة، وبنو عبد مناف بطن، وبنو هاشم فخذ - ويقال بإسكان الخاء؛ فرقاً بينه وبين الجارحة -، وبنو عبد المطلب فصيلة. وقيل: الشعوب: في العجم، والقبائل: في العرب، والأسباط: في بني إسرائيل. ومعنى ﴿لِتَعَارَفُوا﴾: ليعرف بعضكم بعضاً.



(١) أخرجه أحمد (٨٧٣٦)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٦) وصححه، عن أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه الحاكم (٧٧٠٧) وصححه، عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس ؓ، وفي صحيح مسلم

(٢٣٧٨) عن أبي هريرة ؓ، قال: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أنقاهم».

(٣) في د: «بناتنا».

(٤) أخرجه أبو داود في المراسيل (٢٣٠) عن الزهري مراسلاً.

\* قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَآمَنَّا فُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ ائْمَنَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزَلُوا وَجَّهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٢﴾ فُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا فُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيْمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَآمَنَّا﴾ نزلت في بني أسد بن خزيمة<sup>(١)</sup>، وهي قبيلة كانت تجاور المدينة، أظهروا الإسلام، وكانوا إنما يحبون المغنم وعرض الدنيا، فأكذبهم الله في قولهم: «آمنّا»، وصدقهم لو قالوا: «أسلمنا». وهذا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإسلام هو الانقياد للنطق<sup>(٢)</sup> بالشهادتين والعمل بالجوارح، فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى، وقد يكونان متفقين، وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل الإيمان فيه، حسبما ورد في مواضع أخر<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ معنى «لَا يَلِتْكُمْ»: لا ينقصكم شيئاً من أجور أعمالكم. وفيه لغتان: يقال: لات، وعليه قراءة نافع: «لَا يَلِتْكُمْ» بغير همز، ويقال: آلت، وعليه قراءة من قرأ: «لَا يَأْلِيْكُمْ» بهمزة قبل اللام<sup>(٤)</sup>.

فإن قيل: كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا؛ ولا تُقبل الأعمال<sup>(٥)</sup> إلا من مؤمن؟

(١) أخرجه الطبري (٣٨٨/٢١) عن مجاهد.

(٢) في ب: «إلى النطق».

(٣) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٤).

(٤) قرأ أبو عمرو بهمزة قبل اللام، وقرأ الباقر بحذف الهمزة.

(٥) في د: «ولا يقبل الأعمال».



فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال، فالمعنى: إن رجعتُم عما أنتم عليه من الإيمان بالسنتكم دون قلوبكم، وعملتُم أعمالاً صالحة فإن الله لا ينقصكم منها شيئاً.

﴿ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا﴾ أي: لم يشكُّوا في إيمانهم، وفي ذلك تعريضٌ بالأعراب المذكورين؛ لأنهم في شكٍّ، وكذلك قوله في هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ تعريضٌ أيضاً بالأعراب؛ إذ كذبوا في قولهم: آمنا. وإنما عطف ﴿ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا﴾ بـ﴿ثُمَّ﴾؛ إشعاراً بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة.

﴿وَجَاهَدُوا﴾ يريد: جهاد الكفار؛ لأنه دليلٌ على صحة الإيمان. ويبعد أن يريد: جهاد النفس والشيطان؛ لقوله: ﴿يَا مَوْلَاهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ نزلت في بني أسد أيضاً<sup>(١)</sup>؛ فإنهم قالوا للنبي ﷺ: إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم.

﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَبِيكُمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: هداكم للإيمان على زعمكم، ولذلك قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. و﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى: يُنعم عليكم، أو بمعنى: يذكر إنعامه، وهذا أحسن؛ لأنه في مقابلة: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ﴾.



(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٥٥)، والبزار (٣٢٨/١١) عن ابن عباس ؓ، وأخرجه الطبري (٣٩٧/٢١) عن سعيد بن جبير.

## سُورَةُ قَٰ

قَٰ وَالْفُرْقَانِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْفُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَمِيطٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ بِهِمْ فِي أَمْرِ مَرْيَمَ ﴿٥﴾ أَقَلَّمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَشْبَثْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ \* وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَثْنَا بِهِ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالشَّجَلِ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مِثْلًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُوعٍ ﴿١٤﴾ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُهُ ﴿١٥﴾ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾

﴿١﴾ تَكَلَّمْنَا عَلَى حُرُوفِ الْهَجَاءِ فِي «الْبَقَرَةِ». وَيَخْتَصُّ «قَٰ»: بِأَنَّهُ قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ مِنْ اسْمِ اللَّهِ: الْقَاهِر، أَوْ الْقَادِر، وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ لِلْقُرْآنِ<sup>(١)</sup>، وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ الْجَبَلِ<sup>(٢)</sup> الَّذِي يَحِيطُ بِالدُّنْيَا. «وَالْفُرْقَانِ الْمَجِيدِ» مِنَ الْمَجْدِ، وَهُوَ الشَّرَفُ وَالْكَرَمُ. وَجَوَابُ هَذَا الْقِسْمِ مُحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: مَا رَدُّوا أَمْرَكَ بِحُجَّةٍ وَمَا كَذَّبُوكَ بِبِرْهَانٍ وَشَبَّهَ ذَلِكَ، وَعَنْ هَذَا الْمُحذُوفِ وَقَعَ الْإِضْرَابُ بِ«بَلْ». وَقِيلَ: الْجَوَابُ: «مَا يَلْهَيْزُ مِنْ قَوْلٍ»، وَقِيلَ: «لَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا»، وَقِيلَ: «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْفُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ»، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ ضَعِيفَةٌ مُتَكَلِّفَةٌ. ﴿١٦﴾ «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» الضَّمِيرُ فِي «عَجِبُوا» لِكُفَّارِ قَرِيشٍ، وَالْمُنْذِرُ: هُوَ

(١) فِي أ، هـ: «الْقُرْآن».

(٢) فِي د: «لِلْجَبَل».

محمد ﷺ. وقيل: الضمير لجميع الناس، واختاره ابن عطية، قال: ولذلك قال تعالى: ﴿بَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> أي: الكافرون من الناس. والصحيح: أنه لقريش، وقوله: ﴿بَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمرة؛ لقصد ذمهم بالكفر، كما تقول: «جاءني فلان، فقال الفاجر كذا» إذا قصدت ذمه.

وقوله: ﴿مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: إن كان الضمير لقريش: فمعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾: من قبيلتهم، يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم، وإن كان الضمير لجميع الناس: فمعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾: إنسان مثلهم. وتعجبهم<sup>(٢)</sup> يحتمل<sup>(٣)</sup> أن يكون من أن يبعث الله بشراً، أو من الأمر الذي يتضمنه الإنذار، وهو الحشر، ويؤيد هذا ما يأتي بعد.

﴿إِذَا مِثْنَا مَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ العامل في ﴿إِذَا﴾: محذوف، تقديره: أثبت إذا متنا؟

﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ الرجوع: مصدر رجعت، والمراد به: البعث بعد الموت، ومعنى ﴿بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد الوقوع عندهم. وقيل: الرجوع: الجواب، أي: جوابهم هذا بعيد عن الحق، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ من كلام الله تعالى، وأما على الأول: فهو حكاية كلام الكفار، وهو أظهر.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ هذا رد على الكفار في إنكارهم للبعث. ومعناه: قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومهم وعظامهم؛ فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله ﷺ: «كل جسد ابن آدم تأكله الأرض، إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه<sup>(٤)</sup> يركب»<sup>(٥)</sup>. وقيل: المعنى: قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم، والأول قول ابن عباس<sup>(٦)</sup>، والجمهور، وهو أظهر.

(١) المحرر الوجيز (٣٢/٨) ولم أقف من كلامه على ما يدل أنه اختاره وارتضاه، وإنما حكاه عن جمهور المتأولين.

(٢) في أ: «وتعجبهم».

(٣) في د: «وتعجبهم تحيرهم، فيحتمل...».

(٤) في د: «ومنه» وهو موافق لرواية البخاري.

(٥) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة<sup>(٦)</sup>.

(٦) أخرجه الطبري (٤٠٤/٢١).

﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَمِيْظٌ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، ومعنى ﴿حَمِيْظٌ﴾: جامع لا يَشُدُّ عنه شيء، وقيل: معناه: محفوظ من التبديل والتغيير.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِآلِحَقٍّ لَّمَّا جَاءَهُمْ﴾ هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول؛ للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أقبح من تعجبهم<sup>(١)</sup>، وهو التَّكْذِيبُ بالحق الذي هو النبوة، وما تَضَمَّتْهُ من الإخبار بالحشر وغير ذلك. وقال ابن عطية: هذا الإضراب عن كلام محذوف تقديره: «ما أجادوا النظر»، أو نحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيْجٍ﴾ أي: مضطرب؛ لأنهم تارة يقولون: ساحر، وتارة شاعر، وغير ذلك من أقوالهم<sup>(٣)</sup>. وقيل: معناه: مُنْكَرٌ، وقيل: مُلْتَبِسٌ، وقيل: مُخْتَلِطٌ.

﴿وَرَزَيْنَاهَا﴾ يعني: بالنجوم.

﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي: من شقاق، وذلك دليل على إتقان الصَّنعة.

﴿رَوَّاسِيٍّ﴾ يعني: الجبال.

﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾ أي: من كل نوع جميل.

﴿مَاءٌ مَّيْبَرَكٌ﴾ يعني: المطر كله. وقيل: إنما الماء المبارك مطر<sup>(٤)</sup> مخصوص يُنزله الله كل سنة، وليس كل المطر<sup>(٥)</sup> يتصف بالبركة، وهذا ضعيف.

﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يُحصد.

﴿بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طويلات.

﴿ظَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ الطَّلْع: أول ما يظهر من التمر، وهو أبيض منضد كحب الرمان، فما دام ملتصقاً ببعضه ببعض فهو نضيد، فإذا تفرق فليس بنضيد.

(١) في أ: «تعجبهم».

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٣).

(٣) في د زيادة: «الفاصلة».

(٤) في د: «ماء».

(٥) في ب، ج، د: «مطر».

- ﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ تمثيلٌ لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من الأرض.
- ﴿وَأَصْحَابُ الرَّيِّ﴾ قومٌ كانت لهم بئر عظيمة، وهي الرِّسُّ، بُعِثَ إليهم نبيٌّ فجعلوه في الرِّسِّ وردّموها عليه، فأهلكهم الله.
- ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ يعني: قوم شعيب، وقد ذُكِرَ<sup>(١)</sup>.
- ﴿وَقَوْمُ ثَيَّجٍ﴾ ذكر في «الدخان»<sup>(٢)</sup>.
- ﴿بَحَقٍّ وَعِيدٍ﴾ أي: حلٌّ بهم الهلاك.
- ﴿أَبَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ يقال: عَيِيَ بالامر: إذا لم يعرف عمله. والخلق الأول: خلق الإنسان من نطفة ثم من علقه، وقيل: يعني: خلق آدم ﷺ، وقيل: خلق السماوات والأرض، والأول أظهر. ومقصود الآية: الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث، والهمزة للإنكار.
- ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم في شكٍّ من البعث، وإنما نكّر الخلق الجديد؛ لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين، وعرف الخلق الأول؛ لأنه معروف معهود.



(١) انظر تفسير الآية (٧٨) من سورة الحجر، وتفسير الآية (١٧٦) من سورة الشعراء.

(٢) انظر تفسير الآية (٣٥).



وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيْنَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْمِزُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَفِيبٌ عْتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بِكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عْتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْفِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾ أَلَدِ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفِيَنَّهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ \* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

﴿١٦﴾ «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» يعني: جنس الإنسان<sup>(١)</sup>، ومعنى «تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ»: تحدّثه به نفسه في فكرتها، وذلك أخفى الأشياء. وقيل: يعني: آدم ﷺ، ووسوسته: عند أكله من الشجرة، والأول أظهر وأشهر.

«وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» هو عِرْقٌ كبير في العنق، وهما وريدان عن يمين وشمال، وهذا مثلٌ في فَرْطِ الْقُرْبِ، والمراد به: قُرْبُ عِلْمِ اللَّهِ واطِّلاَعُهُ عَلَى عِبْدِهِ. وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك: «مسجد الجامع»، أو يراد بالحبل: العائق<sup>(٢)</sup>.

﴿١٧﴾ «إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيْنَ» يعني: الملكين الحافظين الكاتِبَيْنِ للأعمال. والتلَفَّى: هو تَلَفَّى الكلام بحفظه وكتابته. والعامل في «إِذْ»: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ»، وقيل: مضمَرٌ تقديره: اذكر. واختاره ابن عطية<sup>(٣)</sup>.

«عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ» أي: قاعد. وقيل: مُقَاعِدٌ، بمعنى مُجَالِسٍ، وردّه ابن عطية:

(١) في ب، ج، د: «الناس».

(٢) عبارة الكشاف (١٤/٥٣٦): «أن يُرَاد: حبلُ العائق، فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العائق؛ لاجتماعهما في عضو واحد»، فلعلّ الأقرب في عبارة ابن جزيّ أن تكون: «أو يراد بالوريد العائق»، فيكون الحبل الذي هو الوريد مضافاً إلى العائق؛ أي: حبل العائق، فلا يكون الشيء مضافاً إلى نفسه.

(٣) المحرر الوجيز (٨/٣٩).

بأن المُقَاعِد إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد يكون على جميع هيئات الإنسان<sup>(١)</sup>. إنما أفرده وهما اثنان؛ لأن التقدير: «عن اليمين قعيدٌ، وعن الشمال قعيد من المتلقين»، فحذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه. وقال الفراء: لفظ «قعيد» يدلُّ على الاثنين والجماعة<sup>(٢)</sup>؛ فلا يُحتاج إلى حذف.

﴿مَا يَلْمِزُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَفِيبٌ عَتِيدٌ﴾ العتيد: الحاضر، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن مقعد الملكين على الثنيتين<sup>(٣)</sup>، قلمهما اللسان، ومدادهما الرِّيق<sup>(٤)</sup>». وعموم الآية يقتضي: أن الملكين يكتبان جميع كلام العبد، ولذلك قال الحسن وقتادة: يكتب الملكان جميع الكلام فيُثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك<sup>(٥)</sup>. وقال عكرمة: إنما تُكتب<sup>(٦)</sup> الحسنات والسيئات لا غير<sup>(٧)</sup>.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بلقاء الله، أو فراق الدنيا. وفي مصحف عبد الله بن مسعود ؑ: «وجاءت سكرة الحق بالموت»، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق ؑ. وإنما قال: ﴿جَاءَتْ﴾ بالماضي؛ لتحقيق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال. ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تفرُّ وتهرب، والخطاب للإنسان. ﴿سَاقٍ وَشَهِيدٌ﴾ السَّاق: ملكٌ يسوقه. وأما الشهيد: فقيل: ملك آخر يشهد عليه، وهو الأظهر، وقيل: صحائف الأعمال، وقيل: جوارح الإنسان.

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٣٩-٤٠).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٧).

(٣) في د: «الشفتين»، والمثبت موافق لما في الرواية عند الثعلبي.

(٤) أخرج الثعلبي في تفسيره (٤٥٥/ ٢٤) بإسناده عن علي بن أبي طالب ؑ مرفوعاً، وإسناده ضعيف جداً، فيه أرطاة بن الأشعث وهو هالك وإ. لسان الميزان لابن حجر (٢/ ١٨). وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٤٢٥) عن معاذ ؑ مرفوعاً، وإسناده ضعيف جداً، فيه علي بن بشر، وهو ضعيف (لسان الميزان ٥/ ٥٠٣)، ونعيم بن المورّع، ضعيف يروي موضوعات (لسان الميزان ٨/ ٢٩٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٢٥).

(٦) في ب، ج: «تكتب».

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٢٥).

(٨) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٢٨).

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ خطابٌ للإنسان الذي يقتضيه قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، يريد: أنه كان غافلاً عما لقي في الآخرة. وقيل: هو خطابٌ لمحمد ﷺ؛ أي: كنت في غفلة من هذا القصص؛ وهذا في غاية الضعف؛ لأنه خروجٌ عن سياق الكلام. ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ يريد بكشف الغطاء: معاينة أمور الآخرة. ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: يُبصر ما لم يكن يبصره قبل، قال رسول الله ﷺ: «الناس نيام؛ فإذا ماتوا انتبهوا»<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ القرين هنا: الشيطان الذي كان يُغويه. وقيل: الملك الذي يسوقه، وقيل: الملك الذي يتولى عذابه في جهنم، والأول أرجح؛ لأنه هو القرين المذكور بعد، ولقوله: ﴿نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا بِهِوَّ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٥]. ومعنى قوله: ﴿مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾، أي: هذا الإنسان حاضرٌ لديّ، قد أعدتُه ويسرته<sup>(٢)</sup> لجهنم، وكذلك المعنى إن قلنا: إن القرين هو الملك السائق. وإن قلنا: إنه أحد الزبانية: فمعناه: هذا العذاب لديّ حاضرٌ.

ويحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا لَدَيَّ﴾: موصوفة أو موصولة، فإن كانت موصوفة: فـ﴿عَتِيدٌ﴾ صفةٌ لها، وإن كانت موصولة: فـ﴿عَتِيدٌ﴾: بدلٌ منها، أو خبرٌ بعد خبر، أو خبرٌ مبتدأٌ محذوف. و﴿مَا﴾ هي خبر المبتدأ<sup>(٣)</sup> على هذه الوجوه. ويحتمل أن يكون ﴿عَتِيدٌ﴾ الخبر، وتكون ﴿مَا﴾ بدلاً من ﴿هَٰذَا﴾، أو منصوبة بفعل مضمّر.

﴿الْفَيَّا فِي جَهَنَّمَ﴾ خطابٌ للملكين السائق والشهيد. وقيل: إنه خطابٌ لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة، ثم أُبدل منها ألف، أو على أن يكون معناه: «ألقى ألقى» فثنى مبالغةً وتأكيذاً، أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم: «خليلي»، و«صاحبي»، وهذا كله تكلفٌ بعيد، ومما يدلُّ على أن الخطاب لاثنين قوله: ﴿بِالْفَيَّةِ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾.

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٩٩٣/٢): «لم أجده مرفوعاً، يعزى إلى علي بن أبي طالب»، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٦٩١): «هو من قول علي بن أبي طالب».

(٢) في ب: «واحتضرته».

(٣) وهو ﴿هَٰذَا﴾ من قوله: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾.

﴿مَنَّاغٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قيل: منَّاغ للزكاة<sup>(١)</sup> المفروضة، والصحيح: العموم.

﴿مُرِيبٍ﴾ شك في الدين؛ فهو من الرِّيب بمعنى الشك.

﴿إِلَّذِي جَعَلَ﴾ يحتمل أن يكون مبتدأ، وخبره ﴿بِالْفَيْتَةِ﴾، وأدخل فيه الفاء؛ لتضمين معنى الشرط، أو يكون بدلاً أو صفة، ويكون ﴿بِالْفَيْتَةِ﴾ تكراراً؛ للتوكيد.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ﴾ القرين هنا: شيطانه الذي وُكِّل به في الدنيا بلا خلاف. ومعنى ﴿مَا أَطْعَيْتُهُ﴾: ما أوقعته في الطُّغيان، ولكنه طغى باختياره. وإنما حذف الواو هنا؛ لأن هذه جملة مستأنفة، بخلاف قوله: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ قبل هذا؛ فإنه عطف.

﴿لَا تَخْتَصِمُوا﴾ خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين.

﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ أي: قد حكمتُ بتعذيب الكفار؛ فلا تبديل لذلك. وقيل: معناه: لا يكذب أحدٌ لديّ؛ لعلمي بجميع الأمور، فالإشارة على هذا: إلى قول القرين: ﴿مَا أَطْعَيْتُهُ﴾.



(١) في أ، هـ: «قيل: معناه الزكاة».

يَوْمَ يَقُولُ لِحَبَّتِهِمْ هَلْ إِمْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٢٠﴾ وَازْلَاقَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَفِينِ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٢١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَبِيطٍ ﴿٢٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٢٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٢٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٢٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٢٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٢٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْفَجْرِ ﴿٣٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٣١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٣٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَاللَّيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٣٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ﴿٣٥﴾

﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ الفعل مسندٌ إلى جهنم، وقيل: إلى خزنتها من الملائكة، والأول أظهر. واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة، أو مجازًا بلسان الحال؟ والأظهر: أنه حقيقة، وذلك على الله يسير. ومعنى قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ أنها تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ. وقيل: معناه: لا مزيد؛ أي: ليس عندي موضع للزيادة، فهي على هذا قد امتلأت، والأول أظهر وأرجح؛ لما ورد في الحديث: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمه»<sup>(١)</sup>، وفي هذا الحديث كلام ليس هذا موضعه.

والمزيد يحتمل أن يكون: مصدرًا كالمحيض، أو اسم مفعول، فإن كان مصدرًا: فوزنه مَفْعِلٌ، وإن كان اسم مفعول: فوزنه مَفْعُولٌ.

﴿وَازْلَاقَتْ الْجَنَّةُ﴾ أي: قُرِبَتْ، ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي: كثير الرجوع إلى الله، فهو من: أَبَّ يَوْوبُ: إذا رجع. وقيل: هو المسبِّح لله؛ من قوله: ﴿يَجِبَالٌ أَوِيَّةٌ مَعَهُ﴾ [سبا: ١٠].

(١) أخرجه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨) عن أنس رضي الله عنه.

﴿حَمِيطٌ﴾ أي: حافظ لأوامر الله في فعلها، ولنواهيه في تركها.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: اتقى الله وهو غائب عن الناس، فالمجروح في موضع الحال. و﴿مَنْ خَشِيَ﴾ بدل، أو مبتدأ. فإن قيل: كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة؟

فالجواب: أن ذلك لقصد المبالغة في الثناء على مَنْ يخشى الله؛ لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه، قال ذلك الزمخشري<sup>(١)</sup>.

ويحتمل أن يكون الجواب عن ذلك: أن الرحمن قد صار يُستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفة، كقولنا: الله<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل: يعني: النظر إلى وجه الله، كقوله: ﴿الْحُسْبَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقيل: يعني: ما لم يخطر على قلوبهم، كما ورد في الحديث مما يرويه النبي ﷺ عن ربه أنه قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»<sup>(٣)</sup>.

﴿هُمَ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الضمير في ﴿هُمَ﴾ للقرون المتقدمة، وفي ﴿مِنْهُمْ﴾ لكفار قريش.

﴿يَتَقَبَّوْا فِي الْبَيْدِ﴾ أي: طافوا فيها. وأصله: دُخُولُهَا مِنْ أَنْقَابِهَا، أو من التَّنْقِيبِ عن الأمر؛ بمعنى البحث عنه.

﴿هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ﴾ أي: قالوا: هل من مهرب عن الله؟ أو عن العذاب؟

﴿لَسَ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: قلب واع يعقل ويفهم.

﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع وهو حاضر القلب.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ اللُّغُوبُ: الإعياء والتعب.

(١) الكشاف (١٤/٥٥٢).

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) عن أبي هريرة ؓ.

﴿وَأَضِيزٌ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني: كفار قريش وغيرهم.

﴿وَسَيِّحٌ يَخْنَدُ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد: التسبيح باللسان، أو يريد الصلاة، وقد ذكر الزمخشري الوجهين<sup>(١)</sup>. وقال ابن عطية: معناه: صلّ بإجماع من المتأولين<sup>(٢)</sup>، وهي على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس فـ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: الصبح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: العصر والظهر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء. وقيل: هي<sup>(٣)</sup> النوافل.

﴿وَإِذْبَرَّ السُّجُودَ﴾ قال عمر بن الخطاب<sup>(٤)</sup>، وعلي بن أبي طالب<sup>(٥)</sup> رضي الله عنهما: يعني: الركعتين بعد المغرب، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي النوافل بعد الفرائض<sup>(٦)</sup>، وقيل: الوتر.

﴿وَأَسْتَمِعُ﴾ معناه: انتظر، فهو عامل في ﴿يَوْمَ يَنَادِ﴾ على أنه مفعول به صريح. وقيل: المعنى: استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة، فعلى هذا: لا يكون عاملاً في ﴿يَوْمَ يَنَادِ﴾ ويوقف على ﴿وَأَسْتَمِعُ﴾، والأول أظهر.

﴿يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ المنادي هنا: هو إسرافيل الذي ينفخ في الصور، قيل<sup>(٧)</sup>: إنما وصفه بالقرب؛ لأنه يسمعه جميع الخلق. وقيل: المكان: صخرة بيت المقدس، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة، وقيل: لقربها من السماء؛ لأنها أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً<sup>(٨)</sup>، وهذا ضعيف.

﴿يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ يعني: خروج الناس من القبور.

﴿يَوْمَ تَشْفَقُ﴾ العامل في هذا الظرف: معنى قوله: ﴿حَشَرْنَا عَلَيْكَ يَسِيرًا﴾، أو هو بدل مما قبله.

(١) الكشف (١٤/ ٥٥٩).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٧).

(٣) في ب، ج: «يعني».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٤٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٦٩)، وابن أبي شيبة (٨٨٤٥).

(٦) أخرجه البخاري (٤٨٥٢) والطبري (٢١/ ٤٧٣).

(٧) في أ، ب: «وقيل».

(٨) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٧٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٠) عن كعب الأحبار.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي: بقهّار تقهرهم على الإيمان، فهو كقوله: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُضْطَرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]. وقيل: إنه إخبار بأنه ﷺ رؤوف بهم، غير جبار عليهم، وهذا أظهر. ﴿بَذَكِّرُ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [فاطر: ١٨]؛ لأنه لا ينفع التذكير إلا فيمن<sup>(١)</sup> يخاف.



(١) في د: «من».



## سُورَةُ الذَّارِيَّتِ

وَالذَّارِيَّتِ ذُرَّوًّا ۝۱ بِالْحَمِيلِ ۝۲ وَفُرًّا ۝۳ بِالْجَرِيَّتِ يُسْرًا ۝۴ بِالْمُقْسِمَةِ أَمْرًا ۝۵ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ۝۶ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَافِقُ ۝۷ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ ۝۸ إِنَّكُمْ لَهِىَ قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝۹ يُوفِكُ عَنْهُ مَنْ إِيَّكَ ۝۱۰ فِتْلَ الْخَرَّاصُونَ ۝۱۱ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝۱۲ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝۱۳ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝۱۴ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِء تَسْتَعْجِلُونَ ۝۱۵ إِنَّ الْمُتَفِينَ فِي جَنَّتِ وَعُيُوبٍ ۝۱۶ اخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝۱۷ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝۱۸ وَبِالْأَشْجَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝۱۹ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝۲۰ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝۲۱ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝۲۲ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝۲۳ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ ۝۲۴

﴿وَالذَّارِيَّتِ ذُرَّوًّا﴾ هي <sup>(١)</sup> الرِّيحُ تَذُرُّو <sup>(٢)</sup> التراب وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿تَذُرُّهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٤]. وانتصب ﴿ذُرَّوًّا﴾ على المصدرية.

﴿بِالْحَمِيلِ وَفُرًّا﴾ هي السَّحَاب تحمل المطر. والوُفْر: الحمل، وهو مفعول به.

﴿بِالْجَرِيَّتِ يُسْرًا﴾ هي السفن تجري في البحر. وإعراب ﴿يُسْرًا﴾: صفةٌ لمصدر محذوف، ومعناه: بسهولة.

﴿بِالْمُقْسِمَةِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة تقسم أمور الملكوت، من الأرزاق والأجال وغير ذلك. و ﴿أَمْرًا﴾ مفعول به. وقيل: إن ﴿الْحَمِيلِ وَفُرًّا﴾: السفن، وقيل: جميع الحيوان الحامل. وقيل: إن ﴿الْجَرِيَّتِ يُسْرًا﴾: السحاب، وقيل: الجواري من الكواكب.

(١) في ب، ج: «يعني».

(٢) في أ، هـ: «تذُرُّ».

والأول أشهر، وهو قول علي بن أبي طالب عليه السلام <sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ هذا جواب القسم. ويحتمل ﴿تُوعَدُونَ﴾ أن يكون: من الوعد أو من الوعيد، والأظهر: أنه يراد به البعث في الآخرة، وهو يشمل الوعد والوعيد.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَفَّعَ﴾ الدين هنا: الجزاء، وقيل: الحساب.

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ﴾ أي: ذات الطرائق، مثل الطرائق التي تكون في الماء إذا هبت عليه الرياح <sup>(٢)</sup>، وكذلك حُبْكُ الزرع، وهي الطرائق التي فيه. وقيل: الحبك: النجوم، وقيل: زينة السماء، وقيل: حسن خلقتها. وواحد الحُبْك: حَبَاكٌ أو حَبِيكة.

﴿إِنَّكُمْ لَهُمْ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أن يكون خطاباً لجميع الناس؛ لأنهم اختلفوا، فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ويحتمل أن يكون خطاباً للكفار خاصة؛ لأنهم اختلفوا فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: شاعر.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنِ إِبَّكَ﴾ معنى ﴿يُؤْفَكُ﴾: يُصْرَفُ، والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يحتمل أربعة أوجه: أحدها: أن يكون للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام، والمعنى: يُصْرَفُ عن الإيمان به من صُرِفَ، أي: من سبق في علم الله أنه مصروف.

الثاني: أن يكون الضمير لـ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾، أو للدين المذكور، والمعنى: يصرف عن الإيمان به مَنْ صُرِفَ.

الثالث: أن يكون الضمير للقول المختلف، والمعنى: يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قضى الله بسعادته، وهذا القول حسنٌ، إلا أن عُرِفَ الاستعمال في ﴿أُفِكَ يُؤْفَكُ﴾ إنما هو في الصَّرْفِ من خير إلى شر، وهذا من شرٍّ إلى خير.

الرابع: أن يكون الضمير للقول المختلف، وتكون «عن» سببية، والمعنى: يصرف بسبب ذلك القول من صُرِفَ عن الإيمان.

(١) أخرجه الطبري (٤٧٩-٤٨٤)، والحاكم (٣٧٣٦) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) في ب، د: «الريح».

﴿فَتِلْ الْخَرَّصُونَ﴾ دعاء عليهم، كقولهم: قاتلك الله. وقيل: إن ﴿فَتِلْ﴾ بمعنى: لعن. قال ابن عطية: واللفظة لا تقتضي ذلك<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: أصله الدعاء بالقتل، ثم جرى مجرى: لعن وقبح<sup>(٢)</sup>. و﴿الْخَرَّصُونَ﴾: الكذابون، وأصل الخرص: التخمين والقول بالظن. والإشارة: إلى الكفار، وقيل: إلى الكهان، والأول أظهر.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ الغمرة: ما يغطي عقل الإنسان، وأصله: غمرة الماء، والمراد به هنا: الجهالة والغفلة عن النظر.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: يقولون: «متى يوم الدين؟» على وجه الاستبعاد والاستخفاف.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ هذا جواب عن سؤالهم. ومعنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾: يُخْرَقُونَ ويُعَذَّبُونَ، ومنه قيل للحرة: «فتين»؛ كأن الشمس أحرقت حجارتها. ويحتمل أن يكون ﴿يَوْمَ هُمْ﴾: معرباً، والعامل فيه مضمّر تقديره: يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون. وأن يكون مبنياً؛ لإضافته إلى مبني، وعلى هذا يجوز أن يكون في موضع نصبٍ بالفعل المضمّر حسبما ذكرنا، أو في موضع رفع، والتقدير: هو يوم هم على النار يفتنون.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا حرّ قكم.

﴿أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني: يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعم<sup>(٣)</sup>. وقيل: المعنى: آخذين في الدنيا ما آتاهم<sup>(٤)</sup> ربهم من شرعه، والأول أظهر وأرجح؛ لدلالة الكلام عليه.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ الهُجُوع: النوم. وفي معنى الآية قولان:

أحدهما - وهو الصحيح -: أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل، ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرّع والدعاء.

والآخر: أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيراً.

(١) المحرر الوجيز (٦٥/٨).

(٢) الكشف (١٢/١٥).

(٣) في د: «والنعم».

(٤) في أ، هـ: «أعطاهم».

ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين: فأما على القول الأول: ففي الإعراب أربعة أوجه:  
 الأول: أن يكون ﴿قَلِيلًا﴾ خبر ﴿كَانُوا﴾ و﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ فاعل بـ ﴿قَلِيلًا﴾؛ لأن قليلًا صفة  
 مشبهةٌ باسم الفاعل، وتكون ﴿مَا﴾ مصدرية، والتقدير: كانوا قليلًا هجوعهم من الليل.  
 والثاني: مثل هذا، إلا أن ﴿مَا﴾ موصولة، والتقدير: كانوا قليلًا الذي يهجعون فيه من الليل.  
 والثالث: أن تكون ﴿مَا﴾ زائدة، و﴿قَلِيلًا﴾ ظرف، والعامل فيه ﴿يَهْجَعُونَ﴾، والتقدير:  
 كانوا يهجعون وقتًا قليلًا من الليل.  
 والرابع: مثل هذا، إلا أن ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف، والتقدير: كانوا يهجعون  
 هجوعًا قليلًا.

وأما على القول الثاني: ففي الإعراب وجهان:  
 أحدهما: أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، و﴿قَلِيلًا﴾ ظرف، والعامل فيه: ﴿يَهْجَعُونَ﴾، والتقدير:  
 كانوا ما يهجعون قليلًا من الليل.

والآخر: أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، و﴿قَلِيلًا﴾ خبر «كان»، والمعنى: كانوا قليلًا في الناس،  
 ثم ابتدأ بقوله: ﴿مِنْ أَلِيلٍ مَا يَهْجَعُونَ﴾. وكلا الوجهين باطلٌ عند أهل العربية؛ لأن «ما»  
 النافية لا تعمل ما بعدها فيما قبلها، فظهر ضعف هذا المعنى ببطلان إعرابه.

﴿وَبِالْأَشْجَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، والأشجار: آخر الليل،  
 وقد جاء في الحديث: «أن الله تعالى يقول في الثلث الآخر من الليل: من يستغفرني فأغفر  
 له»<sup>(١)</sup>. وقيل: معنى ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾: يصلُّون، وهذا بعيد من اللفظ.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الحقُّ هنا: نوافل الصدقات. وقيل: المراد الزكاة،  
 وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة. وقيل: إن الآية منسوخة بالزكاة،  
 وهذا لا يحتاج إليه؛ لأن النسخ إنما يكون مع التعارض، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل،  
 وتسمية النوافل بالحق كقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٤] وإن كان غير واجب.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال بعض العلماء: في المال حق سوى الزكاة، ورجحه ابن عطية<sup>(١)</sup>. واختلف الناس في المحروم، حتى قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم؟<sup>(٢)</sup>

فقليل<sup>(٣)</sup>: المحروم: الذي ليس له في بيت المال سهم، وقيل: الذي أجيحت ثمرته، وقيل: الذي ماتت ماشيته، وقيل: هو الكلب، وهذه الأقوال أمثلة، والمعنى الجامع لها: أن المحروم الذي حرّمه الله المال بأيّ وجه كان.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ إشارة إلى ما في خلقه الإنسان من الآيات والعبر، ولقد قال بعض العلماء: إن فيه خمسة آلاف حكمة، وقال بعضهم: الإنسان نسخة مختصرة من العالم كله.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ معنى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾: المطر، وقيل: القضاء والقدر. ويحتمل أن يكون ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الوعد أو الوعيد، والكل في السماء، ولذلك قيل: يعني: الجنة والنار، وقيل: <sup>(٤)</sup>الخير والشر.

﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ هذا جواب القسم، والضمير: لما تقدّم من الآيات والرزق، أو لـ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾.

﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِفُونَ﴾ أي: حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه، و﴿مَا﴾ زائدة. وقرئ ﴿مِثْلَ﴾ بالنصب والرفع<sup>(٥)</sup>، فالرفع: صفة لـ ﴿حَقٌّ﴾، والنصب: على الحال من ﴿حَقٌّ﴾، أو من الضمير المستتر فيه، أو صفة لـ ﴿حَقٌّ﴾، وبني لإضافته إلى مبني، أو لتركيبه مع ﴿مَا﴾ فيصير نحو: «أينما» و«كلما».



(١) المحرر الوجيز (٨/ ٤٠٨).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٥١٨).

(٣) في أ، د، هـ: «وقيل».

(٤) في ب زيادة: «يعني».

(٥) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب.

هَلْ أَتَيْكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٥٢﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٥٣﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيبَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٥﴾ فَأَقْبَلَتْ إِمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٥٦﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٥٧﴾ \* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ وَأَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٩﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٦٠﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٦١﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَنَاتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٣﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٦٤﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٦٥﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرًا أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٦٦﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٦٨﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْمِ ﴿٦٩﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٧٠﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٧١﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ فَيَآمٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٧٢﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيفِينَ ﴿٧٣﴾

﴿٥١﴾ هَلْ أَتَيْكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ المراد بالاستفهام في مثل هذا: التفخيم والتهويل. وضيف إبراهيم: هم الملائكة الذين جاؤوه ليُشروه بالولد ويهلك قوم لوط. ووصفهم بـ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ لأنهم مُكْرَمُونَ عند الله، أو لأن إبراهيم ؑ أكرمهم؛ لأنه خدّمهم بنفسه، وعجّل لهم الضيافة، والعامل في ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ على هذا: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾. ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفاً، تقديره: اذكر.

﴿٥٢﴾ ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ نُصِبَ هذا؛ لأنه في معنى الطلب، وهو مفعول بفعل مضمر، وُرفِعَ الثاني؛ لأنه خبرٌ، تقديره: أمري سلامٌ، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة. وإن كان بمعنى التحية: فإنما رفع الثاني؛ ليدلّ على إثبات السلام، فيكون قد حيّاهم بأكثر مما حيّوه، وينتصب السلام الأول - على هذا - على المصدرية، تقديره: سلّمنا عليك سلاماً، ويرفع الثاني بالابتداء، تقديره: سلامٌ عليكم.

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: لم يعرفهم.

﴿قَالَ لَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن تكون «ألا»: حُضًّا على الأكل، أو تكون الهمزة للإنكار، دخلت على «لا» النافية.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ إنما خاف منهم لما لم يأكلوا.

﴿وَنَبِّئُوهُمْ بِغَلَمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق عليه السلام؛ لقوله: ﴿فَبَشِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: ٧٠].

﴿فِي صَرَةٍ﴾ أي: صبيحة، وذلك قولها: ﴿يَتَوَلَّيْنِي إِلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧١]، وهو من صَرَّ القلم وغيره: إذا صَوَّت. وقيل: معناه: في جماعة من النساء.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربته حياءً منهم وتعجباً<sup>(١)</sup> من ولادتها وهي عجوز.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ تقديره: قالت: أنا عجوز عقيم؛ فكيف ألد؟ أو تقديره: ألد عجوز عقيم؟

﴿قَالَ بَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم وخبركم<sup>(٢)</sup>؟ والخطب أكثر ما يقال<sup>(٣)</sup> في الشدائد.

﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعني: قوم لوط. وقد ذكرنا الحجارة و«مُسَوِّمَةً» في «هود»<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الضمير المجرور لقرية قوم لوط؛ لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها. والمراد بـ«الْمُؤْمِنِينَ»: لوط عليه السلام وأهله، أمرهم الله بالخروج من القرية؛ لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها. ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين؛ لأنهم جمعوا الوصفين. وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في «الأحزاب»<sup>(٥)</sup>.

﴿وَفِي مُوسَى﴾ معطوف على قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أو على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾.

(١) في أ، هـ: «تعجباً».

(٢) في أ، هـ: «وجز عكم»!

(٣) في أ، هـ: «يكون».

(٤) انظر تفسير الآية (٨٢).

(٥) انظر تفسير الآية (٣٥).

﴿تَوَلَّىٰ بَرْكِيهِ﴾ معنى ﴿تَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن الإيمان، وركنه: سلطانه وقوته.  
 ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: قال: إن موسى ساحرٌ أو مجنون، فـ ﴿أَوْ﴾ للشك، أو للتقسيم. وقيل: بمعنى الواو، وهذا ضعيف، ولا يستقيم هنا.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: فعل ما يُلام عليه، يعني: فرعون.  
 ﴿الرَّيْحَ الْعَقِيمَ﴾ وصفها بالعقم؛ لأنها لا بركة فيها من إنشاء مطرٍ أو إلقاح شجر.  
 ﴿كَالرَّيْمِ﴾ أي: الفاني المتقطّع. والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أُذن للريح أن تُهلكه.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان:  
 أحدهما: أن الحين: هي الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة.  
 والآخر: أن الحين: من أول بعث صالح ﷺ إلى حين هلاكهم، وعلى هذا: يكون ﴿بَعَثُوا﴾ مرتبًا بعد تمتّعهم، وأما على الأول: فيكون إخبارًا عن حالهم غير مرتّب على ما قبله.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْفَةُ﴾ يعني: الصيحة التي صاحها جبريل ﷺ.  
 ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: يعاينونها؛ لأنها كانت بالنهار.





وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿١٧﴾ وَالْأَرْضَ بَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ فَعَبِّرُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنَّهُ لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٢٢﴾ اتَّوَاصُوا بِهٖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ ﴿٢٣﴾ قَتُولَ عَنْهُمْ مِمَّا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٢٤﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ الْكَرِيمِ تَنَبَّعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٢٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٩﴾ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

﴿١٧﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴿١٧﴾ أي: بقوة. وانتصب ﴿السَّمَاءَ﴾ بفعل مضمر.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: قادرون؛ فهو من الوُسْع وهو الطاقة، ومنه ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] أي: القوي على الإنفاق.

والآخر: جعلنا السماء واسعة، أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة.

والثالث: أوسعنا الأرزاق بمطر السماء.

﴿١٨﴾ فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ﴿١٨﴾ الماهد: الموطئ للموضع.

﴿١٩﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴿١٩﴾ أي: نوعين مختلفين، كالليل والنهار، والسواد والبياض، والصحة والمرض، وغير ذلك.

﴿٢٠﴾ فَعَبِّرُوا إِلَى اللَّهِ ﴿٢٠﴾ أمر بالرجوع إليه<sup>(١)</sup> بالتوبة والطاعة، وفي اللفظ تحذير وترهيب.

﴿٢١﴾ اتَّوَاصُوا بِهٖ ﴿٢١﴾ توقيف وتعجيب، أي: هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضاً أن يقول ذلك.

(١) في أ، هـ: «إلى الله».

﴿قَتَلُوا عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف.

﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ أي: قد بلغت الرسالة؛ فلا لوم عليك.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: معناه: خلقتهم لكي أمرهم بعبادتي، وقيل: ليتذللوا لي؛ فإن جميع الإنس والجن متذلل.

﴿وَمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ﴾ أي: لا أريد أن يطعموني؛ لأنني منزّه عن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غني عن العالمين<sup>(١)</sup>. وقيل: المعنى: ما أريد أن يطعموا عبيدي، فحذف المضاف تجوزاً، وقيل: معناه: ما أريد أن يتفعلوني؛ لأنني غني عنهم، وعبر عن النفع العام بالإطعام، والأول أظهر.

﴿الْمَتِينِ﴾ أي: الشديد القوة.

﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ الذنوب: النصيب، ويريد به هنا: نصيباً من العذاب، وأصل الذنوب: الدلو. والمراد بـ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفار قريش، وبـ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾: من تقدم من الكفار.

﴿بَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة، أو يوم هلاكهم ببدر، والأول أرجح؛ لقوله في «المعارج»: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤] يعني: يوم القيامة.



(١) في د: «عن المطاء».



## سورة الطور

وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ ﴿١﴾ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ﴿٢﴾ وَالْبَيْتِ الْمَغْمُورِ ﴿٣﴾ وَالسَّافِرِ الْمَرْفُوعِ ﴿٤﴾  
وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٧﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٨﴾  
وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿٩﴾ بَوَيْلَ يَوْمٍ ذُو مَعَادٍ ﴿١٠﴾ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ  
يَدْعُونَ إِلَى بَارِ جَهَنَّمَ دَعَا هَذِهِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٣﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا  
تُنْصَرُونَ ﴿١٤﴾ أَضَلُّوْهَا فَاضْطَرُّوْا أَوْ لَا تَضْطَرُّوْا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾  
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٦﴾ بَلَكَاهُمْ بِمَا عَابَتْهُمْ رَبُّهُمْ وَوَفَّيَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾  
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ مَتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّضْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ  
بِخَوَرٍ عِينٍ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ  
عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فَإِنَّا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢١﴾  
يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ﴿٢٢﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُ  
مُكْنُونٌ ﴿٢٣﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٥﴾  
فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَفِينَا عَذَابُ السَّعِيرِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﷺ. وقيل: الطور: كل جبل، فكانه أقسم بجنس الجبال.

﴿وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، وقيل: صحائف الأعمال.

﴿فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ﴾ الرُّقُّ في اللغة: الصَّحِيفَةُ، وَخُصِّصَتْ فِي الْعُرْفِ بِمَا كَانَ مِنْ جِلْدٍ. والمنشور: خلاف المطوي.



﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيت في السماء السابعة، يدخله <sup>(١)</sup> كل يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون إليه أبداً، وبهذا هو عمرائه، وهو حيال الكعبة. وقيل: البيت المعمور: الكعبة، وعمرانها: بالحجاج والطائفين، والأول أشهر، وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهما <sup>(٢)</sup>.

﴿وَالسَّفِّ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني: السماء.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ هو بحر الدنيا. وقيل: بحر في السماء تحت العرش، والأول أظهر وأشهر.

ومعنى ﴿الْمَسْجُورِ﴾: المملوء ماءً، وقيل: الفارغ من الماء، ويُروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة <sup>(٣)</sup>، واللغة تقتضي الوجهين؛ لأن اللفظ من الأضداد. وقيل: معناه: الموقد ناراً، من قولك: سجرت التنور، واللغة أيضاً تقتضي هذا، وروي أن جهنم في البحر <sup>(٤)</sup>.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَفَّعُ﴾ هذا جواب القسم، ويعني: عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ أي: تجيء وتذهب، وقيل: تدور، وقيل: تنشق <sup>(٥)</sup>. والعامل في الظرف: ﴿وَفَّعَ﴾، أو ﴿دَافَعَ﴾، أو محذوف.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ الخوض: التخبُّط في الأباطيل، شبه بخوض الماء.

﴿يَوْمَ يَدْعُونَ﴾ أي: يُدفعون بتعنيف <sup>(٦)</sup>. و﴿يَوْمَ﴾ بدل من الظرف المتقدم.

﴿أَبْسَخِرْ هَذَا﴾ توبيخ للكفار على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر.

﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ توبيخ أيضاً لهم، وتهكُّم بهم؛ أي: هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حلَّ بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق؟

(١) في ب: «يدخل إليه في».

(٢) أخرجه الطبري (٢١/٥٦٣-٥٦٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/٥٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبري (٢١/٥٦٧)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣١٥) عن علي رضي الله عنه.

(٥) في ب، ج، هـ: «تنشق».

(٦) في ب: «يعنف».

﴿بَاصِرُونَ أَوْ لَا تَضِرُوا﴾ ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه، وإنما المراد: التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحدة من الحالين لا تنفعهم، ولا تخفف عنهم شيئاً من العذاب.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا تعليل لما ذكر من عذابهم، وليس تعليلًا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس.

﴿فَلَكِهِينَ﴾ يحتمل أن يكون معناه: أصحاب فاكهة، فيكون نحو: «لَابِن»، و«تامِر»، أو يكون من الفكاهة بمعنى الشرور.

﴿وَوَفِيهِمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ أو على ﴿ءَاتَيْهِمْ رَبَّهُمْ﴾، أو تكون الواو للحال<sup>(١)</sup>.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم: كلوا.

﴿هَنِيئًا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: كلوا أكلاً هنيئًا. ويحتمل أن يكون واقعًا موقع فعل تقديره: هناكم الأكل والشرب.

﴿بِخُورٍ عَيْنٍ﴾ الخور: جمع حوراء، وهي الشديدة بياض العين وسواد سوادها. والعين: جمع عيناء، وهي الكبيرة العين<sup>(٢)</sup> مع جمالها. وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بِخُورٍ﴾؛ لأنه تضمن قوله: ﴿زَوَّجْنَاهُمْ﴾ معنى: قرناهم، قاله الزمخشري، وقال: إن «الذين ءامنوا» معطوف على «بِخُورٍ عَيْنٍ» أي: قرناهم بخور؛ للتلذذ بهن، وبالذين آمنوا؛ للأنس معهم<sup>(٣)</sup>. والأظهر: أن الكلام تم في قوله: ﴿بِخُورٍ عَيْنٍ﴾، ويكون «وَالَّذِينَ ءَامَنُوا» مبتدأ، خبره «الْحَفَّتَا».

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ معنى الآية: ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة، وإن كانوا

(١) وقد بعدها مضمرة. الكشاف (١٥/٤٧).

(٢) في ب، ج، د: «العينين».

(٣) الكشاف (١٥/٤٩).

دونه في العمل؛ لتقرّ بهم عينه»<sup>(١)</sup>، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء، فقليل: إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغاراً، وقيل: على الإطلاق في أولاد<sup>(٢)</sup> المؤمنين. و﴿يَايَسٍ﴾ في موضع الحال من الذرية، والمعنى: أنهم اتبعوا آباءهم في الإيمان. وقال الزمخشري: إن هذا المجرور يتعلق بـ﴿أَلْحَفْنَا﴾، والمعنى عنده: بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم<sup>(٣)</sup>. والأول أظهر. فإن قيل: لم قال: ﴿يَايَسٍ﴾ بالتشكير؟

فالجواب: أن المعنى: بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلاً لدرجة آبائهم، ولكنهم لحقوا بهم كرامةً للآباء، فالمراد: تقليل إيمان الذرية، ولكنه رفع درجتهم، فكيف إذا كان إيماناً عظيماً؟

﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما نقصناهم من ثواب أعمالهم، بل وقينا لهم أجورهم، وقيل: المعنى: ألحقنا ذريتهم بهم، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم بسبب ذلك، بل فعلنا ذلك تفضلاً؛ زيادةً إلى ثواب أعمالهم. والضمير على القولين: يعود على ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وقيل: إنه يعود على الذرية.

﴿كُلُّ إِمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتَبِنٌ، فإمّا أن تنجيّه حسناته، أو تهلكه سيئاته.

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِقُحَّةٍ﴾ الإمداد: هو الزيادة مرة بعد مرة.

﴿يَتَنَزَّغُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطونها إذ هم جلوساً على الشراب.

﴿لَا لَغْوٍ فِيهَا وَلَا تَأْيِيمٌ﴾ اللغو: الكلام الساقط، والتأيم: الذنب، فهي بخلاف خمر الدنيا.

﴿عِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ يعني: خُدامهم.

﴿كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُا مَكْنُونٌ﴾ اللؤلؤ: الجوهر، والمكنون: المصون، وذلك لحسنه، وقيل: هو الذي لم يخرج من الصَّدَف.

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٣٠/٢٥)، والبزار في مسنده - كما في تفسير ابن كثير (٤٣٢/٧)، ومجمع الزوائد (٢٤٥/٧) - عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً، وفي كلا الإسنادين ضعف. وأخرجه الطبري (٥٧٩/٢١)، وابن أبي حاتم (٣٣١٦/١٠)، والحاكم (٣٧٤٤)، والبيهقي (٢١٢٩٠) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) في ج، د: الأولاد.

(٣) الكشف (٤٩/١٥).

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: كنا في الدنيا خائفين من الله، والإشفاق: شدة الخوف.

﴿السَّمُومُ﴾ أشدُّ الحر، وقيل: هو من أسماء جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ يحتمل أن يكون: بمعنى نعبد، أو من الدعاء بمعنى الرغبة. و﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يعنون: في الدنيا قبل لقاء الله.

﴿أَنَّهُ هُوَ أَلْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ البرُّ: الذي يبرُّ عباده ويحسن إليهم. وقرئ ﴿أَنَّهُ﴾: بفتح الهمزة<sup>(١)</sup>: على أن يكون مفعولاً من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به، وقرئ بكسرها: على الاستئناف.



(١) قرأ نافع والكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.

بَذَكَّرَ بِمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٥٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٥١﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ ﴿٥٢﴾ أَمْ قَامَرُهُمْ أَخْلَسَهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٥٥﴾ أَمْ خُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ ﴿٥٦﴾ أَمْ خَلَفُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَّا يُوفُونَ ﴿٥٧﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصْطَفُونَ ﴿٥٨﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٦٠﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٦١﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٦٢﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا بِالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٦٣﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٦٥﴾ بَذَرْنَاهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٦٦﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَاضْرِبْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٦٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبَرْ النُّجُومِ ﴿٧٠﴾

﴿٧٠﴾ «بَذَكَّرَ بِمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ» هذا خطابٌ للنبي ﷺ، أي: ذكّر الناس. ثم نفى عنه ما نسب إليه الكفار من الكهانة والجنون. ومعنى «بِنِعْمَتِ رَبِّكَ»: بسبب إنعام الله عليك.

﴿٥٠﴾ «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ» ﴿٥١﴾ «أَمْ قَامَرُهُمْ أَخْلَسَهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» ﴿٥٢﴾ «أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ» ﴿٥٣﴾ «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» ﴿٥٤﴾ «أَمْ خُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ» ﴿٥٥﴾ «أَمْ خَلَفُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَّا يُوفُونَ» ﴿٥٦﴾ «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصْطَفُونَ» ﴿٥٧﴾ «أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ» ﴿٥٨﴾ «أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ» ﴿٥٩﴾ «أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ» ﴿٦٠﴾ «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ» ﴿٦١﴾ «أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا بِالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ» ﴿٦٢﴾ «أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» ﴿٦٣﴾ «وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ» ﴿٦٤﴾ «بَذَرْنَاهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ» ﴿٦٥﴾ «يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» ﴿٦٦﴾ «وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ﴿٦٧﴾ «وَاضْرِبْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ» ﴿٦٨﴾ «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبَرْ النُّجُومِ» ﴿٦٩﴾ «بَذَكَّرَ بِمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ» ﴿٧٠﴾

﴿٥٠﴾ «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ» ﴿٥١﴾ «أَمْ قَامَرُهُمْ أَخْلَسَهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» ﴿٥٢﴾ «أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ» ﴿٥٣﴾ «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» ﴿٥٤﴾ «أَمْ خُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ» ﴿٥٥﴾ «أَمْ خَلَفُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَّا يُوفُونَ» ﴿٥٦﴾ «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصْطَفُونَ» ﴿٥٧﴾ «أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ» ﴿٥٨﴾ «أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ» ﴿٥٩﴾ «أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ» ﴿٦٠﴾ «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ» ﴿٦١﴾ «أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا بِالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ» ﴿٦٢﴾ «أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» ﴿٦٣﴾ «وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ» ﴿٦٤﴾ «بَذَرْنَاهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ» ﴿٦٥﴾ «يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» ﴿٦٦﴾ «وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ﴿٦٧﴾ «وَاضْرِبْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ» ﴿٦٨﴾ «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبَرْ النُّجُومِ» ﴿٧٠﴾



﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَقَهُمْ بِهَذَا﴾ الأحلام: العقول؛ أي: كيف تأمرهم عقولهم بهذا؟ والإشارة: إلى قولهم: هو شاعر، أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب. وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز، كقوله: ﴿أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [مرد: ٨٧].

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا: بمعنى «بل». ويحتمل أن تكون بمعنى: «بل» وهمزة الاستفهام، بمعنى الإنكار، كما هي في هذه المواضع كلها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي: اختلقه من تلقاء نفسه. وضمير الفاعل: لرسول الله ﷺ، وضمير المفعول: للقرآن.

﴿قَلِيلًا تَوَّابًا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ رد عليهم، وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدهم؛ فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله؟

الثاني: أم خلقوا من غير أب ولا أم، كالجمادات؛ فهم لا يؤمرون ولا يُنهون كحال الجمادات؟

الثالث: أم خلقوا من غير أن يُحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم؟ فهو على هذا كقوله: ﴿أَبَحْسِبْتُمْ أَنْتُمْ خَلَقْتُمْكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٦].

﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ معناه: أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق؟ وقيل: أهم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون؟

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِرُ رَبِّكَ﴾ المعنى: عندهم خزائن الله بحيث<sup>(١)</sup> يستغنون عن عبادته؟ وقيل: عندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاؤوا، ويمنعون من شاؤوا، ويخصون بالنبوة من شاؤوا؟

﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾ أي: الأرباب الغالبون، وقيل: المصيطن: المسلط القاهر.

(١) في بزيادة: «إنهم» وفي ج: «هم».

﴿أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ يعني: أم لهم سلم يصعدون به<sup>(١)</sup> إلى السماء، فيسمعون ما تقول الملائكة، بحيث يعلمون صحة دعواهم؟ ثم عجزهم بقوله: ﴿بَلَيَاتٍ مُّسْتَمِعُهُمْ يَسْلُطْنَ مِيبٍ﴾ أي: بحجة واضحة على دعواهم.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ المعنى: أتسألهم على الإسلام أجرًا، فيثقل عليهم غرمها؛ فيشق عليهم اتباعك؟

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ المعنى: أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا: لا نبعث، وإن بعثنا لم نعدب؟ وقيل: المعنى: فهم يكتبون للناس سُنَنًا وشرائع من عبادة الأصنام وتسيب السوائب وشبه ذلك.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ إشارة إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ، حيث تشاوروا في قتله أو إخراجة.

﴿بِالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾ أي: المغلوبون في الكيد. و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: من تقدّم الكلام فيهم، وهم قريش، فوضع الظاهر موضع المضمر، ويحتمل أن يريد جميع الكفار.

﴿أَمْ لَهُمْ آلَةٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ المعنى: هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه؟ وحصر الله في هذه الآيات جميع المعاني التي توجب التكبر والبعد من الدخول في الإسلام ونفاها عنهم؛ ليبين أن تكبرهم من غير موجب، وكفرهم من غير حجة.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كِسْفًا من السماء. فالمعنى: أنهم لو رأوا الكسف ساقطًا عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا: ليس بكسف وإنما هو سحاب مركوم، أي: كثيف بعضه فوق بعض.

﴿فَذَرَهُمْ﴾ منسوخ بالسيف.

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾ يعني: يوم القيامة، والصَّعَقَةُ فيه: هي النفخة الأولى، وقيل غير ذلك، والصحيح ما ذكرنا؛ لقوله في «المعارج» عن يوم القيامة: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا

(١) في ب، ج: «فيه».



يُوعَذُونَ ﴿[المعارج: ٤٤].

﴿عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني: قتلهم يوم بدر، وقيل: الجوع بالقحط، وقيل: عذاب القبر.

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم؛ فإننا نراك.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قول «سبحان الله»، ومعنى ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: حين تقوم من كل مجلس، وقيل: أراد: حين تقوم وتقعّد وفي كل حال، وجعل القيام مثلاً.

الثاني: أنه <sup>(١)</sup> الصلوات النوافل.

والثالث: أنها <sup>(٢)</sup> الصلوات الفرائض، فـ ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ الظهر والعصر، أي: حين تقوم من نوم القائلة، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء، ﴿وَإِذْبَتَرِ الْجُومَ﴾: الصبح.

ومن قال: هي النوافل، جعل ﴿إِذْبَتَرِ الْجُومَ﴾: ركعتي الفجر.



(١) في ب: «أنها».

(٢) في د: «أنه».

## سُورَةُ النَّجْمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطُوقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْجَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْجَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا فِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الشرب؛ لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى ﴿هَوَى﴾: غرب، أو انتثر يوم القيامة.

الثاني: أنه جنس النجوم، ومعنى ﴿هَوَى﴾: كما ذكرنا، أو انقضت ترجم الشياطين.

الثالث: أنه من نجوم القرآن، وهي الجملة التي تنزل منه، و﴿هَوَى﴾ على هذا: معناه نزل.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ هذا جواب القسم، والخطاب لقريش. و﴿صَاحِبُكُمْ﴾ هو النبي ﷺ، فنفى عنه الضلال والغَي، والفرق بينهما: أن الضلال بغير قصد، والغَي بقصد وتكسب.

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: ليس يتكلم بهواه وشهوته، وإنما يتكلم بما يوحي الله <sup>(١)</sup> إليه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ يعني: القرآن.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ضمير المفعول للقرآن، أو للنبي ﷺ. والشديد القوي: جبريل عليه السلام، وقيل: الله تعالى، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠]، و﴿الْقُوَىٰ﴾ جمع: قُوَّة.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قُوَّة، وقيل: ذو هيئة حسنة، والأول هو الصحيح في اللغة.

﴿بِاسْتَوَىٰ﴾ أي: استوى جبريل في الجو؛ إذ رآه رسول الله ﷺ وهو بحِراء. وقيل: معنى ﴿استوى﴾: ظهر في صورته له ست مئة جناح قد سدَّ الأفق، بخلاف ما كان يتمثل به من الصُّور إذا نزل للوحي، وكان ينزل في صورة دحية.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ الضمير لجبريل عليه السلام، وقيل: لمحمد ﷺ، والأول أصح.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ الضميران <sup>(٢)</sup> لجبريل عليه السلام؛ أي: دنا من محمد ﷺ فتدلى في الهواء، وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره: تدلى فدنا.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ القاب: مقدار المسافة، أي: كان جبريل من محمد ﷺ في القُرب بمقدار قوسين عربيين <sup>(٣)</sup>، ومعناه: من طرف العود إلى طرفه الآخر، وقيل: من الوتر إلى العود. وقيل: ليس القوس التي يُرمى بها، وإنما هو <sup>(٤)</sup> ذراعٌ تقاس بها المقادير، ذكره الثعلبي، وقال: إنه من لغة أهل الحجاز <sup>(٥)</sup>. وتقدير الكلام: فكان مقدارُ مسافة قُرب جبريل من محمد ﷺ مثل قَابِ قَوْسَيْنِ، ثم حُذِفَت هذه المضافات.

(١) في ب: «بوحى».

(٢) في ب، هـ: «الضمير».

(٣) في أ، هـ: «عربيتين».

(٤) في أ، هـ: «هي».

(٥) الكشف والبيان (٨٩/٢٥).

ومعنى ﴿أَوْ أَذْنِبِي﴾ أو أقرب، و﴿أَوْ﴾ هنا مثل قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: ١٤٧]، وأشبهه التأويلات فيها: أنه إذا نظر إليه البشر احتمال عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى. وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل ﷺ هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح<sup>(١)</sup>. وقيل: إنها لله تعالى، وهذا القول يردُّ عليه الحديث والعقل؛ إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

﴿بِأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ في هذه الضمائر ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى: أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى.

الثاني: أوحى الله إلى عبده جبريل ﷺ ما أوحى. وعاد الضمير على الله في القولين؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدّم ذكره، فهو كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

الثالث: أوحى جبريل ﷺ إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى. وفي قوله: ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ إبهامٌ يقتضي التفخيم والتعظيم.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رأى بعينه، بل صدق بقلبه أن الذي رأى بعينه حقٌّ. والذي رأى: هو جبريل ﷺ، يعني: حين رآه قد ملأ الأفق، وقيل: الذي رأى: ملكوت السماوات والأرض، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

(١) أخرجه مسلم (١٧٧) عن عائشة ؓ.

(٢) [التعليق ١٠٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف: «وهذا الذي ذكرنا: أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل، هو الصحيح...»، إلخ: أقول: قد أصاب المؤلف في تصحيحه أن الضمائر في الآيات لجبريل ﷺ. وأما قوله في تضعيف القول الثاني: أن الضمائر تعود إلى الله: «إن هذا القول يردُّ عليه الحديث والعقل»: فأقول: يردُّ بالحديث: ما رواه البخاري (٣٢٣٥)، عن عائشة رضي الله عنها، لما سُئِلَتْ عن قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾، قالت: «ذَلِكَ جِبْرِيلُ».

وأما قول المؤلف: «والعقل»، فمعناه: أن العقل يدُلُّ على امتناع الدنو من الله تعالى؛ وهذا يجري على مذهب من ينفي علو الله فوق المخلوقات، وينفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه. وهذا خلاف ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة من علوه تعالى فوق سمواته على عرشه، وأنه فعَّال لما يريد، والله أعلم.

وقيل: الذي رأى: هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة رضي الله عنها <sup>(١)</sup>، وسئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه» <sup>(٢)</sup>.

﴿أَبْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَبْرِئُ﴾ هذا خطاب لقريش، والمعنى: أتجادلونه على ما يرى، وكانت قريش قد كذبت لما قال إنه رأى ما رأى.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: لقد رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام مرة أخرى، وهي ليلة الإسراء. وقيل: ضمير المفعول لله تعالى، وأنكرت ذلك عائشة رضي الله عنها، وقالت: «من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله تعالى» <sup>(٣)</sup>.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ هي شجرة في السماء السابعة، قال رسول الله ﷺ: «ثمرها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة» <sup>(٤)</sup>. وسميت سدرة المنتهى؛ لأنها إليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى. وقيل: سميت بذلك؛ لأن ما نزل من أمر الله ﷻ يلتقي <sup>(٥)</sup> عندها، فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل، ولا يتجاوزها ملائكة السفلى إلى أعلى.

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ يعني: أن الجنة التي وعد الله عباده هي عند سدرة المنتهى. وقيل: هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء، والأول أظهر وأشهر.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ فيه إبهام؛ لقصد التعظيم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: غشيها فرأش من ذهب <sup>(٦)</sup>، وقيل: كثرة الملائكة، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي» <sup>(٧)</sup>، وهذا أولى أن تفسر به الآية.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما زاغ بصر محمد ﷺ عما رآه من العجائب، بل أثبتها وتيقنها، «وما طغى» أي: ما تجاوز ما رأى إلى غيره.

(١) في الحديث الذي تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨).

(٣) في الحديث الذي تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) في أ، ج، د: «يلتقي».

(٦) أخرجه مسلم (١٧٣).

(٧) أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس عن أبي ذر رضي الله عنه.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ يعني: ما رأى ليلة الإسراء من السماوات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك. ويحتمل أن تكون «الْكُبْرَى»: مفعولاً، أو نعتاً لـ «آيَاتِ رَبِّهِ»، والمعنى يختلف على ذلك<sup>(١)</sup>.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ﴾ هذه أوثانٌ كانت تُعبد من دون الله، فخطب الله مَنْ كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم. وقال ابن عطية: إن الرؤية هنا من رؤية العين؛ لأن الأوثان المذكورة أجرامٌ مرئية<sup>(٢)</sup>.

فأما اللات: فصنم كان بالطائف، وقيل: كان بالكعبة.

وأما العزَّى: فكانت صخرة بالطائف، وقيل: شجرة، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل، فضرها بالسيف حتى قتلها. وقيل: كانت بيتاً تعظمه العرب. وأصل لفظ العزَّى: مؤنثة الأعزَّ.

وأما مناة: فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى: «الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ» فأكدتها بهاتين الصفتين<sup>(٣)</sup>. وقال الزمخشري: «الْآخِرَىٰ» ذمٌ وتحقير؛ أي: المتأخرة الوضعية القدر، ومنه: «قَالَتْ أَخْرِجْنَهُنَّ لِأُولِيهِنَّ» [الأعراف: ٣٦].

﴿الْكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فانكر الله عليهم ذلك، أي: كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور، وتجعلون لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغیضة؟

وقد ذكر هذا المعنى في «النحل»<sup>(٤)</sup> وغيرها. ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى؛ مع أنهم إناث، والإناث حقيرة بغیضة عندهم.

(١) فعلى الأول يكون المعنى: لقد رأى الكبرى من آيات ربه، وعلى الثاني يكون المعنى: لقد رأى بعضاً من آيات ربه الكبرى. المحرر الوجيز (١١٥/٨).

(٢) المحرر الوجيز (١١٥/٨).

(٣) المحرر الوجيز (١١٦/٨).

(٤) انظر تفسير الآية (٥٧) وما بعدها.



﴿تِلْكَ إِذَا فُسِّمَتْ ضِيْرِيٌّ﴾ أي: هذه القسمة التي قسمت جائرة غير عادلة، يعني: جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى. ووزن ﴿ضِيْرِيٌّ﴾ فُعْلَى -بضم الفاء-، ولكنها كسرت للياء التي بعدها.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ الضمير للأوثان. وقد ذكر المعنى في «الأعراف» في قوله: ﴿أَتَجِدِ لَوْنِيَّ فِي أَسْمَاءٍ﴾ [الأعراف: ٧٠].

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني: أنهم يقولون أقوالاً بغير حجة، كقولهم: إن الملائكة بنات الله، وقولهم: إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا للإنكار، والإنسان: جنس بني آدم؛ أي: ليس لأحد ما يتمنى، بل الأمور بيد الله. وقيل: إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام، وقيل: إلى قول العاصي بن وائل: لأوتين ما لا وولداً، وقيل: هو تمنى بعضهم أن يكون نبياً، والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه.



\* وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوعْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ ﴿٢﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَأَعْرِضْ عَنْ مَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى ﴿٤﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٥﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَثْمِ وَالْعَوَاجِشِ إِلَّا اللَّتَمَّ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن تُقْبَلُ ﴿٦﴾

﴿١﴾ «وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ» الآية؛ ردُّ على الكفار في قولهم: إن الأوثان تشفع لهم،

كأنه يقول: الملائكة الكرام لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا بإذن الله فكيف أوثانكم؟

﴿٢﴾ «إِلَّا مَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى» معناه: أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه، ويرضى عنه.

﴿٣﴾ «لَيَسْمُوعْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ» يعني: قولهم: إن الملائكة بنات الله، ثم ردُّ عليهم بقوله: «وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ».

﴿٤﴾ «ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» أي: إلى ذلك انتهى علمهم؛ لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة.

﴿٥﴾ «لِيَجْزِيَ» اللام متعلقة بمعنى ما قبلها، والتقدير: إن الله ملك أمر السماوات والأرض؛ ليجزي الذي أسأوا بما عملوا، وقيل: يتعلق بـ«ضَلَّ» و«اهْتَدَى».

﴿٦﴾ «كَبِيرَ الْأَثْمِ» ذكرنا الكبائر في «النساء»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (٣١).



﴿إِلَّا أَلَلَّمْ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أنه صفات الذنوب، فلا استثناء على هذا منقطع.

الثاني: أنه الإلزام بالذنوب على وجه القلّة والسقطة دون دوام عليها.

الثالث: أنه ما أَلَمُوا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي.

الرابع: أنه الهم بالذنب وحديث النفس به دون أن يفعل.

﴿أَجَنَّةٌ﴾ جمع جنين.

﴿بَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تنسبوا أنفسكم إلى الصّلاح والخير. قال ابن عطية:

ويحتمل أن يكون نهيًا عن أن يزكّي بعض الناس بعضًا<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد؛ لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها.



أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَدْعُو ۖ وَاعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْبَدۜ ۖ أَعِنَدُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ بِهَوَىٰ يَرَىٰ ۖ أَمْ لَمْ  
يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۖ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۖ وَأَن  
لَّيْسَ لِلْإِنسِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۖ وَأَن سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَىٰ ۖ ثُمَّ يُخْبِرُهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ۖ وَأَن  
إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ۖ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكَىٰ ۖ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ۖ وَأَنَّهُ  
خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ مِن تَطْفَئَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۖ \* وَأَن عَلَىٰ النَّفْسِ الْاُخْرَىٰ ۖ  
وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۖ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ ۖ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ وَثَمُودًا  
بِمَا أَبْقَىٰ ۖ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۖ وَالْمُوتِمِكَةَ أَهْوَىٰ ۖ  
بَغْيَبِيلَهَا مَا غَشَىٰ ۖ قِبَآئِي ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۖ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۖ أَرَأَيْتَ  
الْآزِفَةَ ۖ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۖ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ ۖ  
وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۖ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ۖ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۖ

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَدْعُو﴾ الآية؛ نزلت في الوليد بن المغيرة<sup>(١)</sup>، وقيل: نزلت في العاصي بن وائل<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَكْبَدُ﴾ أي: قطع العطاء وأمسك.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قيل: وفى طاعة الله في ذبح ولده، وقيل: وفى تبليغ الرسالة، وقيل: وفى شرائع الإسلام، وقيل: وفى الكلمات التي ابتلاه الله بهن، وقيل: وفى هذه العشر الآيات: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وما بعدها.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ذكر فيما تقدم<sup>(٣)</sup>، وهذه الجملة تفسير لما في صحف إبراهيم وموسى ﷺ.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ السعي هنا: بمعنى العمل. وظاهرها: أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام.

(١) قاله مجاهد كما في تفسير الطبري (٧٢/٢٢).

(٢) قاله السدي كما في المحرر الوجيز (١٢٤/٨).

(٣) انظر تفسير الآية (١٥) من سورة الإسراء.

واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نفعها إلى مَنْ فُعلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام. وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ [الطور: ١٩].

والصحيح أنها محكمة؛ لأنها خبر، والأخبار لا تُنسخ. وفي تأويلها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا، فلا يلزم في شريعتنا.

الثاني: أن للإنسان ما عمل بحق، وله ما عمل له غيره بهبة العامل له، فجاءت الآية في إثبات الحقيقة<sup>(١)</sup> دون ما زاد عليها.

الثالث: أنها في الذنوب، وقد اتفق على أنه لا يحمل أحدُ ذنب أحد، ويدلُّ على هذا قوله قبلها: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ كأنه يقول: لا يؤاخذ أحدٌ بذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ قيل: معناه: يراه الخلق يوم القيامة، والأظهر: أن صاحبه هو الذي يراه؛ لقوله: ﴿بِمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: إلى الله المصير في الآخرة.

والآخر: أن معناها: أن العلوم تنتهي إلى الله، ثم يقف العلماء عند ذلك، وروي أن رسول الله ﷺ قال في الآية<sup>(٢)</sup>: «لا فكرة في الرب»<sup>(٣)</sup>.

(١) كذا في جميع النسخ الخطية! ولعل الصواب: «الحَقَّة» نسبة إلى الحق، أي: مقصد الآية إثبات الحقيقة في العمل، أي: ما يستحقه بعمله وسعيه دون ما زاد على ذلك، والله أعلم.

(٢) قوله: «في الآية» لم ترد في ب، هـ.

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٦٣/٢٥) عن أبي بن كعب ؓ مرفوعاً، وفي إسناده أبو جعفر الرازي، قال أحمد والنسائي: «ليس بالقوي» (تهذيب الكمال ١٩٥/٣٣) وقال ابن حجر في التهذيب (١١٢٦): «صدوق سيء الحفظ»، وفي إسناده -أيضاً- من لم أقف لهم على ترجمة. وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده في كتاب المعظمة (٢١٧/١) عن سفيان الثوري من قوله.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي﴾ قيل: معناه: أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار، وهذا تخصيص لا دليل عليه، وقيل: أبكى السماء بالمطر، وأضحك الأرض بالنبات، وهذا مجاز، وقيل: خلق في بني آدم الضحك والبكاء. والصحيح: أنه عبارة عن الفرح والحزن؛ لأن الضحك دليل على السرور والفرح، كما أن البكاء دليل على الحزن، فالمعنى: أنه تعالى أحزن من شاء من عباده، وسر من شاء.

﴿أَمَاتَ وَأَخْيَا﴾ يعني: الحياة المعروفة والموت المعروف. وقيل: أحيأ بالإيمان وأمات بالكفر، والأول أرجح؛ لأنه حقيقة.

﴿مِنْ نُّطْقَةٍ﴾ يعني: المنى.

﴿إِذَا تُنْفِثُ﴾ من قولك: أمنى الرجل: إذا خرج منه المنى.

﴿النَّشْأَةُ الْآخِرَى﴾ يعني: الإعادة للحشر.

﴿وَأَفْنَى﴾ أي: أكسب عباده المال، وهو من قُتِيَةِ المال، وهي كسبه وادِّخاره. وقيل: معنى ﴿أَفْنَى﴾: أفقر، وهذا لا تقتضيه اللغة، وقيل: معناه: أرضى، وقيل: قَنَعَ عبده.

﴿الشَّعَرَى﴾ نجم في السماء، وتسمى كلب الجبار، وهما شَعْرَيَانِ: الغميصاء والعبور، وخصَّها بالذكر دون سائر النجوم؛ لأن بعض العرب كان يعبدها.

﴿عَادَا أُولَى﴾ وصفها بـ ﴿أُولَى﴾؛ لأنها كانت في قديم الزمان، فهي أُولَى بالإضافة إلى الأمم المتأخرين، وقيل: إنما سميت أُولَى؛ لأنَّ ثَمَّ عَادَا أُخْرَى متأخرة، وهذا لا يصح. وقرأ نافع<sup>(١)</sup> ﴿عَادَا أُولَى﴾ بإدغام تنوين ﴿عَادَا﴾ في لام ﴿أُولَى﴾ بعد حذف الهمزة، ونقل حركتها إلى اللام، وضعف المازني والمبرد هذه القراءة. وهَمَزَ قالون الواو، دون وُزْش. وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين ﴿عَادَا﴾ وإسكان لام ﴿أُولَى﴾.

﴿وَتَمُودَا بِمَا أَبْنَى﴾ أي: ما أبقى منهم أحداً، وقيل: ما أبقى عليهم.

(١) وأبو عمرو.

﴿وَالْمَوْتِمْكَةَ أَهْوَى﴾ ﴿بَعَثْنِيهَا مَا غَشْبَى﴾ هي مدينة قوم لوط. ومعنى «أهوى»: طرحها من علو إلى سفلى. وفي قوله: «مَا غَشْبَى» تعظيم للأمر.

﴿فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق، معناه: بأي نعم ربك تشك؟

﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: القرآن، أو النبي ﷺ. ومعنى «مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى»: من نوعها وصفتها.

﴿أَرَبَتْ إِلَّا رَقَةً﴾ أي: قُرِبَت القيامة.

﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل لفظه ثلاثة أوجه:

أن يكون مصدرًا كالعاقبة<sup>(١)</sup>، أي: ليس لها كشف.

وأن يكون بمعنى: كاشف، والتاء للمبالغة كعلامة.

وأن يكون صفةً لمحذوف تقديره: نفس كاشفة، أو جماعة كاشفة. ويحتمل معناه وجهين:

أحدهما: أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة؛ أي: ليس لها مَنْ يُزِيلُهَا إذا وقعت.

والآخر: أن يكون بمعنى الاطلاع؛ أي: ليس لها مَنْ يَعْلَمُ وقتها إلا الله.

﴿أَقْبِلْ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ﴾ الإشارة إلى القرآن، وتعجبهم منه: إنكاره<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ أي: لاعبون لاهون، وقيل: غافلون مفرطون.

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي<sup>(٣)</sup> وغيره، وقد قال ابن

مسعود: ﴿قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَجَدَ، وَسَجَدَ كُلُّ مَنْ كَانَ مَعَهُ﴾<sup>(٤)</sup>.



(١) في أ، ج، د، هـ: «كالعاقبة».

(٢) في د: «إنكارهم له».

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤/٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٥٧٦).

## سورة القمر

إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا بِهِ مَزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغِي الثُّدُرُ ﴿٥﴾ بَقُولَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ﴿٦﴾ خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُوا ﴿٩﴾ \* قَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَبَمَتْحُنَا آبُوتَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنِ كَانَ كُفْرٌ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿١٥﴾ بِكَيْفِ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْفُرْعَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادَ بِكَيْفِ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ دَخَلُ مُنْفَعِرٍ ﴿٢٠﴾ بِكَيْفِ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْفُرْعَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾

﴿إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أي: قُرُبَتِ الْقِيَامَةُ، ومعنى قربها: أنه بقي إليها<sup>(١)</sup> من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وأشار بالسبابة والوسطى<sup>(٢)</sup>.

﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ هذا إخبار عما جرى في زمان رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشاً سألته آية فأراهم انشقاق القمر، فقال ﷺ: «اشهدوا»<sup>(٣)</sup>. وقال ابن مسعود ؓ: انشق القمر فرأيته

(١) في أ، هـ: «لها».

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٠١)، ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد ؓ، وأخرجاه أيضاً - البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) - من حديث أنس ؓ، وأخرجه البخاري (٦٥٠٥) من حديث أبي هريرة ؓ، ومسلم (٨٦٧) من حديث جابر ؓ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠) عن ابن مسعود ؓ.



فرفقتين، فرقة وراء الجبل وأخرى دونه<sup>(١)</sup>. وقيل: معنى «انْشَقَّ الْقَمَرُ» أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطل، تردّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك، وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يُعتبر قوله.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ هذه الضمائر لقريش. والآية المشار إليها: انشقاق القمر، وعند ذلك قالت قريش: سحر محمد القمر. ومعنى «مُسْتَمِرٌّ»: دائم، وقيل: معناه: ذاهب يزول عن قريب، وقيل: معناه: شديد، وهو على هذا من المِرَّة، وهي القوة.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَفِرٌّ﴾ أي: كل شيء لا بدّ له من غاية، فالحق يحقُّ والباطل يبطل.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ «الْأَنْبَاءُ» يراد بها: ما ورد في القرآن من القصص والبراهين والمواعظ. و«مُزْدَجَرٌ»: اسم مصدر بمعنى: ازدجار، أو اسم موضع بمعنى: أنه مظنة أن يُزدجر به.

﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ بدل من «مَا فِيهِ»، أو خبر ابتداء مضمّر.

﴿فَمَا تَغِي الذُّرُّ﴾ يحتمل أن تكون «مَا»: نافية، أو استفهامية بمعنى<sup>(٢)</sup> الاستبعاد والإنكار.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم؛ لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ﴾ العامل في «يَوْمَ»: مضمّر تقديره: اذكر، أو قوله: «يَخْرُجُونَ» بعد ذلك. وليس العامل فيه «تَوَلَّ عَنْهُمْ»؛ لفساد المعنى، فقد تمّ الكلام في قوله: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» فيوقف عليه.

وقيل: إن المعنى: تول عنهم إلى يوم يدع الداع، والأول أظهر وأشهر.

والداعي: جبريل، أو إسرافيل إذ ينفخ في الصور. والشيء النكر: الشديد الفظيع، وأصله من الإنكار؛ أي: هو منكور؛ لأنه لم يُر قطُّ مثله، والمراد به: يوم القيامة.

﴿خَشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ كناية عن الدّلة. وانتصب «خَشَعًا» على الحال من الضمير في

(١) في الحديث السابق.

(٢) في ج، د، هـ: «بمعنى».

﴿يَخْرُجُونَ﴾.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ شبههم بالجراد في خروجهم من الأرض، ففيه استدلال على البعث، كالأستدلال بخروج النبات. وقيل: إنما شبههم بالجراد في كثرتهم، وأن بعضهم يموح في بعض.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين، وقيل: ناظرين إلى الداعي.

﴿بَكَدَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني: نوحًا عليه السلام، ووصفه هنا بالعبد تشريف له واختصاص.

﴿وَأَزْدَجِرْ﴾ أي: زجروه بالشتم والتخويف، وقالوا له: ﴿لَيْسَ لَّكَ تَنْتَهٍ يَتَوَخَّ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

﴿بَدَعَا رَبَّهُ أَتَيْتِ مَغْلُوبٌ بِأَنْتَصِرْ﴾ أي: قد غلبني الكفار فانتصر لي، أو انتصر لنفسك. وقالت المتصوفة: معناه: قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر مني، وهذا بعيد ضعيف.

﴿فَبَقَّتْخَنَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ يَمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ عبارة عن كثرة المطر، فكأنه يخرج من أبواب، وقيل: فتحت يومئذ في السماء أبواب حقيقة. والمنهمر: الكثير.

﴿بِالْتَّقَى الْمَاءِ﴾ يعني: ماء السماء وماء الأرض.

﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: قُضِيَ في الأزل. ويحتمل أن يكون المعنى: أنه قُدر بمقدار معلوم، وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعاً<sup>(١)</sup>.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسْرٍ﴾ يعني: السفينة. والدُّسْر: هي المسامير، واحدها دَسَار، وقيل: هي مقادير السفينة، وقيل: أضلاعها، والأول أشهر.

(١) قال في المحرر الوجيز (١٤٣/٨): «وروي أن ماء الأرض علا سبعة عشر ذراعاً، وكان ماء السماء ينزل عليه بقية أربعين ذراعاً أو نحو هذا؛ لأنه مما اختلفت فيه الروايات، ولا خبر يقطع العذر في شيء من هذا التحديد».

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن حفظ الله ورعاه لها<sup>(١)</sup>.

﴿جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾ أي: جزاء لنوح عليه السلام، وقيل: جزاء لله تعالى، والأول أظهر. وانتصب ﴿جَزَاءَ﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه: ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال؛ أي: فعلنا ذلك كله جزاء لنوح.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿كُفِرًا﴾: من الكفر بالدين، والتقدير: «لمن كفر به» فحذف الضمير، أو يكون من الكفر بالنعمة؛ لأن نوحاً عليه السلام نعمة من الله كفرها قومه، فلا يحتاج على هذا إلى ضمير محذوف.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً﴾ الضمير: للقصة المذكورة، أو الفعلة، أو السفينة، وروي في هذا المعنى: أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة<sup>(٢)</sup>.

﴿قَهْلٍ مِنْ مُذَكِّرٍ﴾ تحضيض على الذاكرة، فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده. ووزن ﴿مُذَكِّرٍ﴾ مُفْتَعَل، وأصله: «مُذَكِّر» ثم أبدل من التاء دال وأدغمت فيها الذال.

﴿بَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ توقيف فيه تهديد<sup>(٣)</sup> لقريش. والنذر: جمع نذير.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهّلناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة، فإنه يحفظه الأطفال الأصغر وغيرهم حفظاً بالغاً بخلاف غيره من الكتب، وقد روي أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن<sup>(٤)</sup>. وقيل: معنى الآية: سهّلناه للفهم والاتعاظ به؛ لما تضمن من البراهين والحكم البليغة. وإنما كرر هذه الآية وقوله: ﴿بَذَرُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؛ لينبّه السامع عند كل قصة، فيعتبر بها؛ إذ كل قصة من القصص التي ذكر عبرة وموعظة، فختم كل واحدة بما يوقظ<sup>(٥)</sup> السامع من الوعيد في قوله:

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٧٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٢٨/٢٢) عن قتادة.

(٣) في أ: «وتهديد».

(٤) نسبة إلى سعيد بن جبيرة: الثعلبي (٢٥/٢٢٤)، والواحدي في البسيط (٢١/١٠٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٨/١٤٥).

(٥) في أ: «يعظ».

﴿بَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، ومن الملاحظة في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْفُرْجَانَ لِلذَّكْرِ قَهْلٍ مِنْ مُذَكِّرٍ﴾.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: مصوِّتة، فهو من الصَّرير بمعنى: الصوت، وقيل: معناه: باردة؛ فهو من الصَّر.

﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ روي أنه كان يوم أربعاء، حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس<sup>(١)</sup>، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس<sup>(٢)</sup> مستمر<sup>(٣)</sup>».

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ أي: تقلعهم من مواضعهم.

﴿كَأَنَّهُمْ أَغْجَارٌ نَحْلٌ مُنْفَعِرٌ﴾ أعجاز النخل: هي أصولها، والمنقعر: المنقطع، شبه الله عادة لما هلكوا بذلك؛ لأنهم طوأل عظام الأجساد كالنخل. وقيل: كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى أجساداً<sup>(٤)</sup> بلا رؤوس، فشبههم بأعجاز النخل؛ لأنها دون أغصان. وقيل: كانوا قد حفروا حفراً يمتنعون فيها من الريح، فهلكوا فيها، فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت في حفراها.



(١) في ب، ج، هـ: «نحيس».

(٢) في ج، د، هـ: «نحيس».

(٣) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (١٤٦/٨): «الدولابي أبو بشر قد ذكر حديثاً رواه أبو جعفر المنصور عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه عبد الله بن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر» اهـ وقال في الدر المنثور (٨١/١٤): «وأخرج [هـ] وكيع في العُزْر، وابن مردويه، والخطيب [في تاريخ بغداد ٥٨٤/١٦] بسند ضعيف»، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٧٣/٢)، وذكر ابن حجر في لسان الميزان (٥٩/٨) أنه حديث منكر، في إسناده مسلمة بن الصلت، متروك الحديث.

(٤) في أ: «أجساد»، وفي د: «أجسادهم».

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالثَّدْرِ ﴿١٤﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّنَا وَحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لِهِي صَلَالٍ وَسُعْرِ ﴿١٥﴾ أَلْفَى الذِّكْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿١٦﴾ سَيَعْلَمُونَ عَدَا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ ﴿١٧﴾ إِنَّا مَرْسِلُوا النَّاقَةَ بَيْنَهُمْ بَارِئِينَ لَهُمْ وَاضْطِرُّوا وَتَبَيَّنَهُمْ أَنْ الْمَاءَ فِيسْمَةً بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُخْتَصَرٌ ﴿١٨﴾ بَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿١٩﴾ بِكَيْفٍ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْفُرْعَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالثَّدْرِ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالُ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٢٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالثَّدْرِ ﴿٢٦﴾ \* وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَاحِبِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٢٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْفُرْعَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٠﴾

﴿١٤﴾ «أَبَشَرًا» هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل مضمر. والمعنى: أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرًا، وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة، ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدًا وهم جماعة كثيرون.

﴿١٥﴾ «وَسُعْرِ» أي: عناء، وقيل: معناه: جنون، وقيل: معناه: همٌّ وغم، وأصله: من السعير بمعنى النار، وكأنه احتراق النفس بالهم.

﴿١٦﴾ «أَلْفَى الذِّكْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا» أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل منهم؛ فإن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء.

﴿١٧﴾ «أَشِرٌّ» أي: بطر متكبر.

﴿١٨﴾ «وَتَبَيَّنَهُمْ أَنْ الْمَاءَ فِيسْمَةً بَيْنَهُمْ» أي: لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة، فالضمير في «بَيْنَهُمْ» يعود على ثمود وعلى الناقة؛ تغليبا للعقلاء. وقيل: إن الضمير لثمود، والمعنى: أن لا يتعدى بعضهم على بعض.

﴿١٩﴾ «كُلُّ شِرْبٍ مُخْتَصَرٌ» أي: محصور مشهود.

﴿٢٠﴾ «بَنَادُوا صَاحِبَهُمْ» يعني: عاقر الناقة، واسمه قدار، وهو أحيمر ثمود وأشقاه.

﴿بَتَّاعِطٍ﴾ أي: اجترأ على أمر عظيم، وهو عقر الناقة، وقيل: تعاطى السيف.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح جبريل ﷺ صيحة ماتوا منها.

﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ الهشيم: ما تكسّر وتفتت من الشجر وغيرها. والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة، وهي حائط من الأغصان أو القصب ونحو ذلك، يكون تحليقاً للمواشي أو للسكنى، فشبّه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها. وقيل: المحتظر: المحترق.

﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في «العنكبوت»<sup>(١)</sup>.

﴿فَتَنَارُوا بِالْأَثَرِ﴾ أي: تشكّوا.

﴿وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ الضيف هنا: هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ﷺ، ليهلكوا قومه، وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم، وأرادوا منهم الفاحشة، فطمس جبريل ﷺ على أعينهم، فاستوت مع وجوههم. وقيل: إن هذا الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم، وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحداً.



(١) انظر تفسير الآية (٤٠).

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ الذُّكْرُ ﴿١٦﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿١٧﴾  
 أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿١٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿١٩﴾  
 سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّوْنَ الذُّبُرَ ﴿٢٠﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ ﴿٢١﴾ إِنَّ  
 الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي الْبَارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا  
 كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا  
 أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٦﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ بَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٢٧﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ  
 مُسْتَظَرٍّ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الْمُتَفِينِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٢٩﴾ فِي مَفْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٣٠﴾

﴿١٦﴾ ﴿أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمْ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، والهمزة للإنكار. ومعناه: هل الكفار منكم خيرٌ عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين؛ بحيث هلكوا هم لما كذبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتهم رسلكم؟ بل الذي أهلكهم يهلككم.

﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ معناه: أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب؟

﴿١٨﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ أي: نحن نجتمع ونتصير لأنفسنا بالقتال.

﴿٢٠﴾ ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّوْنَ الذُّبُرَ﴾ هذا وعدٌ من الله لرسوله بأن يهزم جمع قريش، وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة.

﴿٢٢﴾ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ المراد بـ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ هنا: الكفار، وضلالهم: في الدنيا، والشعر لهم: في الآخرة، وهو الاحتراق. وقيل: أراد بـ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ القدريّة؛ لقوله في الرد عليهم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، والأول أظهر.

﴿٢٣﴾ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي الْبَارِ﴾ أي: يُجَرَّون فيها.

﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ المعنى: أن الله خلق كل شيء بقدر، أي: بقضاء معلوم سابق في الأزل. ويحتمل أن يكون معنى ﴿بِقَدَرٍ﴾: بمقدار في هيئته وصفاته<sup>(١)</sup> وغير ذلك،

(١) أ، ج: «وصفته».

والأول أرجع، وفيه حجة لأهل السنة على القدرية. وانتصب ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ بفعل مضمر يفسره: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله. والواحدة يراد بها الكلمة، وهي قوله: «كن».

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ﴾ يعني: أشباهكم من الكفار.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ بَعْلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: كل ما فعلوه مكتوب في صحائف الأعمال.

﴿مُسْتَظَرٌّ﴾ أي: مكتوب، وهو من السَّطَر، تقول: سطرت واستطرت بمعنى واحد. والمراد بالصغير والكبير: أعمالهم، وقيل: جميع الأشياء.

﴿وَنَهَرٍ﴾ يعني: أنهار الماء والخمر واللبن والعسل، واكتفى باسم الجنس.

﴿فِي مَفْعَدٍ صِدِّيٍّ﴾ أي: في مكان مرضي.





## سورة الرحمن

الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝  
وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝  
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا بَقَرَةٌ  
وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ  
۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْعَبَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ بَّارٍ ۝ فَبِأَيِّ آيَاءِ  
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝  
مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝  
يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْمُلُوكُ وَالْمَرْجَانُ ۝ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ  
فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ۝ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝

١ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ هذا تعديد نعمة على من علّمه الله القرآن. وقيل: معنى ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾: جعله علامة وآية لمحمد ﷺ، والأول أظهر. وارتفع ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالابتداء، والأفعال التي بعده أخبار متوالية، ويدل على ذلك مجيئها دون حرف عطف.

٢ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ قيل: جنس الناس، وقيل: يعني: آدم ﷺ، وقيل: يعني: محمداً ﷺ، ولا دليل على التخصيص، فالأول أصح.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني: النطق والكلام.

٣ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: يجريان في الفلك بحساب معلوم وترتيب مقدّر، وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير.

٤ ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ النجم عند ابن عباس ؓ: هو النبات الذي لا ساق له كالبقول،

والشجر: النبات الذي له ساق<sup>(١)</sup>. وقيل: النجم: جنس نجوم السماء. والسجود: عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى، وقيل: سجود النجم: غروبه، وسجود الشجر: بظله.

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يعني: الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره، وكُرِّر ذكره؛ اهتماماً بأمره، وقيل: أراد العدل.

﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أي: لا تنقصوا إذا وزنتم.

﴿إِلَّا تَامَ﴾ أي: للناس، وقيل: للإنس والجن، وقيل: الحيوان كله.

﴿الْأَكْمَامَ﴾ يحتمل أن يكون جمع كُمَّ - بالضم -، وهو ما يغطي ويلف النخل من الليف، وبه شبه كُمَّ القميص، أو يكون جمع كِمٍّ - بكسر الكاف -، وهو غلاف الثمرة.

﴿الْعَصْفَ﴾ ورق الزرع، وقيل: الثبن.

﴿وَالرَّيْحَانَ﴾ قيل: هو الريحان المعروف، وقيل: كل مشموم طيب الريح من النبات، وقيل: هو الرزق.

﴿بَيَّأَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآء: هي النعم، واحدها: إلَى على وزن: معَى، وقيل: آلَى على وزن قَفَا، وقيل: آلَى على وزن أَمْرٍ، وإِلَى على وزن حِضْنٍ. والخطاب للثقلين الإنس والجن؛ بدليل قوله: ﴿سَتَجِدُنَا لَكُمْ آيَةً الْفَقْلَى﴾. وروي أن هذه الآية لما قرأها رسول الله ﷺ سكت أصحابه فقال: «إن جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا: لا نكذب بشيء من آلاء ربنا»<sup>(٢)</sup>. وكرر هذه الآية؛ تأكيداً ومبالغة، وقيل: إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله فليس بتأكيد؛ لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الإنسان هنا: آدم، والصلصال: الطين اليابس، فإذا طُبِّخ فهو فخار.

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٢)، والحاكم (٣٧٦٩) وصححه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩١) وقال: «غريب»، والحاكم (٣٧٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، عن جابر ؓ، وأخرجه الطبري (٢٠/ ١٩٠)، والبزار في مسنده (١٢/ ١٩٠) من حديث ابن عمر ؓ، وفيه عمرو بن مالك الراسبي، قال في مجمع الزوائد (٧/ ٢٥٤): «وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقي رجاله رجال الصحيح».

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ بَّارٍ﴾ الجان: الجن، يعني: إبليس والد الجن. والمارج: اللهب المضطرب من النار.

﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يريد: مشرق الشمس والقمر، ومغرب الشمس والقمر، وقيل: مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «الفرقان»<sup>(١)</sup>.

﴿يَلْتَقِي﴾ أي: يلتقي ماء هذا وماء هذا، وذلك إذا نزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر. وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما: بانصباب الأنهار في البحر. وأما قول من قال: إن البحرين بحر فارس والروم، أو بحر القلزم واليمن فضعيف؛ لقوله في «الفرقان»: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، وكل واحد من هذه أجاج. والمراد بـ«البحرين» في هذه السورة ما أراد في «الفرقان».

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز، يعني: جرم الأرض، أو حاجزاً من قدرة الله.

﴿لَّا يَبْغِي﴾ أي: لا يبغي أحدهما على الآخر بالاختلاط، وقيل: لا يبغيان على الناس بالفيض.

﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾ اللؤلؤ: كبار الجواهر، والمرجان: صغاره، وقيل بالعكس، وقيل: إن المرجان حجر أحمر، قال ابن عطية: وهذا هو الصَّوَابُ<sup>(٢)</sup>.

وأما قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ ولا يخرج إلا من أحدهما، فقد تكلمنا عليه في «فاطر»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ يعني: السفن، وسماها منشآت؛ لأن الناس يُنشؤونها. وقرئ بكسر الشين<sup>(٤)</sup>: بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج. والأعلام: الجبال، شبه السفن بها.



(١) انظر تفسير الآية (٥٣).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ١٦٧).

(٣) انظر تفسير الآية (١٢).

(٤) قرأ حمزة وشعبة بخلف عنه بكسر الشين، وقرأ الباقون بفتحها.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَابٍ ﴿١﴾ وَيَنْفَعِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢﴾ قَبَائِيءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٤﴾ قَبَائِيءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ آيَةَ الْفُلْكِ ﴿٦﴾ قَبَائِيءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧﴾ يَمَغْشِرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسَ إِنْ إِسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٨﴾ قَبَائِيءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٩﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِدَ مِّنْ بَارٍ ﴿١٠﴾ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرُونَ ﴿١١﴾ قَبَائِيءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٢﴾ إِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿١٣﴾ قَبَائِيءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿١٥﴾ قَبَائِيءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ \* يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَبَبِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالتَّوَصِيصِ وَالْأَفْدَامِ ﴿١٧﴾ قَبَائِيءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿١٩﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيبٍ آتٍ ﴿٢٠﴾ قَبَائِيءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَابٍ﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ للأرض، يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر. ويعني بـ﴿مَنْ عَلَيْهَا﴾: بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء.

﴿وَيَنْفَعِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الوجه هنا عبارة عن الذات<sup>(١)</sup>. و﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ صفة الذات؛ لأن من أسمائه تعالى الجليل، ومعناه يَقْرُبُ من معنى العظيم. وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون: بمعنى أنه يُكْرَمُ عبادُه كما قال في «الإسراء»: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، أو بمعنى أن عبادَه يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته.

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى: أن كل من في السماوات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال، وهم المؤمنون، ومنهم من يسأله بلسان الحال؛ لافتقار الجميع إليه.

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ المعنى: أنه تعالى يتصرف في ملكوته تصرفاً يظهر في كل يوم، من العطاء والمنع، والإماتة والإحياء، وغير ذلك. وروي: أن رسول الله ﷺ قرأها فقليل له:

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٢٢).

وما ذلك الشأن؟ قال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرّج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين»<sup>(١)</sup>.  
وسئل بعضهم: كيف قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم  
القيامة؟ فقال: هو في شأن يُبديهِ لا في شأن يَتَبديهِ<sup>(٢)</sup>.

﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَيْنِ﴾ معناه الوعيد، كقولك لمن تهدده: «سأتفرغ لعقوبتك»، وليس المعنى: التفرغ من شغل. ويحتمل أن يريد: انتهاء مدة الدنيا، وإنه حينئذ ينقضي شأنها، فلا يبقى إلا شأن الآخرة، فعبر عن ذلك بالتفرغ. قال جعفر بن محمد: سمى الإنس والجن ثقلين، لأنهما ثَقُلَا بالذنوب<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنْ إِِسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ هذا كلامٌ يقال للجن والإنس يوم القيامة، ومعناه: إن استطعتم الهروب والخروج من أقطار السماوات والأرض فافعلوا، وروي أنهم يفرّون يومئذ؛ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة، قد أحاطت بالأرض فيرجعون<sup>(٤)</sup>. وقيل: بل خاطبوا بذلك في الدنيا؛ والمعنى: إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا. وقوله: ﴿فَإِنْفُذُوا﴾ أمرٌ يراد به التعجيز.

﴿لَا تَنْبَغِدُونَ إِلَّا بِسُلْطٰنٍ﴾ أي: لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة، وليس لكم قوة.

﴿٣٦﴾ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ بَّارٍ ﴿٣٧﴾ وَنَحَّاسٌ﴾ الشَّوَاظُ: لهب النار. والنحاس: الدخان، وقيل: هو الصُّفْرُ يَذَابُ وَيُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. وقرئ ﴿شَوْاظٌ﴾ بضم الشين وكسرهما<sup>(٥)</sup> وهما لغتان. وقرئ ﴿نَحَّاسٌ﴾<sup>(٦)</sup>: بالرفع عطفاً على ﴿شَوْاظٌ﴾، وبالحذف عطفاً على ﴿بَّارٍ﴾.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٢) وابن أبي حاتم (٣٣٢٥/١٠)، وابن حبان (٦٨٩)، والبزار (١٠/٧٣)، والطبراني في الأوسط (٣/٢٧٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً، وحسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (١/٢٨). وذكره البخاري تعليقاً من قول أبي الدرداء (٦/١٤٥).

(٢) قاله الحسين بن الفضل، لعبد الله بن طاهر لما سأله عنها. انظر: الكشاف (١٥/ ١٦٤).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٥/٣٣٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/٢١٧) عن الضحاك.

(۵) قرأ ابن كثير بكسر الشين، وقرأ الباقر بضمها.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالخفض، وقرأ الباقر بالرفع.

﴿وَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ قوله: ﴿بَيُومِيزُ﴾، وقال ابن عطية: جوابها محذوف<sup>(١)</sup>.

﴿بَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ معنى ﴿وَرْدَةً﴾: حمراء كالوردة، وقيل: هو من الفرس الورد. قال قتادة: السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء<sup>(٢)</sup>. والدَّهَانُ: جمع دُهْنٍ كالزيت وشبهه، شبه السماء يوم القيامة به؛ لأنها تُذاب من شدة الهول، وقيل: شبه لمعانها بلمعان الدُّهْن، وقيل: إن الدهان هو الجلد الأحمر.

﴿بَيُومِيزُ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المعرفة؛ إذ لا يُحتاج إلى ذلك؛ لأن المجرمين يُعرفون بسيماهم، ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم، وأما السؤال الثابت في قوله: ﴿بَوَرَّيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وغيره، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ، فلا تعارض بين النفي والإثبات. وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن، والأول أحسن.

﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيَاهِهِمْ﴾ يعني: بعلامتهم<sup>(٣)</sup> وهي سواد الوجوه وغير ذلك. و﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ هنا الكفار؛ بدليل قوله: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿بَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَفْدَامِ﴾ قيل: معناه: يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه. وقيل: بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه، فيطوى وي طرح في النار.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَيِّيرٍ إِنِّي﴾ الحميم: الماء السُّخْن، والآني: الشديد الحر. وقيل: الحاضر من قولك: أنى الشيء: إذا حض، والأول أظهر.



(١) المحرر الوجيز (٨/ ١٧٥)، وقال: ﴿جواب ﴿وَإِذَا﴾ محذوف، مقصود به الإيهام، كأنه تعالى يقول: فإذا انشقت السماء فما أعظم الهول!﴾.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٢٨).

(٣) في أ: «بعلاماتهم».

وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتٍ ﴿١٥﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ذَوَاتَا أَفْتَانٍ ﴿١٧﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَتْنِ تَجْرِيْنَ ﴿١٩﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحٌ ﴿٢١﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ اسْتَرْوٍ وَجَنَّاتٍ دَارٍ ﴿٢٣﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ فِيهِمْ قَصْرَاتُ الظَّرَبِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٢٥﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَافُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٧﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٢٩﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتْنِ ﴿٣١﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ مُدْهَمَّتْنِ ﴿٣٣﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ فِيهِمَا عَيْنَتْنِ نَضَاحَتْنِ ﴿٣٥﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَّانٌ ﴿٣٧﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فِيهِمَا خَيْرٌ حَسَانٌ ﴿٣٩﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٤١﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٤٣﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٤﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفُوفٍ خَضِرٍ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ ﴿٤٥﴾ قِبَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٤٧﴾

﴿١٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتٍ ﴿١٥﴾ مَقَامَ رَبِّهِ: القيام بين يديه للحساب، ومنه: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» [المطففين: ٦]. وقيل: قيام الله عليه بأعماله، ومنه: «أَقَمْتُ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» [الرعد: ٣٤]. وقيل: معناه: «لمن خاف ربه»، وأقحم المقام، كقولك: خفت جانب فلان. واختلف هل الجنتان لكل خائف على انفراده أو لصنف الخائفين؟ وذلك مبني على قوله: «وَلَمَنْ خَافَ» هل يراد به واحد أو جماعة؟ وقال الزمخشري: إنما قال «جَنَّتٍ»؛ لأنه خاطب الثقلين، فكانه قال: جنة للإنس وجنة للجن<sup>(١)</sup>.

﴿١٧﴾ ذَوَاتَا أَفْتَانٍ ﴿١٧﴾ ثْنِ «ذَات» هنا على الأصل؛ لأن أصله: «ذوات»، قاله ابن عطية<sup>(٢)</sup>.

(١) الكشاف (١٥/١٧١).

(٢) المحرر الوجيز (٨/١٧٧)، فردّ عينها في التثنية، ولم يقل: «ذاتاً»، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (١٧/٤٤٤).

والأفنان: جمع فَنَنٍ، وهو الغصن، أو جمع فَنٍّ، وهو الصَّنْف من الفواكه وغيرها.

﴿وَبِهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجٌ﴾ أي: نوعان.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْجَنَّتَيْنِ دَايٍ﴾ الجنى: هو ما يُجتنى من الثمار، و﴿دَايٍ﴾: قريب. وروي أن الإنسان يجتنى الفاكهة في الجنة على أيِّ حال كان، من قيام أو جلوس أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى له إذا أرادها. وفي قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْجَنَّتَيْنِ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

﴿فَقَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾ ذكر في «الصفات»<sup>(١)</sup>.

﴿لَمْ يَظْمِئْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ المعنى: أنهن أبكار، و﴿لَمْ يَظْمِئْهُنَّ﴾ معناه: لم يفتضهنَّ. وقيل: الطمئ: الجماع سواء كان لبكر أو غيرها. ونفى أن يطمئن إنس أو جان؛ مبالغة وقصدًا للعموم، فكأنه قال: لم يطمئن شيء. وقيل: أراد: لم يطمئ نساء الإنس إنس، ولم يطمئ نساء الجن جن، وهذا على القول بأن الجن<sup>(٢)</sup> يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر.

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ شبه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال. وقد ذكر معنى المرجان في أول السورة.

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ المعنى: أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة. ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(٣)</sup>، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة، فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين، ويقوي هذا: أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلي، وجعل جنتين دونهما لمن كان دون ذلك، فالجنتان المذكورتان أولاً للسابقين، والمذكورتان بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد في «الواقعة».

وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما، فقال هنا: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجَرَّيَانِ﴾، وقال في الآخرين: ﴿عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾، والجزى أشد من النضج،

(١) انظر تفسير الآية (٤٨).

(٢) في ج: «وعلى هذا القول فإن الجن...».

(٣) تقدم تخريجه.



وقال هنا: ﴿مِنْ كُلِّ فَكْهَةٍ زَوْجَانِ﴾، وقال هناك: ﴿فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، وكذلك صفات الحور هنا أبلغ من صفاتها هناك، وكذلك صفات البُسُط، ويفسر ذلك قول رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آتيتهما وكل ما فيهما، وجنتان من فضة آتيتهما وكل ما فيهما»<sup>(١)</sup>.

﴿مُذْهَبَاتَيْنِ﴾ أي: تضربان إلى السواد من شدة الخضرة.

﴿عَيْنَيْنِ نَضَاجَتَيْنِ﴾ أي: تفوران بالماء، والنضج - بالخاء المعجمة - أشد من النضج - بالحاء المهملة -.

﴿فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ خصّ النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة؛ تشريفاً لهما، وبياناً لفضلهما على سائر الفواكه، وهذا هو التجريد.

﴿خَيْرَاتٍ حَسَنَاتٍ﴾ خيرات: جمع خيرة. وقال الزمخشري وغيره: أصله خيرات بالتشديد ثم خُفِّفَ، كَمَيِّتٍ، وقد قرئ بالتشديد<sup>(٢)</sup>. قالت أم سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله! أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَيْرَاتٍ حَسَنَاتٍ﴾ قال: «خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»<sup>(٣)</sup>.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الحور: جمع حوراء، والمقصورات: المحجوبات؛ لأن النساء يُمدحن بملازمة البيوت ويُذممن بكثرة الخروج. والخيام: هي البيوت التي من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من لؤلؤ.

﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفِيفٍ خَضِرٍ﴾ الرَّفِيف: البُسُط، وقيل: الوسائد، وقيل: رياض الجنة.

﴿وَعَبَقَرِي حَسَانٍ﴾ العبقرى: الطَّنَافِس<sup>(٤)</sup>، وقيل: الزَّرَابِيُّ<sup>(٥)</sup>، وقيل: الديباج الغليظ.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) الكشف (١٧٥/١٥). والقراءة بالتشديد في الشاذ، قرأ بها بكر بن حبيب السهمي وأبو عثمان النهدي وابن مقسم. البحر المحيط (١٥٥/٢٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦٣/٢٢)، والطبراني في الأوسط (٢٧٨/٣)، والكبير (٣٦٧/٢٣)، قال في مجمع الزوائد (٢٥٥/٧): «وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي».

(٤) الطَّنَافِس جمع طنفسة، قال النسفي في طلبه الطلبة (١٤٩): «هي كل بساط له خمل - بفتح الخاء وتسكين الميم - أي مُدْب».

(٥) قال الزجاج: هي البُسُط، وقال الفراء: هي الطَّنَافِس لَهَا خَمَلٌ رَفِيفٌ. تهذيب اللغة للأزهري (١٣٧/١٣)، فهي بمعنى الطَّنَافِس.

وهو منسوب إلى عَبَقَرٍ، وتزعم العرب أنه بلد الجن، فإذا أعجبها شيء نسبتة إليه.

﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ ذكر ﴿تَبَرَّكَ﴾ في «الفرقان»<sup>(١)</sup> وغيرها. والاسم هنا يراد به المسمّى على الأظهر. وقرأ الجمهور ﴿ذِي الْجَلَلِ﴾ بالياء، صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾، وقرأ ابن عامر بالواو، صفة للاسم. وقد ذكر معنى: ﴿ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾.



(١) انظر تفسير الآية (١).

## سُورَةُ الْوَاغِيَةِ

روى ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبداً»<sup>(١)</sup>. ولما حضرت ابن مسعود رضي الله عنه الوفاة قيل له: ما تركت لبناتك؟ قال: تركت لهن سورة الواقعة<sup>(٢)</sup>.

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لَوْفَعِهَا كَذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّابِعَةٌ ۝ إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَقًا ۝ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَبَ الْمَيْمَنَةُ ۝ مَا أَصْحَبَ الْمَيْمَنَةَ ۝ وَأَصْحَبَ الْمَشْأَمَةَ ۝ مَا أَصْحَبَ الْمَشْأَمَةَ ۝ وَالسَّيْفُونَ ۝ السَّيْفُونَ ۝ وَلَكُمْ الْمَقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝ مَتَكِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ۝ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ۝ وَقَكِهِمْ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَخَوْرُ عَيْنٍ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ ۝ الْمَكْنُونِ ۝ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا فِيلاً سَلَامًا ۝ وَأَصْحَبَ الْيَمِينِ ۝ مَا أَصْحَبَ الْيَمِينِ ۝ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ وَقَكِهِمْ كَثِيرٌ ۝ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ وَفُرُشٍ مَّرْجُوعَةٍ ۝ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ غُرْبًا أَثَرَابًا ۝ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢٥٧)، وأحمد في فضائل الصحابة (٧٢٦/٢)، والحاثر بن أبي أسامة في مسنده (٧٢٩/٢) والعلبي في تفسيره (٤٠٠-٤٠١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩١/٢)، وابن عساكر في تاريخه (١٨٦/٣٣). وفي العلل المتناهية لابن الجوزي (١٠٥/١): «قال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر»، وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤٠٧/١).

(٢) تخريجه في الأثر قبله.

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني: إذا قامت القيامة، فالواقعة: اسم من أسماء القيامة يدل على هولها، كالطامة والصاخة.

وقيل: الواقعة: الصيحة، وهي النفخة في الصور، وقيل: الواقعة: صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة، وهذا بعيد.

﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَذِبَةٌ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون ﴿كَذِبَةٌ﴾ مصدرًا كالعاقبة، والمعنى: ليس لها كذب ولا رد.

الثاني: أن تكون ﴿كَذِبَةٌ﴾ صفة لمحذوف، كأنه قال: ليس لها حالة كاذبة؛ أي: هي صادقة الوقوع ولا بد، وهذا المعنى قريب من الأول.

الثالث: أن يكون التقدير: ليس لها نفس كاذبة أي: تكذب في إنكار البعث؛ لأن كل نفس تؤمن حينئذ.

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ تقديره: هي خافضة رافعة، فينبغي أن يوقف على ما قبله لبيان المعنى. والمراد بالخفض والرفع: أنها تخفض أقوامًا إلى النار، وترفع أقوامًا إلى الجنة. وقيل: ذلك عبارة عن هولها؛ لأن السماء تنشق، والأرض تُزلزل<sup>(١)</sup> وتمد، والجبال تُنسف؛ فكانها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها.

﴿إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: زُلزلت وحركت تحريكًا شديدًا. و﴿إِذَا﴾ هنا بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾، ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾.

﴿وَنَسَبَ الْجِبَالُ﴾ أي: فُتَّت، وقيل: سِرت.

﴿هَبَاءٌ مُثَبَّنًا﴾ الهباء: ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد ترى إلا في الشمس إذا دخلت على كوة، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقال علي بن أبي طالب<sup>(٣)</sup>: هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب<sup>(٣)</sup>. وقيل: ما تطاير من شرر النار، فإذا طَفِئَ لم يوجد

(١) في د: «تزلزل».

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/٢٨٤) من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/٢٨٥).

شيء<sup>(١)</sup>. والمنبث: المفترق<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس؛ لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة، وهم: السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال. فأما السابقون: فهم أهل الدرجات العلى في الجنة. وأما أصحاب اليمين: فهم سائر أهل الجنة. وأما أصحاب الشمال: فهم أهل النار.

١١- ﴿بِأَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ﴾ مَّا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿هذا ابتداء وخبر، فيه معنى التعظيم، كقولك: زيد ما زيد؟ و﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ يحتمل أن تكون مشتقة من اليَمْن وهو ضد الشؤم، وتكون ﴿الْمَشْئِمَةِ﴾ مشتقة من الشؤم. أو تكون ﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ من ناحية اليمين، و﴿الْمَشْئِمَةِ﴾ من ناحية الشمال، واليد الشؤمى هي الشمال، وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين، والشر من الشمال، أو لأن أهل الجنة يُحملون إلى جهة اليمين، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال. أو يكون من أخذ الكتب<sup>(٣)</sup> باليمين أو الشمال.

١٢ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الأول: مبتدأ، والثاني خبره على وجه التعظيم، كقولك: «أنت أنت»، أو على معنى أن السابقين إلى الطاعة هم السابقون إلى الجنة. وقيل: إن ﴿السَّابِقُونَ﴾ الثاني صفة للأول أو تأكيد، والخبر ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول؛ لأنه في مقابلة قوله: ﴿بِأَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ﴾ مَّا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ مَّا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿وعلى هذا يوقف على ﴿السَّابِقُونَ﴾ الثاني، ويبتدئ بما بعده.

١٣ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وَفَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿الثَّلَاثَةُ: الجماعة من الناس، فالمعنى: أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين. والأولون: هم أول هذه الأمة، والآخرين: هم المتأخرون من هذه الأمة، والدليل على ذلك: ما روي أن رسول الله ﷺ

(١) في أ: «يجد شيئاً»، وفي ب، ج: «يوجد شيئاً».

(٢) في ج، هـ: «المتفرق».

(٣) في ب، د، هـ: «الكتاب».

قال: «الفرقتان في أمتي»<sup>(١)</sup>، وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم، فكثُر السابقون من السلف الصالح، وقلُّوا بعد ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم»<sup>(٢)</sup>. وقيل: إن الفرقتين في أمة كل نبي، فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقلون في آخرها. وقيل: إن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة، والآخرين هم هذه الأمة، فيقتضي هذا: أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة، وهذا بعيد. وقيل: إن السابقين يراد بهم الأنبياء؛ لأنهم كانوا في أول الزمان أكثر مما كانوا في آخره.

﴿عَلَى سُرٍّ مَّضُونَةٍ﴾ السُّرر: جمع سرير. والموضونة: المنسوجة، وقيل: المشبكة بالدر والياقوت، وقيل: معناه: متواصلة قد أدني بعضها من بعض.

﴿مُتَقَلِّبِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض.

﴿وَلَدَانِ مَخْلَدُونَ﴾ الولدان: صغار الخدم، والمخلدون: الذين لا يموتون. وقيل: المقرطون بالخلدات، وهي ضرب من الأقراط، والأول أظهر.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ﴾ الأكواب: جمع كوب، وهو الإناء وهو الذي لا أذن له ولا خرطوم يُمسك به. والأباريق: جمع إبريق، وهو الإناء الذي له خرطوم أو أذن يمسك به.

﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ذكر في «الصفات»<sup>(٣)</sup>.

﴿لَّا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ أي: لا يلحق رؤوسهم الصداغ الذي يصيب من خمر الدنيا. وقيل: لا يُفرِّقون عنها، فهو من الصَّدع وهو الفُرقة. ومعنى ﴿لَّا يَنْزِفُونَ﴾: لا يسكرون.

﴿وَبَلَكِهِ مِمَّا يَنْخَرِئُونَ﴾ قيل: يتخيرون ما شاؤوا؛ لكثرتها، وقيل: متخيرة؛ أي: مرضية.

(١) أخرجه الطبري (٣٣٤/٢٢)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦٧/٢)، والثعلبي (٤٨٤/٢٥) من حديث ابن عباس مرفوعاً، وضعفه الطبري وابن عدي.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجاه أيضاً -البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) - عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) انظر تفسير الآية (٤٥).

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قد ذكر معناه<sup>(١)</sup>. وقرئ بالرفع<sup>(٢)</sup>، على تقدير: فيها حور، أو عطف على الضمير في ﴿مُتَكِينِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، أو على ﴿وَلَدَانِ﴾، وبالحذف: عطف على المعنى، كأنه قال: ينعمون بهذا كله وبحور عين، وقيل: خفض على الجوار.

﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ الْمَكْنُونِ﴾ شبههن باللؤلؤ في البياض، ووصفه بالمكنون؛ لأنه أبعد عن تغير حسنه، وسألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه فقال: «صفاؤه من كصفاء الدر في الأصداغ الذي لا تمسه الأيدي»<sup>(٤)</sup>.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِنَّ﴾ اللغو: الكلام الساقط كالفحش وغيره. والتأثم: مصدر، بمعنى: لا يؤثم أحد هناك نفسه ولا غيره.

﴿إِلَّا فِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ انتصب ﴿سَلَمًا﴾ على أنه بدل من ﴿فِيلًا﴾، أو صفة له، أو مفعول به لـ ﴿فِيلًا﴾؛ لأن معناه: قول، ومعنى السلام على هذا التحية، والمعنى: أنهم يُفشون السلام فيسلمون سلامًا بعد سلام. ويحتمل أن يكون معناه: السلامة، فينتصب بفعل مضمر تقديره: اسلموا<sup>(٥)</sup> سلامًا.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ هذا مبتدأ وخبره، قصد به التعظيم فيوقف عليه، ويبتدأ بما بعده. ويحتمل أن يكون الخبر ﴿فِي سِدْرٍ﴾، ويكون ﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ اعتراضًا، والأول أحسن. وكذلك إعراب ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾.

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ السدر: شجر معروف، قال ابن عطية: وهو الذي يقال له: شجر أم غيلان<sup>(٦)</sup>. وهو كثير في بلاد المشرق، وهو في بعض بلاد الأندلس دون بعض. والمخضود: الذي لا شوك فيه، كأنه خُصِد شوكه، وذلك أن سدر الدنيا له شوك، فوصف

(١) انظر تفسير الآية (١٨) من سورة الطور.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) فيكون التقدير: استقرؤا هم وحور عين حال كونهم متكئين. انظر: المحرر الوجيز (١٩٦/٨) والكشاف (١٩١/١٥).

(٤) هو جزء من حديث أم سلمة رضي الله عنها الذي تقدم في آخر سورة الرحمن، وتقدم تخريجه.

(٥) في ب، د: «سلموا».

(٦) المحرر الوجيز (١٩٧/٨).

سدر الجنة بضد ذلك. وقيل: المنضود: هو المؤقر الذي انثنت أغصانه من كثرة حمله، فهو على هذا: من خَصَدَ الغصن: إذا ثناه.

﴿وَطَلَحَ مَنضُودٌ﴾ الطَّلَح: شجرٌ عِظَامٌ كثيرة الشوك، قاله ابن عطية<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: هو شجر الموز<sup>(٢)</sup>. وحكى ابن عطية هذا عن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس عليهما السلام<sup>(٣)</sup>، وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام: «وطلع منضود» بالعين، فقل له: إنما هو «وطلح» فقال: ما للطلح وللجنة! فقل له: أنصلحها<sup>(٤)</sup> في المصحف؟ فقال: المصحف اليوم لا يغير<sup>(٥)</sup>. والمنضود: الذي نُضِدَ بالثمر من أعلاه إلى أسفله، حتى لا يظهر له ساق.

﴿وَوَظَلَّ مَمْدُودٌ﴾ أي: منبسط لا يزول؛ لأنه لا تنسخه شمس، وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها واقرؤوا إن شئتم» ﴿وَوَظَلَّ مَمْدُودٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: مصبوب، وذلك عبارة عن كثرته. وقيل: المعنى: أنه جارٍ في غير أخاديد، وقيل: المعنى: أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب.

﴿لَا مَفْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا ينقطع إتيانها كفاكهة الدنيا، فإن شجر الجنة تثمر في كل وقت، ولا تمتنع ببعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع.

﴿وَبُورِيشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ هي الأُسرة، وقد روي أن ارتفاع سرير منها مسيرة خمس مئة عام<sup>(٧)</sup>. وقيل: هي النساء، وهذا بعيد.

(١) المحرر الوجيز (٨/١٩٧).

(٢) الكشف (١٥/١٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/٣١٠-٣١١).

(٤) في ب، هـ: «أنصلحها».

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/٣٠٩).

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٥٢) - واللفظ له - ومسلم (٢٨٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه الطبري (٢٢/٣١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٣٢)، وأحمد (١١٧١٩)، والترمذي (٢٥٤٠) وقال:

«غريب»، وابن حبان (٧٤٠٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً. وذكر ابن كثير في تفسير (٧/٥٣٠)

والسيوطي في الدر المنثور (١٤/١٩٧) أن الترمذي حسنّه، وليس في المطبوع، وحسن ابن حجر في

الفتح (١١/٤٤٨) إسناد أحمد.



﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ الضمير لنساء الجنة، فإن سياق الكلام يقتضي ذلك، وإن لم يتقدم ذكرهن، ولكن قد تقدم ذكر الفُرش وهي تدل على النساء. وأما من قال: إن الفرش هي النساء فالضمير عائد عليها. وقيل: يعود على الحور العين المذكورات قبل هذا، وذلك بعيد، فإن ذلك في وصف جنات السابقين، وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين. ومعنى إنشاء النساء: أن الله تعالى يخلقهن في الجنة خلقاً آخر في غاية الحسن - بخلاف الدنيا -، فالعجوز ترجع شابة والقيحة ترجع حسنة.

﴿وَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ روي: أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرًا<sup>(١)</sup>.

﴿عَرَبَاءَ﴾ جمع عروب، وهي المتوَدِّدة إلى زوجها بإظهار محبته، وعبر عنهن ابن عباس رضي الله عنه: بأنهن العواشق لأزواجهن<sup>(٢)</sup>، وقيل: هي الحسنة الكلام.

﴿أَثَرَاباً﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ أي: مستويات في السن مع أزواجهن، وروي أنهم يكونون في سن أبناء ثلاثة وثلاثين عاماً<sup>(٣)</sup>. و﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ يتعلق بقوله: ﴿أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ على ما قال الزمخشري<sup>(٤)</sup>، ويحتمل أن يتعلق بـ﴿أَثَرَاباً﴾، وهذا هو الذي يقتضيه المعنى؛ أي: أتراباً لأزواجهن.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ أي: جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها، وقد قال رسول الله ﷺ: «الفرقتان من أمتي»<sup>(٥)</sup>، وفي ذلك ردٌّ على من قال إنهما من غير هذه الأمة. وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين، بخلاف السابقين فإنهم قليلٌ في الآخرين؛ وذلك لأن السابقين في أول هذه الأمة أكثر منهم في آخرها؛ لفضيلة السلف الصالح، وأما أصحاب اليمين فكثيرٌ في أولها وآخرها.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١٦٠/١) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، قال في مجمع الزوائد (٧٧١/١٠): «فيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب»، وأخرجه الثعلبي عن المسيب بن شريك من قوله، والمسيب متروك. لسان الميزان لابن حجر (٣٨/٦).

(٢) أخرجه الطبري (٣٢٤/٢٢) من طريق العوفي عنه، وابن أبي حاتم (٣٣٣٢/١٠) من طريق الضحاك عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٣٣٢/١٠) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) الكشف (٢٠١/١٥).

(٥) تقدم تخريجه.

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٥٥﴾ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٥٥﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَّخْمُومٍ ﴿٥٧﴾ لَا  
 بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٥٩﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ  
 ﴿٦٠﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا ثَرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٦١﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٦٢﴾ قُلِ  
 إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ ﴿٦٣﴾ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ دَٰ أَيْهَا الضَّالُّونَ  
 الْمُكَذِّبُونَ ﴿٦٥﴾ لَا كِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن رَّقُومٍ ﴿٦٦﴾ فَمَا لَثَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٧﴾ بَشَرِيُونَ عَلَيْهِ مِن  
 الْحَمِيمِ ﴿٦٨﴾ بَشَرِيُونَ شَرِبَ الْهَمِيمِ ﴿٦٩﴾ هَٰذَا نَزَّلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٧٠﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ قَبْلًا وَلَوْلَا تَصَدِّقُونَ  
 ﴿٧١﴾ أَفَبَرَأْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٧٢﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٧٣﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا  
 نَحْنُ بِمَسْبُوفِينَ ﴿٧٤﴾ عَلَىٰ أَن تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ  
 النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ قَبْلَ لَا تَذْكُرُونَ ﴿٧٦﴾ أَفَبَرَأْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٧٧﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٧٨﴾  
 لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطْلًا بَقِلْتُمْ تَبِغْهَوْنَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٨١﴾  
 أَفَبَرَأْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٨٢﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٨٣﴾ لَوْ نَشَاءُ  
 جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا قَلِيلًا تَشْكُرُونَ ﴿٨٤﴾ أَفَبَرَأْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٨٥﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ  
 نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٨٦﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٨٧﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٨٨﴾

﴿٥٦﴾ «فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ» وَظِلٍّ مِّنْ يَّخْمُومٍ «السَّمُوم: الحر الشديد. والحميم: الماء  
 الحار جداً. واليحموم: هو الأسود. والظل من يحموم: هو الدخان في قول الجمهور،  
 وقيل: سَرَادِق النار المحيط بأهلها؛ فإنه يرتفع من كل جهة حتى يُظْلَمَهم، وقيل: هو جبل  
 في جهنم.

﴿٥٩﴾ «وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ» معنى «يُصِرُّونَ»: يدومون من غير إقلاع.  
 و«الْحِنثِ»: هو الإثم، وقيل: هو الشرك، وقيل: الحنث في اليمين؛ أي: اليمين الغموس.  
 ﴿٦٢﴾ «أَيُّدَا مِثْنَا» الآية؛ معناها: أنهم أنكروا البعث بعد الموت. وقد ذكرنا قراءة  
 الاستفهامين في «الرعد»<sup>(١)</sup>، و«أَوْءَابَاؤُنَا» في «الصفات»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (٥).

(٢) انظر تفسير الآية (١٧).

﴿أَيُّهَا الصَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ﴾ خطاب لكفار قريش وسائر الكفار.

﴿بَشَرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الضمير للمأكول.

﴿بَشَرِبُونَ شَرِبَ الْهِيمَ﴾ وزن ﴿الْهِيمَ﴾ فَعَلَ بضم الفاء، وكسرت الهاء لأجل الياء، وهو جمع أهيم، وهو الجمل الذي أصابه الهيام - بضم الهاء -، وهو داء مُعَطَّش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم، والأنثى هَيْماء. وقيل: جمع هائم وهائمة، وقيل: الهيم: الرمال التي لا تروى من الماء، وهو على هذا جمع هيام - بفتح الهاء -، وقرئ ﴿شَرِبَ﴾ بضم الشين<sup>(١)</sup>، واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب؟ وقرئ بالفتح، وهو مصدر. فإن قيل: كيف عطف قوله: ﴿بَشَرِبُونَ﴾ على ﴿شَرِبُونَ﴾ ومعناهما واحد؟

فالجواب: أن المعنى مختلف؛ لأن الأول يقتضي الشرب مطلقاً، والآخر يقتضي الشرب الكثير المُشْبِه لشرب<sup>(٢)</sup> الهيم.

﴿هَذَا نَزَلْنَاهُمْ﴾ النزل: أول ما يأكله الضيف، فكأنه يقول: هذا أول عذابهم فما ظنك بسائرهم؟

﴿بَلَّوْلاً تَصْدِفُونَ﴾ تحضيض على التصديق إما بالخالق تعالى، وإما بالبعث؛ لأن الخلقة الأولى دليل عليه.

﴿أَبَرَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوجدانية وعلى البعث، وتتضمن أيضاً وعيداً وتعديداً نعم. ومعنى ﴿تُمْنُونَ﴾: تقذفون المنى في رحم المرأة.

﴿عَاْنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ هذا توقيف يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو.

﴿نَحْنُ فَدَّرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ أي: جعلناه مقدراً بأجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط.

(١) قرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) في ب، ج، هـ: «شرب».

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوفِينَ﴾ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْلَاقَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ المسبوق على الشيء: هو المغلوب عليه؛ بحيث لا يقدر عليه. و﴿تُبَدِّلَ أَمْلَاقَكُمْ﴾: معناه: تهلككم ونستبدل قومًا غيركم، وقيل: نمسخكم قردة وخنازير. و﴿نُنشِئَكُمْ﴾ معناه: نبعثكم بعد هلاككم. و﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ معناه: ننشئكم في خلق لا تعلمونها، على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه. فمعنى الآية: أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم، ففيها تهديد واحتجاج على البعث.

﴿قُلْ لَا تَذَكَّرُونَ﴾ تحضيض على التذكير والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، وفي هذا دليل على صحة القياس.

﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ المراد بالزراعة هنا: إنبات ما يُزرع وتماام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره، قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم زرعت، ولكن يقول حرث»<sup>(١)</sup>. والمراد بالحرث: قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها، وقد يقال لهذا: زرع، ومنه قوله: ﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَّا بَقَلْتُمْ تَبَغُّهُونَ﴾ الحطام: اليابس المتفتت، وقيل: معناه تبين بلا قمع.

﴿بَقَلْتُمْ تَبَغُّهُونَ﴾ أي: تطرحون الفكاهة وهي المسرة، يقال: رجل فكه: إذا كان مسرورًا منبسط النفس، ويقال: تفكه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينًا؛ لأن صيغة «تفعل» تأتي لزوال الشيء، كقولهم: تحرّج وتأثم: إذا زال عنه الحرج والإثم، فالمعنى: صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطامًا.

(١) أخرجه الطبري (٣٤٨/٢٢)، وابن حبان (٥٧٢٣)، والطبراني في الأوسط (٨٠/٨)، والبزار في مسنده (٣٠٨/١٧)، والبيهقي في السنن (١١٧٥٢) وضعفه، عن أبي هريرة ؓ مرفوعًا. قال في مجمع الزوائد (٢١٧/٤): «وفيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات»، وقال ابن حجر في لسان الميزان (٥٦/٨): «وليس في إسناده من ينظر فيه غير مسلم هذا»، ومسلم هذا ذكره ابن حبان في الثقات (١٥٨/٩)، ووثقه الخطيب في تاريخ بغداد (١٢٠/١٥)، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤٠٩/٣): «وذكره [أي: الحديث] عبد الحق في أحكامه في باب إحياء الموات من جهة البزار وسكت عنه، فهو صحيح عنده، وأقره ابن القطان على ذلك».

وقد عبر بعضهم عن ﴿تَبْكُهُمْ﴾ بأن معناه: تتفجعون، وقيل: تندمون، وقيل: تعجبون، وهذه معاني متقاربة، والأصل ما ذكرنا.

﴿٧٠﴾ ﴿إِنَّا لَمُعْرِمُونَ﴾ ﴿٧١﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٧٢﴾ تقديره: تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطامًا. والمُعْرِمُ المعذَّب؛ لأن الغرام هو أشد العذاب. ويحتمل أن يكون من الغُرم؛ أي: مثقلون بما غَرِمنا من النفقة على الزرع. والمحروم: الذي حرمه الله الخير.

﴿٧٣﴾ ﴿مِنَ الْمُرِّ﴾ هي السحاب، والأجاج: الشديد الملوحة. فإن قيل: لم ثبتت اللام في قوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ وسقطت من قوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾؟ فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه أغنى إثباتها أولاً عن إثباتها ثانيًا مع قرب الموضعين.

والآخر: أن هذه اللام تدخل للتأكيد، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب؛ للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب؛ لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل.

﴿٧٤﴾ ﴿الْأَنْزَارِ﴾ أي: تُورُونَ ﴿٧٥﴾ أي: تقدحونها من الزناد. والزناد قد يكون من حجرين، ومن حجر وحديدة، ومن شجر وهو المرخ والعقار، ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شجر قال الله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ أي: الشجرة التي تُزَنَدُ منها النار. وقيل: أراد بالشجرة نفس النار؛ كأنه يقول: نوعها أو جنسها، فاستعار الشجرة لذلك، وهذا بعيد.

﴿٧٦﴾ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي: تذكر بنار جهنم.

﴿وَمَتَّعْنَا لِلْمُقْوِينَ﴾ المتاع: ما يُتَمَتَّعُ به. ويحتمل المقوين أن يكون من الأرض القواء، وهي الفيافي، فمعنى المقوين: الذين دخلوا في القواء، ولذلك عبر ابن عباس ؓ عنه: بالمسافرين<sup>(١)</sup>، ويحتمل أن يكون من قولهم: أقوى المنزل: إذا خلا، فمعناه: الذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام، ولذلك عبر بعضهم عنه: بالجامعين.



(١) أخرجه الطبري (٣٥٦/٢٢) من طريق العوفي وعلي بن أبي طلحة عنه.

\* فَلَا أَفْسِمُ بِمَوْفِعِ النُّجُومِ ﴿٧٨﴾ وَإِنَّهُ لَفَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾ إِنَّهُ لَفَرْعَانٌ كَرِيمٌ ﴿٨٠﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٨١﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٣﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٦﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٧﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٨﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٩﴾ تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٠﴾ بَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٩١﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٩٢﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٩٣﴾ فَسَلَمٌ لَّكَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٩٤﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٥﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٦﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَازِمَةٌ ﴿٩٧﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٨﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٩﴾

﴿٧٨﴾ «فَلَا أَفْسِمُ بِمَوْفِعِ النُّجُومِ» «لا» في هذا الموضع وأمثاله زائدة، وكأنها زيدت لتأكيد القسم، أو لاستفتاح الكلام، نحو: «آلا». وقيل: هي نافية لكلام الكفار، كأنه يقول: لا صحة لما يقول الكفار، وهذا ضعيف، والأول أحسن؛ لأن زيادة «لا» كثيرة معروفة في كلام العرب. و«مَوْفِعِ النُّجُومِ» فيه قولان:

أحدهما - قول ابن عباس رضي الله عنه <sup>(١)</sup> -: إنها نجوم القرآن؛ إذ أنزل على النبي ﷺ مقطعة بطول عشرين سنة، فكل قطعة منه نجم.

والآخر - قول كثير من المفسرين -: إن النجوم الكواكب، ومواقعها: مغارها ومساقطها، وقيل: مواضعها من السماء، وقيل: انكدارها يوم القيامة.

﴿٧٩﴾ «وَإِنَّهُ لَفَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ» هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه. وقوله: «لِّوَتَّعْلَمُونَ» اعتراض بين الموصوف وصفته، فهو اعتراض في اعتراض، والمقصود بذلك: تعظيم المقسم به، وهو مواقع النجوم. وجواب القسم: «إِنَّهُ لَفَرْعَانٌ كَرِيمٌ» وأعاد الضمير على القرآن؛ لأن المعنى يقتضيه، أو لأنه مذكور على قول من قال: إن «مَوْفِعِ النُّجُومِ» نزول القرآن.

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٥٩)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٩)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٨٧)، والحاكم (٣٧٨١) وصححه ووافقه الذهبي.

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي: مصون، والمراد بهذا الكتاب المكنون: المصاحف التي كُتِبَ فيها القرآن، أو صحف القرآن بأيدي الملائكة ﷺ.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الضمير يعود على الكتاب المكنون. ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله، إلا أن هذا ضعيف لوجهين:

أحدهما: أن مسَّ الكتاب حقيقة، ومس القرآن مجاز، والحقيقة أولى من المجاز. والآخر: أن الكتاب أقرب، والضمير يعود على أقرب مذكور.

فإذا قلنا: إنه يعود على الكتاب المكنون: فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصُّحف التي بأيدي الملائكة: فـ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ يراد به الملائكة؛ لأنهم مطهَّرون من الذنوب والعيوب، والآية إخبارٌ أنه لا يمسُّه إلا هم دون غيرهم. وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو المصحف الذي<sup>(١)</sup> بأيدي الناس: فيحتمل أن يريد بالمطهَّرين المسلمين؛ لأنهم مطهَّرون من الكفر، أو يريد المطهَّرين من الحدث الأكبر، وهو الجنابة والحيض، فالطهارة على هذا: الاغتسال، أو المطهَّرين من الحدث الأصغر، فالطهارة على هذا: الوضوء.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾: خبراً، أو نهياً. على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهياً، وقال: لو كان نهياً لكان بفتح السين. وقال المحققون: إن النهي يصح مع ضم السين؛ لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوماً واتصل به ضمير المفرد المذكر ضُمَّ عند التقاء الساكنين؛ إتباعاً لحركة الضمير.

وإذا جعلناه خبراً فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار، أو يكون خبراً بمعنى النهي، وإذا كان مجرد الإخبار، فالمعنى: أنه لا ينبغي أن يمسَّه إلا المطهَّرون؛ أي: هذا حقُّه وإن وقع خلاف ذلك.

واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات في الآية: فأجمعوا على أنه لا يجوز أن يمسَّه كافر؛ لأنه إن أراد بالمطهَّرين المسلمين، فذلك ظاهر، وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك.

(١) في أ، ب: «الصحف التي».

وأما المحدث ففيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث حدثاً أصغر، وهذا قول مالك وأصحابه<sup>(١)</sup>، ومنعوا أيضاً أن يحمله بعلاقة أو وسادة<sup>(٢)</sup>.

وحجتهم: الآية، على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، وقد احتج مالك في الموطأ بالآية على المسألة. ومن حجتهم أيضاً: كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر»<sup>(٣)</sup>.

القول الثاني: أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثاً أصغر، وهو مذهب أحمد بن حنبل<sup>(٤)</sup> والظاهرية، وحملوا المطهرين على أنهم المسلمون أو الملائكة، أو جعلوا «لَا يَمَسُّهُ» لمجرد الإخبار.

والقول الثالث: أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر، (وحمل صاحب هذا القول المطهرين على أنه يراد به: الطهارة من الحدث الأكبر)<sup>(٥)</sup>.

ورخص مالك في مسه على غير وضوء للمعلم والصبيان؛ لأجل المشقة.

(١) وأبي حنيفة والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٧١/٢).

(٢) وأجازة أبو حنيفة وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٧٣/٢).

(٣) رواه مالك (٥٣٦) عبد الله بن أبي بكر ابن حزم مرسلًا، ورواه أبو داود في المراسيل (١٢٢) عن الزهري، قال: قرأت صحيفة عند آل أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ذكر أن رسول الله ﷺ كتبها لعمر بن حزم، وفيها: «ولا يمس القرآن إلا طاهر»، قال ابن كثير في تفسيره (٥٤٥/٧): «وهذه وجادة جيدة، قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به». وأخرجه ابن حبان (٦٥٥٩)، والحاكم (١٤٤٧)، والدارقطني (٤٣٩) عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده متصلًا، وضعف المتصل أبو داود في كتاب المراسيل، والنسائي (٤٧٧١). وقال ابن عبد البر في التمهيد (٣٩٦/١٧): «كتاب النبي ﷺ لعمر بن حزم إلى أهل اليمن في السنن والفرائض والديات كتاب مشهور عند أهل العلم، معروف يستغني بشهرته عن الإسناد»، واحتج أحمد بكتابه. وانظر تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٢٢٧/١)، والبدر المنير لابن الملقن (٤٩٩/٢).

(٤) في نسبة هذا القول إلى الإمام أحمد نظر، وقد تبع ابن جزّي في هذه النسبة ابن الفرس في أحكام القرآن (٥١٨/٣)، ومذهب الإمام أحمد المعروف الذي نقله أصحابه أنه يحرم على المحدث حدثاً أصغر أو أكبر من المصحف. انظر: المغني (٢٠٢/١)، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٧١/٢).

(٥) سقط من أ، ج، هـ.



واختلفوا في قراءة الجنب القرآن<sup>(١)</sup>: فمنعه الشافعي وأبو حنيفة<sup>(٢)</sup> مطلقاً، وأجازه الظاهرية مطلقاً، وأجاز مالك قراءة الآيات اليسيرة.

واختلفوا في قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب: فعن مالك في ذلك روايتان<sup>(٣)</sup>، وفرق بعضهم بين الكثير واليسير.

﴿أَبَيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ هذا خطاب للكفار، والحديث المشار إليه: هو القرآن. و﴿مُذْهَبُونَ﴾: معناه متهاونون، وأصله من المداهنة، وهي لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن، وقال ابن عباس رضي الله عنه: معناه: مكذبون<sup>(٤)</sup>.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر: إنه نزل بنوء كذا وكذا<sup>(٥)</sup>. فالمعنى: تجعلون شكر رزقكم التكذيب، فحذف «شكر»؛ لدلالة المعنى عليه. وقرأ علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»، وكذلك قرأ ابن عباس<sup>(٦)</sup>، إلا أنه قرأ «تُكْذِبُونَ» بضم التاء وبالتشديد كقراءة الجماعة، وقراءة علي رضي الله عنه بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب، أي: يكذبون في قولهم: نزل المطر بنوء كذا.

ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب، فأما من قال: مُطِرْنَا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا و<sup>(٧)</sup> كوكب كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»<sup>(٨)</sup>.

(١) في ب، د: «للقرآن».

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠٨/٢).

(٣) ومنعه أبو حنيفة والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠٨/٢).

(٤) أخرجه الطبري (٣٦٨/٢٤)، وابن أبي حاتم (٣٣٣٤/١٠) من طريق العوفي عنه.

(٥) المحرر الوجيز (٢١٣/٨).

(٦) أخرجهما الطبري (٣٧١-٣٧٠/٢٤).

(٧) في ب، د: «أو».

(٨) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

والمنهي عنه في هذا الباب: أن يعتقد أن للكواكب تأثيراً في المطر، وأما مراعاة العوائد التي أجزاها الله تعالى فلا بأس به كقوله ﷺ: «إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلک عينٌ غدِيقة»<sup>(١)</sup>، وقد قال عمر للعباس ؓ وهما في الاستسقاء: كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون: إنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا، قال ابن المسيب: فما مضت سبع حتى مطروا<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن معنى الآية: تجعلون سببَ رزقكم تكذيبكم للنبي ﷺ؛ فإنهم كانوا يقولون: إن آمانا به حرّمنا الله الرزق، كقولهم: «إِنْ تَنْبِجِ الْهَدْيُ مَعَكَ تَخْطِفْ مِنْ أَرْضِنَا» [الفص: ٥٧]، فأنكر الله عليهم ذلك. وإعراب «أَنْتُمْ» على هذا القول: مفعول بـ «تَجْعَلُونَ» على حذف مضاف تقديره: تجعلون سببَ رزقكم التكذيب، ويحتمل أن يكون مفعولاً من أجله، تقديره: تجعلون رزقكم حاصلاً من أجل أنكم تكذبون. وأما على القول الأول فأعراب «أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ» مفعول، لا غير.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ﴾ «لَوْلَا» هنا عَرْضٌ. والضمير في «بَلَغَتِ» للنفس؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك. وبلوغها للخلقوم: حين الموت. والفعل الذي دخلت عليه «لَوْلَا» هو قوله: «تَرْجِعُونَهَا»؛ أي: هلاً رددتم النفس حين الموت. ومعنى الآية: احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم بأنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدرُوا أن يرُدُّوا روحه إلى جسده، وذلك دليلٌ على أنهم عبيد مقهورون.

﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ هذا خطاب لمن يحضر الميت من أقاربه وغيرهم، يعني: تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء.

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٥١٩) بلاغاً. وقال السيوطي في تدريب الراوي (٢٤٢/١): «صنف ابن عبد البر كتاباً في وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع، والمعضل، قال: وجميع ما فيه من قوله: «بلغني»، ومن قوله: «عن الثقة» عنده مما لم يسنده: أحدٌ وستون حديثاً، كلها مسندة من غير طريق مالك، إلا أربعة لا تعرف، وذكر منها هذا الحديث.

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣٧١/٧) عن عائشة ؓ مرفوعاً، وإسناده ضعيف جداً، فيه الواقدي، وهو متروك (تقريب التهذيب ٨٨٢).

(٢) أخرجه الطبري (٣٧٠/٢٢)، والبيهقي (٦٤٥٥).

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يحتمل أن يريد قُرْبُ نفسه تعالى بعلمه وإطلاعه، أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح، فيكون من قرب المسافة.

﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ إن أراد بقوله: ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ﴾: الملائكة فقوله: ﴿لَا تَبْصُرُونَ﴾ من رؤية العين، وإن أراد نفسه تعالى: فهو من رؤية القلب.

﴿قُلْ لَّوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿لَوْلَا﴾ هنا عرض كالأولى، وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام، والفعل الذي دخلت عليه ﴿لَوْلَا﴾ الأولى والثانية قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾؛ أي: هَلَّا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مربوبين ومقهورين، فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم. وترتيب الكلام: فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مديين؟ فارجموها إن كنتم صادقين.

﴿بِأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الضمير في ﴿كَانَ﴾ للمتوفى. وكرر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف: السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال. فالمراد بـ﴿الْمُقَرَّبِينَ﴾ هنا: السابقون المذكورون هناك.

﴿بَرْوَحَ وَرِيحَانَ﴾ الرُّوح: الاستراحة، وقيل: الرحمة، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿بَرْوَحَ﴾ بضم الراء<sup>(١)</sup>، ومعناه الرحمة، وقيل: الخلود، أي: بقاء الروح. وأما الريحان: فقيل: إنه الرزق، وقيل: الاستراحة، وقيل: الطيب، وقيل: الريحان المعروف في الدنيا يلقيه في الجنة. وفي قوله: ﴿بَرْوَحَ وَرِيحَانَ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿فَسَلَّمَ لَكُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ معنى هذا على الجملة: نجاه أصحاب اليمين وسعادتهم. والسلام هنا يحتمل أن يكون: بمعنى السلامة، أو التحية. والخطاب في ذلك يحتمل: أن يكون للنبي ﷺ، أو لأحد أصحاب اليمين. فإن كان للنبي ﷺ: فالسلام بمعنى السلامة، والمعنى: سلام لك يا محمد منهم، أي: لا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب.

(١) أخرجه أحمد (٣٤٣٥٢)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨) وحسنه، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٢)،

والحاكم (٢٩٢٤) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث عائشة ؓ.

وإن كان الخطاب لأحد أصحاب اليمين: فالسلام بمعنى التحية، والمعنى: سلام لك، أي: تحية لك يا صاحب اليمين من إخوانك، وهم أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليك، فهو كقوله: ﴿إِلَّا فِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾، أو يكون بمعنى السلامة، والتقدير: سلامة لك يا صاحب اليمين، ثم يكون قوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ خبر ابتداء مضمر تقديره: أنت من أصحاب اليمين.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ يعني: الكفار، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة.

﴿فَنَزَلَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ النزل: أول شيء يُقدَّم للضيف.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ الإشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق في الآخرة. و﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾: معناه الثابت من اليقين. وقيل: إن الحق واليقين بمعنى واحد، فهو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: مسجد الجامع. واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكده: «هذا يقين اليقين» أو «صواب الصواب»، بمعنى: أنه نهاية الصواب<sup>(١)</sup>.

﴿بَسْمِ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت ﴿سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَلِيِّ﴾ قال ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»<sup>(٢)</sup>. فلذلك استحَب مالك<sup>(٣)</sup> وغيره أن يقول في السجود: «سبحان ربي الأعلى»، وفي الركوع: «سبحان ربي العظيم»، وأوجه الظاهرية<sup>(٤)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٢١٦/٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وابن خزيمة (٦٠٠)، وابن حبان (١٨٩٨)، والحاكم (٨١٨) من حديث عقبة بن عامر ؓ، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: «إياس [بن عامر] ليس بالمعروف»، وقال ابن حبان في صحيحه: «إياس بن عامر من ثقات المصريين»، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب (١٥٧): «صدوق».

(٣) وأحمد في إحدئ الروايتين.

(٤) وأحمد في الرواية الأخرى، وهي المذهب عند المتأخرين. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٦٧٠/٣).

ويحتمل أن يكون المعنى: سُبَّحَ الله بذكر أسمائه، والاسم هنا: جنس الأسماء، و «الْعَظِيم» صفة للرب، أو يكون الاسم هنا واحداً، و «الْعَظِيم» صفة له، فكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم، ويؤيد هذا ويشير إليه: اتصال سورة «الحديد» بها، وفي أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته.

قال ابن عباس ؓ: اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد<sup>(١)</sup>. وروي أن الدعاء بعد قراءتها مستجاب<sup>(٢)</sup>.



(١) عزاه إلى ابن عباس ؓ في المحرر الوجيز (٢١٦/٨)، ولم أقف عليه من قوله، وعزاه في الدر المنثور (٢٦٢/١٤) إلى علي بن أبي طالب ؓ، وقال: «أخرجه ابن النجار في تاريخ بغداد، بسند ضعيف»، وساقه السيوطي في جمع الجوامع (٣٣٩/١٨) بإسناد ابن النجار، وفيه عمرو بن ثابت الكوفي، متروك رُمي بالرفض. تهذيب الكمال (٥٥٣/٢١).

(٢) في الأثر المتقدم عن علي ؓ.

## سورة الحديد

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ \* ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِمُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ مِنْ نَارٍ أَمْ لَهُ يَدَانِ أَمْ لَا إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُكُمْ فِيهِ فَمَنْ شَاءَ يُخْرِجْكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ مِنْ نَارٍ أَمْ لَهُ يَدَانِ أَمْ لَا إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُكُمْ فِيهِ فَمَنْ شَاءَ يُخْرِجْكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ مِنْ نَارٍ أَمْ لَهُ يَدَانِ أَمْ لَا إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُكُمْ فِيهِ فَمَنْ شَاءَ يُخْرِجْكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا التسبيح المذكور هنا وفي أول سائر السور المسبَّحات يحتمل أن يكون حقيقة، وأن يكون بلسان الحال؛ لأن كل ما<sup>(١)</sup> في السماوات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته، والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَكِنَّ لَا تَقْفَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وذكر التسبيح هنا وفي «الحشر» و«الصف» بلفظ الماضي، وفي «الجمعة» و«التغابن» بلفظ المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدوام.

(١) في ب، د: «من».

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ أي: الذي ليس لوجوده بداية، ولا لبقائه نهاية.

﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ أي: الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة عليه، الباطن: الذي لا تدركه الأبصار، أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كُنْه ذاته. وقيل: الظاهر: العالي على كل شيء، فهو من قولك: ظَهَرْتُ عَلَى الشَّيْءِ: إذا علوت عليه، والباطن: الذي بطن كل شيء أي: علم باطنه، والأول أظهر وأرجح<sup>(١)</sup>. ودخلت الواو بين هذه الصفات؛ لتدل على أنه تعالى جامع لها، مع اختلاف معانيها. وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان.

﴿إِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر، وكذلك ما بعده<sup>(٢)</sup>.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يعني: أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته، وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ ذكر في «الحج»<sup>(٣)</sup>، و«لقمان»<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَنْبَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ يعني: الإنفاق في سبيل الله وطاعته. روي أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلى هذا: روي أن قوله: ﴿بِالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْبَقُوا﴾ نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ<sup>(٥)</sup>. ولفظ الآية مع ذلك عام، وحكمها باق لجميع الناس. وقوله: ﴿مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ يعني: أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله؛ لأنه خلقها، ولكنه متعكم بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها،

(١) [التعليق ١٠٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف: «والأول أظهر وأرجح»: أقول: يريد: القول الأول في تفسير الظاهر والباطن من أسماء الله، والصواب في تفسير هذين الاسمين هو القول الثاني؛ لأنه الموافق لتفسيره عليه السلام؛ إذ قال في الدعاء: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» [أخرجه مسلم (٢٧١٣)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

وإنما رجح المؤلف القول الأول؛ فراراً من إثبات علوه تعالى بذاته فوق مخلوقاته، ونفي ذلك هو مذهب الأشاعرة، وإثباته هو مذهب أهل السنة؛ كما تقدّم قريباً [انظر التعليق ١٠٢].

(٢) انظر تفسير الآية (٥٣) من سورة الأعراف، وتفسير الآية (٢) من سورة سبأ.

(٣) انظر تفسير الآية (٥٩).

(٤) انظر تفسير الآية (٢٨).

(٥) قاله الضحاك كما في المحرر الوجيز (٢٢٠/٨).

فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكمها أن تنفقوها فيه. ويحتمل أن يعني: ﴿جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ﴾ ممن كان قبلكم فورثتم عنهم الأموال، فأنفقوها قبل أن تخلّفوها لمن بعدكم، كما خلّفها لكم من كان قبلكم. والمقصود على كل وجه: تحريض على الإنفاق وتزهد في الدنيا.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ معناه: أي شيء يمنعكم من الإيمان، والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة؟ فقلوه: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام يراد به الإنكار، و﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه ﴿مَا لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، والواو في قوله: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال.

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم حين أخرجهم من ظهر آدم ﷺ، وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدٍ ءَايَاتٍ﴾ يعني: محمداً ﷺ، والعبودية هنا: للتشريف والاختصاص، والآيات هنا: القرآن.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معناه: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله والله يرث ما في السماوات والأرض إذا أفنى<sup>(٢)</sup> أهلها؟ ففي ذلك تحريض على الإنفاق وتزهد في الدنيا.

﴿لَا يَسْتَوِ مِنْكُمْ مَنَ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَّلَ﴾ الفتح هنا: فتح مكة، وقيل: صلح الحديبية، والأول أظهر وأشهر.

ومعنى الآية: التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة، وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك؛ فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفاً، والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد.

(١) قال في الكشاف (٢٣٣/١٥): «كما تقول: مالك قائماً، بمعنى: ما تصنع قائماً».

(٢) في د: «فني».



ويؤخذ من الآية: أن من أنفق في شدة الحاجة أعظم أجراً ممن أنفق في حال الرخاء. وفي الآية حذف دل عليه الكلام، تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل، ثم حذف هذا؛ لدلالة قوله: ﴿وَأُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾.

وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»<sup>(١)</sup>، يعني: السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة، ويدخل في الخطاب كل من يأتي إلى يوم القيامة.

﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة.



(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد رضي الله عنه، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ ثَجْرُهُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْقَبُورُ الْعَظِيمُ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَلَفِفُونَ وَالْمُتَلَفِفَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا +نَظَرُونَا نَقْتَفِسْ مِنْ نُورِكُمْ فِيلَ إِزْجِعُوا وَرَاءَكُمْ بِالْتِمَسُوا نُورًا بَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ فَيْلِهِ الْعَذَابُ يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣﴾ بِالْيَوْمِ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ بَذِيَّةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ \* أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ آلَاحِ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ بَطَالٌ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٥﴾ إِغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّ لِلْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الْمُصْذِفِينَ وَالْمُصْذِفَاتِ وَأَفْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ءُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ءُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ﴾ ذكر في «البقرة» (١).

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ العامل في الظرف: «أَجْرٌ كَرِيمٌ»، أو تقدير: اذكر.

﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ قيل: إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان. والصحيح هو قول الجمهور: أنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ (٢)، فالمعنى على هذا: أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نورٌ يضيء قُدَامَهُم وعن يمين كل واحد منهم، وقيل: يكون أصله في أيمانهم، يحملونه فينبسط (٣) نوره قُدَامَهُم. وروي أن نور كل

(١) انظر تفسير الآية (٢٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/٣٩٧-٣٩٨) عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين، فصنعاء، فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع

قدميه، وهو مرسل.

(٣) في ب: «فيسطع».

أحد على قدر إيمانه، فمنهم من يكون نوره كالنخلة السَّحوق<sup>(١)</sup>، ومنهم من يضيء ما قُرب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة ويَهيمُ بالانطفاء مرة<sup>(٢)</sup>. قال ابن عطية: ومن هذه الآية أخذ الناس مَشْيِي الْمُعْتَقِ بالشمعة قُدَّام مُعْتَقِهِ إذا مات<sup>(٣)</sup>.

﴿بَشِّرِكُمْ أَلْيَوْمَ جَنَّتٌ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾، أو متعلق بـ ﴿الْقَبُورُ الْعَظِيمُ﴾، أو بمحذوف تقديره: اذكر. ومعنى الآية: أن كل مؤمن ومُظْهِر للإيمان يُعطى يوم القيامة نوراً، فيبقى نور المؤمنين، وينطفئ نور المنافقين، فيقول المنافقون للمؤمنين: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ أي: نأخذ منه ونستضيء به.

ومعنى ﴿انظُرُونَا﴾: انتظرونا، وذلك لأن المؤمنين يُسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف، والمنافقون ليسوا كذلك، ويحتمل أن يكون من النظر؛ أي: انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاءوا بنورهم، ولكن يَضَعُ هذا؛ لأن «نَظَرَ» إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى بـ «إلى». وقرئ ﴿انظُرُونَا﴾ بهمزة قطع<sup>(٤)</sup>، ومعناه: أَخْرُونَا، أي: أمهلوا في مشيكم حتى نلحقكم.

﴿فَبَلِّغْ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا: من قول المؤمنين، أو من قول الملائكة. ومعناه: الطَّرْدُ للمنافقين، والتهكُّم بهم؛ لأنهم قد علموا أنهم ليس وراءهم نور. و﴿وَرَاءَكُمْ﴾ ظرف، العامل فيه ﴿أَرْجِعُوا﴾، وقيل: إنه لا موضع له من الإعراب، وإنه كما لو قال: «ارجعوا ارجعوا».

ومعنى هذا الرجوع: ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور، أو ارجعوا إلى الدنيا

(١) النخلة السَّحُوقُ: أي الطويلة التي بُعِدَ ثمرها على المجتني. لسان العرب، مادة (سحق).

(٢) أخرجه الطبري (٣٩٨/٢٢)، وابن أبي حاتم (٣٣٣٦/١٠)، وابن أبي شيبة (٣٥٧٠٠)، والحاكم (٣٤٢٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) المحرر الوجيز (٢٢٦/٨).

(٤) قرأ حمزة بقطع الهمزة وكسر الظاء، وقرأ الباقون بوصل الهمزة وضم الظاء.

فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان، أو ارجعوا خائبين، وتنحوا عنا فالتمسوا نوراً آخر، فلا سبيل لكم إلى هذا النور.

﴿بُضِرَ بَيْنَهُمْ سُورٌ لَهُ بَابٌ﴾ أي: ضُرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه. وقيل: إن هذا السور هو الأعراف، وهو سور<sup>(١)</sup> بين الجنة والنار، وقيل: هو الجدار الشرقي من بيت المقدس، وهذا بعيد.

﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظُهُرُهُ مِنْ فِتْنَةٍ﴾ الباطن: هو جهة المؤمنين، وظاهره: هو جهة المنافقين وهي خارجة، كقولك: ظاهر المدينة أي: خارجها. والضمير في ﴿بَاطِنُهُ﴾ ﴿وَبَاطِنُهُ﴾: يحتمل أن يكون: للسور، أو للباب، والأول أظهر.

﴿يَنَادُونَكَ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين فيقولون لهم: ألم نكن معكم في الدنيا؟ يريدون إظهارهم للإيمان.

﴿فَتَنَّمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أبطأتم بإيمانكم، وقيل: تربصتم الدوائر بالنبى ﷺ وبالمسلمين.

﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتكم في الإيمان.

﴿وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِيَّ﴾ أي: طول الأمل والتمني، ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبي ﷺ والمؤمنون، أو يهزموا، إلى غير ذلك من الأمانى الكاذبة.

﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: الفتح وظهور الإسلام، أو موت المنافقين على الحال الموصوفة للعذاب.

﴿الْعَزُورُ﴾ هو الشيطان.

﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم، وحقيقة المولى: الولي الناصر، فكأن هذا استعارة منه، أي: لا ولي لكم تآوون إليه إلا النار.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ معنى ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: ألم يحسن، يقال:

(١) في ج: «سد».

أتى الأمر: إذا حان وقته. وذكر الله يحتمل أن يريد به: القرآن، أو الذكر، أو التذكير بالمواعظ. وهذه آية موعظة وتذكير. قال ابن عباس رضي الله عنه: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن<sup>(١)</sup>. وسمع الفضيل بن عياض قارئاً يقرأ هذه الآية فقال: قد آن، فكان سبب رجوعه إلى الله<sup>(٢)</sup>. وحكي أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضربه، فنطق بهذه الآية، فكسره ابن المبارك، وتاب إلى الله<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ عَطَفَ وَلَا يَكُونُوا عَلَى أَنْ تَخْشَعَ﴾، ويحتمل أن يكون نهياً. والمراد: التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى.

﴿بَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي: مدة الحياة، وقيل: انتظار القيامة، وقيل: انتظار الفتح، والأول أظهر. ﴿إِذْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات. وقيل: إنه تمثيل للقلوب؛ أي: يحيي الله القلوب بالمواعظ كما يحيي الأرض بالمطر، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين نذبوا إلى أن تخشع قلوبهم، والأول أرجح؛ لأنه الحقيقة.

﴿إِنَّ الْمُصْذِفِينَ وَالْمُصْذِفَاتِ﴾ بتشديد الصاد، من الصدقة، وأصله: «المتصدقين»، وكذلك قرأ أبي بن كعب<sup>(٤)</sup>. وقرئ بالتخفيف<sup>(٥)</sup> من التصديق، أي: صدقوا الرسول ﷺ. ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال: «إن الذين تصدقوا وأقرضوا». وقد ذكرنا معنى «أَقْرَضُوا» في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

﴿الْمُصْذِفُونَ﴾ مبالغة من الصدق، أو من التصديق. وكونه من الصدق أرجح؛ لأن صيغة «فَعِيل» لا تبنى إلا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حكي بناؤها من رباعي، كقولهم: رجل مسيكٌ: من أمسك.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٣٣٨/١٠).

(٢) ذكرها الثعلبي بإسناده في تفسيره (٦٦/٢٦).

(٣) ذكرها الثعلبي بإسناده في تفسيره (٦٩/٢٦).

(٤) المحرر الوجيز (٢٣٢/٨).

(٥) قرأ ابن كثير وشعبة عن عاصم بتخفيف الصاد، وقرأ الباقر بالتشديد.

﴿وَالشَّهَدَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون ﴿الشَّهَدَاءَ﴾: مبتدأ وخبره ما بعده، أو يكون معطوفاً على الصَّدِّيقِينَ. فإن كان مبتدأ: ففي المعنى قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد في سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم.  
والآخر: أنه جمع شاهد، ويراد بهم الأنبياء ﷺ؛ لأنهم يشهدون على قومهم.  
وإن كان معطوفاً: ففي المعنى قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد، فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء، أي: جمعوا الوصفين، وروي في هذا المعنى: أن رسول الله ﷺ قال: «مؤمنو أمتي شهداء» وتلا هذه الآية<sup>(١)</sup>.

والآخر: أنه جمع شاهد؛ لأن المؤمنين يشهدون على الناس، كقوله: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢].

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذا خبرٌ عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ، وخبر عن المؤمنين إن كان ﴿الشَّهَدَاءَ﴾ معطوفاً. و﴿نُورُهُمْ﴾ هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة، حسبما ذكر في هذه السورة، وقيل: هو عبارة عن الهدى والإيمان.



(١) أخرجه الطبري (٤١٤/٢٢) عن البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً، وإسناده ضعيف، فيه إسماعيل بن يحيى الشيباني، متهم بالكذب. تهذيب الكمال (٣/٢١٣)، وتقريب التهذيب (١٤٥).

إِغْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَبَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ  
كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكَبَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ بَقَرِيَّةً مُضْبَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٥١﴾ سَابِقُوا إِلَى  
مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ  
ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ \* مَا أَصَابَ مِمَّنْصِيَّةٍ فِي  
الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٥٣﴾  
لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَيْكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٥٤﴾  
الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْكَافِرُ ﴿٥٥﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا  
رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ  
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْعَبُجٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٥٦﴾

﴿٥١﴾ كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكَبَّارَ نَبَاتُهُ﴾ الآية؛ معناها: تشبيه الدنيا بالزرع الذي يُنبته  
الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه، وتحطُّمه بعد ظهوره. و﴿الْكَبَّارَ﴾ هنا يراد به: الزُّرْع،  
فهو من قولهم: كَفَرْتُ الحَبَّ: أي سترته تحت الأرض، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم أهل  
البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يُعجب.

وقيل: أراد الكفار بالله، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم أشد إعجاباً بالدنيا وأكثر حرصاً عليها.  
﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة، فقيل:  
المعنى: كونوا في أول صفٍّ من القتال، وقيل: احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام، وقيل:  
كونوا أول داخل إلى المسجد، وآخر خارج منه، وهذه أمثلة، والمعنى العام: المسابقة إلى  
جميع الأعمال الصالحة. وقد استدل بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ السماء هنا يراد به: جنس السماوات، بدليل  
قوله في «آل عمران»: ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقد ذكرنا هناك  
معنى «عَرْضُهَا».

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾<sup>(١)</sup> المعنى: أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون، قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»<sup>(٢)</sup>.

والمصيبة هنا: عبارة عن كل ما يُصيب<sup>(٣)</sup> من خير أو شر، وقيل: أراد به المصيبة في العرف، وهو ما يصيب من الشر، وخص ذلك بالذكر؛ لأنه أهم على الناس.

و﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: القحوط والزلازل وغير ذلك. و﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: الموت، والفقر، وغير ذلك. و﴿نَبْرَأَهَا﴾ معناه: نخلقها. والضمير يعود: على المصيبة، أو على أنفسكم، أو على الأرض، وقيل: يعود على جميعها؛ لأن المعنى صحيح في كلها.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ المعنى: فعل الله ذلك وأخبركم به لكي تُسلموا لقضاء الله، ولا تكثرثوا بأمور الدنيا. ومعنى ﴿لَا تَأْسَوْا﴾: لا تحزنوا، أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا بها. وقرأ الجمهور: ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ بالمد؛ أي: بما أعطاكم الله من الدنيا. وقرأ أبو عمرو: ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ بالقصر؛ أي: بما جاءكم من الدنيا. فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه عن أن يفرح بالخير ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - لما أتى بمال كثير - «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا»<sup>(٤)</sup>.

فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يُخرج عن الصبر والتسليم.

﴿كُلٌّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ المختال: صاحب الخيلاء، والفخور: الشديد الفخر على الناس.

﴿الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْغَنَىٰ﴾ بدل من ﴿كُلٌّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، أو خبر ابتداء مضمرة تقديره: هم الذين، أو منصوب بإضمار: أعني، أو مبتدأ وخبره محذوف<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) في ب زيادة: «الإنسان».

(٣) ليس هذا من قول أبي بكر رضي الله عنه، وإنما هو من قول عمر رضي الله عنه، أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧/٢)، وابن أبي شيبة (٣٤٤٧٤)، والبخاري تعليقاً (٩٣/٨).

(٤) معناه الوعيد والذم. المحرر الوجيز (٢٣٧/٨).



﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ الكتاب هنا: جنس الكتب. والميزان: العدل، وقيل: الميزان الذي يوزن به. وروي أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له: مَرُّ قَوْمِكَ يزنوا به<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ عبّر عن خلقه وإيجاده بالإنزال، وقيل: بل أنزله حقيقة؛ لأن آدم ﷺ نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة<sup>(٢)</sup>.

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: أنه يُعمل منه سلاح للقتال، ولذلك قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾. والمنافع للناس: سكك الحرث والمسامير وغير ذلك.



(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢٥٤/١٥)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) أخرجه الطبري (٤٢٥/٢٢) عن ابن عباس ﷺ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ قَبَّيْنَا عَلَىٰ آبَائِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَبَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَى اللَّهِ وَءَامِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيُعْظِمْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَفْذِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٨﴾

﴿٥﴾ «مِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» أي: من ذرية نوح وإبراهيم ﷺ مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون؛ لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم.  
﴿٦﴾ «فَقَبَّيْنَا» ذكر في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

«وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً» هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم في بعض، كما وصف أصحاب محمد ﷺ بأنهم «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» [الفتح: ٢٩].  
«وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا» الرهبانية: هي الانفراد في الجبال، والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا. ومعنى «ابْتَدَعُوهَا»: أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم. وإعراب «رَهْبَانِيَّةً» معطوف على «رَأْفَةً وَرَحْمَةً»، أي: جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، و«ابْتَدَعُوهَا» صفة للرهبانية، والجعل هنا بمعنى الخلق. والمعتزلة يعربون «رَهْبَانِيَّةً» مفعولاً بفعل مضمر يفسره «ابْتَدَعُوهَا»؛ لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله، فأعربوها على مذهبهم، وكذلك أعربها أبو علي الفارسي<sup>(٢)</sup>.

وذكر الزمخشري الوجهين<sup>(٣)</sup> (٤).

(١) انظر تفسير الآية (٨٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٨/٢٤٠).

(٣) الكشاف (١٥/٢٥٨-٢٥٩).

(٤) [التعليق: ١٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف: «وإعرابُ «رَهْبَانِيَّةً»: معطوفٌ على «رَأْفَةً وَرَحْمَةً»... إلخ: أقول: تضمن كلام المؤلف ذكر الوجهين في إعراب «رَهْبَانِيَّةً»، هل هي عطفٌ على =

﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ كتبنا هنا: بمعنى فرضنا وشرعنا. وفي هذا قولان:

أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والمعنى: ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم؛ ابتغاء رضوان الله.

والآخر: أن الاستثناء متصل، والمعنى: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿إِبْتَدَعُوهَا﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها»<sup>(١)</sup>.

﴿بِمَا رَغَوْنَهَا حَقَّ رِغَائِيهَا﴾ أي: لم يدوموا عليها، ولم يحافظوا على الوفاء بها، يعني: أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم. والضمير في ﴿رَغَوْنَهَا﴾ للذين ابتدعوا الرهبانية، وكان يجب عليهم إتمامها، وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم؛ لأن من دخل في شيء من النوافل وجب عليه إتمامه. وقيل: الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم.

﴿وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ إن قيل: كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا يُبتَغَى؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن معنى ﴿عَامِنُوا﴾ دوموا على الإيمان واثبتوا عليه.

والآخر: أنه خطاب لأهل الكتاب، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويؤيد هذا: قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: نصيبين،

= «رَأْفَةً وَرَحْمَةً»، أو نصب على الاشتغال بفعل محذوف يفسرُه ما بعده، والتقدير: وابتدعوا رهبانية؟ ورجح المؤلف الوجه الأول، ونسب الثاني للمعتزلة؛ حيث زعموا أن ذلك لثلاث تعلق الجعل - بمعنى الخلق - بالرهبانية، وهي من فعل العبد، وعندهم: أن العبد هو الذي يخلق فعله.

وأقول: إن الإعراب الثاني هو الأرجح، وقد ذهب إليه جَمْعٌ؛ كالزجاج والمكبري، والبنوي والقُرطبي، وابن القيم وابن عاشور وغيرهم؛ وذلك لأنَّ مفعول «جعل» في الآية مقيّد في القلوب: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ﴾ [الحديد: ٢٧]، والرهبانية: سلوك ظاهر، وليس في إعراب «رهبانية» على الوجه الثاني، حجة للمعتزلة، ولا منفعة للمخالف؛ قاله الشيخ الطاهر بن عاشور رحمته الله [في التحرير والتنوير (٢٧/٤٢٣)].

(١) المحرر الوجيز (٨/٢٤٠).

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي...» الحديث<sup>(١)</sup>.

﴿وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يحتمل أن يريد: النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة، أو يكون عبارة عن الهدى. ويؤيد الأول: أنه مذكور في هذه السورة، ويؤيد الثاني: قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَفْذِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ «لا» في قوله: ﴿إِنَّمَا﴾ زائدة، والمعنى: ليعلم أهل الكتاب، وكذلك قرأها ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>، وقرأ ابن مسعود: «لكي يعلم»<sup>(٣)</sup>. والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب: يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة؛ لأنهم لم يُسلموا، فلا ينالون شيئاً من ذلك.

وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئاً مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة. وقد روي أن سبب الآية: أن اليهود افتخرت على المسلمين، فنزلت الآية في الرد عليهم<sup>(٤)</sup>، فهذا يقوي هذا القول.

وروي أيضاً أن سببها: أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين<sup>(٥)</sup>، فنزلت الآية مُعلِّمة أن المسلمين مثلهم في ذلك.



(١) تقدم تخريجه.

(٢) المحرر الوجيز (٨/٢٤٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/٤٤٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/٤٣٦) عن سعيد بن جبیر، وهو مرسل. تخريج أحاديث الكشاف، للزبيدي (٣/٤١٩).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٣٤١/١٠) عن مقاتل بن حيان.

## سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِّن تَسَايِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا أَلْفٌ وَلَذَنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَبُودٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِن تَسَايِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكَ لَكُمْ تَوَعَّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ قِمَسَ لَمْ يَجِدْ بِصِيَامٍ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا قِمَسَ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامِ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِثُومِنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَثَبُوا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصِيهِ اللَّهُ وَتَسْأَلُهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

﴿١﴾ «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا» نزلت الآية في خولة بنت حكيم، وقيل: خولة بنت ثعلبة، وقيل: خولة بنت خويلد، وقيل: اسمها: جميلة. وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت رضي الله عنه، فظاهر منها، وكان الظَّهَار في الجاهلية يوجب تحريمًا مؤبدًا، فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن أوسًا أكل شبابي ونثرت له بطني<sup>(١)</sup>، فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني! فقال رسول الله ﷺ: «ما أراك إلا قد حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله لا تفعل! فإني وحيدة، ليس لي أهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته فراجعته، فهذا هو جدالها<sup>(٢)</sup>.

(١) أرادت أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده. النهاية لابن الأثير (٩/٤٠٦٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/٤٤٦) وما بعدها في عدة آثار اختصر ابن جزي سياقها.

﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ كانت تقول: «اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري»<sup>(١)</sup>.  
وروي أنها كانت تقول: «اللهم إن لي منه صبيّة صغاراً إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن  
ضممتهم إليه ضاعوا»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا﴾ المحاورّة: هي المراجعة في الكلام. قالت عائشة ؓ: سبحان  
من وسع سمعه الأصوات! لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى عليّ وسمع  
الله كلامها<sup>(٣)</sup>. ونزل القرآن في ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زوجها وقال له: «أتعتق  
رقبة؟»، فقال: والله ما أملكها. فقال: «أتصوم شهرين متتابعين؟»، فقال: والله ما أقدر،  
فقال له: «أتطعم ستين مسكيناً؟» فقال: لا أجد إلا أن يعينني رسول الله ﷺ بمعونة  
وصلاة، يريد الدعاء، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً، وقيل: بثلاثين صاعاً ودعا  
له، فكفر بالإطعام وأمسك زوجته<sup>(٤)</sup>.

﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ﴾ قرئ «يَظْهَرُونَ» بألف بعد الظاء وبحذفها، وبالتشديد  
والتخفيف<sup>(٥)</sup>، والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار. والظهار المجمع عليه: هو أن يقول الرجل  
لامراته: «أنت عليّ كظهر أمي». ويجري مجرى ذلك عند مالك<sup>(٦)</sup>: تشبيه الزوجة بكل امرأة  
محترمة على التأيد، كالبنات والأخت وسائر المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع  
والمصاهرة، سواء ذكر لفظ الظاهر أو لم يذكره، كقوله: «أنت عليّ كأمي» أو «كبطن أمي» أو  
«يدها» أو «رجلها»، خلافاً للشافعي؛ فإن ذلك كله ليس عنده بظهار؛ لأنه وقف عند لفظ

(١) أخرجه الطبري (٤٥١/٢٢) في رواية محمد بن كعب القرظي.

(٢) تفسير الثعلبي (١٢٢/٢٦).

(٣) أخرجه الطبري (٤٥٤/٢٢)، وابن أبي حاتم (٣٣٤٢/١٠)، وأحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي (٣٤٠٦)، وابن ماجه (١٨٨)، والحاكم (٣٧٩١) وصححه ووافقه الذهبي، والبخاري تعليقا (١١٧/٩) بلفظ: «الحمد لله -أو تبارك- الذي وسع سمعه الأصوات...».

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤٩/٢٢) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

(٥) قرأ عاصم: «يُظَاهِرُونَ» بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما، وقرأ ابن عامر وحمزة  
والكسائي «يُظَاهِرُونَ» بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها وتخفيف الهاء وفتحها، وقرأ الباقر كذلك  
ولكنهم بتشديد الهاء من غير ألف «يُظَاهِرُونَ».

(٦) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢٨/٢٣).

الآية، وقاس مالك عليه؛ لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام.

﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ ردّ الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أمًا باطل؛ فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة.

﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر: هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور: هو الكذب، وإنما جعله كذبًا؛ لأن المظاهر يصير امرأته كأمه، وهي لا تصير كذلك أبدًا. والظهار محرّم، ويدل على تحريمه أربعة أشياء:

أحدها: قوله تعالى: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾؛ فإن ذلك تكذيب للمُظاهر.

والثاني: أنه سماه منكرًا.

والثالث: أنه سماه زورًا.

والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَبُورٌ﴾، فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب. وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعَه بالكفارة.

﴿وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلف الناس في معنى قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ على ستة أقوال:

الأول: أنه إيقاع الظهار في الإسلام، فالمعنى: أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية، فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عودٌ إليه، هذا قول ابن قتيبة<sup>(١)</sup>، فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار، بخلاف أقوال غيره، فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معًا.

الثاني: أن العود هو وطء الزوجة، روي ذلك عن مالك<sup>(٢)</sup>، فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ، فإذا وطئ<sup>(٣)</sup> وجبت عليه الكفارة، سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الثالث: أن العود هو العزم على الوطء، وروي هذا أيضًا عن مالك، فإذا عزم على الوطء وجبت الكفارة، سواء أمسك الزوجة أو طلقها أو ماتت.

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٤٥٦-٤٥٧).

(٢) وهو قول أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/٤٦٨).

(٣) في ب، ج: «وطئها».

الرابع: أن العود هو العزم على الوطء وعلى إمساك الزوجة، وهذا أصح الروايات عن مالك.

الخامس: أنه العزم على الإمساك خاصة، وهذا مذهب الشافعي، فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهر لزمته الكفارة.

السادس: أنه تكرار الظهار مرة أخرى، وهذا مذهب الظاهرية، وهو ضعيف؛ لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكماً في أول مرة، وإنما يوجب في الثانية، وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة، فذلك يرد عليهم.

ويختلف معنى «لَمَّا قَالُوا» باختلاف هذه الأقوال: فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية: ف«ما» مصدرية، والمعنى: يعودون لقولهم. وأما على سائر الأقوال ف«ما» بمعنى «الذي»، والمعنى: يعودون للوطء الذي حرّموه، أو للعزم عليه، أو للإمساك الذي تركوه، أو للعزم عليه.

«بِتَحْرِيرِ رَقَبَةٍ» جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة، لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول، ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني: فالأول: تحرير رقبة. والثاني: صيام شهرين متتابعين. والثالث: إطعام ستين مسكيناً.

فأما الرقبة: فاشتراط مالك أن تكون مؤمنة<sup>(١)</sup>؛ لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد، وجاءت هنا مطلقة، وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان.

وأما صيام الشهرين: فاشتراط فيه التتابع، فإن أفسد الصائم التتابع باختياره: ابتداءً من أوله باتفاق. وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان: فقال مالك<sup>(٢)</sup>: يبني على ما كان معه، وقال أبو حنيفة: يبتدئ، وروي القولان عن الشافعي.

وأما الإطعام: فمشهور مذهب مالك: أنه مدٌّ لكل مسكين بمد هشام<sup>(٣)</sup>، واختلف في مد هشام: فقيل: إنه مدّان غير ثلاث بمد النبي ﷺ، وقيل: إنه مدٌّ وثلاث، وقيل: إنه مدّان.

(١) وهو ظاهر مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/٢٩٨).

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٣٠/٢٣).

(٣) هو هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة المخزومي، عامل المدينة لعبد الملك بن مروان. انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٢/٢٢٢).



وقال الشافعي وابن القصار: يطعم مدًا بمد النبي ﷺ لكل مسكين<sup>(١)</sup>. ولا يجزئه إلا كمال عدد الستين، فإن أطعم مسكينًا واحدًا ستين يومًا: لم يُجزَّه عند مالك والشافعي<sup>(٢)</sup>، خلافاً لأبي حنيفة<sup>(٣)</sup>، وكذلك إن أطعم ثلاثين مرتين. والطعام يكون من غالب قوت البلد.

﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ مذهب مالك<sup>(٤)</sup> والجمهور: أن المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل، فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئاً من ذلك حتى يكفر. وقال الحسن والثوري<sup>(٥)</sup>: أراد الوطء خاصة، فأباحا ما دونه قبل الكفارة. وذكر الله قوله: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ في التحرير والصوم، ولم يذكره في الإطعام، فاختلف العلماء في ذلك: فحمل مالك<sup>(٦)</sup> الإطعام على ما قبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس، وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل على المقيد. وقال أبو حنيفة<sup>(٧)</sup>: يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة؛ لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبل المسيس.

﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عطية: الإشارة إلى الرخصة في النقل من التحرير إلى الصوم<sup>(٨)</sup>، وقال الزمخشري: المعنى: ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا<sup>(٩)</sup>، وهذا أظهر؛ لأنه أعم.

﴿لِأَنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ﴾ أي: يخالفون ويعادون.

﴿كَبِتُوا﴾ أي: أهلكوا، وقيل: لعنوا، وقيل: كُتِبَ الرجل: إذا بقي خزيان. ونزلت الآية في المنافقين واليهود<sup>(١٠)</sup>.



(١) وكذا عند أحمد، مدبر أو مدآن من غيره بمد النبي ﷺ. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٥٣/٢٣).

(٢) وأحمد، إلا أن لا يجد غيره فيجزئه في ظاهر مذهبه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٤٦/٢٣).

(٣) وأحمد في الرواية الأخرى.

(٤) وأحمد في إحدى الروايتين، وهي المذهب عند الأصحاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦٧/٢٣).

(٥) وأحمد في الرواية الأخرى، وهي ظاهر قول الخرقى.

(٦) وأحمد والجمهور. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦٥/٢٣).

(٧) وأحمد في الرواية الأخرى، اختارها أبو بكر غلام الخلال.

(٨) المحرر الوجيز (٢٤٧/٨).

(٩) الكشف (٢٧٨/١٥).

(١٠) قاله في المحرر الوجيز (٢٤٨/٨).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْفِتْنَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيْثُكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُونَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبَيْرِ وَالْتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَاقْصَحُوا يَفْصَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ امْكُثُوا فَاكْثُرُوا يَرْتِعَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ الرَّسُولَ بَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوِيكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوِيكُمْ صَدَقْتُمْ بِإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

﴿٧﴾ «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ» يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَجْوَى هُنَا: بِمَعْنَى الْكَلَامِ الْخَفِيِّ، فَيَكُونُ «ثَلَاثَةً» مُضَافًا إِلَيْهِ، أَوْ بِمَعْنَى الْجَمَاعَةِ مِنَ النَّاسِ، فَيَكُونُ «ثَلَاثَةً» بَدَلًا، أَوْ صِفَةً، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ.

﴿الَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يَعْنِي: بِعِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ، وَكَذَلِكَ «سَادِسُهُمْ»، وَ «هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا».

﴿٨﴾ «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» نَزَلَ فِي قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيَتَغَامِزُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَنَهَاَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَعَادُوا<sup>(١)</sup>. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ؛ لِقَوْلِهِ: «وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيْثُكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ»؛ لِأَنَّهُ هَذَا مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (١٠/٣٣٤٣) عَنْ مِقَاتِلِ بْنِ حَيَّانٍ.

فعل اليهود. والأحسن أن يريد اليهود والمنافقين معاً؛ لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فنزلت في الطائفتين.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيقولون: «السام عليك يا محمد»، بدلاً من «السلام عليكم»<sup>(١)</sup>، والسام: الموت، وهو ما أرادوه بقولهم، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم: «وعليكم»، فسمعتهم عائشة رضي الله عنها فقالت: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة! إن الله يكره الفحش والتفحش»، قالت: أما سمعت ما قالوا؟ قال: «أما سمعت ما قلت لهم؟ إني قلت: وعليكم»<sup>(٢)</sup>.

ويريد بقوله: ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾: قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٦١].

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبياً لعذبنا الله بإذاته، فقال الله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: يكفيهم ذلك عذاباً.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قيل<sup>(٣)</sup>: يعني: النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وحذف وصفها بذلك؛ لدلالة الأول عليه. وقيل: أراد نجوى اليهود والمنافقين، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿إِذَا فِيلٌ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَابْسَحُوا﴾ اختلف في سبب الآية: فقيل: نزلت في مقاعد الحرب والقتال<sup>(٤)</sup>. وقيل: نزلت بسبب ازدحام الناس في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه<sup>(٥)</sup>. وقيل: أقام النبي ﷺ قوماً ليُجلسَ أشياء من أهل بدر في مواضعهم، فنزلت الآية<sup>(٦)</sup>.

(١) في أ، هـ: «عليك».

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٠)، ومسلم (٢١٦٥).

(٣) لم ترد في ب، د.

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. أخرجه الطبري (٤٧٨/٢٢).

(٥) قاله مجاهد وقتادة. أخرجه الطبري (٤٧٧/٢٢).

(٦) قاله مقاتل بن حيان. أخرجه ابن أبي حاتم (٣٣٤٣/١٠).

ثم اختلف هل هي مقصورة على مجلس النبي ﷺ أو هي عامة في جميع المجالس؟ فقال قوم: إنها مخصوصة، ويدل على ذلك قراءة ﴿الْمَجْلِسِ﴾ بالإنفراد. وذهب الجمهور إلى أنها عامة، ويدل على ذلك قراءة ﴿الْمَجْلِسِ﴾ بالجمع، وهذا هو الأصح، ويكون ﴿الْمَجْلِسِ﴾ بالإنفراد على هذا للجنس.

والتفصح المأمور به: هو التوسع دون القيام، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لَا يُقَمُّ أَحَدٌ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ الرَّجُلُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفْسَحُوا وَتَوَسَّعُوا»<sup>(١)</sup>. وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأحد؛ هل هو على التحريم أو الكراهة؟

﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسّع لكم في جنته ورحمته، (وقيل: في قبوركم، وقيل: في بيوتكم)<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِذَا فِيلَ أَنْشُرُوا بِأَنْشُرُوا﴾ أي: إذا قيل لكم: ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك. واختلف في هذا النشور المأمور به: فقيل: إذا دُعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة. وقيل: إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يحب الانفراد أحياناً، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام. وقيل: المراد: القيام في المجلس للتوسع.

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: يرفع الله المؤمنين العلماء درجات، فقوله: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، كقولك: «جاءني العاقل والكريم»، وأنت تريد رجلاً واحداً.

والثاني: يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعاً درجات.

فالدرجات على الأول: للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء، وعلى الثاني: للمؤمنين الذين ليسوا علماء، وللعلماء أيضاً، ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يؤخذ من

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧) عن ابن عمر ؓ.

(٢) سقط من أ، ب، ج، د، هـ، وهو مستدرك من نسخة خزانة القرويين، ونسخة مركز الملك فيصل، وأشار إلى هذين القولين في الكشاف (٢٨٧/١٥).

موضع آخر، كقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»<sup>(٣)</sup> فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين!

﴿١٣﴾ إِذَا تَجَيَّعْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَةٌ قال ابن عباس ﷺ: سببها أن قوماً من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة، إلا لتظهر<sup>(٤)</sup> منزلتهم، وكان النبي ﷺ سمحاً لا يرد أحداً، فنزلت الآية مشددة في أمر المناجاة<sup>(٥)</sup>. وقيل: سببها: أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاته ﷺ<sup>(٦)</sup>.

وهذه الآية منسوخة باتفاق، نسخها قوله بعدها: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَتٍ﴾ الآية، فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة، بعد أن كان قد أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته ﷺ.

واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا؟ فقال قوم: لم يعمل بها أحد. وقال قوم: عمل بها علي بن أبي طالب ﷺ؛ فإنه روي أنه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم ونجاه عشر مرات، تصدق في كل مرة منها بدرهم، وقيل: تصدق في كل مرة بدينار<sup>(٧)</sup>. ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادراً على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تنزل ثابتة له بقوله: ﴿إِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(١) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) وصححه، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان (٨٨) عن أبي الدرداء ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) وقال: «حسن صحيح غريب» عن أبي أمامة الباهلي ﷺ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) عن عثمان ﷺ، وضعف إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٣/١)، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٤/٢٦٠).

(٤) في أ: «ليظهروا».

(٥) أخرجه الطبري (٤٨٤/٢٢) عن ابن عباس ﷺ بمعناه، وانظر: المحرر الوجيز (٨/٢٥٤).

(٦) قاله مقاتل كما في المحرر الوجيز (٨/٢٥٤).

(٧) أخرجه الطبري (٤٨٣/٢٢)، وابن أبي شيبة (٣٢٧٨٨)، والحاكم (٣٧٩٤) وصححه ووافقه الذهبي.

﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها: عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها، أو<sup>(١)</sup> تخفيفها بعد وجوبها.

﴿بِأَفِيضُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: دُوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم، دون ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجاة.



(١) في ب، ج: فو.

\* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِبُونَ عَلَى  
 الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ اتَّخَذُوا  
 أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٣﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَزْوَاجُهُمْ  
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخْلِقُونَ لَهُ  
 كَمَا يَخْلِبُونَ لَكُمْ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٥﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ  
 الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ  
 عَزِيزٌ ﴿٧﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا  
 آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ  
 بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ  
 أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ ﴿١﴾ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوماً من  
 اليهود، وهم الذين غضب الله عليهم.

﴿٢﴾ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴿٢﴾ يعني: أن المنافقين ليسوا من المسلمين، ولا من اليهود، فهو  
 كقوله فيهم: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٢].

﴿٣﴾ وَيَخْلِبُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ يعني: أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء  
 أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا، وقد صدر ذلك منهم مراراً كثيرة هي  
 مذكورة في السِّير وغيرها.

﴿٤﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴿٤﴾ أصل الجُنَّة: ما يُسْتَرُّ به ويُتَّقَى به المحذور كالترس، ثم  
 استعمل هنا استعارة؛ لأنهم كانوا يُظهرون الأيمان لتعصم دماؤهم وأموالهم. وقرئ  
 «اتَّخَذُوا إِيْمَانَهُمْ» بكسر الهمزة<sup>(١)</sup>.

(١) وهي قراءة الحسن البصري. المحرر الوجيز (٨/ ٢٥٦).

﴿إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: غلب عليهم وتملك نفوسهم.

﴿فِي الْأَذْلَيْنِ﴾ أي: في جملة الأذلين؛ أي: معهم.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى وقدر.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية؛ معناها: لا تجد مؤمنًا يحب كافرًا ولو كان أقرب الناس إليه، وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفارًا، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أباه يوم أحد<sup>(١)</sup>، وقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أخاه عزيز<sup>(٢)</sup> بن عمير يوم أحد، ودعا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي ﷺ أن يقعد<sup>(٣)</sup>. وقيل: إن الآية نزلت في حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>. والأحسن أنها على العموم. وقيل: نزلت فيمن يصحب السلطان<sup>(٥)</sup>، وذلك بعيد.

﴿يُؤَادُّونَ﴾ هذه مفاعلة من المودة، فتقضي أن المودة من الجهتين.

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ أي: عاداه وخالفه.

﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أثبتة فيها كأنه مكتوب.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بلطف وهدى وتوفيق، وقيل: بالقرآن، وقيل: بجبريل عليه السلام.

﴿وَأُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ هذه<sup>(٦)</sup> في مقابلة قوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾. والحزب: هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه.



(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٦٧/٢٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه، ثم قال: «قال الواقدي: كذلك يقول أهل الشام، ولقد سألت رجالاً من بني الحارث بن فهر فقالوا: توفي أبوه من قبل الإسلام».

(٢) الذي في سيرة ابن هشام (١/٦٤٥) أن اسمه: «أبو عزيز»، وفي تفسير الثعلبي والواحدي: «عبيد بن عمير»!

(٣) ذكره الواحدي في البسيط (٣٥٧/٢١) عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) ذكره الثعلبي (١٦٦/٢٦)، والواحدي في البسيط (٣٥٧/٢١).

(٥) أخرجه ابن مردويه عن سفيان الثوري، كما في الدر المنثور (١٤/٣٢٩).

(٦) في ج، د: «هؤلاء».



## سُورَةُ الْحَشْرِ

نزلت هذه السورة <sup>(١)</sup> في اليهود <sup>(٢)</sup> بني النضير، وكانوا في حصون بمقربة من المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فأرادوا غدره، فأطلعهم الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم، فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد.

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَيْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا \* وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا فَطَعْتُمْ مِسْكِينَ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْخِزْيَ الْفَلَسِيفِ ﴿٥﴾ وَمَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُم مَّا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَايَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَايَكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ قَرْضًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْلَىٰ بِكُمُ الْفُقَرَاءُ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْمَ نَفْسِهِ فَوَاقٍ ﴿٩﴾ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

(١) في أ: الآية.

(٢) في د: يهود.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: بني النضير.

﴿أَوَّلَ الْحَشْرِ﴾ في معناه أربعة أقوال:

أحدها: أنه حشر القيامة، أي: خروجهم من حصونهم أول الحشر، والقيام من القبور آخره، وروي في هذا المعنى: أن رسول الله ﷺ قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر، وأنا على الآخر»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن المعنى: لأول موضع الحشر وهو الشام، وذلك أن أكثر بني النضير خرجوا إلى الشام، وقد جاء في الأثر: أن حشر<sup>(٢)</sup> القيامة إلى أرض الشام<sup>(٣)</sup>. وروي في هذا المعنى: أن النبي ﷺ قال لبني النضير: «اخرجوا». قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»<sup>(٤)</sup> (٥).

الثالث: أن المراد: الحشر في الدنيا الذي هو الجلاء والإخراج، فإخراجهم من حصونهم: أول الحشر، وإخراج أهل خيبر: آخره.

الرابع: أن معناه: إخراجهم<sup>(٦)</sup> من ديارهم لأول ما حشر لقاتلهم؛ لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله ﷺ.

وقال الزمخشري: اللام في قوله: ﴿أَوَّلَ﴾ بمعنى: «عند»، كقولك: جئت لوقت كذا<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٤٩٩/٢٢)، وابن أبي حاتم (٣٣٤٥/١٠) عن الحسن مرسلاً.

(٢) في ب زيادة: «الناس يوم»

(٣) أخرجه الطبري (٤٠٨/٢٠) وأحمد (٢٠٠١١) والنسائي في الكبرى (١١٣٦٧) والطبراني في الأوسط (٢٧٥/٦)، والكبير (٤٢٧/١٩) من حديث حكيم بن معاوية البهزي، عن أبيه معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ، قال محققو المسند ط. مؤسسة الرسالة: «إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح غير حكيم - وهو ابن معاوية بن حيدة القشيري - وهو صدوق حسن الحديث، وغير والده معاوية بن حيدة، فقد روى لهما أصحاب السنن وعلق لهما البخاري».

(٤) في د، هـ: «الحشر».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٣٤٥/١٠)، عن ابن عباس ؓ، قال في مجمع الزوائد (٦٢٠/١٠): «رواه البزار وفيه أبو سعد البقال والغالب عليه الضعف».

(٦) في د، هـ: «أخرجهم».

(٧) الكشاف (٣٠٤/١٥).

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ يعني: لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم.

﴿بِأَيْدِيهِمْ اللَّهُ﴾ عبارة عن أخذ الله لهم.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أما إخراج المؤمنين: فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها، وأسند ذلك إلى الكفار في قوله: ﴿يُخْرِبُونَ﴾؛ لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم. وأما إخراج الكفار لببوتهم فلثلاثة مقاصد:

أحدها: حاجتهم إلى الخشب والحجارة؛ ليسدوا بها أفواه الأزقة ويحصنوا ما خربه المسلمون من الأسوار.

والآخر: ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك.

والثالث: أن لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين، فهدموها شحاً عليها.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ يَتَأَوَّلِيهِ الْأَبْصَرُ استدل الذين أثبتوا القياس في الفقه بهذه الآية، واستدلوا لهم بها ضعيف خارج عن معناها.

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ الجلاء: هو الخروج عن الوطن، فالمعنى: لولا أن كتب الله على بني النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بني قريظة، ولهم مع ذلك عذاب النار.

﴿شَاقُوا﴾ ذكر في «الأنفال»<sup>(١)</sup>.

﴿مَا فَطَعْتُمْ مِنَّ لَيْتَةٍ﴾ الليئة: هي النخلة، وقيل: هي الكريمة من النخل، وقيل: النخلة التي ليست بعجوة، وقيل: ألوان النخل المختلفة. وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ لما نزل على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم، وأحرقوا، فقال بنو النضير: ما هذا الإفساد يا محمد وأنت تنهى عن الفساد فنزلت الآية<sup>(٢)</sup> معلمة أن كل ما جرى من قطع أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك؛ ليخزي الفاسقين بني النضير.

(١) انظر تفسير الآية (١٣).

(٢) أخرجه الطبري (٥١٠/٢٢) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان.

واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها.

واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم، فأجازة الجمهور؛ لهذه الآية، وإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل بني النضير.

وكرهه قوم؛ لوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الجيش الذي وجههم<sup>(١)</sup> إلى الشام أن لا يقطعوا شجراً مثمرًا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ معنى «أقَاءَ» الله: جعله فينا لرسول الله ﷺ. و«أَوْجَفْتُمْ» من الوجيف، وهو سرعة السير. والركاب: هي الإبل. والمعنى: أن ما أعطى الله رسوله من أموال بني النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه، ولا حصلوه بقتال، ولكن حصل بتسليط رسوله ﷺ على بني النضير، فأعلم الله من هذه الآية أن ما أخذ لبني النضير<sup>(٣)</sup> وما أخذ من فذك فهو فيء خاص للنبي ﷺ، يفعل فيه ما يشاء؛ لأنه لم يوجف عليها، ولا قوتلت كبير قتال، فهي بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بالقتال، فأخذ رسول الله ﷺ لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله، وقسم سائرهما في المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً، غير أن أبا دُجانة وسهل بن حنيف شكوا فاقاة فأعطاهما رسول الله ﷺ منها، هذا قول جماعة. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جعله في السلاح والكراع عدة في سبيل الله<sup>(٤)</sup>.

قال قوم من العلماء: وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه، فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين.

(١) في ج، د: «وجه».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٢٩٣) عن يحيى بن سعيد.

(٣) في أ: «ما أخذه من بني النضير».

(٤) في أ، هـ: «بالنبي».

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٠٤)، ومسلم (١٧٥٧).

﴿مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية؛ اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطراباً عظيماً، فإن ظاهرها: أن الأموال التي تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يُخرج منها خمسٌ، ولا تقسم على من حضر الواقعة، وذلك يعارض ما ورد في «الأنفال» من إخراج الخمس، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الواقعة!

فقال بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بآية «الأنفال»، وهذا خطأ؛ لأن آية «الأنفال» نزلت قبل هذه بمدة. وقال بعضهم: إن آية «الأنفال» في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض، وإن هذه الآية في أرض الكفار، قالوا: ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض مصر والعراق، بل تركها لمصالح المسلمين، وهذا التخصيص لا دليل عليه. وقيل غير ذلك، والصحيح: أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية «الأنفال»، فإن آية «الأنفال» في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم<sup>(١)</sup> بقيته على الغانمين.

وأما هذه الآية: ففي حكم الفيء، وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك، فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى، ولها حكم غير حكم الأخرى، فلا تعارض بينهما ولا نسخ. وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفيء وفي «الأنفال» لفظ الغنيمة، وقد تقرّر في الفقه الفرق بين الغنيمة والفيء، وأن حكمهما مختلف.

قال أبو محمد ابنُ الفرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه، وهو أظهر الأقوال<sup>(٢)</sup>. وأما فعل عمر رضي الله عنه في أرض مصر والعراق، فالصحيح: أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين. فقوله تعالى: ﴿مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير،

(١) في ب، ج: «وتقسم».

(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٣/ ٨٩).

ولكنه حذف هذا؛ لقوله في الآية قبل هذا: ﴿بِمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، فاستغنى بذكر ذلك أولاً عن ذكره ثانيًا، ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في أول هذه الجملة؛ لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية منها، فإنه بين في الآية الأولى حكم أموال بني النضير، وبين في هذه حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم على العموم. ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم؛ لأن الله سَوَّى بينهما في قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، وقد ذكرنا ذلك في «الأنفال» فأغنى عن إعادته. وقد ذكرنا في «الأنفال» معنى قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وما بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

﴿كَفَىٰ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي: كي لا يكون الفيء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء، ولم يعط الأنصار منها شيئاً، فإنهم كانوا أغنياء، فقال بعض الأنصار: لنا سهمنا من هذا الفيء، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

والدولة - بالضم والفتح - ما يدول الإنسان<sup>(٣)</sup>؛ أي: يدور عليه من الخير، ويحتمل أن يكون من المداولة؛ أي: كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم، ويبقى الفقراء بلا شيء.

﴿وَمَا آتَايَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور، أي: ما آتاكم الرسول من الفيء فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، فكانها أمر للمهاجرين بأخذ الفيء ونهي للأنصار عنه. ولفظ الآية مع ذلك عام في أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه، ولذلك استدلل بها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على أن المنع من لبس المخرم المخيط، ولعن الواشمة والواصلة: في القرآن؛ لورود ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (٤١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢٦٥/٨).

(٣) في ب: «على الإنسان».

(٤) استدلاله بها على لعن الواشمة والواصلة أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، (٤٨٨٧)، ومسلم (٢١٢٥)، واستدلاله بها على المنع من لبس المخرم للمخيط أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٢٠/٢٦).

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ هذا بدلٌ من قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾؛ ليبيّن بذلك أن المراد المهاجرون، ووصفهم بأنهم ﴿أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾؛ لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار، و﴿الدَّارَ﴾: هي المدينة؛ لأنها كانت بلدَهم، والضمير في ﴿قَبْلِهِمْ﴾ للمهاجرين. فإن قيل: كيف قال ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ وإنما تُتَبَوَّأُ الدار - أي: تُسَكَنُ - ولا يُتَبَوَّأُ الإيمان؟ فالجواب من وجهين:

الأول: أن معناه: تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان، فهو كقوله: فعلفتها<sup>(١)</sup> تَبْنَا وماء باردًا<sup>(٢)</sup> تقديره: علفتها تَبْنَا وسقيتها ماء.

الثاني: أن المعنى: أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطنٌ لهم؛ لتمكُّنهم فيه، كما جعلوا المدينة كذلك. فإن قيل: قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه؛ لأنها كانت بلدَهم، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل! لأن أكثر المهاجرين أسلموا قبل الأنصار. فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد بقوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هجرتهم.

والآخر: أنه أراد: تبوؤوا الدار مع الإيمان معًا؛ أي: جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين؛ لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبؤي<sup>(٣)</sup> الدار، فيكون: ﴿الْإِيمَانَ﴾ على هذا مفعولاً معه، وهذا الوجه أحسن؛ لأنه جواب عن هذا السؤال، وعن السؤال الأول، فإنه إذا كان ﴿الْإِيمَانَ﴾ مفعولاً معه لم يلزم السؤال الأول؛ إذ لا يلزم إلا إذا كان ﴿الْإِيمَانَ﴾ معطوفاً على ﴿الدَّارَ﴾.

(١) في د: «علفتها».

(٢) هذا صدر بيت، وعجزه: «حتى شئت همالة عيناها». قال بدر الدين العيني في «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية»: «هذا رَجَز مشهور بين القوم، ولم أر أحداً عزاه إلى راجزه».

(٣) في ب، د: «بنزول».

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ قيل: إن الحاجة هنا: بمعنى الحسد، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتياج على أصلها. والضمير في ﴿يَجِدُونَ﴾ للأنصار، وفي ﴿أُوتُوا﴾ للمهاجرين، والمعنى: أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره، فلا يجدون في صدورهم شيئاً بسبب ذلك.

﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج. والخصاصة: هي الفاقة. وروي أن سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار: «إن شئتم قسمت للمهاجرين من أموالكم ودياركم، وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم أمسكتكم أموالكم وتركتم لهم هذه» فقالوا: بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة<sup>(١)</sup>.

وروي أيضاً أن سببها: أن رجلاً من الأنصار أضاف رجلاً من المهاجرين، فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته: والله ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال لها: نومي صبيانك وأطفئي السراج، وقدمي ما عندك للضيف، ونوهمه نحن أننا نأكل ولا نأكل، ففعل ذلك، فلما غدا على رسول الله ﷺ قال له: «عجب الله من فعلكما البارحة» ونزلت الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ بِأَوَّلِيكَ هُمُ الْمُبْلِحُونَ﴾ شح النفس: هو البخل والطمع. وفي هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم، وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتي المهاجرون، وأنهم يحبون المهاجرين.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل.

(١) ذكره الثعلبي عن ابن عباس ؓ، ولم يسنده، وذكره الواحدي في البسيط (٣٨١/٢١) عن الكلبي عن ابن عباس ؓ، والكلبي متروك متهم بالكذب والرفض. تقريب التهذيب (٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) عن أبي هريرة ؓ.



فالمعنى: أن الفياء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم، ويعني بهم: الفرقة الثالثة من الصحابة وهم ما عدا المهاجرين والأنصار، كالذين أسلموا يوم فتح مكة.

وقيل: يعني: من جاء بعد الصحابة، وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة، وعلى هذا حملها مالك فقال: إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة والفياء؛ لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم: «يَقُولُونَ رَبَّنَا إِغْمِرْ لَنَا وَإِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ»، فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: النوادر والزيادات، لابن أبي زيد (٣/ ٣٩٨)

\* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَیْسَ أُخْرِجَتْكُمْ لِنُخْرِجَکُمْ مَعَهُمْ وَلَا تَطِيعُ بِکُمْ أَحَدٌ أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّکُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَیْسَ أُخْرِجُوا لَا یُخْرِجُون مَعَهُمْ وَلَیْسَ قُوتِلُوا لَا یَنْصُرُونَهُمْ وَلَیْسَ نَصْرُهُمْ لَیَوْلَی الْأَذْبَرْتُمْ لَا یَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِی صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا یَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا یَقْتُلُونَكُمْ جَمِیعًا إِلَّا فِی فُرُیٍّ مَّحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَّرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَیْنَهُمْ شَدِیدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِیعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا یَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ کَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِیبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ ﴿١٥﴾ کَمَثَلِ الشَّیْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ لَا کُفِّرُوا بَلَّغُوا کَقَرٍّ قَالَ إِنِّی بَرِءٌ مِّنْکُمْ إِنِّی أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِینَ ﴿١٦﴾ بَكَانَ عَظِیْبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِی النَّارِ خَالِدِینِ فِیهَا وَذَٰلِکَ جَزَاؤُ الظَّالِمِینَ ﴿١٧﴾

﴿١١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَافَقُوا﴾ الآية؛ نزلت في عبد الله ابن أبي بن سلول وقوم من المنافقين، بعثوا إلى بني النضير، وقالوا لهم: اثبتوا في حصونكم فإننا معكم كيفما تقلبت حالكم<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَطِيعُ بِكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لا نسمع فيكم قول قائل، ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم. ثم كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَلَیْسَ نَصْرُهُمْ لَیَوْلَی الْأَذْبَرْتُمْ﴾ بعد قوله: ﴿لَا یَنْصُرُونَهُمْ﴾؟ فالجواب: أن المعنى: على الفرض والتقدير؛ أي: لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار.

﴿لَأنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِی صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ الرهبة: هي الخوف. والمعنى: أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله.

﴿لَا یَقْتُلُونَكُمْ جَمِیعًا إِلَّا فِی فُرُیٍّ مَّحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَّرَآءِ جُدُرٍ﴾ أي: لا يقدرון على قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم.

﴿بَأْسُهُمْ بَیْنَهُمْ شَدِیدٌ﴾ يعني: عداوة بعضهم لبعض.

(١) أخرجه الطبري (٢٢/٥٣٤) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان.

﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي: تظن أنهم مجتمعون بالآلفة والمودة وقلوبهم متفرقة<sup>(١)</sup> بالمخالفة والشحناء.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً﴾ أي: هؤلاء اليهود كمثال الذين من قبلهم، يعني: اليهود بني قينقاع؛ فإن رسول الله ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير، فكانوا مثلاً لهم. وقيل: يعني: أهل بدر الكفار، فإنهم قبلهم ومثل لهم في أن غلبوا وقهروا، والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿قَرِيباً﴾ يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة، وذلك أوقع على بني قينقاع، وأيضاً فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليق؛ لأنهم يهود مثلهم، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم، وذلك هو المراد بقوله: ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾. و﴿قَرِيباً﴾ ظرف زمان.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ مثل الله المنافقين الذين أغوا اليهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشیطان؛ فإنه يُغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه. والمراد بالشیطان والإنسان هنا: الجنس. وقيل: أراد الشيطان الذي أغوى قريشاً يوم بدر وقال لهم: إني جاز لكم. وقيل: المراد بالإنسان برصيص العابد؛ فإنه استودع امرأة فزين له الشيطان الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل، فتعرض له الشيطان وقال له: اسجد لي وأنجيك، فسجد له فتركه الشيطان وقال له: إني بريء منك<sup>(٢)</sup>، وهذا ضعيف في النقل، والأول أرجح.

﴿بَكَانَ غَفْبَةًمَا أَنَّهُمَا فِي التَّارِ﴾ الضميران يعودان على الشيطان والإنسان، وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود.



(١) في ج، د، هـ: «مفرقة».

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/٥٤١)، والحاكم (٣٨٠١) وصححه ووافقه الذهبي عن علي بن عيسى موقوفاً، وأخرجه الطبري (٢٢/٥٤٣)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٤٨) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الطبري (٢٢/٥٤٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان (٨٠) عن عبيد بن رفاعة الزرقني عن النبي ﷺ، وهو مرسل (تخريج أحاديث الإحياء ١/٩٠٩)، وليس فيها ذكر اسم الراهب، وإنما ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (٣٢٧): «ويقال اسم هذا الراهب: برصيصاً [كذا].. ولا أنا منه على ثقة».

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْبَائِرُونَ ﴿٣﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصِدًّا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٤﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هذا أمرٌ بأن تنظر كل نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة. ومعنى ذلك: محاسبة النفس لتكفَّ عن السيئات وتزيد من الحسنات، وإنما عبَّر عن يوم القيامة بـ﴿غَدٍ﴾ تقريباً له؛ لأن كل ما هو آتٍ قريب. فإن قيل: لم كرر الأمر بالتقوى؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه تأكيد.

والآخر - وهو الأحسن - أنه أمر بالتقوى أولاً استعداداً ليوم القيامة، ثم أمر به ثانياً؛ لأن الله خبير بما يعملون، فلما اختلف الموجبان كرَّره مع كل واحد منهما.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ يعني: الكفار<sup>(١)</sup>. والنسيان هنا يحتمل أن يكون: بمعنى الترك، أو الغفلة؛ أي: نسوا حقَّ الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ الآية؛ توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه، وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدَّع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم!

﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه. وقيل: الغيب: الآخرة، والشهادة: الدنيا، والعموم أحسن.

(١) في د زيادة: «والمنافقين».

﴿الْقُدُّوسُ﴾ مشتق من التقديس<sup>(١)</sup>، وهو التنزه عن صفات المخلوقين، وعن كل نقص وعيب، وصيغة فُعُول للمبالغة كالسُبُوح.

﴿السَّلَامُ﴾ في معناه قولان: أحدهما: الذي سَلِمَ عباده من جَوْرِهِ. والآخر: السَّلِيم من النقائص. وأصله مصدر بمعنى السلامة، ثم وُصِفَ به مبالغةً، أو على حذف مضاف تقديره: ذو السلام.

﴿الْمُؤْمِنُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من الأمن؛ أي: الذي أَمِنَ عباده. والآخر: أنه من الإيمان؛ أي: المصدق لعباده في إيمانهم، أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة، أو المصدق نفسه في أقواله.

﴿الْمُهَيِّنُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: الرقيب والشاهد والأمين. قال الزمخشري: أصله «مؤيمن» بالهمزة ثم أبدلت هاء<sup>(٢)</sup>.

﴿الْجَبَّارُ﴾ في معناه قولان: أحدهما: أنه من الإِجْبَار بمعنى القهر. والآخر: أنه من الجبر؛ أي: يَجْبِرُ عباده برحمته، والأول أظهر. ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي له التكبر حقاً.

﴿الْبَارِئُ﴾ أي: الخالق، يقال: برأ الله الخلق أي: خلقهم، ولكن البارئ والفاطر يراد بهما: الذي بدأ الخلق و اخترعه. ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي: خالق الصور.

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»<sup>(٣)</sup>. قال المؤلف: قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله ابن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة «الحشر» قال لي: ضع يدك على رأسك، فقلت له: ولم ذلك؟ قال: لأنني قرأت على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر»

(١) في أ، هـ: «التقديس».

(٢) الكشاف (٣٤٤/١٥).

(٣) تقدم تخريجه.

قال لي: ضع يدك على رأسك، وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قرأت على النبي ﷺ فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر» قال لي: «ضع يدك على رأسك». قلت: ولم ذاك يا رسول الله فذاك أبي وأمي؟ قال: «أقرأني جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة «الحشر»، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد، قلت: ولم ذاك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة «الحشر» أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها، فقالت: يا ربنا ولم ذاك؟ قال: لأنه شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان (١/ ١٩٠) وأخرجه من طريقه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٣)، وقال السيوطي في «ذيل اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٠٨): «قال الذهبي: هذا حديث باطل»، وانظر: لسان الميزان، لابن حجر (٦/ ٥٢٦).

## سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ تَلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنِ يَعْمَلْهُ مِنكُم فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَتَّبِقُواكُم يَكُونُوا لَكُمْ ءَعْدَاءُ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ ءَأْيِدِيهِمْ وَأَلْسِنَتُهُم بِٱلسُّوَّةِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَس تَتَّبَعَكُمْ ءَرَحَامُكُمْ وَلَا ءَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْفِتْنَةِ يَفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ ءِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَوَّةُ وَٱلْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ ءِإِنَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِن ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَّبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱغْمِرْ لَنَا رَبَّنَا ٱلْإِنِّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ ءِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ﴾ العدو: ينطلق على الواحد والجماعة، والمراد به: هنا كفار قريش، وهذه الآيات <sup>(١)</sup> نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية، فورئى عن ذلك بخير، فشاع في الناس أنه خارج إلى خير، وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة، منهم حاطب، فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة، فجاء

(١) في ب، ج، د: «الآية».

الخبر إلى رسول الله ﷺ من السماء، فبعث علي بن أبي طالب والزبير والمقداد وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظمينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين»، فانطلقوا حتى وجدوا المرأة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب، ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئاً، فقال بعضهم: ما معها كتاب! فقال علي بن أبي طالب ﷺ: ما كَذَبَ رسول الله ﷺ ولا كُذِبَ، والله لتُخْرِجَنَّ الكتاب أو لنجرّدنك! قالت: أعرضوا عني، فأخرجته من قرون رأسها، وقيل: أخرجته من حُجْزَتِهَا، فجاؤوا به إلى رسول الله ﷺ فقال لحاطب: «من كتب هذا؟» قال: أنا يا رسول الله، ولكن لا تعجل عليّ، فوالله ما فعلت ذلك ارتداداً عن ديني، ولا رغبة في الكفر، ولكني كنت امرأاً مُلْصَقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، فأحببت أن تكون لي عندهم يدٌ يرعونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «صدّق حاطب، إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، لا تقولوا لحاطب إلا خيراً»<sup>(١)</sup>. فنزلت الآية عتاباً لحاطب، وزجراً عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشريف له؛ لأن الله شهد له بالإيمان في قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا».

﴿تَلْفُونُ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ عبارة عن إيصال المؤدّة إليهم. و«أَلْقَى» يتعدّى بحرف جر، وبغير حرف جر كقوله: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي» [طه: ٣٨]. وهذه الجملة في موضع الحال من الضمير في قوله: «لَا تَتَّخِذُوا»، أو في موضع الصفة لـ «أُولِيَاءَهُ»، أو استئناف.

﴿وَفَذَّكَرُوا﴾ حال من الضمير في «لَا تَتَّخِذُوا»، أو في «تَلْفُونُ».

﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: يخرجون الرسول ويخرجونكم، يعني: إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم وأذوهم حتى خرجوا مهاجرين إلى المدينة، ومنهم من خرج<sup>(٢)</sup> إلى أرض الحبشة.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي ؓ.

(٢) في ب زيادة: «مهاجراً».



﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ مفعول من أجله؛ أي: يخرجونكم من أجل إيمانكم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ جواب هذا الشرط محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه وهو ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾، والتقدير: إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. و ﴿جِهَادًا﴾: مصدر في موضع الحال، أو مفعول من أجله، وكذلك ﴿ابْتِغَاءً﴾.

﴿إِنْ يَتَفَقَّهُكُمْ﴾ معناه: إن يظفروا بكم.

﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: تمنوا أن تكفروا فتكونوا مثلهم. قال الزمخشري: وإنما قال: ﴿وَدُّوا﴾ بلفظ الماضي بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع؛ لأنه أراد: ودُّوا كفركم قبل كل شيء<sup>(١)</sup>.

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ إشارة إلى ما قصد حاطب رضي الله عنه من رعي قرابته.

﴿يَوْمَ الْفَيْصَةِ يُفَصِّلُ بَيْنَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم، أو من الفصل بمعنى التفريق؛ أي: يُفَرِّقُ بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة. وقيل: إن العامل في ﴿يَوْمَ الْفَيْصَةِ﴾ ما قبله، وذلك بعيد.

﴿فَدَكَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةً حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الإسوة: هو الذي يُقْتَدَى به. فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه في عداوة الكفار والتبري منهم. ويعني بـ ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: من آمن به من الناس. وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبًا من عصره، ورجح ابن عطية<sup>(٢)</sup> هذا القول بما ورد في الحديث أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته: «ما على الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك»<sup>(٣)</sup>.

﴿بُرَّةَ آؤَا﴾ جمع بريء.

(١) الكشاف (١٥/٣٥٢).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٢٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: كذبناكم في أقوالكم، ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض فيهم والمقاطعة لهم.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا استثناء من قوله: ﴿إِسْوَةٌ خَسَنَةٌ﴾، فالمعنى: اقتدوا بهم في عداوتهم للكفار، ولا تقتدوا بهم في هذا؛ لأن إبراهيم عليه السلام وعد أباه أن يستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وقيل: الاستثناء من التبري والقطيعة، والمعنى: تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار، إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ هذا من كلام إبراهيم عليه السلام والذين معه، وهو متصل بما قبل الاستثناء، فهو من جملة ما أمر أن يُقْتَدَى به.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في معناه قولان: أحدهما: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالة؛ لأنهم يقولون: غلبناهم لأننا على الحق، وهم على الباطل. والآخر: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا؛ لأنه دعاء لأنفسهم، وأما على القول الآخر فهو دعاء للكفار، ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار، وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر؛ بحيث لا يفتتن الكفار بذلك<sup>(١)</sup>.



(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨١).

\* عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَآوٍ إِلَيْكُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْبَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْأَلُوا مَا أَنْبَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْبَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنَ زَوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَاوُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْبَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُنْفِرْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَسٍ يُفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَپْسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

﴿٧﴾ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ﴿٨﴾ لما أمر الله المسلمين بعبادة الكفار ومقاطعتهم امثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، فعلم الله صدقهم فأنسهم بهذه الآية، ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش. وقيل: المودة تزوج النبي ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش، ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية (١).

﴿٨﴾ لَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴿٩﴾ رخص الله للمسلمين في مبرة (٢) من

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٢٨٢).

(٢) في هامش د: «خ: مودة».

لم يقاتلهم<sup>(١)</sup> من الكفار، واختلف فيهم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب؛ كانوا قد صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه، ولا يُعينوا عليه.

الثاني: أنهم من كفار قريش، من لم يقاتل المسلمين ولا أخرجهم من مكة. والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال.

الثالث: أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: يا رسول الله إن أمة قدمت علي وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «نعم صلي أمك»<sup>(٢)</sup>.

الرابع: أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا. وأما الذين نهى الله عن مودّتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم: فهم كفار قريش.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ بَاغِتَّاهُنَّ﴾ أي: اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن. وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تُستحلف المرأة أنها ما هاجرت بسبب بغضها في زوجها، ولا لخوف ولا غير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة.

والثاني: أن يُعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

والثالث: أن تُعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا؛ من ترك الإشراك والسرقة وقتل أولادهم، وترك الزنا والبهتان والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها، قاله عائشة ؓ<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ نزلت هذه الآية إثر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يردّ المسلمون إلى الكفار كل من جاء مسلماً من الرجال والنساء،

(١) في د: «من لم يقاتلوه في الدين».

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦).

فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية، ومنع من ردّ المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين، وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدّحداحة، وقيل: شبيعة الأسلمية، ولما هاجرت جاء زوجها فقال: يا محمد ردها علينا، فإن ذلك في الشرط لنا عليك، فنزلت الآية، فامتنحها رسول الله ﷺ فلم يردها، وأعطى مهرها لزوجها.

وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط، هربت من زوجها إلى المسلمين. واختلف في الرجال هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على ردّ من أسلم منهم، أو تجوز حتى الآن؟ على قولين، والأظهر: الجواز؛ لأنه إنما نسخ ذلك في النساء. ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذا تعليلٌ للمنع من ردّ المرأة إلى الكفار، وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات.

﴿وَأَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا﴾ يعني: أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات إذا هاجروا، ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصدق.

﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ﴾ العِصَم: جمع عصمة النكاح، فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر، يعني: المشركات من عبدة الأوثان، فالآية على هذا محكمة. وقيل: يعني: كل كافرة، فعلى هذا: نُسخ منها جواز تزوج الكتابيات بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

وروي أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب ؓ، كانت كافرة فطلقها<sup>(١)</sup>.

﴿وَسَأَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَّا أَنْفَقُوا﴾ أي: اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتي فرزن إلى الكفار، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

﴿وَإِنْ بَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ بَعَّاقِبَتُمْ فَبِأَثْوَى الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَّا أَنْفَقُوا﴾ معنى ﴿بَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: هروب نساء المسلمين إلى الكفار. والخطاب في قوله: ﴿بَعَّاقِبَتُمْ﴾ و﴿فَبِأَثْوَى الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾: للمسلمين.

(١) أخرجه الطبري (٥٨٣/٢٢) عن ابن شهاب الزهري.

وقوله: ﴿عَاقِبْتُمْ﴾ ليس من العقاب على الذنب، وإنما هو من العُقْبَى؛ أي: أصبتم عقبي وهي الغنيمة، أو من التعاقب على الشيء، كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى، فلما كان نساء المسلمين يهربون<sup>(١)</sup> إلى الكفار ونساء الكفار يهربون<sup>(٢)</sup> إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء.

وسبب الآية: أنه لما قال الله: ﴿وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ قال الكفار: لا نرضى بهذا الحكم، ولا نعطي صداق من فرّت زوجته إلينا من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية الأخرى، وأمر المسلمين أن يدفعوا الصداق لمن فرّت زوجته من المسلمين إلى الكفار<sup>(٣)</sup>.

ويكون هذا المدفوع من مال<sup>(٤)</sup> الغنائم على قول من قال: إن معنى ﴿وَعَاقِبْتُمْ﴾: غنمتم، وقيل: من مال الفيء، وقيل: من الصّدقات التي كانت تدفع للكفار إذا فرّ أزواجهم إلى المسلمين، فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه.

وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية قد ارتفعت؛ لأنها نزلت في قضايا معينة، وهي مهادنة النبي ﷺ مع مشركي العرب، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة؛ إذ لا تجوز لنا مهادنة المشركين من العرب، إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس؛ لأن الله قال في المشركين: ﴿بِقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقال في أهل الكتاب: ﴿حَتَّى يَغْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال النبي ﷺ في المجوس: «سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»<sup>(٥)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعْنَكَ﴾ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهن بالكلام، ولا تَمَسُّ يده يد امرأة، ورد هذا

(١) في د، هـ: «يهربن».

(٢) في د، هـ: «يهربن».

(٣) أخرجه الطبري (٥٨٦/٢٢) عن ابن شهاب الزهري.

(٤) لم ترد هذه الكلمة في ب، د.

(٥) تقدم تخريجه.

في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها <sup>(١)</sup>. وقيل: إنه ﷺ لفَّ على يده ثوبًا كثيفًا، ثم لمس النساء يده كذلك <sup>(٢)</sup>. وقيل: إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء فغمسن أيديهن فيه <sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ﴾ معناه عند الجمهور: أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدًا ليس له، وكانت المرأة تلتقط الولد فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. وإنما قال: ﴿يُفْتَرِيَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ﴾؛ لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها، وفرجها الذي تلد به بين رجليها. واختار ابن عطية: أن يكون البهتان هنا على العموم في أن يُنسب إلى الرجل غير ولده، أو يُفترى على أحد القول، أو تكذب المرأة فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك <sup>(٤)</sup>. وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ يراد به: اللسان والفم، وبين الأرجل يراد به: الفروج

﴿وَلَا يَغْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي: لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي، ومن ذلك: النهي عن النياحة وشق الجيوب، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه.

وورد في الحديث: أن النساء لما بايعن رسول الله ﷺ هذه المبايعة، فقررن على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة -وهي امرأة أبي سفيان بن حرب-: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل علي إن أخذت من ماله بغير إذنه، قال: «خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف»، فلما قررن على أن لا يزنین، قالت هند: يا رسول الله أتزني الحرة؟

(١) أخرجه البخاري (٢٧١١)، ومسلم (١٨٦٦).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣٢٢/٢٦) عن الشعبي دون إسناد، وأخرجه أبو داود في المراسيل (٢٧٤) عن الشعبي مرسلًا.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٣٢٢/٢٦) وأخرجه ابن مردويه -كما في تخريج أحاديث الكشاف (٤٦٣/٣)- من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفي إسناده أبو مطيع البلخي وهو ضعيف (لسان الميزان ٣/٢٤٦)، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٦٩/١٧) عن عروة بن مسعود الثقفي، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٥/٦).

(٤) المحرر الوجيز (٢٨٧/٨).

فقال ﷺ: «لا تزني الحرة»، يعني في غالب الأمر، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء، فلما قال: «وَلَا يَفْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ» قالت: نحن ربناهم صغارًا وقتلتهم أنت بيدركبارًا، فضحك رسول الله ﷺ، فلما وقفهن على أن لا يعصينه في معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيك<sup>(١)</sup>.

وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم؛ لأنه أجمع العلماء على أنه ليس على الإمام أن يشترط عليهن هذا، فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون ترك هذه الشروط؛ لأنها قد تقررت<sup>(٢)</sup> وعلمت من الشريعة بالضرورة، فلا حاجة إلى اشتراطها.

﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود، وكان بعض فقراء المسلمين يتوَدَّد إليهم ليصيبوا من أموالهم. وقيل: يعني: كفار قريش، والأول أظهر؛ لأن الغضب قد صار عرفاً لليهود كقوله: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» [الفاتحة: ٧].

﴿فَذَ يَسْأُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ من قال: إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود: فمعنى «يَسْأُوا مِنَ الْآخِرَةِ»: يسئوا من خير الآخرة والسعادة فيها. ومن قال: إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش: فالمعنى: يسئوا من وجود الآخرة وصحتها؛ لأنهم مكذبون بها تكذيباً جزمًا.

وقوله: «كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد: كما يسئ الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور، فقوله: «مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» يتعلق بـ«يَبْسُ»، وهو على حذف مضاف.

والآخر: أن يكون «مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» لبيان الجنس؛ أي: كما يسئ الكفار الذين في القبور من سعادة الآخرة؛ لأنهم تيقنوا أنهم يُعَذَّبون<sup>(٣)</sup> فيها.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٩٦) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

(٢) في ب: «قُرِّرَتْ».

(٣) في ب، د: «مُعَذَّبُونَ».



## سورة الحواريين (١)

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَبًا كَأَنَّهُمْ بَنِينَ مَرْضُوصَ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ لَمْ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ فُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي إِسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ إِفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُظْلَمُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمْ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببها ثلاثة أقوال:

أحدها - قول ابن عباس رضي الله عنه -: أن جماعة قالوا: وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله، ففرض الله الجهاد، فكرهه قوم، فنزلت الآية <sup>(١)</sup>.

والآخر: أن قوماً من شُبَّان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا، ويقولون: فعلنا وصنعنا، وذلك كذب، فنزلت؛ زجرًا لهم.

والثالث: أنها نزلت في المنافقين؛ لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين: نحن معكم ومنكم، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك، وهذا ضعيف؛ لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾،

(١) قال السخاوي في «جمال الفراء وكمال الإقراء» (ص: ٩٢): «سورة الصف، وتسمى سورة الحواريين».

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/٦٠٦) من طريق علي والعمري عنه.

إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم، وفيما يُظهرون. ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر مَنْ يقول ما لا يفعل.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس؛ لأجل هذا الآية، ويقول: أخاف من مقت الله. والمقت: هو البغض لريبة أو نحوها. وانتصب ﴿مَقْتًا﴾ على التمييز، و﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾. وقيل: فاعل ﴿كَبُرَ﴾ محذوف، تقديره: كبر فعلكم مقتًا، و﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ بدل من الفاعل المحذوف، أو خبر ابتداء مضمَر.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ ورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال. وقال بعض الناس: قتال الرَّجَالَةِ أفضل من قتال الفرسان؛ لأن التراص فيه يتمكّن أكثر مما يتمكن للفرسان، قال ابن عطية: هذا ضعيف، خفي على قائله مقصدُ الآية، وليس المراد نفس التصفاف<sup>(١)</sup>، وإنما المقصد: الثبوت والجِدُّ في القتال<sup>(٢)</sup>.

﴿كَأَنَّهُمْ بَنِيَّ مَرْضُوضٌ﴾ المرصوص: هو الذي ضُمَّ بعضه إلى بعض. وقيل: هو المعقود بالرصاص، ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذَوْنَ بِسُوءِ الْكَلَامِ وَبِعَصْيَانِهِ وَتَنْقُصُهُ<sup>(٣)</sup>﴾. وانظر في «الأحزاب» قوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ عَادُوا مُوسَى﴾ [الأحزاب: ٦٩].

﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا إقامة حجة عليهم، وتوبيخ لهم، وتقبیح لإذائته مع علمهم بأنه رسول الله، ولذلك أدخل «قد» الدالة على التحقيق.

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه عقوبة على الذنب بذنب. وزَيَغ القلب: هو ميله عن الحق.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ إنما قال موسى ﷺ: ﴿يَنْقُومُ﴾، وقال عيسى ﷺ: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾؛ لأنه لم يكن له فيهم أب.

(١) في أ: «التراص».

(٢) المحرر الوجيز (٨/٢٩٢).

(٣) في أ، د، هـ: «وتنقصه».

﴿مُضْذِفًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ معناه مذكور في «البقرة» في قوله: ﴿مُضْذِفًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ عن كعب: أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: يا روح الله هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم، أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء<sup>(١)</sup>.

﴿إِسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي»<sup>(٢)</sup>. وأحمد: مشتق من الحمد، فيحتمل أن يكون: فعلاً سمي به، أو يكون صفة سمي بها كأحمر، ويحتمل أن يكون: بمعنى حامد، أو بمعنى محمود كمحمد.

﴿قَلَمًا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يحتمل أن يريد: عيسى أو محمد -عليهما الصلاة والسلام-. ويؤيد الأول: اتصاله بما قبله، ويؤيد الثاني: قوله: ﴿وَهُوَ يُذْعِبُنِي إِلَى الْإِسْلَامِ﴾؛ لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ لِيُظْلَمُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ذكر في «براءة»<sup>(٣)</sup>.



(١) تفسير الثعلبي (٢٦/٣٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم عليه السلام.

(٣) انظر تفسير الآية (٣٢).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْلَكُكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْيَمِّ ﴿١١﴾ تَوَمِّنُونَ بِاللّٰهِ  
وَرَسُولِهِۦ وَتَجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ يَغْمِزُ لَكُمْ دُثُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ  
طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَذْيٍ ذَٰلِكَ الْمَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَالْآخِرَىٰ تُجِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ  
وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلّٰهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ  
لِلْحَوَارِيِّينَ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللّٰهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللّٰهِ بِمَا مَنَّتْ طَائِفَةٌ مِّن بَنِي  
إِسْرَءِيلَ وَكَهَرَتْ طَائِفَةٌ بَأْيُذْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَذَابِهِمْ بِأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٥﴾

﴿تَوَمِّنُونَ بِاللّٰهِ﴾ الآية؛ تفسيرٌ للتجارة المذكورة. قال الأخفش: هو عطف بيان عليها،  
وقال الزمخشري: هو استئناف<sup>(١)</sup>.

﴿يَغْمِزُ لَكُمْ﴾ جزمٌ في جواب ﴿تَوَمِّنُونَ﴾؛ لأنه بمعنى الأمر، وقد قرأ ابن مسعود ﷺ:  
«آمنوا وجاهدوا» على الأمر<sup>(٢)</sup>. وقال الفراء: هو جواب ﴿هَلْ أَذْلَكُكُمْ﴾؛ لأنه يقتضي  
التحضيض.

﴿وَالْآخِرَىٰ تُجِبُّونَهَا﴾ ارتفع ﴿الْآخِرَىٰ﴾ على أنه خبر ابتداء مضمرة تقديره: ولكم نعمة  
أخرى، أو<sup>(٣)</sup> انتصب على أنه مفعول بفعل مضمرة تقديره: ويمنحكم أخرى، وقيل: هو  
مخفوض بالعطف على ﴿تَجَرَّةٍ﴾، وهذا ضعيف.

﴿نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ﴾ تفسيرٌ للآخرى، فهو بدل منها، أو خبر ابتداء مضمرة تقديره هي نصرٌ.

﴿وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزمخشري: عطفٌ على ﴿تَوَمِّنُونَ بِاللّٰهِ﴾؛ لأنه في معنى الأمر<sup>(٤)</sup>.

﴿كُونُوا أَنْصَارًا لِلّٰهِ﴾ جمع ناصر، وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج،  
وسماهم الله به، وليس ذلك المراد هنا.

(١) قال: «كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال: ﴿تَوَمِّنُونَ...﴾». الكشاف (٣٩١/١٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦١٧/٢٢)، والمحرر الوجيز (٢٩٦/٨).

(٣) في ب، ج، د، هـ: «و».

(٤) الكشاف (٣٩٥/١٥).

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا التشبيه محمول على المعنى؛ لأن ظاهره: كونوا أنصاراً لله كقول عيسى، والمعنى: كونوا أنصاراً لله كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله. وقد ذكر في «آل عمران» معنى الحواريين و﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ قيل: إنهم ظهروا بالحجة، وقيل: بل غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى ﷺ، وقيل: إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد ﷺ.



(١) انظر تفسير الآية (٥١).

## سورة الجمعة

يَسِيحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي  
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَهُمْ ضَلَالٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ  
خَبَلُوا الْقُرْبَىٰ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِبَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا  
بِقَائِلِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَفْكَمَ  
أَوْ لِيَاءَ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا  
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْهُ فِتْنَةٌ مَلَفِيكُمْ ثُمَّ  
تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ «الْقُدُّوسِ» ذكر في «الحشر»<sup>(١)</sup>.

﴿٢﴾ «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ» يعني: محمداً ﷺ. و«الْأُمِّيِّينَ»: هم العرب،  
وقد ذكر معنى الأُمِّي في «الأعراف»<sup>(٢)</sup>.

﴿٣﴾ «وَآخِرِينَ مِنْهُمْ» عطف على «الْأُمِّيِّينَ»، وأراد بهؤلاء: فارس، سئل رسول الله ﷺ:  
من هؤلاء الآخرون؟ فأخذ بيد سلمان الفارسي ﷺ، وقال: «لو كان العلم بالثريا لناله  
رجال من هؤلاء» يعني: فارس<sup>(٣)</sup>. وقيل: هم الروم. و«مِنْهُمْ» على هذين القولين يريد

(١) انظر تفسير الآية (٢٣).

(٢) انظر تفسير الآية (١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) عن أبي هريرة رضى الله عنه، بلفظ: «لو كان الدين...». وأما لفظ: «لو كان العلم...» فأخرجه أحمد في مسنده (٧٩٥٠) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه دون ذكر سلمان.

به: في البشرية وفي الدين، لا في النسب. وقيل: هم أهل اليمن، وقيل: هم التابعون، وقيل: هم سائر المسلمين، والأول أرجح؛ لوروده في الحديث الصحيح.

﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يلحقوا بهم وسيلحقون، وذلك أن «لَمَّا» لنفي الماضي القريب من الحال.

﴿ذَلِكَ بِضَلِّ أَلْفٍ﴾ إشارة إلى نبوة محمد ﷺ وهداية الناس به.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَبِلُوا التَّوْرَةَ﴾ يعني: اليهود، ومعنى ﴿خَبِلُوا التَّوْرَةَ﴾ كُفُّوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها، و﴿ثُمَّ لَمْ يَخِيلُوهَا﴾: لم يطيعوا<sup>(١)</sup> أمرها، ولم يعملوا بها، شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره، ولا يدري ما فيها.

﴿يَسْ مَثَلُ الْفُؤَادِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: اليهود الذين كذبوا محمداً ﷺ وهم الذين حُمِّلُوا التوراة ولم يَحْمِلُوهَا؛ لأن التوراة تنطق بنبوته ﷺ، فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة.

﴿يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.



(١) في هـ: «يطيعوا».

(٢) انظر تفسير الآية (٩٣).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ  
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا  
مِنْ بَضَلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ابْزَصُوا  
إِلَيْهَا وَتَزَكَّوْا فَإِذَا فُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

﴿١﴾ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿١﴾ النداء للصلاة: هو الأذان لها.  
و﴿٢﴾ في قوله: ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ بيان لـ ﴿إِذَا﴾، وتفسير له. و﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يراد به:  
الخطبة والصلاة.

ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل:

الأولى: اختلف في الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات؟ أو واجب لظاهر  
هذه الآية؟ لأنه شرط في السعي لها أن يكون عند الأذان، والسعي واجب فالأذان واجب.

الثانية: كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ على جدار المسجد، وقيل: على  
باب المسجد، وقيل: كان بين يديه ﷺ وهو على المنبر، وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا،  
وبقي بقرطبة زماناً، وهو باقٍ بالمشرق إلى الآن.

قال أبو محمد ابن الفرس: قال مالك في «المجموعة»<sup>(١)</sup>: إن هشام بن عبد الملك هو  
الذي أحدث الأذان بين يديه، قال: وهذا دليل على أن الحديث في ذلك ضعيف<sup>(٢)</sup>.

الثالثة: كان المؤذن<sup>(٣)</sup> للجمعة واحداً، ثم زاد عثمان ؓ النداء على الزوراء<sup>(٤)</sup>  
ليسمع الناس، واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة؟

(١) المجموعة على مذهب مالك وأصحابه، كتاب ألفه محمد بن إبراهيم بن عبدوس (ت ٢٦٠هـ) من كبار  
أصحاب سحنون. انظر: الديباج المذهب (٢/ ١٧٤).

(٢) أحكام القرآن، لابن الفرس (٣/ ٥٥٨)، يعني الحديث الذي جاء أنه كان بين يديه ﷺ أذان، فضعفه ابن  
الفرس بقول مالك هذا، قال: «فلو كان ذلك في زمن النبي ﷺ لم يقل: إنه مُحدث».

(٣) في أ: «الأذان».

(٤) قال القاضي عياض في المشارق (١/ ٣١٥): «هو موضع بالمدينة عند السوق قرب المسجد، وذكر الداودي  
أنه مرتفع كالمنارة».



الرابعة: السعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري، وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فامضوا إلى ذكر الله»<sup>(١)</sup> وهذا تفسير للسعي، فهو بخلاف السعي في قول رسول الله ﷺ: «إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون»<sup>(٢)</sup>.

الخامسة: حضور الجمعة واجب؛ لحمل الأمر الذي في الآية على الوجوب باتفاق، إلا أنها لا تجب على المرأة ولا الصبي ولا المريض باتفاق. ولا تجب على العبد والمسافر عند مالك<sup>(٣)</sup> والجمهور، خلافاً للظاهرية، وتعلقوا بعموم الآية.

وحجة الجمهور: قول رسول الله ﷺ: «الجمعة واجبة على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض»<sup>(٤)</sup>، وحجتهم في المسافر: أن رسول الله ﷺ كان لا يقيم الجمعة في السفر.

واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا؟ وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا؟ والمشهور: أنها لا تسقط عنهما؛ لعموم الآية.

السادسة: اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة؟ فقليل: إذا زالت الشمس، وقيل: إذا أذن المؤذن، وهو ظاهر الآية.

السابعة: اختلف في الموضع الذي يجب منه السعي إلى الجمعة؟

فقليل: ثلاثة أميال وهو مذهب مالك<sup>(٥)</sup>، وقيل: ستة أميال، وقيل: تجب على من

(١) تفسير الطبري (٢٢/٦٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/١٦٩).

(٤) أخرجه أبو داود (١٠٦٧) من حديث طارق بن شهاب، وقال: «طارق بن شهاب قد رأى النبي ﷺ، ولم يسمع منه شيئاً»، فهو مرسل، ووصله الحاكم (١٠٦٢) بذكر أبي موسى رضي الله عنه فيه، وصححه ووافقه الذهبي، قال البيهقي في السنن (٣/٢٤٦): «وليس بمحفوظ»، وقال أيضاً (٣/٢٦٠): «هذا الحديث وإن كان فيه إرسال فهو مرسل جيد، فطارق من خيار التابعين.. ولحديثه هذا شواهد»، وصحح إسناده ابن رجب في فتح الباري (٥/٣٢٧)، وابن الملقن في البدر المنير (٤/٦٣٧)، وجود إسناده ابن كثير في إرشاد الفقيه (١/١٩٠).

(٥) وأحمد، وهذا إن كان خارج مصر، وأما أهل مصر فيلزمهم كلهم، قربوا أو بعدوا. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/١٦١).

دَاخِلُ الْمَصْرِ، وَقِيلَ: عَلَى مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ، وَقِيلَ: عَلَى مَنْ آوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى أَهْلِهِ.

الثامنة: اختلف في الوالي هل هو من شرط<sup>(١)</sup> الجمعة أم لا؟ على قولين، والمشهور: سقوطه؛ لأن الله لم يشترطه في الآية.

﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أمرٌ بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون في الأذان، وذلك على الوجوب، فيقتضي تحريم البيع. واختلف في البيع الذي يُعقد في ذلك الوقت هل يفسخ أم لا؟

واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبيد؛ هل يجوز في ذلك الوقت أم لا؟ والأظهر: جوازه؛ لأنه إنما منع منه مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجُمُعَةِ، ويجري النكاح في ذلك الوقت مجرى البيع في المنع.

﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق، حكى الإجماع على ذلك ابن عطية<sup>(٢)</sup> وابن الفرس<sup>(٣)</sup>.

﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل: معناه طلب المعاش، فالأمر على هذا إباحة، وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «الفضل المبتغى: عيادة مريض، أو صلة صديق، أو اتباع جنازة»<sup>(٤)</sup>. وقيل: هو طلب العلم، وإن صح الحديث لم يُعدَل إلى سواه.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ابْغَضُوا إِلَيْهَا﴾ سبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان قائماً على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأقبلت عير من الشام بطعام، وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي، وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سروراً بها، فلما دخلت العير كذلك انفَضَّ أهل المسجد إليها، وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر، ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، قال جابر بن عبد الله ﷺ: «أنا أحدهم»<sup>(٥)</sup>.

(١) في أ، هـ: «شروط».

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٠٤).

(٣) أحكام القرآن (٣/٥٦٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/٦٤٤) من حديث أبي عامر الصائغ، عن أبي خلف، عن أنس ﷺ مرفوعاً، قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/٥٤٣): «أبو عامر الصائغ، عن أبي خلف، عن أنس: قال الأزدي: كان يضع الحديث»، وأبو خلف: قال ابن حجر في التقریب (١١٤١): «متروك»، فالحديث ضعيف جداً.

(٥) أخرجه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣) عن جابر ﷺ.

وذكر بعضهم: أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة<sup>(١)</sup>، واختلف في الثاني عشر: فقيل: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقيل: عمار بن ياسر رضي الله عنه.

وقيل: إنما بقي معه عليه السلام ثمانية<sup>(٢)</sup>، وروي أنه عليه السلام قال: «لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سؤمت في السماء على المنفضين»<sup>(٣)</sup>.

وظاهر الآية: يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور، إلا أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة؟

فقال مالك: ليس في ذلك عدد محدود، وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية، وروى ابن الماجشون عن مالك: ثلاثون<sup>(٤)</sup>، وقال الشافعي<sup>(٥)</sup>: أربعون، وقال أبو حنيفة: ثلاثة مع الإمام، وقيل: اثنا عشر، عدد الذي بقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

فإن قيل: لم قال: «إِنْ قُضِيَ إِلَيْهَا» بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد: انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة، ثم حذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه. قاله الزمخشري<sup>(٦)</sup>.

والآخر: أنه قال ذلك تهمًا بالتجارة؛ إذ كانت أهم، وكانت هي سبب اللهو، ولم يكن اللهو سببها، قاله ابن عطية<sup>(٧)</sup>.

﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ اختلف في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا؟ وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا؟ فمن أوجبه واشترطه: أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام، ومن لم يوجبه: رأى أن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لم يكن على الوجوب.

(١) نقله ابن عطية عن والده. المحرر الوجيز (٣٠٥/٨)

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٤٣١/٢٦) من رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه، والكلبي متروك.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٣٦/٥) عن مقاتل بن حيان مرسلاً.

(٤) في ب زيادة: «رجلاً».

(٥) وأحمد في ظاهر المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩٨/٥).

(٦) الكشف (٤٢٠/١٥).

(٧) المحرر الوجيز (٣٠٥/٨-٣٠٦).

ومذهب مالك<sup>(١)</sup>: أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين. وقال أبو حنيفة: لا يجلس بين الخطبتين؛ لظاهر الآية، وذكر القيام فيها دون جلوس. وحجة مالك: فعل رسول الله ﷺ.

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِّ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ إن قيل: لم قدم الله هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على الله؟

فالجواب: أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه؛ وذلك أن العرب تارة يتدثون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل، كقولك: «فلان يخون في الكثير والقليل» فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه، وتارة يتدثون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر، كقولك: «فلان أمين على القليل والكثير» فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه، ولو عكس في كل واحد من المثالين لم يكن حسناً؛ فإنك لو قدمت في الخيانة ذكر القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى، ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة.

وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ابْغَضُوا إِلَيْهَا﴾ قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها، وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها، وقوله: ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِّ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ قدم الله ليبين أن ما عند الله خير من اللهو، وأنه أيضاً خير من التجارة التي هي أعظم منه، ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن.



(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٥/ ٢٣٨).

## سورة المنافقين

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ  
 الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا بِطَيْعٍ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ بِهِمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا  
 رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَخْسِبُونَ كُلَّ  
 صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوٌّ فَاخْذِرْهُمْ فَكَتَلَهُمُ اللَّهُ أَبْنَىٰ يَوْمَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا  
 يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ  
 أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾  
 هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ  
 مِنْهَا أَلَاذَلٌّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴿١﴾ كانوا يقولون بالسنتهم ما ليس في  
 قلوبهم، فلذلك كذبهم الله في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: كذبوا في  
 دعواهم الشهادة بالرسالة. وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ فليس من كلام  
 المنافقين، وإنما هو من كلام الله تعالى، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ  
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ إبطال للرسالة، فوسطه بين حكاية قول المنافقين وبين تكذيبهم؛  
 ليُزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة، وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله: ﴿لَرَسُولُ اللَّهِ﴾.

﴿٢﴾ جُنَّةٌ ذكر في «المجادلة»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (١٦).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الإشارة إلى سوء عملهم، أو إلى فضيحتهم وتوبيخهم. وأما قوله: ﴿ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيمن آمن منهم إيمانًا صحيحًا، ثم نافق بعد ذلك.

والآخر: أن يريد: آمنوا في الظاهر، كقوله: ﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٣].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: أنهم حسان الصور.

﴿وَأَن يَقُولُوا نَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ يعني: أنهم فصحاء. والخطاب في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ وفي قوله: ﴿نَسْمَعُ﴾: للنبي ﷺ، ولكل مخاطب.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ﴾ شبههم بالخشب في قلة أفهامهم، فكان لهم منظر بلا مخبر. وقال الزمخشري: إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط؛ لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة، بخلاف الخشب التي تكون في سقف أو مغروسة في جدار؛ فإن فيها حيثئذ منفعة، فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة<sup>(١)</sup>. وقيل: كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ، فشبههم في استنادهم بالخشب المسندة إلى الحائط<sup>(٢)</sup>.

﴿يَخْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين، وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم.

﴿فَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم.

﴿أَنبَى يُوفِّكَوْنَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الإيمان مع<sup>(٣)</sup> ظهوره؟

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ﴾ أي: أمالوها إعراضًا واستكبارًا. وقصص هذه الآية وما بعدها: أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق، فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه، فكان ممن ازدحم جهجاه بن سعيد<sup>(٤)</sup> أجير لعمر بن الخطاب ؓ، وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، فلطم

(١) الكشاف (١٥/٤٢٩).

(٢) في ب، د: «حائط».

(٣) في ب، د: «بعد».

(٤) الذي سيرة ابن هشام (٢/٢٩٠): «جهجاه بن مسعود»، وفي الإصابة (٢/٢٦٤): «جهجاه بن سعيد، وقيل: ابن قيس، وقيل: ابن مسعود».

الجهجاه سنأنا، فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا بالجهجاه بالمهاجرين، فقال عبد الله بن أبي: والله ما مثلنا ومثل هؤلاء -يعني المهاجرين- إلا كما قال الأول: «سَمَنْ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ»، ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز: نفسه وأتباعه، ويعني بالأذل: رسول الله ﷺ ومن معه، ثم قال لقومه: إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم، فسمعه زيد بن أرقم ؓ فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي، فحلف أنه ما قال شيئا من ذلك، وكذب زيدا، فنزلت السورة عند ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زيد، وقال له: «لقد صدقك الله يا زيد»، فخزي عبد الله بن أبي، ومقته الناس، فقليل له: امض إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك! فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأي، وقال: أمرتوني بالإسلام فأسلمت، وأمرتوني بأداء زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد! ثم مات عبد الله بن أبي بعد ذلك بقليل<sup>(١)</sup>.

وأُسندت هذه الأقوال التي قالها عبد الله بن أبي إلى ضمير الجماعة؛ لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ روي أنه لما نزلت ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨١] قال رسول الله ﷺ: «لأزيدن على السبعين»<sup>(٢)</sup> فلما فعل عبد الله بن أبي وأصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم في هذه السورة، وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه. وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة.



(١) أخرجه الطبري (٦٥٥/٢٢، ٦٦٧) عن زيد بن أرقم، وعن ابن إسحاق، وهو عند البخاري (٤٩٠٠) ومسلم

(٢٧٧٢) من حديث زيد بن أرقم ؓ مختصرا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر ؓ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ  
بِأَوْثَاقِكُمْ هُمْ الْخٰسِرُونَ ﴿١﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنٰكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ  
بِقَوْلِ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ بِأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٢﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ  
نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿١﴾ لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿١﴾ أي: لا تشغلکم. و﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾ هنا: على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة. وقيل: يعني: الصلاة المكتوبة، والعموم أولى.

﴿٢﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنٰكُمْ ﴿٢﴾ عموم في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك. وقيل: يعني: الزكاة المفروضة، والعموم أولى.

﴿وَأَكْنَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ بالعزم: عطف على موضع جواب الشرط<sup>(١)</sup>. وقرأ أبو عمرو ﴿وَأَكُونَ﴾ بالنصب عطف على ﴿بِأَصْدَقَ﴾.



(١) والتقدير: إن تؤخرني أصدق وأكن من الصالحين. المحرر الوجيز (٣١٦/٨).



## سُورَةُ التَّغَابُنِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾  
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ بَدَأُوا قَوْمًا وَأَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ \* زَعَمَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَمَا يُمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ  
لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلْهُ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْبَقْوَةُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: هو الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به، لكن منكم من كفر ومنكم من آمن، فالكفر والإيمان على هذا: هو اكتساب العبد.

والآخر: أن المعنى: هو الذي خلقكم على صنفين: فمنكم من خلقه مؤمناً ومنكم من خلقه كافراً، فالإيمان والكفر على هذا: هو ما قضى الله على كل أحد.

والأول أظهر؛ لأن عطفه على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بالفاء يقتضي أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلق، لا في أصل الخلق.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ذكر معناه في مواضع<sup>(١)</sup>.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ تعديد نعمة في حُسن خِلقة بني آدم؛ لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر، فلا يخرج ذلك عن حُسن الصورة الإنسانية، وإنما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس. وقيل: يعني: العقل والإدراك الذي خُصَّ به الإنسان، والأول أرجح؛ لأن الصورة إنما تنطلق على الشكل.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب لقريش وسائر الكفار.

﴿بَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ معناه: أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشراً، أو تكبروا عن اتباع بشر. والبشر: يقع على الواحد والجماعة.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: زعم كناية عن كذب<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ العامل في «يَوْمَ»: «لَتَنْبِئَنَّ»، أو «خَيْرٌ»، أو محذوف تقديره: اذكر. ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره «ذَلِكَ يَوْمَ التَّغَابِي»، يعني: يوم القيامة.

و«التَّغَابِي»: مستعار من تغابن الناس في التجارة، وذلك إذا فاز السعداء بالجنة، فكانهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء، فالتغابن على هذا بمعنى الغبن، وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونها بين اثنين، كقولك: تضارب وتقاتل، إنما هي فعل واحد كقولك: تواضع، قاله ابن عطية<sup>(٣)</sup>.

وقال الزمخشري: يعني: نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء، والتغابن على هذا بين اثنين، قال: وفيه تهكم بالأشقياء؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر تفسير الآية (٥) من سورة يونس، وتفسير الآية (٨٥) من سورة الحجر، وتفسير الآية (٢٦) من سورة ص.

(٢) أخرجه الطبري بإسناده في تفسيره (٩/٢٣) إلى ابن عمر رضي الله عنه قال: «زعم: كناية الكذب».

(٣) المحرر الوجيز (٨/٣٢١).

(٤) الكشاف (١٥/٤٥٥).

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾  
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ  
عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَضَبَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّمَا  
أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ بَاتُّوْا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا  
وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْخَ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾ إِنْ  
تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾

﴿١٥﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بالمصيبة: الرزايا، وخصَّها بالذكر لأنها أهم على الناس، أو يريد جميع الحوادث من خير وشر. و ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ عبارة عن قضائه وإرادته تعالى.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ قيل: معناه: من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله، وهذا حسن، إلا أن العموم أحسن منه.

﴿١٦﴾ إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ سببها: أن قومًا أسلموا وأرادوا الهجرة، فبسطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة، فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك<sup>(١)</sup>. وقيل: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي<sup>(٢)</sup>، وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده<sup>(٣)</sup> فشكوا من فراقه، فرق لهم ورجع، ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم، فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد، ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَضَبَّحُوا﴾ الآية. ولفظ الآية مع ذلك على عمومته في التحذير ممن يكون للإنسان عدوًّا من أهله وأولاده، سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا.

(١) أخرجه الطبري (١٤/٢٣)، وابن أبي حاتم (٣٣٥٨/١٠)، والترمذي (٣٣١٧) وصححه، والحاكم (٣٨١٤)

وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عباس ؓ.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/٢٣) عن عطاء بن يسار.

(٣) في أ، هـ: «وولده».

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ترغيبٌ في الآخرة وتزهيدٌ في الأموال والأولاد، التي فتن الناس بها.

﴿بَاتُّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قيل: إن هذا ناسخ لقوله: ﴿إِتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِيهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. وروي أنه لما نزل ﴿حَقَّ تُقَاتِيهِ﴾ شقَّ ذلك على الناس حتى نزل ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>. وقيل: لا نسخ بينهما؛ لأن ﴿حَقَّ تُقَاتِيهِ﴾ معناه: فيما استطعتم؛ إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما يستطيع، فهذه الآية -على هذا- مُبَيَّنَةٌ لتلك، وتحرَّرَ بالاستطاعة من الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبيد<sup>(٢)</sup>. وإعراب ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ظرفية.

﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ منصوبٌ بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه. وقيل: هو مفعول بـ ﴿أَنفِقُوا﴾؛ لأن الخير بمعنى المال. وقيل: هو نعتٌ لمصدر محذوف تقديره: أنفقوا إنفاقًا خيرًا لأنفسكم.

﴿وَمَنْ يُوقِ﴾ ذكر في «الحشر»<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنْ تَفَرَّضُوا﴾ ذكر في «البقرة»<sup>(٤)</sup>.

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر في «اللغات»<sup>(٥)</sup>.



(١) أخرجه الطبري (١٩/٢٣) عن قتادة.

(٢) في د: «العبد».

(٣) انظر تفسير الآية (٩).

(٤) انظر تفسير الآية (٢٤٣).

(٥) انظر المواد (١٢٩)، و (٥٤٠).

## سُورَةُ الطَّلَاقِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِحُكْمٍ مُبَيَّنٍّ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَذَرِهِ لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِتَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَهاً فَمَسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ بَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوْنَهُ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُنْ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالْبِ يَپْسَنُ مِنَ الْمَحِضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ إِرْتَبْتُمْ بَعْدَتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالْبِ لَمْ يَحْضَنْ وَأَوَّلَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتَضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أَتَوَلَّتْ حَمْلٌ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَاتَّمِزُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ \* وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَبِئْتَرَضِعْ لَهُنَّ أَجْرَهُنَّ لِيُنْفِقْنَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إن قيل: لم نودي النبي ﷺ وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟ فالجواب: أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي ﷺ وأمه، قيل: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمْ﴾ خطاباً له ولهم، وخُصَّ هو ﷺ بالنداء أولاً تعظيماً له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: «يا فلان افعلوا»، أي: افعل أنت وقومك، ولأنه ﷺ هو المبلغ إلى

أمته<sup>(١)</sup>، فكانه قال: يا أيها النبي إذا طلقت أنت وأمتك.

وقيل: تقديره: يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتك، وهذا ضعيف؛ لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأمته دونه. وقيل: إنه خوطب النبي ﷺ بـ «ظَلَفْتُمْ» تعظيماً له، كما تقول للرجل المعظم: «أنتم فعلتم»، وهذا أيضاً ضعيف؛ لأنه يقتضي اختصاصه ﷺ بالحكم دون أمته. ومعنى «إِذَا ظَلَفْتُمْ» هنا: إذا أردتم الطلاق. واختلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه؟ وأما إذا كان على غير وجه السنة فهو ممنوع، ولكنه يلزم، وأما اليمين بالطلاق فممنوع<sup>(٢)</sup>.

«بَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ» تقديره: طلقوهن مستقبلاتٍ لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب رضي الله عنهم: «فطلقوهن في قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ»<sup>(٣)</sup>، وقرأ ابن عمر رضي الله عنهما: «لِقُبُلِ عِدَّتِهِنَّ»<sup>(٤)</sup>، ورويت القراءتان عن رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>. ومعنى ذلك كله: أن لا يطلقها وهي حائض، فهو منهي عنه بإجماع؛ لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمره الله بها وهو استقبال العدة.

واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلل بتطويل العدة، أو هل هو تعبد؟ والصحيح أنه معلل بذلك، وينبغي على هذا الخلاف فروع: منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟ ومنها: هل يجوز طلاقها في الحيض وهي حامل أم لا؟ ومنها: هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضي المنع. ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم أمر بالرجعة على وجه الإيجاب عند مالك<sup>(٦)</sup>، ودون إيجاب عند الشافعي<sup>(٧)</sup> حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر،

(١) في ب، د: «لأمته».

(٢) في أ، ب: «فهو ممنوع».

(٣) المحرر الوجيز (٨/٣٢٧).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١٨٦٠).

(٥) قراءة «فطلقوهن في قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ» أخرجه مسلم (١٤٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقراءة «لِقُبُلِ عِدَّتِهِنَّ» أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/٣١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً.

(٦) وأحمد في رواية اختارها ابن أبي موسى.

(٧) وأحمد في ظاهر المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/١٧٦).

ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك، حسبما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ فقال له: «مُرْهُ فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر؛ فإن شاء طلق وإن شاء أمسك»<sup>(١)</sup>. واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسه فيها؛ لتعتد بذلك الطهر، فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء؟ فليس طلاقاً لعدتها كما أمره الله.

«وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ» أمر بذلك لما يُبَيَّنُّ عليها من الأحكام، في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك.

«لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ» نهى الله سبحانه وتعالى أن يُخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه، ونهاها أن تخرج هي باختيارها، فلا يجوز لها المبيت عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهائياً إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، فإن كان المسكن ملكاً للزوج، أو مكرتري عنده لزمه إسكانها فيه، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة، وإن كانت قد أمتعت فيه مدة الزوجية؛ ففي لزوم خَرَجِ<sup>(٢)</sup> العدة له قولان في المذهب، والصحيح لزومه؛ لأن الإمتاع قد انقطع بالطلاق.

«إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ» اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي؟ على خمسة أقوال:

الأول: أنها الزنا، فتخرج لإقامة الحد، قاله الليث بن سعد والشعبي.

الثاني: أنه سوء الكلام مع الأصهار، فتخرج ويسقط حقها من السكنى، ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظاً للنسب، قاله ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup>، ويؤيده قراءة أبي بن كعب: «إِلَّا أَنْ

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١).

(٢) في ب، ج: «خروج»، والمثبت هو الصواب، والإمتاع: هو إعطاء الزوجة للزوج شيئاً في عقد النكاح أو بعده، مثل إمتاعه بسكنى دارها، والمراد بخَرَجِ العدة: أجر البيت مدة العدة، فإن الأجرة واجبة على الزوج لها حينئذ. انظر: القوانين الفقهية (٣٦٣)، والبحر المحيط (٣٦٦/٢٠)، وشرح ميارة «الإتقان والإحكام» في شرح تحفة الأحكام، ط. دار الكتب العلمية (٢٨٠/١).

(٣) أخرجه الطبري (٣٤/٢٣).

يفحشَنَ عليكم»<sup>(١)</sup>.

الثالث: أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك، فمتى فعلت شيئاً من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس رضي الله عنه أيضاً<sup>(٢)</sup>، وإليه مال الطبري<sup>(٣)</sup>.

الرابع: أنه الخروج عن<sup>(٤)</sup> بيتها خروج انتقال، فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى، قال ابن الفرس: وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة<sup>(٥)</sup>.

الخامس: أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى، قاله قتادة.

﴿لَا تَذِرْ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به: الرجعة عند الجمهور، أي: أحصوا العدة وامثلوا ما أمرتم به، لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم. وقيل: المعنى: لعل الله يحدث أمراً من نسخ هذه الأحكام، وهذا بعيد. وقيل: إن سبب الرجعة المذكورة في الآية: تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر رضي الله عنه، فأمره الله بمراجعتها<sup>(٦)</sup>.

﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ بَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يريد: آخر العدة. والإمساك بمعروف: هو تحسين العشرة، وتوفية النفقة. والفراق بالمعروف: هو أداء الصداق، والإمتاع حين الطلاق، والوفاء بالشروط ونحو ذلك.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوْيَ عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ هذا خطاب للأزواج، والإشهاد بالمأمور به: هو على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين في المذهب.

(١) ذكرها في المحرر الوجيز (٣٢٩/٨)، وفي تفسير عبد بن حميد - كما في الدر المنثور (٤/٢٩١) - أن هذه القراءة لأبي ﷺ في آية سورة النساء [١٩]: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَّبِينَةٍ﴾.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/٣٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٣٦).

(٤) في ب، د: «من».

(٥) أحكام القرآن (٣/٥٧٤).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/٣٣٥٩) - وكما في تفسير ابن كثير (٨/١٤٢) - عن قتادة عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه الطبري (٢٣/٣٠) عن قتادة مرسلاً.



وقال ابن عباس رضي الله عنه: هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة<sup>(١)</sup>، وذلك أظهر؛ لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع، ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق. وقد ذكرنا العدالة في «البقرة»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿ذَوْنِ عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ يدل على أنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء، وهو مذهب مالك<sup>(٣)</sup>، خلافاً لمن أجاز شهادة النساء في ذلك. وقوله: ﴿مِّنْكُمْ﴾ يعني: من المسلمين، وقيل: من الأحرار، فيؤخذ من ذلك: ردُّ شهادة العبيد، وهو مذهب مالك<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَفِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ هذا خطاب للشهود. وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد به: القيام بها، فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد، وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس<sup>(٥)</sup>، ويحتمل أن يريد: إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسر الزمخشري<sup>(٦)</sup>، وهو أظهر؛ لقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ فهو كقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْفِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٤].

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأحكام.

﴿وَمَنْ يَتَيَّ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ قيل: إنها في الطلاق، ومعناها: من يتق الله فيطلق طلاقاً واحدة، حسبما تقتضيه السنة يجعل له مخرجاً بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق، وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لمن طلق ثلاثاً: إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك، ولا أرى لك مخرجاً<sup>(٧)</sup>؛ أي: لا رجعة لك. وقيل: إنها على العموم؛ أي: من يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل الله له مخرجاً من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي هذا أيضاً

(١) أخرجه الطبري (٤١/٢٣) من طريق علي بن أبي طلحة عنه رضي الله عنه.

(٢) انظر تفسير الآية (٢٨١).

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٦/٣٠).

(٤) وأبي حنيفة والشافعي، خلافاً لأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٩/٣٩٧).

(٥) أحكام القرآن (٥٧٦/٣).

(٦) الكشف (٤٧١/١٥).

(٧) أخرجه أبو داود (٢١٩٧)، وصححه ابن حجر في الفتح (٣٦٢/٩).

عن ابن عباس رضي الله عنه <sup>(١)</sup>، وهذا أرجح لخمس أوجه:

أحدها: حمل اللفظ على عمومه، فيدخل في ذلك الطلاق وغيره.

الثاني: أنه روي أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أسر ولده وضيّق عليه رزقه، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى، فلم يلبث إلا يسيراً وانطلق ولده ووسع الله رزقه <sup>(٢)</sup>.

والثالث: أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأها فقال: «مخرجاً من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة» <sup>(٣)</sup>.

والرابع: روي أنه ﷺ قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفّتهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾...» الآية، فما زال يقرؤها ويعيدها <sup>(٤)</sup>.

الخامس: قوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، فإن هذا لا يناسب الطلاق، وإنما يناسب التقوى على العموم.

قال بعض العلماء: الرزق على نوعين: رزق مضمون لكل حي طول عمره، وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِسْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [مرد: ٦]، ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور في هذه الآية.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره. وقد تكلمنا على التوكل في «آل عمران» <sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٤٣/٢٣) من طريق علي بن أبي طلحة عنه رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٣٥٩/١٠) عن محمد بن إسحاق.

(٣) أخرجه الثعلبي (٥٦٠/٢٦) عن عطاء بن يسار عن ابن عباس رضي الله عنه، وفي إسناده ابن وهب الدينوري، وهو متروك، وسعيد بن راشد الحنفي وهو منكر الحديث. ميزان الاعتدال، للذهبي (١٣٥/٢)، (٤٩٤)، فالإسناد ضعيف جداً.

(٤) أخرجه أحمد (٢١٥٥١)، والنسائي في الكبرى (١١٥٣٩)، وابن ماجه (٤٢٢٠)، وابن حبان (٦٦٦٩)، والحاكم (٣٨١٩) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٥) انظر تفسير الآية (١٥٩).

﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرَهُ﴾ أي: يبلغ ما يريد ولا يُعجزه شيء، وهذا حصص على التوكل وتأكيده؛ لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعول على سواه<sup>(١)</sup>.

﴿فَدَجَّلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: مقدارًا معلومًا ووقتًا محدودًا.

﴿وَالَّذِي يَسْنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ إِرْتَبْتُمْ بَعِدَتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦] قالوا: يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغير أو كبير؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup> معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدها ثلاثة أشهر، فقوله: ﴿وَالَّذِي يَسْنُ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ يعني: التي انقطعت حيضتها لكبر سنها، وقوله: ﴿وَالَّذِي لَمْ يَحِضْ﴾ يعني: الصغيرة التي لم تبلغ المحيض، وهو معطوف على ﴿الَّذِي يَسْنُ﴾، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: واللائي لم يحضن كذلك. وقوله: ﴿إِنْ إِرْتَبْتُمْ﴾ هو من الريب بمعنى الشك، وفي معناه قولان:

أحدهما: إن ارتبتم في حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر.

والآخر: إن ارتبتم في حيضتها<sup>(٣)</sup> هل انقطع أو لم ينقطع.

فهي على التأويل الأول: في التي انقطعت حيضتها لكبرها حسبما ذكرنا، وهو الصحيح. وهي على التأويل الثاني: في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سن من تحيض، وقد اختلف العلماء في عدتها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل. والآخر: أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل، وهذا مذهب مالك<sup>(٤)</sup>، وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه. والثالث: أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض، وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة.

(١) في ج: «ما سواه».

(٢) أخرجه الطبري (٥١/٢٣)، وابن أبي حاتم (٣٣٦٠/١٠)، والحاكم (٣٨٢١) وصححه ووافقه الذهبي، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) في ج: «حيضها».

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٦٨/٢٤).

﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة<sup>(١)</sup> وسائر العلماء: عامة في المطلقات والمتوفى عنهن، فمتى كانت إحداهن حاملاً فعدتها وضع حملها.

وقال علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> وابن عباس<sup>(٣)</sup>: إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عدتهن وضع حملهن، وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملاً فعدتها - عندهما - أبعد الأجلين: إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشر.

فحجة الجمهور: حديث سبيعة الأسلمية<sup>(٤)</sup> أنها كانت تحت سعد بن خولة<sup>(٥)</sup> فتوفي في حجة الوداع وهي حبلى، فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بَعَكْكَ، فسألت رسول الله ﷺ فقال لها: «انكحي من شئت»<sup>(٦)</sup>. وقد ذكر أن ابن عباس<sup>(٧)</sup> رجع إلى هذا الحديث لما بلغه، ولو بلغ علياً<sup>(٨)</sup> لرجع إليه.

وقال عبد الله بن مسعود<sup>(٩)</sup>: إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصوى - يعني: سورة «الطلاق» - نزلت بعد الآية التي في «البقرة»: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ أُزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾ [البقرة: ٢٣٢]<sup>(١٠)</sup>. فهي مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أمر الله بإسكان المطلقات طول العدة. فأما المطلقة غير المبتوتة: فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق. وأما المبتوتة: ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها يجب لها السكنى دون النفقة، وهو مذهب مالك والشافعي<sup>(١١)</sup>. والثاني: أنها يجب لها السكنى والنفقة، وهو مذهب أبي حنيفة. والثالث: أنها ليس لها

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١١/٢٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٣٨١)، (١٧٣٨٥)، (١٧٣٨٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٧١٤)، والبيهقي في السنن (١٥٤٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٠٩)، ومسلم (١٤٨٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٣١٨)، ومسلم (١٤٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (٤٩١٠).

(٦) وأحمد في إحدى الروايتين.

سكنى ولا نفقة<sup>(١)</sup>.

فحجة مالك: حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وهو أن زوجها طلقها ألبتة، فقال لها رسول الله ﷺ: «ليس لك عليه نفقة»<sup>(٢)</sup>، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة.

وحجة من أوجب لها السكنى والنفقة: قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة، فإني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لها السكنى والنفقة»<sup>(٣)</sup>.

وحجة من لم يجعل لها لا سكنى ولا نفقة: أن في بعض الروايات عنها أنها قالت: لم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى<sup>(٤)</sup>.

وقوله: «مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ» معناه: أسكنوهن مكاناً من بعض مساكنكم، فـ«مِنْ» للتبعية، ويفسر ذلك قول قتادة: لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه<sup>(٥)</sup>. «مِنْ وَجْدِكُمْ» الوجد: هو الطاقة والسعة في المال، فالمعنى: أسكنوهن مسكناً مما تقدرين عليه. وإعرابه: عطف بيان لقوله: «حَيْثُ سَكَنْتُمْ». ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها بمعنى واحد، والضم أكثر وأشهر<sup>(٦)</sup>.

«وَإِنْ كُنَّ أَزْوَاجٌ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» اتفق العلماء على وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل؛ عملاً بهذه الآية؛ سواء كان الطلاق رجعيًا أو بائنًا. وانفقوا على أن للمطلقة غير الحامل النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيًا. فإن كان بائنًا فاختلفوا في نفقتها حسبما ذكرناه.

وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملاً: فلا نفقة لها عند مالك<sup>(٧)</sup> والجمهور؛ لأنهم رأوا أن

(١) وهو الرواية الأخرى في مذهب أحمد، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣١٠/٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

(٥) أخرجه الطبري (٦٠/٢٣).

(٦) قراءة السبعة بالضم، وروى روح عن يعقوب بالكسر، وقرأ الأعرج والحسن وأبو حيوة بالفتح. المحرر الوجيز (٣٣٣/٨).

(٧) وأحمد في إحدئ الروايتين، وهي المذهب.

هذه الآية إنما هي في المطلقات. وقال قوم: لها النفقة في التركة<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المعنى: إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجره الرضاع، وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه. ﴿وَاتَّخِذُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء، والمعنى: أن يأمر كل واحد صاحبه بخير، من المسامحة والرفق والإحسان. وقيل: معنى ﴿اتَّخِذُوا﴾ تشاوروا، ومنه: ﴿إِنَّ أَلَمَلًا يَأْتِي زُونَكَ﴾ [الفصص: ١٩].

﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَمَسْزُوعٌ لَهُ الْخُرَى﴾ المعنى: إن تشططت الأم على الأب في أجره الرضاع، وطلبت منه كثيراً؛ فللاب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق به، إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه، فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج.

﴿لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ﴾ الآية؛ أمرٌ بأن ينفق كل أحد على مقدار حاله<sup>(٢)</sup>، ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، ولا تُضَيِّع الزوجة بل يكون الحال معتدلاً. وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس، وهو مذهب مالك<sup>(٣)</sup>، خلافاً لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية. ومن عجز عن نفقة امرأته: فمذهب مالك والشافعي<sup>(٤)</sup> أنها تطلق عليه، خلافاً لأبي حنيفة. وإن عجز عن الكسوة دون النفقة: ففي التطلاق عليه قولان في المذهب.



(١) وهي رواية عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٢٥/٢٤).

(٢) في ب، ج: «ماله».

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٨٩/٢٤).

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣٦٣/٢٤).

وَكَايَ مِمَّنْ قَرَّبَهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ بِحَاسِبَتِهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبَتْهَا عَذَاباً  
تُكْرَأُ ﴿١﴾ بَدَأَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً ﴿٢﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً  
بِأَنَّهُمْ قَاتَلُوا اللَّهَ يَتَفَوَّضُونَ إِلَيْهِ الْإِلْتِبَاسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا فَدَنَزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ﴿٣﴾ رَّسُولاً يَتْلُوا  
عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّیُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
أَبَداً فَدَ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً ﴿٤﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ  
الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴿٥﴾

﴿١﴾ ﴿بِحَاسِبَتِهَا حِسَاباً شَدِيداً﴾ أي: حاسبنا أهلها، قيل: يعني: الحساب في الآخرة، وكذلك العذاب المذكور بعده، وقيل: يعني: في الدنيا، وهذا أرجح؛ لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾، ولأن قوله: ﴿بِحَاسِبَتِهَا﴾ و﴿عَذَّبَتْهَا﴾ بلفظ الماضي؛ فهو حقيقة فيما وقع، مجاز فيما لم يقع. فمعنى ﴿حَاسِبَتِهَا﴾ أي: واخذناهم بجميع ذنوبهم ولم يُغْتَفَرْ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ صَغَائِرِهَا. والعذاب: هو عقابهم في الدنيا. والتُّكْرَرُ: هو الشديد الذي لم يُعْهَدْ مثله.

﴿٢﴾ ﴿فَدَنَزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾ ﴿رَّسُولاً﴾ الذكر هنا: هو القرآن، والرسول: هو محمد ﷺ. وإعراب ﴿رَّسُولاً﴾: مفعول بفعل مضمر تقديره: أرسل رسولاً، هذا الذي اختاره ابن عطية<sup>(١)</sup>، وهو أظهر الأقوال.

وقيل: إن الذكر والرسول معاً يراد بهما القرآن، والرسول على هذا: بمعنى الرسالة. وقيل: إنهما يراد بهما القرآن، على حذف مضاف تقديره: ذكراً ذا رسول. وقيل: يراد بهما النبي ﷺ، والذكر من أسمائه، وهذا ضعيف. وقيل: ﴿رَّسُولاً﴾ مفعول بالمصدر الذي هو الذكر. وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل ﷺ أبدل من الذكر؛ لأنه نزل به، أو سُمِّيَ ذكراً لكثرة ذكره لله<sup>(٢)</sup>، وهذا كله بعيد.

(١) المحرر الوجيز (٣٣٦/٨).

(٢) الكشف (٤٨٤/١٥).

﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا خلاف أن السماوات سبع، وأما الأرض فاختلف فيها: فقليل: إنها سبع أرضين؛ لظاهر هذه الآية، ولقوله ﷺ: «من غصب شبرًا من أرض طُوقه يوم القيامة من سبع أرضين»<sup>(١)</sup>، وقيل: إنما هي واحدة. فقلوه: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾: على القول الأول: يعني به المماثلة في العدد، وعلى القول الثاني: يعني به المماثلة في عظم الجرم وكثرة العمار، وغير ذلك، والأول أرجح.

﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر: الوحي، أو أحكام الله وتدبيره لخلقه.



(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.



## سُورَةُ التَّحْنِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ  
بَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمِنِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلِيكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ  
إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ  
بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتَبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ  
فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلِيهِ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكَ  
مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَلْبِسَاتٍ غِلَابَاتٍ سَلْبَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأُنْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا  
يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا  
تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها روايتان:

إحدهما: أن رسول الله ﷺ جاء يوماً إلى بيت زوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب ؓ، فوجدها قد مرت لزيارة أبيها، فبعث في جاريته مارية فقال معها<sup>(١)</sup> في البيت، فجاءت حفصة فقالت: يا رسول الله أما كان في نسائك أهون عليك مني؟ أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ مترضياً<sup>(٢)</sup> لها: «أبرضيك أن أحرمها؟»، قالت: نعم، فقال: «إني قد حرمتها»<sup>(٣)</sup>. والرواية الأخرى: أن رسول الله ﷺ

(١) في د: «فقد معها»، وفي هـ: «فدخل معها».

(٢) في ب، ج، د: «مترضياً».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٤-٨٨) عن ابن عباس وزيد بن أسلم وغيرهما.

كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً، فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها: أكلت مغافير، والمغافير: صمغ العُرْفُط، وهو حلوى كرية الريح، ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لا ولكني شربت عسلاً»، فقلن له: جرسَتْ نحلته العرْفُط<sup>(١)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: «لا أشربه أبداً»، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة، فدخل بعد ذلك على زينب فقالت: ألا أسقيك من ذلك العسل؟ فقال: «لا حاجة لي به»<sup>(٢)</sup>. فنزلت الآية عتاباً له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل. والرواية الأولى أشهر، وعليها تكلم الناس في فقه السورة، وقد خرَّج الرواية الثانية البخاري وغيره.

ولنتكلم على فقه التحريم:

فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء: فلا يلزم، ولا شيء عليه عند مالك، وأوجب عليه أبو حنيفة<sup>(٣)</sup> كفارة.

وأما تحريم الأمة: فإن نوى به العتق لزم، وإن لم ينو به ذلك لم يلزم، وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام.

وأما تحريم الزوجة: فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة: فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم: إنما يلزم<sup>(٤)</sup> فيه كفارة يمين<sup>(٥)</sup>. وقال مالك في المشهور عنه: هي ثلاث تطليقات في المدخول بها، ويُنَوَّى في غير المدخول بها فيُحكم بما نوى من طلاق أو اثنتين أو ثلاث. وقال ابن الماجشون: هي ثلاث في الوجهين<sup>(٦)</sup>. وروي عن مالك: أنها طلاقه بائنة، وقيل: طلاقه رجعية.

(١) أي: أكلت العرْفُط، يقال للنحل: الجوارس. النهاية لابن الأثير (٢/٦٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٧/٥٠٣).

(٤) في أ، هـ: «تُلْزَم».

(٥) وهو رواية عن أحمد، وقول أبي حنيفة والشافعي. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/٢٧٠).

(٦) وهو الرواية الثانية عن أحمد، والرواية الثالثة - وهي المذهب - أنه ظهار. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/٢٦٦).

﴿تَبْتَغِي مَرْصَاتَ أَرْوَاجِكَ﴾ أي: تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك، يعني: تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية.

وأما تحريم العسل فلم يقصد به رضا أزواجه، وإنما تركه لرائحته.

﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم، على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه ﷺ على نفسه، وامتناعه مما كان له فيه أرب. وبئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلة؛ لأنه حرم ما أحل الله! <sup>(١)</sup> وذلك قلة أدب على منصب النبوة.

﴿قَدْ بَرَصَ اللَّهُ لَكُمْ تُحْلَةً أَيْمَنِكُمْ﴾ التحلة: هي الكفارة، وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة «المائدة» من صفتها <sup>(٢)</sup>. واختلف في المراد بها هنا:

فأما على قول من قال: إن الآية نزلت في تحريم الجارية: فاختلف في ذلك: فمن قال: إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدلالاً بها، ومن قال: إن التحريم يلزم منه <sup>(٣)</sup> طلاق قال: إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله ﷺ حلف، فقال: «والله لا أطؤها أبداً» <sup>(٤)</sup>.

وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل: فاختلف أيضاً: فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال: هذه الكفارة للتحريم، ومن قال: لا كفارة فيه قال: إنما هذه الكفارة لأنه حلف أن لا يشربه. وقيل: هي في يمينه ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهراً.

﴿وَاللَّهُ مَوْلِيَكُمُ﴾ يحتمل أن يكون: بمعنى الولي الناصر، أو بمعنى السيد الأعظم.

﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾ اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تحريم الجارية، فإنه لما حرمها قال لحفصة: «لا تخبري بذلك أحداً».

(١) الكشف (٤٩١/١٥).

(٢) انظر تفسير الآية (٩١).

(٣) في أ، هـ: «فيه».

(٤) أخرجه أبو داود في المراسيل (٢٤٠) عن قتادة بلفظ: «والله لا أقربها»، وأخرجه الحافظ الضياء في المختارة

(١/٣٠٠) عن عمر ﷺ، وصححه إسناده، وصححه أيضاً - ابن كثير في تفسيره (٨/١٥٩).

والآخر: أنه قال<sup>(١)</sup>: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يليان الأمر من بعده<sup>(٢)</sup>.

والثالث: أنه قوله: «شربت عسلاً»، والأول أشهر. و«بَغِضَ أَرْوَاجِهِ» هي حفصة رضي الله عنها.

﴿قَلَمًا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسرَّ إليها رسول الله ﷺ من تحريم الجارية، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك، فعاتب حفصة على إفشائها لسره وطلَّقها، ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها، وقيل: لم يطلقها.

فقوله: ﴿قَلَمًا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ حذف المفعول وهو عائشة رضي الله عنها، وقوله: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلعه على إخبارها به. وقيل: معناه: أظهر الله عليه<sup>(٣)</sup> الحديث، من الظهور. وقوله: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ أي: عاتب حفصة رضي الله عنها على بعضه وأعرض عن بعضه؛ حياء وتكرُّماً، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب. وقرئ ﴿عَرَفَ﴾ بالتخفيف<sup>(٤)</sup>، من المعرفة.

﴿قَلَمًا نَبَّأَهَا بِهِ﴾ فَالَتْ مَنْ أَتْبَاكَ هَذَا﴾ أي: لما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره، ظنت أن عائشة هي التي أخبرته به، فقالت له: ﴿مَنْ أَتْبَاكَ هَذَا﴾، فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه به سكتت وسلَّمت.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة رضي الله عنهما، وتوبتهما: مما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل. ومعنى ﴿صَغَتْ﴾: أي: مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: «زاغت»<sup>(٥)</sup>، والمعنى: إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما يوجب التوبة.

(١) في دزيادة: «الحفصة».

(٢) في د: «بعدي».

(٣) أي: على النبي ﷺ. الكشاف (١٥/٤٩٧).

(٤) قرأ الكسائي بتخفيف الراء، وقرأ الباقر بالتشديد.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/٩٣).

﴿وَإِنْ تَقَّظَهَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ المعنى: إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوؤه من إفراط الغيرة، وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره.

و﴿مَوْلَاهُ﴾ هنا: يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم، فيوقف على ﴿مَوْلَاهُ﴾، ويكون ﴿جَبْرِيلُ﴾ مبتدأ، و﴿ظَهِيْرُ﴾ خبره وخبر ما عطف عليه. ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى: الولي الناصر، فيكون ﴿جَبْرِيلُ﴾ معطوفاً، فيوصل مع ما قبله، ويوقف على ﴿صَلِيْحُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾، ويكون ﴿الْمَلَكَةُ﴾ مبتدأ و﴿ظَهِيْرُ﴾ خبره، وهذا أظهر وأرجح لوجهين:

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع، فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريف له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره؛ لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى، فليس في ذلك إظهار مزية له.

الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح: أنه لما وقع ذلك جاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؛ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك»<sup>(١)</sup>، فنزلت الآية موافقة لقول عمر، فقوله: «معك» يقتضي معنى النصر.

﴿صَلِيْحُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ اختلف في ﴿صَلِيْحُ﴾ هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة؟ فعلى القول بأنه مفرد: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقيل: علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وعلى القول بأنه جمع: فهو على العموم في كل صالح.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّفَكُ﴾ الآية؛ نصره للنبي ﷺ. وروي أن عمر رضي الله عنه قال ذلك ونزل القرآن بموافقة، ولقد قال عمر رضي الله عنه حينئذ للنبي ﷺ: «والله يا رسول الله لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها»<sup>(٢)</sup>. وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٣) انظر تفسير الآية (٣٥) من سورة الأحزاب.

والسائحات: معناه الصائمات، قاله ابن عباس رضي الله عنه <sup>(١)</sup>، وقد روي عن النبي ﷺ <sup>(٢)</sup>.  
وقيل: معناه مهاجرات، وقيل: ذاهبات إلى الله؛ لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض.  
وقوله: «ثَيِّبَتْ وَأَبْكَرَتْ» قال بعضهم: المراد بالأبكار هنا: مريم بنت عمران وآسية امرأة  
فرعون <sup>(٣)</sup>؛ فإن الله يزوج النبي ﷺ إياهما في الجنة، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح <sup>(٤)</sup>.  
ودخلت الواو هنا للتقسيم، ولو سقطت لاختل المعنى؛ لأن الثبوبة والبكارة لا يجتمعان،  
وقال الكوفيون: هي واو الثمانية، وذلك ضعيف.

﴿فَوَأْنَفَسَكُم وَأَهْلِيكُم نَارًا﴾ أي: أطيعوا الله، وأمروا أهليكم بطاعته؛ لتقوا أنفسكم  
وأهليكم بطاعته من النار، فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة.  
﴿وَوَوَّدَهَا﴾ ذكر في «البقرة» <sup>(٥)</sup>.

﴿مَلِكَةً غَلَّظَ شِدَادًا﴾ يعني: زبانية النار. وغلظهم <sup>(٦)</sup> وشدنهم: يحتمل أن يريد في  
أجرامهم، أو في قسوة <sup>(٧)</sup> قلوبهم.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل: إن هذا تأكيد لقوله: «لَا يَعْصُونَ». وقيل: إن معنى «لَا  
يَعْصُونَ» امتثال الأمر، ومعنى «يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» جدُّهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من  
عذاب الناس.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة. ويحتمل أن يكون هذا: خطاباً من الله للكفار، أو  
خطاباً من الملائكة.



(١) أخرجه الطبري (١٠١/٢٣) من طريق العوفي عنه.

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١٩٤/٥) من دون إسناد، ولم أقف على إسناد له.

(٣) كذا العبارة في جميع النسخ الخطية ولعل صوابها: «والمراد بالثيبات: آسية امرأة فرعون». انظر: التعريف  
والإعلام للسهيلى (ص: ٣٤٢).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير - كما في تفسير ابن كثير (١٦٦/٨) ولم أقف عليه في معجمه - عن بريدة رضي الله عنه.

(٥) انظر تفسير الآية (٢٣).

(٦) في ب: «وغلظتهم».

(٧) في ب، ج: «قساوة».

\*يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّةَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَيْنَا لَنَا نُورًا وَغَمْرًا لَّنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِمْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿٣﴾ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِمْرَأَتُ يُزْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ إِبْرَعُونَ وَعَمِلِيَءَ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ وَمَرْيَمَ إِبْنَتْ عِمْرَانَ النَّبِيَّ أَحْصَيْنَا فَرَجَهَا فَنَبَّحْنَاهَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿٥﴾

﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: التوبة النصوح: هي أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه أبداً، ولا يريد أن يعود<sup>(١)</sup>. وقيل: معناه: توبة خالصة، فهو من قولهم: غسل ناصح: إذا خلص من الشمع. وقيل: هي أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت، كتوبة الثلاثة الذين خَلَفُوا. وقال الزمخشري: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم<sup>(٢)</sup>. وقد تكلمنا على التوبة في قوله: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] في «النور».

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّةَ﴾ العامل في «يَوْمَ» يحتمل أن يكون ما قبله، أو ما بعده، أو محذوف تقديره: اذكر. والوقف والابتداء يختلف على ذلك.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على «النَّبِيَّةِ»، أو مبتدأ وخبره بعده.

﴿نُورُهُمْ يَسْعَى﴾ ذكر في «الحديد»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (١٠٦/٢٣)، وابن أبي حاتم (٣٣٦٢/١٠)، وابن أبي شيبة (٣٥٦٣٢)، والحاكم وصححه.

(٢) الكشاف (٥١/١٥).

(٣) انظر تفسير الآية (١٢).

﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ذكر في «براءة»<sup>(١)</sup>.

﴿إِمْرَأَتُ نُوحَ وَإِمْرَأَتُ لُوطٍ﴾ قيل: اسم امرأة نوح والغة، واسم امرأة لوط والهة، وهذا يفتقر إلى صحة النقل.

﴿بَخَّائْتَهُمَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: خانت امرأة نوح في أنها كانت تقول: إنه مجنون، وخانت امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه، وكانتا مع ذلك كافرتين<sup>(٢)</sup>. وقيل: خانتا بالزنا، وأنكر ابن عباس رضي الله عنه ذلك<sup>(٣)</sup> وقال: ما زنت امرأة نبي قط؛ تنزيهاً من الله لهم عن هذا النقص.

وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل، كأنه يقول: لا يُغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه؛ كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما. وقيل: هو مثل لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكر في أول السورة، وهذا باطل؛ لأن الله إنما ضربه للذين كفروا. ﴿إِمْرَأَتُ يُرْعَوْنَ﴾ اسمها آسية، وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام، فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها، وروي في قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح.

﴿مِنْ يُرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ تعني: كفره وظلمه، وقيل: مضاجعته لها، وهذا ضعيف.

﴿أَخَصَّنَتْ بَرَجَهَا فَتَبَخَّخْنَا﴾ يعني: الفرج الذي هو الجارحة، وإحصانها له: هو صيانتها وعفتها عن كل مكروه. وقيل: يعني فرج درعها، وهذا ضعيف.

﴿فَتَبَخَّخْنَا بِهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام في فرجها، فخلق الله فيه عيسى عليه السلام. وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفي ذلك تشريف له.

﴿وَصَدَقْتُ بِكَلِمَتِ رَبِّي وَكِتَبْتُهَا﴾ كلمات ربها: يحتمل أن يريد بها: الكتب التي أنزل<sup>(٤)</sup>،

(١) انظر تفسير الآية (٧٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٤٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٦٢)، والحاكم (٣٨٣٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) في الأثر الذي قبله.

(٤) في د: «أنزل الله».



أو كلامه مع الملائكة وغيرهم. و﴿كِتَابِهِ﴾ بالتوحيد<sup>(١)</sup>: يحتمل أن يريد به: التوراة، أو الإنجيل، أو جنس الكتب، وقرئ بالجمع يعني: جميع كتب الله. ﴿مِنَ الْفَلَنَيْنِ﴾ أي: من العابدين. فإن قيل: لم قال ﴿مِنَ الْفَلَنَيْنِ﴾ بجمع المذكر وهي أنثى؟ فالجواب: أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء، فغلب الذكور.



(١) قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم بالجمع، وقرأ الباقر بالتوحيد.

## سُورَةُ الْمَلِكِ

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه<sup>(١)</sup>.  
وأنه ﷺ قال: «إنها تنجي من عذاب القبر»<sup>(٢)</sup>.

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَقْوٍ بَارِئٍ فَرِجٍ الْبَصَرِ هَلْ تَبْرَى ۝ ثُمَّ أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَعَوْا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ۝ بَكَدْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ لَّنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝

(١) أخرجه أحمد (١٤٦٥٩)، والترمذي (٢٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٧٦)، وابن أبي شيبة (٣٠٤٣٥) والحاكم (٣٥٤٥) وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، عن جابر ؓ، بلفظ: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ «الم تنزيل» السجدة و«تبارك الذي بيده الملك».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٩٠) وقال: «غريب»، والطبراني في الكبير (١٧٥/١٢) عن ابن عباس ؓ مرفوعاً، وفي إسناده يحيى بن عمرو بن مالك النكري، وهو ضعيف كما في التقريب (١٠٦٣)، وذكر الذهبي هذا الحديث من مناكيره في الميزان (٣٩٩/٤). وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٤٧٩) والحاكم (٣٨٣٩) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط (٢١٢/٦) عن ابن مسعود ؓ موقوفاً، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٠/٧): «ورجاله ثقات».

﴿تَبَرَّكَ﴾ فعل مشتق من البرك، وقيل: معناه: تعظم، وهو مختص بالله تعالى، ولم يُنطق له بمضارع.

﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ يعني: مُلك السماوات والأرض والدنيا والآخرة. وقيل: يعني: مُلك الملوك في الدنيا، فهو كقوله: ﴿مَلِكِ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]، والأول أعم وأعظم.

﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ يعني: موت الخلق وحياتهم. وقيل: الموت: الدنيا؛ لأن أهلها يموتون، والحياة: الآخرة؛ لأنها باقية، فهو كقوله: ﴿وَأَنَّ الْأَذَارَ الْأَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وهو على هذا وصف بالمصدر، والأول أظهر.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ دَ﴾ أي: ليختبركم، واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم، وقد كان الله عَلِمَ ما<sup>(١)</sup> يفعلون قبل كونه، والمعنى: ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم.

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها فقال: «أيكم أحسن عقلاً<sup>(٢)</sup>، وأشدكم لله خوفاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله»<sup>(٣)</sup>.

﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: بعضها فوق بعض. والطَّبَاق: مصدرٌ وُصفت به السماوات، أو على حذف مضاف تقديره: ذوات طباق، وقيل: إنه جمع طبقة.

﴿مَا تَبَرَّى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَقْوَى﴾ أي: من قلة تناسبٍ وخروج عن الإتيان، والمعنى: أن خلقة السماوات في غاية الإتيان، بحيث ليس فيها ما يعيبها من الزيادة والنقصان والاختلاف. وقيل: أراد خلقة جميع المخلوقات. ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة، ولكن تخصيص الآية بخلقة السماوات أظهر؛ لورودها بعد قوله: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ

(١) في ب: «عَلِمَ بما»، وفي د: «عَالِمًا بما».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «عَمَلًا»، والمثبت موافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه الطبري (٣٣٥/١٢)، وابن أبي حاتم (٢٠٠٦/٦)، وابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف (١٤٥/٢) - والشعلبي (٨٨/٢٧) عن ابن عمر ؓ، وهو من حديث داود بن المحبّر، رواه في كتاب العقل له كما في تخريج أحاديث الكشاف (١٤٥/٢)، وداود قال ابن حجر في التقریب (٣٠٨): «متروك، وأكثر كتاب العقل الذي صنّفه موضوعات»، وانظر: تهذيب الكمال (٤٤٧/٨).

طِبَافًا، فكان قوله: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَبَوُّتٍ﴾ بيان وتكميل لما قبله. والخطاب في قوله: ﴿مَا تَرَىٰ﴾ و﴿إِرْجِعِ الْبَصَرَ﴾ وما بعده: للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب ليعتبر. ﴿وَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ الفطور: الشقوق، جمع فُطْر وهو الشق. ورجع البصر: ترديده في النظر. ومعنى الآية: الأمر بالنظر إلى السماء فلا يُرى فيها شقاق ولا خلل<sup>(١)</sup>، بل هي ملتئمة مستوية.

﴿ثُمَّ إِرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: انظر نظرًا بعد نظر للتثبت والتحقيق. وقال الزمخشري: معنى التثنية في ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ التكثير، لا مرتين خاصة، كقولهم: «ليك» فإن معناه إجابات كثيرة<sup>(٢)</sup>.

﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الخاسي: هو المبعد عن الشيء الذي طلب، والحسير: هو الكليل الذي أدركه التعب. فمعنى الآية: أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقًا أو خللاً رجع بصرك ولم تر شيئًا من ذلك، فكأنه خاسي؛ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل، وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ السماء الدنيا: هي القربة منا. والمصابيح: يراد بها النجوم، فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال، وإن كانت في غيرها من السماوات فقد زُيِّنَت السماء الدنيا لأنها ظاهرة فيها لنا. ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها، على أن القول بمواضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يرد في الشريعة.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ أي: جعلنا منها رجومًا؛ لأن الكواكب الثابتة ليست تَرجم الشياطين، فهو كقولك: «أكرمت بني فلان»: إذا أكرمت بعضهم. والرجوم: جمع رجم، وهو مصدر سُمي به ما يُرجم به.

(١) في د: «خلال».

(٢) الكشاف (١٥/٥٣٨).

قال الزمخشري: معنى كون النجوم رجوماً للشياطين: أن الشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء، فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب، لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها؛ لأنها ثابتة في الفلك<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: زينة السماء، ورجوم الشياطين، وليهتدى بها في ظلمات البر والبحر<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ يعني: للشياطين.

﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ الشَّهيق: أقبح ما يكون من صوت الحمار، ويعني به هنا: ما يُسمع من صوت جهنم؛ لشدة غليانها وهولها، أو شهيق أهلها، والأول أظهر.

﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ أي: تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض؛ لشدة غيظها على الكفار. فيحتمل أن تكون هي المغتظة بنفسها، ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية، والأول أظهر؛ لأن حال الزبانية يُذكر بعد هذا. وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها، أو يكون عبارة عن شدتها.

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: كلما أُلقي في جهنم جماعة من الكفار سألهم الزبانية: هل جاءكم<sup>(٣)</sup> نذير؟ أي: رسول، وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم، ولذلك اعترفوا فقالوا: ﴿يَبْلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾. وقوله: ﴿كُلَّمَا﴾ يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تُلقَى في النار.

﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون: من قول ملائكة النار للكفار، أو من قول الكفار للرسول في الدنيا.

﴿وَقَالُوا﴾ الضمير للكفار؛ أي: لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير.

(١) الكشاف (١٥/٥٤٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/١٩٣)، وابن أبي حاتم (٩/٢٩١٣)، والبخاري تعليقاً (٦/١٠٧).

(٣) في أ، ب: «جاءهم».

﴿بَاغْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ اعترافهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف. وذنبهم هنا: يراد به تكذيب الرسل.

﴿بَسُخْفاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ انتصب ﴿بَسُخْفاً﴾ بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: وهم غائبون عن الناس، ففي ذلك وصفٌ لهم بالإخلاص.

والآخر: أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها، على أن هذا القول إنما يحسن في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٤].

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ المعنى: سواءً جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء؛ لأن الخالق يعلم مخلوقاته. ويحتمل أن يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ فاعلاً يراد به الخالق، والمفعول محذوفٌ تقديره: ألا يعلم الخالق خلقه، أو يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ مفعولاً، والفاعل مضمر تقديره: ألا يعلم الله من خلق، والأول أرجح؛ لأن ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ إذا كان مفعولاً اختصَّ بمن يعقل، والمعنى الأول يعلم من يعقل ومن لا يعقل.



هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا بِأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿٥١﴾  
 ءَامِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴿٥٢﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ  
 يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ  
 كَانَ نَكِيرٍ ﴿٥٤﴾ \* أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ بِقُوَّتِهِمْ صَفَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُنْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ  
 بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٥٥﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ  
 إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٥٦﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَّجُوا فِي غَتَرٍ وَنُفُورٍ ﴿٥٧﴾ أَمَّنْ  
 يَمُشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمُشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٨﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي  
 أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السِّنَّ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ  
 فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦١﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ  
 عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي  
 كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرِ الْكَافِرِينَ  
 مِن عَذَابِ إِلِيمٍ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ  
 ﴿٦٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٦٦﴾

﴿٥١﴾ «الْأَرْضَ ذُلُولًا» فعول هنا بمعنى: مفعول، أي: مذلولة، فهي كركوب وحلوب.

﴿٥٢﴾ «بِأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا» ابن عباس رضي الله عنه: هي الجبال<sup>(١)</sup>، وقيل: الجوانب والنواحي، وقيل: الطرق. والمعنى: تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض، فاستعار لها الذل والمناكب؛ تشبيهاً بالدواب.

﴿٥٣﴾ «وَالَّذِي نَذِيرٌ مُّبِينٌ» يعني: البعث يوم القيامة.

﴿٥٤﴾ «ءَامِنْتُمْ» الآية؛ مقصودها التهديد والتخويف للكفار، وكذلك الآية التي بعدها.

﴿٥٥﴾ «تَمُورٌ» ذكر في «الطور»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/١٢٨) من طريق علي عنه.

(٢) انظر تفسير الآية (٧).

﴿حَاصِبًا﴾ يحتمل أن يريد: حجارة، أو ريحًا شديدة.

﴿نَذِيرًا﴾ بمعنى الإنذار، وكذلك ﴿نَكِيرًا﴾ بمعنى الإنكار.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ بِوَفَّهِمْ صَبَّاتٍ﴾ تنبيه على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها. و ﴿صَبَّاتٍ﴾ جمع صافّة، وهي التي تبسط جناحيها للطيران. والقبض: ضم الجناحين إلى الجنب. وعطف ﴿يَفِيضُ﴾ على ﴿صَبَّاتٍ﴾؛ لأن الفعل في معنى الاسم تقديره: قابضات. فإن قيل: لم لم يقل «قابضات» على طريقة ﴿صَبَّاتٍ﴾؟

فالجواب: أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران، كما أن مدّ الأطراف هو الأصل في السباحة، فذكر بصيغة اسم الفاعل؛ لدوامه وكثرته، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطير<sup>(١)</sup> قليلًا للاستراحة والاستعانة، فذكره بلفظ الفعل؛ لقلته.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم. ودخلت «أم» التي يراد بها الإنكار على «مَنْ» فأدغمت فيها، وكذلك ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾. والضمير في ﴿أَمْسَكْ﴾: الله؛ أي: من يرزقكم إن منع الله رزقه.

﴿بَلْ لَّجُّوا﴾ أي: تمادوا في العتو والنفور عن الإيمان.

﴿أَقَمْنِ يَنْشِئَ مَكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ الآية؛ توقيف على الحالتين، أيهما أهدى، والمراد بها: توبيخ الكفار. وفي معناها قولان:

أحدهما: أن المشي هنا استعارة في سلوك طريقة الهدى والضلال في الدنيا.

والآخر: أنه حقيقة في المشي في الآخرة؛ لأن الكافر يُحمل إلى جهنم على وجهه. فأما على القول الأول: فقليل: إن الذي يمشي مكبًا: أبو جهل، والذي يمشي سويًا: محمد ﷺ، وقيل: حمزة، وقيل: هي على العموم في كل مؤمن وكافر. وقد تمشي هذه الأقوال أيضًا على القول الثاني.

والمكبُّ: هو الذي يقع على وجهه، يقال: أكب الرجل، وكبّه غيره، فالمتعدي دون همزة، والقاصر بالهمزة، بخلاف سائر الأفعال.

(١) في ب، ج، هـ: «الطائر».



﴿وَيَقُولُونَ مَبْنِي هَذَا أَلْوَعْدُ﴾ الضمير للكفار، والوعد يراد به: البعث، أو عذابهم في الدنيا.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ضمير الفاعل للكفار، وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد.  
﴿زُلْفَةً﴾ أي: قريباً، وقيل: عياناً.

﴿سَنِيَّتٌ وَجْهَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ظهر فيها السوء لما حل بهم.  
﴿وَفِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء؛ أي: تطلبون وتستعجلون به.  
والقائلون لذلك: الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال<sup>(١)</sup>.

﴿فَلْ أَرِيتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ الآية؛ سببها: أن الكفار كانوا يتمنون هلاك النبي ﷺ والمسلمين، فأمره الله أن يقول لهم: إن أهلكني الله وأهلك من معي أو رحمنا؛ فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال. والهلاك هنا يحتمل أن يراد به: الموت، أو غيره. ومعنى ﴿مَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾: من يمنعهم من العذاب.

﴿فَلْ أَرِيتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآية؛ احتجاج على المشركين. والغور: مصدر وصف به فهو بمعنى غائر؛ أي: ذاهب في الأرض. والمعين: الكثير، واختلف هل وزنه فعيل أو مفعول؟ فالمعنى: إن غار ماؤكم الذي تشربون هل يأتيكم إله غير الله بماء معين؟



(١) [التعليق ١٠٥] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]: أقول: نظيره قوله سبحانه: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ١٤]؛ وهذا معنى ما قاله المؤلف: أنه افتعال من الدعاء؛ بمعنى: طلب الشيء، وعُدِّي بالباء؛ كقوله تعالى: ﴿سَأَلْنَا عَنْ عَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]. وقول المؤلف: «والقائلون لذلك: الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال»:  
أقول: منشأ هذا التردد: أن الفعل مبني للمفعول؛ «قِيلَ»؛ فيحتمل ما ذكره المؤلف، ويحتمل أن القائل هو الله؛ توبيخاً للكافرين؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الاحقاف: ٣٤]، الله أعلم.

## سورة ن والقلم

نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمُجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾  
وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلًى عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَاسْتَبْصِرْ وَانْصُرْ ﴿٥﴾ بِأَبْيَعِكُمُ الْمَقْتُولُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ  
فَيُذْهِتُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهْيَبٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنْيِيمٍ ﴿١١﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُغْتَدٍ أَنِيمٍ ﴿١٢﴾  
عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُثْلِي عَلَيْهِ عَائِثُنَا قَالَ أَسْطِيزُ  
الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا  
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾ \* بَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾  
بَأْصَبَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَيَتَنَادَوْنَ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ ۖ عُدُّوْا عَلَيْنَا خُرُوجَكُمْ ۖ إِن كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَاَنْظُرُوا وَهُمْ يَتَخَلَّفُونَ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ يَدْخُلْنَاهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سَكِينٍ ﴿٢٤﴾ وَعُدُّوْا  
عَلَىٰ حَزَبٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ  
أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى  
بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَتَوَلَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ  
رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿نَّ﴾ حرف من حروف الهجاء، وقد تقدم الكلام عليها في «البقرة». ويختص «نَّ» بأنه قيل: إنه حرف من «الرحمن»، فإن حروف الرحمن في «ألر» و«جَم» و«نَّ».

وقيل: إن نون<sup>(١)</sup> هنا يراد به: الحوت، وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع، وهذا لا يصح، على أن النون بمعنى الحوت معروف في اللغة، ومنه: ذو

(١) في ب، د: «ن».

النون. وقيل: إن نون هنا يراد به الدَّوَاة، وهذا غير معروف في اللغة.

ويَبْطِل قول من قال إنه الحوت أو الدَّوَاة: بأنه لو كان كذلك لكان معرباً بالرفع أو النصب أو الخفض، ولكان في آخره تنوين، فكونه موقوفاً دليل على أنه حرف هجاء نحو ﴿أَلَمْ﴾ وغيره من حروف الهجاء الموقوفة.

﴿وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ اختلف فيه على قولين: أحدهما: أنه القلم الذي كُتِبَ به في اللوح المحفوظ، فالضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للملائكة. والآخر: أنه القلم المعروف عند الناس، أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم، والضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ على هذا لبني آدم.

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم، وهو خطاب لمحمد ﷺ معناه: نفي ما نسبته الكفار له من الجنون. و﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ اعتراض بين ﴿مَا﴾ وخبرها، كما تقول: «أنت - بحمد الله - فاضل». والمجرور في موضع الحال، وقال الزمخشري: إن العامل فيه: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ذكر في «فصلت»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَنَّكَ لَـعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناء على خلق رسول الله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن»<sup>(٣)</sup> تعني: التأدب بأدابه وامتنال أوامره.

وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن الخلق بالدين والشرع<sup>(٤)</sup>، وذلك رأس الخلق. وتفصيل ذلك: أن رسول الله ﷺ جمع كل فضيلة، وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك: شرف النسب، ووفور العقل، وصحة الفهم، وكثرة العلم، وكثرة العبادة، وشدة الحياء، والسخاء، والصدق، والشجاعة، والصبر، والشكر، والمروءة، والتؤدة، والاقتصاد، والزهد، والتواضع، والشفقة، والعدل، والعفو، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، وحسن المعاشرة، وحسن التدبير، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وحسن الصورة، وغير ذلك،

(١) الكشاف (١٥/٥٦٧).

(٢) انظر تفسير الآية (٧).

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/١٥٠) من طريق علي والعمري عنه.

حسبما ورد في أخباره وسيره ﷺ ولذلك قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup>.

وقال الجنيد: سمي خلقه عظيمًا؛ لأنه لم تكن له همّة سوى الله ﷻ<sup>(٢)</sup>.

﴿بَسْتَبْصِرَ وَيَبْصُرُونَ﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ قيل: إن «الْمَفْتُونُ» هنا بمعنى المجنون، ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة. والخطاب في قوله: «بَسْتَبْصِرَ» للنبي ﷺ، وفي قوله: «وَيَبْصُرُونَ» لكفار قريش.

واختلف في الباء التي في قوله: «بِأَيِّكُمْ» على أربعة أقوال: الأول: أنها زائدة. الثاني: أنها غير زائدة، والمعنى: بأيكم الفتنة، فأوقع «الْمَفْتُونُ» موقع الفتنة، كقولهم: «ما له معقول» أي: عقل. الثالث: أن الباء بمعنى «في»، والمعنى: في أي فريق منكم المفتون، واستحسن ابن عطية هذا<sup>(٣)</sup>. الرابع: أن المعنى: «بأيكم فتنة المفتون» ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ المداهنة: هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي، وروي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك، فنزلت الآية<sup>(٤)</sup>.

ولم ينتصب «فَيُدْهِنُونَ» في جواب التمني؛ بل رفعه بالعطف على «تُدْهِنُ». قاله ابن عطية<sup>(٥)</sup>. وقال الزمخشري: هو خبر مبتدأ محذوف تقديره: فهم يدهنون<sup>(٦)</sup>.

﴿حَلَفَ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل.

﴿مَّهِينٌ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل، قال ابن عطية: هو من مَهْنٍ: إذا ضعف، فالميم فاء

(١) أخرجه أحمد (٨٩٥٢)، والحاكم (٤٢٢١) وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/٨): «ورجاله رجال الصحيح»، وأخرجه البزار (٣٦٤/١٥) والبيهقي (٢٠٧٨٢) بلفظ: «مكارم الأخلاق».

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٥٤/٢٧).

(٣) المحرر الوجيز (٣٦٧/٨).

(٤) ذكره في المحرر الوجيز (٣٦٨/٨).

(٥) المحرر الوجيز (٣٦٨/٨).

(٦) الكشف (٥٧٣/١٥).

الفعل<sup>(١)</sup>، وقال الزمخشري: هو من المهانة، وهي الذلة والحقارة<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس ؓ: المهين: الكذاب<sup>(٣)</sup>.

﴿هَمَّازٌ﴾ هو الذي يعيب الناس.

﴿مَشَّاءٌ بِمِيمٍ﴾ أي: كثير المشي بالنميمة، يقال: نميم ونميمة بمعنى واحد، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»<sup>(٤)</sup>.

﴿مَنَّاغٌ لِلْخَيْرِ﴾ أي: شحيح؛ لأن الخير هنا هو المال. وقيل: معناه: مناع من الخير؛ أي: يمنع الناس من الإسلام، والعمل الصالح.

﴿مُعْتَدٍ﴾ من العدوان، وهو الظلم.

﴿أَثِيمٍ﴾ من الإثم، وهو ارتكاب المحرمات.

﴿عَثَلٌ﴾ أي: غليظ الجسم، قاسي القلب، بعيد الفهم، كثير الجهل.

﴿زَنِيمٌ﴾ أي: ولد زنا، وقيل: هو الذي في عنقه زُئمة كزئمة الشاة التي تتعلّق في حلقها، وقيل: معناه: مريب قبيح الأفعال، وقيل: ظلوم، وقيل: لئيم<sup>(٥)</sup>.

وقوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكرنا من عيوبه، فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان. واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة: فقليل: لم يقصد بها شخص معين، بل كل من اتصف بها. وقيل: المقصود بها: الوليد بن المغيرة؛ لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين، وكان كذلك، وقيل: أبو جهل، وقيل: الأخنس بن شريق، ويؤيد هذا: أنه كانت له زُئمة في عنقه، قال ابن عباس ؓ: عرفناه بزئمتة<sup>(٦)</sup>، وكان أيضًا من ثقيف، ويعدّ في بني زُهرة، فيصح وصفه بزئيم على القولين، وقيل: الأسود بن عبد يغوث.

(١) المحرر الوجيز (٣٦٨/٨).

(٢) الكشف (٥٧٤/١٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٥٨/٢٣) من طريق العوفي عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٥٦)، ومسلم (١٠٥) عن حذيفة ؓ، ولفظ البخاري: «قَتَاتٌ بدل «نمام».

(٥) في ب، د: «لائم».

(٦) أخرجه الطبري (١٦٤/٢٣) من طريق العوفي عنه.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ في موضع مفعول من أجله، متعلق بقوله: ﴿لَا تَطْعَمُ﴾ أي: لا تطعمه بسبب كثرة ماله وبنيه.

ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنى على هذا: أنه قال في القرآن: أساطير الأولين؛ لأنه ذو مال وبنين، يتكبر بماله وبنيه، والعامل في ﴿أَنْ كَانَ﴾ على هذا فعل من المعنى، ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿قَالَ﴾ الذي هو جواب ﴿إِذَا﴾؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، والأول أظهر. وقد تقدم معنى ﴿أَسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ أصل الخرطوم: أنف السبع، ثم استعير للإنسان استخفافاً به، وتقييحاً له. والمعنى: نجعل له سمة - وهي العلامة - على خرطومه، واختلف في هذه السمة: فقيل: هي الضربة بالسيف يوم بدر، وقيل: علامة من نار تجعل على أنفه في جهنم، وقيل: علامة تجعل على أنفه يوم القيامة؛ ليعرف بها.

﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: بلونا قريشاً كما بلونا أصحاب الجنة، وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة، روي: أنها بمقربة من صنعاء<sup>(٢)</sup>، فحلفوا أن لا يعطوا مسكيناً منها شيئاً، وباتوا عازمين على ذلك، فأرسل الله على جنتهم طائفاً من نار فأحرقها<sup>(٣)</sup>، فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها، فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق، ثم تبينوا فعرفوها، وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا، فندموا وتابوا إلى الله.

ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة: أن الله أنعم على قريش ببعث محمد ﷺ، كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة، فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك، فعاقبهم الله كما عاقبهم.

وقيل: شبه قريشاً لما أصابهم الجوع بشدة القحط، حين دعا عليهم رسول الله ﷺ؛ بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم.

(١) انظر تفسير الآية (٢٦) من سورة الأنعام

(٢) انظر: التعريف والإعلام للسهيلي (٣٤٣).

(٣) في د: «فأحرقها».

﴿إِذْ أَفْسَمُوا لْيَصْرِمَنَّهَا مُمْصِجِينَ﴾ أي: حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح، وكانت الغلة تمرًا<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا يَسْتَنْتُونَ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: لم يقولوا: «إن شاء الله» حين حلفوا ليصرمئنها. والآخر: لا يستنون شيئًا من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم. والثالث: لا يتوقفون في رأيهم ولا يتشاوروا<sup>(٢)</sup> عنه؛ أي: لا يرجعون عنه.

﴿بَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٍ﴾ قال الفراء: الطائف الأمر الذي يأتي بالليل<sup>(٣)</sup>.

﴿وَبَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فيه أربعة أقوال: الأول: أصبحت كالليل؛ لأنها اسودت لما أصابها، والصريم في اللغة: الليل. الثاني: أصبحت كالنهار؛ لأنها ابيضت كالحصيد، ويقال: «صريم» ليل وللنهار. الثالث: أن الصريم: الرماد الأسود بلغة بعض العرب. الرابع: أصبحت كالمصرومة؛ أي: المقطوعة.

﴿فَتَنَادَا مُمْصِجِينَ﴾ أي: نادى بعضهم بعضًا حين أصبحوا، وقال بعضهم لبعض: «اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ» أي: جنتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾ لها أي: حاصدين<sup>(٤)</sup> لثمرها.

﴿يَتَخَفَتُونَ﴾ يكلم بعضهم بعضًا في السر، ويقولون: ﴿لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُم مَسْكِينٌ﴾. و﴿أَنْ﴾ في قوله: ﴿أَنْ اغْدُوا﴾ و﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا﴾ حرف عبارة وتفسير.

﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ﴾ في الحرد أربعة أقوال: الأول: أنه المنع. والثاني: أنه القصد. الثالث: أنه الغضب. الرابع: أن الحرد اسم علم للجنة.

و﴿قَدِيرِينَ﴾ يحتمل أن يكون من القدرة؛ أي: قادرين في زعمهم، أو من التقدير بمعنى التضييق؛ أي: ضيقوا على المساكين.

(١) في ج، د، هـ: «تمرًا».

(٢) كذا في النسخ الخطية بحذف النون، وهو معطوف على فعل مرفوع بثبات النون، فكان الأصل أن يقول: «ولا يشنون»، ولكن يمكن حمل سقوط النون هنا على مجرد التخفيف، وهي لغة صحيحة، ومنه حديث: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا». انظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك (٢٣٩).

(٣) معاني القرآن، للفراء (١٧٥/٣).

(٤) في د: «قاطعين».

﴿٢٧﴾ «إِنَّا لَصَّالُونَ» أي: أخطأنا طريق الجنة، قالوا ذلك لما لم يعرفوها، فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حرمانا الله خيرها.

﴿٢٨﴾ «قَالَ أَوْسَطُهُمْ» أي: خيرهم وأفضلهم، ومنه: «أُمَّةً وَسَطًا» [البقرة: ١٤٢] أي: خيارًا. ﴿لَوْلَا تَسْبِيحُونَ﴾ أي: تقولون: «سبحان الله». وقيل: هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه، وقيل: أراد الاستثناء في اليمين بقولهم<sup>(١)</sup>: «إن شاء الله»، والأول أظهر؛ لقولهم بعد ذلك: ﴿سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾، والمعنى: أن هذا الذي هو أفضلهم كان قد حضهم على التسبيح.

﴿٢٩﴾ «يَتَلَوُمُونَ» أي: يلوم<sup>(٢)</sup> بعضهم بعضًا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين، أو على غفلتهم عن التسبيح، بدليل قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تَسْبِيحُونَ﴾.

﴿٣٠﴾ «عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا» يحتمل أن طلبوا البذل: في الدنيا، أو في الآخرة، والأول أرجح؛ لأنه روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الله أبدلهم جنةً يحمل البغل منها عنقودًا<sup>(٣)</sup>.

﴿٣١﴾ «كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ» أي: مثل هذا العذاب الذي نزل بأهل الجنة ينزل بقريش.



(١) في أ، ج، هـ: «كقولهم».

(٢) في أ: «يلوموا».

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٧/ ٢٢٤) دون إسناد.



إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٥﴾ أَفَبَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٨﴾ إِنْ لَكُمْ بِهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمُنٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْفَيْسَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٤٠﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ ﴿٤١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَائِي وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تُرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٤﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَمْلِ لَهُمْ إِنْ كُنَّ عِيدٌ مَتِينٌ ﴿٤٦﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٧﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٨﴾ \* فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٩﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٥٠﴾ فَاجْتَبِهْ رَبَّهُ وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥١﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾

﴿٣٥﴾ أَفَبَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: كيف يُسوِّي الله بين المسلمين والمجرمين؟ بل يجازي كل أحد بعمله، والمراد بالمجرمين هنا: الكفار.

﴿٣٦﴾ مَا لَكُمْ﴾ توبيخ للكفار، و﴿مَا﴾ مبتدأ و﴿لَكُمْ﴾ خبره، وتمَّ الكلام هنا؛ فينبغي أن يوقف عليه.

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ آخر، أي: كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم؟

﴿٣٨﴾ إِنْ لَكُمْ بِهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول ﴿تَدْرُسُونَ﴾، وكان أصل ﴿إِنْ﴾ الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها، و﴿تَخَيَّرُونَ﴾ معناه: تختارون لأنفسكم. ومعنى الآية: هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم.

﴿٣٩﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمُنٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْفَيْسَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ المعنى: هل حلفنا لكم إيماناً أن لكم ما تحكمون؟

ومعنى «بَلِغَةٌ»: ثابتة واصله إلى يوم القيامة. وقوله: «إِنَّ لَكُمْ» هو جواب القسم الذي يقتضيه<sup>(١)</sup> الإيمان، ولذلك أكد به «إِنَّ» واللام. و«مَا تَحْكُمُونَ» هو اسم «إِنَّ»، دخلت عليه اللام المؤكدة.

﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: يا محمد! اسأل قريشاً أيهم زعيم بهذه الأمور؟ والزَّعيم: هو الضَّامن للأمر، القائم به.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفار، ومعناه: إن كان لكم شركاء يقدرّون على شيء فأتوا بهم.

واختلف هل قوله: «فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ» في الدنيا؛ أي: أحضروهم حتى يُرى حالهم؟ أو هل يقال لهم ذلك يوم القيامة؟ والشُّركاء: هم المعبودون من الأصنام وغيرها. وقال الزمخشري: معناه: أم لكم ناسٌ يشاركونكم في هذا القول، ويوافقونكم عليه؟ فأتوا بهم، يعني: أنهم لا يوافقهم أحد عليه<sup>(٢)</sup>. والأول أظهر.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشِدَّتْه، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادي منادٍ يوم القيامة لتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة وعُبرَات<sup>(٣)</sup> من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: نتظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن، وترجع أصلاب المنافقين عظماً واحداً فلا يستطيعون سجوداً»<sup>(٤)</sup>. وتأويل الحديث كتأويل الآية<sup>(٥)</sup>.

(١) في أ: «تقتضيه».

(٢) الكشف (٥٩٤/١٥).

(٣) جمع عُبر: أي: بقايا. النهاية لابن الأثير (٢٩٦٥/٧).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري.

(٥) [التعليق ١٠٦] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» [القلم: ٤٢] قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشِدَّتْه... إلخ: أقول: اكتفى المؤلف بذكر قول المتأولين في الآية، وهو أن معنى «يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» أي: يُكْشَفُ عن هول يوم القيامة، والساق على هذا هي الشِدَّةُ، =

﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ تفسيره في الحديث الذي ذكرنا. فإن قيل: كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟ فالجواب: أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود لله في الدنيا، لا على وجه التكليف والعبادة.

﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي: قد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه، وهم سالمون في أعضائهم قادرون عليه.

﴿بَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ تهديد للمكذبين بالقرآن. وإعراب ﴿مَنْ يُكْذِبُ﴾ مفعول معه، أو معطوف. وقد ذكرنا في «الأعراف» ﴿سَتَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ وما بعده<sup>(١)</sup>.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ معناه: أنت لا تسألهم أجرًا على الإسلام فتثقل عليهم، فلا عذر لهم في تركهم الإسلام. وقد فسرنا هذا وما بعده في «الطور»<sup>(٢)</sup>.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يقتضي مسالمة للكفار، نُسخت بالسيف.

﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام، وسماه صاحب الحوت؛ لأن الحوت ابتلعه، وهو أيضًا ذو النون، والنون هو الحوت. وقد ذكرنا قصته في «الأنبياء»<sup>(٣)</sup> و«الصفات»<sup>(٤)</sup>. فنهى الله محمدًا ﷺ أن يكون مثله في الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبًا. وروي أن هذه الآية نزلت لما همَّ النبي ﷺ أن يدعو على الكفار.

= ومن معاني الساق في اللغة: الشدة؛ كقوله تعالى: ﴿وَالْفَقَاءُ النَّاقِ بِالنَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩]؛ أي: اتصلت الشدة بالشدة عند الموت، وذكر المؤلف الحديث، وأجراه مجزئ الآية.

والقول الثاني - الذي أعرض عنه المؤلف - أن المراد بالساق: ساق الله تعالى؛ كما في رواية في الصحيح: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ» [أخرجه البخاري (٤٩١٩)؛ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه]؛ فالحديث يفسر الآية، فيكون معناها: يوم يكشف ربنا عن ساقه.

ويؤيد ذلك: أنه حينئذ يسجد له كل من كان يسجد في الدنيا استجابة وطاعة، ويعجز المنافقون عن السجود؛ كما يدل ذلك الآية والحديث، والآية تحتمل القولين، وتفسيرها بما دل عليه الحديث أولى؛ فإن السنة تفسر القرآن.

(١) انظر تفسير الآية (٨٦).

(٢) انظر تفسير الآية (٣٨).

(٣) انظر تفسير الآية (٨٦).

(٤) انظر تفسير الآية (١٣٩).

﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ هذا آخر ما جرى ليونس عليه السلام، ونداؤه: هو قوله في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. والمكظوم: الشديد الحزن.

﴿لَتَنبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ هذا جواب ﴿لَوْلَا﴾، والمنفي هو الذم، لا تنبذه بالعراء؛ فإنه قد قال في «الصفات»: ﴿تَبَذُّنُهُ بِالْعَرَاءِ﴾ [الصفات: ١٤٥]، فالمعنى: لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم، لكنه نبذ وهو غير مذموم. وقد ذكرنا العراء في «الصفات»<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ عبارة عن شدة عداوتهم. و﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، بدليل دخول اللام.

و﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ معناه: يهلكونك، كقولك: «نظر فلان إلى عدوه نظراً كاد يصصره»، وأصله: من زلق القدم. وقرئ بفتح الياء وضمها<sup>(٢)</sup>، وهما لغتان.

وقيل: إن المعنى: يأخذونه بالعين، وكان ذلك في بني أسد، كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين، فأراد بعضهم أن يصيب النبي ﷺ فعصمه الله من ذلك<sup>(٣)</sup>. وقال الحسن: دواء الإصابة بالعين قراءة هذه الآية<sup>(٤)</sup>.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني: القرآن؛ أي: هو موعظة وتذكير للمخلوق.



(١) انظر تفسير الآية (١٤٥).

(٢) قرأ نافع بفتح الياء، وقرأ الباقون بضمها.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٧/٢٥٩) عن الكلبي.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٧/٢٦٣) دون إسناد.

## سُورَةُ الْحَاقَّةَةِ

الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرِيكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهِ فَاصْرَعَتْ ﴿٣﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ  
 فَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو صَارَ صَرَصَرًا ﴿٤﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْفُؤَمَ فِيهَا صُرْعَى كَأَنَّهُمْ دَخَلُوا خَوَافِي ﴿٥﴾ فَبَقِيَ قَوْمٌ  
 لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٦﴾ وَجَاءَ مِنْ عَمَلِكُمْ رُسُلٌ مِنْ رَبِّكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿٧﴾ فَأَعْتَصَمُوا رُسُلَ رَبِّهِمْ  
 فَبَاغَضَهُمْ فَأَحَدَهُمْ رَأْيَهُ ﴿٨﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿٩﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً  
 وَتَعْيَبَهَا أُذُنَ رَاعِيَةٍ ﴿١٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١١﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا  
 دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٣﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٤﴾ وَالْمَلَائِكَةُ  
 عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٥﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ  
 خَافِيَةٌ ﴿١٦﴾ \* فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿١٧﴾ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَمْوَالِيَّ كَسَبْتُهَا ﴿١٨﴾ إِنَّي ظَنَنْتُ أَنِّي  
 مُلْكٌ حَسْبَاءُ ﴿١٩﴾ فَبُهِتَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢٠﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢١﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا  
 هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٣﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴿٢٤﴾ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ  
 أُوتِ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَذِرْ مَا حَسْبَاءُ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَنِي كَانَتِ الْفَاضِيَةُ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٨﴾  
 هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ بَقْلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ  
 ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾  
 فَلَئْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾

﴿١﴾ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ هي القيامة، ووزنها فاعلة. وسميت الحاقة: لأنها تحق، أي: يصح وجودها، ولا ريب في وقوعها، أو لأنها حقت<sup>(١)</sup> لكل أحد جزاء عمله، أو لأنها تبدي حقائق الأمور.

(١) في ب: «حققت».

﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية يراد بها التعظيم، وهي مبتدأ وخبرها ما بعده، والجملة خبر ﴿الْحَاقَّةُ﴾. وكان الأصل: «الحاقة ما هي؟»، ثم وضع الظاهر موضع المضمرة زيادة في التعظيم والتهويل.

وكذلك ﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ لفظه الاستفهام، والمراد به: التعظيم والتهويل.

﴿بِالْفَارِعَةِ﴾ هي القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تفرع القلوب بأهوالها.

﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ يعني: الصيحة التي أخذت ثمود، وسميت بذلك لأنها جاوزت الحد في الشدة. وقيل: الطاغية مصدر، فكأنه قال: أهلكوا بطغيانهم، فهو كقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوِيهَا﴾ [الشعر: ١١]، وقيل: هي صفة لمحذوف تقديره: أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية، أو الفنة الطاغية. والباء على هذين القولين: سببية، وعلى القول الأول: كقولك: «قتلت زيداً بالسيف».

﴿يَبْرِجُ صَرْصِرٌ﴾ ذكر في «فصلت»<sup>(١)</sup>.

﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي شديدة، وسميت بذلك؛ لأنها عتت على عاد، وقيل: عتت على خزائنها<sup>(٢)</sup>، فخرجت بغير إذنهم.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ روي أنها بدأت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر<sup>(٣)</sup>.

﴿حُسُومًا﴾ ابن عباس رضي الله عنه: معناه: كاملة متتابعة لم يتخللها غير ذلك<sup>(٤)</sup>. وقيل: معناه شؤماً ونحساً، وقيل: هو جمع حاسم، من الحنم وهو القطع؛ أي: قطعتهم بالإهلاك. فـ﴿حُسُومًا﴾ على القولين الأولين: مصدر في موضع الحال، وعلى الثالث: حال، أو مفعول من أجله.

(١) انظر تفسير الآية (١٥).

(٢) في د: «خزنتها».

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٣٨٦/٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/٢١٢) من طريق علي عنه.

﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ جمع صريع، وهو المطروح بالأرض. والضمير المجرور يعود على منازلهم؛ لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها، أو على الأيام والليالي، أو على الريح.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تقدم في «القمر» معنى تشبيههم بأعجاز النخل<sup>(١)</sup>. والخواوية: هي التي خلت من طول بلاها وفسادها.

﴿مَنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي: من بقية، وقيل: من فئة باقية، وقيل: إنه مصدر بمعنى البقاء.

﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ يريد: من تقدم قبله من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد؛ لأن عادًا وثمود قد ذكرا، وقوم لوط هم المؤتفكات، وقوم نوح قد أشير إليهم في قوله: ﴿لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتَنَّكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾. وقرئ ﴿قَبْلَهُ﴾ بكسر القاف وفتح الباء<sup>(٢)</sup>، ومعناه: جنده وأتباعه.

﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ إما أن يكون مصدرًا بمعنى الخطيئة، أو صفةً لمحذوف تقديره: بالفعللة الخاطئة.

﴿بَعْضُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ إن عاد الضمير على فرعون وقومه: فالرسول موسى عليه السلام، وإن عاد على المؤتفكات: فالرسول لوط عليه السلام، وإن عاد على الجميع: فالرسول اسم جنس، أو بمعنى الرسالة.

﴿رَأْيِيَّةٌ﴾ أي: عظيمة، وهو من قولك: ربا الشيء: إذا كثر.

﴿طَغَا الْمَاءُ﴾ عبارة عن كثرته، فيحتمل أن يريد: أنه طغى على أهل الأرض، أو على خزانة، يعني: وقت طوفان نوح عليه السلام.

﴿حَمَلَتَنَّكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ هي السفينة، فإن أراد سفينة نوح: فمعنى ﴿حَمَلَتَنَّكُمْ﴾: حملنا آبائكم؛ لأن كل من على الأرض من ذرية نوح عليه السلام وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة، وإن أراد جنس السفن: فالخطاب على حقيقته.

(١) انظر تفسير الآية (٢٠).

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقر بفتح القاف وإسكان الباء.

﴿لِتَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير للفعلة، وهي الحمل في السفينة. وقيل: للسفينة، فإن أراد جنس السفن: فالمعنى: أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركبها أو سمع بها، وإن أراد سفينة نوح: فقد قيل: إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيادها أوائل هذه الأمة. ﴿وَتَعِيَهَا أَذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير ﴿لِتَجْعَلَهَا﴾، وهذا يقوي أن يكون للفعلة.

والأذن الواعية: هي التي تفهم ما تسمع وتحفظه، يقال: وعيتُ العلم: إذا حصلتَه، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التي عقلت عن الله. وروي أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا علي»، قال علي: فما نسيت بعد ذلك شيئاً سمعته<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري: إنما قال: ﴿أَذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ بالتوحيد والتنكير؛ للدلالة على قلة الوعاة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهي المعبرة عند الله دون غيرها<sup>(٢)</sup>.

﴿تَبَخَّهٖ وَاحِدَةٌ﴾ يعني: نفخة الصَّعَق، وهي الأولى.

﴿بَدَكَّتَا﴾ الضمير للأرض والجبال. ومعنى ﴿دَكَّتَا﴾: ضرب بعضها ببعض حتى تندق، وقال الزمخشري: والدك أبلغ من الدق<sup>(٣)</sup>، وقيل: معناه: بسطت حتى تستوي الأرض والجبال.

﴿وَفَعَتِ الْوَافِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة، وقيل: صخرة بيت المقدس، وهذا ضعيف.

(١) أخرجه الطبري (٢٢٢/٢٣) عن مكحول، قال ابن كثير في تفسيره (٢١١/٨): «وهو حديث مرسل»، وأخرجه الثعلبي (٢٨٨/٢٧) عن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، مرسلًا، وهو ضعيف جدًا، فيه إسحاق بن محمد بن مروان عن أبيه، ولا يحتج بحديثه، وأبوه السدي الصغير متروك متهم بالكذب. ميزان الاعتدال (٢٠٠/١)، (٣٢/٤)، وقد عدَّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث من الموضوعات في كتب التفسير، في مجموع الفتاوى (٣٥٤/١٣).

(٢) الكشف (٦١٣/١٥).

(٣) الكشف (٦١٦/١٥).



﴿وَاهِيَةً﴾ أي: مسترخية ساقطة القوة، ومنه قولهم: «دار واهية» أي: ضعيفة الجدران.  
 ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الملك هنا: اسم جنس.

والأرجاء: الجوانب، واحدها رجا -مقصور-، والضمير يعود على السماء، والمعنى: إن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء؛ لأنها إذا وهت وقفوا على أطرافها. وقيل: يعود على الأرض؛ لأن المعنى يقتضيه، وإن لم يتقدم ذكرها، وروي في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفًا على جوانب الأرض، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَيَخِيلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ ابن عباس رضي الله عنه: هي ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم أحد عدتهم<sup>(١)</sup>. وقيل: ثمانية أملاك، رؤوسهم عند العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة، ويؤيد هذا: ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم»<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ خطاب لجميع العالم، والعرض: البعث و<sup>(٣)</sup>الحساب.  
 ﴿خَافِيَةً﴾ أي: حال خافية من الأعمال والسرائر. ويحتمل المعنى: لا يخفى من أجسادكم شيء؛ لأنهم يحشرون حفاة عراة.

﴿بِأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ الكتاب هنا: صحائف الأعمال.  
 ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمْ اِفْرَءُوا كِتَابِيَةَ﴾ «هَآؤُمْ» اسم فعل، قال ابن عطية: معناه: تعالوا<sup>(٤)</sup>. وقال الزمخشري: هو صوت يفهم منه معنى: «خذ»، و﴿كِتَابِيَةَ﴾ مفعول يطلبه «هَآؤُمْ» و﴿اِفْرَءُوا﴾ من طريق المعنى، تقديره: «هَآؤُمْ كتابي اقرؤوا كتابي» ثم حذف<sup>(٥)</sup> لدلالة الآخر عليه<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/٢٢٨)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٧٠) من طرق عنه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/٢٢٩) عن ابن إسحاق قال: بلغنا أن النبي ﷺ.. وذكره. قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/٨٥): «وهو معضل».

(٣) في أ، هـ: «أو».

(٤) المحرر الوجيز (٨/٣٩٢).

(٥) أي: حذف مفعول «هَآؤُمْ».

(٦) الكشاف (١٥/٦٢١).

وَعَمَل فِيهِ الْعَامِل الثَّانِي - وَهُوَ ﴿إِفْرَءُوا﴾ - عِنْد الْبَصْرِيِّينَ، وَالْعَامِل الْأَوَّل - وَهُوَ ﴿هَآؤُمْ﴾ - عِنْد الْكُوفِيِّينَ. وَالِدَلِيل عَلَى صِحَّة قَوْل الْبَصْرِيِّينَ: أَنَّهُ لَوْ أَعْمَلَ الْأَوَّل لَقَالَ: «اقْرَؤوه».

وَالِهَاءُ فِي ﴿كِتَابِيَّةً﴾ لِلْوَقْفِ، وَكَذَلِكَ فِي ﴿حِسَابِيَّةً﴾ وَ﴿مَالِيَّةً﴾ وَ﴿سُلْطَانِيَّةً﴾. وَكَانَ الْأَصْل أَنَّ تَسْقُطَ فِي الْوَصْلِ، لَكِنَّا ثَبَتْنَا فِيهِ مِرَاعَاةً لَخَطِّ الْمَصْحَفِ، وَقَدْ أَسْقَطَهَا فِي الْوَصْلِ بَعْضُهُمْ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ الْعَبْدَ الَّذِي يُعْطَى كِتَابَهُ يَمِينُهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ: «اقْرَؤُوا كِتَابِيَّة» عَلَى وَجْهِ الْاسْتِبْشَارِ وَالسَّرُورِ بِكِتَابِهِ.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ الظن هنا: بِمَعْنَى الْيَقِينِ.

﴿رَاضِيَةً﴾ أَي: ذَاتَ رِضَا، كَقَوْلِهِمْ: «تَامِرٌ» لِصَاحِبِ التَّمْرِ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: لَيْسَتْ بِنَاءِ اسْمِ فَاعِلٍ <sup>(١)</sup>. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ فَاعِلٍ، تُسَبُّ الْفِعْلُ إِلَيْهَا مَجَازًا، وَهُوَ لِصَاحِبِهَا حَقِيقَةً <sup>(٢)</sup>.

﴿فُطُوفُهَا﴾ جَمْعُ قُطْفٍ - بِكَسْرِ الْقَافِ - <sup>(٣)</sup> وَهُوَ مَا يُجْتَنَى مِنَ الثَّمَارِ وَيَقُطَفُ كَالْعَنْقُودِ. ﴿ذَانِيَّةً﴾ أَي: قَرِيبَةً، وَرَوَى أَنَّ الْعَبْدَ يَأْخُذُهَا بِفَمِهِ مِنْ شَجَرِهَا عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ مِنْ قِيَامٍ أَوْ جُلُوسٍ أَوْ اضْطِجَاعٍ <sup>(٤)</sup>.

﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ أَي: قَدِمْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أَي: الْمَاضِيَةِ، يَعْنِي: أَيَّامَ الدُّنْيَا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ هُمُ الْكَافَرُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾، فَجَعَلَ عَلَةً إِعْطَائِهِمْ كِتَابَهُمْ <sup>(٥)</sup> بِشِمَالِهِمْ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ.

(١) أَي: أَنَّهَا عَلَى النَّسَبِ، وَلَيْسَتْ بِنَاءِ اسْمِ فَاعِلٍ؛ إِذْ هِيَ بِمَعْنَى: مَرْضِيَّةٌ. الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ (٣٩٣/٨)، وَانْظُرْ: الدَّرُ الْمَصُونُ لِلْسَّمِينِ الْحَلَبِيِّ (٤٣٤/١٠).

(٢) الْكَشَافُ (٦٢٢/١٥).

(٣) قَوْلُهُ «بِكَسْرِ الْقَافِ» زِيَادَةٌ مِنْ أ، هـ.

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (٢٣/٢٣).

(٥) فِي أ، د: «كِتَابِهِمْ».

وأما المؤمنون فيعطون كتبهم<sup>(١)</sup> بأيامهم، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم، هل يعطى كتابه قبل دخوله النار؟ أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح لقوله: ﴿هَآؤُمْ أَفْرَأْ وَأَكْتَبِيَّ﴾؛ لأن هذا كلام مسرور، فيبعد أن يقوله من يُحمل إلى النار.

﴿بِقَوْلٍ يَلْتَمِيهِ لَمْ آوْتَ كِتَابِيَّ﴾ أي: يتمنى أنه لا يعطاه<sup>(٢)</sup> كتابه. وقال ابن عطية: يتمنى أن يكون معدوما لا يجري عليه شيء<sup>(٣)</sup>، والأول أظهر.

﴿يَلْتَمِيهَا كَانَتْ أَفْاضِيَّةً﴾ أي: ليت المودة الأولى كانت القاضية، بحيث لا يكون بعدها بعث ولا حياة.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّ﴾ يحتمل أن يكون نفياً، أو استفهاماً يراد به النفي.

﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ أي: زال عني ملكي وقدرتي، وقيل: ذهب عني حجتي.

﴿خَذُوهُ﴾ خطاب للزبانية، يقوله لهم: الله تعالى، أو الملائكة بأمر الله<sup>(٤)</sup>.

﴿فَعَلُّوهُ﴾ أي: اجعلوا غلاً في عنقه، وروي أنها نزلت في أبي جهل<sup>(٥)</sup>.

﴿ذَرَعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ معنى ﴿ذَرَعَهَا﴾: أي مبلغ أذرع كيلها.

واختلف في هذا الذراع، فقيل: إنه الذراع المعروف، وقيل: هو بذراع الملك، وقيل: في الذراع سبعون باعاً، كل باع كما بين مكة والكوفة. والله در الحسن البصري في قوله: الله أعلم بأيّ ذراع هي!<sup>(٦)</sup>

وجعلها سبعين ذراعاً؛ لإرادة وصفها بالطول، فإن السبعين من الأعداد التي تقصد بها العرب التكثير. ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار، أو تكون بين جميعهم، وقد حكى الثعلبي ذلك<sup>(٧)</sup>.

(١) في أ، ج، د: «كتابهم».

(٢) في د: «لا يعطى».

(٣) المحرر الوجيز (٣٩٣/٨).

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٨٤).

(٥) أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج كما في الدر المنثور (٦٨٠/١٤).

(٦) ذكره الثعلبي (٣١٣/٢٧)، والواحد في البسيط (١٧٩/٢٢) دون إسناد.

(٧) أي: حكى الاحتمال الثاني. تفسير الثعلبي (٣١٥-٣١٦/٢٧).

﴿بَاسْئَلُكُوهُ﴾ أي: أدخلوه، وروي أن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج على دبره<sup>(١)</sup>، فـ﴿بَاسْئَلُكُوهُ﴾ على هذا من المقلوب في المعنى، كقولهم: «أدخلتُ القَلَنسُوةَ في رأسي». وروي: أنها تُلَوَّى عليه حتى تَغُمَّه وتضغظه<sup>(٢)</sup>، فالكلام على هذا على وجهه وهو السلوك فيها.

وإنما قدم قوله: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ﴾ على ﴿بَاسْئَلُكُوهُ﴾ لإرادة الحصر؛ أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة. وكذلك قَدَّمَ ﴿الْجَحِيمَ﴾ على ﴿صَلُّوهُ﴾ لإرادة الحصر أيضًا.

﴿طَعَامَ الْمَسْكِينِ﴾ يحتمل أن أراد إطعام المسكين، فوضع الاسم موضع المصدر، أو يُقَدَّر: «لا يحض على بذل طعام المسكين».

وأضاف الطعام إلى المسكين؛ لأن له إليه نسبة. ووضفه بأنه لا يحض على طعام المسكين بدلًا على أنه لا يُطعمه من باب أولى وأحرى. وهذه الآية تدل على عِظَم الصدقة وفضلها؛ لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله.

﴿قَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: ليس له صديق. والآخر: ليس له شراب، ولا طعام إلا من غسلين، فإن الحميم: الماء الحار، والغسلين: صديد أهل النار عند ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>، وقيل: شجر يأكله أهل النار، وقال اللغويون: هو ما يجري من الجراح إذا غُسلت، وهو «فُعَلين» من الغسل.

﴿الْخَطِئُونَ﴾ جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدًا، والمخطئ: الذي يفعله بغير تعمّد.



(١) أخرجه الطبري (٢٣/٢٣٨)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٧٢).

(٢) ذكره في المحرر الوجيز (٨/٣٩٥)، والكشاف (١٥/٦٢٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/٢٤٠) من طريق علي عنه.

﴿لَا أَفْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ٢٨ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ ٢٩ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ٣٠ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ٣١ ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ ٣٢ ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٣٣ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ٣٤ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٣٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ٣٦ ﴿بِمَا مِّنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ٣٧ ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ٣٨ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ ٣٩ ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ٤٠ ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ٤١ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٤٢

﴿لَا أَفْسِمُ﴾ «لا» زائدة غير نافية.

﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ٢٨ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ ٢٩ يعني: جميع الأشياء؛ لأنها تنقسم إلى ما يُبصر وما لا يبصر، كالدنيا والآخرة، والإنس والجن، والأجسام والأرواح، وغير ذلك.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ٣٠ هذا جواب القسم، والضمير للقرآن. والرسول الكريم: جبريل، وقيل: محمد عليهما الصلاة والسلام.

﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ٣١ قال ابن عطية: يحتمل أن تكون «مَّا» نافية، فنفي إيمانهم بالجملة، أو تكون مصدرية، فوصف إيمانهم بالقلة<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: القلة هنا بمعنى العدم؛ أي: لا تؤمنون ولا تذكرون البتة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ٣٤ التقوّل: هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل. ومعنى الآية: لو تقوّل علينا محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان على أن القرآن<sup>(٣)</sup> من عند الله.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٣٥ ابن عباس رضي الله عنه: اليمين هنا: القوة<sup>(٤)</sup>، ومعناه: لو تقوّل علينا لأخذناه بقوتنا. وقيل: هي عبارة عن الهوان، كما يقال لمن يُسجّن: أخذ بيده وبيمينه.

وقال الزمخشري: معناه: لو تقوّل علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول،

(١) المحرر الوجيز (٨/٣٩٧).

(٢) الكشف (١٥/٦٣٠).

(٣) في ب زيادة: «كلام الله وهو...».

(٤) ذكره الثعلبي (٢٧/٣٢٠)، والواحدي في البسيط (٢٢/١٩٠).

وعبر عن ذلك بقوله: ﴿لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾؛ لأن السياف إذا أراد أن يضرب المقتول في جيده أخذ بيده اليمنى؛ ليكون ذلك أشد عليه؛ لنظره إلى السيف<sup>(١)</sup>.

﴿الْوَتِينَ﴾ نياط القلب، وهو عرق إذا قُطع مات صاحبه، فالمعنى: لقتلناه.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزٌ﴾ الحاجز: المانع، والمعنى: لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه عقابنا<sup>(٢)</sup>. وإنما جمع ﴿حَاجِزِينَ﴾؛ لأن ﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجماعة.

﴿وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرَةٌ﴾ الضمير: للقرآن، وقيل: لمحمد ﷺ، والأول أظهر.

﴿وَأَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: حسرة عليهم في الآخرة؛ لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين.

﴿وَأَنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ قال الكوفيون: هذا من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: مسجد الجامع.

وقال الزمخشري: المعنى: عين اليقين، ومحض اليقين<sup>(٣)</sup>، وقال ابن عطية: ذهب الحذاق<sup>(٤)</sup> إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه<sup>(٥)</sup>.



(١) الكشف (٦٣٢/١٥).

(٢) في أ، هـ: «عقاباً».

(٣) الكشف (٦٣٤/١٥).

(٤) عبارته: ذهب البصريون والحذاق..

(٥) المحرر الوجيز (٣٩٨/٨)، يعني: أنه من باب إضافة المترادفين على سبيل المبالغة، كما تقول: هذا يقين اليقين، وصواب الصواب. انظر: البحر المحيط (٢٠١/٢٠)، والدر المصون (٢٣٢/١٠)، فقول الزمخشري وابن عطية واحد، وهو قول البصريين.

## سُورَةُ الْمَعَارِجِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِلْكَاذِبِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ تَعْرَجُ  
 الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِيقَادُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ بَاضِرٌ صَبْرًا جَبِيلًا ۝  
 إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَتَرِيَهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ  
 كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ۝ يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَاجِرِ لَوْ يَفْتَدِيهِ مِنْ عَذَابٍ  
 يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَحْبَيْهِ وَآخِيهِ ۝ وَقَصِيلَتِهِ الَّتِي تُسَوِّدُ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ  
 يُنَجِّيهِ ۝ كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ۝ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۝ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝  
 ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا  
 الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ  
 وَالْمَخْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ اللَّهِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ إِنَّ  
 عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُومٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِمَرْجِهِمْ حَاطُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَجِهِمْ ۝ أَوْ مَا  
 مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝  
 وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ  
 صَلَاتِهِمْ يُحَاطُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قرأ ﴿سَأَلَ﴾ بالهمز<sup>(١)</sup>: احتمل معنيين: أحدها: أن يكون بمعنى الدعاء؛ أي: دعا داع بعذاب واقع، وتكون الإشارة إلى قول الكفار: «أمطر علينا حجارة من السماء»، وكان الذي قالها النضر بن الحارث. والآخر: أن يكون بمعنى الاستخبار؛ أي: سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى: «عن»، وتكون الإشارة إلى قولهم: «متى هذا الوعد؟» وشبه ذلك.

(١) قرأ نافع وابن عامر بآلف من غير همز، وقرأ الباقون بالهمز.

وأما من قرأ ﴿سَال﴾ بغير همز: فيحتمل وجهين: الأول: أن يكون مخففاً من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران. والثاني: أن يكون من سال السيل: إذا جرى، ويؤيد ذلك: قراءة ابن عباس ؓ: «سال سَيْلٌ»<sup>(١)</sup>، وتكون الباء على هذا كقولك: «ذهبت بريد».

وإذا كان من السيل احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون شبه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل.

وثانيهما: أن يكون حقيقة، قال زيد بن ثابت ؓ: في جهنم واد يقال له: سائل<sup>(٢)</sup>.

فتلخص من هذا: أن في القراءة بالهمز<sup>(٣)</sup> معنيين، وفي القراءة بغير همز أربعة معان.

١ ﴿لَلْبُكْمَرِينَ﴾ يحتمل أن يتعلق بـ ﴿وَأَفِيعَ﴾، وتكون اللام: بمعنى «على»، أو تكون صفة للعذاب. أو يتعلق بـ ﴿سَال﴾ إذا كانت بمعنى: دعا، أي: دعا للكافرين بعذاب. أو يكون مستأنفاً، كأنه قال: هو للكافرين.

٢ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يتعلق بـ ﴿وَأَفِيعَ﴾؛ أي: واقع من عند الله، أو بـ ﴿دَافِعَ﴾؛ أي: ليس له دافع من عند الله، أو يكون صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾، أو مستأنفاً.

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ جمع مَعْرَج، وهو المصعد إلى علو، كالسُّلَم والمُدارج التي يُرتقى بها. قال ابن عطية: هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة<sup>(٤)</sup>، وقيل: هي المراقي إلى السماء، وهذا أظهر؛ لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة والروح إليه، أي: إلى عرشه، ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه<sup>(٥)</sup>، فالعروج: هو من الأرض إلى العرش<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني (٢/٣٣٠)، والمححر الوجيز (٨/٤٠١).

(٢) عزاه إلى زيد بن ثابت ؓ في المححر الوجيز (٨/٤٠١)، ولم أقف عليه من قوله، وفي تفسير الطبري (٢٣/٢٤٩): «قال ابن زيد [يعني: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم]: قال بعض أهل العلم: هو واد في جهنم يقال له: سائل».

(٣) في أ، ب، ج، هـ زيادة: «يحتمل».

(٤) المححر الوجيز (٨/٤٠١).

(٥) في هـ: «وقضاه».

(٦) [التعليق ١٠٧] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المؤلف ؓ: «قال ابن عطية: هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة»: أقول: يريد ابن عطية: أن المعارج أمورٌ معنويةٌ، وهي صفات الكمال؛ فلا تدل على علو الذات في حقه تعالى، بل على علو القدر، وهذا يتفق مع مذهب نفاة علو الله بذاته. =



والروح هنا: جبريل ﷺ بدليل قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَيَّ فَلْيَكْ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]. وقيل: الروح: ملائكة حَفَظَة على الملائكة، وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقله، وقيل: الروح: جنس أرواح الناس وغيرهم.

﴿١﴾ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يختلف في هذا اليوم على قولين: أحدهما: أنه يوم القيامة. والآخر: أنه في الدنيا.

والصحيح: أنه يوم القيامة لقول رسول الله ﷺ في حديث مانع الزكاة: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صُفِّحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد»<sup>(١)</sup> يعني: يوم القيامة.

ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة؟ وهذا هو الأظهر، أو هل وُصف بذلك لشدة أهواله؟ كما يقال: «يوم طويل» إذا كان فيه مصائب وهموم. وإذا قلنا إنه في الدنيا: فالمعنى: أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة، وقيل: الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا، والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة. وهذا كله على أن يكون قوله: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ يتعلق بـ ﴿تَعْرُجُ﴾، ويحتمل أن يكون ﴿فِي يَوْمٍ﴾ صفة للعذاب، فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة، والمعنى على هذا مستقيم.

﴿٢﴾ ﴿بَاصِرٍ﴾ هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره، أي: اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب، ولذلك وصفه بالقرب؛ مبالغة في تسلية النبي ﷺ.

= ولكن ابن جرير رحمه الله رجح أن المعارج هي المصاعد إلى السماء؛ بدليل قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ١٦]، ولكنه قال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى عرشه. وهذا تأويل بصرف الكلام عن ظاهره، وهو أنها تعرج إلى الله، ولا موجب لهذا التأويل إلا النزعة إلى نفي العلو الذي هو مذهب القوم.

وقد جاء في السنة: ما يشهد لظاهر الآية، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «يَتَعَارَفُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ»، وفيه: «ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي...» الحديث [أخرجه البخاري (٧٤٤٩)، ومسلم (٦٣٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والصواب في الآية: أن الملائكة والروح تعرج إلى الله.

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة رحمه الله.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ يحتمل أن يعود الضمير على العذاب، أو على اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة. والبعيد يحتمل أن يراد به بُعد الزمان، أو بُعد المكان. وكذلك القرب يحتمل أن يراد به قرب الزمان؛ لأن كل آت قريب، ولأن الساعة قد قربت، أو قرب المكان؛ لقدرة الله عليه.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ «يَوْمَ» هنا: بدل من «يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، أو بدل من الضمير المنصوب في «نَرِيَهُ». أو منصوب بقوله: «فَرِيًّا»، أو بقوله: «يَوْمَ الْمُجْرِمِ»، أو بفعل مضمر تقديره: اذكر، أو: يقع العذاب يوم تكون السماء كالمهل. والمهل: هو دُرْدِي الزيت<sup>(١)</sup>، شبه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة، وقيل: هو ما أذيب من الفضة ونحوها، شبه السماء به في تلونه.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهِي﴾ العِهْن: هو الصوف، شبه الجبال به في انتفاشه وتخلخل<sup>(٢)</sup> أجزائه، وقيل: هو الصوف المصبوغ ألوانًا، فكيون التشبيه في الانتفاش، وفي اختلاف الألوان؛ لأن الجبال منها بيض وسود وحمر.

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ الحميم هنا: الصديق، والمعنى: لا يسأل أحدٌ من حميمه نصرةً ولا إغاثةً<sup>(٣)</sup>؛ لعلمه أنه لا يقدر له على شيء، وقيل: لا يسأله عن حاله؛ لأن كل أحد مشغول بنفسه.

﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾ يقال: بَصَرَ الرجلُ بالرجل: إذا رآه، وبَصَرْتُهُ إياه - بالتشديد -: إذا أريته إياه. والضميران يعودان على الحميمين؛ لأنهما في معنى الجمع. والمعنى: أن كل حميم يُبَصِّرُ حميمه يوم القيامة فيراه، ولكنه لا يسأله.

﴿وَصَلَحِيَّتِهِ﴾ يعني: امرأته.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ يعني: القرابة الأقربين.

(١) هو ما يبقى في أسفله. «السان العرب» مادة (درد).

(٢) في ج، د: «وتخلل».

(٣) في أ، هـ: «إغاثة».

﴿تُؤَيِّهِ﴾ أي: تضمُّه، فيحتمل أن يريد: تضمه في الانتماء إليها، أو في نصرته وحفظه من المضرات.

﴿ثُمَّ يَنْجِيهِ﴾ الفاعل الافتداء الذي يقتضيه ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾، وهذا الفعل معطوف على ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾، وإنما عطفه بـ﴿ثُمَّ﴾ إشعاراً ببعد النجاة وامتناعها، ولذلك زجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلاَّ﴾.

﴿إِنَّهَا لَظَى﴾ الضمير للنار؛ لأن العذاب يدل عليها، ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفُسِّرَ بالخبر. و﴿لَظَى﴾ علمٌ لجَهَنَّمَ، مشتقٌّ من اللَّظَى بمعنى اللهب.

﴿تَزَاغَى لِلشَّوَى﴾ الشَّوَى: أطراف الجسد، وقيل: جلد الرأس، فالمعنى: أن النار تنزعها ثم تعاد. و﴿تَزَاغَى﴾ بالرفع<sup>(١)</sup>: بدل من ﴿لَظَى﴾، أو خبر ابتداء مضمر، أو خبرٌ لـ﴿إِنَّهَا﴾ إن جعلنا ﴿لَظَى﴾: منصوباً على التخصيص أو بدلاً من الضمير، أو خبرٌ ثانٍ لـ﴿إِنَّهَا﴾ إن جعلنا ﴿لَظَى﴾ خبراً لها. و﴿تَزَاغَى﴾ بالنصب: حال.

﴿تَدْعُوا مَن أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ يعني: الكفار الذين تولوا عن الإسلام، ودعأوها لهم: عبارة عن أخذها لهم. وقال ابن عباس ؓ: تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم<sup>(٢)</sup>. وقيل: معناه: تُهلك، حكاه الخليل عن العرب<sup>(٣)</sup>.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ يقال: أوعيتُ المال وغيره: إذا جمعته في وعاء. فالمعنى: جمع المال وجعله في وعاء، وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حِلِّه ومنعوه من حقِّه.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ الإنسان هنا: اسم جنس، بدليل الاستثناء منه. وسئل أحمد بن يحيى - مؤلف «الفصيح» - عن الهلوع؟ فقال: قد فسره الله فلا تفسير أبين من تفسيره، وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾<sup>(٤)</sup> وَإِذَا مَسَّ الْخَيْرُ مَنُوعاً<sup>(٥)</sup>. وذكر الله ذلك على وجه

(١) روى حفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع.

(٢) ذكره الثعلبي (٣٥٤/٢٧)، والواحدي في الوسيط (٢٢٢/٢٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤٠٦/٨).

(٣) ذكره الثعلبي (٣٥٤/٢٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤٠٦/٨).

(٤) نقله في الكشف (١٨/١٦).

الذم لهذا الخلق، ولذلك استثنى منه المصلين؛ لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا، فلا يجزعون من شرها ولا يخلون بخيرها.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ الدوام عليها: هو المواظبة بطول العمر، والمحافظة عليها المذكورة بعد هذا: هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها.

﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ قد ذكرنا في «الذاريات» معنى «حَقٌّ»، والسائل والمحروم<sup>(١)</sup>. ووصفه هنا بالمعلوم إن أراد الزكاة: فهي معلومة المقدار شرعاً، وإن أراد غيرها: فمعنى المعلوم: أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة عنده.

﴿غَيْرَ مَأْمُونٍ﴾ أي: لا يكون أحد آمناً منه؛ فإن الأمن من عذاب الله حرام، فلا ينبغي للعبد أن يزول عنه الخوف حتى يدخل الجنة.

﴿لَا مَنَّتِيهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ ذكر في «المؤمنين»، وكذلك ﴿لِمَرْجِحِهِمْ خَلِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله<sup>(٣)</sup>. وقال الجمهور: يعني: الشهادة عند الحكام، ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها؟ فقل: هو التحقيق لها، كقوله ﷺ: «على مثل الشمس فاشهد<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>، وقيل: هو المبادرة إلى أداؤها من غير امتناع.

فأما إن دعي الشاهد إلى الأداء: فهو واجب عليه. وأما إذا لم يُدع إلى الأداء: فإن الشهادة على ثلاثة أقسام:

أحدها: حقوق الناس، فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك.

(١) انظر تفسير الآية (١٩).

(٢) انظر تفسير الآية (٥).

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (١١٠/٨) ولم أقف عليه مسنداً.

(٤) في ب، هـ: «فاشهدوا».

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء، ط. دار الكتب العلمية (٧/٤٣٠)، والحاكم (٧٠٤٥) والبيهقي (٢٠٥٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنه، وصححه الحاكم، وتعبه الذهبي بقوله: «واؤه» فيه عمرو بن مالك البصري، قال ابن عدي: كان يسرق الحديث، ومحمد بن سليمان بن مشمول ضعفه غير واحد مختصر تلخيص الذهبي، لابن الملقن (٥/٢٥١٥)، وضعفه ابن حجر في البلوغ (٣٥٨).

والثاني: حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس، فيجب أداء الشهادة بذلك، دُعي أو لم يدع.

الثالث: حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم كالحدود، فهذا ينبغي ستره حتى يُدعى إليه.



بِمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٢٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٢٧﴾ أَيْظَمَعُ كُلُّ إِمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٢٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ \* فَلَا أَفْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٣٠﴾ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوفِينَ ﴿٣١﴾ قَدْ زُهِمَ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوَفِّضُونَ ﴿٣٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهَفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣٤﴾

﴿بِمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم، كان رسول الله ﷺ إذا صلى أقبل إليه الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته. ومعنى ﴿فَبَلَكَ﴾: في جهتك وما يليك.

﴿عِزِينَ﴾ أي: جماعات شتى وهو جمع عِزَّة - بتخفيف الزاي -، وأصله: عِزَّة، وقيل: عِزَّة، ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضاً من اللام المحذوفة.

﴿أَيْظَمَعُ كُلُّ إِمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كانوا يقولون: إن كان ثم جنة فنحن أهلها.

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ كناية عن المنى الذي خلق منه الإنسان. وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه:

الأول: تحقير الإنسان والردُّ على المتكبرين، كما قال بعضهم: إن الإنسان خلق من نطفة مَذْرُوءة<sup>(١)</sup>، ويصير جيفة قدرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة.

الثاني: الردُّ على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة، كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه سائر الناس، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح؛ لأنكم سواء في الخلقة.

الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين، فهو قادر على أن يعيدهم، كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ تُمْنِيٍّ﴾ [القيامة: ٣٦] إلى آخر السورة.

(١) المذرة: القذرة. القاموس المحيط (م ذ ر).

﴿وَلَا أَقْسِمُ﴾ معناه: أقسم، و«لا» زائدة.

﴿الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ذكرت في «الصفات»<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴿تهديد للكفار بإهلاكهم، وإبدال قوم خير منهم. وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوفِينَ﴾ أي: مغلوبين، والمعنى: إنا لا نَعِجُزُ عن التبديل المذكور، أو عن البعث.

﴿بَدَرَهُمْ﴾ وعيد لهم، وفيه مهادنة منسوخة بالسيف.

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني: يوم القيامة، بدليل أنه أبطل منه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَضِيبٍ يُؤْفَضُونَ﴾ النَّضِيبُ: الأصنام، وأصله: كل ما نُصِبَ إلى الإنسان، فهو يَقْصَدُ إليه مسرعاً؛ مِنْ عِلْمٍ أَوْ بِنَاءٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وفيه لغات: فتح النون وإسكان الصاد، وضمهما، وضم النون وإسكان الصاد<sup>(٢)</sup>. و ﴿يُؤْفَضُونَ﴾ معناه: يسرعون، والمعنى: أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر، كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا.



(١) انظر تفسير الآية (٥).

(٢) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بضم النون والصاد، وقرأ الباقون بفتح النون وإسكان الصاد. وقرئ في الشاذ بضم النون وإسكان الصاد، وهي قراءة الحسن وقتادة. المحرر الوجيز (٨/ ٤١٤).

## سُورَةُ نُوحٍ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ «عَبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا» ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَرْدَهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا مِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِيهِ ؕ إِذَا نَبِهْتُهُمْ وَاسْتَعْشَوُا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ذُنُوبَكُمْ إِنِّي أَنَا غَفَّارٌ ﴿١٠﴾ يَرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ \* أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَتَبَّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِيَتَسَلَّكُوا مِنْهَا سُبُلًا وَجَاجًا ﴿٢٠﴾

﴿١﴾ «أَنْ أَنْذِرْ» و«أَنْ «عَبُدُوا» يحتمل أن تكون «أَنْ»: مفسرة، أو مصدرية على تقدير: «بأن أنذر» و«بأن اعبدوا»، والأول أظهر.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الآخرة، أو الغرق الذي أصابهم.

﴿١﴾ «يَغْفِرْ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ» «مِن» هنا للتبعيض؛ أي: يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم؛ لأن ذلك في مشيئة الله تعالى. وقيل: إن «مِن» هنا زائدة، وذلك باطل؛ لأن «مِن» لا تتراد عنه سبويه إلا في غير الواجب، وقيل: هي لبيان الجنس، وقيل: لابتداء الغاية، وهذان قولان



ضعيفان في المعنى، والأول هو الصحيح؛ لأن التبعض فيه متجه.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ظاهر هذا: يقتضي أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخرّوا إلى أجل مسمى، وإن لم يفعلوا لم يؤخّروا، وذلك مقتضى القول بالأجلين، وهو مذهب المعتزلة، وعلى هذا حملها الزمخشري<sup>(١)</sup>.

وأما على مذهب أهل السنة: فهي من المشكلات، وتأولها ابن عطية فقال: ليس للمعتزلة في الآية تعلق؛ لأن المعنى: أن نوحاً ﷺ لم يعلم هل هم ممن يؤخّر أو ممن يعاجل؟ ولا قال لهم: إنكم تؤخّرون عن أجل قد حان، لكن قد سبق في الأزل أنهم إمّا ممن قضي له بالإيمان والتأخير، أو ممن قضي له بالكفر والمعاجلة<sup>(٢)</sup>.

وكان نوحاً ﷺ قال لهم: آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قضي له بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة، فكأن الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يُبرزه الغيب من حالهم؛ إذ يمكن أن يُبرز إمّا الإيمان والتأخير، وإما الكفر والمعاجلة، وأما عند الله: فالحال الذي يكون منهم معلومٌ مقدّر محتوم، وأجلهم كذلك معلوم مقدّر محتوم.

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ هذا يقتضي أن الأجل محتوم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا، وفيه أيضاً ردٌّ على المعتزلة في قولهم بالأجلين، ولما كان كذلك قال الزمخشري: إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا، وتأول ذلك على مقتضى مذهبهم بأن الأجل الذي لا يؤخّر هو الأجل الثاني، وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمّرهم الله مثلاً ألف عام، وإن لم يؤمنوا عمرهم تسع مئة عام، فالألف عام هي التي لا تؤخر إذا جاءت، والتسع مئة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا<sup>(٣)</sup>.

(١) الكشاف (٢٩/١٦).

(٢) المحرر الوجيز (٤١٦/٨).

(٣) الكشاف (٢٩/١٦).

﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي: دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم، فذكر المغفرة التي هي مسبب عن الإيمان؛ ليظهر قبح إعراضهم عنه؛ فإنهم أعرضوا عن سعادتهم. ﴿جَعَلُوا أَصْيَعَهُمْ وَجْهًا أَذَانَهُمْ﴾ فعلوا ذلك لثلاثا يسمعون كلامه، فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة، أو يكون ذلك عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك. ﴿وَأَسْتَغْشَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: جعلوها غشاوة عليهم؛ لثلاثا يسمعون كلامه، أو لثلاثا يراهم. ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة، أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم. ﴿وَأَصْرُوا﴾ أي: داموا على كفرهم.

﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ إعراب ﴿جِهَارًا﴾: مصدر من المعنى، كقولك: قعد القرفصاء<sup>(١)</sup>، أو صفة لمصدر محذوف تقديره: دعاء جهارًا، أو مصدر في موضع الحال؛ أي: مجاهرًا. ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارًا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله على نبينا وعليه.

قال ابن عطية: الجهار: دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم، والإسرار: دعاء كل واحد على حديثه<sup>(٢)</sup>.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿مِدْرَارًا﴾: مفعال من الدَّرَّ، وهو كثرة الماء. وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار، ولذلك خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف، ف قيل له: ما رأيك استسقيت؟ فقال: «والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء»، ثم نزل المطر<sup>(٣)</sup>، وشكا رجل إلى الحسن الجذب، فقال له: استغفر الله<sup>(٤)</sup>.

(١) قال أبو عبيد في غريب الحديث (١/ ٢١٠): «وأما القرفصاء فهو أن يجلس الرجل كجلوس المحتبي ويكون احتباؤه بيديه يضعهما على ساقيه كما يحتبي بالثوب تكون يداؤه مكان الثوب».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤١٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٥)، وابن أبي شيبة (٨٤٢٩)، وعبد الرزاق (٣/ ٨٦)، وسعيد بن منصور (٥/ ٣٥٣)، والبيهقي (٦٤٢٣).

(٤) ذكره الثعلبي (٢٧/ ٣٨٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٨/ ٤١٧).

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الوقار بمعنى: التوقير والكرامة، فالمعنى: ما لكم لا ترجون أن يوقركم الله في دار ثوابه. قال ذلك الزمخشري، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ على هذا: بيان للموقر، ولو تأخر لكان صفة لـ ﴿وَقَارًا﴾<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن الوقار بمعنى: التؤدة والتثبت، والمعنى: ما لكم لا ترجون الله تعالى مثبتين؛ حتى تتمكنوا من النظر بوقاركم<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ على هذا: مفعول دخلت عليه اللام، كقولك: «ضربت لزيد»، وإعراب ﴿وَقَارًا﴾ على هذا: مصدر في موضع الحال.

الثالث: أن الرجاء هنا بمعنى الخوف، والوقار بمعنى: العظمة والسلطان، فالمعنى: ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه، و﴿لِلَّهِ﴾ على هذا صفة<sup>(٣)</sup> للوقار في المعنى.

الرابع: أن الرجاء بمعنى الخوف، والوقار بمعنى الاستقرار، من قولك: وقّر في المكان: إذا استقر فيه، والمعنى: ما لكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي: طورًا بعد طور، يعني: أن الإنسان كان نقطة، ثم علقه، ثم مضغه، إلى سائر أحواله. وقيل: الأطوار: الأنواع المختلفة، فالمعنى: أن الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألستهم وغير ذلك.

﴿طَبَاقًا﴾ ذكر في «الملك»<sup>(٤)</sup>.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ القمر إنما هو في السماء الدنيا، وساغ أن يقول ﴿فِيهِنَّ﴾ لأن القمر لما كان في إحداهن فهو في الجميع، كقولك: فلان في الأندلس كذا: إذا كان في بعضها. والشمس في السماء الرابعة، وقيل: في الخامسة. وجعل القمر نورًا والشمس سراجًا؛ لأن ضوء السراج أقوى من النور، فإن السراج هو الذي يضيء فيبصر به، والنور قد يكون أقل من ذلك.

(١) الكشاف (٣٤/١٦).

(٢) في أ: «يتمكنوا من النظر لوقارهم».

(٣) كذا في النسخ الخطية! ولعل الصواب: «صلة للوقار»، أي: لا تخافون عظمة الله. انظر: الكشاف (٣٥/١٦).

(٤) انظر تفسير الآية (٣).

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ هذه عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض. و﴿نَبَاتًا﴾: مصدر على غير الصَّدر<sup>(١)</sup>، أو يكون تقديره: أنبتكم فنبتُم نباتًا، ويحتمل أن يكون منصوبًا على الحال.

﴿ثُمَّ يَعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يعني: بالدفن.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يعني: بالبعث من القبور.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها. وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كُرِّيَّة<sup>(٢)</sup>، خلافًا لما ذهب إليه أهل التعديل، وفي ذلك نظر.

﴿سَبَلًا يَجَاجُ﴾ ذكر في «الأنبياء»<sup>(٣)</sup>.



(١) انظر التعليق عند تفسير الآية (٣٧) من سورة آل عمران.

(٢) في أ، ب، هـ: «كورية»، وفي المصباح المنير (ك ر ي): «والنسبة إليها [أي: إلى الكُرَّة] كُرِّيٌّ وَكُرِّيَّةٌ على لفظها».

(٣) انظر تفسير الآية (٣١).

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنِ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ﴿٣﴾ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٤﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٥﴾ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرِفُوا فِي ذُخْلُوا نَارًا ﴿٦﴾ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٧﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٨﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ رَبِّ اغْمِزْ لِي وَلِوَلَدَتِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿١٠﴾

﴿١﴾ «وَاتَّبَعُوا مَنِ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا» يعني: اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم. وقرئ «وَلَدَهُ» بفتحتين، و«وَلَدَهُ» بضم الواو وسكون اللام<sup>(١)</sup>، وهما بمعنى واحد.

﴿٢﴾ «وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا» الكَبَار - بالتشديد - أبلغ من الكَبَار - بالتخفيف -، والكَبَار المخفف أبلغ من الكبير.

﴿٣﴾ «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ» أي: وصّى بعضهم بعضًا بذلك.

﴿٤﴾ «وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا» هذه أسماء أصنام كان قوم نوح يعبدونها. وروي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صوّرهم أهل ذلك العصر من حجارة، وقالوا: ننظر إليها لتتذكر أعمالهم، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيم من بعدهم لتلك الصور، حتى عبدوها من دون الله، ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها - وقيل: بل الأسماء فقط - إلى قبائل من العرب، فكان ودّ لكلب بدومة الجندل، وكان سواع لهذيل، وكان يغوث لمراد، وكان يعوق لهمدان، وكان نسرّ لذي الكلاع من حمير<sup>(٢)</sup>. وقرئ «وَدًّا» بفتح الواو وضمها<sup>(٣)</sup>، وهما لغتان.

﴿٥﴾ «وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا» الضمير للرؤساء من قوم نوح، والمعنى: أضلوا كثيرًا من أتباعهم. وهذا من كلام نوح ﷺ، وكذلك «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا» من كلامه، وهو دعاء

(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواو واللام، وقرأ الباقون بضم الواو وإسكان اللام.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس ؓ.

(٣) قرأ نافع بضم الواو، وقرأ الباقون بفتحها.

عليهم. وقال الزمخشري: إنه معطوف على قوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ والتقدير: قال: رب إنهم عصوني، وقال: ﴿لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا﴾ هذا من كلام الله، إخبار عن أمرهم. و«ما» زائدة للتأكيد، وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضًا؛ ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار إنما كان بسبب خطيئاتهم، وهي الكفر وسائر المعاصي.

﴿فَاَدْخِلُوا نَارًا﴾ يعني: جهنم، وعبر عن ذلك بالفعل الماضي؛ لأن الأمر محقق. وقيل: أراد عرضهم على النار، وعبر عنه بالإدخال.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿دَيَّارًا﴾: من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار ديار؛ أي: ما بها أحد، ووزنه: فَيْعَال، وكان أصله: دَيَّوَار، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وليس وزنه فَعَال؛ لأنه لو كان كذلك لقليل: دَوَّار؛ لأنه مشتق من الدَّوْر أو من الدار.

وروي أن نوحًا ﷺ لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يؤس من إيمانهم، وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم<sup>(٢)</sup>.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ يؤخذ من هذا: أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره، وكان والدًا نوح ﷺ مؤمنين. قال ابن عباس ﷺ: لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم ﷺ، واسم والد نوح: لَمَكُ بن مُتَوْشَلِخ وأمه شَمْخَا بنت أنوش، حكاه الزمخشري<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَمَّا دَخَلَ بُنْيَ مَوْمِنًا﴾ قيل: بيته: المسجد، وقيل: السفينة، وقيل: شريعته، سماها بنيًا استعارة، وهذا بعيد، وقيل: داره، وهذا أرجح؛ لأنه الحقيقة.

(١) الكشاف (١٦/٤٠-٤١)، وحكاه قبله الثعلبي (٢٧/٤٠٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/٣٠٨)، عن قتادة، وذكره الثعلبي (٢٧/٤٠٧) عن محمد بن كعب ومقاتل والربيع وابن زيد.

(٣) الكشاف (١٦/٤٤).

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك، خلافاً لمن قال من المتأخرين إنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة.

قال بعض العلماء: إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام، فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار، حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات.

﴿تَبَارَكَ أَيُّ هَلَاكًا.



## سورة الجن

قُلْ اَوْحَىٰ اِلَىَّ اَنَّهُ اِسْتَمَعَ نَهَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا اِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيهِ اِلَى الرُّشْدِ  
 بِقَامَتَا يَهْيَ وَلَمْ تُشْرِكْ بِرَبِّنَا اَحَدًا ﴿٢﴾ وَاِنَّهُ تَعَلَّبَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾  
 وَاِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَمِيحُنَا عَلٰى اللّٰهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَاِنَّا ظَنَنَّآ اَنْ لَّنْ تَقُولَ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰى  
 اللّٰهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَاِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْاِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ يَفَزِّدُوهُمْ رَهْفًا ﴿٦﴾  
 وَاِنَّهُمْ ظَنُّوْا كَمَا ظَنَنْتُمْ اَنْ لَّنْ يَنْبَغْتَ اللّٰهُ اَحَدًا ﴿٧﴾ وَاِنَّا لَمَسْنَا السَّمَآءَ فَوَجَدْتَهَا مُلَيَّثًا  
 حَرَسًا شَدِيْدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَاِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْاَن يَحْذَرُ لَهُ شِهَابًا  
 رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَاِنَّا لَا نَذَرُهُ اَشْرًا اَرِيدَ بِمْ فِي الْاَرْضِ اَمْ اَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَاِنَّا مِنَّا  
 الصّٰلِحُوْنَ وَمِنَّا دُوْنَ ذٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ فِدْدًا ﴿١١﴾ وَاِنَّا ظَنَنَّآ اَنْ لَّنْ نُعْجِزَ اللّٰهُ فِي الْاَرْضِ  
 وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَاِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا اِلْهٰدِيْ عَامَتًا يَهْيَ فَمَنْ يُّؤْمِنُ بِرَبِّهٖ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا  
 وَلَا رَهْفًا ﴿١٣﴾ وَاِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُوْنَ وَمِنَّا الْقٰسِطُوْنَ فَمَنْ اَسْلَمَ فَآوْا لِيْكُمْ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَاَمَّا  
 الْقٰسِطُوْنَ فَكَانُوْا لِيْجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَاَنْ لَّوِ اِسْتَقَمُّوْا عَلٰى الطَّرِيْقَةِ لَاسْقَيْنَهُمْ مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾  
 لِنَبْقِيَنَّهُمْ بَيْنَهُ وَمَنْ يُّغْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهٖ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَاَنَّ الْمَسْجِدَ لِلّٰهِ فَلَا  
 تَدْعُوْا مَعَ اللّٰهِ اَحَدًا ﴿١٨﴾ وَاِنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللّٰهِ يَدْعُوْهُ كَادُوْا يَكُوْنُوْنَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾

﴿قُلْ اَوْحَىٰ اِلَىَّ اَنَّهُ اِسْتَمَعَ نَهَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تقدمت في «الأحقاف» قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ واسلموا<sup>(١)</sup>.

﴿فَقَالُوا اِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ أي: قال بعضهم لبعض. و«عَجَبًا» مصدر وصف به للمبالغة؛ لأن العجب مصدر قولك: عجبْتُ عَجَبًا، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: ذا عجب.

(١) انظر تفسير الآية (٢٨).



﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ جَدُّ الله: جلاله وعظمته، وقيل: غناه، من قولك: فلان مجدود؛ إذا استغنى. وقرئ ﴿إِنَّهُ﴾ في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها، وكذلك فيما بعده إلى قوله: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فأما الكسر: فاستثناؤه، أو عطف على ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾؛ لأنه كُسر في معمول القول، فيكون ما عطف عليه من قول الجن.

وأما الفتح: فقيل: إنه عطف على قوله: ﴿أَنَّهُ إِسْتَمَعَ نَجَرٌ﴾، وهذا خطأ من طريق المعنى؛ لأن قوله: ﴿إِسْتَمَعَ نَجَرٌ﴾ في موضع معمول ﴿أَوْحَى﴾، فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحى وأن لا يكون من كلام الجن! وهو من كلام الجن، وقيل: إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ وهذا ضعيف؛ لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض، وقال الزمخشري: هو معطوف على محل الجار والمجرور في ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾، كأنه قال: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جدُّ ربنا، وكذلك ما بعده<sup>(٢)</sup>.

ولا خلاف في فتح ثلاثة مواضع هي: ﴿أَنَّهُ إِسْتَمَعَ﴾، و﴿أَلَوْ إِسْتَفْتُمُوا﴾، و﴿أَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾؛ لأن ذلك مما أوحى، لا من كلام الجن.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ هذا من كلام الجن، وسفيهُهم: أبوهم إبليس، وقيل: هو اسم جنس لكل سفيه منهم، واختار ذلك ابن عطية<sup>(٣)</sup>.

والشَّطَط: التعدي ومجاوزة الحد.

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ظننا أن الأقوال التي كان الجن والإنس يقولونها على الله صادقة وليست بكذب؛ لأننا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ تفسير هذا: ما روي أن العرب كانوا إذا حلَّ أحدهم بوادٍ صاح بأعلى صوته: «يا عزيز هذا الوادي إني أعوذ بك من

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بفتح الهمزة من الاثنتي عشرة آية، وقرأ الباقر بالكسر فيهن.

(٢) الكشف (٤٨/١٦).

(٣) المحرر الوجيز (٤٢٨/٨).

السفهاء الذين في طاعتك»<sup>(١)</sup>، ويعتقد أن ذلك الجنّي الذي بالوادي يحميه.

﴿بَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ضمير الفاعل: للجن، وضمير المفعول: للإنس، والمعنى: أن الجن زادوا الإنس ضلّالًا وإثمًا لما عاذوا بهم، أو زادوهم تخويفًا لما رأوا ضعف عقولهم. وقيل: ضمير الفاعل: للإنس، وضمير المفعول: للجن، والمعنى: إن الإنس زادوا الجن تكبرًا وطغيانًا لما عاذوا بهم، حتى كان الجنّي يقول: أنا سيد الجن والإنس.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ الضمير في ﴿ظَنُّوا﴾ لكفار الإنس، و ﴿ظَنَنْتُمْ﴾ خطاب الجن بعضهم لبعض، فالمعنى: أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدًا. والبعث هنا يحتمل أن يريد به: بعث الرسل، أو البعث من القبور.

﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْتَهَا مُلَيَّتٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ هذا إخبار عما حدث عند مبعث النبي ﷺ من منع الجن من استراق السمع في السماء ورجمهم بالنجوم.

واللمس: المس، واستعير هنا للطلب. والحرس: اسم مفرد في معنى الحُرَّاس، كالخُدَم في معنى الخُدَّام، ولذلك وُصِفَ بشديد وهو مفرد. ويحتمل أن يريد به: الملائكة الحُرَّاس، أو النجوم الحارسة، وكرر الشهب؛ لاختلاف اللفظ.

﴿وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسَعِ﴾ المقاعد: جمع مقعد، وقد فسر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدًا فوق واحد، فمتى أُحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها، ثم يزيد الكهان للكلمة مئة كذبة<sup>(٢)</sup>.

﴿بِمَنْ يَسْتَنصِحُ الآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ الرَّصَد اسم جمع للراصد<sup>(٣)</sup>، كالحرس للحارس، وقال ابن عطية: هو مصدر وُصف به<sup>(٤)</sup>، ومعناه: مُنتظر.

(١) أخرجه الطبري (٣٢٢/٢٣) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٠٠) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) في أ، ب، هـ: «للوّاحد».

(٤) المحرر الوجيز (٤٣١/٨).

قال بعضهم: إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ، واختار ابن عطية والزمخشري: أنه كان قبل المبعث قليلاً، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية<sup>(١)</sup>.

والدليل أنه كان قبل المبعث: قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى كوكباً انقضى: «ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول «وُلد ملك أو مات ملك»، فقال رسول الله ﷺ: «ليس الأمر كذلك»، ثم وصف استراق الجن للسمع<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم.

﴿وَإِنَّا لَا نَذَرُهُ أَشْرًا ارِيدَ بِسِ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، قال ابن عطية: معناه لا ندرى أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا، أو يكفرون به فينزل بهم الشر؟<sup>(٣)</sup> وقال الزمخشري: معناه: لا ندرى هل أراد الله بأهل الأرض خيراً أو شراً من عذاب أو رحمة، أو من خذلان أو توفيق؟

﴿وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: منا قوم دون ذلك، فحذف الموصوف، وأراد به: الذين ليس صلاحهم كاملاً، أو الذين ليس لهم صلاح، فإن «دون» قد تكون بمعنى «أقل»، أو بمعنى «غير».

﴿كُنَّا طَرَائِقَ فِدْدَاءٍ﴾ الطرائق: المذاهب والسير وشبهها، والقَدَد: المختلفة، وهو جمع قَدَّة. وهذا بيان للقسم المذكورة قبل، وهو على حذف مضاف؛ أي: كنا ذوي طرائق، أو كنا في طرائق.

﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ الظن هنا: بمعنى العلم. قال ابن عطية: هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم<sup>(٤)</sup>، ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٣٠)، والكشاف (١٦/٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢٩) عن ابن عباس ؓ.

(٣) المحرر الوجيز (٨/٤٣١).

(٤) المحرر الوجيز (٨/٤٣٢).

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدْيَ﴾ يعنون: القرآن.

﴿بَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهْفًا﴾ البخس: النقص والظلم، والرهق: تحميل ما لا يطاق. وقال ابن عباس رضي الله عنه: البخس: نقص الحسنات، والرهق: الزيادة في السيئات <sup>(١)</sup>.

﴿وَمِمَّا أَلْقَسَطُونَ﴾ يعني: الظالمين، يقال قَسَطَ الرجل: إذا جار، وأقسط - بالالف -: إذا عدل. وهاهنا انتهى ما حكاه الله من كلام الجن.

وأما قوله: ﴿بِمَنْ أَسْلَمَ فَأَوْزُكِيكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ فيحتمل أن يكون من بقية كلامهم، أو يكون ابتداء كلام الله تعالى، وهو الذي اختاره ابن عطية <sup>(٢)</sup>.

وأما قوله: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقْنُوا﴾ فهو من كلام الله باتفاق، وليس من كلامهم.

﴿تَحَرَّوْا﴾ أي: قصدوا الرشد.

﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقْنُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ الماء الغدق: هو الكثير، وذلك استعارة في توسيع الرزق. والطريقة: هي طريقة الإسلام وطاعة الله، فالمعنى: لو استقاموا على ذلك لوسّع الله أرزاقهم، فهو كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرْيَاءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الاعراف: ٩٥].

وقيل: هي طريقة الكفر، والمعنى على هذا: لو استقاموا على الكفر لوسّع الله عليهم في الدنيا؛ إملاء لهم واستدراجاً، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِفَتْنَتِهِمْ فِيهِ﴾، والأول أظهر.

والضمير في ﴿اسْتَقْنُوا﴾ يحتمل أن يكون: للمسلمين، أو للقاسطين المذكورين، أو لجميع الجن، أو للجن الذين استمعوا للنبي ﷺ <sup>(٣)</sup>، أو لجميع الخلق.

﴿لِفَتْنَتِهِمْ فِيهِ﴾ إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة: فمعنى الفتنة: الاختبار هل يشكرون أم لا؟ وإن كانت الطريقة الكفر: فمعنى الفتنة: الإضلال والاستدراج.

﴿تَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ معنى ﴿تَسْلُكُهُ﴾: ندخله. والصَّعد: الشديد المشقة، وهو مصدر

(١) أخرجه الطبري (٣٣٢/٢٣)، وابن أبي حاتم (٣٣٧٨/١٠).

(٢) المحرر الوجيز (٤٣٣/٨).

(٣) في د، هـ: «النبي».

صَعِدَ يَصْعَدُ، ووصف بالمصدر للمبالغة، يقال: فلان في صَعَدٍ؛ أي: في مشقة، وقيل: صَعَدٌ: جبل في النار<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله، وروي: أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة<sup>(٢)</sup>، وقيل: أراد الأعضاء التي يُسَجَدُ عليها، واحداها مَسْجَدٌ -بفتح الجيم-، وهذا بعيد. وعطف ﴿أَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ على ﴿أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ إِسْتَمَعَ﴾. وقال الخليل: معنى الآية: لأن المساجد لله لا تدعوا مع الله أحداً؛ أي: لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله، فالعامل في ﴿أَنَّ﴾: ﴿لَا تَدْعُوا﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ هنا: محمد ﷺ، ووصفه بالعبودية؛ اختصاصاً له وتقريباً<sup>(٣)</sup> وتشريفاً. وقال الزمخشري: إنما سماه هنا ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾، ولم يقل الرسول أو النبي؛ لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه؛ لأنه مما أوحى إليه، فذكر النبي ﷺ نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل<sup>(٤)</sup>. وهذا الذي قاله بعيد، مع أنه إنما يتمكن على قراءة ﴿أَنَّهُ لَمَّا قَامَ﴾ بفتح الهمزة، فيكون عطفاً على ﴿أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ إِسْتَمَعَ﴾، وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف: فيكون إخباراً من الله، أو من جملة كلام الجن، فيبطل ما قاله.

﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ اللَّبَدُ: الجماعات، واحداها لِبْدَةٌ. والضمير في ﴿كَادُوا﴾ يحتمل أن يكون للكفار من الناس، أي: كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره، أو يكون للجن الذين استمعوا، أي: كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن، والتبرُّك به.



(١) في هـ: «جهنم».

(٢) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٤٣٤).

(٣) في هامش د: «نخ: وتكريماً».

(٤) الكشف (١٦/ ٦٤).

قَالَ إِنَّمَا أَذْعُوا رَبِّي وَلَا اشْرِكْ بِهِ أَحَدًا ﴿١﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٣﴾ إِلَّا بَلَّغَا مِنَ اللَّهِ مَا رَسَلْتَنِي بِهِ \* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْغَلْمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٥﴾ قُلْ إِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ مِمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٦﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٧﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٨﴾ لَيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولِي رَبِّيهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْبَسَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٩﴾

﴿١﴾ مُلْتَحَدًا: أي: ملجأ.

﴿٢﴾ «إِلَّا بَلَّغَا» بدل من «مُلْتَحَدًا»؛ أي: لا أجد ملجأً<sup>(١)</sup> إلا بلاغ الرسالة<sup>(٢)</sup>، أو بدل من «ضَرًّا وَلَا رَشَدًا»: أي: لا أملك شيئاً إلا بلاغ الرسالة، ويحتمل أن يكون استثناء منقطعاً<sup>(٣)</sup>.

﴿٣﴾ «مِّنَ اللَّهِ» قال الزمخشري: هذا الجار والمجرور ليس بصلة لبلاغ، إنما هو بمعنى: بلاغاً كائنًا من الله<sup>(٤)</sup>. ويحتمل عندي: أن يكون متعلقاً بـ«بَلَّغَا»، والمعنى: بلاغ عن الله. ﴿وَرَسَلْتَنِي بِهِ﴾ قال الزمخشري: إنه معطوف على «بَلَّغَا»، كأنه قال: إلا التبليغ والرسالة<sup>(٥)</sup>. ويحتمل أن يكون «وَرَسَلْتَنِي بِهِ» معطوفاً على اسم الله<sup>(٦)</sup>.

(١) في ب، هـ: «منجى».

(٢) فيكون استثناء متصل، أي: لن يجيرني من الله أحد إلا بلاغاً، فإنني إن بلغت رحماني بذلك وعصمني، والإجارة مستعارة للبلاغ؛ إذ هو سبب إجارة الله تعالى ورحمته. انظر: المحرر الوجيز (٤٣٧/٨)، والدر المصون (٥٠١/١٠).

(٣) قال في الدر المصون (٥٠١/١٠): «أي: لكن إن بلغت عن الله رحماني؛ لأن البلاغ من الله لا يكون داخلاً تحت قوله: «ولن أجد من دونه ملتحداً»؛ لأنه لا يكون من دون الله، بل يكون من الله وبإعانتة وتوقيفه».

(٤) الكشف (٧٠/١٦).

(٥) الكشف (٧٠/١٦).

(٦) قال في البحر المحيط (٢٩/٢١): «أي: إلا أن أبلغ عن الله وعن رسالته».

﴿وَمَنْ يَغْصُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جمع ﴿خَالِدِينَ﴾ على معنى ﴿مَنْ يَغْصُ﴾؛ لأنه في معنى الجمع. والآية في الكفار، وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين؛ لأن مذهبهم خلودهم في النار. والدليل على أنها في الكفار وجهان:

أحدهما: أنها مكية، والسور المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر: دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلقت ﴿حَتَّىٰ﴾ بقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ وجعلت غاية لذلك، والمعنى: أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون، قال ذلك الزمخشري، وقال أيضًا: يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل عليه المعنى، كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون<sup>(١)</sup>، وهذا أظهر.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيتهُ أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ﴾ ﴿إِنْ﴾ هنا نافية، والمعنى: قل: لا أدري أقرب ما توعدون أم بعيد، وعبر عن بعده بقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾. ويعني بـ﴿مَا تُوْعَدُونَ﴾: قتلهم بيد، أو يوم القيامة.

﴿فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ أي: لا يُطلع على علم الغيب أحدًا إلا من ارتضى، وهم الرسل؛ فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك. و﴿مَنِ﴾ في قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ لبيان الجنس، لا للتبعض. والرسول هنا يحتمل أن يراد به: الرسل من الملائكة، وعلى هذا حملها ابن عطية<sup>(٢)</sup>، أو الرسل من بني آدم، وعلى هذا حملها الزمخشري<sup>(٣)</sup>، واستدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفة بالغيوب؛ فإن الله خصّ الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم. وفيها أيضًا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعي أهلها الاطلاع على الغيب؛ لأنهم ليسوا من الرسل.

(١) الكشاف (٧١/١٦).

(٢) المحرر الوجيز (٤٣٨/٨).

(٣) الكشاف (٧٣/١٦).

﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ المعنى: أن الله يسلك من بين يدي الرسول ومن خلفه ملائكة يكونون رصداً يحفظونه من الشياطين<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا ﴿رَصَدًا﴾ في هذه السورة. قال بعضهم: ما بعث الله رسولاً إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة<sup>(٢)</sup> ربه.

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ في الفاعل بـ ﴿يَعْلَمَ﴾ ثلاثة أقوال:

الأولى: أي: ليعلم الله أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم، أي: يعلمه موجوداً، وقد كان علم ذلك قبل كونه.

الثاني: ليعلم محمد أن الملائكة الرصد قد أبلغوا رسالات ربهم.

الثالث: ليعلم من كفر أن الرسل قد أبلغوا الرسالة، والأول أظهر.

وجمع الضمير في ﴿أَبْلَغُوا﴾ وفي ﴿رَبِّهِمْ﴾ حملاً على المعنى؛ لأن ﴿مَنْ لِرَبِّهِمْ﴾ يراد به جماعة.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع. وهذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾؛ لأن معناه أنه قد علم، قال ذلك ابن عطية<sup>(٣)</sup>، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال.

﴿وَأَخْبَنِي كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ هذا عموم في جميع الأشياء. و﴿عَدَدًا﴾ منصوب على الحال، أو تمييز، أو مصدر من معنى ﴿أَخْبَنِي﴾.



(١) في أ، ب، ج: «الشیطان».

(٢) في ج: «رسالات».

(٣) المحرر الوجيز (٨/٤٣٨).



## سُورَةُ الْمُرْمَلِ

يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ فَمِ الْبَيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ۝ يَضْفَعُهُ أَوْ أَنْفَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْفُرْعَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَظَنًا وَأَقْوَمُ فِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَاذْكُرْ إِسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا ۝ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ السَّمَاءُ مِنْقَطِرٌ بِرَبِّهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ هَٰذَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝

١-٣ ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾ نداء للنبي ﷺ، ووزن ﴿الْمُرْمَلُ﴾ مُتَفَعِّل فأصله: مُتَزَمِّل، ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي. وفي تسمية النبي ﷺ بالمزمل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متزملًا في كساء أو لحاف، والتزمل: الالتفاف في الثياب بضم وتشمير، هذا قول عائشة رضي الله عنها <sup>(١)</sup> والجمهور.

الثاني: أنه كان قد تزل في ثيابه للصلاة.

الثالث: أن معناه المتزمل للنبوة، أي: المشمر، المُجِدُّ في أمرها.

والأول هو الصحيح؛ لما ورد في البخاري ومسلم: أن رسول الله ﷺ لما جاءه الملك

(١) لم أقف عليه، وذكر العلبي (٢٧/٤٦٩) والزمخشري في الكشاف (٨٠/١٦) أن قول عائشة رضي الله عنها: أن المزمل هو المتزمل في ثيابه للصلاة، وهو القول الثاني الذي ذكره المصنف هنا، وانظر: الدر المنثور (٣٦-٣٧/١٥).

وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلى خديجة ترعد فرائصه، فقال: «زملوني زملوني»، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾<sup>(١)</sup>، وعلى هذا نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْجِلُ﴾، فالتزمّل<sup>(٢)</sup> على هذا: تزمّله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاء جبريل عليه السلام. وقال الزمخشري: كان نائماً في قطيفة فنودي ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْجِلُ﴾؛ ليُهَجَّنَ<sup>(٣)</sup> إليه الحالة التي كان عليها من التزمّل في القطيفة؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل<sup>(٤)</sup>. وهذا القول بعيد غير سديد. وقال السهيلي: في ندائه بالمزمل فائدتان:

إحدهما: الملاطفة، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي: «قم أبا تراب»<sup>(٥)</sup>.

والفائدة الأخرى: التنبيه لكل متمزمل راقد بالليل؛ ليتنبّه إلى ذكر الله؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة<sup>(٦)</sup>.

﴿فَمِ اللَّيْلِ﴾ هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب؟ فعلى القول بالندب: هو ثابت غير منسوخ، وأما على القول بالوجوب: ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه فرض على النبي ﷺ وحده، ولم يزل فرضاً عليه حتى توفي.

الثاني: أنه فرض عليه وعلى أمته، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآية، وصار تطوعاً، هذا قول عائشة رضي الله عنها<sup>(٧)</sup> وهو الصحيح. واختلف كم بقي فرضاً؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: عاماً<sup>(٨)</sup>، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: عشرة أعوام، فالآية الناسخة على هذا مدنية.

(١) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) في ب، هـ: «فالتزمّل».

(٣) أي: يقبّح، والتهجين: التقييح. القاموس المحيط (هـ ج ن).

(٤) الكشاف (٧٧/١٦).

(٥) أخرجه البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٦) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٥٥-٣٥٦).

(٧) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٨) في الأثر السابق.

الثالث: أنه فرض عليه ﷺ وعلى أمته، وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله، إلا ما تيسر منه، وهو مذهب الحسن وابن سيرين<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يَضْفَعُ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ في معنى هذا الكلام أربعة أقوال:

الأول - وهو الأشهر والأظهر - أن الاستثناء من الليل، وقوله: ﴿يَضْفَعُ﴾ بدل من ﴿الَيْلِ﴾، أو من: «قليل»، وجعل النصف قليلاً بالنسبة إلى الجميع، والضميران في: ﴿يَضْفَعُ مِنْهُ﴾، و﴿زِدْ عَلَيْهِ﴾ عائدان على النصف. والمعنى: أن الله خيرَه بين ثلاثة أحوال، وهي: أن يقوم نصف الليل، أو ينقص من النصف قليلاً، أو يزيد<sup>(٢)</sup> عليه.

القول الثاني: قال الزمخشري: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من النصف، كأنه قال: «نصف الليل إلا قليلاً»<sup>(٣)</sup>. فخيرَه على هذا بين حالتين، وهما: أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿أَوْ يَضْفَعُ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ قد تضمن معنى النقص من النصف؛ فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف.

القول الثالث: قال الزمخشري أيضاً: يجوز أن يريد بقوله: ﴿يَضْفَعُ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ نصف النصف، وهو الربع، ويكون الضمير في قوله: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ يعود على ذلك؛ أي: زد على الربع فيكون ثلثاً<sup>(٤)</sup>. فالتخير على هذا: بين قيام النصف أو الثلث أو الربع، وهذا أيضاً بعيد.

القول الرابع: قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها، والمراد بـ﴿الَيْلِ﴾ على هذا: الليالي، فهو جنس<sup>(٥)</sup>، وهذا بعيد؛ لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدل ذلك على أن المراد بالقليل المستثنى بعض أجزاء الليل، لا بعض الليالي.

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٧١).

(٢) في أ، ج، هـ: «يزاد».

(٣) الكشف (١٦/٨٣).

(٤) الكشف (١٦/٨٧).

(٥) المحرر الوجيز (٨/٤٤١).

فإن قيل: لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال: ﴿أَوْ نَقُصُّ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ وأطلق في الزيادة فقال: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل «قليلًا»؟

فالجواب: أن الزيادة تحسن فيها الكثرة؛ فلذلك لم يقيدها بالقلة، بخلاف النقص، فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرًا.

﴿وَرَتَّلِ لِقُرْءَانٍ تَرْتِيلًا﴾ الترتيل: هو التمهّل والمدّ وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك مُعينٌ على التفكّر في معاني القرآن، بخلاف الهذّ الذي لا يفقه صاحبه ما يقول، وكان رسول الله ﷺ يُقَطِّعُ قراءته حرفًا حرفًا، ولا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمرُّ بآية عذاب، إلا وقف وتعوذ<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا سَنُلْقِيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هذه الآية اعتراض بين آيات قيام الليل. والقول الثّقل: هو القرآن، واختلف في وصفه بالثّقل على خمسة أقوال:

أحدها: أنه سمي ثقيلاً؛ لما كان النبي ﷺ يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه، حتى إن جبينه ليتفصد<sup>(٢)</sup> عرقاً في اليوم الشديد البرد<sup>(٣)</sup>، وقد كان يثقل جسمه ﷺ بذلك حتى إنه إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت به، وأوحى إليه وفخذه على فخذه زيد بن ثابت ﷺ فكادت أن تُرَضَّ فخذه زيد<sup>(٤)</sup>، والثقل على هذا: حقيقة.

الثاني: أنه ثقیل على الكفار بإعجازه ووعيده.

الثالث: أن ثقیل في الميزان.

الرابع: أنه كلام له وزنٌ ورجحان.

الخامس: أنه ثقیل لما تضمّن من التكاليف والأوامر والنواهي، وهذا اختيار ابن عطية<sup>(٥)</sup>، وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية قيام الليل؛ لمشقته.

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢) عن حذيفة ؓ.

(٢) في ب، ج، هـ: «يتفصد».

(٣) أخرجه البخاري (٢) عن عائشة ؓ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٣٢).

(٥) المحرر الوجيز (٨/٤٤٢).

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ في الناشئة سبعة أقوال:

الأول: أنه النفس الناشئة بالليل؛ أي: التي تنشأ<sup>(١)</sup> من مضجعها وتقوم للصلاة.

الثاني: الجماعة الناشئة الذين يقومون للصلاة.

الثالث: العبادة الناشئة بالليل؛ أي: تحدث فيه.

الرابع: الناشئة: القيام بعد النوم، فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة<sup>(٢)</sup>.

الخامس: الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء.

السادس: الناشئة بين المغرب والعشاء.

السابع: ناشئة الليل: ساعاته كلها.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ يَحْتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ:

أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي، ومنه قول النبي ﷺ: «اللهم أشدد وطأتك على مضر»<sup>(٣)</sup>، والأثقل أعظم أجراً، فالمعنى: تحريض على قيام الليل؛ لكثرة الأجر.

الثاني: أشد ثبوتاً؛ من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس، ويقرب هذا من معنى «أَقْوَمُ فَيْلاً». وقرئ «وِطَاءً» بكسر الواو على وزن فَعَالٍ<sup>(٤)</sup>، ومعناه: موافقة؛ أي: يوافق القلبُ اللسانَ بحضور<sup>(٥)</sup> الذهن.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ السَّبْحُ هنا: عبارة عن التصرف في الأشغال، والمعنى: يكفيك النهار للتصرف في أشغالك، وتفرغ بالليل لعبادة ربك. وقيل: المعنى: إن فاتك شيء من صلاة الليل فاخلفه بالنهار؛ فإنه طويل يسع فيه ذلك.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَ رَبِّكَ﴾ قيل: معناه قل: «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول صلاتك،

(١) في أ، هـ: «تنشوا»!

(٢) في ب: «ناشئة الليل»، وفي د: «ناشئة».

(٣) أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) عن أبي هريرة ؓ.

(٤) قرأ كذلك أبو عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون «وِطَاءً».

(٥) في د: «الحضور».

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده، وقيل: التبتل: رفض الدنيا. و﴿تَبْتِيلًا﴾ مصدرٌ على غير الصذر<sup>(١)</sup>.

﴿بَاتِخِذْهُ وَكِيلًا﴾ الوكيل: هو القائم بالأمور، والذي تُوكَّل إليه الأشياء، فهو أمرٌ بالتوكل على الله.

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: على ما يقول الكفار، والآية منسوخة بالسيف، وقيل: إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله تعالى: ﴿وَاهْجُزْهُمْ هَاجِرًا جَمِيلًا﴾، وأما الصبر فمأمور به في كل وقت.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا تهديد لهم، وانتصب ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ على أنه مفعول معه، أو معطوف.

﴿أُولَئِكَ التَّنَعَمُ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: التنعم في الدنيا. وروي أن الآية نزلت في بني المغيرة<sup>(٢)</sup>، وهم قوم من قریش كانوا متنعمين في الدنيا.

﴿أَنكَالًا﴾ جمع نكل، وهو القيد من الحديد، ويروى أنها قيود سود من نار<sup>(٣)</sup>.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يعني: شجرة الزقوم، ومعنى ﴿ذَا غُصَّةٍ﴾: يَغْصُ به؛ أي: يَخْتَنِق، وقيل: هو شوك من نار يعترض في حلوقهم<sup>(٤)</sup> لا ينزل ولا يخرج، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فصُعق<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر التعليق عند تفسير الآية (٣٧) من سورة آل عمران.

(٢) ذكره مقاتل بن سليمان كما في تفسيره (٤٧٦/٤)، وعزاه إليه الواحدي في البسيط (٣٧٢/٢٢).

(٣) أخرجه الطبري (٣٨٤/٢٣) عن حماد.

(٤) في د: «حلوقهم».

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (٨٧)، ومحمد بن نصر (مختصر قيام الليل للمقرئ ١٤٥)، والطبري (٣٨٥/٢٣)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣٦٧/٣) عن حمران بن أعين عن النبي ﷺ مرسلاً، قال ابن رجب: «إسناده ضعيف مرسل، وحمران ضعيف» (مجموع رسائل ابن رجب ١١٣/٤)، وضعفه ابن حجر في نتائج الأفكار (١٩٩/٣).

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾ أي: تهتز وتزلزل. والعامل في ﴿يَوْمَ﴾: معنى الكلام المتقدم، وهو ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾.

﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَغَيْبٍ مَهِيلاً﴾ الكثيب: كُدُس الرمل، والمهيل: اللين الرخو الذي تهيله<sup>(١)</sup> الريح أي: تنشره<sup>(٢)</sup>، وزنه مفعول. والمعنى: أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ خطاب لجميع الناس؛ لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة. وقال الزمخشري: هو خطاب لأهل مكة<sup>(٣)</sup>.

﴿شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية. وإنما يشهد على من أدركه؛ لقوله ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّفِيبَ عَلَيْهِمْ﴾» [المائدة: ١١٧] <sup>(٤)</sup>.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني: موسى ﷺ، وهو المراد بقوله: ﴿بَعَصْبِي فِرْعَوْنُ الرَّسُولُ﴾ فاللام للعهد.

﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: غليظًا شديدًا.

﴿يَوْمًا﴾ مفعول به، وناصبه: ﴿تَتَّقُونَ﴾ أي: كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم، وقيل: هو مفعول به<sup>(٥)</sup>، على أن يكون ﴿كَفَرْتُمْ﴾ بمعنى: جحدتم، وقيل: هو ظرف؛ أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة. ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره: اذكر، أو قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾.

﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿الْوِلْدَانُ﴾ جمع وليد، وهو الطفل الصغير. والشَّيب - بكسر الشين -: جمع أشيب، ووزنه فُعْل بضم الفاء، وكسرت لأجل الياء. و﴿يَجْعَلُ﴾ يحتمل أن يكون

(١) في أ، هـ: «تثيرة»، في ب، ج: «تنشيره».

(٢) قوله «أي: تنشره» لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

(٣) الكشف (١٠٠/١٦).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أي: مفعول به «كفرتم». الكشف (١٠٠/١٦).

مسنداً إلى الله تعالى، أو إلى اليوم.

والمعنى: أن الأطفال يشيرون يوم القيامة، فقيل: إن ذلك حقيقة، وقيل: إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل: إنه عبارة عن طوله.

﴿السَّمَاءُ مُنْبَطِرٌ بِهِ﴾ الانفطار: الانشقاق. والضمير المجرور يعود على اليوم؛ أي: تنفطر<sup>(١)</sup> السماء بشدة هوله، ويحتمل أن يعود على الله؛ أي: تنفطر<sup>(٢)</sup> بأمره وقدرته، والأول أظهر. و﴿السَّمَاءُ﴾ مؤنثة، وجاء ﴿مُنْبَطِرٌ﴾ بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقي، أو على الإضافة، تقديره: ذات انفطار، أو لأنه أراد السقف.

﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ الضمير في ﴿وَعْدُهُ﴾ يحتمل أن يعود على اليوم، أو على الله، والأول أظهر؛ لأنه ملفوظ به.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد.

﴿بِمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يريد: سبيل التقرب إلى الله، ومعنى الكلام: حصص على ذلك وترغيب فيه.



(١) في د، هـ: «تنفطر».

(٢) في د، هـ: «تنفطر».



﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنُصْفِهِ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّخْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّجِدْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل. ومعناها: إن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قيامًا مختلفًا، مرة يكثر ومرة يقل؛ لأنكم لا تقدرון على إحصاء أوقات الليل وضبطها، فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله، فخفف عنكم وأمركم أن تقرأوا ما تيسر من القرآن.

﴿وَنُصْفِهِ وَثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ من قرأهما بالخفض<sup>(١)</sup>: فهو عطف على ﴿ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾؛ أي: تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه ومن ثلثه، ومن قرأ بالنصب: فهو عطف على ﴿أَدْنَىٰ﴾؛ أي: تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة.

﴿وَطَائِفَةٌ﴾ يعني: المسلمين، وهو معطوف على الضمير الفاعل في ﴿تَقُومُ﴾.

﴿عَلِمَ أَن لَّنْ نَّخْصُوهُ﴾ الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام؛ أي: لن تحسبوا تقدير الليل، وقيل: معناه: لن تطيقوه؛ أي: لن تطيقوا قيام الليل كله.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن التخفيف، كقوله: ﴿إِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة: ١٣]. ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: إذا لم تقدرُوا على قيام الليل كله، فقوموا بعضه، واقرأوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، وهذا الأمر للندب.

وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور<sup>(٢)</sup>.

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بالخفض، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) المحرر الوجيز (٨/٤٤٧).

وقال قوم - منهم الحسن وابن سيرين - : هو فرض لا بد منه ولو أقل ما يمكن، حتى قال بعضهم: من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر.

وقيل: كان فرضاً ثم نسخ بالصلوات الخمس.

وقال بعضهم: هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم.

﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾ ذكر الله في هذه الآية الأعذار التي <sup>(١)</sup> لبني آدم تمنعهم من قيام الليل، فمنها: المرض، ومنها: السفر للتجارة وهي الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله، ومنها: الجهاد، ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيداً للأمر به، أو تأكيداً للتخفيف، وهذا أظهر؛ لأنه ذكره بإثر الأعذار.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يعني: المكتوبتين.

﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ معناه تصدقوا، وقد ذكر في «البقرة» <sup>(٢)</sup>.

﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ نصب «خَيْرٌ»؛ لأنه مفعول ثانٍ لـ «تَجِدُوهُ»، والضمير فضّل.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ قال بعض العلماء: إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية، وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً <sup>(٣)</sup>.



(١) في دزيادة: «تكون».

(٢) انظر تفسير الآية (٢٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٥٩١) عن ثوبان رضي الله عنه.

## سورة المدثر

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ فَمَ بَأْذَنَرُ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ بَكِّيرُ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ بِطَهَرُ ﴿٤﴾ وَالرِّجَزَ بِاهْجُرُ ﴿٥﴾ وَلَا  
تَمُتْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ قَاصِرُ ﴿٧﴾ إِذَا نَفَرَ فِي الْغَافِرِ ﴿٨﴾ بِذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَاسِرُ ﴿٩﴾  
عَلَى الْكَبِيرِ عَيْرٌ يَسِيرُ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ﴿١٢﴾  
وَبَيْنَ شُهُوداً ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَظْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِينَا  
عَيْنِدَا ﴿١٦﴾ سَاهِفُهُ صَعُوداً ﴿١٧﴾ إِنَّهُ بَكْرٌ وَقَدَرُ ﴿١٨﴾ بِفَتِلٍ كَيْفَ قَدَرُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ فُتِلَ كَيْفَ  
قَدَرُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾  
إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَاطِلِيهِ سَفَرُ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَذْرِيكَ مَا سَفَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْفِيهِ وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾  
لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿٣٠﴾ \* وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا  
جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْفِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
وَالْكَاظِمُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا  
يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ وزنه: مُتَفَعَّلٌ، ومعناه: الذي تدثر في كساء أو ثياب، وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا في موضعه.

وقال السهيلي: في ندائه بـ «الْمَدَّثِرُ» ثلاث فوائد: الاثنان اللتان ذكرتا في «المزمل»، وفائدة ثالثة؛ وهي: أن العرب يقولون: «الندير العريان»، للندير الذي يكون في غاية الجد والتشمير، والندير<sup>(١)</sup> بالثياب ضد هذا، فكانه تنبيه على ما يجب من التشمير<sup>(٢)</sup>.

(١) في ب: «التدثر»، وفي ج: «والمدثر»

(٢) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٥٧-٣٥٨).

وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن، والصحيح أن سورة «اقرأ» نزلت قبلها.

﴿فَمَّا بَأْنِذِرْ﴾ أي: أنذر الناس، وهذه بعثة عامة.

﴿وَرَبَّكَ بِكَرْبٍ﴾ أي: عظمه. ويحتمل أن يريد قول: «الله أكبر»، ويؤيد ذلك: ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن المسلمين قالوا: بم نفتتح صلاتنا؟ فنزلت: ﴿وَرَبَّكَ بِكَرْبٍ﴾<sup>(١)</sup>. وقول: ﴿رَبَّكَ بِكَرْبٍ﴾ من المقلوب الذي يُقرأ من أوله وآخره.

﴿وَتِيَابِكَ بِطَهْرٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة، واختلف على هذا: هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة؟ أو على الندب فتكون سنة؟ والآخر: أنه يراد به: الطهارة من الذنوب والعيوب، فالثياب على هذا: مجاز. الثالث: أن معناه: لا تلبس الثياب من مكسب خبيث.

﴿وَالرَّجْزَ بَاهْجَزٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الأول: أن الرّجز: الأوثان، روي ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، وهو قول عائشة رضي الله عنها<sup>(٣)</sup>. والآخر: أن الرّجز: السُّخْط والعذاب، وهذا أصله في اللغة، فمعناه: اهجر ما يؤدي إليه ويوجب. الثالث: أنه المعاصي والفجور، قال بعضهم: كل معصية رجز.

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ يحتمل قوله: ﴿تَمْنُنْ﴾ أن يكون من معنى العطاء، أو معنى المنّ، وهو ذكر العطاء وشبهه، أو معنى الضّعف.

فإن كان من العطاء ففيه وجهان: أحدهما: أن معناه: لا تعط شيئاً لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم<sup>(٤)</sup>: هذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأئمة. والآخر: لا تعط الناس عطاء وتستكثره؛ فإن الكريم يستقل ما يُعطي وإن كان كثيراً.

(١) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٦٤/١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٥)، ومسلم (١٦١) من حديث جابر رضي الله عنه، وفي بعض طرقه «قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان»، فيكون هذا من تفسير أبي سلمة وليس من تفسير النبي ﷺ، وجاء عند الحاكم (٢٩٩٣) وصححه تفسير الرجز بالأوثان مصرحاً برفعه.

(٣) لم أقف عليه من قول عائشة رضي الله عنها، وأخرجه الطبري (٤١٠/٢٣) من طريق علي عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) قاله الضحاك كما في تفسير الطبري (٤١٥/٢٣).

وإن كان من المَنِّ بالشيء ففيه وجهان: الأول: لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه. الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب. وإن كان من الضعف: فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك.

﴿وَلَرَبِّكَ قَاضٍ﴾ أي: اصبر لوجهه وطلب رضاه. ويحتمل أن يريد الصبر على المكاره والمصائب، أو على إذابة الكفار له، أو على العبادة.

﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ يعني: نُفخ في الصور، ويحتمل أن يريد: النفخة الأولى، أو الثانية.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ هذا وعيد وتهديد، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق.

وفي معنى ﴿وَحِيدًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: روي أنه كان يلقب الوحيد<sup>(١)</sup>؛ أي: لا نظير له في ماله وشرفه، فكونه وحيداً نعمة عددها الله عليه. الثاني: أن معناه: خلقته منفرداً ذليلاً. الثالث: أن معناه: خلقته وحدي، فـ ﴿وَحِيدًا﴾ على هذا من صفة الله تعالى، وإعراجه على هذا: حال من الضمير الفاعل في قوله: ﴿خَلَقْتُ﴾، وهو على القولين الأولين: حال من الضمير المفعول.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ أي: كثيراً، واختلف في مقداره؛ ف قيل: ألف دينار، وقيل: عشرة آلاف. وقيل: يعني: الأرض؛ لأنها ممددة.

﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ أي: حضوراً، وروي أنه كان له عشرة من الأولاد<sup>(٢)</sup> - وقيل: ثلاثة عشر - لا يفارقونه. وأسلم منهم ثلاثة، وهم: خالد، وهشام، وعمارة<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الثعلبي (٤٨/٤١) والواحدي في البسيط (٤١٨/٢٢) عن ابن عباس ؓ.

(٢) في ب، د، هـ: «الولد».

(٣) ذكره الثعلبي (٤٨/٤٤) عن مقاتل، وتبعه الزمخشري في الكشاف (١٦/١٢٠)، وقال الطيبي في حاشيته على الكشاف: «يفهم منه أن الوليد بن الوليد لم يسلم، والرواية بخلاف»، ونقل عن ابن عبد البر في الاستيعاب ما يثبت إسلامه، وأنه لم يذكر عمارة في كتابه أصلاً. وأورد ابن حجر في الإصابة (٨/٤١٩) نقل الثعلبي عن مقاتل هذا ثم تعقبه بقوله: «والصواب: خالد وهشام والوليد، فأما عمارة فإنه مات كافراً».

- ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَنْهِيدًا﴾ أي: بسطت له في الدنيا بالمال والعزة وطيب العيش.
- ﴿ثُمَّ يَظْمَعُ أَنْ أَرِيدَ﴾ أي: يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله، وهذه غاية الحرص.
- ﴿كَأَنَّ﴾ زجر عما طمع فيه من الزيادة.
- ﴿عَنِيدًا﴾ أي: معاندًا مخالفًا. والآيات هنا: يراد بها القرآن؛ لأن الوليد قال فيه: إنه سحر، ويحتمل أن يريد الدلائل.
- ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ الصَّعُود: العقبة الصعبة، روي عن النبي ﷺ أنها عقبة في جهنم، كلما صعد بها الإنسان ذاب ثم يعود<sup>(١)</sup>. فالمعنى: سأشقى عليه بتكليفه الصَّعُود فيها.
- ﴿إِنَّهُ بَكَرَ وَقَدَّرَ﴾ أي: ﴿بَكَرَ﴾ فيما يقول، ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقول في القرآن؛ أي: هيأ كلامه. روي أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم، ودخل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فعاتبه أبو جهل، وقال له: إن قريشًا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد، وما يخلصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولًا يرضيهم، فافتش وقال: أفعل ذلك، ثم فكر فيما يقول في القرآن فقال: أقول شعر؟ ما هو شعر، أقول كاهن؟ ما هو بكاهن، أقول: إنه سحر وإنه قول البشر؛ أي: ليس منزلاً من عند الله<sup>(٢)</sup>.
- ﴿بَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاء عليه وذم، وكرره تأكيداً لذمه وتقبيح حاله.
- قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه: استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن، فيكون قوله: ﴿قِيلَ﴾ لا يراد به الدعاء عليه، وإنما هو كقولهم: «قاتل الله فلاناً ما أشجعه!»، يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٤٣/٤٢٧)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٨٣)، والطبراني في الأوسط (٥/٣٦٦) عن عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعاً، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٧٧) بالعوفي، وقال الطبراني: «لم يرفع هذا الحديث عن عمار الدهني إلا شريك، ورواه سفيان بن عيينة، عن عمار الدهني، فوقفه»، وأخرجه موقوفاً من هذا الطريق ابن المبارك في الزهد (٢/٩٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (٣/٣٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (٤٣/٤٢٩) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الحاكم (٣٨٧٢) وقال: «سحيح على شرط البخاري» ووافقه الذهبي، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) المحرر الوجيز (٨/٤٥٧).

وقال الزمخشري: يحتمل أن يكون ثناءً عليه على طريقة الاستهزاء، أو حكايةً لقول قريش؛ تهكمًا بهم<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي: نظر في قوله، وقدّر ما يقول.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ البُسور: هو تقطيب الوجه، وهو أشد من العبوس. وفعل ذلك من حسده للنبي ﷺ، أو عبس في وجهه ﷺ، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول.

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ أي: أعرض عن الإسلام.

﴿سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ أي: يُنقل عن من تقدم.

﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا سَفَرٌ﴾ تعظيم لها وتهويل.

﴿لَا تُبْفِى وَلَا تَذَرُ﴾ مبالغة في وصف عذابها؛ أي: لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياه، أو<sup>(٢)</sup> لا تبقي شيئاً ألقى فيها إلا أهلكته، وإذا أهلك<sup>(٣)</sup> لم تذر هالكاً بل يعود إلى العذاب. ﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ معنى ﴿لَوَاحَةٌ﴾: مغيرة، يقال: لاحه السفر وغيره: إذا غير، والبشر: جمع بشرة، وهي الجلد، فالمعنى: أنها تحرق الجلود وتسودها.

وقيل: ﴿لَوَاحَةٌ﴾: من لاح: إذا ظهر، والبشر: الناس؛ أي: تلوح للناس، وقال الحسن: تلوح لهم من مسيرة خمس مئة عام<sup>(٤)</sup>.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ يعني: الزبانية خزنة جهنم، ف قيل: هم تسعة عشرة ملكاً، وقيل: تسعة عشر صفّاً، وقيل: تسعة عشر صفّاً من الملائكة، والأول أشهر.

(١) الكشاف (١٦/١٢٥).

(٢) في ب، ج، د، هـ: «و».

(٣) في ب: «أهلكته».

(٤) قول الحسن ذكره الثعلبي (٢٨/٥٩) وليس فيه التحديد بمسيرة خمس مئة عام، ولكن ذكر هذا التحديد ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/٤٥٩) بعد ذكره لقول الحسن، فقال: «فالمعنى: أنها تظهر للناس وهم البشر من مسيرة خمس مئة عام»، وهذا التحديد ذكره الواحدي في البسيط (٢٢/٤٣٥) عن عطاء عن ابن عباس ؓ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ الْبَارِ إِلَّا مَكِيدَةً﴾ سبب هذه الآية: أنه لما نزل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل لقريش: أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به؟ فنزلت الآية<sup>(١)</sup>. ومعناها: أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم. وروي: أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: جعلناهم هذا العدد ليفتنن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم، ويقولوا ما قالوا.

﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ﴾ أي: يعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد ﷺ من عدد ملائكة النار حق؛ لأنه موافق لما في كتبهم.

﴿وَلَا يَزْتَابُ﴾ أي: لا يشك ﴿الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أن ما قاله محمد ﷺ حق. فإن قيل: كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين، والمعنى واحد وهو تكرار؟ فالجواب: أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يُستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن، فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال. وقال الزمخشري: ذلك مبالغة وتأکید<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ المرض: عبارة عن الشك، وأكثر ما يطلق ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ على المنافقين.

فإن قيل: هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه: يقول المنافقون إذا حدثوا، ففيه إخبار بالغيب. والآخر: أن يريد: من كان بمكة من أهل الشك.

وقولهم: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ استبعاداً لأن يكون هذا من عند الله.

(١) أخرجه الطبري (٤٣٦/٢٣) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

(٢) أخرجه ابن مردويه - كما في الدر المنثور (٨٠/١٥) - عن ابن عباس ؓ، وأخرجه الثعلبي (٦٠/٢٨) عن ابن جرير قال: حدثت حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ.. وذكره، قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٤١/٤): «غريب».

(٣) الكشاف (١٣٥-١٣٦).



﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يَحْتَمِلُ الْقَصْدُ بِهَذَا وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: وَصَفَ جُنُودَ اللَّهِ بِالْكَثْرَةِ؛ أَي: هُمْ مِنْ كَثْرَتِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ. وَالْآخَرُ: رَفَعَ اعْتِرَاضَ الْكُفَّارِ عَلَى التَّسْعَةِ عَشْرَةِ أَي: لَا يَعْلَمُ أَعْدَادَ جُنُودِ اللَّهِ إِلَّا هُوَ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ عِدَدًا قَلِيلًا وَمِنْهُمْ عِدَدًا كَثِيرًا حَسَبَ مَا أَرَادَ اللَّهُ.

﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ الضَّمِيرُ لْجَهَنَّمَ، أَوْ لِلآيَاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ.



كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٢﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣﴾ إِنَّهَا لَإِخْدَى الْكُبَرِ ﴿٤﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٥﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴿٧﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٨﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٩﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿١٠﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِيِّينَ ﴿١١﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ﴿١٢﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِيضِينَ ﴿١٣﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١٤﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَفِينَ ﴿١٥﴾ بِمَا تَنْبَغُهُمْ شِجْعَةُ السَّمْعِينَ ﴿١٦﴾ بِمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿١٧﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿١٨﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿١٩﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ فِرْعَوْنٍ مِثْلَهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحْبًا مُنْشَرَّةً ﴿٢٠﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٢٢﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٢٣﴾ وَمَا تُذَكِّرُونَ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٢٤﴾

﴿٢١﴾ كَلَّا﴾ ردع للكفار عن كفرهم. وقال الزمخشري: هي إنكار لأن يكون لهم ذكرى<sup>(١)</sup>.

﴿٢٢﴾ إِذَا أَدْبَرَ﴾ أي: ولَّى. وقرئ ﴿دَبَرَ﴾ بغير ألف<sup>(٢)</sup>، والمعنى واحد، وقيل: معناه: دبر الليل النهار؛ أي: جاء في دبره.

﴿٢٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ أي: أضاء، ومنه الإسفار بصلاة الصبح.

﴿٢٤﴾ إِنَّهَا لَإِخْدَى الْكُبَرِ﴾ الضمير لجنهم، أو للآيات والنذارة؛ أي: هي من الأمور العظام. و﴿الْكُبَرِ﴾ جمع كُبرى، وقال ابن عطية: جمع كبيرة<sup>(٣)</sup>، والأول هو الصحيح.

﴿٢٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ تمييز، أو حال من ﴿إِخْدَى الْكُبَرِ﴾. وقيل: النذير هنا: الله، فالعامل فيه على هذا محذوف، وهذا ضعيف. وقيل: هو حال من أول السورة؛ أي: «قم فأنذر نذيرًا»، وهذا بعيد، قال الزمخشري: هو من بدع التفاسير<sup>(٤)</sup>.

(١) الكشاف (١٦/١٣٨).

(٢) قرأ نافع وحمة وحفص عن عاصم ﴿إِذَا﴾ بإسكان الدال ﴿أَدْبَرَ﴾ بهمزة مفتوحة وإسكان الدال، وقرأ الباقون ﴿إِذَا﴾ بآلف بعد الدال ﴿دَبَرَ﴾ بفتح الدال من غير همز قبلها.

(٣) المحرر الوجيز (٨/٤٦٢).

(٤) الكشاف (١٦/١٤٠).

﴿لَسْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ التَّقدُّمُ: عبارة عن سلوك طريق الهدى، والتأخُّرُ ضده، و﴿لَسْ شَاءَ﴾ بدل من البشر، أي: هم متمكِّنون من التقدم أو التأخر.

وقيل: معناه الوعيد، كقوله: ﴿بَسْ شَاءَ قُلُوبُكُمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وعلى هذا أعرب الزمخشري ﴿أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ مبتدأ و﴿لَسْ شَاءَ﴾ خبره<sup>(١)</sup>. والأول أظهر.

﴿رَهِيْنَةً﴾ قال ابن عطية: الهاء في ﴿رَهِيْنَةً﴾ للمبالغة، أو على تأنيث النفس<sup>(٢)</sup>. وقال الزمخشري: ليست بتأنيث «رهين»؛ لأن فعلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنى الرهن؛ أي: كل نفس رهنٌ عند الله بعملها<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ﴾ أي: أهل السعادة؛ فإنهم فكُّوا رقابهم بأعمالهم الصالحة، كما يفكُّ الراهن رهنه بأداء الحق. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أصحاب اليمين: هم الأطفال<sup>(٤)</sup>؛ لأنهم لا أعمال لهم يُرْتَهَنون بها. وقال ابن عباس عليه السلام: هم الملائكة<sup>(٥)</sup>.

﴿يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يسأل بعضهم بعضاً عن حال المجرمين الذين في النار.

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ أي: ما أدخلكم النار؟ وهذا خطاب للمجرمين، يحتمل أن خاطبهم به: المسؤولون<sup>(٦)</sup>، أو الملائكة. فأجابوهم بقولهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وما بعده، أي: هذا هو الذي أوجب دخولهم النار. وإنما أخرج التفسير بيوم الدين؛ تعظيماً له؛ لأنه أكبر جرائمهم.

﴿نَخْرُصُ﴾ الخوض: هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه.

(١) الكشاف (١٦/١٤٠).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٤٦٤).

(٣) الكشاف (١٦/١٤١-١٤٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/٤٤٩)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٨٥)، وابن أبي شيبة (٣٥٦٥٢)، والحاكم (٣٨٧٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/٤٥٠).

(٦) في د: «المسلمون»، والمثبت هو الموافق لعبارة الكشاف (١٦/١٤٣).

﴿حَتَّىٰ أَتَيْنَا آلِ يُفَيْسَ﴾ هو الموت عند المفسرين، وقال ابن عطية: إنما اليقين الذي أرادوا: ما كانوا يكذبون به في الدنيا، فيتيقنوه بعد الموت<sup>(١)</sup>.

﴿فَمَا تَنْبَغُهُمْ شَفَعَةُ الشَّاهِدِينَ﴾ إنما ذلك لأنهم كفار، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد في الكفار. وجمع ﴿الشَّاهِدِينَ﴾ دليل على كثرتهم، كما ورد في الآثار: «يشفع<sup>(٢)</sup> الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحون»<sup>(٣)</sup>.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِيرَةِ مُغْرِضِينَ﴾ يعني: كفار قريش.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ المستنفرة بفتح الفاء<sup>(٤)</sup>: التي استنفرتها الفزع، وبالكسر: بمعنى النافرة. شبه الكفار بالحمير<sup>(٥)</sup> النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام، ويعني: حمير الوحش.

﴿وَبَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ ابن عباس رضي الله عنه: القسورة: الرماة<sup>(٦)</sup>، وقال أيضاً: هو الأسد<sup>(٧)</sup>، وقيل: أصوات الناس، وقيل: الرجال الشداد، وقيل: سواد أول الليل.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحْبًا مُّنْشَرَةً﴾ المعنى: يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتاب من عند الله. ومعنى ﴿مُنْشَرَةً﴾: منشورة غير مطوية؛ أي: طرية كما كتبت لم تطو بعد، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء فيها<sup>(٨)</sup>: «من رب العالمين إلى فلان بن فلان» نؤمر باتباعك.

(١) المحرر الوجيز (٨/٤٦٥).

(٢) في ب، د: «تشفع».

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) بلفظ: «يشفع النبيون والملائكة والمؤمنون» في حديث أبي سعيد رضي الله عنه الطويل، وأخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) بلفظ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء» وتقدم تخريجه.

(٤) قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء، وقرأ الباقر بالكسر.

(٥) في د: «بالحمر».

(٦) أخرجه الطبري (٤٥٥/٢٣).

(٧) أخرجه الطبري (٤٦٠/٢٣).

(٨) في ب، د: «فيه».

﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه.

﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: هذه هي العلة والسبب في إعراضهم.

﴿كَلَّا﴾ تأكيد للردع الأول، أو ردع عن عدم خوفهم للآخرة.

﴿إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ الضمير لما تقدم من الكلام، أو للقرآن بجملته.

﴿بِمَسْ شَاءَ ذِكْرُهُ﴾ فاعل ﴿شَاءَ﴾ ضمير يعود على ﴿مَسْ﴾ ، وفي ذلك حُضُّ وترغيب،

وقيل: الفاعل هو الله، ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله.

﴿وَأَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: هو أهلٌ لأن يُتَّقَى؛ لشدة عقابه، وهو أهل لأن يغفر

الذنوب؛ لكرمه وسعة رحمته وفضله.



## سورة الفيمّة

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْفَيْمَةِ ۖ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ أَيَحْسِبُ الْإِنْسَنُ أَلَّا نَجْمَعَ  
عِظَامَهُ ۖ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوَّىٰ بَنَاتُهُ ۖ بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَنُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ ۖ  
يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْفَيْمَةِ ۖ إِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ  
يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْقَمَرُ ۖ كَلَّا لَا وَزَرَ ۖ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۖ يَنْبَوُّ  
الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۖ بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۖ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِرَهُ ۖ  
لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَفِرْعَانَهُ ۖ إِذَا فَرَّأْتَهُ فَاتَّبِعْ فَرْعَانَهُ  
ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۖ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ  
نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ۖ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۖ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۖ

﴿لَا أَقْسِمُ﴾ في الموضعين: معناه أقسم، و﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد القسم، وقيل: هي استفتاح كلام بمنزلة: «ألا»، وقيل: هي نفى لكلام الكفار.

﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب، أو التقصير في الطاعة؛ فإن النفوس على ثلاثة أنواع: فخيرها: النفس المطمئنة. وشرها: النفس الأمارة بالسوء. وبينهما: النفس اللوامة.

وقيل: اللوامة: هي المذمومة الفاجرة، وهذا بعيد؛ لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات، ويستقيم إن كان ﴿لَا أَقْسِمُ﴾ نفياً للقسم.

﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَنُ أَلَّا نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ الإنسان هنا: للجنس، والإشارة به إلى الكفار المنكرين للبعث، ومعناه: أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب؟ وهذه

الجملة هي التي تدل على جواب القسم المتقدم<sup>(١)</sup>.

﴿بَلَى﴾ تقديره: نجمعها.

﴿قَادِرِينَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في ﴿نَجْمَعُ﴾ ، والتقدير: نجمعها ونحن قادرون.

﴿عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَاءُهُ﴾ البنان: الأصابع، وفي المعنى قولان:

أحدهما: أنه إخبار بالقدرة على البعث؛ أي: قادرين على أن نسوي أصابعه؛ أي: نخلقها بعد فنائها مستويةً متقنة، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء؛ لدقة عظامها وتفرقها.

والآخر: أنه تهديد في الدنيا؛ أي: قادرين أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة، كيد الحمار وخف الجمل، فلا يمكنه تصريف يديه في منفعه، والأول أليق بسياق الكلام.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَنُ لِيَفْجَرَهُ أَمَامَهُ﴾ هذه الجملة معطوفة على ﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَنُ﴾، ويجوز أن تكون استفهاماً مثلها، أو تكون خبراً. وليست ﴿بَلْ﴾ هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله؛ وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده. و﴿يَفْجَرُ﴾ معناه: يفعل أفعال الفجور.

وفي معنى ﴿أَمَامَهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عبارة عما يستقبل من الزمان، أي: يفجر بقية عمره. الثاني: أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته، يقال: مشى فلان قدامه: إذا لم يرجع عن شيء يريده. والضمير على هذين القولين: يعود على الإنسان. الثالث: أن الضمير يعود على يوم القيامة، والمعنى: يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة.

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿أَيَّانَ﴾ معناها: «متى». وهذا السؤال عن يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد له.

﴿بَرَقَ الْبَصَرُ﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة، وقيل: عن حالة الموت، وهذا خطأ؛ لأن

(١) وتقديره: لتبعثن. الكشف (١٦/ ١٥٧).

القمر لا يخسف عند موت أحد، ولا يجمع بينه وبين الشمس.

و﴿بَرَقَ﴾ بفتح الراء<sup>(١)</sup>: معناه لمع وصار له بريق، وقُرى بكسر الراء، ومعناه تحير من الفزع، وقيل: معناه: شَخَصَ، فيتقارب معنى الفتح والكسر.

﴿وَحَسَفَ الْقَمَرَ﴾ ذهب ضوؤه، يقال: خسف هو، وخسفه الله. والخسوف للقمر، والكسوف للشمس، وقيل: الكسوف: ذهاب بعض الضوء، والخسوف: ذهاب جميعه، وقيل: هما بمعنى واحد.

﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ﴾ في جمعهما ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما يُجمعان حيث يُطلعهما الله من المغرب. والآخر: أنهما يُجمعان يوم القيامة، ثم يُقذف بهما في النار - وقيل: في البحر -، فتكون النار الكبرى. الثالث: أنهما يجمعان<sup>(٢)</sup> فيذهب ضوءهما.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي: لا ملجأ ولا مُغيث.

﴿يَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: بجميع أعماله ما قدَّم منها في أول عمره وما أخَّر في آخره، وقيل: ما قدم في حياته وما أخَّر من سُنة أو وصية بعد مماته، وقيل: ما قدم من المعاصي وأخر من الطاعات، وقيل: ما قدم لنفسه من ماله وما أخَّر منه لورثته.

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه شاهدٌ على نفسه بأعماله؛ إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة.

والآخر: أنه حجة بينة؛ لأن خلقته تدل على خالقه، فوصف بالبصارة مجازاً؛ لأن من نظر فيه أبصر الحق.

والأول البق بما قبله وما بعده، كأنه قال: ينبأ الإنسان يومئذ بأعماله، بل هو يشهد بأعماله وإن لم يُنبأ بها، وكذلك يلتئم مع قوله: ﴿وَلَوْ الْفِتْنَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾، ويكون هو جواب ﴿لَوْ﴾ حسبما نذكره.

(١) قرأ نافع بفتح الراء، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) في د: «يجتمعان».



﴿وَلَوْ أَلْفَيْ مَعَاذِيرَةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المعاذير: الأعذار؛ أي: الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها.

والآخر: أن المعاذير: الشُّتور؛ أي: أن الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ الضمير في ﴿بِهِ﴾ يعود على القرآن، دلت على ذلك قرينة الحال. وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه؛ مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن يُنصت ويستمع<sup>(١)</sup>، وقيل: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك، وشق عليه، فنزلت الآية، والأول هو الصحيح؛ لأنه ورد في البخاري وغيره.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره، فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله. ويحتمل ﴿قُرْآنَهُ﴾ هنا وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة، فإن القرآن قد يكون مصدرًا من قرأت.

والآخر: أن يكون معناه: تأليفه في صدره، فهو مصدر من قولك: قرأت الشيء أي: جمعته.

﴿بِإِذَا قُرْآنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي: إذا قرأه جبريل ﷺ. فجعل قراءة جبريل قراءة الله؛ لأنها من عنده. ومعنى ﴿اتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ استمع قراءته واتبعها بذهنك؛ لتحفظها، وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي: علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه، وقيل: علينا أن نبين معانيه وأحكامه. فإن قيل: ما مناسبة قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآية، لما قبلها؟ فالجواب: أنه لعله نزل معه في حين واحد، فجعل على ترتيب النزول.

(١) أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨) عن ابن عباس ؓ.

﴿بَلْ تُجِئُونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم في حب الدنيا، و﴿كَلَّا﴾ ردع عن ذلك.

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ بالضاد أي: ناعمة، ومنه ﴿نَضْرَةٌ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤].

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هذا من النظر بالعين، وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة، وهو مذهب أهل السنة. وأنكره المعتزلة، وتأولوا ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بأن معناه: مُنتظرة، وهذا باطل؛ لأن «نظر» بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر، تقول: نظرتك أي: انتظرتك، وأما المتعدي بـ«إلى» فهو من نظر العين، ومنه قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٣].

وقال بعضهم: «إلى» هنا ليست بحرف جر، وإنما هي واحد «الآلاء» بمعنى النعم، وهذا تكلف في غاية البعد.

وتأوله الزمخشري: بأن معناه كقول الناس: «فلان ناظر إلى فلان» إذا كان يرتجيه ويتعلق به<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد.

وقد جاء عن النبي ﷺ في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتل التأويل، فهي تفسير للآية.

﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي: عابسة تظهر عليها الكآبة، والبُسور: أشد من العبوس.

﴿تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا بَافِرَةٌ﴾ أي: مصيبة قاصمة الظهر. والظن هنا يحتمل أن يكون: على أصله، أو بمعنى اليقين.



كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَافِيَ ﴿١٦﴾ وَفِيلٌ مِّن رَّاءٍ ﴿١٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿١٨﴾ وَالتَّتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿١٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٢٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَبِيٌّ ﴿٢١﴾ وَلَكِنَّ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٢٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٢٣﴾ أَوْلَى لَكَ فَأُولَى ﴿٢٤﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأُولَى ﴿٢٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٢٦﴾ أَلَمْ يَكْ نُظْمِةً مِّن مَّيِّ تُمْنِي ﴿٢٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْفَةً فَخَلَقَ بَسَوًى ﴿٢٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٢٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقْدِيرٍ عَلَيَّ أَن يُخْصِيَ الْمَوْتَى ﴿٣٠﴾

﴿١٦﴾ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَافِيَ﴾ يعني: حالة الموت. و﴿التَّرَافِيَ﴾: جمع تَرْقُوة، وهي عظام أعلى الصدر. والفاعل بـ﴿بَلَغَتِ﴾: نفس الإنسان، دل على ذلك سياق الكلام، وهو عبارة عن حال الحشرة وسياق الموت.

﴿١٧﴾ وَفِيلٌ مِّن رَّاءٍ﴾ أي: قال أهل المريض: مَنْ يَرْقِيهِ عَسَى أَن يَشْفِيَهُ؟ وقيل: معناه: أن الملائكة تقول: مَنْ يَرْقِي بروحه؟ أي: يصعد بها إلى السماء؟ فالأول من الرقية، وهو أشهر وأظهر، والثاني من الرقي، وهو العلو.

﴿١٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي: تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله. ﴿١٩﴾ وَالتَّتَمَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ هذه عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته، أي: التفت ساقه على الأخرى عند السَّاقِ، وقيل: هو مجاز، كقولك: «كشفت الحرب عن ساقها»: إذا اشتدت، وقيل: معناه: ماتت ساقه فلا تحمله، وقيل: التفت: أي: لفها الكفن إذا كُفِّن. وفي قوله: ﴿السَّاقُ﴾ و﴿الْمَسَاقُ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿٢٠﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ هذا جواب ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَافِيَ﴾. و﴿الْمَسَاقُ﴾ مصدر من السَّوق، كقوله: ﴿وَالَى اللَّهُ الْمَصِيرَ﴾.

﴿٢١﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَبِيٌّ﴾ «لا» هنا نافية، و﴿صَدَقَ﴾ هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله، أو من الصدقة. ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل<sup>(١)</sup>.

﴿٢٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ أي: يتبختر في مشيه<sup>(٢)</sup>، وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء، وكانت هذه

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢٤).

(٢) في ب: «مشيته».

المشيّة معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم.

﴿أُولَئِكَ﴾ وعيد وتهديد.

﴿فَأُولَئِكَ﴾ وعيد ثان، ثم كرر ذلك تأكيداً. ويروى أن رسول الله ﷺ لَبَّ<sup>(١)</sup> أبا جهل وقال له: «إن الله يقول لك: أولئ لك فأولئ». فنزل القرآن بموافقة ذلك<sup>(٢)</sup>.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ هذا توبيخ، ومعناه: أيعظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء، فهو كقوله: ﴿أَبَحْسَبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْتَكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٦]. والإنسان هنا: جنس، وقيل: نزلت في أبي جهل، ولا يبعد أن يكون سببها خاصاً ومعناها عامٌ.

﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنِيٍّ﴾ النطفة: النقطة، و﴿تُمْنِيٍّ﴾: من قولك: أمني الرجل. ومعنى الآية: الاستدلال بخليقة الإنسان على بعثه، كقوله: ﴿قُلْ يُخَيِّبُهَا الَّذِينَ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨]. والعَلَقَةُ: الدُم؛ لأن المنيّ يصير في الرحم دمًا.

﴿فَخَلَقَ بَشَرًا فُسْوًى﴾ أي: خلقه الله بشراً فسوياً صورته؛ أي: أتقنها.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيِّبَ الْمُتَوْتِيَّ﴾ هذا تقرير واحتجاج. وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: «بلى»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «سبحانك اللهم بلى»<sup>(٤)</sup>.

(١) أي: جمع ثيابه عند نحره في الخصومة، ثم جرّه. القاموس المحيط (ل ب ب).

(٢) أخرجه الطبري (٥٢٥/٢٣) عن قتادة مرسلاً، وأخرج النسائي في الكبرى (١١٥٧٤) والحاكم (٣٨٨١) وصححه ووافقه الذهبي، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس ؓ: «أولئ لك فأولئ» أشيء قاله رسول الله ﷺ أو شيء أنزله الله؟ قال: «قاله رسول الله ﷺ»، ثم أنزله الله.

(٣) أخرجه أحمد (٧٣٩١)، وأبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٧) عن أعرابي عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة، وأخرجه الحاكم (٣٨٨٢) عن أبي اليسع عن أبي هريرة ؓ، وصححه ووافقه الذهبي، قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند بتحقيقه (١٩٨/٧): «أبو اليسع هذا الذي سماه يزيد بن عياض في روايته عن إسماعيل بن أمية عند الحاكم: رجل مجهول قال الذهبي في الميزان (٣/٣٨٨)، وتبعه الحافظ في لسان الميزان (٦/٤٥٤): «لا يدرى من هو» والسند بذلك مضطرب»، فمن عجب بعد ذلك أن يوافق الذهبي على تصحيح الحاكم إياه دون تعقيب!

(٤) أخرجه أبو داود (٨٨٤) عن موسى بن أبي عائشة عن رجل، وسكت عنه، قال ابن كثير في تفسيره (٨/٢٨٤): «ولم يسم هذا الصحابي، ولا يضر ذلك»، وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى (١/٣٩٠): «هذا مرسل»، وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٥٠): «وموسى بن أبي عائشة ثقة مخرج له في الصحيح، لكنه وصف بكثرة الإرسال».

## سُورَةُ الْاِنْسَانِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِّنْ نُّطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِمَّنْ كَانَتْ مِرَاجِحُهُمْ كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوحِهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا ﴿١١﴾ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٢﴾ وَذَانِبَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا ﴿١٣﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ بَضْعَةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٤﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ بَضْعٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٥﴾ وَيُسْفَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِرَاجِحُهَا رَنْجَبِيلًا ﴿١٦﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَبَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٧﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مَّخْلُودُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴿١٨﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعًا أُسُورٌ مِّنْ بَضْعٍ وَسَقْبِهِمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿٢١﴾

﴿١﴾ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿هَلْ﴾ هنا بمعنى التقرير، لا لمجرد الاستفهام، وقيل: هي بمعنى «قد». و﴿الْإِنْسَانِ﴾ هنا: جنس، والحين الذي أتى عليه: حين كان معدومًا قبل أن يخلق. وقيل: الإنسان هنا: آدم ﷺ، والحين الذي أتى عليه: حين كان طينًا قبل أن ينفخ فيه الروح، وهذا ضعيف لوجهين:

أحدهما: قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وهو هنا جنس باتفاق؛ إذ لا يصح هذا في آدم ﷺ.

والآخر: أن مقصد الآية تحقير الإنسان.

﴿مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: أخلط، واحدها: مَشَجٌ بفتح الميم والشين، وقيل: مَشَجٌ بوزن: عَذَلٍ. وقال الزمخشري: ليس ﴿أَمْشَاجٍ﴾ بجمع، وإنما هو مفرد كقولهم: «بُرْمَةٌ أعشارٌ»، ولذلك وقع صفة للمفرد<sup>(١)</sup>.

واختلف في معنى الاختلاط هنا، ف قيل: اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وقيل: اختلاط ماء الرجل والمرأة، وروي أن عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة<sup>(٢)</sup>، وقيل: معناه: ألوان وأطوار، أي: يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة.

﴿نَبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره، وهذه الجملة في موضع الحال، أي: خلقناه مبتلين له. وقيل: معناه: نَصْرِفُهُ في بطن أمه نطفة ثم علقة.

﴿وَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ هذا معطوف على ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، وَمَنْ جَعَلَ ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ بمعنى نصرفه في بطن أمه: فهذا عطف عليه. وقيل: إن ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ مؤخر في المعنى؛ أي: جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه، وهذا تكلف بعيد.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي: سبيل الخير والشر، ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين: شاكِرٍ وكفورٍ، وهما حالان من الضمير في ﴿هَدَيْنَاهُ﴾. والهدى هنا: بمعنى بيان الطريقين، ومَوْهَبَةٌ<sup>(٣)</sup> العقل الذي يميز به بينهما، ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد؛ أي: هَدَى

(١) الكشف (١٨٢/١٦)، وانظر التعليق على تفسير الآية رقم (٢٢) من سورة الزمر.

(٢) في المحرر الوجيز (٤٨٦/٨): «وأسند الطبري حديثاً... وذكره، ولم أقف عليه في تفسير الطبري، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ كما في الدر المنثور (١٤٩/١٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٦١/٧)، وأبو يعلى في مسنده - كما في تفسير ابن كثير (٢٧٤/٥) - عن جابر ﷺ مرفوعاً في ضمن حديث طويل، وضعفه ابن كثير.

(٣) في د: «وهو هبة».

المؤمن للإيمان والكافر للكفر، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٧]<sup>(١)</sup>.

﴿سَلْسِلًا﴾ من قرأه بغير تنوين<sup>(٢)</sup>: فهو الأصل؛ إذ هو لا ينصرف؛ لأنه جمع لا نظير له في الأحاد، ومن قرأ بالتنوين: فله ثلاثة توجيهات:

أحدها: أنها لغة لبعض العرب، يصرفون كل ما لا ينصرف إلا «أفعل».

والآخر: أن النون بدل من حرف الإطلاق، وأجرى الوصل مجرى الوقف.

والثالث: أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر، قد عود لسانه صرف ما لا ينصرف، فجرى على ذلك.

﴿الْأَبْرَارَ﴾ جمع بارٍّ أو برٍّ، ومعناه: العاملون بالبر، وهو غاية التقوى والعمل الصالح، حتى قال بعضهم: الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر<sup>(٣)</sup>.

﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ ذكر في «الصفات»<sup>(٤)</sup> معنى الكأس، و «مِنْ» هنا يحتمل أن تكون: للتبعض، أو لابتداء الغاية.

﴿مِرَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي: تمزج الخمر بالكافور، وقيل: المعنى: أنه كافور في طيب رائحته، كما تمدح طعامًا فتقول: هذا مسك.

(١) [التعليق ١٠٨] قال الشيخ عبد الرحمن المبرك: قول المؤلف ﷺ: «وَيَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ...»، إلخ: أقول: يريد: أن الهدى في قوله: «هَدَيْتُهُ»، يحتمل أن يكون بمعنى: أرشدناه؛ فإن كان الإرشاد عنده بمعنى: دللناه، فهو بمعنى البيان؛ وهو المعنى الأول الذي ذكره المؤلف. وإن كان بمعنى: دعوانه إليه، فلا يصح؛ فإنه تعالى لا يدعو إلا إلى سبيل الحق، وطريق الخير. وعلى هذا: فالصواب: أن «الهدى» بمعنى البيان، وهو المعنى الأول الذي قدمه المؤلف. وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]؛ أي: الهدى والضلال، والكفر والإيمان؛ كلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ؛ أي: بقدره ومشيته، وهذا هو معنى الإيمان بالقدر خيره وشره. وقوله: «وَمَوْهِيَةِ الْعَقْلِ الَّذِي يُعَيِّزُ بِهِ بَيْنَهُمَا»، لعله يريد: أن العقل مما يميز بين طريق الخير وطريق الشر، لا أنه يستقل بذلك، بل التمييز التام بين الطريقين إنما يكون بما بعث الله به رسوله من الهدى وبين الحق: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

(٢) قرأ نافع وهشام عن ابن عامر وشعبة عن عاصم بالتنوين، وقرأ الباقر بغير تنوين.

(٣) قال ذلك الحسن البصري، أورده بإسناده الإمام أحمد في الزهد (٦٣٢)، والطبري في تفسيره (٢٠٦/٢٤).

(٤) انظر تفسير الآية (٤٥).

﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿كَافُورًا﴾ على القول بأن الخمر تمزج بالكافور. وبدل من موضع ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ على القول الآخر، كأنه قال: يشربون خمراً خمراً عين. وقيل: هو مفعول بـ ﴿يَشْرَبُونَ﴾، وقيل: منصوب بإضمار فعل<sup>(١)</sup>.

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية: الباء زائدة، والمعنى: يشربها<sup>(٢)</sup>، وهذا ضعيف؛ لأن الباء إنما تزداد في مواضع ليس هذا منها، وإنما هي كقولك: «شربت الماء بالعسل»؛ لأن العين المذكورة يمزج بها الكأس من الخمر.

﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ وصفهم بالعبودية فيه معنى التقريب والاختصاص، كقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: يُجْرُونَهَا<sup>(٣)</sup> حيث شاؤوا من منازلهم تفجيراً سهلاً لا يصعب عليهم. وفي الأثر أن في قصر النبي ﷺ في الجنة عيناً تنفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين<sup>(٤)</sup>.

﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي: منتشرًا شائعاً، ومنه: «استطار الفجر»: إذا انتشر ضوؤه.

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامًا﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطرتهم ليأكلوه جاء مسكين فدفعوه له، وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرتهم جاء يتيم فدفعوه له، وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرتهم جاء أسير فدفعوه له، وباتوا طاوين<sup>(٥)</sup>. والآية على هذا مدنية؛ لأن علياً ﷺ إنما تزوج فاطمة ﷺ بالمدينة، وقيل: هي مكة، وليست في علي ﷺ.

(١) تقديره: أعني. المحرر الوجيز (٨/ ٤٨٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٤٨٨).

(٣) في أ، هـ: «يفجرونها»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٦/ ١٨٩).

(٤) أخرجه الثعلبي بإسناده (٢٨/ ٢٣٥) عن ابن عباس ﷺ في ضمن حديث طويل، وهو خير باطل، إسناده مظلم، فيه أبو الحسن بن مهران الباهلي، وهو ممن يضع الحديث (ميزان الاعتدال ٤/ ٤٥٥)، والقاسم بن بهرام، وهو متروك (الضعفاء والمتروكون ٣/ ٢٤٢)، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٩١) وقال: «وهذا حديث لا يشك في وضعه».

(٥) أخرجه الثعلبي في الأثر المتقدم، وقد تقدم أنه باطل.



﴿عَلَىٰ حَيْهٍ﴾ الضمير<sup>(١)</sup> للطعام؛ أي: يطعمونه مع حبه والحاجة إليه، فهو كقوله: ﴿لَسَ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩١] وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، ففي قوله: ﴿عَلَىٰ حَيْهٍ﴾ تميم، وهو من أدوات البيان. وقيل: الضمير لله، وقيل: للإطعام المفهوم من ﴿يُطْعَمُونَ﴾، والأول أرجح وأظهر.

﴿مُسْكِينًا وَبَيْتِيًّا وَأَسِيرًا﴾ قد ذكرنا المسكين<sup>(٢)</sup> واليتيم<sup>(٣)</sup>. وأما الأسير ففيه خمسة أقوال: أحدها: أن الأسير الكافر بين<sup>(٤)</sup> المسلمين، ففي إطعامه أجر؛ لأن في كل ذي كبد رطبة<sup>(٥)</sup> أجرًا، وقيل: نسخ ذلك بالسيف.

والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية.

والثالث: أنه المملوك.

والرابع: أنه المسجون.

والخامس: أنه المرأة؛ لقوله ﷺ «استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهنَّ عوانٍ عندكم»<sup>(٦)</sup>، وهذا بعيد.

والأول أرجح؛ لأنه روي أن النبي ﷺ كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له: «أحسن إليه»<sup>(٧)</sup>.

﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ عبارة عن الإخلاص لله، ولذلك فسّروه وأكّدوه<sup>(٨)</sup> بقولهم: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾. والشُّكْر: مصدر كالشكر. ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بالستهم، أو قالوه في نفوسهم، فهو عبارة عن النية والقصد.

(١) في أ، هـ: «عائده».

(٢) انظر تفسير الآية (٦٠) من سورة التوبة.

(٣) انظر تفسير الآية (٨٢) من سورة البقرة.

(٤) في ج: «بيد».

(٥) في ب، د: «رطب».

(٦) أخرجه الترمذي (١١٦٣) وصححه، والنسائي في الكبرى (٩١٢٤)، وابن ماجه (١٨٥١) عن عمرو بن الأحوص ر. ه. ومعنى قوله: «عوان عندكم» يعني: أسرى في أيديكم.

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٩١/١٦) عن الحسن مرسلاً، ولم أقف على إسناده.

(٨) في ب، د: «فسره وأكده».

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وَصَفُ الْيَوْمِ بِالْعَبُوسِ مَجَازٌ عَلَى وَجْهِينِ:

أحدهما: أن يصف اليوم بصفة أهله، كقولهم: «نهاره صائم» و«ليله قائم»، وروي أن الكافر يَعِيسُ يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران<sup>(١)</sup>.  
والآخر: أن يشبه في شدته بالأسد العبوس.

﴿فَنَظَرِيرًا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: معناه طويل<sup>(٢)</sup>، وقيل: شديد.

﴿وَلَقَبِيَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ النَّضْرَةُ: التَّعْنَمُ. وهذا في مقابلة عبوس الكافر. وقوله: ﴿وَفِيَهُمْ﴾ و﴿لَقَبِيَهُمْ﴾ من أدوات البيان، وهو<sup>(٣)</sup>.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم، حسبما ذكرنا من قصة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم<sup>(٤)</sup>. وقد ذكرنا ﴿أَلَا رَأَيْكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ عبارة عن اعتدال هوائها؛ أي: ليس فيها حر ولا برد. والزَمَهْرِيرُ: هو البرد الشديد، وقيل: هو القمر بلغة طيِّ، والمعنى على هذا: أن الجنة<sup>(٦)</sup> ضياءٌ؛ فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ معناه: أن ظلال الأشجار متدلّية<sup>(٧)</sup> عليهم، قريبة منهم؛ لأن الشيء المُظِلُّ إذا بَعُدَ فَتَرَ<sup>(٨)</sup> ظله. وإعراب ﴿دَانِيَةً﴾: معطوف على ﴿مُتَّكِئِينَ﴾، وقال الزمخشري: هو معطوف على الجملة التي قبلها، وهي ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾؛ لأن هذه جملة في حكم المفرد، تقديره: «غير رائيين فيها شمسًا ولا زمهريًا، ودانية»

(١) أخرجه الطبري (٢٣/٥٤٧) من رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/٥٤٩) من رواية علي عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) في جميع النسخ الخطية هنا بياض بمقدار كلمة تقريبًا ولعله المناسب أن يكتب مكانه: «التجنيس»، وانظر الباب العاشر من المقدمة المقدمة الثانية للكتاب.

(٤) تقدم أن القصة باطلة.

(٥) انظر تفسير الآية (٣١) من سورة الكهف، وتفسير الآية (٥٥) من سورة يس.

(٦) في د: «في الجنة».

(٧) في هامش د: «خ: مدنية».

(٨) في د: «بُعْد».

ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم، أي: جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال<sup>(١)</sup>. وقيل: هو صفة لـ ﴿جَنَّةٍ﴾، عطفت بالواو كقولك: «فلان عالم وصالح»، وقيل: هو معطوف عليها؛ أي: وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها.

﴿وَذَلَّلْتُ قُطُوفَهَا تَذِيلًا﴾ القطوف: جمع قِطْفٍ، وهو العنقود من النخل والعنب، وشبه ذلك، وتذليلها: هو أن تتدلَّى إلى الأرض. وروي أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أي حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع؛ لأنها تتدلَّى لهم كما يريدون<sup>(٢)</sup>. وهذه الجملة في موضع الحال من «دَانِيَةٍ»؛ أي: دانية في حال تذليل قُطُوفها، أو معطوفة عليها.

﴿بَيَانِيَّةٍ﴾ هي جمع إناء ووزنها أفْعلة. وقد ذكرنا الأكواب في «الواقعة»<sup>(٣)</sup>.

﴿قَوَارِيرًا﴾ القوارير: هي الزجاج. فإن قيل: كيف يتفق أنها زجاج مع قوله: ﴿مِنْ بَيْضَةٍ﴾؟ فالجواب: أن المراد: أنها في أصلها من فضة وهي تُشَبَّه الزجاج في صفاتها وشفيفها، وقيل: هي من زجاج، وجعلها من فضة على وجه التشبيه؛ لشرف الفضة وبياضها. ومن قرأ ﴿قَوَارِيرًا﴾ بغير تنوين<sup>(٤)</sup>: فهو على الأصل، ومن نَوَّنَه: فعلى ما ذكرنا في ﴿سَلَسِلًا﴾.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ هذه صفة للقوارير، والمعنى: قَدَّرُوهَا على قدر الأكْف، أو على قدر ما يحتاجون من الشرب، قال مجاهد: هي لا تَفِيض ولا تَغِيض<sup>(٥)</sup>، وقيل: قَدَّرُوهَا على حَسَب ما يشتهون. والضمير الفاعل في ﴿قَدَّرُوهَا﴾ يحتمل أن يكون للشاربين بها، أو للطائفين بها.

(١) الكشف (١٦/١٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/٢٣٣)، وابن أبي شيبه (٣٥٢٢٠)، وسعيد بن منصور - كما في فتح الباري (٨/٦٨٥) - والحاكم (٣٨٨٤) وصححه، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) انظر تفسير الآية (٢٠).

(٤) قرأ نافع وابن كثير والكسائي وشعبة عن عاصم «كانت قواريرًا» بالتنوين ويقفون بالالف، وقرأ الباقر بغير تنوين، ووقفوا بالالف إلا حمزة فإنه يقف بالالف مع إسكان الراء. وقرأ نافع والكسائي وشعبة عن عاصم «قوارير من» بالتنوين ووقفوا بالالف، وقرأ الباقر بغير تنوين ويقفون بغير ألف مع إسكان الراء، إلا هشامًا فإنه يقف عليه بالالف.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/٥٥٨)، وابن أبي شيبه (٣٦٦١١).

﴿مِرَاجُهَا رَنْجِيلاً﴾ هو كما ذكرنا في ﴿مِرَاجُهَا كَابُوراً﴾.

﴿سَلْسِيلاً﴾ معناه: أنه سلس منقاد الجزية، وقيل: سهل الانحدار في الحلق<sup>(١)</sup>. يقال: شرابٌ سلسل وسلسال وسلسيل: بمعنى واحد، وزيدت الباء في التركيب؛ للمبالغة في سلاسته، فصارت الكلمة خماسية. وقيل: «سل» فعل أمر و«سبيلاً» مفعول به، وهذا في غاية الضعف.

﴿وَلَدَنَّ مُخَلَّدُونَ﴾ ذكر في «الواقعة»<sup>(٢)</sup>.

﴿لَوْلُؤَا مَنُوراً﴾ شبههم باللؤلؤ: في الحسن<sup>(٣)</sup> والبياض، وبالمنثور منه: في كثرتهم وانتشارهم في القصور.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ مفعول ﴿رَأَيْتَ﴾ محذوف؛ ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يرى فيها، و﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان. وقال الفراء: تقديره: «إذا رأيت ما ثَمَّ»، ف«ما» مفعولة ثم حذفت. قال الزمخشري: هذا خطأ؛ لأن «ثَمَّ» صلة لـ «ما»، ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة<sup>(٤)</sup>.

﴿وَمَلَكاً كَبِيراً﴾ يعني: كثرة ما أعطاهم الله، حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه، حسبما ورد في الحديث<sup>(٥)</sup>. وقيل: أراد أن الملائكة تسلم عليهم، وتستأذن عليهم، فهم بذلك كالملوك.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ بسكون الياء<sup>(٦)</sup>: مبتدأ خبره: ﴿ثِيَابٌ سُندِسٌ﴾ أي: ما يعلوهم من الثياب ثيابٌ سندس. وقرئ بالنصب: على الحال من الضمير في ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أو في ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾، وقال ابن عطية: العامل فيه ﴿لَقَبْتَهُمْ﴾ أو ﴿جَزَيْتَهُمْ﴾، وقال أيضاً: يجوز أن

(١) في ج: «الحلق».

(٢) انظر تفسير الآية (١٩).

(٣) في ب: «اللون».

(٤) الكشاف (٢٠٣/١٦).

(٥) أخرجه البخاري (٧٥١١) ومسلم (١٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) قرأ نافع وحزمة بإسكان الياء، وقرأ الباقون بفتحها.

ينتصب على الظرف؛ لأن معناه: «فوقهم»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق<sup>(٢)</sup>. وقرئ: «خُضِرَ»: بالخفض<sup>(٣)</sup>: صفة لـ «سُنْدِسٍ»، وبالرفع: صفة لـ «ثِيَابٍ». و«إِسْتَبْرَقٌ»: بالرفع<sup>(٤)</sup>: عطف على «ثِيَابٍ»، وبالحفض: عطف على «سُنْدِسٍ».

«وَحَلُّوْا» وزنه: فَعْلُوْا، ومعناه: جُعل لهم حلِّي.

«أَسَاوِرَ مِنْ بِضَّةٍ» ذكرنا الأساور في «الكهف»<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: كيف قال هنا: «أَسَاوِرَ مِنْ بِضَّةٍ»، وفي موضع آخر: «أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ»؟

فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما»<sup>(٦)</sup>، فلعل الذهب للمقربين، والفضة لأصحاب اليمين، ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معاً.

«شَرَابًا ظَهُورًا» أي: ليس بنجس كخمر الدنيا، وقيل: معناه: أنه لم تعصره الأقدام، وقيل: معناه: لا يصير بولاً.

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ أي: يقال لهم هذا، يقوله الله تعالى أو الملائكة<sup>(٧)</sup>.



(١) المحرر الوجيز (٤٩٧/٨).

(٢) انظر تفسير الآية (٣١) من سورة الكهف.

(٣) قرأ ابن كثير وحمة والكسائي وشعبة عن عاصم بالحذف، وقرأ الباقر بالرفع.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وعاصم بالرفع، وقرأ الباقر بالحذف.

(٥) انظر تفسير الآية (٣١).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٨٤).

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿١﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢﴾ وَادْكُرْ إِسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٧﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٨﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٩﴾

﴿ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ «أَوْ» هنا للتنويع، فالمعنى: لا تطع النوعين: فاعلاً للأثم، ولا كافراً، وقيل: هي بمعنى الواو؛ أي: جامعاً للوصفين؛ لأن هذه هي حالة الكفار. وروي أن الآية نزلت في أبي جهل<sup>(١)</sup>، وقيل: إن الأثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة، والأحسن أنها على العموم؛ لأن لفظها عام، وإن كان سبب نزولها خاصاً.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هذا أمرٌ بذكر الله في كل وقت، وقيل: هو إشارة إلى الصلوات الخمس، فالبكرة: صلاة الصبح، والأصيل: الظهر والعصر، ومن الليل: المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، والإشارة إلى الكفار. واليوم الثقيل: يوم القيامة، ووضفه بالثقل<sup>(٢)</sup> عبارة عن هوله وشدته.

﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ الأسر: الخِلقَة، وقيل: المفاصل والأوصال، وقيل: القوة.

﴿بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم، وقيل: مسخناهم فبدلنا صورهم، وهذا تهديد.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى الآية، أو السورة، أو الشريعة بجملتها.

﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ تحضيض وترغيب، ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله.

﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: يعذب الظالمين.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/٥٧٢) عن قتادة.

(٢) في د: «بالثقل».

## سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ بِالْعَصَصَاتِ غَصْبًا ۝ وَالنَّشْرِاتِ نَشْرًا ۝ بِالْبَرْقَاتِ بَرَقًا ۝ بِالْمَلْفِيعَاتِ  
 ذِكْرًا ۝ عُدْرًا أَوْ نُدْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ ۝ فَإِذَا الثَّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝  
 ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِيتْ ۝ وَإِذَا الرُّسُلُ اقْتَتَتْ ۝ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝ لِيَوْمِ الْفَضْلِ ۝ وَمَا  
 أَذْرِيكَ مَا يَوْمَ الْفَضْلِ ۝ وَنِیلَ یَوْمَیذٍ لِلْمُكَذِّبِینَ ۝ \* أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِینَ ۝ ثُمَّ نَنْبِئُهُمُ  
 الْآخِرِینَ ۝ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِینَ ۝ وَنِیلَ یَوْمَیذٍ لِلْمُكَذِّبِینَ ۝ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ  
 مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝ وَنِیلَ  
 یَوْمَیذٍ لِلْمُكَذِّبِینَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِیَ  
 شَاحِبَاتٍ وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا ۝ وَنِیلَ یَوْمَیذٍ لِلْمُكَذِّبِینَ ۝ أَنْظِلِفُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ  
 تُكَذِّبُونَ ۝ أَنْظِلِفُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْآلِهَةِ ۝ إِنَّهَا تَرْمِي  
 بِشَرِّ رِكَالٍ قَصْرٍ ۝ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صَفَرٌ ۝ وَنِیلَ یَوْمَیذٍ لِلْمُكَذِّبِینَ ۝ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِفُونَ  
 ۝ وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ بَیْعَتِدِرُونَ ۝ وَنِیلَ یَوْمَیذٍ لِلْمُكَذِّبِینَ ۝ هَذَا يَوْمٌ الْفَضْلِ جَمَعْتَكُمْ  
 وَالْأَوَّلِینَ ۝ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ۝ وَنِیلَ یَوْمَیذٍ لِلْمُكَذِّبِینَ ۝

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين: أحدهما: أنها الملائكة. والآخر: أنها الرياح.

فعلى القول بأنها الملائكة: سماهم المرسلات؛ لأنه تعالى يرسلهم بالوحي وغيره. وسماهم العاصفات؛ لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيهم<sup>(١)</sup> إلى امتثال أوامر الله تعالى. وسماهم الناشرات؛ لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجوّ، أو ينشرون

(١) في د: «مضيهم».

الشرائع في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال. وسماهم الفارقات؛ لأنهم يفرقون بين الحق والباطل.

وعلى القول بأنها الرياح: سماها المرسلات؛ لقوله: ﴿أَلَلَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ﴾ [الروم: ٤٧]. وسماها العاصفات من قوله: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٤]؛ أي: شديدة. وسماها الناشرات؛ لأنها تنشر السحاب في الجو، ومنه قوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٧]. وسماها الفارقات؛ لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ [الروم: ٤٧].

وأما ﴿الْمُفَيِّتِ ذِكْرًا﴾: فهم الملائكة؛ لأنهم يلقون الذكر للأنبياء ﷺ.

والأظهر في المرسلات والعاصفات: أنها الرياح<sup>(١)</sup>؛ لأن وصف الرياح بالعصف حقيقة. والأظهر في الناشرات والفارقات: أنها الملائكة؛ لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح، ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة، ولم يقل أحد إنها الرياح. ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ ﴿بِالْعَصْفِ﴾، ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ﴾، ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء. وقد قيل في ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ و﴿الْمُفَيِّتِ﴾: إنهم الأنبياء ﷺ.

① ﴿عَزَفًا﴾ معناه: فضلاً وإنعاماً، وانتصابه: على أنه مفعول من أجله، وقيل: معناه: متتابعة، وهو مصدر في موضع الحال. وأما ﴿عَصْبًا﴾ و﴿نَشْرًا﴾ و﴿عَزَفًا﴾: فمصادر، وأما ﴿ذِكْرًا﴾: فمفعول به.

② ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾ العذر: فسره ابن عطية<sup>(٢)</sup> وغيره بمعنى: إغذار الله إلى عباده؛ لثلاث تبقى لهم حجة أو عذر. وفسره الزمخشري: بمعنى الاعتذار، يقال: عَذَرَ: إذا محا الإساءة<sup>(٣)</sup>. وأما ﴿تَذْرًا﴾ فمن الإنذار وهو التخويف. وقرئ بضم الذال في الموضعين وبإسكانها<sup>(٤)</sup>.

(١) في أ، د: «الريح».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٠٤).

(٣) الكشاف (١٦/ ٢٢٢).

(٤) قراءة السبعة ﴿عَذْرًا﴾ بإسكان الذال، وقرأ روح عن يعقوب بضمها. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿تَذْرًا﴾ بإسكان الذال، وقرأ الباقر بضمها.



ويحتمل أن يكونا مصدرين، فيكون نصبهما على البدل من ﴿ذِكْرًا﴾، أو مفعولاً من أجله، أو مفعولاً بـ ﴿ذِكْرًا﴾<sup>(١)</sup>. ويحتمل أن يكون ﴿عَذْرًا﴾ جمع عَذِير أو عاذر، و﴿نَذْرًا﴾ جمع نذير، فيكون نصبهما على الحال.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَافِعٌ﴾ يعني: البعث والجزاء، وهو جواب القسم.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: زال ضوءها، وقيل: مُحِيت.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أي: انشقت.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ﴾ أي: صارت غباراً.

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ﴾ أي: جُعل لها وقت معلوم، فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة. وقرئ ﴿وَقِفَّتْ﴾ بالواو<sup>(٢)</sup> وهو الأصل، والهمزة بدل من الواو.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمَ الْحِجَلِ﴾ هو من الأجل، كالتوقيت من الوقت، وفيه توقيفٌ يراد به تعظيمٌ لذلك اليوم، ثم بيّنه بقوله: ﴿لِيَوْمِ الْفَضْلِ﴾ أي: (٣) يفصل فيه بين العباد، ثم عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا يَوْمُ الْفَضْلِ﴾.

﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تكراره في هذه السورة قيل: إنه تأكيد، وقيل: بل في كل آية ما يقتضي التصديق، فجاء ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ راجعاً إلى ما قبله في كل موضع منها.

﴿أَلَمْ تَهْلِكْ إِلَّا الْوَلِينَ﴾ يعني: الكفار المتقدمين، كقوم نوح وغيرهم.

﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ يعني: قريشاً وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ، وهذا وعيدٌ لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره.

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم؛ يعني الكفار.

﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني: المني، والمهين: الضعيف.

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني: رحم المرأة وبطنها.

(١) كأنه تعالى قال: فالملقيات أن تذكر عذراً. المحرر الوجيز (٨/ ٥٠٤)، والبحر المحيط (٢١/ ١٦٩).

(٢) قرأ أبو عمرو بالواو، وقرأ الباقر بهمزة مضمومة.

(٣) في ب زيادة: «يوم».

﴿إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ يعني: وقت الولادة، وهو معلوم عند الله، وهو تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر.

﴿بَقَدَرًا﴾ بالتشديد<sup>(١)</sup>: من التقدير، وبالتخفيف: من القدرة، فإذا كان من القدرة: اتفق مع قوله: ﴿بِنِعْمِ الْقَدِيرُونَ﴾، وإذا كان من التقدير: فهو تجنيس.

﴿أَوَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِبَاتًا﴾ كِبَاتًا ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ الكِفَات: من كَفَت: إذا ضَمَّ وجمع. فالمعنى: أن الأرض تَكْفُتُ الأحياء على ظهرها، والموتى في بطنها. وانتصب ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ على أنه مفعول بـ ﴿كِبَاتًا﴾؛ لأن الكِفَات اسم لما يُضَمُّ ويُجَمَّع، فكأنه قال: جامعة أحياء وأمواتا. ويجوز أن يكون المعنى: تَكْفُتُهُم أحياء وأمواتا، فيكون نصبهما على الحال من الضمير<sup>(٢)</sup>. وإنما نكَّر ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾؛ للتفخيم، ودلالة على كثرتهم.

﴿رَوَّاسِي﴾ يعني: الجبال.

﴿شَلِيحَاتٍ﴾ أي: مرتفعات.

﴿مَاءَ بُرَاتًا﴾ أي: حلوا.

﴿إِنْظِلِّفُوا﴾ خطاب للمكذبين. وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض. ثم كرَّره؛ لبيان المنطلق إليه.

﴿إِلَى ظِلٍّ﴾ يعني: دخان جهنم، ومنه: ﴿وَوَظِلٍّ مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٦].

﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي: يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتُظِلُّهم، بينما يكون المؤمنون في ظِلِّ العرش، وقيل: إن هذه الآية في عِبْدَةِ الصليب؛ لأنه<sup>(٣)</sup> على ثلاث شعب، فيقال لهم انطلقوا إليه.

﴿لَا ظِلِيلٍ﴾ نفى عنه أن يُظِلَّهُم كما يُظِلُّ العرش المؤمنين، ونفى أيضًا أن يمنع عنهم اللهب.

(١) قرأ نافع والكسائي بتشديد الدال، وقرأ الباقون بالتخفيف.

(٢) انظر: الدر المصون (١٠/٦٣٦).

(٣) أي: الصليب.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ الضمير في «إِنَّهَا» لجهنم، والقصر: واحد القصور، وهي الديار العظام، شبه الشرر به في عظمه وفي ارتفاعه في الهواء، وقيل: هو الغليظ من الشجر، واحده قَصْرَةٌ، كجمرة وجمر.

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ في الجمالات قولان: أحدهما: أنه جمع جمال، شبه بها الشرر، و«صُفْرٌ» على ظاهره؛ لأن لون النار يضرب إلى الصفرة. وقيل: «صُفْرٌ» هنا: بمعنى سود، يقال: جمل أصفر أي: أسود، وهذا أليق بوصف<sup>(١)</sup> جهنم. الثاني: أن الجمالات: قطع النحاس الكبار، فكأنه مشتق من الجملة.

وقرئ «جُمَالَاتٌ» بضم الجيم<sup>(٢)</sup>، وهي قُلُوس السفن، وهي حبالها العظام.

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِفُونَ﴾ هذا في موطن، وقد يتكلمون في موطن آخر؛ كقوله: «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّلُ عَنْ نَفْسِهَا» [النحل: ١١١].

﴿إِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ تعجيز لهم، وتعريض بكيدهم في الدنيا، وتقريع عليه.



(١) في أ، هـ: «الوصف».

(٢) قراءة السبعة بكسر الجيم، وروى رويس عن يعقوب بضمها.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿١٧﴾ وَبَوَاقٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَنِلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢١﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَنِلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا فِيلٌ لَهُمُ إِرْكَعُوا لَا يَرَكَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَنِلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ قِبَآئِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾

﴿١٧﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يقال لهم ذلك في الجنة: بلسان الحال، أو بلسان المقال.

﴿هَنِيئًا﴾ نصبٌ على الحال، أو على الدعاء.

﴿١٩﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب للكفار على وجه التهديد، تقديره: قل لهم: كلوا وتمتعوا قليلاً في الدنيا.

﴿٢٤﴾ وَإِذَا فِيلٌ لَهُمُ إِرْكَعُوا لَا يَرَكَعُونَ﴾ هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا، وذكر الركوع: عبارة عن الصلاة. وقيل: معنى ﴿إِرْكَعُوا﴾: اخشعوا وتواضعوا لله.

وقيل: هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة؛ لأنهم إذا قيل لهم: اركعوا لا يقدرّون على الركوع، كقوله تعالى: ﴿وَيَذْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، والأول أشهر وأظهر.

﴿قِبَآئِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن.



## سُورَةُ النَّبَاِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَاصِلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَنَابًا ﴿٢٢﴾ لِّيُثَبِّتَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بِرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَافًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاءً ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أصل ﴿عَمَّ﴾: «عَنْ مَا»، ثم أدغمت النون في الميم، وحذفت ألف «ما»؛ لأنها استفهامية، تقديرها: عن أي شيء يتساءلون؟ وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام، وإنما المراد تفخيم الأمر. والضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: لكفار قريش، أو لجميع الناس، ومعناه: يسأل بعضهم بعضًا.

﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك. ويتعلق ﴿عَنِ النَّبَاِ﴾ بفعل محذوف يفسره الظاهر، تقديره: يتساءلون عن النبأ. ووقعت هذه الجملة جوابًا عن الاستفهام، وبيانًا للمسؤول عنه، كأنه لما قال: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أجاب فقال: يتساءلون عن النبأ العظيم. وقيل: يتعلق ﴿عَنِ النَّبَاِ﴾ بـ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ الظاهر، والمعنى على هذا: لأي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم؟ والأول أفصح وأبرع، وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ إن كان الضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالكذب، ومنهم من يشك، أو يكون اختلافهم قول بعضهم: سحر، وقول بعضهم: شعر وكهانة وغير ذلك. وإن كان الضمير لجميع الناس: فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر.

﴿كَأَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع وتهديد، ثم كرره للتأكيد.

﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ أي: فراشا. وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة<sup>(١)</sup> التوقيف؛ ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث، كأنه يقول: إن الإله الذي قدر على خلق هذه المخلوقات العظام قادرٌ على إحياء الناس بعد موتهم. ويحتمل أن يذكرها حجة على التوحيد؛ لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له.

﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾ شبهها بالأوتاد؛ لأنها تمسك الأرض أن تميد.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: مُزْدَوِجِينَ<sup>(٢)</sup> ذكرا وأنثى، وقيل: معناه: أنواعا في ألوانكم وصوركم وألستكم.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي: راحة لكم، وقيل: معناه قطعاً للأعمال والتصرف، والسَّبْتُ: القطع، وقيل: معناه: موتاً؛ لأن النوم هو الموت الأصغر، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٣٩].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبهه بالثياب التي تلبس؛ لأنه يستر<sup>(٣)</sup> عن العيون.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: تُطلب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف تقديره: ذا معاش. وقال الزمخشري: معناه يُعاش فيه، فجعله بمعنى الحياة في مقابلة السبات الذي بمعنى الموت<sup>(٤)</sup>.

(١) في ب، د: «وجه».

(٢) في ج: «من زوجين».

(٣) في أ، هـ: «ستر».

(٤) الكشف (١٦/ ٢٤٤).

﴿وَبَنَيْنَا قُوفَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني: السماوات.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني: الشمس، والوهَّاج: الوقاد الشديدة الإضاءة، وقيل: الحار الذي يضطرم من شدة لهبه.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ يعني: المطر. و﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: هي السحاب، وهو مأخوذ من العَصْر؛ لأن السحاب تنعصر فينزل منها الماء، أو من العُصْرَة؛ بمعنى الإغاثة، ومنه: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]. وقيل: هي السماوات، وقيل: هي الرياح. والثَّجَّاج: السريع الاندفاع.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ الحب: هو القمح والشعير وسائر الحبوب، والنبات: هو العشب.

﴿وَجَعَلْنَا الْبَابَ أَي: ملتفة، وهو جمع لُفٍّ بضم اللام، وقيل: بالكسر، وقيل: لا واحد له.

﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ أي: في وقت معلوم.

﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾ يعني: نفخة القيام من القبور.

﴿وَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعات.

﴿بَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي: تنفتح فيكون فيها شقاق كالأبواب.

﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ﴾ أي: حُمِلت.

﴿بَكَانَتْ سَرَابًا﴾ عبارة عن تلاشيها وفنائها. والسَّرَاب في اللغة: ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا، وإنما هو تشبيه به في أنه لا شيء.

﴿مِزْصَادًا﴾ أي: موضع الرُّضد، والرُّضد: هو الارتقاب والانتظار؛ أي: تنتظر الكفار ليدخلوها، وقيل: معناه: طريقاً للمؤمنين يجوزون عليها إلى الجنة؛ لأن الصراط منصوب على جهنم.

﴿مَنَابًا﴾ أي: مرجعاً.

﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ جمع حِقْبَة أو حَقْب<sup>(١)</sup>، وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة. وقيل: إنها محدودة، ثم اختلف في مقدارها، فروي عن النبي ﷺ أنها ثلاثون ألف سنة<sup>(٢)</sup>، وقال ابن عباس ؓ: ثمانون سنة<sup>(٣)</sup>، وقيل: ثلاث مئة سنة.

وعلى القول بالتحديد: فالمعنى: أنهم يبقون فيها أحقابًا، كلما انقضى حَقْبٌ جاء آخر إلى غير نهاية.

وقيل: إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي، ثم نسخ بقوله: ﴿بَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، وهذا خطأ؛ لأن الأخبار لا تنسخ.

وقيل: هي في عصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار، وهذا خطأ؛ لأنها في الكفار لقوله: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

وقيل: معناها أنهم يبقون أحقابًا<sup>(٤)</sup> لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا، ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي: لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار، وقيل: لا يذوقون ماء باردًا، وقيل: البرد هنا النوم، والأول أظهر.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ استثناء من الشراب، وهو متصل. والحميم: الماء الحار، والغساق: صديد أهل النار، وقد ذكر في سورة «داود»<sup>(٥)</sup>.

﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾ أي: موافقًا أعمالهم؛ لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار. و﴿وَفَاءً﴾: مصدرٌ وُصف به، أو هو على حذف مضاف تقديره: ذا وفاق.

(١) في المحرر الوجيز (٨/ ٥١٧): «جمع حُقْب بضم الحاء وفتح القاف، وحُقْب بكسر الحاء، وحُقْب بضمها وضم القاف».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٣٩٥)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٩٢) من حديث أبي أمامة ؓ، وضعفه ابن أبي حاتم والهيتمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨١)، والسيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٤).

(٤) في أ، هـ: «أحيانًا».

(٥) انظر تفسير الآية (٥٦).



﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ هذا مثل ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وقد ذكر<sup>(١)</sup>.

﴿كَذَّابًا﴾ بالتشديد<sup>(٢)</sup>: مصدر بمعنى تكذيب، وبالتخفيف: بمعنى الكذب، أو المكاذبة؛ وهي تكذيب بعضهم لبعض.

﴿بَذُوفُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية»<sup>(٣)</sup>.



(١) انظر تفسير الآية (٧) من سورة يونس، وتفسير الآية (٢١) من سورة الفرقان.

(٢) قراءة السبعة في هذا الموضع بالتشديد، وقرئ في الشاذ بالتخفيف، قرأ بها علي بن أبي طالب وعوف الأعرابي وعيسى - بخلاف - والأعمش وأبو رجاء. المحرر الوجيز (٨/ ٥٢١).  
وأما في الآية الآتية ﴿وَلَا كَذَّابًا﴾ فقرأ الكسائي فيها بالتخفيف، وقرأ الباقر بالتشديد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٧) - والثعلبي (٢٨/ ٣٣٤) عن الحسن البصري عن أبي برزة الأسلمي ؓ مرفوعاً، وضعفه ابن كثير في تفسيره، وأخرجه الطبري (٢٤/ ٣٦) عن عبد الله بن عمرو موقوفاً.

إِنَّ لِلْمُتَفِينِ مَبَازًا ﴿٢١﴾ حَدَاقٍ وَأَعْتَبًا ﴿٢٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٢٣﴾ وَكَأَسَا دِهَاقًا ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ  
بِهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٢٦﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ  
لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ ابْتَحَدْ إِلَىٰ رَبِّهِٖ مَنَابًا ﴿٢٩﴾ إِنَّا أَنذَرْتُكُمْ  
عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٣٠﴾

﴿٢١﴾ مَبَازًا: أي: موضع فوز، يعني: الجنة.

﴿٢٢﴾ حَدَاقٍ: أي: بساتين.

﴿٢٣﴾ وَكَوَاعِبَ: جمع كاعب، وهي الجارية التي خرج ثديها.

﴿٢٤﴾ أَتْرَابًا: أي: على سن واحد<sup>(١)</sup>.

﴿٢٥﴾ وَكَأَسَا دِهَاقًا: أي: ملأى، وقيل: صافية، والأول أشهر.

﴿٢٦﴾ عَطَاءٌ حِسَابًا: أي: كافيًا، مِّن أَحْسَبِهِ الشَّيْءُ: إذا كفاه، وقيل: معناه: على حسب أعمالهم.

﴿٢٧﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ: بالرفع<sup>(٢)</sup>: مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمرة، وبالحذف صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾. و﴿الرَّحْمَنُ﴾: بالحذف<sup>(٣)</sup>: صفة، وبالرفع: خبر المبتدأ، أو خبر ابتداء مضمرة.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: قال ابن عطية: الضمير للكفار؛ أي: لا يملكون أن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها<sup>(٤)</sup>، ويحتمل أن يكون المعنى: لا يقدر أن يخاطبهم كقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾. وقال الزمخشري: الضمير لجميع الخلق؛ أي: ليس بأيديهم شيء من خطاب الله<sup>(٥)</sup>.

(١) في ب: «واحدة».

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالرفع، وقرأ الباقر بالحذف.

(٣) قرأ ابن عامر وعاصم بالحذف، وقرأ الباقر بالرفع.

(٤) المحرر الوجيز (٨/٥٢٣).

(٥) الكشاف (١٦/٢٥٨).

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قيل: هو جبريل عليه السلام، وقيل: ملك عظيم يكون هو وحده صفًا، والملائكة صفًا، وقيل: يعني: أرواح بني آدم، فهو اسم جنس. و ﴿يَوْمَ﴾ يتعلق به ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾، أو به ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾.

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الضمير للملائكة والروح؛ أي: تمنعهم الهيبة من الكلام<sup>(١)</sup> إلا بعد أن يأذن الله لهم، وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا. وقيل: الضمير للناس خاصة، والصواب المشار إليه: قول: «لا إله إلا الله»؛ أي: من قالها في الدنيا.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ أي: الحق وجوده ووقوعه.

﴿بِمَنْ شَاءَ﴾ تحضيض وترغيب.

﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني: عذاب الآخرة، ووصفه بالقرب لأن كل آت قريب، أو لأن الدنيا على آخرها.

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ المرء هنا: عموم في المؤمن والكافر، وقيل: هو المؤمن، وقيل: هو الكافر. والعموم أحسن؛ لأن كل أحد يرى ما عمل، كقوله تعالى: ﴿بِمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية [الزلزلة: ٨].

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ تمنى أن يكون يوم القيامة ترابًا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل: تمنى أن يكون في الدنيا ترابًا؛ أي: لم يخلق. وروي أن البهائم تحشر؛ ليقتصَّ لبعضها من بعض، ثم تُردُّ ترابًا، فيتمنى الكافر أن يكون مثلها<sup>(٢)</sup>، وهذا يقوِّي الأول. وقيل: الكافر هنا: إبليس، يتمنى أن يكون<sup>(٣)</sup> من تراب مثل آدم وذريته لما رأى ثوابهم، وقد كان احتقر التراب في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن تَرَابٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١١].



(١) في ب: «كلام الله».

(٢) أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٤)، والحاكم (٨٧١٦) عن عبد الله بن عمرو عليه السلام، أخرجه الطبري (٢٤ / ٥٥)، وابن أبي حاتم (٤ / ١٢٨٦) عن أبي هريرة عليه السلام.

(٣) في دزيادة: «يوم القيامة».

## سورة النازعات

وَالنَّازِعَاتِ غَرْفًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِقَاتِ سَبْحًا ۝ بِالسَّيْفَاتِ سَبْحًا ۝  
 بِالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ فُلُوتَ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝  
 أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَنَا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ إِذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً ۝ قَالُوا  
 تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝ هَلْ أَتَيْكَ  
 حَدِيثٌ مُوسًى ۝ إِذْ نَادِيَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ إِذْهَبْ إِلَى يَرْعُونَ إِنَّهُ طَغَى ۝  
 فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَهٌ أَن تَرْجَى ۝ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتُخْشَى ۝ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۝  
 ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۝ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ۝ فَحَشَرَ فَنَادَى ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۝  
 فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ۝

اختلف في معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبرات، ف قيل: إنها الملائكة، وقيل: النجوم.

فعلى القول بأنها الملائكة: سماهم نازعات؛ لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادهم<sup>(١)</sup>. وناشطات؛ لأنهم ينشطونها؛ أي: يُخرجونها، فهو من قولك: نشطت الدلو من البثر: إذا أخرجتها. وسابحات؛ لأنهم يسبحون في سيهرهم؛ أي: يسرعون، فيسبقون، فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله.

وعلى القول بأنها النجوم: سماها نازعات؛ لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب. وناشطات؛ لأنها تنشط من برج إلى برج. وسابحات؛ لأنها تسبح في الفلك، ومنه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، فتسبق في جريها، فتدبر أمراً من علم الحساب.

(١) في ب، ج، د: «أجسادها».

وقال ابن عطية: لا أعلم خلافاً أن «الْمَدَيَّرَاتِ أَمْراً» الملائكة<sup>(١)</sup>، وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا<sup>(٢)</sup>. وقد قيل في النَّازِعَاتِ والنَّاسِطَاتِ: إنها النفوس، تَنْزِعُ من معنى النَّزْعِ بالموت، فَتَنْشِطُ من الأجساد. وقيل في السَّابِحَاتِ والسَّابِقَاتِ: إنها الخيل، وإنها السُّفن.

﴿عَرْفَا﴾ إن قلنا: إن النازعات الملائكة: ففي معنى «عَرْفَا» وجهان: أحدهما: أنه من الغَرْق؛ أي: تُغرق الكفار في جهنم. والآخر: أنه من الإغراق في الأمر، بمعنى المبالغة فيه؛ أي: تبالغ في نزع النفوس حتى تخرجها من أقاصي الأجساد. وإن قلنا: إن النازعات النجوم: فهو من الإغراق بمعنى المبالغة؛ أي: تبالغ في نزعها فتقطع الفلك كله. وإن قلنا: إنها النفوس: فهو أيضاً من الإغراق؛ أي: تُغرق في الخروج من الجسد.

وإعراب «عَرْفَا» مصدر في موضع الحال، و«نَشِطَا» و«سَبَحَا» و«سَبَفَا»: مصادر، و«أَمْراً» مفعول به.

وجواب القسم: محذوف، وهو بعث الموتى، بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة. وقيل: الجواب: «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٧﴾ تَتَّبِعَهَا الرَّادِّبَةُ ﴿٨﴾ على تقدير حذف لام التأكيد<sup>(٣)</sup>. وقيل: هو: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٩﴾» وهذا بعيد؛ لبعده عن القسم، ولأنه إشارة إلى قصة فرعون، لا لمعنى القسم.

﴿٧﴾- ﴿٩﴾ «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٧﴾ تَتَّبِعَهَا الرَّادِّبَةُ ﴿٨﴾ قيل: الرَّاجِفَةُ: النفخة الأولى في الصور، والرَّادِّبَةُ: النفخة الثانية؛ لأنها تتبعها، ولذلك سماها رادفة، من قولك: رَدِفْتُ الشيء: إذا تبعته، وفي الحديث: «إِنَّ بَيْنَهُمَا أَرْبَعِينَ عَامًا»<sup>(٤)</sup>.

(١) المحرر الوجيز (٨/ ٥٢٧).

(٢) الكشف (١٦/ ٢٦٤-٢٦٧).

(٣) كأنه قال: «لَيَوْمٍ». المحرر الوجيز (٨/ ٥٢٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٦) عن قتادة مرسلاً: «بين النفختين أربعون» قال أصحابه: فما سألناه عن ذلك، ولا زادنا على ذلك، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة. وأخرج البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. أي: أبيت أن أجزم. وانظر: فتح الباري (١١/ ٣٧٠).

وقيل: الراجفة: الموت، والرادفة: القيامة. وقيل: الراجفة: الأرض، من قوله: ﴿تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٣]، والرادفة: السماء لأنها تنشق يومئذ.

والعامل في ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ محذوف، وهو الجواب المقدر، تقديره: «لتبعثن يوم ترجف الراجفة». وإن جعلنا: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ الجواب: فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾ معنى قوله: ﴿فَلَوْبُ يَوْمَئِذٍ وَاجِبَةٌ﴾، ويكون: «تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ» في موضع الحال. ويحتمل أن يكون العامل فيه «تَتَّبِعُهَا».

﴿فَلَوْبُ يَوْمَئِذٍ وَاجِبَةٌ﴾ أي: شديدة الاضطراب، والوجيف والوجيب بمعنى واحد. وارتفع «فَلَوْبُ» بالابتداء، و«وَاجِبَةٌ» خبره، وقال الزمخشري: «وَاجِبَةٌ» صفة، والخبر: ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾<sup>(١)</sup>.

﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾ كناية عن الذل والخوف. وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز، والتقدير: قلوب أصحابها<sup>(٢)</sup>.

﴿يَقُولُونَ أَأَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ إِذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخِرَةً هذا حكاية قول الكفار في الدنيا. ومعناه على الجملة: إنكار البعث، فالهمزة في قولهم: ﴿أَنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ للإنكار، ولذلك اتفق القراء على قراءته بالهمزتين، إلا أن منهم من سَهَّلَ الثانية ومنهم من حَقَّقَهَا.

واختلفوا في ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا﴾<sup>(٣)</sup>، فمنهم من قرأه بهمزة واحدة؛ لأنه ليس موضع استفهام ولا إنكار، ومنهم من قرأه بهمزتين؛ تأكيداً للإنكار المتقدم.

ثم اختلف في معنى «الْحَافِرَةِ» على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحالة الأولى، يقال: «رجع فلان في حافرتة»: إذا رجع إلى حاله<sup>(٤)</sup> الأولى، فالمعنى: أننا لمرددون إلى الحياة بعد الموت؟ والآخر: أن الحافرة: الأرض،

(١) الكشاف (١٦/ ٢٧٢).

(٢) كذا في النسخ الخطية! ولعله سبق قلم، والصواب: «أَبْصَارُ أَصْحَابِهَا». الكشاف (١٦/ ٢٧٢).

(٣) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بهمزة واحدة، وقرأ الباقون بهمزتين.

(٤) في ب، د: «حالته».

بمعنى محفورة، فالمعنى: أننا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور؟ والثالث: أن الحافرة: النار.

والعظام النَّخْرَة: البالية المتفتنة<sup>(١)</sup>. وقرئ «نَخْرَةً» بألف، وبحذف الألف<sup>(٢)</sup>، وهما بمعنى واحد؛ إلا أن حذف الألف أبلغ؛ لأن «فَعَلَ» أبلغ من «فَاعِلٍ». وقيل: معناه: العظام المجوفة التي تمر<sup>(٣)</sup> بها الريح فيسمع لها نخير.

والعامل في «إِذَا كُنَّا» محذوف، تقديره: إذا كنا عظاماً نبعث؟ ويحتمل أن يكون العامل فيه: «مَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ»، ولكن إنما يجوز هذا على قراءة «إِذَا كُنَّا» بهمزة واحدة على الخبر، ولا يجوز على قراءته بهمزتين؛ لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ الكَرَّة: الرَّجْعَة. والخاسرة: منسوبة إلى الخسران، كقوله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠]؛ أي: ذات رضا، أو معناه: خاسر<sup>(٤)</sup> أصحابها. ومعنى هذا الكلام: أنهم قالوا: إن كان البعث حقاً فكّرنا خاسرة؛ لأننا ندخل النار.

﴿وَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني: النفخة في الصور للقيام من القبور. وهذا من كلام الله تعالى؛ ردّاً على الذين أنكروا البعث، كأنه يقول: لا تظنوا أنه صعب على الله بل هو عليه يسير، وإنما يُنفخ<sup>(٥)</sup> في الصور نفخة واحدة فيقوم الناس من قبورهم.

﴿وَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ «إِذَا» هنا فجائية، والسَّاهِرَة: وجه الأرض، والباء: ظرفية. والمعنى: إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرع شيء.

﴿هَلْ أَبِيتُكَ﴾ توقيفٌ وتنبية، وليس المراد به مجرد الاستفهام.

(١) في ب، ج، د: «المتفتنة».

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بالألف، وقرأ الباقر بن غير ألف.

(٣) في أ، هـ: «يمر».

(٤) في ب: «خسر».

(٥) في أ، هـ: «تنفخ».

﴿ظَوَى﴾ ذكر في «طه»<sup>(١)</sup>.

﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ بَرْغَوْنَ﴾ تفسير للنداء.

﴿قُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْجَىٰ﴾ أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل، وقال بعضهم: ﴿تَزْجَىٰ﴾: تُسَلِّم، وقيل: تقول: «لا إله إلا الله»، والأول أعم.

﴿بَارِيَةِ الْآيَةِ الْكُبْرَىٰ﴾ قلب العصا حية، وإخراج يده بيضاء، وجعلهما واحدة؛ لأن الثانية تبع للأولى، ويحتمل أن يريد الأولى وحدها.

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ الإدبار: كناية عن إعراضه عن الإيمان، و﴿يَسْعَىٰ﴾ عبارة عن جدّه في الكفر، وفي إبطال أمر موسى ﷺ. وقيل: هو حقيقة؛ أي: قام من مجلسه يفرّ من مُجالسة موسى ﷺ، أو يهرب من العصا لما صارت ثعباناً.

﴿فَحَشَرَ﴾ أي: جمع جنوده وأهل مملكته.

﴿فَتَنَادَىٰ﴾ أي: نادى قومه وقال لهم ما قال، ويحتمل أنه ناداهم بنفسه، أو أمر من يناديهم، والأول أظهر، وقد روي أنه قام فيهم خطيباً فقال ما قال<sup>(٢)</sup>.

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ النكال: مصدر بمعنى التنكيل، والعامل فيه ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾؛ لأنه بمعناه، وقيل: العامل محذوف<sup>(٣)</sup>.

و﴿الْآخِرَةِ﴾ هي: دار الآخرة، ﴿وَالْأُولَىٰ﴾: الدنيا، فالمعنى: نكال الآخرة بالنار، ونكال الأولى بالغرق. وقيل: ﴿الْآخِرَةِ﴾ قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾، ﴿وَالْأُولَىٰ﴾ قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وقيل: بالعكس، فالمعنى: أخذه الله وعاقبه على كلمته الآخرة وكلمته الأولى.



(١) انظر تفسير الآية (١١).

(٢) ذكره في الكشف (٢٧٨/١٦).

(٣) وهو فعل مضمر من لفظ «نكال»، كأنه قال: نكّله نكال. المحرر الوجيز (٥٣٢/٨).



عَآنْتُمْ أَشَدَّ خَلْفًا أَمْ السَّمَاءَ بَيْنَهَا ﴿١٧﴾ رَفَعَ سَنَكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿١٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضَحِيَّتَهَا ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحِيَّتَهَا ﴿٢٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعِيَهَا ﴿٢١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسِيَهَا ﴿٢٢﴾ مَتَّعَا لَكُمْ وَلَأَنْعِمَ كُمْ ﴿٢٣﴾ إِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسُ مَا سَعَى ﴿٢٥﴾ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٢٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٢٧﴾ وَعَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾ \*يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا ﴿٣٢﴾ عِمْ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٣٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهِيهَا ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشِيهَا ﴿٣٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضَحِيَّتًا ﴿٣٦﴾

﴿١٧﴾ عَآنْتُمْ أَشَدَّ خَلْفًا أَمْ السَّمَاءَ ﴿١٧﴾ هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث؛ فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها.

﴿١٨﴾ رَفَعَ سَنَكَهَا ﴿١٨﴾ السَّمَكُ: غِلْظُ السَّمَاءِ، وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يليها وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها، ومعنى رَفَعَهُ: أنه جعله مسيرة خمس مئة عام. وقيل: السَّمَكُ: السقف.

﴿١٩﴾ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿١٩﴾ أي: أتقن خَلْقَتَهَا، وقيل: جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض.

﴿٢٠﴾ وَأَخْرَجَ ضَحِيَّتَهَا ﴿٢٠﴾ أي: جعله مظلماً، يقال: غَطَشَ اللَّيْلُ: إذا أظلم، وأغطشه الله.

﴿٢١﴾ وَأَخْرَجَ ضَحِيَّتَهَا ﴿٢١﴾ أي: أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى. وأضاف الليل والضحى إلى السماء من حيث إنهما ظاهران منها وفيها.

﴿٢٢﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسِيَهَا ﴿٢٢﴾ أي: بسطها. واستدل بها من قال: إن الأرض بسيطة غير كُرِّيَّة. وقد ذكرنا في «فصلت» الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: ١٠].

﴿٢٣﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعِيَهَا ﴿٢٣﴾ نسب الماء والمرعى إلى الأرض؛ لأنهما يخرجان منها.

فإن قيل: لم قال: ﴿أَخْرَجَ﴾ بغير حرف العطف؟

فالجواب: أن هذه الجملة في موضع الحال، أو تفسير لما قبلها، قاله الزمخشري<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْجِبَالُ أَرْسِيَهَا﴾ أي: أثبتها. ونَضَبُ ﴿الْجِبَالِ﴾ بفعل مضمر يدل عليه الظاهر، وكذلك ﴿الْأَرْضُ﴾.

﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾ تقديره: فعل ذلك كله تمتيعًا لكم ولأنعامكم؛ لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بكل ما ذكر.

﴿الطَّامَّةُ﴾ هي القيامة، وقيل: النفخة الثانية، واشتقاقها من قولك: طَمَّ الأمرُ: إذا علا وغلب.

﴿وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ أي: أظهرت لكل من يرى، فهي لا تخفى على أحد.

﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ذكر في سورة «الرحمن»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ أي: ردّها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة. قال بعض الحكماء: إذا أردت الصَّواب فانظر هواك وخالفه. وقال سهل التستري: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين.

﴿آيَاتٍ مُّرسِيَّهَا﴾ ذكر في «الأعراف»<sup>(٣)</sup>.

﴿يَمِمْ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ أي: من ذِكر<sup>(٤)</sup> زمانها، والمعنى: لست في شيء من ذكر ذلك، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة كثيرًا، فلما نزلت هذه الآية انتهى»<sup>(٥)</sup>.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهِيهَا﴾ أي: منتهى علمها، لا يعلم متى تكون إلا هو وحده.

(١) الكشاف (١٦/٢٨١-٢٨٢).

(٢) انظر تفسير الآية (٤٥).

(٣) انظر تفسير الآية (١٨٧).

(٤) في ب: «ذكرى».

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/٩٩)، والحاكم (٧) وصححه وسكت عنه الذهبي.

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَّخْشِيهَا ﴾ أي: إنما بُعثت لتنذر بها، وليس عليك الإخبار بوقتها. وخصَّ الإنذار بمن يخشاها؛ لأنه هو الذي ينفعه الإنذار.

﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴾ أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشيّة يوم أو ضحى يوم. وأضاف الضحى إلى العشيّة؛ لما بينهما من الملاسة؛ إذ هما في يوم واحد.



## سورة عبس

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَلَمْ يَأْتِ الْآغْبَىٰ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْبَعُهُ  
 الذِّكْرَىٰ ۚ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۚ فَإِنَّ لَهُ تَصَدَّىٰ ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۚ وَأَمَّا مَنِ  
 جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۚ وَهُوَ يَخْبَىٰ ۚ فَإِنَّ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۚ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۚ فَمِنْ شَاءَ  
 ذَكَرَهُ ۚ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۚ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۚ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ قَبِيلَ  
 الْإِنْسِ ۚ مَا أَكْفَرَهُ ۚ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ مِنْ نُّطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ ثُمَّ أَلْسِيلَ يَسْرَهُ ۚ  
 ۝ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۚ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۚ كَلَّا لَمَّا يُفْضِ مَا أَمَرَهُ ۚ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسُ إِلَىٰ  
 طَعَامِهِ ۚ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ وَعَبَا  
 وَقَضْبًا ۚ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ وَحَدَاقٍ غَلْبًا ۚ وَفِكْهَةً وَأَبَا ۚ مَتَّعْنَا لَكُمْ وَلِأَنْعِيَكُمْ ۚ  
 فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ۚ يَوْمَ يَبْعُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمِيهِ وَأَبِيهِ ۚ وَصَدِيقَتِهِ ۚ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ  
 فِرْقَةٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۚ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْمِرَةٌ ۚ ضَاخِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۚ وَوُجُوهٌ  
 يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۚ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۚ

سبب نزول هذه السورة: أن رسول الله ﷺ كان حريضاً على إسلام قريش، وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا، فيسلم بإسلامهم غيرهم، فبينما هو يوماً مع رجل من عظمائهم - قيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف، وقال ابن عباس ؓ: كانوا جماعة - إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعشى ؓ، فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم بتشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطع الأعشى لكلامه، فعبس وأعرض عنه، وذهب الرجل الذي كان مع

رسول الله ﷺ، فنزلت الآية<sup>(١)</sup>.

فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي»، ويبسط له رداءه<sup>(٢)</sup>، وقد استخلفه على المدينة مرتين.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أي: عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه.

قال ابن عطية: في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب؛ لأن في ذلك بعض الإعراض<sup>(٣)</sup>، وقال الزمخشري: في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار<sup>(٤)</sup>، وقال غيرهما: هو إكرام للنبي ﷺ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب، وهذا أحسن.

﴿أَن جَاءَ الْأَعْمَى﴾ في موضع مفعول من أجله، وهو منصوب بـ﴿تَوَلَّى﴾ أو ﴿عَبَسَ﴾.

وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى؛ ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره. وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كان لمنفعة، أو يُشهر صاحبها بها، ومنه قول المحدثين: سليمان الأعمش، وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك.

﴿وَمَا يَذْرِيكَ﴾ أي: أي شيء يُطلعك على حال هذا الأعمى ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكِّيَّ﴾؛ أي: يتطهر وينتفع في دينه بما يسمع منك.

﴿أَمَّا مَنِاسْتَغْنِي﴾ بـ﴿فَإِنَّكَ لَهُ تَصَدَّى﴾ أي: تتعرض<sup>(٥)</sup> للغني؛ رجاء أن يسلم.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكِّيَّ﴾ أي: لا حرج عليك إذ أن لا<sup>(٦)</sup> يتزكى هذا الغني.

﴿وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم ﷺ، ومعنى ﴿يَسْعَى﴾: يسرع في مشيه من حرصه على طلب الخير.

(١) أخرجه الطبري (١٠٣/٢٤) من طريق العوفي عن ابن عباس ؓ.

(٢) ذكره الثعلبي (٤١٧/٢٨) دون نسبة، وذكره مكِّي بن أبي طالب في الهداية (٨٠٥٣) من قول سفيان الثوري.

(٣) المحرر الوجيز (٥٣٦/٨).

(٤) الكشف (٢٩١/١٦).

(٥) في أ، ج، هـ: «يتعرض».

(٦) في أ، ب: «إذ لا».

﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ أي: يخشى الله، أو يخاف الكفار وإذابتهم له على إتيانك، وقيل: جاء وليس معه من يقوده، فكان يخشى أن يقع، وهذا ضعيف.

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ أي: تشتغل عنه بغيره، من قولك: لهيئتُ عن الشيء: إذا تركته. وروي أن رسول الله ﷺ تأدب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يُعرض بعدها عن فقير ولا تعرّض لغني، وكذلك اتّبعه فضلاء العلماء، فكان الفقراء في مجلس سفيان الثوري كالأمراء، وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ فيه وجهان: أحدهما: إن هذا الكلام المتقدم تذكرة؛ أي: موعظة للنبي ﷺ. والآخر: إن القرآن تذكرة لجميع الناس، فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد، وهذا أرجح؛ لأنه يناسبه: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ وما بعده.

وأث الضمير في قوله: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ على معنى: القصة، أو الموعظة، أو السورة، أو القراءة، وذكره في قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ على معنى: الوعظ، أو الذكر، أو القرآن.

﴿فِي صُحُفٍ﴾ صفة لـ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: ثابتة في صحف، وهي الصحف المنتسخة من اللوح المحفوظ، وقيل: هي مصاحف المسلمين.

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ إن كانت الصحف المصاحف: فمعناه مرفوعة المقدار، وإن كان صحف الملائكة: فمعناه كذلك، أو مرفوعة في السماء. و﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ أي: منزّهة عن أيدي الشياطين.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هم الملائكة، والسفرة: جمع سافر؛ وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن في الصحف، وقيل: لأنهم سفراء بين الله وبين عباده. وقيل: يعني: القراء من الناس، والأول أرجح، وقد قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»<sup>(١)</sup>، أي: أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته، أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

﴿قِيلَ الْإِنْسَنُ﴾ دعاءٌ عليه؛ على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ، ومعناه: تنقيح حاله، وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك، وقيل: معناه: لُعِن، وهو بعيد.

﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تعجبٌ<sup>(١)</sup> من شدة كفره، مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك.

﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ توقيف وتقرير، ثم أجاب عنه بقوله: ﴿مِنْ نُّطْقَةٍ خَلَقَهُ﴾ يعني: المنِّي. ومقصد الكلام: تحقير الإنسان، وأنه يجب عليه أن يعظم الرب الذي خلقه.

﴿بِقَدَرِهِ﴾ أي: هياه لما يصلح له، ومنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرِهِ تَفْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٢]، وقيل: معناه: جعله على مقدار معلوم في أعضائه وأجله ورزقه وغير ذلك.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾ نصب ﴿السَّبِيلَ﴾ بفعل مضمَر فسره ﴿يَسْرُهُ﴾.

وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: يسر سبيل خروجه من بطن أمه. والآخر: أنه سبيل الخير أو الشر، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]. الثالث: سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان، والأول أرجح؛ لعطفه على قوله: ﴿مِنْ نُّطْقَةٍ خَلَقَهُ بِقَدَرِهِ﴾، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أي: جعله ذا قبر، يقال: قَبِرْتُ الميت: إذا دفنته، وأقبرته: إذا أمرت أن يُدفن.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أي: بعثه من قبره، يقال: نَشَرُ الميت: إذا قام، وأنشره الله. والإشارة بـ ﴿إِذَا شَاءَ﴾ ليوم القيامة، أي: الوقت الذي قَدَّر أن ينشره فيه.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للإنسان عما هو فيه.

﴿لَمَّا يَفْضِ مَّا أَمَرَهُ﴾ أي: لم يقض الإنسان - على تطاول عمره - ما أمره الله. قال بعضهم: لا يقضي أحدٌ أبدًا جميع ما افترض الله عليه<sup>(٣)</sup>؛ إذ لا بدَّ للعبد من تفريط.

(١) في أ: «تعجب».

(٢) أخرجه الطبري (١١١/٢٤) من طريق العوفي عنه.

(٣) قاله مجاهد فيما أخرجه الطبري عنه (١١٤/٢٤).

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ أمرٌ بالاعتبار في الطعام؛ كيف خلقه الله بقدرته، ويسره برحمته، فيجب على العبد طاعته وشكره، ويقبح معصيته والكفر به. وقيل: فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعاً؛ فيرى حقارة الدنيا وخساسة نفسه، والأول أشهر وأظهر في معنى الآية، على أن القول الثاني صحيح. وانظر كيف فسره بقوله: ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ وما بعده؛ ليعدد النعم ويظهر القدرة.

وقرئ ﴿إِنَّا صَبَبْنَا﴾ بفتح الهمزة<sup>(١)</sup>؛ على البدل من الطعام.

﴿شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني: بخروج النبات منها.

﴿حَبًّا﴾ يعني: القمح والشعير وسائر الحبوب.

﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: هي الفِصْفِصَة<sup>(٢)</sup>، وقيل: علف البهائم، واختار ابن عطية: أنها البقول وشبهها مما يؤكل رَطْبًا<sup>(٣)</sup>.

﴿غَلْبًا﴾ أي: غليظة ناعمة.

﴿وَأَبَا﴾ الأب: المرعى عند ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٤)</sup> والجمهور، وقيل: التَّيْنُ<sup>(٥)</sup>، وقد توقف في تفسيره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما<sup>(٦)</sup>.

﴿الصَّاحَّةُ﴾ من أسماء القيامة، وهي مشتقة من قولك: صَحَّ الآذَانُ: إذا أصمَّها بشدة صياحه، فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور، أو إلى شدة الأمر حتى يصحَّ<sup>(٧)</sup> من يسمعه

(١) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) هي نبات كالبرسيم. المعجم الوسيط.

(٣) المحرر الوجيز (٥٤١/٨).

(٤) أخرجه الطبري (١٢١/٢٤)، وابن أبي حاتم (٣٤٠١/١٠)، وابن خزيمة (٢١٧٢)، والحاكم (٦٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) في ج، د: «التين» بالياء، والمثبت هو الصواب، كما في تفسير الثعلبي الكشاف والبيان (١٣٣/١٠).

(٦) أثر أبي بكر رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبه (٣٠٧٣١)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٧٥).

وأثر عمر رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبه (٣٠٧٢٩)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٧٥)، والطبري (١٢٠/٢٤)، والحاكم (٣٨٩٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٧) في د: «يصم».



لصعوبته. وقيل: هي من قولك: أصاخ للحديث: إذا استمعته، والأول هو الموافق للاشتقاق.

﴿٣٧-٣٨﴾ يَوْمَ يَمُزُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿الآيَةُ﴾ ذكر فرار الإنسان من أحبائه، ورتبهم على ترتيب الحنو والشفقة، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر؛ لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره؛ وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه.

وقيل: إن فراره منهم؛ لئلا يطالبوه بالتبعات، والأول أرجح وأظهر؛ لقوله: ﴿لِكُلِّ إِمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب، حتى لا يسعه ذكر غيره، وانظر قول الأنبياء ﷺ يومئذ: «نفسى نفسى»<sup>(١)</sup>.

﴿٣٨﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿أي: مضيئة من السرور، وهو من قولك: أسفر الصبح: إذا أضاء.﴾

﴿٣٩﴾ عَلَيْنَهَا غَبَرَةٌ ﴿أي: غبار، والقترة أيضًا: الغبار، فقال ابن عطية: الغبرة: هي من العُبوس والكر، كما يعتري وجه المهموم والمريض، والقترة: هي غبار الأرض<sup>(٢)</sup>، وقال الزمخشري: الغبرة: غبار يعلوها، والقترة: سواد، فيعظم قبحها<sup>(٣)</sup> باجتماع الغبار والسواد<sup>(٤)</sup>.﴾



(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) المحرر الوجيز (٨/٥٤٣).

(٣) في ج: «قبحهم».

(٤) الكشف (١٦/٣٠٣).

## سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

ذكر الله في هذه السورة احوال القيامة، وما يعتري الموجودات حينئذ من التغيير.

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْخُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أَفْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذُو قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَلَاحُكُمْ بِمُخْتَوٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَبْوَى الْأَمِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ بَأَيِّنْ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿١﴾ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ ابن عباس رضي الله عنه: ذهب ضوءها فأظلمت <sup>(١)</sup>، وقيل: رمي بها، وقيل: اضمحلت، وأصله من تكوير العمامة؛ لأنها إذا لُفَّت زال انبساطها وصغر جرمها.

﴿٢﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ أي: تساقطت من مواضعها، وقيل: تغيرت، والأول أرجح؛ لأنه موافق لقوله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، وروي أن الشمس والنجوم تُطرح في جهنم؛ ليراهما من عبدها <sup>(٢)</sup>، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

(١) أخرجه الطبري (١٢٩/٢٤)، وابن أبي حاتم (٣٤٠٢/١٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٠٥/١٠) وكما في تفسير ابن كثير (٣٣٠/٨) عن يزيد بن أبي مريم عن أبيه عن النبي ﷺ، قال ابن رجب: «غريب جداً، وأبو بكر بن أبي مريم فيه ضعف» (مجموع رسائل ابن رجب ٤/٢٣٢).

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سَوَّيَتْ﴾ أي: حُملت، وبعد ذلك تَفَتَّتْ<sup>(١)</sup> فتصير هباءً ثم تتلاشى.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ العشار: جمع عُشراء، وهي الناقة الحامل التي مر لحملها عشرة أشهر، وهي أنفُسُ ما عند العرب وأعزُّها، فلا تُعْطَلُ إلا من شدة الهول. وتعطيلها: هو تركها مسيبة، أو ترك حلبها.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جُمِعت، وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تحشر؛ أي: تبعث يوم القيامة، ليقْتَصَّ لبعضها من بعض ثم تكون ترابًا. والآخر: أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة، قاله ابن عباس رضي الله عنه، وقال: إنها لا تُبعث، وإنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها تُجمع في أول أهوال القيامة وتفرُّ في الأرض، فذلك حشرها.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ملئت وفجَّر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا. والآخر: ملئت نيرانًا؛ لتعذيب أهل النار. والثالث: فُرِغت من مائها ويَبَسَتْ.

وأصله: من سَجَرْتُ التنور: إذا ملأتهَا، فالقول الأول والثاني: أليق بالأصل، والأول والثالث: موافق لقوله ﴿بُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن التزويج بمعنى التنويع؛ لأن الأزواج هي الأنواع، فالمعنى: جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن. والآخر: زُوِّجَتْ نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين. والثالث: زوجت الأرواح والأجساد؛ أي: رُدَّتْ إليها عند البعث، والأول هو الراجح؛ لأنه مروي عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>، وعن عمر بن الخطاب<sup>(٤)</sup> وابن عباس<sup>(٥)</sup>.

(١) في ب: «تفتتت»، وفي د: «تفتت».

(٢) أخرجه الطبري (١٣٦/٢٤)، والحاكم (٣٩٠١) وصححه ووافقه الذهبي، من طريق عكرمة عنه.

(٣) أخرجه الطبري (١٤٢/٢٤) وابن أبي حاتم (٣٣٣٠/١٠) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه الطبري (١٤١/٢٤)، وابن أبي حاتم (٣٤٠٤/١٠)، وابن أبي شيبة (٣٥٦٣٣)، والحاكم (٣٩٠٢)

وصححه ووافقه الذهبي، عن النعمان عن عمر رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبري (١٤٣/٢٤) من طريق العوفي عنه.

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ﴾ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿الْمَوْءِدَةُ﴾ هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها، ومن غيَّرت عليها، فتُسأل يوم القيامة: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ على وجه التوبيخ لقاتلها.

وقرأ ابن عباس (رضي الله عنه): «وإذا الموءودة سالت» -بفتح السين والهمزة- «بأي ذنب قُتِلَتْ» -بضم القاف وسكون اللام وضم التاء-<sup>(١)</sup>. واستدل ابن عباس (رضي الله عنه) بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة<sup>(٢)</sup>؛ لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ ذُكِّرَتْ﴾ هي صحف الأعمال، تنشر ليقرا كل أحد كتابه، وقيل: هي الصحف التي تتطاير بالإيمان والشمالك بالجزاء.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ الكُشِطُ: هو التقشير، كما يُكشط جلدة الشاة حين تسليخ. وكشط السماء: هو طيها كطي السجل، قاله ابن عطية<sup>(٣)</sup>، وقيل: معناه كُشِفَتْ، وهذا أليق بالكشط.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي: أوقدت وأحميت<sup>(٤)</sup>.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْزِلَتْ﴾ أي: قُرِبَتْ.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ هذا جواب ﴿إِذَا﴾ المكررة في المواضع قبل هذا، ومعناه: علمت كل نفس ما أحضرت من عمل، فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم. قال ابن عطية: إنما أفردناها ليبين حقارتها وذلتها<sup>(٥)</sup>. وقال الزمخشري: هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه، كقوله: ﴿رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢] ومعناه التكثير، وكذلك هنا معناه: أعم الجموع<sup>(٦)</sup>. و﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾ عبارة عن الحسنات والسيئات.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٨/٥٤٨)، وتفسير ابن كثير (٨/٣٣٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/٣٤٠٦).

(٣) المحرر الوجيز (٨/٥٤٨).

(٤) في أ، هـ: «وحميت».

(٥) المحرر الوجيز (٨/٥٤٩).

(٦) الكشف (١٦/٣١٣-٣١٤).

﴿وَلَا أَفْسِمُ﴾ ذكرت نظائره<sup>(١)</sup>.

﴿بِالْخُنُسِ﴾ <sup>(١٥)</sup> الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ يعني: الدراري السبعة، وهي الشمس والقمر وزُحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري، وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها؛ أي: تتقهقر، فيكون النجم في البرج ثم يكرُّ راجعاً، وهي جوارٍ في الفلك، وهي تكنس<sup>(٢)</sup> في أبراجها؛ أي: تستتر، وهو مشتق من قولك: كنس الوحشي: إذا دخل كِنَاسَه، وهو موضعه.

وقيل: يعني: الدراري الخمسة؛ لأنها تستتر بضوء الشمس. وقيل: يعني: النجوم كلها؛ لأنها تخنس في جريها، وتكنس بالنهار؛ أي: تستتر وتخفى بضوء الشمس. وقيل: يعني: بقر الوحش، فـ﴿الْخُنُسِ﴾ على هذا: من خنس الأنف، و﴿الْكُنُسِ﴾ من سكتها في كِنَاسِهَا.

﴿وَالَيْلِ إِذَا عَسَّعَسَ﴾ يقال عسَّعس الليل: إذا كان غير مستحكم الظلام، ف قيل: ذلك في أوله، وقيل: في آخره، وهذا أرجح؛ لأن آخر الليل أفضل<sup>(٣)</sup>، ولأنه أعقبه بقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَبَّسَ﴾ أي: استطار واتسع ضوؤه.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الضمير للقرآن، والرسول الكريم: جبريل عليه السلام، وقيل: محمد ﷺ.

قال السهيلي: لا يجوز أن يقال إنه محمد ﷺ؛ لأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا: إن محمداً قال القرآن، فكيف يخبر الله أنه قوله؟ وإنما أراد جبريل، وأضاف القرآن إليه؛ لأنه جاء به، وهو في الحقيقة قول الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم؛ فإنه قد يضاف إلى محمد ﷺ؛ لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام، وجاء به إلى الناس، ومع ذلك فالأظهر: أنه جبريل عليه السلام؛ لأنه وصفه بقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وقد وصف جبريل عليه السلام بهذا في قوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ <sup>(٥)</sup> ذُو مِرَّةٍ ﴿[النجم: ٥-٦].

(١) انظر تفسير الآية (٧٨) من سورة الواقعة.

(٢) في أ، هـ: «تكنس».

(٣) في هامش ب صححت: «أضوا».

(٤) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٦٥).

﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ يتعلق بـ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾، وقيل: بـ ﴿مَكِينٍ﴾، وهذا أظهر. والمكين: الذي له مكانة؛ أي: جاه وتقريب.

﴿مُطَاعَ ثَمٍّ﴾ هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله، وهو قوله: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: مطاع في ملائكة ذي العرش.

﴿وَمَا صَلَّحْكُمْ بِمَنْجُونٍ﴾ هو محمد ﷺ باتفاق.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَيْبِ الْمُسِيئِ﴾ ضمير الفاعل: لمحمد ﷺ، وضمير المفعول: لجبريل عليه السلام. وهذه الرؤية: هي رؤيته له بغار حراء على كرسي بين السماء والأرض، وقيل: هي الرؤية التي رآه عند سدرة المنتهى في الإسراء.

ووصف هذا الأفق بالمبين؛ لأنه روي أنه كان في الشرق<sup>(١)</sup> من حيث تطلع الشمس، وأيضاً فكل أفق فهو مبين.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ الضمير للنبي ﷺ. ومن قرأ بالضاد<sup>(٢)</sup>: فمعناه بخيل؛ أي: لا يبخل بأداء ما أُلقي إليه من الغيب، وهو الوحي. ومن قرأ بالظاء: فمعناه متهم؛ أي: لا يُتهم على الوحي، بل هو أمين عليه، ورجَّح بعضهم هذه القراءة: بأن الكفار لم ينسبوا رسول الله ﷺ إلى البخل بالوحي، بل اتهموه، فنفى عنه ذلك.

﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ الضمير للقرآن.

﴿بَأَيِّنْ تَذْهَبُونَ﴾ خطابٌ لكفار قريش؛ أي: ليس لكم زوال عن هذه الحقائق.

وقد تقدم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدم<sup>(٣)</sup>.



(١) في أ، هـ: «المشرق».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء، وقرأ الباقرن بالضاد.

(٣) انظر تفسير الآية (٥٢) من سورة القلم، وتفسير الآية (٥٤، ٥٥) من سورة المدثر، وتفسير الآية (٤٩، ٣٠) من سورة الإنسان.

## سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَهِيَ نَعِيمٌ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَهِيَ جَحِيمٌ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

﴿١﴾ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ أي: انشقت.

﴿٢﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ أي: سقطت من مواضعها.

﴿٣﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ أي: فرّغت، وقيل: فجر بعضها إلى بعض فاختلطت.

﴿٤﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ أي: نُبِشت عن الموتى الذين فيها. وقال الزمخشري: أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء، والمعنى: بُحِثت وأُخرج موتاها<sup>(١)</sup>.

﴿٥﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ هذا هو الجواب، ومعناه: علمت كل نفس جميع أعمالها، وقيل: ما قدمت في حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سنة<sup>(٢)</sup> سنتها أو وصية أوصت بها. وأفردت النفس والمراد بها العموم حسبما ذكرنا في «التكوير»<sup>(٣)</sup>.

﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴿٦﴾ خطابٌ لجنس بني آدم.

﴿٧﴾ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٧﴾ هذا توبيخ وعتاب، معناه: أي شيء غرَّك بربك حتى كفرت به،

(١) الكشف (١٦/٣٢٣).

(٢) في أ، هـ: «حسنة».

(٣) انظر تفسير الآية (١٤).

أو عصيته، أو غفلت عنه؟ فدخل في العتاب: الكفار وعصاة المؤمنين، ومن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين.

وروي أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمَ﴾ فقال: «عَرَّهْ جهله»<sup>(١)</sup>. وقال عمر رضي الله عنه: «عَرَّهْ جهله وحمقه»، وقرأ: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]<sup>(٢)</sup>.

وقيل: عَرَّهْ الشيطان المسلط عليه، وقيل: عَرَّهْ ستر الله عليه، وقيل: عَرَّهْ طمعه في عفو الله عنه، ولا تعارض بين هذه الأقوال؛ لأن كل واحد منها مما يغرُّ الإنسان، إلا أن بعضها يغرُّ قومًا وبعضها يغرُّ قومًا آخرين.

فإن قيل: ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب: أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع؛ شكرًا لإحسانه ومقابلةً لكرمه، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة<sup>(٣)</sup> وأضاع الشكر الواجب.

﴿بَعْدَ لَكَ﴾ بالتشديد والتخفيف<sup>(٤)</sup>؛ أي: عدل أعضاءك وجعلها متوازنة<sup>(٥)</sup>، فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى، ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى، ولا إحداهما كخلاء والأخرى زرقاء، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضه<sup>(٦)</sup> أسود، وشبه ذلك من الموازنة.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ المجرور يتعلّق بـ ﴿رَكَّبَكَ﴾، و﴿مَّا﴾ زائدة، والمعنى: ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة<sup>(٧)</sup>، وغير ذلك من اختلاف الصور.

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٥١) والثعلبي (١٢/٢٩) عن صالح بن مسمار، قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ.. وذكره.

(٢) أخرجه وابن أبي حاتم (٣٤٠٨/١٠) وانظر: تفسير ابن كثير (٨/٣٤٢)، وليس فيه أنه قرأ آية الأحزاب، وإنما ذكر ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز (٨/٥٥٤).

(٣) في ب، د: «بالنعمة».

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقر بالتشديد.

(٥) في أ، هـ: «متوازنة».

(٦) في ج: «وبعضها».

(٧) في ب: «والذكورية والأنوثة».



ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره: ركبك حاصلًا في أي صورة. وقيل: يتعلق بـ ﴿عَذْلَكَ﴾ على أن يكون بمعنى صرّفك؛ أي: صرفك إلى أي صورة شاء، وهذا بعيد، ولا يتمكن إلا مع قراءة ﴿عَذْلَكَ﴾ بالتخفيف.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن الغرور المذكور قبل، أو التكذيب المذكور بعد.  
﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِي﴾ هذا خطاب للكفار، والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة، أو الحساب، أو الجزاء.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ يعني: الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم.  
﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعلمون الأعمال بمشاهدتهم لها. وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب: فقل: إن الله ينفرد بعلم ذلك، وقيل: إن الملك يجد لها ريحًا يدركها به.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَهُمْ نَعِيمٌ﴾ في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان: المطابقة والترصيع<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: لا يخرجون منها إذا دخلوها. والآخر: لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها؛ لأنهم يعرضون عليها غدوًا وعشيًا.  
﴿وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ تعظيم له وتهويل، وكرّره للتأكيد، والمعنى: أنه من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدر أحد على منفعة أحد.  
وقرئ ﴿يَوْمَ﴾<sup>(٢)</sup>: بالرفع على البدل من ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾، أو على إضمار مبتدأ، وبالنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره: يُجَارُونَ يوم الدين، أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره: اذكر، ويجوز أن يفتح؛ لإضافته إلى غير متمكن، وهو في موضع رفع.



(١) راجع الباب العاشر من المقدمة الأولى للكتاب.

(٢) قرأ أبو عمرو وابن كثير برفع الميم، وقرأ الباقون بالنصب.

## سُورَةُ الْمُطَفِّمِينَ

وَنِلَّ لِلْمُطَفِّمِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَهُ سِجِّينٌ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرِيكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾ وَنِلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيْنَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ \* كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٨﴾ وَمَا أَذْرِيكَ مَا عَلِيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَهُمْ نَعِيمٌ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكِ فَلْيَتَنَاقَسِ الْمُتَنَلِّسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاطِطِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوَابَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿وَنِلَّ لِلْمُطَفِّمِينَ﴾ التطفيف في اللغة: هو البخس والنقص، فسره بذلك الزمخشري<sup>(١)</sup>، واختاره ابن عطية<sup>(٢)</sup>. وقيل: هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان، واختاره ابن الفرس<sup>(٣)</sup>، وهو أظهر؛ لأن المراد به هنا: بخس حقوق الناس في المكيال والميزان، بأن يزيد الإنسان

(١) الكشاف (١٦/٣٣٣).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٥٥٧).

(٣) أحكام القرآن (٣/٦١٣).

على حقه أو ينقص من حق غيره.

وسبب نزول السورة: أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان، يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص<sup>(١)</sup>، فالسورة على هذا مدنية<sup>(٢)</sup>، وقيل: مكية؛ لذكر أساطير الأولين، وقيل: نزل بعضها بمكة، ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ إذ كانوا أشد الناس فسادًا في هذا المعنى، فأصلحهم الله بهذه السورة.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ معنى ﴿إِكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾: قبضوا منهم بالكيل، فـ﴿عَلَى﴾ بمعنى «من»، وإنما أبدلت منها؛ لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم. ويجوز أن يتعلق ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ بـ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، وقُدِّم المعمول لإفادة التخصيص. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ معنى ﴿يُخْسِرُونَ﴾: ينقصون حقوق الناس، وهو من الخسارة، يقال: خسر الرجل، وأخسره غيره: إذا جعله يخسر.

و﴿كَالُوهُمْ﴾ معناه: كالوا لهم، و﴿وَزَنُوهُمْ﴾ معناه: وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجرّ فانتصب المفعول؛ لأن هذين الفعلين يتعدّئ كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف جرّ، يقال: كِلْتُكَ وَكِلْتُ لَكَ، وَوَزَنْتُكَ وَوَزَنْتُ لَكَ بمعنى واحد. وحُذف المفعول الثاني، وهو المكيل والموزون.

والواو التي هي ضمير الفاعل: للمطففين، و«هم» الذي هو ضمير المفعول: للناس. فالمعنى: إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم طعامًا أو غيره مما يكال أو يوزن بخسوهم<sup>(٣)</sup> حقوقهم. وقيل: إن «هم» في قوله: ﴿كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ تأكيد للضمير الفاعل.

وقد روي عن حمزة أنه كان يقف على «كالوا» و«وزنوا» ثم يتدئ «هم»؛ ليبين هذا المعنى، وهو ضعيف من وجهين: أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في «كالوا» و«وزنوا» فدلّ ذلك على أن «هم» ضمير المفعول.

(١) في أ: «بالناقص».

(٢) قاله السدي فيما نقله عنه الثعلبي (٣٦/٢٩).

(٣) في د: «يخسرونهم».

والآخر: أن المعنى على هذا: أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا، وليس ذلك بمقصود؛ لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشرة، ألا ترى أن ﴿اِكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ معناه: قبضوا منهم، و﴿كَالُوهُمْ﴾ و﴿وَزَنُوهُمْ﴾ معناه: دفعوا لهم؛ فقابل القبض بالدفع، وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود.

قال ابن عطية: ظاهر الآية: أن الكيل والوزن على البائع وليس ذلك بالجلي، قال: وصدر الآية في المشتريين، فهم الذين يستوفون؛ أي<sup>(١)</sup>: يشاؤون ويطلبون الزيادة، وقوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ في البائعين؛ فهم الذين يخسرون المشتري<sup>(٢)</sup>.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾<sup>(٣)</sup> لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يعني: يوم القيامة، وهذا تهديد للمطففين، وإنكار لفعلهم. وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه إذا مر بالبائع يقول له: «اتق الله! وأوف الكيل، فإن المطففين يُوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن»<sup>(٣)</sup>.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الظرف منصوب: بقوله: ﴿مَبْعُوثُونَ﴾، وقيل: بفعل مضمر، أو بدل من ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم، فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك، حتى إن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة. ٧- ﴿كَلَّا﴾ ردع على التطفيف، أو افتتاح كلام.

﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَهُ سَجِينَ﴾ كتاب الفجار: هو ما يكتب من أعمالهم. والفجار هنا يحتمل أن يراد به الكفار، أو المطففين وإن كانوا مسلمين، والأول أظهر؛ لقوله بعد هذا: ﴿وَنُزِّلَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

و﴿سَجِينَ﴾: اسم علم منقول من صفة، على وزن فَعِيل للمبالغة، وقد عظم أمره بقوله: ﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا سَجِينَ﴾، ثم فسره بأنه: ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ﴾ أي: مسطور بين الكتابة، وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار، وهو مشتق من السَّجَن بمعنى

(١) في د: «أو».

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٥٨).

(٣) ذكره الثعلبي (٢٩/ ٤٣).

الحبس؛ لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنه مطروح في مكان الهوان والعذاب كالسجن، فقد روي عن النبي ﷺ: أنه في الأرض السفلى<sup>(١)</sup>، وروي عنه: أنه في بئر هنالك<sup>(٢)</sup>، وحكى كعب عن التوراة: «أنه في شجرة سوداء هنالك»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى الآية: أن عِداد<sup>(٤)</sup> الفجار في سجين؛ أي: كُتبوا هنالك في الأزل<sup>(٥)</sup>.

﴿أَسْطِيزَ الْأَوَّلِينَ﴾ قد ذكر<sup>(٦)</sup>.

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمس بصائرهم، فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي. وفي الحديث: «إن العبد إذا أذنب ذنباً صارت نكتة سوداء في قلبه، فإذا زاد ذنباً آخر زاد السواد، فلا يزال كذلك حتى يتغطى، وهو الرين»<sup>(٧)</sup>.

﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ حجب الكفار عن الله دليل على أن المؤمنين لا يُحجبون عنه، وقد استدلل بها مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة، وتأولها المعتزلة أن معناها: محجوبون عن رحمته.

(١) أخرجه الطبري (١٩٧/٢٤)، وأحمد (١٨٥٣٤)، وابن أبي شيبة (١٤١٨٥)، والثعلبي (٤٦/٢٩)، وهو ضمن حديث البراء بن عازب ؓ الطويل في صفة نعيم القبر وعذابه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٣): «ورجاله رجال الصحيح»، وصححه البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٥/١)، وابن القيم في كتاب الروح (١١٥/١) وما بعدها.

(٢) أي في الأرض السابعة، ذكره في المحرر الوجيز (٥٦٠/٨)، ولم أقف عليه هكذا، وإنما ورد أنه في بئر في جهنم، أخرجه الطبري (١٩٦/٢٤) عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً: «الفلق: جيب في جهنم مغطى، وأما سجين فمفتوح»، وأورده ابن كثير في تفسيره (٣٤٩/٨) عن الطبري وقال: «حديث غريب منكر لا يصح».

(٣) أخرجه الثعلبي (٥٢/٢٩).

(٤) في أ، ب، د: «عدد»، والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز.

(٥) المحرر الوجيز (٥٥٩/٨).

(٦) انظر تفسير الآية (٢٦) من سورة الأنعام.

(٧) أخرجه الطبري (٢٦٧/١) وصححه، وأحمد (٧٩٥٢)، والترمذي (٣٣٣٤) وصححه، والنسائي في الكبرى (١٠١٧٩)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، والحاكم (٣٩٠٨) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة ؓ.

﴿١٨﴾-﴿١٩﴾ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَهِمْ عَلَيْهِمْ عَلِيُّونَ: اسم علم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات، وهو جمع منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة، وقد عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَزِيدُكَ مَا عَلَيْهِمْ﴾، ثم فسره بقوله: ﴿كِتَابَ مَرْفُومٍ﴾، وهو مشتق من العلو؛ لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان علي، فقد روي عن النبي ﷺ أنه تحت العرش<sup>(١)</sup>، وقال ابن عباس رضي الله عنه: هو<sup>(٢)</sup> الجنة<sup>(٣)</sup>.

وارتفع ﴿كِتَابَ مَرْفُومٍ﴾ في الموضعين: على أنه خبر ابتداء مضمر، تقديره: هو كتاب، وقال ابن عطية: ﴿كِتَابَ مَرْفُومٍ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ والظرف<sup>(٤)</sup> مُلغًى<sup>(٥)</sup>. وهذا تكلف يفسد به المعنى.

وقد روي في الأثر ما يفسر الآية، وهو «أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد، فإن رضي الله قال: اجعلوه في عليين، وإن لم يرضه قال: اجعلوه في سجين»<sup>(٦)</sup>.

﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ يعني: الملائكة المقربين.

﴿٢١﴾ أَلَا رَأَيْكَ قَدْ ذَكَرَ<sup>(٧)</sup>.

﴿يَنْظُرُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينظرون إلى أعدائهم في النار»<sup>(٨)</sup>، وقيل: ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها.

(١) أخرجه الثعلبي (٢٩ / ٦٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وهو ضمن حديثه الطويل، ووردت هذه الزيادة بعض طرقه، وانظر ما سبق في تخريجه.

(٢) في ب زيادة: «في».

(٣) أخرجه الطبري (٢٤ / ٢٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠ / ٣٤٠٩).

(٤) الذي هو ﴿لَهُمْ سِجِّينٌ﴾، و﴿لَهُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

(٥) المحرر الوجيز (٨ / ٥٦٠).

(٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص: ١٥٣) من حديث ضمرة بن حبيب، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٣٩٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في ضمن حديث طويل في قصة الإسراء.

(٧) انظر تفسير الآية (٥٥) من سورة يس.

(٨) ذكره المهدوي في كتابه التحصيل (٧ / ٥٥) وابن عطية في المحرر الوجيز (٨ / ٥٦٣) دون إسناد، وذكر الثعلبي في تفسيره (٢٩ / ٧٢) من قول مقاتل.

﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أي: بهجته ورؤفته، كما يُرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية. والخطاب في ﴿تَعْرِفُ﴾: للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب من غير تعيين.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيٍّ مَخْتُومٍ﴾ الرّحيق: الخمر الصافية، والمختوم: قد فُسرّه الله بأن ختامه مسك.

وقرئ ﴿خَتَمُهُ﴾ بألف بعد التاء، و﴿خَاتَمُهُ﴾ بألف بعد الخاء، وفتح التاء وكسرها<sup>(١)</sup>. وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من الختم على الشيء، بمعنى جعل الطّابع عليه، فالمعنى: أنه خُتم على فم الإناء الذي هو فيه بالمسك، كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها وصيانتها.

الثاني: أنه من خُتم الشيء؛ أي: تمامه، فمعناه: خاتم شربه مسك؛ أي: يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذّته.

الثالث: أن معناه: مزاجه مسك؛ أي: يمزج الشراب بالمسك، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ.

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ التنافس في الشيء: هو الرغبة فيه، والمغالاة في طلبه، والتزاحم عليه.

﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿تَسْنِيمٍ﴾: اسم علم لعين في الجنة، يشرب منها<sup>(٢)</sup> المقربون صرّفاً، ويُمزج منه الرّحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجات الأبرار، فالمقربون هم السابقون، والأبرار أصحاب اليمين.

﴿عَيْنًا﴾ منصوب على المدح بفعل مضمر، أو على الحال من ﴿تَسْنِيمٍ﴾.

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمعنى: يشربها، فالباء زائدة، ويحتمل أن يكون بمعنى: «يشرب منها»، أو كقولك: «شربت الماء بالعسل».

(١) قرأ الكسائي: ﴿خَاتَمُهُ﴾ بألف بعد الخاء وفتح التاء - وقرئ في الشاذ بكسرها كما في المحرر الوجيز (٨ / ٥٦٤) -، وقرأ الباقون ﴿خَتَامُهُ﴾ بكسر الخاء من غير ألف وبألف بعد التاء.

(٢) في ب، د: «منه».

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ نزلت هذه الآية في صناديد قريش، كأبي جهل وغيره، مرَّ بهم علي بن أبي طالب عليه السلام وجماعة من المؤمنين، فضحكوا منهم واستخفوا بهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ معنى «يَتَغَامَزُونَ»: يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينه. والضمير في «مَرُّوا» يحتمل أن يكون: للمؤمنين أو للكفار، والضمير في «يَتَغَامَزُونَ» للكفار لا غير.

﴿بَٰكِهِينَ﴾ من الفكاهة، وهي اللهو؛ أي: يتفكّهون بذكر المؤمنين، والاستخفاف بهم، قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup>، ويحتمل أن يريد: يتفكّهون بنعيم<sup>(٣)</sup> الدنيا.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ أي: إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال، وقيل: إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَٰمِطِينَ﴾ أي: ما أرسل الكفار حافطين على المؤمنين يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدتهم أو ضلالهم، فكأنه قال: كلامهم بالمؤمنين<sup>(٤)</sup> فضول منهم.

﴿بِالْيَوْمِ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ يعني: بـ «الْيَوْمِ» يوم القيامة؛ إذ تقدم ذكره، فيضحك المؤمنون فيه من الكفار، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.

﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ معنى «تُؤْتِبُ»: جوزي، يقال: تؤتبه وأثابه: إذا جازاه. وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها، في موضع معمول «يَنْظُرُونَ»، فتوصل مع ما قبلها، أو تكون توقيفاً، فيوقف قبلها، ويكون معمول «يَنْظُرُونَ» محذوفاً، حسبما ذكرنا في «يَنْظُرُونَ» الذي قبل هذا، وهذا أرجح؛ لاتفاق الموضعين.



(١) قاله مقاتل والكلبي كما في تفسير الثعلبي (٨٦/٢٩).

(٢) الكشف (٣٥١/١٦).

(٣) في ج، هـ: «بنعم».

(٤) في ب: «في المؤمنين».



## سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا  
وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الْإِنْسُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا بَمَلْفِيهِ  
﴿٦﴾ بَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلُوبُ إِلَى  
أَهْلِيهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى  
سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ  
بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ \* وَلَا تُفْسِمُ بِالْغَيْبِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ  
طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ  
الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

﴿١﴾ «إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ» اختلف في هذا الانشقاق هل هو تشققها<sup>(١)</sup> بالغمام؟ أو انفتاحها  
أبواباً؟ وجواب «إِذَا» محذوف؛ ليكون أبلغ في التهويل؛ إذ يقدر السامع أقصى ما  
يتصوره، أو حذف للعلم به؛ اكتفاءً بما في سورة «التكوير» و«الانفطار» من الجواب.

وقيل: الجواب: ما دل عليه: «بِمَلْفِيهِ»؛ أي: إذا السماء انشقت لقي<sup>(٢)</sup> الإنسان ربه،  
وقيل: الجواب: «أَذْنَتْ» على زيادة الواو، وهذا ضعيف.

﴿٢﴾ «وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا» معنى «أَذْنَتْ» في اللغة: استمعت، وهو عبارة عن طاعتها لربها، وأنها  
انقادت إليه حين أراد انشقاقها، وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدّها وإلقاء ما فيها.

(١) في ب: «انشقاقها».

(٢) في ج، هـ: «لاقي».

﴿وَحَقَّقْتُ﴾ أي: حَقَّقَ لها أن تسمع وتطيع لربها، أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة. وهذه الكلمة من قولهم: «هو حقيقٌ بكذا»، أو «محقوقٌ به»؛ أي: يجب عليه أن يفعله. فالمعنى: يحقُّ على السماء أن تسمع وتطيع لربها، أو يحق عليها أن تنشق. ويحتمل أن يكون أصله: «حَقَّقْتُ» بفتح الحاء وضم القاف على معنى التعجب، ثم أدغمت القاف في القاف التي بعدها، ونقلت حركتها إلى الحاء.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: ألقت ما في جوفها من الموتى، فخرجوا للحشر، وقيل: ألقت ما فيها من الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة، والمقصود ذكر يوم القيامة.

﴿وَتَخَلَّتْ﴾ أي: بقيت خالية مما كان فيها.

﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ﴾ خطاب للجنس.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الكَدْح في اللغة: هو الجد والاجتهاد والسرعة. فالمعنى: إنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك؛ لأن الزمان يطير<sup>(١)</sup>، وأنت في كل لحظة تقطع حظاً من عمرك القصير، فكأنك سائر مسرع إلى الموت، ثم تلاقي ربك. وقيل: المعنى: إنك ذو جدٍّ فيما تعمل من خير أو شر، ثم تلقى ربك فيجازيك به، والأول أظهر؛ لأن ﴿كَادِحٌ﴾ تعدى بـ ﴿إِلَىٰ﴾؛ لَمَّا تَضَمَّنَ معنى السير، ولو كان بمعنى العمل لقال: «لربك».

﴿بِأَمَّا مَنْ أَوْتَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ذكر في «الحاقة»<sup>(٢)</sup>.

﴿بَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل، أو بمعنى هين سهل. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «من نوقش الحساب عُدِّبَ»، فقالت عائشة رضي الله عنها: ألم يقل الله: ﴿بَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾. فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك

(١) في د: «يُذْبِر».

(٢) انظر تفسير الآية (١٨).

العرض، وأما من نوقش الحساب فيهلك»<sup>(١)</sup>، وفي الحديث أيضًا عن رسول الله ﷺ: «إن الله يذني العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول: فعلت كذا وكذا، ويعدد عليه ذنوبه، ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»<sup>(٢)</sup>، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «من حاسب نفسه في الدنيا هوّن الله حسابه يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَيَتَقَلَّبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي: يرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا بما أعطاه الله. والأهل: زوجاته في الجنة من نساء الدنيا، أو من الحور العين، ويحتمل أن يريد: قرابته من المؤمنين، وبذلك فسر الزمخشري<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ يعني: الكافر. وروي أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد، وكان من فضلاء المؤمنين، وفي أخيه أسود، وكان من عتاة الكافرين<sup>(٥)</sup>، ولفظها أعم من ذلك. فإن قيل: كيف قال في الكافر هنا إنه يؤتى كتابه ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾، وقال في «الحاقة»: ﴿يُسْمَأِلُهُ﴾ [الحاقة: ٢٤]؟

فالجواب من وجهين: أحدهما: أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره<sup>(٦)</sup> فيأخذ بها كتابه. وقيل: تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره، فيأخذ بها كتابه.

﴿بَسُوفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ أي: يصيح بالويل والثبور.

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي: كان في الدنيا مسرورًا مع أهله، متنعمًا غافلًا عن

(١) أخرجه البخاري (١٥٥)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) عن ابن عمر ؓ.

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٥٧٠/٨) من حديث ابن عمر ؓ مرفوعًا، ولم أقف عليه مرفوعًا، ووجدته من قول عمر ؓ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية»، أخرجه أحمد في الزهد (ص: ١٢٠)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص: ٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/١٥٧).

(٤) الكشف (٣٥٨/١٦).

(٥) ذكره في المحرر الوجيز (٥٧١/٨).

(٦) في الكشف (٣٥٨/١٦): «تُغْلُ يَمَانُهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، وتجعل شماله وراء ظهره».

الآخرة. وهذا في مقابلة ما حكى عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورًا في الجنة، وهو ضد ما حكى عن المؤمنين في الجنة من قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٤].

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ﴾ أي: لن يرجع إلى الله، والمعنى: أنه يكذب بالبعث.

﴿يَبْلَى﴾ أي: يحور ويُبْعَث.

﴿فَلَا أَفْسِمُ﴾ ذكر في نظائره<sup>(١)</sup>.

﴿بِالشَّعْبِ﴾ هو الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس. وقال أبو حنيفة: هو البياض، وقيل: هو النهار كله، وهذا ضعيف، والأول هو المعروف عند الفقهاء وأهل اللغة.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: جمع وضم، ومنه الوسق، وذلك أن الليل يضم الأشياء ويسترها بظلامه.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي: إذا كمل ليلة أربع عشرة، ووزن ﴿إِتَّسَقَ﴾ افتعل، وهو مشتق من الوسق، فكأنه امتلأ نورًا. وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يلزم؛ لالتزام السين قبل القاف في ﴿وَسَقَ﴾ و﴿إِتَّسَقَ﴾.

﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الطبق في اللغة له معنيان:

أحدهما: ما طابق غيره، يقال: هذا طبق لهذا: إذا طابقه.

والآخر: جمع طبقة.

فعلى الأول يكون المعنى: لتركبن حالًا بعد حال، كل واحدة منها مطابقة للأخرى. وعلى الثاني يكون المعنى: لتركبن أحوالًا بعد أحوال، هي طبقات بعضها فوق بعض. ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال، وفي قراءة ﴿تَرْكَبَنَّ﴾<sup>(٢)</sup>:

فأما من قرأه بضم الباء: فهو خطاب لجنس الإنسان، وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال:

(١) انظر تفسير الآية (٧٨) من سورة الواقعة، وتفسير الآية (٣٨) من سورة الحاقة.

(٢) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء، وقرأ الباقون بضمها.

أحدها: أنها شدائد الموت، ثم البعث، ثم الحساب، ثم الجزاء.  
والآخر: أنها كون الإنسان نطفة، ثم علقه، إلى أن يخرج إلى الدنيا، إلى أن يهرم، ثم يموت.

والثالث: لتركبن سنن من كان قبلكم.

وأما من قرأ ﴿تَرْكَبْنَ﴾ بفتح الباء: فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا.  
وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ، ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال:  
أحدها: لتركبن مكابدة الكفار حالاً بعد حال.

والآخر: لتركبن فتح البلاد شيئاً بعد شيء.

والثالث: لتركبن السماوات في الإسراء سماءً بعد سماء.

وقوله: ﴿عَسَ ظَبَوْنَ﴾: في موضع الصفة لـ ﴿ظَبَأَ﴾، أو في موضع حال من الضمير في ﴿تَرْكَبْنَ﴾، قاله الزمخشري<sup>(١)</sup>.

﴿بِمَا لَهُمْ لَا يَوْمِنُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أي شيء يمنعهم من الإيمان؟  
﴿وَإِذَا فُرِغَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي<sup>(٢)</sup> وغيره؛ لأن رسول الله ﷺ سجد فيها<sup>(٣)</sup>، وليست عند مالك من عزائم السجّدات.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمّر؛ ليصفهم بالكفر.  
﴿وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا يُوْعُونَ﴾ أي: بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب، أو بما يجمعون في صحائفهم (من الأعمال القبيحة)<sup>(٤)</sup>، يقال: أوعيت المال وغيره: إذا جمعته.  
﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وضع البشارة موضع النذارة تهكماً بهم.

(١) الكشاف (١٦/٣٦٣).

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤/٢٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٥٧٨) عن أبي هريرة ؓ.

(٤) سقط من أ، ج، هـ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار، فالاستثناء على هذا متصل، وإلى هذا أشار ابن عطية<sup>(١)</sup>، وقال الزمخشري: هو منقطع<sup>(٢)</sup>.  
﴿أَجْرٌ غَيْرٌ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر<sup>(٣)</sup>.



(١) المحرر الوجيز (٨ / ٥٧٤).

(٢) الكشاف (١٦ / ٣٦٥).

(٣) انظر تفسير الآية (٧) من سورة حم السجدة.

## سورة البروج

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ فَبَلَّغْنَا أَصْحَابَ الْأَخْذُودِ ﴿٤﴾ الْبَارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا فُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ بَقِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ \* إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَينُ يَدَيْهِ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْعَبُّورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يَرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ فَرَعَانٌ مُجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لُجٍّ مَحْضُوطٍ ﴿٢٢﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ البروج: هي المنازل المعروفة، وهي اثنا عشر، تقطعها الشمس في السنة، وقيل: هي النجوم العظام؛ لأنها تتبرج؛ أي: تظهر.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة باتفاق، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ يحتمل الشاهد والمشهد أن يكون من الشهادة على الأمر، أو يكون من معنى الحضور، وحذف المعمول، وتقديره: مشهود عليه، أو مشهود به، أو مشهود فيه. وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهد اضطراباً عظيماً، ويتلخص من

(١) أخرجه الطبري (٢٤/٢٦٢)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤١٣)، وأحمد (٧٩٧٢)، والترمذي (٣٣٣٩)، والحاكم (٣٩١٥) من طريق أحمد وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً، وضعفه الترمذي وابن كثير في تفسيره (٨/٣٦٤)، وقال: «وقد روي مرفوعاً على أبي هريرة ؓ، وهو أشبه».

أقولهم في الشاهد ستة عشر قولاً، يقابلها في المشهود اثنان وثلاثون قولاً<sup>(١)</sup>:

القول الأول: أن الشاهد: هو الله تعالى لقوله: ﴿وَكَيْفَ يَاللَّهُ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٨]. والمشهود على هذا يحتمل ثلاثة أوجه:

[١] أحدها: أن يكون الخلق، بمعنى أنه يشهد عليهم.

[٢] والآخر: أن يكون الأعمال، بمعنى أنه يشهد بها.

[٣] والثالث: أن يكون يوم القيامة، بمعنى أنه يشهد فيه؛ أي: يحضر للحساب والجزاء، أو تقع فيه الشهادة على الناس.

القول الثاني: أن الشاهد: محمد ﷺ لقوله: ﴿لَيَكُونَنَّ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٧٦]. والمشهود على هذا يحتمل أن تكون:

[٤] أمته؛ لأنه يشهد عليهم.

[٥] أو أعمالهم؛ لأنه يشهد بها.

[٦] أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه؛ أي: يحضر، أو تقع فيه الشهادة على الأمة.

القول الثالث: أن الشاهد: أمة محمد ﷺ؛ لقوله: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢]. والمشهود على هذا:

[٧] سائر الأمم؛ لأنهم يشهدون عليهم.

[٨] أو أعمالهم.

[٩] أو يوم القيامة.

القول الرابع: أن الشاهد: عيسى عليه السلام. والمشهود:

[١٠] أمته؛ لقوله: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

[١١] أو أعمالهم.

[١٢] أو يوم القيامة.

(١) الذي ظهر لي واحد وثلاثون قولاً



القول الخامس: أن الشاهد: جميع الأنبياء. والمشهود:

[١٣] أممهم؛ لأن كل نبيّ يشهد على أمته.

[١٤] أو يشهد بأعمالهم.

[١٥] أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه.

القول السادس: أن الشاهد: الملائكة الحفظة. والمشهود على هذا:

[١٦] الناس؛ لأن الملائكة يشهدون عليهم.

[١٧] أو الأعمال؛ لأن الملائكة يشهدون بها.

[١٨] أو يوم القيامة.

[١٩] أو صلاة الصبح؛ لقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَانَ أَلْبَجَرَ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الاسراء: ٧٨].

القول السابع: أن الشاهد: جميع الناس؛ لأنهم يشهدون القيامة؛ أي: يحضرونها.

[٢٠] والمشهود: يوم القيامة؛ لقوله: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [مرد: ١٠٣].

القول الثامن: أن الشاهد: الجوارح. والمشهود عليه:

[٢١] أصحابها؛ لقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ [النور: ٢٤].

[٢٢] أو الأعمال؛ لأن الجوارح تشهد بها.

[٢٣] أو يوم القيامة؛ لأن الشهادة تقع فيه.

القول التاسع: أن الشاهد: الله والملائكة وأولو العلم؛ لقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَالْمَلَكُ وَالْعِلْمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

[٢٤] والمشهود به: الوجدانية.

القول العاشر: أن الشاهد: جميع المخلوقات.

[٢٥] والمشهود به: وجود خالقها، وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك.

القول الحادي عشر: أن الشاهد: النجم؛ لما ورد في الحديث: «لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد»، وهو النجم<sup>(١)</sup>.

[٢٦] والمشهود على هذا: الليل والنهار؛ لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل.

القول الثاني عشر: أن الشاهد: الحجر الأسود.

[٢٧] والمشهود: الناس الذين يحجّون.

القول الثالث عشر: روي عن النبي ﷺ: أن الشاهد: يوم الجمعة.

[٢٨] والمشهود: يوم عرفة<sup>(٢)</sup>. وذلك لأن يوم الجمعة يشهد بالأعمال، ويوم عرفة يشهده جمعٌ عظيم من الناس.

القول الرابع عشر: أن الشاهد: يوم عرفة.

[٢٩] والمشهود: يوم النحر، قاله علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

القول الخامس عشر: أن الشاهد: يوم التروية.

[٣٠] والمشهود: يوم عرفة.

القول السادس عشر: أن الشاهد: يوم الاثنين.

[٣١] والمشهود: يوم الجمعة.

﴿فَتِيلَ أَصْحَبِ الْأُخْدُودِ﴾ الكلام هنا في ثلاثة فصول:

الأول: في جواب القسم، وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

وثانيها: أنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، وهذان القولان ضعيفان؛ لبعد القسم من الجواب.

(١) أخرجه مسلم (٨٣٠) عن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه قريباً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٥٧٦/٨)، وفي تفسير الطبري (٢٦٤/٢٤) عن علي رضي الله عنه أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.

وثالثها: أنه: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾، تقديره: لقد قتل.

ورابعها: أنه محذوف، يدل عليه: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾، تقديره: لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود، وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدًا للكفار، وتأييسًا للمسلمين المعذبين.

الفصل الثاني: في تفسير لفظها:

فأما ﴿قُتِلَ﴾ فاختلف هل هو دعاء أو خبر؟ واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة، أو بمعنى: لعن؟ وأما ﴿الْأُخْدُودِ﴾: فهو الشق في الأرض، كالخندق وشبهه. وأما ﴿أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ فيحتمل أن يريد به الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، أو يريد به المؤمنين الذين حرقوا فيه، فيكون القتل حقيقة خبرًا، والأول أظهر.

الفصل الثالث: في قصة أصحاب الأخدود، وفيها أربعة أقوال:

القول الأول: ما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث طويل معناه: أن ملكًا كافرًا أسلم أهل بلاده، فأمر بالأخدود فخذ في أفواه السكك، وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها، ففعلوا ذلك، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه! اصبري فإنك على الحق<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: أن ملكًا زنى بأخته، ثم أراد أن يحلل للناس نكاح الأخوات، فأطاعه قوم، ومنهم<sup>(٢)</sup> أخذ المجوس ذلك، وعصاه قوم، فحفر لهم الأخدود وأحرقهم فيه بالنار<sup>(٣)</sup>.

القول الثالث: أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيًا، وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) عن صهيب رضي الله عنه.

(٢) في ب: «ومنه».

(٣) أخرجه الطبري (٢٧٠/٢٤) عن علي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤١٣/١٠) والعليني (١٦٨/٢٩) عن علي رضي الله عنه.

القول الرابع: أن صاحب الأخدود: ذو نواس المذكور في قصة عبد الله بن التامر<sup>(١)</sup> التي وقعت في السير<sup>(٢)</sup>.

ويحتمل أن يكون ذو نواس هو الملك الذي ذكره النبي ﷺ، فيتفق هذا القول مع الأول، فإن ذا نواس حفر أخدودًا فأوقد فيه نيرانًا<sup>(٣)</sup>، وألقى فيها كل من وحّد الله تعالى واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر.

﴿الْبَارِ ذَاتِ الْوُفُودِ﴾ ﴿الْبَارِ﴾ بدل من ﴿الْأَخْدُودِ﴾، وهو بدل اشتغال، و﴿الْوُفُودِ﴾: ما توقد به النار، والقصد: وصف النار بالشدة والعظمة.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا فُعُودٌ﴾ الضمير: للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، وهم أصحاب الأخدود على الأظهر، والعامل في ﴿إِذْ﴾: قوله: ﴿فُتِلَ﴾.

فروي أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفًا<sup>(٤)</sup>، وقيل: سبعين ألفًا<sup>(٥)</sup>، ف﴿فُتِلَ﴾ على هذا بمعنى: لُعن؛ أي: لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين.

وروي أن الله بعث على المؤمنين ريحًا قبضت أرواحهم وخرجت النار<sup>(٦)</sup> فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها<sup>(٧)</sup>، ف﴿فُتِلَ﴾ على هذا بمعنى القتل الحقيقي؛ أي: قتلهم النار.

وقيل: الضمير في ﴿إِذْ هُمْ﴾ للمؤمنين، والأول أشهر وأظهر؛ لقوله: ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

(١) الذي في سيرة ابن هشام (٣٦/١): «التمر» بالناء.

(٢) رواها ابن إسحاق، انظر: سيرة ابن هشام (٣٤/١)، وتفسير ابن كثير (٣٦٨/٨).

(٣) في ب، د: «فيها نارا».

(٤) ذكره في المحرر الوجيز (٥٧٩/٨).

(٥) نقله الثعلبي (١٧٣/٢٩) عن الكلبي.

(٦) في ب، د: «وأخرجت النار».

(٧) أخرجه الطبري (٢٧٦/٢٤) عن الربيع بن أنس، وذكره في المحرر الوجيز (٥٧٩/٨) عن ابن إسحاق وأبي العالية.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة، أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق، أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة.

أو يكون بمعنى الحضور؛ أي: كانوا حاضرين على ذلك الفعل.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله، وهذا لا ينبغي أن يُنكر. فإن قيل: لم قال ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ بلفظ المضارع ولم يقل: «آمنوا» بلفظ الماضي؛ لأن القصة قد وقعت؟

فالجواب: أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان، ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم، فلذلك ذكره بلفظ المستقبل، فكأنه قال: إلا أن يدوموا على الإيمان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ بَتَّنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود: فالفتنة هنا بمعنى الإحراق. وإن كانت في كفار قريش: فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾؛ لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا، بل ماتوا على كفرهم، وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب. وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حين كفره؛ كقوله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد في الآخرة، فيكون تأكيداً لعذاب جهنم، أو نوعاً من العذاب زيادةً إلى عذاب جهنم. ويحتمل أن يريد في الدنيا، وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش: هو الأخذ بقوة وسرعة.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ أي: يبدئ الخلق بالنشأة الأولى، ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث. وقيل: يبدئ البطش ويعيده؛ أي: يبطش بهم في الدنيا والآخرة، والأول أظهر وأرجح؛ لقوله: ﴿اللَّهُ يَبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤، الروم: ٢٠]. وقد ذكرنا ﴿الْوَدُودُ﴾ في «اللغات»<sup>(٢)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر المادة (٥٦٦).

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ أضاف العرش إلى الله، وخصّه بالذكر؛ لأن العرش أعظم المخلوقات. و ﴿الْمَجِيدُ﴾: من المجد، وهو الشرف ورفعة القدر. وقرئ ﴿الْمَجِيدُ﴾ بالرفع<sup>(١)</sup>: صفة لـ ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾، وبالحفض: صفة لـ ﴿الْعَرْشِ﴾.

﴿هَلْ أَمِيتُكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر. والمقصود بذكر الجنود: تهديد الكفار، وتأنيس النبي ﷺ.

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ تهديد لهم، معناه: لا يفوتونه، بل يصيبهم عذابه إذا شاء.

﴿يَوْمَ لَوْجٍ مَّحْفُوظٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ الذي في السماء. وقرئ ﴿مَّحْفُوظٌ﴾ بالحفض<sup>(٢)</sup>: صفة للوح، وبالرفع: صفة للقرآن؛ أي: حفظه الله من التبديل والتغيير، أو حفظه المؤمنون في صدورهم.



(١) قرأ حمزة والكسائي بالحفض، وقرأ الباقون بالرفع.

(٢) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالحفض.

## سُورَةُ الطَّارِقِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلِ الْكَاذِبِينَ أَمْ لَهُمْ رَوْيَدٌ ﴿١٧﴾

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ هذه السماء التي أقسم الله بها: هي <sup>(١)</sup> المعروفة، وقيل: أراد المطر؛ لأن العرب قد تسميه سماء، وهذا بعيد. والطَّارِق في اللغة: ما يَطْرُق؛ أي: يجيء ليلاً، وقد فسره الله هنا بأنه «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» وهو يطلع ليلاً.

ومعنى «الثَّاقِبُ»: المضيء أو المرتفع، فقيل: أراد جنس النجوم، وقيل: الثريا؛ لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم، وقيل: زُحَل؛ لأنه أرفع النجوم؛ إذ هو في السماء السابعة.

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه عند الجمهور: إن كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها، يعني: الملائكة الحفظة. وروي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «إن لكل نفس حفظة من الله يذُبُّون عنها كما يُذَبُّ عن العسل، ولو وُكِّل المرء إلى نفسه طرفة عين لا تختطفته الآفات والشياطين» <sup>(٢)</sup>، وإن صح هذا الحديث فهو المعول عليه.

(١) في ب زيادة: «السماء».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (ص: ٩٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٧)، والثعلبي (٢٩٩/ ٢٠٩) عن أبي أمامة الباهلي مرفوعاً، وضعفه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٩٠)، والعراقي في تخريج الإحياء (١/ ٩١٧)، والهيتمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٢٥).

وقرى ﴿لَمَّا عَلَيَّهَا﴾ بتخفيف الميم<sup>(١)</sup>: وعلى هذا تكون ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واللام للتأكيد، و«ما» زائدة.

وقرى ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد: وعلى هذا تكون ﴿إِنْ﴾ نافية، و﴿لَمَّا﴾ بمعنى الإيجاب بعد النفي.

﴿قَلْبِي نَظَرَ إِلَى نَسْلِ مِمَّ خُلِقَ﴾ حذف ألف «ما»؛ لأنها استفهامية، وجوابها ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾. وسمي المني ماء دافقاً؛ من الدَّفَق، بمعنى الدفع، فقليل: معناه: مدفوق، وصاحبه هو الدافق في الحقيقة، وقال سيبويه: هو على النسب؛ أي: ذو دفق، وقال ابن عطية: يصح أن يكون الماء دافقاً؛ لأن بعضه يدفع بعضاً<sup>(٢)</sup>.

ومقصود الآية: إثبات الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته؛ ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده. ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله: أنه لما أخبر أن على كل نفس حافظاً يحفظ أعمالها؛ أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى<sup>(٣)</sup> كل نفس بأعمالها.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الضمير في ﴿يَخْرُجُ﴾ للماء، وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون للإنسان<sup>(٤)</sup>، وهذا بعيد جداً. والترائب: عظام الصدر، واحدها: تَرَبَّة، وقيل: هي الأطراف، كاليدين والرجلين، وقيل: هي عَصَاة القلب، ومنها يكون الولد، وقيل: هي الأضلاع التي أسفل الصلب.

والأول هو الصحيح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: هي موضع القلادة ما بين ثديي المرأة<sup>(٥)</sup>. ويعني صلب الرجل وترائبه، وصلب المرأة وترائبها، وقيل: أراد: صلب الرجل، وترائب المرأة.

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمة بتشديد الميم، وقرأ الباقر بالتخفيف.

(٢) المحرر الوجيز (٨/ ٥٨٤-٥٨٥).

(٣) في ب: «يجازي».

(٤) المحرر الوجيز (٨/ ٥٨٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٥).



﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ لله تعالى، وفي ﴿رَجْعِهِ﴾ للإنسان. والمعنى: أن الله قادر على رجوع الإنسان حيًّا بعد موته، والمراد: إثبات البعث.

وقيل: إن المعنى: رُدُّه ماءً كما كان أول مرة، وقيل: رُدُّه من الكبر إلى الشباب، وقيل: الضمير في ﴿رَجْعِهِ﴾ للماء الدافق، والمعنى: رُدُّه في الإحليل أو في الصلب، وهذا كله ضعيف بعيد، والقول الأول هو الصحيح المشهور.

﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يعني: يوم القيامة. و﴿السَّرَائِرُ﴾: جمع سريرة، وهي ما أسرَّ العبد في قلبه من العقائد<sup>(١)</sup> والنيات، وما أخفى من الأعمال، ويلاؤها: هو تعرُّفها والاطلاع عليها. وروي عن النبي ﷺ أن السرائر: الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة<sup>(٢)</sup>، وهذه معظمها، فلذلك خصَّها بالذكر. والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ قوله: ﴿رَجْعِهِ﴾؛ أي: يَرْجعه يوم تبلى السرائر. واعتُرض: بالفصل بينهما. وأجيب: بقوة المصدر في العمل.

وقيل: العامل ﴿قَادِرٌ﴾. واعتُرض: بتخصيص القدرة بذلك اليوم. وهذا لا يلزم؛ لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم.

وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى، تقديره: يَرْجعه يوم تبلى السرائر. وهذا كله على المعنى الصحيح في ﴿رَجْعِهِ﴾، وأما على الأقوال الأخر: فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾ مضمر تقديره: اذكر.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الضمير للإنسان، ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له؛ أخبره الله أنه يعدّمهما يوم القيامة.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المراد بـ﴿الرَّجْعِ﴾ عند الجمهور: المطر، وسماه رجعًا بالمصدر لأنه يرجع كل عام، أو لأنه يرجع إلى الأرض. وقيل: الرجوع: السحاب الذي فيه المطر، وقيل: هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة.

(١) في دزيادة: «والعزائم».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٦٦) عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٥٢٢٦) ورمز له بالصحة! مع أن في إسناده محمد بن يونس الكديمي وهو ضعيف (التقريب ٩١٢).

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يعني: ما تتصدّع<sup>(١)</sup> عنه الأرض من النبات، وقيل: يعني: ما في الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها.

﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلٌ فَضْلٌ﴾ الضمير للقرآن؛ لأن سياق الكلام يقتضيه. والفصل معناه: الذي فصل<sup>(٢)</sup> بين الحق والباطل، كما قيل له: فرقان. والهزل: اللهو، يعني: أنه جدُّ كلِّه.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ الضمير لكفار قريش. وكيدهم: هو ما دبَّروا في شأن رسول الله ﷺ من الإضرار به، وإبطال أمره.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب؛ للمشاكلة بين الفعلين<sup>(٣)</sup>.

﴿بِمَهْلٍ الْكُبْرِيِّينَ﴾ أي: لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم، أو بالدعاء عليهم. وهذا منسوخ بالسيف.

﴿أَمْهَلُهُمْ رُؤَيْدًا﴾ أي: إمهالًا يسيرًا قليلًا، يعني: إلى قتلهم يوم بدر، أو إلى الدار الآخرة، وجعله يسيرًا؛ لأن كل آتٍ قريب. ولفظ ﴿رُؤَيْدًا﴾ هنا: صفة لمصدر محذوف<sup>(٤)</sup>، وقد تقع بمعنى الأمر بالتمهل، كقولك: رويدًا يا فلان. وكرَّر الأمر في قوله: ﴿أَمْهَلُهُمْ﴾، وخالف بينه وبين لفظ ﴿مَهْلٍ﴾؛ لزيادة التيسير والتصيير، قاله الزمخشري<sup>(٥)</sup>.



(١) في أ، د: «تصدع» وفي ب: «يتصدع».

(٢) في ب: «يفصل».

(٣) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (١٧) و(٣٩) و(٥٨) و(٦٠).

(٤) تقديره: إمهالًا. الكشاف (٣٨٩/١٦).

(٥) الكشاف (٣٨٩/١٦).

## سُورَةُ الْأَعْلَى

سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَخْرَجَ  
الْمَرْعَى ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝ سَنُفَرِّقُكَ فَلَا تَنْسَى ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ  
الْغَهْرَ وَمَا يَخْبَى ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۝ فَذَكِّرْ إِنْ نَبَّهْتَ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرْ مَنْ  
يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا  
يَخْبَى ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝  
وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَهُمُ الصُّحُفُ الْأُولَى ۝ صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝

﴿سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ التَّسْبِيحُ فِي اللُّغَةِ: التَّنْزِيهِ. وَذَكَرَ الْاسْمَ هُنَا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْمُسَمَّى، وَيَكُونُ الْاسْمُ صَلَةً كَالزَّائِدِ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: سَبِّحْ  
رَبَّكَ؛ أَيْ: نَزِّهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَقَدْ يَتَخَرَّجُ ذَلِكَ عَلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ: إِنَّ الْاسْمَ هُوَ  
الْمُسَمَّى.

وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ الْاسْمُ مَقْصُودًا بِالذِّكْرِ، وَيَحْتَمِلُ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا أَرْبَعَةٌ أَوْجُهٌ: الْأَوَّلُ:  
تَنْزِيهِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْمَعَانِي الْبَاطِلَةِ، كَالْتَشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ. الثَّانِي: تَنْزِيهِ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَنِ  
أَنْ يُسَمَّى بِهَا صَنْمٌ أَوْ وَثَنٌ. الثَّلَاثُ: تَنْزِيهِ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَنِ أَنْ تُذَكَّرَ فِي حَالِ الْغَفْلَةِ دُونَ  
خَشَوْعٍ. الرَّابِعُ: أَنْ الْمُرَادُ قَوْلُ<sup>(١)</sup>: «سُبْحَانَ اللَّهِ»، وَلَمَّا كَانَ التَّسْبِيحُ بِاللِّسَانِ لَا بَدَّ فِيهِ مِنْ  
ذِكْرِ الْاسْمِ أَوْ قَعِ التَّسْبِيحِ عَلَى الْاسْمِ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّحِيحُ.

(١) فِي د: «قُلْ».

ويؤيده: ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: «سبحان ربي الأعلى»<sup>(١)</sup>، وأنها لما نزلت قال: «اجعلوها في سجودكم»<sup>(٢)</sup>، فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب، ولا بد في التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى؛ فلذلك قال: ﴿سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، مع أن التسبيح في الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه، وإنما ذكر الاسم؛ لأنه هو الذي يوصل به إلى التسبيح باللسان.

وعلى هذا: يكون موافقاً في المعنى لقوله: ﴿بَسِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [الواقعة: ٧٧]؛ لأن معناه: نزه الله بذكر اسمه، ويؤيد هذا: ما روي عن ابن عباس ؓ أن معنى ﴿سَبِّحْ﴾: صل باسم ربك<sup>(٣)</sup>؛ أي: صل واذكر في الصلاة اسم ربك. و﴿الْأَعْلَى﴾ يحتمل أن يكون صفة للرب، أو للاسم، والأول أظهر.

﴿الَّذِي خَلَقَ بَسَوِي﴾ حذف مفعول ﴿خَلَقَ﴾ و﴿سَوِي﴾؛ لقصد الإجمال الذي يفيد العموم، والمراد: خلق كل شيء فسواه؛ أي: أنقن خلقته. وانظر ما ذكرنا في قوله: ﴿بَسَوِيكَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [الأنفطار: ٧].

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ﴿قَدَّرَ﴾ بالتشديد<sup>(٤)</sup>: يحتمل أن يكون من القدر والقضاء، أو من التقدير والموازنة بين الأشياء. وقرئ بالتخفيف: فيحتمل أن يكون من القدرة، أو التقدير، وحذف المفعول؛ ليفيد العموم.

فإن كان من التقدير فالمعنى: قدر لكل حيوان ما يصلحه، فهده إله وعرفه وجه

(١) أخرجه أحمد (٢٠٦٦)، وأبو داود (٨٨٣)، والحاكم (٩٧٠) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عباس ؓ مرفوعاً، وقال أبو داود بعد ذكره: «خولف وكيع في هذا الحديث، رواه أبو وكيع وشعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ؓ موقوفاً»، وأخرجه موقوفاً عبد الرزاق (٤٠٥١)، وابن أبي شيبة (٨٧٣٤) والطبري (٣١٠/٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وابن خزيمة (٦٧٠)، وابن حبان (١٨٩٨)، والحاكم (٣٧٨٣) وصححه ووافقه الذهبي، عن عتبة بن عامر ؓ. وانظر: البدر المنير (٦٠٨/٣).

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٥٩٠/٨)، وذكره الثعلبي (٢٣٦/٢٩) عنه دون إسناد بلفظ: «صل بأمر ربك الأعلى»، وذكره الطبري (٣١١/٢٤) دون نسبة.

(٤) قرأ الكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقر بالتخفيف.

الانتفاع به، وقيل: هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث؛ لبقاء النسل، وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي، وقيل: هدى الناس للخير والشر، والبهايم للمراتع، وهذه الأقوال أمثلة، والأول أعم وأرجح، فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها<sup>(١)</sup> باب واسع فيه عجائب وغرائب.

وقال الفراء: المعنى: هدى وأضل، واكتفى بالواحدة؛ لدلالاتها على الأخرى<sup>(٢)</sup>، وهذا بعيد.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ ﴿بَجَعَلَهُ غُثَاءً أَخْوَىٰ﴾ المرعى: هو النبات الذي ترعاه البهائم. والغشاء: هو النبات اليابس المتحطّم، وقد يقال للزبل غشاء. و﴿أخْوَىٰ﴾ معناه: أسود، وهو صفة لـ﴿غُثَاءً﴾.

والمعنى: أن الله أخرج المرعى أخضر، فجعله بعد خضرته غشاء أسود؛ لأن الغشاء إذا قَدَّمَ تعفنّ واسودَّ. وقيل: إن ﴿أخْوَىٰ﴾ حال من ﴿الْمَرْعَىٰ﴾، ومعناه: الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير تقديره: الذي أخرج المرعى أخوئ فجعله غشاء، وفي هذا القول تكلف.

﴿سَنَفَرِيكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، وعده الله أن يُقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له ﷺ؛ لأنه كان أميًا لا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل ﷺ من القرآن. وقيل: معنى الآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآية [القيامة: ١٦]؛ فإنه ﷺ كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل ﷺ خوفًا أن ينساه، فضمن الله له أن لا ينساه. وقيل: ﴿فَلَا تَنْسَىٰ﴾ نهي عن النسيان، وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر، فالمراد: الأمر بتعاذه حتى لا ينساه. وهذا بعيد؛ لإثبات الألف في ﴿تَنْسَىٰ﴾.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن معناه: لا تنسى؛ إلا ما شاء الله أن تنساه، كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٥].

(١) في هـ: «منافعها».

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/٢٥٦).

والآخر: أنه لا ينسى شيئاً، ولكن قال: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾؛ تعظيماً لله بإسناد الأمر إليه، كقوله ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٩] على بعض الأقوال، وعبر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي<sup>(١)</sup>.

والأول أظهر؛ فإن النسيان جائز على النبي ﷺ فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن، أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره، ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عبّاد بن بشر: «يرحمه الله؛ لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد أنسيتها»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَنَسِيَكَ لِلْيُسْرَى﴾ عطف على ﴿سَنَفَرُثُكَ﴾، ومعناه: نوفّقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة، وقيل: معناه للشرعية اليسرى، من قوله ﷺ: «دين الله يسر»<sup>(٣)</sup> أي: سهل لا حرج فيه.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَبَقْتَ الذِّكْرَى﴾ المراد بهذا الشرط: توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم، كقولك: قد أوصيتك لو سمعت. وقيل: إن المعنى: فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع، واقتصر على أحد القسمين؛ لدلالة الآخر عليه، وهذا بعيد وليس عليه الرّونق الذي على الأول.

﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ أي: من يخاف الله.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ يعني: الكافر، وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة<sup>(٤)</sup>. والضمير المفعول لـ ﴿الذِّكْرَى﴾.

﴿النَّارَ الْكُبرى﴾ هي نار جهنم، وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا.

وقيل: سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم؛ فإنها تتفاضل، وبعضها أكبر من بعض.

(١) الكشاف (١٦/٣٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٥)، ومسلم (٧٨٨) عن عائشة ؓ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩) عن أبي هريرة ؓ.

(٤) قاله في الكشاف (١٦/٤٠٠)، وعزاه الواحدي في البسيط (٢٣/٤٤٤) إلى مقاتل.

وكلا القولين صحيح، إلا أن الأول أظهر، ويؤيده قول رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي توقدون جزءاً من سبعين جزءاً من نار جهنم»<sup>(١)</sup>.

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْبِي﴾ أي: لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة هنيئة. وعطف هذه الجملة بـ﴿ثُمَّ﴾؛ لأن هذه الحالة أشد من صلي النار، فكأنها بعده في الشدة.

﴿فَدَأْفَلَحَ مَن تَزَجَّجِي﴾ يحتمل أن يكون ﴿تَزَجَّجِي﴾ بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي، أو بمعنى الطهارة للصلاة، أو بمعنى أداء الزكاة، وعلى هذا قال جماعة: إنها في يوم الفطر، والمعنى: أدّى زكاة الفطر، وذكر اسم ربه في طريق المصلي إلى أن يخرج الإمام، وصلى صلاة العيد، وقد روي هذا عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. وقيل: المراد: أدّى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الإشارة إلى ما ذكر قبل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، أو إلى ما تضمنته السورة، أو إلى القرآن بجملته. والمعنى: إنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب.



(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤١٨/١٠)، والبزار (٣١٣/٨)، وابن خزيمة (٢٤٢٠) وقال: «غريب»، والثعلبي (٢٩/٢٩٠-٢٥١)، والبيهقي (٧٦٦٨)، عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَدَأْفَلَحَ مَن تَزَجَّجِي﴾ قال: «أخرج زكاة الفطر، وأخرج إلى المصلي فصلي»، وكثير بن عبد الله ضعيف كما في التقريب (٨٠٨)، وضعف الحديث ابن أبي حاتم، والهيتمي في مجمع الزوائد (٢٢٩/٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٦٩/١٥).

## سورة الغشية

هَلْ أَتَيْكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُودِ يَوْمٍ ذِي خَسْفَةٍ ﴿٢﴾ غَامِلَةٍ نَّاصِبَةٍ ﴿٣﴾ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْفَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِيهِ مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُودِ يَوْمٍ ذِي نَاعِمَةٍ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خَلَقَ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

﴿هَلْ أَتَيْكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر، وقيل: ﴿هَلْ﴾ بمعنى «قد»، وهذا ضعيف.

﴿الْغَاشِيَةِ﴾ هي القيامة؛ لأنها تغشى جميع الخلق. وقيل: هي النار، من قوله: ﴿وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد ذلك قسمين: أهل الشقاوة وأهل السعادة.

﴿خَسْفَةٍ﴾ أي: ذليلة.

﴿غَامِلَةٍ نَّاصِبَةٍ﴾ هو من النصب بمعنى التعب. وفي المراد بهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الكفار، ويحتمل على هذا يكون عملهم ونصبهم في الدنيا؛ لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها، أو يكون في الآخرة، فيعملون فيها عملاً يتعبون فيه، من جرّ السلاسل والأغلال وشبه ذلك، ويكون زيادة في عذابهم.



الثاني: أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم؛ لأنهم على غير الإسلام، وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبكى رحمة لراهب نصراني رآه مجتهداً<sup>(١)</sup>، فـ«عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ» على هذا: في الدنيا، و«نَّاصِبَةٌ» إشارة إلى اجتهداهم في العمل، أو إلى أنه لا ينفعهم، فليس لهم منه إلا النَّصَب.

الثالث: أنها في القدرية، وقد روي أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال: «إن فيهم المجتهد»<sup>(٢)</sup>.

﴿تُسْفَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ﴾ أي: شديدة الحر، ومنه ﴿حَمِيمٍ آيٍ﴾ [الرحمن: ٤٣]، ووزن ﴿آيَةٍ﴾ هنا فاعلة، بخلاف ﴿آيَةٍ مِّنْ بَيْتَةٍ﴾ [الإنسان: ١٥] فإن وزنه: أفْعلة.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِمَّنْ ضَرِيعٌ﴾ في الضريع أربعة أقوال:

أحدها: أنه شوك يقال له: الشُّبْرُق، وهو سَمٌّ قاتل، وهذا أرجح الأقوال؛ لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: «الضريع شوك في النار»<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أنه الزَّقُوم؛ لقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْآثِمِ﴾ [الدخان: ٤١].

الثالث: أنه نبات أخضر مُتَنِّ يَنْبِت في البحر، وهذا ضعيف.

الرابع: أنه واد في جهنم، وهذا أضعف<sup>(٤)</sup>؛ لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام، إنما هو شراب.

ولله دُرٌّ من قال: الضريع طعام أهل النار، فإنه عَمَّ وَسَلِّم من عهدة التعيين. واشتقاقه عند بعضهم من المضاربة بمعنى المشابهة؛ لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به. وقيل: بمعنى: مُضَرع للبدن، أي: مُضْعِف، وقيل: إن العرب لا تعرف هذا اللفظ.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٤٢٠/٣)، والحافظ البرقاني - كما في تفسير ابن كثير (٣٨٥/٨) -، والحاكم (٣٩٢٥).

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في بغية الباحث للهيثمي (٢٦٩/١)، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٣٩/١)، وابن حجر في المطالب العالية (٤٦١/١٢)، وأخرجه اللالكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٨١/٤)، من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، وضعفه البوصيري.

(٣) أخرجه ابن مردويه بسند واه كما في الدر المنثور (٣٨٥/١٥).

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «ضعيف».

فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، وقال في «الحاقة»: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِيلٍ﴾ [الحاقة: ٣٦]؟ فالجواب: أن الضريع لقوم، والغسلين لقوم، أو يكون أحدهما في حال، والآخر في حال.

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِيهِ مِنْ جُوعٍ﴾ هذه الجملة صفة لـ ﴿ضَرِيعٍ﴾، أو لـ ﴿طَعَامٍ﴾، نفى عنه منفعة الطعام، وهي التسمين وإزالة الجوع.

﴿وَجُودٌ يُؤْمِزُ نَاعِمَةً﴾ أي: متعة في الجنة، أو يظهر عليها نضرة النعيم.

﴿لَسَعِغِيهَا رَاضِيَةً﴾ أي: رضية في الآخرة لأجل سعيها، وهو عملها في الدنيا.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ يحتمل أن يكون من علو المكان، أو من علو المقدار، أو الوجهين.

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً﴾ هو من لغو الكلام، ومعناه الفحش<sup>(١)</sup> وما يكره، فيحتمل أن يريد: كلمة لاغية، أو جماعة لاغية.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يحتمل أن يريد: جنس العيون، أو واحدة شرفها بالتعيين.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ قد ذكرنا «أَكْوَابٌ»<sup>(٢)</sup>، ومعنى «مَوْضُوعَةٌ»: حاضرة معدة بشرابها. وفي قوله: «مَرْفُوعَةٌ» و«مَوْضُوعَةٌ» مطابقة.

﴿وَتَنَارٌ﴾ جمع نمرقة، وهي الوسادة.

﴿وَرَزَابِيُّ﴾ هي بُسْطٌ فاخرة، وقيل: هي الطَّنَافِسُ، واحدها: رَزَبِيَّةٌ<sup>(٣)</sup>.

﴿مَبْنُوتَةٌ﴾ أي: متفرقة، وذلك عبارة عن كثرتها، وقيل: مبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ حض على النظر إلى خلقها؛ لما فيها من العجائب في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك.

(١) في ب، د: «اللعن».

(٢) انظر تفسير الآية (٢٠) من سورة الواقعة.

(٣) انظر التعليق على تفسير الآية (٧٥) من سورة الرحمن.

وقيل: أراد بالإبل السحاب، وهذا بعيد، وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال.

والصحيح أن المراد الحيوان المعروف، وإنما ذكره لما فيه من العجائب، ولاعتناء العرب به؛ إذ كانت معاشهم في الغالب منه، وهو أكثر المواشي في بلادهم.

﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُضِيطِرٍّ﴾ أي: قاهر متسلط. وهذا من المنسوخ بالسيف.

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن من تولى وكفر فيعذبه الله. وقيل: هو استثناء من مفعول ﴿بَذَكِّرِ﴾، والمعنى: ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يشت منه، فهو على هذا متصل. وقيل: هو استثناء من قوله: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُضِيطِرٍّ﴾ أي: لا تتسلط إلا على من تولى وكفر، وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه؛ إذ لا موادعة فيه، وهذا بعيد؛ لأن السورة مكية، والموادعة بمكة ثابتة.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي: رجوعهم، والآية تهديد.



## سُورَةُ الْفَجْرِ

وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ فَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ بَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَنِعْرُونَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝ بِأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ رَبُّهُ بِأَكْرَمَةٍ ۖ وَنَعَّمَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۖ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۖ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۖ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۖ وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۖ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَبًّا صَبًّا ۖ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۖ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ۖ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۖ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۖ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ۖ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ ۖ إِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبْدِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۖ

١ ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم تعالى بالفجر، وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بالصبح. وقيل: أراد صلاة الفجر، وقيل: أراد النهار كله. وقيل: فجر يوم الجمعة، وقيل: فجر يوم النحر، وقيل: فجر ذي الحجة، ولا دليل على هذه التخصيصات. وقيل: أراد انفجار العيون من الحجارة، وهذا بعيد، والأول أشهر وأظهر.

٢ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هي عشر ذي الحجة عند الجمهور. وقيل: العشر الأول من المحرم، وفيها عاشوراء، وقيل: العشر الآخر من رمضان، وقيل: العشر الأول منه.

٣ ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ روي عن النبي ﷺ: أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة<sup>(١)</sup>؛ وذلك

(١) أخرجه أحمد (١٤٥١١)، والنسائي في الكبرى (٤٠٨٦)، والحاكم (٧٥١٧) وصححه على شرط مسلم =

لأن يوم النحر عاشر فعدده شفعٌ، ويوم عرفة تاسع فعدده وتر.

وروي عنه عليه السلام: أن الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر ليلة النحر<sup>(١)</sup>.

وروي عنه عليه السلام: أنها الصلوات، منها شفع ووتر<sup>(٢)</sup>.

وقيل: الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى، والوتر الركعة الواحدة المعروفة.

وقيل: الشفع العالم، والوتر الله؛ لأنه واحد.

وقيل: الشفع آدم وحواء، والوتر الله تعالى.

وقيل: الشفع الصفا والمروة، والوتر البيت الحرام.

وقيل: الشفع أبواب الجنة؛ لأنها ثمانية، والوتر أبواب النار؛ لأنها سبعة.

وقيل: الشفع قرآن الحج، والوتر إفراده.

وقيل: المراد الأعداد، منها شفع ووتر.

فهذه عشرة أقوال. وقرئ **«الْوَتْرُ»** بفتح الواو وكسرها<sup>(٣)</sup>، وهما لغتان.

**﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾** أي: إذا يذهب، فهو كقوله: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾** [القدر: ٣٣]. وقيل: أراد: يُسَرَى فيه، فهو على هذا كقولهم: «ليلة قائم»، والمراد على هذا: ليلة جمع؛ لأنها التي يُسَرَى فيها، والأول أشهر وأظهر.

= ووافقه الذهبي، من حديث جابر رضي الله عنه، قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/٢٠٥): «وهذا سند لا بأس برجاله»، وقال ابن كثير في تفسيره (٨/٣٩١): «وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندى أن المتن في رفعه نكارة».

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/١٧٩) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١٥/٤٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٩١٩)، والترمذي (٣٣٤٢)، عن عمران بن عصام عن شيخ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً، قال ابن حجر في الفتح (٨/٧٠٢): «ورجاله ثقات إلا أن فيه راوياً مبهمًا»، وأخرجه الطبري (٢٤/٣٥٤)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٢٣) والحاكم (٣٩٢٨) وصححه ووافقه الذهبي عن عمران بن عصام الضبي -شيخ من أهل البصرة- عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً، فأسقطوا ذكر الرجل المبهم، قال ابن حجر عقب كلامه السابق: «وقد أخرجه الحاكم من هذا الوجه فسقط من روايته المبهم فاغترّ فصاحه»، قال ابن كثير في تفسيره (٨/٣٩٣): «وعندي أن وقفه على عمران بن حصين أشبه».

(٣) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، وقرأ الباقون بالفتح.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها. والحجرجر هنا: هو العقل، كأنه يقول: إن هذا لقسمٌ<sup>(١)</sup> عظيمٌ عند ذوي العقول. وجواب القسم محذوف، وهو: «ليأخذنَّ الله الكفار»، ويدلُّ على ذلك: ما ذكر بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون.

﴿لَارَمَ﴾ هي قبيلة عاد، سميت باسم أحد أجدادها، كما يقال: «هاشم»: لبني هاشم. وإعرابه: بدل من «عَادٍ»، أو عطف بيان. وفائدته: أن المراد عادُ الأولى، فإن عادًا الثانية لا يسمَّون بهذا الاسم. وقيل: ﴿لَارَمَ﴾ اسم مدينتهم، فهو على حذف مضاف تقديره: «بعادٍ عادٍ إِرَمَ»، ويدل على هذا: قراءة ابن الزبير: «بعادٍ إِرَمَ» على الإضافة من غير تنوين «عاد»<sup>(٢)</sup>. وامتنع ﴿لَارَمَ﴾ من الصرف على القولين: للتعريف والتأنيث.

﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ من قال ﴿لَارَمَ﴾ قبيلةٌ: قال ﴿الْعِمَادِ﴾: أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر؛ لأنهم كانوا أهل عمود، وقال ابن عباس رضي الله عنه: ذلك كناية عن طول أبدانهم<sup>(٣)</sup>. ومن قال ﴿لَارَمَ﴾ مدينة: فـ ﴿الْعِمَادِ﴾ الحجارة التي بنيت بها، وقيل: القصور والأبراج.

﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ﴾ صفة للقبيلة؛ لأنهم كانوا أعظم الناس أجسامًا، يقال: كان طول الرجل منهم أربع مئة ذراع. أو صفة للمدينة، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿فِي الْبَلَدِ﴾، ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا. وروي أنها بناها شَدَّاد بن عاد في ثلاث مئة عام، وكان عمره تسع مئة عام، وجعل قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزُّبرجد والياقوت، وفيها أنواع الشجرات والأنهار الجارية، وروي أنه سَمِعَ ذكر الجنة، فأراد أن يعمل مثلها، فلما أتمَّها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة، وكانت هذه المدينة باليمن، وروي أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية<sup>(٤)</sup>.

(١) في ب، د، هـ: «القسم».

(٢) بفتح الهمزة وكسر الراء من «إِرَمَ». المحرر الوجيز (٨/٦٠٧)، والبحر المحيط (٢١/٣٤٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/٣٦٥) من طريق العوفي عنه.

(٤) أخرجه الثعلبي (٢٩/٣٢٧) عن كعب الأحبار، والذي مرَّ بها رجل من الأعراب اسمه عبد الله بن قلابة، فلما بلغ خبره معاوية رضي الله عنه أرسل في طلبه، وأرسل إلى كعب الأحبار فأخبر خبرها وهو خير مطول، وأشار ابن كثير في تفسيره (٨/٣٩٦) إلى ما ذكره الثعلبي، وعقب بقوله: «فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، =

وقيل: هي دمشق، وقيل: الإسكندرية، وهذا ضعيف.

﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أي: نَقَبُوهُ وَنَحَتُوا فِيهِ بِيوتًا. والوادي: ما بين الجبلين، وإن لم يكن فيه ماء، وقيل: أراد وادي القرى<sup>(١)</sup>.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ذكر في «داود»<sup>(٢)</sup>.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ صفة لعاد وشمود وفرعون، ويجوز أن يكون منصوبًا على الذم، أو خبر ابتداء مضمّر.

﴿بَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ استعار<sup>(٣)</sup> السَّوْطَ للعذاب؛ لأنه يقتضي من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره. قاله ابن عطية<sup>(٤)</sup>، وقال الزمخشري: ذُكِرَ السَّوْطُ إشارةً إلى عذاب الدنيا؛ إذ هو أهون من عذاب الآخرة، كما أن السَّوْطَ أهون من القتل<sup>(٥)</sup>.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان، ورقب على كل إنسان، وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم. والمرصاد: المكان الذي يترقب<sup>(٦)</sup> فيه الرصد.

﴿بَأْمًا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَيْتَهُ﴾ الابتلاء: هو الاختبار، واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه، وقد كان الله عالمًا بذلك قبل كونه. و﴿الْإِنْسَانُ﴾ هنا: جنس، وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة<sup>(٧)</sup>، وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة.

= ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٨٤): «أثار الوضع عليه لائحة».

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٤/٣٣٨): «وادي القرى: واد بين الشام والمدينة، وهو بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة، وبها سمي وادي القرى».

(٢) انظر

(٣) في أ، هـ: «استعارة».

(٤) المحرر الوجيز (٨/٦٠٩).

(٥) الكشاف (١٦/٤٢٤).

(٦) في ب، د: «ترقب».

(٧) ذكره الواحدي في البسيط (٢٣/٥٠٨) من رواية عطاء عن ابن عباس ؓ.

وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير، ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر، كما قال في: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وأنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّيَ أَكْرَمَ﴾ وقوله حين الشر: ﴿رَبِّيَ أَهْنَى﴾. ويتعلق بالآية سؤالان:

السؤال الأول: لم أنكر الله على الإنسان قوله: ﴿رَبِّيَ أَكْرَمَ﴾ و﴿رَبِّيَ أَهْنَى﴾؟  
والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الإنسان يقول: ﴿رَبِّيَ أَكْرَمَ﴾ على وجه الفخر بذلك والكبر، لا على وجه الشكر، ويقول: ﴿رَبِّيَ أَهْنَى﴾ على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر.

والآخر: أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك؛ فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه، ويضيقه على<sup>(١)</sup> أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة، وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا؛ لأنه لا يصدق بالآخرة، ويرى أن الدنيا هي الغاية، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك.

السؤال الثاني: إن قيل: قد قال الله: ﴿بِأَكْرَمَةٍ﴾ فأثبت إكرامه، فكيف أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّيَ أَكْرَمَ﴾؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر، أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا في معنى الإنكار.

الثاني: أنه أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّيَ أَكْرَمَ﴾ إذا اعتقد إن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام، لا على وجه التفضل والإنعام، كقول قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

الثالث: أن الإنكار إنما هو لقوله: ﴿رَبِّيَ أَهْنَى﴾، لا لقوله: ﴿رَبِّيَ أَكْرَمَ﴾؛ فإن قوله: ﴿رَبِّيَ أَكْرَمَ﴾ اعترافٌ بنعمة الله، وقوله: ﴿رَبِّيَ أَهْنَى﴾ شكاية من فعل الله.

(١) في ب: «ويقبضه عن».



﴿بَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي: ضيقه، وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها<sup>(١)</sup> بمعنى واحد، وفي التشديد مبالغة، وقيل: معنى التشديد: جعله على قدر معلوم.

﴿كَأَنَّ﴾ زجر عما أنكر من قول الإنسان.

﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ هذا ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة. ومعنى هذا الإضراب بـ ﴿بَلْ﴾: كأنه أنكر على الإنسان ما تقدم، ثم قال: بل تفعلون ما هو شر من ذلك، وهو أن لا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده. قال رسول الله ﷺ: «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الحَضُّ على الأمر: هو الترغيب فيه، ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو، فكأنه ذم لترك طعام المسكين. والطعام هنا: بمعنى الإطعام، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: لا تحضون على بذل طعام المسكين. وقرئ ﴿تَحْضُونَ﴾ بفتح الحاء وألف بعدها<sup>(٣)</sup>، بمعنى لا يحض بعضكم بعضاً.

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ التُّرَاث: ما يُورَث عن الميت من المال، والتاء فيه بدل من واو، واللم: الجمع واللف، والتقدير: أكلاً ذا لم، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره؛ لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيراً، بل يتفرد به الرجال.

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: شديداً كثيراً، وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه.

﴿ذُكِّتِ الْأَرْضُ﴾ أي: سُويت بذهاب جبالها.

﴿ذَكَأَ ذَكَأً﴾ أي: دكاً بعد دك، كما تقول: تعلمت العلم باباً باباً.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ تأويله عند المتأولين: جاء أمره وسلطانه. وقال المنذر بن سعيد: معناه ظهوره للخلق هنالك. وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير

(١) قرأ ابن عامر بتشديد الدال، وقرأ الباقون بتخفيفها.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٨٨/١٢)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥٥٤/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩١-٣٩٢) عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً، تفرد به إسحاق بن إبراهيم الحنيني، وهو ضعيف (التقريب ١٢٦)، وذكره الذهبي في الميزان (١٧٩/١)، وقال: «صاحب أوابد» وعد منها هذا الحديث.

(٣) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بفتح الحاء وألف بعدها، وقرأ الباقون بضم الحاء من غير ألف.

تكيف ولا تمثيل<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْمَلَكُ﴾ هو اسم جنس، فإنه روي أن الملائكة كلهم يكونون صفوفًا حول الأرض.

﴿صَبَّأً صَبَّأً﴾ أي: صفاً بعد صف، قد أحدقوا بالجن والإنس.

﴿وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسُ﴾ «يَوْمَئِذٍ» بدل من «إِذَا ذُكِّتَ»، و«يَتَذَكَّرُ» هو العامل، وهو جواب «إِذَا ذُكِّتَ». والمعنى: أن الإنسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا، ويندم على تفريطه وعصيانته. و«الْإِنْسُ» هنا: جنس، وقيل: يعني: عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف.

﴿وَأَنبَى لَهُ الذِّكْرَى﴾ هذا على حذف تقديره: «أنى له الانتفاع بالذكرى»، كما تقول: «ندم حين لم تنفعه الندامة».

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه يريد الحياة في الآخرة، فالمعنى: يا ليتني قدّمت عملاً صالحاً للآخرة. والآخر: أنه يريد الحياة الدنيا، فالمعنى: يا ليتني قدّمت عملاً صالحاً وقت<sup>(٣)</sup> حياتي، فاللام على هذا كقولك: كتبتُ لعشر من الشهر.

﴿بَيَّوْمٍ لَا يَعْذِبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ من قرأ بكسر الذال من «يَعْذِبُ» والثاء من «يُوثِقُ»<sup>(٤)</sup>: فالضمير في «عَذَابُهُ» و«وَثَاقُهُ»: لله تعالى، والمعنى: أنه الله يتولى عذاب الكفار ولا يكفه إلى أحد. ومن قرأ بالفتح: فالضمير للإنسان؛ أي: لا يعذب أحد مثل عذابه، ولا يوثق أحد مثل وثاقه، وهذه قراءة الكسائي، وروي أن أبا عمرو رجع إليها<sup>(٥)</sup>، وهي قراءة حسنة، وقد رويت عن رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) عن ابن مسعود ؓ.

(٣) في ب، د: «في وقت».

(٤) قرأ الكسائي بفتح الذال والثاء، وقرأ الباقون بكسرهما.

(٥) ذكره الثعلبي (٣٥٧ / ٢٩).

(٦) أخرجه الطبري (٣٩١ / ٢٤) عن خارجة عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عمّن أقرأه النبي ﷺ،

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ﴾ أي: الموقنة يقيناً قد اطمأنت به، بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان، وقيل: المطمئنة: التي لا تخاف حينئذ، ويؤيد هذا: قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه: «يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة»<sup>(١)</sup>.

﴿إَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون: عند الموت، وقيل: عند البعث، وقيل: عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار، والأول أرجح؛ لما روي أن أبا بكر رضي الله عنه سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال له: «يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك»<sup>(٢)</sup>.

﴿رَاضِيَةً﴾ معناه: راضية بما أعطاك الله، أو راضية عن الله. ومعنى المرضية: مرضية عند الله، أو أرضاها الله بما أعطاه.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي: ادخلي في جملة عبادي الصالحين. وقرئ: «فادخلي في عبادي» بالتوحيد<sup>(٣)</sup>، ومعناه: ادخلي في جسده وهو خطاب للنفس. ونزلت هذه الآية في حمزة<sup>(٤)</sup>، وقيل: في خبيب بن عدي الذي صلبه الكفار بمكة<sup>(٥)</sup>، ولفظها يعم كل نفس مطمئنة.



= وفي إسناده خارجة بن مصعب وهو متروك (التقريب ٢٨٣)، وقال الطبري: «واهي الإسناد»، وأخرجه أحمد (٢٠٦٩١)، وأبو داود (٣٩٩٦) من طريق شعبة عن خالد، وقال محققو المسند: «رجاله ثقات رجال الشيخين»، وأخرجه الحاكم (٣٠٠٩) من طريق ابن المبارك عن خالد، وصححه ووافقه الذهبي، قال الحاكم: «والصحابي الذي لم يسمه في إسناده قد سماه غيره مالك بن الحويرث».

(١) أخرجه الطبري (٣٩٥/٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (٣٩٦/٢٤)، وابن أبي حاتم (٣٤٣٠/١٠)، والثعلبي (٣٦٦/٢٩) عن سعيد بن جبيرة مرسلاً، قال ابن كثير في تفسيره (٤٠١/٨): «وهذا مرسل حسن».

(٣) قرأ بها ابن عباس وعكرمة والضحاك ومجاهد وأبو جعفر. المحرر الوجيز (٦١٦/٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٣٠/١٠) عن بريدة.

(٥) ذكره الثعلبي (٣٧٣/٢٩) قولاً لم ينسبه، وقاله مقاتل كما في تفسيره (٦٩٢/٤).

## سورة البلد

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي  
 كَبَدٍ ۝ أَيْخِسِبُ أَنْ لَنْ يَفْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۝ أَيْخِسِبُ أَنْ لَمْ  
 يَرَهُ أَحَدٌ ۝ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝ فَلَا اقْتَحَمَ  
 الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا  
 مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا  
 بِالْمَرْحَمَةِ ۝ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝  
 عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَّةٌ ۝

١ ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفاً لها، و﴿لَا﴾ زائدة.

٢ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده، وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى أنت حال<sup>(١)</sup> بهذا البلد؛ أي: ساكن؛ لأن السورة نزلت والنبي ﷺ بمكة.

والآخر: أن معنى ﴿حِلٌّ﴾: تُسْتَحَلُّ حرمتك ويؤذيك الكفار، مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر، ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل: ﴿لَا أَقْسِمُ﴾ نفْي؛ أي: لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية.

الثالث: أن معنى ﴿حِلٌّ﴾: حلال، يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتل كافر وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك، وهذا هو الأظهر؛ لقوله ﷺ: «إن هذا البلد حرام حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، لم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة

(١) في ب، د، هـ: «حل».

من نهار»<sup>(١)</sup>، يعني: يوم فتح مكة، وفي ذلك اليوم أمر ﷺ بقتل ابن خطلٍ وهو متعلق بأستار الكعبة<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: إن السورة مكية، وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة؟  
فالجواب: أن هذا وعدٌ بفتح مكة، كما تقول لمن تعدُّه بالكرامة: «أنت مُكرَّم»،  
يعني: فيما يستقبل، وقيل: إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح، وهذا ضعيف.  
﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه أراد آدم وجميع ولده<sup>(٣)</sup>.

الثاني: نوح ﷺ وولده.

الثالث: إبراهيم ﷺ وولده.

الرابع: محمد ﷺ وولده.

الخامس: جنس كل والد ومولود.

وإنما قال: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ولم يقل: «ومن ولد»؛ إشارة إلى تعظيم المولود كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦]، قاله الزمخشري<sup>(٤)</sup>.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة، قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابده<sup>(٥)</sup> ابن آدم<sup>(٦)</sup>. وأصل الكبد: من قولك: كَبَدَ الرجلُ فهو أكبد: إذا وَجَعَتْ كَبِدُهُ. وقيل: معنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾: واقفاً منتصباً القامة، وهذا ضعيف. و﴿الْإِنْسَانَ﴾ على هذين القولين: جنس، وقيل: الإنسان آدم ﷺ، ومعنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ على هذا: في السماء، وهذا ضعيف، والأول هو الصحيح.

(١) أخرجه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣) عن ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٧) عن أنس ﷺ.

(٣) في د: «أولاده».

(٤) الكشف (٤٤٣/١٦).

(٥) في ج، د، هـ: «يكابده».

(٦) أخرجه الطبري (٤٠٩/٢٤) عن الحسن.

﴿أَيَحْسِبُ أَنْ لَنْ يَفْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه.

والآخر: أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه.

فعلى الأول: نزلت في جنس الإنسان الكافر.

وعلى الثاني: نزلت في رجل معين، وهو أبو الأشد<sup>(١)</sup>، رجل من قريش كان شديد القوة<sup>(٢)</sup>، وقيل: عمرو بن عبد ود<sup>(٣)</sup>، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة، وقتله علي بن أبي طالب عليه السلام.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ أي: كثيرًا، وقرئ ﴿لُبْدًا﴾ بضم اللام وكسرهما<sup>(٤)</sup>، وهو جمع لبدة - بالضم والكسر - بمعنى الكثرة. ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة<sup>(٥)</sup>؛ فإنه أنفق مالا في إفساد أمر رسول الله ﷺ، وقيل: في الحارث بن عامر بن نوفل، وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات، فقال: لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدا<sup>(٦)</sup>.

﴿أَيَحْسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ يحتمل أن يكون هذا تكديبا له في قوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُبْدًا﴾، أو إشارة إلى أنه أنفق رياء.

(١) في تفسير الثعلبي (٣٨٧/٢٩)، والبسيط للواحدي (١٧/٢٤)، والمحزر الوجيز (٦٢٠/٨): «أبو الأشدّين».

(٢) عزاه الثعلبي (٣٨٧/٢٩) إلى مقاتل، وعزاه الواحدي في البسيط (١٧/٢٤) إلى الكلبي ومقاتل.

(٣) حكاه النقاش كما في المحزر الوجيز (٦٢٠/٨).

(٤) قراءة السبعة وغيرهم بضم اللام، وأما القراءة بالكسر فقد ذكرها الزمخشري في الكشاف (٤٤٥/١٦)، ولم أقف على تسمية من قرأ بها أو ذكر أنها قراءة في هذه الآية، ويظهر أنه وهم، بل قد قال أبو عمرو الداني في جامع البيان (١٦٦٧/٤): «وأجمعوا على ضم اللام في قوله في البلد: «مالا لبدا»، لأن معناه الكثرة فبابه أن تضم لامه، والذي في هذه السورة [سورة الجن] معناه جماعات فبابه أن تكسر لامه. هـ، وإنما التي وقع فيها اختلاف القراء قوله تعالى في سورة الجن: «كادوا يكونون عليه لبدا» فروئ هشام - بخلف عنه - عن ابن عامر بضم اللام، وقرأ الباقر - وهو الوجه الثاني لهشام - بكسرها.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤٤٥/١٦).

(٦) قاله مقاتل كما في تفسير الثعلبي (٣٩٠/٢٩).

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقَي الخير والشر، فهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد، وقيل: يعني: ثديي الأم.

﴿فَلَا يَفْتَحْ الْعُقْبَةَ﴾ الاقتحام: الدخول بشدة ومشقة.

و﴿الْعُقْبَةُ﴾ عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس.

وقيل: هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال.

و﴿لَا﴾ هنا: تحضيض بمعنى: «هلاً»، وقيل: هي دعاء. وقيل: هي نافية، واعترض هذا القول: بأن «لا» النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها. وأجاب الزمخشري بأنها مكررة في المعنى، والتقدير: فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يدل على التكرار؛ لأن التقدير: فلا اقتحم العقبة ولا آمن<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا أَدْرِكَ مَا الْعُقْبَةُ﴾ تعظيم للعقبة، ثم فسرها بفك الرقبة، وهو إعتاقها، وبالإطعام. وقرئ ﴿فَكَ رَقَبَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>: بضم الكاف وخفض الرقبة، وهو على هذا تفسير للعقبة، وبفتح الكاف ونصب الرقبة، وهو تفسير ل﴿إِفْتَحْ﴾.

وفك الرقبة: هو عتقها، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار»<sup>(٤)</sup>. وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: دلني على عمل أنجو به، فقال: «فكَّ الرقبة وأعتق النسمة»، فقال الأعرابي: أليس هذا واحداً؟ فقال رسول الله ﷺ:

(١) الكشاف (١٦/٤٤٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/٣٢٩).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿فَكَ﴾ بفتح الكاف «رقبة» بنصب التاء، «أو أطعم» بفتح الهمزة والميم من غير ألف ولا تنوين، وقرأ الباقر: ﴿فَكَ﴾ برفع الكاف «رقبة» بخفض التاء، «أو إطعام» بكسر الهمزة ورفع الميم منونة وألف قبلها.

(٤) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩) عن أبي هريرة ؓ.

«لا، عتق النسمة أن تنفرد بعنتها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها»<sup>(١)</sup>.  
 وأما فداء أسارى المسلمين من أيدي الكافرين فهو أعظم أجرًا من العتق؛ لأنه واجب،  
 ولو استغرقت فيه أموال المسلمين، ولكنه لا يجزئ في الكفارات عن عتق رقبة.  
 ﴿١١﴾ «أَوْ إِطْعَامٌ» من قرأ ﴿بَكَّةَ﴾ بالرفع قرأ ﴿إِطْعَامٌ﴾، فعطف مصدرًا على مصدر. ومن قرأ  
 ﴿بَكَّةَ﴾ بالفتح قرأ ﴿أَطْعَمَ﴾ بفتح الهمزة والميم، فعطف فعلًا على فعل.  
 ﴿فِي يَوْمٍ ذُو مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة، يقال: سَغِبَ الرجلُ: إذا جاع.  
 ﴿يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: ذا قرابة، ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم.  
 ﴿أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: ذا حاجة، يقال: تَرَبَّ الرجلُ: إذا افتقر، وهو مأخوذ من  
 لُصُوقِهِ بالتراب، وروي عن النبي ﷺ: أنه الذي مأواه المزابل<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ «ثُمَّ» هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان، وفيها إشارة إلى  
 أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام.  
 ولا يصح أن تكون للترتيب في الزمان؛ لأنه يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق  
 والإطعام! ولا يُقبل عمل إلا من مؤمن.  
 ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي: وصَّى بعضهم بعضًا بالصبر على قضاء الله، وكأن هذا إشارة إلى  
 صبر المسلمين بمكة على إذابة الكفار.  
 ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي: وصَّى بعضهم بعضًا برحمة المساكين وغيرهم، وقيل:  
 المرحمة: كل ما يؤدي إلى رحمة الله.

(١) أخرجه أحمد (١٨٦٤٧)، وابن حبان (٣٧٤)، والحاكم (٢٨٦١) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (٢١٣١٣)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٤٣٨): «رواه أحمد ورجاله ثقات».

(٢) أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٤/٢١٤)، وفي إسناده عمرو بن حَكَّام، وهو متروك الحديث. انظر: الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (٢/٢٢٥)، وميزان الاعتدال (٣/٢٥٤).



﴿الْمَيْمَنَةُ﴾ جهة اليمين و﴿الْمَشْأَمَةُ﴾ جهة الشمال. وروي أن الميمنة عن يمين العرش<sup>(١)</sup>، ويحتمل أن يكونا من اليمين والشؤم.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَّةٌ﴾ أي: مُطَبَّقة مُغلقة، يقال: أوصدتُ الباب: إذا أغلقته. وفيه لغتان: الهمز، وترك الهمز<sup>(٢)</sup>.



(١) ذكره في المحرر الوجيز (٦٢٥/٨).

(٢) قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم بالهمز، وقرأ الباقر بالإبدال.

## سورة الشمس

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّيَهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّيَهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝  
وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ بِأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا  
وَتَقْوَاهَا ۝ فَدَافَلَحَ مَن رَّكَيَهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّيَهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ۝ إِذِ  
إِثْبَعَتْ أَشْقَاهَا ۝ فَمَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ  
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذَّكِّيهِمْ بِسَوَّيَاهَا ۝ فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝

١ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ الضُّحَى: ارتفاع الضوء وكماله، والضُّحَاء -بالفتح والمد-: بعد ذلك إلى الزوال. وقيل: الضُّحَى النهار كله، والأول هو المعروف في اللغة.

٢ ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّيَهَا﴾ أي: تَبِعَهَا، وفي تَبِعَ لها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يتبعها في كثرة الضوء؛ لأنه أضوأ الكواكب بعد الشمس، ولا سيما ليلة البدر.

والآخر: أنه يتبعها في طلوعه؛ لأنه يطلع بعد غروبها، وذلك في النصف الأول من الشهر.

الثالث: أن تَبِعَ لها: أَخَذَ من نورها.

٣ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّيَهَا﴾ أي: كشفها وأظهرها. والضمير المفعول للشمس، وضمير الفاعل للنهار؛ لأن الشمس تتجلى بالنهار، فكأنه هو الذي جَلَّاهَا. وقيل: الضمير الفاعل: الله، وقيل: الضمير المفعول: للظلمة، أو للأرض، أو للعالم، وهذا كله بعيد؛ لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه.

٤ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي: يغطيها، وضمير المفعول للشمس، وضمير الفاعل لليل على الأصح.

﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَيْهَا﴾ قيل: إن «ما» في قوله: ﴿وَمَا بَنَيْهَا﴾ و﴿مَا ظَحِيهَا﴾ و﴿مَا سَوَّيَهَا﴾ موصولة بمعنى: «من»، والمراد الله تعالى. وقيل: إنها مصدرية، كأنه قال: والسماء وبنائها<sup>(١)</sup>، وضعف الزمخشري هذا بقوله: ﴿بِأَلْهَمَهَا﴾؛ فإن المراد الله باتفاق، فهذا القول يؤدي إلى فساد النظم<sup>(٢)</sup>. وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق. فإن قيل: لم عدل عن «من» إلى «ما» في قول من جعلها موصولة؟ فالجواب: أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية، كأنه قال: والقادر الذي بناها.

﴿ظَحِيهَا﴾ أي: مدّها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيَهَا﴾ تسوية النفس: إكمال عقلها وفهمها. فإن قيل: لم نكر النفس؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس، كقوله: ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَخْضَرْتُ﴾ [التكوير: ١٤].

والآخر: أنه أراد نفس آدم ﷺ، والأول هو المختار.

﴿بِأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي: عرّفها طرق<sup>(٣)</sup> الفجور والتقوى، وجعل لها قوة يصحّ معها اكتساب أحد الأمرين. ويحتمل أن تكون الواو بمعنى «أو»، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

﴿فَدَا بَلَّغَ مَن زَكَّيَهَا﴾ هذا جواب القسم عند الجمهور. وقال الزمخشري: الجواب محذوف تقديره: ليُدْمِدَمَنَّ الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي ﷺ، كما دَمْدَمَ على قوم ثمود لتكذيبهم صالحًا ﷺ، قال: وأما ﴿فَدَا بَلَّغَ﴾ فكلام تابع لقوله: ﴿بِأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ على سبيل الاستطراد<sup>(٤)</sup>، وهذا بعيد. والفاعل بـ ﴿زَكَّيَهَا﴾ ضمير يعود على ﴿مَن﴾، والمعنى: قد أفلح من زكى نفسه؛ أي: طهرها من الذنوب والعيوب، وقيل: الفاعل ضمير الله تعالى، والأول أظهر.

(١) في أ، هـ: «وبنائها».

(٢) الكشف (١٦/٤٥٩).

(٣) في ب، د: «طريق».

(٤) الكشف (١٦/٤٦٤).

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّيْهَا﴾ أي: حَقَّرَهَا بالكفر والمعاصي. وأصله: دَسَّسَ بمعنى: أخفى؛ فكانه أخفى نفسه لما حَقَّرَهَا، وأبدل من السين الآخرة حرف علة، كقولهم: «قَصَّيْتُ أظفاري»، وأصله: قَصَصْتُ.

﴿بِطَغْوَيْهَا﴾ هو مصدر بمعنى الطُّغْيَان، قلبت فيه الياء واوًا على لغة من يقول: «طَغَيْتُ». والباء الخافضة كقولك: «كُتِبَ بالقلم»<sup>(١)</sup>، أو سببية، والمعنى: بسبب طغيانها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه كذبت ثمود بعداها<sup>(٢)</sup>، ويؤيده قوله: «فَأَنَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوكُورُ» بِالطَّاعِيَةِ [الحاقة: ٥].

﴿إِذْ إِنْتَبَعَتْ أَشْقِيَّهَا﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: «كَذَّبَتْ» أو «طَغْوَيْهَا». ومعنى «إِنْتَبَعَتْ»: خرج إلى عَقْرِ الناقة بسرعة ونشاط. و«أَشْقِيَّهَا»: هو الذي عقر الناقة، وهو أحيمر ثمود، واسمه قَدَار بن سالف، ويحتمل أن يكون «أَشْقِيَّهَا» واقفًا على جماعة؛ لأن «أفعل» التي للتمييز إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع، والأول أظهر وأشهر.

﴿بِقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني: صالحًا عليه السلام.  
﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: احفظوا ناقة الله، أو احذروا ناقة الله. و«سُقْيَاهَا»: شربها من الماء.

﴿بِعَقَرُوَهَا﴾ نَسَب العقر إلى جماعة؛ لأنهم اتفقوا عليه، وبأشهر واحد منهم.  
﴿بَدَمْدَمَ﴾ عبارة عن إنزال العذاب بهم، وفيه تهويل.  
﴿يَذْثِيهِمْ﴾ أي: بسبب ذنبهم، وهو التكذيب، أو عقر الناقة.  
﴿بَسَوِيَّهَا﴾ قال ابن عطية: معناه: فسوَّى القبيلة في الهلاك لم يُقْلِتْ<sup>(٣)</sup> أحد منهم<sup>(٤)</sup>، وقال الزمخشري: الضمير للدمدمة؛ أي: سواها بينهم<sup>(٥)</sup>.

(١) فتكون للاستعانة مجازًا. الدر المصون (١١/٢٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/٤٤٧).

(٣) في أ، د، هـ: «يفت».

(٤) المحرر الوجيز (٨/٦٣٠).

(٥) لم يُقْلِتْ منها صغيرهم ولا كبيرهم. الكشاف (١٦/٤٦٧).

﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَتَهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى، والضمير في ﴿عُقْبَتَهَا﴾ للذممة والتسوية وهو الهلاك؛ أي: لا يخاف عاقبة إهلاكهم، ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم، وفي ذلك احتقار لهم. وقيل: إن ضمير الفاعل لصالح عليه السلام، وهذا بعيد. وقرئ ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ بالفاء وبالواو<sup>(١)</sup>. وقيل في القراءة بالواو: إن الفاعل ﴿أَشْفِيَهَا﴾ والجملة في موضع الحال؛ أي: انبعث ولم يخف عقبي فعلته، وهذا بعيد.



(١) قرأ نافع وابن عامر بالفاء، وقرأ الباقرن بالواو.

## سورة النمل

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾  
 ﴿٥﴾ بَأَمَّا مَنْ آغْطَى وَاتَّقَى ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٧﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ  
 وَاسْتَغْنَى ﴿٩﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿١٠﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١١﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١٢﴾  
 إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٣﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٤﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٥﴾ لَا يَصْلِيهَا  
 إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٦﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٨﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٩﴾  
 وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿٢٠﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢١﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢٢﴾

﴿١﴾ «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى» أي: يغطي، وحذف المفعول وهو الشمس؛ لقوله: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا» [الشمس: ٤]، أو النهار لقوله: «يَغْشَى لَيْلَ النَّهَارِ» [الأعراف: ٥٣]، أو كل شيء يستره<sup>(١)</sup> الليل.

﴿٢﴾ «وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى» أي: ظهر وتبين، والنهار: من طلوع الشمس، واليوم: من طلوع الفجر.

﴿٣﴾ «وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى» «مَا» بمعنى «من»، والمراد بها: الله تعالى، وعدل عن «مَنْ» لقصد الوصف، كأنه قال: والقادر الذي خلق الذكر والأنثى، وقيل: هي مصدرية. وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ: «والذكر والأنثى»<sup>(٢)</sup>.

﴿٤﴾ «إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى» هذا جواب القسم، ومعناه: إن عملكم مختلف، فمنه حسنات ومنه سيئات. و«شَتَّى» جمع شَتِيت.

(١) في أ: «ستره».

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦١)، ومسلم (٨٢٤).

﴿وَمَا مَنَ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ أي: أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك، أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء، واتَّقَى الله.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي: بالخصلة الحسنة وهي الإسلام، ولذلك عبّر عنه بعضهم بأنها: «لا إله إلا الله»، أو بالثوبة الحسنى وهي الجنة.

وقيل: يعني: الأجر والثواب على الإطلاق، وقيل: يعني: الخلف على المنفق.

﴿بَسْتَيْسِرَهُ لِلْإِسْرَى﴾ أي: نهّوه للطريقة اليسرى، وهي فعل الخيرات وترك السيئات. وضد ذلك «نَيْسِرَهُ لِلْغُسْرَى».

ومنه قوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»<sup>(١)</sup>، أي: يهيؤه الله لما قدّر له، ويسهل عليه فعل الخير أو الشر.

٨-١٠ ﴿وَمَا مَنَ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ أي: بخل بماله، أو بطاعة الله على الإطلاق، فيحتمل الوجهين؛ لأنه في مقابلة «أُعْطِيَ»، كما أن «اسْتَغْنَى» في مقابلة «اتَّقَى»، و«كَذَّبَ بِالْحُسْنَى» في مقابلة «صَدَّقَ بِالْحُسْنَى»، و«نَيْسِرَهُ لِلْغُسْرَى» في مقابلة «نَيْسِرَهُ لِلْإِسْرَى». ومعنى «اسْتَغْنَى»: استغنى عن الله فلم يطعه، أو استغنى بالدنيا عن الآخرة.

ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>؛ لأنه أنفق ماله في مرضات الله، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم، وقيل: نزلت في أبي الدرداء رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>، وهذا ضعيف؛ لأنها مكية، وإنما أسلم أبو الدرداء في المدينة.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) عن علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (٤٦٦/٢٤)، والحاكم (٣٩٤٢) وصححه، من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٤٠/١٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الثعلبي (٤٥٩-٤٦١) عن عطاء مرسلًا، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٣٩/١٠) عن ابن عباس رضي الله عنه، قال ابن كثير في تفسيره (٤٢٠/٨): «وهو حديث غريب جدا»، وضعفه في الدر المنثور (٤٦٤/١٥)، وعزاه في المحرر الوجيز (٦٤٣/٨) إلى السدي.

وقيل: إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب<sup>(١)</sup>، وهذا ضعيف؛ لقوله: ﴿بَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾، وقد أسلم أبو سفيان رضي الله عنه بعد ذلك.

﴿وَمَا يَغْنِيهِ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ هذا نفى، أو استفهام بمعنى الإنكار. واختلف في معنى ﴿تَرَدَّى﴾ على أربعة أقوال:

الأول: تردى أي: هلك، فهو مشتق من الردى وهو الموت.

[٢] أو تردى أي: سقط في القبر.

[٣] أو سقط في جهنم.

[٤] أو تردى بأكفانه، من الرداء.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أي: بيان الخير والشر، وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية، خلافاً للمعتزلة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ مخاطبة من الله، أو من النبي صلى الله عليه وسلم على تقدير: «قل».

﴿لَا يَصْلِيهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ استدلال المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار؛

لقوله: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ يؤتى وتأولها الناس بثلاثة أوجه:

أحدها: أن المعنى: لا يصلها صلي خلود إلا الأشقى.

والآخر: أنه أراد ناراً مخصوصة.

الثالث: أنه أراد بـ ﴿الْأَشْقَى﴾ كافراً معيناً، وهو أبو جهل أو أمية ابن خلف، وقابل به

﴿الْأَتَقَى﴾، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص، لا مخرج الإخبار على العموم.

﴿يَتَزَكَّى﴾ من أداء الزكاة، أو من الزكاء؛ أي: يصير زكياً عند الله، أو يتطهر من ذنوبه.

وهذا الفعل بدل من ﴿الَّذِي يُوْتِي﴾، أو حال من الضمير.

(١) عزاه الثعلبي (٤٤٩/٢٩) إلى الكلبي، وعزاه ابن عطية في المحرر الوجيز (٦٣٤/٨) إلى عبد الله بن أبي أوفى.

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (١٠٨).



﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أي: لا يفعل الخير جزاءً على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم، بل يفعله ابتداءً خالصاً لوجه الله. وقيل: المعنى لا يقصد جزاءً من أحد في المستقبل على ما يفعل، والأول أظهر، ويؤيده ما روي أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما أعتق بلالاً قالت قريش: كان لبلال عنده يد متقدمة، فنفى الله قولهم<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ استثناء منقطع.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ وعد بأن يرضيه الله في الآخرة.



(١) ذكره الثعلبي (٤٩/٤٥٨) عن سعيد بن المسيب.

## سُورَةُ الضُّحَى

وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾ وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَّكَ مِنَ  
الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا  
فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَفْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾  
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

﴿١﴾ وَالضُّحَى﴾ ذكر في «الشمس وضحاها»<sup>(١)</sup>.

﴿٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ فيه أربعة أقوال:

[١] إذا أقبل.

[٢] وإذا أدبر.

[٣] وإذا أظلم.

[٤] وإذا سكن؛ أي: استقر واستوى، أو سكن فيه الناس والأصوات، ومنه: «ليلة

ساجية»: إذا كانت ساكنة الريح، و«طَرَفُ سَاجٍ» أي: ساكن غير مضطرب النظر، وهذا أقرب في الاشتقاق، وهو اختيار ابن عطية<sup>(٢)</sup>.

﴿٥﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ بتشديد الدال<sup>(٣)</sup>: من الوداع، وقرئ بتخفيفها بمعنى: ما تركك، والوداع مبالغة في الترك.

(١) انظر تفسير الآية (١).

(٢) المحرر الوجيز (٦٣٨/٨).

(٣) قراءة السبعة بالتشديد، وقرئ في الشاذ بالتخفيف، وهي قراءة عروة بن الزبير وابنه هشام. المحرر الوجيز (٦٣٩/٨).

﴿وَمَا قَلْبِي﴾ أي: ما أبغضك. وحذف ضمير المفعول من ﴿قَلْبِي﴾ و﴿عَاوِي﴾ و﴿هَبْي﴾ و﴿أَغْنِي﴾ اختصاراً؛ لظهور المعنى، ولموافقة رؤوس الآي.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ أبطأ عنه الوحي، فقالت قريش: إن محمداً ودعه ربه وقلاه، فنزلت تكذيباً لهم<sup>(١)</sup>.

وقيل: رُمي ﷺ بحجر في إصبعه فدميت، فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت امرأة: ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه، فنزلت<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أي: الدار الآخرة خير لك من الدنيا. قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة: حاله بعد نزول هذه السورة، ويريد بالأولى: حاله قبل نزولها<sup>(٣)</sup>. وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ روي أنه ﷺ قال لما نزلت: «إِذْ لَا أَرْضَى أَنْ يَبْقَى واحد من أمتي في النار»<sup>(٤)</sup>. قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن<sup>(٥)</sup>. وقال ابن عباس ؓ: رضاه: أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم<sup>(٦)</sup>. وقيل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره، والصحيح أنه وعدٌ يعمُّ كل ما أعطاه في الآخرة، وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك.

(١) أخرجه مسلم (١٧٩٧) عن جندب ؓ.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم (٣٤٤٢/١٠)، والترمذي (٣٣٤٥) وصححه عن جندب ؓ، وأصله في البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٣) المحرر الوجيز (٦٣٩/٨).

(٤) أخرجه الثعلبي (٤٨٢/٢٩) عن ابن عباس ؓ مرفوعاً، وفيه عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، قال العقيلي في الضعفاء (٨٨/٤): «عبد الصمد بن علي الهاشمي: عن أبيه، عن جده، حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به»، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٦٢٠/٢): ليس بحجة. وأخرجه الطبري (٤٨٨/٢٤) عن ابن عباس ؓ موقوفاً، بلفظ: «من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار».

(٥) قاله أبو جعفر محمد بن علي الباقر كما في تفسير الثعلبي (٤٧٩/٢٩) والوسيط للواحدي (٥١٠/٤).

(٦) أخرجه الطبري (٤٨٧/٢٤)، وابن أبي حاتم (٣٤٤٣/١٠)، وابن أبي شيبه (٣٥١١٣)، والحاكم (٣٩٤٣) وصححه، وقال ابن كثير في تفسيره (٤٢٦/٨): «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ؓ، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف».

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ عَدَّدَ اللهُ نعمة عليه فيما مضى من عمره؛ ليقس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه، ويقوى رجاؤه. و«وَجَدَ» في هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين، وهي بمعنى: «علم»؛ فالمعنى: ألم تكن يتيمًا فأواك؟ وذلك أن والده ﷺ توفي وتركه في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام، وقيل: ثمانية، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات وتركه ابن اثني عشر عامًا، فكفله عمه أبو طالب.

وقيل: لجعفر الصادق: لم نشأ النبي ﷺ يتيمًا؟ فقال: لثلاث يكون عليه حقٌّ لمخلوق<sup>(١)</sup>.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: وجدك ضالًّا عن معرفة الشريعة فهداك إليها، فالضلال عبارة عن التوقف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله، فهو كقوله: «مَا كُنْتُ تَذَرِي مَا أَلِكْتُ وَلَا إِلَيْمَنَّ» [الشورى: ٤٩]، وهذا هو الأظهر، وهو الذي اختاره ابن عطية<sup>(٢)</sup> وغيره، ومعناه: أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به؛ لأنه كان معصومًا من ذلك من قبل النبوة وبعدها.

الثاني: وجدك في قوم ضلال، فكأنك واحد منهم، وإن لم تكن تعبد ما يعبدون، وهذا قريب من الأول.

الثالث: وجدك ضالًّا عن الهجرة فهداك إليها، وهذا ضعيف؛ لأن السورة نزلت قبل الهجرة.

الرابع: وجدك خامل الذكر لا تعرف، فهدي الناس إليك وهداهم بك، وهذا بعيد عن المعنى المقصود.

الخامس: أنه من الضلال عن الطريق، وذلك أنه ﷺ ضلَّ في بعض شعاب مكة؛ أي:

(١) أخرجه الثعلبي (٢٩/٤٨٦).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٦٤٠).

تِلَفَ وهو صغير، فردّه الله إلى جده<sup>(١)</sup>، وقيل: بل ضلّ من مرضعته حليلة، فردّه الله إليها، وقيل: بل ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب.

السادس: أنه من الضلال بمعنى المحبة<sup>(٢)</sup> أي: وجدك محباً لله فهذا إليه، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم، «تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَهِىَ ضَلٰلِكِ الْقَدِيْمِ» [يوسف: ٩٥]؛ أي: محبتك ليوسف، وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير.

﴿وَوَجَدَكَ غَآيِلًا غَآيِبًا﴾ العائل: الفقير، يقال: عال الرجل فهو عائل: إذا كان محتاجاً، وأعال فهو مُعِيل: إذا كثر عياله. وهذا الفقر والغنى هو في المال.

وغناه<sup>(٣)</sup> ﷺ: هو أن أعطاه الله الكفاف، وقيل: هو رضاه بما أعطاه الله، وقيل: المعنى: وجدك فقيراً إليه فأغناك به.

﴿وَأَمَّا الْيَتِيْمَ فَلَا تُفْهَرْ﴾ أي: لا تغلبه على ماله وحقّه لأجل ضعفه، أو لا تقهره بالمنع من مصالحه، ووجوه القهر كثيرة، والنهي يعمّ جميعها.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ النَّهْرُ: هو الانتهاز والزجر، فالنهي عنه أمرٌ بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى: «قُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا» [الإسراء: ٢٨]. ويحتمل «السَّائِلَ» أن يريد به سائل الطعام والمال، وهذا هو الأظهر، أو السائل عن العلم والدين. وفي قوله «تَفْهَرْ» و«تَنْهَرْ» لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قيل: معناه: بُثَّ القرآن وبلغ الرسالة. والصحيح أنه عموم في جميع النعم، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر»<sup>(٤)</sup>. ولذلك كان بعض السلف يقول: «لقد أعطاني الله كذا، ولقد صليت البارحة كذا»، وهذا إنما يجوز إذا ذكره على وجه الشكر أو ليقتدى به، فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز.

(١) ذكره الثعلبي (٤٩٠/٢٩) عن ابن عباس ؓ.

(٢) في أ، هـ: «أنه بمعنى الضلال من المحبة».

(٣) في أ، هـ: «وغناؤه».

(٤) تقدم تخريجه.

وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاث نعم، ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا:

فقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَفْهَمْ﴾.

وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَمْ﴾ على قول من قال إنه السائل عن العلم، وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر.

وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا بِأُغْنَى﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَمْ﴾ على القول الأظهر، وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر.



## سورة ألم نشرح

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ  
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ  
ذِكْرَكَ ۖ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ  
وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ هذا توقيف معناه: إثبات شرح صدره ﷺ، وتعدد ما ذكر بعده من النعم. وشرح صدره ﷺ: هو اتساعه لتحصيل العلم، وتنويره بالحكمة والمعرفة، وقيل: هو شق جبريل ﷺ لصدره في صغره، أو في وقت الإسراء، حين أخرج قلبه وغسله.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول - قول الجمهور -: أن الوزر: الذنوب، ووضعها: هو غفرانها، فهو كقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢٤]، وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة.

الثاني: أن الوزر: هو أثقال النبوة وتكاليفها، ووضعها على هذا: هو إعانتة عليها، وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة.

الثالث: أن الوزر: هو تحييره قبل النبوة؛ إذ كان يرى أن قومه على ضلال، ولم يأت من الله أمر واضح، فوضعه على هذا: هو بالنبوة والهدى للشرعية.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه. قال الحارث المحاسبي: إنما وُصفت ذنوب الأنبياء بالثقل، وهي صغائر مغفورة لهم؛ لهمم بها

وتحسّرهم عليها، فهي ثقيلة عندهم؛ لشدة خوفهم من الله، وهي خفيفة عند الله<sup>(١)</sup>. وهذا كما جاء في الأثر: «إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كالذباب تطير فوق أنفه»<sup>(٢)</sup>.

واشتقاق «أَنْفَضَ ظَهْرَكَ» من نقض البنيان وغيره، أو من النقيض، وهو الصوت؛ فكأنه يُسمع لظهره نقيض كنقيض ما يُحمل عليه شيءٌ ثقيل.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: نوّهنا باسمك وجعلناه شهيراً في المشارق والمغارب. وقيل: معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والتشهد وفي مواضع من القرآن، وقد روي في هذا حديث: إن الله قال له: «إذا ذكرتَ ذكرتَ معي»<sup>(٣)</sup>.

فإن قيل: لم قال: ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾ و ﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾ مع أن المعنى مستقل دون ﴿لَكَ﴾؟

فالجواب: أن قوله: ﴿لَكَ﴾ تدلُّ على الاعتناء به والاهتمام بأمره.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذا وعد باليسر بعد العسر، وإنما ذكره بلفظ ﴿مَعَ﴾ التي تقتضي المقارنة<sup>(٤)</sup>، ليدل على قرب اليسر من العسر. فإن قيل: ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله؟

فالجواب: أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه في عُسْر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال، فوعده الله باليسر، وقَدَّمَ تعديد النعم تسليّة وتأنيساً؛ لتطيب نفسه ويقوى رجاءه، كأنه يقول: إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويُظهرك ويبدّل لك هذا العسر بيسر قريب، ولذلك كرر ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مبالغةً، وقال رسول الله ﷺ: «لن يغلب عسر قريب».

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٨/ ٦٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨) عن ابن مسعود ؓ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٩٥/ ٢٤)، وابن أبي حاتم (٣٤٤٥/ ١٠) - تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٠) -، وابن حبان

(٣٣٨٢)، وأبو يعلى - كما في مجمع الزوائد للهيثم (٨/ ٤٥٥) وإتحاف الخيرة المهرة للبوصيري (٧/

١٢٧) - من حديث درّاج أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ؓ، ودراج قال في التقريب

(٣١٠): «صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف»، وحسن إسناده الهيثمي.

(٤) في أ، هـ: «المقارنة».



يسرين»<sup>(١)</sup>، وقد روي ذلك عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>.

وتأويله: أن العسر المذكور في هذه السورة واحد؛ لأن الألف واللام للعهد كقولك: «جاءني رجل فأكرمت الرجل»، واليسر اثنان؛ لتكثيره، وقيل: إن اليسر الأول: في الدنيا، والثاني: في الآخرة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ هو من النَّصَب بمعنى التعب، والمعنى: إذا فرغت من أمر فاجتهد في آخر. ثم اختلف في تعيين الأمرين، فقيل: إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل، وقيل: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، وقيل: إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك.

﴿وَالِلَّي رَبِّكَ بَارِئٌ﴾ قدم الجار والجرور ليدل على الحصر؛ أي: لا ترغب إلا إلى ربك وحده.



(١) أخرجه الطبري (٤٩٥/٢٤)، والحاكم (٣٩٥٠) عن الحسن مرسلاً، وأخرجه الطبري أيضاً (٤٩٦/٢٤) عن قتادة مرسلاً، وأخرجه ابن مردويه - كما في الدر المنثور (٥٠١/١٥) - وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٤/٢٣٦) - الحسن بن عطية العوفي عن أبيه عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً، والحسن بن عطية ضعيف (التقريب ٢٣٩).  
(٢) أثر عمر رضي الله عنه أخرجه مالك في الموطأ (١٢٨٩)، وابن أبي شيبة (١٩٨٣٤) والطبري (٦/٣٣٤)، والحاكم (٣١٧٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب (١٢/٣٥٩).  
وأثر ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٤٣٨/٣)، والبيهقي في الشعب (١٢/٣٦٠).

## سورة التين

والتين والزيتون ﴿١﴾ وظور سين ﴿٢﴾ وهذا البلد الأمي ﴿٣﴾ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴿٤﴾ ثم رددته أسفل سافلين ﴿٥﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴿٦﴾ فما يكذبك بعد بالدين ﴿٧﴾ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴿٨﴾

﴿١﴾ «والتين والزيتون» فيها قولان:

الأول: أنه التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر، أقسم الله بهما؛ لفضيلتهما على سائر الثمار. روي أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تيناً فقال: «لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «نعم السواك الزيتون، من الشجرة المباركة، هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي»<sup>(٢)</sup>.

القول الثاني: أنهما موضعان، ثم اختلف فيهما: فقيل: هما جبلان بالشام، أحدهما بدمشق ينبت فيه التين، والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون، فكأنه قال: ومنابت التين والزيتون. وقيل: التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس. وقيل: التين: مسجد نوح، والزيتون: مسجد إبراهيم.

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب الطب النبوي (٤/ ٤٨٥)، والثعلبي (٣٠/ ١٠) من حديث أبي ذر رضى الله عنه، قال المناوي في الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي (٣/ ١١٠٨): «رواه الثعلبي وأبو نعيم في الطب من حديث أبي ذر بإسناد مجهول»، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ١٦٦) بالضعف.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢١٠)، وأبو نعيم الأصبهاني في كتاب الطب النبوي (٢/ ٦٣٦)، والثعلبي (٣٠/ ١٢) عن معاذ رضى الله عنه، وفي إسناده محمد بن محسن العكاشي، متروك، كان يضع الحديث على الثقات، فالحديث موضوع. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٧٢).

والأظهر أنهما الموضعان من الشام، وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى ﷺ أو مسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم عليه موسى ﷺ، والبلد الذي بعث منه محمداً ﷺ، فتكون الآية نظير ما في التوراة: «أن الله تعالى جاء من طور سيناء، وطلع من ساعر وهو موضع عيسى، وظهر من جبال فاران، وهي مكة»<sup>(١)</sup>، وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة؛ لشرفها بالأنبياء المذكورين.

﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ هو الجبل الذي كلم عليه موسى ﷺ وهو بالشام، وأضافه الله إلى ﴿سَيْنِينَ﴾. ومعنى ﴿سَيْنِينَ﴾: مبارك، فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقيل: معناه: ذو الشجر، واحدها سينينة، قاله الأخفش. وقال الزمخشري: ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكور بالواو والياء، وأن يلزم الياء وتُحرَّك النون بحركات الإعراب<sup>(٢)</sup>.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ هو مكة باتفاق، و﴿الْأَمِينِ﴾: من الأمانة، أو من الأمن؛ لقوله: ﴿إِجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن حُسن<sup>(٣)</sup> التقويم: هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة، و﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: الضعف والهزم والخرف، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٧]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٣]. وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعد هذا: غير متصل بما قبله، والاستثناء على هذا القول منقطع، بمعنى: «لكن»؛ لأنه خارج عن معنى الكلام الأول.

والآخر: أن حُسن التقويم: الفطرة على الإيمان و﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ الكفر، أو تشويه الصورة في النار، والاستثناء على هذا متصل؛ لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يُرَدُّوا أسفل سافلين.

(١) انظر ما تقدم في تفسير الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.

(٢) الكشف (١٦/٥٠٥).

(٣) في أ، هـ: «أحسن».

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر<sup>(١)</sup>.

﴿بِمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْبَلَاءِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ، والدين: شريعته، والمعنى: أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوتك؟

والآخر: أنه خطاب للإنسان الكافر، والدين على هذا: الشريعة أو الجزاء الآخر، ومعنى ﴿يَكْذِبُكَ﴾ على هذا: يجعلك كاذباً؛ لأن من أنكر الحق فهو كاذب، والمعنى: أي شيء يجعلك كاذباً بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم، ثم ردك أسفل سافلين، ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا؛ فلا شيء تكذب بالبعث والجزاء<sup>(٢)</sup>؟

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون. وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»<sup>(٣)</sup>.



(١) انظر تفسير الآية (٧) من سورة حم السجدة.

(٢) في ب، د: «والحساب».

(٣) تقدم تخريجه في آخر سورة القيامة.

## سُورَةُ الْعَلَقِ

نزل صدرها بغار حراء، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب <sup>(١)</sup>.

إِفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ إِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْحَبُّ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ ۝ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِيَةٍ ۝ فَلَئِنْ نَادَيْتَهُ ۝ سَدْعَ الزَّبَانِ ۝ كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝

١ ﴿إِفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: اقرأ القرآن مفتتحاً باسم ربك، أو متبركاً باسم ربك. وموضع ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ نصبٌ على الحال. وإذا كان تقديره: مفتتحاً، فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»، أو يريد الابتداء باسم الله مطلقاً.

والوجه الثاني: أن معناه: اقرأ هذا اللفظ وهو ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فيكون ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ مفعولاً، وهو المقروء.

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ حذف المفعول؛ لقصد العموم، كأنه قال: الذي خلق كل شيء، ثم خصص خلقه الإنسان؛ لما فيه <sup>(٢)</sup> من العجائب والعبّر. ويحتمل أن أراد: الذي خلق الإنسان،

(١) انظر الباب الأول من المقدمة الأولى.

(٢) في ب، د: «فيها».

كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢]، ثم فسره بقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾. والعلق: جمع علقة، وهي القطعة<sup>(١)</sup> من الدم. والمراد بـ﴿الْإِنْسَانَ﴾ هنا: جنس بني آدم، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة، بخلاف قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ﴾ [الحج: ٥]؛ لأنه أراد كل واحد على حدته. ولم يدخل آدم ﷺ في الإنسان هنا؛ لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين.

﴿إِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ كرر الأمر بالقراءة تأكيداً، والواو للحال، والمقصود: تأنيس النبي ﷺ، كأنه يقول: افعل ما أمرت به؛ فإن ربك كريم. وصيغة «أفعل» للمبالغة.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ هذا تفسير للكرم، فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخص من التعليمات الكتابة بالقلم؛ لما فيها من تخليد العلوم، ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير: «علم الخط بالقلم»<sup>(٢)</sup>.

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يحتمل أن يريد بهذا: تعليم الكتابة؛ لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره، أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق. وقيل: إن الإنسان هنا: محمد ﷺ، والأظهر: أنه جنس الإنسان على العموم.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِي﴾ نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>. و﴿كَلَّا﴾ هنا يحتمل أن تكون زجراً لأبي جهل، أو بمعنى: «حقاً»، أو استفتاحاً.

﴿أَنْ رِبَاةٍ اسْتَغْنَى﴾ في موضع المفعول من أجله؛ أي: يطغى من أجل غناه<sup>(٤)</sup>. والرؤية هنا: بمعنى العلم، بدليل إعمال الفعل في الضمير، ولا يكون ذلك إلا في أفعال

(١) في أ، ب، ج، هـ: «النطفة».

(٢) انظر: الكشف (٥١٣/١٦)، والبحر المحيط (٤١٦/٢١).

(٣) أخرجه الطبري (٥٣٧/٢٤)، وأحمد (٢٣٢١)، والترمذي (٣٣٤٩) وقال: «حسن صحيح غريب»، والنسائي في الكبرى (١١٦٢٠)، والحاكم (٣٨٠٩) وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة (٣٧٧١٧) من حديث ابن عباس ؓ.

(٤) في ب: «ماله».

القلوب، والمعنى: رأى نفسه استغنى، و﴿إِسْتَغْنَى﴾ هو المفعول الثاني.

١٥ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله.

١٦ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ اتفق المفسرون أن العبد الذي صلى: هو محمد ﷺ، وأن الذي نهاه: أبو جهل لعنه الله. وسبب الآية: أن أبا جهل جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي في المسجد الحرام، فهمم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة، وروي أنه قال: لئن رأيته يصلي، لأطأن عنقه، فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوبًا، فقيل له: ما هذا<sup>(١)</sup>؟ فقال: لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاخطفته الملائكة عضوًا عضوًا»<sup>(٢)</sup>.

١٧ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ أو أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في هذا الموضع وفي الذي قبله وفي الذي بعده: بمعنى «أخبرني»؛ فكأنه سؤال يفتر إلى جواب وفيها معنى التعجب<sup>(٣)</sup> والتوقيف. والخطاب فيها يحتمل أن يكون للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب من غير تعيين. وهي تعدى إلى مفعولين، وجاءت بعدها ﴿إِنْ﴾ الشرطية في موضعين، وهما: قوله: ﴿إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ وقوله: ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، فيحتاج إلى الكلام في مفعولي ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في المواضع الثلاثة، وفي جواب الشرطين، وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال، وهي ﴿إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾، و﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾، و﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، على من تعود هذه الضمائر؟

فقال الزمخشري: إن قوله: ﴿الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ هو المفعول الأول لقوله: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ الأولى، وإن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني، وكررت ﴿أَرَأَيْتَ﴾ بعد ذلك للتأكيد، فهي زائدة لا تحتاج إلى مفعول. وإن قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ هو جواب قوله: ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، وإن جواب قوله: ﴿إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ محذوف يدل عليه جواب قوله: ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، فهو في المعنى جواب للشرطين معًا.

(١) في د: «ما منعك».

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩٧) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) في أ، هـ: «التعجب».

وإن الضمير في قوله: ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ أو أمر بالتقوى ﴿لِلَّذِي نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ، وهو أبو جهل، وكذلك الضمير في قوله: ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

وتقدير الكلام على هذا: أخبرني عن الذي ينهى عبداً إذا صلى، إن كان هذا الناهي على الهدى أو إن كذب وتولى؛ ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك؟<sup>(١)</sup>

فمقصود الآية: تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه.

وخالفه ابن عطية في الضمائر، فقال: إن الضمير في قوله: ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ أو أمر بالتقوى ﴿لِلْعَبْدِ الَّذِي صَلَّى، وإن الضمير في قوله: ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ للذي نهى عن الصلاة. وخالفه أيضاً في جعله ﴿أَرَأَيْتَ﴾ الثانية مكررة للتأكيد، وقال: إنها في المواضع الثلاثة توقيف، وإن جوابها في المواضع الثلاثة قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾؛ فإنه يصلح مع كل واحد منها، ولكنه جاء به في آخر الكلام اختصاراً<sup>(٢)</sup>.

وخالفهما الغزنوي أيضاً في الجواب فقال: إن جواب قوله: ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ محذوف، فقال: إن تقديره: «إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب؟»، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلى، وفقاً لابن عطية.

﴿كَلَّا لَيْسَ لَمْ يَنْتَه﴾ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿أَوْعَدَ أَبَا جَهْلٍ إِنْ لَمْ يَنْتَه عَنْ كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ أَنْ يَأْخُذَ﴾<sup>(٣)</sup> بناصيته فيلقى في النار. والناصية: مقدم الرأس، فهو كقوله: ﴿بَيُوحَذُّ بِالنَّاصِيَةِ وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤٠]. والسَّفْع: هو الجذب والقبض على الشيء، وقيل: هو الإحراق، من قولك: سفعته النار. وأكد ﴿لَنَسْفَعًا﴾ باللام والنون الخفيفة، وكتبت في المصحف بالألف مراعاة للوقف عليها. ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قُتل وأُخذ بناصيته فجُرَّ إلى القلب.

(١) الكشف (١٦/٥١٥-٥١٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٦٥٤).

(٣) في ب: «يأخذه».



﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أبدل ﴿نَاصِيَةٍ﴾ من ﴿النَّاصِيَةِ﴾ ، ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزاً، والكاذب الخاطيء في الحقيقة: صاحبها. والخطيء: الذي يفعل الذنب متعمداً، والمخطيء: الذي يفعله بغير قصد.

﴿قَلِيدٌ نَادِيَةٌ﴾ النادي والندي: المجلس الذي يجتمع فيه الناس. وكان أبو جهل قد قال: أيتوعدني محمد! فوالله ما بالوادي أعظم ندياً مني، فنزلت الآية تهديداً وتعجيزاً له<sup>(١)</sup>. والمعنى: فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدرُوا على ذلك، ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم، وهم الملائكة الموكلون بالعذاب. والزبانية في اللغة: الشرط، واحدهم زُبْنِيَّةٌ، وقيل: زُبْنِيَّةٌ. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ أي: تقرب إلى الله بالسجود، كما قال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء»<sup>(٣)</sup>. وهذا موضع سجدة عند الشافعي<sup>(٤)</sup>، وليست عند مالك من عزائم السجود.



(١) تقدم تخريجه قريباً في أثر ابن عباس ؓ.

(٢) تقدم تخريجه قريباً في أثر ابن عباس ؓ، وهذا من قول ابن عباس ؓ موقوفاً كما في المصادر، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٦٢١) مرفوعاً.

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٢) عن أبي هريرة ؓ.

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤/٢٢٠).

# سورة القدر

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرِيكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً؛ وهي:

[١] أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان.

[٢] وليلة ثلاث وعشرين.

[٣] وليلة خمس وعشرين.

[٤] وليلة سبع وعشرين.

[٥] وليلة تسع وعشرين.

فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر<sup>(١)</sup> من رمضان، على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر.

وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر<sup>(٢)</sup>، فجعل ليالي الأوتار:

[٦] ليلة ثلاثين؛ لأنها الأولى.

[٧] وليلة ثمان وعشرين؛ لأنها الثالثة<sup>(٣)</sup>.

[٨] وليلة ست وعشرين؛ لأنها الخامسة.

(١) في أ: «الآخر».

(٢) في د: «العشر».

(٣) في أ: «الثانية».

[٩] وليلة أربع وعشرين؛ لأنها السابعة.

[١٠] وليلة اثنين وعشرين؛ لأنها التاسعة.

فهذه خمسة أقوال آخر، فتلك عشرة أقوال.

والقول الحادي عشر: أنها تدور في العشر الأواخر، ولا تثبت في ليلة واحدة منه.

الثاني عشر: أنها مخفية في رمضان كله، وهذا ضعيف؛ لقوله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر»<sup>(١)</sup>.

الثالث عشر: أنها مخفية في العام كله.

الرابع عشر: أنها ليلة النصف من شعبان.

وهذان القولان باطلان؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وقال: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان.

القول الخامس عشر: أنها رفعت بعد النبي ﷺ، وهذا ضعيف.

القول السادس عشر: أنها ليلة سبع عشرة من رمضان؛ لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة.

وأرجح الأقوال: أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم<sup>(٢)</sup> وغيره.

والأشهر: أنها ليلة سبع وعشرين.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ للقرآن، دل على ذلك سياق الكلام،

(١) أخرجه البخاري (١١٥٨)، ومسلم (١١٦٥) عن ابن عمر ؓ، وأخرجاه أيضا -البخاري (٢٠١٦)، ومسلم

(١١٦٧) - عن أبي سعيد الخدري ؓ، وأخرجاه أيضا -البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩) - عن أبي سعيد

الخدري ؓ، وأخرجه البخاري (٢٠٢١) عن ابن عباس ؓ، وأخرجه مسلم (١١٦٦) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) انظر ما تقدم تخريجه.

وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر؛ دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته.

والثاني: أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات.

والثالث: أن الله أسند إنزاله إلى نفسه.

وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان:

أحدهما: أنه ابتداء إنزاله فيها.

والآخر: أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء، ثم نزل به جبريل ﷺ إلى

الأرض بطول عشرين سنة.

وقيل: المعنى: أنزلناه<sup>(١)</sup> في شأن ليلة القدر وذكرها، وهذا ضعيف.

وسميت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها، أو من القدر بمعنى الشرف، ويرجع الأول

بقوله: ﴿وَبِهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤٣].

﴿وَمَا أَدْرِكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا تعظيم لها. قال بعضهم: كل ما قال فيه «ما أدراك» فقد علمه النبي ﷺ، وما قال فيه: «ما يدريك» فإنه لم يعلمه<sup>(٢)</sup>.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ معناه: أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر.

قال بعضهم: يعني: في ألف شهر ليس فيها ليلة قدر<sup>(٣)</sup>. وفي الحديث الصحيح أن

رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(٤)</sup>.

وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً ممن تقدم عبد الله ألف شهر، فعجب

المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك، فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها

(١) في ب، ج: «إنزاله».

(٢) قاله ابن عينة، كما في صحيح البخاري (٤٥/٣).

(٣) في أ، ج، د: «القدر».

(٤) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) عن أبي هريرة رضى الله عنه.

خيرًا من العبادة في تلك المدة الطويلة<sup>(١)</sup>.

وروي أن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عوتب حين بايع معاوية رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية يتزؤون على منبره نزو القردة، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر، فاهتم لذلك، فأعطاه الله ليلة القدر، وهي خير من مدة ملك بني أمية ألف شهر، ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية رضي الله عنه إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر<sup>(٢)</sup>.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمُ﴾ الروح هنا: جبريل عليه السلام، وقيل: صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة. وتنزلهم: هو إلى الأرض، وقيل: إلى السماء الدنيا، وهو تعظيم لليلة القدر، ورحمة للمؤمنين القائمين فيها.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ هذا متعلق بما قبله، والمعنى: أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضي الله في ذلك العام، فإنه روي أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك؛ ليمثلوا ذلك في العام كله، وقيل على هذا المعنى: إن ﴿مِنْ﴾ بمعنى الباء؛ أي: ينزلون بكل أمر، وهذا ضعيف.

وقيل: إن المجرور يتعلق بما بعده، والمعنى: أنها سلام من كل أمر؛ أي: سلامة من الآفات، قال مجاهد: لا يصيب أحدًا فيها داء<sup>(٣)</sup>.

والأظهر: أن الكلام تم عند قوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثم ابتداء قوله: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ الْقَدَرِ واختلف في معنى ﴿سَلَّمَ﴾: ف قيل: إنه من السلامة، وقيل: إنه من التحية؛ لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها. وكذلك اختلف في إعرابه:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٥٢/١٠)، والثعلبي (١٠٥/٣٠)، والبيهقي في السنن (٨٥٢٢) عن مجاهد مرسلًا.  
(٢) أخرجه الطبري (٥٤٦/٢٤)، والترمذي (٣٣٥٠)، والحاكم (٤٧٩٦) وصححه، وليس فيه لفظة: «نزو القردة»، وإنما لفظة: «إن النبي ﷺ أرى بني أمية على منبره فساء ذلك» وضعفه الترمذي وابن كثير في تفسيره (٨/٤٤٢)، وقال: «منكر جدا، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر» وبين أوجه ضعفه ونكارتة.

(٣) ذكره الواحدي في البسيط (١٩٧/٢٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٦٦٠/٨).

ف قيل: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ مبتدأ وخبر، وهذا يصح سواء جعلناه متصلًا مع ما قبله أو منقطعًا عنه. وقيل: ﴿سَلَّمَ﴾ خبر مبتدأ مضمّر، تقديره: أمرها سلام، أو: القول فيها سلام، و ﴿هِيَ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾؛ أي: هي دائمة إلى طلوع الفجر. ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن قوله: ﴿هِيَ﴾ إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين؛ لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة<sup>(١)</sup>.



(١) ذكره في المحرر الوجيز (٦٦١/٨) عن النقاش، وحكاه ابن قدامة في المغني (٤٥١/٤) عنه رضي الله عنه، وعزاه ابن رجب في لطائف المعارف (٣٥٧) إلى طائفة من المتأخرين. قال ابن حجر في الفتح (٤/٢٦٥): «وزعم ابن قدامة أن ابن عباس رضي الله عنه استنبط ذلك من عدد كلمات السورة وقد وافق قوله فيها: ﴿هي﴾ سابع كلمة بعد العشرين وهذا نقله بن حزم عن بعض المالكية وبالف في إنكاره. نقله بن عطية في تفسيره [٦١/٨] وقال: إنه من ملح التفاسير وليس من متين العلم»

## سورة لم يكن

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْبَغِيْنَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ  
رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ قِيسَةٌ ۖ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ  
وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
وَالْمُشْرِكِينَ فِي بَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝

ذكر الله الكفار، ثم قسمهم إلى صنفين: أهل الكتاب، والمشركين، وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة، وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ. ومعنى ﴿مُنْبَغِيْنَ﴾: منفصلين، ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال:

أحدها: أن المعنى: لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة؛ لتقوم عليهم الحجة.

الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة محمد ﷺ حتى بعثه (١) الله.

الثالث - اختاره ابن عطية - وهو: لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته، حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة (٢).

الرابع - وهو الأظهر عندي - أن المعنى: لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم محمداً ﷺ، فقامت عليهم الحجة؛ لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، فلما بعثه لم يبق لهم عذر ولا حجة، فـ ﴿مُنْبَغِيْنَ﴾ على هذا

(١) في ب: «يبعثه».

(٢) المحرر الوجيز (٨/٦٦٢-٦٦٣).

كقولك: لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا.

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني: محمداً ﷺ، وإعراجه: بدل من ﴿الْبَيِّنَةِ﴾، أو خبر ابتداء مضمرة.

﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يعني: القرآن في صحفه.

﴿وَبِهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ أي: قائمة<sup>(١)</sup> بالحق مستقيمة المعاني، ووزن ﴿قِيمَةٌ﴾: قَيْعَلَةٌ، وفيه مبالغة. قال ابن عطية: هذا على حذف مضاف تقديره: فيها أحكام كتب<sup>(٢)</sup>. ولا يحتاج إلى هذا الحذف؛ لأن الكتب بمعنى المكتوبات.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: ما اختلفوا في نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق. ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم، كقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ بِأَخْتِلَافٍ فِيهِ﴾ [نصت: ٤٤]. وإنما خصّ الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة محمد ﷺ، بما يجدون في كتبهم من ذكره.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا بِالْإِسْلَامِ﴾ الآية؛ معناها: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله، ولكنهم حرّفوا وبدّلوا. ويحتمل أن يكون المعنى: ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله، فلا شيء ينكرونه ويكفرون به؟

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ استدلال المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء، وهو بعيد؛ لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء، وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وضد الإخلاص في التوحيد: هو الشرك الجلي، وضد الإخلاص في الأعمال: هو الشرك الخفي، وهو الرياء. قال رسول الله ﷺ: «الرياء الشرك الأصغر»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه تعالى يقول: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك،

(١) في أ، هـ: «قيمة».

(٢) المحرر الوجيز (٨/٦٦٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، والبيهقي في الشعب (٩/١٥٤) عن محمود بن لبيد، قال المنذري في الترغيب والترهيب (١/٣٤): «ورواه أحمد بإسناد جيد»، وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/١٢٠٣): «ورجاله ثقات»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢٩٠): «ورجاله رجال الصحيح».



فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشريكه»<sup>(١)</sup>.

واعلم أن الأعمال على ثلاثة أنواع: مأمورات ومنهيات ومباحات.

فأما المأمورات: فالإخلاص فيها: عبارة عن خلوص النية لوجه الله، بحيث لا يشوبها نية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول، وإن كانت النية لغير وجه الله؛ من طلب منفعة دنيوية، أو مدح أو غير ذلك: فالعمل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة: ففي ذلك تفصيل في نظر واحتمال.

وأما المنهيات: فإن تركها دون نية خرج عن عهدها، ولم يكن له أجر في تركها، وإن تركها بنية وجه الله: حصل له الخروج عن عهدها مع الأجر.

وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك: فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر؛ فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله؛ مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام. ﴿حُنَفَاءٌ﴾ جمع حنيف، وقد ذكر<sup>(٢)</sup>.

﴿وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ﴾ تقديره: الملة القيمة، أو الجماعة القيمة. وقد فسرنا ﴿الْقِيَمَةَ﴾، ومعناه: أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام؛ فلا شيء لا يدخلون فيه؟

﴿الْبَرِيَّةِ﴾ الخلق؛ لأن الله برأهم؛ أي: أوجدهم بعد العدم. وقرئ بالهمز<sup>(٣)</sup>، وهو الأصل، وبالياء، وهو تخفيف من المهموز، وهو أكثر استعمالاً عند العرب.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة؟ فرضاهم عن الله في الدنيا: هو الرضا بقضائه والرضا بدينه، قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة ؓ، ولفظه: «أنا أغنى الشركاء..»، وليس: «الأغنياء».

(٢) انظر المقدمة في اللغات المادة (١٣١).

(٣) قرأ نافع وابن ذكوان بهمزة مفتوحة بعد الياء، وقرأ الباقر بن بقاء مشددة مفتوحة بعد الراء.

(٤) أخرجه مسلم (٣٤) عن العباس بن عبد المطلب ؓ.

ورضاهم عنه في الآخرة: هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها.

ورضا الله عنهم: كما ورد في الحديث أن الله يقول: «يا أهل الجنة هل تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا! وأي شيء نريد»<sup>(١)</sup> وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول: عندي أفضل من ذلك، وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبداً»<sup>(٢)</sup>.

«لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» أي: لمن خافه. وهذا دليل على فضل الخوف، قال رسول الله ﷺ: «خوف الله رأس كل حكمة»<sup>(٣)</sup>.



(١) في أ، هـ: «تزيد».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٠١) موقوفاً على ابن مسعود ؓ: «رأس الحكمة مخافة الله ﷻ»، وقال: «وقد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً إلى النبي ﷺ»، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٢٤١) - (٢٤٢) من حديث عقبة بن عامر ؓ مرفوعاً في ضمن خطبة طويلة بنبوك، وقال العراقي تخريج الإحياء (١/١٥١٠): «ولا يصح».

## سورة إذا زلزلت

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْجِي لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴿٦﴾ لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٧﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٨﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٩﴾

﴿١﴾ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ: أي: حُرِّكَتْ واهتزت. و﴿زِلْزَالَهَا﴾ مصدر، وإنما أضيف إليها تهويلًا؛ كأنه يقول: الزلزال الذي يليق بها على عظمة جزمها<sup>(١)</sup>.

﴿٢﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا: يعني: الموتى الذين في جوفها، وذلك عند النفخة الثانية في الصور، وقيل: هي الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال.

﴿٣﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا: أي: يتعجب من شأنها، فيحتمل أن يريد جنس الإنسان، أو الكافر خاصة؛ لأنه الذي يرى حينئذ ما لم يظن.

﴿٤﴾ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا: هذا عبارة عما يحدث فيها من الأحوال، فهو مجاز وحديث بلسان الحال. وقيل: هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها، فهو حقيقة. و﴿تُخَدِّثُ﴾ يتعدى إلى مفعولين، حذف الأول منهما، والتقدير: تحدث الخلق أخبارها. وانتزع بعض المحدثين من قوله: ﴿تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أن قول المحدث «حدثنا» و«أخبرنا» سواء<sup>(٢)</sup>. وهذه الجملة هي جواب ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾. و﴿تُخَدِّثُ﴾ هو العامل في ﴿إِذَا﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾. ويجوز أن يكون العامل في ﴿إِذَا﴾ مضمراً، و﴿تُخَدِّثُ﴾ عامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

(١) قال في المحرر الوجيز (٦٦٦/٨): «وقوله تعالى: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ أبلغ من قوله: ﴿زلزالاً﴾ دون إضافة إليها، وذلك أن المصدر غير مضاف يقع على كل قدر من الزلزال وإن قل».

(٢) ذكره في المحرر الوجيز (٦٦٧/٨) دون نسبة، وأخرجه الخطيب البغدادي (٣٠٩) في الكفاية عن أبي جعفر الطحاوي.

﴿يَا أَيُّهَا رَبِّي أَوْجِي لَهَا﴾ الباء سببية متعلقة بـ ﴿تَحْدِثُ﴾؛ أي: تحدث بسبب أن الله أوحى لها. ويحتمل أن يكون ﴿يَا أَيُّهَا رَبِّي أَوْجِي لَهَا﴾ بدلاً من ﴿أَخْبَارَهَا﴾، وهذا كما تقول: «حدثت كذا» و«حدثت بكذا»، والمعنى على هذا: تحدث بحديث الوحي لها. وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهامًا، أو كلامًا بواسطة الملائكة. و﴿لَهَا﴾ بمعنى: إليها، وقيل: معناه: أوحى إلى الملائكة من أجلها، وهذا بعيد.

﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معنى ﴿أَشْتَاتًا﴾: مختلفين في أحوالهم، وواحد الاشتات شَتٌّ. و﴿صَدْرٌ﴾<sup>(١)</sup> الناس: هو انصرافهم من موضع وزدهم<sup>(٢)</sup>، فقليل: الورد: هو الدفن في القبور، والصدْر: هو القيام للبعث، وقيل: الورد: القيام للحشر<sup>(٣)</sup>، والصدْر: الانصراف إلى الجنة أو إلى النار، وهذا أظهر، وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس؛ فيظهر كونهم أَشْتَاتًا.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ المِثْقَال: هو الوزن، والذَّرَّة: هي النملة الصغيرة. والرؤية هنا ليست برؤية بصر، وإنما هي عبارة عن الجزاء. وذكر الله مثقال الذرة؛ تنبيهًا على ما هو أكثر منه من طريق الأولى، كأنه قال: من يعمل قليلًا أو كثيرًا. وهذه الآية هي في المؤمنين؛ لأن الكافر لا يُجازى في الآخرة على حسناته؛ إذ لم تقبل منه.

واستدلَّ أهل السنة بهذه الآية على أنه لا يخلد مؤمنٌ في النار؛ لأنه لو خلد لم ير ثوابًا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات. وروي عن عائشة: أنها تصدقت بحبة عنب فقليل لها في ذلك؛ فقالت: كم فيها من مثقال ذرة؟<sup>(٤)</sup> وسمع رجل هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها<sup>(٥)</sup>.

(١) في ب: «وصدور».

(٢) في ب: «ورودهم».

(٣) في ب، ج: «للمحشر».

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ط. دار صادر (٤٩٠/٨)، وأحمد في الزهد (٣٧٣)، وابن زنجويه في الأموال (٤٩٠/٢)، وأخرجه مالك (٢٨٠٣) بلاغًا، والبيهقي من طريقه في الشعب (١٣٢/٥).

(٥) أخرجه أحمد (٢٠٥٩٣)، والنسائي في الكبرى (١١٦٣٠)، والحاكم (٦٥٧١)، والطبراني في الكبير (٩٠/٨)، وابن سعد في الطبقات (٣٩/٧)، من حديث الحسن بن صمصمة بن معاوية، عن الفرزدق - وقال الحاكم =

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ هذا على عمومته في حق الكفار. وأما المؤمنون: فلا يُجزّون بذنوبهم إلا بستة شروط؛ وهي:

[١] أن تكون ذنوبهم كبائر.

[٢] وأن يموتوا قبل التوبة منها.

[٣] وألا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها.

[٤] وأن لا يشفع فيهم.

[٥] وأن لا يكونوا ممن استحقَّ المغفرة بعمل، كأهل بدر.

[٦] وأن لا يعفو الله عنهم، فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.



= والطبراني: عن الأحنف-، أنه أتى النبي ﷺ، فقرأ عليه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها. وإسناد الحديث صحيح، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٧/٧): «رواه أحمد والطبراني مرسلاً ومتصلاً، ورجال الجميع رجال الصحيح»، وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٣٠٣/٦). وانظر: تهذيب الكمال، للمزي (١٧٤/١٣)، والإصابة لابن حجر (٥٨٤/٨).

## سورة العاديات

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ بِالْمُورِيَّاتِ فَدَحًا ﴿٢﴾ بِالْمَغِيرَاتِ ضَبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ بَوَسَطْنَ بِهِ جَنَعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ \* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

١-٢ ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾: هل يراد بها الخيل أو الإبل؟

وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني خيل المجاهدين؟ أو الخيل على الإطلاق؟  
وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعني إبل غزوة بدر؟ أو إبل المجاهدين مطلقاً؟ أو إبل الحُجاج؟ أو الإبل على الإطلاق؟

ومعنى ﴿الْعَادِيَاتِ﴾: التي تعدو في مشيها<sup>(١)</sup>.

والضَّحُّ: هو تصويتٌ جهير عند العدو الشديد، ليس بضَّهال<sup>(٢)</sup>. وهو مصدر منصوب على تقدير: يضبحن ضبحاً، أو هو مصدر في موضع الحال، تقديره: العاديات في حال ضبحها.

و﴿الْمُورِيَّاتِ﴾ من قولك: أوريث النار: إذا أوقدتها<sup>(٣)</sup>.

والقدح: صكُّ الحجارة، فيخرج منها شعلة نار، وذلك عند ضرب الأرض بأرجل الخيل أو الإبل. وإعراب ﴿فَدَحًا﴾ كإعراب ﴿ضَبْحًا﴾.

و﴿الْمَغِيرَاتِ﴾ من قولك: أغارت الخيل: إذا خرجت للإغارة على أعدائها.

(١) في ب: «مشيتها».

(٢) في هـ: «بصهيل».

(٣) في ب: «أزندتها».

و﴿صُبْحًا﴾ ظرف زمان؛ لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح.

﴿بَاقِرَ يَهْءُ نَفْعًا﴾ هذه الجملة معطوفة على ﴿الْعَدِيَّتِ﴾ وما بعده؛ لأنه في تقدير: التي تعدو، والنَّفْعُ: الغبار. والضمير المجرور للوقت المذكور، وهو الصبح، فالباء ظرفية، أو للمكان الذي يقتضيه المعنى، فالباء أيضًا ظرفية، أو للعدو، وهو المصدر الذي يقتضيه ﴿الْعَدِيَّتِ﴾، فالباء سببية. ومعنى ﴿أَثَرَنَ﴾ حَرَّكَ. والضمير الفاعل: للإبل أو للخيل؛ أي: حَرَّكَ الغبارَ عند مشيهم.

﴿بَوَسَطَ بِهِ جَمْعًا﴾ معنى ﴿وَسَطَ﴾: توسَّط. و﴿جَمْعًا﴾: اختلف هل المراد به: جمعُ من الناس؟ أو المزدلفة؟؛ لأن اسمها جمعٌ. والضمير المجرور: للوقت، أو للمكان، أو للعدو، أو للنفع.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هذا جواب القسم. والكنود: الكفور للنعمة، فالتقدير: إن الإنسان لنعمة ربه لكفور، و﴿الْإِنْسَانَ﴾: جنس. وقيل: الكنود: العاصي. وقال بعض الصوفية: الكنود: الذي يعبد الله على عَوْضٍ<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ الضمير للإنسان؛ أي: هو شاهد على نفسه بكنوده. وقيل: هو الله تعالى على معنى التهديد، والأول أرجح؛ لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق، فيجري الكلام على نسق واحد.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الخير هنا: المال، كقوله: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٧٩]. والمعنى: إن الإنسان شديد الحب للمال، فهو ذمٌ لحبه والحرص عليه. وقيل: الشديد: البخل، والمعنى على هذا: إنه لبخيلٌ؛ من أجل حب المال، والأول أظهر.

﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي بُحِث عنه، وذلك عبارة عن البعث.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: جُمِع في الصحف وأظهر محصلاً، أو مُيِّز خيره من شره.

(١) [التعليق ١٠٩] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وقال بعض الصوفية: الكنود: الذي يعبد الله على عوضٍ»: أقول: معناه عندهم: الذي يعبد الله رغبة في الثواب، وخوفاً من العقاب؛ وهذا مذموم عندهم. وقولهم هذا هو من بدعهم، لكن المؤلف رحمه الله حكاه، ولم يعلق عليه.

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ الضمير في ﴿رَبَّهُمْ﴾ و﴿بِهِمْ﴾ يعود على الإنسان؛ لأنه يراد به الجنس. وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أن هذه الجملة معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، فكان الأصل أن تفتح «إِنَّ»، ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها.

والثاني: أن تكون هذه الجملة مستأنفة، ويكون معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ محذوفاً، ويكون الفاعل ضميراً يعود على الإنسان، والتقدير: أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعث ما في القبور؟ وهذا هو الذي قاله ابن عطية<sup>(١)</sup>.

ويحتمل عندي: أن يكون فاعل ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ ضميراً يعود على الله، والمفعول محذوف، والتقدير: أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعث ما في القبور؟ ثم استأنف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ على وجه التأكيد، أو<sup>(٢)</sup> البيان للمعنى المتقدم.

والعامل في ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ على هذا الوجه هو: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية: هو المفعول المحذوف. و﴿إِذَا﴾ هنا ظرفية بمعنى: «حين» و«وقت»، وليست بشرطية. والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ﴿خَبِيرٌ﴾. وإنما حُصِّن ذلك بيوم القيامة؛ لأنه يوم الجزاء، فقصد التهديد<sup>(٣)</sup>، مع أن الله خبير على الإطلاق.



(١) المحرر الوجيز (٦٧٦/٨).

(٢) في ب، د: «و».

(٣) في أ، هـ: «التهويل».



## سُورَةُ الْفَارِعَةِ

الْفَارِعَةُ مَا الْفَارِعَةُ ۝ وَمَا أَذْرِيكَ مَا الْفَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝  
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْصِ الْمَنْبُوشِ ۝ بِأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝  
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَذْرِيكَ مَا هِيَّةٌ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝

﴿الْفَارِعَةُ﴾ من أسماء القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بهولها، وقيل: هي النفخة في الصور؛ لأنها تفرع الأسماع.

﴿مَا الْفَارِعَةُ﴾ مبتدأ وخبر<sup>(١)</sup>، في موضع خبر ﴿الْفَارِعَةُ﴾. والمراد به: تعظيم شأنها، وكذلك ﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا الْفَارِعَةُ﴾.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ العامل في الظرف: محذوف، دل عليه ﴿الْفَارِعَةُ﴾، تقديره: تفرع في يوم. والفراش: هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح.

والمبثوث: هو المنتشر المتفرق، شبه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم، ويحتمل أنه شبههم به؛ لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح.

قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام، ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر؛ فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد يقصد إلى جهة<sup>(٢)</sup> واحدة<sup>(٣)</sup>.

(١) في ب، د: «وخره».

(٢) في د: «ناحية».

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٦٧٨/٨) عن بعض العلماء أيضًا، والقائل هو مكي بن أبي طالب في كتابه الهداية (٧١٨٦/١١).

وقيل: إن الفراش هنا: الجراد الصغار، وهو ضعيف.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْرِ الْمَنبُوشِ﴾ العهن: هو الصوف، وقيل: الصوف الأحمر، وقيل: الصوف الملوّن ألواناً. شبه الله الجبال يوم القيامة به؛ لأنها تُنسَف فتصير لينة، وعلى القول بأنه الملوّن يكون التشبيه أيضاً من طريق اختلاف ألوان الجبال؛ لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء.

﴿مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ هو جمع ميزان، أو جمع موزون. وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور، وقال قوم: هو عبارة عن العدل<sup>(١)</sup>.

﴿بَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ معناه: ذات رضا عند سيويه. وثقل الموازين: بكثرة الحسنات، وخففتها: بقلتها. ولا يخف ميزان مؤمن خفة موبقة؛ لأن الإيمان يوزن فيه. ﴿بِأَمْرٍ هَآوِيَةٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الهاوية جهنم، سميت بذلك؛ لأن الناس يهونون فيها؛ أي: يسقطون. و﴿أَمْرٍ هَآوِيَةٍ﴾ معناه: مأواه، كقولك: «المدينة أم فلان»؛ أي: مسكنه، على التشبيه بالأم الوالدة؛ لأنها مأوى الولد ومرجعه.

الثاني: أن الأم: هي الوالدة، و﴿هَآوِيَةٍ﴾: ساقطة، وذلك عبارة عن هلاكه، كقولك: «أمه تكلّى»: إذا هلك.

(١) [التعليق ١١٠] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «له لسان وكفتان عند الجمهور» أقول: من عقيدة أهل السنة الجماعة إثبات ميزان الأعمال يوم القيامة، ولم يأت ذكر ميزان الأعمال في القرآن مفرداً، بل بصيغة الجمع (موازين)، فقليل: جمع ميزان أو موزون، كما ذكر المؤلف، وإنما جاء مفرداً في السنة في أحاديث، كما في قوله ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان» [أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري ﷺ]، وقوله: «كلمتان خفيفتان على اللسان» الحديث، وفيه: «ثقلتان في الميزان» [أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة ﷺ]، وظاهر الأدلة أنه ميزان حسي، وله كفتان توضع فيهما الحسنات والسيئات، وقد ورد ذكر الكفتين في بعض الأحاديث، وأما اللسان فلا أعلم أنه ورد في شيء مرفوع، ولكن هذا هو المشهور في كلام من تكلم عن الميزان من أهل السنة، وإثبات اللسان لميزان الأعمال يتوقف على قيام الدليل، وتفسيره بالعدل هو قول المعتزلة، وهو من التأويل المذموم الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره بغير حجة، والمؤلف ﷺ اكتفى بذكر الأقوال دون ترجيح؛ فليس له في هذا الموضع مذهب.

الثالث: أن المعنى: أم رأسه هاوية في جهنم؛ أي: ساقطة فيها؛ لأنه يُطرح فيها منكوساً. وروي أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «لا أم لك»، فقال: يا رسول الله تدعوني إلى الهدى وتقول: لا أم لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما أردت: لا نار لك، قال الله تعالى: ﴿بَاقٍ هَاوِيَّةٌ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا يؤيد القول الأول.

﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا هِيَّةٌ﴾ الهاء للسكت، والضمير لجهنم على القول بأنها هي الهاوية، وهو للفعلة والخصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني والثالث. والمقصود: تعظيمها، ثم فسرها بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَّةٌ﴾.



(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦٧٩/٨) قال: «وروى المبرد أن النبي ﷺ قال: ... إلخ، ولم أقف على إسناده.

## سورة التكاثر (١)

الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝

١ ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ، ومعنى ﴿الْهَيْكُمُ﴾: شغلكم. و﴿التَّكَاثُرُ﴾: المباهاة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، ويقول هؤلاء: نحن أكثر. ولما قرأها النبي ﷺ قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي! وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت» (٢).

٢ ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: حتى مُتُّم، فأراد بزيارة المقابر: الدفن فيها.

الثاني: أن معناه: حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر، فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها؛ لأن بعض العرب تفاخر بآبائه الموتى. فالمعنى: ألهاكم التكاثر حتى بلغتكم فيه إلى ذكر الموتى.

الثالث: أن معناه: زيارة المقابر حقيقة؛ لتعظيم أهلها والتفاخر بهم، فيقول: هذا قبر فلان؛ لِيُشْهَرَ ذِكْرُهُ (٣) ويعظم قدره.

(١) في ج، د: «سورة ألهاكم».

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٨) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) في ب: «ليشتهر أمره».

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ زجر وتهديد، ثم كرره للتأكيد، وعطفه بـ﴿ثُمَّ﴾ إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول.

وقيل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ : في القبور، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ : يوم القيامة، وقيل: الأول تهديد للكفار، والثاني تهديد للمؤمنين.

وحذف مفعول<sup>(١)</sup> ﴿تَعْلَمُونَ﴾، وتقديره: تعلمون ما يحلُّ بكم، أو تعلمون أن القرآن حق، أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا، وإنما حذفه لقصد التهويل، فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله.

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، تقديره: لو تعلمون لازدجرتهم واستعددتهم للآخرة، فينبغي الوقف على ﴿الْيَقِينِ﴾. ومفعول ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ محذوف أيضاً. و﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ مصدر، ومعنى علم اليقين: العلم الذي لا يُشكُّ فيه.

قال بعضهم: هو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: دارُ الآخرة. وقال الزمخشري: معناه: علم الأمور التي تتيقنونها بالمشاهدة<sup>(٢)</sup>.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ هذا جواب قسم محذوف، وهو تفسير لمفعول ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم، ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم، والتفسير بعد الإبهام يدلُّ على التهويل والتعظيم.

والخطاب: لجميع الناس، فهو كقوله: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، وقيل: للكفار خاصة، فالرؤية على هذا: يراد بها الدخول فيها.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تأكيد للرؤية المتقدمة، وعطفه بـ﴿ثُمَّ﴾؛ للتهويل والتفخيم. والعين هنا: من قولك: عين الشيء: نفسه وذاته؛ أي: لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «مفعول».

(٢) الكشف (١٦/٥٦١).

﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا، فقيل: النعيم: الأمن والصحة، وقيل: الطعام والشراب. وهذه أمثلة، والصواب: العموم في كل ما يُتَلَذَّذُ به، قال رسول الله ﷺ: «بيت يُكِنُّك، وخرقة تواريك، وكسرة تشدُّ قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «كلُّ نعيم فمُسْؤُول عنه إلا نعيم في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>، وأكل يومًا ﷺ مع بعض أصحابه رطبًا وشربوا عليه ماء، فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تُسألون عنه»<sup>(٣)</sup>.



(١) أخرجه الثعلبي (٢٢٨/٣٠) عن يحيى بن أبي كثير مرسلًا، وفيه عامر بن يساف وهو منكر الحديث. لسان الميزان (٣٧٨/٤). وأخرجه أحمد (٤٤٠)، والترمذي (٢٣٤١) وصححه، والحاكم (٧٨٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب (١٣/١٣) من حديث حريث بن السائب الحسن عن حمران عن عثمان مرفوعًا - واللفظ للبيهقي -: «كل شيء فضل عن ابن آدم من جلف الخبز وثوب يوارى سوائه وبيت يُكِنُّه ما سوى ذلك فهو حساب يحاسب به يوم القيامة»، وضعفه أحمد وأنكره (تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/٢٣٤)، وأعله الدارقطني في العلل (٢٩/٣) قال: «كذا رواه حريث بن السائب، عن الحسن، عن حمران، عن عثمان، عن النبي ﷺ، وهم فيه. والصواب: عن الحسن، عن حمران، عن بعض أهل الكتاب»، وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٣١٤).

(٢) ذكره ابن كثير في جامع المسانيد والسنن (١٠/٢٥٤) من رواية الحافظ أبي موسى بإسناده إلى أبي العباس المستغفري، عن أبي معن - صاحب الإسكندرية - مرفوعًا، وذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة أبي معن (١٢/٦٥٤) وقال: «تابعي أرسل حديثًا، ذكره المستغفري في الصحابة وتبعه أبو موسى.. قال المستغفري: مع براءتي إلى الله من عهدة إسناده»، وقال ابن كثير: «قال الحافظ أبو موسى: أبرأ إلى الله من هذا الإسناد، قلت - ابن كثير -: وأنا».

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٨) عن أبي هريرة ؓ.

## سورة العصر

وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٍ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴿٢﴾ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

﴿وَالْعَصْرِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه صلاة العصر، أقسم الله بها لفضلها، قال رسول الله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه العشي، أقسم به كما أقسم بالضحى، ويؤيد هذا: قول أبي بن كعب رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن العصر فقال: «أقسم ربكم بآخر النهار»<sup>(٢)</sup>.  
الثالث: أنه الزمان.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٍ﴾ «الإنس»: جنس، ولذلك استثنى منه «الَّذِينَ ءَامَنُوا»، فهو استثناء متصل.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: وصّى بعضهم بعضًا بالحق وبالصبر. فالحق هو الإسلام وما يتضمنه، وفيه إشارة إلى كذب الكفار، وفي الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذابة الكفار لهم بمكة.



(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٢٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الثعلبي (٢٤٤ / ٣٠) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وفي إسناده مجاهيل، وفيه من لم يذكر بجرح ولا تعديل. وقال ابن حجر في الفتح (٧٢٩ / ٨): «لم أر في تفسير هذه السورة حديثًا مرفوعًا صحيحًا».

## سُورَةُ الْهُمَزَةِ

وَنِيلَ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٌ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا  
لَيُتْبَذَنَ فِي الْخُطْمَةِ ۝ وَمَا أَذْرِيكَ مَا الْخُطْمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى  
الْأَفِيدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝

﴿وَنِيلَ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٌ﴾ هو على الجملة: الذي يعيب الناس ويأكل أعراضهم. واشتقاقه: من الهمز واللمز، وصيغة «فُعْلَةٌ» للمبالغة. واختلف في الفرق بين الكلمتين: فقليل: الهمز في الحضور، واللمز في الغيبة. وقيل بالعكس. وقيل: الهمز باليد والعين، واللمز باللسان. وقيل: هما سواء.

ونزلت السورة في الأخنس بن شَرِيق<sup>(١)</sup>؛ لأنه كان كثير الوقعة في الناس، وقيل: في أمية بن خلف<sup>(٢)</sup>، وقيل: في الوليد بن المغيرة<sup>(٣)</sup>، ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتَّصف بهذه الصفات.

﴿وَعَدَّدَهُ﴾ أي: أحصاه وحافظ على عدده أن لا ينقص، فمنعه من الخيرات، وقيل: معناه: استعدَّه وذخَّره<sup>(٤)</sup> عُدَّةً لحوادث الدهر.

﴿يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يُخلِّده في الدنيا، وقيل: يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٦٣/١٠) عن السدي، ونقله الثعلبي (٢٥٤/٣٠).

(٢) نقله الثعلبي (٢٥٤/٣٠) عن ابن إسحاق.

(٣) نقله الثعلبي (٢٥٤/٣٠) عن مقاتل، وهو في تفسيره (٨٣٧/٤).

(٤) في ب: «وادخره».



١-٦ ﴿كَلَّا﴾ رد عليه فيما ظنه.

﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ هذا جواب قسم محذوف. و﴿الْحُطَمَةُ﴾ هي جهنم، وإنما سميت حُطَمَةً؛ لأنها تَحْطِمُ ما يلقي فيها وتلتهبه، وقد عظمها بقوله: ﴿وَمَا أَذْرِيكَ﴾، ثم فسرها بأنها ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْفِدَةُ﴾.

٧ ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَبْغِيثِ﴾ أي: تبلغ القلوب بإحراقها. قال ابن عطية: يحتمل أن يكون المعنى: أنها تطلع على ما في القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها<sup>(١)</sup>.  
٨ ﴿مُوصَدَّةٌ مَغْلَقَةٌ﴾.

٩ ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ العمد: جمع عمود، وهو عند سيبويه اسم جمع، وقرئ ﴿عَمَدٍ﴾ بضميتين<sup>(٢)</sup>. والعمود: هو المستطيل من حديد أو خشب، والممددة: الطويلة. وفي المعنى قولان:

أحدهما: أن أبواب جهنم أغلقت عليهم، ثم مُدِّدَت على أبوابها عَمَدٌ تشديدًا في الإغلاق والثِّقَاف، كما تُثَقَّف أبواب البيوت بالعمد، وهو على هذا متعلق بـ﴿مُوصَدَّةٌ﴾.  
والآخر: أنهم موثوقون مغلولون في العمد، فالمجرور على هذا: في موضع خبر مبتدأ مضمرة تقديره: هم موثوقون في عمد.



(١) المحرر الوجيز (٨/٦٨٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بضم العين والميم، وقرأ الباقون بفتحهما.

## سورة الفيل

نزلت هذه السورة منبّهة على العبرة في قصة الفيل التي وقعت عام مولد رسول الله ﷺ، فإنها تدل على كرامة الله للكعبة، وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم، فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به، وفيها مع ذلك عجائب من <sup>(١)</sup> قدرة الله وشدة عقابه.

وقد ذكرت القصة في كتاب السير وغيره، واختصارها: أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتاً باليمن، وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة، فذهب عربياً وأحدث في البيت، فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، فاحتفل في جموعه، وركب الفيل وقصد مكة، فلما وصل قريباً منها فرأى أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة، وأخذ لعبد المطلب مثنى بعير فكلّمه فيها، فقال له: كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة، وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك؟ فقال له: أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، فبرك الفيل <sup>(٢)</sup> بذئ الغميس، ولم يتوجه إلى مكة، فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هروا، وإذا وجهوه إليها توقفوا ولو بضغوه <sup>(٣)</sup> بالحديد، فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيوراً سوداً، وقيل: خضراً، عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة، فكان الحجر يقتل من وقع عليه، وروي: أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره، ووقع في سائرهم الجُدري والأسقام، وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل، وتقطع أبرهة أنملة أنملة.

(١) في ب: «من عجائب».

(٢) في د: «فلما توجه إليها برك الفيل».

(٣) أي: وخزوه بالمبضع، وهو آلة يشق بها الجلد. تاج العروس.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ بَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْمَيْلِ ۚ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّاكُولٍ ۚ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ معناه: ألم تعلم، و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ﴿بَعَلَ رَبُّكَ﴾، لا بـ﴿أَلَمْ تَرَ﴾<sup>(١)</sup>، والجملة معمول ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي: إبطال وتخسير.

﴿أَبَابِيلَ﴾ معناه: جماعات شيئاً بعد شيء، قال الزمخشري: واحداً إِبَّالَةً<sup>(٢)</sup>، وقال جمهور الناس: هو جمع لا واحد له من لفظه.

﴿بِحِجَارَةٍ﴾ روي: أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحِمَصَة<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس ؓ: إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفيز من هذه الحجارة، وإنها كانت مخططة بحُمْرة<sup>(٤)</sup>.

وروي: أنه كان على كل حجر اسمٌ من يقع عليه مكتوباً<sup>(٥)</sup>.

﴿سِجِّيلٍ﴾ قد ذكر<sup>(٦)</sup>.

﴿كَعَصِفٍ مَّاكُولٍ﴾ العصف: ورق الزرع وتبته، والمراد: أنهم صاروا رميماً.

(١) «تر» فعل قلبي علّق عن العمل بـ«كيف»؛ لما فيها من معنى الاستفهام، والتعليق: ترك العمل لفظاً لا معنى لوجود مانع، ومن تلك الموانع الاستفهام. انظر: الكشاف (١٦/٥٨٢)، والدر المصون (١١/١٠٩).

(٢) الكشاف (١٦/٥٨٢).

(٣) ذكره الواحدي في البسيط (٢٤/٣٢٩) عن موسى بن أبي عائشة.

(٤) ذكره في الكشاف (١٦/٥٧٨)، وفي الدر المنثور (١٥/٦٦٦-٦٦٧): «وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن أبي صالح أنه رأى عند أم هانئ بنت أبي طالب... وذكره.

(٥) عزاه الواحدي في البسيط (٢٤/٣٣٠) إلى مقاتل، وهو في تفسيره (٤/٨٥٢).

(٦) انظر تفسير الآية (٨١) من سورة هود ؑ.

وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه:

الأول: أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم رائته، فجمع التلف والخسة، ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن.

الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود.

الثالث: أنه أراد كعصفٍ مأكولٍ زرعه، وبقي هو لا شيء.



## سورة قريش

لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي  
أَظْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ۖ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۖ

﴿١﴾ ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قريش: هم حي من عرب الحجاز الذين من ذرية معد بن عدنان، إلا أنه لا يقال قريش<sup>(١)</sup> إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم ينقسمون إلى أفخاذ ويوت؛ نحو بني هاشم، وبني أمية، وبني مخزوم، وغيرهم. وإنما سميت القبيلة قريشاً؛ لتقرشهم، والتقرش: التكسب، وكانوا تجاراً. وعن معاوية رضي الله عنه أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما: بم سميت قريش؟ قال: بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعلو<sup>(٢)</sup>. وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة، رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام، وقيل: كانت الرحلتان جميعاً إلى الشام، وقيل: كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل، فيقيمون بها، ويرحلون في الشتاء إلى مكة؛ لسكناهم بها.

والإيلاف: مصدر من قولك: ألفت المكان: إذا ألفتته، وقيل: هو منقول منه بالهمزة، يقال ألف الرجل الشيء، وألفه إياه غيره.

فالمعنى على القول الأول: أن قريشاً ألفتوا رحلة الشتاء والصيف، وعلى الثاني: أن الله ألفتهم الرحلتين.

(١) في د: «قريشي».

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/١٨١)، والواحدي في الوسيط (٤/٥٥٦) عن أبي ریحانة العامري من أصحاب معاوية، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٢٩٣) عن ربعي بن حراش في ضمن قصة طويلة.

واختلف في تعلق قوله: ﴿لَا يَلْبِفُ قُرَيْشٍ﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه متعلق بقوله: ﴿بَلَّيْغِبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، والمعنى: فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين؛ فإن ذلك نعمة من الله عليهم.

الثاني: أنه يتعلق بمحذوف تقديره: اعجبوا لإيلاف قريش.

الثالث: أنه يتعلق بسورة الفيل، والمعنى: أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، فهو يتعلق بقوله: ﴿بَجَعَلَهُمْ﴾ أو بما قبله من الأفعال.

ويؤيد هذا: أن السورتين في مصحف أبي بن كعب عليه السلام سورة واحدة لا فصل بينهما<sup>(١)</sup>، وقد قرأهما عمر رضي الله عنه في ركعة واحدة من المغرب<sup>(٢)</sup>.

وذكر الله الإيلاف أولاً مطلقاً، ثم أبدل منه الإيلاف المقيّد بالرحلتين؛ تعظيماً للأمر. ونُصِبَ «رَحْلَةٌ»؛ لأنه مفعول بـ «إِلَافِهِمْ».

وقال: «رَحْلَةٌ» وأراد: «رحلتين»، فهو كقول الشاعر:

كلوا في بعض بطنكم تَعَفُّوا<sup>(٣)</sup>

﴿بَلَّيْغِبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ هذا إقامة حجة عليهم، واستدعاء لهم بملاطفة، وتذكير بالنعم، والبيت: هو المسجد الحرام.

﴿أَلَذَّةِ أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ﴾ يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين، فقد روي أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف. ويحتمل أن يريد إطعامهم على الإطلاق، فقد كان أهل مكة ساكنين بوادٍ غير ذي زرع، ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد، بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام، وهو قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٣٠/٣٠٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٦٩٧)، وابن أبي شيبة (٣٦١٣) في مصنفيهما عن عمرو بن ميمون.

(٣) هذا صدر بيت، وعجزه: «فَلَنُزَمَّكُمْ زَمَنٌ خَمِيصٌ»، وهو من شواهد سيبويه في «الكتاب» (١/٢١٠) ولا يعرف قائله.

﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ يحتتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل، ويحتتمل أن يريد: آمنهم في بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقد فسرناه في موضعه. أو يعني: آمنهم في أسفارهم؛ لأنهم كانوا في رحلتهم آمينين، لا يتعرض لهم أحد بسوء، وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم. وقيل: آمنهم من الجذام، فلا ترى بمكة مجذوماً. قال الزمخشري: التنكير في ﴿جُوعٍ﴾ و﴿خَوْفٍ﴾؛ لشدتهما<sup>(١)</sup>.



(١) الكشف (١٦/٥٨٩).

## سورة أَرَايْتُ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِينَ ﴿١﴾ بِذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ  
الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ  
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٦﴾

﴿١﴾ «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِينَ» قيل: إن هذا نزل في أبي جهل<sup>(١)</sup> أو<sup>(٢)</sup> أبي سفيان بن حرب<sup>(٣)</sup>، وقيل: هو مطلق. والدين هنا: الملة، أو الجزاء.

﴿٢﴾ «بِذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ» أي: يدفعه بعنف، وهذا الدفع يَحْتَمِلُ أن يكون عن إطعامه والإحسان إليه، أو عن ماله وحقوقه، وهذا أشدُّ. والذي لا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ لا يُطْعِمُهُ مِنْ بَابِ أَوْلَى. وهذه الجملة هي جواب «أَرَأَيْتَ؟» لأن معناها: «أخبرني»، فكانه سؤال وجواب.

والمعنى: انظر<sup>(٤)</sup> الذي كَذَّبَ بِالَّذِينَ؛ تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة، وإنما ذلك؛ لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات، فمقصود الكلام: ذمُّ الكفار وأحوالهم.

﴿٥﴾ «وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» قيل: إن هذا نزل في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، والسورة على هذا نصفها مكِّي ونصفها مدني، قاله أبو زيد السهيلي<sup>(٥)</sup>. وذلك أن ذَكَرَ أَبِي جَهْلٍ وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية، وذكر السهو عن

(١) ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (٣٩١).

(٢) في أ، ب، د: «و».

(٣) نقله الثعلبي (٣٣١/٣٠) عن ابن جريج.

(٤) في ب زيادة: «إلى».

(٥) التعريف والإعلام، للسهيلي (٣٩١)، والسهيلي يُكْنَى بِأَبِي الْقَاسِمِ وَأَبِي زَيْدٍ.



الصلاة والرياء فيها، إنما هي من صفات الذين كانوا بالمدينة، لاسيما على قول من قال: إنها في عبد الله بن أبيي.

وقيل: إنها مكية كلها، وهو الأشهر، ونزل آخرها - على هذا - في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان، وقيل: مدنية.

والسهو عن الصلاة: هو تركها، أو تأخيرها تهاوئاً بها.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: «الذين يؤخرونها عن وقتها»<sup>(١)</sup>. وقال عطاء بن يسار: الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: «في صلاتهم»<sup>(٢)</sup>.

﴿الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ﴾ هو من الرياء؛ أي: صلاتهم رياء للناس، لا لله.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ فيه وصفٌ لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس. وفي ﴿الْمَاعُونَ﴾ أربعة أقوال: الأول: أنه الزكاة. الثاني: أنه المال بلغة قريش. الثالث: أنه الماء.

الرابع: أنه ما يتعاطاه الناس بينهم، كالآنية، والفأس، والدلو، والمِقْصَص. وسئل رسول الله ﷺ: ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: «الماء، والنار، والملح»<sup>(٣)</sup> وزاد في بعض الطرق: «الإبرة، والخمير»<sup>(٤)</sup>.



(١) أخرجه الطبري (٦٦٣/٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٦٨)، والبيهقي (٣١٦٣)، والطبراني في الأوسط (٢/٣٧٧)، والبزار (٣٤٤) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً، وضعفه البزار والهيتمي في مجمع الزوائد (٨٠/٢)، (٣٠٠/٧)، وصحح البزار والبيهقي والدارقطني في العلل (٤/٣٢١) وقفه.

(٢) أخرجه الطبري (٦٦٤/٢٤) عن عطاء بن دينار، وكذلك وقع في تفسير ابن كثير (٨/٤٩٣). وفي الدر المنثور (١٥/٦٨٨): «أخرجه ابن جرير عن عطاء بن يسار»، وأشار محقق تفسير الطبري إلى أنه وقع في نسخة: «بن يسار».

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٧٣)، والطبراني في الأوسط (٦/٣٤٩) عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف. انظر: مصباح الزجاجة للبوصيري (٣/٨١)، ومجمع الزوائد (٣/٣٢٤)، وتلخيص الحبير (٣/١٤٣).

(٤) ذكرها في المحرر الوجيز (٨/٦٩٧)، ولم أقف على إسناده لهذه الرواية.



إِنَّا أَغْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

﴿١﴾ «إِنَّا أَغْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» هذا خطاب للنبي ﷺ، والكوثر: بناء مبالغة من الكثرة، وفي تفسيره سبعة أقوال:

الأول: حوض النبي ﷺ.

الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس ؓ، وتَمَّمه سعيد بن جبير بأن قال: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله<sup>(١)</sup>، فالمعنى: أنه على العموم.

الثالث: أن الكوثر القرآن.

الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع.

الخامس: أنه التوحيد.

السادس: أنه الشفاعة.

السابع: أنه نور وضعه الله في قلبه.

ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء<sup>(٢)</sup> كلها، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض، لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض، أنيته عدد نجوم السماء»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٦) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؓ.

(٢) في د: «الخصال».

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٠) عن أنس ؓ.

﴿بَصَلَ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ﴾ فيه خمسة أقوال:

- الأول: أنه أمره بالصلاة على الإطلاق، وينحر الهدى والضحايا.
- الثاني: أنه ﷺ كان يضحى قبل صلاة العيد، فأمره أن يصلي ثم ينحر، فالمقصود على هذا: تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة.
- الثالث: أن الكفار كانوا يصلون مكاءً وتصدية، وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه ﷺ: صل لربك وحده وانحر له؛ أي: لوجهه لا لغيره، فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص.
- الرابع: أن معنى ﴿انْحَرِ﴾: ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة، فهو على هذا من النحر، وهو الصدر.

الخامس: أن معناه: ارفع يدك عند نحرك في افتتاح الصلاة.

﴿إِنَّ شَانِيئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الشانيء: هو المبغض، وهو من الشئان بمعنى العداوة.

ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل<sup>(١)</sup> -وقيل: في أبي جهل<sup>(٢)</sup>- على وجه الرد عليه؛ إذ قال: إن محمداً أبتراً؛ أي: لا ولد له ذكر، فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتَر وإن كان له أولاد؛ لأنه مبتور من رحمة الله؛ أي: مقطوع عنها، ولأنه لا يُذكر إذا ذكر إلا باللعنة، بخلاف النبي ﷺ فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر، مرفوع على المنابر والصوامع، مقرون بذكر الله، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه، فهو كالوالد لهم<sup>(٣)</sup>.



(١) أخرجه الطبري (٢٤/٦٩٧-٦٩٩) عن ابن عباس ؓ وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/٣٤٧١) عن عطاء، ونسبه ابن كثير (٨/٥٠٤) إلى ابن عباس ؓ، وفي الدر المنثور (١٥/٧١٠): «وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس ؓ قال:

أبو جهل»

(٣) في د: «فكانه والدهم».

## سورة الكافرين

سبب هذه السورة: أن قومًا من قريش، منهم الوليد بن المغيرة وأمّية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم؛ قالوا: يا محمد! اتبع ديننا وتبع دينك، اعبد آلِهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: «معاذ الله أن أشرك بالله شيئاً»<sup>(١)</sup>، ونزلت السورة في معنى البراءة من آلِهتهم، ولذلك قال ﷺ: «من قرأها فقد برئ من الشرك»<sup>(٢)</sup>.

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ  
مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم. فإن قيل: لم كرر هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما - قاله الزمخشري -: وهو أن قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد في الزمان المستقبل، وقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ يريد به فيما مضى؛ أي: ما كنت قطُّ عابداً ما عبدتم فيما سلف؛ فكيف تطلبون ذلك مني الآن؟<sup>(٣)</sup>

الثاني - قاله ابن عطية -: وهو أن قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾؛ أي: أبداً ما عشتُ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري (٧٠٣/٢٤) وابن أبي حاتم (٣٤٧١/١٠) عن ابن عباس ؓ وعن ابن إسحاق عن سعيد بن مينا مولى البختري.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٨٠٧)، وأبو داود (٥٠٥٥)، والترمذي (٣٤٠٣)، والنسائي في الكبرى (١٠٥٦٩)، وابن حبان (٧٩٠)، والحاكم (٣٩٨٢) وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة (٢٧٠٥٩) عن فروة بن نوفل الأشجعي، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٦١/٣).

(٣) الكشف (٦٠٧/١٦).

(٤) المحرر الوجيز (٧٠١/٨).

وهذا مُعْتَرَض؛ لأن «لا» النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال، فقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ لا يَحْتَمِلُ أن يراد به الحال.

ويحتمل عندي: أن يكون قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد به: في المستقبل، على حَسَبِ ما تقتضيه «لا» من الاستقبال، ويكون قوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ يريد به: في الحال، فيحصل من المجموع نفي عبادته الأصنام في الحال والاستقبال، ومعنى الحال في قوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ أظهر من معنى المضى الذي قاله الزمخشري، ومن معنى الاستقبال؛ فإن قولك: «ما زيد قائم» بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال.

﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ﴾ هذا إخبارٌ أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله، كما قيل لنوح عليه السلام: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦]، إلا أن هذا في حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر، وقد روي أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم: أبو جهل، والوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمّية بن خلف، وأبي بن خلف، وابنا الحجاج<sup>(١)</sup>، وكلهم ماتوا كفارًا.

فإن قيل: لم قال ﴿مَّا أَعْبُدُ﴾ بـ«ما» دون «مَنْ» التي هي موضوعة لمن يعقل؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك لمناسبة قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾؛ فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل ﴿مَّا أَعْبُدُ﴾ على طريقته؛ لتناسب اللفظ.

الثاني: أنه أراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أن «ما» مصدرية، والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي، وهذا ضعيف.

(١) وهما: نبيّه ومنبّه ابنا الحجاج بن عامر. سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٥)، وقد تقدم تخريجه في أثر ابن إسحاق عن

سعيد بن مينا.

(٢) الكشف (١٦/ ٦١١).

فإن قيل: لم كرّر هذا المعنى واللفظ؛ فقال بعد ذلك: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ مرة أخرى؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما - قول الزمخشري -: وهو أن الأول في المستقبل والثاني فيما مضى<sup>(١)</sup>.

والآخر - قاله ابن عطية -: وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال، فهو حتمٌ عليهم أن لا يؤمنوا أبدًا<sup>(٢)</sup>.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ أي: لكم شرككم، ولي توحيدى، وهذه براءة منهم. وفيها مسألة منسوخة بالسيف.



(١) الكشف (٦٠٧/١٦).

(٢) المحرر الوجيز (٧٠١/٨).

## سُورَةُ النَّصْرِ

سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن معنى هذه السورة، فقالوا: إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح، وذلك على ظاهر لفظها، فقال لابن عباس بمحضرهم: يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما علمت<sup>(١)</sup>.

وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> وغيره، ويؤيده قول عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ لما فتح<sup>(٣)</sup> مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك» يتأول القرآن<sup>(٤)</sup>؛ أي هذه السورة، وقال لها مرة: «ما أراه إلا حضور أجلي»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: نزلت هذه السورة بمضى أيام التشريق في حجة الوداع<sup>(٦)</sup>، وعاش رسول الله ﷺ بعدها ثمانين يوماً أو نحوها<sup>(٧)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هذه السورة تسمى «سورة التوديع»<sup>(٨)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في أ، ج: «فتحت».

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٦) أخرجه البزار (٢٩٨ / ١٢)، والبيهقي (٩٦٨٢).

(٧) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٧٠٥ / ٨)، وهذا بناء على ما قال به بعض أهل العلم بالسيرة أن وفاة النبي ﷺ كانت لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة، فيكون بينهما نحو ثمانين يوماً، وأما على القول الآخر أنه توفي لائنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول - وبه قال ابن إسحاق والواقدي وكتابه محمد بن سعد صاحب الطبقات، وهو القول المشهور - فيكون بينهما نحو تسعين يوماً. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ط. ابن كثير (٣٥٨ / ٥) وما بعدها، وفتح الباري لابن حجر (١٢٩ / ٨).

(٨) ذكره في الكشف (٦٢١ / ١٦) منسوباً إليه، وذكره الثعلبي (٤٤٨ / ٣٠) دون نسبة إلى قائل.

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

﴿١﴾ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يعني بالفتح: فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ. وقال ابن عباس ؓ: (١) النصر: صلح الحديبية، والفتح: فتح مكة (٢). وقيل: النصر: إسلام أهل اليمن. والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبارٌ بغيب، فهو من أعلام النبوة.

﴿٢﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعات، وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشرٌ كثير، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف، وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفاً. وقال أبو عمر ابن عبد البر: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر (٣). وقد قيل: إن عدد المسلمين عند موته: مئة ألف وأربعة عشر ألفاً.

﴿٣﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيما تقدم (٤). فإن قيل: لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح، وعند اقتراب أجله؟

فالجواب: أنه أمره بالتسبيح والحمد؛ ليكون شكرًا على النصر والفتح وظهور الإسلام، وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله؛ ليكون ذلك زادًا للآخرة وعُدَّةً للقاء الله (٥).



(١) في أ، هـ زيادة: «من».

(٢) حكاية النقاش عنه كما في المحرر الوجيز (٧٠٥/٨).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٤/١٦٣٨).

(٤) انظر تفسير الآية (١٤٨) من سورة طه.

(٥) في ج، د: «اللقاء».



## سورة أبي لهب (١)

سببها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣] صعد رسول الله ﷺ على الصفا، فنادى بأعلى صوته: «يا صباحاه»<sup>(٢)</sup>، فاجتمعت إليه قريش فقال لهم: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ثم أنذرهم عموماً وخصوصاً، فقال له أبو لهب: تباً لك! ألهذا جمعتنا؟ فنزلت السورة<sup>(٣)</sup>.

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝  
وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝

١ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ معنى ﴿تَبَّتْ﴾: خسرت، والتَّبَاب: هو الخسران. وأبو لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، وهو عمُّ رسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس عداوةً له. فإن قيل: لم ذكره الله بكنيته<sup>(٤)</sup> دون اسمه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره، ويقال: إنه كُنِّيَ أبا لهب لتلُهب وجهه جمالاً.

الثاني: أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية.

الثالث: أنه لما كان من أهل النار واللهب، كنَّاه أبا لهب، وليناسب ذلك قوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

(١) قال الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٥٥٩): «وتسمَّى سورة تَبَّتْ، وسورة أبي لهب، وسورة المسد».

(٢) في أ، د، هـ: «يا صاحباه»!

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٧٠، ٤٨٠١)، ومسلم (٢٠٨) عن ابن عباس ؓ.

(٤) في أ، هـ: «بتكنيته».

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ : نافية، أو استفهامية يراد بها النفي.

و﴿مَالُهُ﴾: هو رأس ماله، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: الربح.

أو ﴿مَالُهُ﴾: ما ورث، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: هو ما اكتسبه لنفسه.

وقيل: ﴿مَالُهُ﴾: جميع ماله، ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: أولاده.

﴿سَيُضْلَىٰ تَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ هذا حتمٌ عليه بدخول النار، ومات بعد ذلك كافرًا.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ اسم امرأته: أم جميل بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي

سفيان وعمة معاوية. وفي وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال:

أحدها: أنها تحمل حطبًا وشوكًا فتلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة، يقال: فلان يحمل الحطب بين الناس: أي: يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم.

الثالث: أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين، يقال: فلان يحطب على فلان: إذا قصد الإضرار به.

الرابع: أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ الجيد: العنق. والمسد: الليف، وقيل: الحبل المفتول، وفي المراد به ثلاثة أقوال:

الأول: أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول، وفي ذلك تحقير لها، وإظهار لخساسة حالها.

والآخر: أن حالها في جهنم يكون كذلك؛ أي: يكون في عنقها حبل.

الثالث: أنها كانت قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقته على عداوة محمد، فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرجها.

(١) في ب، ج زيادة: «به».



ويحتمل قوله: ﴿وَأَمْرًا تَدْرُ﴾ وما بعده وجوها من الإعراب يختلف الوقف باختلافها، وهي:  
 أن يكون ﴿وَأَمْرًا تَدْرُ﴾ مبتدأ، و ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ خبره.  
 أو ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ نعت، والخبر: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.  
 أو يكون ﴿وَأَمْرًا تَدْرُ﴾ معطوفاً على الضمير في ﴿سَيُضْلَى﴾، و ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: نعت،  
 أو خبر مبتدأ مضمرة.



## سورة الإخلاص

سبب نزول هذه السورة: أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! صف لنا ربك وانسبه؟ فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها! فارتعد رسول الله ﷺ حتى خر مغشياً عليه، ونزل عليه جبريل ﷺ بهذه السورة<sup>(١)</sup>.

وقيل: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؟ فنزلت<sup>(٢)</sup>.

فعلى<sup>(٣)</sup> الرواية الأولى: تكون السورة مدنية؛ (لأن سؤال اليهود بالمدينة)<sup>(٤)</sup>، وعلى الرواية الثانية: تكون مكية.

واختلف في معنى قوله ﷺ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تعدل ثلث القرآن<sup>(٥)</sup>.

فقيل: إن ذلك في الثواب؛ أي: لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن.

وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم؛ وذلك أن علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وأحكام، وقصاص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد، فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار، وهذا أظهر، وعليه حمل ابن عطية الحديث<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٧١٠/٨) عن ابن عباس ؓ، ولم أقف عليه بهذا اللفظ مستداً.  
(٢) أخرجه الطبري (٧٢٧/٢٤)، وابن أبي حاتم (٣٤٧٤/١٠)، وأحمد (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤)، والحاكم (٣٩٨٧) وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي العالية عن أبي بن كعب ؓ، وأخرجه الترمذي (٣٣٦٥) عن أبي العالية مرسلًا، ولم يذكر أبيًا، وقال: «هذا أصح».

(٣) في أ، ب، هـ: «وعلى».

(٤) سقط من ج، د.

(٥) أخرجه البخاري (٥٠١٣) عن أبي سعيد ؓ، ومسلم (٨١١) عن أبي الدرداء ؓ.

(٦) المحرر الوجيز (٧١٣/٨).

ويؤيده: أن في بعض روايات الحديث: «إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن»<sup>(١)</sup>.

وخرج النسائي: أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأها فقال: «أما هذا فقد غفر له»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أنه قال: «وجبت له الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وخرج مسلم: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن؛ فأنأ أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية خرَّجها الترمذي: أنه ﷺ قال للرجل: «حَبُّكَ إياها أدخلك الجنة»<sup>(٥)</sup>.  
وخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئتي مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دين»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٨١١) عن أبي الدرداء ؓ.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٦١٧)، والنسائي في الكبرى (٧٩٧٤) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٤/٧): «رواه أحمد بإسنادين في أحدهما شريك وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح»، وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٣٠٦/٦)، وأخرجه النسائي أيضاً في الكبرى (١٠٤٧٣) عن ابن مسعود ؓ.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٦٠٥) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وسبق كلام الهيثمي فيه. وأخرجها النسائي في الكبرى (١٠٦٨)، والحاكم (٢٠٧٩) وصححه عن أبي هريرة ؓ.

(٤) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) عن عائشة ؓ.

(٥) أخرجه أحمد (١٢٤٣٢)، والترمذي (٢٩٠١) وقال: «حسن غريب»، وابن حبان (٧٩٢)، والحاكم (٨٧٨) وصححه على مسلم ووافقه الذهبي، والبخاري تعليقاً (١٥٥/١) عن أنس ؓ.

(٦) في ج، د: «في كل».

(٧) أخرجه الترمذي (٢٨٩٨) من طريق حاتم بن ميمون عن ثابت عن أنس ؓ، قال ابن كثير (٥٢٤/٨): «إسناده ضعيف، حاتم بن ميمون ضعفه البخاري وغيره»، وأخرجه أبو يعلى في مسنده - كما في تفسير ابن كثير (٥٢٤/٨)، وإتحاف الخيرة المهرة للبوصيري (٣١٢/٦) - من طريق أم كثير الأنصارية، عن أنس ؓ، وضعف إسناده ابن كثير.

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير هنا عند البصريين: ضمير الأمر والشأن الذي يراد به التعظيم والتفخيم. وإعرابه: مبتدأ، وخبره الجملة التي بعده، وهي المفسرة له، و﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ و﴿أَحَدٌ﴾ خبره. وقيل: ﴿اللَّهُ﴾ هو الخبر، و﴿أَحَدٌ﴾ بدل منه. وقيل: ﴿اللَّهُ﴾ بدل، و﴿أَحَدٌ﴾ هو الخبر. و﴿أَحَدٌ﴾ له معنيان:

أحدهما: أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب، كقولك: «ما جاءني أحد»، وليس هذا موضع هذا المعنى، وإنما موضعه قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. والآخر: أن يكون بمعنى واحد، وأصله: «وَاحِدٌ» بواو، ثم أبدل من الواو همزة، وهذا هو المراد هنا.

واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد<sup>(١)</sup> له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى:

الأول: أنه واحد لا ثاني معه، فهو نفي للعدد.

والآخر: أنه واحد لا نظير له ولا شريك، كما تقول: «فلان واحد عصره»؛ أي: لا نظير له.

والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعّض<sup>(٢)</sup>.

والأظهر: أن المراد في السورة نفي الشريك؛ لقصد الرد على المشركين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٤]. قال الزمخشري: ﴿أَحَدٌ﴾ وصف بالوحدانية ونفي الشركاء<sup>(٣)</sup>. قلت: وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته، وذلك في القرآن كثير جدًا، وأوضحها أربعة براهين<sup>(٤)</sup>:

(١) في ب، د: «بالوحدانية».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك برقم (٢٧).

(٣) الكشف (٦٣٨/١٦).

(٤) انظر تبين هذه الأوجه في كتاب «النور المبين في قواعد عقائد الدين» للمؤلف رحمه الله (ص: ٣٩) وما بعدها.

الأول: قوله: ﴿أَبَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]؛ لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق جميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحدٌ منها شريكاً له.

والآخر: قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

والثالث: قوله: ﴿فَلَوْ كَانَ مَعَهُ آلَٰهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذَا لَا تَبْتَغُوا إِلَٰهَ إِلَّا الْغَرِيسَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

والرابع: قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩٢].

وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها، وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله: ﴿وَالْهَكْمَةُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٢].

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ في معنى الصمد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه السيد<sup>(١)</sup> الذي يُصمَد إليه في الأمور؛ أي: يُلجأ إليه.

والآخر: أنه الذي لا يأكل ولا يشرب، فهو كقوله: ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٥].

والثالث: أنه الذي لا جوف له.

والأول هو المراد هنا على الأظهر، ورجَّحه ابن عطية: بأن الله هو مُوجِد الموجودات وبه قوامها، فهي مفتقرة إليه؛ أي: تصمد إليه؛ إذ لا تقوم بأنفسها<sup>(٢)</sup>، ورجَّحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير بورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى، كقوله في «مريم»: ﴿وَقَالُوا ابْتَهِجْ بِالرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٩] ثم أعقبه بقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مِثْلٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتٍ بِالرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٤]، وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْنَىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقوله: ﴿وَقَالُوا ابْتَهِجْ بِاللَّهِ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

(١) في أ: «الصمد».

(٢) المحرر الوجيز (٧١١/٨).

وَالْأَرْضِ ﴿البقرة: ١١٥﴾، وكذلك هنا ذكره مع قوله ﴿لَمْ يَلِدْ﴾؛ ليكون برهاناً على نفي الولد.

قال الزمخشري: صَمَدٌ: فَعَلٌ بمعنى مفعول؛ لأنه مصمود إليه في الحوائج<sup>(١)</sup>.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ هذا ردٌّ على كل من جعل لله ولداً، فمنهم النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، واليهود في قولهم: عزيز ابن الله، والعرب في قولهم: الملائكة بنات الله.

وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد، وأوضحها أربعة:

الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى ليس له جنس، فلا يمكن أن يكون له ولد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلِي الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٧] فوصفهما بصفة الحدوث؛ لينفي عنهما صفة<sup>(٢)</sup> القدم، فتبطل مقالة الكفار.

الثاني: أن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلى شيء، فلا يتخذ ولداً، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا تَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [يونس: ٦٨].

الثالث: أن جميع الخلق عباد الله، والعبودية تنافي البنوة، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٤].

الرابع: أنه لا يكون ولد إلا لمن له زوجة، والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَبْنَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ هذا ردٌّ على الذين قالوا: «انساب لنا ربك»، وذلك أن كل مولود محدث، والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده، القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، فلا يمكن أن يكون مولوداً تعالى عن ذلك.

(١) الكشف (١٦/٦٣٥).

(٢) في ب، ج، هـ: «صفات».



﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الكفو: هو النظير والمماثل. قال الزمخشري: يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح، فيكون نفيًا للصاحبة<sup>(١)</sup>، وهذا بعيد. والأول هو الصحيح، ومعناه: أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل. ويجوز في ﴿كُفُوًا﴾: ضم الفاء، وإسكانها مع ضم الكاف، وقد قرئ بالوجهين<sup>(٢)</sup>. ويجوز أيضًا كسر الكاف وإسكان الفاء<sup>(٣)</sup>. ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد<sup>(٤)</sup>. ويجوز فيه: الهمز والتسهيل. وانتصب ﴿كُفُوًا﴾ على أنه خبر «كان»، و﴿أَحَدٌ﴾ اسمها.

قال ابن عطية: يجوز أن يكون ﴿كُفُوًا﴾ حالًا؛ لكونه كان صفة للنكرة فقدّم عليها<sup>(٥)</sup>.  
فإن قيل: لم قدّم المجرور وهو ﴿لَهُ﴾، على اسم كان وخبرها، وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر؟ فالجواب من وجهين:  
أحدهما: أنه قدّم للاعتناء به والتعظيم؛ لأنه ضمير الله تعالى، وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى.

والآخر: أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته، فإنه ليس المقصود نفي الكفو مطلقًا، إنما المقصود نفي الكفو عن الله تعالى، فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحوز<sup>(٦)</sup> هذا المعنى، فقدّمه.

فإن قيل: إن قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقتضي نفي الولد والكفو؛ فلم نصّ على ذلك بعده؟

(١) الكشاف (١٦/٦٣٦).

(٢) قرأ حمزة بإسكان الفاء مع الهمزة في الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واوًا أو نقل حركة الهمزة إلى الفاء وحذف الهمزة، وروى حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الباقون بضم الفاء مع الهمزة.

(٣) فتكون: «كُفُوًا» وهي من لغات الكلمة، ولم أقف على من قرأ بها. انظر: البحر المحيط (٢١/٥٢٨).

(٤) فتكون: «كِفَاءً» قرأ بها سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. المحرر الوجيز (٨/٧١٢).

(٥) المحرر الوجيز (٨/٧١٢).

(٦) في ج، هـ: «يُخْرِز».

فالجواب: أن هذا من التجريد، وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم مُتَقَدِّم، كقوله تعالى: ﴿وَمَلَكَيْتَهُ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧]، ويُفعل ذلك لوجهين يَصِحُّ كل واحد منهما هنا:

أحدهما: الاعتناء، ولا شك أن نفي الولد والكفو عن الله ينبغي الاعتناء به؛ للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار.

والآخر: الإيضاح والبيان؛ فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه، فنص على هذا بياناً، وإيضاحاً للمعنى، ومبالغة في الرد على الكفار، وتأكيذاً لإقامة الحجة عليهم.



## سُورَةُ الْفَلَقِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ  
فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

﴿١﴾ «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» تقدم معنى «أَعُوذُ» في التعوذ، ومعنى «رَبِّ» في «اللغات»<sup>(١)</sup> و«الفاتحة». وفي الفلق ثلاثة أقوال:

الأول: أنه الصبح، ومنه «بَالِقُ الْإِصْبَاحِ» [الأنعام: ٩٧]، قال الزمخشري: هو فَعَلٌ بمعنى مفعول<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أنه كل ما يفلقه الله، كفلق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى وغير ذلك.

الثالث: أنه جُبٌّ في جهنم. وقد روي هذا عن رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

﴿٢﴾ «مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» هذا عمومٌ في جميع المخلوقات، وشَرُّهم: أنواع كثيرة، أعادنا الله منها. و«مَا» هنا موصولة، أو موصوفة، أو مصدرية.

﴿٣﴾ «وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ» فيه ثمانية أقوال:

الأول: أنه الليل إذا أظلم، ومنه قوله تعالى: «إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ» [الإسراء: ٧٨]، وهذا قول

(١) انظر المادة (٢٠٤) في اللغات.

(٢) الكشاف (١٦/٦٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٩٦/٢٤، ٧٤٢) عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً: «الفلق: جبٌّ في جهنم منقطي، وأما سجين فمفتوح»، وأورده ابن كثير في تفسيره (٨/٣٤٩) عن الطبري وقال: «حديث غريب منكر لا يصح».

الأكثرين، وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الأنس والجن، ولذلك قيل في المثل: «الليل أخفى للويل»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه القمر، خرج النسائي: أن رسول الله ﷺ رأى القمر فقال: «يا عائشة! استعيزي بالله من شر هذا؛ فإنه الغاسق إذا وقب»<sup>(٢)</sup>، ووقبه على هذا: كسوفه؛ لأن «وَقَبَ» في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد، وبمعنى الدخول، فالمعنى: إذا دخل في الكسوف، أو إذا أظلم به.

الثالث: أنه الشمس إذا غربت، والوقوب على هذا المعنى: الظلمة، أو الدخول.

الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل، وهذا قريب من الذي قبله.

الخامس: أن الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «النجم هو الغاسق»<sup>(٣)</sup> فيحتمل أن يريد الثريا.

السادس: أنه الذكر إذا قام، حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٤)</sup>.

السابع: قال الزمخشري: يجوز أن يراد بالغاسق: الأسود من الحيات، ووقبه: صرجه<sup>(٥)</sup>.

الثامن: أنه إبليس، حكى ذلك السهيلي<sup>(٦)</sup>.

﴿وَمِنْ شَرِّ الْمُتَكَلِّفِينَ فِي الْعُقَدِ﴾ النفث: شبه النفخ دون نفل وريق. قاله ابن عطية<sup>(٧)</sup>، وقال

(١) أي: افعل ما تريد لئلا فإنه أشتد لسرك. انظر: مجمع الأمثال للميداني (١٩٣/٢)، وفيه قصة هذا المثل.

(٢) أخرجه الطبري (٧٤٨/٢٤)، وأحمد (٢٤٣٣٣)، والترمذي (٣٣٦٦) وصححه، والنسائي في الكبرى (١٠٠٦٤)، والحاكم (٣٩٨٩) وصححه ووافقه الذهبي عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه الطبري (٧٤٨/٢٤)، وأبو الشيخ في العظمة (١٢١٨/٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ابن كثير في تفسير (٥٣٦/٨): «وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ».

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ٢٨٣٤، ل ١٦٨)، وقد تصرّف محققو الكتاب فحذفوا هذا القول من المطبوع (٧١٥/٨)، وعلّقوا: «تركنا هنا سطرين من الأصول؛ لأن ما فيهما لا يتفق مع جلال هذا الكتاب»!!

(٥) الكشف (٦٤٧/١٦).

(٦) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٣٩٩).

(٧) المحرر الوجيز (٧١٥/٨).

الزمخشري: هو النفخ مع ريق<sup>(١)</sup>.

وهذا النفث ضربٌ من السحر، وهو أن ينفث على عُقْدٍ تُعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك.

وحكى ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطاً أحمر قد عُقدت فيه عُقْدٌ على فِضْلان - وهي أولاد الإبل -، فمُنعت بذلك من رضاع أمهاتها، فكان إذا حلَّ عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فَرَضِعَ في الحين<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفايات ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهنَّ وهو السحر، ومن إثمهنَّ في ذلك.

والآخر: أن يستعاذ من خداعهنَّ للناس وفتنتهنَّ.

والثالث: أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهنَّ<sup>(٣)</sup>.

و﴿النَّفَثَاتِ﴾ بناء مبالغة، والموصوف محذوف تقديره: النساء النفايات، أو الجماعات النفايات، أو النفوس النفايات، والأول أرجح؛ لأنه روي أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي، وكنَّ ساحرات سحرْنَ هُنَّ وأبوهن رسول الله ﷺ وعقدنَّ له إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية بعدد العقد، وشفى الله رسوله ﷺ<sup>(٤)</sup>. فإن قيل: لم عرِّف ﴿النَّفَثَاتِ﴾ بالآلف واللام، ونكر ما قبله وهو ﴿عَاسِي﴾ وما بعده وهو ﴿حَاسِدٍ﴾؛ مع أن الجميع مستعاذ منه؟

فالجواب: أنه عرِّف النفايات؛ ليفيد العموم؛ لأن كل نفاثة شريرة، بخلاف الغاسق والحاسد؛ فإن شرهما في بعضٍ دون بعض.

(١) الكشف (١٦/٦٤٨).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٧١٥-٧١٦).

(٣) الكشف (١٦/٦٤٩).

(٤) قصة سحر لبيد ابن الأعصم للرسول ﷺ أخرجه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأما أن بناته عملنَّ السحر للرسول ﷺ مع أبيهنَّ فقد ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (٤٠٠) قولاً ولم ينسبه، وذكره الواحدي في البسيط (٢٤/٤٦٤) قولاً منسوباً إلى صاحب النظم، وهو أبو علي الجرجاني صاحب نظم القرآن، ولم أقف على أثر يستند إليه هذا القول.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد خُلِقَ مذموم طبعًا وشرعًا، قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»<sup>(١)</sup>. وقال بعض العلماء: الحسد أول معصية عَصِيَ الله بها في السماء وفي الأرض، أما في السماء: فحسد إبليس لآدم ﷺ، وأما في الأرض: فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد. ثم إن الحسد على درجات:

الأولى: أن يحبَّ الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه، بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به.

الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة؛ لرغبته فيها ورجاء انتقالها إليه.

الثالثة: أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره، وهذا جائز وليس بحسد، وإنما هو غِبْطَة.

والحاسد يضرُّ نفسه ثلاث مضرَّات:

أحدها: اكتساب الذنوب؛ لأن الحسد حرام.

الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى، فإن حقيقة الحسد كراهةُ إنعام الله على عبده، واعتراضُ على الله في فعله.

الثالثة: تألم قلبه، وكثرة همه وغمه.

فترغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين، فإن المحسود ذو نعمة، والحاسد في كرب ونقمة، والله در الشاعر في قوله:

إِنِّي لَأَرْحَمُ حَاسِدِي لَفَرَطٍ مَا ضَمَّتْ صَدُورُهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ  
نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ بِي فَعُيُونُهُمْ فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارٍ<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣) عن أبي هريرة ؓ، وقال البخاري: «لا يصح». تخريج الإحياء للعراقي (٥٦/١)، وضعفه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٦٣٢/٤).

وأخرجه ابن ماجه (٤٢١٠) عن أنس ؓ، قال العراقي في الإحياء: «وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفي تاريخ بغداد [١٢/٣] بإسناد حسن»، وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٣٨/٤)، وأخرجه ابن أبي شيبه (٢٧١٢٦) عن أنس أيضًا، وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف (التقريب (١٠٧١).

(٢) البيتان لأبي الحسن التهامي كما في ديوانه (ص: ٣١٦).

وقال آخر:

إن يحسدوني فلني غير لائمهم      قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا  
فدام لي ولهم ما بي وما بهم      ومات أكثرنا غيظاً بما يجد<sup>(١)</sup>  
ثم إن الحسود لا تزول عداوته، ولا تنفع مداراته، وهو ظالم يتشكى كأنه مظلوم،  
ولقد صدق القائل:

كل العداوة قد ترجى إزالتها      إلا عداوة من عاداك من حسد<sup>(٢)</sup>  
وقال حكيم الشعراء:

وأظلم خلق الله من بات حاسداً      لمن بات في نعمائه يتقلب<sup>(٣)</sup>  
قال ابن عطية: قال بعض الحذاق: هذه السورة خمس آيات، وهي مراد الناس  
بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين: الخمسة على عينيك<sup>(٤)</sup>.  
فإن قيل: لم قال «إِذَا وَقَبَ»، و«إِذَا حَسَدَ» فقيد بـ«إِذَا» التي تقتضي تخصيص بعض  
الأوقات؟

فالجواب: أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أمضى حسده، فحينئذ يضر بقوله أو  
بفعله أو بإصابته بالعين، فإن عين الحسود قاتلة، وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرف  
بمقتضاه فشره ضعيف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ثلاث<sup>(٥)</sup> لا ينجو منهن أحد: الحسد،  
والظن، والطيرة، فمخرجه من الحسد أن لا يبغي، ومخرجه من الظن أن لا يحقق، ومخرجه  
من الطيرة أن لا يرجع<sup>(٦)</sup>»، فلهذا خصه بقوله: «إِذَا حَسَدَ».

(١) البيت لبشار بن برد كما في ديوانه (٩٧/٣).

(٢) البيت للشافعي كما في مناقب الشافعي للبيهقي (٧٤/٢)، ونسب في العقد الفريد إلى ابن المبارك (١٧١/٢).

(٣) البيت للمتنبي كما في شرح العكبري لديوانه (١٨٥/١).

(٤) المحرر الوجيز (٧١٦/٨).

(٥) في ب: «ثلاثة».

(٦) أخرجه معمر بن راشد رواية عبد الرزاق في مصنفه (٤٠٣/١٠)، والبيهقي في الشعب (٤٠٠/٢) من طريقه عن

إسماعيل بن أمية عن النبي ﷺ، وقال البيهقي: «هذا منقطع»، فالحديث ضعيف.

وكذلك الشرُّ المخوف في الليل إنما هو إذا أظلم، فلذلك خصَّه بقوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾.  
 فإن قيل: إن قوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عمومٌ يدخل تحته كل ما ذكر بعده؛ فلا يُّ شيء  
 ذكر ما بعده؟

فالجواب: أن هذا من التجريد؛ للاعتناء بالمذكور بعد العموم، ولقد تأكد ما ذكر في هذه  
 السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهودُ رسولَ الله ﷺ، وشدة حسدهم له.



= وأخرجه البيهقي في الشعب أيضًا (٤٠٠/٢) عن أبي هريرة ؓ، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير (١٢٧/٢) بالضعف.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٨/٣) حارثة بن النعمان ؓ، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٩/٨).



## سُورَةُ النَّاسِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿١﴾ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿﴾ إن قيل: لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شيء؟  
فالجواب: أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس، فخصّهم بالذكر لأنهم  
المعوذون بهذا التعويذ، والمقصودون هنا دون غيرهم.

﴿٢﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿﴾ هذا عطف بيان. فإن قيل: لم قدم وصفه تعالى  
بـ ﴿رَبِّ﴾ ثم بـ ﴿مَلِكِ﴾ ثم بـ ﴿إِلَهِ﴾؟

فالجواب: أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى، وذلك أن الرب قد يُطلق  
على كثير من الناس، فيقال: فلان رب الدار، وشبه ذلك، فبدأ به؛ لاشتراك معناه، وأما  
الملك فلا يوصف به إلا آحاد من الناس وهم الملوك، ولا شك أنهم أعلى من سائر  
الناس، فلذلك جاء به بعد الرب، وأما الإله فهو أعلى من الملك، ولذلك لا يدّعي  
الملوك أنهم آلهة، وإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير؛ فلذلك ختم به.

فإن قيل: لم أظهر المضاف إليه وهو ﴿النَّاسِ﴾ في المرة الثانية والثالثة؛ فهلاً أضمره في  
المرتين لتقدم ذكره في قوله: ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾؟ أو هلاً اكتفى بإظهاره في المرة الثانية؟

فالجواب: أنه لما كان هذا عطف بيان حسن فيه البيان، وهو الإظهار دون الإضمار،  
وقصد أيضًا الاعتناء بالمكرر ذكره، كقول الشاعر:

لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيءٌ نغص الموتُ ذا الغنى والفقيراً<sup>(١)</sup>  
﴿التَّوَسَّاسِ﴾ وهو مشتق من الوسوسة، وهي الكلام الخفي.

فيحتمل أن يكون ﴿التَّوَسَّاسِ﴾ بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل، وهذا يظهر في قول ابن عطية: الوسواس من أسماء الشيطان<sup>(٢)</sup>.

ويحتمل أن يكون مصدرًا وصف به الموسوس على وجه المبالغة، كالوصف بعَدَلٍ وصَوْمٍ، أو على حذف مضاف تقديره: ذي الوسواس.  
وقال الزمخشري: إنما المصدر وسواس بالكسر<sup>(٣)</sup>.

﴿الْحَنَاسِ﴾ معناه: الرَّاجِع على عقبه المستتر أحيانًا، وذلك متمكّن في الشيطان؛ فإنه يوسوس، فإذا ذكر العبدُ الله وتعوذ به منه تباعد عنه، ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر، فهو يَحْنَسُ في تباعده، ثم في رجوعه بعد ذلك.

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة؛ منها: إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد.

فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي.

فإن لم يقدر على ذلك ثَبَّطه عن الطاعات.

فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات؛ لِيُحْبِطَهَا.

فإن سلم من ذلك أدخل عليه العُجْبَ بنفسه واستكثارَ عمله.

ومن ذلك: أنه يوقد في القلب نار الحسد، والحقد، والغضب؛ حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال.

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي كما في ديوانه (ص: ٦٥).

(٢) المحرر الوجيز (٧١٧/٨).

(٣) الكشف (٦٥٣-٦٥٤).

وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء؛ وهي:

[١] الإكثار من ذكر الله.

[٢] والإكثار من الاستعاذة بالله منه، ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة.

والثالث: مخالفته والعزم على عصيانه.

فإن قيل: لم قال: ﴿فِي ضُورِ النَّاسِ﴾ ولم يقل: «في قلوب الناس»؟

فالجواب: أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة، وأنها غير حائلة في القلب، بل هي محوطة في الصدر حول القلب.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس، وأنه يكون من الجن، ومن الإنس.

ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه، وأقواله الخبيثة؛ فإنه شيطان كما قال تعالى: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الإنعام: ١١٣]، أو يريد به نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء؛ فإنها أمارة بالسوء، والأول أظهر.

وقيل: إن ﴿النَّاسِ﴾ معطوف على ﴿الْوَسْوَاسِ﴾؛ كأنه قال: أعوذ من شر الوسواس من الجنة، ومن شر الناس، وليس الناس على هذا ممن يوسوس، والأول أظهر وأشهر. فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين، وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده، والنعم مظنة الحسد؛ فختم<sup>(١)</sup> بما يطفى الحسد؛ من الاستعاذة بالله.

الثاني: يظهر لي: أن المعوذتين ختم بهما؛ لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: «أنزلت عليّ آيات لم ير مثلهن قط»<sup>(٢)</sup>، كما قال في فاتحة الكتاب: «لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل

(١) في د، هـ: «ختم».

(٢) تقدم تخريجه.

ولا في الفرقان مثلها»<sup>(١)</sup>، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم يُرَ مثلهما؛ ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حُسن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضًا: أنه لما أمر القارئ أن يفتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوذتين؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء؛ ليكون القارئ محفوظًا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره<sup>(٢)</sup> إلى آخره.



(١) تقدم تخريجه.

(٢) في ج، د: «مرة».

كمل كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» بعون الله وتوفيقه، فله الحمد كما هو أهله،  
فالخير بيده كله، وليس للعبد إلا إحسانه وطوله ورحمته وفضله، وأنا أَرْغِبُ إلى الله  
كما أعانني بفضله على هذا الكتاب أن يجعله موجباً لدخولي الجنة من غير حساب  
ولا عذاب، بحرمة القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم<sup>(١)</sup>،  
عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وكان تمام تقييده

في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الثاني

عام تسعة وثلاثين وسبع مئة،

والحمد لله رب العالمين.



(١) [التعليق ١١١] قال الشيخ عبد الرحمن البراك، قوله: «بحُرْمَةِ القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم»: أقول: كان الأولى بالمؤلف ﷺ التوسُّلُ إلى الله بأسمائه وصفاته؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وكما جاء في السُّنَّة: «اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...»؛ الحديث [أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، وابن ماجه (٣٨٥٨)؛ من حديث أنس رضي الله عنه]. وما ذكره من التوسُّلِ بِحُرْمَةِ القرآن وشفاعة النبي ﷺ، لا دليل عليه؛ فغفر الله له، ورحمته، وضاعفَ مثوبته.

## فهرس الأحاديث النبوية

| م   | الحديث                                                                                                                                                                                              | الجزء / الصفحة |
|-----|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------|
| ١.  | أبْطَأْتُ عَنِي وَاشْتَقْتُ إِلَيْكَ                                                                                                                                                                | ٣٦٤ / ٢        |
| ٢.  | أَبْغَضُ الْمَبَاحِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ                                                                                                                                                        | ٧١٢ / ٢        |
| ٣.  | أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ، وَهُوَ الْحَوْضُ، آتِيَتْهُ عِدَدُ نَجُومِ السَّمَاءِ                                                                                | ٦٦٧ / ٣        |
| ٤.  | أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَدَعَاهُ فَطَلَّقَهَا عَلَى ذَلِكَ                                                                                                               | ٣٢٩ / ١        |
| ٥.  | اتَّقُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ: الْإِشْرَاقَ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرِ، وَقَتْلَ النَّفْسِ، وَأَكْلَ الرِّبَا، وَأَكْلَ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوْلِيَّ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفَ الْمُحَصَّنَاتِ | ٤٧٩ / ١        |
| ٦.  | الْإِثْنَانِ فَمَا فَوْقَهُمَا جَمَاعَةٌ                                                                                                                                                            | ٤٦٠ / ١        |
| ٧.  | اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ                                                                                                                                                                         | ٣٤١ / ٣        |
| ٨.  | اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ                                                                                                                                                                         | ٣٤١ / ٣<br>٥٨٩ |
| ٩.  | أَحَبُّ الْبُيُوتِ إِلَى اللَّهِ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ مُكْرَمٌ                                                                                                                                      | ٦٠٢ / ٣        |
| ١٠. | الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ                                                                                                                                                | ١٢٠ / ١        |
| ١١. | آخِرُ أَرْبَعَاءٍ مِنَ الشَّهْرِ يَوْمَ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ                                                                                                                                          | ٣٠٩ / ٣        |
| ١٢. | أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أُثِمَّتْكَ، وَلَا تَخُنْ مِنْ خَانَكَ                                                                                                                                | ٢٦٥ / ٢        |
| ١٣. | إِذَا أَكَلَ فُكْلٌ                                                                                                                                                                                 | ٥٥٣ / ١        |
| ١٤. | إِذَا نَشَأَتْ بَحْرِيَّةٌ ثُمَّ تَشَاءَمَتْ فَتَلِكْ عَيْنٌ غَدَاقَةٌ                                                                                                                              | ٣٣٩ / ٣        |
| ١٥. | إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ                                                                                                                                    | ٤٠٢ / ٣        |
| ١٦. | إِذَنْ لَا أَرْضَى أَنْ يَبْقَى وَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ                                                                                                                                  | ٦٢٠ / ٣        |
| ١٧. | اسْتَذْكُرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا                                                                                             | ٩٧ / ١         |

| م   | الحديث                                                                                                                                | الجزء/الصفحة |
|-----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ١٨. | استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهنَّ عوانٍ عندكم                                                                                            | ٥٢٢/٣        |
| ١٩. | الإسلام يُحِبُّ ما قبله                                                                                                               | ٩٨/٣         |
| ٢٠. | اشتدِّي أزمة تنفرجي                                                                                                                   | ١٥٨/٣        |
| ٢١. | أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون                                                                                                 | ٢٥٠/٢        |
| ٢٢. | أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر                                                                | ٢٧١/٣        |
| ٢٣. | أعلمكم بالله أشدَّكم له خشيةً                                                                                                         | ٧٦٣/٢        |
| ٢٤. | اعملوا فكل ميسر لما خلق له                                                                                                            | ٦١٦/٣        |
| ٢٥. | افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة | ٦٨٧/١        |
| ٢٦. | افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة  | ٤١٨/١        |
| ٢٧. | أفضل ما قلته أنا والنبون من قبلي: لا إله إلا الله                                                                                     | ١٨٨/١        |
| ٢٨. | اقرأ ما تيسر من القرآن                                                                                                                | ١٨٥/١        |
| ٢٩. | أقرأني جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك..                                                            | ٣٨٣/٣        |
| ٣٠. | أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء                                                                                | ٦٣٤/٣        |
| ٣١. | اقرؤوا البقرة؛ فإنَّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة                                                                     | ٩٨/١         |
| ٣٢. | اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه                                                                                   | ٩٧/١         |
| ٣٣. | أقسم ربكم بآخر النهار                                                                                                                 | ٦٥٦/٣        |
| ٣٤. | أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]                                               | ٤٩٦/٣        |
| ٣٥. | ألا إن القوة الرمي                                                                                                                    | ٢٦/٢         |

| م   | الحديث                                                                                                   | الجزء/الصفحة |
|-----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٣٦. | ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم..                                         | ٦٥٨/٢        |
| ٣٧. | ألم تر آيات أنزلت علي لم ير مثلهن قط؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ | ٩٩/١         |
| ٣٨. | أليس الذي أمشاه في الدنيا علي رجله قادرًا علي أن يمشيه في الآخرة علي وجهه؟!                              | ٥٥٦/٢        |
| ٣٩. | أما أنا فأصبر كما أمرت، فماذا تصنعون؟                                                                    | ٢٦٥/٢        |
| ٤٠. | أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتي النساء، فمن رغب عن ستي فليس مني                                   | ٥٩٧/١        |
| ٤١. | أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله                                                          | ٢٠/٢         |
| ٤٢. | امضوا هذا أول الحشر، وأنا علي الأثر                                                                      | ٣٧١/٣        |
| ٤٣. | أن إبراهيم ؑ قال لزوجته: ما علي الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك                                              | ٣٨٦/٣        |
| ٤٤. | إن إبراهيم حرم مكة                                                                                       | ٦١٨/٢        |
| ٤٥. | إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات..                                                                              | ٣٦/٣         |
| ٤٦. | إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين                                      | ١٦٢/٣        |
| ٤٧. | إن أخي يشكي بطنه، فقال: اسقه عسلًا                                                                       | ٢٤٩/٢        |
| ٤٨. | أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي مشركة أفأصلها؟ قال: نعم صلي أمك       | ٣٨٩/٣        |
| ٤٩. | إن الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا..                                                                | ١٢٥/٣        |
| ٥٠. | إن الحمد لله                                                                                             | ٣٨٦/٢        |
| ٥١. | أن الرحمن في الدنيا والآخرة، والرحيم في الآخرة                                                           | ١٨٣/١        |
| ٥٢. | إن العبد إذا أذنب ذنبًا صارت نكتة سوداء في قلبه..                                                        | ٥٦٦/٣        |



| م   | الحديث                                                                                                                                        | الجزء/الصفحة   |
|-----|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------|
| ٥٣. | إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها                                                                                                       | ٣٧٤ / ١        |
| ٥٤. | أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول                                                                                                            | ١٢٥ / ٣        |
| ٥٥. | أن الله تعالى يقول في الثلث الآخر من الليل: من يستغفرني فأغفر له                                                                              | ٢٧٧ / ٣        |
| ٥٦. | إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: أتريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: يا ربنا أي شيء تزيدنا؟ فيقول: رضواني فلا أسخط عليكم أبداً                       | ٥٧ / ٢         |
| ٥٧. | إن الله تعالى يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي كافراً بالكوكب ..                                                                                   | ٣٣٨ / ٣        |
| ٥٨. | إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن                                                       | ٦٧٨ / ٣        |
| ٥٩. | إن الله حيي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً                                                                             | ٢١٧ / ١        |
| ٦٠. | إن الله خيرني فاخترت                                                                                                                          | ٦٠ / ٢         |
| ٦١. | إن الله قال له: إذا ذكرتُ ذكرتُ معي                                                                                                           | ٦٢٥ / ٣        |
| ٦٢. | إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض، وفيه: إن رحمتي سبقت غضبي                                                                      | ٦٣٠ / ١<br>٦٤٥ |
| ٦٣. | إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء                                                        | ٣٥٣ / ٣        |
| ٦٤. | إن الله يذني العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول: فعلتَ كذا وكذا، ويعدد عليه ذنوبه، ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم | ٥٧٢ / ٣        |
| ٦٥. | إنَّ الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين                                                                                              | ٩٨ / ١         |
| ٦٦. | إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقرَّ بهم عينه                                                          | ٢٨٦ / ٣        |
| ٦٧. | إن الله يقبل توبة عبده ما لم يُغرَّغِرْ                                                                                                       | ٤٦٦ / ١        |
| ٦٨. | إنَّ الله يقول: قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: يقول العبد: الحمد لله رب العالمين ..                                                    | ١٨٠ / ١        |

| م   | الحديث                                                                                                                                   | الجزء/الصفحة |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٦٩. | أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد، فإن رضي الله قال: اجعلوه في عليين..                                                              | ٥٦٧/٣        |
| ٧٠. | إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كالذباب تطير فوق أنفه                                                            | ٦٢٥/٣        |
| ٧١. | أن النبي ﷺ خطّ خطاً، ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه كلُّها سبيلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه | ٦٨٥/١        |
| ٧٢. | أن النبي ﷺ قال لبني النضير: اخرجوا. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر                                                                  | ٣٧١/٣        |
| ٧٣. | أن النبي ﷺ قال: إن الله كتب عليكم الحجَّ فحجوا فقالوا: يا رسول الله أفى كلِّ عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: لا، ولو قلتُ: نعم لوجبت.           | ٦٠٨/١        |
| ٧٤. | أن النبي ﷺ قرأ: والذكر والأُنثى                                                                                                          | ٦١٥/٣        |
| ٧٥. | أن النبي ﷺ كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له: أحسن إليه                                                           | ٥٢٢/٣        |
| ٧٦. | إن أهل الجنة مئة وعشرون صفّاً، أنتم منها ثمانون صفّاً                                                                                    | ٣٢٧/٢        |
| ٧٧. | إن أول آيات الساعة الدخان                                                                                                                | ١٩٢/٣        |
| ٧٨. | إن بينهما أربعين عاماً                                                                                                                   | ٥٤٢/٣        |
| ٧٩. | إن جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا: لا نكذب بشيءٍ من آلاء ربِّنا                                                  | ٣١٥/٣        |
| ٨٠. | أن رجلاً جاء بناقةً فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: لك بها يوم القيامة سبعُ مئة ناقةٍ                                          | ٣٥٦/١        |
| ٨١. | أن رجلاً قال يا رسول الله: الرجل يجد مع امرأته رجلاً؛ أيقـتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟                                                      | ٥٠٧/٢        |
| ٨٢. | أن رجلاً قبل امرأة، ثم ندم، فذكر ذلك للنبي ﷺ، وصلى معه الصلاة، فنزلت الآية، فقال النبي ﷺ: أين السائل؟..                                  | ١٣٨/٢        |

| م   | الحديث                                                                                                                 | الجزء/الصفحة |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٨٣. | أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تيناً فقال: لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه..                                      | ٦٢٧/٣        |
| ٨٤. | أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.                             | ٦٧٨/٣        |
| ٨٥. | أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة، فسمعه المشركون، فسبوا القرآن ومن أنزله                                           | ٣٠٥/٢        |
| ٨٦. | أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال: إن فيهم المجتهد                                                                  | ٥٩٤/٣        |
| ٨٧. | أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: يا محمد فيم يختصم الملائكة الأعلى؟..                                                      | ٧٥/٣         |
| ٨٨. | إن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية ينزفون على منبره نزوة القردة..                                                   | ٦٣٨/٣        |
| ٨٩. | أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأها فقال: أما هذا فقد غفر له                                                               | ٦٧٨/٣        |
| ٩٠. | أن رسول الله ﷺ قال لرجل: لا أم لك..                                                                                    | ٦٥٢/٣        |
| ٩١. | أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: قد قالها قوم ثم كفروا..                                                             | ١٣٨/٣        |
| ٩٢. | أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ فقال: غرّه جهله                                                 | ٥٦١/٣        |
| ٩٣. | أن رسول الله ﷺ قرأها، وقال: هم قوم هذا                                                                                 | ٥٨٤/١        |
| ٩٤. | أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: بلى                                                                     | ٥١٧/٣        |
| ٩٥. | أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة [سورة الملك] كل ليلة إذا أخذ مضجعه                                                  | ٤٣٥/٣        |
| ٩٦. | أن رسول الله ﷺ كان يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين                                                 | ١٨٠/١        |
| ٩٧. | أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته، يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم يقف، ﴿الْزَّحْنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم يقف | ٩٠/١         |
| ٩٨. | أن رسول الله ﷺ لبَّبَ أبا جهل وقال له: إن الله يقول لك: أولئ لك فأولئ                                                  | ٥١٧/٣        |

| م    | الحديث                                                                                                           | الجزء/الصفحة |
|------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٩٩.  | أن رسول الله ﷺ لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلى خديجة ترعد فرائضه..                      | ٤٩٠/٣        |
| ١٠٠. | إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك                   | ٦٧٢/٣        |
| ١٠١. | أن رسول الله ﷺ مسح على ناصيته                                                                                    | ٥٥٨/١        |
| ١٠٢. | أن رسول الله ﷺ يسجد يوم القيامة يستأذن في الشفاعة، فيقال له: اشفع تشفع                                           | ٢٣٢/١        |
| ١٠٣. | أن رسول الله ﷺ: كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة                                                                  | ٢٣٠/١        |
| ١٠٤. | إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة                        | ٧٤٠/٢        |
| ١٠٥. | إن شفة الكافر ترتفع في النار حتى تبلغ وسط رأسه                                                                   | ٤٩٨/٢        |
| ١٠٦. | إن شتمتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم، وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شتمتم أمسكتكم أموالكم وتركتم لهم هذه | ٣٧٧/٣        |
| ١٠٧. | إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها..                                                         | ٣٢٩/٣        |
| ١٠٨. | أن قريشاً سألته آية فأراهم انشقاق القمر، فقال ﷺ: اشهدوا                                                          | ٣٠٥/٣        |
| ١٠٩. | أن قريشاً سألو اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: اسألوه عن فتية ذهبوا في الزمان الأول..                     | ٣١٦/٢        |
| ١١٠. | أن لا يمس القرآن إلا طاهر                                                                                        | ٣٣٧/٣        |
| ١١١. | إن لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل..                                                            | ٥٨٤/٣        |
| ١١٢. | إن للشيطان لمة، وللملك لمة                                                                                       | ٧٦٥/١        |
| ١١٣. | إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة                                                                    | ٧٥٥/١        |
| ١١٤. | إن مقعد الملكين على الثنيتين، قلمهما اللسان، ومدادهما الريق                                                      | ٢٦٧/٣        |
| ١١٥. | إن مكة حرمها الله يوم خلق السماوات والأرض                                                                        | ٦١٨/٢        |
| ١١٦. | إن من الشعر لحكمة                                                                                                | ٢٠/٣         |

| م    | الحديث                                                                                                | الجزء/الصفحة |
|------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ١١٧. | أن موسى ﷺ خطب يوماً في بني إسرائيل، فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا..                       | ٣٣٢/٢        |
| ١١٨. | إن هذا البلد حرام حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض..                                                | ٦٠٥/٣        |
| ١١٩. | أن يهودياً زنى بيهودية؛ فسأل رسول الله ﷺ اليهود عن حدّ الزاني عندهم فقالوا: نجلدهما ونُحَمِّم وجوههما | ٥٧٥/١        |
| ١٢٠. | أنا ابن الذبيحين                                                                                      | ٣٨/٣         |
| ١٢١. | أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشريكه                                  | ٦٤١/٣        |
| ١٢٢. | أنا المنذر، وأنت يا عليّ الهادي                                                                       | ١٨٣/٢        |
| ١٢٣. | أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب                                                                   | ١٩/٣         |
| ١٢٤. | أنا جليس من ذكرني                                                                                     | ٢٧٦/١        |
| ١٢٥. | أنا دعوة إبراهيم                                                                                      | ٢٦٨/١        |
| ١٢٦. | أنا سيد ولد آدم                                                                                       | ٣٤٨/١        |
| ١٢٧. | أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني                                                                | ٢٧٥/١<br>٢٧٦ |
| ١٢٨. | أنا مدينة الإيمان، وأبو بكر بابها                                                                     | ١٦٤/٣        |
| ١٢٩. | أنا مدينة التقوى، وعمر بابها                                                                          | ١٦٤/٣        |
| ١٣٠. | أنا من أشراط الساعة                                                                                   | ٢٣٢/٣        |
| ١٣١. | أنت ومالك لأبيك                                                                                       | ٥٤٢/٢        |
| ١٣٢. | أنزلت عليّ سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، ثم قال: الحمد لله رب العالمين     | ١٧٩/١        |
| ١٣٣. | انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين                               | ٣٩٥/٣        |
| ١٣٤. | انكحي من شئت                                                                                          | ٤٣٢/٣        |
| ١٣٥. | إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب                                       | ٥١/٣         |

| م    | الحديث                                                                                                        | الجزء/الصفحة |
|------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ١٣٦. | إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]   | ٦٥٦/١        |
| ١٣٧. | إنما هو بياض النهار وسواد الليل                                                                               | ٣٠١/١        |
| ١٣٨. | أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: سبحان ربي الأعلى                                                               | ٥٨٩/٣        |
| ١٣٩. | أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد رسول الله ﷺ على الصفا..    | ٦٧٤/٣        |
| ١٤٠. | أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا: هلكتنا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: قولوا: سمعنا وأطعنا | ٣٧٤/١        |
| ١٤١. | إنها تنجي من عذاب القبر                                                                                       | ٤٣٥/٣        |
| ١٤٢. | إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي                                                                         | ٢٥١/٣        |
| ١٤٣. | إنهم أول من تسعر بهم النار                                                                                    | ١١٠/٢        |
| ١٤٤. | أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم يدخلوا الجنة ولا النار                                        | ٧٠١/١        |
| ١٤٥. | إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا علي                                                                           | ٤٥٧/٣        |
| ١٤٦. | إني لا أعلم إلا ما علمني الله                                                                                 | ٦١١/٢        |
| ١٤٧. | إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ ..                                              | ٤١٩/٣        |
| ١٤٨. | إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم                                          | ٧٦٥/١        |
| ١٤٩. | أوفتح هو يا رسول الله؟ قال: نعم                                                                               | ٢٤٦/٣        |
| ١٥٠. | أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر..                                                       | ١٠٤/٣        |
| ١٥١. | أي مسجد بني أول؟ قال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس                                                            | ٤١٣/١        |
| ١٥٢. | أيكم أحسن عقلاً، وأشدكم لله خوفاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله                                    | ٤٣٦/٣        |
| ١٥٣. | بعثت أنا والساعة كهاتين                                                                                       | ٢٢٨/٣        |

| م    | الحديث                                                                                                                 | الجزء/الصفحة |
|------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ١٥٤. | بعثت أنا والساعة كهاتين                                                                                                | ٣٠٥ / ٣      |
| ١٥٥. | بعثت لأتمم مكارم الأخلاق                                                                                               | ٤٤٥ / ٣      |
| ١٥٦. | البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام                                                                                        | ٥٠٣ / ٢      |
| ١٥٧. | بل هو أعظم الفتوح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح..                                                       | ٢٣٥ / ٣      |
| ١٥٨. | بيت يُكِنُّك، وخِرْقَةٌ تواريك، وكِسْرَةٌ تشدُّ قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم                                             | ٦٥٥ / ٣      |
| ١٥٩. | بينما أنا بين النائم واليقظان..                                                                                        | ٢٦٨ / ٢      |
| ١٦٠. | بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل..                                                                               |              |
| ١٦١. | بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، قال: هذا بابٌ من السماء فتح اليوم ولم يفتح قطُّ إلا اليوم | ٩٨ / ١       |
| ١٦٢. | التَّثَبُّتُ من الله، والعجلة من الشيطان                                                                               | ٢٥٣ / ٣      |
| ١٦٣. | التَّحَدُّثُ بالنعم شكرٌ                                                                                               | ١٨٦ / ١      |
| ١٦٤. | تقتلك الفئة الباغية                                                                                                    | ١٦٢ / ٣      |
| ١٦٥. | التمسوها في العشر الأواخر                                                                                              | ٦٣٦ / ٣      |
| ١٦٦. | ثلاث لا ينجو منهن أحد: الحسد، والظن، والطيرة..                                                                         | ٦٨٨ / ٣      |
| ١٦٧. | ثلاثة يُؤْتَوْنَ أجرهم مرتين..                                                                                         | ٦٣٦ / ٢      |
| ١٦٨. | ثمرها كالقلال، وورقها كأذان الفيلة                                                                                     | ٢٩٦ / ٣      |
| ١٦٩. | جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد..                          | ٥١ / ١       |
| ١٧٠. | جُعِلَتْ لي الأرض مسجدًا                                                                                               | ٦٩٦ / ١      |
| ١٧١. | جعلوا عباد الله حَوْلًا، ومال الله دَوْلًا                                                                             | ١٦٢ / ٣      |
| ١٧٢. | الجمعة واجبة على كل مسلم في جماعة إلا أربعة..                                                                          | ٤٠٢ / ٣      |
| ١٧٣. | جنتان من ذهب أنيتهما وكل ما فيهما، وجنتان من فضة أنيتهما وكل ما فيهما                                                  | ٣٢٢ / ٣      |

| م    | الحديث                                                                                             | الجزء/الصفحة |
|------|----------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ١٧٤. | الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب                                                            | ٦٨٧ / ٣      |
| ١٧٥. | الخلافة بعدي ثلاثون سنة                                                                            | ٥٣٨ / ٢      |
| ١٧٦. | خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم                                                                   | ٣٢٧ / ٣      |
| ١٧٧. | خيرات الأخلاق، حسان الوجوه                                                                         | ٣٢٢ / ٣      |
| ١٧٨. | خيركم من تعلم القرآن وعلمه                                                                         | ٩٧ / ١       |
| ١٧٩. | خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، ولم يعد ذلك طلاقاً                                                     | ٧٠٨ / ٢      |
| ١٨٠. | الدعاء هو العبادة                                                                                  | ١٢٠ / ٣      |
| ١٨١. | دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له                                                   | ٤٢٩ / ٢      |
| ١٨٢. | دين الله يسر                                                                                       | ٥٩١ / ٣      |
| ١٨٣. | ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً                                  | ٦٤٢ / ٣      |
| ١٨٤. | الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله                                                         | ٦٥٦ / ٣      |
| ١٨٥. | رحم الله المحلقين                                                                                  | ٢٤٦ / ٣      |
| ١٨٦. | رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان                                                                      | ٣٧٦ / ١      |
| ١٨٧. | الرياء الشرك الأصغر                                                                                | ٦٤١ / ٣      |
| ١٨٨. | زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل                                                                    | ٦٦٥ / ٢      |
| ١٨٩. | زملوني، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]                                       | ٤٩١ / ٣      |
| ١٩٠. | ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن                                                         | ٦٧٧ / ٣      |
| ١٩١. | سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له                                                        | ٧٦٤ / ٢      |
| ١٩٢. | سألت رسول الله ﷺ عن مقاليد السماوات والأرض فقال: هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله..     | ٩٩ / ٣       |
| ١٩٣. | سُنُوا بهم سنة أهل الكتاب                                                                          | ٣٩١ / ٣      |
| ١٩٤. | سؤال عبد الله بن حذافة: مَنْ أَبِي؟ فقال له النبي ﷺ: أبوك حذافة، وقال آخر: أين أنا؟ قال: في النار. | ٢١٩ / ٢      |
| ١٩٥. | سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن                                                    | ٩٩ / ١       |



| م    | الحديث                                                                                             | الجزء/الصفحة |
|------|----------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ١٩٦. | سئل رسول الله ﷺ عن ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: الذين يؤخرونها عن وقتها         | ٦٦٦/٣        |
| ١٩٧. | سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: ذكر الله                                                  | ٢٧٦/١        |
| ١٩٨. | سئل رسول الله ﷺ: ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: الماء، والنار، والملح                            | ٦٦٦/٣        |
| ١٩٩. | شاهت الوجوه                                                                                        | ٣٩/٢         |
| ٢٠٠. | شراء المغنيات وبيعهن حرام                                                                          | ٦٧٩/٢        |
| ٢٠١. | شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر                                                                 | ٣٤٠/١        |
| ٢٠٢. | الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم                               | ٧٦/١         |
| ٢٠٣. | صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته                                                             | ٥١٨/١        |
| ٢٠٤. | صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداق الذي لا تمسه الأيدي                                                   | ٣٢٨/٣        |
| ٢٠٥. | صلة الرحم تزيد في العمر                                                                            | ٧٥٥/٢        |
| ٢٠٦. | صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتحون بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ | ١٨٠/١        |
| ٢٠٧. | الضريع شوك في النار                                                                                | ٥٩٤/٣        |
| ٢٠٨. | طلحة ممن قضى نجه                                                                                   | ٧٠٦/٢        |
| ٢٠٩. | الظن أكذب الحديث                                                                                   | ٢٥٧/٣        |
| ٢١٠. | عجب الله من فعلكما البارحة                                                                         | ٣٧٧/٣        |
| ٢١١. | العجماء جرحها جبار                                                                                 | ٤٢٥/٢        |
| ٢١٢. | عفا الله عن الزكاة في الخيل                                                                        | ٦٠٩/١        |
| ٢١٣. | على مثل الشمس فاشهد                                                                                | ٤٦٩/٣        |
| ٢١٤. | الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره                                                                | ٢٥٧/٣        |
| ٢١٥. | فإن أكل منه فلا تاكل؛ فإنه إنما أمسك على نفسه                                                      | ٥٥٣/١        |
| ٢١٦. | الفرقتان في أمتي                                                                                   | ٣٢٧/٣        |

| م    | الحديث                                                                        | الجزء/الصفحة |
|------|-------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٢١٧. | فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب                  | ٣/ ٣٦٦       |
| ٢١٨. | فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً                                  | ٣/ ٣٦٦       |
| ٢١٩. | الفضل المبتغى: عيادة مريض، أو صلة صديق، أو اتباع جنازة                        | ٣/ ٤٠٣       |
| ٢٢٠. | فغشها ألوان لا أدري ما هي                                                     | ٣/ ٢٩٦       |
| ٢٢١. | فك الرقة وأعتق النسمة                                                         | ٣/ ٦٠٨       |
| ٢٢٢. | قتال المسلم كفر                                                               | ٣/ ٢٥٤       |
| ٢٢٣. | قد زوجتكها على ما معك من القرآن                                               | ٢/ ٦٢٨       |
| ٢٢٤. | قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه                                           | ٢/ ٥٩        |
| ٢٢٥. | قم أبا تراب                                                                   | ٣/ ٤٩١       |
| ٢٢٦. | قولوا: اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم                 | ١/ ٣٨٥       |
| ٢٢٧. | كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم                                                 | ١/ ٧٥٤       |
| ٢٢٨. | كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً                                | ٣/ ٤٩٩       |
| ٢٢٩. | كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه                                       | ٢/ ٣١٧       |
| ٢٣٠. | كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل؛ فمن وافق خطه فذاك                           | ٣/ ٢٠٩       |
| ٢٣١. | كرم الكتاب ختمه                                                               | ٢/ ٦٠٠       |
| ٢٣٢. | كل جسد ابن آدم تأكله الأرض، إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب                  | ٣/ ٢٦٣       |
| ٢٣٣. | كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل المؤمن متعمداً | ١/ ٥١٣       |
| ٢٣٤. | كل رباً كان في الجاهلية موضوع                                                 | ١/ ٣٦٥       |
| ٢٣٥. | كل ما أدبت زكاته فليس بكنز، وما لم تؤد زكاته فهو كنز                          | ٢/ ٤٤        |
| ٢٣٦. | كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه..                         | ٢/ ٦٧١       |
| ٢٣٧. | كل نعيم فمسؤول عنه إلا نعيم في سبيل الله                                      | ٣/ ٦٥٥       |
| ٢٣٨. | كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل                                  | ١/ ٥٦٨       |
| ٢٣٩. | كيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان                                      | ٢/ ٢٦٠       |

| م    | الحديث                                                                                                                            | الجزء/الصفحة |
|------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٢٤٠. | لا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ، لا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ.. | ٤٣٨ / ١      |
| ٢٤١. | لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يَفِرُّ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة                                                     | ٩٨ / ١       |
| ٢٤٢. | لا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ                                                                                              | ٣٤٨ / ١      |
| ٢٤٣. | لا تدخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلا وأنتم باكون؛ مخافة أن يصيبكم مثل الذي أصابهم                                                   | ٧١٣ / ١      |
| ٢٤٤. | لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم                                                                                                 | ٧٦ / ١       |
| ٢٤٥. | لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمه                                                               | ٢٧٠ / ٣      |
| ٢٤٦. | لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدكم ولا تصيفه                                                          | ٣٤٦ / ٣      |
| ٢٤٧. | لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم..                                                   | ٦٥٩ / ٢      |
| ٢٤٨. | لا تفضلوني على يونس بن متى                                                                                                        | ٣٤٨ / ١      |
| ٢٤٩. | لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد                                                                                                 | ٥٧٩ / ٣      |
| ٢٥٠. | لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب                                                                                                 | ١٨٥ / ١      |
| ٢٥١. | لا فكرة في الرب                                                                                                                   | ٣٠٢ / ٣      |
| ٢٥٢. | لا وصية لوارث                                                                                                                     | ٢٩٦ / ١      |
| ٢٥٣. | لا يحج بعد هذا العام مشرك                                                                                                         | ٢٥٨ / ١      |
| ٢٥٤. | لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زنا بعد إحصان، أو كفر بعد إيمان، أو قتل نفس بغير نفس                                          | ٦٨٤ / ١      |
| ٢٥٥. | لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه                                                                                           | ٥٤٢ / ٢      |
| ٢٥٦. | لا يدخل الجنة نمام                                                                                                                | ٤٤٦ / ٣      |

| م    | الحديث                                                                                                                                                                                                         | الجزء/الصفحة |
|------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٢٥٧. | لا يدخل النار إن شاء الله أحدٌ من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها                                                                                                                                                | ٢٤٠/٣        |
| ٢٥٨. | لا يصيب ابن آدم خدشٌ عودٍ أو عشرة قدم..                                                                                                                                                                        | ١٥٩/٣        |
| ٢٥٩. | لا يفرِّك مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن سخط منها خلقاً رضي منها آخر                                                                                                                                                         | ٤٦٨/١        |
| ٢٦٠. | لا يقتل حرٌّ بعبد                                                                                                                                                                                              | ٢٩٥/١        |
| ٢٦١. | لا يقيم أحدٌ أحدًا من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا                                                                                                                                             | ٣٦٥/٣        |
| ٢٦٢. | لا يقولنَّ أحدكم زرعت، ولكن يقول حرثت                                                                                                                                                                          | ٣٣٣/٣        |
| ٢٦٣. | لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها                                                                                                                                                                         | ٤٧٣/٢        |
| ٢٦٤. | لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى                                                                                                                                                                 | ٧٥٥/١        |
| ٢٦٥. | لا؛ حتى تذوق عُسَيْلَتَهُ ويذوق عُسَيْلَتِكَ                                                                                                                                                                   | ٣٣٠/١        |
| ٢٦٦. | لعلك تؤذيك هوائٌ رأسك؟ فقال: نعم..                                                                                                                                                                             | ٣٠٧/١        |
| ٢٦٧. | لقد نزلت عليّ سورة هي أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها                                                                                                                                                            | ٢٣٤/٣        |
| ٢٦٨. | لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً حسن اليقين، أحبَّ الله فأحبه، فمَنَّ عليه بالحكمة                                                                                                                           | ٩٧/١         |
| ٢٦٩. | لما نزلت ﴿أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، قال رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك، فلما نزلت ﴿مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: أعوذ بوجهك، فلما نزلت ﴿أَوْ يَلْسَنُكُمْ لِسَانًا﴾، قال النبي ﷺ: هذه أهون | ٦٥٠/١        |
| ٢٧٠. | لن يغلب عسر يسرين                                                                                                                                                                                              | ٦٢٥/٣        |
| ٢٧١. | الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم                                                                                                                                                                         | ٢١/٣         |
| ٢٧٢. | اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً                                                                                                                                                                           | ٩٧/١         |
| ٢٧٣. | اللهم أشدد وطأتك على مضر                                                                                                                                                                                       | ٤٩٤/٣        |
| ٢٧٤. | اللهم أيده بروح القدس                                                                                                                                                                                          | ٢٤٦/١        |
| ٢٧٥. | اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل                                                                                                                                                                              | ٦٩/١         |
| ٢٧٦. | اللهم هذا فعلي فيما أملك؛ فلا تؤاخذني فيما لا أملك                                                                                                                                                             | ٥٣٠/١        |

| م    | الحديث                                                                                  | الجزء/الصفحة |
|------|-----------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٢٧٧. | لو دعا ناديه لأخذه الزبانية عياناً                                                      | ٦٣٤ / ٣      |
| ٢٧٨. | لو دنا مني لاخطفته الملائكة عضواً عضواً                                                 | ٦٣٢ / ٣      |
| ٢٧٩. | لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء                                                | ٣٩٩ / ٣      |
| ٢٨٠. | لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء                      | ١٧٥ / ٣      |
| ٢٨١. | لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر                                                      | ٢٨ / ٢       |
| ٢٨٢. | لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح                                                  | ١٦١ / ٣      |
| ٢٨٣. | لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سُومت في السماء على المنفضين                                | ٤٠٤ / ٣      |
| ٢٨٤. | لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد..                                                    | ٣٩٦ / ٣      |
| ٢٨٥. | ليس لك عليه نفقة                                                                        | ٤٢٢ / ٣      |
| ٢٨٦. | ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية                                                 | ٩٧ / ٣       |
| ٢٨٧. | ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبى                                                       | ١٩٦ / ٣      |
| ٢٨٨. | ما أراك إلا قد حرمت عليه                                                                | ٣٥٨ / ٣      |
| ٢٨٩. | ما كان رسول الله ﷺ يفسر من القرآن إلا آياتٍ بعدد، علمه إياهن جبريل                      | ٧١ / ١       |
| ٢٩٠. | ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟                                                        | ٤٨٤ / ٣      |
| ٢٩١. | ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صُفحت له صفائح من نار ..                      | ٤٦٦ / ٣      |
| ٢٩٢. | ما من مولود إلا نَحَسه الشيطان فيستهل صارخاً، إلا ابنَ مريم وأمه                        | ١٧٨ / ١      |
| ٢٩٣. | ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية                                                    | ٥٣٨ / ٣      |
| ٢٩٤. | الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويستمتع فيه وهو عليه شاقُّ له أجران | ٥٥١ / ٣      |
| ٢٩٥. | المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا                                                         | ٤٧٨ / ١      |
| ٢٩٦. | مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأثرجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب..                        | ٩٧ / ١       |
| ٢٩٧. | مخرجاً من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة                          | ٤١٩ / ٣      |
| ٢٩٨. | مُرَّةٌ فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر؛ فإن شاء طلق وإن شاء أمسك                    | ٤١٦ / ٣      |

| م    | الحديث                                                                                                                                     | الجزء/الصفحة |
|------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٢٩٩. | مُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإذا رأيتم شُحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخوصصة نفسك وذّر عوائهم | ٧١١/٣        |
| ٣٠٠. | المستبآن ما قالاهو على البادئ                                                                                                              | ٥٦٨/١        |
| ٣٠١. | مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها                                                                                              | ١٢/٣         |
| ٣٠٢. | معاذ الله! ما بذلك أمرت، ولا إليه دعوت                                                                                                     | ٤٠٨/١        |
| ٣٠٣. | مفاتيح الغيب خمس..                                                                                                                         | ٦٨٨/٢        |
| ٣٠٤. | من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله                                                                                                       | ٢٥٩/٣        |
| ٣٠٥. | من أصاب ذنبًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة                                                                                              | ٥١٤/١        |
| ٣٠٦. | من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنى في مصيبتى واخلف لى خيرًا منها: أخلف الله له خيرًا مما أصابه                    | ٢٨٠/١        |
| ٣٠٧. | من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار                                                                               | ٦٠٨/٣        |
| ٣٠٨. | من ترك الصلاة فقد كفر                                                                                                                      | ٤١٥/١        |
| ٣٠٩. | من حاسب نفسه في الدنيا هوّن الله حسابه يوم القيامة                                                                                         | ٥٧٢/٣        |
| ٣١٠. | مَنْ حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدَّجَالِ                                                                                  | ٩٩/١         |
| ٣١١. | مَنْ حَلَفَ على سبعة بعد العصر..                                                                                                           | ٦١٣/١        |
| ٣١٢. | من سلم على قريباً سمعته، ومن سلم على بعيداً بُلغته؛ فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء                                          | ٧٢٤/٢        |
| ٣١٣. | من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين                                                                                | ٣١٨/٣        |
| ٣١٤. | من عَمَّرَهُ اللهُ سَتَيْنِ فقد أعذر إليه في العُمُر                                                                                       | ٧٦٥/٢        |
| ٣١٥. | من غصب شبرًا من أرض طَوْقه يوم القيامة من سبع أرضين                                                                                        | ٤٢٥/٣        |
| ٣١٦. | من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ                                                                                                      | ٧١/١         |
| ٣١٧. | من قال: لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة                                               | ١٨٨/١        |

| م    | الحديث                                                                                            | الجزء/الصفحة |
|------|---------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٣١٨. | من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه                                        | ٣/ ٦٣٧       |
| ٣١٩. | مَنْ قُتِلَ دون نفسه وماله فهو شهيد                                                               | ٣/ ٢٥٥       |
| ٣٢٠. | من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئتي مرة كل يوم غفرت له ذنوب<br>خمسین سنة، إلا أن يكون عليه دين | ٣/ ٦٧٨       |
| ٣٢١. | من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدًا                                                            | ٣/ ٣٢٤       |
| ٣٢٢. | من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه                                             | ٢/ ٣٥١       |
| ٣٢٣. | من قرأها فقد برئ من الشرك                                                                         | ٣/ ٦٦٩       |
| ٣٢٤. | من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار                                                             | ٣/ ٢٤٧       |
| ٣٢٥. | من لم يسأل الله يغضب عليه                                                                         | ٣/ ١٢١       |
| ٣٢٦. | من نوقش الحساب عذب                                                                                | ٣/ ٥٧١       |
| ٣٢٧. | مهلاً يا عائشة! إن الله يكره الفحش والتفحش                                                        | ٣/ ٣٦٤       |
| ٣٢٨. | مؤمنو أمتي شهداء                                                                                  | ٣/ ٣٥١       |
| ٣٢٩. | ناركم هذه التي توقدون جزءً من سبعين جزءًا من نار جهنم                                             | ٣/ ٥٩٢       |
| ٣٣٠. | الناس من آدم، وآدم من التراب                                                                      | ٣/ ٢٥٩       |
| ٣٣١. | الناس نيام؛ فإذا ماتوا انتبهوا                                                                    | ٣/ ٢٦٨       |
| ٣٣٢. | النجم هو الغاسق                                                                                   | ٣/ ٦٨٥       |
| ٣٣٣. | نحن معاشر الأنبياء لا نورث                                                                        | ٢/ ٣٥١       |
| ٣٣٤. | نزلت هذه الآية في خمسة: في وفي علي وفاطمة والحسن والحسين                                          | ٢/ ٧١٠       |
| ٣٣٥. | نصح لهم حيًا وميتًا                                                                               | ٣/ ٩         |
| ٣٣٦. | نُصِرْتُ بالرَّعب                                                                                 | ١/ ٤٣٠       |
| ٣٣٧. | نعم السواك الزيتون، من الشجرة المباركة، هي سواكي وسواك<br>الأنبياء من قبلي                        | ٣/ ٦٢٧       |
| ٣٣٨. | نور أنى أراه؟                                                                                     | ٣/ ٢٩٦       |
| ٣٣٩. | هذا من النعيم الذي تُسألون عنه                                                                    | ٣/ ٦٥٥       |

| م    | الحديث                                                                                       | الجزء/الصفحة |
|------|----------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٣٤٠. | هذه الآية لكم، وقد تقدّم مثلها لقوم موسى                                                     | ٧٥٦/١        |
| ٣٤١. | هل أنت إلا إصبعٌ دَمِيت وفي سبيل الله ما لقيت                                                | ١٩/٣         |
| ٣٤٢. | هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة قوّاهم الله بأربعة سواهم                                | ٤٥٨/٣        |
| ٣٤٣. | هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي                                        | ٧٥٥/١        |
| ٣٤٤. | هي ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق.. | ٣٠٢/٢        |
| ٣٤٥. | والخير كله بيدك، والشر ليس إليك                                                              | ٥٠٤/١        |
| ٣٤٦. | والله لأستغفرنّ لك ما لم أنة عنك                                                             | ٧٢/٢         |
| ٣٤٧. | والله لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم                                                | ٢٦٥/٢        |
| ٣٤٨. | وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض                                            | ٤٠١/٢        |
| ٣٤٩. | وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس كافة                                           | ٧٤٧/١        |
| ٣٥٠. | يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟                                           | ٩٨/١         |
| ٣٥١. | يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك                                                      | ٦٠٤/٣        |
| ٣٥٢. | يا أيها الناس! انصرفوا فإن الله قد عصمني                                                     | ٥٩٢/١        |
| ٣٥٣. | يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار                 | ٥٩٠/٢        |
| ٣٥٤. | يا عائشة! استعيزي بالله من شر هذا؛ فإنه الغاسق إذا وقب                                       | ٦٨٥/٣        |
| ٣٥٥. | يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك                           | ٧٦٥/١        |
| ٣٥٦. | يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك                                                             | ٧١٧/١        |
| ٣٥٧. | يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب                                                              | ٤٧١/١        |
| ٣٥٨. | يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً                                                       | ٤٣٣/٢        |
| ٣٥٩. | يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك خمس مئة سنة                                   | ٤٦٠/٢        |
| ٣٦٠. | يرحم الله أخي لو طأ؛ لقد كان يأوي إلى ركن شديد                                               | ١٣٠/٢        |



| م    | الحديث                                                                                      | الجزء / الصفحة |
|------|---------------------------------------------------------------------------------------------|----------------|
| ٣٦١. | يرحمه الله؛ لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد أنسيتها                                          | ٥٩١ / ٣        |
| ٣٦٢. | يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء                                             | ٣٦٦ / ٣        |
| ٣٦٣. | يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة                                                              | ٢٦ / ٣         |
| ٣٦٤. | يقول ابن آدم: مالي مالي! وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت | ٦٥٣ / ٣        |
| ٣٦٥. | يقول الله تعالى: يَشْتَمِنِي ابن آدم وليس له أن يشتمني..                                    | ٧٢٥ / ٢        |
| ٣٦٦. | ينادي مناد يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد..                                          | ٤٥١ / ٣        |
| ٣٦٧. | ينظرون إلى أعدائهم في النار                                                                 | ٥٦٧ / ٣        |
| ٣٦٨. | يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمُهُ سورة البقرة وآل عمران      | ٩٩ / ١         |
| ٣٦٩. | يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها                      | ٦٠٣ / ٣        |



## فهرس الأبيات الشعرية

| م   | البيت الشعري                                          | الجزء/الصفحة                                                 |
|-----|-------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------|
| ١.  | [وَنَذِيْمُهُمْ وَبِهَا عَرَفْنَا فَضْلَهُ]           | فبضـُفـُـدْهَا تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ ٥٨ / ١                 |
| ٢.  | لَا تَدْعُنِي إِلَّا بِيَا عِبْدَهُ                   | فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي ٦١٥ / ١                        |
| ٣.  | وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفُهُمْ          | بِهِنَّ فُلُوكُ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ ٥٨٧ / ١            |
| ٤.  | خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي        | [وَلَا تَنْطَلِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ] ٧٦٤ / ١     |
| ٥.  | وَأَظْلَمَ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَاتٍ حَاسِدًا         | لَمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ ٦٨٨ / ٣             |
| ٦.  | [وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمَ عَيْشَةٍ]         | فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ ٥٣ / ٣                 |
| ٧.  | وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمَسْتَنْكَرٍ                       | أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ ٢٦٣ / ٢                 |
| ٨.  | قَالَتْ - وَفَدَّ سَأَلْتُ عَنْ حَالِ عَاشِقِهَا -:   | بِاللَّهِ صَفْهُ وَلَا تَنْقُصْ وَلَا تَزِدْ ٢٠٠ / ١         |
| ٩.  | كُلَّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِزَالَتُهَا          | إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ ٦٨٨ / ٣           |
| ١٠. | إِنْ يَحْسُدُونِي فَلَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ       | قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا ٦٨٨ / ٣ |
| ١١. | مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ: لَا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ | [مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي] ١٧٩ / ٣  |
| ١٢. | إِنِّي لِأَرْحَمَ حَاسِدِي لَقَرَطٍ مَا               | ضَمَّتْ صُدُورَهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ ٦٨٧ / ٣                |
| ١٣. | وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشُّوقُ يَوْمًا               | إِذَا دَنَتْ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ ٧٢٨ / ١              |
| ١٤. | لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ         | نَغَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا ٦٩١ / ٣         |
| ١٥. | كَلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا                | [فَلِإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيسٌ] ٦٦٣ / ٣               |
| ١٦. | تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حَبَّةَ           | هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ ٢٠٠ / ١                 |

| م   | البيت الشعري                                                                             | الجزء/الصفحة |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ١٧. | كَبُكْرٍ مُّقَانَاةٍ الْبِياضُ بِضُفْرَةٍ [غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرَ مُحَلَّلٍ]   | ٣١/٣         |
| ١٨. | أَلَا فَارْحَمُونِي يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ فَإِن لَّمْ أَكُنْ أَمَلًا فَأَنْتَ لَهُ أَمَلٌ | ٤٩٧/٢        |
| ١٩. | [وَسَنَانُ أَفْصَدُهُ النَّعَاسُ فَرَنْقَتْ] فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ     | ٣٥٠/١        |
| ٢٠. | فَعَلَقْتُهَا تَيْنًا وَمَاءَ بَارِدًا [حَتَّى شَتَّتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا]             | ٣٧٦/٣        |
| ٢١. | فَهِيهَاتَ هِيهَاتَ الْعَقِيقُ وَأَهْلُهُ [وَهِيهَاتَ وَضُلُّ بِالْعَقِيقِ تَوَاصُلُهُ]  | ٤٨٣/٢        |



فهرس التعليقات العقديّة  
لفضيّلة الشّيخ عبد الرحمن البراك

| م   | موضوع التعليق                                                                | الجزء/الصفحة |
|-----|------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ١.  | توضيح قول ابن جزري في إثبات وجود الباري جل جلاله، والاستدلال عليه بمخلوقاته  | ٥٦/١         |
| ٢.  | مناقشة قول ابن جزري أن التصوف له تعلق بالقرآن                                | ٦٤/١         |
| ٣.  | توضيح قول ابن جزري عن الله وأسمائه وصفاته: «وما يجوز عليه وما يستحيل عليه».  | ٩٥/١         |
| ٤.  | مناقشة ابن جزري في تفسير الإيمان بالتصديق                                    | ١٠٢/١        |
| ٥.  | حكم إطلاق «واجب الوجود» على الله                                             | ١٢١/١        |
| ٦.  | تفسير اسم الله الكريم بالمحسن                                                | ١٣٤/١        |
| ٧.  | تفسير صفة الكيد بالمشيئة                                                     | ١٣٥/١        |
| ٨.  | تفسير اسم الله العزيز بالغالب                                                | ١٥٠/١        |
| ٩.  | مناقشة ابن جزري في ذكره لمعاني علو الله تعالى                                | ١٥٣/١        |
| ١٠. | تفسير اسم الله الفتاح بالحاكم وخالق النصر                                    | ١٥٧/١        |
| ١١. | حكم إطلاق «صفات الحدوث» على صفات الله تعالى                                  | ١٦٣/١        |
| ١٢. | مناقشة ابن جزري في تفسير الرحمة بالإحسان أو بإرادة الإحسان                   | ١٨٢/١        |
| ١٣. | توضيح قول ابن جزري في سبب تقديم اسم الرحمن على الرحيم                        | ١٨٤/١        |
| ١٤. | طريقة الصوفية في تقسيم الشكر إلى ثلاث درجات وما فيها من المآخذ               | ١٨٧/١        |
| ١٥. | مناقشة ابن جزري في تفضيل قول: «الحمد لله رب العالمين» على «لا إله إلا الله». | ١٨٩/١        |

| م   | موضوع التعليق                                                                                                                                                             | الجزء/الصفحة |
|-----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ١٦. | وجه بطلان قول القدرية من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِيْثُ﴾.                                                                                                             | ١٩١/١        |
| ١٧. | مناقشة ابن جزري في تفسير صفة الاستهزاء بأنها من باب تسمية العقوبة باسم الذنب                                                                                              | ٢٠٥/١        |
| ١٨. | المقصد بذكر المخلوقات في القرآن، هل هو الاستدلال على وحدانية الله تعالى أو على وجوده؟                                                                                     | ٢١٣/١        |
| ١٩. | مناقشة ابن جزري في إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان                                                                                                                          | ٢١٦/١        |
| ٢٠. | إثبات صفة الحياة لله تعالى                                                                                                                                                | ٢١٧/١        |
| ٢١. | مناقشة ابن جزري في سبب كفر إبليس                                                                                                                                          | ٢٢٣/١        |
| ٢٢. | مناقشة ابن جزري تفسير صفة الوجه لله تعالى                                                                                                                                 | ٢٥٨/١        |
| ٢٣. | مناقشة ابن جزري في تفسير: ﴿وَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا﴾                                                                                                                      | ٢٦٠/١        |
| ٢٤. | مناقشة الوجود التي أوردها ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾                                                 | ٢٦١/١        |
| ٢٥. | مقامات الناس في المقصد بذكر الله، وكلام الصوفية في ذلك، وبيان ما في كلامهم من المآخذ                                                                                      | ٢٧٧/١        |
| ٢٦. | بيان بطلان قول الصوفية في أن أفضل الذكر ذكر الله تعالى بالاسم المفرد «الله، الله».                                                                                        | ٢٧٨/١        |
| ٢٧. | مناقشة طريقة المتكلمين التي أوردها ابن جزري في تقسيم التوحيد، وبيان المآخذ الشرعية في ذكرهم معاني «الواحد» في حق الله تعالى، ومعناه في قوله: ﴿وَاللَّهُ كَزَلَّةٍ وَحْدٌ﴾ | ٢٨٣/١        |
| ٢٨. | طريقة الصوفية في جعل الخلق في توحيد الله على ثلاث درجات والكلام عن مقام الفناء، وبيان ما في كلامهم من المآخذ                                                              | ٢٨٤/١        |
| ٢٩. | المآخذ على طريقة الصوفية في تعظيم مقام محبة الله والتهوين من مقامات الخوف والرجاء والتوكل                                                                                 | ٢٨٦/١        |
| ٣٠. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾                                                                                                        | ٢٩١/١        |

| م   | موضوع التعليق                                                                                                                      | الجزء/الصفحة |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٣١. | مناقشة ابن جزري في نسبة الاعتذار إلى الله                                                                                          | ٢٩٧/١        |
| ٣٢. | مناقشة ابن جزري في تقييد استجابة الدعاء بموافقة القدر، وبيان ما فيه من إجمال                                                       | ٢٩٩/١        |
| ٣٣. | مناقشة ابن جزري في صفة الإتيان لله تعالى، وبيان ما في كلامه من خلل واضطراب                                                         | ٣١٤/١        |
| ٣٤. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا...﴾                                                           | ٣٤٣/١        |
| ٣٥. | تفسير القبض والبسط في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾                                                                  | ٣٤٤/١        |
| ٣٦. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾                                                    | ٣٥٠/١        |
| ٣٧. | مناقشة ابن جزري في قوله: «السيئات لا تبطل الحسنات»                                                                                 | ٣٥٧/١        |
| ٣٨. | مناقشة ابن جزري في تفسير أولي العلم بالعارفين بالله                                                                                | ٣٨٦/١        |
| ٣٩. | مناقشة ابن جزري في تأويل صفة المكر بأنها من باب المشاكلة                                                                           | ٤٠١/١        |
| ٤٠. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتُكَ إِلَيَّ﴾ بأنه: إلى سمائي، وما يتضمنه من نفي علو الله تعالى                      | ٤٠٢/١        |
| ٤١. | توضيح مذهب المعتزلة في القول بالأجلين                                                                                              | ٤٣٥/١        |
| ٤٢. | بيان المآخذ على طريقة الصوفية في جعل التوكل ثلاث درجات                                                                             | ٤٣٦/١        |
| ٤٣. | مسألة تخليد القاتل عمداً في النار والإشكال في آية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾ | ٥١٣/١        |
| ٤٤. | توضيح تفسير ابن جزري ﴿يُبَيِّنُونَ﴾ بالتدبير                                                                                       | ٥٢٤/١        |
| ٤٥. | توضيح تفسير ابن جزري ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ...﴾                                                                       | ٥٣٦/١        |
| ٤٦. | آية: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وتنازع المعتزلة والأشاعرة فيها                                                 | ٥٦٧/١        |
| ٤٧. | توضيح تفسير ابن جزري لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا...﴾                                                                           | ٥٧٧/١        |

| م   | موضوع التعليق                                                                                                                | الجزء/الصفحة |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٤٨. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾            | ٥٧٨ / ١      |
| ٤٩. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ فَيَنْكُحْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾                                    | ٥٨٢ / ١      |
| ٥٠. | مناقشة ابن جزري في تفويض صفة اليمين لله تعالى وبيان خطئه في ذلك                                                              | ٥٨٩ / ١      |
| ٥١. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ وإغفاله معنى النفس في الآية | ٦٢٢ / ١      |
| ٥٢. | إبطال احتجاج المتكلمين بقوله تعالى: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ على نفي أفعال الله الاختيارية                                  | ٦٥٥ / ١      |
| ٥٣. | معنى الظلم الذي نزه الله عنه نفسه عند أهل السنة وعند الأشاعرة                                                                | ٦٧٣ / ١      |
| ٥٤. | مناقشة ابن جزري في تفويض استواء الله تعالى على عرشه                                                                          | ٧٠٣ / ١      |
| ٥٥. | مناقشة ابن جزري في درجات ومقامات الخوف والرجاء                                                                               | ٧٠٦ / ١      |
| ٥٦. | مناقشة ابن جزري في قوله إن الأشاعرة استدلوا على جواز الرؤية عقلا بسؤال موسى ﷺ رؤية ربه                                       | ٧٢٩ / ١      |
| ٥٧. | توضيح تفسير ابن جزري لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾                                      | ٧٥٦ / ١      |
| ٥٨. | مناقشة ابن جزري في تأويل صفة الكيد بأنها من باب المشاكلة                                                                     | ٧٥٧ / ١      |
| ٥٩. | توضيح تفسير ابن جزري لقوله تعالى: ﴿زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾                                                                   | ٧ / ٢        |
| ٦٠. | مناقشة ابن جزري في تأويل قوله تعالى: ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ بأنها من باب المشاكلة                                        | ٦٠ / ٢       |
| ٦١. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ بالأمر والقبول                                                | ٦٧ / ٢       |

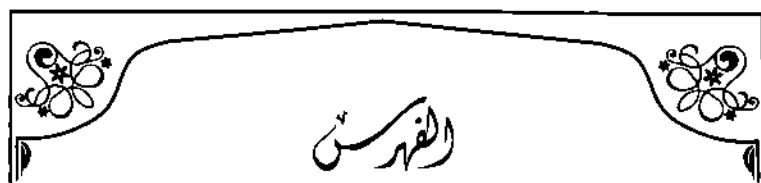
| م   | موضوع التعليق                                                                                                                          | الجزء/الصفحة |
|-----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٦٢. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾                                                      | ٨٧/٢         |
| ٦٣. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وقوله إن «ثم» هنا لترتيب الإخبار لا لترتيب الوقوع              | ١٨٠/٢        |
| ٦٤. | توضيح مذهب المعتزلة في القول بالأجلين                                                                                                  | ٢٠١/٢        |
| ٦٥. | مناقشة ابن جزري في ترده بين التأويل والتفويض في صفة الفوقية                                                                            | ٢٤١/٢        |
| ٦٦. | تصويب تفسير ابن جزري لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾                                                                    | ٢٤٤/٢        |
| ٦٧. | مناقشة ابن جزري في ذكره اختلاف العلماء في الإسراء                                                                                      | ٢٦٩/٢        |
| ٦٨. | مناقشة ابن جزري في نبوة الخضر وبقائه حيًّا                                                                                             | ٣٣٥/٢        |
| ٦٩. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكَلِمَةٍ رَبِّي﴾ بأنها معلومات الله وهي المعاني القائمة بالنفس، وما فيه من سلوك طريقة الأشاعرة | ٣٤٨/٢        |
| ٧٠. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْضَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾                                                                       | ٣٨٠/٢        |
| ٧١. | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾                                                                   | ٣٨١/٢        |
| ٧٢. | بيان مذهب أهل السنة فيمن مات ولم يتب هل تحصل له المغفرة؟                                                                               | ٣٨٩/٢        |
| ٧٣. | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ تُحَدِّثُ﴾                                        | ٤٠٤/٢        |
| ٧٤. | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾                                                              | ٤٢٢/٢        |
| ٧٥. | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾                                                                    | ٤٦٨/٢        |
| ٧٦. | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾                                                                       | ٤٧٧/٢        |



| م   | موضوع التطبيق                                                                                                                                                          | الجزء/الصفحة |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٧٧. | توضيح قول ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وبيان أن النور نوران: مخلوق، وغير مخلوق هو صفة الله تعالى                              | ٥٢٩ / ٢      |
| ٧٨. | مناقشة ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ ونفيه المعية المتضمنة للقاء الله                                                                       | ٥٣٣ / ٢      |
| ٧٩. | مناقشة ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا﴾ وبيان أنه متضمن معنى المجيء والإتيان                                                              | ٥٥٤ / ٢      |
| ٨٠. | مناقشة ابن جزي في نفي صفة الاستماع لله تعالى                                                                                                                           | ٥٧١ / ٢      |
| ٨١. | توضيح ما استشكله ابن جزي في قوله تعالى: ﴿تُودِي أَنْ بُرِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾                                | ٥٩٤ / ٢      |
| ٨٢. | مناقشة قول ابن جزي: «إن الله تعالى ليس ممن في السماوات والأرض باتفاق».                                                                                                 | ٦١٢ / ٢      |
| ٨٢. | مناقشة ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ...﴾ بأنه القول الأزلي من الله، وما فيه من جرّي على طريقة الأشاعرة في نفي تعلق الكلام بالمشيئة | ٦١٥ / ٢      |
| ٨٤. | مناقشة ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ باحتمال كونه بواسطة أو بغير واسطة                                                                          | ٦٤٠ / ٢      |
| ٨٥. | توضيح قول ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾                                                       | ٦٤١ / ٢      |
| ٨٦. | توضيح قول ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾                                                                                                      | ٦٦٩ / ٢      |
| ٨٧. | مناقشة ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ...﴾                                                                         | ٦٨٥ / ٢      |

| م    | موضوع التعليق                                                                                                                           | الجزء/الصفحة |
|------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ٨٨.  | مناقشة ابن جزري في نفي صفة النفخ لله؛ جرياً على أصله في نفي قيام الأفعال الاختيارية.                                                    | ٦٩١/٢        |
| ٨٩.  | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ بعلمه وإحاطته، وما فيه من جري على مذهب الأشاعرة في عدم إثبات القرب الخاص | ٧٤٩/٢        |
| ٩٠.  | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾                                                                | ٧٥٤/٢        |
| ٩١.  | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ...﴾                                                              | ٧٥٦/٢        |
| ٩٢.  | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾                                                                      | ٢٢/٣         |
| ٩٣.  | تصويب قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ على القراءة بضم الباء.                                            | ٢٦/٣         |
| ٩٤.  | مناقشة تفسير المتصوفة لقوله تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾                                                                        | ٣٧/٣         |
| ٩٥.  | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَّصْتُ يَدَيَّ﴾                                                                         | ٧٦/٣         |
| ٩٦.  | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾                                                           | ٨٣/٣         |
| ٩٧.  | توضيح نقل ابن جزري لكلام ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنِّي لِي كَرَّةٍ﴾                                                        | ٩٩/٣         |
| ٩٨.  | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾                                              | ١٤٧/٣        |
| ٩٩.  | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ بأنه تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين                                | ١٥٠/٣        |
| ١٠٠. | تصويب قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾                                                               | ٢٣٦/٣        |

| م    | موضوع التعليق                                                                                                                           | الجزء/الصفحة |
|------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------|
| ١٠١. | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ آلُكُفُّومُ عَنِ الدِّينِ﴾                                                        | ٢٥٧ / ٣      |
| ١٠٢. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَنَّا﴾                                                                             | ٢٩٥ / ٣      |
| ١٠٣. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالظَّالِمُ وَالْبَاطِلُ﴾                                                                        | ٣٤٤ / ٣      |
| ١٠٤. | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾<br>وإعرابها، وهل فيها حجة للمعتزلة على أن العبد يخلق فعل نفسه؟ | ٣٥٥ / ٣      |
| ١٠٥. | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِدِئُونِكُمْ﴾ وهل القائل الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال؟    | ٤٤٢ / ٣      |
| ١٠٦. | مناقشة ابن جزري في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾<br>بالشدة، وإعراضه عن إثبات صفة الساق                                 | ٤٥١ / ٣      |
| ١٠٧. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ بأنها استعارة<br>في الفضائل والصفات الحميدة، وما فيه من نفي علو الله بذاته      | ٤٦٥ / ٣      |
| ١٠٨. | توضيح قول ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾                                                                 | ٥٢٠ / ٣      |
| ١٠٩. | بيان خطأ الصوفية في تفسير الكنود بأنه: الذي يعبد الله على عوض                                                                           | ٦٤٨ / ٣      |
| ١١٠. | مناقشة ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ وتفسير الميزان بالعدل                                        | ٦٥١ / ٣      |
| ١١١. | مناقشة ابن جزري في توسله بحرمة القرآن العظيم وشفاعة النبي ﷺ.                                                                            | ٦٩٤ / ٣      |



|     |                        |
|-----|------------------------|
| ٥   | سُورَةُ يٰسِينَ        |
| ٢٣  | سُورَةُ الصّٰفَّاتِ    |
| ٥٠  | سُورَةُ دَاوُدَ        |
| ٧٩  | سُورَةُ الزُّمَرِ      |
| ١٠٦ | سُورَةُ الْبُورَةِ     |
| ١٢٩ | سورة حم السجدة         |
| ١٤٦ | سُورَةُ الْاَنْبِيَاءِ |
| ١٦٧ | سُورَةُ الْحٰجِّراتِ   |
| ١٩١ | سُورَةُ الْمُحْكَمَاتِ |
| ٢٠٠ | سُورَةُ الْاَنْعَامِ   |
| ٢٠٨ | سُورَةُ الْاَحْكَافِ   |
| ٢٢٣ | سورة القتال            |
| ٢٥٠ | سُورَةُ الْاَنْجَازِ   |
| ٢٦٢ | سُورَةُ قَافٍ          |
| ٢٧٤ | سُورَةُ الدّٰرِ اِيْكَ |
| ٢٨٤ | سُورَةُ الطّٰوَرِ      |
| ٢٩٣ | سُورَةُ النَّجْمِ      |
| ٣٠٥ | سُورَةُ الْاَقْصَا     |
| ٣١٤ | سُورَةُ الْاَحْزَابِ   |
| ٣٢٤ | سُورَةُ الْاَوْفَاقِ   |
| ٣٤٣ | سُورَةُ الْاَحْزَابِ   |

|          |                         |
|----------|-------------------------|
| ٣٥٨..... | سُورَةُ النَّجْمِ       |
| ٣٧٠..... | سُورَةُ النَّازِعَاتِ   |
| ٣٨٤..... | سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ |
| ٣٩٤..... | سورة الحواريين          |
| ٣٩٩..... | سُورَةُ الْجُمُعَةِ     |
| ٤٠٦..... | سورة المنافقين          |
| ٤١٠..... | سُورَةُ التَّجْوِاتِ    |
| ٤١٤..... | سُورَةُ الْاٰنْ         |
| ٤٢٦..... | سُورَةُ التَّحْوِيْمِ   |
| ٤٣٥..... | سُورَةُ الْمُلْكِ       |
| ٤٤٣..... | سورة ن والقلم           |
| ٤٥٤..... | سُورَةُ الْاٰفَاقِ      |
| ٤٦٤..... | سُورَةُ الْبُرْجِ       |
| ٤٧٣..... | سُورَةُ الْوُجْهِ       |
| ٤٨١..... | سُورَةُ الْاٰنْ         |
| ٤٩٠..... | سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ  |
| ٥٠٠..... | سُورَةُ الْاٰفَاقِ      |
| ٥١١..... | سُورَةُ الْاٰفَاقِ      |
| ٥١٨..... | سُورَةُ الْاٰفَاقِ      |
| ٥٢٨..... | سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ  |
| ٥٣٤..... | سُورَةُ الْاٰفَاقِ      |
| ٥٤١..... | سُورَةُ الْاٰفَاقِ      |
| ٥٤٩..... | سُورَةُ الْاٰفَاقِ      |
| ٥٥٥..... | سُورَةُ الْاٰفَاقِ      |
| ٥٦٠..... | سُورَةُ الْاٰفَاقِ      |
| ٥٦٣..... | سُورَةُ الْاٰفَاقِ      |

|          |                        |
|----------|------------------------|
| ٥٧٠..... | سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ |
| ٥٧٦..... | سُورَةُ الْبُرُوجِ     |
| ٥٨٤..... | سُورَةُ الطَّارِقِ     |
| ٥٨٨..... | سُورَةُ الْاَعْلَى     |
| ٥٩٣..... | سُورَةُ الْغَاشِيَةِ   |
| ٥٩٧..... | سُورَةُ الْفَجْرِ      |
| ٦٠٥..... | سُورَةُ الْبَلَدِ      |
| ٦١١..... | سورة الشمس             |
| ٦١٥..... | سُورَةُ الْاَنكَارِ    |
| ٦١٩..... | سُورَةُ الضُّحَى       |
| ٦٢٤..... | سورة ألم نشرح          |
| ٦٢٧..... | سُورَةُ التَّيْنِ      |
| ٦٣٠..... | سُورَةُ الْاَعْلَاقِ   |
| ٦٣٥..... | سُورَةُ الْاَقْلَاقِ   |
| ٦٤٠..... | سورة لم يكن            |
| ٦٤٤..... | سورة إذا زلزلت         |
| ٦٤٧..... | سُورَةُ الْاَعْلَاقِ   |
| ٦٥٠..... | سُورَةُ الْاَعْلَاقِ   |
| ٦٥٣..... | سُورَةُ الْاَعْلَاقِ   |
| ٦٥٦..... | سُورَةُ الْاَعْلَاقِ   |
| ٦٥٧..... | سُورَةُ الْاَعْلَاقِ   |
| ٦٥٩..... | سُورَةُ الْاَعْلَاقِ   |
| ٦٦٢..... | سُورَةُ الْاَعْلَاقِ   |
| ٦٦٥..... | سورة أرايت             |
| ٦٦٧..... | سُورَةُ الْاَعْلَاقِ   |
| ٦٦٩..... | سورة الكافرين          |

|           |                                                        |
|-----------|--------------------------------------------------------|
| ٦٧٢ ..... | سورة الزمر                                             |
| ٦٧٤ ..... | سورة أبي لهب                                           |
| ٦٧٧ ..... | سورة الاحقاف                                           |
| ٦٨٤ ..... | سورة الفلق                                             |
| ٦٩٠ ..... | سورة التين                                             |
| ٦٩٥ ..... | فهرس الأحاديث النبوية                                  |
| ٧١٥ ..... | فهرس الآيات الشعرية                                    |
| ٧١٧ ..... | فهرس التعليقات العقديّة لفضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك |
| ٧٢٥ ..... | الفهرس                                                 |

بسم الله الرحمن الرحيم